

















# مقدمة

العلامة ابن خلدون

كتاب قد حوى درر المعاني و بحر فوائد للمقتنيه  
فلا تعجب لهاتيك المباني فان البحر كل الدر فيه

طبعت برخصة مجلس معارف ولاية سوريا الجليلة

بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٧٩

وطبعت ثانية سنة ١٨٨٦

ثم طبعت الثالثة بالشكل الكامل سنة ١٩٠٠



الجزء الاول

من

كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر

في

ايام العرب والعجم والبربر

ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر

وهو

تاريخ وحيد عصره العلامة

عبد الرحمن ابن خلدون

المغربي



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغَنِيِّ بِلُطْفِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنُ خَلْدُونِ  
الْحَضَرِيِّ وَفَقَّهُ اللَّهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ وَالْجَبْرُوتُ \* وَبِيَدِهِ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ \* وَلَهُ الْأَسْمَاءُ  
الْحُسْنَى وَالنُّعُوتُ \* أَلْعَالِمِ فَلَا يَغْرُبُ عَنْهُ مَا تُظْهِرُهُ النُّجُومُ أَوْ يُخْفِيهِ السُّكُوتُ \* أَلْقَادِرِ  
فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَفُوتُ \* أَنْشَأَنَا مِنَ الْأَرْضِ نَسَمًا \* وَأَسْتَعْمَرَنَا  
فِيهَا أَجْيَالًا وَأَمَمًا وَيَسَّرَ لَنَا مِنْهَا أَرْزَاقًا وَقَدْ تَكَفَّفْنَا الْأَرْحَامُ وَالْبُيُوتُ \* وَيَكُنْ لَنَا  
الرِّزْقُ وَالْقُوتُ \* وَتُبَّائِنَا الْأَيَّامُ وَالْوُقُوتُ \* وَتَعَثَّرْنَا الْأَجَالَ الَّذِي خُطَّ عَلَيْنَا كِتَابُهَا الْمَوْقُوتُ  
وَلَهُ الْبَقَاءُ وَالنُّبُوتُ \* وَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ \* وَالْإِلَهَ الْأَلَهُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا  
مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْمَكْنُوبِ فِي النُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ الْمَنْعُوتِ \* الَّذِي تَحْصُنُ لِفَصَالِهِ  
الْكُتُوبُ قَبْلَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الْأَحَادُ وَالسُّبُوتُ \* وَيَتَبَايَنَ زُحُلُ وَالْيَهْمُوتُ <sup>(١)</sup> \* وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
الَّذِينَ لَهُمْ فِي صُحْبَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْأَثَرُ الْبَعِيدُ وَالصِّيتُ \* وَالشَّمْلُ الْجَمِيعُ فِي مَظَاهِرَتِهِ وَلِعَدُوِّهِمْ  
الشَّمْلُ الشَّدِيدُ \* صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مَا اتَّصَلَ بِالْإِسْلَامِ جَدُّهُ الْمُبْتَحُوتُ \* وَأَنْقَطَعَ  
بِالْكُفْرِ حَبْلُهُ الْمُبْتُوتُ \* وَسَلَّمَ كَثِيرًا

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فَرْقَ التَّارِيخِ مِنَ الْفَنُونِ الَّتِي تَتَدَاوَلُهُ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ وَتَشَدُّ إِلَيْهِ  
الرَّكَائِبُ وَالرَّحَالُ \* وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهِ السُّوقَةُ وَالْأَغْنَمَالُ \* وَتَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُلُوكُ  
وَالْأَقْيَالُ \* وَتَلْتَسَاوِي فِي فَهْمِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَالُ \* إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارِ

(١) قوله اليه موت هو النون اي الموت الذي على ظاهره الارض السابعة ويسمى ايضا اوتيا كى في  
المزهر وروح البيان باللهجة ومعلوم ان يسه و بين زحل الذي هو في الملك السابع بونا ييدا وقال الشهاب  
المخافى في حاشيته على البيضاوى انه في اول سورة نون اليه موت بفتح الهمزة التحيه وسكون الميم وما اشهر  
من انه بالباء المرحدة غلط على ما ذكره الفاضل الحشى ومثله في روح البيان قوله نصر الهوريني اقره  
المصحح اليوناني



عَنِ الْأَيَّامِ وَالْأَدْوَلِ \* وَالسَّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأَوَّلِ \* تَنْمُو فِيهَا الْأَقْوَالُ \* وَتُضْرَبُ فِيهَا  
 الْأَمْثَالُ \* وَتُطْرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَةُ إِذَا غَضِبَهَا الْإِحْتِفَالُ \* وَتُؤَدِّي لَنَا شَأْنَ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ  
 ثَقَلَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ \* وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ فِيهَا النِّطَاقُ وَالْفُجَالُ \* وَعَمَرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى  
 بِهِمُ الْأَرْتَحَالُ \* وَحَانَ مِنْهُمْ الزَّوَالُ \* وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ \* وَتَعْلِيلٌ لِلْكَائِنَاتِ  
 وَمَبَادِيهَا دَقِيقٌ \* وَعِلْمٌ بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ \* فَهُوَ لِذَلِكَ أَصِيلٌ فِي الْحِكْمَةِ  
 عَرِيقٌ \* وَجَدِيرٌ بِأَنْ يَبْعَثَ فِي عُلُوبِهَا وَخَلِيقٌ \* وَإِنْ فُحُولَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي الْإِسْلَامِ قَدْ  
 اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْأَيَّامِ وَجَمَعُوهَا \* وَسَطَرُوهَا فِي صَفَحَاتِ الدِّفَافِ وَأَوْدَعُوهَا \* وَخَلَطُوهَا  
 الْمُتَطَفِّلُونَ بِدَسَائِسَ مِنَ الْبَاطِلِ وَهَمُّوا فِيهَا وَابْتَدَعُوهَا \* وَزَخَّارِفَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُضَعَفَةِ  
 لِقُوهَا وَوَضَعُوهَا \* وَاقْتَفَى تِلْكَ الْآثَارَ الْكَثِيرُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ وَاتَّبَعُوهَا \* وَأَدَّوْهَا إِلَيْنَا كَمَا  
 سَمِعُوهَا \* وَلَمْ يُلَاحِظُوا أَسْبَابَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يُرَاعَوْهَا \* وَلَا رَفَضُوا تَرْهَاتِ  
 الْأَحَادِيثِ وَلَا دَفَعُوهَا \* فَالتَّحْقِيقُ قَلِيلٌ \* وَطَرَفُ الْإِنْقِیَاحِ فِي الْغَالِبِ كَلِيلٌ \* وَالْغَلَطُ وَالْوَهْمُ  
 نَسِيبٌ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلٌ \* وَالْقَلِيدُ عَرِيقٌ فِي الْأَدَمِيِّينَ وَسَائِلٌ \* وَالْإِطْفَالُ عَلَى الْفَنُونِ  
 عَرِضٌ طَوِيلٌ \* وَمَرَعَى الْجَهْلِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخِيمٌ وَبِيلٌ \* وَالْحَقُّ لَا يُقَاوَمُ سُلْطَانَهُ \* وَالْبَاطِلُ  
 يُقْدَفُ بِشِمَابِ النَّظَرِ شَيْطَانَهُ \* وَالنَّاقِلُ إِنَّمَا هُوَ يُمْلِي وَيَنْقُلُ \* وَالْبَصِيرَةُ تَقْدُ الصَّحِيحَ  
 إِذَا تَمَقَّلَ \* وَالْعِلْمُ يَحْلُوهَا صَفَحَاتُ الْقُلُوبِ وَيَصْقُلُ

هَذَا وَقَدْ دَوَّرَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ وَأَكْثَرُوا \* وَجَمَعُوا تَوَارِيخَ الْأُمَمِ وَالْأَدْوَلِ فِي  
 الْعَالَمِ وَسَطَرُوا \* وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشُّهْرَةِ وَالْإِمَامَةِ الْمُعْتَبَرَةِ \* وَاسْتَفْرَغُوا دَوَاوِينَ  
 مَنْ قَبْلَهُمْ فِي صُحُفِهِمُ الْمُتَأَخَّرَةِ \* هُمْ قَلِيلُونَ لَا يَكَادُونَ يُجَاوِزُونَ عَدَدَ الْأَنَامِلِ \* وَلَا  
 حَرَكَاتِ الْعَوَامِلِ \* مِثْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ وَالطَّبْرِيِّ وَأَبْنِ الْأَثَرِيِّ وَرَحْمَدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ  
 وَسَيْفِ بْنِ عُمَرَ الْأَسَدِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَشَاهِيرِ \* الَّتِي تَمَيَّزْنَ عَنِ الْجُمَاهِيرِ \* وَإِنْ كَانَ  
 فِي كُتُبِ الْمَسْعُودِيِّ وَالوَاقِدِيِّ مِنَ الْمَطَاعِنِ وَالْعَمَزِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَثْبَاتِ \*  
 وَمَشْهُورٌ بَيْنَ الْحَفَظَةِ الثَّقَاتِ \* إِلَّا أَنَّ الْأَكْثَانَ اخْتَصَرْتُمْ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِمْ \* وَاقْتِفَاءِ  
 سُلُوكِهِمْ فِي التَّصْنِيفِ وَاتِّبَاحِ آثَارِهِمْ \* وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ قِسْطَاسُ نَفْسِهِ فِي تَرْيِيفِهِمْ فِيمَا يَنْقُلُونَ  
 أَوْ اعْتَبَارِهِمْ \* فَلَا عَمْرَانَ طَبَائِعُ فِي أَحْوَالِهِ تُرْجَعُ إِلَيْهَا الْأَخْبَارُ \* وَتَحْمَلُ عَلَيْهَا الرِّوَايَاتُ



وَالْآثَارُ \* ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ التَّوَارِيخِ لَهُوَ لَاءُ عَامَةِ الْمَنَاجِحِ وَالْمَسَالِكِ \* لِعُمُومِ الدَّوْلَتَيْنِ  
 صَدَرَ الْإِسْلَامِ فِي الْأَفَاقِ وَالْمَمَالِكِ \* وَتَنَاوَلَهَا الْبَعِيدَ مِنَ الْغَايَاتِ فِي الْمَاخِذِ وَالْمَتَارِكِ  
 وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ اسْتَوْعَبَ مَا قَبْلَ الْمِلَّةِ مِنَ الدُّوَلِ وَالْأُمَمِ \* وَالْأَمْرِ الْعَمَمِ \* كَالْمَسْعُودِيِّ  
 وَمَنْ نَحَا مَنَحَاهُ وَجَاءَ مِنْ تَعْدِهِمْ مَنْ عَدَلَ عَنِ الْإِطْلَاقِ إِلَى التَّقْيِيدِ وَوَقَفَتْ فِي الْعُمُومِ  
 وَالْإِحَاطَةِ عَنِ الشَّأَوِ الْبَعِيدِ \* فَقَيَّدَ شَوَارِدَ عَصْرِهِ \* وَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ أَفْقِهِ وَقُطْرِهِ \*  
 وَاقْتَصَرَ عَلَى تَارِيخِ دَوْلَتِهِ وَمِصْرِهِ \* كَمَا فَعَلَ أَبُو حَيَّانَ مُؤَرِّخُ الْأَنْدَلُسِ وَالِدَوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
 بِهَا وَابْنُ الرَّفِيقِ مُؤَرِّخُ أَفْرِيقِيَّةِ وَالِدَوْلَةِ الَّتِي كَانَتْ بِالْقَيْرَوَانِ ثُمَّ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَعْدِ  
 هَؤُلَاءِ إِلَّا مُقَلِّدٌ \* وَبَايَدُ الطَّبَعِ وَالْعَقْلِ أَوْ مُتَبَلِّدٌ \* يَذِجُ عَلَى ذَلِكَ الْهَوَالِ \* وَيَحْتَدِي  
 مِنْهُ بِالْمِثَالِ \* وَيَذْهَلُ عَمَّا أَحَالَتْهُ الْأَيَّامُ مِنَ الْأَحْوَالِ \* وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ مِنْ عَوَائِدِ الْأُمَمِ  
 وَالْأَجْيَالِ \* فَيَجْلِبُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الدُّوَلِ \* وَحِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ فِي الْعُصُورِ الْأَوَّلِ \* صُورًا  
 قَدْ تَجَرَّدَتْ عَنْ مَوَادِّهَا \* وَصِفَاتِهَا أَنْتَضَيْتْ مِنْ أَغْصَادِهَا \* وَمَعَارِفُ تَسَنُّكِرُ لِلْجَهْلِ  
 بِطَارِفِهَا وَتِلَادِهَا \* إِنَّمَا هِيَ حَوَادِثُ لَمْ تَعْلَمْ أَصُولُهَا \* وَأَنْوَاعٌ لَمْ تُعْتَبَرْ أَجْنَاسُهَا وَلَا تَحَقَّقَتْ  
 فُصُولُهَا \* يُكْرَرُونَ فِي مَوْضُوعَاتِهَا الْأَخْبَارَ الْمُتَدَاوِلَةَ بِأَعْيَانِهَا \* اتِّبَاعًا لِمَنْ عُنِيَ مِنْ  
 الْمُتَقَدِّمِينَ بِشَأْنِهَا \* وَيَعْمَلُونَ أَمْرَ الْأَجْيَالِ النَّاشِئَةِ فِي دِيَوَانِهَا \* بِمَا أُغَوِزَ عَلَيْهِمْ مِنْ  
 تَرْجُمَانِهَا \* فَتَسْتَعِجِمُ صُحُفُهُمْ عَنْ بَيَانِهَا \* ثُمَّ إِذَا تَعَرَّضُوا لِذِكْرِ الدَّوْلَةِ نَسَقُوا أَخْبَارَهَا نَسَقًا \*  
 مُحَافِظِينَ عَلَى نَقْلِهَا وَهَمًّا أَوْ صِدْقًا \* لَا يَتَعَرَّضُونَ لِبِدَايَتِهَا \* وَلَا يَذْكُرُونَ السَّبَبَ الَّذِي  
 رَفَعَ مِنْ رَايَتِهَا \* وَأَظْهَرَ مِنْ آيَتِهَا \* وَلَا عِلَّةَ الْوُقُوفِ عِنْدَ غَايَتِهَا \* فَيَبْقَى النَّاضِرُ مُتَطَلِّعًا بَعْدُ  
 إِلَى افْتِقَادِ أَحْوَالِ مَبَادِي الدُّوَلِ وَمَرَاتِبِهَا \* مُفْتَشِّشًا عَنْ أَسْبَابِ تَزَاجُرِهَا أَوْ تَعَاقُفِهَا \*  
 بَاحِثًا عَنِ الْمُقْنِعِ فِي تَبَايُنِهَا أَوْ تَنَاسُلِهَا \* حَسْبَمَا نَذْكُرُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ  
 ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطٍ الْإِخْتِصَارِ \* وَذَهَبُوا إِلَى الْأَكْتِفَاءِ بِأَسْمَاءِ الْمُلُوكِ وَالْإِقْتِصَارِ \*  
 مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ \* مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا أَعْدَادُ أَيَّامِهِمْ بِمَجْرُوفِ الْغُبَارِ \* كَمَا فَعَلَهُ  
 ابْنُ رَشِيقٍ فِي مِيزَانِ الْعَمَلِ \* وَمَنْ أَقْتَفَى هَذَا الْآثَرَ مِنَ الْهَمَلِ \* وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ لَهُوَ لَاءُ  
 مَقَالٍ \* وَلَا يَعُدُّ لَهُمْ ثَبُوتٌ وَلَا انْتِقَالٌ \* لِمَا أَذْهَبُوا مِنَ الْفَوَائِدِ \* وَأَخْلَوْا بِالْمَذَاهِبِ  
 الْمَعْرُوفَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ

• وَلَمَّا طَالَتْ كُتُبُ الْقَوْمِ \* وَسَبَّحَتْ غُورُ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ \* نَبَّهْتُ عَيْنَ الْقَرِيجَةِ مِنْ



سَنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ \* وَسَمِتُ التَّصْنِيفَ مِنْ نَفْسِي وَأَنَا الْمُنَاسُ أَحْسِنُ السُّؤْمِ \* فَأَنْشَأْتُ  
فِي التَّارِيخِ كِتَابًا \* رَفَعْتُ بِهِ عَنْ أَحْوَالِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْأَجْيَالِ حِجَابًا \* وَفَصَّلْتُهُ فِي  
الْأَخْبَارِ وَالْأَعْتِبَارِ بَابًا بَابًا \* وَأَبْدَيْتُ فِيهِ لِأَوَّلِيَةِ الدُّوَلِ وَالْعِمْرَانِ عَلَمًا وَأَسْبَابًا \* وَبَنَيْتُهُ  
عَلَى أَخْبَارِ الْأُمَمِ الَّذِينَ عَمَرُوا الدَّغْرِبَ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ \* وَمَلَأُوا أَكْنَافَ الضَّوَاهِي  
مِنْهُ وَالْأَمْصَارِ \* وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الدُّوَلِ الطُّوَالِ أَوْ الْقِصَارِ \* وَمَنْ سَأَلَ لَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ  
وَالْأَنْصَارِ \* وَهُمَا الْعَرَبُ وَالْبَرْبُرُ \* إِذْ هُمَا الْجِيلَانِ اللَّذَانِ عُرِفَ بِالْغَرْبِ مَا وَاهُمَا  
وَطَالَ فِيهِ عَلَى الْأَحْقَابِ مَثَوَاهُمَا \* حَتَّى لَا يَكَادُ يَتَصَوَّرُ فِيهِ مَا عَدَاهُمَا \* وَلَا يَعْرِفُ  
أَهْلُهُ مِنَ أَجْيَالِ الْأَدَمِيِّينَ سِوَاهُمَا \* فَهَدَيْتُ مَنَاحِيَهُ تَهْدِيًا \* وَقَرَّبْتُهُ لِأَفْهَامِ الْعُلَمَاءِ  
وَالْخَاصَّةِ تَقْرِيبًا \* وَسَاكَنْتُ فِي تَرْتِيبِهِ وَتَبْوِيهِهِ مَسَالِكَ غَرِيبًا \* وَأَخْتَرَعْتُ مِنْ بَيْنِ  
الْمَنَاحِي مَذْهَبًا عَجِيبًا \* وَطَرِيقَةً مُبْتَدَعَةً وَأَسْلُوبًا \* وَشَرَحْتُ فِيهِ مِنْ أَحْوَالِ الْعِمْرَانِ وَالسَّمَدِنِ  
وَمَا يَعْزُضُ فِي الْأَجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِي مِنَ الْعَوَارِضِ الذَّاتِيَةِ مَا يُمْتَعِكُ بِعِلَلِ الْكَوَائِنِ  
وَأَسْبَابِهَا \* وَيُعْرِفُكَ كَيْفَ دَخَلَ أَهْلُ الدُّوَلِ مِنْ أَبْوَابِهَا \* حَتَّى تَنْزِعَ مِنَ الثَّقَلِيدِ يَدَكَ \*  
وَتَقِفَ عَلَى أَحْوَالِ مَا قَبْلَكَ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْأَجْيَالِ وَمَا بَعْدَكَ وَرَأَيْتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَثَلَاثَةِ كُتُبٍ  
الْمُقَدِّمَةُ فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ وَتَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ وَالْإِلِمَاعِ بِمَغَالِطِ الْمُؤَرِّخِينَ  
الْكِتَابُ الْأَوَّلُ فِي الْعِمْرَانِ وَذِكْرُ مَا يَعْزُضُ فِيهِ مِنَ الْعَوَارِضِ الذَّاتِيَةِ مِنَ  
الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِ وَالْكَسْبِ وَالْمَعَاشِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَمَا لِذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَسْبَابِ  
الْكِتَابُ الثَّانِي فِي أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَجْيَالِهِمْ وَدَوْلِهِمْ مِنْذُ مَبْدَأِ الْخَلْقَةِ إِلَى هَذَا  
الْعَهْدِ وَفِيهِ مِنَ الْإِلِمَاعِ بَعْضُ مَنْ عَامَرَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَشَاهِيرِ وَدَوْلِهِمْ مِثْلَ الْقُبْطِ  
وَالسِّرْيَانِيِّينَ وَالْفُرْسِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْقُبْطِ وَالْيُونَانِ وَالرُّومِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْأَفْرَنْجَةِ  
الْكِتَابُ الثَّلَاثُ فِي أَخْبَارِ الْبَرْبُرِ وَمَوَالِيهِمْ مِنْ زَنَانَةٍ وَذِكْرُ أَوَّلِيَّتِهِمْ وَأَخْيَالِهِمْ  
وَمَا كَانَ بَدْيَارِ الْغَرْبِ خَاصَّةً مِنَ الْمُلُوكِ وَالِدُّوَلِ ثُمَّ كَانَتْ الرَّحْلَةُ إِلَى الْمَشْرِقِ  
لِاجْتِنَاءِ أَنْوَارِهِ \* وَفَضَاءِ الْفَرَضِ وَالسُّنَّةِ فِي مَطَافِهِ وَمَزَارِهِ \* وَالْوُقُوفِ عَلَى آثَارِهِ فِي دَوَائِيقِهِ  
وَأَسْفَارِهِ \* فَزِدْتُ مَا نَقَصَ مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْعَجَمِ بِتِلْكَ الدِّيَارِ \* وَدَوَّلِ التُّرْكِ فِيهَا  
مِمَّا كُوِّهُ مِنَ الْأَقْطَارِ \* وَأَتَبَعْتُ بِهَا مَا كَتَبْتُهُ فِي تِلْكَ الْأَسْطَارِ \* وَأَدْرَجْتُهَا فِي ذِكْرِ  
الْمُعَاصِرِينَ لِتِلْكَ الْأَجْيَالِ مِنَ أُمَمِ النَّوَاحِي \* وَمُلُوكِ الْأَمْصَارِ وَالضَّوَاهِي \* سَالِكًا سَبِيلَ



الْإِخْتِصَارَ وَالْتَلْخِصَ \* مُتَقَدِّمًا بِالْمَرَامِ السَّهْلِ مِنَ الْعَوِيسِ \* دَاخِلًا مِنْ بَابِ الْأَسْبَابِ  
عَلَى الْعُمُومِ إِلَى الْإِخْبَارِ عَلَى الْخُصُوصِ فَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ الْخَلِيقَةِ اسْتِيعَابًا \* وَذَالَ مِنَ  
الْحِكْمِ النَّافِرَةِ صِعَابًا \* وَأَعْطَى لِحَوَادِثِ الدُّوَلِ عَلَلًا وَأَسْبَابًا \* فَأَصْبَحَ لِلْحِكْمَةِ صَوَانًا \*  
وَالْتَّارِيخِ جِرَابًا

وَلَمَّا كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبِ \* مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ وَالْوَبَرِ \* وَالْإِلِمَاعِ  
بَيْنَ عَاصِرِهِمْ مِنَ الدُّوَلِ الْكُبَرِ \* وَأَفْصَحَ بِالذِّكْرِ وَالْعِبَرِ \* فِي مُبْتَدَأِ الْأَحْوَالِ وَمَا  
بَعْدَهَا مِنَ الْخَبَرِ \* سَمَّيْتُهُ كِتَابَ الْعِبَرِ \* وَدِيوانَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ \* فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ  
وَالْبَرْبِ \* وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ \* وَلَمْ أَتْرُكْ شَيْئًا فِي أَوَّلِيَةِ الْأَجْيَالِ  
وَالدُّوَلِ \* وَتَعَاوُرِ الْأُمَمِ الْأَوَّلِ \* وَأَسْبَابِ التَّصَرُّفِ وَالْحَوْلِ \* فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْمِلَالِ \*  
وَمَا يَعْزِضُ فِي الْعُمُرَانِ مِنْ دَوْلَةٍ وَمِلَّةٍ \* وَمَدِينَةٍ وَحِلَّةٍ \* وَعِزَّةٍ وَذِلَّةٍ \* وَكَثْرَةٍ وَقِلَّةٍ \* وَعِلْمٍ  
وَصِنَاعَةٍ \* وَكَسْبٍ وَإِضَاعَةٍ \* وَأَحْوَالٍ مُتَقَلِّبَةٍ مُشَاعَةٍ \* وَبَدْوٍ وَحَضَرٍ \* وَوَاقِعٍ وَمُنْظَرٍ \*  
إِلَّا وَأَسْتَوْعَبْتُ جَمْلَهُ \* وَأَوْضَحْتُ بَرَاهِينَهُ وَعِلَلَهُ \* فَجَاءَ هَذَا الْكِتَابُ فَذَا بِمَا ضَمَّنْتُهُ مِنْ  
الْعُلُومِ الْغَرِيبَةِ \* وَالْحِكْمِ الْمَحْجُوبَةِ الْقَرِيبَةِ \* وَأَنَا مِنْ بَعْدِهَا مُوقِنٌ بِالْقُصُورِ \* بَيْنَ أَهْلِ  
الْعُصُورِ \* مُعْتَرِفٌ بِالْعَجْزِ عَنِ الْمَضَاءِ \* فِي مِثْلِ هَذَا الْقَضَاءِ \* رَاغِبٌ مِنْ أَهْلِ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ \*  
وَالْمَعَارِفِ الْمُنْتَسِعَةِ الْفَضَاءِ \* فِي النَّظَرِ بَعَيْنِ الْإِنْتِقَادِ لَا بَعَيْنِ الْإِزْتِضَاءِ \* وَالْتَّغْمِدِ لِمَا  
يَعْتَرُونَ عَلَيْهِ بِالْإِصْلَاحِ وَالْإِغْضَاءِ \* فَالْبِضَاعَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ مُزْجَاةٌ \* وَالْإِعْتِرَافُ  
مِنْ اللَّوْمِ مُنْجَاةٌ \* وَالْحُسْنَى مِنَ الْإِخْوَانِ مُرْتَجَاةٌ \* وَاللَّهُ اسْأَلْ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً  
لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْفَيْتُ عِلَاجَهُ \* وَأَنْزَلْتُ مُشْكَاةً لِلْمُسْتَبْصِرِينَ وَأَذْكَيْتُ سِرَاجَهُ \*  
وَأَوْضَحْتُ بَيْنَ الْعُلُومِ طَرِيقَهُ وَمِنْهَاجَهُ \* وَأَوْسَعْتُ فِي فُضَاءِ الْمَعَارِفِ نِطَاقَهُ وَأَدْرْتُ  
سِيَّاحَهُ \* أَتَخَفْتُ بِهَذِهِ النُّسخَةِ مِنْهُ <sup>(١)</sup> خِزَانَةَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْإِمَامِ الْمُجَاهِدِ \* الْفَاتِحِ

(١) قوله اتخفت بهذه النسخة منه الخ وجد في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل قولوا تخفت  
وبعد قوله وادرت سياجه ونصها التهمت له الكف الذي بلغ بعين الاستبصار فنوته . ويلحظ هداركو  
الشريفة معياره الصحيح وقانونه . ويميز رتبته في المعارف عما دونه . فسرحت فكري في فضا الوجود . واجلت  
نظري ليل النام والهجود . بين التهاثم والنجود . في العلماء الركع والعبود . والخلفاء اهل الكرم والنجود .  
حتى وقف الاختيار بساحة الكمال . وطافت الافكار بموقف الامال . وظفرت ابدي المساعي والاعمال .



الْمَاهِدِ \* الْمُتَحَلِّي مِنْدُ خَلْعِ التَّعَامِ \* وَلَوْثِ الْعَمَامِ \* بِحُلَى الْقَانِتِ الزَّاهِدِ \* الْمُتَوَشِّحِ  
 بِرِكَاءِ الْمَنَاقِبِ وَالنَّحَامِدِ \* وَكَرَمِ الشَّمَائِلِ وَالشَّوَاهِدِ \* بِأَجْمَلِ مِنَ الْقَلَائِدِ \* فِي مُحُورِ  
 الْوَلَائِدِ \* الْمُتَنَاوِلِ بِالْعِزِّ الْقَوِيِّ السَّاعِدِ \* وَالْجِدِّ الْمُوَاتِي الْمُسَاعِدِ \* وَالْمَجْدِ الطَّارِفِ  
 وَالنَّالِدِ \* ذَوَائِبَ مُلْكِهِمُ الرَّاسِي الْقَوَاعِدِ \* الْكَرِيمِ الْمَعَالِي وَالْمَصَاعِدِ \* جَامِعِ  
 أَشْنَاتِ الْعُلُومِ وَالْقَوَائِدِ \* وَنَاطِمْ شَمْلِ الْمَعَارِفِ وَالشُّوَارِدِ \* وَمُظْهِرِ آيَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ \*  
 فِي فَضْلِ الْمَدَارِكِ الْإِنْسَانِيَّةِ \* بِفِكْرِهِ الْأَقْبِ النَّاقِدِ \* وَرَأْيِهِ الصَّحِيحِ الْمَعْقِدِ \* النَّبْرِ  
 الْمَذَاهِبِ وَالْعَقَائِدِ \* نُورِ اللَّهِ الْوَاضِحِ الْمُرَاشِدِ \* وَنِعْمَتِهِ الْعَذْبَةِ الْمَوَارِدِ \* وَلُطْفِهِ الْكَامِنِ  
 بِالْمَرَاصِدِ لِلشَّدَائِدِ \* وَرَحْمَتِهِ الْكَرِيمَةِ الْمَقَالِدِ \* الَّتِي وَسِعَتْ صَلَاحَ الزَّمَانِ الْفَاسِدِ \*  
 وَأَسْتَقَامَةَ الْمَائِدِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ \* وَذَهَبَتْ بِالْخُطُوبِ الْأَوَابِدِ \* وَخَلَعَتْ عَلَى الزَّمَانِ  
 رَوْنَقَ الشَّبَابِ الْعَائِدِ \* وَحُجَّتِهِ الَّتِي لَا يُبْطِلُهَا انْكَارُ الْجَاهِدِ وَلَا شُبُهَاتُ الْمَعَانِدِ \* ( أَمِيرِ  
 الْمُؤْمِنِينَ ) أَبِي فَارِسِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَعْظَمِ الشَّهِيرِ الشَّهِيدِ أَبِي سَالِمِ  
 إِبْرَاهِيمَ ابْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمُقَدَّسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ \* أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ السَّادَةِ الْأَعْلَامِ  
 مِنْ مُلُوكِ بَنِي مُرَيْنَ \* الَّذِينَ جَدَّدُوا الدِّينَ \* وَنَهَجُوا السَّبِيلَ لِلْمُهْتَدِينَ \* وَمَحَّوْا آثَارَ الْبُغَاةِ  
 الْمُفْسِدِينَ \* أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْأُمَّةِ ظِلَالَهُ \* وَبَلَّغَهُ فِي نَصْرِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ آمَالَهُ \* وَبَعَثَهُ  
 إِلَى خِزَانَتِهِمُ الْمُؤَقَّةِ لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ بِجَمَاعِ الْقُرَوِيِّينَ مِنْ مَدِينَةِ فَاسَ حَاضِرَةِ مُلْكِهِمْ  
 وَكَرْمِيِّ سُلْطَانِهِمْ \* حَيْثُ مَقَرُّ الْهَدْيِ \* وَرِيَاضِ الْمَعَارِفِ خِصْلَةُ النَّدَى \* وَفَضَاءِ الْأَسْرَارِ

بهندي المعارف مشرفة فيه غرر الجبال . وحقائق العلوم الوارفة الظلال . عن السنين والشهال . فانضحت  
 مطي الافكار في عرصاتها . وجلوت محاسن الانظار دلى منصاتها . وانحفت بدوانها دفا صبرا بوانها . واطلمت  
 كوكبا وقادا في افق خزانها وصلوانها . ليكون آية للعقلاء بهندون بهاره . و يعرفون فضل المدارك  
 الانسانية في اثاره . وهي خزانة مولانا السلطان الامام الجاهد . النافع المائد . الى اخر النعوت المذكورة هنا  
 ثم قال الخليفة امير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابو العباس احمد ابن مولانا الامير الطاهر المقدس  
 ابي عبدالله محمد ابن مولانا الخليفة المقدس امير المؤمنين . ابي يحيى ابي بكر ابن الخلفاء الراشدين . من  
 ائمة الموجددين الذين جددوا الدين . ونهجو السبل للمهتدين . ومحوا اثار البغاه المفسدين من الجساسة  
 والمعنددين . سلاية ابي الحنف والبروق . والنبعة النامية على تلك المغارس الزاكية والعروق . والنور  
 المنلاي من تلك الاشعة والبروق . فاوردته من مودعها الى العلي بحيث مقر الهدى . ورياض المعارف  
 خصلة الندي . الى اخر ما ذكر هنا الا انه لم يقيد الامامة بالفارسية لكن النسخة المذكورة مختصرة عن هذه  
 النسخة المنقولة من خزانة الكتب الفارسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ



الرَّبَّانِيَّةَ فَسِيحُ الْمَدَى \* وَالْإِمَامَةَ الْفَارِسِيَّةَ الْكَرِيمَةَ <sup>(١)</sup> الْعَزِيزَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِنَظَرِهَا  
الشَّرِيفِ \* وَفَضْلِهَا الْغَنِيِّ عَنِ التَّعْرِيفِ \* تَبَسُّطُ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ مَهَادًا \* وَتَفَسُّحُ لَهُ فِي جَانِبِ  
الْقَبُولِ آمَادًا \* فَتَوَضَّحُ بِهَا أدِلَّةٌ عَلَى رُسُوحِهِ وَأَشْهَادًا \* فِي سَوْقِهَا تَنَفُّقُ بَضَائِعِ الْكِتَابِ  
وَعَلَى حَضَرَتِهَا تُعْكَفُ رُكَّابُ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ \* وَمِنْ مَدَدِ بَصَائِرِهَا الْمُنِيرَةِ نَتَائِجُ  
الْقَرَائِحِ وَالْأَلْبَابِ \* وَاللَّهُ يُوزِعُنَا شُكْرَ نِعْمَتِهَا \* وَيُوفِّرُنَا حِفْظَ الْمَوَاهِبِ مِنْ رَحْمَتِهَا  
وَيُعِينُنَا عَلَى حُقُوقِ خِدْمَتِهَا \* وَيَجْعَلُنَا مِنَ السَّابِقِينَ فِي مِيدَانِهَا الْمُحَلِّينَ فِي حَوَاتِمِهَا \* وَيُضْفِي  
عَلَى أَهْلِ إِيَالَتِهَا \* وَمَا أُوِيَ مِنْ الْإِسْلَامِ إِلَى حَرَمِ عَمَالَتِهَا \* لِبُوسِ حِمَايَتِهَا وَحُرْمَتِهَا \*  
وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً فِي وَجْهِتِهَا \* بِرِيَّةً مِنْ شَوَائِبِ الْغَفْلَةِ  
وَشُبُهَتِهَا \* وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

### المقدمة

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين

من المغالط وذكر شيء من اسبابها

اعْلَمْ أَنَّ فَنَّ التَّارِيخِ فَنُّ عَزِيزُ الْمَذْهَبِ جَمُّ الْفَوَائِدِ شَرِيفُ الْغَايَةِ إِذْ هُوَ يُوقِفُنَا  
عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَخْلَاقِهِمْ . وَالْأَنْبِيَاءِ فِي سَيْرِهِمْ . وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلِهِمْ  
وَسِيَاسَتِهِمْ . حَتَّى نَتِمَّ فَائِدَةُ الْاِقْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَرُومُهُ فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا فَهُوَ  
مُحْتَاجٌ إِلَى مَا خِذَ مُتَعَدِّدَةً وَمَعَارِفَ مُتَنَوِّعَةً وَحُسْنَ نَظَرٍ وَثَبَتٍ يُفَضِّلَانِ بِصَاحِبِهِمَا إِلَى  
الْحَقِّ وَيُنَكِّبَانِ بِهِ عَنِ الْمَزَلَّاتِ وَالْمَغَالِطِ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتَمِدَ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ  
النَّقْلِ وَلَمْ تُتَّكَمِ أَصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمُرَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْاجْتِمَاعِ  
الْإِنْسَانِيِّ وَلَا فَيَسَ الْغَائِبُ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْحَاضِرُ بِالذَّاهِبِ فَرُبَّمَا لَمْ يُؤْمَنْ فِيهَا مِنَ  
الْعُثُورِ وَمَزَاةِ الْقَدَمِ وَالْحَيْدِ عَنِ جَادَةِ الصِّدْقِ وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ  
وَأَيَمَّةِ النَّقْلِ مِنَ الْمَغَالِطِ فِي الْحِكَايَاتِ وَالْوَقَائِعِ لِاعْتِمَادِهِمْ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ النَّقْلِ غَنًا  
أَوْ سَمِينًا وَلَمْ يَغْرِضُوهَا عَلَى أَصُولِهَا وَلَا قَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَلَا سَبَرُوهَا بِمِيقَارِ الْحِكْمَةِ  
وَالْوُقُوفِ عَلَى طِبَائِعِ الْكَائِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ

(١) قوله الفارسية أي المنسوبة إلى أي فارس المتقدم ذكره اه



وَتَاهُوا فِي يَدَاءِ الْوَهْمِ وَالْغَلَطِ وَلَا سِيَّما فِي إِحْصَاءِ الْأَعْدَادِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعَسَاكِرِ إِذَا  
عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ إِذْ هِيَ مَظَنَّةُ الْكُذِبِ وَمَطْيَةُ الْهَذَرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى  
الْأَصُولِ وَعَرَضِهَا عَلَى الْقَوَاعِدِ وَهَذَا كَمَا نَقَلَ الْمَسْعُودِيُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي  
جُيُوشِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْصَاهُمْ فِي التَّيِّهِ بَعْدَ أَنْ أُجَازَ مَنْ يُطِيقُ  
حَمْلَ السِّلَاحِ خَاصَّةً مِنْ أَبْنِ عِشْرِينَ فَمَا فَوْقَهَا فَكَانُوا سِتْمِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ وَيَذْهَلُ  
فِي ذَلِكَ عَنْ تَقْدِيرِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَاتِّسَاعِهِمَا لِمِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْجُيُوشِ إِكْلٍ  
مَمْلُوكَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ حِصَّةً مِنَ الْحَاكِمَةِ تَتَّسِعُ لَهَا وَتَقُومُ بِوُظَائِفِهَا وَتَضِيقُ عَنْهَا فَوْقَهَا  
تَشْهَدُ بِذَلِكَ الْعَوَائِدُ الْمَعْرُوفَةُ وَالْأَحْوَالُ الْمَالُوفَةُ ثُمَّ إِنْ مِثْلُ هَذِهِ الْجُيُوشِ الْبَالِغَةِ  
إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ يَبْعُدُ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهَا زَحْفٌ أَوْ قِتَالٌ لِضِيقِ سَاحَةِ الْأَرْضِ عَنْهَا وَبُعْدِهَا  
إِذَا اصْطَفَتْ عَنْ مَدَى الْبَصَرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا فَكَيْفَ يَقْتَتِلُ هَذَانِ الْفَرِيقَانِ  
أَوْ تَكُونُ غَلَبَةُ أَحَدِ الصَّفَيْنِ وَشَيْءٌ مِنْ جَوَانِبِهِ لَا يَشْعُرُ بِالْجَانِبِ الْآخَرِ وَالْحَاضِرُ  
يَشْهَدُ لِذَلِكَ فَالْمَاخِي أَشْبَهُ بِالْآتِي مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ وَقَدْ كَانَ مَلِكُ الْفُرْسِ وَدَوْلَتُهُمْ  
أَعْظَمَ مِنْ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَثِيرٍ يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ غَلَبِ بَخْتَنَصَرٍ لَهُمْ وَالتَّيْهَامِ  
بِلَادِهِمْ وَاسْتِيلَائِهِ عَلَى أَمْرِهِمْ وَتَخْرِيبِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَاعِدَةِ مَلِكِيَّتِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَهُوَ  
مِنْ بَعْضِ عُمَالِ مَمْلُوكَةِ فَارِسَ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مَرَزُبَانُ الْمَغْرِبِ مِنْ تَخُومِهَا وَكَانَتْ  
مَمَالِكُهُمْ بِالْعِرَاقَيْنِ وَخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَالْأَبْوَابُ أَوْسَعُ مِنْ مَمَالِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
بِكَثِيرٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَبْلُغْ جُيُوشُ الْفُرْسِ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَأَعْظَمُ مَا  
كَانَتْ جُمُوعُهُمْ بِالْقَادِسِيَّةِ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مَتَّبِعُونَ عَلَى مَا نَقَلَهُ سَيْفٌ قَالَ وَكَانُوا  
فِي أَتْبَاعِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْ أَلْفٍ وَعَنْ عَائِشَةَ وَالزُّهْرِيِّ فَإِنْ جُمِعَ رُسُومُ الَّذِينَ زَحَفَتْ  
بِهِمْ سَعْدٌ بِالْقَادِسِيَّةِ إِنَّمَا كَانُوا سِتِّينَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مَتَّبِعُونَ وَأَيْضًا فَلَوْ بَلَغَ بَنُو إِسْرَائِيلَ  
مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ لَاتَّسَعَ نِطَاقُ مُلْكِهِمْ وَانْقَسَحَ مَدَى دَوْلَتِهِمْ فَإِنَّ الْعَمَالَاتِ وَالْمَمَالِكِ  
فِي الدُّوَلِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَاكِمَةِ وَالْقَبِيلِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي قِلَّتِهَا وَكَثَرَتِهَا حَسَبًا نَبِيْنُ فِي فَصْلِ  
الْمَمَالِكِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْقَوْمُ لَمْ تَتَّسِعْ مَمَالِكُهُمْ إِلَى غَيْرِ الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ  
مِنَ الشَّامِ وَبِلَادِ يَرْبَ وَخَيْبَرَ مِنَ الْحِجَازِ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَيْضًا فَالَّذِي بَيْنَ مُوسَى  
وَإِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ أَرْبَعَةُ آبَاءَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ فَإِنَّهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرُ



بَن قَاهَتَ بَفْتَحَ الْمَاءَ وَكَسَرَهَا أَبْن لَأَوِي بِكَسَرِ الْوَاوِ وَفَتَحَهَا أَبْن يَعْقُوبَ وَهُوَ إِسْرَائِيلُ  
 اللَّهُ هَكَذَا نَسَبُهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْمَدَّةُ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ قَالَ دَخَلَ إِسْرَائِيلُ  
 مِصْرَ مَعَ وَلَدِهِ الْأَسْبَاطِ وَأَوْلَادِهِمْ حِينَ أَتَوْا إِلَى يُوسُفَ سَبْعِينَ نَفْسًا وَكَانَ مَقَامُهُمْ بِمِصْرَ  
 إِلَى أَنْ خَرَجُوا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْيَمِّ مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً تُتَدَاوَلُهُمْ مَلُوكُ  
 الْقِبْطِ مِنَ الْفَرَاعِنَةِ وَيَبْعُدُ أَنْ يَتَشَعَّبَ النَّسْلُ فِي أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ وَإِنْ  
 زَعَمُوا أَنَّ عَدَدَ تِلْكَ الْجُيُوشِ إِنَّمَا كَانَ فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ وَمِنْ بَعْدِهِ فَبَعِيدٌ أَيْضًا إِذْ لَيْسَ  
 بَيْنَ سُلَيْمَانَ وَإِسْرَائِيلَ إِلَّا أَحَدَ عَشَرَ أَبًا فَإِنَّهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ يَشَاءَ بْنِ عُوْفَيْدَ  
 وَيُقَالُ أَبْنِ عُوْفَيْدَ أَبْنِ بَاعَزَ وَيُقَالُ بُوْعَزُ بْنُ سَلْمُونِ بْنِ نَحْشُونِ بْنِ عَمِيْنُودَ وَيُقَالُ  
 حَمِينَاذَابُ بْنُ رَمَّ بْنِ حَضْرُونَ وَيُقَالُ حَسْرُونَ بْنُ بَارَسَ وَيُقَالُ بَيْرَسُ بْنُ يَهُوذَا بْنِ  
 يَعْقُوبَ وَلَا يَتَشَعَّبُ النَّسْلُ فِي أَحَدَ عَشَرَ مِنَ الْوُلْدِ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ الَّذِي زَعَمُوهُ اللَّهُمَّ  
 إِلَى الْمِئَتَيْنِ وَالْآلَافِ فَرُبَّمَا يَكُونُ وَأَمَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ إِلَى مَا بَعْدَهُمَا مِنْ عُقُودِ الْأَعْدَادِ  
 فَبَعِيدٌ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْحَاضِرِ الْمَشَاهِدِ وَالْقَرِيبِ الْمَعْرُوفِ تَجِدُ زَعْمَهُمْ بَاطِلًا وَنَقْلَهُمْ  
 كَاذِبًا وَالَّذِي ثُبِتَ فِي الْأِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ جُنُودَ سُلَيْمَانَ كَانَتْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا خَاصَّةً  
 وَأَنَّ مَقَرَّبَاتِهِ كَانَتْ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ فَرَسٍ مُرْتَبِطَةٌ عَلَى أَبْوَابِهِ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ مِنْ  
 أَخْبَارِهِمْ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى خِرَافَاتِ الْعَامَةِ مِنْهُمْ وَفِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ (عليه السلام) وَمُلْكِهِ  
 كَانَ عُنْفُوَانُ دَوْلَتِهِمْ وَأَتَّسَاعُ مَلِكِهِمْ هَذَا وَقَدْ تَجِدُ الْكَافَّةَ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ إِذَا  
 أَفَاضُوا فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَسَاكِرِ الدُّوَلِ الَّتِي يَعْبُدُهُمْ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَتَقَاوَضُوا فِي الْأَخْبَارِ  
 عَنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ النَّصَارَى أَوْ أَخَذُوا فِي إِحْصَاءِ أَمْوَالِ الْجَبَايَاكِ وَخَرَاجِ  
 السُّلْطَانِ وَنَفَقَاتِ الْمُتَرَفِينَ وَبَضَائِعِ الْأَغْنِيَاءِ الْمُوسِرِينَ تَوَعَّلُوا فِي الْعَدَدِ وَتَجَاوَزُوا حُدُودَ  
 الْعَوَائِدِ وَطَاوَعُوا وَسَاوَسَ الْأَغْرَابِ فَإِذَا اسْتُكْشِفَتْ أَصْحَابُ الدَّوَاوِينِ عَنْ عَسَاكِرِهِمْ  
 وَاسْتَنْبِطَتْ أَحْوَالُ أَهْلِ الثَّرْوَةِ فِي بَضَائِعِهِمْ وَفَوَائِدِهِمْ وَاسْتَنْجَلِيَتْ عَوَائِدُ الْمُتَرَفِينَ فِي  
 نَفَقَاتِهِمْ لَمْ تَجِدْ مِعْشَارَ مَا يَعْدُونَهُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَوْلُوعِ النَّفْسِ بِالْغَرَائِبِ وَسَهُولَةِ التَّجَاوُزِ  
 عَلَى اللِّسَانِ وَالْعَفْلَةِ عَلَى الْمُتَعَقِّبِ وَالْمُنْتَقِدِ حَتَّى لَا يَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى خَطَا وَلَا عَمْدٍ وَلَا  
 يَطَالِبُهَا فِي الْخَبَرِ بِتَوْسُطٍ وَلَا عَدَالَةٍ وَلَا يُرْجِعُهَا إِلَى بَحْثٍ وَتَفْقِيشٍ فَيُرْسِلُ عِنَانَهُ وَيَسِيمُ  
 فِي مَرَاتِعِ الْكَذِبِ لِسَانَهُ وَيَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هِزَا وَيَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيَضِلَّ عَنْ



سَبِيلِ اللَّهِ وَحَسْبُكَ بِهَا صَفْقَةٌ خَاسِرَةٌ وَمِنَ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً  
فِي أَخْبَارِ التَّبَاعَةِ مُلُوكِ الْيَمَنِ وَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ نَهْمُ كَانُوا يَغْزُونَ مِنْ قُرَاهُمْ بِالْيَمَنِ  
إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَالْبَرْبَرِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَأَنَّ أَفْرِيقِشَ بْنَ قَيْسِ بْنِ صَيْفِيٍّ مِنْ أَعْظَمِ  
مُلُوكِهِمُ الْأَوَّلِ وَكَانَ لِعَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ غَزَا أَفْرِيقِيَّةَ وَأَتَخَنَ فِي  
الْبَرْبَرِ وَأَنَّهُ الَّذِي سَمَّاهُمْ بِهَذَا الْأِسْمِ حِينَ سَمِعَ رِطَانَتَهُمْ وَقَالَ مَا هَذِهِ الْبَرْبَرَةُ فَأَخَذَ  
هَذَا الْأِسْمَ عَنْهُ وَدَعَا بِهِ مِنْ حَيْثُ دُئِدَ وَأَنَّهُ لَمَّا أَنْصَرَفَ مِنَ الْغَرْبِ حَجَرَ هُنَالِكَ قَبَائِلَ  
مِنْ حَمِيرٍ فَأَقَامُوا بِهَا وَاخْتَلَطُوا بِأَهْلِهَا وَمِنْهُمْ صَنْهَاجَةٌ وَكِتَامَةٌ وَمِنْ هَذَا ذَهَبَ الطَّبَرِيُّ  
وَالْجَزْجَانِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَابْنُ الْكَلْبِيِّ وَالْبَيْهَقِيُّ إِلَى أَنَّ صَنْهَاجَةَ وَكِتَامَةَ مِنْ حَمِيرٍ  
وَتَأْبَاهُ نَسَابَةُ الْبَرْبَرِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا أَنَّ ذَا الْأَذْعَارِ مِنْ مُلُوكِهِمْ  
قَبْلَ أَفْرِيقِشَ وَكَانَ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) غَزَا الْمَغْرِبَ وَدَوَّخَهُ وَكَذَلِكَ  
ذَكَرَ مِثْلَهُ عَنْ يَاسِرِ ابْنِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنَّهُ بَلَغَ وَادِيَ الرَّمْلِ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ وَلَمْ يَجِدْ  
فِيهِ مَسَلَكًا لِكثَرَةِ الرَّمْلِ فَرَجَعَ وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي تَبَعِ الْآخِرِ وَهُوَ أَسْعَدُ أَبُو كِرَبٍ  
وَكَانَ عَلَى عَهْدِ يَسْتَأَسَفَ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ الْكِيَانِيَّةِ أَنَّهُ مَلَكَ الْمَوْصِلَ وَأَذَرِيجَانَ  
وَلَقِيَ التُّرُكَ فَهَزَمَهُمْ وَأَتَخَنَ ثُمَّ غَزَاهُمْ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً كَذَلِكَ وَأَنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَغْزَى ثَلَاثَةً  
مِنْ بَنِيهِ بِلَادَ فَارِسَ وَإِلَى بِلَادِ الصُّغْدِ مِنْ بِلَادِ أَمْرِ التُّرُكَ وَرَاءَ النَّهْرِ وَإِلَى بِلَادِ الرُّومِ  
فَمَلَكَ الْأَوَّلُ الْبِلَادَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ وَقَطَعَ الْمَفَازَةَ إِلَى الصِّينِ فَوَجَدَ أَخَاهُ الثَّانِي الَّذِي  
غَزَا إِلَى سَمَرْقَنْدَ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا فَأَتَخَنَا فِي بِلَادِ الصِّينِ وَرَجَعَا جَمِيعًا بِالْغَنَائِمِ وَتَرَكَوْا بِلَادَ  
الصِّينِ قَبَائِلَ مِنْ حَمِيرٍ فَهُمْ بِهَا إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَبَلَغَ الثَّالِثُ إِلَى قِسْطَنْطِينِيَّةَ فَدَرَسَهَا وَدَوَّخَ  
بِلَادَ الرُّومِ وَرَجَعَ وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا بَعِيدَةٌ عَنِ الصَّحَّةِ عَرِيقَةٌ فِي الْوَهْمِ وَالْغُلْطِ  
وَأَشْبَهُ بِأَحَادِيثِ الْقِصَصِ الْمَوْضُوعَةِ وَذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ التَّبَاعَةِ إِنَّمَا كَانَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ  
وَقَرَارَهُمْ وَكَرْسِيَهُمْ بِصَنْعَاءَ الْيَمَنِ وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ مُحِيطٌ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِهَا فَتَجَرُّ  
الْهِنْدُ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرُ فَارِسَ أَلْهَابُ مِنْهُ إِلَى الْبَصْرَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَبَحْرُ السُّوَيْسِ  
أَلْهَابُ مِنْهُ إِلَى السُّوَيْسِ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ كَمَا تَرَاهُ فِي مَصَوِّرِ الْجُغَرَأَفِيَا  
وَلَا يَجِدُ السَّالِكُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَغْرِبِ طَرِيقًا مِنْ غَيْرِ السُّوَيْسِ وَالْمَسَلَكُ هُنَاكَ مَا  
بَيْنَ بَحْرِ السُّوَيْسِ وَالْبَحْرِ الشَّامِيِّ قَدَرُ مَرَحَلَتَيْنِ فَمَا دُونَهُمَا وَيَبْعَدُ أَنْ يَمُرَّ بِهَذَا الْمَسَلَكِ



مَلِكٌ عَظِيمٌ فِي عَسَاكِرِ مَوْفُورَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِيرَ مِنْ أَعْمَالِهِ هَذِهِ مُمْتَنِعٌ فِي الْعَادَةِ . وَقَدْ  
كَانَ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ الْعِمَالِقَةُ وَكَتَنَانُ بِالشَّامِ وَالْقِبْطُ بِمِصْرَ ثُمَّ مَلَكَ الْعِمَالِقَةُ مِصْرَ  
وَمَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّامَ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ الْتَابِعَةَ حَارَبُوا أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ وَلَا  
مَلَكَوْا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَأَيْضًا فَالشُّقَّةُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بَعِيدَةٌ وَالْأَزُودَةُ  
وَالْعُلُوفَةُ لِلْعَسَاكِرِ كَثِيرَةٌ فَإِذَا سَارُوا فِي غَيْرِ أَعْمَالِهِمْ أَحْتَاجُوا إِلَى أَنْتِهَابِ الزَّرْعِ  
وَالنَّعْمِ وَأَنْتِهَابِ الْبِلَادِ فَيَا يَمْرُؤُونَ عَلَيْهِ وَلَا يَكْفِي ذَلِكَ لِلْأَزُودَةِ وَالْعُلُوفَةِ عَادَةً وَإِنْ  
نَقَلُوا كِفَايَتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ فَلَا تَبْقَى لَهُمُ الرُّوَاهِلُ بِنَقْلِهِ فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَمْرُؤُوا فِي  
طَرِيقِهِمْ كُلِّهَا بِأَعْمَالٍ قَدْ مَلَكَوْهَا وَدَوَّخُوهَا لِتَكُونَ الْمِيرَةُ مِنْهَا وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ تِلْكَ  
الْعَسَاكِرَ تَمْرُؤُوهَا هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَهَيِّجَهُمْ فَتَحْصُلَ لَهُمُ الْمِيرَةُ بِالْمُسَالَمَةِ فَذَلِكَ  
أَبْعَدُ وَأَشَدُّ امْتِنَاعًا فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَاهِيَةٌ أَوْ مَوْضُوعَةٌ

وَأَمَّا وَادِي الرَّمْلِ الَّذِي يُعْجِزُ السَّالِكَ فَلَمْ يُسْمَعْ قَطُّ ذِكْرُهُ فِي الْمَغْرِبِ عَلَى كَثَرَةِ  
سَالِكِيهِ وَمَنْ يَقْصُ طَرِيقَهُ مِنَ الرُّكَّابِ وَالْقُرَى فِي كُلِّ عَصْرِ وَكُلِّ جِهَةٍ وَهُوَ عَلَى مَا  
ذَكَرُوهُ مِنَ الْغَرَابَةِ تَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ . وَأَمَّا غَزْوُهُمْ بِلَادَ الشَّرْقِ وَأَرْضَ التُّرْكِ  
وَإِنْ كَانَ طَرِيقُهُ أَوْسَعَ مِنْ مَسَالِكِ السُّوَيْسِ إِلَّا أَنَّ الشُّقَّةَ هُنَا أَبْعَدُ وَأَمَّ فَارِسَ وَالرُّومَ  
مُعْتَرِضُونَ فِيهَا دُونَ التُّرْكِ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ الْتَابِعَةَ مَلَكَوْا بِلَادَ فَارِسَ وَلَا بِلَادَ الرُّومِ  
وَإِنَّمَا كَانُوا يُحَارِبُونَ أَهْلَ فَارِسَ عَلَى حُدُودِ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَمَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ وَالْحَبِيرَةِ  
وَالْجَزِيرَةِ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي الْأَعْمَالِ وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ بَيْنَ ذِي الْأَذْعَارِ  
مِنْهُمْ وَكَيْكَائُسَ مِنْ مُلُوكِ الْكِيَانِيَّةِ وَبَيْنَ تَبْعِ الْأَصْنَرِ أَبِي كَرِيبَ وَيَسْتَأْسِفَ مِنْهُمْ  
أَيْضًا وَمَعَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بَعْدَ الْكِيَانِيَّةِ وَالسَّاسَانِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ بِمُجَاوِزَةِ أَرْضِ فَارِسَ  
بِالْغَزْوِ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ عَادَةً مِنْ أَجْلِ الْأُمَمِ الْمُعْتَرِضَةِ مِنْهُمْ  
وَالْحَاجَةِ إِلَى الْأَزُودَةِ وَالْعُلُوفَاتِ مَعَ بَعْدِ الشُّقَّةِ كَمَا مَرَّ فَاَلْأَخْبَارُ بِذَلِكَ وَاهِيَةٌ مَدْخُولَةٌ  
وَهِيَ لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً لَنَقَلَ أَحَدٌ ذَلِكَ قَادِحًا فِيهَا فَكَيْفَ وَهِيَ لَمْ تُنْقَلْ مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ  
وَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي خَبَرِ يَثْرِبَ وَالْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ أَنَّ تَبْعَ الْآخِرِ سَارَ إِلَى الْمَشْرِقِ  
مَحْمُولًا عَلَى الْعِرَاقِ وَبِلَادِ فَارِسَ وَأَمَّا بِلَادُ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ فَلَا يَصِحُّ غَزْوُهُمْ إِلَيْهَا بِوَجْهِ  
لِمَا تَقَرَّرَ فَلَا نَتَقَنَّ بِمَا يُلْقَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ وَتَأَمَّلِ الْأَخْبَارَ وَأَعْرِضْهَا عَلَى الْقَوَانِينِ



الصَّحِيحَةَ يَقَعُ لَكَ تَحْيِيصُهَا بِاحْسَنِ وَجْهِ وَاللَّهُ أَلْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ

فصل

وَأَبْدُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْرِقْ فِي التَّوَهُّمِ مَا يَتَنَاقَلُهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفَجْرِ فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ فَيَجْعَلُونَ لَفْظَةَ إِرَمَ اسْمًا لِمَدِينَةٍ وَصَنَتِ  
بِأَنْهَا ذَاتُ عِمَادٍ أَيْ أَسَاطِينٍ وَيَنْقُلُونَ أَنَّهُ كَانَ لِعَادِ بْنِ عَوْصِ بْنِ إِرَمَ ابْنَانِ هُمَا شَدِيدُ  
وَشَدَادُ مَلَكَا مِنْ بَعْدِهِ وَهَلَكَ شَدِيدُ فَخَاصَ الْمَلَكُ لَشَدَادٍ وَدَانَتْ لَهُ مُلُوكُهُمْ وَسَمِعَ  
وَصَنَتِ الْجَنَّةَ فَقَالَ لِابْنَيْنِ مِثْلَهَا فَبَنَى مَدِينَةَ إِرَمَ فِي صَحَارَى عَدَنَ فِي مُدَّةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً  
وَكَانَ عُمرُهُ تِسْعِينَ سَنَةً وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ قُصُورُهَا مِنَ الذَّهَبِ وَأَسَاطِينُهَا مِنَ الزَّبَرَجَدِ  
وَالْيَاقُوتِ وَفِيهَا أَصْنَافُ الشَّجَرِ وَالْأَنْهَارُ الْمَطْرُودَةُ وَلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهَا سَارَ إِلَيْهَا بِأَهْلِ  
مَمْلَكَتِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً مِنَ السَّمَاءِ  
فَهَلَكُوا كُلُّهُمْ. ذَكَرَ ذَلِكَ الطَّبْرِيُّ وَالْعَالِبِيُّ وَالزَّمْخَشَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ  
وَيَنْقُلُونَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَلَابَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا وَحَمَلَ  
مِنْهَا مَا قَدَرَ عَلَيْهِ وَبَلَغَ خَبْرُهُ مُعَاوِيَةَ فَأَحْضَرَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ فَبَحَثَ عَنْ كُتُبِ الْأَخْبَارِ وَسَأَلَ  
عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هِيَ إِرَمُ ذَاتُ الْعِمَادِ وَسَيَدْخُلُهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحْمَرُ أَشْقَرُ قَصِيرُ  
عَلَى حَاجِبِهِ خَالٌ وَعَلَى عُنُقِهِ خَالٌ يَخْرُجُ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ ثُمَّ أَلْتَفَتَ فَأَبْصَرَ ابْنَ قَلَابَةَ فَقَالَ  
هَذَا وَاللَّهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ لَمْ يُسْمَعْ لَهَا خَبْرٌ مِنْ يَوْمَئِذٍ فِي شَيْءٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ  
وَصَحَارَى عَدَنَ أَلَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا بُنِيَتْ فِيهَا هِيَ فِي وَسْطِ الْيَمَنِ وَمَا زَالَ عُمرُ أُنْثَى مُتَعَاقِبًا  
وَالْأَدِلَاءُ تَقْصُ طُرُقَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ خَبْرٌ وَلَا ذَكَرَهَا أَحَدٌ  
مِنَ الْإِخْبَارِيِّينَ وَلَا مِنَ الْأُمَمِ وَلَوْ قَالُوا إِنَّهَا دُرُسَتْ فِيمَا دُرِسَتْ مِنَ الْأَثَارِ لَكَانَ أَشْبَهَ إِلَّا  
أَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِهِمْ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ إِنَّهَا دِمَشْقُ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ قَوْمَ عَادٍ مَلَكَوْهَا  
وَقَدْ بَنَتْ هِيَ الْهَذْيَانُ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا غَائِبَةٌ وَإِنَّمَا يَعْتَرُ عَلَيْهَا أَهْلُ الرِّيَاضَةِ وَالسَّيْحِ مَزَاعِمُ  
كَلَامٍ أَشْبَهَ بِالْخَرَافَاتِ وَالَّذِي حَمَلَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ مَا أَفْتَضَتْهُ صِنَاعَةُ الْإِعْرَابِ فِي  
لَفْظَةِ ذَاتِ الْعِمَادِ أَنَّهَا صِفَةُ إِرَمَ وَحَمَلُوا الْعِمَادَ عَلَى الْأَسَاطِينِ فَتَعَيَّنَ أَنَّ يَكُونُ بِنَاءً وَرَشَّحَ  
لَهُمْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَادُ إِرَمَ عَلَى الْإِضَافَةِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ ثُمَّ وَقَفُوا عَلَى تِلْكَ  
الْحِكَايَاتِ الَّتِي هِيَ أَشْبَهُ بِالْأَقَاصِيصِ الْمَوْضُوعَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْكَذِبِ الْمُنْقُولَةِ



فِي عِدَارِ الْمُصْنُكَاتِ وَإِلَّا فَأَلْعِمَادُ هِيَ عِمَادُ الْأَخْيَةِ بَلْ أَلْحِيَامِ وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا  
 الْأَسَاطِينُ فَلَا يَدْعُ فِي وَصْفِهِمْ بَأَنَّهُمْ أَهْلُ بِنَاءٍ وَأَسَاطِينُ عَلَى الْعُمُومِ بِمَا اشْتَهَرَ مِنْ قُوَّتِهِمْ  
 لِأَنَّهُ بِنَاءٌ خَاصٌّ فِي مَدِينَةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ غَيْرِهَا وَإِنْ أَضِيفَتْ كَمَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَعَلَى  
 إِضَافَةِ الْفَصِيلَةِ إِلَى الْقَبِيلَةِ كَمَا تَقُولُ قُرَيْشُ كِنَانَةَ وَالْيَاسُ مُضَرٌ وَرَبِيعَةٌ نِزَارٌ وَآيُ  
 ضَرُورَةٍ إِلَى هَذَا الْحَمَلِ الْبَعِيدِ الَّذِي تُحْمَلُ لِتَوْجِيهِهِ لَأَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ الْوَاهِيَةِ  
 الَّتِي يُنَزَّهُ كِتَابُ اللَّهِ عَنْ مِثْلِهَا لِبُعْدِهَا عَنِ الصِّحَّةِ وَمِنْ الْحِكَايَاتِ الْمَدْخُولَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ  
 مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً فِي سَبَبِ نَكْبَةِ الرَّشِيدِ لِلْبَرَامِكَةِ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسَةِ أَخْنَهْ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ  
 يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ مَوْلَاهُ وَأَنَّهُ لِيَكْفِيهِ بِمَكَانِهِمَا مِنْ مُعَافَرَتِهِ إِيَّاهُمَا الْخَمْرَ أَذِنَ لَهُمَا فِي  
 عَقْدِ النِّكَاحِ دُونَ الْخُلُوفِ حِرْصًا عَلَى اجْتِمَاعِهِمَا فِي مَجْلِسِهِ وَأَنَّ الْعَبَّاسَةَ تَحَمَّلَتْ عَلَيْهِ فِي  
 الْيَاسِ الْخُلُوفَ بِهِ لِمَا شَفَقَهَا مِنْ حُبِّهِ حَتَّى وَاقَعَا (زَعَمُوا فِي حَالَةِ السُّكْرِ) فَحَمَلَتْ وَوُشِيَ  
 بِذَلِكَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَغْضَبَ وَهَيَّاتِ ذَلِكَ مِنْ مَنَصِبِ الْعَبَّاسَةِ فِي دِينِهَا وَأَبْوَيْهَا وَجَلَالِهَا  
 وَأَنَّهَا بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَرْبَعَةُ رَجَالٍ هُمْ أَشْرَافُ الدِّينِ وَعُظَمَاءُ  
 أُمَمِهِ مِنْ بَعْدِهِ . وَالْعَبَّاسَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ  
 السَّجَّادِ ابْنِ عَلِيٍّ أَبِي الْخُلَفَاءِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَرْجَمَانِ الْقُرْآنِ ابْنِ الْعَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ (صَلَّمَ)   
 ابْنَةُ خَلِيفَةٍ أُخْتُ خَلِيفَةٍ مُحْفُوفَةٍ بِالْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَالْخِلَافَةِ النَّبَوِيَّةِ وَصُحْبَةِ الرَّسُولِ وَعُمُومَتِهِ  
 وَإِقَامَةُ أُمَمِهِ وَنُورُ الْوَحْيِ وَمَهْبِطُ الْمَلَائِكَةِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِبِدَاوَةِ الْعُرُوبِ  
 وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الْبَعِيدَةِ عَنْ عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَمَرَائِعِ الْفَوَاحِشِ فَأَيْنَ يُطْلَبُ الصُّونُ وَالْعَفَافُ  
 إِذَا ذَهَبَ عَنْهَا أَوْ أَيْنَ تُوجَدُ الطَّهَارَةُ وَالذِّكَاةُ إِذَا فَقِدَا مِنْ بَيْتِهَا أَوْ كَيْفَ تَلْجُمُ نَسَبُهَا  
 بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَتُدْنِسُ شَرَفَهَا الْعَرَبِيُّ بِمَوْلَى مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ بِمِلْكَةِ جَدِّهِ مِنَ الْفَرَسِ  
 أَوْ بَوْلَاءِ جَدِّهَا مِنْ عُمُومَةِ الرَّسُولِ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَغَايَتُهُ أَنْ جَذَبَتْ دَوْلَتَهُمْ بِضَبْعِهِ  
 وَضَبَعَ أَيْبَهُ وَاسْتَخَاصَتْهُمْ وَرَقَّتْهُمْ إِلَى مَنَازِلِ الْأَشْرَافِ وَكَيْفَ يَسُوعُ مِنَ الرَّشِيدِ أَنْ  
 يُصْهَرَ إِلَى مَوَالِي الْأَعَاجِمِ عَلَى بُعْدِ هِمَّتِهِ وَعِظَمِ آبَائِهِ وَلَوْ نَظَرَ الْمُتَأَمِّلُ فِي ذَلِكَ نَظَرَ  
 الْمُنْصِفِ وَقَاسَ الْعَبَّاسَةَ بِابْنَةِ مَلِكٍ مِنْ عُظَمَاءِ مُلُوكِ زَمَانِهِ لَاسْتَنَكَفَ لَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَعَ  
 مَوْلَى مِنْ مَوَالِي دَوْلَتِهَا وَفِي سُلْطَانِ قُوَّتِهَا وَاسْتَنْكَرَهُ وَلَجَّ فِي تَكْذِيبِهِ وَأَيْنَ قَدَّرَ الْعَبَّاسَةَ  
 وَالرَّشِيدَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّمَا نَكَبُ الْبَرَامِكَةِ مَا كَانَ مِنْ اسْتِبْدَادِهِمْ عَلَى الدَّوْلَةِ وَاجْتِنَابِهِمْ



أَمْوَالُ الْجَبَايَةِ حَتَّى كَانَ الرَّشِيدُ يَطْلُبُ الْبَسِيرَ مِنَ الْمَالِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَعَلَبُوهُ عَلَى أَمْرِهِ  
وَشَارَكُوهُ فِي سُلْطَانِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي أُمُورِ مَلِكِهِ فَعَظُمَتْ آثَارُهُمْ وَابْعَدَ  
صِيْنَهُمْ وَعَمَرُوا مَرَاتِبَ الدَّوْلَةِ وَخَطَطُهَا بِالرُّؤُسَاءِ مِنْ وَلَدِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَأَخْتَارُوهَا عَمَّنْ  
سِوَاهُمْ مِنْ وَزَارَةٍ وَكِتَابَةٍ وَفِيَادَةٍ وَحِجَابَةٍ وَسَيْفٍ وَقَلَمٍ . يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ بِدَارِ الرَّشِيدِ مِنْ  
وَلَدِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَئِيسًا مِنْ بَيْنِ صَاحِبِ سَيْفٍ وَصَاحِبِ قَلَمٍ زَاخَمُوا فِيهَا  
أَهْلَ الدَّوْلَةِ بِالْمَنَازِكِ وَدَفَعُوهُمْ عَنْهَا بِالرَّاحِ لِمَكَانِ أَبِيهِمْ يَحْيَى مِنْ كِفَالَةِ هَارُونَ وَوَلِيَّ  
عَهْدٍ وَخَلِيفَةٍ حَتَّى شَبَّ فِي حُجْرِهِ وَدَرَجَ مِنْ عُسَيْهِ وَغَلَبَ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ يَدْعُوهُ يَا أَبَتِ  
فَتَوَجَّهَ إِلَّا يَثَارُ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَيْهِمْ وَعَظُمَتِ الدَّالَّةُ مِنْهُمْ وَانْبَسَطَ الْجَاهُ عِنْدَهُمْ وَانْصَرَفَتْ  
نَحْوُهُمُ التَّوَجُّهُ وَخَضَعَتْ لَهُمُ الرِّقَابُ وَفُصِرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمْوَالُ وَتَخَطَّتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَقْصَى  
التَّخُومِ هَدَايَا الْمُلُوكِ وَتَخَفُ الْأُمَرَاءُ وَتَسَرَّبَتْ إِلَى خَزَائِنِهِمْ فِي سَبِيلِ التَّلْزِفِ وَالْإِسْتِمَالَةِ  
أَمْوَالُ الْجَبَايَةِ وَأَفَاضُوا فِي رِجَالِ الشَّيْعَةِ وَعُظَمَاءِ الْقِرَابَةِ الْعَطَاءَ وَطَوَّقُوهُمْ الْمَنِينَ وَكَسَبُوا  
مِنْ يُونَتَاتِ الْأَشْرَافِ الْمَعْدَمِ وَفَكَوْا الْعَايَ وَمُدِحُوا بِمَا لَمْ يُمدَّحْ بِهِ خَلِيفَتُهُمْ وَأَسَنُوا  
لِعَفَاتِهِمْ الْجَوَائِزَ وَالصَّلَاتِ وَأَسْتَوَلُوا عَلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ مِنَ الضَّوَاحيِ وَالْأَمْصَارِ فِي  
سَائِرِ الْمَمَالِكِ حَتَّى أَسَنُوا الْبَطَانَةَ وَأَحْقَدُوا الْخَاصَّةَ وَأَغْصَوْا أَهْلَ الْوِلَايَةِ فَكُشِفَتْ  
لَهُمْ وُجُوهُ الْمُنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ وَدَبَّتْ إِلَى مَهَادِهِمُ الْوَثِيرِ مِنَ الدَّوْلَةِ عَقَارِبُ السَّعَايَةِ حَتَّى  
لَقَدْ كَانَ بَنُو قُحْطَبَةَ أَخْوَالُ جَعْفَرٍ مِنْ أَعْظَمِ السَّاعِينَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَعْطِفْهُمْ لِمَا وَقَرَّ فِي نَفْسِهِمْ  
مِنَ الْحَسَدِ عَوَاطِفُ الرَّحِمِ وَلَا وَزَعَتْهُمْ أَوَاصِرُ الْقِرَابَةِ وَقَارَنَ ذَلِكَ عِنْدَ تَخْدُومِهِمْ نَوَاشِيُ  
الْغِيَرَةِ وَالْإِسْتِنكَافِ مِنَ النُّجَرِ وَالْأَتَقَةِ وَكَانَ الْحَقُودَ الَّتِي بَعَثَهَا مِنْهُمْ صَغَائِرُ الدَّالَّةِ  
وَأَتَتْهَا بِهَا إِلَّا ضَرَّازَ عَلَى شَأْنِهِمْ إِلَى كِبَائِرِ الْمُخَالَفَةِ كَقِصَّتِهِمْ فِي يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
حَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِي مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ الْمَأَقَّبِ بِالنَّهْسِ الزَّكِيَّةِ  
الْخَارِجِ عَلَى الْمَنْصُورِ وَيَحْيَى هَذَا هُوَ الَّذِي أَسْتَنْزَلَهُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى مِنْ بِلَادِ الدَّيْلَمِ  
عَلَى أَمَانِ الرَّشِيدِ بِخَطِّهِ وَبَدَّلَ لَهُمْ فِيهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَدَفَعَهُ  
الرَّشِيدُ إِلَى جَعْفَرٍ وَجَعَلَ أَعْتِقَالَهُ بِدَارِهِ وَإِلَى نَظَرِهِ فُجِسَتْ مُدَّةٌ ثُمَّ حَمَلَتْهُ الدَّالَّةُ عَلَى  
مُخْلِيَةِ سَبِيلِهِ وَالْإِسْتِبْدَارِ بِحُلِّ عِقَالِهِ حَرَمًا لِلِدِمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ بِزَعْمِهِ وَدَالَّةٌ عَلَى السُّلْطَانِ  
فِي حُكْمِهِ . وَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ عَنْهُ لَمَّا وَشِيَ بِهِ إِلَيْهِ فَقَطِنَ وَقَالَ أَطْلَقْتُهُ فَأَبْدَى لَهُ وَجْهَهُ



الاستحسان وأسرهما في نفسه فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثل عرشهم  
 وألقيت عليهم سماءهم وخسفت الأرض بهم وبادرهم وذابت سلفاً ومثلاً للآخرين أيامهم  
 ومن تأمل أخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محققاً للآثر ممدداً للأسباب  
 وأنظر ما نقله ابن عبد ربه في مفاوضة الرشيد عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم  
 وما ذكره في باب الشعراء في كتاب العقد في محاوره الأصمعي للرشيد والفضل بن  
 يحيى في سمرهم تتمهم أنه إنما قتلهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن  
 دونه وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعر احتيالا على  
 إسماعيل الخليفة وتحريك حفاظيه لهم وهو قوله

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْنَا مَا تَعَدَّ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَجَدَ  
 وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

وإن الرشيد لما سمعها قال إني والله إني عاجز حتى بعثوا بأمثال هذه كأم غيرة  
 وسلطوا عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال وأما ما ثمره  
 به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر وأقران سكره يسكر الندمان فحاشا الله ما  
 علمنا عليه من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من  
 الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ومحاوراته للفضيل بن عياض  
 وابن السماك والعمري ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائه  
 بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود  
 الصبح لأول وقتها حكى الطبري وغيره أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة  
 نافلة وكان يغزو عاماً ويحج عاماً ولقد زجر ابن أبي مرزيم مضحكة في سمره حين تعرض  
 له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرأ وما لي لا أعبد الذي فطرني وقال والله ما  
 أدري لم فما تمالك الرشيد أن ضحك ثم التفت إليه مغضبا وقال يا ابن أبي مرزيم في  
 الصلاة أيضا إياك وإياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدهما وأيضا فقد كان من  
 العلم والسداجة بمكان لقرب عهده من سلفه المنتحلين لذلك ولم يكن بينه وبين  
 جده أبي جعفر بعيد زمن إنما خلفه غلاما وقد كان أبو جعفر بمكان من العلم والدين  
 قبل الخلافة وبعدها وهو القائل لِمَالِكٍ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِتَأْلِيفِ الْمُوطِئِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ



إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنِّي وَمِنْكَ وَإِنِّي قَدْ شَغَلْتَنِي الْخِلَافَةُ فَضَعْتُ أَنْتَ لِلنَّاسِ  
 كِتَابًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ تَجَنَّبَ فِيهِ رُخْصَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَشَدَائِدَ ابْنِ عُمَرَ وَوَطْئَهُ لِلنَّاسِ تَوَطُّئَهُ  
 قَالَ مَالِكُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلَّمَنِي التَّصَنُّيفَ يَوْمَئِذٍ وَلَقَدْ أَدْرَكْتُ أَبْنَةَ الْمَهْدِيِّ أَبُو الرَّشِيدِ  
 هَذَا وَهُوَ يَتَوَرَّعُ عَنْ كُسْوَةِ الْجَدِيدِ لِعِيَالِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ بِمَجْلِسِهِ  
 بِكَاشِرِ الْخِطَاطِينَ فِي إِزْقَاعِ الْخُلُقَانِ مِنْ ثِيَابِ عِيَالِهِ فَأَسْتَنْكَفَتِ الْمَهْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ  
 وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ كُسْوَةُ هَذِهِ الْعِيَالِ عَامِنَا هَذَا مِنْ عَطَائِي فَقَالَ لَهُ لَكَ ذَلِكَ وَلَمْ  
 يَصُدَّهُ عَنْهُ وَلَا سَمَحَ بِالْإِتْفَاقِ فِيهِ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالرَّشِيدِ عَلَى قُرْبِ  
 الْعَهْدِ مِنْ هَذَا الْخَلِيفَةِ وَأَبُوْتِهِ وَمَا رُبِّي عَلَيْهِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ السَّيْرِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْخُلُقِ  
 بِهَا أَنْ يُعَاقِرَ الْخُمْرَ أَوْ يُجَاهِرَ بِهَا وَقَدْ كَانَتْ حَالَةُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْعَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي  
 اجْتِنَابِ الْخُمْرِ مَعْلُومَةً وَلَمْ يَكُنْ الْكَرَمُ شَجَرَتَهُمْ وَكَانَ شُرْبُهَا مَدْمَةً عِنْدَ الْكَثِيرِ  
 مِنْهُمْ وَالرَّشِيدُ وَأَبَاؤُهُ كَانُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْ اجْتِنَابِ الْمَذْمُومَاتِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَالْخُلُقِ  
 بِالْحَمِيدِ وَأَوْصَافِ الْكَمَالِ وَتَزَعَاتِ الْعَرَبِ وَأَنْظَرُوا مَا نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ  
 فِي قِصَّةِ جَبْرِيلَ بْنِ بَخْتِيشُوعَ الطَّيِّبِ حِينَ أُخْضِرَ لَهُ السَّمَكُ فِي مَائِدَتِهِ فَحَمَاهُ عَنْهُ ثُمَّ  
 أَمَرَ صَاحِبَ الْمَائِدَةِ بِحَمْلِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَفَطِنَ الرَّشِيدُ وَارْتَابَ بِهِ وَدَسَّ خَادِمُهُ حَتَّى  
 عَابَنَهُ بِتَنَاوُلِهِ فَأَعَادَ ابْنُ بَخْتِيشُوعَ لِلْإِعْتِدَارِ ثَلَاثَ قِطَعٍ مِنَ السَّمَكِ فِي ثَلَاثَةِ أَقْدَاحٍ خَلَطَ  
 إِحْدَاهَا بِاللَّحْمِ الْمَعَالِجِ بِالتَّوَابِلِ وَالْبُقُولِ وَالْبُورَادِ وَالْحُلُوى وَصَبَّ عَلَى الثَّانِيَةِ مَاءً مُثْلَجًا  
 وَعَلَى الثَّالِثَةِ خُمْرًا صِرْفًا وَقَالَ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي هَذَا طَعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ خَلَطَ السَّمَكُ  
 بغيرِهِ أَوْ لَمْ يَخْلُطْهُ وَقَالَ فِي الثَّالِثِ هَذَا طَعَامُ ابْنِ بَخْتِيشُوعَ وَدَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ  
 حَتَّى إِذَا انْتَبَهَ الرَّشِيدُ وَأَخْضَرَهُ لِلتَّوْبِيعِ أَخْضَرَ ثَلَاثَةَ الْأَقْدَاحِ فَوَجَدَ صَاحِبَ الْخُمْرِ  
 قَدْ اخْتَلَطَ وَأَمَاعَ وَتَفَتَّتَ وَوَجَدَ الْآخَرِينَ قَدْ فَسَدَا وَتَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُمَا فَكَانَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ  
 مَعْدِرَةٌ وَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَالَ الرَّشِيدِ فِي اجْتِنَابِ الْخُمْرِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ بَطَانَتِهِ  
 وَأَهْلِ مَائِدَتِهِ وَلَقَدْ ثُبَّتْ عَنْهُ أَنَّهُ عَهْدَ بِجَبَسِ أَبِي نُوَاسٍ لِمَا بَلَغَهُ مِنْ أَنَّهَا كِهِي فِي الدُّعَاةِ  
 حَتَّى تَابَ وَأَفْلَحَ وَإِنَّمَا كَانَ الرَّشِيدُ يَشْرَبُ نَبِيذَ التَّمْرِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَفَتَاوِيهِمْ  
 فِيهَا مَعْرُوفَةٌ وَأَمَّا الْخُمْرُ الْبَصْرِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى اتِّهَامِ بِهَا وَلَا تَقْلِيدِ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ فِيهَا  
 فَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ بِمَحِثِ يَوَاقِعِ مُحَرَّمًا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَلَقَدْ كَانَ



أُولَئِكَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بِمَنْحَاةٍ مِنْ أَرْتِكَابِ السَّرَفِ وَالْتَرْفِ فِي مَلَابِسِهِمْ وَزِينَتِهِمْ وَسَائِرِ  
مُتَنَاولَاتِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُسُونَةِ الْبِدَاوَةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الَّتِي لَمْ يُفَارِقُوهَا بَعْدُ فَمَا  
ظَنُّكَ بِمَا يُخْرِجُ عَنْ الْإِبَاحَةِ إِلَى الْحَظَرِ وَعَنِ الْحِلَّةِ إِلَى الْحَرَمَةِ وَلَقَدْ اتَّفَقَ الْمُؤَرِّخُونَ  
الطَّبَرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَغَيْرُهُمْ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَلَفَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي عَبَّاسٍ  
إِنَّمَا كَانُوا يَرْكَبُونَ بِالْحِلْيَةِ الْخَفِيفَةِ مِنَ الْفِضَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ وَالسُّيُوفِ وَاللَّجَمِ وَالشُّرُوجِ  
وَأَنَّ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ أَحَدَثَ الرُّكُوبَ بِحِلْيَةِ الذَّهَبِ هُوَ الْمُعْتَزُّ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ثَامِنُ الْخُلَفَاءِ  
بَعْدَ الرَّشِيدِ وَهَكَذَا كَانَ حَالُهُمْ أَيْضًا فِي مَلَابِسِهِمْ فَمَا ظَنُّكَ بِمَشَارِبِهِمْ وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ  
بِأَنَّهُمْ مِنْ هَذَا إِذَا فَهِمْتَ طَبِيعَةَ الدَّوْلَةِ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْغَضَاضَةِ كَمَا نَشْرَحُ فِي  
مَسَائِلِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ . وَيُنَاسِبُ هَذَا  
أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً عَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ قَاضِي الْمَأْمُونِ وَصَاحِبِهِ وَأَنَّهُ كَانَ  
يُعَاقِرُ الْخُمَرَ وَأَنَّهُ سَكِرَ لَيْلَةً مَعَ شَرِبِهِ فَدُفِنَ فِي الرِّيحَانِ حَتَّى أَفَاقَ وَيُنْشِدُونَ عَلَى لِسَانِهِ  
يَا سَيِّدِي وَأَمِيرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مَنْ كَانَ يَسْقِينِي  
إِنِّي غَنَمْتُ عَنْ السَّاقِي فَصَيَّرَنِي كَمَا تَرَانِي سَلِيبَ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ  
وَحَالُ ابْنِ أَكْثَمَ وَالْمَأْمُونِ فِي ذَلِكَ مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَشَرَاهُمُ إِنَّمَا كَانَ النَّبِيذُ  
وَلَمْ يَكُنْ مُحْظُورًا عِنْدَهُمْ وَأَمَّا السُّكْرُ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَصَحَابَتُهُ لِلْمَأْمُونِ إِنَّمَا كَانَتْ  
خَلَّةً فِي الدِّينِ وَلَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ يَنَامُ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ وَيُقَلِّ فِي فُضَائِلِ الْمَأْمُونِ وَحُسْنِ  
عِشْرَتِهِ أَنَّهُ أَتَتْهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَطَشَانٌ فَقَامَ يَتَحَسَّسُ وَيَلْتَمِسُ الْإِنَاءَ مَخَافَةَ أَنْ يُوقِظَ يَحْيَى  
بَنَ أَكْثَمَ وَثَبَتَ أَنَّهُمَا كَانَا يُصَلِّيَانِ الصُّبْحَ جَمِيعًا فَأَيُّنَ هَذَا مِنَ الْمَعَاقِرَةِ وَأَيْضًا فَإِنَّ  
يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ كَانَ مِنْ عَلَيْهِ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
وَإِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي وَخَرَجَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ كِتَابَهُ الْجَامِعَ وَذَكَرَ الْمُرْزِيُّ الْحَافِظُ أَنَّ الْجُبَّارِيَّ  
رَوَى عَنْهُ فِي غَيْرِ الْجَامِعِ فَالْقَدْحُ فِيهِ قَدْحٌ فِي جَمِيعِهِمْ وَكَذَلِكَ مَا يَنْبِزُهُ الْمَجَانُّ بِالْمِيلِ  
إِلَى الْعِلْمَانِ بَهْتَانًا عَلَى اللَّهِ وَفَرِيَةً عَلَى الْعُلَمَاءِ وَيَسْتَنِدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخْبَارِ الْقُصَّاصِ  
الْوَاهِيَةِ الَّتِي لَعَلَّهَا مِنْ أَفْتِرَاءِ أَعْدَائِهِ فَإِنَّهُ كَانَ مُحْسُودًا فِي كَمَالِهِ وَخَلَّتِهِ لِلسُّلْطَانِ وَكَانَ  
مَقَامُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ مُنْزَاهًا عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ وَقَدْ ذَكَرَ لِابْنِ حَنْبَلٍ مَا يَرْمِيهِ بِهِ  
النَّاسُ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَنْ يَقُولُ هَذَا وَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا وَأَثْنَى



عَلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي فَقِيلَ لَهُ مَا كَانَ يُقَالُ فِيهِ فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَزُولَ عَدَالَةُ مِثْلِهِ  
بِتَكْذِيبِ بَاغٍ وَحَاسِدٍ وَقَالَ أَيْضًا يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ  
مِمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ مِنْ أَمْرِ الْعِلْمَانِ وَلَقَدْ كُنْتُ أَقِفُ عَلَى مَرَاتِرِهِ فَأَجِدُهُ شَدِيدَ الْخَوْفِ  
مِنْ اللَّهِ لِكُنْهِ كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ وَحُسْنُ خَلْقٍ فَرَمِي بِمَا رُمِيَ بِهِ ابْنُ حَبَّانٍ فِي الثَّقَاتِ  
وَقَالَ لَا يُشْتَغَلُ بِمَا يُحْكَى عَنْهُ لِأَنَّهُ أَكْثَرُهَا لَا يَصِحُّ عَنْهُ وَمِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ  
مَا ثَقَلَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ الْعَقْدِ مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْلِ فِي سَبَبِ إِصْهَارِ الْمَأْمُونِ إِلَى  
الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فِي بَيْتِهِ بُورَانٍ وَأَنَّهُ عَثَرَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فِي تَطَوُّافِهِ بِسِكَكِ بَغْدَادَ فِي  
زُبَيْلٍ مُدَلًى مِنْ بَعْضِ السُّطُوحِ بِمَعَالِقٍ وَجَدَلَ مُغَارَةَ الْقَتْلِ مِنَ الْحَرِيرِ فَأَعْتَقَهُ وَتَنَاوَلَ  
الْمَعَالِقَ فَأَهْتَزَّتْ وَذَهَبَ بِهِ صُعْدًا إِلَى مَجْلِسٍ سَأَلَهُ كَذَا وَوَصَفَتْ مِنْ زِينَةٍ فُرْشِهِ وَتَنْصِيدِ  
ابْنَتِهِ وَجَمَالِ رُؤْيَتِهِ مَا يَسْتَوْفُ الطَّرْفَ وَيَمْلِكُ النَّفْسَ وَأَنَّ أَمْرًا بَرَزَتْ لَهُ مِنْ خَلَلِ  
السُّتُورِ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَائِقَةٌ الْجَمَالِ فَتَنَانَةُ الْحَاسِنِ فَحِيشُهُ وَدَعَتْهُ إِلَى الْمُنَادِمَةِ فَلَمْ  
يَزَلْ يُعَاقِرُهَا الْخَمْرَ حَتَّى الصَّبَاحِ وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ أَنْتِظَارِهِ وَقَدْ شَغَفَتْهُ  
حُبًّا بَعَثَهُ عَلَى الْإِصْهَارِ إِلَى أَبِيهَا وَأَبْنِ هَذَا كُلُّهُ مِنْ حَالِ الْمَأْمُونِ الْمَعْرُوفَةِ فِي دِينِهِ  
وَعِلْمِهِ وَافْتِقَائِهِ سُنَنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ آبَائِهِ وَأَخَذِهِ بِسِيرِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَوْ كَانَ  
الْمِلَّةَ وَمَنَاظَرَتِهِ الْعُلَمَاءَ وَحِظْطِهِ لِحُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى فِي صَلَوَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ فَكَيْفَ تَصِحُّ  
عَنْهُ أَحْوَالُ الْفَسَاقِ الْمُسْتَهْتَرِينَ<sup>(١)</sup> فِي التَّطَوُّافِ بِاللَّيْلِ وَطُرُوقِ الْمَنَازِلِ وَغَشْيَانِ السَّمَرِ  
سَبِيلِ عَشَاقِ الْأَعْرَابِ وَأَبْنِ ذَلِكَ مِنْ مَنْصِبِ ابْنَةِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ وَشَرَفِهَا وَمَا كَانَ  
يُدَارُ أَبِيهَا مِنَ الصُّونِ وَالْعَفَافِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَثِيرَةٌ وَفِي كُتُبِ الْمُؤَرِّخِينَ  
مَعْرُوفَةٌ وَإِنَّمَا يَبْعَثُ عَلَى وَضْعِهَا وَالْحَدِيثُ بِهَا إِلَّا نَهْمَاكَ فِي اللَّذَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ وَهَتَكَ قِنَاعِ  
الْمُخْذَرَّاتِ وَيَتَعَلَّلُونَ بِالتَّائِسِيِّ بِالْقَوْمِ فِيمَا يَأْتُونَهُ مِنْ طَاعَةِ لَدَائِمِهِمْ فَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ كَثِيرًا مَا  
يَلْهَجُونَ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَيَنْقَرُونَ عَنْهَا عِنْدَ تَصَفُّهِمْ لِأَوْرَاقِ الدَّوَاوِينِ وَلَوْ أَثْنَسُوا بِهِمْ  
فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَصِنَاتِ الْكَمَالِ اللَّائِقَةِ بِهِمْ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُمْ لَكَانَ خَيْرًا  
لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَدَلْتُ يَوْمًا بَعْضَ الْأُمَرَاءِ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ فِي كَلْفِهِ بِتَعْلُمِ  
الْغِنَاءِ وَوَلُوعِهِ بِالْأَوْتَارِ وَقُلْتُ لَهُ لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِكَ وَلَا يَلِيْقُ بِمَنْصِبِكَ فَقَالَ لِي أَفَلَا

(١) المستهتر؛ لشئ بالغش المولع به لا يبالي بما فعل فيه وشتم له والذي كثرت إبطائه اه قاموس



تَرَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ كَيْفَ كَانَ إِمَامَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَرَبِّسَ الْمُغْنِينَ فِي زَمَانِهِ  
فَقُلْتُ لَهُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَهَلَا تَأْسَيْتَ بِأَيِّهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ مَا رَأَيْتَ كَيْفَ قَعَدَ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ  
عَنْ مَنَاصِبِهِمْ فَصَمَّ عَنْ عَذْلِي وَأَعْرَضَ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ مَا  
يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْأَثْبَاتِ فِي الْعَبِيدِيِّينَ خُلَفَاءِ الشَّيْعَةِ بِالْقَيْرَوَانِ  
وَالْقَاهِرَةِ مِنْ تَقِيهِمْ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَالطَّعْنُ فِي نَسَبِهِمْ إِلَى إِسْمَاعِيلَ  
الْإِمَامِ ابْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ يَعْتَمِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَحَادِيثَ لَفِطَتْ لِلْمُسْتَخَفِّينَ مِنْ  
خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ تَزْلُفًا إِلَيْهِمْ بِالْقَدَحِ فِيمَنْ نَاصِبِهِمْ وَتَفَنُّنًا فِي الشَّمَاتِ بَعْدُوهُمْ حَسَبًا  
نَذَكُرُ بَعْضَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيَغْفُلُونَ عَنِ التَّفَطُّنِ لَشَوَاهِدِ الْوَاقِعَاتِ وَأَدَلَّةِ  
الْأَحْوَالِ الَّتِي أَقْتَضَتْ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ تَكْذِيبِ دَعْوَاهُمْ وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ  
فِي حَدِيثِهِمْ عَنْ مَبْدَأِ دَوْلَةِ الشَّيْعَةِ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمُحْسِنَ لَمَّا دُعِيَ بِكُثَامَةَ لِلرَّضِيِّ  
مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَاشْتَهَرَ خَبَرُهُ وَعُلِمَ تَحْوِيلُهُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَأَبْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ  
خَشِيَ عَلَى أَنْفُسِهِمَا فَهَرَبَا مِنَ الْمَشْرِقِ مَحَلَّ الْخِلَافَةِ وَاجْتَازا بِمِصْرَ وَأَنْهَمَا خَرَجَا مِنَ  
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي زِيَةِ الثُّجَارِ وَنَبِيَّ خَبَرَهُمَا إِلَى عَيْسَى النُّوْشَرِيِّ عَامِلِ مِصْرَ  
وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَسَرَّحَ فِي طَلَبِهِمَا الْخِلَالََةَ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَا خَفِيَ حَالُهُمَا عَلَى تَابِعِيهِمَا بِمَا  
لَبَسُوا بِهِ مِنَ الشَّارَةِ وَالزِّيِّ فَأَقْلَبُوا إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّ الْمُعْتَضِدَ أَوْعَزَ إِلَى الْأَغَالِبَةِ أُمَرَاءُ  
أَفْرِيقِيَا بِالْقَيْرَوَانِ وَبَنِي مِذْرَارٍ أُمَرَاءُ سِجْلَمَاسَةَ بِأَخْذِ الْأَفَاقِ عَلَيْهِمَا وَإِذْ كَاءَ الْعُيُونِ  
فِي طَلَبِهِمَا فَعَثَرَ الْإِشْعُ صَاحِبُ سِجْلَمَاسَةَ مِنْ آلِ مِذْرَارٍ عَلَى خَفِيِّ مَكَانِهِمَا بِبَلَدِهِمَا وَعَثَقَهُمَا  
مَرْضَاةً لِلْخَلِيفَةِ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ الشَّيْعَةُ عَلَى الْأَغَالِبَةِ بِالْقَيْرَوَانِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا  
كَانَ مِنْ ظُهُورِ دَعْوَتِهِمْ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ ثُمَّ بِالْيَمَنِ ثُمَّ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ثُمَّ بِمِصْرَ  
وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَقَاسَمُوا بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ شِقَّ الْأَبْلُمَةِ وَكَادُوا يَلْجُونَ  
عَلَيْهِمْ مَوَاطِنَهُمْ وَيُزَايِلُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَلَقَدْ أَظْهَرَ دَعْوَتَهُمْ بَغْدَادَ وَعِرَاقِيَا الْأَمِيرُ  
الْبَسَاسِيرِيُّ مِنْ مَوَالِي الدَّيْلَمِ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَى خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مُغَاضَبَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
أُمَرَاءِ الْعَجَمِ وَخَطَبَ لَهُمْ عَلَى مَنَابِرِهَا حَوْلًا كَامِلًا وَمَا زَالَ بَنُو الْعَبَّاسِ يَعْصُونَ بِمَكَانِهِمْ  
وَدَوْلَتِهِمْ وَمُلُوكُ بَنِي أُمَيَّةٍ وَرَاءَ الْبَحْرِ يُنَادُونَ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ مِنْهُمْ وَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا كُلُّهُ  
لِدَعْيٍ فِي النَّسَبِ يَكْذِبُ فِي انْتِحَالِ الْأَمْرِ وَاعْتَبِرْ حَالَ الْقَرْمَاطِيِّ إِذْ كَانَ دَعِيًّا فِي



أَنْتَسَابِهِ كَيْفَ تَلَا شَتَّ دَعْوَتُهُ وَتَفَرَّقَتْ أُنْبَاءُهُ وَظَاهَرَ سَرِيعًا عَلَى خُبْرِهِمْ وَمَكْرِهِمْ فَسَاءَتْ  
 عَاقِبَتُهُمْ وَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَوْ كَانَ أَمْرُ الْعَبِيدِ بِكَذَا لَكَ أَعْرَفَ وَلَوْ بَعْدَ مَهْلَةٍ  
 وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا نَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلَّمُ  
 فَقَدْ اتَّصَلَتْ دَوْلَتُهُمْ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
 وَمُصَلَّاهُ وَمَوْطِنُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَدْفَنُهُ وَمَوْقِفُ الْحَجَّاجِ وَهَبِطَ الْمَلَائِكَةُ  
 ثُمَّ انْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَشَرِيعَتُهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى أَتَمِّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُمْ وَالْحُبِّ  
 فِيهِمْ وَاعْتِقَادِهِمْ بِنَسَبِ الْإِمَامِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَلَقَدْ خَرَجُوا مَرَارًا بَعْدَ  
 ذَهَابِ الدَّوْلَةِ وَدُرُوسِ أَثَرِهَا دَاعِينَ إِلَى بِدْعَتِهِمْ هَاتِفِينَ بِأَسْمَاءِ صِبْيَانٍ مِنْ أَعْقَابِهِمْ  
 يَزْعُمُونَ اسْتِحْقَاقَهُمْ لِلْخِلَافَةِ وَيَذْهَبُونَ إِلَى تَعْيِينِهِمْ بِالْوَصِيَّةِ مِنْ سَائِفِ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأَيَمَّةِ  
 وَلَوْ أَرْتَابُوا فِي نَسَبِهِمْ لَمَّا رَكِبُوا أَعْنَاقَ الْأَخْطَارِ فِي الْإِنْتِصَارِ لَهُمْ فَصَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا  
 يَلِيسُ فِي أَمْرِهِ وَلَا يُشَبِّهُ فِي بِدْعَتِهِ وَلَا يُكْذِبُ نَفْسَهُ فِيمَا يَتَّخِذُهُ وَالْعَجَبُ مِنَ الْقَاضِي  
 أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيِّ شَيْخِ النُّظَّارِ مِنَ الْهَيْكَلِيِّينَ كَيْفَ يَجْنَحُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمَرْجُوحَةِ  
 وَيَرَى هَذَا الرَّأْيَ الضَّعِيفَ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِلْحَادِ فِي الدِّينِ وَالْتِمَاقِ  
 فِي الرَّاغِبِيَّةِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَافِعٍ فِي صَدْرِ دَعْوَتِهِمْ وَلَيْسَ إِثْبَاتُ مُنْتَسَبِهِمْ بِالَّذِي يُغْنِي  
 عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فِي كُفْرِهِمْ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَأْنِ ابْنِهِ إِنَّهُ لَيْسَ  
 مِنْ أَهْلِكَ أَنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلَنَّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِفَاطِمَةَ بَعْظَهَا يَا فَاطِمَةُ أَعْمَلِي فَلَنْ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَمَتَى عَرَفَ أَمْرُوهَ قَضِيَّةً أَوْ  
 اسْتَيْقَنَ أَمْرًا وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَصْدَعَ بِهِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَالْقَوْمُ كَانُوا  
 فِي مَجَالٍ لظُنُونِ الدُّوَلِ بِهِمْ وَتَحْتَ رَقَبَةٍ مِنَ الطَّغَاةِ لِتَوْفُرِ شَرِيعَتِهِمْ وَأَنْتِشَارِهِمْ فِي الْقَاصِيَةِ  
 بِدَعْوَتِهِمْ وَتَكَرُّرِ خُرُوجِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَلَاذَتْ رِجَالُهُمْ بِالْإِخْتِنَاءِ وَلَمْ يَكَادُوا  
 يُعْرِفُونَ كَمَا قِيلَ

فَلَوْ تَسَأَلَ الْأَيَّامَ مَا أَسْمِي مَا دَرَتْ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِيَا  
 حَتَّى لَقَدْ سَمِيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامُ جَدُّ عَمِيدِ اللَّهِ الْهَدْيِيِّ بِالْمَكْتُومِ سَمْتَهُ بِذَلِكَ  
 شَرِيعَتُهُمْ لِمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ إِخْفَائِهِ حَذَرًا مِنَ الْمُتَغَالِبِينَ عَلَيْهِمْ فَتَوَصَّلَ شَيْعَةُ بَنِي  
 الْعَبَّاسِ بِذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِهِمْ إِلَى الطُّغْنِ فِي نَسَبِهِمْ وَأَزْدَلَفُوا بِهَذَا الرَّأْيِ الْقَائِلَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ



مِنْ خُلَفَائِهِمْ وَأُعْجِبَ بِهِ أَوْلِيَائُهُمْ وَأُمَرَاءُ دَوْلَتِهِمْ الْمُتَوَلُّونَ لِحُرُوبِهِمْ مَعَ الْأَعْدَاءِ يَدْفَعُونَ  
 بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ مَعْرَةَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمُدَافَعَةِ لِمَنْ غَلَبَهُمْ عَلَى الشَّامِ  
 وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ مِنَ الْبَرْبَرِ الْكَتَامِينَ شِيعَةَ الْعَبِيدِيِّينَ وَأَهْلَ دَعْوَتِهِمْ حَتَّى لَقَدْ اسْتَجَلَ  
 الْقَضَاءُ بِبَغْدَادَ بِنَفْيِهِمْ عَنْ هَذَا النَّسَبِ وَشَهِدَ بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْلَامِ النَّاسِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ  
 الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ وَأَخُوهُ الْمُرْتَضَى وَابْنُ الْبَطْحَاوِيِّ وَمِنْ الْعُلَمَاءِ أَبُو حَامِدٍ الْأَسْفَرَايِينِيُّ  
 وَالْقُدُّورِيُّ وَالصِّمَرِيُّ وَابْنُ الْأَكْفَانِيِّ وَالْأَيُّورُزْدِيُّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ النُّعْمَانِ فَقِيهُ  
 الشَّيْعَةِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الْأُمَّةِ بِبَغْدَادَ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ وَذَلِكَ سَنَةَ سِتِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
 فِي أَيَّامِ الْقَادِرِ وَكَانَتْ شَهَادَتُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى السَّمَاعِ لَمَّا اشْتَهَرَ وَعُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ  
 بِبَغْدَادَ وَغَالِبُهَا شِيعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ الطَّاعِنُونَ فِي هَذَا النَّسَبِ فَتَقَلَّهَ الْأَخْبَارِيُّونَ كَمَا سَمِعُوهُ  
 وَرَوَوْهُ حَسْبَمَا وَعَوَّهُ وَالْحَقُّ مِنْ وَرَائِهِ وَفِي كِتَابِ الْمُعْتَضِدِ فِي شَأْنِ عِيْدِ اللَّهِ إِلَى ابْنِ  
 الْأَعْلَبِ بِالْقَيْرَوَانِ وَابْنِ مِذْرَارٍ بِسُجِلْمَاسَةَ أَصْدَقُ شَاهِدٍ وَأَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ نَسَبِهِمْ  
 فَالْمُعْتَضِدُ أَقْعَدُ بِنَسَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَالِدَوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ سَوْقٍ لِلْعَالَمِ تُجَلِّبُ إِلَيْهِ  
 بِضَائِعُ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَتُلْتَمَسُ فِيهِ ضَوَالُ الْحُكْمِ وَتُخَدَى إِلَيْهِ رَكَائِبُ الرِّوَايَاتِ  
 وَالْأَخْبَارِ وَمَا نَفَقَ فِيهَا نَفَقَ عِنْدَ الْكَافَّةِ فَإِنْ تَنَزَّهَتِ الدَّوْلَةُ عَنِ التَّعَسُّفِ وَالْمِيلِ وَالْأَفْنِ  
 وَالسُّفْسَفَةِ وَسَلَكَتْ أَلْهَجَ الْأَمَمِ وَلَمْ تَجْزِ (١) عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ نَفَقَ فِي سَوْفِهَا الْأَبْرَارُ  
 الْخَالِصُ وَاللَّجِينُ الْمُصَفَّى وَإِنْ ذَهَبَتْ مَعَ الْأَغْرَاضِ وَالْحُقُودِ وَمَاجَتْ بِسِمَاسِرَةِ الْعَرَبِ  
 الْبَغْيُ وَالْبَاطِلُ نَفَقَ الْبَهْرَجُ وَالزَّائِفُ وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ نَظَرُهُ فِسْطَاسٌ بِحِثِّهِ وَمِيزَانٌ وَمُلْتَمَسُهُ  
 وَمِثْلُ هَذَا وَأَبْعَدُ مِنْهُ كَثِيرًا مَا يَتَنَاجَى بِهِ الطَّاعِنُونَ فِي نَسَبِ أَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ بْنِ  
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رَضَوَانِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) الْأَمَامِ  
 بَعْدَ أَبِيهِ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَيَعْرِضُونَ تَعْرِيضَ الْحَدِّ بِالْتَّظَنُّنِ فِي الْحِمْلِ الْمُخْتَلَفِ عَنْ  
 أَدْرِيسَ الْأَكْبَرِ إِنَّهُ لِرَاشِدٍ مَوْلَاهُمْ فَجَبَّهُمُ اللَّهُ وَأَبْعَدَهُمْ مَا أَجْهَلَهُمْ أَمَّا يَعْلَمُونَ أَنَّ  
 أَدْرِيسَ الْأَكْبَرَ كَانَ إِصْهَارُهُ فِي الْبَرْبَرِ وَإِنَّهُ مِنْذُ دَخَلَ الْمَغْرِبَ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ  
 عَزَّ وَجَلَّ عَرِيقٌ فِي الْبَدْوِ وَأَنَّ حَالِ الْبَادِيَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ غَيْرُ خَافِيَةٍ إِذْ لَا مَكَانَ لَهُمْ  
 يَتَأَتَّى فِيهَا الرَّيْبُ وَأَحْوَالُ حُرْمِهِمْ أَجْمَعِينَ يَمْرَأَى مِنْ جَارَاتِهِمْ وَمَسْمَعٍ مِنْ جِيرَانِهِمْ  
 لِتَلَاصُقِ الْجُدْرَانِ وَتَطَامُنِ الْبَنِيَانِ وَعَدَمِ الْفَوَاصِلِ بَيْنَ الْمَسَاكِينِ وَقَدْ كَانَ رَاشِدٌ يَتَوَلَّى

(١) قوله ولم تجز بضم الجيم مضارع جاراي لم تمل اه



خَدَمَةَ الْحَرَمِ أَجْمَعَ مِنْ بَعْدِ مَوْلَاهُ بِمَشْهَدٍ مِنْ أَوْلِيائِهِمْ وَشَيْعَتِهِمْ وَمُرَاقِبَةٍ مِنْ كَافَّةِهِمْ  
 وَقَدْ اتَّفَقَ بَرَابِرَةُ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى عَامَةً عَلَى بَيْعَةِ أَدْرِيسَ الْأَصْغَرِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ وَاتَّوَهُ  
 طَاعَتَهُمْ عَنْ رِضَى وَإِصْفَاقٍ وَبَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَخَاضُوا دُونَهُ بِحَارَ الْمَنَآيَا فِي  
 حُرُوبِهِ وَغَزَوَاتِهِ وَلَوْ حَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الرِّبَايَةِ أَوْ قُرِعَتْ أَسْمَاعُهُمْ وَلَوْ مِنْ عَدُوِّ  
 كَاشِحٍ أَوْ مُنَافِقٍ مُرْتَابٍ لَتَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ بَعْضُهُمْ كَلًّا وَاللَّهِ إِنَّمَا صَدَرَتْ هَذِهِ  
 الْكَلِمَاتُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَقْبَالَهُمْ وَمِنْ بَنِي الْأَغْلَبِ عُمَالَهُمْ كَانُوا بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَوَلَايَتِهِمْ  
 وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَّ أَدْرِيسُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْمَغْرِبِ مِنْ وَفْعَةٍ بَلَغَ أَوْعَزَ الْهَادِي إِلَى الْأَغَالِبَةِ  
 أَنَّ يَقْعُدُوا لَهُ بِالْمَرَاصِدِ وَيَذْكُوا عَلَيْهِ الْعِيُونَ فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهِ وَخَلَصَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَتَمَّ  
 أَمْرُهُ وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ وَظَهَرَ الرَّشِيدُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَاضِحٍ مَوْلَاهُمْ وَعَامِلِهِمْ  
 عَلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ مِنْ دَسِيْسَةِ التَّشْيِيعِ لِلْعُلَوِيَّةِ وَإِذْهَانِهِ فِي نَجَاةِ أَدْرِيسَ إِلَى الْمَغْرِبِ  
 فَقَتَلَهُ وَدَسَّ الشَّمَاخَ مِنْ مَوَالِي الْمَهْدِيِّ أَبِيهِ لِلتَّحْيِيلِ عَلَى قَتْلِ أَدْرِيسَ فَأَظْهَرَ الْحَقَّاقُ بِهِ  
 وَالْبَرَاءَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوَالِيهِ فَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ أَدْرِيسُ وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ وَتَنَاوَلَهُ الشَّمَاخُ فِي  
 بَعْضِ خَلَوَاتِهِ سَمَا أَسْتَهْلَكَهُ بِهِ وَوَقَعَ خَبَرُ مَهْلِكِهِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ  
 لِمَا رَجَوْهُ مِنْ قَطْعِ أَسْبَابِ الدَّعْوَةِ الْعُلَوِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَاقْتِلَاعِ جُرْثُمَتِهَا وَلَمَّا تَأَدَّى  
 إِلَيْهِمْ خَبَرُ الْحِمْلِ لَتَخَلَّفَ لِأَدْرِيسَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا كَلًّا وَلَا إِذَا بِالْدَّعْوَةِ قَدْ  
 عَادَتْ وَالشَّيْعَةُ بِالْمَغْرِبِ قَدْ ظَهَرَتْ وَدَوَّلَتْهُمْ بِأَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ قَدْ تَجَدَّدَتْ فَكَانَ  
 ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَنْكَبَى مِنْ وَقَعِ السِّهَامِ وَكَانَ الْفُشْلُ وَالْهَرَمُ قَدْ نَزَلَ بِدَوْلَةِ الْعَرَبِ عَنْ  
 أَنْ يَسْمُوا إِلَى الْقَاصِيَةِ فَلَمْ يَكُنْ مُنْتَهَى قُدْرَةِ الرَّشِيدِ عَلَى أَدْرِيسَ الْأَكْبَرِ بِمَكَانِهِ مِنْ  
 قَاصِيَةِ الْمَغْرِبِ وَاشْتِمَالَ الْبَزْبَرِ عَلَيْهِ إِلَّا التَّحْيِيلُ فِي إِهْلَاكِهِ بِالسُّمُومِ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَزَعُوا  
 إِلَى أَوْلِيائِهِمْ مِنَ الْأَغَالِبَةِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ فِي سَدِّ تِلْكَ الْفُرْجَةِ مِنْ نَاحِيَتِهِمْ وَحَسَمِ الدَّاءِ  
 الْمَشُوقِعِ بِالْأَدْوَلَةِ مِنْ قِبَلِهِمْ وَاقْتِلَاعِ تِلْكَ الْعُرُوقِ قَبْلَ أَنْ تَشْجَ مِنْهُمْ يُخَاطِبُهُمْ بِذَلِكَ  
 الْمَأْمُونُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ خُلَفَائِهِمْ فَكَانَ الْأَغَالِبَةُ عَنْ بَرَابِرَةِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى أَعْجَزَ  
 وَلَمْثَلِهَا مِنَ الزُّبُونِ عَلَى مُلُوكِهِمْ أَخُوَجَ لِمَا طَرَقَ الْخِلَافَةُ مِنْ أَنْتِزَاعِ مَمْلُوكِ الْعِجْمِ عَلَى  
 سُلْطَتِهَا وَامْتِطَائِهِمْ صَهْوَةَ التَّغْلِبِ عَلَيْهَا وَتَضَرُّفِهِمْ أَحْكَامَهَا طَوَعَ أَغْرَاصِهِمْ فِي رِجَالِهَا  
 وَجَبَابَتِهَا وَأَهْلَ خِطَطِهَا وَسَائِرِ نَقْضِهَا وَإِزْمَامِهَا كَمَا قَالَ شَاعِرُهُمْ



خَلِيفَةً فِي قَفْصٍ      بَيْنَ وَصِيفٍ وَبَغَا  
يَقُولُ مَا قَالَا لَهُ      كَمَا نَقُولُ الْبَغَا

نَحْشِي هَوْلَاءَ الْأُمَرَاءِ الْأَغَالِبَةَ بَوَادِرَ السَّعَايَاتِ وَتَلَوْنَا بِالْمَعَاذِيرِ فَطَوْرًا بِاخْتِقَارِ الْمَغْرِبِ  
وَأَهْلِهِ وَطَوْرًا بِالْإِزْهَابِ بِشَأْنِ أَدْرِيسَ الْخَارِجِ بِهِ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ مِنْ أَعْقَابِهِ يُخَاطِبُونَهُمْ  
بِتَجَاوُزِهِ حُدُودَ التَّخَوُّمِ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْفِذُونَ مِكْنَتَهُ فِي نُحْفِهِمْ وَهَذَا يَأْتِيهِمْ وَمُرْتَنَعٍ جِبَابَاتِهِمْ  
تَعْرِضًا بِاسْتِنْحَالِهِ وَتَهْوِيلًا بِاشْتِدَادِ شَوْكَتِهِ وَتَعْظِيمًا لِمَا دَفَعُوا إِلَيْهِ مِنْ مُطَالَبَتِهِ وَمِرَاسِهِ  
وَتَهْدِيدًا بِقَلْبِ الدَّعْوَةِ إِنْ الْجِئُوا إِلَيْهِ وَطَوْرًا يَطْعَنُونَ فِي نَسَبِ أَدْرِيسَ بِمِثْلِ ذَلِكَ  
الطَّعْنِ الْكَاذِبِ تَخْفِيفًا لَشَأْنِهِ لَا يَبَالُونَ بِصِدْقِهِ مِنْ كَذِبِهِ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ وَأَفْنِ عُقُولِ  
مَنْ خَافَ مِنْ صِبْيَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمَمَالِكِهِمْ الْعَجَمِ فِي الْقَبُولِ مِنْ كُلِّ قَائِلٍ وَالسَّمْعِ لِكُلِّ  
نَاعِقٍ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا دَائِبُهُمْ حَتَّى انْقَضَى أَمْرُ الْأَغَالِبَةِ فَقَرَعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الشَّنْعَاءَ  
أَسْمَاعَ الْغَوَاغَاءِ وَصَرَ عَلَيْهَا بَعْضُ الطَّاعِنِينَ أُذُنَهُ وَاعْتَدَّهَا ذَرِيعَةً إِلَى النَّيْلِ مِنْ خَلْفِهِمْ  
عِنْدَ الْمُنَافَسَةِ وَمَا لَهُمْ فَبُجْهِهِمُ اللَّهُ وَالْعُدُولَ عَنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ فَلَا تَعَارُضَ فِيهَا بَيْنَ  
الْمَقْطُوعِ وَالْمَظْنُونِ وَأَدْرِيسُ وَلَدَ عَلِيٍّ فِرَاشِ أَبِيهِ وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ عَلَى أَنْ تَنْزِيهِ أَهْلِ  
الْبَيْتِ عَنْ مِثْلِ هَذَا مِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرِّجْسَ  
وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا فِرَاشُ أَدْرِيسَ طَاهِرٌ مِنَ الدَّنَسِ وَمَنْزَرَةٌ عَنِ الرِّجْسِ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ  
وَمَنْ أَعْتَقَدَ خِلَافَ هَذَا فَقَدْ بَاءَ بِإِثْمِهِ وَوَلَّجَ الْكُفْرَ مِنْ بَابِهِ وَإِنَّمَا أَطْنَبْتُ فِي هَذَا  
الرَّدِّ سَدًّا لِلْبُؤَابِ الرَّيْبِ وَدَفَعًا فِي صَدْرِ الْحَاسِدِ لِمَا سَمِعْتُهُ أَذُنَايَ مِنْ قَائِلِهِ الْمُعْتَدِي  
عَلَيْهِمُ الْقَادِحِ فِي نَسَبِهِمْ بِفَرِيتِهِ وَيَنْقُلُهُ بِزَعْمِهِ عَنْ بَعْضِ مُؤَرِّخِي الْمَغْرِبِ بِمَنْ  
انْحَرَفَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَارْتَابَ فِي الْإِيمَانِ بِسَلَفِهِمْ وَإِلَّا فَالْحَمْلُ مَنْزَرَةٌ عَنْ ذَلِكَ  
مَعْصُومٌ مِنْهُ وَتَقِي الْعَيْبَ حَيْثُ يَسْتَحِيلُ الْعَيْبُ عَيْبُ لِكْنِي جَادَلْتُ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَأَرْجُو أَنْ يُجَادِلُوا عَنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ أَكْثَرَ الطَّاعِنِينَ فِي نَسَبِهِمْ إِنَّمَا  
هُمْ الْحَسَدَةُ لِأَعْقَابِ أَدْرِيسَ هَذَا مِنْ مُتَمِّهِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ أَوْ دَخِيلٍ فِيهِمْ فَإِنْ أَدْرَعَاءُ  
هَذَا النَّسَبِ الْكَرِيمِ دَعَوَى شَرَفٍ عَرِضَةٌ عَلَى الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ مِنْ أَهْلِ الْإِفَاقِ  
فَتَعْرِضُ التَّهْمَةُ فِيهِ وَلَمَّا كَانَ نَسَبُ بَنِي أَدْرِيسَ هَوْلَاءَ بِمَوَاطِنِهِمْ مِنْ فَارِسَ وَسَائِرِ  
دِيَارِ الْمَغْرِبِ قَدْ بَلَغَ مِنَ الشُّهُرَةِ وَالْوُضُوحِ مَبْلَغًا لَا يَكَادُ يُلْحَقُ وَلَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي



ذَكَرَهُ إِذْ هُوَ تَقُلُّ الْأُمَّةَ وَالْجِيلَ مِنَ الْخَلْفِ عَنِ الْأُمَّةِ وَالْجِيلِ مِنَ السَّلَفِ وَبَيْتُ جَدِّهِمْ  
 أَذْرِيْسَ مُحْتَطٍ فَاسَ وَمُؤَسَّسَهَا مِنْ يَوْمِهِمْ وَمَسْجِدُهُ لَصِقَ مَحَلَّتِهِمْ وَدُرُوبِهِمْ وَسَيْفُهُ  
 مُنْتَضَى بِرَأْسِ الْمَأْدَنَةِ الْعَظْمَى مِنْ قَرَارِ بَلَدِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آثَارِهِ الَّتِي جَاوَزَتْ أَخْبَارُهَا  
 حُدُودَ التَّوَاتُرِ مَرَّاتٍ وَكَادَتْ تَلْحَقُ بِالْعَيَانِ فَإِذَا نَظَرَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَا النَّسَبِ إِلَى  
 مَا أَنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ أَمْثَالِهَا وَمَا عَصَدَ شَرَفُهُمُ النَّبَوِيُّ مِنْ جَلَالِ الْمُلْكِ الَّذِي كَانَ لِسَلَفِهِمْ  
 بِالْمَغْرِبِ وَاسْتَيْقَنَ أَنَّهُ يُعْزَلُ عَنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ وَأَنَّ غَايَةَ  
 أَمْرِ الْمُشْتَمِلِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْكَرِيمِ مِمَّنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ أَمْثَالُ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ أَنَّ يُسَلِّمَ  
 لَهُمْ حَالَهُمْ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَبَيِّنَ الْعِلْمَ وَالظَّنَّ وَالْيَقِينَ وَالسَّلَامَ  
 فَإِذَا عَلِمَ بِذَلِكَ مِنْ تَفْسِيهِ غَصَّ بِرَيْقِهِ وَوَدَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَوْ يَرُدُّونَهُمْ عَنْ شَرَفِهِمْ ذَلِكَ  
 سَوْفَةً وَوُضْعَاءً <sup>(١)</sup> حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ فَيَرْجِعُونَ إِلَى الْعِنَادِ وَارْتِكَابِ اللَّجَاجِ  
 وَالْبُهْتِ بِمِثْلِ هَذَا الطَّعْنِ الْفَائِلِ وَالْقَوْلِ الْمَكْذُوبِ تَعَلُّلاً بِالْمُسَاوَاةِ فِي الظَّنِّ وَالْمُشَابَهَةِ  
 فِي تَطَرُّقِ الْإِحْتِمَالِ وَهَيْهَاتَ لَهُمْ ذَلِكَ فَلَيْسَ فِي الْمَغْرِبِ فِيمَا نَعْلَمُهُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ  
 الْكَرِيمِ مَنْ يَبْلُغُ فِي صَرَاحَةِ نَسَبِهِ وَوُضُوحِهِ مَبَالِغَ أَعْقَابِ أَذْرِيْسَ هَذَا مِنْ آلِ  
 الْحَسَنِ وَكِبَرَاؤُهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ بَنُو عِمْرَانَ بِقَاسٍ مِنْ وَلَدِ يَحْيَى الْحَوْطِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى  
 الْعَوَّامِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَذْرِيْسَ بْنِ أَذْرِيْسَ وَهُمْ نَقَبَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ وَالسَّاكُونَ بِبَيْتِ  
 جَدِّهِمْ أَذْرِيْسَ وَلَهُمُ السِّيَادَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ كَأَنَّهُ حَسْبُهُمَا فَذَكَرُوهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ  
 الْأَدَارِسَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَيُلْحَقُ بِهِذِهِ الْمَقَالَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْفَائِلَةِ مَا  
 يَتَنَاوَلُهُ ضَعْفَةُ الرَّأْيِ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَغْرِبِ مِنَ الْقَدَحِ فِي الْأِمَامِ الْمَهْدِيِّ صَاحِبِ دَوْلَةِ  
 الْمُوَحِّدِينَ وَنَسَبَتِهِ إِلَى الشَّعْوَذَةِ وَالتَّلْيِيسِ فِيمَا أَنَاهُ مِنَ الْقِيَامِ بِالتَّوْحِيدِ الْحَقِّ وَالنَّبِيِّ  
 عَلَى أَهْلِ الْبَغْيِ قَبْلَهُ وَتَكْذِيبِهِمْ لِجَمِيعِ مُدَّعِيَاتِهِ فِي ذَلِكَ حَتَّى فِيمَا يَزْعُمُ الْمُوَحِّدُونَ  
 اتِّبَاعَهُ مِنْ أَنْتَسَابِهِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ وَإِنَّمَا حَمَلَ الْفُقَهَاءُ عَلَى تَكْذِيبِهِ مَا كُنَّ فِي أَنْفُسِهِمْ  
 مِنْ حَسَدِهِ عَلَى شَأْنِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا مِنْ أَنْفُسِهِمْ مُنَافَضَتَهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفِتْيَانِ فِي الدِّينِ  
 يَزْعُمُهُمْ ثُمَّ أَمْتَارَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُ مُتَّبِعُ الرَّأْيِ مَسْمُوعُ الْقَوْلِ مَوْطُو الْعَقَبِ نَفَسُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ  
 وَغَضُّوا مِنْهُ بِالْقَدَحِ فِي مَذَاهِبِهِ وَالتَّكْذِيبِ لِمُدَّعِيَاتِهِ وَأَيْضًا فَكَانُوا يُؤَنِّسُونَ مِنْ

(١) قوله ووضعا بضم الواو جمع وضيع اهـ



مَلُوكِ الْمُتَوَنِّةِ أَعْدَائِهِ تَجَلَّةً وَكَرَامَةً لَمْ تَكُنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّادَةِ  
 وَاتِّحَالِ الدِّيَانَةِ فَكَانَ لِحِمْلَةِ الْعِلْمِ بِدَوْلَتِهِمْ مَكَانٌ مِنَ الْوَجَاهَةِ وَالِاتِّصَابِ لِلشُّوَرَى  
 كُلِّ فِي بَلَدِهِ وَعَلَى قَدَرِهِ فِي قَوْمِهِ فَأَصْبَحُوا بِذَلِكَ شِيعَةً لَهُمْ وَحَرْبًا لِعَدُوِّهِمْ وَنَقَمُوا عَلَى  
 الْمُهْدِيِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ خِلَافِهِمْ وَالتَّزْيِيبِ عَلَيْهِمْ وَالْمُنَاصَبَةِ لَهُمْ تَشِيعًا لِلْمُتَوَنِّةِ وَتَعْصِيًا  
 لِدَوْلَتِهِمْ وَهَكَانَ الرَّجُلُ غَيْرُ مَكَانِهِمْ وَحَالُهُ عَلَى غَيْرِ مُعْتَقَدَاتِهِمْ وَمَا ذُنُوكُ بَرَجُلٍ نَقَمَ  
 عَلَى أَهْلِ الدَّوْلَةِ مَا نَقَمَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَخَالَفَ أَجْتِهَادَهُ فَقَهَؤُهُمْ فَنَادَى فِي قَوْمِهِ وَدَعَا إِلَى  
 جِهَادِهِمْ بِنَفْسِهِ فَأَقْتَلَعَ الدَّوْلَةَ مِنْ أَصُولِهَا وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا أَعْظَمَ مَا كَانَتْ قُوَّةً وَأَشَدَّ  
 شَوْكَةً وَأَعَزَّ أَنْصَارًا وَحَامِيَةً وَتَسَاقَطَتْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَتْبَاعِهِ نُفُوسٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا خَالِقُهَا  
 قَدْ بَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ وَوَقَّوهُ بِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْهَلَاكَةِ وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِاتِّلَافِ  
 مُهْجِهِمْ فِي إِظْهَارِ تِلْكَ الدَّعْوَةِ وَالتَّعَصُّبِ لِتِلْكَ الْكَلِمَةِ حَتَّى عُلَّتْ عَلَى الْكَلِمِ وَدَالَتْ  
 بِالْعَدُوَّتَيْنِ مِنَ الدُّوَلِ وَهُوَ بِحَالَةٍ مِنَ التَّقْشِفِ وَالْحَصْرِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالتَّقَلُّلِ مِنَ  
 الدُّنْيَا حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَظِّ وَالْمَتَاعِ فِي دُنْيَاهُ حَتَّى الْوَلَدُ الَّذِي  
 رُبَّمَا تَجَنَّحَ إِلَيْهِ النَّفُوسُ وَتَخَادَعَ عَنْ تَعْنِيهِ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي قَصَدَ بِذَلِكَ إِنْ لَمْ  
 يَكُنْ وَجْهَ اللَّهِ وَهُوَ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ حَظٌّ مِنَ الدُّنْيَا فِي عَاجِلِهِ وَمَعَ هَذَا فَلَوْ كَانَ قَصْدُهُ غَيْرَ  
 صَالِحٍ لِمَا تَمَّ أَمْرُهُ وَانْفَسَحَتْ دَعْوَتُهُ سَنَةً اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَأَمَّا إِنْكَارُهُمْ  
 نَسَبَهُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ فَلَا تَعْضُدُهُ حُجَّةٌ لَهُمْ مَعَ أَنَّهُ إِنْ ثُبِتَ أَنَّهُ أَدْعَاهُ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ فَلَا  
 دَلِيلَ يَقُومُ عَلَى بَطْلَانِهِ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَإِنْ قَالُوا إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَا  
 تَكُونُ عَلَى قَوْمٍ فِي غَيْرِ أَهْلِ جِلْدَتِهِمْ كَمَا هُوَ الصَّحِيحُ حَسْبَمَا يَأْتِي فِي الْفَضْلِ الْأَوَّلِ  
 مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَالرَّجُلُ قَدْ رَأَسَ سَائِرَ الْمَصَامِدَةِ وَدَانُوا بِاتِّبَاعِهِ وَالِانْقِيَادِ إِلَيْهِ وَإِلَى  
 عِصَابَتِهِ مِنْ هَرَجَةٍ حَتَّى تَمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِي دَعْوَتِهِ فَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا النَّسَبَ الْفَاطِمِيَّ لَمْ يَكُنْ أَمْرُ  
 الْمُهْدِيِّ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ وَلَا اتَّبَعَهُ النَّاسُ بِسَبَبِهِ وَإِنَّمَا كَانَ اتِّبَاعُهُمْ لَهُ بِعَصَبِيَّةٍ أَلْهَرَجِيَّةٍ  
 وَالْمَصْمُودِيَّةِ وَمَكَانِهِ مِنْهَا وَرُسُوحِ شَجَرَتِهِ فِيهَا وَكَانَ ذَلِكَ النَّسَبُ الْفَاطِمِيُّ خَفِيًّا قَدْ  
 دُرِسَ عِنْدَ النَّاسِ وَبَقِيَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ عَشِيرَتِهِ يَتَنَاقَلُونَهُ بَيْنَهُمْ فَيَكُونُ النَّسَبُ الْأَوَّلُ كَأَنَّهُ  
 اتَّسَخَّ مِنْهُ وَلَيْسَ جِلْدَةً هَؤُلَاءِ وَظَهَرَ فِيهَا فَلَا يَضُرُّهُ الْإِنْتِسَابُ الْأَوَّلُ فِي عَصَبِيَّتِهِ إِذَا هُوَ  
 مَجْهُولٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِصَابَةِ وَمِثْلُ هَذَا وَاقِعٌ كَثِيرًا إِذَا كَانَ النَّسَبُ الْأَوَّلُ خَفِيًّا وَانْظُرْ



قِصَّةَ عَرْجَةِ وَجَرِيرٍ فِي رِئَاسَةِ بَحِيلَةٍ وَكَيْفَ كَانَ عَرْجَةُ مِنَ الْأَزْدِ وَلَيْسَ جِلْدُهُ بِحِيلَةٍ  
 حَتَّى تَنَازَعَ مَعَ جَرِيرٍ رِئَاسَتَهُمْ عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ لَتَفَهُمُ مِنْهُ  
 وَجْهَ الْحَقِّ وَاللَّهُ الْهَادِي لِلصَّوَابِ وَقَدْ كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ عَنْ غَرَضِ الْكِتَابِ بِالْإِطْنَابِ  
 فِي هَذِهِ الْمَغَالِطِ فَقَدْ زَلَّتْ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَثْبَاتِ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْحَفَاطِ فِي مِثْلِ هَذِهِ  
 الْأَحَادِيثِ وَالْآرَاءِ وَعَلَقَتْ أَفْكَارُهُمْ وَتَقَلَّهَا عَنْهُمْ الْكَافَّةُ مِنْ ضَعْفَةِ النَّظَرِ وَالْغَفْلَةِ  
 عَنِ الْقِيَاسِ وَتَلَقَّوْهَا هُمْ أَيْضًا كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَأَنْدَرَجَتْ فِي مَحْفُوظَاتِهِمْ  
 حَتَّى صَارَ فَنُّ التَّارِيخِ وَاهِبًا مُخْتَلِطًا وَنَاطِرُهُ مَرْتَبِكًا وَعُدَّ مِنْ مَنَاحِي الْعَامَّةِ فَإِذَا يَحْتَاجُ  
 صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ إِلَى الْعِلْمِ بِقَوَاعِدِ السِّيَاسَةِ وَطِبَائِعِ الْمَوْجُودَاتِ وَاخْتِلَافِ الْأُمَمِ  
 وَالْبِقَاعِ وَالْأَعْصَارِ فِي السِّيَرِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعَوَائِدِ وَالنَّحْلِ وَالْمَذَاهِبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ  
 وَالْإِحَاطَةِ بِالْحَاضِرِ مِنْ ذَلِكَ وَمِمَّا ثَلَّةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَائِبِ مِنَ الْوَفَاقِ أَوْ بَوْنِ مَا بَيْنَهُمَا  
 مِنَ الْخِلَافِ وَتَعْلِيلِ الْمُتَّفِقِ مِنْهَا وَالْمُخْتَلِفِ وَالْقِيَامِ عَلَى أَصُولِ الدُّوَلِ وَالْمِلَلِ وَمَبَادِيءِ  
 ظُهُورِهَا وَأَسْبَابِ حُدُوثِهَا وَدَوَاعِي كَوْنِهَا وَأَحْوَالِ الْقَائِمِينَ بِهَا وَأَخْبَارِهِمْ حَتَّى يَكُونَ  
 مُسْتَوْعِبًا لِأَسْبَابِ كُلِّ خَبَرٍ وَحِينِيذٍ يَعْزِضُ خَبَرَ الْمَنْقُولِ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ  
 وَالْأَصُولِ فَإِنْ وَافَقَهَا وَجَرَى عَلَى مُقْتَضَاهَا كَانَ صَحِيحًا وَإِلَّا زَيْفُهُ وَأَسْتَغْنَى عَنْهُ وَمَا  
 اسْتَكْبَرَ الْقَدَمَاءُ عِلْمَ التَّارِيخِ إِلَّا لِذَلِكَ حَتَّى اتَّخَذَهُ الطَّبْرِيُّ وَالتَّبَخَارِيُّ وَابْنُ إِسْحَاقَ  
 مِنْ قَبْلِهِمَا وَأَمْثَلَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَقَدْ ذَهَلَ الْكَثِيرُ عَنْ هَذَا السِّيَرِ فِيهِ حَتَّى صَارَ  
 اتِّخَاذُهُ مَجْهَلَةً وَأَسْتَحْفَ الْعَوَامُ وَمَنْ لَا رُسُوخَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ مُطَالَعَتُهُ وَتَحْمَلُهُ وَالْخَوْضُ  
 فِيهِ وَالتَّطَفُّلُ عَلَيْهِ فَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْهَمَلِ وَاللُّبَابُ بِالْقَشْرِ وَالصَّادِقُ بِالْكَاذِبِ وَإِلَى  
 اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَمِنَ الْغَلَطِ الْخَفِيُّ فِي التَّارِيخِ الدُّهُولُ عَنْ تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ فِي الْأُمَمِ  
 وَالْأَجْيَالِ بِتَبَدُّلِ الْأَعْصَارِ وَمُرُورِ الْأَيَّامِ وَهُوَ دَاءٌ دَوَى شَدِيدُ الْخَفَاءِ إِذَا لَا يَقَعُ إِلَّا  
 بَعْدَ أَحْقَابِ مُطَاوَلَةٍ فَلَا يَكَادُ يَتَفَطَّنُ لَهُ إِلَّا الْأَحَادُ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ وَذَلِكَ أَنَّ  
 أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَالْأُمَمِ وَعَوَائِدَهُمْ وَمَحَلَّتَهُمْ لَا تَدُومُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِنْهَا جَرِي مُسْتَقَرٌّ  
 إِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافٌ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَزْمِنَةِ وَاتِّقَالَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَكَمَا يَكُونُ ذَلِكَ  
 فِي الْأَشْخَاصِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَمْصَارِ فَكَذَلِكَ يَقَعُ فِي الْأَفَاقِ وَالْأَفْطَارِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالْأَدْوَلِ  
 سَنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَقَدْ كَانَتْ فِي الْعَالَمِ أُمَمُ الْفَرَسِ الْأُولَى وَالسِّرْيَانِيُّونَ



وَالنَّبَطُ وَالتَّبَاعِيَّةُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَالْقَبِطُ وَكَانُوا عَلَى أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ بِهِمْ فِي دُولِهِمْ  
وَمِمَّا لِكِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتِهِمْ وَسَائِرُ مَشَارِكَتِهِمْ مَعَ أَبْنَاءِ  
جَنَسِهِمْ وَأَحْوَالُ اعْتِمَارِهِمْ لِلْعَالَمِ تَشْهَدُ بِهَا أَنَّهُمْ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمُ الْفُرْسُ الثَّانِيَّةُ  
وَالرُّومُ وَالْعَرَبُ فَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ وَانْقَلَبَتْ بِهَا الْعَوَائِدُ إِلَى مَا يُجَانِسُهَا أَوْ يُشَابِهُهَا  
وَإِلَى مَا يُبَايِنُهَا أَوْ يُبَاعِدُهَا ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِدَوْلَةٍ مُضَرَّةٍ فَانْقَلَبَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ أَجْمَعُ  
انْقِلَابَةً أُخْرَى وَصَارَتْ إِلَى مَا أَكْثَرُهُ مُتَعَارِفٌ لِهَذَا الْعَهْدِ يَأْخُذُهُ الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ  
ثُمَّ دُرِسَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَأَيَّامُهُمْ وَذَهَبَتْ الْأَسْلَافُ الدِّينَ شَدُّوا عِزَّهُمْ وَمَهَّدُوا  
مُلْكَهُمْ وَصَارَ الْأَمْرُ فِي أَيْدِي سِوَاهُمْ مِنَ الْعَجَمِ مِثْلُ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ وَالْبَرْبَرِ  
بِالْمَغْرِبِ وَالْفَرَنْجَةِ بِالشَّمَالِ فَذَهَبَتْ بِذَهَابِهِمْ أُمَمٌ وَانْقَلَبَتْ أَحْوَالُ وَعَوَائِدُ نَسَبِ شَأْنِهَا  
وَأُغْفِلَ أَمْرُهَا وَالسَّبَبُ الشَّائِعُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ أَنَّ عَوَائِدَ كُلِّ جِيلٍ تَابِعَةٌ  
لِعَوَائِدِ سُلْطَانِهِ كَمَا يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ الْحِكْمِيَّةِ النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ وَأَهْلُ الْمَلِكِ  
وَالسُّلْطَانِ إِذَا اسْتَوْلَوْا عَلَى الدَّوْلَةِ وَالْأَمْرَ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَفْزَعُوا إِلَى عَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهُمْ  
وَيَأْخُذُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا وَلَا يُغْفِلُونَ عَوَائِدَ جِيلِهِمْ مَعَ ذَلِكَ فَيَقَعُ فِي عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ  
بَعْضُ الْمُخَالَفَةِ لِعَوَائِدِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ فَإِذَا جَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْرَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَرَجَتْ مِنْ  
عَوَائِدِهِمْ وَعَوَائِدِهَا خَالَفَتْ أَيْضًا بَعْضَ الشَّيْءِ وَكَانَتْ لِلأَوَّلَى أَشَدَّ مُخَالَفَةً ثُمَّ لَا يَزَالُ  
التَّدْرِيجُ فِي الْمُخَالَفَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الدُّبَابَةِ بِالْجُمْلَةِ فَمَا دَامَتِ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ  
تَتَعَاقَبُ فِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ لَا تَزَالُ الْمُخَالَفَةُ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ وَاقِعَةً وَالْقِيَاسُ  
وَالْمُحَاسَاةُ لِلْإِنْسَانِ طَبِيعَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمِنَ الْغَلْطِ غَيْرُ مَا مُونَةٌ تُخْرِجُهُ مَعَ الذُّهُولِ وَالْغَفْلَةِ  
عَنْ قَصْدِهِ وَتَعَوُّجُهُ بِهِ عَنْ مَرَامِهِ فَرُبَّمَا يَسْمَعُ السَّامِعُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَاضِينَ وَلَا  
يَتَفَتَّنُ لِمَا وَقَعَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَانْقِلَابِهَا فَيُخْرِجُهَا لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ عَلَى مَا عَرَفَ وَبَقِيَسُهَا  
بِمَا شَهِدَ وَقَدْ يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَثِيرًا فَيَقَعُ فِي مَهْوَاةٍ مِنَ الْغَلْطِ فَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا  
يَنْقُلُهُ الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ أَحْوَالِ الْحِجَابِ وَأَنَّ أَبَاهُ كَانَ مِنَ الدُّعَلَمِينَ مَعَ أَنَّ التَّعْلِيمَ لِهَذَا  
الْعَهْدِ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ الْمَعَاشِيَّةِ الْبَعِيدَةِ مِنْ اعْتِرَازِ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَالْدُّعَلَمِ مُسْتَضْعَفٌ  
مَسْكِينٌ مُنْقَطِعُ الْجِذْمِ <sup>(١)</sup> فَيَتَشَوَّفُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ أَهْلَ الْحِرْفِ وَالصَّنَائِعِ



الْمَعَاشِيَةِ إِلَى نَيْلِ الرُّتَبِ الَّتِي لَيْسُوا لَهَا بِأَهْلٍ وَيَعْدُونَهَا مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ لَهُمْ فَتَذْهَبُ  
 بِهِمْ وَسَاوِسُ الْمَطَامِعِ وَزُبَمَا أَنْقَطَعَ حَبْلُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ فَسَقَطُوا فِي مَهْوَاةِ الْهَلَاكَةِ  
 وَالتَّلَافِ وَلَا يَعْلَمُونَ اسْتِحْجَالَتَهَا فِي حَقِّهِمْ وَأَنْتَهُمْ أَهْلُ حِرْفٍ وَصَنَائِعٍ لِلْمَعَاشِ وَأَنَّ التَّعْلِيمَ  
 صَدْرُ الْإِسْلَامِ وَالِدَوْلَتَيْنِ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَلَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِالْجُمْلَةِ صِنَاعَةً إِنَّمَا كَانَ  
 ثَقَلًا لِمَا سُمِعَ مَعَ الشَّارِعِ وَتَعْلِيمًا لِمَا جُمِلَ مِنَ الدِّينِ عَلَى جِهَةِ الْبَلَاغِ فَكَانَ أَهْلُ  
 الْأَنْسَابِ وَالْعَصَبِيَّةِ الَّذِينَ قَامُوا بِالْأُمَّةِ هُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ الْخَبَرِيِّ لَا عَلَى وَجْهِ التَّعْلِيمِ الصَّنَاعِيِّ إِذْ هُوَ كِتَابُهُمْ  
 الْمُنْزَلُ عَلَى الرَّسُولِ مِنْهُمْ وَبِهِ هِدَايَتُهُمْ وَالْإِسْلَامُ دِينُهُمْ قَاتَلُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوا وَأَخْتَصَمُوا  
 بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَشَرَفُوا فَيَجْرُسُونَ عَلَى تَبْلِيغِ ذَلِكَ وَتَفْهِيمِهِ لِلْأُمَّةِ لَا تَصُدُّهُمْ عَنْهُ لَأُيُومَةُ  
 الْكِبَرِ وَلَا يَزَعُهُمْ عَاذِلُ الْأَثَقَةِ وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ بَعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِبَارَ  
 أَصْحَابِهِ مَعَ وَفُودِ الْعَرَبِ يَعْلَمُونَهُمْ حُدُودَ الْإِسْلَامِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ  
 بَعَثَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ الْعَشْرَةَ فَمِنْ بَعْدِهِمْ فَمَا اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ وَوُشِجَتْ عُرُوقُ  
 الْأُمَّةِ حَتَّى تَنَاوَلَهَا الْأُمَمُ الْبَعِيدَةُ مِنْ أَيْدِي أَهْلِهَا وَاسْتَحَالَتْ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ أَحْوَالُهَا  
 وَكَثُرَ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ النُّصُوصِ لِتَعَدُّدِ الْوَفَائِعِ وَتَلَاخُفِهَا فَاجْتَنَابَ  
 ذَلِكَ لِقَانُونٍ يَحْفَظُهُ مِنَ الْخَطَايَا وَصَارَ الْعِلْمُ مَلَكَةً يَحْتَاجُ إِلَى التَّعْلِيمِ فَأَصْبَحَ مِنْ جُمْلَةِ  
 الصَّنَائِعِ وَالْحِرَفِ كَمَا بَأْتِي ذِكْرُهُ فِي فَصْلِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَاشْتَغَلَ أَهْلُ الْعَصَبِيَّةِ بِالْقِيَامِ  
 بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ فَدَفِعَ لِعِلْمٍ مَنْ قَامَ بِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَصْبَحَ حِرْفَةً لِلْمَعَاشِ وَشِجَتْ  
 أَنْفُ الْمُتَرْفِينَ وَأَهْلُ السُّلْطَانِ عَنِ التَّصَدِّيِّ لِلتَّعْلِيمِ وَأَخْتَصَّ اتِّجَالُهُ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ  
 وَصَارَ مُتَحَلِّهُ مُخَقَّرًا عِنْدَ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْمُلْكِ وَالْحِجَااجُ بْنُ يُوسُفَ كَانَ أَبُوهُ مِنْ سَادَاتِ  
 ثَقِيفٍ وَأَشْرَافِهِمْ وَمَكَانَهُمْ مِنْ عَصَبِيَّةِ الْعَرَبِ وَمُنَاهِضَةً فُرِشَ فِي الشَّرَفِ مَا عَلِمَتْ وَلَمْ  
 يَكُنْ تَعْلِيمُهُ لِلْقُرْآنِ عَلَى مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ إِيذًا الْعَهْدِ مِنْ أَنَّهُ حِرْفَةٌ لِلْمَعَاشِ وَإِنَّمَا  
 كَانَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنَ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فِي الْإِسْلَامِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا مَا يَتَوَهَّمُهُ  
 الْمُتَصَفِّحُونَ لِكُتُبِ التَّارِيخِ إِذَا سَمِعُوا أَحْوَالَ الْقُضَاةِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الرَّئَاسَةِ فِي  
 الْحُرُوبِ وَقُودِ الْعَسَاكِرِ فَتَرَامَى بِهِمْ وَسَاوِسُ الْهَمِّ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الرُّتَبِ يَحْسَبُونَ أَنَّ  
 الشَّيْءَ خِطَّةُ الْقَضَاءِ إِيذًا الْعَهْدِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَيَظُنُّونَ بِأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبِ



هشام المستنبد عليه وآبن عباد من ملوك الطوائف بأشبيلية إذا سمعوا أن آباءهم كانوا قضاة عنهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضاء من مخالفة العوائد كما نبينه في فصل القضاء من الكتاب الأول وآبن أبي عامر وآبن عباد كانا من قبائل العرب القائمين بالدولة الأموية بالاندلس وأهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرئاسة والملك بخطئة القضاء كما هي لهذا العهد بل إنما كان القضاء في الأمر القديم لأهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا بالمغرب وأنظر خروجهم بالعساكر في الطوائف وتقليدهم عظام الأمور التي لا تقلد إلا لمن له الغنى فيها بالعصبية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الأحوال على غير ما هي وأكثر ما يقع في هذا الغلط ضعف البصائر من أهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم منذ أعصار بعيدة بفناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة أهل العصبية<sup>(١)</sup> من البربر فبقيت أنسابهم العربية محفوظة والذريعة إلى العز من العصبية والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورئعوا للمدلة يحسبون أن أنسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون لهم بها الغلب والتحكم فتجد أهل الحرف والصنائع منهم متصددين لذلك ساعين في نيله فأما من بأشر أحوال القبائل والعصبية ودولتهم بالعدوة الغربية وكيف يكون التغلب بين الأمم والعشائر فقلما يغلطون في ذلك ويخطئون في اعتباره . ومن هذا الباب أيضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول وتسق ملوكها فيذكرون أسماء ونسبه وآباء وأمه ونساءه ولقبه وخاتمة وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون

(١) العصبية بتفتين التعصب وهو أن يلب الرجل عن حريم صاحبه ويشهر عن مآق الجهد في نصره منسوبة إلى العصبية محركة وهم أقارب الرجل من قبل أيولانهم هم الذابون عن حريم من هو منهمام وهي بهذا المعنى ممدوحة وإما العصبية المذمومة في الحديث الجراح الصغير ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية فهي تعصب رجال لقبيلة على رجال لقبيلة أخرى لغير ديانة كما كان يقع من قيام سعد على حرام نسبة إلى العصبية بمعنى قوم الرجل الذين ينصبون له ولو من غير أقاربه ظالما كان أو مظلوما وفي الفتاوي الخيرية من موانع قول الشهادة العصبية وهي أن يبيض الرجل الرجل لانه من بني فلان أو من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ارتكاب المحرم في الحديث ليس منا من دعي إلى عصبية وهو موجب للنسق ولا شهادة لمركبه . قاله الاستاذ أبو الوفا اه



تَوَارِيخُهُمْ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَأَبْنَاؤُهَا مُتَشَوِّفُونَ إِلَى سِيرِ أَسْلَافِهِمْ وَمَعْرِفَةِ أَسْوَائِهِمْ لِيَقْتَفُوا  
آثَارَهُمْ وَيَتَسَجَّعُوا عَلَى مَنَاقِبِهِمْ حَتَّى فِي أَصْطِنَاعِ الرِّجَالِ مِنْ خَلْفِ دَوْلَتِهِمْ وَتَقْلِيدِ  
الْخَطِّ وَالْمَرَاتِبِ لِأَبْنَاءِ صَنَائِعِهِمْ وَذَوِيهِمْ وَالْقَضَاءِ أَيْضًا كَانُوا مِنْ أَهْلِ عَصِيَّةِ الدَّوْلَةِ  
وَفِي عِدَادِ الْوُزَرَاءِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ لَكَ فَيَحْتَاجُونَ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَمَّا حِينَ تَبَايَنَتِ  
الدُّوَلُ وَتَبَاعَدَ مَا بَيْنَ الْعُصُورِ وَوَقَفَتِ الْغُرُضُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْمُلُوكِ بِأَنْفُسِهِمْ خَاصَّةً وَنَسَبِ  
الدُّوَلِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِي قُوَّتِهَا وَغَلَبَتِهَا وَمَنْ كَانَ يُنَاقِضُهَا مِنَ الْأُمَمِ أَوْ يَقْصِرُ عَنْهَا فَمَا  
الْفَائِدَةُ لِلْمُصَنِّفِ فِي هَذَا الْعَهْدِ فِي ذِكْرِ الْأَبْنَاءِ وَالنِّسَاءِ وَتَنْقِشِ الْخَاتَمِ وَاللَّقَبِ وَالْقَاضِي  
وَالْوَزِيرِ وَالْحَاجِبِ مِنْ دَوْلَةٍ قَدِيمَةٍ لَا يَعْرِفُ فِيهَا أَصُولَهُمْ وَلَا أَنْسَابَهُمْ وَلَا مَقَامَتَهُمْ  
إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ التَّقْلِيدُ وَالْعَقْلَةُ عَنْ مَقَاصِدِ الْمُؤَلِّفِينَ الْأَقْدَمِينَ وَالذُّهُولُ عَنْ تَحَرِّيِ  
الْأَغْرَاضِ مِنَ التَّارِيخِ اللَّهُمَّ إِلَّا ذَكَرَ الْوُزَرَاءَ الَّذِينَ عَظُمَتْ آثَارُهُمْ وَعَفَّتْ عَنْ الْمُلُوكِ  
أَخْبَارُهُمْ كَالْحِجَّاجِ وَبَنِي الْمُهَلَّبِ وَالْبَرَامِكَةِ وَبَنِي سَهْلِ بْنِ نُوحٍ وَكَافُورَ الْأَخْشِيدِيِّ  
وَأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَمْثَالِهِمْ فَغَيْرُ نَكِيرِ الْأَلْمَاعِ بِأَبَائِهِمْ وَالْإِشَارَةُ إِلَى أَسْوَائِهِمْ لِانْتِظَامِهِمْ  
فِي عِدَادِ الْمُلُوكِ . وَلَنْذَكُرَ هُنَا فَائِدَةً نَحْنُ كَلَامَنَا فِي هَذَا الْفَصْلِ بِهَا وَهِيَ أَنَّ التَّارِيخَ  
إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ الْأَخْبَارِ الْخَاصَّةِ بِعَصْرِ أَوْ جِيلٍ فَأَمَّا ذِكْرُ الْأَحْوَالِ الْعَامَّةِ لِلْأَفَاقِ  
وَالْأَجْيَالِ وَالْأَعْصَارِ فَهُوَ أَسْهُلُ لِلْمُؤَرِّخِ تَنْبِيهِ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مَقَاصِدِهِ وَتَبَيَّنَ بِهِ أَخْبَارُهُ  
وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يُفَرِّدُونَهُ بِالتَّأْلِيفِ كَمَا فَعَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي كِتَابِ مَرْوَجِ الذَّهَبِ شَرَحَ  
فِيهِ أَحْوَالَ الْأُمَمِ وَالْأَفَاقِ لِعَهْدِهِ فِي عَصْرِ الثَّلَاثِينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ غَرْبًا وَشَرْقًا وَذَكَرَ  
مَحَلَّهُمْ وَعَوَائِدَهُمْ وَوَصَفَ الْبُلْدَانَ وَالْجِبَالَ وَالْبَحَارَ وَالْمَمَالِكَ وَالْدُّوَلِ وَفَرَّقَ شُعُوبَ  
الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ فَصَارَ إِمَامًا لِلْمُؤَرِّخِينَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَأَصْلًا يُعَوِّلُونَ فِي تَحْقِيقِ الْكَثِيرِ  
مِنْ أَخْبَارِهِمْ عَلَيْهِ ثُمَّ جَاءَ الْبُكْرِيُّ مِنْ بَعْدِهِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ  
خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ الْأُمَمَ وَالْأَجْيَالَ لِعَهْدِهِ لَمْ يَقَعْ فِيهَا كَثِيرٌ ائْتِقَالَ  
وَلَا عَظِيمٌ تَغْيِيرًا وَأَمَّا لِهَذَا الْعَهْدِ وَهُوَ آخِرُ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ فَقَدْ ائْتَقَلَّتْ أَحْوَالُ الْمَغْرِبِ  
الَّذِي نَحْنُ شَاهِدُوهُ وَبَدَّلَتْ بِالْجُمْلَةِ وَأَعْتَاضَ مِنْ أَجْيَالِ الْبَرَبَرِ أَهْلُهُ عَلَى الْقِدَمِ بِمَا  
طَرَأَ فِيهِ مِنْ لَدُنِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ أَجْيَالِ الْعَرَبِ بِمَا كَسَرُوهُمْ وَغَلَبَوْهُمْ وَانْتَزَعُوا مِنْهُمْ  
عَامَّةَ الْأَوْطَانِ وَشَارَكُوهُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنَ الْبُلْدَانِ لِمَلِكِهِمْ هَذَا إِلَى مَا نَزَلَ بِالْعُمَرَانِ



شَرْقًا وَغَرْبًا فِي مُنْتَصَفِ هَذِهِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الطَّاعُونَ الْجَارِفِ الَّذِي تَحَيَّفَ الْأُمَمُ  
 وَذَهَبَ بِأَهْلِ الْجِيلِ وَطَوَى كَثِيرًا مِنْ مُحَاسِنِ الْعُمَرَانِ وَمَحَاهَا وَجَاءَ لِلدُّوَلِ عَلَى حِينِ  
 هَرَمِهَا وَبُلُوغِ الْغَايَةِ مِنْ مَدَاهَا فَقَلَصَ مِنْ ظِلَالِهَا وَقَلَّ مِنْ حَدِّهَا وَأَوْهَنَ مِنْ سُلْطَانِهَا  
 وَتَدَاعَتْ إِلَى التَّلَاشِي وَالْإِضْمِحَالِ أَمْوَالُهَا وَانْتَقَضَ عُمَرَانُ الْأَرْضِ بِانْتِقَاضِ الْبَشَرِ  
 فَخَرِبَتِ الْأَمْصَارُ وَالْمَصَانِعُ وَدُرِسَتْ السُّبُلُ وَالْمَعَالِمُ وَخَلَّتِ الدِّيَارُ وَالْمَنَازِلُ وَضَعُفَتْ  
 الدُّوَلُ وَالْقَبَائِلُ وَتَبَدَّلَ السَّاكِنُ وَكَأَنِّي بِالْمَشْرِقِ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِالْمَغْرِبِ  
 لِيَكُنْ عَلَى نِسْبَتِهِ وَمِقْدَارِ عُمَرَانِهِ وَكَأَنَّمَا نَادَى لِسَانُ الْكَوْنِ فِي الْعَالَمِ بِالْأُشْمُولِ  
 وَالْإِنْقِبَاضِ فَبَادَرَ بِالْإِجَابَةِ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِذَا تَبَدَّلَتِ الْأَحْوَالُ  
 جُمْلَةً فَكَأَنَّمَا تَبَدَّلَ الْخَلْقُ مِنْ أَصْلِهِ وَتَحَوَّلَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ وَكَأَنَّهُ خَلَقَ جَدِيدًا وَنَشَأَ  
 مُسْتَأْنَفَةً وَعَالَمٌ مُحَدَّثٌ فَاحْتَاجَ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ بُدُونِ أَحْوَالِ الْخَلِيقَةِ وَالْآفَاقِ وَأَجْيَالِهَا  
 وَالْعَوَائِدِ وَاللَّحْلِ الَّتِي تَبَدَّلَتْ لِأَهْلِهَا وَيَقْفُو مَسَلَكَ الْمَسْعُودِي لِعَصْرِهِ لِيَكُونَ أَصَلًا يَقْتَدِي  
 بِهِ مَنْ يَأْتِي مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنَا ذَاكَ كَرِّ فِي كِتَابِي هَذَا مَا أُمَكِّنِي مِنْهُ فِي هَذَا  
 الْقَطْرِ الْمَغْرِبِيِّ إِمَّا صَرِيحًا أَوْ مُنْدرَجًا فِي أَخْبَارِهِ وَتَلَوِيحًا لِإِخْتِصَاصِ قَصْدِي فِي  
 التَّأْلِيفِ بِالْمَغْرِبِ وَأَحْوَالِ أَجْيَالِهِ وَأُمَمِهِ وَذَكَرَ مِمَّا يَكُنِي وَدَوْلِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ  
 الْأَقْطَارِ لِعَدَمِ أَطْلَاعِي عَلَى أَحْوَالِ الْمَشْرِقِ وَأُمَمِهِ وَأَنَّ الْأَخْبَارَ الْمُتَنَاقِلَةَ لَا تَنِي كُنْهَ  
 مَا أُرِيدُهُ مِنْهُ وَالْمَسْعُودِي إِنَّمَا اسْتَوْفَى ذَلِكَ لِبُعْدِ رِحْلَتِهِ وَثِقَلِهِ فِي الْبِلَادِ كَمَا ذَكَرَ  
 فِي كِتَابِهِ مَعَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْمَغْرِبَ قَصَرَ فِي اسْتِيفَاءِ أَحْوَالِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ  
 عَلِيمٍ وَمَرَدُّ الْعِلْمِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ وَالْبَشَرُ عَاجِزٌ قَاصِرٌ وَالْإِعْتِرَافُ مُتَعَيِّنٌ وَاجِبٌ وَمَنْ كَانَ  
 اللَّهُ فِي عَوْنِهِ تَبَسَّرَتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ وَأُنْجِحتْ لَهُ الْمَسَاعِي وَالْمَطَالِبُ وَنَحْنُ آخِذُونَ  
 بِعَوْنِ اللَّهِ فِيمَا رُمِنَاهُ مِنْ أَغْرَاضِ التَّأْلِيفِ وَاللَّهُ الْمُسَدِّدُ وَالْمُعِينُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ  
 وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نُقَدِّمَ مُقَدِّمَةً فِي كَيْفِيَّةِ وَضْعِ الْحُرُوفِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ  
 إِذَا عَرَضَتْ فِي كِتَابِنَا هَذَا

اعْلَمَ أَنَّ الْحُرُوفَ فِي النُّطْقِ كَمَا بَأْتِي شَرْحُهُ بَعْدُ هِيَ كَيْفِيَّاتُ الْأَصْوَاتِ الْخَارِجَةِ  
 مِنَ الْحَنَاجِرَةِ تَعْرِضُ مِنْ تَقْطِيعِ الصَّوْتِ بِقَرَعِ اللِّهَاقِ وَأَطْرَافِ اللِّسَانِ مَعَ الْحَنَكِ وَالْحَلْقِ  
 وَالْأَفْهَرَسِ أَوْ بِقَرَعِ الشِّفَتَيْنِ أَيْضًا فَتَتَغَايَرُ كَيْفِيَّاتُ الْأَصْوَاتِ بِتَغَايُرِ ذَلِكَ الْقَرَعِ



وشبه الحروف متميزة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر  
 وليست الامة كلها متساوية في النطق بتلك الحروف فقد يكون لامة من الحروف ما  
 ليس لامة اخرى والحروف التي نطق بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفا كما عرفت  
 ونجد للعبرانيين حروفا ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضا حروف ليست في لغتهم وكذلك  
 الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان اهل الكتاب من العرب  
 اضطلحوا في الدلالة على حروفهم المستعملة بأوضاع حروف مكتوبة متميزة بأشخاصها  
 كوضع الف وباء وجيم وراء وطاء إلى آخر الثمانية والعشرين وإذا عرض لهم  
 الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي منهملا عن الدلالة الكتابية مغفلا عن البيان  
 وربما يرسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يكتفه من لغتنا قبله أو بعده  
 وليس يكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من أصله ولما كان كتابنا مشتعلا على  
 أخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في أمماتهم أو بعض كلماتهم حروف  
 ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح أوضاعنا اضطرننا إلى بيانه ولم نكتف برسم  
 الحرف الذي يليه كما قلناه لأنه عندنا غير واف بالدلالة عليه فأضطلحت في كتابي هذا  
 على أن أضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتفانه ليتوسط  
 القارىء بالنطق به بين مخارجي ذينك الحرفين فتحصل نأديته وإنه ما اقتبست ذلك من  
 رسم أهل المصنف حروف الاثنام كالصراط في قراءة خاف فإن النطق بصاد  
 فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي  
 ودل ذلك عندهم على المتوسط بين الحرفين فكذلك رسمت أنا كل حرف يتوسط بين  
 حرفين من حروفنا كالصراط المتوسط عند البربر بين الكاف الصريمية عندنا  
 والجيم أو القاف مثل اسم بلكين فأضعها كافا وأعطيتها بنقطة الجيم واحدة من أسنل  
 أو بنقطة القاف واحدة من فوق أو اثنتين فيدل ذلك على أنه متوسط بين الكاف  
 والجيم أو القاف وهذا الحرف أكثر ما يجيء في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى  
 هذا القياس أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارىء  
 أنه متوسط فينطق به كذلك فتكون قد دللتنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد  
 عن جانبه لكان قد حذفناه من مخرجه إلى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا



لُغَةِ الْقَوْمِ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ

## الكتاب الاول

في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب  
والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

اعلم انه لما كانت حقيقة التأثير انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو  
عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس  
والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك  
والدول ومراتبها وما يتحمله البشر باعمالهم ومسايعهم من الكسب والمعاش والعلوم  
والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الاحوال ولما كان الكذب  
مُتَطَرِّقًا لِلْخَبَرِ بِطَبِيعَتِهِ وَلَهُ اسبابٌ مُقْتَضِيَةٌ . فَمِنْهَا التَّشَبُّعَاتُ لِلْآرَاءِ وَالْمَذَاهِبِ فَإِنَّ  
النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ عَلَى حَالِ الْإِعْتِدَالِ فِي قَبُولِ الْخَبَرِ أَعْطَتْهُ حَقَّهُ مِنَ التَّحْيِصِ وَالنَّظَرِ  
حَتَّى تَبَيَّنَ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ وَإِذَا حَاطَرَهَا تَشَبُّعٌ لِرَأْيٍ أَوْ نَحْلَةٍ قَبِلَتْ مَا يُوَافِقُهَا مِنْ  
الْأَخْبَارِ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَكَانَ ذَلِكَ الْمَيْلُ وَالتَّشَبُّعُ غَطَاءً عَلَى عَيْنِ بَصِيرَتِهَا عَنِ الْإِنْتِقَادِ  
وَالْتَحْيِصِ فَتَقَعُ فِي قَبُولِ الْكَذِبِ وَتَقْلِبُ . وَمِنْ الْأَسْبَابِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلْكَذِبِ فِي الْأَخْبَارِ  
إِيضًا التَّيَقُّنُ بِالنَّاقِلِينَ وَتَحْيِصُ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى التَّعْدِيلِ وَالتَّجَرُّبِ . وَمِنْهَا الذُّهُولُ عَنْ  
الْمَقَاصِدِ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاقِلِينَ لَا يَعْرِفُ الْقَصْدَ بِمَا عَايَنَ أَوْ سَمِعَ وَيَنْقُلُ الْخَبَرَ عَلَى مَا فِي  
ظَنِّهِ وَتَحْمِينِهِ فَيَقَعُ فِي الْكَذِبِ . وَمِنْهَا تَوَهُمُ الصِّدْقِ وَهُوَ كَثِيرٌ وَإِنَّمَا يَجِيءُ فِي الْأَكْثَرِ  
مِنْ جِهَةِ الثَّقَةِ بِالنَّاقِلِينَ وَمِنْهَا الْجَهْلُ بِتَطْيِيقِ الْأَحْوَالِ عَلَى الْوَقَائِعِ لِأَجْلِ مَا يُدَاخِلُهَا مِنَ  
الْثَلَاثِ وَالْتَّصَنُّعِ فَيَنْقُلُهَا الْخَبَرُ كَمَا رَأَاهَا وَهِيَ بِالتَّصَنُّعِ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فِي نَفْسِهِ . وَمِنْهَا  
تَقَرُّبُ النَّاسِ فِي الْأَكْثَرِ لِأَصْحَابِ التَّجَلَّةِ وَالْمَرَاتِبِ بِالنِّسَاءِ وَالْمَدْحِ وَتَحْسِينِ الْأَحْوَالِ  
وَإِشَاعَةِ الذِّكْرِ بِذَلِكَ فَيَسْتَفِيزُ الْأَخْبَارُ بِهَا عَلَى غَيْرِ حَقِيقَةٍ فَالْثُّفُوسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ  
النِّسَاءِ وَالنَّاسُ مُتَطَلِّعُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا مِنْ جَاهٍ أَوْ ثَرْوَةٍ وَلَيْسُوا فِي الْأَكْثَرِ بِرَاعِيِينَ  
فِي الْفَضَائِلِ وَلَا مُتَنَافِسِينَ فِي أَهْلِهَا . وَمِنْ الْأَسْبَابِ الْمُقْتَضِيَةِ لَهُ أَيْضًا رَهْيٌ سَابِقَةٌ عَلَى  
جَمِيعِ مَا تَقْدَمُ الْجَهْلُ بِطَبَائِعِ الْأَحْوَالِ فِي الْعُمُرَانِ فَإِنَّ كُلَّ حَادِثٍ مِنَ الْحَوَادِثِ



ذَاتًا كَانَ أَوْ فِعْلًا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ طَبِيعَةٍ تَخْصُهُ فِي ذَاتِهِ وَفِيَا يَعْزُضُ لَهُ مِنْ أَحْوَالِهِ فَإِذَا  
 كَانَ السَّامِعُ عَارِفًا بِطَبَائِعِ الْحَوَادِثِ وَالْأَحْوَالِ فِي الوجودِ وَمُقَضِّيًاهَا أَعَانَهُ ذَلِكَ فِي  
 تَمْيِيزِ الْخَبَرِ عَلَى تَمْيِيزِ الصِّدْقِ مِنَ الْكُذِّبِ وَهَذَا أُبْلَغُ فِي التَّخْصِصِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ  
 يَعْزُضُ وَكَثِيرًا مَا يَعْزُضُ لِلْسَّامِعِينَ قَبُولُ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ وَبِنَقْلُونَهَا وَتَوَثُّرُ عَنْهُمْ كَمَا  
 نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ عَنْ الْأَسْكَنْدَرِ لَمَّا صَدَّتْهُ دَوَابُّ الْبَحْرِ عَنْ بِنَاءِ الْأَسْكَنْدَرِيَّةِ وَكَيْفَ  
 اخْتَذَ صُنْدُوقَ الزُّجَاجِ وَغَاصَ فِيهِ إِلَى قَعْرِ الْبَحْرِ حَتَّى صَوَّرَ تِلْكَ الدَّوَابَّ الشَّيْطَانِيَّةَ الَّتِي  
 رَأَاهَا وَعَمِلَ تَمَائِيلَهَا مِنْ أَجْسَادِ مَعْدِنِيَّةٍ وَنَصَبَهَا حِذَاءَ الْبُنْيَانِ فَفَرَّتْ تِلْكَ الدَّوَابُّ حِينَ  
 خَرَجَتْ وَعَايَنَتْهَا وَتَمَّ بِنَاؤُهَا فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ مِنْ أَحَادِيثِ خُرَافَةِ مُسْتَحِيلَةٍ مِنْ قَبْلِ  
 اخْتِزَازِهِ التَّابُوتَ الزُّجَاجِيَّ وَمُضَادَمَةِ الْبَحْرِ وَأَمَّا وَجْهُ مُجْرِمِهِ وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْمَلُوكَ لَا تَحْمِلُ  
 أَنْفُسَهَا عَلَى مِثْلِ هَذَا الْغُرُورِ وَمَنْ اعْتَمَدَهُ مِنْهُمْ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلِهَآكَةِ وَانْتِقَاضِ  
 الْعُقْدَةِ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ إِلَى غَيْرِهِ وَفِي ذَلِكَ اتِّلَافُهُ وَلَا يَنْتَظِرُونَ بِهِ رُجُوعَهُ مِنْ غُرُورِهِ  
 ذَلِكَ طَرَفَةٌ عَيْنٍ وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْجِنَّ لَا يَعْرِفُ لَهَا صُورًا وَلَا تَمَائِيلَ تَخْتَصُّ بِهَا إِنَّمَا هِيَ  
 قَادِرَةٌ عَلَى التَّشَكُّلِ وَمَا بُدِّكَرُ مِنْ كَثَرَةِ الرُّؤُوسِ لَهَا فَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الْبَشَاعَةُ  
 وَالتَّهْوِيلُ لِأَنَّهُ حَقِيقَةٌ . وَهَذِهِ كُلُّهَا قَادِحَةٌ فِي تِلْكَ الْحِكَايَةِ وَالْقَادِحُ الْحُجْلُ لَهَا مِنْ  
 طَرِيقِ الوجودِ أَتَيْنُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَهُوَ أَنَّ الْمُتَنَفِّسَ فِي الْمَاءِ وَلَوْ كَانَ فِي الصُّنْدُوقِ  
 يَضِيقُ عَلَيْهِ الْهَوَاءُ لِلتَّنَفُّسِ الطَّبِيعِيِّ وَتَسْخُنُ رُوحُهُ بِسُرْعَةٍ لِقَلْبِهِ فَيَفْقَدُ صَاحِبُهُ الْهَوَاءَ  
 الْبَارِدَ الْمُعَدَّلَ لِمِزَاجِ الرِّثَةِ وَالرُّوحِ الْقَلْبِيِّ وَيَهْلِكُ مَكَانَهُ وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي هَلَاكِ  
 أَهْلِ الْحَمَامَاتِ إِذَا أُطْبِقَتْ عَلَيْهِمْ عَنِ الْهَوَاءِ الْبَارِدِ وَالْمُتَدَلِّينَ فِي الْآبَارِ وَالْمَطَامِيرِ  
 الْعَمِيقَةِ الْمَهْوَى إِذَا سَخُنَ هَوَاؤُهَا بِالْعَفْوَةِ وَلَمْ تُدَاخِلْهَا الزِّيَاحُ فَتَخْلُجْهَا فَإِنَّ الْمُتَدَلِّ  
 فِيهَا يَهْلِكُ لِحَيْثِهِ وَبِهَذَا السَّبَبِ يَكُونُ مَوْتُ الْحَوْتِ إِذَا فَارَقَ الْبَحْرَ فَإِنَّ الْهَوَاءَ لَا يَكْفِيهِ  
 فِي تَعْدِيلِ رِثَتِهِ إِذْ هُوَ حَارٌّ بِإِفْرَاطٍ وَالْمَاءُ الَّذِي يُعَدِّلُهُ بَارِدٌ وَالْهَوَاءُ الَّذِي خَرَجَ إِلَيْهِ  
 حَارٌّ فَيَسْتَوِلِي الْحَارُّ عَلَى رُوحِهِ الْحَيَوَانِيِّ وَيَهْلِكُ دَفْعَةً وَمِنْهُ هَلَاكُ الْمَصْعُوقِينَ وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا فِي تِمَثَالِ الزَّرْزُورِ الَّذِي بِرُومَةٍ  
 تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الزَّرَازِيرُ فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ مِنَ السَّنَةِ حَامِلَةً لِلزَّيْتُونِ وَمِنْهُ يَتَّخِذُونَ زَيْتَهُمْ  
 وَانْظُرْ مَا أَبْعَدَ ذَلِكَ عَنِ الْعَجْزِ الطَّبِيعِيِّ فِي اخْتِزَازِ الزَّيْتِ وَمِنْهَا مَا نَقَلَهُ الْبَكْرِيُّ



فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُسَمَّاةِ ذَاتِ الْأَبْوَابِ تُحِيطُ بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ مَرَحَلَةً وَتَشْتَمِلُ عَلَى  
 عَشْرَةِ آلَافِ بَابٍ وَالْمَدُنُ إِنَّمَا أُتُخِذَتْ لِلتَّحَصُّنِ وَالْإِعْتِصَامِ كَمَا بَيَّأَنِي وَهَذِهِ خَرَجَتْ  
 عَنْ أَنْ يُحَاطَ بِهَا فَلَا يَكُونُ فِيهَا حُصْنٌ وَلَا مُعْتَصِمٌ وَكَمَا ثَقَّلَهُ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا فِي حَدِيثٍ  
 مَدِينَةَ الثُّحَاسِ وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ كُلُّ بِنَائِهَا ثُحَاسٌ بِصَحْرَاءَ سَجْلَمَاسَةَ ظَفَرَ بِهَا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ  
 فِي غَزْوَتِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّهَا مُغْلَقَةُ الْأَبْوَابِ وَأَنَّ الصَّاعِدَ إِلَيْهَا مِنْ أَسْوَارِهَا إِذَا أَشْرَفَ  
 عَلَى الْحَائِطِ صَفَّقَ وَرَمَى بِنَفْسِهِ فَلَا يَرْجِعُ آخِرَ الدَّهْرِ فِي حَدِيثٍ مُسْتَحِيلٍ عَادَةً مِنْ  
 خُرَافَاتِ الْقُصَاصِ وَصَحْرَاءَ سَجْلَمَاسَةَ قَدْ نَقَضَهَا الرُّكَّابُ وَالْأَدْلَاءُ وَلَمْ يَقِفُوا لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ  
 عَلَى خَبَرٍ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الَّتِي ذَكَرُوا عَنْهَا كُلُّهَا مُسْتَحِيلٌ عَادَةً مُنَافٍ لِلْأُمُورِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ فِي بِنَاءِ الْمَدُنِ وَاخْتِطَاطِهَا وَأَنَّ الْمَعَادِنَ غَايَةُ الْمَوْجُودِ مِنْهَا أَنْ يُصْرَفَ فِي  
 الْإِنْيَةِ وَالْخُرْقَى<sup>(١)</sup> وَأَمَّا تَشْيِيدُ مَدِينَةٍ مِنْهَا فَكَمَا تَرَاهُ مِنَ الْإِسْتِحَالَةِ وَالْبَعْدِ وَأَمثالُ  
 ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَتَمْجِيسُهُ إِنَّمَا هُوَ بِمَعْرِفَةِ طَبَائِعِ الْعُمَرَانِ وَهُوَ أَحْسَنُ الْوُجُوهِ وَأَوْثَقُهَا  
 فِي تَمْجِيسِ الْأَخْبَارِ وَتَمْيِيزِ صِدْقِهَا مِنْ كَذِبِهَا وَهُوَ سَابِقٌ عَلَى التَّمْجِيسِ بِتَعْدِيلِ الرُّوَاةِ  
 وَلَا يَرْجِعُ إِلَى تَعْدِيلِ الرُّوَاةِ حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْخَبَرَ فِي نَفْسِهِ مُمَكِّنٌ أَوْ مُمْتَنِعٌ وَأَمَّا  
 إِذَا كَانَ مُسْتَحِيلًا فَلَا فَائِدَةَ لِلنَّظَرِ فِي التَّعْدِيلِ وَالتَّجْرِيعِ وَلَقَدْ عَدَّ أَهْلُ النَّظَرِ مِنَ  
 الْمَطَاعِينَ فِي الْخَبَرِ اسْتِحَالَةَ مَذْلُولِ اللَّفْظِ وَتَأْوِيلَهُ بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَإِنَّمَا  
 كَانَ التَّعْدِيلُ وَالتَّجْرِيعُ هُوَ الْمُعْتَبَرُ فِي صِحَّةِ الْأَخْبَارِ الشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّ مُعْظَمَهَا تَكَالِيفُ  
 إِنْشَائِيَّةٌ أَوْجَبَ الشَّارِعُ الْعَمَلَ بِهَا حَتَّى حَصَلَ الظَّنُّ بِصِدْقِهَا وَسَبِيلُ صِحَّةِ الظَّنِّ الثِّقَّةُ  
 بِالرُّوَاةِ بِالْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ . وَأَمَّا الْأَخْبَارُ عَنِ الْوَاقِعَاتِ فَلَا بُدَّ فِي صِدْقِهَا وَصِحَّتِهَا مِنْ  
 اعْتِبَارِ الْمُطَابَقَةِ فَلِذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يُنْظَرَ فِي إِمْكَانِ وَفُوعِهِ وَصَارَ فِيهَا ذَلِكَ أَهَمُّ مِنَ  
 التَّعْدِيلِ وَمُقَدِّمًا عَلَيْهِ إِذَا فَائِدَةُ الْإِنْشَاءِ مُقْبَسَةٌ مِنْهُ فَقَطْ وَفَائِدَةُ الْخَبَرِ مِنْهُ وَمِنْ الْخَارِجِ  
 بِالْمُطَابَقَةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْقَانُونُ فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ بِالْإِمْكَانِ  
 وَالْإِسْتِحَالَةِ أَنْ تَنْظُرُ فِي الْإِجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي هُوَ الْعُمَرَانُ وَتُمَيِّزَ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ  
 الْأَحْوَالِ لِذَاتِهِ وَبِمُقْتَضَى طَبْعِهِ وَمَا يَكُونُ عَارِضًا لَا يُعْتَدُّ بِهِ وَمَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْرِضَ  
 لَهُ وَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ كَانَ ذَلِكَ لَنَا قَانُونًا فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ وَالصِّدْقِ

(١) الخرقى بالضم اثاث البيت اه قاموس



مِنَ الْكَذِبِ بِوَجْهِ بُرْهَانِي لَا مَدْخَلَ لِلشَّكِّ فِيهِ وَحِينَئِذٍ فَإِذَا سَمِعْنَا عَنْ شَيْءٍ مِنْ  
 الْأَحْوَالِ الْوَاقِعَةِ فِي الْعُمُرَانِ عَلِمْنَا مَا نَحْكُمُ بِقَبُولِهِ مِمَّا نَحْكُمُ بِتَرْكِيفِهِ وَكَانَ ذَلِكَ  
 لَنَا مَعْيَارًا صَحِيحًا يَتَجَرَّى بِهِ الْمُؤَرِّخُونَ طَرِيقَ الصِّدْقِ وَالصَّوَابِ فِيمَا يَقُولُونَهُ وَهَذَا هُوَ  
 غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ مِنْ تَأْلِيفِنَا وَكَانَ هَذَا عِلْمٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ ذُو مَوْضُوعٍ  
 وَهُوَ الْعُمُرَانُ الْبَشَرِيُّ وَالْإِجْتِمَاعُ الْإِنْسَانِيُّ وَذَوُ مَسَائِلَ وَهِيَ بَيَانُ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْعَوَارِضِ  
 وَالْأَحْوَالِ لِلذَّاتِ وَاحِدَةٍ بَعْدَ أُخْرَى وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ وَضَعِيًّا كَانَ أَوْ  
 عَقْلِيًّا. وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْغَرَضِ مُسْتَحْدَثُ الصَّنْعَةِ غَرِيبُ الزَّرْعَةِ عَزِيزُ الْفَائِدَةِ  
 أَغْنَى عَنْهُ الْبَحْثُ وَأَدَّى إِلَيْهِ الْغَوْصُ وَلَيْسَ مِنْ عِلْمِ الْخِطَابَةِ إِنَّمَا هُوَ الْأَقْوَالُ الْمَقْنَعَةُ  
 النَّافِعَةُ فِي اسْتِمَالَةِ الْجُمْهُورِ إِلَى وَائِي أَوْ صَدِّهِمْ عَنْهُ وَلَا هُوَ أَيْضًا مِنْ عِلْمِ السِّيَاسَةِ  
 الْمَدِينَةِ إِذِ السِّيَاسَةُ الْمَدِينِيَّةُ هِيَ تَدْبِيرُ الْمَنْزِلِ أَوِ الْمَدِينَةِ بِمَا يَجِبُ بِمُقْتَضَى الْأَخْلَاقِ  
 وَالْحِكْمَةِ لِجَمَلِ الْجُمْهُورِ عَلَى مَتَاجِرٍ يَكُونُ فِيهِ حِفْظُ النَّوعِ وَبَقَاؤُهُ فَقَدْ خَالَفَتْ  
 مَوْضُوعَهُ مَوْضُوعَ هَذَيْنِ الْفَنَيْنِ الَّذِينَ رُبَّمَا يُشَبِّهَانِهِ وَكَانَهُ عِلْمٌ مُسْتَنْبِطُ النَّشْأَةِ وَلَعَمْرِي  
 لَمْ أَقِفْ عَلَى الْكَلَامِ فِي مَنْحَاهُ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلِيقَةِ مَا أَذْرِي الْغَفْلَتِهِمْ عَنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ  
 الظَّنُّ بِهِمْ أَوْ لَعَلَّهُمْ كَتَبُوا فِي هَذَا الْغَرَضِ وَاسْتَوْفَوْهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا فَالْعُلُومُ كَثِيرَةٌ  
 وَالْحِكْمَةُ فِي أَمِّ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ مُتَعَدِّدُونَ وَمَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنَ الْعُلُومِ أَكْثَرُ  
 بِمَا وَصَلَ فَأَيْنَ عُلُومُ الْفُرْسِ الَّتِي أَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِحَبْوِهَا عِنْدَ الْفَتْحِ وَأَيْنَ عُلُومُ  
 الْبَلْخَانِيِّينَ وَالسَّرِيَانِيِّينَ وَأَهْلِ بَابِلَ وَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَثَارِهَا وَنَتَائِجِهَا وَأَيْنَ عُلُومُ  
 الْقَيْطِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ وَإِنَّمَا وَصَلَ إِلَيْنَا عُلُومُ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ وَهُمْ يُونَانُ خَاصَّةً لِكُلِّ الْمَأْمُونِ  
 بِإِخْرَاجِهَا مِنْ لُغَتِهِمْ وَاقْتِدَارِهِ عَلَى ذَلِكَ بِكَثْرَةِ الْمُرَاجِعِينَ وَبَذَلِ الْأَمْوَالِ فِيهَا وَلَمْ  
 نَقِفْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عُلُومِ غَيْرِهِمْ وَإِذَا كَلَّتْ كُلُّ حَقِيقَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ طَبِيعِيَّةٍ بِصَلَحٍ أَنْ يُبْحَثَ  
 عَنْهَا يَغْوِضُ لَهَا مِنَ الْعَوَارِضِ لِذَاتِهَا وَجَبَّ أَنْ يَكُونَ بِالْإِخْبَارِ كُلِّ مَقْهُومٍ وَحَقِيقَةٍ عِلْمٍ  
 مِنَ الْعُلُومِ يَخْصُصُ لِكُلِّ الْحِكْمَةِ لَعَلَّهُمْ إِنَّمَا لَانْظَرُوا فِي ذَلِكَ الْعِنَايَةَ بِالشَّمَرَاتِ وَهَذَا  
 السَّمَلُ ثَمَرَتُهُ فِي الْإِخْبَارِ فَقَطْ كَمَا رَأَيْتَ وَإِنْ كَلَّتْ مَسَائِلُهُ فِي ذَاتِهَا وَفِي اخْتِصَاصِهَا  
 شَرِيفَةً لَكِنْ ثَمَرَتُهُ تَصْبِيحُ الْإِخْبَارِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ فَلِهَذَا هَجَرُوهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَمَا أُوْتِيتُمْ  
 مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا. وَهَذَا الْفَنُ الَّذِي لَاحَ لَنَا النَّظَرُ فِيهِ نَجِدُ مِنْهُ مَسَائِلَ تَجْرِي بِالْغَرَضِ



لأهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع والطلب مثل ما  
يذكره الحكماء والعلماء في إثبات النبوة من أن البشر متعاونون في وجودهم  
فيحتاجون فيه إلى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب إثبات  
اللغات أن الناس محتاجون إلى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان  
العبارة أخذ ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الأحكام الشرعية بالمقاصد  
في أن الزنا مخلط للأسباب مفسد للنوع وأن القتل أيضاً مفسد للنوع وأن الظلم  
مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية  
في الأحكام فإنها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض  
له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل الممثلة وكذلك أيضاً يقع إلينا القليل  
من مسائله في كلمات متفرقة لحكماء الخليفة لكنهم لم يستوفوه في كلام  
المؤيدان بهرام بن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي أيها الملك إر  
الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا  
قيام للشرعية إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال ولا قوام للرجال إلا بالمال  
ولا سبيل للمال إلا بالعمارة ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل والعدل بالميزان  
المنصوب بين الخليفة نصبه الرب وجعل له فيما وهو الملك ومن كلام النوشروان  
في هذا المعنى بعينه الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة  
والعمارة بالعدل والعدل بإصلاح العمال وإصلاح العمال باستقامة الوزراء  
ورأس الكل بافتقار الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها  
ولا يملكه وفي الكتاب المنسوب لأرسطو في السياسة المتداول بين الناس جزء  
صالح منه إلا أنه غير مستوف ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد أشار  
في ذلك الكتاب إلى هذه الكلمات التي نقلناها عن المؤيدان والنوشروان وجعلها  
في المأثرة القريبة التي أعظم القول فيها هو قوله . العالم بستان سياحة الدولة الدولة  
سلطان تحيا به السنة السنة سياسة يسومها الملك نظام يعضد الجند  
الجند أعوان يملكهم المال المال رزق يجمعه الرعية الرعية عييد يكرمهم العدل  
العدل مأوف وبه قوام العالم العالم بستان يتم ترجع إلى أول الكلام فلهذا ثمان



كَلِمَاتٍ حَكِيمَةٍ سِيَاسِيَّةٍ أَرْتَبَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَأَرْتَدَّتْ أَعْجَازُهَا إِلَى صُدُورِهَا وَأَتَصَلَّتْ  
فِي دَائِرَةٍ لَا يَتَعَيَّنُ طَرَفُهَا خِطَرُ بَعْثُورِهِ عَلَيْهَا وَعَظَمَ مِنْ فَوَائِدِهَا . وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ  
كَلَامَنَا فِي فَصْلِ الدُّوَلِ وَالْمَلِكِ وَأَعْطَيْتَهُ حَقَّهُ مِنَ التَّصَحُّحِ وَالتَّفَهُّمِ عَثَرْتَ فِي أَثْنَائِهِ  
عَلَى تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَتَفْصِيلِ إِجْمَالِهَا مُسْتَوْفَى يَنِينًا بِأَوْعَبِ بَيَانٍ وَأَوْضَحِ دَلِيلٍ  
وَبُرْهَانٍ أَطْلَعَنَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ أَرَسَطُو وَلَا إِفَادَةٍ مَوْبَدَّانٍ وَكَذَلِكَ تَجِدُ فِي  
كَلَامِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ وَمَا يُسْتَطَرَّدُ فِي رِسَائِلِهِ مِنْ ذِكْرِ السِّيَاسَاتِ الْكَثِيرَةِ مِنْ مَسَائِلِ  
كِتَابِنَا هَذَا غَيْرَ مَبْرَهَنَةٍ كَمَا بَرَهَنَاهُ إِنَّمَا يُجْلِيهَا فِي الذِّكْرِ عَلَى مَنَحَى الْخُطَابَةِ فِي أُسْلُوبِ  
الْتَرَشُّلِ وَبَلَاغَةِ الْكَلَامِ وَكَذَلِكَ حَوْمُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيِّ فِي كِتَابِ  
مِرَاجِ الْمُلُوكِ وَبَوَّهَ عَلَى أَبْوَابِ تَقَرُّبٍ مِنْ أَبْوَابِ كِتَابِنَا هَذَا وَمَسَائِلِهِ لَكِنَّهُ لَمْ  
يُصَادِفْ فِيهِ الرَّمِيَّةَ وَلَا أَصَابَ الشَّاكِلَةَ وَلَا اسْتَوْفَى الْمَسَائِلَ وَلَا أَوْضَحَ الْأَدِلَّةَ إِنَّمَا  
يُبَوِّبُ الْبَابَ لِلْمَسْئَلَةِ ثُمَّ يَسْتَمَكُّ كَثْرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ وَيَنْقُلُ كَلِمَاتٍ مُتَفَرِّقَةً  
لِحُكَمَاءِ الْفَرَسِ مِثْلَ بَزْرَجَمَهَرٍ وَالْمَوْبَدَّانِ وَحُكَمَاءِ الْهِنْدِ وَالْمَأْثُورِ عَنْ دَانِيَالٍ  
وَهَرْمِسٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَكْبَارِ الْخَلِيقَةِ وَلَا يَكْشِفُ عَنِ التَّحْقِيقِ قِنَاعًا وَلَا يَرْفَعُ بِالْبَرَاهِينِ  
الطَّبِيعِيَّةِ حِجَابًا إِنَّمَا هُوَ ثَقُلٌ وَتَرْكِيبٌ شَدِيدٌ بِالْمَوَاعِظِ وَكَأَنَّهُ حَوْمٌ عَلَى الْغَرَضِ وَلَمْ  
يُصَادِفْهُ وَلَا تَحَقِّقْ قَصْدَهُ وَلَا اسْتَوْفَى مَسَائِلَهُ وَنَحْنُ أَلْهَمْنَا اللَّهَ إِلَى ذَلِكَ إِلْهَامًا وَأَعَثَرْنَا  
عَلَى عِلْمٍ جَعَلْنَا بَيْنَ نُبُكْرَةٍ وَجُهَيْنَةٍ خَبْرَهُ فَإِنْ كُنْتُ قَدْ اسْتَوْفَيْتُ مَسَائِلَهُ وَمَيَّزْتُ عَنْ  
سَائِرِ الصَّنَائِعِ أَنْظَارَهُ وَأَوَّاهَهُ فَتَوْفِيقٌ مِنَ اللَّهِ وَهِدَايَةٌ وَإِنْ فَاتَنِي شَيْءٌ فِي إِحْصَائِهِ  
وَأَشْتَبَهْتُ بغيرِهِ فَلِلنَّازِلِ الْمُحَقِّقِ إِصْلَاحُهُ وَلِيَ الْفَضْلِ لِأَنِّي نَهَجْتُ لَهُ السَّبِيلَ وَأَوْضَحْتُ  
لَهُ الطَّرِيقَ وَاللَّهُ يَهْدِي بُيُورَهُ مَنْ يَشَاءُ . وَنَحْنُ الْآنَ نُبَيِّنُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا يَغْرِضُ  
لِلنَّاسِ فِي أَجْمَاعِهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمَرَاءِ فِي الْمُلْكِ وَالْكَسْبِ وَالْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِوُجُوهٍ  
بُرْهَانِيَّةٍ يَتَضَحُّ بِهَا التَّحْقِيقُ فِي مَعَارِفِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَتَنْدَفِعُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَتُرْفَعُ  
الشُّكُوكُ . وَتَقُولُ لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مُتَمَيِّزًا عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ بِخَوَاصِّ اخْتِصَّصَ بِهَا  
فَنَنَهَا الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ الَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ الْفِكْرِ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَشُرْفَ بَوَصْفِهِ عَلَى  
الْمَخْلُوقَاتِ وَمِنْهَا الْحَاجَةُ إِلَى الْحُكْمِ الْوَازِعِ وَالسُّلْطَانِ الْقَاهِرِ إِذْ لَا يُمَكِّنُ وُجُودُهُ  
دُونَ ذَلِكَ مِنْ بَيْنِ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا إِلَّا مَا يُقَالُ عَنِ النَّمْلِ وَالْجَرَادِ وَهَذِهِ وَإِنْ كَانَ لَهَا



مِثْلُ ذَلِكَ فِطْرِي إِيَّاهُمَا لَا يَفْكَرُ وَرَوِيَّةٌ وَمِنْهَا السَّعْيُ فِي الْمَعَاشِ وَالْإِعْتِمَالُ فِي تَحْصِيلِهِ مِنْ وَجْهِهِ وَأَكْتِسَابُ أَسْبَابِهِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْإِفْتِقَارِ إِلَى الْغِذَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَبَقَائِهِ وَهَدَاهُ إِلَى التَّامُّهِ وَطَلَبِهِ قَالَ تَعَالَى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى وَمِنْهَا الْعُمَرَانُ وَهُوَ النَّسَاكُنُ وَالْتِزَالُ فِي مِصْرٍ أَوْ حِلَّةٍ لِلْأَنْسِ بِالْعَشِيرِ وَاقْتِضَاءُ الْحَاجَاتِ لِمَا فِي طَبَاعِهِمْ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْمَعَاشِ كَمَا نَبَّيْنَاهُ وَمِنْ هَذَا الْعُمَرَانُ مَا يَكُونُ بَدَوِيًّا وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي الضَّوَاحي وَفِي الْجِبَالِ وَفِي الْحِلَالِ الْمُنْتَجِعَةِ فِي الْقِفَارِ وَأَطْرَافِ الرِّمَالِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ حَضَرِيًّا وَهُوَ الَّذِي بِالْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالْمَدَنِ وَالْمَدَرِ لِلْإِعْتِصَامِ بِهَا وَالتَّحَصُّنِ بِجُدْرَانِهَا وَلَهُ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَحْوَالِ أُمُورٌ تَعْرُضُ مِنْ حَيْثُ الْاجْتِمَاعُ عُرُوضًا ذَاتِيًّا لَهُ فَلَا جُرْمَ أَنْ تَحْصَرَ الْكَلَامُ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي سِتَّةِ فُصُولٍ . الْأَوَّلُ فِي الْعُمَرَانِ الْبَشَرِيِّ عَلَى الْجُمْلَةِ وَأَصْنَافِهِ وَقِسْطِهِ مِنَ الْأَرْضِ . وَالثَّانِي فِي الْعُمَرَانِ الْبَدَوِيِّ وَذِكْرُ الْقَبَائِلِ وَالْأُمَمِ الْوَحْشِيَّةِ . وَالثَّالِثُ فِي الدُّوَلِ وَالْخِلَافَةِ وَالْمُلْكِ وَذِكْرُ الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالرَّابِعُ فِي الْعُمَرَانِ الْحَضَرِيِّ وَالْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ . وَالْخَامِسُ فِي الصَّنَائِعِ وَالْمَعَاشِ وَالْكَسْبِ وَوُجُوهِهِ . وَالسَّادِسُ فِي الْعُلُومِ وَأَكْتِسَابِهَا وَتَعَلُّمِهَا . وَقَدْ قَدِّمْتُ الْعُمَرَانِ الْبَدَوِيِّ لِأَنَّهُ سَابِقٌ عَلَى جَمِيعِهَا كَمَا نَبَّيْنَاهُ لَكَ بَعْدُ وَكَذَا تَقْدِيمُ الْمُلْكِ عَلَى الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ وَأَمَّا تَقْدِيمُ الْمَعَاشِ فَلِأَنَّ الْمَعَاشَ ضَرُورِيٌّ طَبِيعِيٌّ وَتَعَلُّمُ الْعِلْمِ كَمَا لِي أَوْ حَاجِيٌّ وَالطَّبِيعِيُّ أَقْدَمُ مِنَ الْكَمَا لِي وَجَعَلْتُ الصَّنَائِعَ مَعَ الْكَسْبِ لِأَنَّهَا مِنْهُ بَعْضُ الْوُجُوهِ وَمِنْ حَيْثُ الْعُمَرَانُ كَمَا نَبَّيْنَاهُ لَكَ بَعْدُ وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ لِلصَّوَابِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ

## الفصل الأول

### من الكتاب الأول

في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات

الأولى في أَنَّ الْاجْتِمَاعَ الْإِنْسَانِيَّ ضَرُورِيٌّ وَيُعَبَّرُ الْحُكْمَاءُ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِمْ  
الْإِنْسَانُ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ أَيْ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْاجْتِمَاعِ الَّذِي هُوَ الْمَدِينَةُ فِي أَصْطِلَاحِهِمْ  
وَهُوَ مَعْنَى الْعُمَرَانِ وَبَيَّانُهُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَرَكَّبَهُ عَلَى صُورَةٍ لَا يَصِحُّ



حَيَاتُهَا وَبَقَاؤُهَا إِلَّا بِالْغِذَاءِ وَهَدَاهُ إِلَى التَّاسَةِ بِفِطْرَتِهِ وَبِمَا رُكِبَ فِيهِ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى  
تَحْصِيلِهِ إِلَّا أَنَّ قُدْرَةَ الْوَاحِدِ مِنَ الْبَشَرِ قَاصِرَةٌ عَنْ تَحْصِيلِ حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الْغِذَاءِ  
غَيْرُ مُؤَنِيَةٍ لَهُ بِمَادَّةِ حَيَاتِهِ مِنْهُ وَلَوْ فَرَضْنَا مِنْهُ أَقَلَّ مَا يُمَكِّنُ فَرَضُهُ وَهُوَ قُوَّةٌ يَوْمٌ مِنْ  
الْخُنْطَةِ مَثَلًا فَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِعِلَاجٍ كَثِيرٍ مِنَ الطَّخْنِ وَالْعَجْنِ وَالطَّبْخِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ  
هَذِهِ الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةِ يَحْتَاجُ إِلَى مَوَاقِينٍ وَأَلَاتٍ لَا تَنُفِثُ إِلَّا بِصَنَاعَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ  
حَدَادٍ وَنَجَّارٍ وَفَاقُورِيٍّ وَهَبَ اللَّهُ يَا كَلِّهِ حَبًّا مِنْ غَيْرِ عِلَاجٍ فَهُوَ أَيْضًا يَحْتَاجُ فِي تَحْصِيلِهِ  
أَيْضًا حَبًّا إِلَى أَعْمَالٍ أُخْرَى أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ مِنَ الزَّرْعَةِ وَالْحِصَادِ وَالْدِّرَاسِ الَّذِي  
يُخْرِجُ الْحَبَّ مِنْ غِلَافِ السَّنْبُلِ وَيَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَلَاتِ مُتَعَدِّدَةً وَصَنَائِعَ  
كَثِيرَةً أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَّلَى بِكَثِيرٍ وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَنِي بِذَلِكَ كُلُّهُ أَوْ بَعْضُهُ قُدْرَةُ الْوَاحِدِ  
وَلَا بُدَّ مِنْ أَجْتِمَاعِ الْقُدْرِ الْكَثِيرَةِ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ لِيَحْصُلَ الْقُوَّةُ لَهُ وَلَهُمْ فَيَحْصُلُ  
بِالتَّعَاوُنِ قُدْرُ الْكَفَايَةِ مِنَ الْحَاجَةِ لَا كَثَرَتِ مِنْهُمْ بِأَضْعَافٍ وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ  
مِنْهُمْ أَيْضًا فِي الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى الْأَسْتِعَانَةِ بِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا رَكَّبَ  
الطَّبَاعَ فِي الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا وَقَسَمَ الْقُدْرَ بَيْنَهَا جَعَلَ حُظُوظَ كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ  
مِنَ الْقُدْرَةِ أَكْمَلَ مِنْ حَظِّ الْإِنْسَانِ فَقُدْرَةُ الْفَرَسِ مَثَلًا أَكْثَرُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ قُدْرَةِ  
الْإِنْسَانِ وَكَذَا قُدْرَةُ الْحِمَارِ وَالثَّوْرِ وَقُدْرَةُ الْأَسَدِ وَالْفِيلِ أَضْعَافٌ مِنْ قُدْرَتِهِ . وَلَمَّا  
كَانَ الْعَدَوَانُ طَبِيعِيًّا فِي الْحَيَوَانِ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عُضْوًا يَخْتَصُّ بِمُدَافَعَتِهِ مَا  
يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ عَادِيَةٍ غَيْرِهِ وَجَعَلَ لِلْإِنْسَانِ عَوْضًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ الْفِكْرَ وَالْيَدَ فَالْيَدُ مَهِيئَةٌ  
لِلصَّنَائِعِ بِمُخْدَمَةِ الْفِكْرِ وَالصَّنَائِعُ تُحْصِلُ لَهُ الْأَلَاتِ الَّتِي تُنَوِّبُ لَهُ عَنِ الْجَوَارِحِ  
الْمُعَدَّةِ فِي سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ لِلدِّفَاعِ مِثْلَ الرِّمَاحِ الَّتِي تُنَوِّبُ عَنْ الْقُرُونِ النَّاطِقَةِ وَالسُّيُوفِ  
النَّائِبَةِ عَنِ الْخَنَابِ الْجَارِحَةِ وَالتِّرَاسِ النَّائِبَةِ عَنِ الْبَشَرَاتِ الْجَاسِيَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ  
وغيرُهُ مِمَّا ذَكَرَهُ جَالِينُوسُ فِي كِتَابِ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ فَالْوَاحِدُ مِنَ الْبَشَرِ لَا يُقَاوِمُ  
قُدْرَتَهُ قُدْرَةَ وَاحِدٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ سِوَمَا الْمُفْتَرَسَةِ فَهُوَ عاجِزٌ عَنْ مُدَافَعَتِهَا وَحَدَهُ  
بِالْجُمْلَةِ وَلَا تَنِي قُدْرَتُهُ أَيْضًا بِاسْتِعْمَالِ الْأَلَاتِ الْمُعَدَّةِ لَهَا فَلَا بُدَّ نِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ  
التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَمَا لَمْ يَكُنْ هَذَا التَّعَاوُنُ فَلَا يَحْصُلُ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا غِذَاءٌ وَلَا  
تَنِي حَيَاتُهُ لَمَّا رَكَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْغِذَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَلَا يَحْصُلُ لَهُ أَيْضًا



دِفَاعٌ عَنْ نَفْسِهِ لِفَقْدَانِ السِّلَاحِ فَيَكُونُ فَرِيسَةً لِلْحَيَوَانَاتِ وَيُعَاجِلُهُ الْهَلَاكُ عَنْ مَدَى  
حَيَاتِهِ وَيَبْطُلُ نَوْعُ الْبَشَرِ وَإِذَا كَانَ التَّعَاوُنُ حَصَلَ لَهُ الْقُوَّةُ لِلْغِذَاءِ وَالسِّلَاحُ لِلْمُدَافَعَةِ  
وَتَمَّتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي بَقَائِهِ وَحِفْظِ نَوْعِهِ فَإِنَّ هَذَا الْأَجْتِمَاعَ ضَرُورِيٌّ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ  
وَالْأَلَمَ يَكْمُلُ وَجُودُهُمْ وَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ اعْتِمَادِ الْعَالَمِ بِهِمْ وَاسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُمْ وَهَذَا  
هُوَ مَعْنَى الْعُمُرَانِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مَوْضُوعًا لِهَذَا الْعِلْمِ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ نَوْعُ إِثْبَاتِ  
الْمَوْضُوعِ فِي فَنِّهِ الَّذِي هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَى صَاحِبِ الْفَنِّ لِمَا  
تَقَرَّرَ فِي الصَّنَاعَةِ الْمُنَظَّمَةِ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى صَاحِبِ عِلْمٍ إِثْبَاتُ الْمَوْضُوعِ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ  
فَلَيْسَ أَيْضًا مِنَ الْمَمْنُوعَاتِ عِنْدَهُمْ فَيَكُونُ إِثْبَاتُهُ مِنَ التَّبَرُّعَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِفَضْلِهِ  
ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْأَجْتِمَاعَ إِذَا حَصَلَ لِلْبَشَرِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَتَمَّ عُمُرَانُ الْعَالَمِ بِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ  
وَارِعٍ يَدْفَعُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِمَا فِي طِبَاعِهِمُ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ وَلَيْسَتْ  
السِّلَاحُ الَّتِي جُعِلَتْ دَافِعَةً لِعُدْوَانِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ عَنْهُمْ كَافِيَةً فِي دَفْعِ الْعُدْوَانِ  
عَنْهُمْ لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ لِجَمِيعِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ يَدْفَعُ عُدْوَانَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ وَلَا  
يَكُونُ مِنْ غَيْرِهِمْ لِقُصُورِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ عَنْ مَدَارِكِهِمْ وَإِلَهَامَاتِهِمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْوَارِعُ  
وَاحِدًا مِنْهُمْ يَكُونُ لَهُ عَلَيْهِمُ الْغَلْبَةُ وَالسُّلْطَانُ وَالْيَدُ الْقَاهِرَةُ حَتَّى لَا يَصِلَ أَحَدٌ إِلَى  
غَيْرِهِ بَعْدُوَانٍ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْمَلِكِ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ بِهَذَا أَنَّ لِلْإِنْسَانَ خَاصَّةً طَبِيعَةً  
وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا وَقَدْ يُوْجَدُ فِي بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحُكَمَاءُ كَمَا فِي  
الْفِيلِ وَالْجَرَادِ لِمَا لَشِقْطَرِي فِيهَا مِنَ الْحُكْمِ وَالْإِنْقِيَادِ وَالْإِتِبَاعِ لِرَأْسٍ مِنْ أَشْخَاصِهَا  
مُتَمَيِّزٌ عَنْهُمْ فِي خَلْقِهِ وَجُثَانِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ لِغَيْرِ الْإِنْسَانِ بِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ  
وَالْهَدَايَةِ لَا بِمُقْتَضَى الْفِكْرَةِ وَالسِّيَاسَةِ أُعْطِيَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هُدِيَ وَتَزِيدُ الْفَلَاسِفَةُ  
عَلَى هَذَا الْبُرْهَانِ حَيْثُ يُحَاوِلُونَ إِثْبَاتَ النُّبُوَّةِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَأَنَّهَا بِخَاصَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ  
لِلْإِنْسَانِ فَيَقَرُّ رُونَ هَذَا الْبُرْهَانِ إِلَى غَايَةٍ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْبَشَرِ مِنَ الْحُكْمِ الْوَارِعِ  
ثُمَّ يَقُولُونَ بَعْدَ ذَلِكَ وَذَلِكَ الْحُكْمُ يَكُونُ بِشَرْعٍ مَفْرُوضٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَأْتِي بِهِ وَاحِدٌ  
مِنَ الْبَشَرِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَمَيِّزًا عَنْهُمْ بِمَا يُودِعُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ خَوَاصٍ هِدَايَتِهِ  
لِيَقَعَ التَّسْلِيمُ لَهُ وَالْقَبُولُ مِنْهُ حَتَّى يَتِمَّ الْحُكْمُ فِيهِمْ وَعَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ وَلَا تَرْشِيفٍ  
وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ لِلْحُكَمَاءِ غَيْرُ بُرْهَانِيَّةٍ كَمَا تَرَاهُ إِذَا الْوُجُودُ وَحَيَاةُ الْبَشَرِ قَدْ تِمَّتْ مِنْ



دُونَ ذَلِكَ بِمَا يَفْرُضُهُ الْحَاكِمُ لِنَفْسِهِ أَوْ بِالْعَصِيَّةِ الَّتِي يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى قَهْرِهِمْ وَحَمْلِهِمْ عَلَى جَادَتِهِ فَأَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُشَبَّهُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَلِيلُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَجُوسِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ فَانْهَمُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعَالَمِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ لَهُمُ الدُّوَلُ وَالْأَثَارُ فَضْلاً عَنْ الْحَيَاةِ وَكَذَلِكَ هِيَ لَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْأَقَالِمِ الْمُتَحَرِّفَةِ فِي الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ بِمُخَالَفِ حَيَاةِ الْبَشَرِ فَوَضَى دُونَ وَازِعٍ لَهُمُ الْبَتَّةُ فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلْطُهُمْ فِي وَجُوبِ النُّبُوتِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِعَقْلِي وَإِنَّمَا مُذَرِكُهُ الشَّرْعُ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ مِنَ الْأُمَّةِ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْهُدَايَةِ

### المقدمة الثانية

في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه

من الاشجار والانهار والاقاليم

إِعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ فِي كُتُبِ الْحُكَمَاءِ النَّاطِرِينَ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ أَنَّ شَكْلَ الْأَرْضِ كُرْوِيٌّ وَأَنَّهَا مُحْفُوفَةٌ بِعَنْصَرِ الْمَاءِ كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ عَلَيْهِ فَأَنْحَسَرَ الْمَاءُ عَنْ بَعْضِ جَوَائِبِهَا لِمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ تَكْوِينِ الْحَيَوَانَاتِ فِيهَا وَعُمُرَانِهَا بِالنَّوْعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي لَهُ الْخِلَافَةُ عَلَى سَائِرِهَا وَقَدْ يَتَوَهَّمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَاءَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ وَإِنَّمَا التَّحْتَ الطَّبِيعِيُّ قَلْبُ الْأَرْضِ وَوَسَطُ كُرَّتِهَا الَّذِي هُوَ مَرْكَزُهَا وَالْكُلُّ يَطْلُبُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الثَّقَلِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ جَوَائِبِهَا وَأَمَّا الْمَاءُ الْمُحِيطُ بِهَا فَهُوَ فَوْقَ الْأَرْضِ وَإِنْ قِيلَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا إِنَّهُ تَحْتَ الْأَرْضِ فَبِالْإِضَافَةِ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى مِنْهُ . وَأَمَّا الَّذِي أَنْحَسَرَ عَنْهُ الْمَاءُ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ النِّصْفُ مِنْ سَطْحِ كُرَّتِهَا فِي شَكْلِ دَائِرَةٍ احاطَ الْعَنْصَرُ الْمَائِيُّ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا بِحَرًّا يُسَمَّى الْبَحْرَ الْمُحِيطَ وَيُسَمَّى أَيْضًا لِبَلَايَةِ تَتَفَحِّمِ الْأَلَمِ الثَّانِيَةِ وَيُسَمَّى أَوْفِيَانُوسَ اسْمَاءً أُعْجَمِيَّةً وَيُقَالُ لَهُ الْبَحْرُ الْأَخْضَرُ وَالْأَسْوَدُ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْمُنْكَشِفَ مِنَ الْأَرْضِ لِلْعُمُرَانِ فِيهِ الْقِفَارُ وَالْخِلَاحُ أَكْثَرُ مِنْ عُمُرَانِهِ وَالْخِلَالِي مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَإِنَّمَا الْمَعْمُورُ مِنْهُ أَمِيلٌ إِلَى الْجَانِبِ الشَّمَالِيِّ عَلَى شَكْلِ مُسَطَّحٍ كُرْوِيٍّ يَنْتَهِي مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ إِلَى خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ وَمِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى خَطِّ كُرْوِيٍّ وَوَرَاءَهُ الْجِبَالُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ الْعَنْصَرِيِّ الَّذِي



بَيْنَهُمَا سَدُّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهَذِهِ الْجِبَالُ مَائِلَةٌ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ وَيَنْتَهِي مِنَ الْمَشْرِقِ  
وَالْمَغْرِبِ إِلَى غُنْصَرِ الْمَاءِ أَيْضًا بِقِطْعَتَيْنِ مِنَ الدَّائِرَةِ الْمُحِيطَةِ وَهَذَا الْمُنْكَشِفُ مِنَ  
الْأَرْضِ قَالُوا هُوَ مِقْدَارُ النِّصْفِ مِنَ الْكُرَةِ أَوْ أَقَلُّ وَالْمَعْمُورُ مِنْهُ مِقْدَارُ رُبْعِهِ وَهُوَ  
الْمُنْقَسِمُ بِالْأَقَالِمِ السَّبْعَةِ وَخَطُّ الْأَسْتِوَاءِ يَقْسِمُ الْأَرْضَ بِنِصْفَيْنِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى  
الْمَشْرِقِ وَهُوَ طُولُ الْأَرْضِ وَأَكْبَرُ خَطٍّ فِي كُرَّتِهَا كَمَا أَنَّ مِنْطَقَةَ فَلَكَ الْبُرُوجِ  
وَدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ أَكْبَرُ خَطٍّ فِي الْفَلَكَ وَمِنْطَقَةُ الْبُرُوجِ مُنْقَسِبَةٌ بِثَلَاثَةِ وَسْتَيْنِ  
دَرَجَةٍ وَالْدَرَجَةُ مِنْ مَسَافَةِ الْأَرْضِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ فَرْسَخًا وَالْفَرْسَخُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ  
ذِرَاعٍ وَالذِّرَاعُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ إصْبَعًا وَالْإِصْبَعُ سِتُّ حَبَّاتِ شَعِيرٍ مَصْفُوفَةٌ مُلَصَّقَةٌ  
بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ظَهَرًا لِبَطْنٍ وَبَيْنَ دَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ الَّتِي يَقْسِمُ الْفَلَكَ بِنِصْفَيْنِ وَتُسَامِتُ  
خَطُّ الْأَسْتِوَاءِ مِنَ الْأَرْضِ وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقُطْبَيْنِ تِسْعُونَ دَرَجَةً لَكِنْ  
الْعِمَارَةُ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ دَرَجَةً وَالْبَاقِي مِنْهَا خَلَاءٌ لَا  
عِمَارَةَ فِيهِ لِشِدَّةِ الْبَرْدِ وَالْجُمُودِ كَمَا كَانَتْ الْجِهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ خَلَاءً كُلُّهَا لِشِدَّةِ الْحَرِّ كَمَا  
نُبِّينُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ إِنَّ الْخُبْرَيْنِ عَنْ هَذَا الْمَعْمُورِ وَحُدُودِهِ وَعَمَّا  
فِيهِ مِنَ الْأَمْصَارِ وَالْمَدُنِ وَالْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْفَقَارِ وَالرِّمَالِ مِثْلَ بَطْلِيمُوسَ فِي  
كِتَابِ الْجُغَرَفِيَا وَصَاحِبِ كِتَابِ زَخَارٍ مِنْ بَعْدِهِ قَسَمُوا هَذَا الْمَعْمُورَ بِسَبْعَةِ أَقْسَامٍ  
يُسَمُّونَهَا الْأَقَالِمَ السَّبْعَةَ بِحُدُودٍ وَهَمِيَّةٍ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مُتَسَاوِيَةٍ فِي الْعَرْضِ  
مُخْتَلِفَةٍ فِي الطُّولِ فَالْأَوَّلُ أَطْوَلُ مِمَّا بَعْدَهُ وَهَكَذَا الثَّانِي إِلَى آخِرِهَا فَيَكُونُ  
السَّابِعُ أَقْصَرَ لِمَا أَقْتَضَاهُ وَضَعُ الدَّائِرَةِ النَّاشِئَةِ عَنْ انْحِسَارِ الْمَاءِ عَنْ كُرَةِ الْأَرْضِ  
وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِمِ عِنْدَهُمْ مُنْقَسِمٌ بِعَشْرَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
عَلَى التَّوَالِي وَفِي كُلِّ جُزْءٍ أَخْبَرُ عَنْ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ عُمَرَانِهِ . وَذَكَرُوا أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ  
الْمُحِيطَ يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ الْمَعْرُوفُ بِبَدَا  
فِي خَلِيجٍ مُتَضَائِقٍ فِي عَرْضِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا أَوْ نَحْوَهَا مَا بَيْنَ طَبْجَةِ وَطَرِيفَ وَيُسَمَّى  
الزُّفَاقَ ثُمَّ يَذْهَبُ مُشْرِقًا وَيَنْفَسِحُ إِلَى عَرْضِ سِتِّمِائَةِ مِيلٍ وَنِهَائَتُهُ فِي آخِرِ الْجُزْءِ  
الرَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ عَلَى أَلْفِ فَرْسَخٍ وَمِائَةِ وَسْتَيْنِ فَرْسَخًا مِنْ مَبْدَأِهِ وَعَلَيْهِ هُنَالِكَ  
سَوَاحِلُ الشَّامِ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ سَوَاحِلُ الْمَغْرِبِ أَوَّلُهَا طَبْجَةُ عِنْدَ الْخَلِيجِ ثُمَّ



أفريقية ثم بركة إلى الإسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند الخليج  
 ثم البنادقة ثم رومة ثم الأفرنجية ثم الأندلس إلى طريف عند الزقاق قبالة طنجة ويسمى  
 هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل أفريطش وقبرص  
 وصقلية وميورة وسردانية قالوا ويخرج منه في جهة الشمال بحران آخران من  
 خليجين أحدهما مسامت للقسطنطينية بدأ من هذا البحر متضائقا في عرض رمية  
 السهم ويمر ثلاثة بحار فيتصل بالقسطنطينية ثم ينفسخ في عرض أربعة أميال  
 ويمر في جريه ستين ميلا ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة  
 أميال فيمد بحر نيطش وهو بحر يتعرف من هنالك في مذهبه إلى ناحية الشرق فيمر  
 بأرض هرقل وينتهي إلى بلاد الخزرية على ألف وثلاثمائة ميل من فوهته وعليه من  
 الجانبين أمم من الروم والترك وبرجان والرؤس والبحر الثاني من خليجي هذا البحر  
 الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فإذا انتهى إلى  
 سمت الجبل انحرف في سمت المغرب إلى بلاد البنادقة وينتهي إلى بلاد إنكلانية  
 على ألف ومائة ميل من مبداه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم أمم ويسمى  
 خليج البنادقة قالوا وينساح من هذا البحر المحيط أيضا من الشرق وعلى ثلاث عشرة  
 درجة في الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر في الجنوب قليلا حتى ينتهي  
 إلى الإقليم الأول ثم يمر فيه مغربا إلى أن ينتهي في الجزء الخامس منه إلى بلاد  
 الحبشة والزنج وإلى بلاد باب المندب منه على أربعة آلاف فرسخ من مبداه  
 ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد  
 بحر التي ذكرها أمروؤ القيس في شعره وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب  
 ثم يلد مقدسوتهم بلد سفالة وأرض الوفواق وأمم آخر ليس بعدهم إلا القفار والخللاء  
 وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبداه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من  
 الأحقاف وزيد وغيرها ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم الحبشة قالوا ويخرج من  
 هذا البحر الحبشي بحران آخران أحدهما يخرج من نهايته عند باب المندب فيبدأ  
 متضائقا ثم يمر مستقيما إلى ناحية الشمال ومغربا قليلا إلى أن ينتهي إلى القلزم في  
 الجزء الخامس من الإقليم الثاني على ألف وأربعمائة ميل من مبداه ويسمى بحر



الْقَلْزُومَ وَبَحْرَ السُّوَيْسِ وَبَيْنَ فِسطَاطِ مِصْرَ مِنْ هُنَاكَ ثَلَاثُ مَرَاحِلَ وَعَلَيْهِ مِنْ  
 جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ الْيَمَنِ ثُمَّ الْحِجَازُ وَجَدَّةٌ ثُمَّ مَدِينُ وَابِلَةٌ وَفَارَانُ عِنْدَ نِهَائِهِ وَمِنْ  
 جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ الصَّعِيدِ وَعَيْدَابُ وَسَوَاكِينُ وَزَيْلَعُ ثُمَّ بِلَادُ الْحَبَشَةِ عِنْدَ مَبْدَإِهِ  
 وَآخِرُهُ عِنْدَ الْقَلْزُومِ يُسَامَتُ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ عِنْدَ الْعَرِيشِ وَبَيْنَهُمَا مَخَوِصَاتُ مَرَاحِلَ وَمَا  
 زَالَ الْمُلُوكُ فِي الْإِسْلَامِ وَقَبْلَهُ يَرُومُونَ خَرَقَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ وَالْبَحْرُ الثَّانِي مِنْ  
 هَذَا الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَيُسَمَّى الْخَلِيجُ الْأَخْضَرُ يُخْرُجُ مَا بَيْنَ بِلَادِ السِّنْدِ وَالْأَحْقَافِ مِنْ  
 الْيَمَنِ وَيَمُرُّ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مُغْرَبًا قَلِيلًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْآبِلَةِ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَصْرَةِ  
 فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّانِي عَلَى أَرْبَعِمِائَةٍ فَرَسَخٍ وَأَرْبَعِينَ فَرَسَخًا مِنْ مَبْدَإِهِ  
 وَيُسَمَّى بَحْرَ فَارِسَ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ السِّنْدِ وَمَكْرَانَ وَكُرْمَانَ وَفَارِسَ  
 وَالْآبِلَةُ وَعِنْدَ نِهَائِهِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ الْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةِ وَعُمَانَ وَالشَّحْرَ وَالْأَحْقَافَ  
 عِنْدَ مَبْدَإِهِ وَفِي بَيْنِ بَحْرِ فَارِسَ وَالْقَلْزُومِ وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ مِنَ الْبَرِّ فِي الْبَحْرِ  
 يُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ الْحَبَشِيُّ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرُ الْقَلْزُومِ مِنَ الْغَرْبِ وَبَحْرُ فَارِسَ مِنَ الشَّرْقِ  
 وَتُفْضِي إِلَى الْعِرَاقِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْبَصْرَةِ عَلَى أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ مِيلٍ بَيْنَهُمَا وَهُنَاكَ الْكُوفَةُ  
 وَالْقَادِسِيَّةُ وَبَغْدَادُ وَإِيَّوَانُ كِسْرَى وَالْحِيرَةُ وَوَرَاءَ ذَلِكَ أُمُّ الْأَعَاجِمِ مِنَ التُّرْكِ  
 وَالْخَزَرِ وَغَيْرِهِمْ وَفِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ بِلَادُ الْحِجَازِ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ مِنْهَا وَبِلَادُ الْيَمَامَةِ  
 وَالْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ مِنْهَا وَبِلَادُ الْيَمَنِ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْهَا وَسَوَاحِلُهُ عَلَى  
 الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ قَالُوا وَفِي هَذَا الْمَعْمُورِ بَحْرٍ آخَرَ مُنْقَطِعٌ مِنْ سَائِرِ الْبَحَارِ فِي نَاحِيَةِ الشَّمَالِ  
 بِأَرْضِ الدِّلِيمِ يُسَمَّى بَحْرَ جُرْجَانَ وَطَبْرِسْتَانَ طُولُهُ أَلْفُ مِيلٍ فِي عَرْضِ سِتِّمِائَةِ مِيلٍ  
 فِي غَرْبِهِ أَذَرَبَيْجَانُ وَالدِّلِيمُ وَفِي شَرْقِيهِ أَرْضُ التُّرْكِ وَخَوَارِزْمُ وَفِي جَنُوبِيهِ طَبْرِسْتَانُ  
 وَفِي شَمَالِيهِ أَرْضُ الْخَزَرِ وَاللَّانَ . هَذِهِ جُمْلَةُ الْبَحَارِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَهْلُ  
 الْجُغَرَايَا . قَالُوا وَفِي هَذَا الْجُزْءِ الْمَعْمُورِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ وَهِيَ النَّيْلُ  
 وَالْفُرَاتُ وَدِجْلَةُ وَنَهْرُ بَلْخِ الْمُسَمَّى جَيْحُونَ فَأَمَّا النَّيْلُ فَمَبْدَأُهُ مِنْ جَبَلٍ عَظِيمٍ وَرَاءَ خَطِّ  
 الْأَسْتَوَاءِ بِسِتِّ عَشْرَةِ دَرَجَةٍ عَلَى سَمْتِ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَيُسَمَّى جَبَلُ  
 الْقَمَرِ وَلَا يُعْلَمُ فِي الْأَرْضِ جَبَلٌ أَعْلَى مِنْهُ تُخْرَجُ مِنْهُ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ فَيَصُبُّ بَعْضُهَا فِي  
 بَحِيرَةٍ هُنَاكَ وَبَعْضُهَا فِي أُخْرَى ثُمَّ تُخْرَجُ أَنْهَارٌ مِنَ الْبَحِيرَتَيْنِ فَتَصُبُّ كُلُّهَا فِي بَحِيرَةٍ



وَاحِدَةٍ عِنْدَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ عَلَى عَشْرِ مَرَاحِلَ مِنَ الْجَبَلِ وَيَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الْبَحِيرَةِ نَهْرَانِ  
يَذْهَبُ أَحَدُهُمَا إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ عَلَى سَمْتِهِ وَيَمُرُّ بِبِلَادِ النَّوْبَةِ ثُمَّ بِبِلَادِ مِصْرَ فَإِذَا  
جَاوَزَهَا تَشَعَّبَ فِي شُعَبٍ مُتَقَارِبَةٍ يُسَمَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا خَلِيجًا وَتَصُبُّ كُلُّهَا فِي الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ عِنْدَ الْأِسْكَندَرِيَّةِ وَيُسَمَّى نَيْلَ مِصْرَ وَعَلَيْهِ الصَّعِيدُ مِنْ شَرْقِيَّةِ وَالْوَاخَاتُ  
مِنْ غَرْبِيَّةِ وَيَذْهَبُ الْآخَرُ مُنْعَطِفًا إِلَى الْمَغْرِبِ ثُمَّ يَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي  
الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَهُوَ نَهْرُ السُّودَانِ وَأَمَمَهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى ضِفْتَيْهِ . وَأَمَّا الْفُرَاتُ فَمَبْدَأُهُ مِنْ  
بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَمُرُّ جَنُوبًا فِي أَرْضِ الرُّومِ  
وَمَلَطِيَّةٍ إِلَى مَبِجٍ ثُمَّ يَمُرُّ بِصَفَيْنِ ثُمَّ بِالرَّقَةِ ثُمَّ بِالْكُوفَةِ إِلَى أَنْ يَنْشَلِيَ إِلَى الْبَطْحَاءِ  
الَّتِي بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَوَاسِطَ وَمِنْ هُنَاكَ يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَتَنْجَلِبُ إِلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ  
أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ وَيَخْرُجُ مِنْهُ أَنْهَارٌ أُخْرَى تَصُبُّ فِي دِجْلَةٍ . وَأَمَّا دِجْلَةُ فَمَبْدَأُهَا عَيْنٌ  
بِبِلَادِ خِلَاطٍ مِنْ أَرْمِينِيَّةٍ أَيْضًا وَتَمُرُّ عَلَى سَمْتِ الْجَنُوبِ بِالْمَوْصِلِ وَأَذَرَبَيْجَانَ وَبَغْدَادَ  
إِلَى وَاسِطَ فَتَتَفَرَّقُ إِلَى خُلْجَانَ كُلُّهَا تَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْبَصْرَةِ وَتُفْضِي إِلَى بَحْرِ فَارِسَ وَهُوَ  
فِي الشَّرْقِ عَلَى يَمِينِ الْفُرَاتِ وَتَنْجَلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَفِيهَا  
بَيْنَ الْفُرَاتِ وَدِجْلَةٍ مِنْ أَوَّلِهِ جَزِيرَةُ الْمَوْصِلِ قِبَالَ الشَّامِ مِنْ عُدُوتِ الْفُرَاتِ وَقِبَالَ  
أَذَرَبَيْجَانَ مِنْ عُدُوتِ دِجْلَةٍ . وَأَمَّا نَهْرُ جَيْحُونَ فَمَبْدَأُهُ مِنْ بَلَخٍ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ  
الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ عِيُونِ هُنَاكَ كَثِيرَةٌ وَتَنْجَلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ عَظَامٌ وَيَذْهَبُ مِنَ الْجَنُوبِ  
إِلَى الشَّمَالِ فَيَمُرُّ بِبِلَادِ خُرَاسَانَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ خُوَارِزْمَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ  
الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْجُرْجَانِيَّةِ الَّتِي بِأَسْفَلِ مَدِينَتِهَا وَهِيَ مَسِيرَةُ شَهْرِ فِي  
مِثْلِهِ وَإِلَيْهَا يَنْصُبُّ نَهْرُ فَرَغَانَةَ وَالشَّاشِ الَّتِي مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَعَلَى غَرْبِي نَهْرٍ جَيْحُونَ  
بِلَادِ خُرَاسَانَ وَخُوَارِزْمَ وَعَلَى شَرْقِيَّةِ بِلَادِ بُخَارَى وَتُرْمَذَ وَسَمَرْقَنْدَ وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى مَا  
وَرَاءَهُ بِلَادُ التُّرْكِ وَفَرَغَانَةَ وَالخَزْجِيَّةَ وَأَمَّ الْأَعَاجِمِ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِطَلِيمُوسُ  
فِي كِتَابِهِ وَالشَّرِيفُ فِي كِتَابِ زَخَارٍ وَصَوَّرُوا فِي الْجُغَرَفِيَا جَمِيعَ مَا فِي الْمَعْمُورِ مِنَ  
الْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَالْأَوْدِيَةِ وَأَسْتَوْفُوا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ لِطُولِهِ وَلِأَنَّ عِنَايَتَنَا فِي  
الْأَكْثَرِ إِنَّمَا هِيَ بِالْمَغْرِبِ الَّذِي هُوَ وَطَنُ الْبَرَبِ وَبِالْأَوْطَانِ الَّتِي لِلْعَرَبِ مِنَ  
الْمَشْرِقِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ



## تكملة لهذه المقدمة الثانية

في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمرانا من الربع الجنوبي

وذكر السبب في ذلك

وَنَحْنُ نَرَى بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ أَنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي مِنَ الْأَقَالِمِ  
الْمَعْمُورَةِ أَقَلُّ عُمُرَانًا مِمَّا بَعْدَهُمَا وَمَا وَجَدَ مِنْ عُمُرَانِهِ فَيَتَخَلَّلُهُ الْخَلَاءُ وَالْفَقَارُ وَالرِّمَالُ  
وَالْبَحْرُ الْهِنْدِيُّ الَّذِي فِي الشَّرْقِ مِنْهُمَا وَأُمُّ هَذَيْنِ الْأَقْلَمَيْنِ وَأَنَاسِيَهُمَا لَيْسَتْ لَهُمْ  
الْكثَرَةُ الْبَالِغَةُ وَأَمْصَارُهُ وَمَدُنُهُ كَذَلِكَ وَالثَّالِثُ وَالرَّابِعُ وَمَا بَعْدَهُمَا بِخِلَافِ ذَلِكَ  
فَالْفَقَارُ فِيهَا قَلِيلٌ وَالرِّمَالُ كَذَلِكَ أَوْ مَعْدُومَةٌ وَأَمَمُهَا وَأَنَاسِيُهَا تَجُوزُ الْحَدَّ مِنَ الْكثَرَةِ  
وَأَمْصَارُهَا وَمَدُنُهَا تَجُوزُ الْحَدَّ عَدَدًا وَالْعُمُرَانُ فِيهَا مُنْدَرِجٌ مَا بَيْنَ الثَّالِثِ وَالسَّادِسِ  
وَالْجَنُوبُ خَلَاءٌ كُلُّهُ وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ وَقِلَّةِ  
مِيلِ الشَّمْسِ فِيهَا عَنْ سَمْتِ الرُّؤُوسِ فَلَمْ يُضِغْ ذَلِكَ بُرْهَانَهُ وَيَتَبَيَّنُ مِنْهُ سَبَبُ كَثَرَةِ  
الْعِمَارَةِ فِيمَا بَيْنَ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ جَانِبِ الشَّمَالِ إِلَى الْخَامِسِ وَالسَّابِعِ . فَنَقُولُ إِنَّ  
قُطْبِي الْفَلَكَ الْجَنُوبِيَّ وَالشَّمَالِيَّ إِذَا كَانَا عَلَى الْإِفْقِ فَهَذَاكَ دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ تَقْسِمُ الْفَلَكَ  
بِضَافَتَيْنِ هِيَ أَكْثَرُ الدَّوَائِرِ الْمَارَّةِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَتُسَمَّى دَائِرَةُ مُعَدَّلِ  
النَّهَارِ وَقَدْ تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْهَيْئَةِ أَنَّ الْفَلَكَ الْأَعْلَى مُتَحَرِّكٌ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى  
الْمَغْرِبِ حَرَكَةً يَوْمِيَّةً يَحْرُكُ بِهَا سَائِرَ الْأَفْلَاقِ فِي جَوْفِهِ قَهْرًا وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ مُحَسُّوسَةٌ  
وَكَذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي أَفْلَاقِهَا حَرَكَةً مُخَالَفَةً لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ وَهِيَ مِنَ الْمَغْرِبِ  
إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَخْتَلِفُ أَمَادُهَا بِاخْتِلَافِ حَرَكَةِ الْكَوَاكِبِ فِي السَّرْعَةِ وَالْبُطْءِ وَمَمَرَاتِ  
هَذِهِ الْكَوَاكِبِ فِي أَفْلَاقِهَا تُؤَازِرُهَا كُلُّهَا دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى تَقْسِمُ  
بِضَافَتَيْنِ وَهِيَ دَائِرَةُ فَلَكَ الْبُرُوجِ مُنْقَسِمَةٌ بِاثْنَيْ عَشَرَ بُرْجًا وَهِيَ عَلَى مَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ  
مُقَاطَعَةٌ لِدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ عَلَى نَقْطَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ مِنَ الْبُرُوجِ هُمَا أَوَّلُ الْحَمَلِ وَأَوَّلُ  
الْمِيزَانِ فَتَقْسِمُهَا دَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ بِضَافَتَيْنِ نِصْفٌ مَائِلٌ عَنْ مُعَدَّلِ النَّهَارِ إِلَى الشَّمَالِ  
وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ الْحَمَلِ إِلَى آخِرِ السُّنْبُلَةِ وَنِصْفٌ مَائِلٌ عَنْهُ إِلَى الْجَنُوبِ وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ  
الْمِيزَانِ إِلَى آخِرِ الْحُوتِ وَإِذَا وَقَعَ الْقُطْبَانِ عَلَى الْإِفْقِ فِي جَمِيعِ نَوَاحِي الْأَرْضِ كَانَ



عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ خَطٌّ وَاحِدٌ يُسَمَّى دَائِرَةَ مُعَدِّلِ النَّهَارِ يَمُرُّ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
 وَيُسَمَّى خَطَّ الْأَسْتَوَاءِ وَوَقَعَ هَذَا الْخَطُّ بِالرَّصْدِ عَلَى مَا زَعَمُوا فِي مَبْدَأِ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ  
 مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّبْعَةِ وَالْعُمُرَانِ كُلُّهُ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ يَرْتَفِعُ عَنْ آفَاقِ هَذَا الْمَعْمُورِ  
 بِالتَّدرِجِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ ارْتِفَاعُهُ إِلَى أَرْبَعٍ وَسِتِينَ دَرَجَةً وَهَنَالِكَ يَنْقَطِعُ الْعُمُرَانُ  
 وَهُوَ آخِرُ الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ وَإِذَا ارْتَفَعَ عَلَى الْأَفَقِ تِسْعِينَ دَرَجَةً وَهِيَ الْتِي بَيْنَ الْقُطْبِ  
 وَدَائِرَةِ مُعَدِّلِ النَّهَارِ عَلَى الْأَفَقِ وَبَقِيَ سِتَّةٌ مِنَ الْبُرُوجِ فَوْقَ الْأَفَقِ وَهِيَ الشَّمَالِيَّةُ وَسِتَّةٌ  
 تَحْتَ الْأَفَقِ وَهِيَ الْجَنُوبِيَّةُ وَالْعِمَارَةُ فِيمَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ وَالسَّتِينَ إِلَى التَّسْعِينَ مُدْتَبِعَةٌ لِأَنَّ  
 الْحَرَّ وَالْبَرْدَ حِينَئِذٍ لَا يَحْصُلَانِ مُتَزَجِينَ لِبُعْدِ الزَّمَانِ بَيْنَهُمَا فَلَا يَحْصُلُ التَّكْوِينُ فَإِذَا  
 الشَّمْسُ تَسَامَتْ الرُّؤُوسَ عَلَى خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ فِي رَأْسِ الْحَمَلِ وَالْمِيزَانِ ثُمَّ تَمِيلُ عَنْ  
 الْمُسَامَةِ إِلَى رَأْسِ السَّرْطَانِ وَرَأْسِ الْجَدْيِ وَيَكُونُ نِهَائُهُ مِيلًا عَنْ دَائِرَةِ مُعَدِّلِ  
 النَّهَارِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ثُمَّ إِذَا ارْتَفَعَ الْقُطْبُ الشَّمَالِيُّ عَنِ الْأَفَقِ مَالَتْ دَائِرَةُ مُعَدِّلِ  
 النَّهَارِ عَنْ سَمْتِ الرُّؤُوسِ بِمِقْدَارِ ارْتِفَاعِهِ وَانْخَفَضَ الْقُطْبُ الْجَنُوبِيُّ كَذَلِكَ بِمِقْدَارِ  
 مُتَسَاوٍ فِي الثَّلَاثَةِ وَهُوَ الْمَسْمِيُّ عِنْدَ أَهْلِ الْمَوَاقِيتِ عَرْضَ الْبَلَدِ وَإِذَا مَالَتْ دَائِرَةُ  
 مُعَدِّلِ النَّهَارِ عَنْ سَمْتِ الرُّؤُوسِ عَلَتْ عَلَيْهَا الْبُرُوجُ الشَّمَالِيَّةُ مُنْدرَجَةً فِي مِقْدَارِ عُلُوِّهَا  
 إِلَى رَأْسِ السَّرْطَانِ وَانْخَفَضَتِ الْبُرُوجُ الْجَنُوبِيَّةُ مِنَ الْأَفَقِ كَذَلِكَ إِلَى رَأْسِ الْجَدْيِ  
 لَا تَخِرَافَهَا إِلَى الْجَانِبَيْنِ فِي أَفَقِ الْأَسْتَوَاءِ كَمَا قُلْنَا فَلَا يَزَالُ الْأَفَقُ الشَّمَالِيُّ يَرْتَفِعُ حَتَّى  
 بِصِيرَ أَبْعَدَ الشَّمَالِيَّةِ وَهُوَ رَأْسُ السَّرْطَانِ فِي سَمْتِ الرُّؤُوسِ وَذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ عَرْضُ  
 الْبَلَدِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ فِي الْحِجَازِ وَمَا بَلِيهِ وَهَذَا هُوَ الْمِيلُ الَّذِي إِذَا مَالَ رَأْسُ السَّرْطَانِ  
 عَنْ مُعَدِّلِ النَّهَارِ فِي أَفَقِ الْأَسْتَوَاءِ ارْتَفَعَ بِارْتِفَاعِ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ حَتَّى صَارَ مُسَامَةً  
 فَإِذَا ارْتَفَعَ الْقُطْبُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ نَزَلَتِ الشَّمْسُ عَنِ الْمُسَامَةِ وَلَا تَزَالُ  
 فِي انْخِفَاضٍ إِلَى أَنْ يَكُونَ ارْتِفَاعُ الْقُطْبِ أَرْبَعًا وَسِتِينَ وَيَكُونُ انْخِفَاضُ الشَّمْسِ عَنْ  
 الْمُسَامَةِ كَذَلِكَ وَانْخِفَاضُ الْقُطْبِ الْجَنُوبِيِّ عَنِ الْأَفَقِ مِثْلَهَا فَيَنْقَطِعُ التَّكْوِينُ لِإِفْرَاطِ  
 الْبَرْدِ وَالْجَمْدِ وَطُولِ زَمَانِهِ غَيْرَ مُتَزَجٍ بِالْحَرِّ ثُمَّ إِنْ الشَّمْسُ عِنْدَ الْمُسَامَةِ وَمَا  
 يَقَارِبُهَا تَبَعَتْ الْأَشِعَّةُ قَائِمَةً وَفِيمَا دُونَ الْمُسَامَةِ عَلَى زَوَايَا مُنْفَرَجَةٍ وَحَادَّةٍ وَإِذَا كَانَتْ  
 زَوَايَا الْأَشِعَّةِ قَائِمَةً عَظُمَ الضَّوْءُ وَانْتَشَرَ بِخِلَافِهِ فِي الْمُنْفَرَجَةِ وَالْحَادَّةِ فَلِهَذَا يَكُونُ



الْحَرُّ عِنْدَ الْمُسَامَةِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنْهُ فَمَا بَعْدُ لِأَنَّ الضَّوءَ سَبَبُ الْحَرِّ وَالتَّسْخِينِ  
ثُمَّ إِنَّ الْمُسَامَةَ فِي خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ تَكُونُ مَرَّتَيْنِ فِي السَّنَةِ عِنْدَ تَقْطِيعِ الْحَمَلِ  
وَالْمِيزَانِ وَإِذَا مَالَتْ فَغَيْرُ بَعِيدٍ وَلَا يَكَادُ الْحَرُّ يَعْتَدِلُ فِي آخِرِ مِيلِهَا عِنْدَ رَأْسِ السَّرْطَانِ  
وَالْجُذْيِ إِلَّا أَنْ صَعِدَتْ إِلَى الْمُسَامَةِ فَبَقِيَ الْأَشْعَةُ الْقَائِمَةُ الزَّوَابَا تُلْجُ عَلَى ذَلِكَ  
الْأَفْقِ وَيَطُولُ مُكْثُهَا أَوْ يَدُومُ فَيَسْتَعِلُّ الْهَوَاءُ حَرَارَةً وَيُفْرِطُ فِي شِدَّتِهَا وَكَذَا مَا  
دَامَتْ الشَّمْسُ تُسَامِتُ مَرَّتَيْنِ فَمَا بَعْدُ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ إِلَى عَرْضِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ فَإِنَّ  
الْأَشْعَةَ مُلْحَةً عَلَى الْأَفْقِ فِي ذَلِكَ بِقَرِيبٍ مِنَ الْحَاحِيَا فِي خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ وَإِفْرَاطُ الْحَرِّ  
يَفْعَلُ فِي الْهَوَاءِ تَجْفِيفًا وَيَبَسًا يَمْنَعُ مِنَ التَّكْوِينِ لِأَنَّهُ إِذَا أَفْرِطَ الْحَرُّ جَفَّتِ الْمِيَاهُ  
وَالرُّطُوبَاتُ وَفَسَدَ التَّكْوِينُ فِي الْمَعْدِنِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ إِذِ التَّكْوِينُ لَا يَكُونُ  
إِلَّا بِالرُّطُوبَةِ ثُمَّ إِذَا مَالَ رَأْسُ السَّرْطَانِ عَنْ سَمْتِ الرُّؤُوسِ فِي عَرْضِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ  
فَمَا بَعْدَهُ نَزَلَتِ الشَّمْسُ عَنِ الْمُسَامَةِ فَيَصِيرُ الْحَرُّ إِلَى الْإِعْتِدَالِ أَوْ يَمِيلُ عَنْهُ مِيلًا  
قَلِيلًا فَيَكُونُ التَّكْوِينُ وَيَتَزَايِدُ عَلَى التَّدْرِيجِ إِلَى أَنْ يَفْرِطَ الْبَرْدُ فِي شِدَّتِهِ لِقَلَّةِ  
الضَّوءِ وَكَوْنِ الْأَشْعَةِ مَنُفَرِّجَةً الزَّوَابَا فَيَنْقُصُ التَّكْوِينُ وَيَفْسَدُ يَدَّ أَنْ فَسَادَ التَّكْوِينِ  
مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الْحَرِّ أَكْثَرُ مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الْبَرْدِ لِأَنَّ الْحَرَّ أَسْرَعَ تَأْثِيرًا فِي التَّجْفِيفِ  
مِنْ تَأْثِيرِ الْبَرْدِ فِي الْجَمْدِ فَلِذَلِكَ كَانَ الْعُمُرَانُ فِي الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالْآثَانِي قَلِيلًا وَفِي  
الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ مُتَوَسِّطًا لِإِعْتِدَالِ الْحَرِّ بِنَقْصَانِ الضَّوءِ وَفِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ  
كَثِيرًا لِنَقْصَانِ الْحَرِّ وَأَنَّ كَيْفِيَّةَ الْبَرْدِ لَا تَوَثِّرُ عِنْدَ أَوَّلِهَا فِي فَسَادِ التَّكْوِينِ كَمَا  
يَفْعَلُ الْحَرُّ إِذْ لَا تَجْفِيفَ فِيهَا إِلَّا عِنْدَ الْإِفْرَاطِ بِمَا بَعَرَضُ لَهَا حِينَئِذٍ مِنَ الْيَبَسِ كَمَا بَعْدَ  
السَّابِعِ فَلِهَذَا كَانَ الْعُمُرَانُ فِي الرَّبْعِ الشَّمَالِيِّ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمِنْ هُنَا أَخَذَ  
الْحُكَمَاءُ خِلَاءَ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ وَمَا وَرَاءَهُ وَأُورِدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ مَعْمُورٌ بِالشَّاهِدَةِ  
وَالْأَخْبَارِ الْمُشَوَّاتَةِ فَكَيْفَ يَتِمُّ الْبُرْهَانُ عَلَى ذَلِكَ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا امْتِنَاعَ  
الْعُمُرَانِ فِيهِ بِالْكَلِمَةِ إِنَّمَا أَدَاهُمُ الْبُرْهَانُ إِلَى أَنَّ فَسَادَ التَّكْوِينِ فِيهِ قَوِيٌّ بِالْإِفْرَاطِ  
الْحَرِّ وَالْعُمُرَانُ فِيهِ إِمَّا مُتَمَنِّعٌ أَوْ مُمَكِّنٌ أَقْلِيٍّ وَهُوَ كَذَلِكَ فَإِنَّ خَطَّ الْأَسْتِوَاءِ وَالَّذِي  
وَرَاءَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ عُمُرَانٌ كَمَا نُقِلَ فَهُوَ قَلِيلٌ جِدًّا . وَقَدْ زَعَمَ ابْنُ رُشْدٍ أَنَّ خَطَّ  
الْأَسْتِوَاءِ مُعْتَدِلٌ وَأَنَّ مَا وَرَاءَهُ فِي الْجَنُوبِ بِمِثَابَةِ مَا وَرَاءَهُ فِي الشَّمَالِ فَيَعْمُرُ مِنْهُ مَا



عمر من هذا والذي قاله غير مُمتنع من جهة فساد النكسين وإِنَّمَا أَمْتَنَعَ فِيمَا وَرَاءَ  
خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ فِي الْجَنُوبِ مِنْ جِهَةٍ أَنَّ الْعَنْصَرَ الْمَائِيَّ غَمَرَ وَجْهَ الْأَرْضِ هُنَاكَ إِلَى  
الْجَدِّي الَّذِي كَانَ مُقَابِلَهُ مِنَ الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ قَابِلًا لِلنَّكْسُونِ وَلَمَّا أَمْتَنَعَ الْمُعْتَدِلُ لَغِيْبَةِ  
الْمَاءِ تَبَعَهُ مَا سِوَاهُ لِأَنَّ الْعُمُرَانَ مُتَدَرِّجٌ وَيَأْخُذُ فِي التَّدْرِيجِ مِنْ جِهَةِ الْوُجُودِ لَا مِنْ  
جِهَةِ الْأَمْتِنَاعِ وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَمْتِنَاعِهِ فِي خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ فَيَرُدُّهُ النُّقْلُ الشَّوَاهِدُ وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ. وَأَنْزَعْنَا بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ صُورَةَ الْجُغَرَاْفِيَا كَمَا رَسَمَهَا صَاحِبُ كِتَابِ زَخَارِ ثُمَّ  
نَاخُذُ فِي تَفْصِيلِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ

### تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

إِعْلَمُ أَنَّ الْحُكَمَاءَ قَسَمُوا هَذَا الْمَعْمُورَ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عَلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ مِنَ  
الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ يُسَمُّونَ كُلَّ قِسْمٍ مِنْهَا إِقْلِيمًا فَانْقَسَمَ الْمَعْمُورُ مِنَ الْأَرْضِ كُلِّهِ عَلَى  
هَذِهِ السَّبْعَةِ الْأَقَالِيمِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا آخِذٌ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ عَلَى طُولِهِ . فَالْأَوَّلُ  
مِنْهَا مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ مَعَ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ بِحَدِّهِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ وَلَيْسَ  
وَرَاءَهُ هُنَاكَ إِلَّا الْفَقَارُ وَالرَّمَالُ وَبَعْضُ عِمَارَةٍ إِنْ صَحَّتْ فِيهِ كَلَامُ عِمَارَةٍ وَيَكُونُ مِنْ  
جِهَةِ شَمَالِيهِ الْإِقْلِيمُ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثُ كَذَلِكَ ثُمَّ الرَّابِعُ وَالْخَامِسُ وَالسَّادِسُ وَالسَّابِعُ  
وَهُوَ آخِرُ الْعُمُرَانِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَلَيْسَ وَرَاءَ السَّابِعِ إِلَّا الْخَلَاءُ وَالْفَقَارُ إِلَى أَنْ  
يَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ كَالْحَالِ فِيمَا وَرَاءَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ إِلَّا أَنَّ  
الْخَلَاءَ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ أَقَلُّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْخَلَاءِ الَّذِي فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ . ثُمَّ إِنْ أَرْمَنَ  
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ تَفَاوُتٌ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ بِسَبَبِ مِيلِ الشَّمْسِ عَنْ دَائِرَةِ مُعْتَدِلِ النَّهَارِ  
وَأَرْتِفَاعِ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ عَنْ آفَاقِهَا فَيَتَفَاوَتُ قَوْسُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِذَلِكَ وَيَنْتَهِي طُولُ  
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي آخِرِ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَذَلِكَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ بِرَأْسِ الْجَدِّي لِلَّيْلِ  
وَبِرَأْسِ السَّرَطَانِ لِلنَّهَارِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَاعَةٍ وَكَذَلِكَ فِي آخِرِ  
الْإِقْلِيمِ الثَّانِي يَمَّا يَكُونُ الشَّمَالُ فَيَنْتَهِي طُولُ النَّهَارِ فِيهِ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ بِرَأْسِ السَّرَطَانِ  
وَهُوَ مُنْقَلِبُهَا الصُّبْحِيِّ إِلَى ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَاعَةٍ وَنِصْفِ سَاعَةٍ وَمِثْلُهُ أَطُولُ اللَّيْلِ عِنْدَ مُنْقَلِبِهَا  
الشَّمْسِيِّ بِرَأْسِ الْجَدِّي وَيَبْقَى لِلْأَفْصَرِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَا يَبْقَى بَعْدَ الثَّلَاثِ عَشْرَةِ وَنِصْفِ  
مِنْ جُمْلَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ السَّاعَاتِ الزَّمَانِيَّةِ لِمَجْمُوعِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهِيَ دَوْرَةُ الْفَلَكَ الْكَامِلَةِ



وَكَذَلِكَ فِي آخِرِ الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ ثَمَّا يَلِي الشَّمَالَ أَيْضًا يَنْتَهِيَانِ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَفِي  
 آخِرِ الرَّابِعِ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَنِصْفِ سَاعَةٍ وَفِي آخِرِ الْخَامِسِ إِلَى خَمْسِ عَشْرَةَ  
 سَاعَةً وَفِي آخِرِ السَّادِسِ إِلَى خَمْسِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَنِصْفِ وَإِلَى آخِرِ السَّابِعِ إِلَى سِتِّ  
 عَشْرَةَ سَاعَةً وَهُنَاكَ يَنْقَطِعُ الْعُمُرَانُ فَيَكُونُ تَفَاوُثُ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ فِي الْأَطْوَلِ مِنْ لَيْلِهَا  
 وَنَهَارِهَا بِنِصْفِ سَاعَةٍ لِكُلِّ إِقْلِيمٍ يَتَزَايِدُ مِنْ أَوَّلِهِ فِي نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ إِلَى آخِرِهِ فِي  
 نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مُوزَعَةً عَلَى أَجْزَاءِ هَذَا الْبَعْدِ . وَأَمَّا عَرْضُ الْبُلْدَانِ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ وَهُوَ  
 عِبَارَةٌ عَنْ بُعْدِ مَا بَيْنَ سَمْتِ رَأْسِ الْبَلَدِ وَدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ الَّذِي هُوَ سَمْتُ رَأْسِ خَطِّ  
 الْأَسْتِوَاءِ وَبِمِثْلِهِ سِوَاهُ يَنْخَفِضُ الْقُطْبُ الْجَنُوبِيُّ عَنْ أَفْقِ ذَلِكَ الْبَلَدِ وَيَرْتَفِعُ الْقُطْبُ  
 الشَّمَالِيُّ عَنْهُ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَبْعَادٍ مُتَسَاوِيَةٍ تُسَمَّى عَرْضَ الْبَلَدِ كَمَا مَرَّ ذَلِكَ قَبْلُ .  
 وَالْمُتَكَلِّمُونَ عَلَى هَذِهِ الْجُغْرَافِيَا قَسَمُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ فِي طُولِهِ  
 مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ بِعَشْرَةِ أَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ وَيَذْكُرُونَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كُلُّ  
 جُزْءٍ مِنْهَا مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ وَالْمَسَافَاتِ بَيْنَهَا فِي الْمَسَالِكِ وَنَحْنُ  
 الْآنَ نُوجِزُ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ وَنَذْكُرُ مَشَاهِيرَ الْبُلْدَانِ وَالْأَنْهَارِ وَالْبَحَارِ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا  
 وَنُحَاذِي بِذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ نُزْهَةِ الْمُشْتَقِ الَّذِي أَلْفَهُ الْعَلَوِيُّ الْأَدْرِيسِيُّ الْحَمُودِيُّ  
 يَمْلِكُ صِقْلِيَّةَ مِنَ الْأَفْرَنْجِ وَهُوَ زَخَارُ بْنُ زَخَارٍ عِنْدَ مَا كَانَ نَازِلًا عَلَيْهِ بِصِقْلِيَّةَ بَعْدَ  
 خُرُوجِ صِقْلِيَّةَ مِنْ إِمَارَةِ مَالِقَةَ وَكَانَ ثَأْلِفُهُ لِلْكِتَابِ فِي مُنْتَصَفِ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ  
 وَجَمَعَ لَهُ كُتُبًا جَمَّةً لِلْمَسْعُودِيِّ وَأَبْنِ خَرْدَاذِيهِ وَالْحَوْفَلِيِّ وَالْقَدْرِيِّ وَأَبْنِ إِسْحَاقَ  
 الْمَنْجَمِ وَبَطْلِيمُوسَ وَغَيْرِهِمْ وَبَدَأَ مِنْهَا بِالْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَى آخِرِهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَى يَعْصِمُنَا بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ

الْأَقْلِيمُ الْأَوَّلُ \* وَفِيهِ مِنْ جِهَةِ غَرْبِيَّةِ الْجَزَائِرِ الْخَالِدَاتُ الَّتِي مِنْهَا بَدَأَ بَطْلِيمُوسُ  
 بِأَخْذِ أَطْوَالِ الْبِلَادِ وَلَيْسَتْ فِي بَسِيطِ الْأَقْلِيمِ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ جُزُرٌ  
 مُتَكَثِرَةٌ أَكْبَرُهَا وَأَشْهُرُهَا ثَلَاثُ وَيُقَالُ إِنَّهَا مَعْمُورَةٌ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ سَفَائِنَ مِنْ  
 الْأَفْرَنْجِ مَرَّتْ بِهَا فِي أَوَاسِطِ هَذِهِ الْمِائَةِ وَقَاتَلُوهُمْ فَغَنِمُوا مِنْهُمْ وَسَبَّوْا وَبَاعُوا بَعْضَ  
 أَسْرَائِهِمْ بِسِوَاكِهِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَصَارُوا إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ فَلَمَّا تَعَلَّمُوا اللِّسَانَ  
 الْعَرَبِيَّ أَخْبَرُوا عَنْ حَالِ جَزَائِرِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَحْتَفِرُونَ الْأَرْضَ لِلزَّرْعَةِ بِالْقُرُونِ وَأَنَّ



الْحَدِيدَ مَفْقُودٌ بِأَرْزَاقِهِمْ وَعَيْشِهِمْ مِنَ الشَّعِيرِ وَمَاشِيَتِهِمْ الْمَعَزُ وَقِتَالَهُمْ بِالْحِجَارَةِ يَرْمُونَهَا  
 إِلَى خَلْفِ وَعِبَادَتُهُمْ السُّجُودَ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ وَلَا يَعْرِفُونَ دِينًا وَلَمْ تَبْلُغْهُمْ دَعْوَةُ  
 وَلَا يُوقِفُ عَلَى مَكَانٍ هَذِهِ الْجَزَائِرُ إِلَّا بِالْعُثُورِ لَا بِالْقَصْدِ إِلَيْهَا لِأَنَّ سَفَرَ الشُّنِّ فِي الْبَحْرِ  
 إِنَّمَا هُوَ بِالرِّيحِ وَمَعْرِفَةِ جِهَاتِ مَهَايِهَا وَإِلَى أَيْنَ يُوصَلُ إِذَا مَرَّتْ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ مِنَ  
 الْبِلَادِ الَّتِي فِي مَرِّ ذَلِكَ الْمَهَبِ وَإِذَا اخْتَلَفَ الْمَهَبُ وَعُلِمَ حَيْثُ يُوصَلُ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ  
 جُودِي بِهِ الْقَلْعُ نَحَازَةً يَحْمِلُ السَّفِينَةُ بِهَا عَلَى قَوَانِيهِ فِي ذَلِكَ مُحَصَّلَةٌ عِنْدَ النَّوَاتِيَةِ  
 وَالْمَلَّاحِينَ الَّذِينَ هُمْ رُؤَسَاءُ الشُّنِّ فِي الْبَحْرِ وَالْبِلَادِ الَّتِي فِي حَافَاتِ الْبَحْرِ الرَّوِّيِ  
 وَفِي عُدُوتِهِ مَكْتُوبَةٌ كُلُّهَا فِي صَحِيفَةٍ عَلَى شَكْلِ مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْوُجُودِ وَفِي وَضْعِهَا  
 فِي سَوَاحِلِ الْبَحْرِ عَلَى تَرْتِيبِهَا وَمَهَايِهَا الرِّيحِ وَمَهَارَاتِهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا مَرْسُومٌ مَعَهَا فِي تِلْكَ  
 الصَّحِيفَةِ وَيُسَمُّونَهَا الْكِتَابَ وَعَلَيْهَا يَعْتَمِدُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ وَهَذَا كُلُّهُ مَفْقُودٌ فِي الْبَحْرِ  
 الْمُحِيطِ فَلِذَلِكَ لَا تَلِجُ فِيهِ الشُّنُّ لِأَنَّهَا إِنْ غَابَتْ عَنْ رَأْيِ السَّوَاحِلِ فَقَلَّ أَنْ تَهْتَدِيَ  
 إِلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهَا مَعَ مَا يَتَعَقَّدُ فِي جَوْ هَذَا الْبَحْرِ وَعَلَى سَطْحِ مَائِهِ مِنَ الْأَبْجَرَةِ الْمُمَانَةِ  
 لِلشُّنِّ فِي مَسِيرِهَا وَهِيَ لِبُعْدِهَا لَا تَذُرُكُمَا أَضْوَاءُ الشَّمْسِ الْمُنْعَكِسَةُ مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ  
 فَتَحِلُّهَا فَلِذَلِكَ عَسَرَ الْإِهْتِدَاءُ إِلَيْهَا وَصَعِبَ الْوُقُوفُ عَلَى خَبَرِهَا . وَأَمَّا الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ  
 هَذَا الْأَقْلِيمِ فَفِيهِ مَصَبُّ النَّيْلِ الْآتِي مِنْ مَبْدَأِهِ عِنْدَ جَبَلِ الْقَهَرِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيُسَمَّى  
 نَيْلَ السُّودَانِ وَيَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ جَزِيرَةِ أَوَائِكٍ وَعَلَى هَذَا النَّيْلِ  
 مَدِينَةُ سَلَا وَتَكُرُورُ وَغَانَةُ وَكُلُّهَا إِيَّاهُ الْعَهْدُ فِي مَمْلَكَةِ مَلِكٍ مَالِيٍّ مِنْ أُنْهَى السُّودَانِ وَإِلَى  
 بِلَادِهِمْ تُسَافِرُ تَجَارُ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَبِالْقُرْبِ مِنْهَا مِنْ شَمَالِهَا بِلَادُ لِمْتُونَةَ وَسَائِرُ  
 طَوَائِفِ الْمَشْأَمِينَ وَمَفَاوِزُ يَجُولُونَ فِيهَا وَفِي جَنُوبِ هَذَا النَّيْلِ قَوْمٌ مِنَ السُّودَانِ يُقَالُ لَهُمْ  
 لِمْلُ وَهُمْ كُفَّارٌ وَيَكْتُونُونَ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَصْدَاغِهِمْ وَأَهْلُ غَانَةَ وَالْمَكُرُورِ يُغَيِّرُونَ  
 عَلَيْهِمْ وَيَسْبُونَهُمْ وَيَبِيعُونَهُمْ لِلتَّجَارِ فَيَجْلِبُونَهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ وَكُلُّهُمْ عَامَّةٌ رَقِيقُهُمْ وَلَيْسَ  
 وَرَاءَهُمْ فِي الْجَنُوبِ عُمَرَانُ يَعْتَبَرُ إِلَّا أَنَامِيٌّ أَقْرَبُ إِلَى الْحَيَوَانِ الْعَجَمِ مِنَ النَّاطِقِ يَسْكُنُونَ  
 الْفَيَافِي وَالْكُهُوفَ وَيَأْكُلُونَ الْعِشْبَ وَالْحَبُوبَ غَيْرَ مَهْيَاةٍ وَرُبَّمَا يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
 وَلَيْسُوا فِي عِدَادِ الْبَشَرِ . وَقَوَاكِهِ بِلَادُ السُّودَانِ كُلُّهَا مِنْ قُصُورِ صَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ مِثْلُ  
 تَوَاتٍ وَتَكَدَرَارِينَ وَوَزْكَالَانَ . فَكَانَ فِي غَانَةَ فِيمَا يُقَالُ مَلِكٌ وَدَوْلَةٌ لِقَوْمٍ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ



يَعْرِفُونَ بَيْنِي صَالِحٍ وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ زَخَارٍ إِنَّهُ صَالِحٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ  
الْحَسَنِ وَلَا يُعْرِفُ صَالِحٌ هَذَا فِي وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ وَقَدْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِهَذَا  
الْعَهْدِ وَصَارَتْ غَانَةً لِسُلْطَانِ مَالِي وَفِي شَرْقِي هَذَا الْبَلَدِ فِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنَ الْإِقْلِيمِ بَلَدٌ  
كُوْكُو عَلَى نَهْرٍ يَنْسَعُ مِنْ بَعْضِ الْجِبَالِ هُنَاكَ وَيَمُرُّ مَغْرِبًا فَيَغُوصُ فِي رِمَالِ الْجُزْءِ الثَّانِي  
وَكَانَ مَلِكُ كُوْكُو قَائِمًا بِنَفْسِهِ ثُمَّ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا سُلْطَانُ مَالِي وَأَصْبَحَتْ فِي مَمْلَكَتِهِ  
وَحَرَبَتْ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَجْلِ فَتْنَةٍ وَقَعَتْ هُنَاكَ نَذَرُهَا عِنْدَ ذِكْرِ دَوْلَةِ مَالِي فِي مُحَلِّهَا  
مِنْ تَارِيخِ الْبَرْبَرِ وَفِي جَنُوبِي بَلَدِ كُوْكُو بِلَادُ كَاتَمٍ مِنْ أَمْرِ السُّودَانِ وَبَعْدَهُمْ وَنَغَارَةُ  
عَلَى ضِفَّةِ النَّيْلِ مِنْ شِمَالِيهِ وَفِي شَرْقِي بِلَادِ وَنَغَارَةَ وَكَاتَمٍ بِلَادُ زَغَاوَةَ وَتَاجِرَةَ الْمُتَّصِلَةَ  
بِأَرْضِ النَّوْبَةِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ وَفِيهِ يَمُرُّ نَيْلٌ مُضَرٌّ ذَاهِبًا مِنْ مَبْدَأِهِ  
عِنْدَ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ إِلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الشَّمَالِ وَتَخْرُجُ هَذَا النَّيْلُ مِنْ جَبَلِ الْقَمَرِ  
الَّذِي فَوْقَ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ بِسِتِّ عَشْرَةَ دَرَجَةً وَاخْتَلَفُوا فِي ضَبْطِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ فَضَبَطَهَا  
بَعْضُهُمْ بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْمِيمِ نِسْبَةً إِلَى قَمَرِ السَّمَاءِ لِشِدَّةِ بَيَاضِهِ وَكَثْرَةِ ضَوْؤِهِ وَفِي  
كِتَابِ الْمُشْتَرَكِ لِيَأْفُوتَ بِضَمِّ الْقَافِ وَسُكُونِ الْمِيمِ نِسْبَةً إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْهِنْدِ  
وَكَذَا ضَبَطَهُ ابْنُ سَعِيدٍ فَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ عَشْرُ عَيُونٍ تَجْتَمِعُ كُلُّ خَمْسَةٍ مِنْهَا فِي بَحِيرَةٍ  
وَبَيْنَهُمَا سِتَّةُ أُمْيَالٍ وَيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْبَحِيرَتَيْنِ ثَلَاثَةُ أَنْهَارٍ تَجْتَمِعُ كُلُّهَا  
فِي بَطْنِيَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَسْفَلِهَا جَبَلٌ مُعْتَرِضٌ يَشُقُّ الْبَحِيرَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ وَيَنْقَسِمُ مَاؤُهَا  
بِقِسْمَيْنِ فَيَمُرُّ الْغَرْبِيُّ مِنْهُ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ مَغْرِبًا حَتَّى يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَيَخْرُجُ  
الشَّرْقِيُّ مِنْهُ ذَاهِبًا إِلَى الشَّمَالِ عَلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ وَالنَّوْبَةِ وَلِيَا بَيْنَهُمَا وَيَنْقَسِمُ فِي أَعْلَى  
أَرْضِ مِصْرَ فَيَصُبُّ ثَلَاثَةٌ مِنْ جَدَاوِلِهِ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ عِنْدَ الْأَسْكََنْدَرِيَّةِ وَرَشِيدَ  
وَدَمِيَّاطَ وَيَصُبُّ وَاحِدٌ فِي بَحِيرَةٍ مُلْحَةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَّصِلَ بِالْبَحْرِ فِي وَسْطِ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
الْأَوَّلِ وَعَلَى هَذَا النَّيْلِ بِلَادُ النَّوْبَةِ وَالْحَبَشَةِ وَبَعْضُ بِلَادِ الْوَحَاةِ إِلَى أَسْوَانٍ وَحَاضِرَةِ  
بِلَادِ النَّوْبَةِ مَدِينَةُ دَنْقَلَةَ وَهِيَ فِي غَرْبِي هَذَا النَّيْلِ وَبَعْدَهَا عَلَوَةُ وَبِلَاقُ وَبَعْدَهُمَا جَبَلُ  
الْجِنَادِلِ عَلَى سِتَّةِ مَرَاحِلَ مِنْ بِلَاقٍ فِي الشَّمَالِ وَهُوَ جَبَلٌ عَالٍ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ وَمُنْخَفِضٌ  
مِنْ جِهَةِ النَّوْبَةِ فَيَنْقُذُ فِيهِ النَّيْلُ وَيَصُبُّ فِي مَهْوًى بَعِيدٍ صَبًّا هَائِلًا فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ  
تَسْلُكَهُ الْمَرَآكِبُ بَلْ يَحُولُ الْوَسْقُ مِنْ مَرَآكِبِ السُّودَانِ فَيُحْمَلُ عَلَى الظَّهْرِ إِلَى بَلَدِ



أَسْوَانُ قَاعِدَةِ الصَّعِيدِ إِلَى فَوْقِ الْجَنَادِلِ وَبَيْنَ الْجَنَادِلِ وَأُسْوَانِ اثْنَتَا عَشْرَةَ مَرَحَلَةً  
وَالْوَحَاتُ فِي غَرْبِهَا عَدْوَةُ النَّيْلِ وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ وَبِهَا آثَارُ الْعِمَارَةِ الْقَدِيمَةِ . وَفِي وَسْطِ  
هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهُ بِلَادُ الْحَبْشَةِ عَلَى وَادٍ يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ نَظَرِ الْأَسْتِوَاءِ  
ذَاهِبًا إِلَى أَرْضِ النَّوْبَةِ فَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي النَّيْلِ الْمَاطِطِ إِلَى مِصْرَ وَقَدْ وَهَمَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ  
النَّاسِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ مِنْ نَيْلِ الْقَمَرِ وَبَطْلِيمُوسُ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ الْجُغَرَاْفِيَا وَذَكَرَ أَنَّهُ  
لَيْسَ مِنْ هَذَا النَّيْلِ . وَإِلَى وَسْطِ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ يَنْتَهِي بَحْرُ الْهِنْدِ الَّذِي  
يَدْخُلُ مِنْ نَاحِيَةِ الصِّينِ وَيَغْمُرُ عَامَّةَ هَذَا الْإِقْلِيمِ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَلَا يَبْقَى فِيهِ  
عُمُرَانٌ إِلَّا مَا كَانَ فِي الْجَزَائِرِ الَّتِي فِي دَاخِلِهِ وَهِيَ مُتَعَدِّدَةٌ يُقَالُ تَنْتَهِي إِلَى أَلْفِ جَزِيرَةٍ  
أَوْ فِيمَا عَلَى سَوَاحِلِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَلَيْسَ مِنْهَا فِي هَذَا الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَّا طَرَفٌ مِنْ  
بِلَادِ الصِّينِ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ وَفِي بِلَادِ الْيَمَنِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِيمَا  
بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ الْمَاطِطَيْنِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَهُمَا بَحْرُ قُلْزُومَ وَبَحْرُ  
فَارَسَ وَفِيمَا بَيْنَهُمَا جَزِيرَةُ الْعَرَبِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ وَبِلَادِ الشَّعْرِ فِي شَرْقِيَّهَا  
عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَعَلَى بِلَادِ الْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا إِلَيْهِمَا كَمَا نَذَرَهُ فِي  
الْإِقْلِيمِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ فَأَمَّا الَّذِي عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنْ غَرْبِيَّةِ بَلَدٍ زَالِعٍ مِنْ  
أَطْرَافِ بِلَادِ الْحَبْشَةِ وَمَجَالَاتُ الْبَحَّةِ<sup>(١)</sup> فِي شَمَالِي الْحَبْشَةِ مَا بَيْنَ جَبَلِ الْعَلَّاقِي فِي أَعَالِي  
الصَّعِيدِ وَبَيْنَ بَحْرِ الْقُلْزُومِ الْمَاطِطِ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَتَحْتَ بِلَادِ زَالِعٍ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ  
فِي هَذَا الْجُزْءِ خَابِجُ بَابِ الْمَنْدَبِ يَضِيقُ الْبَحْرُ الْمَاطِطُ هُنَاكَ بِمُزَاحِمَةِ جَبَلِ الْمَنْدَبِ  
الْمَائِلِ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ مُمْتَدًّا مَعَ سَاحِلِ الْيَمَنِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ فِي  
طُولِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا فَيَضِيقُ الْبَحْرُ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ فِي عَرْضِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ  
أَوْ نَحْوِهَا وَيُسَمَّى بَابَ الْمَنْدَبِ وَعَلَيْهِ تَمْرٌ مَرَاكِبُ الْيَمَنِ إِلَى سَاحِلِ السُّوَيْسِ قَرِيبًا  
مِنْ مِصْرَ وَتَحْتَ بَابِ الْمَنْدَبِ جَزِيرَةُ سَوَاكِنَ وَدَهْلَاكَ وَقُبَابَتُهُ مِنْ غَرْبِيَّةِ تَجَالَاتُ الْبَحَّةِ  
مِنْ أَمْرِ السُّودَانِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ شَرْقِيَّةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ تَهَائِمُ الْيَمَنِ وَمِنْهَا عَلَى سَاحِلِهِ  
بَلَدٌ عَلَى بْنِ يَعْقُوبَ وَفِي جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْ بَلَدِ زَالِعٍ وَدَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنْ غَرْبِيَّةِ قُرَى  
بَرْبَرٍ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَنْعَطِفُ مِنْ جَنُوبِيَّةٍ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ السَّادِسِ وَيَلِيهَا هُنَاكَ مِنْ

(١) ويقال أيضا البحاه واما زالع فهي زيلع او



جِهَة شَرْقِيَّهَا بِلَادُ الزَّيْجِ ثُمَّ بِلَادُ سَفَالَةَ مِنْ سَاحِلِهِ الْجَنُوبِي بِلَادُ الْوَفَوَاقِ مُتَّصِلَةٌ إِلَى  
 آخِرِ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ عِنْدَ مَدْخَلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ . وَأَمَّا  
 جَزَائِرُ هَذَا الْبَحْرِ فَكَثِيرَةٌ . مِنْ أَعْظَمِهَا جَزِيرَةُ سَرَنْدِيبَ مَدَوْرَةُ الشَّكْلِ . وَبِهَا  
 الْجَبَلُ الْمَشْهُورُ يُقَالُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَعْلَى مِنْهُ وَهِيَ قِبَالَةُ سَفَالَةَ . ثُمَّ جَزِيرَةُ الْقَهْرِ وَهِيَ  
 جَزِيرَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ تَبْدَأُ مِنْ قِبَالَةِ أَرْضِ سَفَالَةَ وَتَذْهَبُ إِلَى الشَّرْقِ مُنْحَرِفَةً بِكَثِيرٍ إِلَى  
 أَنْ تَقْرُبَ مِنْ سَوَاحِلِ أَعَالِي الصِّينِ وَيَحْتَفُّ بِهَا فِي هَذَا الْبَحْرِ مِنْ جَنُوبِهَا جَزَائِرُ الْوَفَوَاقِ  
 وَمِنْ شَرْقِهَا جَزَائِرُ السَّيْلَانِ إِلَى جَزَائِرٍ أُخَرَ فِي هَذَا الْبَحْرِ كَثِيرَةٌ الْعَدَدِ وَفِيهَا أَنْوَاعُ  
 الطَّيِّبِ وَالْأَفَاوِيهِ وَفِيهَا يُقَالُ مُعَادِنُ الذَّهَبِ وَالزُّمُرُودِ وَعَامَّةُ أَهْلِهَا عَلَى دِينِ النُّجُوسِيَّةِ  
 وَفِيهِمْ مُلُوكٌ مُتَعَدِّدُونَ وَبِهَذِهِ الْجَزَائِرِ مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمَرَانِ عَجَائِبُ ذَكَرَهَا أَهْلُ الْجُغْرَافِيَا  
 وَعَلَى الضَّفَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ بِلَادُ الْيَمَنِ كُلُّهَا  
 مِنْ جِهَةِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ بَلَدُ زَيْدٍ وَالْمُهْجَمُ وَتِهَامَةُ الْيَمَنِ وَبَعْدَهَا بَلَدُ صَعْدَةَ مَقَرِّ الْإِمَامَةِ  
 الزَّيْدِيَّةِ وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنِ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ وَعَنِ الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ وَفِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ مَدِينَةُ عَدَنَ  
 وَفِي شَمَالِهَا صَنْعَاءُ وَبَعْدَهُمَا إِلَى الْمَشْرِقِ أَرْضُ الْأَحْقَافِ وَظَفَّارٍ وَبَعْدَهَا أَرْضُ  
 حَضْرَمُوتَ ثُمَّ بِلَادُ الشَّحْرِ مَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ وَبَحْرِ فَارِسَ . وَهَذِهِ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ هِيَ الَّتِي أَنْكَشَفَتْ عَنْهَا الْبَحْرُ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْإِقْلِيمِ الْوُسْطَى وَيَتَكَشَّفُ  
 بَعْدَهَا قَلِيلٌ مِنَ الْجُزْءِ التَّاسِعِ وَأَكْثَرُ مِنْهُ مِنَ الْعَاشِرِ فِيهِ أَعَالِي بِلَادِ الصِّينِ وَمِنْ مَدَنِهِ  
 الشَّهِيرَةِ خَانِكُوقِبَالَتُهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ جَزَائِرُ السَّيْلَانِ وَقَدْ أَقْدَمَ ذِكْرُهَا وَهَذَا آخِرُ  
 الْكَلَامِ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِيُّ التَّوْفِيقِ بِمَنْهِ وَفَضْلِهِ  
 الْإِقْلِيمُ الثَّانِي \* وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالْأَوَّلِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَقِبَالَةُ الْمَغْرِبِ مِنْهُ فِي الْبَحْرِ  
 الْمُحِيطِ جَزِيرَتَانِ مِنَ الْجَزَائِرِ الْخَالِدَاتِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْهُ  
 فِي الْجَانِبِ الْأَعْلَى مِنْهُمَا أَرْضُ قُدُورِيَّةَ وَبَعْدَهَا فِي جِهَةِ الشَّرْقِ أَعَالِي أَرْضِ غَانَةَ ثُمَّ مَجَالَاتُ  
 زَغَاوَةَ مِنَ السُّودَانِ وَفِي الْجَانِبِ الْأَسْفَلِ مِنْهُمَا صَحْرَاءُ نِسْتَرِ مُتَّصِلَةٌ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الشَّرْقِ  
 ذَاتُ مَفَاوِزَ تَسْلُكُ فِيهَا التُّجَّارُ مَا بَيْنَ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَبِلَادِ السُّودَانِ وَفِيهَا مَجَالَاتُ  
 الْمَلْشَمِينَ مِنْ صِنَهَاجَةٍ وَهُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مَا بَيْنَ كَزُولَةَ وَلِمَثُونَةَ وَمَسْرَاتَةَ وَلِمِطَةَ  
 وَوَرِيكَةَ وَعَلَى سَمْتِ هَذِهِ الْمَفَاوِزِ شَرْقًا أَرْضُ فِرْزَانَ ثُمَّ مَجَالَاتُ أَزْكَارَ مِنْ قِبَالِ



الْبَرَبَرِ ذَاهِبَةً إِلَى أَعَالِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ عَلَى سَمْتِهَا فِي الشَّرْقِ وَبَعْدَهَا مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّلَاثِ  
 وَهِيَ جِهَةُ الشَّمَالِ مِنْهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ وَدَانَ وَعَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا أَرْضُ سِنْدِيَّةَ وَتُسَمَّى الْوَاحَاتِ  
 اِدَاخِلَةً وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ أَعْلَاهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ الْبَاحَوِيِّينَ ثُمَّ يَغْتَرِضُ فِي وَسْطِ هَذَا  
 الْجُزْءِ بِلَادُ الصَّعِيدِ حَافَاتُ النَّيْلِ الذَّاهِبِ مِنْ مَبْدِئِهِ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَى مَصَبِّهِ فِي  
 الْبَحْرِ فَيَمُرُّ فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيْنَ الْجِبَلَيْنِ الْحَاجِزَيْنِ وَهُمَا جَبَلُ الْوَاحَاتِ مِنْ غَرْبِيَّةٍ وَجَبَلُ  
 الْمُقَطَّمِ مِنْ شَرْقِيَّةٍ وَعَلَيْهِ مِنْ أَعْلَاهُ بِلَادُ أَسْنَا وَأَزْمَنْتَ وَيَتَّصِلُ كَذَلِكَ حَافَاتُهُ إِلَى  
 أَسْبُوطَ وَقُوصَ ثُمَّ إِلَى صُولٍ وَيَفْتَرِقُ النَّيْلُ هُنَاكَ عَلَى شُعْبَيْنِ يَنْتَهِي الْأَيْمَنُ مِنْهُمَا فِي هَذَا  
 الْجُزْءِ عِنْدَ الْأَهْوَنِ وَالْأَيْسَرُ عِنْدَ دِلَاصٍ وَفِيمَا بَيْنَهُمَا أَعَالِي دِيَارِ مِصْرَ وَفِي الشَّرْقِ مِنْ  
 جَبَلِ الْمُقَطَّمِ صَحَارَى عِيَذَابَ ذَاهِبَةً فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى بَحْرِ السُّوَيْسِ  
 وَهُوَ بَحْرُ الْقَلْزُومِ الْهَاطِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ فِي الْجَنُوبِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ فِي عُدُوتِهِ  
 الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ الْحِجَازِ مِنْ جَبَلٍ يَلْمَلَمُ إِلَى بِلَادِ يَثْرِبَ فِي وَسْطِ الْحِجَازِ  
 مَكَّةُ شَرَفَهَا اللَّهُ وَفِي سَاحِلِهَا مَدِينَةُ جَدَّةَ تُقَابِلُ بِلَادَ عِيَذَابَ فِي الْعُدُوتِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا  
 الْبَحْرِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ غَرْبِيَّةٍ بِلَادُ نَجْدِ أَعْلَاهَا فِي الْجَنُوبِ وَتُبَالَةُ وَجَرَشُ إِلَى  
 عُكَاظَ مِنَ الشَّمَالِ وَتَحْتَ نَجْدٍ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ الْحِجَازِ وَعَلَى سَمْتِهَا فِي الشَّرْقِ  
 بِلَادُ نَجْرَانَ وَخَيْبَرَ وَتَحْتَهَا أَرْضُ الْيَمَامَةِ وَعَلَى سَمْتِ نَجْرَانَ فِي الشَّرْقِ أَرْضُ سَبَا وَمَأْرِبَ  
 ثُمَّ أَرْضُ الشَّحْرِ وَيَنْتَهِي إِلَى بَحْرِ فَارِسَ وَهُوَ الْبَحْرُ الثَّانِي الْهَاطِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 إِلَى الشَّمَالِ كَمَا مَرَّ وَيَذْهَبُ فِي هَذَا الْجُزْءِ بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الْغَرْبِ فَيَمُرُّ مَا بَيْنَ شَرْقِيَّةٍ  
 وَغَرْبِيَّةٍ قِطْعَةً مُثَلَّثَةً عَلَيْهَا مِنْ أَعْلَاهُ مَدِينَةُ قَلْهَاتَ وَهِيَ سَاحِلُ الشَّحْرِ ثُمَّ تَحْتَهَا عَلَى سَاحِلِهِ  
 بِلَادُ عُثْمَانَ ثُمَّ بِلَادُ الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرٌ مِنْهَا فِي آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ فِي الْأَعْلَى مِنْ  
 غَرْبِيَّةٍ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ فَارِسَ تَتَّصِلُ بِالْقِطْعَةِ الْآخَرَى فِي السَّادِسِ وَيَنْغُمُرُ بِبَحْرِ الْهِنْدِ جَانِبُهُ  
 الْأَعْلَى كُلُّهُ وَعَلَيْهِ هُنَاكَ بِلَادُ السِّنْدِ إِلَى بِلَادِ مَكْرَانَ وَيُقَابِلُهَا بِلَادُ الطُّوْبَرَانَ وَهِيَ مِنْ  
 السِّنْدِ أَيْضًا فَيَتَّصِلُ السِّنْدُ كُلُّهُ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَتَحُولُ الْمَقَاوِرُ بَيْنَهُ  
 وَبَيْنَ أَرْضِ الْهِنْدِ وَيَمُرُّ فِيهِ نَهْرُهُ الْأَيْمَنُ مِنْ نَاحِيَةِ بِلَادِ الْهِنْدِ وَيَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 فِي الْجَنُوبِ وَأَوَّلُ بِلَادِ الْهِنْدِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا بِلَادُ بَلَهَرَا وَتَحْتَهَا  
 فِي الْجَانِبِ الْأَسْفَلِ أَرْضُ كَابِلَ وَبَعْدَهَا شَرْقًا إِلَى الْبَحْرِ الْخَمِيطِ بِلَادُ الْقَنُوجِ مَا بَيْنَ



قَشْمِيرَ الدَّاخلَةِ وَقَشْمِيرَ الخَارِجَةِ عِنْدَ آخِرِ الْإِقْلِيمِ وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ ثُمَّ فِي الْجَانِبِ  
الْغَرْبِيِّ مِنْهُ بِلَادُ الْهِنْدِ الْأَفْصَى وَيَتَّصِلُ فِيهِ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ فَيَتَّصِلُ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى  
الْعَاشِرِ وَتَبْقَى فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ الْجَانِبِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الصِّينِ فِيهَا مَدِينَةُ شِيغُونُ ثُمَّ تَتَّصِلُ  
بِلَادُ الصِّينِ فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ كُلِّهِ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ وَبِهِ سُبْحَانَهُ  
التَّوْفِيقُ وَهُوَ وَلِيُّ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ

الْإِقْلِيمُ الثَّلَاثُ \* وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالثَّانِي مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهُ وَعَلَى  
نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْ أَعْلَاهُ جَبَلٌ دَرَنٌ مُعْتَرِضٌ فِيهِ مِنْ غَرْبِهِ عِنْدَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ إِلَى الشَّرْقِ  
عِنْدَ آخِرِهِ وَيَسْتَكُنُّ هَذَا الْجَبَلُ مِنَ الْبَرَبِ أُمَّمٌ لَا يُخَصِّمُهُمْ إِلَّا خَالِقُهُمْ حَسَبَمَا يَأْتِي  
ذِكْرُهُ وَفِي الْقِطْعَةِ الَّتِي بَيْنَ هَذَا الْجَبَلِ وَالْإِقْلِيمِ الثَّانِي وَعَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنْهَا رِبَاطُ  
مَاسَّةٍ وَيَتَّصِلُ بِهِ شَرْقًا بِلَادُ سُوسٍ وَنُولٍ وَعَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا بِلَادُ دَرَعَةٍ ثُمَّ بِلَادُ سِجْلَمَاسَةٍ  
ثُمَّ قِطْعَةٌ مِنْ صَحْرَاءٍ نِسْرٍ الْمَفَازَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّانِي وَهَذَا الْجَبَلُ مُطَّلٍ  
عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ وَهُوَ قَلِيلُ الثَّنَائِيَا وَالْمَسَالِكِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ  
إِلَى أَنْ يَسَامِتَ وَادِي مَلُويَّةٍ فَتَكْثُرُ ثَنَائِيَاهُ وَمَسَالِكُهُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ وَفِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ  
مِنْهُ أُمَّمٌ الْمَصَامِدَةُ ثُمَّ هَنْتَانَةُ ثُمَّ تَيْمَمَلَاكُ ثُمَّ كَذْمِيُوهُ ثُمَّ مَشْكُورَةُ وَهُمْ آخِرُ الْمَصَامِدَةِ  
فِيهِ ثُمَّ قِبَائِلُ صِنِهَاكَةَ وَهُمْ صِنِهَاجَةُ وَفِي آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ مِنْهُ بَعْضُ قِبَائِلِ زَنَاتَةَ وَيَتَّصِلُ  
بِهِ هُنَالِكَ مِنْ جَوْفِيهِ جَبَلٌ أَوْرَاسٌ وَهُوَ جَبَلٌ كُتَامَةٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أُمَّمٌ أُخْرَى مِنَ الْبَرَابِرَةِ  
نَذَكْرُهُمْ فِي أَمَاكِيهِمْ ثُمَّ إِنَّ جَبَلٌ دَرَنٌ هَذَا مِنْ جِهَةِ غَرْبِهِ مُطَّلٍ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ  
الْأَفْصَى وَهِيَ فِي جَوْفِيهِ فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا بِلَادُ مَرَاكِشَ وَأَغْمَاتٍ وَتَادَلَا وَعَلَى  
الْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنْهَا رِبَاطُ أَسْنَى وَمَدِينَةُ سَلَا وَفِي الْجَوْفِ عَنْ بِلَادِ مَرَاكِشَ بِلَادُ فَاسٍ  
وَمَكْنَسَةُ وَتَارَا وَقَصْرُ كُتَامَةٍ وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْمَغْرِبَ الْأَفْصَى فِي عُرْفِ أَهْلِهَا  
وَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنْهَا بِلَدَانُ أُصِيلَا وَالْعَرَايشِ وَفِي سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ شَرْقًا بِلَادُ  
الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ وَقَاعِدَتُهَا تَلْمَسَانُ وَفِي سَوَاحِلِهَا عَلَى الْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ بَلَدُ هَنِينَ وَوَهْرَانُ  
وَالْجَزَائِرُ لِأَنَّ هَذَا الْبَحْرَ الرَّومِيَّ يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنْ خَلِيجِ طَنْجَةَ فِي النَّاحِيَةِ  
الْغَرْبِيَّةِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا فَيَنْتَهِيَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَإِذَا خَرَجَ مِنَ  
الْخَلِيجِ الْمُتَضَائِقِ غَيْرَ بَعِيدٍ انْفَسَحَ جَنُوبًا وَشَمَالًا فَدَخَلَ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسِ

فَلِهَذَا كَانَ عَلَى سَاحِلِهِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثُ الْكَثِيرُ مِنْ بِلَادِهِ ثُمَّ يَتَّصِلُ بِبِلَادِ  
 الْجَزَائِرِ مِنْ شَرْقِيَّهَا بِلَادُ بَجَايَةِ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ ثُمَّ قُسْطَنْطِينِيَّةُ فِي الشَّرْقِ مِنْهَا وَفِي آخِرِ  
 الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَعَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ فِي جَنُوبِي هَذِهِ الْبِلَادِ وَمُرْتَفَعًا إِلَى جَنُوبِ  
 الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ بَلَدٌ أَشِيرٌ ثُمَّ بَلَدُ الْمَسِيلَةِ ثُمَّ الزَّابُ وَقَاعِدَتُهُ بِسَكْرَةٍ تَحْتَ جَبَلِ أَوْرَاسِ  
 الْمَتَّصِلِ بِدَرَنْ كَمَا مَرَّ وَذَلِكَ عِنْدَ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَالْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ  
 هَذَا الْإِقْلِيمِ عَلَى هَيْئَةِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ثُمَّ جَبَلُ دَرَنْ عَلَى نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْ جَنُوبِهِ ذَاهِبًا فِيهِ  
 مِنْ غَرْبٍ إِلَى شَرْقٍ فَيَقْسِمُهُ بِقِطْعَتَيْنِ وَيَغْمُرُ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ مَسَافَةً مِنْ شِمَالِهِ فَأَلْقِطَعَةُ  
 الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلِ دَرَنْ غَرْبِيَّهَا كُلُّهُ مَمَّاوَزٌ وَفِي الشَّرْقِ مِنْهَا بَلَدٌ عُذَامِسَ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا  
 أَرْضُ وَدَّانَ الَّتِي بَقِيَّتُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّانِي كَمَا مَرَّ وَالْقِطْعَةُ الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلِ دَرَنْ مَا  
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الْغَرْبِ مِنْهَا جَبَلُ أَوْرَاسِ وَتَبَسَةُ وَالْأَوْبَسُ وَعَلَى سَاحِلِ  
 الْبَحْرِ بَلَدٌ بُونَةُ ثُمَّ فِي سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ شَرْقًا بِلَادُ أَفْرِيقِيَّةَ فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مَدِينَةُ  
 تُونِسَ ثُمَّ السُّوسَةُ ثُمَّ الْمَهْدِيَّةُ وَفِي جَنُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ تَحْتَ جَبَلِ دَرَنْ بِلَادُ الْجَرِيدِ  
 تَوَزَّرُ وَقَفْصَةُ وَتَفَرَاوَةُ وَفِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ السُّوَاكِحِ مَدِينَةُ الْقَيْرَوَانِ وَجَبَلُ وَسَلَاتِ وَسَبِيْطَلَةُ  
 وَعَلَى سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا شَرْقًا بَلَدٌ طَرَابُلُسَ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَبِأَزَائِهَا فِي الْجَنُوبِ  
 جَبَلُ دُمُرٍ وَتَقَرَّةُ مِنْ قِبَائِلِ هَوَارَةَ مُتَّصِلَةٌ بِجَبَلِ دَرَنْ وَفِي مُقَابَلَةِ عُذَامِسَ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا  
 فِي آخِرِ الْقِطْعَةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَآخِرُ هَذَا الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ سَوِيقَةُ ابْنِ مَشْكُورَةَ عَلَى الْبَحْرِ  
 وَفِي جَنُوبِهَا مَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِي أَرْضِ وَدَّانَ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ يَمْرُأُ بَيْضًا  
 فِيهِ جَبَلُ دَرَنْ إِلَّا أَنَّهُ يُنْعَطِفُ عِنْدَ آخِرِهِ إِلَى الشَّمَالِ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِهِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ  
 فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيُسَمَّى هُنَاكَ طَرَفَ أَوْثَانَ وَالْبَحْرُ الرُّومِيُّ مِنْ شِمَالِهِ يَغْمُرُ طَائِفَةٌ  
 مِنْهُ إِلَى أَنْ يَصَاقِقَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبَلِ دَرَنْ فَالَّذِي وَرَاءَ الْجَبَلِ فِي الْجَنُوبِ وَفِي الْغَرْبِ  
 مِنْهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ وَدَّانَ وَمَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِيهَا ثُمَّ زَوِيلَةُ ابْنِ خَطَّابٍ ثُمَّ رِمَالٌ وَقِفَارٌ إِلَى  
 آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ وَفِيمَا بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْبَحْرِ فِي الْغَرْبِ مِنْهُ بَلَدٌ سَرْتٌ عَلَى الْبَحْرِ ثُمَّ  
 خَلَاءٌ وَقِفَارٌ تَجُولُ فِيهَا الْعَرَبُ ثُمَّ أَجْدَابِيَّةٌ ثُمَّ بَرْقَةُ عِنْدَ مُنْعَطِفِ الْجَبَلِ ثُمَّ طَلْمَسَةُ عَلَى  
 الْبَحْرِ هُنَاكَ ثُمَّ فِي شَرْقِ الْمُنْعَطِفِ مِنَ الْجَبَلِ مَجَالَاتُ هَيْبٍ وَرُوحَاةُ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
 فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ وَفِي الْأَعْلَى مِنْ غَرْبِيَّةِ صَحَارَى بَرْقِيقِ وَأَسْفَلُ مِنْهَا



بلاد هيب ورواحه ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طائفة منه إلى الجنوب  
 حتى يزاحم طرفه الأعلى ويبقى بينه وبين آخر الجزء قفار تجول فيها العرب وعلى سمتها  
 شرقا بلاد الفيوم وهي على مصب أحد الشعبين من النيل الذي يمر على اللاهون من  
 بلاد الصعيد في الجزء الرابع من الأقليم الثاني ويصب في بحيرة فيوم وعلى سمتها شرقا  
 أرض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد  
 عند آخر الجزء الثاني ويفترق هذا الشعب أفترقة ثانية من تحت مصر على شعبين  
 آخرين من شطونف وزفتي وينقسم الأيمن منهما من قرطط بشعبين آخرين ويصب  
 جميعها في البحر الرومي فعلى مصب الغربي من هذا الشعب بلد الإسكندرية وعلى  
 مصب الوسط بلد رشيد وعلى مصب الشرقي بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين  
 هذه السواحل البحرية أسافل الديار المصرية كلها محشوة عمرانا وقلجا وفي الجزء  
 الخامس من هذا الأقليم بلاد الشام وأكثرها على ما أصف وذلك لأن بحر القلزم  
 ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس لأنه في ممره مبتدى من البحر الهندي  
 إلى الشمال ينعطف أخذا إلى جهة الغرب فيكون قطعة من أنعطافه في هذا الجزء  
 طويلة فينتهي في الطرف الغربي منه إلى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس  
 فاران ثم جبل الطور ثم أيلة مدين ثم الحوزاء في آخرها ومن هنالك ينعطف بساحله  
 إلى الجنوب في أرض الحجاز كما مر في الأقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي  
 الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيرا من غربيته  
 عليها الفرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فيضايق ما بينهما من هنالك ويبقى شبه  
 الباب مفضيا إلى أرض الشام وفي غربي هذا الباب فخص التيه أرض جرداء لا تثبت  
 كانت مجالا لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم إلى الشام أربعين  
 سنة كما قصة القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طائفة من  
 جزيرة قبرص وبقيتها في الأقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند  
 الطرف المتضايق لبحر السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان  
 وبينهما طرف هذا البحر ثم تخط هذه القطعة في أنعطافها من هنالك إلى الأقليم  
 الرابع عند طرابلس وعزة وهنالك ينتهي البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه

الْقِطْعَةُ أَكْثَرُ سَوَاحِلِ الشَّامِ فِي شَرْقِهِ غَزَّةٌ ثُمَّ عَسْقَلَانُ وَبِأَنْحِرَافٍ يَسِيرُ عَنْهَا إِلَى  
 الشَّامِ بَلَدٌ قَيْسَارِيَّةٌ ثُمَّ كَذَلِكَ بَلَدٌ عَكَّا ثُمَّ صُورٌ ثُمَّ صَيْدَا ثُمَّ يَنْعَطِفُ الْبَحْرُ إِلَى الشَّامِ  
 فِي الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ وَيُقَابِلُ هَذِهِ الْبِلَادَ السَّاحِلِيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ جَبَلٌ  
 عَظِيمٌ يُخْرِجُ مِنْ سَاحِلِ أَيْلَةَ مِنْ بَحْرِ الْقَلْزُومِ وَيَذْهَبُ فِي نَاحِيَةِ الشَّامِ مُنَحْرِفًا إِلَى الشَّرْقِ  
 إِلَى أَنْ يُجَاوِزَ هَذَا الْجُزْءَ وَيُسَمَّى جَبَلُ اللَّكَّامِ وَكَأَنَّهُ حَاجِزٌ بَيْنَ أَرْضِ مِصْرَ وَالشَّامِ  
 فِي طَرَفِهِ عِنْدَ أَيْلَةَ الْعَقِبَةُ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا الْحِجَّاجُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ بَعْدَهَا فِي  
 نَاحِيَةِ الشَّامِ مَدْفَنُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ جَبَلِ الشُّرَاةِ يَتَّصِلُ مِنْ عِنْدِ  
 جَبَلِ اللَّكَّامِ الْمَذْكُورِ مِنْ شَمَالِ الْعَقِبَةِ ذَاهِبًا عَلَى سَمْتِ الشَّرْقِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ قَلِيلًا وَفِي  
 شَرْقِهِ هُنَالِكَ بَلَدُ الْحَبَرِ وَدِيَارُ ثَمُودَ وَتَيْمَاءَ وَدُومَةَ الْجَنْدَلِ وَهِيَ أَسْفَلُ الْحِجَازِ وَفَوْقَهَا  
 جَبَلٌ رَضَوِي وَحُصُونٌ خَيْبَرِي فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ عَنْهَا وَفِيمَا بَيْنَ جَبَلِ الشُّرَاةِ وَبَحْرِ الْقَلْزُومِ  
 صَحْرَاءُ تَبُوكَ وَفِي شَمَالِ جَبَلِ الشُّرَاةِ مَدِينَةُ الْقُدْسِ عِنْدَ جَبَلِ اللَّكَّامِ ثُمَّ الْأَزْدُنُ ثُمَّ  
 طَبْرِيَّةٌ وَفِي شَرْقِهَا بِلَادُ الْغُورِ إِلَى أَذْرُعَاتٍ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا دُومَةُ الْجَنْدَلِ آخِرُ هَذَا  
 الْجُزْءِ وَهِيَ آخِرُ الْحِجَازِ . وَعِنْدَ مُنْعَطِفِ جَبَلِ اللَّكَّامِ إِلَى الشَّامِ مِنْ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ  
 مَدِينَةُ دِمَشْقَ مُقَابِلَةُ صَيْدَا وَبِيرُوتَ مِنَ الْقِطْعَةِ الْبَحْرِيَّةِ وَجَبَلُ اللَّكَّامِ يَعْطُرُ بَيْنَهَا  
 وَبَيْنَهَا وَعَلَى سَمْتِ دِمَشْقَ فِي الشَّرْقِ مَدِينَةُ بَعْلَبَكْ ثُمَّ مَدِينَةُ حِمصَ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ آخِرُ  
 الْجُزْءِ عِنْدَ مُنْقَطَعِ جَبَلِ اللَّكَّامِ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ بَعْلَبَكْ وَحِمصَ بَلَدٌ تَدْمُرُ وَتَجَالَاتُ  
 الْبَادِيَّةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ أَعْلَاهُ تَجَالَاتُ الْأَعْرَابِ تَحْتَ بِلَادِ تَبَجْدِ  
 وَالْيَمَامَةِ مَا بَيْنَ جَبَلِ الْعُرْجِ وَالصَّامَانَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرُ عَلَى بَحْرِ فَارِسَ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا  
 هَذَا الْجُزْءِ تَحْتَ التَّجَالَاتِ بَلَدُ الْحِيرَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَمَغَايِضُ الْفُرَاتِ . وَفِيمَا بَعْدَهَا شَرْقًا  
 مَدِينَةُ الْبَصْرَةِ وَفِي هَذَا الْجُزْءِ يَنْشَبِي بَحْرُ فَارِسَ عِنْدَ عِبَادَانَ وَالْأَيْلَةَ مِنْ أَسْفَلِ الْجُزْءِ  
 مِنْ شَمَالِهِ وَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ عِبَادَانَ نَهْرٌ دَجَاةٌ بَعْدَ أَنْ يَنْقَسِمَ بِجَدَاوِلَ كَثِيرَةٍ وَتَخْتَلِطُ  
 بِهِ جَدَاوِلُ أُخْرَى مِنَ الْفُرَاتِ ثُمَّ تَجْتَمِعُ كُلُّهَا عِنْدَ عِبَادَانَ وَتَصُبُّ فِي بَحْرِ فَارِسَ وَهَذِهِ  
 الْقِطْعَةُ مِنَ الْبَحْرِ مُتَّسِعَةٌ فِي أَعْلَاهُ مُتَضَايِقَةٌ فِي آخِرِهِ فِي شَرْقِهِ وَضَيْقَةٌ عِنْدَ مُنْتَهَاهُ  
 مُضَايِقَةٌ لِلْحَدِّ الشَّمَالِيِّ مِنْهُ وَعَلَى عُدُوتِهَا الْغَرِبِيَّةِ مِنْهُ أَسْفَلُ الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرُ وَالْأَحْسَاءِ وَفِي  
 غَرْبِهَا أَخْطَبُ وَالصَّامَانُ وَبَقِيَّةُ أَرْضِ الْيَمَامَةِ وَعَلَى عُدُوتِهِ الشَّرْقِيَّةِ سَوَاحِلُ فَارِسَ مِنْ



أَعْلَاهَا وَهُوَ مِنْ عِنْدِ آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّرْقِ عَلَى طَرَفٍ قَدِ امْتَدَّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مُشْرِقًا  
وَوَرَاءَهُ إِلَى الْجَنُوبِ فِي هَذَا الْجُزْءِ جِبَالُ الْقَنْصِ مِنْ كُرْمَانَ وَتَحْتَ هِرْمِزٍ بِلَادُ فَارِسَ  
مِثْلَ سَابُورَ وَدَارَا بَجَرْدَ وَنَسَا وَإِصْطَخَرَ وَالشَّاهِجَانَ وَشِيرَازَ وَهِيَ قَاعِدَتُهَا كُلُّهَا وَتَحْتَ بِلَادِ  
فَارِسَ إِلَى الشَّمَالِ عِنْدَ طَرَفِ الْبَحْرِ بِلَادُ خُودَسْتَانَ وَمِنْهَا الْأَهْوَازُ وَتَسْتُرُ وَصَدَى وَسَابُورُ  
وَالسُّوسُ وَرَامَ هِرْمِزُ وَغَيْرُهَا وَأَرْجَانُ وَهِيَ حَدُّ مَا بَيْنَ فَارِسَ وَخُودَسْتَانَ جِبَالُ الْأَكْرَادِ  
مُصِلَةٌ إِلَى نَوَاحِي أَصْبَهَانَ وَبِهَا مَسَاكِينُهُمْ وَبِجَالَانَهُمْ وَرَاءَهَا فِي أَرْضِ فَارِسَ وَتَسَى  
الرُّسُومُ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ فِي الْأَعْلَى مِنْهُ مِنَ الْمَغْرِبِ بَقِيَّةُ جِبَالِ الْقَنْصِ وَيَلِيهَا مِنَ  
الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ بِلَادُ كُرْمَانَ وَمَكَرَانَ وَمِنْ مَدِينَتِهَا الرُّودَنُ وَالشَّيْرَجَانُ وَجِيرَفَتُ وَيَزْدَ شِيرُ  
وَالْبَهْرَجُ وَتَحْتَ أَرْضِ كُرْمَانَ إِلَى الشَّمَالِ بَقِيَّةُ بِلَادِ فَارِسَ إِلَى حُدُودِ أَصْبَهَانَ وَمَدِينَةُ  
أَصْبَهَانَ فِي طَرَفِ هَذَا الْجُزْءِ مَا بَيْنَ غَرْبِهِ وَشَمَالِهِ ثُمَّ فِي الْمَشْرِقِ عَنْ بِلَادِ كُرْمَانَ وَبِلَادِ  
فَارِسَ أَرْضُ سِجِسْتَانَ وَكُوهَسْتَانَ فِي الْجَنُوبِ وَأَرْضُ كُوهَسْتَانَ فِي الشَّمَالِ غَرْبًا وَبِتَوْسَطِ  
بَيْنَ كُرْمَانَ وَفَارِسَ وَبَيْنَ سِجِسْتَانَ وَكُوهَسْتَانَ وَفِي وَسَطِ هَذَا الْجُزْءِ الْمَفَاوِزُ الْعَظْمَى  
الْقَلِيلَةُ الْمَسَالِكُ لِصُعُوبَتِهَا وَمِنْ مَدُنِ سِجِسْتَانَ بَسْتُ وَالطَّاقُ وَأَمَّا كُوهَسْتَانَ فَهِيَ مِنْ بِلَادِ  
خُرَاسَانَ وَمِنْ مَشَاهِيرِ بِلَادِهَا سَرْخَسُ وَكُوهَسْتَانَ آخِرُ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ غَرْبِهِ  
وَجَنُوبِهِ بَجَالَاتُ الْجَلَجِ مِنْ أَمْرِ التُّرْكِ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ سِجِسْتَانَ مِنْ غَرْبِهَا وَبِأَرْضِ كَابِلِ  
الْهِنْدِ مِنْ جَنُوبِهَا وَفِي الشَّمَالِ عَنْ هَذِهِ الْبَجَالَاتِ جِبَالُ الْغُورِ وَبِلَادُهَا وَقَاعِدَتُهَا غَزَنَةُ  
فُرْضَةُ الْهِنْدِ وَفِي آخِرِ الْغُورِ مِنَ الشَّمَالِ بِلَادُ أَسْتَرَابَادَ ثُمَّ فِي الشَّمَالِ غَرْبًا إِلَى آخِرِ  
الْجُزْءِ بِلَادُ هَرَاتَ أَوْسَطُ خُرَاسَانَ وَبِهَا أَسْفَرَايْنُ وَقَاشَانُ وَبُوشَنجُ وَمَرُؤُ الرُّودِ وَالطَّالِقَانُ  
وَالْجُوزْجَانُ وَتَنْتَهِي خُرَاسَانُ هُنَاكَ إِلَى نَهْرِ جِيخُونِ وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ  
مِنْ غَرْبِهِ مَدِينَةُ بَلَخَ وَفِي شَرْقِيهِ مَدِينَةُ تَرْمِذَ وَمَدِينَةُ بَلَخَ كَانَتْ كُرْمِي مَمْلَكَةَ التُّرْكِ  
وَهَذَا النَّهْرُ نَهْرُ جِيخُونِ مَخْرَجُهُ مِنْ بِلَادِ وَجَارِي فِي حُدُودِ بَدَخْشَانَ مِمَّا يَلِي الْهِنْدَ وَيَخْرُجُ  
مِنْ جَنُوبِ هَذَا الْجُزْءِ وَعِنْدَ آخِرِهِ مِنَ الشَّرْقِ فَيَنْعَطِفُ عَنْ قُرْبِ مَغْرِبًا إِلَى وَسَطِ الْجُزْءِ  
وَيُسَمَّى هُنَاكَ نَهْرُ خَرَنْابَ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَمُرَّ بِخُرَاسَانَ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِهِ  
إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي بَحِيرَةِ خُوارَزْمَ فِي الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ كَمَا نَذَكْرُهُ وَيَمْلِكُهُ عِنْدَ أَنْعِطَافِهِ  
فِي وَسَطِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ خَمْسَةُ أَنْهَارٍ عَظِيمَةٍ مِنْ بِلَادِ الْخَلِّ وَالْوَسْخِ

مِنْ شَرْقِيهِ وَأَنْهَارُ أُخْرَى مِنْ جِبَالِ الْبَتَمِ مِنْ شَرْقِيهِ أَيْضًا وَجَوْفِي الْجَبَلِ حَتَّى يَنْسَحَ  
 وَيَعْظُمُ بِمَا لَا كَنْاءَ لَهُ وَمِنْ هَذِهِ الْأَنْهَارِ الْخَمْسَةِ الْمُمَدَّةِ لَهُ نَهْرٌ وَخَشَابٌ يُخْرُجُ مِنْ بِلَادِ  
 التَّبَتِ وَهِيَ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فَيَمُرُّ مُغْرَبًا بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى  
 أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ قَرِيبًا مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجُزْءِ يَعْتَاضُهُ فِي طَرِيقِهِ جَبَلٌ عَظِيمٌ  
 يَمُرُّ مِنْ وَسْطِ الْجَنُوبِ فِي هَذَا الْجُزْءِ مُشْرِقًا بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى  
 الْجُزْءِ التَّاسِعِ قَرِيبًا مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجُزْءِ فَيَجُوزُ بِلَادَ التَّبَتِ إِلَى الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَيَعْمَلُ بَيْنَ التُّرْكِ وَبَيْنَ بِلَادِ الْخَلِّ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا مَسَلَكٌ وَاحِدٌ فِي وَسْطِ  
 الشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ جَعَلَ فِيهِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى سِدًّا وَبَنَى فِيهِ بَابًا كَسَدَ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ  
 فَإِذَا خَرَجَ نَهْرٌ وَخَشَابٌ مِنْ بِلَادِ التَّبَتِ وَأَعْتَاضُهُ هَذَا الْجَبَلُ فَيَمُرُّ تَحْتَهُ فِي مَدَى بَعِيدٍ  
 إِلَى أَنْ يَمُرَّ فِي بِلَادِ الْوُخْشِ وَيَصُبُّ فِي نَهْرٍ جَيِّحُونَ عِنْدَ حُدُودِ بَلَخٍ ثُمَّ يَمُرُّ هَاطِطًا  
 إِلَى التُّرْمُذِ فِي الشَّمَالِ إِلَى بِلَادِ الْجُوزْجَانِ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ بِلَادِ الْغُورِ فِيمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ  
 نَهْرٍ جَيِّحُونَ بِلَادَ النَّاسَانِ مِنْ خُرَاسَانَ وَفِي الْعُدُوةِ الشَّرْقِيَّةِ هُنَاكَ مِنَ النَّهْرِ بِلَادُ الْخَلِّ  
 وَأَكْثَرُهَا جِبَالٌ وَبِلَادُ الْوُخْشِ وَيَعُدُّهَا مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ جِبَالُ الْبَتَمِ تُخْرُجُ مِنْ طَرَفِ  
 خُرَاسَانَ غَرْبِيًّا نَهْرٌ جَيِّحُونَ وَتَذْهَبُ مُشْرِقَةً إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ طَرَفُهَا بِالْجَبَلِ الْعَظِيمِ الَّذِي  
 خَلَقَهُ بِلَادُ التَّبَتِ وَيَمُرُّ تَحْتَهُ نَهْرٌ وَخَشَابٌ كَمَا قُلْنَا فَيَتَّصِلُ عِنْدَ بَابِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى  
 وَيَمُرُّ نَهْرٌ جَيِّحُونَ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَأَنْهَارُ أُخْرَى تَصُبُّ فِيهِ مِنْهَا نَهْرٌ بِلَادِ الْوُخْشِ يَصُبُّ  
 فِيهِ مِنَ الشَّرْقِ تَحْتَ التُّرْمُذِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَنَهْرٌ بَلَخٌ يُخْرُجُ مِنْ جِبَالِ الْبَتَمِ مَبْدَأُهُ عِنْدَ  
 الْجُوزْجَانِ وَيَصُبُّ فِيهِ مِنْ غَرْبِيهِ وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ غَرْبِيهِ بِلَادُ أَمِدَ مِنْ خُرَاسَانَ وَفِي  
 شَرْقِي النَّهْرِ مِنْ هُنَاكَ أَرْضُ الصَّغْدِ وَأَسْرُوشْنَةُ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَفِي شَرْقِهَا أَرْضُ  
 فَرغانةٍ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَكُلُّ بِلَادِ التُّرْكِ مُحُوزُهَا جِبَالُ الْبَتَمِ إِلَى شَمَالِهَا وَفِي  
 الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ غَرْبِهِ أَرْضُ التَّبَتِ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ وَفِي جَنُوبِهَا بِلَادُ الْهِنْدِ وَفِي  
 شَرْقِهَا بِلَادُ الصِّينِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا الْجُزْءِ شَمَالًا عَنْ بِلَادِ التَّبَتِ بِلَادُ  
 الْخَزْجِيَّةِ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَشَمَالًا وَيَتَّصِلُ بِهَا مِنْ غَرْبِهَا أَرْضُ  
 فَرغانةٍ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَمِنْ شَرْقِهَا أَرْضُ التَّغْرِغُرِ مِنَ التُّرْكِ إِلَى الْجُزْءِ شَرْقًا  
 وَشَمَالًا . وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ جَمِيعًا بَقِيَّةُ الصِّينِ وَأَسْفَلُهُ وَفِي الشَّمَالِ بَقِيَّةُ



بِلَادُ التَّغْرِغُرِ ثُمَّ شَرْقًا عَنْهُمْ بِلَادُ خَرْخِيرٍ مِنَ التُّرْكِ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَفِي  
 الشَّامِ مِنْ أَرْضِ خَرْخِيرٍ بِلَادُ كُثْمَانَ مِنَ التُّرْكِ وَقِبَالَتَهَا فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ جَزِيرَةٌ  
 الْيَاقُوتِ فِي وَسْطِ جَبَلٍ مُسْتَدِيرٍ لَا مَنَفَذَ مِنْهُ إِلَيْهَا وَلَا مَسَلَكَ وَالصُّعُودُ إِلَى أَعْلَاهُ مِنْ  
 خَارِجِهِ صَعْبٌ فِي الْغَايَةِ وَفِي الْجَزِيرَةِ حَيَاتٌ قَتَالَةٌ وَحَصَى مِنَ الْيَاقُوتِ كَثِيرَةٌ فَيَحْتَالُ أَهْلُ  
 تِلْكَ النَّاحِيَةِ بِمَا يُلْهِمُهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَأَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ فِي هَذَا الْجُزْءِ النَّاسِ وَالْعَاشِرِ فِيمَا  
 وَرَاءَ خُرَاسَانَ وَالْجِبَالِ كُلِّهَا تَجَالَتُ لِلتُّرْكِ أُمَمٌ لَا تُحْصَى وَهُمْ ظَوَاعِنُ رَحَالَةٍ أَهْلُ إِبِلٍ  
 وَشَاءٍ وَبَقَرٍ وَخَيْلٍ لِلنِّتَاجِ وَالرُّكُوبِ وَالْأَكْلِ وَطَوَائِفُهُمْ كَثِيرَةٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا  
 خَالِقُهُمْ وَفِيهِمْ مُسْلِمُونَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ النَّهْرِ نَهْرُ جَيْخُونٍ وَيَغْزُونَ الْكُذَّارَ مِنْهُمْ الدَّائِنِينَ  
 بِالْمَجُوسِيَّةِ فَيَبِيعُونَ رَقِيقَهُمْ لِمَنْ يَلِيهِمْ وَيَخْرُجُونَ إِلَى بِلَادِ خُرَاسَانَ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ  
 الْإِقْلِيمِ الرَّابِعُ \* يَتَّعِلُ بِالثَّلَاثِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ . وَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ فِي غَرْبِهِ  
 قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ أَوَّلِهِ جَنُوبًا إِلَى آخِرِهِ شِمَالًا وَعَلَيْهَا فِي الْجَنُوبِ  
 مَدِينَةٌ طَبْجَةٌ وَمِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ تَحْتَ طَبْجَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ إِلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي خَلِيجٍ  
 مَتَضَايِقٍ بِمِقْدَارِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا مَا بَيْنَ طَرِيفِ وَالْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ شِمَالًا وَقَصْرِ الْمَجَازِ  
 وَسِتَّةَ جَنُوبًا وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
 وَيَنْفَسِحُ فِي ذَهَابِهِ بِتَدْرِيجٍ إِلَى أَنْ يَغْمُرَ الْأَرْبَعَةَ الْأَجْزَاءَ وَأَكْثَرَ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا  
 الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسِ كَمَا سَنَذْكُرُهُ وَيُسَمَّى هَذَا الْبَحْرُ الْبَحْرَ الشَّامِيَّ أَيْضًا وَفِيهِ  
 جَزَائِرُ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا فِي جِهَةِ الْغَرْبِ بِابِسَةٍ ثُمَّ مَا يَرْقُ ثُمَّ مَرْقَةٌ ثُمَّ سَرْدَانِيَّةٌ ثُمَّ صِقْلِيَّةٌ  
 وَهِيَ أَكْثَرُهَا ثُمَّ بَلُوسٌ ثُمَّ أَقْرِيطُشٌ ثُمَّ قَبْرُصٌ كَمَا نَذْكُرُهَا كُلِّهَا فِي أَجْزَائِهَا الَّتِي وَقَعَتْ  
 فِيهَا وَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الرُّومِيِّ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْهُ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ  
 الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ خَلِيجُ الْبِنَادِقَةِ يَذْهَبُ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ عِنْدَ وَسْطِ الْجُزْءِ  
 مِنْ جَوْفِهِ وَيَمُرُّ مُغْرَبًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْخَامِسِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ أَيْضًا فِي  
 آخِرِ الْجُزْءِ الرَّابِعِ شَرْقًا مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ خَلِيجُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَمُرُّ فِي الشَّامِ  
 مَتَضَايِقًا فِي عَرْضِ رَمِيَةِ السَّهْمِ إِلَى آخِرِ الْإِقْلِيمِ ثُمَّ يَفْضِي إِلَى الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 السَّادِسِ وَيَنْعَطِفُ إِلَى بَحْرِ نِيطِشٍ ذَاهِبًا إِلَى الشَّرْقِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ كُلِّهِ وَنِصْفِ  
 السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ كَمَا نَذْكُرُ ذَلِكَ فِي أَمَاكِيهِ وَعِنْدَمَا يَخْرُجُ هَذَا الْبَحْرُ

الرُّومِيُّ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فِي خَلِيجٍ طَنْجَة وَتَنْفَسِحُ إِلَى الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ يَبْقَى فِي الْجَنُوبِ  
عَنِ الْخَلِيجِ قِطْعَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِيهَا مَدِينَةٌ طَنْجَة عَلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ وَبَعْدَهَا  
مَدِينَةٌ سَبْتَة عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ ثُمَّ قَطَاوْنٌ ثُمَّ بَادِيسٌ ثُمَّ يَغْمُرُ هَذَا الْبَحْرُ بَقِيَّةَ هَذَا الْجُزْءِ  
شَرْقًا وَيَخْرُجُ إِلَى الثَّلَاثِ وَأَكْثَرُ الْعِمَارَةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ فِي شِمَالِهِ وَشَمَالِ الْخَلِيجِ مِنْهُ  
وَهِيَ كُلُّهَا بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهَا مَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ أَوَّلُهَا طَرِيفٌ  
عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ وَفِي الشَّرْقِ مِنْهَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ ثُمَّ  
مَالِقَة ثُمَّ الْمَنْقَبُ ثُمَّ الْمَرْيَة وَتَحْتَ هَذِهِ مِنْ لَدُنِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ غَرْبًا وَعَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ  
شَرِيشٌ ثُمَّ لَبْلَة وَقِبَالَتُهَا فِيهِ جَزِيرَةُ قَادِسَ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ شَرِيشَ وَلَبْلَة إِشْدِيلِيَّةٌ ثُمَّ  
أَسْتَجَة وَفَرْطَبَة وَمَدِيلَة ثُمَّ غَرْنَاطَة وَجِيَانٌ وَابْدَة ثُمَّ وَاْدِيَاشُ وَبَسْطَة وَتَحْتَ هَذِهِ  
شَنْتَمَرِيَّةٌ وَشَابُ عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ غَرْبًا وَفِي الشَّرْقِ عَنْهُمَا بَطْلِيُوسُ وَمَارِدَة وَيَابِرَة  
ثُمَّ غَافِقُ وَبَرْجَالَة ثُمَّ قَاعَة رِيَاخَ وَتَحْتَ هَذِهِ أَشْبُونَة عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ غَرْبًا وَعَلَى نَهْرِ  
بَاجَة وَفِي الشَّرْقِ عَنْهَا شَنْتَرِينُ وَمَوْزِيَّةٌ عَلَى النَّهْرِ الْمَذْكُورِ ثُمَّ قَنْطَرَة السِّيفِ وَيُسَامِثُ  
أَشْبُونَة مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ جَبَلُ الْأَشَارَاتِ يَبْدَأُ مِنَ الْمَغْرِبِ هُنَاكَ وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا مَعَ  
آخِرِ الْجُزْءِ مِنْ شِمَالِهِ فَيَنْتَهِي إِلَى مَدِينَةِ سَالِمٍ فِيمَا بَعْدَ النِّصْفِ مِنْهُ وَتَحْتَ هَذَا الْجَبَلِ  
طَلْبِيرَة فِي الشَّرْقِ مِنْ فُورَنَة ثُمَّ طَلِيطْلَة ثُمَّ وَاْدِي الْحِجَارَةِ ثُمَّ مَدِينَةُ سَالِمٍ وَعِنْدَ أَوَّلِ  
هَذَا الْجَبَلِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَشْبُونَةِ بَلَدِ قَلَمَرِيَّةٍ وَهَذِهِ غَرْبِيَّ الْأَنْدَلُسِ وَأَمَّا شَرْقِيَّ الْأَنْدَلُسِ  
فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْهَا بَعْدَ الْمَرْيَةِ قَرْطَاجَنَة ثُمَّ لَفْتَة ثُمَّ دَانِيَة ثُمَّ بَلَنْسِيَّةٌ إِلَى  
طَرْطُوشَة آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ وَتَحْتَهَا شَمَالًا لِيُورْقَة وَشَقُورَة تُتَاخِمَانِ بَسْطَة وَقَاعَة رِيَاخَ  
مِنْ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ رَسِيَّةٌ شَرْقًا ثُمَّ شَاطِبَة تَحْتَ بَلَنْسِيَّةٍ شَمَالًا ثُمَّ شَقَرُ ثُمَّ طَرْطُوشَة  
ثُمَّ طَرْكُونَة آخِرِ الْجُزْءِ ثُمَّ تَحْتَ هَذِهِ شَمَالًا أَرْضُ مَنَجَالَة وَرِيْدَة مُتَاخِمَاتُ لَشَقُورَة  
وَطَلِيطْلَة مِنَ الْغَرْبِ ثُمَّ أَفْرَاغَة شَرْقًا تَحْتَ طَرْطُوشَة وَشَمَالًا عَنْهَا ثُمَّ فِي الشَّرْقِ عَنْ مَدِينَةِ  
سَالِمٍ قَلْعَةُ أَيُوبَ ثُمَّ سِرْقَسْطَة ثُمَّ لَارِدَة آخِرُ الْجُزْءِ شَرْقًا وَشَمَالًا وَالْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ هَذَا  
الْأَقْلِيمِ غَمَرَ الْمَاءُ جَمِيعَهُ إِلَّا قِطْعَةً مِنْ غَرْبِيَّةٍ فِي الشَّمَالِ فِيهَا بَقِيَّةُ جَبَلِ الْبُرْنَاتِ وَمَعْنَاهُ  
جَبَلُ الثَّنَابَا وَالسَّالِكُ يُخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ يَبْدَأُ مِنْ  
الْطَّرَفِ الْمُنتَهِي مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ عِنْدَ آخِرِ ذَلِكَ الْجُزْءِ جَنُوبًا وَشَرْقًا وَيَمُرُّ فِي الْجَنُوبِ



بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ فِي هَذَا الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ مُنْحَرَفًا عَنِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهُ إِلَى  
هَذَا الْجُزْءِ الثَّانِي فَيَقَعُ فِيهِ قِطْعَةٌ مِنْهُ تُقْضِي ثَنَائِيهَا إِلَى الْبَرِّ الْمُتَّصِلِ وَتُسَمَّى أَرْضَ  
غَشْكُونِيَّةٍ وَفِيهِ مَدِينَةٌ خَرِيدَةٌ وَقَرْقَشُونَةٌ وَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
مَدِينَةٌ بَرْسَاوَنَةٌ ثُمَّ أَرْبُونَةٌ وَفِي هَذَا الْبَحْرِ الَّذِي غَمَرَهُ الْجُزْءُ جَزَائِرُ كَثِيرَةٌ وَالْكَثِيرُ  
مِنْهَا غَيْرُ مَسْكُونٍ لِصِغَرِهَا فِي غَرْبِيَّةِ جَزِيرَةِ سِرْدَانِيَّةٍ وَفِي شَرْقِيَّةِ جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ مُتَّسِعَةٌ  
الْأَقْطَارُ يُقَالُ إِنَّ دَوْرَهَا سَبْعُمِائَةٍ مِيلَ وَبِهَا مَدُنٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَشَاهِيرِهَا سَرْفُوسَةٌ  
وَبَلَرُومٌ وَطَرَابِغَةٌ وَمَازَرُ وَمَسِينِي وَهَذِهِ الْجَزِيرَةُ تُقَابِلُ أَرْضَ أَفْرِيْقِيَّةٍ وَفِيهَا بَيْنَهُمَا جَزِيرَةٌ  
أَعْدُوشٌ وَمَالِطَةٌ. وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مَعْمُورٌ أَيْضًا بِالْبَحْرِ إِلَّا ثَلَاثَ قِطْعٍ  
مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهَا أَرْضُ قَلُورِيَّةٍ وَالْوَسْطَى مِنْ أَرْضِ أَبْكِيرِدَةٍ وَالشَّرْقِيَّةُ  
مِنْ بِلَادِ الْبَنَادِقَةِ. وَالْجُزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مَعْمُورٌ أَيْضًا بِالْبَحْرِ كَمَا مَرَّ وَجَزَائِرُهُ  
كَثِيرَةٌ وَأَكْثَرُهَا غَيْرُ مَسْكُونٍ كَمَا فِي الثَّلَاثِ وَالْمَعْمُورُ مِنْهَا جَزِيرَةُ بَلُونُسَ فِي النَّاحِيَةِ  
الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ وَجَزِيرَةُ أَفْرِيْقِيَّةِ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ وَسْطِ الْجُزْءِ إِلَى مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ  
مِنْهُ. وَالْجُزْءُ الْخَامِسُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ غَمَرَهُ الْبَحْرُ مِنْهُ ثَلَاثَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ  
يَنْتَهِي الضِّلْعُ الْغَرْبِيُّ مِنْهَا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّمَالِ وَيَنْتَهِي الضِّلْعُ الْجَنُوبِيُّ مِنْهَا إِلَى  
نَحْوِ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْجُزْءِ وَيَبْقَى فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْجُزْءِ قِطْعَةٌ نَحْوُ الثَّلَاثِ يَمُرُّ الشَّمَالِي  
مِنْهَا إِلَى الْغَرْبِ مُنْعَطِفًا مَعَ الْبَحْرِ كَمَا قُلْنَا وَفِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ مِنْهَا أَسَافِلُ الشَّامِ  
وَيَمُرُّ فِي وَسْطِهَا جَبَلُ اللَّكَّامِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الشَّامِ فِي الشَّمَالِ فَيَنْعَطِفُ  
مِنْ هُنَاكَ ذَاهِبًا إِلَى الْقَطْرِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِي وَيَسْعَى بَعْدَ انْعِطَافِهِ جَبَلُ السِّلْسِلَةِ وَمِنْ  
هُنَاكَ يَخْرُجُ إِلَى الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَجُوزُ مِنْ عِنْدِ مُنْعَطِفِهِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ إِلَى  
جِهَةِ الشَّرْقِ وَيَقُومُ مِنْ عِنْدِ مُنْعَطِفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ جِبَالٌ مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ إِلَى  
أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى طَرَفٍ خَارِجٍ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مُتَّخِرًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّمَالِ  
وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ ثَنَائِيَا تُسَمَّى الدُّرُوبُ وَهِيَ الَّتِي تُقْضِي إِلَى بِلَادِ الْأَرَمَنِ وَفِي هَذَا الْجُزْءِ  
قِطْعَةٌ مِنْهَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَبَيْنَ جَبَلِ السِّلْسِلَةِ فَأَمَّا الْجِهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ الَّتِي قَدَّمْنَا أَنَّ فِيهَا  
أَسَافِلَ الشَّامِ وَأَنَّ جَبَلُ اللَّكَّامِ مُعْتَرِضٌ فِيهَا بَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَآخِرِ الْجُزْءِ مِنَ  
الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بِلَادُ أَنْطَرَطُوسَ فِي أَوَّلِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ مُتَّخِةٌ

لِنَزَّةٍ وَطَرَابُوسَ عَلَى سَاحِلِهِ مِنْ الْإِلَاقِيمِ الثَّلَاثِ وَفِي شِمَالِ أَنْطَرَطُوسَ جَبَلَةٌ ثُمَّ اللَّاذِقِيَّةُ  
 ثُمَّ اسْكَنْدَرُونَةُ ثُمَّ سَلُوقِيَّةٌ وَبَعْدَهَا شِمَالًا بِلَادُ الرُّومِ وَأَمَّا جَبَلُ اللَّيْكَامِ الْمُعْتَرِضُ  
 بَيْنَ الْبَحْرِ وَآخِرِ الْجُزْءِ بِحَافَاتِهِ فَيَصَاقِبُهُ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ مِنْ أَتْلَى الْجُزْءِ جَنُوبًا مِنْ غَرْبِيَّةِ  
 حُصْنِ الْحَوَانِي وَهُوَ لِلخَشِيشَةِ إِلَّا سَمَاعِيلِيَّةً وَيُعرفُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْفِدَاوِيَّةِ وَيُسَمَّى مِصْيَاتِ  
 وَهُوَ قِبَالَةُ أَنْطَرَطُوسَ وَقِبَالَةُ هَذَا الْحُصْنِ فِي شَرْقِ الْجَبَلِ بَلَدٌ سَلَمِيَّةٌ فِي الشَّامِ عَنْ  
 جَمْعٍ وَفِي الشَّامِ وَفِي مِصْيَاتِ بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْبَحْرِ بَلَدٌ أَنْطَاكِيَّةٌ وَيُقَالُ لَهَا فِي شَرْقِ الْجَبَلِ  
 الْمَعْرَةُ وَفِي شَرْقِهَا الْمَرَاغَةُ وَفِي شَمَالِ أَنْطَاكِيَّةِ الْمَصِيصَةُ ثُمَّ أَذْنَةُ ثُمَّ طَرَسُوسُ آخِرُ  
 الشَّامِ وَيُحَاذِيهَا مِنْ غَرْبِ الْجَبَلِ قَتَسَرِينَ ثُمَّ عَيْنُ زُرْبَةِ وَقِبَالَةُ قَتَسَرِينَ فِي شَرْقِ  
 الْجَبَلِ حَلَبُ وَيُقَالُ عَيْنُ زُرْبَةِ مَنبِجُ آخِرِ الشَّامِ . وَأَمَّا الدُّرُوبُ فَمَنْ يَمِينُهَا مَا  
 بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ بِلَادُ الرُّومِ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ لِلتُّرْكَمَانِ وَسُلْطَانِهَا  
 ابْنُ عُثْمَانَ وَفِي سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْهَا بَلَدٌ أَنْطَاكِيَّةٌ وَالْعَلَايَا . وَأَمَّا بِلَادُ الْأَزْمَنِ الَّتِي بَيْنَ  
 جَبَلِ الدُّرُوبِ وَجَبَلِ السَّلْسِلَةِ فَفِيهَا بَلَدٌ مَرْعَشُ وَمَلَطِيَّةٌ وَالْمَعْرَةُ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ الشَّامِيِّ  
 وَيَخْرُجُ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ فِي بِلَادِ الْأَزْمَنِ نَهْرُ جِيحَانٍ وَنَهْرُ سِيحَانٍ فِي شَرْقِيَّةِ فَيَمُرُّ بِهَا  
 جِيحَانُ جَنُوبًا حَتَّى يَتَجَاوَزَ الدُّرُوبَ ثُمَّ يَمُرُّ بِطَرَسُوسَ ثُمَّ بِالْمَصِيصَةِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ هَابِطًا  
 إِلَى الشَّامِ وَمُغْرِبًا حَتَّى يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ جَنُوبَ سَلُوقِيَّةِ وَيَمُرُّ نَهْرُ سِيحَانٍ  
 مُوَارِيًا لِنَهْرِ جِيحَانٍ فَيُحَاذِي الْمَعْرَةَ وَمَرْعَشَ وَيَتَجَاوَزُ جِبَالَ الدُّرُوبِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ  
 ثُمَّ يَمُرُّ بِعَيْنِ زُرْبَةِ وَيَجُوزُ عَنْ نَهْرِ جِيحَانٍ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الشَّامِ مُغْرِبًا فَيَخْتَلِطُ بِنَهْرِ  
 جِيحَانٍ عِنْدَ الْمَصِيصَةِ وَمِنْ غَرْبِهَا وَأَمَّا بِلَادُ الْجَزِيرَةِ الَّتِي يُحِيطُ بِهَا مُنْعَطِفُ جَبَلِ اللَّيْكَامِ  
 إِلَى جَبَلِ السَّلْسِلَةِ فِي جَنُوبِهَا بَلَدُ الرَّافِضَةِ وَالرَّقَّةُ ثُمَّ حُرَّانُ ثُمَّ سُرُوجُ وَالرَّهَاتُ ثُمَّ نَصِيبِينَ  
 ثُمَّ سَمِيسَاطُ وَآمِدُ تَحْتَ جَبَلِ السَّلْسِلَةِ وَآخِرُ الْجُزْءِ مِنْ شِمَالِهِ وَهُوَ أَيْضًا آخِرُ الْجُزْءِ مِنْ  
 شَرْقِيَّةِ وَيَمُرُّ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ نَهْرُ الْفُرَاتِ وَنَهْرُ دِجْلَةَ يَخْرُجَانِ مِنَ الْإِلَاقِيمِ  
 الْخَامِسِ وَيَمُرَّانِ فِي بِلَادِ الْأَزْمَنِ جَنُوبًا إِلَى أَنْ يَتَجَاوَزَا جَبَلَ السَّلْسِلَةِ فَيَمُرُّ نَهْرُ الْفُرَاتِ  
 مِنْ غَرْبِي سَمِيسَاطَ وَمَرُوجَ وَيَنْحَرِفُ إِلَى الشَّرْقِ فَيَمُرُّ بِقُرْبِ الرَّافِضَةِ وَالرَّقَّةِ وَيَخْرُجُ  
 إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ وَيَمُرُّ دِجْلَةَ فِي شَرْقِ آمِدَ وَيَنْعَطِفُ قَرِيبًا إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ قَرِيبًا  
 إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِلَاقِيمِ مِنْ غَرْبِيَّةِ بِلَادُ الْجَزِيرَةِ وَفِي



الشَّرْقِ مِنْهَا بِلَادُ الْعِرَاقِ مُتَّصِلَةٌ بِهَا تَنْتَهِي فِي الشَّرْقِ إِلَى قُرْبِ آخِرِ الْجُزْءِ وَيَعْتَرِضُ  
 مِنْ آخِرِ الْعِرَاقِ هُنَاكَ جَبَلٌ أَصْبَهَانُ هَاطِطًا مِنْ جَنْبِ الْجُزْءِ مُنْحَرِفًا إِلَى الْغَرْبِ فَإِذَا  
 أَنْتَهَى إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ مِنْ آخِرِهِ فِي الشَّمَالِ يَذْهَبُ مُغْرِبًا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ وَيَتَّصِلَ عَلَى سَمْتِهِ بِجَبَلِ السَّلْسِلَةِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَيَنْقَطِعُ هَذَا الْجُزْءُ السَّادِسُ  
 بِقِطْعَتَيْنِ غَرْبِيَّةٍ وَشَرْقِيَّةٍ فِي الْغَرْبِيَّةِ مِنْ جَنْبِهَا تَخْرُجُ الْفُرَاتُ مِنَ الْخَامِسِ وَفِي شَمَالِهَا  
 تَخْرُجُ دِجْلَةُ مِنْهُ أَمَّا الْفُرَاتُ فَأَوَّلُ مَا يَخْرُجُ إِلَى السَّادِسِ بِمَرُّ بَقَرِيسِيَا وَيَخْرُجُ مِنْ  
 هُنَاكَ جَدُولٌ إِلَى الشَّمَالِ يَنْسَابُ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَيَغُوصُ فِي نَوَاحِيهَا وَيَمُرُّ مِنْ  
 قَرِيسِيَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الْجَنُوبِ فَيَمُرُّ بِقُرْبِ الْخَابُورِ إِلَى غَرْبِ الرَّحْبَةِ وَيَخْرُجُ  
 مِنْهُ جَدَاوِلٌ مِنْ هُنَاكَ يَمُرُّ جَنُوبًا وَيَبْقَى صَفَيْنِ فِي غَرْبِيَّةٍ ثُمَّ يَنْعَطِفُ شَرْقًا وَيَنْقَسِمُ  
 بِشُعُوبٍ فَيَمُرُّ بَعْضُهَا بِالْكُوفَةِ وَبَعْضُهَا بِقَصْرِ ابْنِ هَبِيرَةَ وَبِالْجَامِعَيْنِ وَتَخْرُجُ جَمِيعًا فِي  
 جَنْبِ الْجُزْءِ إِلَى الْإِلَاقِلِيمِ الثَّلَاثِ فَيَغُوصُ هُنَاكَ فِي شَرْقِ الْحَبِيرَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَيَخْرُجُ  
 الْفُرَاتُ مِنَ الرَّحْبَةِ مُشْرِقًا عَلَى سَمْتِهِ إِلَى هَيْتَ مِنْ شَمَالِهَا يَمُرُّ إِلَى الزَّابِ وَالْأَنْبَارِ مِنْ  
 جَنْبِهَا ثُمَّ يَصُبُّ فِي دِجْلَةٍ عِنْدَ بَغْدَادَ وَأَمَّا نَهْرُ دِجْلَةٍ فَإِذَا دَخَلَ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
 إِلَى هَذَا الْجُزْءِ يَمُرُّ بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ عَلَى شَمَالِهَا ثُمَّ بِالْمَوْصِلِ كَذَلِكَ وَتَكْرِيثَ وَيَنْتَهِي  
 إِلَى الْحَدِيثَةِ فَيَنْعَطِفُ جَنُوبًا وَيَبْقَى الْحَدِيثَةُ فِي شَرْقِهِ وَالزَّابُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ كَذَلِكَ  
 وَيَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ جَنُوبًا وَفِي غَرْبِ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى بَغْدَادَ وَيَخْتَلِطُ بِالْفُرَاتِ  
 ثُمَّ يَمُرُّ جَنُوبًا عَلَى غَرْبِ جَرْجَرَايَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجُزْءِ إِلَى الْإِلَاقِلِيمِ الثَّلَاثِ فَتَنْتَشِرُ  
 هُنَاكَ شُعُوبُهُ وَجَدَاوِلُهُ ثُمَّ يَجْتَمِعُ وَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي بَحْرِ فَارِسَ عِنْدَ عِبَادَانَ وَفِيمَا بَيْنَ  
 نَهْرِ الدَّجْلَةِ وَالْفُرَاتِ قَبْلَ تَجْمُعِهِمَا بِبَغْدَادَ هِيَ بِلَادُ الْجَزِيرَةِ وَيَخْتَلِطُ بِنَهْرِ دِجْلَةٍ بَعْدَ  
 مُفَارَقَتِهِ بِبَغْدَادَ نَهْرٌ آخَرٌ يَأْتِي مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْهُ وَيَنْتَهِيَ إِلَى بِلَادِ النَّهْرَوَانَ  
 قِبَالَ بَغْدَادَ شَرْقًا ثُمَّ يَنْعَطِفُ جَنُوبًا وَيَخْتَلِطُ بِدِجْلَةٍ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الْإِلَاقِلِيمِ الثَّلَاثِ وَيَبْقَى  
 مَا بَيْنَ هَذَا النَّهْرِ وَبَيْنَ جَبَلِ الْعِرَاقِ وَالْأَعَاجِمِ بَلَدٌ جُلُولَاءُ وَفِي شَرْقِهَا عِنْدَ الْجَبَلِ بَلَدٌ حُلُوانَ  
 وَصَيْمَرَةٌ وَأَمَّا الْقِطْعَةُ الْغَرْبِيَّةُ مِنَ الْجُزْءِ فَيَعْتَرِضُهَا جَبَلٌ يَبْدَأُ مِنْ جَبَلِ الْأَعَاجِمِ مُشْرِقًا  
 إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَيُسَمَّى جَبَلُ شَهْرَزُورَ وَيَقْسِمُهَا بِقِطْعَتَيْنِ فِي الْجَنُوبِ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
 الصَّغْرَى بَلَدُ خَوْنِجَانٍ مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّمَالِ عَنْ أَصْبَهَانَ وَتُسَمَّى هَذِهِ الْقِطْعَةُ بَلَدُ الْهَلُوسِ

وَفِي وَسْطِهَا بَلَدٌ نَهَاوَنْدَ وَفِي شَمَالِهَا بَلَدٌ شَهْرُ زُورَ غَرْبًا عِنْدَ مُلْتَقَى الْجِبَلَيْنِ وَالْدَيْنُورُ شَرْقًا  
 عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْقِطْعَةِ الصُّغْرَى الثَّانِيَةِ طَرْفٌ مِنْ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ تَأْتِيهَا الْمَرَاغَةُ  
 وَالَّذِي يَقَابِلُهَا مِنْ جَبَلِ الْعِرَاقِ يُسَمَّى بَارِيَا وَهُوَ مَسَاكِينٌ لِلْأَكْرَادِ وَالزَّابُ الْكَبِيرُ  
 وَالصَّغِيرُ الَّذِي عَلَى دِجْلَةٍ مِنْ وَرَائِهِ وَفِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ بِلَادُ أَذَرْبَيْجَانِ  
 وَمِنْهَا تَبْرِيزُ وَالْبَيْدَقَانُ وَفِي الزَّاوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ نِيطَشَ  
 وَهُوَ بَحْرُ الْخَزَرِ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مِنْ غَرْبِهِ وَجَنُوبِهِ مُعْظَمُ بِلَادِ الْهَلُوسِ  
 وَفِيهَا هَمْدَانُ وَقَزْوِينَ وَبَقِيَّتُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ وَفِيهَا هُنَالِكَ أَصْبَهَانُ وَيُحِيطُ بِهَا مِنَ  
 الْجَنُوبِ جَبَلٌ يُخْرُجُ مِنْ غَرْبِهَا وَيَمُرُّ بِالْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ إِلَى  
 الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَتَّصِلُ بِجَبَلِ الْعِرَاقِ فِي شَرْقِيهِ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ هُنَالِكَ وَإِنَّهُ يُحِيطُ  
 بِبِلَادِ الْهَلُوسِ فِي الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَيَهْبُطُ هَذَا الْجَبَلُ إِلَى الْهَلُوسِ بِأَصْبَهَانٍ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 الثَّالِثِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَيَخْرُجُ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ السَّابِعِ فَيُحِيطُ بِبِلَادِ الْهَلُوسِ مِنْ شَرْقِهَا  
 وَتَحْتَهُ هُنَالِكَ قَاشَانَ ثُمَّ يَنْعَطِفُ فِي قُرْبِ النِّصْفِ مِنْ طَرِيقِهِ مُغْرِبًا بَعْضَ الشَّيْءِ ثُمَّ  
 يَرْجِعُ مُسْتَدِيرًا فَيَذْهَبُ مُشْرِقًا وَمُنْحَرِفًا إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يُخْرُجَ إِلَى الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ  
 وَيَشْتَمِلُ عَلَى مُنْعَطِفِهِ وَأَسْتِدَارَتِهِ عَلَى بَلَدِ الرَّيِّ فِي شَرْقِيهِ وَيَبْدَأُ مِنْ مُنْعَطِفِهِ جَبَلٌ  
 آخَرُ يَمُرُّ غَرْبًا إِلَى آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ وَمِنْ جَنُوبِهِ مِنْ هُنَالِكَ قَزْوِينَ وَمِنْ جَانِبِهِ الشَّمَالِيِّ  
 وَجَانِبِ جَبَلِ الرَّيِّ الْمُتَّصِلِ مَعَهُ ذَاهِبًا إِلَى الشَّرْقِ وَالشَّمَالِ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ ثُمَّ إِلَى  
 الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ بِلَادُ طَبْرِسْتَانَ فِيمَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَبَيْنَ قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ  
 وَيَدْخُلُ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فِي هَذَا الْجُزْءِ فِي نَحْوِ النِّصْفِ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ وَيَعْتَرِضُ  
 عِنْدَ جَبَلِ الرَّيِّ وَعِنْدَ أَنْعَاطِهِ إِلَى الْغَرْبِ جَبَلٌ مُتَّصِلٌ يَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ مُشْرِقًا وَبِأَنْحَرَافٍ  
 قَلِيلٍ إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ غَرْبِهِ وَيَبْقَى بَيْنَ جَبَلِ الرَّيِّ وَهَذَا  
 الْجَبَلِ مِنْ عِنْدِ مَبْدَأِ هِمَا بِلَادُ جُرْجَانَ فِيمَا بَيْنَ الْجِبَلَيْنِ وَهِيَ بَسْطَامُ وَوَرَاءَ هَذَا الْجَبَلِ  
 قِطْعَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِيهَا بَقِيَّةُ الْمَفَازَةِ الَّتِي بَيْنَ فَارِسَ وَخُرَاسَانَ وَهِيَ فِي شَرْقِ قَاشَانَ  
 وَفِي آخِرِهَا عِنْدَ هَذَا الْجَبَلِ بَلَدُ أَسْتَرَابَادَ وَخَافَاتُ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ شَرْقِيهِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
 بِلَادُ نِيْسَابُورَ مِنْ خُرَاسَانَ فِي جَنُوبِ الْجَبَلِ وَشَرْقِ الْمَفَازَةِ بَلَدُ نِيْسَابُورَ ثُمَّ مَرُّ الشَّاهِجَانَ  
 آخِرَ الْجُزْءِ وَفِي شَمَالِهِ وَشَرْقِ جُرْجَانَ بَلَدُ مَهْرَجَانَ وَخَازَرُونَ وَطُوسُ آخِرَ الْجُزْءِ شَرْقًا



وَكُلُّ هَذَا تَحْتَ الْجَبَلِ وَفِي الشَّامِ عَنْهَا بِلَادٌ نَسَاوُ يُحِيطُ بِهَا عِنْدَ زَاوِيَةِ الْجُزَيْنِ الشَّامِ وَالشَّرْقِ  
مَفَاوِزُ مُعْطَلَةٌ. وَفِي الْجُزءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِيَّةِ نَهْرٍ جَيِّحُونَ ذَاهِبًا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى  
الشَّامِ فِي عُدُوتِهِ الْغَرْبِيَّةِ رَمٌ وَأَمْلٌ مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ وَالظَّاهِرِيَّةِ وَالْجَرْجَانِيَّةِ مِنْ بِلَادِ  
خُوارِزْمٍ وَيُحِيطُ بِالزَّاوِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ جَبَلٌ اسْتَرَابَاذُ الْمُعْتَرِضِ فِي الْجُزءِ السَّابِعِ  
قَبْلَهُ وَيَخْرُجُ فِي هَذَا الْجُزءِ مِنْ غَرْبِيَّةٍ وَيُحِيطُ بِهِذِهِ الزَّاوِيَةِ وَفِيهَا بَقِيَّةُ بِلَادِ هَرَّادَةَ وَالْجُوزْخَانَ  
حَتَّى يَتَّصِلَ بِجَبَلِ الْبَتَمِ كَمَا ذَكَرْنَا هُنَاكَ وَفِي شَرْقِي نَهْرٍ جَيِّحُونَ مِنْ هَذَا الْجُزءِ وَفِي الْجَنُوبِ  
مِنْهُ بِلَادُ بُخَارَى ثُمَّ بِلَادُ الصَّغْدِ وَقَاعِدَتُهَا سَمَرْقَنْدٌ ثُمَّ سَرْدَارَا وَأُشْنَةُ وَمِنْهَا خَجَنْدَةُ آخِرُ الْجُزءِ  
شَرْقَاوِي الشَّامِ عَنْ سَمَرْقَنْدٍ وَسَرْدَارَا وَأُشْنَةُ أَرْضٌ إِبْلَاقٌ <sup>(١)</sup> ثُمَّ فِي الشَّامِ عَنْ إِبْلَاقِ أَرْضِ  
الشَّاشِ إِلَى آخِرِ الْجُزءِ شَرْقَاوِيَا خُذْ قِطْعَةً مِنَ الْجُزءِ التَّاسِعِ فِي جَنُوبِ تِلْكَ الْقِطْعَةِ بَقِيَّةُ أَرْضِ  
فَرَّغَانَةَ وَيَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْقِطْعَةِ الَّتِي فِي الْجُزءِ التَّاسِعِ نَهْرُ الشَّاشِ يَمُرُّ مُعْتَرِضًا فِي الْجُزءِ  
الثَّامِنِ إِلَى أَنْ يَنْصَبَّ فِي نَهْرٍ جَيِّحُونَ عِنْدَ مَخْرَجِهِ مِنْ هَذَا الْجُزءِ الثَّامِنِ فِي شَمَالِهِ إِلَى الْإِقْلِيمِ  
الْخَامِسِ وَيَخْتَلِطُ مَعَهُ فِي أَرْضِ إِبْلَاقِ نَهْرٍ يَأْتِي مِنَ الْجُزءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ نُخُومِ  
بِلَادِ أَلْبَتِ وَيَخْتَلِطُ مَعَهُ قَبْلَ مَخْرَجِهِ مِنَ الْجُزءِ التَّاسِعِ نَهْرُ فَرَّغَانَةَ وَعَلَى سَمْتِ نَهْرِ الشَّاشِ  
جَبَلُ جَبْرَاغُونِ يَبْدَأُ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَنْعَطِفُ شَرْقًا وَمُنْجَرَفًا إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى  
يَخْرُجَ إِلَى الْجُزءِ التَّاسِعِ مُحِيطًا بِأَرْضِ الشَّاشِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ فِي الْجُزءِ التَّاسِعِ فَيُحِيطُ  
بِالشَّاشِ وَفَرَّغَانَةَ هُنَاكَ إِلَى جَنُوبِهِ فَيَدْخُلُ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَبَيْنَ نَهْرِ الشَّاشِ وَطَرَفِ  
هَذَا الْجَبَلِ فِي وَسْطِ هَذَا الْجُزءِ بِلَادُ فَارَابَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْضِ بُخَارَى وَخُوارِزْمِ مَفَاوِزُ مُعْطَلَةٌ  
وَفِي زَاوِيَةِ هَذَا الْجُزءِ مِنَ الشَّامِ وَالشَّرْقِ أَرْضُ خَجَنْدَةَ وَفِيهَا بَلَدُ إِسْبِيْجَابَ وَطَرَارُ  
وَفِي الْجُزءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِيَّةِ بَعْدَ أَرْضِ فَرَّغَانَةَ وَالشَّاشِ أَرْضُ الْخَزْجِيَّةِ  
فِي الْجَنُوبِ وَأَرْضُ الْخَلِيجَةِ فِي الشَّامِ وَفِي شَرْقِ الْجُزءِ كُلِّهِ أَرْضُ الْكَبِيكَةِ وَيَتَّصِلُ  
فِي الْجُزءِ الْعَاشِرِ كُلِّهِ إِلَى جَبَلٍ قَوْيَا آخِرُ الْجُزءِ شَرْقًا وَعَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ  
هُنَاكَ وَهُوَ جَبَلُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهَذِهِ الْأُمَمُ كُلُّهَا مِنْ شُعُوبِ التُّرْكِ. انتهى

الْإِقْلِيمُ الْخَامِسُ \* الْجُزءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ أَكْثَرُهُ مَغْمُورٌ بِالْمَاءِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ جَنُوبِهِ  
وَشَرْقِهِ لِأَنَّ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ بِهِذِهِ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ دَخَلَ فِي الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ

(١) فِي الْمَشَارِكِ الْقَلِيمِ إِبْلَاقٌ مُنْصَلٌّ بِإِقْلِيمِ الشَّاشِ لَا فِصْلَ بَيْنَهُمَا وَهُوَ بِكُورِ الْهَمَزَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ بَعْدَهَا ١٠ هـ

وَالسَّابِعُ عَنِ الدَّائِرَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَقْلِيمِ فَأَمَّا أَلَمْ تُكْشِفْ مِنْ جَنُوبِهِ فَقِطْعَةً عَلَى شَكْلِ  
مُثَلَّثٍ مُتَّصِلَةٍ مِنْ هُنَاكَ بِالْأَنْدَلُسِ وَعَالِيهَا بَقِيَّتُهَا وَيُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ جِهَتَيْنِ كَأَنَّهُمَا ضِلْعَانِ  
مُحِيطَانِ بِزَاوِيَةِ الْمُثَلَّثِ فَفِيهَا مِنْ بَقِيَّةِ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ سَعِيرٌ عَلَى الْبَحْرِ عِنْدَ أَوَّلِ الْجُزْءِ  
مِنَ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ وَسَامَنُكَةُ شَرْقًا عَنْهَا وَفِي جَوْفِهَا سَمُورَةٌ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ سَامَنُكَةَ  
أَيْلَةُ آخِرِ الْجَنُوبِ وَأَرْضُ قَسَالِيَّةٍ شَرْقًا عَنْهَا وَفِيهَا مَدِينَةُ شَقُونِيَّةٌ وَفِي شِمَالِهَا أَرْضُ لِيُونِ  
وَبَرْغَشَتْ ثُمَّ وَرَاءَهَا فِي الشَّمَالِ أَرْضُ جَلِيقِيَّةٍ إِلَى زَاوِيَةِ الْقِطْعَةِ وَفِيهَا عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ  
فِي آخِرِ الضِّلْعِ الْغَرْبِيِّ بَلَدٌ شَنْتِيَاقُو وَمَعْنَاهُ يَعْقُوبُ وَفِيهَا مِنْ شَرْقِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مَدِينَةُ  
شَطْلِيَّةٌ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ فِي الْجَنُوبِ وَشَرْقًا عَنْ قَسَالِيَّةٍ وَفِي شِمَالِهَا وَشَرْقِهَا وَشَقَّةٌ وَبَنْبُلُونَةُ  
عَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا وَشِمَالًا وَفِي غَرْبِ بَنْبُلُونَةِ قَسَالَةِ ثُمَّ نَاجِزَةٌ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَرْغَشَتْ  
وَيَعْتَزُّ وَسَطَ هَذِهِ الْقِطْعَةِ جَبَلٌ عَظِيمٌ يُحَازِلُ الْبَحْرَ وَالضِّلْعَ الشَّمَالِيَّ الشَّرْقِيَّ مِنْهُ وَتَلَى  
قُرْبَ وَيَتَّصِلُ بِهِ وَيَطْرَفُ الْبَحْرِ عِنْدَ بَنْبُلُونَةِ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ  
يَتَّصِلَ فِي الْجَنُوبِ بِالْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَصِيرُ حَجَرًا عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ  
مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَتَنَابَاهُ لَهَا أَبْوَابٌ تُفْضِي إِلَى بِلَادِ غَشْكُونِيَّةٍ مِنْ أُمِّ الْفَرَنْجِ فَمِنْهَا مِنْ  
الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ بَرْشَلُونَةُ وَأَرْبُونَةُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَخَرِيدَةُ وَمَرْقُشُونَةُ وَرَاءَهُمَا  
فِي الشَّمَالِ وَمِنْهَا مِنَ الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ طَلُوشَةُ شِدَالًا عَنْ خَرِيدَةَ . وَأَمَّا أَلَمْ تُكْشِفْ فِي  
هَذَا الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فَقِطْعَةً عَلَى شَكْلِ مُثَلَّثٍ مُسْتَطِيلٍ زَاوِيَتُهُ الْحَادَّةُ وَرَاءَ  
الْبُرْنَاتِ شَرْقًا وَفِيهَا عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ عَلَى رَأْسِ الْقِطْعَةِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جَبَلُ الْبُرْنَاتِ بَلَدٌ  
نِيُونَةُ وَفِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ أَرْضُ بَنْطُوٍ مِنْ  
الْفَرَنْجِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ أَرْضُ غَشْكُونِيَّةٍ وَفِي  
شِمَالِهَا أَرْضُ بَنْطُوٍ وَبَرْغَشَتْ وَقَدْ ذَكَرْنَا هُمَا وَفِي شَرْقِ بِلَادِ غَشْكُونِيَّةٍ فِي شِمَالِهَا  
قِطْعَةُ أَرْضٍ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ دَخَلَتْ فِي هَذَا الْجُزْءِ كَالضَّرْسِ مَائِلَةً إِلَى الشَّرْقِ قَلِيلًا  
وَصَارَتْ بِلَادُ غَشْكُونِيَّةٍ فِي غَرْبِهَا دَاخِلَةٌ فِي جُزْءٍ مِنَ الْبَحْرِ وَعَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
شِمَالًا بِلَادُ جَنْوَةٍ وَعَلَى سَمْتِهَا فِي الشَّمَالِ جَبَلُ نَيْتِ جُونِ وَفِي شِمَالِهِ وَعَلَى سَمْتِهِ أَرْضُ  
بَرْغُونَةٍ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ طَرَفِ جَنْوَةٍ الْخَارِجِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ طَرَفٌ آخَرٌ خَارِجٌ  
مِنْهُ يَبْقَى بَيْنَهُمَا جُونٌ دَاخِلٌ مِنَ الْبَرِّ فِي الْبَحْرِ فِي غَرْبِهِ نَيْشٌ وَفِي شَرْقِهِ مَدِينَةُ رُومَةٍ



الْعُظْمَى كُرْسِي مَلِكِ الْأَفْرَنْجَةِ وَمَسْكِنِ الْبَابَا بطركهم الْأَعْظَمِ وَفِيهَا مِنَ الْمَبَانِي  
 الصَّخْمَةِ وَالْهَيْكَلِ الْهَائِلَةِ وَالْكَثْمَانِسِ الْعَادِيَةِ مَا هُوَ مَعْرُوفُ الْأَخْبَارِ وَمِنْ عَجَائِبِهَا  
 النَّهْرُ الْجَارِي فِي وَسْطِهَا مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَفْرُوشٌ قَاعُهُ بِبِلَاطِ النُّحَاسِ وَفِيهَا  
 كَنِيسَةُ بَطْرُسَ وَبُولُسَ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ وَهُمَا مَدْفُونَانِ بِهَا وَفِي الشَّامِ عَنْ بِلَادِ  
 رُومَةَ بِلَادُ أَفْرَنْصِيصَةَ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَعَلَى هَذَا الطَّرَفِ مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي فِي جَنُوبِهِ  
 رُومَةُ بِلَادُ نَابِلَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ مُتَّصِلَةٌ بِبِلَادِ قَلُورِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْفَرَنْجِ وَفِي شَمَالِهَا  
 طَرَفٌ مِنْ خَلِيجِ الْبِنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مَغْرِبًا وَمُحَازِيًا لِلشَّامِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَأَنْتَهَى إِلَى نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْهُ وَعَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ بِلَادِ الْبِنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا  
 الْجُزْءِ مِنْ جَنُوبِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ وَمِنْ شَمَالِهِ بِلَادُ إِنْكَلَابِيَّةٍ فِي الْإِقْلِيمِ  
 السَّادِسِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِهِ بِلَادُ قَلُورِيَّةٍ بَيْنَ خَلِيجِ الْبِنَادِقَةِ  
 وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ يُحِيطُ بِهَا مِنْ شَرْقِيَّةٍ يَصِلُ مِنْ بَرِّهَا فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
 فِي جُونِ بَيْنَ طَرَفَيْنِ خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ عَلَى سَمْتِ الشَّامِ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ فِي شَرْقِي بِلَادِ  
 قَلُورِيَّةٍ بِلَادُ أَنْكِيرْدَةِ فِي جُونِ بَيْنَ خَلِيجِ الْبِنَادِقَةِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيَدْخُلُ طَرَفٌ مِنْ  
 هَذَا الْجُزْءِ فِي الْجُونِ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَفِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيُحِيطُ بِهِ مِنْ شَرْقِيَّةٍ خَلِيجُ  
 الْبِنَادِقَةِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ ذَاهِبًا إِلَى سَمْتِ الشَّامِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الْغَرْبِ مُحَازِيًا لِآخِرِ  
 الْجُزْءِ الشَّامِيِّ وَيَخْرُجُ عَلَى سَمْتِهِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ جَبَلٌ عَظِيمٌ يُؤَازِرُهُ وَيَذْهَبُ مَعَهُ  
 إِلَى الشَّامِ ثُمَّ يَغْرُبُ مَعَهُ فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ قُبَالَةَ خَلِيجٍ فِي شَمَالِهِ  
 فِي بِلَادِ إِنْكَلَابِيَّةٍ مِنْ أُمَّةِ الْأَلْمَانِيِّينَ كَمَا نَذَكُرُ وَعَلَى هَذَا الْخَلِيجِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا  
 الْجَبَلِ مَا ذَاهِبِينَ إِلَى الشَّامِ بِلَادُ الْبِنَادِقَةِ فَإِذَا ذَهَبَا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَيْنَهُمَا بِلَادُ  
 حَرَوَايَا ثُمَّ بِلَادُ الْأَلْمَانِيِّينَ عِنْدَ طَرَفِ الْخَلِيجِ وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
 قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ خَرَجَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ مُضْرَسَةٌ كُلُّهَا يَقْطَعُ مِنَ  
 الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ وَبَيْنَ كُلِّ ضِرْسَيْنِ مِنْهَا طَرَفٌ مِنَ الْبَحْرِ فِي الْجُونِ بَيْنَهُمَا  
 وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا قِطْعٌ مِنَ الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ خَلِيجُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَخْرُجُ  
 مِنْ هَذَا الطَّرَفِ الْجَنُوبِيِّ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِ الشَّامِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ  
 وَيَنْعَطِفُ مِنْ هُنَاكَ عَنْ قُرْبٍ مُشْرِقًا إِلَى بَحْرِ نِيطَشَ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ وَبَعْضِ الرَّابِعِ

قَبْلَهُ وَالسَّادِسَ بَعْدَهُ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ كَمَا نَذَرْنَا وَبَلَدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي شَرْقِي هَذَا  
الْخَلِيجِ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّامِ وَهِيَ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي كَانَتْ كُرْسِيَّ الْقِيَامَةِ  
وَبِهَا مِنْ آثَارِ الْبِنَاءِ وَالضَّخَامَةِ مَا كَثُرَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالْقِطْعَةُ الَّتِي مَا بَيْنَ الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ وَخَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَفِيهَا بِلَادُ مَقْدُونِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْيُونَانِيِّينَ  
وَمِنْهَا أَوَّلُ مَلِكِهِمْ فِي شَرْقِي هَذَا الْخَلِيجِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ بَاطُوسَ  
وَأَظْنَاهَا إِنْهَا الْعَهْدُ مَجَالَاتٍ لِلتُّرُكُمَانِ وَبِهَا مُلْكُ ابْنِ عُثْمَانَ وَقَاعِدَتُهُ بِهَا بَرَصَةٌ وَكَانَتْ  
مِنْ قَبْلِهِمْ لِلرُّومِ وَغَلِبَهُمْ عَلَيْهَا الْأَمُّ إِلَى أَنْ صَارَتْ لِلتُّرُكُمَانِ . وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ مِنْ غَرْبِيَّةٍ وَجَنُوبِيَّةٍ أَرْضُ بَاطُوسَ وَفِي الشَّامِ عَنْهَا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
بِلَادُ عَمُورِيَّةَ وَفِي شَرْقِيَّ عَمُورِيَّةَ نَهْرٌ قَبَائِبُ الَّذِي يُعِدُّ الْفُرَاتَ وَيَخْرُجُ مِنْ جَبَلٍ هُنَالِكَ  
وَيَذْهَبُ فِي الْجَنُوبِ حَتَّى يُخَالِطَ الْفُرَاتَ قَبْلَ وُصُولِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ إِلَى تَمَرِهِ فِي الْأَقْلِيمِ  
الرَّابِعِ وَهُنَالِكَ فِي غَرْبِيَّةِ آخِرِ الْجُزْءِ فِي مَبْدَأِ نَهْرِ سِيحَانَ ثُمَّ نَهْرُ جِيحَانَ غَرْبِيَّةِ الدَّاهِبِينَ  
عَلَى سَمْتِهِ وَقَدْ ذَكَرْهُمَا وَفِي شَرْفِهِ هُنَالِكَ مَبْدَأُ نَهْرِ دِجْلَةَ الدَّاهِبِ عَلَى سَمْتِهِ وَفِي  
مُؤَاوَزَتِهِ حَتَّى يُخَالِطَهُ عِنْدَ بَغْدَادَ وَفِي الزَّاوِيَةِ الَّتِي بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
وَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ دِجْلَةَ بِلَدُ مِيثَاقَرِينَ وَنَهْرُ قَبَائِبُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ يَقْسِمُ  
هَذَا الْجُزْءَ بِقِطْعَتَيْنِ أَحَدَاهُمَا غَرْبِيَّةَ جَنُوبِيَّةَ وَفِيهَا أَرْضُ بَاطُوسَ كَمَا قُلْنَا وَآسَافِلَهَا  
إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَمَالًا وَوَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ قَبَائِبُ أَرْضُ عَمُورِيَّةَ كَمَا  
قُلْنَا وَالْقِطْعَةُ الثَّانِيَّةُ شَرْقِيَّةُ شَمَالِيَّةٌ عَلَى الثَّلَاثِ فِي الْجَنُوبِ مِنْهَا مَبْدَأُ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتَ وَفِي  
الشَّامِ بِلَادُ الْبَيْلَقَانِ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ عَمُورِيَّةَ مِنْ وَرَاءِ جَبَلٍ قَبَائِبُ وَهِيَ عَرِيضَةٌ وَفِي  
آخِرِهَا عِنْدَ مَبْدَأِ الْفُرَاتِ بِلَدُ حَرَشَنَةِ وَفِي الزَّاوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ  
فِيطِشٍ الَّذِي يُعِدُّ خَلِيجَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي جَنُوبِهِ  
وَعَرْبِهِ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةَ مُتَّصِلَةٌ إِلَى أَنْ يَتَجَاوَزَ وَسَطَ الْجُزْءِ إِلَى جَانِبِ الشَّرْقِ وَفِيهَا بِلَدَانِ  
أَرْدُنَ فِي الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ وَفِي شَمَالِهَا تَفْلِسُ وَدَيْلُ وَفِي شَرْقِ أَرْدُنَ مَدِينَةُ خَلَاطُ ثُمَّ  
بَرْدَعَةُ فِي جَنُوبِهَا بِأَنْحَرِافٍ إِلَى الشَّرْقِ مَدِينَةُ أَرْمِينِيَّةَ وَمِنْ هُنَالِكَ مَخْرَجُ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةَ  
إِلَى الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَفِيهَا هُنَالِكَ بِلَدُ الْمَرَاغَةِ فِي شَرْقِي جَبَلِ الْأَكْرَادِ الْمُسَمَّى بِأَرْمِي  
وَقَدْ ذَكَرْهُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ وَيَتَاخَمُ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةَ فِي هَذَا الْجُزْءِ وَفِي الْأَقْلِيمِ



الرابع قبله من جهة الشرق فيها بلاد أذربيجان وآخرها في هذا الجزء شرقاً بلاد أردبيل  
على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من الجزء السابع ويسمى بحر  
طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر وهم التركمان ويبدأ  
من عند آخر هذه القطعة البحرية في الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب  
إلى الجزء الخامس فتتم فيه منعطفة ومحيطة ببلد ميفارقين ويخرج إلى الأقليم  
الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة في أسافل الشام ومن هنالك يتصل بجبل اللكام  
كما مر وبين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانياً كالأبواب تنضي من الجانبين  
ففي جنوبها بلاد الأبواب متصلة في الشرق إلى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد  
مدينة باب الأبواب وتتصل بلاد الأبواب في الغرب من ناحية جنوبها ببلد أرمينية  
وبينهما في الشرق وبين بلاد أذربيجان الجنوبية بلاد الزاب متصلة إلى بحر طبرستان  
وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربها مملكة السري في الزاوية  
الغربية الشمالية منها وفي زاوية الجزء كله قطعة أيضاً من بحر نبطش الذي يمد  
خليج القسطنطينية وقد مر ذكره ويحفر بهذه القطعة من نبطش بلاد السري وعليها  
منها بلد أطرابزدة وتتصل بلاد السري بين جبل الأبواب والجهة الشمالية من الجزء  
إلى أن ينتهي شرقاً إلى جبل حاجز بينها وبين أرض الخزر وعند آخرها مدينة صول  
وراء هذا الجبل الحاجز قطعة من أرض الخزر تنهي إلى الزاوية الشرقية الشمالية  
من هذا الجزء من بحر طبرستان وآخر الجزء شمالاً . والجزء السابع من هذا الأقليم  
غربيه كله مغمور ببحر طبرستان وخارج من جنوبه في الأقليم الرابع القطعة التي  
ذكرنا هنالك أن عليها بلاد طبرستان وجبال الديلم إلى قزوين وفي غربي تلك القطعة  
متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الأقليم الرابع ويتصل بها من شمالها  
القطعة التي في الجزء السادس من شرقه أيضاً وينكشف من هذا الجزء قطعة عند زاويته  
الشمالية الغربية يصب فيها نهر أثل في هذا البحر ويبقى من هذا الجزء في ناحية  
الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات للغز من أمم الترك يحيط بها جبل من جهة  
الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب إلى ما دون وسطه فينعطف إلى  
الشمال إلى أن يلاقي بحر طبرستان فيتحف به ذاهباً معه إلى بقيته في الأقليم السادس

ثُمَّ يَنْعَطِفُ مَعَ طَرَفِهِ وَيَفَارِقُهُ وَيُسَمَّى هُنَاكَ جَبَلُ سِيَاهٍ وَيَذْهَبُ مُغْرِبًا إِلَى الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَنُوبًا إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ  
 وَهَذَا الطَّرَفُ مِنْهُ وَهُوَ الَّذِي أَعْتَرَضَ فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيْنَ أَرْضِ السَّرِيرِ وَأَرْضِ الْخَزَرِ  
 وَاتَّصَلَتْ بِأَرْضِ الْخَزَرِ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ وَالسَّابِعِ حَافَاتُ هَذَا الْجَبَلِ الْمُسَمَّى جَبَلُ  
 سِيَاهٍ كَمَا سَيَأْتِي. وَالْجُزْءُ الثَّامِنُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ كُلُّهُ مَجَالَاتٌ لِلْعُزْرِ مِنْ أُمَّ  
 التُّرْكِ وَفِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ بِحِيرَةٌ خَوَارِزْمُ الَّتِي يَصُبُّ فِيهَا نَهْرٌ جِيحُونُ دَوْرُهَا  
 ثَلَاثُمِائَةِ مِيلٍ وَيَصُبُّ فِيهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَرْضِ هَذِهِ الْمَجَالَاتِ وَفِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
 الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ بِحِيرَةٌ عُرْعُونُ دَوْرُهَا أَرْبَعُمِائَةِ مِيلٍ وَمَاوُهَا حُلُوٌّ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ جَبَلٌ مِرْغَارٌ وَمَعْنَاهُ جَبَلُ الثَّلَجِ لِأَنَّهُ لَا يَذُوبُ فِيهِ وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِآخِرِ الْجُزْءِ  
 وَفِي الْجَنُوبِ عَنْ بِحِيرَةِ عُرْعُونِ جَبَلٌ مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ لَا يَنْبُتُ شَيْئًا يُسَمَّى عُرْعُونُ وَبِهِ  
 سُمِّيَتِ الْبَحِيرَةُ وَيَنْجَلِبُ مِنْهُ وَمِنْ جَبَلِ مِرْغَارِ شَمَالِي الْبَحِيرَةِ أَنْهَارٌ لَا تَحْصُرُ عِدَّتُهَا فَتَصُبُّ  
 فِيهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ. وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ بِلَادُ أَرْكَسَ مِنْ أُمَّ التُّرْكِ فِي  
 غَرْبِ بِلَادِ الْعُزْرِ وَشَرْقِ بِلَادِ الْكِيْمَاكِةِ وَيَحْتَفُّ بِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ آخِرُ الْجُزْءِ  
 جَبَلٌ قُوقِيَا الْمَحِيطُ بِمَا جُوجَ وَمَا جُوجَ يَعْتَرِضُ هُنَاكَ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَنْعَطِفَ  
 أَوَّلَ دُخُولِهِ مِنَ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ وَقَدْ كَانَ دَخَلَ إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 الرَّابِعِ قَبْلَهُ وَأَخْتَفَ هُنَاكَ بِالْبَحْرِ الْمَحِيطِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّمَالِ ثُمَّ أَنْعَطَفَ مُغْرِبًا  
 فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ إِلَى مَا دُونَ نِصْفِهِ وَأَحَاطَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى هُنَا بِبِلَادِ  
 الْكِيْمَاكِةِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فَذْهَبَ فِيهِ مُغْرِبًا إِلَى آخِرِهِ  
 وَبَقِيََتْ فِي جَنُوبِيهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْغَرْبِ قَبْلَ آخِرِ بِلَادِ الْكِيْمَاكِةِ  
 ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ فِي شَرْقِيهِ وَفِي الْأَعْلَى مِنْهُ وَأَنْعَطَفَ قَرِيبًا إِلَى الشَّمَالِ وَذْهَبَ  
 عَلَى سَمْتِهِ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَفِيهِ السُّدُ هُنَاكَ كَمَا نَذَرُ  
 وَبَقِيََتْ مِنْهُ الْقِطْعَةُ الَّتِي أَحَاطَ بِهَا جَبَلٌ قُوقِيَا عِنْدَ الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
 مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْجَنُوبِ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ بَا جُوجَ وَمَا جُوجَ وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
 أَرْضُ بَا جُوجَ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ كُلُّهَا إِلَّا قِطْعَةً مِنَ الْبَحْرِ غَمَرَتْ طَرَفًا فِي شَرْقِيهِ مِنْ جَنُوبِهِ  
 إِلَى شَمَالِهِ إِلَّا الْقِطْعَةَ الَّتِي يَفْصُلُهَا إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ جَبَلٌ قُوقِيَا حِينَ مَرَّ فِيهِ وَمَا



سوى ذلك فأرض يا جوج وما جوج والله سبحانه وتعالى أعلم  
 الإقليم السادس . فالجزء الأول منه غمر البحر أكثر من نصفه وأستدار شرقاً  
 مع الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية إلى الجنوب وانتهى قريباً من الناحية  
 الجنوبية فأنكشفت قطعة من هذه الأرض في هذا الجزء داخلة بين الطرفين وفي  
 الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المحيط كالجون فيه وينفسح طويلاً وعرضاً وهي  
 كلها أرض بريطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا  
 الجزء بلاد صاقس متصلة ببلاد بنطوالتي مر ذكرها في الجزء الأول والثاني من الإقليم  
 الخامس . والجزء الثاني من هذا الإقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله فمن غربه  
 قطعة مستطيلة أكبر من نصفه الشمالي من شرق أرض بريطانية في الجزء الأول  
 واتصلت بها القطعة الأخرى في الشمال من غربه إلى شرقه وانقسمت في النصف  
 الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة أنكلترا وهي جزيرة عظيمة  
 مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الإقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة  
 وجزيرتها في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد أرمندية وبلاد أفلاذش متصلين بها  
 ثم بلاد إفرنسية جنوباً وغرباً من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقاً عنها وكلها لألم  
 الأفرنجية وبلاد اللمانيين في النصف الشرقي من الجزء فجنوبه بلاد أنكلانية ثم  
 بلاد برغونية شمالاً ثم أرض لهويكة وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية  
 الشمالية الشرقية أرض أفريزة وكلها لألم اللمانيين . وفي الجزء الثالث من هذا  
 الإقليم في الناحية الغربية بلاد مرانية في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية  
 الشرقية بلاد أنكورية في الجنوب وبلاد بلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط  
 داخلاً من الجزء الرابع ويمر مغرباً بالبحر إلى الشمال إلى أن يقف في بلاد  
 شطونية آخر النصف الغربي . وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب أرض جثولية وتحتها  
 في الشمال بلاد الروسية ويفصل بينهما جبل بلواط من أول الجزء غرباً إلى أن  
 يقف في النصف الشرقي وفي شرق أرض جثولية بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية  
 الشرقية أرض القسطنطينية ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند  
 مدفعه في بحر نيطش فيقع قطعة من بحر نيطش في أعالي الناحية الشرقية من هذا

الْجُزْءُ وَيُمِلُّهَا الْخَلِيجُ وَبَيْنَهُمَا فِي الزَّاوِيَةِ بَلَدُ مَسِينَاةٍ وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 السَّادِسِ ثُمَّ فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ عِنْدَ بَحْرِ نِيطِشٍ يَتَّصِلُ مِنَ الْخَلِيجِ فِي آخِرِ الْجُزْءِ  
 الرَّابِعِ وَيَخْرُجُ مِنْ سَمْتِهِ مُشْرِقًا فَيَمُرُّ فِي هَذَا الْجُزْءِ كُلِّهِ وَفِي بَعْضِ السَّادِسِ عَلَى طُولِ  
 أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ مِيلًا مِنْ مَبْدَأِهِ فِي عَرْضِ سِتِّمِائَةِ مِيلٍ وَيَبْقَى وَرَاءَ هَذَا الْبَحْرِ فِي  
 النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي غَرْبِهَا إِلَى شَرْقِهَا بِرُّ مُسْتَطِيلٌ فِي غَرْبِهِ هِرْقَلِيَّةٌ عَلَى  
 سَاحِلِ بَحْرِ نِيطِشٍ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ الْبَيْلِقَانِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَفِي شَرْقِهِ بِلَادُ الْأَلَانِيَّةِ  
 وَقَاعِدَتُهَا سَوْتَلِي عَلَى بَحْرِ نِيطِشٍ وَفِي شَمَالِ بَحْرِ نِيطِشٍ فِي هَذَا الْجُزْءِ غَرْبًا أَرْضُ تَرْخَانَ  
 وَشَرْقًا بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَكُلُّهَا عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ وَبِلَادُ الرُّوسِيَّةِ مُحِيطَةٌ بِبِلَادِ تَرْخَانَ  
 مِنْ شَرْقِهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنْ شَمَالِهَا فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّابِعِ وَمِنْ غَرْبِهَا  
 فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ فِي غَرْبِهِ بَقِيَّةُ بَحْرِ نِيطِشٍ  
 وَيَنْحَرِفُ قَلِيلًا إِلَى الشَّمَالِ وَيَبْقَى بَيْنَهُ هُنَاكَ وَبَيْنَ آخِرِ الْجُزْءِ شَمَالًا بِلَادُ قَانِيَّةٍ وَفِي  
 جَنُوبِهِ مُنْقَسِمًا إِلَى الشَّمَالِ بِمَا أُنْخَرِفَ هُوَ كَذَلِكَ بَقِيَّةُ بِلَادِ الْأَلَانِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ آخِرَ  
 جَنُوبِهِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ مُتَّصِلُ أَرْضِ الْخَزَرِ وَفِي  
 شَرْقِهَا أَرْضُ بَرَطَاسَ وَفِي الزَّاوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ أَرْضُ بَلْغَارَ وَفِي الزَّاوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
 الْجَنُوبِيَّةِ أَرْضُ بَلْجَرٍ يَجُوزُهَا هُنَاكَ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ سِيَاكُوهَ الْمُنْعَطِفِ مَعَ بَحْرِ الْخَزَرِ  
 فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ بَعْدَهُ وَيَذْهَبُ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ مُغْرَبًا فَيَجُوزُ فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ وَيَدْخُلُ إِلَى  
 الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَتَّصِلُ هُنَاكَ بِجَبَلِ الْأَبْوَابِ وَعَلَيْهِ مِنْ هُنَاكَ  
 نَاحِيَةُ بِلَادِ الْخَزَرِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مَا جَاوَهُ  
 جَبَلُ سِيَاةَ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ بِحَرَ طَبَرْسْتَانَ وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ الْخَزَرِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ غَرْبًا  
 وَفِي شَرْقِهَا الْقِطْعَةُ مِنْ بَحْرِ طَبَرْسْتَانَ الَّتِي يَجُوزُهَا هَذَا الْجَبَلُ مِنْ شَرْقِهَا وَشَمَالِهَا وَوَرَاءَ  
 جَبَلِ سِيَاةَ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ أَرْضُ بَرَطَاسَ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ  
 أَرْضُ شَعْرَبَ وَيَخْنَاكَ وَهُمْ أُمُّ التُّرْكِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ وَالنَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ كُلُّهَا  
 أَرْضُ الْجَوُخِ مِنَ التُّرْكِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ غَرْبًا وَالْأَرْضُ الْمُنْتَنَةِ وَشَرْقُ الْأَرْضِ الَّتِي  
 يُقَالُ إِنَّ بَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ خَرَبَاهَا قَبْلَ بِنَاءِ السُّدْرِ وَفِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُنْتَنَةِ مَبْدَأُ نَهْرِ  
 الْأَثَلِ مِنْ أَكْظَمِ أَنْهَارِ الْعَالَمِ وَمَمَرُهُ فِي بِلَادِ التُّرْكِ وَمَصْبُهُ فِي بَحْرِ طَبَرْسْتَانَ فِي الْإِقْلِيمِ



الْخَامِسِ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْهُ وَهُوَ كَثِيرُ الْأَنْعَاطِ يُخْرَجُ مِنْ جَبَلٍ مِنَ الْأَرْضِ الْمُنْتَنَةِ  
 مِنْ ثَلَاثَةِ بَنَائِعَ تَجْتَمِعُ فِي نَهْرٍ وَاحِدٍ وَيَمُرُّ عَلَى سَمْتِ الْغَرْبِ إِلَى آخِرِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا  
 الْأَقْلِيمِ فَيَنْعَطِفُ شَمَالًا إِلَى الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ فَيَمُرُّ فِي طَرَفِهِ بَيْنَ  
 الْجَنُوبِ وَالْمَغْرِبِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ السَّابِعِ وَيَذْهَبُ مَغْرِبًا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ  
 يَنْعَطِفُ ثَانِيَةً إِلَى الْجَنُوبِ وَيَرْجِعُ إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ  
 جَدُولٌ يَذْهَبُ مَغْرِبًا وَيَصُبُّ فِي بَحْرِ نِطِشٍ فِي ذَلِكَ الْجُزْءِ وَيَمُرُّ دُونَ قِطْعَةٍ بَيْنَ الشَّمَالِ  
 وَالشَّرْقِ فِي بِلَادٍ بَلْغَارٍ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ ثَالِثَةً  
 إِلَى الْجَنُوبِ وَيَنْفُذُ فِي جَبَلٍ سِبَاهٍ وَيَمُرُّ فِي بِلَادِ الْخَزَرِ وَيَخْرُجُ إِلَى الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ  
 فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْهُ فَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي بَحْرِ طَبَرْسْتَانَ فِي الْقِطْعَةِ الَّتِي أَنْكَشَنَتْ مِنْ  
 الْجُزْءِ عِنْدَ الزَّائِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَالْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ  
 مِنْهُ بِلَادُ خَنْشَاخَ مِنَ التُّرْكِ وَهُمْ قَفْجَاقُ وَبِلَادُ السَّرَكَسِ مِنْهُمْ أَيْضًا وَفِي الشَّرْقِ مِنْهُ  
 بِلَادُ يَأْجُوجَ يَفْضُلُ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ قُوقِيَا الْمُحِيطُ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ يَبْدَأُ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ  
 فِي شَرْقِ الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مَعَهُ إِلَى آخِرِ الْأَقْلِيمِ فِي الشَّمَالِ وَيَفَارِقُهُ مَغْرِبًا  
 وَبِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَرْجِعُ إِلَى  
 سَمْتِهِ الْأَوَّلِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ مِنْ جَنُوبِهِ إِلَى شَمَالِهِ  
 بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي وَسْطِهِ هُنَا السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْإِسْكَندَرُ ثُمَّ يُخْرَجُ عَلَى سَمْتِهِ  
 إِلَى الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْهُ فَيَمُرُّ فِيهِ إِلَى الْجَنُوبِ إِلَى أَنْ يَلْقَى الْبَحْرَ  
 الْمُحِيطَ فِي شَمَالِهِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مَعَهُ مِنْ هُنَاكَ مَغْرِبًا إِلَى الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ إِلَى الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ مِنْهُ فَيَتَّصِلُ هُنَاكَ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فِي غَرْبِهِ وَفِي وَسْطِ هَذَا الْجُزْءِ  
 التَّاسِعِ هُوَ السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْإِسْكَندَرُ كَمَا قُلْنَا وَاصْصَحِّحْ مِنْ خَبَرِهِ فِي الْقُرْآنِ  
 وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَرْدَاذِبَةَ فِي كِتَابِهِ فِي الْجُغَرَفِيَا أَنَّ الْوَاقِعَ رَأَى فِي مَنَامِهِ  
 كَانَ السُّدُّ انْفَتَحَ فَأَنْتَبَهَ فَرَعَا وَبَعَثَ سَلَامًا إِلَى التَّرْجُمَانِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَجَاءَ بِخَبَرِهِ وَوَصَّيهِ  
 فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ لَيْسَتْ مِنْ مَقَاصِدِ كِتَابِنَا هَذَا وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ  
 بِلَادُ مَأْجُوجَ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ إِلَى آخِرِهِ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هُنَاكَ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ أَحَاطَتْ بِهِ  
 مِنْ شَرْقِهِ وَشَمَالِهِ مُسْتَطِيلَةٌ فِي الشَّمَالِ وَعَرِيضَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الشَّرْقِ

الْأَقْلِيمُ السَّابِعُ \* وَالْبَحْرُ الْمُحِيطُ قَدْ غَمَرَ عَامَّتَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى وَسَطِ الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ حَيْثُ يَتَّصِلُ بِجَبَلٍ قُوفِيَا الْمُحِيطُ بِبَاجُوجٍ وَمَاجُوجٍ . فَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي  
 مَغْمُورَانِ بِالْمَاءِ إِلَّا مَا أَنْكَشَفَ مِنْ جَزِيرَةٍ أَنْكَشَرَا إِلَيَّ مُعْظَمُهَا فِي الثَّانِي وَفِي الْأَوَّلِ  
 مِنْهَا طَرَفٌ أَنْعَطَفَ بِانْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ وَبَقِيَّتُهَا مَعَ قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ مُسْتَدِيرَةٌ عَلَيْهِ  
 فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَهِيَ مَذْكُورَةٌ هُنَاكَ وَالْمَجَازُ مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ فِي  
 هَذِهِ الْقِطْعَةِ سَعَةٌ اثْنِي عَشَرَ مِيلًا وَوَرَاءَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ فِي شَمَالِ الْجُزْءِ الثَّانِي جَزِيرَةٌ  
 رَسَلَانِدَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ . وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ مَغْمُورٌ  
 أَكْثَرُهُ بِالْبَحْرِ إِلَّا قِطْعَةً مُسْتَطِيلَةً فِي جَنُوبِهِ وَتَتَّسِعُ فِي شَرْقِهَا وَفِيهَا هُنَالِكَ مُتَّصِلُ أَرْضِ  
 فُلُونِيَّةٍ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الثَّلَاثِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَأَنْهَا فِي شَمَالِهَا وَفِي الْقِطْعَةِ مِنَ  
 الْبَحْرِ الَّتِي تَغْمُرُ هَذَا الْجُزْءَ ثُمَّ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا مُسْتَدِيرَةٌ فَسِيحَةٌ وَتَتَّصِلُ بِالْبَرِّ مِنْ  
 بَابٍ فِي جَنُوبِهَا يُفْضِي إِلَى بِلَادِ فُلُونِيَّةٍ وَفِي شَمَالِهَا جَزِيرَةٌ بَرَعَانِيَّةٌ ( وَفِي نَسْخَةِ بَوَقَاعَةِ )  
 مُسْتَطِيلَةٌ مَعَ الشَّمَالِ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الْمَشْرِقِ . وَالْجُزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ شَمَالُهُ  
 كُلُّهُ مَغْمُورٌ بِالْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَجَنُوبُهُ مُنْكَشَفٌ وَفِي غَرْبِهِ  
 أَرْضُ قِيَاذَكُ مِنَ التُّرْكِ وَفِي شَرْقِهَا بِلَادُ طَسْتِ ثُمَّ أَرْضُ رَسَلَانَ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا  
 وَهِيَ دَائِمَةٌ الثَّلُوجِ وَعُمْرَانُهَا قَلِيلٌ وَيَتَّصِلُ بِبِلَادِ الرُّوسِيَّةِ فِي الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي  
 الْجُزْءِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ  
 بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَيَنْتَهِي فِي الشَّمَالِ إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جَبَلٌ  
 قُوفِيَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ مُتَّصِلُ أَرْضِ الْقِمَانِيَّةِ الَّتِي عَلَى  
 قِطْعَةٍ بِحَرِّ نِيطِشٍ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَيَنْتَهِي إِلَى بَحِيرَةِ طَارْمِي  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَهِيَ عَذْبَةٌ تَنْجَلِبُ إِلَيْهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجِبَالِ عَنِ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ  
 وَفِي شَمَالِ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ التَّتَارِيَّةِ مِنَ التُّرْكِ ( وَفِي نَسْخَةِ التَّرْكَانِ )  
 إِلَى آخِرِهِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مُتَّصِلُ بِلَادِ الْقِمَانِيَّةِ وَفِي  
 وَسَطِ النَّاحِيَةِ بِحِيرَةٌ عَثُورٌ عَذْبَةٌ تَنْجَلِبُ إِلَيْهَا الْأَنْهَارُ مِنَ الْجِبَالِ فِي النُّوَاحِي الشَّرْقِيَّةِ  
 وَهِيَ جَامِدَةٌ دَائِمًا لِسِدَّةِ الْبَرْدِ إِلَّا قَلِيلًا فِي زَمَنِ الصَّيْفِ وَفِي شَرْقِ بِلَادِ الْقِمَانِيَّةِ بِلَادُ



أَلرُّوسِيَّةُ الَّتِي كَانَ مَبْدَأُهَا فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الزَّائِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ بَلْغَرِ الَّتِي كَانَ  
 مَبْدَأُهَا فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ  
 وَفِي وَسْطِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ أَرْضِ بَلْغَرِ مُنْعَطَفُ نَهْرِ أَثَلِ الْقِطْعَةِ الْأُولَى إِلَى الْجَنُوبِ  
 كَمَا مَرَّ وَفِي آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ شَمَالِهِ جَبَلٌ قُوقِيَا مُتَّصِلٌ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ  
 وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِهِ بَقِيَّةُ أَرْضِ بِخْنَاكَ مِنْ أَمْرِ التُّرْكِ وَكَانَ  
 مَبْدَأُهَا مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ قَبْلَهُ وَفِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
 الْغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَيَخْرُجُ إِلَى الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ مِنْ فَوْقِهِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
 بَقِيَّةُ أَرْضِ سُحْرَبَ ثُمَّ بَقِيَّةُ الْأَرْضِ الْمُنْتِنَةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ مِنْ  
 جِهَةِ الشَّمَالِ جَبَلٌ قُوقِيَا الْمُحِيطُ مُتَّصِلًا مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا  
 الْإِقْلِيمِ فِي الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ مُتَّصِلُ الْأَرْضِ الْمُنْتِنَةِ وَفِي شَرْقِهَا الْأَرْضُ الْمَحْفُورَةُ  
 وَهِيَ مِنَ الْعَجَائِبِ خَرَقَ عَظِيمٌ فِي الْأَرْضِ بَعِيدُ الْمَهْوَى فَسَبِيحُ الْأَفْطَارِ مُتَشَتِّعُ الْوُصُولِ  
 إِلَى قَعْرِهِ يُسْتَدَلُّ عَلَى عُمْرَانِهِ بِالْذُّخَانِ فِي النَّهَارِ وَالنِّيرَانِ فِي اللَّيْلِ تُضِيءُ وَتُخْفَى وَرُبَّمَا  
 رُئِيَ فِيهَا نَهْرٌ يَشْقُهَا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الْبِلَادُ  
 الْخَرَابُ الْمُشَاخِمَةُ لِلْسُّدِّ وَفِي آخِرِ الشَّمَالِ مِنْهُ جَبَلٌ قُوقِيَا مُتَّصِلًا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ  
 وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ بِلَادُ خَفْشَاخَ وَهُمْ قَفَّحِقُ  
 يَجُوزُهَا جَبَلٌ قُوقِيَا حِينَ يَنْعَطِفُ مِنْ شَمَالِهِ عِنْدَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَيَذْهَبُ فِي وَسْطِهِ إِلَى  
 الْجَنُوبِ بِاتِّخَافٍ إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَيَمُرُّ  
 مُعْتَزًّا فِيهِ وَفِي وَسْطِهِ هُنَالِكَ سُدٌّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ يَأْجُوجَ وَرَاءَ جَبَلٍ قُوقِيَا عَلَى الْبَحْرِ قَلِيلَةَ الْعَرْضِ مُسْتَطِيلَةً أَحَاطَتْ  
 بِهِ مِنْ شَرْقِهِ وَشَمَالِهِ . وَالْجُزْءُ الْعَاشِرُ غَمَرُ الْبَحْرِ جَمِيعَةً . هَذَا آخِرُ الْكَلَامِ عَلَى الْجُغْرَفِيَا  
 وَأَقَالِيمِهَا السَّبْعَةِ وَفِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ

## المقدمة الثالثة

في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر

والكثير في احوالهم

قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْمَعْمُورَ مِنْ هَذَا الْمُنْكَشِفِ مِنَ الْأَرْضِ إِنَّمَا هُوَ وَسَطُهُ لِإِفْرَاطِ  
الْحَرِّ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ وَالْبَرْدِ فِي الشَّمَالِ . وَلَمَّا كَانَتِ الْجَانِبَانِ مِنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ  
مُتَضَادَّتَيْنِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَجَبَ أَنْ تَتَدَرَّجَ الْكَيْفِيَّةُ مِنْ كِلَيْهِمَا إِلَى الْوَسْطِ فَيَكُونُ  
مُعْتَدِلًا فَالْأَوَّلُ الْقَلِيمُ الرَّابِعُ أَعْدَلُ الْعُمُرَانِ وَالَّذِي حَافَاتُهُ مِنَ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسِ أَقْرَبُ إِلَى  
الْإِعْتِدَالِ وَالَّذِي بَيْنَهُمَا وَالثَّانِي وَالسَّادِسُ بَعِيدَانِ مِنَ الْإِعْتِدَالِ وَالْأَوَّلُ وَالسَّابِعُ  
أَبْعَدُ بكَثِيرٍ فَلِهَذَا كَانَتْ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَالْمَبَانِي وَالْمَلَابِسُ وَالْأَقْوَاتُ وَالْفَوَاكِهُ بَلْ  
وَالْحَيَوَانَاتُ وَجَمِيعُ مَا يَتَكَوَّنُ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ مَخْصُوصَةً بِالْإِعْتِدَالِ  
وَسُكَّانُهَا مِنَ الْبَشَرِ أَعْدَلُ أَجْسَامًا وَأَلْوَانًا وَأَخْلَاقًا وَأَدْيَانًا حَتَّى الذُّبُوتُ فَإِنَّمَا تُوجَدُ  
فِي الْأَكْثَرِ فِيهَا وَلَمْ تَقِفْ عَلَى خَبَرٍ بَعَثَ فِي الْأَقَالِيمِ الْجَنُوبِيَّةِ وَلَا الشَّمَالِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ  
الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ أَكْمَلُ النُّوعِ فِي خَلْقِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ قَالَ تَعَالَى كُنْتُمْ  
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَذَلِكَ لِتَمِّمِ الْقُبُولُ بِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَهْلُ  
هَذِهِ الْأَقَالِيمِ أَكْمَلُ لُجُودِ الْإِعْتِدَالِ لَهُمْ فَتَجِدُهُمْ عَلَى عَايَةٍ مِنَ التَّوَسُّطِ فِي مَسَاكِينِهِمْ  
وَمَلَابِسِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ يَتَخَذُونَ الْبُيُوتَ الْمُنَجَّدَةَ بِالْحِجَارَةِ الْمُسَمَّعَةِ بِالصَّنَاعَةِ  
وَيَتَنَاغُونَ فِي اسْتِجَادَةِ الْأَلَاتِ وَالْمَوَاعِينِ وَيَذْهَبُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْعَايَةِ وَتُوجَدُ لَدَيْهِمْ  
الْمَعَادِنُ الطَّبِيعِيَّةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ وَالنُّعَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْقَصْدِيرِ  
وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ بِالنَّقْدَيْنِ الْعَزِيزَيْنِ وَيَبْعُدُونَ عَنِ الْإِنْحِرَافِ فِي عَامَّةِ أَحْوَالِهِمْ  
وَهُؤُلَاءِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالسِّنْدِ وَالصِّينِ  
وَكَذَلِكَ الْأَنْدَلُسُ وَمَنْ قَرُبَ مِنْهَا مِنَ الْفَرَنْجَةِ وَالْجَلَالِقَةِ وَالرُّومِ وَالْيُونَانِيِّينَ وَمَنْ كَانَ  
مَعَ هَؤُلَاءِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَلِهَذَا كَانَ الْعِرَاقُ وَالشَّامُ أَعْدَلُ  
هَذِهِ كُلِّهَا لِأَنَّهَا وَسْطٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ . وَأَمَّا الْأَقَالِيمُ الْبَعِيدَةُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ مِثْلَ الْأَوَّلِ  
وَالثَّانِي وَالسَّادِسِ وَالسَّابِعِ فَأَهْلُهَا أَبْعَدُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ فَبِنَاؤُهُمْ بِالطِّينِ



وَالْقَصَبِ وَأَقْوَاتِهِمْ مِنَ الذَّرَّةِ وَالْعِشْبِ وَمَلَاسِيهِمْ مِنْ أَوْزَاقِ الشَّجَرِ يَخْصِفُونَهَا عَلَيْهِمْ  
 أَوْ الْجُلُودِ وَأَكْثَرُهُمْ عَرَابًا مِنَ اللِّبَاسِ وَفَوَاكِهُ بِلَادِهِمْ وَأَدَمُهَا غَرِيبَةٌ التَّكْوِينِ مَائِلَةٌ  
 إِلَى الانْحِرَافِ وَمُعَامَلَاتِهِمْ بِغَيْرِ الْحَجَرَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِنْ نَحَاسٍ أَوْ حَدِيدٍ أَوْ جُلُودٍ  
 يَقْدَرُونَهَا لِلْمُعَامَلَاتِ وَأَخْلَاقُهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَرِيبَةٌ مِنْ خَلْقِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ حَتَّى لِيُنْقَلَ  
 عَنْ أَكْثَرِهِمْ مِنَ السُّودَانِ أَهْلُ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ أَنَّهُمْ يَسْكُنُونَ الْكَهُوفَ وَالْغِيَاضَ  
 وَيَأْكُلُونَ الْعِشْبَ وَأَنَّهُمْ مُتَوَحِّشُونَ غَيْرُ مُسْتَأْنِسِينَ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَكَذَا الصَّقَالِبَةُ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لِبُعْدِهِمْ عَنِ الْإِعْتِدَالِ يَقْرُبُ عَرَضُ أُمُورِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ مِنْ  
 عَرَضِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ وَيَعْدُونَ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ فِي  
 الدِّيَانَةِ أَيْضًا فَلَا يَعْرِفُونَ نُبُوَّةً وَلَا يَدِينُونَ بِشَرِيعَةٍ إِلَّا مَنْ قَرَّبَ مِنْهُمْ مِنْ جَوَانِبِ  
 الْإِعْتِدَالِ وَهُوَ فِي الْأَوَّلِ النَّادِرُ مِثْلَ الْحَبَشَةِ الْمُجَاوِرِينَ لِلْيَمَنِ الدَّائِنِينَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ  
 فِيمَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَمَا بَعْدَهُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَمِثْلُ أَهْلِ مَالِي وَكُوكُو وَالتُّكُرُورِ الْمُجَاوِرِينَ  
 لِأَرْضِ الْمَغْرِبِ الدَّائِنِينَ بِالْإِسْلَامِ لِهَذَا الْعَهْدِ يُقَالُ إِنَّهُمْ دَانُوا بِهِ فِي الْمِائَةِ السَّابِعَةِ  
 وَمِثْلُ مَنْ دَانَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ مِنْ أُمَّةِ الصَّقَالِبَةِ وَالْأَفَرَنْجَةِ وَالتُّرْكِ مِنَ الشَّامِ وَمِنْ سِوَى  
 هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَقَالِيمِ الْمُتَحَرِّفَةِ جَنُوبًا وَشَمَالًا فَالَّذِينَ مَجْهُولٌ عَنْدهُمْ وَالْعِلْمُ مَفْقُودٌ  
 بَيْنَهُمْ وَجَمِيعُ أَحْوَالِهِمْ بَعِيدَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ قَرِيبَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْبَهَائِمِ وَيَخْلُقُ مَا  
 لَا تَعْلَمُونَ وَلَا يُعْتَرِضُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بُوْجُرْدُ الْيَمَنِ وَحَضْرَمُوتُ وَالْأَحْقَافُ وَبِلَادُ  
 الْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا يَلِيهَا مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي فَإِنَّ جَزِيرَةَ  
 الْعَرَبِ كُلَّهَا أَحَاطَتْ بِهَا الْجِبَارُ مِنَ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ كَمَا ذَكَرْنَا فَكَانَ لِرُطُوبَتِهَا أَثَرٌ فِي  
 رُطُوبَةِ هَوَائِهَا فَتَقْصُ ذَلِكَ مِنَ الْيَبَسِ وَالْإِنْحِرَافِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحَرُّ وَصَارَ فِيهَا بَعْضُ  
 الْإِعْتِدَالِ بِسَبَبِ رُطُوبَةِ الْبَحْرِ . وَقَدْ تَوَهَّم بَعْضُ النَّسَابِينَ مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ بِطَبَائِعِ  
 الْكَائِنَاتِ أَنَّ السُّودَانَ هُمْ وَلَدُ حَامٍ بْنِ نُوحٍ اخْتَصَمُوا بِلَوْنِ السَّوَادِ لِدَعْوَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ  
 مِنْ أَبِيهِ ظَهَرَ أَثَرُهَا فِي لَوْنِهِ وَفِيمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الرِّقِ فِي عَقِبِهِ وَيَنْقُلُونَ فِي ذَلِكَ حِكَايَةَ  
 مِنْ خُرَافَاتِ الْقَصَاصِ وَدَعَا نُوحٍ عَلَى ابْنِهِ حَامٍ قَدْ وَقَعَ فِي التَّوْرَةِ وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ  
 السَّوَادِ وَإِنَّمَا دَعَا عَلَيْهِ بِأَنْ يَكُونَ وَلَدُهُ عَبِيدًا لِلْوَلَدِ إِخْوَتِهِ لَا غَيْرُ وَفِي الْقَوْلِ بِنِسْبَةِ  
 السَّوَادِ إِلَى حَامٍ غَفْلَةٌ عَنْ طَبِيعَةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَثَرِهِمَا فِي الْهَوَاءِ وَفِيمَا يَتَكَوَّنُ فِيهِ

مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا اللَّوْنَ شَمَلَ أَهْلَ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ مِزَاجِ هَوَائِهِمْ  
 لِحَرَارَةِ الْمُتَضَاعِفَةِ بِالْجَنُوبِ فَإِنَّ الشَّمْسَ تُسَامِتُ رُؤُوسَهُمْ مَرَّتَيْنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ قَرِيبَةً  
 أَحَدَاهُمَا مِنَ الْآخَرَى فَيَطُولُ الْمُسَامَتَةُ عَامَةً الْفُصُولِ فَيَكْثُرُ الضَّوْءُ لِأَجْلِهَا وَيُلْحِقُ  
 الْقَيْظُ الشَّدِيدُ عَلَيْهِمْ وَتَسْوَدُّ جُلُودُهُمْ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ وَتَظِيرُ هَذَيْنِ الْأَقْلِيمَيْنِ مِمَّا يَقَابِلُهُمَا  
 مِنَ الشَّمَالِ الْأَقْلِيمُ السَّابِعُ وَالسَّادِسُ شَمَلَ سُكَّانَهُمَا أَيْضًا الْبَيَاضُ مِنْ مِزَاجِ هَوَائِهِمْ  
 لِلْبَرْدِ الْمُفْرِطِ بِالشَّمَالِ إِذِ الشَّمْسُ لَا تَزَالُ بِأَفْقِهِمْ فِي دَائِرَةٍ مَرَّأَى الْعَيْنِ أَوْ مَا قَرُبَ  
 مِنْهَا وَلَا تَرْتَفِعُ إِلَى الْمُسَامَتَةِ وَلَا مَا قَرُبَ مِنْهَا فَيَضَعُفُ الْحَرُّ فِيهَا وَيَشَدُّ الْبَرْدُ عَامَةً  
 الْفُصُولِ فَتَبْيَضُ الْوُأْنُ أَهْلُهَا وَتَنْتَهِي إِلَى الزُّعُورَةِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ مِزَاجُ الْبَرْدِ  
 الْمُفْرِطِ مِنْ زُرْقَةِ الْعَيْنِ وَبَرَشِ الْجُلُودِ وَدُهُونَةِ الشُّعُورِ وَتَوَسَّطَتْ بَيْنَهُمَا الْأَقْلِيمُ  
 الثَّلَاثَةُ الْخَامِسُ وَالرَّابِعُ وَالثَّالِثُ فَكَانَ لَهَا فِي الْأَعْتِدَالِ الَّذِي هُوَ مِزَاجُ التَّوَسُّطِ  
 حَظٌّ وَافِرٌ وَالرَّابِعُ أَبْلَغُهَا فِي الْأَعْتِدَالِ غَايَةً لِنَهَائَتِهِ فِي التَّوَسُّطِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فَكَانَ لِأَهْلِهِ  
 مِنَ الْأَعْتِدَالِ فِي خُلُقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ مَا أَقْتَضَاهُ مِزَاجُ أَهْوِيَّتِهِمْ وَتَبِعَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ الثَّلَاثُ  
 وَالْخَامِسُ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغَا غَايَةَ التَّوَسُّطِ لِمِيلِ هَذَا قَلِيلًا إِلَى الْجَنُوبِ الْحَارِّ وَهَذَا قَلِيلًا إِلَى  
 الشَّمَالِ الْبَارِدِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَنْتَهِيَا إِلَى الْأَنْحِرَافِ وَكَانَتْ الْأَقْلِيمُ الْأَرْبَعَةُ مُنْحَرِفَةً وَأَهْلُهَا  
 كَذَلِكَ فِي خُلُقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي لِلْحَرِّ وَالسَّوَادُ وَالسَّابِعُ لِلْبَرْدِ وَالْبَيَاضُ وَيُسَمَّى  
 سُكَّانُ الْجَنُوبِ مِنَ الْأَقْلِيمَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي بِأَسْمِ الْجَبَشَةِ وَالزَّرَنْجِ وَالسُّودَانِ أَسْمَاءً  
 مُتَرَادِفَةً عَلَى الْأُمِّ الْمُتَغَيِّرَةِ بِالسَّوَادِ وَإِنْ كَانَ أَسْمُ الْجَبَشَةِ مُخْتَصًا مِنْهُمْ بِمَنْ تَجَاهَ  
 مَكَّةَ وَالْيَمَنَ وَالزَّرَنْجِ بِمَنْ تَجَاهَ بَحْرَ الْهِنْدِ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لَهُمْ مِنْ أَجْلِ انْتِسَابِهِمْ  
 إِلَى آدَمَ اسْوَدَّ لَأَحَامٍ وَلَا غَيْرِهِ وَقَدْ نَجَدُ مِنَ السُّودَانِ أَهْلَ الْجَنُوبِ مَنْ يَسْكُنُ  
 الرَّبِيعَ الْمُعْتَدِلَ أَوْ السَّابِعَ الْمُنْحَرِفَ إِلَى الْبَيَاضِ فَتَبْيَضُ الْوُأْنُ أَعْقَابِهِمْ عَلَى التَّدْرِيجِ  
 مَعَ الْأَيَّامِ وَبِالْعَكْسِ فَيَمَنْ يَسْكُنُ مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ أَوْ الرَّابِعِ بِالْجَنُوبِ فَتَسْوَدُّ  
 الْوُأْنُ أَعْقَابِهِمْ وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّوْنَ تَابِعٌ لِمِزَاجِ الْهَوَاءِ قَالَ ابْنُ سِينَا فِي  
 أَزْجُوزَتِهِ فِي الطِّبِّ

بِالزَّرَنْجِ حَرٌّ غَيْرُ الْأَجْسَادِ حَتَّى كَسَا جُلُودَهَا سَوَادًا  
 وَالصِّقْلُ اكْتَسَبَتِ الْبَيَاضَ حَتَّى غَدَتْ جُلُودَهَا بَيَاضًا



وَأَمَّا أَهْلُ الشَّامِ فَلَمْ يُسَمَّوْا بِأَعْتَابِ أُلُوَانِهِمْ لِأَنَّ الْبَيَاضَ كَانَ لَوَنًا لِأَهْلِ تِلْكَ اللُّغَةِ  
 الْوَاضِعَةِ لِلْأَسْمَاءِ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ غَرَابَةٌ تُحْمَلُ عَلَى أَعْتَابِهِ فِي التَّسْمِيَةِ لِمُوَافَقَتِهِ وَأَعْتَابُهُ  
 وَوَجَدْنَا سُكَّانَهُ مِنَ التُّرْكِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالطُّغُرُغُرِ وَالْخَزَرِ وَاللَّانِ وَالْكَثِيرِ مِنْ الْأَفْرَنْجَةِ  
 وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَسْمَاءَ مُتَفَرِّقَةً وَأَجْيَالًا مُتَعَدِّدَةً مُسَمَّيْنَ بِأَسْمَاءَ مُتَوَعَّةٍ وَأَمَّا أَهْلُ  
 الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ أَهْلُ الْأَعْتِدَالِ فِي خَلْقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ وَسَيْرِهِمْ وَكَافَّةُ الْأَحْوَالِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ لِلْإِعْتِمَارِ لَدَيْهِمْ مِنَ الْمَعَاشِ وَالْمَسَاكِينِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَالرِّثَاسَاتِ  
 وَالْمُلُوكِ فَكَانَتْ فِيهِمُ النَّبُوءَاتُ وَالْمُلُوكُ وَالْأَدُولُ وَالشَّرَائِعُ وَالْعُلُومُ وَالْبُلْدَانُ وَالْأَمْصَارُ  
 وَالْمَبَانِي وَالْفِرَاسَةُ وَالصَّنَائِعُ الْفَائِقَةُ وَسَائِرُ الْأَحْوَالِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلُ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الَّتِي  
 وَقَفْنَا عَلَى أَخْبَارِهِمْ مِثْلَ الْعَرَبِ وَالرُّومِ وَفَارِسَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْيُونَانِ وَأَهْلِ السِّنْدِ  
 وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ . وَلَمَّا رَأَى النَّسَابُونَ اخْتِلَافَ هَذِهِ الْأُمَمِ بِسِمَاتِهَا وَشِعَارِهَا حَسِبُوا ذَلِكَ  
 لِأَجْلِ الْأَنْسَابِ فَجَعَلُوا أَهْلَ الْجَنُوبِ كُلَّهُمُ السُّودَانَ مِنْ وَلَدِ حَامٍ وَأَزْتَابُوا فِي أُلُوَانِهِمْ  
 فَتَكَلَّفُوا نَقْلَ تِلْكَ الْحِكَايَةِ الْوَاهِيَةِ وَجَعَلُوا أَهْلَ الشَّامِ كُلَّهُمْ أَوْ أَكْثَرَهُمْ مِنْ وَلَدِ  
 يَافِثَ وَأَكْثَرَ الْأُمَمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلَ الْوَسْطِ الْمُتَحِيلِينَ لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالْمِلَلِ  
 وَالشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْمُلُوكِ مِنْ وَلَدِ سَامٍ وَهَذَا الزَّعْمُ وَإِنْ صَادَفَ الْحَقُّ فِي أَنْتِسَابِ  
 هَؤُلَاءِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِقِيَاسٍ مُطَرَّدٍ إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ الْوَاقِعِ لَا أَنَّ تَسْمِيَةَ أَهْلِ الْجَنُوبِ  
 بِالسُّودَانَ وَالْجَنْشَانَ مِنْ أَجْلِ أَنْتِسَابِهِمْ إِلَى حَامٍ الْأَسْوَدِ . وَمَا أَدَّاهُمْ إِلَى هَذَا الْغَلَطِ  
 إِلَّا أَعْتِقَادُهُمْ أَنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْأُمَمِ إِنَّمَا يَقَعُ بِالْأَنْسَابِ فَقَطْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ التَّمْيِيزَ  
 لِلْجِيلِ أَوِ الْأُمَّةِ يَكُونُ بِالنَّسَبِ فِي بَعْضِهِمْ كَمَا لِلْعَرَبِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْفُرسِ وَيَكُونُ  
 بِالْجِهَةِ وَالسِّمَةِ كَمَا لِلزَّنَجِ وَالْحَبْشَةِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالسُّودَانَ وَيَكُونُ بِالْعَوَائِدِ وَالشِّعَارِ  
 وَالنَّسَبِ كَمَا لِلْعَرَبِ . وَيَكُونُ بغيرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ وَخَوَاصِهِمْ وَمُمَيِّزَاتِهِمْ  
 فَتَعَمِيمُ الْقَوْلِ فِي أَهْلِ جِهَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ جَنُوبٍ أَوْ شَمَالٍ بِأَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ فُلَانٍ الْمَعْرُوفِ  
 لِمَا شَمَلَهُمْ مِنْ نَحْلَةٍ أَوْ لَوْنٍ أَوْ سِمَةٍ وَجِدَتْ لِدَيْكَ الْأَبَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَغَالِيطِ الَّتِي أَوْقَعَ  
 فِيهَا الْغَفْلَةُ عَنْ طِبَائِعِ الْأَكْوَانِ وَالْجِهَاتِ وَإِنْ هَذِهِ كُلُّهَا تَبَدَّلُ فِي الْأَعْقَابِ وَلَا يَجِبُ  
 اسْتِمْرَارُهَا سُنَّةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِغَيْبِهِ  
 وَأَحْسَنُكُمْ وَهُوَ الْمَوْلَى الْمُنْعِمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ

## المقدمة الرابعة

في اثر الهواء في اخلاق البشر

قَدْ رَأَيْنَا مِنْ خَلْقِ السُّودَانِ عَلَى الْعُمُومِ الْخِفَّةَ وَالطِّيشَ وَكَثْرَةَ الطَّرَبِ فَتَجِدُهُمْ مُوَلَعِينَ بِالرَّقْصِ عَلَى كُلِّ تَوْقِيعٍ مَوْصُوفِينَ بِالْحُمُقِ فِي كُلِّ قُطْرٍ وَالسَّبَبُ الصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ طَبِيعَةَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ هِيَ انْتِشَارُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ وَتَفْسِيهِ وَطَبِيعَةُ الْحُزَنِ بِالْعَكْسِ وَهُوَ انْقِبَاضُهُ وَتَكَاثُفُهُ . وَتَقَرَّرَ أَنَّ الْحَرَارَةَ مُفْسِدَةٌ لِلْهَوَاءِ وَالتَّبَخُّارُ مُخْلِلَةٌ لَهُ زَائِدَةٌ فِي كَيْتِهِ وَلِهَذَا يَجِدُ الْمُنْتَشِي مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ وَذَلِكَ بِمَا يُدَاخِلُ بُخَارَ الرُّوحِ فِي الْقَلْبِ مِنَ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ الَّتِي تَبْعَثُهَا سُورَةُ الْخَمْرِ فِي الرُّوحِ مِنْ مِزَاجِهِ فَيَتَفَشَّى الرُّوحُ وَتُجَيِّدُ طَبِيعَةَ الْفَرَحِ وَكَذَلِكَ نَجِدُ الْمُسْتَعْمِلِينَ بِالْحَمَامَاتِ إِذَا تَنَفَّسُوا فِي هَوَائِهَا وَاتَّصَلَتْ حَرَارَةُ الْهَوَاءِ فِي أَرْوَاحِهِمْ فَتَسَخَّنَتْ لِذَلِكَ حَدَّثَ لَهُمْ فَرَحٌ وَرُبَّمَا انْبَعَثَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ بِالْغِنَاءِ النَّاشِءِ عَنِ السُّرُورِ . وَلَمَّا كَانَ السُّودَانُ سَاكِنِينَ فِي الْإِقْلِيمِ الْحَارِّ وَاسْتَوَلَى الْحَرُّ عَلَى أَمْزِجَتِهِمْ وَفِي أَصْلِ نَكْوِينِهِمْ كَانَ فِي أَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْحَرَارَةِ عَلَى نِسْبَةِ أَبْدَانِهِمْ وَإِقْلِيمِهِمْ فَتَكُونُ أَرْوَاحُهُمْ بِأَنْقِيَاسٍ إِلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ أَشَدَّ حَرًّا فَتَكُونُ أَكْثَرَ تَفْشِيًّا فَتَكُونُ أَسْرَعَ فَرَحًا وَسُرُورًا وَأَكْثَرَ انْبِسَاطًا وَتُجَيِّدُ الطِّيشَ عَلَى أَثَرِ هَذِهِ وَكَذَلِكَ يَلْحَقُ بِهِمْ قَلِيلًا أَهْلُ الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ لَمَّا كَانَ هَوَاؤُهَا مُتَضَاعِفَ الْحَرَارَةِ بِمَا يَنْعَكِسُ عَلَيْهِ مِنْ أَضْوَاءِ بَسِيطِ الْبَحْرِ وَأَشْعَتِهِ كَانَتْ حِصْنُهُمْ مِنْ تَوَابِعِ الْحَرَارَةِ فِي الْفَرَحِ وَالْخِفَّةِ مَوْجُودَةً أَكْثَرَ مِنْ بِلَادِ الثَّلُولِ وَالْجِبَالِ الْبَارِدَةِ وَقَدْ نَجِدُ يَسِيرًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْبِلَادِ الْجَزِيرِيَّةِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ لِتَوَفُّرِ الْحَرَارَةِ فِيهَا وَفِي هَوَائِهَا لِأَنَّهَا عَرِيقَةٌ فِي الْجَنُوبِ عَنِ الْأَرْيَافِ وَالثَّلُولِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ أَيْضًا بِأَهْلِ مِصْرَ فَإِنَّهَا مِثْلُ عَرْضِ الْبِلَادِ الْجَزِيرِيَّةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا كَيْفَ غَلَبَ الْفَرَحُ عَلَيْهِمْ وَالْخِفَّةُ وَالْعَفْلَةُ عَنِ الْعَوَاقِبِ حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يَدْخِرُونَ أَقْوَاتَ سَنَتِهِمْ وَلَا شَهْرِهِمْ وَعَامَّةُ مَا كَلِمَتِهِمْ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ . وَلَمَّا كَانَتْ فَاسٌ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ بِالْعَكْسِ مِنْهَا فِي التَّوَعُّلِ فِي الثَّلُولِ الْبَارِدَةِ كَيْفَ تَرَى أَهْلَهَا مُطْرَقِينَ إِطْرَاقَ الْحُزَنِ وَكَيْفَ أَفْرَطُوا فِي نَظَرِ الْعَوَاقِبِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَدْخِرُ قُوْتَ سَنَتَيْنِ مِنْ حُبُوبِ



الْحِنْطَةِ وَبَاكَرُ الْأَسْوَاقِ لِشَرَاءِ قُوْتِهِ لِيَوْمِهِ مَخَافَةً أَنْ يُرْزَأَ شَيْئًا مِنْ مُدْخَرِهِ وَاتَّبَعَ ذَلِكَ فِي الْأَقَالِيمِ وَالْبِلْدَانِ تَجَدُّدًا فِي الْأَخْلَاقِ أَثَرًا مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْهَوَاءِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ وَقَدْ تَعَرَّضَ الْمَسْعُودِيُّ لِلْبَحْثِ عَنِ السَّبَبِ فِي خِنَّةِ السُّودَانِ وَطَيْشِهِمْ وَكَثْرَةِ الطَّرَبِ فِيهِمْ وَحَاوَلَ تَعْلِيلَهُ فَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهُ نَقَلَ عَنْ جَالِينُوسَ وَيَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْبُكْنَدِيِّ أَنَّ ذَلِكَ لِضَعْفِ أَدْمِغَتِهِمْ وَمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنْ ضَعْفِ عُقُولِهِمْ وَهَذَا كَلَامٌ لَا مُحْصَلَ لَهُ وَلَا بُرْهَانَ فِيهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

### المقدمة الخامسة

في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك

من الآثار في ابدان البشر واختلافهم

إِعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَقَالِيمَ الْمُعْتَدِلَةَ لَيْسَ كُلُّهَا يُوجَدُ بِهَا الْخِصْبُ وَلَا كُلُّ سُكَّانِهَا فِي رَغْدٍ مِنَ الْعَيْشِ بَلْ فِيهَا مَا يُوجَدُ لِأَهْلِهِ خِصْبُ الْعَيْشِ مِنَ الْحُبُوبِ وَالْأَدَمِ وَالْحِنْطَةِ وَالْفَوَاكِهِ لِرِكَاءِ الْمَنَابِتِ وَاعْتِدَالِ الطِّينَةِ وَوُفُورِ الْعُمُرَانِ وَفِيهَا الْأَرْضُ الْحَرَّةُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ زَرْعًا وَلَا عَشْبًا بِالْجُمْلَةِ فَسُكَّانُهَا فِي شَطَفٍ مِنَ الْعَيْشِ مِثْلُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَجَنُوبِ الْيَمَنِ وَمِثْلُ الْمُثَّمِّينَ مِنْ صِنَاهَاةِ السَّاكِينِ بِصَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ وَأَطْرَافِ الرِّمَالِ فِيمَا بَيْنَ الْبَرْبَرِ وَالسُّودَانِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَفْقِدُونَ الْحُبُوبَ وَالْأَدَمَ جُمْلَةً وَإِنَّمَا أَغْذِيَتُهُمْ وَأَقْوَاتُهُمُ الْأَلْبَانُ وَاللَّحُومُ وَمِثْلُ الْعَرَبِ أَيْضًا الْجَائِلِينَ فِي الْقِفَارِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا يَأْخُذُونَ الْحُبُوبَ وَالْأَدَمَ مِنَ التَّلُولِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَحْيَائِينَ وَتَحْتَ رِبْقَةٍ مِنْ حَامِيَّتِهَا وَعَلَى الْإِقْلَالِ لِقَلَّةِ وَجْدِهِمْ فَلَا يَتَوَصَّلُونَ مِنْهُ إِلَى سِدْرِ الْخَلَّةِ أَوْ دُونِهَا فَضْلًا عَنْ الرِّغْدِ وَالْخِصْبِ وَتَجَدُّدِهِمْ يَقْتَصِرُونَ فِي غَالِبِ أَخْوَالِهِمْ عَلَى الْأَلْبَانِ وَتَعَوُّضُهُمْ مِنَ الْحِنْطَةِ أَحْسَنَ مَعَاذٍ وَتَجَدُّدُ مَعَ ذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْفَاقِدِينَ لِلْحُبُوبِ وَالْأَدَمِ مِنْ أَهْلِ الْقِفَارِ أَحْسَنَ حَالًا فِي جُسُومِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ مِنْ أَهْلِ التَّلُولِ الْمُتَغَمِّسِينَ فِي الْعَيْشِ فَأُلُوتَانُهُمْ أَضْفَى وَأَبْدَانُهُمْ أَتْقَى وَأَشْكَالُهُمْ أَتَمُّ وَأَحْسَنُ وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْعَدُ مِنَ الْإِنْخِرَافِ وَأَذْهَابِهِمْ أَثَقَبُ فِي الْمَعَارِفِ وَالْإِدْرَاكَاتِ هَذَا أَمْرٌ تَشْهَدُ لَهُ التَّجَرُّبَةُ فِي كُلِّ جِيلٍ مِنْهُمْ فَكَثِيرٌ مَا بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ فِيمَا وَصَفْنَاهُ وَبَيْنَ الْمُثَّمِّينَ وَأَهْلِ التَّلُولِ يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ خَبَرَهُ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ كَثْرَةَ الْأَغْذِيَةِ وَكَثْرَةَ الْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ الْعَفْنَةُ  
وَرُطُوبَاتُهَا تُؤَلِّدُ فِي الْجِسْمِ فَضَالَاتٍ رَدِيئَةً تَنْشَأُ عَنْهَا بَعْدَ إِفْطَارِهَا فِي غَيْرِ نِسْبَةٍ وَيَتَّبِعُ  
ذَلِكَ انْكَسَافُ الْأَلْوَانِ وَقُبْحُ الْأَشْكَالِ مِنْ كَثْرَةِ اللَّحْمِ كَمَا قُلْنَا هُوَ وَتُغْطِي الرُّطُوبَاتُ  
عَلَى الْأَذْهَانَ وَالْأَفْكَارَ بِمَا يَصْعَدُ إِلَى الدِّمَاغِ مِنْ أَفْجَرِهَا الرَّدِيَّةِ فَتُجْبَى إِلَى الْبَلَادَةِ  
وَالْغَفْلَةِ وَالْإِنْخِرَافِ عَنِ الْأَعْتِدَالِ بِالْجُمْلَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي حَيَوَانِ الْقَفَرِ وَمَوَاطِنِ  
الْجَدْبِ مِنَ الْغَزَالِ وَالنَّعَامِ وَالْمَهَا وَالزَّرَافَةِ وَالْحُمْرِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْبَقَرِ مَعَ أَهْلِهَا مِنْ  
حَيَوَانِ الثَّلُولِ وَالْأَزْيَافِ وَالْمَرَاعِي الْخَصْبَةِ كَيْفَ تَجِدُ بَيْنَهُمَا بَوْنًا بَعِيدًا فِي صَنَاءٍ أَدِيمَا  
وَحُسْنِ رَوْقِهَا وَأَشْكَالِهَا وَتَنَاسُبِ أَعْضَائِهَا وَحِدَّةِ مَدَارِهَا فَالْغَزَالُ أَخُو الْمَعَزِ وَالزَّرَافَةُ  
أَخُو الْبَعِيرِ وَالْحِمَارُ وَالْبَقَرُ أَخُو الْحِمَارِ وَالْبَقَرُ وَالْبَوْنُ بَيْنَهُمَا مَا رَأَيْتَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَجْلِ  
أَنَّ الْخَصْبَ فِي الثَّلُولِ فَعَلَ فِي أَبْدَانِ هَذِهِ مِنَ الْفَضَالَاتِ الرَّدِيَّةِ رَأْيًا خَارِطٍ الْفَاسِدَةِ مَا  
ظَهَرَ عَلَيْهَا أَثَرُهُ وَالْجُوعُ لِحَيَوَانِ الْقَفَرِ حَسَنٌ فِي خَلْقِهَا وَأَشْكَالِهَا مَا شَاءَ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي  
الْأَدَمِيِّينَ أَيْضًا فَإِنَّا نَجِدُ أَهْلَ الْأَقَالِيمِ الْخَصْبَةِ الْعَيْشِ الْكَثِيرَةِ الزَّرْعِ وَالضَّرْعِ  
وَالْأَدَمِ وَالْقَوَاكِمِ يُصِفُ أَهْلُهَا غَالِبًا بِالْبَلَادَةِ فِي أَذْهَانِهِمْ وَالْخَشُونَةِ فِي أَجْسَادِهِمْ وَهَذَا  
شَأْنُ الْبَرِّ الْمُنْعَمِّينَ فِي الْأَدَمِ وَالْحِنْطَةِ مَعَ الْمُتَقَشِّفِينَ فِي عَيْشِهِمْ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى  
الشَّعِيرِ أَوْ الذَّرَّةِ مِثْلَ الْمَصَامِدَةِ مِنْهُمْ وَأَهْلُ غِمَارَةِ وَالسُّوسِ فَتَجِدُ هَؤُلَاءِ أَحْسَنَ  
حَالًا فِي عُقُوبِهِمْ وَجُسُومِهِمْ وَكَذَا أَهْلُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُنْعَمِّينَ فِي الْأَدَمِ  
وَالْبَرِّ مَعَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الْمَفْقُودِ بِأَرْضِهِمْ السَّمْنُ حُمْلَةٌ وَغَالِبُ عَيْشِهِمْ الذَّرَّةُ فَتَجِدُ  
لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ ذِكَا الْعُقُولِ وَخِفَةِ الْأَجْسَامِ وَقَبُولِ التَّعْلِيمِ مَا لَا يُوجَدُ لِغَيْرِهِمْ  
وَكَذَا أَهْلُ الصَّوَاخِي مِنَ الْمَغْرِبِ بِالْجُمْلَةِ مَعَ أَهْلِ الْخَضِرِ وَالْأَمْصَارِ فَإِنَّ الْأَمْصَارَ  
وَإِنْ كَانُوا مُكْثَرِينَ مِثْلَهُمْ مِنَ الْأَدَمِ وَخَصْبِينَ فِي الْعَيْشِ إِلَّا أَنَّ أَسْنَعِمَالَهُمْ إِيَّاهَا  
بَعْدَ الْعِلَاجِ بِالطَّبِخِ وَالتَّلْطِيفِ بِمَا يَخْلُطُونَ مَعَهَا فَيَذْهَبُ لِدَلِكِ غَاظُهَا وَيَرِقُّ قَوَائِمُهَا وَعَامَّةُ  
مَا كُلُّهُمْ لَحُومُ الضَّأْنِ وَالِدَّجَاجِ وَلَا يَغْطُونَ السَّمْنَ مِنْ بَيْنِ الْأَدَمِ لِقَفَاهَتِهِ فَتَقُلُّ  
الرُّطُوبَاتُ لِدَلِكِ فِي أَغْذِيَتِهِمْ وَيَخْفُ مَا تُؤَدِّيهِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ مِنَ الْفَضَالَاتِ الرَّدِيَّةِ  
فَلِدَلِكِ تَجِدُ جُسُومَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ الطَّفِّ مِنْ جُسُومِ الْبَادِيَةِ الْمُخْشَنِينَ فِي الْعَيْشِ وَكَذَلِكَ  
تَجِدُ الْمَعُودِينَ بِالْجُوعِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لَا فَضَالَاتٍ فِي جُسُومِهِمْ غَلِيظَةً وَلَا لَطِيفَةً وَأَعْلَمُ



أَنَّ أَثَرَ هَذَا الْخِصْبِ فِي الْبَدَنِ وَأَحْوَالِهِ يَظْهَرُ حَتَّى فِي حَالِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ فَتَجِدُ  
 الْمُتَقَشِّشِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَوْ الْحَاضِرَةِ مِمَّنْ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْجُوعِ وَالتَّجَافِي عَنِ الْمَلَاذِ  
 أَحْسَنَ دِينًا وَإِقْبَالًا عَلَى الْعِبَادَةِ مِنْ أَهْلِ التَّرَفِ وَالْخِصْبِ بَلْ تَجِدُ أَهْلَ الدِّينِ قَلِيلِينَ  
 فِي الْمَدِينِ وَالْأَمْصَارِ لِمَا يَعْمَهُمَا مِنَ الْقِسَاوَةِ وَالْفَقْلَةِ الْمُتَصِلَةِ بِالْإِكْثَارِ مِنَ التَّحْمَانِ  
 وَالْأَدَمِ وَلِبَابِ الْبَرِّ وَيَخْتَصُّ وَجُودُ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ لِذَلِكَ بِالْمُتَقَشِّشِينَ فِي غَدَائِهِمْ مِنْ  
 أَهْلِ الْبُؤَادِي وَكَذَلِكَ إِنِجْدُ هَؤُلَاءِ الْمُخْصِبِينَ فِي الْعَيْشِ الْمُتَغَمِّسِينَ فِي طَيِّبَاتِهِ مِنْ أَهْلِ  
 الْبَادِيَةِ وَمِنْ أَهْلِ الْحَوَاضِرِ وَالْأَمْصَارِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ السِّنُونُ وَأَخَذَتْهُمْ الْجَمَاعَاتُ  
 يُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْهَلَاكُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَ بَرَابِرَةِ الْمَغْرِبِ وَأَهْلِ مَدِينَةِ فَاسَ وَمِصْرَ  
 فِيمَا يَبْلُغُنَا لَا مِثْلَ الْعَرَبِ أَهْلُ الْقَفْرِ وَالصَّحْرَاءِ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ بِلَادِ النَّخْلِ الَّذِينَ غَالِبُ  
 عَيْشِهِمُ التَّمْرُ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ أَفْرِيْقِيَّةَ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِينَ غَالِبُ عَيْشِهِمُ الشَّعِيرُ وَالزَّيْتُ  
 وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ غَالِبُ عَيْشِهِمُ الذُّرَّةُ وَالزَّيْتُ فَإِنْ هَؤُلَاءِ وَإِنْ أَخَذَتْهُمْ السِّنُونُ  
 وَالْجَمَاعَاتُ فَلَا تَنَالُ مِنْهُمْ مَا تَنَالُ مِنْ أَوْلَئِكَ وَلَا يَكْثُرُ فِيهِمُ الْهَلَاكُ بِالْجُوعِ بَلْ وَلَا  
 يَنْدُرُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَغَمِّسِينَ فِي الْخِصْبِ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلْأَدَمِ  
 وَالسَّمَنِ خُصُوصًا تَكْتَسِبُ مِنْ ذَلِكَ أَمْعَاؤُهُمْ رُطُوبَةً فَوْقَ رُطُوبَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ الْمِرَاجِيَّةِ  
 حَتَّى تَجَاوِزَ حَدَّهَا فَإِذَا خُوفَتْ بِهَا الْعَادَةُ بِقِلَّةِ الْأَقْوَاتِ وَفَقْدَانِ الْأَدَمِ وَاسْتِعْمَالِ  
 الْخَشَنِ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ مِنَ الْغِذَاءِ أُسْرِعَ إِلَى الْمَعَا الْيَبَسِ وَالْإِنْكَمَاشِ وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي  
 الْغَايَةِ فَيُسْرِعُ إِلَيْهِ الْمَرَضُ وَبِهِمَاكَ صَاحِبُهُ دَفْعَةً لِأَنَّهُ مِنَ الْمُقَاتِلِ فَالْمَالِكُ فِي  
 الْجَمَاعَاتِ إِنَّمَا قَتَلَهُمُ الشَّبَعُ الْمُعْتَادُ السَّابِقُ لَا الْجُوعُ الْحَادِثُ الْآخِرُ وَأَمَّا الْمُتَعَوِّدُونَ  
 لِقِلَّةِ الْأَدَمِ وَالسَّمَنِ فَلَا تَزَالُ رُطُوبَتُهُمُ الْأَصْلِيَّةُ وَاقِفَةً عِنْدَ حَدِّهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ  
 وَهِيَ قَابِلَةٌ لِجَمِيعِ الْأَغْذِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَا يَقَعُ فِي مَعَامِهِمْ تَبَدُّلُ الْأَغْذِيَةِ يَبَسٌ وَلَا انْتِحِرَافٌ  
 فَيَسْلَمُونَ فِي الْغَالِبِ مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِي يَعْرِضُ لِغَيْرِهِمْ بِالْخِصْبِ وَكَثْرَةِ الْأَدَمِ فِي  
 الْمَأْكَلِ وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ تَعَلَّمَ أَنَّ الْأَغْذِيَةَ وَائْتِلَافَهَا أَوْ تَرْكَهَا إِنَّمَا هُوَ بِالْعَادَةِ  
 فَمَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ غِذَاءً وَلَا يَمْنَعُهُ تَنَاوُلُهُ كَانَ لَهُ مَأْلُوفًا وَصَارَ الْخُرُوجُ عَنْهُ وَالتَّبَدُّلُ بِهِ دَاءً  
 مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ غَرَضِ الْغِذَاءِ بِالْجُمْلَةِ كَالسُّمُومِ وَالْيَتُوعِ<sup>(١)</sup> وَمَا أَفْرَطَ فِي الْإِنْتِحِرَافِ

١ قال في القاموس المتنوع كسور أو تنور نبات له لبن دار مسهل تحرق مقطع والمشهور منه سبعة

فَأَمَّا مَا وَجَدَ فِيهِ التَّغْدِي وَالْمَلَأَمَةَ فَيَصْبِرُ غَدَاءً مَا لَوْفًا بِالْعَادَةِ فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ  
نَفْسَهُ بِاسْتِعْمَالِ اللَّبَنِ وَالْبَقْلِ عِوَضًا عَنِ الْخِنْطَةِ حَتَّى صَارَ لَهُ دَيْدَنًا فَقَدْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ  
غَدَاءً وَاسْتَعْنَى بِهِ عَنِ الْخِنْطَةِ وَالْحَبُوبِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَكَذًا مَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ الصَّبْرَ عَلَى  
الْجُوعِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الطَّعَامِ كَمَا يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِ الرِّيَاضِيَّاتِ فَإِنَّا نَسْمَعُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ  
أَخْبَارًا غَرِيبَةً يَكَادُ يُنْكِرُهَا مَنْ لَا يَعْرِفُهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ الْعَادَةُ فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَلْفَتْ  
شَيْئًا صَارَ مِنْ جِبَلَتِهَا وَطَبِيعَتِهَا لِأَنَّهَا كَثِيرَةُ التَّلَوُّنِ فَإِذَا حَصَلَ لَهَا أَعْتِيَادُ الْجُوعِ  
بِالتَّدْرِيجِ وَالرِّيَاضَةِ فَقَدْ حَصَلَ ذَلِكَ عَادَةً طَبِيعِيَّةً لَهَا وَمَا يَتَوَهَّمُهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ أَنَّ  
الْجُوعَ مَبْلَكٌ فَلَيْسَ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَهُ إِلَّا إِذَا حُمِلَتِ النَّفْسُ عَلَيْهِ دَفْعَةً وَقُطِعَ عَنْهَا الْغِذَاءُ  
بِالْكُلِّيَّةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَنْحَسِمُ الْمَعَاءُ وَيَنَالُهُ الْمَرَضُ الَّذِي يُخْشَى مَعَهُ الْهَلَاكُ وَأَمَّا إِذَا  
كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ تَدْرِيجًا وَرِيَاضَةً بِإِقْلَالِ الْغِذَاءِ شَيْئًا فَشَيْئًا كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُتَصَوِّفَةُ  
فَهُوَ بِمَعَزَلٍ عَنِ الْهَلَاكِ وَهَذَا التَّدْرِيجُ ضَرُورِيٌّ حَتَّى فِي الرُّجُوعِ عَنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ  
فَإِنَّهُ إِذَا رَجَعَ بِهِ إِلَى الْغِذَاءِ الْأَوَّلِ دَفْعَةً خِيفَتْ عَلَيْهِ الْهَلَاكُ وَإِنَّمَا يَرْجِعُ بِهِ كَمَا  
بَدَأَ فِي الرِّيَاضَةِ بِالتَّدْرِيجِ وَلَقَدْ شَاهَدْنَا مَنْ يَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَصَالًا  
وَأَكْثَرَ. وَحَضَرَ أَشْيَاخُنَا بِمَجْلِسِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَقَدْ رُفِعَ إِلَيْهِ أَمْرَانِ مِنَ أَهْلِ  
الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ وَرَنَدَةِ حَبَسَتَا أَنْفُسَهُمَا عَنِ الْأَكْلِ جُمْلَةً مُنْذُ سِنِينَ وَشَاعَ أَمْرُهُمَا  
وَوَقَعَ اخْتِبَارُهُمَا فَصَحَّ شَأْنُهُمَا وَأَتَّصَلَ عَلَى ذَلِكَ حَالُهُمَا إِلَى أَنْ مَاتَا وَرَأَيْنَا كَثِيرًا مِنْ  
أَصْحَابِنَا أَيْضًا مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى حَلِيبِ شَاةٍ مِنَ الْمَعَزِ يَلْتَقِمُ ثَدْيَهَا فِي بَعْضِ النَّهَارِ أَوْ عِنْدَ  
الْإِفْطَارِ وَيَكُونُ ذَلِكَ غَدَاءَهُ وَاسْتَدَامَ عَلَى ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ  
وَلَا يُسْتَنْكَرُ ذَلِكَ. وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجُوعَ أَصْلَحُ لِلْبَدَنِ مِنْ إِكْثَارِ الْأَغْذِيَةِ بِكُلِّ وَجْهِ لِمَنْ  
قَدَرَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى الْإِقْلَالِ مِنْهَا وَإِنَّ لَهُ أَثَرًا فِي الْأَجْسَامِ وَالْعُقُولِ فِي صَفَائِهَا وَصَالِحِهَا  
كَمَا قُلْنَا. وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَثَرِ الْأَغْذِيَةِ الَّتِي تَحْصُلُ عَنْهَا فِي الْجُسُومِ فَقَدْ رَأَيْنَا الْمُتَغَدِّينَ  
بِالْحُومِ الْحَيَوَانَاتِ الْفَاقِرَةِ الْعَظِيمَةِ الْجُثْمَانِ تَنْشَأُ أَجْيَالُهُمْ كَذَلِكَ وَهَذَا مُشَاهِدٌ فِي أَهْلِ  
الْبَادِيَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَاضِرَةِ وَكَذَا الْمُتَغَدُّونَ بِالْبَنِّ الْإِبِلِ وَلُحُومِهَا أَيْضًا مَعَ مَا يُؤَثِّرُ فِي

الشبرم واللاعبة والعرطشيا والماهوردانة والمازريون والفجلشت والعشر وكل البتوعات اذا استعملت في  
غير وجهها هلك



أَخْلَقَهُمْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْإِحْتِمَالِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى حَمْلِ الْأَثْقَالِ الْمَوْجُودِ ذَلِكَ لِلْإِبِلِ  
وَتَنَشَأُ أَمْعَاؤُهُمْ أَيْضًا عَلَى نِسْبَةِ أَمْعَاءِ الْإِبِلِ فِي الصَّحَّةِ وَالْغَاظِ فَلَا يَطْرُقُهَا الْوَهْنُ وَلَا  
يَنَالُهَا مِنْ مَدَارِ الْأَغْذِيَةِ مَا يَنَالُ غَيْرَهُمْ فَيَشْرَبُونَ الْيَتُوعَاتِ لِاسْتِطْلَاقِ بَطُونِهِمْ غَيْرَ  
مُحْجُوبَةٍ كَالْحَنْظَلِ قَبْلَ طَبْخِهِ وَالْدَّرِيَّاسِ وَالْقَرْيُونِ وَلَا يَنَالُ أَمْعَاؤُهُمْ مِنْهَا ضَرْزٌ وَهِيَ لَوْ  
تَنَاولَهَا أَهْلُ الْحَضَرِ الرَّقِيقَةُ أَمْعَاؤُهُمْ بِمَا نَشَأَتْ عَلَيْهِ مِنْ لَطِيفِ الْأَغْذِيَةِ لَكَانَ الْهَلَاكُ  
أَسْرَعَ إِلَيْهِمْ مِنْ طَرَفَةِ الْعَيْنِ لِمَا فِيهَا مِنَ السَّمِيَةِ وَمِنْ تَأْثِيرِ الْأَغْذِيَةِ فِي الْأَبْدَانِ مَا  
ذَكَرَهُ أَهْلُ الْفَلَاحَةِ وَشَاهَدَهُ أَهْلُ التَّجَرِبَةِ أَنَّ الدَّجَاجَ إِذَا غُذِيَتْ بِالْحُبُوبِ الْمَطْبُوخَةِ  
فِي بَعْرِ الْإِبِلِ وَاتَّخَذَ يَبْضُهَا ثُمَّ حَضَنْتَ عَلَيْهِ جَاءَ الدَّجَاجُ مِنْهَا أَعْظَمَ مَا يَكُونُ وَقَدْ  
يَسْتَعْنُونَ عَنْ تَغْذِيَتِهَا وَطَبَخَ الْحُبُوبِ بِطَرَحِ ذَلِكَ الْبَعْرِ مَعَ الْبَيْضِ الْمُحْضَنِ فَيَجِيءُ  
دَجَاجُهَا فِي غَايَةِ الْعِظَمِ وَأَمثالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فَإِذَا رَأَيْنَا هَذِهِ الْأَثَارَ مِنَ الْأَغْذِيَةِ فِي  
الْأَبْدَانِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْجُوعَ أَيْضًا أَثَارًا فِي الْأَبْدَانِ لِأَنَّ الضِّدَّيْنِ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ فِي  
التَّأْثِيرِ وَعَدَمِهِ فَيَكُونُ تَأْثِيرُ الْجُوعِ فِي نَقَاءِ الْأَبْدَانِ مِنَ الزِّيَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالرُّطُوبَاتِ  
الْمُخْتَلِطَةِ الْمُخْلَّةِ بِالْجِسْمِ وَالْعَقْلِ كَمَا كَانَ الْغِذَاءُ مُؤَثِّرًا فِي وُجُودِ ذَلِكَ الْجِسْمِ  
وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِعِلْمِهِ

### المقدمة السادسة

في اصناف المدركين من البشر بالنظرة او الرياضة  
ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا

إِذَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَصْطَفَى مِنَ الْبَشَرِ أَشْخَاصًا فَضَّلَهُمْ بِخِطَابِهِ وَفَطَّرَهُمْ عَلَى مَعْرِفَتِهِ  
وَجَعَلَهُمْ وَسَائِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادِهِ يُعَرِّفُونَهُمْ بِمَصَالِحِهِمْ وَيُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى هِدَايَتِهِمْ  
وَيَأْخُذُونَ بِعُجْزَانِهِمْ عَنِ النَّارِ وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ وَكَانَ فِيمَا يُقِيهِ إِلَيْهِمْ مِنَ  
الْمَعَارِفِ وَيُظْهِرُهُ عَلَى أَسْنَنِهِمْ مِنَ الْخَوَارِقِ وَالْأَخْبَارِ الْكَائِنَاتِ الْمَغِيبَةِ عَنِ الْبَشَرِ  
الَّتِي لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهَا إِلَّا مِنَ اللَّهِ بِوَسَائِلِهِمْ وَلَا يَعْلَمُونَهَا إِلَّا بِتَعْلِيمِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ خَبَرَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ  
خَاصِيَّتِهِ وَضَرُورَتِهِ الصِّدْقُ لِمَا يَتَبَيَّنُ لَكَ عِنْدَ بَيَانِ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ وَعَلَامَةُ هَذَا الصِّنْفِ

مِنَ الْبَشَرِ أَنْ تُوَجَدَ لَهُمْ فِي حَالِ الْوَحْيِ غَيْبَةٌ عَنِ الْحَاضِرِينَ مَعَهُمْ مَعَ غَطِيطٍ كَأَنَّهَا  
 غَشِيَتْهُ أَوْ اِغْمَاءٍ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ وَلَيْسَتْ مِنْهُمَا فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ اسْتِغْرَاقٌ  
 فِي لِقَاءِ الْمَلِكِ الرَّوْحَانِيِّ بِإِذْرَاقِهِمُ الْمُنَاسِبَ لَهُمُ الْخَارِجَ عَنْ مَدَارِكِ الْبَشَرِ بِالْكُلِّيَّةِ  
 ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ إِمَّا بِسَمَاعِ دَوِيِّ مِنَ الْكَلَامِ فَيَتَفَهَّمُهُ أَوْ بِتَمَثُّلٍ لَهُ  
 صُورَةً شَخْصٍ يُخَاطِبُهُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ تَنْجَلِي عَنْهُ تِلْكَ الْحَالُ وَقَدْ وَعَى مَا  
 الْفِي إِلَيْهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ الْوَحْيِ أَحْيَانًا يَا بُنَيَّ مِثْلَ صَلَاحَةِ  
 الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا  
 فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْنِي مَا يَقُولُ وَيَذْكُرُهُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مِنَ الشَّدَةِ وَالْغَطِّ مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ فِي  
 الْحَدِيثِ كَانَ مِمَّا يُعَالَجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةٌ وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
 الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا وَقَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا  
 وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْغَايَةِ فِي تَنْزِيلِ الْوَحْيِ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرْمُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْجُنُونِ وَيَقُولُونَ  
 لَهُ رَبِّي أَوْ تَابِعٌ مِنَ الْجِنِّ وَإِنَّمَا لَيْسَ عَلَيْهِمْ بِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ ظَاهِرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَمَنْ  
 يَضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمِنْ أَعْلَامِهِمْ أَيْضًا أَنَّهُ يُوجَدُ لَهُمْ قَبْلَ الْوَحْيِ خُلُقٌ الْخَيْرِ  
 وَالزَّكَاةِ وَمُجَانِبَةُ الْمَذْمُومَاتِ وَالزَّجْسِ أَجْمَعٍ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْعِصْمَةِ وَكَأَنَّهُ مَقْطُورٌ  
 عَلَى التَّنْزِهِ عَنِ الْمَذْمُومَاتِ وَالْمُنَافَرَةِ لَهَا وَكَأَنَّهُا مُنَافِيَةٌ لِجَبَلَتِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ خَمَلَ  
 الْحِجَارَةَ وَهُوَ غُلَامٌ مَعَ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ لِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ فَعَمَلَهَا فِي إِزَارِهِ فَأَنكَشَفَ فَسَقَطَ  
 مَعْشِيًا عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَتَرَ بِإِزَارِهِ وَدُعِيَ إِلَى مُجْتَمَعٍ وَلِيمَةٍ فِيهَا عُرْسٌ وَلَعِبٌ فَأَصَابَهُ  
 غَشْيٌ النَّوْمِ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ يُحْضِرْ شَيْئًا مِنْ شَأْنِهِمْ بَلْ نَزَّهَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ  
 كُلِّهِ حَتَّى إِنَّهُ بِجَبَلَتِهِ يَتَنَزَّهُ عَنِ الْمَطْعُومَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ لَا يَقْرُبُ الْبَصَلَ وَالثُّومَ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي أَنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجُونَ وَأَنْظُرُ  
 لِمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِحَالِ الْوَحْيِ أَوَّلَ مَا فَجَأَتْهُ  
 وَأَرَادَتْ اخْتِبَارَهُ فَقَالَتْ اجْعَلْنِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ ثَوْبِكَ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ ذَهَبَ عَنْهُ فَقَالَتْ  
 إِنَّهُ مَلَكٌ وَلَيْسَ بِشَيْطَانٍ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْرُبُ النِّسَاءَ وَكَذَلِكَ سَأَلَتْهُ عَنْ أَحَبِّ الثِّيَابِ  
 إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ فِيهَا فَقَالَ الْبَيَاضُ وَالْخَضِرَةُ فَقَالَتْ إِنَّهُ الْمَلَكُ يَعْنِي أَنَّ الْبَيَاضَ وَالْخَضِرَةَ  
 مِنَ الْوَانِ الْخَيْرِ وَالْمَلَأَيْكَةِ وَالسَّوَادُ مِنَ الْوَانِ الشَّرِّ وَالشَّيَاطِينِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ .



وَمِنْ عِلَامَاتِهِمْ أَيْضًا دُعَاؤُهُمْ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِفَافِ وَقَدْ  
 اسْتَدَلَّتْ خَدِيجَةُ عَلَى صِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَحْتَاجَا فِي  
 أَمْرِهِ إِلَى دَلِيلٍ خَارِجٍ عَنْ حَالِهِ وَخُلُقِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ جَاءَهُ كِتَابُ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ أَحْضَرَ مَنْ وَجَدَ بِبَلَدِهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَفِيهِمْ  
 أَبُو سَفْيَانَ لِيَسْأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِ فَكَانَ فِيمَا سَأَلَ أَنْ قَالَ يَمُورُكُمْ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ  
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالْعِفَافِ إِلَى آخِرِ مَا سَأَلَ فَأَجَابَهُ فَقَالَ إِنْ يَكُنْ مَا نَقُولُ  
 حَقًّا فَهُوَ نَبِيٌّ وَسَيَمْلِكُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَالْعِفَافُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ هِرَقْلُ <sup>(١)</sup> هُوَ الْعِصْمَةُ  
 فَانْظُرْ كَيْفَ أَخَذَ مِنَ الْعِصْمَةِ وَالِدُعَاءِ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَلَمْ  
 يَحْتَجْ إِلَى مُعْجَزَةٍ قَدَلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِلَامَاتِ النُّبُوَّةِ . وَمِنْ عِلَامَاتِهِمْ أَيْضًا أَنْ يَكُونُوا  
 ذَوِي حَسَبٍ فِي قَوْمِهِمْ وَفِي الصَّحِيحِ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَفِي رِوَايَةٍ  
 أُخْرَى فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ اسْتَدْرَكَهُ الْحَاكِمُ عَلَى الصَّحَابِيِّينَ وَفِي مَسْئَلَةِ هِرَقْلَ لِأَبِي  
 سَفْيَانَ كَمَا هُوَ فِي الصَّحِيحِ قَالَ كَيْفَ هُوَ فَيَكُمُ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ فَقَالَ  
 هِرَقْلُ وَالرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا وَمَعْنَاهُ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِصْبَةٌ وَشَوْكَةٌ تَمْنَعُهُ  
 عَنْ أَذَى الْكُفَّارِ حَتَّى يَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَيَتِمَّ مُرَادُ اللَّهِ مِنْ إِكْمَالِ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ . وَمِنْ  
 عِلَامَاتِهِمْ أَيْضًا وَقُوعُ الْخَوَارِقِ لَهُمْ شَاهِدَةٌ بِصِدْقِهِمْ وَهِيَ أَفْعَالُ يَعْجُزُ الْبَشَرُ عَنْ مِثْلِهَا  
 فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ مُعْجَزَةً وَلَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِ الْعِبَادِ وَإِنَّمَا تَقَعُ فِي غَيْرِ مَحَلِّ قُدْرَتِهِمْ  
 وَالنَّاسِ فِي كَيْفِيَّةِ وَقُوعِهَا وَدَلَالَتِهَا عَلَى تَصْدِيقِ الْأَنْبِيَاءِ خِلَافَ مَا لَمْ تَكُنْ بِنَاءً عَلَى  
 الْقَوْلِ بِالْأَفْعَالِ الْمُخْتَارِ قَائِلُونَ بِأَنَّهَا وَاقِعَةٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ لَا بِفِعْلِ النَّبِيِّ وَإِنْ كَانَتْ أَفْعَالُ  
 الْعِبَادِ عِنْدَ الْمُعْجَزَةِ صَادِرَةً عَنْهُمْ إِلَّا أَنَّ الْمُعْجَزَةَ لَا تَكُونُ مِنْ جِنْسِ أَفْعَالِهِمْ وَلَيْسَ  
 لِلنَّبِيِّ فِيهَا عِنْدَ سَائِرِ الْمُتَكَلِّمِينَ إِلَّا التَّحْدِي بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَهُوَ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهَا  
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَقُوعِهَا عَلَى صِدْقِهِ فِي مَدْعَاهُ فَإِذَا وَقَعَتْ نَزَلَتْ مَنَزَلَةُ الْقَوْلِ  
 الصَّرِيحِ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّهُ صَادِقٌ وَتَكُونُ دَلَالَتُهَا حِينَئِذٍ عَلَى الصِّدْقِ قَطْعِيَّةً فَالْمُعْجَزَةُ الدَّلَالَةُ  
 بِمَجْمُوعِ الْخَوَارِقِ وَالتَّحْدِي وَلِذَلِكَ كَانَ التَّحْدِي جُزْأً مِنْهَا وَعِبَارَةً الْمُتَكَلِّمِينَ صِفَةً  
 نَفْسِيًّا وَهُوَ وَاحِدٌ لِأَنَّهُ مَعْنَى الذَّاتِي عِنْدَهُم وَالتَّحْدِي هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْكِرَامَةِ

(١) قوله الذي أشار إليه هِرَقْلُ الظاهر أبو سفيان

وَالسِّحْرِ إِذْ لَا حَاجَةَ فِيهِمَا إِلَى التَّصْدِيقِ فَلَا وَجُودَ لِلتَّحْدِي إِلَّا إِنْ وُجِدَ اتِّفَاقًا وَإِنْ  
وَقَعَ التَّحْدِي فِي الْكَرَامَةِ عِنْدَ مَنْ يُجِيزُهَا وَكَانَتْ لَهَا دَلَالَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى الْوِلَايَةِ وَهِيَ  
غَيْرُ النَّبُوَّةِ وَمِنْ هُنَا مَنَعَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ وَقُوعَ الْخَوَارِقِ كَرَامَةٍ فِرَارًا مِنْ  
الْإِلْتِبَاسِ بِالنَّبُوَّةِ عِنْدَ التَّحْدِي بِالْوِلَايَةِ وَقَدْ أَرَيْنَاكَ الْمَغَايِرَةَ بَيْنَهُمَا وَإِنَّهُ يَتَحْدَى  
بِغَيْرِ مَا يَتَحْدَى بِهِ النَّبِيُّ فَلَا لَبْسَ عَلَى أَنَّ النُّقْلَ عَنْ الْأُسْتَاذِ فِي ذَلِكَ لَيْسَ صَرِيحًا  
وَرُبَّمَا حَمَلَ عَلَى إِنْكَارِ لَأَن تَقَعَ خَوَارِقُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُمْ بِنَاءً عَلَى اخْتِصَاصِ كُلِّ مَنْ  
الْفَرِيقَيْنِ بِخَوَارِقِهِ . وَأَمَّا الْمُعْتَزَلَةُ فَالْمَانِعُ مِنْ وَقُوعِ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْخَوَارِقَ  
لَيْسَتْ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَأَفْعَالِهِمْ مُعْتَادَةٌ فَلَا فَرْقَ وَأَمَّا وَقُوعُهَا عَلَى يَدِ الْكَاذِبِ تَلْيِيسًا  
فَهُوَ مُحَالٌ أَمَّا عِنْدَ الْأَشْعَرِيَّةِ فَلِأَنَّ صِفَةَ نَفْسِ الْمُعْجَزَةِ التَّصْدِيقُ وَالْهُدَايَةُ فَلَوْ وَقَعَتْ  
بِخِلَافِ ذَلِكَ انْقَلَبَ الدَّلِيلُ شُبْهَةً وَالْهُدَايَةُ ضَلَالَةً وَالتَّصْدِيقُ كَذِبًا وَاسْتَحَالَتِ الْحَقَائِقُ  
وَانْقَلَبَتِ صِفَاتُ النَّفْسِ وَمَا يُلْزَمُ مِنْ فَرْضِ وَقُوعِ الْمُحَالِ لَا يَكُونُ مُمَكِّنًا وَأَمَّا عِنْدَ  
الْمُعْتَزَلَةِ فَلِأَنَّ وَقُوعَ الدَّلِيلِ شُبْهَةً وَالْهُدَايَةَ ضَلَالَةً قَبِيحٌ فَلَا يَقَعُ مِنَ اللَّهِ . وَأَمَّا الْحُكَمَاءُ  
فَالْخَارِقُ عِنْدَهُمْ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ وَلَوْ كَانَ فِي غَيْرِ مَحَلِّ الْقُدْرَةِ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي  
الْإِيجَابِ الذَّاتِيِّ وَوُقُوعِ الْحَوَادِثِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مُتَوَقِّفٌ عَلَى الْأَسْبَابِ وَالشُّرُوطِ  
الْحَادِثَةِ مُسْتَنَدَةٌ أَخِيرًا إِلَى الْوَاجِبِ الْفَاعِلِ بِالذَّاتِ لَا بِالِاخْتِيَارِ وَإِنَّ النَّفْسَ النَّبَوِيَّةَ  
عِنْدَهُمْ لَهَا خَوَاصٌّ ذَاتِيَّةٌ مِنْهَا صُدُورُ هَذِهِ الْخَوَارِقِ بِقُدْرَتِهِ وَطَاعَةِ الْعَنَاصِرِ لَهُ فِي التَّكْوِينِ  
وَالنَّبِيُّ عِنْدَهُمْ مُجْبُولٌ عَلَى التَّصْرِيفِ فِي الْأَكْوَانِ مَهْمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهَا وَاسْتَجْمَعَ لَهَا بِمَا جَعَلَ  
اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَالْخَارِقُ عِنْدَهُمْ يَقَعُ لِلنَّبِيِّ سِوَاءَ كَانَ لِلتَّحْدِي أَمْ لَمْ يَكُنْ وَهُوَ شَاهِدٌ  
بِصِدْقِهِ مِنْ حَيْثُ دَلَّاهُ عَلَى تَصْرِيفِ النَّبِيِّ فِي الْأَكْوَانِ الَّذِي هُوَ مِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ  
النَّبَوِيَّةِ لَا بِأَنَّهُ يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الْقَوْلِ الصَّرِيحِ بِالتَّصْدِيقِ فَلِذَلِكَ لَا تَكُونُ دَلَالَتُهَا عِنْدَهُمْ  
قِطْعِيَّةً كَمَا هِيَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَلَا يَكُونُ التَّحْدِي جَزْأً مِنَ الْمُعْجَزَةِ وَلَمْ يَصِحَّ  
فَارِقًا لَهَا عَنِ السِّحْرِ وَالْكَرَامَةِ وَفَارِقُهَا عِنْدَهُمْ عَنِ السِّحْرِ أَنَّ النَّبِيَّ مُجْبُولٌ عَلَى أَعْمَالِ  
الْخَيْرِ مَصْرُوفٌ عَنْ أَعْمَالِ الشَّرِّ فَلَا يُلِمُّ الشَّرُّ بِخَوَارِقِهِ وَالسَّاحِرُ عَلَى الضَّدِّ فَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا  
شَرٌّ وَفِي مَقَاصِدِ الشَّرِّ وَفَارِقُهَا عَنِ الْكَرَامَةِ أَنَّ خَوَارِقَ النَّبِيِّ مَخْصُوصَةٌ كَالصُّعُودِ إِلَى  
السَّمَاءِ وَالنُّفُوزِ فِي الْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَتَكْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ وَالطَّيْرَانِ



فِي الْهَوَاءِ وَخَوَارِقِ الْوَلِيِّ دُونَ ذَلِكَ كَتَبَ كَثِيرَ الْقَلِيلِ وَالْحَدِيثِ عَنْ بَعْضِ الْمُسْتَقْبَلِ  
وَأَمثالِهِ مِمَّا هُوَ قَاصِرٌ عَنْ تَصْرِيفِ الْأَنْبِيَاءِ وَيَأْتِي النَّبِيُّ بِجَمِيعِ خَوَارِقِهِ وَلَا يَقْدِرُ هُوَ  
عَلَى مِثْلِ خَوَارِقِ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ قَرَّرَ ذَلِكَ الْمُتَصَوِّفَةُ فِيمَا كَتَبُوهُ فِي طَرِيقَتِهِمْ وَلَقَبُوهُ عَمَّنْ  
أَخْبَرَهُمْ وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ الْعُجْزَاتِ وَأَشْرَفَهَا وَأَوْضَحَهَا دَلَالَةُ الْقُرْآنِ  
الْكَرِيمِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ الْخَوَارِقَ فِي الْغَالِبِ لَقَعُ  
مُغَايِرَةِ الْوَحْيِ الَّذِي يَتَلَقَّاهُ النَّبِيُّ وَيَأْتِي بِالْعُجْزَةِ شَاهِدَةً بِصِدْقِهِ وَالْقُرْآنُ هُوَ بِنَفْسِهِ  
الْوَحْيُ الْمُدْعَى وَهُوَ الْخَارِقُ الْعُجْزُ فَشَاهِدُهُ فِي عَيْنِهِ وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ مُغَايِرَ لَهُ  
كَسَائِرِ الْعُجْزَاتِ مَعَ الْوَحْيِ فَهُوَ أَوْضَحُ دَلَالَةٍ لِاتِّحَادِ الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ فِيهِ وَهَذَا  
مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَاتَى مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ  
أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَهُ وَحْيًا أُوحِيَ إِلَيَّ فَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ  
تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْعُجْزَةَ مَتَى كَانَتْ بِهِذِهِ الْمَثَابَةِ فِي الْوُضُوحِ وَقُوَّةِ  
الدَّلَالَةِ وَهُوَ كَوْنُهَا نَفْسَ الْوَحْيِ كَانَ الصِّدْقُ لَهَا أَكْثَرَ لَوْضُوحًا فَكَثُرَ الْمُصَدِّقُ  
الْمُؤْمِنُ وَهُوَ التَّابِعُ وَالْأَمَةُ

ولنذكر الان تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين

ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرؤيا ثم شان العرافين

وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول

اعْلَمْ. أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَا نُشَاهِدُ هَذَا الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخُلُوقَاتِ كُلِّهَا عَلَى هَيْئَةٍ  
مِنَ التَّرْتِيبِ وَالْإِحْكَامِ وَرَبْطِ الْأَسْبَابِ بِالسَّبَبَاتِ وَاتِّصَالِ الْأَكْوَانِ بِالْأَكْوَانِ  
وَأَسْتَحَالَةِ بَعْضِ الْمَوْجُودَاتِ إِلَى بَعْضٍ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ فِي ذَلِكَ وَلَا تَنْتَهِي غَايَاتُهُ وَأَبْدَأُ  
مِنْ ذَلِكَ بِالْعَالَمِ الْحَسُّوسِ الْجُمْلَانِيِّ وَأَوَّلًا عَالَمِ الْعَنَاصِرِ الْمُشَاهِدَةِ كَيْفَ تَدْرُجُ صَاعِدًا  
مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْمَاءِ ثُمَّ إِلَى الْهَوَاءِ ثُمَّ إِلَى النَّارِ مُتَّصِلًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
مُسْتَعِدٌّ إِلَى أَنْ يَسْتَحِيلَ إِلَى مَا يَلِيهِ صَاعِدًا وَهَابِطًا وَيَسْتَحِيلُ بَعْضُ الْأَوْقَاتِ وَالصَّاعِدُ  
مِنْهَا الْطَفُّ مِمَّا قَبْلَهُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى عَالَمِ الْأَفْلَاقِ وَهُوَ الْطَفُّ مِنَ الْكُلِّ عَلَى  
طَبَقَاتٍ اتَّصَلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ عَلَى هَيْئَةٍ لَا يَدْرِكُ الْحِسُّ مِنْهَا إِلَّا الْحَرَكَاتِ فَقَطْ وَبِهَا

يَهْتَدِي بَعْضُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَقَادِيرِهَا وَأَوْضَاعِهَا وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ وُجُودِ الذَّوَاتِ الَّتِي لَهَا  
هَذِهِ الْأَثَارُ فِيهَا ثُمَّ أَنْظَرُ إِلَى عَالَمِ التَّكْوِينِ كَيْفَ ابْتَدَأَ مِنَ الْمَعَادِنِ ثُمَّ النَّبَاتِ ثُمَّ  
الْحَيَوَانَ عَلَى هَيْئَةٍ بَدِيعَةٍ مِنَ التَّدْرِيجِ آخِرُ أَفْقِ الْمَعَادِنِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ أَفْقِ النَّبَاتِ مِثْلُ  
الْحَشَائِشِ وَمَا لَا بَذَرَ لَهُ وَآخِرُ أَفْقِ النَّبَاتِ مِثْلُ النَّخْلِ وَالْكَرْمِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ أَفْقِ  
الْحَيَوَانَ مِثْلُ الْحُلُزُونِ وَالصَّدَفِ وَلَمْ يَوْجَدْ لَهَا إِلَّا قُوَّةَ اللَّامِسِ فَقَطْ وَمَعْنَى الْإِتِّصَالِ  
فِي هَذِهِ الْمُكُونَاتِ أَنَّ آخِرَ أَفْقٍ مِنْهَا مُسْتَعِدٌّ بِالْأَسْتِعْدَادِ الْغَرِيبِ لِأَنَّهُ يَصِيرُ أَوَّلَ  
أَفْقٍ الَّذِي بَعْدَهُ وَاتَّسَعَ عَالَمُ الْحَيَوَانَ وَتَعَدَّدَتْ أَنْوَاعُهُ وَانْتَهَى فِي تَدْرِيجِ التَّكْوِينِ  
إِلَى الْإِنْسَانِ صَاحِبِ الْفِكْرِ وَالرُّوْيَةِ تَرْتَفِعُ إِلَيْهِ مِنْ عَالَمِ الْقُدْرَةِ الَّذِي اجْتَمَعَ فِيهِ الْحِسُّ  
وَالْإِدْرَاكُ وَلَمْ يَنْتَهَ إِلَى الرُّوْيَةِ وَالْفِكْرِ بِالْفِعْلِ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ أَفْقٍ مِنَ الْإِنْسَانِ  
بَعْدَهُ وَهَذَا غَايَةُ شُهُودِنَا ثُمَّ إِنَّا نَجِدُ فِي الْعَوَالِمِ عَلَى اخْتِلَافِهَا آثَارًا مُتَّوَعَةً فِي عَالَمِ الْحِسِّ  
آثَارٌ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفْلاكِ وَالْعَنَاصِرِ وَفِي عَالَمِ التَّكْوِينِ آثَارٌ مِنْ حَرَكَةِ النُّمُوِّ وَالْإِدْرَاكِ  
تَشْهَدُ كُلُّهَا بِأَنَّ لَهَا مُؤَثَّرًا مُبَايِنًا لِلْأَجْسَامِ فَهُوَ رُوحَانِيٌّ وَيَتَّصِلُ بِالْمُكُونَاتِ لَوْجُودِ  
اتِّصَالِ هَذَا الْعَالَمِ فِي وُجُودِهَا وَلِذَلِكَ هُوَ النَّفْسُ الْمُدْرِكَةُ وَالْمَحْرُكَةُ وَلَا بُدَّ فَوْقَهَا مِنْ  
وُجُودٍ آخَرَ يُعْطِيهَا قُوَّةَ الْإِدْرَاكِ وَالْحَرَكَةِ وَيَتَّصِلُ بِهَا أَيْضًا وَيَكُونُ ذَاتُهُ إِدْرَاكًا  
صَرَفًا وَتَعْقُلًا نَحْضًا وَهُوَ عَالَمُ الْمَلَائِكَةِ فَوَجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ يَكُونَ لِلنَّفْسِ اسْتِعْدَادٌ  
لِلْإِسْلَاحِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَكِيَّةِ لِيَصِيرَ بِالْفِعْلِ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَقْتًا مِنْ  
الْأَوْقَاتِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحَظَاتِ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَكْمُلَ ذَاتُهَا الرُّوحَانِيَّةَ بِالْفِعْلِ كَمَا  
تَذْكُرُهُ بَعْدُ وَيَكُونُ لَهَا اتِّصَالٌ بِالْأَفْقِ الَّذِي بَعْدَهَا شَأْنُ الْمَوْجُودَاتِ الْمُرْتَبَةِ كَمَا  
قَدَّمَ نَاهِ فَلَهَا فِي الْإِتِّصَالِ جِهَتَا الْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِالْبَدَنِ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهَا وَتَكْتَسِبُ  
بِهِ الْمَدَارِكَ الْحِسِّيَّةَ الَّتِي تَسْتَعِدُّ بِهَا لِلْحُصُولِ عَلَى التَّعْقُلِ بِالْفِعْلِ وَمُتَّصِلَةٌ مِنْ جِهَةِ الْأَعْلَى  
مِنْهَا بِأَفْقِ الْمَلَائِكَةِ وَتَكْتَسِبُ بِهِ الْمَدَارِكَ الْعِلْمِيَّةَ وَالْغَيْبِيَّةَ فَإِنَّ عَالَمَ الْحَوَادِثِ  
مَوْجُودٌ فِي تَعَقُّلَاتِهِمْ مِنْ غَيْرِ زَمَانٍ وَهَذَا عَلَى مَا قَدَّمَ نَاهِ مِنَ التَّرْتِيبِ الْمُحْكَمِ فِي الْوُجُودِ  
بِاتِّصَالِ ذَوَاتِهِ وَقُوَّاهُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ غَائِبَةً عَنِ الْعِيَانِ  
وَأَثَارُهَا ظَاهِرَةٌ فِي الْبَدَنِ فَكَأَنَّهُ وَجَمِيعُ أَجْزَائِهِ مُجْتَمِعَةٌ وَمُتَّفِرِّقَةٌ آتٍ لِلنَّفْسِ وَلِقْوَاهَا  
أَمَّا الْفَاعَلِيَّةُ فَالْبَطْشُ بِالْيَدِ وَالْمَشْيُ بِالرِّجْلِ وَالْكَلَامُ بِاللِّسَانِ وَالْحَرَكََةُ الْكُلِّيَّةُ



بِالْبَدَنِ مُتَدَافِعًا وَأَمَّا الْمُدْرَكَةُ وَإِنْ كَانَتْ قُوَى الْأِدْرَاكِ مُرْتَبَةً وَمُرْتَقِيَةً إِلَى الْقُوَّةِ  
 الْعُلْيَا مِنْهَا وَمِنْ الْمَفْكَرَةِ الَّتِي يُعْبَرُ عَنْهَا بِالنَّاطِقِيَّةِ فَقُوَى الْحِسِّ الظَّاهِرَةِ بِآلَاتِهِ مِنْ  
 السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَائِرِهَا يَرْتَقِي إِلَى الْبَاطِنِ وَأَوَّلُهُ الْحِسُّ الْمُشْتَرِكُ وَهُوَ قُوَّةُ تَدْرِكِ  
 الْمُحْسُوسَاتِ مُبْصَرَةً وَمَسْمُوعَةً وَمَلْمُوسَةً وَغَيْرَهَا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَبِذَلِكَ فَارَقَتْ قُوَّةُ  
 الْحِسِّ الظَّاهِرِ لَأَنَّ الْمُحْسُوسَاتِ لَا تَزْدَحِمُ عَلَيْهَا فِي الْوَقْتِ الْوَاحِدِ ثُمَّ يُؤَدِّيهِ الْحِسُّ  
 الْمُشْتَرِكُ إِلَى الْخَيَالِ وَهِيَ قُوَّةُ تُمَثِيلِ الشَّيْءِ الْمُحْسُوسِ فِي النَّفْسِ كَمَا هُوَ مُجَرَّدٌ عَنْ  
 الْمَوَادِّ الْخَارِجَةِ فَقَطْ وَآلَةُ هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمَا الْبَطْنُ الْأَوَّلُ مِنَ الدِّمَاغِ  
 مُقَدِّمُهُ لِلأَوَّلَى وَمُؤَخَّرُهُ لِلثَّانِيَةِ ثُمَّ يَرْتَقِي الْخَيَالُ إِلَى الْوَاهِمَةِ وَالْحَافِظَةِ فَالْوَاهِمَةُ لِإِدْرَاكِ  
 الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِالشَّخْصِيَّاتِ كَعِدَاوَةِ زَيْدٍ وَصَدَاقَةِ عَمْرٍو وَرَحْمَةِ الْآبِ وَأَقْرَاسِ  
 الذِّئْبِ وَالْحَافِظَةُ لِإِيْدَاعِ الْمُدْرَكَاتِ كُلِّهَا مَخْبِيَّةٌ وَهِيَ لَهَا كَالْخِزَانَةُ تَحْفَظُهَا لَوْقَتِ  
 الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَآلَةُ هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمَا الْبَطْنُ الْمُؤَخَّرُ مِنَ الدِّمَاغِ أَوَّلُهُ لِلأَوَّلَى  
 وَمُؤَخَّرُهُ لِلْآخَرَى ثُمَّ تَرْتَقِي جَمِيعُهَا إِلَى قُوَّةِ الْفِكْرِ وَآلَةُ الْبَطْنِ الْاَوْسَطُ مِنَ الدِّمَاغِ وَهِيَ الْقُوَّةُ  
 الَّتِي يَقَعُ بِهَا حَرَكَةُ الرُّؤْيَا وَالتَّوَجُّهُ نَحْوَ الْعَقْلِ فَتَحْرُكُ النَّفْسُ بِهَا دَائِمًا لِمَا رُكِبَ فِيهَا  
 مِنَ النَّزْوَعِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ دَرَكِ الْقُوَّةِ وَالْاِسْتِعْدَادِ الَّذِي لِلْبَشَرِيَّةِ وَتَخْرُجُ إِلَى الْفِعْلِ  
 فِي تَعْقِلِهَا مُتَشَبِّهَةً بِالْمَلَكِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ وَتَصِيرُ فِي أَوَّلِ مَرَاتِبِ الرُّوحَانِيَّاتِ فِي  
 إِدْرَاكِهَا بَغَيْرِ آلَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ فِيهِ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا وَمُتَوَجِّهَةٌ نَحْوَ ذَلِكَ وَقَدْ تَنْسَلِخُ  
 بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ وَرُوحَانِيَّتِهَا إِلَى الْمَلَكِيَّةِ مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ اكْتِسَابٍ  
 بَلْ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْجَبَاهَةِ وَالْفِطْرَةِ الْأُولَى فِي ذَلِكَ وَالنُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ عَلَى ثَلَاثَةِ  
 اصْنَافٍ صَنَفٌ عَاجِزٌ بِالطَّبْعِ عَنِ الْوُصُولِ فَيَنْقَطِعُ بِالْحَرَكَةِ إِلَى الْجِهَةِ السُّفْلَى نَحْوَ  
 الْمَدَارِكِ الْحَسِّيَّةِ وَالْخَيَالِيَّةِ وَتَرْكِبُ الْمَعَانِي مِنَ الْحَافِظَةِ وَالْوَاهِمَةِ عَلَى قَوَائِنِ مَحْصُورَةٍ  
 وَتَرْتَبُ خَاصٌّ يَسْتَفِيدُونَ بِهِ الْعُلُومَ التَّصَوُّرِيَّةَ وَالتَّصَدِيقِيَّةَ الَّتِي لِلْفِكْرِ فِي الْبَدَنِ وَكُلُّهَا  
 خَيَالِيٌّ مُنْخَصِرٌ نِطَاقُهُ إِذْ هُوَ مِنْ جِهَةٍ مَبْدَأِهِ يَنْتَهِي إِلَى الْأَوَّلِيَّاتِ وَلَا يَتَجَاوَزُهَا وَإِنْ  
 فَسَدَ فَسَدَ مَا بَعْدَهَا وَهَذَا هُوَ فِي الْأَغْلَبِ نِطَاقُ الْأِدْرَاكِ الْبَشَرِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي  
 مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ وَفِيهِ تَرْسُخُ أَقْدَامِهِمْ وَصِنْفٌ مُتَوَجِّهٌ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ نَحْوَ الْعَقْلِ  
 الرُّوحَانِيِّ وَالْأِدْرَاكِ الَّذِي لَا يَفْتَقِرُ إِلَى آلَاتِ الْبَدَنِيَّةِ بِمَا جُعِلَ فِيهِ مِنَ الْاِسْتِعْدَادِ

لِذَلِكَ فَيَتَسَّعُ نِطَاقُ إِدْرَاكِهِ عَنِ الْأَوَّلِيَّاتِ الَّتِي هِيَ نِطَاقُ الْإِدْرَاكِ الْأَوَّلِ الْبَشَرِيِّ  
وَيَسْرَحُ فِي فِضَاءِ الْمُشَاهَدَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ وَهِيَ وَجْدَانُ كُلِّهَا نِطَاقُهَا مِنْ مَبْدَأِهَا وَلَا مِنْ  
مُنْتَهَاهَا وَهَذِهِ مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ الْأَوَّلِيَاءِ أَهْلِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ وَهِيَ  
الْحَاصِلَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ لِأَهْلِ السَّعَادَةِ فِي الْبَرْزَخِ وَصِنْفٍ مَفْطُورٍ عَلَى الْإِنْسِلَاخِ مِنَ  
الْبَشَرِيَّةِ جُمْلَةً جِسْمَانِيَّتَهَا وَرُوحَانِيَّتَهَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى لِيَصِيرَ فِي لَحْمَةٍ  
مِنَ الْأَلْحَمَاتِ مَلَكًا بِالْفِعْلِ وَيَحْصُلُ لَهُ شُهُودُ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى فِي أَفْقِهِمْ وَسَمَاعِ الْكَلَامِ  
النَّفْسَانِيِّ وَالْخِطَابِ الْإِلَهِيِّ فِي تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَهُوَ لَاءُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ  
جَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْإِنْسِلَاخَ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ فِي تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَهِيَ حَالَةُ الْوَحْيِ فِطْرَةً فَطَرَهُمُ اللَّهُ  
عَلَيْهَا وَجَبَلَهُ صُورَهُمْ فِيهَا وَنَزَّهَهُمْ عَنْ مَوَانِعِ الْبَدَنِ وَعَوَائِقِهِ مَا دَامُوا مُلَابِسِينَ لَهَا بِالْبَشَرِيَّةِ  
بِمَا رُكِبَ فِي غَرَائِزِهِمْ مِنَ الْقَصْدِ وَالْإِسْتِقَامَةِ الَّتِي يُحَادُّونَ بِهَا تِلْكَ الْوَجْهَةَ وَرُكُزَ فِي  
طَبَائِعِهِمْ رَغْبَةً فِي الْعِبَادَةِ تُكْشِفُ بِتِلْكَ الْوَجْهَةِ وَتُسَيِّغُ نُحُوحَهَا فَهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى ذَلِكَ  
الْأَفْقِ بِذَلِكَ النَّوعِ مِنَ الْإِنْسِلَاخِ مَتَى شَاءُوا بِتِلْكَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا بِأَكْتِسَابٍ  
وَلَا صِنَاعَةٍ فَلِذَا تَوَجَّهُوا وَانْسَلَخُوا عَنْ بَشَرِيَّتِهِمْ وَتَلَقَّوْا فِي ذَلِكَ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى مَا يَتَلَقَّوْنَهُ  
عَاجِبًا بِهِ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ مُنْزَلًا فِي قُوَاهَا الْحِكْمَةِ التَّبْلِيغِ لِلْعِبَادِ فَتَارَةً يَسْمَعُ أَحَدُهُمْ دَوِيًّا  
كَأَنَّهُ رَمَزٌ مِنَ الْكَلَامِ يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَعْنَى الَّذِي أُلْقِيَ إِلَيْهِ فَلَا يَنْقُضِي الدَّوِيَّ إِلَّا وَقَدْ  
وَعَاهُ وَفَرَمَهُ وَتَارَةً يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ الَّذِي يُلْقَى إِلَيْهِ رَجُلًا فَيُكَلِّمُهُ وَيَعِي مَا يَقُولُهُ  
وَالْتَلَقِي مِنَ الْمَلَكِ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ وَفَهْمُهُ مَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ كُلُّهُ كَأَنَّهُ فِي  
لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ أَقْرَبَ مِنْ لَحْمِ الْبَصَرِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي زَمَانٍ بَلْ كُلُّهَا نَقَعَ جَمِيعًا فَيُظْهِرُ  
كَأَنَّهَا سَرِيعَةٌ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ وَحْيًا لِأَنَّ الْوَحْيَ فِي اللُّغَةِ الْإِسْرَاعُ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَوَّلَى وَهِيَ  
حَالَةُ الدَّوِيِّ هِيَ رُتَبَةُ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَا حَقَّقُوهُ وَالثَّانِيَّةُ وَهِيَ حَالَةُ تُمَثُّلِ  
الْمَلَكِ رَجُلًا يُخَاطَبُ هِيَ رُتَبَةُ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَكْمَلَ مِنَ الْأَوَّلَى وَهَذَا  
مَعْنَى الْحَدِيثِ الَّذِي فَسَّرَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ لَمَّا سَأَلَهُ الْحَارِثُ بْنُ  
هِشَامٍ وَقَالَ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَاسَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ  
عَلَيَّ فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ  
وَإِنَّمَا كَانَتْ الْأَوَّلَى أَشَدَّ لِأَنَّهَا مَبْدَأُ الْخُرُوجِ فِي ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ



فَيَعْسُرُ بَعْضَ الْعُسْرِ وَلِذَلِكَ لَمَّا عَاجَ فِيهَا عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ اخْتَصَّتْ بِالسَّمْعِ وَصَعِبَ  
 مَا سِوَاهُ وَعِنْدَ مَا يَتَكَرَّرُ الْوَحْيُ وَيَكْثُرُ التَّلَقِّي يَسْهُلُ ذَلِكَ الْإِتِّصَالُ فَعِنْدَ مَا يُعْرَجُ  
 إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِهَا وَخُصُوصًا الْأَوْضَحِ مِنْهَا وَهُوَ إِدْرَاكُ الْبَصَرِ وَفِي  
 الْعِبَارَةِ عَنِ الْوَحْيِ فِي الْأَوَّلَى بِصِغَةِ الْمَاضِي وَفِي الثَّانِيَةِ بِصِغَةِ الْمُضَارِعِ لَطِيفَةٌ مِنْ  
 الْبَلَاغَةِ وَهِيَ أَنَّ الْكَلَامَ جَاءَ مَجِيءَ التَّمَثِيلِ لِمَا تَلَّى الْوَحْيَ فَمَثَلَ الْحَالَةَ الْأَوَّلَى  
 بِالْأَوَّلَى الَّذِي هُوَ فِي الْمُتَعَارِفِ غَيْرُ كَلَامٍ وَأَخْبَرَ أَنَّ الْفَهْمَ وَالْوَحْيَ يَتَّبَعُهُ غَيْبٌ أَنْقِضَائِهِ  
 فَكَانَ عِنْدَ تَصْوِيرِ أَنْقِضَائِهِ وَأَنْفِصَالِهِ الْعِبَارَةُ عَنِ الْوَحْيِ بِالْمَاضِي الْمُنَاطِقِ لِلْإِنْقِضَاءِ  
 وَالْإِتْقَاعِ وَمَثَلَ الْمَلِكِ فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ بِرَجُلٍ يُخَاطَبُ وَيَتَكَلَّمُ وَالْكَلَامُ يُسَاقِفُهُ  
 الْوَحْيُ فَكَانَ الْعِبَارَةُ بِالْمُضَارِعِ الْمُقْتَضِي لِلتَّجَدُّدِ . وَاعْلَمْ أَنَّ فِي حَالَةِ الْوَحْيِ كُلِّهَا  
 صُعُوبَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ وَشِدَّةٌ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ قَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا  
 وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ مِمَّا يُعَانِي مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةٌ وَقَالَتْ كَانَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
 الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصَمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينُهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا . وَلِذَلِكَ كَانَ يَحْدُثُ عَنْهُ فِي تِلْكَ  
 الْحَالَةِ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالْغَطِيطِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَحْيَ كَمَا قَرَرْنَا مُفَارَقَةً  
 الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَدَارِكِ الْمَلَائِكِيَّةِ وَتَلْقَى كَلَامَ النَّفْسِ فَيَحْدُثُ عَنْهُ شِدَّةٌ مِنْ مُفَارَقَةِ  
 الْذَاتِ ذَاتِهَا وَأَنْسِلَاحِهَا عَنْهَا مِنْ أَفْقِهَا إِلَى ذَلِكَ الْأَفْقِ الْآخِرِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْغَطِيطِ الَّذِي  
 عَبَّرَ بِهِ فِي مَبْدَأِ الْوَحْيِ فِي قَوْلِهِ فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ أَقْرَأْ فَقُلْتُ  
 مَا أَنَا بِقَارِئٍ وَكَذَا ثَانِيَةً وَثَالِثَةً كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ يُفْضَى الْإِعْتِيَادُ بِالتَّدْرِيجِ فِيهِ  
 شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى بَعْضِ السَّهْوَةِ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا قَبْلَهُ وَلِذَلِكَ كَانَ تَنْزِيلُ مُجُومِ الْقُرْآنِ  
 وَسُورِهِ وَأَيُّهُ حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ أَقْصَرَ مِنْهَا وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ وَانْظُرْ إِلَى مَا نُقِلَ فِي نُزُولِ  
 سُورَةِ بَرَاءةٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَنَّهَا نُزِلَتْ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى نَاقَتِهِ  
 بَعْدَ أَنْ كَانَ بِمَكَّةَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ بَعْضُ السُّورَةِ مِنْ قِصَارِ الْمَفْصِلِ فِي وَفْتٍ وَيُنْزَلُ الْبَاقِي  
 فِي حِينَ آخَرَ وَكَذَلِكَ كَانَ آخِرُ مَا نُزِّلَ بِالْمَدِينَةِ آيَةُ الدِّينِ وَهِيَ مَا هِيَ فِي الطُّولِ بَعْدَ  
 أَنْ كَانَتْ آيَةُ تَنْزِيلِ بِمَكَّةَ مِثْلَ آيَاتِ الرَّحْمَنِ وَالذَّارِيَاتِ وَالْمُدَّثِّرِ وَالضُّحَى  
 وَالْفَلَقِ وَأَمْثَالِهَا وَاعْتَبِرْ مِنْ ذَلِكَ عِلَامَةً تُمَيِّزُهَا بَيْنَ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ مِنَ السُّورِ  
 وَالْآيَاتِ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ إِلَى الصَّوَابِ . هَذَا مُحْصَلُ أَمْرِ النُّبُوَّةِ وَأَمَّا الْكُهَانَةُ فَهِيَ أَيْضًا

مِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي جَمِيعِ مَا مَرَّ أَنْتَ لِلنَّفْسِ  
 الْإِنْسَانِيَّةِ اسْتِعْدَادًا لِلْإِنْسِلَاحِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي فَوْقَهَا وَأَنَّهُ يُحْصَلُ مِنْ  
 ذَلِكَ لَحْمَةٌ لِلْبَشَرِ فِي صِنْفِ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا فُطِرُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَتَقَرَّرَ أَنَّهُ يُحْصَلُ لَهُمْ مِنْ  
 غَيْرِ اكْتِسَابٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَدَارِكِ وَلَا مِنَ النُّصُورَاتِ وَلَا مِنَ الْأَفْعَالِ  
 الْبَدَنِيَّةِ كَلَامًا أَوْ حَرَكَةً وَلَا بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِنَّمَا هُوَ انْسِلَاحٌ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ  
 بِالْفِطْرَةِ فِي لَحْظَةٍ أَقْرَبَ مِنْ لَحْمِ الْبَصَرِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَكَانَ ذَلِكَ الْاسْتِعْدَادُ  
 مُوجُودًا فِي الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ فَيُعْطَى التَّقْسِيمُ الْعَقْلِيَّ وَإِنْ هُنَا صِنْفًا آخَرَ مِنَ الْبَشَرِ نَاقِصًا  
 عَنْ رُتَبَةِ الصِّنْفِ الْأَوَّلِ نُقْصَانُ الضِّدِّ عَنْ ضِدِّهِ الْكَامِلِ لِأَنَّ عَدَمَ الْاسْتِعَانَةِ فِي ذَلِكَ  
 الْإِدْرَاكِ ضِدُّ الْاسْتِعَانَةِ فِيهِ وَشَتَانُ مَا بَيْنَهُمَا فَإِذَا أُعْطِيَ تَقْسِيمُ الوجودِ إِلَى هُنَا صِنْفًا  
 آخَرَ مِنَ الْبَشَرِ مَقْطُورًا عَلَى أَنْ تَتَحَرَّكَ قُوَّتُهُ الْعَقْلِيَّةُ حَرَكَتَهَا الذِّكْرِيَّةَ بِالْإِرَادَةِ  
 عِنْدَمَا يَبْعَثُهَا النَّزْوَعُ لِذَلِكَ وَهِيَ نَاقِصَةٌ عَنْهُ بِالْجِبَلَةِ عِنْدَمَا يُعَوِّقُهَا الْعَجْزُ عَنْ ذَلِكَ تَشَبُّهُ  
 بِأُمُورِ جُزْئِيَّةٍ مُحْسُوسَةٍ أَوْ مُتَخَيَّلَةٍ كَالْأَجْسَامِ الشَّنَافَةِ وَعِظَامِ الْحَيَوَانَاتِ وَسَمْعِ  
 الْكَلَامِ وَمَا سَمِعَ مِنْ طَيْرٍ أَوْ حَيَوَانٍ فَيَسْتَدِيمُ ذَلِكَ الْإِحْسَاسُ أَوْ التَّخَيُّلُ مُسْتَعِينًا بِهِ  
 فِي ذَلِكَ الْإِنْسِلَاحِ الَّذِي يَقْصِدُهُ وَيَكُونُ كَالْمَشِيعِ لَهُ وَهَذِهِ الْقُوَّةُ الَّتِي فِيهِمْ مَبْدَأُ  
 لِنَظَرِ الْإِدْرَاكِ هِيَ الْكَهَانَةُ وَلَكِنْ هَذِهِ النَّفُوسُ مَنْطُورَةٌ عَلَى النِّقْصِ وَالْقُصُورِ عَنْ  
 الْكَمَالِ كَانَ إِدْرَاكُهَا فِي الْجُزْئِيَّاتِ أَكْثَرَ مِنَ الْكُلِّيَّاتِ وَلِذَلِكَ تَكُونُ التَّخَيُّلَةُ فِيهِمْ  
 فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ لِأَنَّهَا أَلَةُ الْجُزْئِيَّاتِ فَتَنْفِذُ فِيهَا نَفُودًا تَامًا فِي نَوْمٍ أَوْ يَقْظَةٍ وَتَكُونُ عِنْدَمَا  
 حَاضِرَةٌ عَتِيدَةً تُحْضِرُهَا التَّخَيُّلَةُ وَتَكُونُ لَهَا كَالْمِرَاةِ تَنْظُرُ فِيهَا دَائِمًا وَلَا يَقْوَى الْكَاهِنُ  
 عَلَى الْكَمَالِ فِي إِدْرَاكِ الْمَعْقُولَاتِ لِأَنَّ وَحْيَهُ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَرْفَعُ أَحْوَالِ  
 هَذَا الصِّنْفِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ السَّمْعُ وَالْمُوازَنَةُ لِيَشْتَغِلَ بِهِ عَنْ الْحَوَاسِ  
 وَيَقْوَى بَعْضُ الشَّيْءِ عَلَى ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ النَّاقِصِ فَيَهْجِسُ فِي قَلْبِهِ عَنْ تِلْكَ الْحَرَكَةِ وَالَّذِي  
 يُشِيعُهَا مِنْ ذَلِكَ الْأَجْنَبِيِّ مَا يَقْذِفُهُ عَلَى لِسَانِهِ فَرُبَّمَا صَدَقَ وَوَافَقَ الْحَقَّ وَرُبَّمَا كَذَبَ  
 لِأَنَّهُ يُشَمِّمُ نَفْسَهُ بِأَمْرِ أَجْنَبِيٍّ عَنْ ذَاتِهِ الْمُدْرِكَةِ وَمُبَايِنٍ لَهَا غَيْرُ مُلَائِمٍ فَيَعْرِضُ لَهُ  
 الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا وَلَا يَكُونُ مُوْتَقًا بِهِ وَرُبَّمَا يَفْزَعُ إِلَى الْغَاثِ وَالنَّجْدِ  
 حِرْصًا عَلَى الظَّفَرِ بِالْإِدْرَاكِ بِزَعْمِهِ وَتَوْبِيحًا عَلَى السَّائِلِينَ وَأَمْتَحَابُ هَذَا السَّمْعِ هُمْ



الْمُخْصُوصُونَ بِأَسْمِ الْكُهَّانِ لِأَنَّهُمْ أَرْفَعُ سَائِرِ أَصْنَافِهِمْ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فِي مِثْلِهِ هَذَا مِنْ مَجْمَعِ الْكُهَّانِ فَجَعَلَ السَّجْعَ مُخْتَصًّا بِهِمْ بِمُقْتَضَى الْإِضَافَةِ وَقَدْ قَالَ لِابْنِ  
 صَيَّادٍ حِينَ سَأَلَهُ كَاشِفًا عَنْ حَالِهِ بِالْأَخْبَارِ كَيْفَ بَأْتِيكَ هَذَا الْأَمْرُ قَالَ يَا بُنَيَّ صَادِقًا  
 وَكَاذِبًا فَقَالَ خُلِطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ بِعَيْنِي أَنَّ النَّبُوَّةَ خَاصَّتْهَا الصِّدْقُ فَلَا يَغْتَرِبُهَا الْكُذِبُ  
 بِحَالٍ لِأَنَّهَا اتِّصَالٌ مِنْ ذَاتِ النَّبِيِّ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ مُشِيعٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِأَجْنَبِيٍّ  
 وَالْكُهَّانَةُ لِمَا أَحْتَاجَ صَاحِبُهَا بِسَبَبِ عَجْزِهِ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِالتَّصَوُّرَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ كَانَتْ  
 دَاخِلَةً فِي إِدْرَاكِهِ وَالتَّبَسُّتُ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَصَارَ مُخْتَلِطًا بِهَا وَطَرَفُهُ  
 الْكُذِبُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَامْتَنَعَ أَنْ تَكُونَ نُبُوَّةً وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنْ أَرْفَعَ مَرَاتِبَ الْكُهَّانَةِ  
 حَالَةَ السَّجْعِ لِأَنَّ مَعْنَى السَّجْعِ أَخَذْتُ مِنْ سَائِرِ الْمُغَيَّبَاتِ مِنَ الْمَرَاتِبَاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ  
 وَتَدُلُّ خِفَّةُ الْمَعْنَى عَلَى قُرْبِ ذَلِكَ مِنَ الْإِتِّصَالِ وَالْإِدْرَاكِ وَالْبُعْدُ فِيهِ عَنِ الْعَجْزِ بَعْضُ  
 الشَّيْءِ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هَذِهِ الْكُهَّانَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ مُنْذُ زَمَنِ النَّبُوَّةِ بِمَا وَقَعَ  
 مِنْ شَأْنِ رَجْمِ الشَّيَاطِينِ بِالشُّهْبِ بَيْنَ يَدَيِ الْبَشَّةِ وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِمَنْعِهِمْ مِنْ خَيْرِ  
 السَّمَاءِ كَمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ وَالْكُهَّانُ إِنَّمَا يَتَعَرَّفُونَ أَخْبَارَ السَّمَاءِ مِنَ الشَّيَاطِينِ فَبَطَلَتْ  
 الْكُهَّانَةُ مِنْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَقُومُ مِنْ ذَلِكَ دَلِيلٌ لِأَنَّ عُلُومَ الْكُهَّانِ كَمَا تَكُونُ مِنَ الشَّيَاطِينِ  
 تَكُونُ مِنْ نَفْسِهِمْ أَيْضًا كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَأَيْضًا فَالْآيَةُ إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى مَنْعِ الشَّيَاطِينِ مِنْ  
 نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِخَبَرِ الْبَعْثَةِ وَلَمْ يَمْنَعُوا مِمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَيْضًا  
 فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْإِنْقِطَاعُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبُوَّةِ فَقَطْ وَلَعَلَّهَا عَادَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا كَانَتْ  
 عَلَيْهِ وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَدَارِكَ كُلَّهَا تَحْمَدُ فِي زَمَنِ النَّبُوَّةِ كَمَا تَحْمَدُ  
 الْكَوَاكِبُ وَالشُّرُجُ عِنْدَ وُجُودِ الشَّمْسِ لِأَنَّ النَّبُوَّةَ هِيَ النُّورُ الْأَعْظَمُ الَّذِي يَخْفَى مَعَهُ  
 كُلُّ نُورٍ وَيَذْهَبُ. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الْكُهَّانِ أَنَّهَا إِنَّمَا تَوْجَدُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبُوَّةِ ثُمَّ تَنْقَطِعُ  
 وَهَكَذَا كُلُّ نُبُوَّةٍ وَقَعَتْ لِأَنَّ وُجُودَ النَّبُوَّةِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ وَضْعٍ فَلِكِي يَقْتَضِيهِ فِي تَمَامِ  
 ذَلِكَ الْوَضْعِ تَمَامُ ذَلِكَ النَّبُوَّةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا وَتَقْصُرُ ذَلِكَ الْوَضْعُ عَنِ التَّمَامِ يَقْتَضِي  
 وُجُودَ طَبِيعَةٍ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ نَافِصَةٌ وَهُوَ مَعْنَى الْكَاهِنِ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ  
 فَقَبْلَ أَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ الْوَضْعُ الْكَامِلُ يَقَعُ الْوَضْعُ النَاقِصُ وَيَقْتَضِي وُجُودَ الْكَاهِنِ إِذَا  
 وَاحِدًا أَوْ مُتَعَدِّدًا فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ الْوَضْعُ تَمَّ وُجُودُ النَّبِيِّ بِكَمَالِهِ وَانْقَضَتْ الْأَوْجَاعُ

الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على أن بعض الوضع  
 الفلكي يقتضي بعض أثر وهو غير مسلم فاعل الوضع إنما يقتضي ذلك الأثر بهيئته  
 الخاصة ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضي شيئاً لا إنه يقتضي ذلك الأثر ناقصاً كما  
 قالوا ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي ودلالة  
 معجزته لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة كما لكل إنسان من أمر اليوم  
 ومعقوبية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشد مما للنائم ولا يصددهم عن ذلك ويوقعهم  
 في التكذيب إلا قوة المطامع في أنها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لأمية  
 بن أبي الصلت فإنه كان يطعم أن يتبأ وكذا وقع لابن صياد ولم يسلمة وغيرهم فإذا  
 غلب الأيمان وانقطعت تلك الآماني آمنوا أحسن إيمان كما وقع لطائفة الأسدي  
 وسواد بن قارب وكان لهما في الفتوحات الإسلامية من الآثار الشاهدة بحسن  
 الإيمان وأما الرؤيا فحقيقتها مطالعة النفس الذاتية في ذاتها الروحانية لحة من صور  
 الواقعات فإنها عندما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما  
 هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بأن تتجرد عن المواد الجسمانية  
 والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك لحة بسبب النوم كما نذكر فتفتش بها علم ما  
 تشوف إليه من الأمور المستقبلية وتعود به إلى مداركها فإن كان ذلك الاقتباس  
 ضعيفاً وغير جلي بالمحاكاة والمثال في الخيال لتخلصه فيحتاج من أجل هذه المحاكاة  
 إلى التعبير وقد يكون الاقتباس قوياً يستغنى فيه عن المحاكاة فلا يحتاج إلى تعبير  
 لتخلصه من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللحة للنفس أنها ذات روحانية  
 بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها تعقلاً تحضاً ويكمل وجودها  
 بالفعل فتكون حينئذ ذاتاً روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية إلا أن  
 نوعها في الروحانيات دون نوع الملائكة أهل الأفق الأعلى دلي الذين لم يستكملوا  
 ذواتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن  
 ومنه خاص كالذي للأولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر الرؤيا وأما الذي  
 للأنبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية إلى الملكية المحضة التي هي أعلى  
 الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم متكرراً في حالات الوحي وهو عندما



يُعْرَجُ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَقَعُ فِيهَا مَا يَقَعُ مِنَ الْأَدْرَاكِ شَبِيهَا بِحَالِ النَّوْمِ شَبِيهَا  
بَيْنًا وَإِنْ كَانَ حَالُ النَّوْمِ أَدْوَنَ مِنْهُ بِكَثِيرٍ فَلِأَجْلِ هَذَا الشَّيْءِ عَبَّرَ الشَّارِعُ عَنِ الرُّؤْيَا  
بِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْأً مِنَ النَّبُوءَةِ وَفِي رِوَايَةٍ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعِينَ وَفِي رِوَايَةٍ  
سَبْعِينَ وَلَيْسَ الْعَدَدُ فِي حَمِيْعِهَا مَقْصُودًا بِالذَّاتِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْكَثْرَةُ فِي تَفَاوُتِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِبِ بِدَلِيلِ ذِكْرِ السَّبْعِينَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ وَهُوَ لِلتَّكْثِيرِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَمَا ذَهَبَ  
إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فِي رِوَايَةِ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ مِنْ أَنَّ الْوَحْيَ كَانَ فِي مَبْدَأِهِ بِالرُّؤْيَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ  
وَهِيَ نِصْفُ سَنَةٍ وَمُدَّةُ النَّبُوءَةِ كُلُّهَا بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ثَلَاثَ وَعِشْرُونَ سَنَةً فَنِصْفُ السَّنَةِ  
مِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ فَكَلَامٌ بَعِيدٌ مِنَ التَّحْقِيقِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ أَتَيْنَا أَنَّ هَذِهِ الْمُدَّةَ وَقَعَتْ لِبَعْضِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا  
يُعْطَى نِسْبَةً زَمَنِ الرُّؤْيَا مِنْ زَمَنِ النَّبُوءَةِ وَلَا يُعْطَى حَقِيقَتَهَا مِنْ حَقِيقَةِ النَّبُوءَةِ وَإِذَا تَبَيَّنَ  
لَكَ هَذَا مِمَّا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا عَلِمْتَ أَنَّ مَعْنَى هَذَا الْجُزْءِ نِسْبَةُ الْأَسْتِعْدَادِ الْأَوَّلِ الشَّامِلِ  
لِلْبَشَرِ إِلَى الْأَسْتِعْدَادِ الْقَرِيبِ الْخَاصِّ بِصِنْفِ الْأَنْبِيَاءِ الْفِطْرِيِّ لَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ  
إِذْ هُوَ الْأَسْتِعْدَادُ الْبَعِيدُ وَإِنْ كَانَ عَامًّا فِي الشَّرِّ وَمَعَهُ عَوَائِقُ وَمَوَانِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ  
حُصُولِهِ بِالْفِعْلِ وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الْمَوَانِعِ الْحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ فَفَطَرَ اللَّهُ الْبَشَرَ عَلَى ارْتِفَاعِ  
حِجَابِ الْحَوَاسِّ بِالنَّوْمِ الَّذِي هُوَ جَبَلِيٌّ لَهُمْ فَتَعَرَّضُ النَّفْسُ عِنْدَ ارْتِفَاعِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ  
مَا تَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ فِي عَالَمِ الْحَقِّ فَتُذْرِكُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنْهُ لَمَحَّةً يَكُونُ فِيهَا الظُّفْرُ  
بِالْمَطْلُوبِ وَلِذَلِكَ جَعَلَهَا الشَّارِعُ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ فَقَالَ لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ  
قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ  
وَمَا سَبَبُ ارْتِفَاعِ حِجَابِ الْحَوَاسِّ بِالنَّوْمِ فَعَلَى مَا أَصِفُهُ لَكَ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ  
إِنَّمَا إِدْرَاكُهَا وَأَفْعَالُهَا بِالرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَهُوَ بُخَارٌ لَطِيفٌ مَرَكُزُهُ بِالتَّجْوِيفِ  
الْأَيْسَرِ مِنَ الْقَلْبِ عَلَى مَا فِي كُتُبِ التَّشْرِيحِ لِلْجَالِينُوسِ وَغَيْرِهِ وَيَنْبَعُ مَعَ الدَّمِ فِي  
الشَّرْيَافَاتِ وَالْعُرُوقِ فَيُعْطَى الْحِسَّ وَالْحَرَكََةَ وَسَائِرَ الْأَفْعَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَرْتَفِعُ لَطِيفُهُ إِلَى  
الدِّمَاغِ فَيَعْدِلُ مِنْ بَرْدِهِ وَتَمُّ أَفْعَالِ الْقُوَى الَّتِي فِي بَطُونِهِ فَالْنَّفْسُ النَّاطِقَةُ إِنَّمَا تُذْرِكُ  
وَتَعْقِلُ بِهَذَا الرُّوحِ الْبُخَارِيِّ وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِمَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ التَّكْوِينِ فِي إِنْ  
الَّلَطِيفَ لَا يُؤَثِّرُ فِي الْكَثِيفِ وَلِمَا لَطَفَ هَذَا الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ مِنْ بَيْنِ الْمَوَادِّ الْبَدَنِيَّةِ

صَارَ مَحَلًّا لِآثَارِ الذَّاتِ الْمُبَايِنَةِ لَهُ فِي جِسْمَانِيَّتِهِ وَهِيَ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ وَصَارَتْ آثَارُهَا  
حَاصِلَةً فِي الْبَدَنِ بِوَاسِطَتِهِ وَقَدْ كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ إِدْرَاكِهَا عَلَى نَوْعَيْنِ إِدْرَاكِ بِالظَّاهِرِ وَهُوَ  
الْحَوَاسُ الْخَمْسُ وَإِدْرَاكِ بِالْبَاطِنِ وَهُوَ الْقُوَى الدِّمَاغِيَّةُ وَأَنَّ هَذَا إِلَّا إِدْرَاكَ كُلَّهُ  
صَارَفَ لَهَا عَنْ إِدْرَاكِهَا مَا فَوْقَهَا مِنْ ذَوَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ بِإِنْفِطَرَةٍ وَلَمَّا  
كَانَتْ الْحَوَاسُ الظَّاهِرَةُ جِسْمَانِيَّةً كَانَتْ مُعَرَّضَةً لِلْوَسَنِ وَالْفُشْلِ بِمَا يُدْرِكُهَا مِنَ التَّعَبِ  
وَالْكَدَالِ وَتَغْشَى الرُّوحُ بِكَثْرَةِ التَّصَرُّفِ نَفَاقَ اللَّهِ لَهَا طَلَبُ الْإِسْتِغْنَامِ لِتَجَرُّدِهَا لِإِدْرَاكِ  
عَلَى الصُّورَةِ الْكَامِلَةِ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِإِنْخِاسِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ مِنَ الْحَوَاسِ  
الظَّاهِرَةِ كُلِّهَا وَرُجُوعِهِ إِلَى الْحِسِّ الْبَاطِنِ وَيُعِينُ عَلَى ذَلِكَ مَا يَغْشَى الْبَدَنَ مِنَ الْبَرْدِ  
بِاللَّيْلِ فَتَطْلُبُ الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ أَعْمَاقَ الْبَدَنِ وَتَذْهَبُ مِنْ ظَاهِرِهِ إِلَى بَاطِنِهِ فَتَكُونُ  
مُسَبِّعَةً مَرْكَبَهَا وَهُوَ الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ إِلَى الْبَاطِنِ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّوْمُ لِلْبَشَرِ فِي الْغَالِبِ  
إِنَّمَا هُوَ بِاللَّيْلِ فَإِذَا انْخَسَ الرُّوحُ عَنِ الْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ وَرَجَعَ إِلَى الْقُوَى الْبَاطِنَةِ  
وَحَفَّتْ عَنِ النَّفْسِ شَوَاعِلُ الْحِسِّ وَمَوَانِعُهُ وَرَجَعَتْ إِلَى الصُّورَةِ الَّتِي فِي الْحَافِظَةِ تَمَثَّلُ  
مِنْهَا بِالْتَّرَكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ صُورٌ خَيَالِيَّةٌ وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ مُعَادَةً لِأَنَّهَُا مُتَزَعَةٌ مِنْ  
الْمَذَرَكَاتِ الْمُتَعَاهِدَةِ قَرِيبًا ثُمَّ يَنْزِلُهَا الْحِسُّ الْمُشْتَرِكُ الَّذِي هُوَ جَامِعُ الْحَوَاسِ  
الظَّاهِرَةِ فَيُدْرِكُهَا عَلَى أَنْحَاءِ الْحَوَاسِ الْخَمْسِ الظَّاهِرَةِ وَرُبَّمَا التَّهَنَّتِ النَّفْسُ لَفْتَةٍ إِلَى  
ذَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ مَعَ مُنَازَعَتِهَا الْقُوَى الْبَاطِنِيَّةِ تَتَذَكَّرُ بِإِدْرَاكِهَا الرُّوحَانِيَّةِ لِأَنَّهَا مَقْطُورَةٌ  
عَلَيْهِ وَتَقْتَبِسُ مِنْ صُورِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي صَارَتْ مُتَعَلِّقَةً فِي ذَاتِهَا حِينَئِذٍ ثُمَّ يَأْخُذُ الْخَيَالُ  
تِلْكَ الصُّورَ الْمَذَرَكَةَ فَيُمَثِّلُهَا بِالْحَقِيقَةِ أَوِ الْخُحَاكَاةِ فِي الْقَوَالِبِ الْمَعْمُودَةِ وَالْخُحَاكَاةِ  
مِنْ هَذِهِ هِيَ الْمُحْتَاجَةُ لِلتَّعْبِيرِ وَتَصَرُّفِهَا بِالْتَّرَكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ فِي صُورِ الْحَافِظَةِ قَبْلَ أَنْ  
تُدْرِكَ مِنْ تِلْكَ اللَّحْمَةِ مَا تُدْرِكُهُ هِيَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الرُّؤْيَا ثَلَاثُ رُؤْيَا مِنْ اللَّهِ وَرُؤْيَا مِنَ الْمَلِكِ وَرُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَهَذَا  
التَّفْصِيلُ مُطَابِقٌ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَالْجُلِّيُّ مِنَ اللَّهِ وَالْخُحَاكَاةُ الدَّاعِيَّةُ إِلَى التَّعْبِيرِ مِنَ الْمَلَكِ  
وَأَضْغَاثُ الْأَحْلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهَا كُلُّهَا بَاطِلٌ وَالشَّيْطَانُ يَنْبُوعُ الْبَاطِلِ هَذِهِ حَقِيقَةُ  
الرُّؤْيَا وَمَا يُسَبِّبُهَا وَيُسَبِّعُهَا مِنَ النَّوْمِ وَهِيَ خَوَاصُّ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَوْجُودَةٌ فِي الْبَشَرِ  
عَلَى الْعُمُومِ لَا يَخْلُوعَنَّهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ رَأَى فِي نَوْمِهِ مَا صَدَرَ



لَهُ فِي يَقْظَتِهِ مِرَارًا غَيْرَ وَاحِدَةٍ وَحَصَلَ لَهُ عَلَى الْقَطْعِ أَنَّ النَّفْسَ مُدْرِكَةٌ لِلْغَيْبِ فِي النَّوْمِ  
وَلَا بُدَّ وَإِذَا جَازَ ذَلِكَ فِي عَالَمِ النَّوْمِ فَلَا يَمْتَنِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ الذَّاتَ  
الْمُدْرِكَةَ وَاحِدَةً وَخَوَاصُّهَا عَامَةٌ فِي كُلِّ حَالٍ وَاللَّهُ أَلْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِمَنْهِ وَفَضْلِهِ

فصل \* وَوُقُوعُ مَا يَقَعُ لِلْبَشَرِ مِنْ ذَلِكَ غَالِبًا إِنَّمَا هُوَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا قُدْرَةٍ عَلَيْهِ  
وَإِنَّمَا تَكُونُ النَّفْسُ مُتَشَوِّفَةً لِذَلِكَ الشَّيْءِ فَيَقَعُ لَهَا بِتِلْكَ اللَّحْمَةِ فِي النَّوْمِ لِأَنَّهَا تَقْصِدُ  
إِلَى ذَلِكَ فَتَرَاهُ وَقَدْ وَقَعَ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الرِّيَاضِيَّاتِ ذَكَرُوا  
أَسْمَاءَ تَذَكَّرُوا عِنْدَ النَّوْمِ فَتَكُونُ عَنْهَا الرُّؤْيَا فَيَأْتِيَتَشَوِّفُ إِلَيْهِ وَيُسَدُّونَهَا الْحَالُومِيَّةَ  
وَذَكَرَ مِنْهَا مَسْأَلَةٌ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ حَالُومَةٌ سَمَاءًا حَالُومَةُ الطَّبَاعِ التَّامِّ وَهُوَ أَنَّ يُقَالَ  
عِنْدَ النَّوْمِ بَعْدَ فَرَاغِ السِّرِّ وَصِحَّةِ التَّوَجُّهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْأَعْجَمِيَّةُ وَهِيَ تَأْخُسُ بَعْدَ  
أَنْ يَسْوَدَ وَغَدَاسُ نَوْفِنَا غَدَاسٌ وَيَذَكَّرُ حَاجَتَهُ فَإِنَّهُ يَرَى الْكَشْفَ عَمَّا يَسْأَلُ عَنْهُ  
فِي النَّوْمِ \* وَحُكْمِي أَنْ رَجُلًا فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ رِيَاضَةٍ لَيْالٍ فِي مَأْكَلِهِ يَذَكَّرُهُ  
فَتَمَثَّلُ لَهُ شَخْصٌ يَقُولُ لَهُ أَنَا طَبَّاعُكَ التَّامُّ فَسَأَلَهُ وَأَخْبَرَهُ عَمَّا كَانَ يَتَشَوِّفُ إِلَيْهِ وَقَدْ  
وَقَعَ لِي أَنَا بِهِذِهِ الْأَسْمَاءِ مَرَّاءَ عَجِيبَةٍ وَأُطْلَعْتُ بِهَا عَلَى أُمُورٍ كُنْتُ أَتَشَوِّفُ عَلَيْهَا مِنْ  
أَحْوَالِي وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْقَصْدَ لِلرُّؤْيَا يُحْدِثُهَا وَإِنَّمَا هَذِهِ الْحَالُومَاتُ تُحْدِثُ  
اِسْتِعْدَادًا فِي النَّفْسِ لَوُقُوعِ الرُّؤْيَا فَإِذَا قَوِيَ اِلْتِمَاعُ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى حُصُولِ مَا  
يُسْتَعَدُّ لَهُ وَلِلشَّخْصِ أَنْ يَفْعَلَ مِنَ اِلْتِمَاعِ مَا أَحَبَّ وَلَا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى إِيقَاعِ  
الْمُسْتَعَدِّ لَهُ فَالْقُدْرَةُ عَلَى اِلْتِمَاعِ غَيْرُ الْقُدْرَةِ عَلَى الشَّيْءِ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَتَدَبَّرَهُ فِيمَا  
تَجِدُ مِنْ أَمْثَالِهِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

فصل \* ثُمَّ إِنَّا نَجِدُ فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ أَشْخَاصًا يُخْبِرُونَ بِالْكَائِنَاتِ قَبْلَ وَقُوعِهَا  
بِطَبِيعَةٍ فِيهِمْ يَتَمَيَّزُ بِهَا صِنْفُهُمْ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ وَلَا يَرْجِعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى صِنَاعَةٍ وَلَا  
يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهِ بِأَثَرٍ مِنَ النُّجُومِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا إِنَّمَا نَجِدُ مَدَارَ كَهْمُ فِي ذَلِكَ بِمُقْتَضَى  
فِطْرَتِهِمْ الَّتِي فُطِرُوا عَلَيْهَا وَذَلِكَ مِثْلُ الْعَرَّافِينَ وَالنَّاظِرِينَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ كَالْمَرَايَا  
وَالسِّبَاعِ وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالْحُبُوبِ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالنَّوَى وَهَذِهِ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي  
عَالَمِ الْإِنْسَانِ لَا يَسَعُ أَحَدًا جَعْلُهَا وَلَا انْكَارُهَا وَكَذَلِكَ اَلْمَجَانِينُ يُلْقَى عَلَى السِّنَنِ

كَلِمَاتٍ مِنَ الْغَيْبِ فَيُخْبِرُونَ بِهَا وَكَذَلِكَ النَّائِمُ وَالْمَيِّتُ لِأَوَّلِ مَوْتِهِ أَوْ نَوْمِهِ يَتَكَلَّمُ  
بِالْغَيْبِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ الرِّيَاضِيَّاتِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ لَهُمْ مَدَارِكُ فِي الْغَيْبِ عَلَى سَبِيلِ  
الْكِرَامَةِ مَعْرُوفَةٌ . وَنَحْنُ الْآنَ نَتَكَلَّمُ عَنْ هَذِهِ الْأِدْرَاكَاتِ كُلِّهَا وَنَبْتَدِئُ مِنْهَا  
بِالْكِهَانَةِ ثُمَّ نَأْتِي عَلَيْهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً إِلَى آخِرِهَا وَنُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ مُقَدِّمَةً فِي أَنَّ النَّفْسَ  
الْإِنْسَانِيَّةَ كَيْفَ تَسْتَعِدُّ لِإِدْرَاكِ الْغَيْبِ فِي جَمِيعِ الْأَصْنَافِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَذَلِكَ أَنَّهَا  
ذَاتُ رُوحَانِيَّةٍ مُوجُودَةٍ بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ بِالْبَدَنِ وَأَحْوَالِهِ وَهَذَا أَمْرٌ مُدْرِكٌ لِكُلِّ  
أَحَدٍ وَكُلُّ مَا بِالْقُوَّةِ فَلَهُ مَادَّةٌ وَصُورَةٌ . وَصُورَةُ هَذِهِ النَّفْسِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ وُجُودُهَا هُوَ عَيْنُ  
الْإِدْرَاكِ وَالْتَّعَقُّلُ فِيهِ تَوْجِدٌ أَوَّلًا بِالْقُوَّةِ مُسْتَعِدَّةٌ لِلإِدْرَاكِ وَقَبُولِ الصُّورِ الْكُلِّيَّةِ  
وَالْجُزْئِيَّةِ ثُمَّ يَتِمُّ نَشْؤُهَا وَوُجُودُهَا بِالْفِعْلِ بِمُصَاحَبَةِ الْبَدَنِ وَمَا يَعُودُهَا بِوُجُودِ مُدْرَكَاتِهَا  
الْمَحْسُوسَةِ عَلَيْهَا وَمَا تَنْزِعُ مِنْ تِلْكَ الْأِدْرَاكَاتِ مِنَ الْمَعَانِي الْكُلِّيَّةِ فَتَتَعَقَّلُ الصُّورَ  
مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى يَحْصُلَ لَهَا الْإِدْرَاكِ وَالْتَّعَقُّلُ بِالْفِعْلِ فَتَتِمُّ ذَاتُهَا وَتَبْقَى النَّفْسُ  
كَالْهَيُولَى وَالصُّورُ مُتَعَاقِبَةٌ عَلَيْهَا بِأَلَا إِدْرَاكِ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ وَلِذَلِكَ نَجِدُ الصِّيِّ فِي أَوَّلِ  
نَشْأَتِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِدْرَاكِ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا لَا بِنَوْمٍ وَلَا بِكَشْفٍ وَلَا بِغَيْرِهِمَا وَذَلِكَ  
أَنَّ صُورَتَهَا الَّتِي هِيَ عَيْنُ ذَاتِهَا وَهِيَ الْإِدْرَاكِ وَالْتَّعَقُّلُ لَمْ يَتِمَّ بَعْدُ بَلْ لَمْ يَتِمَّ لَهَا انْتِزَاعُ  
الْكُلِّيَّاتِ ثُمَّ إِذَا تَمَّتْ ذَاتُهَا بِالْفِعْلِ حَصَلَ لَهَا مَا دَامَتْ مَعَ الْبَدَنِ نَوَّاعِنٍ مِنَ الْإِدْرَاكِ  
إِدْرَاكِ بِآلَاتِ الْجِسْمِ تُؤَدِّيهِ إِلَيْهَا الْمَدَارِكُ الْبَدَنِيَّةُ وَإِدْرَاكِ بِذَاتِهَا مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ  
وَهِيَ مَحْجُوبَةٌ عَنْهُ بِالْإِنْعِمَاسِ فِي الْبَدَنِ وَالْحَوَاسِ وَبِشَوَاعِلِهَا لِأَنَّ الْحَوَاسَ أَبَدًا جَاذِبَةٌ  
لَهَا إِلَى الظَّاهِرِ بِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنَ الْإِدْرَاكِ الْجِسْمَانِيِّ وَرُبَّمَا تَنْغَمِسُ مِنَ الظَّاهِرِ  
إِلَى الْبَاطِنِ فَيَرْتَفِعُ حِجَابُ الْبَدَنِ لَحْظَةً إِمَّا بِالْخَاصِيَّةِ الَّتِي هِيَ لِلإِنْسَانِ عَلَى الْإِطْلَاقِ  
مِثْلَ النَّوْمِ أَوْ بِالْخَاصِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ لِبَعْضِ الْبَشَرِ مِثْلَ الْكِهَانَةِ وَالطَّرْقِ أَوْ بِالرِّيَاضَةِ  
مِثْلَ أَهْلِ الْكَشْفِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ فَتَلْتَفِتُ حِينَئِذٍ إِلَى الذَّوَاتِ الَّتِي فَوْقَهَا مِنَ الْمَلَا  
إِمَّا بَيْنَ أَفْقَافٍ وَأَفْقِهِمْ مِنَ الْإِتِّصَالِ فِي الْوُجُودِ كَمَا قَرَّرْنَا قَبْلُ وَتِلْكَ الذَّوَاتُ رُوحَانِيَّةٌ  
وَهِيَ إِدْرَاكِ مُحَضَّرٌ وَعَقُولٌ بِالْفِعْلِ وَفِيهَا صُورُ الْمَوْجُودَاتِ وَحَقَائِقُهَا كَمَا مَرَّ فَيَتَجَلَّى  
فِيهَا شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الصُّورِ وَنَقْتَبِسُ مِنْهَا عُلُومًا وَرُبَّمَا دُفِعَتْ تِلْكَ الصُّورُ الْمُدْرَكَةُ إِلَى  
الْخَيَالِ فَيَصْرِفُهُ فِي الْقَوَالِبِ الْمُعْتَادَةِ ثُمَّ يُرَاجِعُ الْحِسَّ بِمَا أَدْرَكَتْ إِمَّا مُجَرَّدًا أَوْ فِي



قَوْلِهِ فَيُخْبِرُ بِهِ . هَذَا هُوَ شَرْحُ اسْتِعْدَادِ النَّفْسِ لِهَذَا الْأَدْرَاكِ الْغَيْبِيِّ . وَلَنَزَجَّ إِلَى  
 مَا وَعَدْنَا بِهِ مِنْ بَيَانِ أَصْدَافِهِ . فَأَمَّا النَّاطِرُونَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّنَافَةِ مِنَ الْمَرَايَا وَطِسَاسِ  
 الْمِيَاهِ وَقُلُوبِ الْحَيَوَانِ وَأَكْبَادِهَا وَعِظَامِهَا وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالنَّوَى فَكَلَامُهُمْ مِنْ  
 قَبِيلِ الْكُهَّانِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَضْعَفُ رُتَبَةً فِيهِ فِي أَصْلِ خَلْقِهِمْ لِأَنَّ الْكَاهِنَ لَا يَحْتَاجُ فِي  
 رَفْعِ حِجَابِ الْحِسِّ إِلَى كَثِيرٍ مُعَانَةٍ وَهَوْلَاءُ يُعَانُونَهُ بِإِنْحِصَارِ الْمَدَارِكِ الْحَسِّيَّةِ كُلِّهَا فِي  
 نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْهَا وَأَشْرَفُهَا الْبَصَرُ فَيَعَكِفُ عَلَى الْمَرْتَبَةِ الْبَسِيطَةِ حَتَّى يَبْدُو لَهُ مَذْرَكُهُ  
 الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ عَنْهُ وَرُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّ مُشَاهِدَةَ هَوْلَاءُ لِمَا يَرَوْنَهُ هُوَ فِي سَطْحِ الْمِرَاةِ وَلَيْسَ  
 كَذَلِكَ بَلْ لَا يَزَالُونَ يَنْظُرُونَ فِي سَطْحِ الْمِرَاةِ إِلَى أَنْ يَغِيبَ عَنِ الْبَصَرِ وَيَبْدُو فِيهَا بَيْنَهُمْ  
 وَبَيْنَ سَطْحِ الْمِرَاةِ حِجَابٌ كَأَنَّهُ غَمَامٌ يَتَمَثَّلُ فِيهِ صُورٌ هِيَ مَدَارِكُهُمْ فَيُشِيرُونَ إِلَيْهِمْ  
 بِالْمَقْصُودِ لِمَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ تَقْيٍّ أَوْ إِثْبَاتٍ فَيُخْبِرُونَ بِذَلِكَ عَلَى نَحْوِ مَا  
 ادْرَكَهُ وَأَمَّا الْمِرَاةُ وَمَا يُدْرِكُ فِيهَا مِنَ الصُّورِ فَلَا يَذَرُ كَوْنَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَإِنَّمَا يَنْشَأُ  
 لَهُمْ بِهَا هَذَا النَّوعُ الْآخَرُ مِنَ الْأَدْرَاكِ وَهُوَ تَقْسَانِي لَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْبَصَرِ بَلْ  
 يَتَشَكَّلُ بِهِ الْمَذْرَكُ النَّفْسَانِي لِلْحِسِّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا يَعْزُضُ لِلنَّاطِرِينَ  
 فِي قُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَكْبَادِهَا وَلِلنَّاطِرِينَ فِي الْمَاءِ وَالطِّسَاسِ وَأُمَثَالُ ذَلِكَ . وَقَدْ  
 شَاهَدْنَا مِنْ هَوْلَاءُ مَنْ يُشْغِلُ الْحِسَّ بِالْأَنْجُورِ فَقَطَّعَتْهُمُ بِالْعَزَائِمِ لِلْإِسْتِعْدَادِ ثُمَّ يُخْبِرُ كَمَا  
 ادْرَكَ وَبَزَعْمُونَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الصُّورَ مُتَشَخِّصَةً فِي الْهَوَاءِ تَمَكِّي لَهُمْ أَحْوَالُ مَا يَتَوَجَّهُونَ  
 إِلَى إِدْرَاكِهِ بِالْمِثَالِ وَالْإِشَارَةِ وَغَيْبَةُ هَوْلَاءُ عَنِ الْحِسِّ أَخْفَتْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْعَالَمِ  
 أَبُو الْغَرَائِبِ . وَأَمَّا الزُّجْرُ وَهُوَ مَا يَحْدُثُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ التَّكَلُّمِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ  
 سُنُوحِ طَائِرٍ أَوْ حَيَوَانٍ وَالْفِكْرُ فِيهِ بَعْدَ مَغِيبِهِ وَهِيَ قُوَّةٌ فِي النَّفْسِ تَبْعَثُ عَلَى الْحِرْصِ  
 وَالْفِكْرِ فِيمَا زَجَرَ فِيهِ مِنْ مَرْتَبَةٍ أَوْ مَسْمُوعٍ وَتَكُونُ قُوَّتُهُ الْمُخَيَّلَةُ كَمَا قَدَّمْنَاهُ قُوَّةً  
 فَيَبْعَثُهَا فِي الْبَحْثِ مُسْتَعِينًا بِمَا رَأَى أَوْ سَمِعَهُ فَيُودِيهِ ذَلِكَ إِلَى إِدْرَاكِ مَا كَمَا تَفْعَلُهُ الْقُوَّةُ  
 الْمُخَيَّلَةُ فِي النَّوْمِ وَعِنْدَ رُكُودِ الْحَوَاسِ تَتَوَسَّطُ بَيْنَ الْحَسُّوسِ الْمَرْتَبَةِ فِي يَقْظَتِهِ وَتَجْمَعُهُ  
 مَعَ مَا عَقَلَتْهُ فَيَكُونُ عَنْهَا الرُّؤْيَا . وَأَمَّا الْجَانِينُ فَنَفُوسُهُمُ النَّاطِقَةُ ضَعِيفَةُ التَّعَلُّقِ بِالْبَدَنِ  
 لِفَسَادِ أَمْرِ جَنَّتِهِمْ غَالِبًا وَضَعْفِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ فِيهَا فَتَكُونُ نَفْسُهُ غَيْرَ مُسْتَغْرِقَةٍ فِي  
 الْحَوَاسِ وَلَا مُنْغَمِسَةٍ فِيهَا بِمَا شَغَلَهَا فِي نَفْسِهَا مِنْ أَلَمِ النِّقْصِ وَمَرَضِهِ وَرُبَّمَا زَاخَمَهَا عَلَى

التعلق به روحانية اخرى شيطانية تثبت به وتضعف هذه عن ممانعتها فيكون عنه  
التخبط فاذا اصابه ذلك التخبط اما انفساد مزاجه من فساد في ذاتها او لمزاحمة من  
النفوس الشيطانية في تعلقه غاب عن حسيه جملة فادرك لمحة من عالم نفسه وانطبع  
فيها بعض الصور وسرفها الخيال وربما نطق عن لسانه في تلك الحال من غير ارادة  
النطق وإدراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه لا يحصل لهم الاتصال  
وان فقدوا الحس الا بعد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك يجي  
الكذب في هذه المدارك واما العرافون فهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم  
ذلك الاتصال فيسلطون النكر على الامر الذي يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن  
والتخمين بناء على ما يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك  
معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة هذا تحصيل هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي  
في مروج الذهب فما صادف تحقيقا ولا اصابة ويظهر من كلام الرجل انه كان  
بعيدا عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهله وهذه الادراكات  
التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد كان العرب يفرعون الى الكهان  
في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك  
غيرهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق بن اذمار  
بن نزار وسطيح بن مازن بن غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا  
الجمجمة ومن مشهور الحكايات عنهما تاويل رؤيا ربيعة بن مضر وما اخبراه به  
ملك الحبشة لليمن وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قرينش ورؤيا  
الموبدان التي اولها سطيح لما بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فاخبره بشأن النبوة  
وتخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير  
وذكرهم في اشعارهم قال

فقلت لعراف اليمامة داوئي فانك ان داويتني لطيب

وقال الآخر

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد ان هما شفياني  
فقالا شاك الله والله ما لنا بما حملت منك الضلوع يدان



وَعَرَّافُ الْيَمَامَةِ هُوَ رِبَاحُ بْنُ عَجَلَةَ وَعَرَّافُ نَجْدِ الْأَبْلَقِ الْأَسَدِيُّ . وَمِنْ هَذِهِ الْمَدَارِكِ  
الْغَيْبِيَّةِ مَا يَصْدُرُ لِبَعْضِ النَّاسِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْبِقْظَةِ وَالتَّبَاسِهِ بِالنَّوْمِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى  
الشَّيْءِ الَّذِي يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ بِمَا يُعْطِيهِ غَيْبُ ذَلِكَ الْأَمْرِ كَمَا يُرِيدُ زِلَاقُ ذَلِكَ إِلَّا فِي  
مَبَادِي النَّوْمِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْبِقْظَةِ وَذَهَابِ الْإِخْتِبَارِ فِي الْكَلَامِ فَيَتَكَلَّمُ كَأَنَّهُ يَجْبُولُ  
عَلَى النُّطْقِ وَغَايَتُهُ أَنْ يَسْعَهُ وَيَفْهَمَهُ وَكَذَلِكَ يَصْدُرُ عَنِ الدَّقْتُوَلِينَ عِنْدَ مُفَارَقَةِ رُؤُوسِهِمْ  
وَأَوْسَاطِ أَبْدَانِهِمْ كَلَامٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَلَقَدْ بَاغَنَا عَنْ بَعْضِ الْجَبَابِرَةِ الظَّالِمِينَ أَنَّهُمْ  
قَتَلُوا مِنْ سُجُونِهِمْ أَشْخَاصًا لِيَتَعَرَّفُوا مِنْ كَلَامِهِمْ عِنْدَ الْقَتْلِ عَوَاقِبَ أُمُورِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ  
فَاعْلَمُوهُمْ بِمَا يُسْتَشَبَعُ . وَذَكَرَ مَسَامَةَ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ لَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَنَّ أَدَمًا إِذَا  
جُعِلَ فِي دَنٍّ مَمْلُوءٍ بِدِهْنٍ اسْتَمْسِمَ وَمَكَثَ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُغْذَى بِالثَّيْنِ وَالْجُوزِ  
حَتَّى يَذْهَبَ لَحْمُهُ وَلَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْعُرُوقُ وَشَوْنُ رَأْسِهِ فَيَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الدَّهْنِ  
فَإِنْ يَحِفُّ عَلَيْهِ الْهَوَاءُ يُجِيبُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ مِنْ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ  
وَالْعَامَّةِ وَهَذَا فِعْلٌ مِنْ مَنَاقِبِ أَفْعَالِ السَّحَرَةِ لَكِنْ يَفْهَمُ مِنْهُ عَجَائِبُ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ  
وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُحَاوِلُ حُصُولَ هَذَا الْمَدْرَكِ الْغَيْبِيِّ بِالرِّيَاضَةِ فَيَحَاوِلُونَ بِالْعِبَادَةِ مَوَاتًا  
صِنَاعِيًّا بِإِمَاتَةِ جَمِيعِ الْقُوَى الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ يَمْحُو أَثَارَهَا الَّتِي تَلَوَّنَتْ بِهَا النَّفْسُ ثُمَّ تَغْذِيهَا  
بِالدِّكْرِ لِتَزْدَادَ قُوَّةً فِي نَشْئِهَا وَيَحْصُلُ ذَلِكَ بِجَمْعِ الْفِكْرِ وَكَثْرَةِ الْجُوعِ وَمِنْ الْمَعْلُومِ  
عَلَى الْقَطْعِ أَنَّهُ إِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ بِالْبَدَنِ ذَهَبَ الْحِسُّ وَحُجَابُهُ وَاطَّاعَتِ النَّفْسُ عَلَى الْغَيْبَاتِ  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الرِّيَاضَةِ السَّحَرِيَّةِ يَرْتَاضُونَ بِذَلِكَ لِيَحْصُلَ لَهُمُ الْإِطْلَاقُ عَلَى الْغَيْبَاتِ  
وَالْتَّصَرُّفَاتِ فِي الْعَوَالِمِ وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ فِي الْأَقَالِيمِ الْمُنْحَرِفَةِ جَنُوبًا وَشِمَالًا خُصُوصًا بِلَادِ  
الْهِنْدِ وَيَسُونِ هُنَالِكَ الْحُكُومَةَ وَلَهُمْ كُتُبٌ فِي كَيْفِيَّةِ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ كَثِيرَةٌ وَالْأَخْبَارُ  
عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ غَرِيبَةٌ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ فَرِيَاضَتُهُمْ دِينِيَّةٌ وَعَرَبِيَّةٌ عَنْ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ  
الْمَذْمُومَةِ وَإِنَّمَا يَقْصُدُونَ جَمْعَ الْهِمَّةِ وَالْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ بِالْكَلَامَةِ لِيَحْصُلَ لَهُمْ أَذْوَاقُ  
أَهْلِ الْعِرْفَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَيَزِيدُونَ فِي رِيَاضَتِهِمْ إِلَى الْجَمْعِ وَالْجُوعِ التَّغْذِيَّةِ بِالدِّكْرِ  
فَبِهَاتِهِمْ وَجْهَتُهُمْ فِي هَذِهِ الرِّيَاضَةِ لِأَنَّهُ إِذَا نَشَأَتِ النَّفْسُ عَلَى الدِّكْرِ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى  
الْعِرْفَانِ بِاللَّهِ وَإِذَا عُرِّيَتْ عَنِ الدِّكْرِ كَانَتْ شَيْطَانِيَّةً وَحُصُولُ مَا يَحْصُلُ مِنْ مَعْرِفَةِ  
الْغَيْبِ وَالتَّصَرُّفِ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَرَضِ وَلَا يَكُونُ مَقْصُودًا مِنْ أَوَّلِ

الأمير لأنه إذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وإنما هي لقصد التصرف والإطلاع على الغيب وأخسر بها صنعة فإنها في الحقيقة شرك قال بعضهم من أثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا شيء سواه وإذا حصل في أثناء ذلك ما يحصل فبالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يفر منه إذا عرض له ولا يحفل به وإنما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسة وكشفاً وما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك بنكير في حقهم وقد ذهب إلى إنكاره الأستاذ أبو إسحق الأسفرياني وأبو محمد بن أبي زيد المالكي في آخرين فراراً من التباس المعجزة بغيرها والمعول عليه عند المتكلمين حصول التفرقة بالتحدي فهو كاف وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن فيكم محدثين وإن منهم عمر وقد وقع الصحابة من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن زعيم كان قائداً على بعض جيوش المسلمين بالعراق أيام الفتوحات وتورط مع المشركين في معتدك وهم بالإنهزام وكان يقربه جبل يتحيز إليه فرفع عمر ذلك وهو يخطب على المنبر بالمدينة فناداه يا سارية الجبل وسمعه سارية وهو بمكانه ورأى شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثله أيضاً لأبي بكر في وصيته عائشة ابنته رضي الله عنهما في شأن ما نحلها من أوسق التمر من حديثه ثم نبهها على جذاذه لتحوزه عن الورثة فقال في سياق كلامه وإنما هما أخواك وأختاك فقالت إنما هي أسماء فمن الأخرى فقال إن ذا بطن بنت خارجة أراها جارية فكانت جارية وقع في الموطأ في باب ما لا يجوز من النحل ومثل هذه الوقائع كثيرة لهم وللمن بعدهم من الصالحين وأهل الاقتداء إلا أن أهل التصوف يقولون إنه يقل في زمن النبوة إذ لا يبقى للمريد حالة بحضرة النبي حتى إنهم يقولون إن المريد إذا جاء للمدينة النبوية يسلب حالة ما دام فيها حتى يفارقها والله يرزقنا الهداية ويرشدنا إلى الحق

ومن هؤلاء المرديدن من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون أشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين وعلم ذلك من



أَحْوَالِهِمْ مِنْ يَفْهَمُ عَنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الذَّوْقِ مَعَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ وَيَقَعُ لَهُمْ مِنَ الْأَخْبَارِ  
عَنِ الْمَغِيبَاتِ عَجَائِبُ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَقَيَّدُونَ بِشَيْءٍ فَيُطْلِقُونَ كَلَامَهُمْ فِي ذَلِكَ وَيَأْتُونَ مِنْهُ  
بِالْعَجَائِبِ وَرُبَّمَا يُنْكِرُ الْفُقَهَاءُ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ سَقُوطِ  
التَّكْلِيفِ عَنْهُمْ وَالْوِلَايَةِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْعِبَادَةِ وَهُوَ غَلَطٌ فَإِنَّ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ  
يَشَاءُ وَلَا يَتَوَقَّفُ حُصُولُ الْوِلَايَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَلَا غَيْرِهَا وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ إِلَّا نَسَانِيَّةً  
ثَابِتَةً الْوُجُودِ فَاللَّهُ تَعَالَى يُخَصِّصُهَا بِمَا شَاءَ مِنْ مَوَاهِبِهِ وَهُوَ لَا يَلْزَمُ الْقَوْمَ لَمْ تَعْدَمْ نَفُوسُهُمْ  
النَّاطِقَةُ وَلَا فَسَدَتْ كَحَالِ الْعَجَائِنِ وَإِنَّمَا فَقَدَ لَهُمُ الْعَقْلُ الَّذِي يَنْبَاطُ بِهِ التَّكْلِيفُ  
وَهِيَ صِفَةٌ خَاصَّةٌ لِلنَّفْسِ وَهِيَ عُلُومٌ ضَرُورِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ يَشْتَدُّ بِهَا نَظَرُهُ وَيَعْرِفُ أَحْوَالَ  
مَعَاشِهِ وَأَسْتِقَامَةَ مَنْزِلِهِ وَكَأَنَّهُ إِذَا مِيزَ أَحْوَالَ مَعَاشِهِ وَأَسْتِقَامَةَ مَنْزِلِهِ لَمْ يَبْقَ لَهُ عُدْرٌ  
فِي قَبُولِ التَّكْلِيفِ لِإِصْلَاحِ مَعَادِهِ وَلَيْسَ مَنْ فَقَدَ هَذِهِ الصِّفَةَ بِفَاقِدٍ لِنَفْسِهِ وَلَا ذَاهِلٍ  
عَنْ حَقِيقَتِهِ فَيَكُونُ مَوْجُودَ الْحَقِيقَةِ مَعْدُومَ الْعَقْلِ التَّكْلِيفِيِّ الَّذِي هُوَ مَعْرِفَةُ الْمَعَاشِ  
وَلَا أَسْتِحَالَةٍ فِي ذَلِكَ وَلَا يَتَوَقَّفُ أَصْطِفَاءُ اللَّهِ عِبَادَتُهُ لِلْمَعْرِفَةِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّكْلِيفِ  
وَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ رُبَّمَا يَلْتَبِسُ حَالُ هَؤُلَاءِ بِالْعَجَائِنِ الَّذِينَ تَفْسَدُ نَفُوسُهُمْ  
النَّاطِقَةُ وَيَلْتَحِقُونَ بِالْبَهَائِمِ وَلَكِ فِي تَمْيِيزِهِمْ عِلَامَاتٌ مِنْهَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْبَهَائِلَ لَا تَجِدُ لَهُمْ  
وَجْهَةً أَصْلًا وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يُخَافُونَ عَلَى الْبَلَاءِ مِنْ أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ وَالْعَجَائِنُ بَعَرَضَ لَهُمْ  
الْجَنُونَ بَعْدَ مَدَّةٍ مِنَ الْأَعْمُرِ إِعْوَارُضَ بَدَنِيَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ فَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ ذَلِكَ وَفَسَدَتْ نَفُوسُهُمْ  
النَّاطِقَةُ ذَهَبُوا بِالْخُبِيَّةِ وَمِنْهَا كَثَرَةُ تَصَرُّفِهِمْ فِي النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَوَقَّفُونَ  
عَلَى إِذْنِ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ فِي حَقِّهِمْ وَالْعَجَائِنُ لَا تَصَرَّفُ لَهُمْ وَهَذَا فَصْلٌ أَنْتَهَى بِنَا  
الْكَلَامُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ لِلصَّوَابِ

وَقَدْ يَزْعَمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هُنَا مَدَارِكَ الْغَيْبِ مِنْ دُونِ غَيْبَةِ عَنِ الْحِسِّ فَمِنْهُمْ  
الْمُنْجِمُونَ الْقَائِلُونَ بِالذِّلَالَاتِ النُّجُومِيَّةِ وَمُقْتَضَى أَوْضَاعِهَا فِي الْفَلَكَ وَآثَارِهَا فِي الْعَنَاصِرِ  
وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْأَمْتِزَاجِ بَيْنَ طَبَاعِهَا بِالتَّنَاطُرِ وَيَتَأَدَّى مِنْ ذَلِكَ الْمِزَاجِ إِلَى الْهَوَاءِ  
وَهَؤُلَاءِ الْمُنْجِمُونَ لَيْسُوا مِنَ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا هِيَ ظُنُونٌ حَدْسِيَّةٌ وَتَحْمِينَاتٌ مَبْنِيَّةٌ  
عَلَى التَّأْوِيلِ النُّجُومِيَّةِ وَحُصُولِ الْمِزَاجِ مِنْهُ لِلْهَوَاءِ مَعَ مَزِيدٍ حَدْسٍ يَقِفُ بِهِ النَّظِيرُ عَلَى  
تَفْصِيلِهِ فِي الشَّخْصِيَّاتِ فِي الْعَالَمِ كَمَا قَالَهُ بَطْلِيمُوسُ وَنَحْنُ نُبَيِّنُ بَطْلَانَ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ لَوْ ثَبِتَ فَعَايَنَهُ حَدْسٌ وَتَخْمِينٌ وَلَيْسَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ فِي شَيْءٍ . وَمِنْ  
 هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ الْعَامَّةِ اسْتَنْبَطُوا لِاسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ وَتَعَرَّفُوا الْكَائِنَاتِ صِنَاعَةَ سَمَوَهَا خَطَ  
 الرَّمْلِ نِسْبَةً إِلَى الْمَادَّةِ الَّتِي يَضَعُونَ فِيهَا عَمَلَهُمْ وَمَحْصُولُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنَّهُمْ صَيَّرُوا  
 مِنَ النُّقْطِ أَشْكَالًا ذَاتَ أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِهَا فِي الزَّوْجِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ  
 وَاسْتَوَائِهَا فِيهِمَا فَكَانَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ أَرْوَاجًا كُلُّهَا أَوْ أَفْرَادًا  
 كُلُّهَا فَشَكْلَانِ وَإِنْ كَانَ الْفَرْدُ فِيهِمَا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ فَأَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ وَإِنْ  
 كَانَ الْفَرْدُ فِي مَرْتَبَتَيْنِ فَسِتَّةُ أَشْكَالٍ وَإِنْ كَانَ فِي ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ فَأَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ  
 جَاءَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا مَيَّزُوهَا كُلُّهَا بِأَسْمَائِهَا وَأَنْوَاعِهَا إِلَى سُعُودٍ وَنُحُوسٍ شَأْنِ  
 الْبُكُوكِ وَجَعَلُوا لَهَا سِتَّةَ عَشَرَ يَتَا طَبِيعِيَّةً بِزَعْمِهِمْ وَكَانَتْهَا الْبُرُوجُ الْإِثْنَا عَشَرَ الَّتِي  
 لِلْفَلَكَ وَالْأَوْتَارِ الْأَرْبَعَةُ وَجَعَلُوا لِكُلِّ شَكْلٍ مِنْهَا يَتَا وَخُطُوطًا وَدِلَالَةً عَلَى صِنْفٍ  
 مِنْ مَوْجُودَاتِ عَالَمِ الْعَنَاصِرِ يَخْتَصُّ بِهِ وَاسْتَنْبَطُوا مِنْ ذَلِكَ فَنًّا حَازِوَاهِ فَنَّ النِّجَامَةِ  
 وَتَنُوعَ فَضَائِلِهَا إِلَّا أَنَّ أَحْكَامَ النِّجَامَةِ مُسْتَنَدَةٌ إِلَى أَوْضَاعٍ طَبِيعِيَّةٍ كَمَا يَزْعُمُ تَطْلِيمُوسُ  
 وَهَذِهِ إِنَّمَا مُسْتَنَدُهَا أَوْضَاعٌ تَحْكِيمِيَّةٌ وَأَهْوَاءُ اتِّفَاقِيَّةٌ وَلَا دَلِيلَ يَقُومُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا  
 وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ مِنَ النُّبُوءَاتِ الْقَدِيمَةِ فِي الْعَالَمِ وَرُبَّمَا نَسَبُوهَا إِلَى دَانِيَالٍ أَوْ  
 إِلَى آدَمَ رِيسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا شَأْنُ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا وَرُبَّمَا يَدْعُونَ مَشْرُوعِيَّتَهَا وَيَحْتَجُّونَ  
 بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ نَبِيٌّ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَلِكَ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ  
 عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ خَطِّ الرَّمْلِ كَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ مَنْ لَا تَحْصِيلَ لَهُ لِدَلِيلِهِ لِأَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ كَانَ  
 نَبِيٌّ يَخْطُ فَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ عِنْدَ ذَلِكَ الْخَطِّ وَلَا اسْتِحْصَالَهُ فِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَادَةً لِبَعْضِ  
 الْأَنْبِيَاءِ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ ذَلِكَ النَّبِيُّ فَهُوَ ذَاكَ أَيْ فَهُوَ صَحِيحٌ مِنْ بَيْنِ الْخَطِّ بِمَا عَضَدَهُ  
 مِنَ الْوَحْيِ لِذَلِكَ النَّبِيِّ الَّذِي كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ عِنْدَ الْخَطِّ وَأَمَّا إِذَا أَخَذَ  
 ذَلِكَ مِنَ الْخَطِّ مُجَرَّدًا مِنْ غَيْرِ مَوَافَقَةٍ وَحْيٍ فَلَا وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَإِذَا  
 أَرَادُوا اسْتِخْرَاجَ مُغِيبِ بَزَعْمِهِمْ عَمَدُوا إِلَى قِرْطَاسٍ أَوْ رَمْلِ أَوْ دَقِيقٍ فَوَضَعُوا النُّقْطَ  
 سَطُورًا عَلَى عَدَدِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ ثُمَّ كَرَّرُوا ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَتَجَبَّى سِتَّةَ عَشَرَ  
 سَطْرًا ثُمَّ يَطْرَحُونَ النُّقْطَ أَرْوَاجًا وَيَضَعُونَ مَا بَقِيَ مِنْ كُلِّ سَطْرِ زَوْجًا كَانَ أَوْ فَرْدًا  
 فِي مَرْتَبَتِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ فَتَجَبَّى أَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ يَضَعُونَهَا فِي سَطْرِ مُتَالِيَةٍ ثُمَّ يُولَدُونَ مِنْهَا



أَرْبَعَةَ أَشْكَالٍ أُخْرَى مِنْ جَانِبِ الْعَرَضِ بِاعْتِبَارِ كُلِّ مَرْتَبَةٍ وَمَا قَابِلَهَا مِنَ الشَّكْلِ  
الَّذِي بِإِزَائِهِ وَمَا يَجْتَمِعُ مِنْهُمَا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ ثَمَانِيَةَ أَشْكَالٍ مَوْضُوعَةٍ فِي  
سَطْرٍ ثُمَّ يُولَدُونَ مِنْ كُلِّ شَكْلَيْنِ شَكْلًا تَحْتَهُمَا بِاعْتِبَارِ مَا يَجْتَمِعُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ  
مِنْ مَرَاتِبِ الشَّكْلَيْنِ أَيْضًا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ أَرْبَعَةَ أُخْرَى تَحْتَهَا ثُمَّ يُولَدُونَ  
مِنْ الْأَرْبَعَةِ شَكْلَيْنِ كَذَلِكَ تَحْتَهَا مِنَ الشَّكْلَيْنِ شَكْلًا كَذَلِكَ تَحْتَهُمَا ثُمَّ مِنْ هَذَا  
الشَّكْلِ الْخَامِسَ عَشَرَ مَعَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ شَكْلًا يَكُونُ آخِرَ السَّنَةِ عَشْرًا ثُمَّ يُحْكَمُونَ  
عَلَى الْخَطِّ كُلِّهِ بِمَا اقْتَضَتْهُ أَشْكَالُهُ مِنَ السُّعُودَةِ وَالنُّحُوسَةِ بِالذَّاتِ وَالنَّظَرِ وَالْحُلُولِ  
وَالْإِمْتِزَاجِ وَالِدَّلَالَةِ عَلَى أَصْنَافِ الْمَوْجُودَاتِ وَسَائِرِ ذَلِكَ تَحَكُّمًا غَرِيبًا وَكَثُرَتْ  
هَذِهِ الصَّنَاعَةُ فِي الْعُمُرَانِ وَوُضِعَتْ فِيهَا التَّالِيفُ وَاشْتَهَرَ فِيهَا الْأَعْلَامُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتُمْ تَحَكُّمٌ وَهُوَ وَالتَّحْقِيقُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نُصَبَ  
فِكْرِكَ أَنْ الْغُيُوبَ لَا تُدْرِكُ بِصِنَاعَةِ الْبَنَةِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَعْرِفِهَا إِلَّا لِلْخَوَاصِّ مِنَ الْبَشَرِ  
الْمَعْقُودِينَ عَلَى الرَّجْعِ مِنْ عَالَمِ الْحِسِّ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ وَلِذَلِكَ يُسَمَّى الْمُنْجِمُونَ هَذَا  
الصِّنْفَ كُلَّهُمْ بِالزُّهْرِيِّينَ نِسْبَةً إِلَى مَا نَقَضَ بِهِ دِلَالَةُ الزُّهْرَةِ بِزَعْمِهِمْ فِي أَصْلِ مَوَالِيدِهِمْ  
عَلَى إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فَالْخَطُّ وَغَيْرُهُ مِنْ هَذِهِ إِنْ كَانَ النَّظَرُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْخَاصَّةِ  
وَقَصْدَ بِهِ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي يَنْظُرُ فِيهَا مِنَ النُّقْطِ أَوْ الْعِظَامِ أَوْ غَيْرِهَا إِشْغَالَ الْحِسِّ لِرَجْعِ  
النَّفْسِ إِلَى عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ لِحُظَّةٍ مَا فَهُوَ مِنْ بَابِ الطَّرْقِ بِالْحَصَى وَالنَّظَرِ فِي قُلُوبِ  
الْحَيَوَانَاتِ وَالْمَرَايَا الشَّفَافَةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا قَصْدَ مَعْرِفَةِ  
الْغَيْبِ بِهِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَأَنَّهَا تُفِيدُهُ ذَلِكَ فَهَذِهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .  
وَالْعَلَامَةُ لِهَذِهِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْهَا أَهْلُ هَذَا الْإِدْرَاكِ الْغَيْبِيِّ أَنَّهُمْ عِنْدَ تَوَجُّهِهِمْ  
إِلَى تَعْرِفِ الْكَائِنَاتِ يَعْتَرِيهِمْ خُرُوجٌ عَنْ حَالَتِهِمْ الطَّبِيعِيَّةِ كَالْتَنَاقُوبِ وَالتَّمَطُّطِ  
وَمَبَادِيءِ الْغَيْبَةِ عَنِ الْحِسِّ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ عَلَى اخْتِلَافِ وُجُودِهَا فِيهِمْ  
فَمَنْ لَمْ تَوْجَدْ لَهُ هَذِهِ الْعَلَامَةُ فَلَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ سَاعٍ فِي  
تَنْفِيقِ كَذِبِهِ

وَمِنْهُمْ طَوَائِفُ يَضَعُونَ قَوَانِينَ لِاسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ لَيْسَتْ مِنَ الطُّورِ الْأَوَّلِ الَّذِي  
هُوَ مِنْ مَدَارِكِ النَّفْسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَلَا مِنَ الْحَدْسِ الْمَبْنِيِّ عَلَى تَأْثِيرَاتِ الشُّجُومِ كَمَا

زَعَمَهُ بَطْلِيمُوسُ وَلَا مِنْ الظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ الَّذِي يُحَاوِلُ عَلَيْهِ الْعَرَّافُونَ وَإِنَّمَا هِيَ مَغَالِطٌ  
 مَجْعُولَةٌ كَالْمَصَائِدِ لِأَهْلِ الْعُقُولِ الْمُسْتَضَعْفَةِ وَاسْتَأْذِنْ كُرْبُومَ ذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ  
 الْمُصَنِّفُونَ وَوَلَّجَ بِهِ الْخَوَاصُّ مِنْ تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْحِسَابِ الَّذِي يُسَدُّونَهُ حِسَابَ النَّيْمِ وَهُوَ  
 مَذْكُورٌ فِي آخِرِ كِتَابِ السِّيَاسَةِ الْمُنَسُوبِ لِأَرِسْطُو يُعَرِّفُ بِهِ الْغَالِبُ مِنَ الْمَغْلُوبِ فِي  
 الْمُتَحَارِبِينَ مِنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ أَنَّ تُحْسَبَ الْحُرُوفُ الَّتِي فِي اسْمٍ أَحَدِهِمَا بِحِسَابِ الْجُمْلِ  
 الْمُصْطَلَحِ عَلَيْهِ فِي حُرُوفِ أُبْجَدٍ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْأَلْفِ آحَادًا وَعَشْرَاتٍ وَمِثْنَيْنِ وَالْوَفَا  
 فَإِذَا حُسِبَتِ الْأَسْمَاءُ وَتَحَصَّلَ لَكَ مِنْهُ عَدَدٌ فَأَحْسِبِ اسْمَ الْآخَرِ كَذَلِكَ ثُمَّ أَطْرَحْ مِنْ كُلِّ  
 وَاحِدٍ مِنْهُمَا تِسْعَةً تِسْعَةً وَاحْفَظْ بَقِيَّةَ هَذَا وَبَقِيَّةَ هَذَا ثُمَّ انْظُرْ بَيْنَ الْعَدَدَيْنِ الْبَاقِيَتَيْنِ  
 مِنْ حِسَابِ الْأَسْمَيْنِ فَإِنْ كَانَ الْعَدَدَانِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الْكَمِّيَّةِ وَكَانَا مَعًا زَوْجَيْنِ أَوْ  
 فَرْدَيْنِ مَعًا فَصَاحِبُ الْأَقْلِ مِنْهُمَا هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا زَوْجًا وَالْآخَرُ فَرْدًا  
 فَصَاحِبُ الْأَكْثَرِ هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ مُتَسَاوَيْنِ فِي الْكَمِّيَّةِ وَهُمَا مَعًا زَوْجَانِ  
 فَالْمَطْلُوبُ هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ مَعًا فَرْدَيْنِ فَالطَّالِبُ هُوَ الْغَالِبُ وَيُقَالُ هُنَاكَ يَتَنَانِ فِي  
 هَذَا الْأَعْمَلِ أَشْتَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ وَهُمَا

أَرَى الزَّوْجَ وَالْأَفْرَادَ يَسْمَوْنَ أَقْلًا وَأَكْثَرُهُمَا عِنْدَ التَّحَالُفِ غَالِبُ  
 وَيُغْلَبُ مَطْلُوبٌ إِذَا الزَّوْجُ يَسْتَوِي وَعِنْدَ اسْتِوَاءِ الْفَرْدِ يُغْلَبُ طَالِبُ  
 ثُمَّ وَضَعُوا لِمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الْحُرُوفِ بَعْدَ طَرَحِهَا بِتِسْعَةٍ قَانُونًا مَعْرُوفًا عِنْدَهُمْ فِي طَرَحِ  
 تِسْعَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْحُرُوفَ الدَّلَالَةَ عَلَى الْوَاحِدِ فِي الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ وَهِيَ ( ا )  
 الدَّلَالَةُ عَلَى الْوَاحِدِ وَ ( ي ) الدَّلَالَةُ عَلَى الْعَشْرَةِ وَهِيَ وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ الْعَشْرَاتِ وَ ( ق )  
 الدَّلَالَةُ عَلَى الْمِائَةِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ الْمِثْنَيْنِ وَ ( ش ) الدَّلَالَةُ عَلَى الْأَلْفِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ  
 فِي مَرْتَبَةِ الْأَلْفِ وَلَيْسَ بَعْدَ الْأَلْفِ عَدَدٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ بِالْحُرُوفِ لِأَنَّ الشَّيْنَ هِيَ آخِرُ  
 حُرُوفِ أُبْجَدٍ ثُمَّ رَتَّبُوا هَذِهِ الْأَحْرُفَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى نَسَقِ الْمَرَاتِبِ فَكَانَ مِنْهَا كَلِمَةٌ  
 رُبَاعِيَّةٌ وَهِيَ ( اَيْقَش ) ثُمَّ فَعَلُوا ذَلِكَ بِالْحُرُوفِ الدَّلَالَةِ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ  
 وَأَسْقَطُوا مَرْتَبَةَ الْأَلْفِ مِنْهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ آخِرَ حُرُوفِ أُبْجَدٍ فَكَانَ تَجْمُوعُ حُرُوفِ  
 الْإِثْنَيْنِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ ثَلَاثَةَ حُرُوفٍ وَهِيَ ( ب ) الدَّلَالَةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْآحَادِ  
 وَ ( ك ) الدَّلَالَةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْعَشْرَاتِ وَهِيَ عِشْرُونَ وَ ( ر ) الدَّلَالَةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْمِثْنَيْنِ



وَهِيَ مَائَتَانِ وَصَيَّرُوها كَلِمَةً وَاحِدَةً ثَلَاثِيَّةً عَلَى نَسَقِ الْمَرَاتِبِ وَهِيَ بَكْرٌ ثُمَّ فَعَلُوا ذَلِكَ  
بِالْحُرُوفِ الدَّالَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ فَنَشَأَتْ عَنْهَا كَلِمَةٌ جَلَسَ وَكَذَلِكَ إِلَى آخِرِ حُرُوفِ أَيْجَدٍ  
وَصَارَتْ تِسْعَ كَلِمَاتٍ نِهَايَةً عَدَدَ الْآحَادِ وَهِيَ اَيْقَشُ بَكْرُ جَلَسَ دَمَتْ هَنْتَ وَصَحْ زَعَدُ  
حَنْظُ طَضَعُ مُرْتَبَةٌ عَلَى تَوَالِي الْأَعْدَادِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا الَّذِي هِيَ فِي مَرْتَبَتِهِ  
فَالْوَاحِدُ لِكَلِمَةِ اَيْقَشَ وَالْإِثْنَانِ لِكَلِمَةِ بَكْرٍ وَالثَّلَاثَةُ لِكَلِمَةِ جَلَسَ وَكَذَلِكَ إِلَى التَّاسِعَةِ  
الَّتِي هِيَ طَضَعُ فَتَكُونُ لَهَا التَّسْعَةُ فَإِذَا أَرَادُوا طَرَحَ الْأَسْمِ بِتِسْعَةِ نَظَرُوا كُلَّ حَرْفٍ  
مِنْهُ فِي أَيِّ كَلِمَةٍ هُوَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَأَخَذُوا عَدَدَهَا مَكَانَهُ ثُمَّ جَمَعُوا الْأَعْدَادَ  
الَّتِي يَأْخُذُونَهَا بَدَلًا مِنْ حُرُوفِ الْأَسْمِ فَإِنْ كَانَتْ زَائِدَةً عَلَى التَّسْعَةِ أَخَذُوا مَا فَضَلَ  
عَنْهَا وَإِلَّا أَخَذُوهُ كَمَا هُوَ ثُمَّ يَفْعَلُونَ كَذَلِكَ بِالْأَسْمِ الْآخِرِ وَيَنْظُرُونَ بَيْنَ الْخَارِجَيْنِ  
بِمَا قَدَّمَناهُ وَالسِّرِّ فِي هَذَا بَيْنَ ذَلِكَ أَنَّ الْبَاقِي مِنْ كُلِّ عَقْدٍ مِنَ عُقُودِ الْأَعْدَادِ بِطَرَحِ  
تِسْعَةٍ إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ فَكَأَنَّهُ يُجْمَعُ عَدَدُ الْعُقُودِ خَاصَّةً مِنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ فَصَارَتْ أَعْدَادُ  
الْعُقُودِ كَأَنَّهَا آحَادٌ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ وَالْعِشْرِينَ وَالْمِائَتَيْنِ وَالْأَلْفَيْنِ وَكُلُّهَا اثْنَانِ  
وَكَذَلِكَ الثَّلَاثَةُ وَالْثَلَاثُونَ وَالْثَلَاثُمِائَةُ وَالْثَلَاثَةُ الْأَلْفُ كُلُّهَا ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ فَوَضِعَتْ  
الْأَعْدَادُ عَلَى التَّوَالِي دَالَّةً عَلَى أَعْدَادِ الْعُقُودِ لَا غَيْرَ وَجُعِلَتْ الْحُرُوفُ الدَّالَّةُ عَلَى أَصْنَافِ  
الْعُقُودِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْآحَادِ وَالْعِشْرَاتِ وَالْمِئِينَ وَالْأَلُوفِ <sup>(١)</sup> وَصَارَ عَدَدُ الْكَلِمَةِ  
الْمَوْضُوعِ عَلَيْهَا نَائِبًا عَنْ كُلِّ حَرْفٍ فِيهَا سِوَاهُ دَلٌّ عَلَى الْآحَادِ أَوِ الْعِشْرَاتِ أَوِ الْمِئِينَ  
فَيُؤْخَذُ عَدَدُ كُلِّ كَلِمَةٍ عَوَضًا مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي فِيهَا وَتُجْمَعُ كُلُّهَا إِلَى آخِرِهَا كَمَا قُلْنَا  
هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمَتَدَاوِلُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْذُ الْأَمْرِ الْقَدِيمِ وَكَانَ بَعْضُ مَنْ لَقِينَاهُ مِنْ شُيُوخِنَا  
يَرَى أَنَّ الصَّحِيحَ فِيهَا كَلِمَاتٌ أُخْرَى تِسْعَةٌ مَكَانَ هَذِهِ وَمَتَوَالِيَةٌ كَتَوَالِيهَا وَيَفْعَلُونَ  
بِهَا فِي الطَّرَحِ بِتِسْعَةٍ مِثْلَ مَا يَفْعَلُونَهُ بِالْأُخْرَى سِوَاهُ وَهِيَ هَذِهِ اِرْبُ يَسْقُكُ جَزْلُطُ مَدُوصُ  
هَفُ تَحْذَنُ عَشُ خَعُ تَضْطُ تِسْعُ كَلِمَاتٍ عَلَى تَوَالِي الْعَدَدِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا  
الَّذِي فِي مَرْتَبَتِهِ فِيهَا الثَّلَاثِي وَالرُّبَاعِي وَالْإِثْنَانِي وَلَيْسَتْ جَارِيَةً عَلَى أَصْلِ مُطَرِّدٍ كَمَا  
تَرَاهُ لَكِنْ كَانَ شُيُوخُنَا يَنْقُلُونَهَا عَنْ شَيْخِ الْمَغْرِبِ فِي هَذِهِ الْمَعَارِفِ مِنَ السَّيَحِيَاءِ  
وَأَسْرَارِ الْحُرُوفِ وَالنِّجَامَةِ وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْبَنَاءِ وَيَقُولُونَ عَنْهُ أَنَّ الْعَمَلَ بِهِذِهِ

(١) قوله. الالوف فيه نظر لان الحروف ليس فيها ايزيد عن الالف كما سبق في كلامه

الْكَلِمَاتِ فِي طَرَحِ حِسَابِ النِّيمِ أَمَحُّ مِنَ الْعَمَلِ بِكَلِمَاتِ ابْقِشَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَيْفَ  
 ذَلِكَ وَهَذِهِ كَلَامًا مَدَارِكُ لِلْغَيْبِ غَيْرَ مَعْرُوفٍ إِلَى أَرِسْطُو عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ لِمَا فِيهِ مِنْ  
 الْآرَاءِ الْبَعِيدَةِ عَنِ التَّحْقِيقِ وَالْبَرْهَانِ يَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ تَصْنِيعُهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ  
 الْأَرْضِ سُوخٍ اهـ . وَمِنْ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الصَّنَاعِيَّةِ لِاسْتِخْرَاجِ الْغُيُوبِ فِيمَا يَزْعُمُونَ الزَّائِرِجَةَ  
 الْمُسَمَّاةَ بِزَائِرِجَةِ الْعَالِمِ الْمَعْرُوفَةِ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ السَّبْتِيِّ مِنْ أَعْلَامِ  
 الْمُتَصَوِّفَةِ بِالْمَغْرِبِ كَانَ فِي آخِرِ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ بِمَرَاكِشَ وَلِعَهْدِ أَبِي يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ  
 مِنْ مُلُوكِ الْمُوَحِّدِينَ وَهِيَ غَرِيبَةٌ الْعَمَلِ صِنَاعَةٌ وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَوَاضِ يُولَعُونَ بِإِفَادَةِ  
 الْغَيْبِ مِنْهَا بِعَمَائِكَ الْمَعْرُوفِ الْمَلْفُوزِ فَيَحْرِضُونَ بِذَلِكَ عَلَى حَلِّ رَزْزِهِ وَكَشْفِ غَامِضِهِ  
 وَصُورَتِهَا الَّتِي يَقَعُ الْعَمَلُ عِنْدَهُمْ فِيهَا دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ فِي دَاخِلِهَا دَوَائِرٌ مُتَوَازِيَةٌ لِلْأَفْلَاقِ  
 الْعَنَاصِرِ وَالْمُكَوِّنَاتِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْكَائِنَاتِ وَالْعُلُومِ  
 وَكُلُّ دَائِرَةٍ مَقْسُومَةٌ بِأَقْسَامٍ فَلِكُلِّهَا إِمَّا الْبُرُوجُ وَإِمَّا الْعَنَاصِرُ أَوْ غَيْرُهُمَا وَخُطُوطُ  
 كُلِّ قِسْمٍ مَارَّةٌ إِلَى الْمَرْكَزِ وَيُسَمُّونَهَا الْأَوْتَارَ وَعَلَى كُلِّ وَتَرٍ حُرُوفٌ مُتَابِعَةٌ مَوْضُوعَةٌ  
 فَمِنْهَا بِرُشُومٍ <sup>(١)</sup> الزِّمَامِ الَّتِي هِيَ أَشْكَالُ الْأَعْدَادِ عِنْدَ أَهْلِ الدَّوَاوِينِ وَالْحِسَابِ بِالْمَغْرِبِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ وَمِنْهَا بِرُشُومِ الْغُبَارِ الْمُتَعَارِفَةِ فِي دَاخِلِ الزَّائِرِجَةِ وَبَيْنَ الدَّوَائِرِ أَسْمَاءُ الْعُلُومِ  
 وَمَوَاضِعُ الْأَكْوَانِ وَعَلَى ظَاهِرِ الدَّوَائِرِ جَدُولٌ مُتَكَثِرُ الْبُيُوتِ الدِّقَّةِ طَوِيلٌ وَعَرْضًا  
 يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ يَتًّا فِي الْعَرْضِ وَمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَثَلَاثِينَ فِي الطَّوِيلِ جَوَانِبُ مِنْهُ  
 مَعْمُورَةٌ الْبُيُوتِ تَارَةً بِالْعَدَدِ وَآخَرَى بِالْحُرُوفِ وَجَوَانِبُ خَالِيَةٌ الْبُيُوتِ وَلَا تَعْلَمُ نِسْبَةُ  
 تِلْكَ الْأَعْدَادِ فِي أَوْضَاعِهَا وَلَا الْقِسْمَةُ الَّتِي عَيَّنَتْ الْبُيُوتَ الْعَامِرَةَ مِنَ الْخَالِيَةِ وَحَافَاتُ  
 الزَّائِرِجَةِ أَيْنَاتٌ مِنْ عَرُوضِ الطَّوِيلِ عَلَى رُويِ الْأَمْرِ الْمَنْصُوبَةِ لَتَضَمَّنَ صُورَةَ الْعَمَلِ  
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَطْلُوبِ مِنْ تِلْكَ الزَّائِرِجَةِ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ قَبِيلِ الْإِلْغَازِ فِي عَدَمِ الْوُضُوحِ  
 وَالْجَلَاءِ وَفِي بَعْضِ جَوَانِبِ الزَّائِرِجَةِ يَتُّ مِنْ الشَّعْرِ مَنْسُوبٌ لِبَعْضِ أَكْبَرِ أَهْلِ الْحَدِثَانِ  
 بِالْمَغْرِبِ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ وَهَيْبٍ مِنْ عُلَمَاءِ أَشْبِيلِيَّةٍ كَانَ فِي الدَّوْلَةِ اللَّمْتُونِيَّةِ وَنَصَّ الْبَيْتِ  
 سُؤَالَ عَظِيمٍ الْخَلْقِ حُزْتُ فَضْنُ إِذْنَ غَرَائِبَ شَكِّ ضَبْطُهُ الْجِدُّ مَثَلًا  
 وَهُوَ الْبَيْتُ الْمَتَدَاوِلُ عِنْدَهُمْ فِي الْعَمَلِ لِاسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ مِنَ السُّؤَالِ فِي هَذِهِ الزَّائِرِجَةِ

(١) قوله برشوم أي موضوعة بضم راء جمع رشم باشين المعجمة اهـ

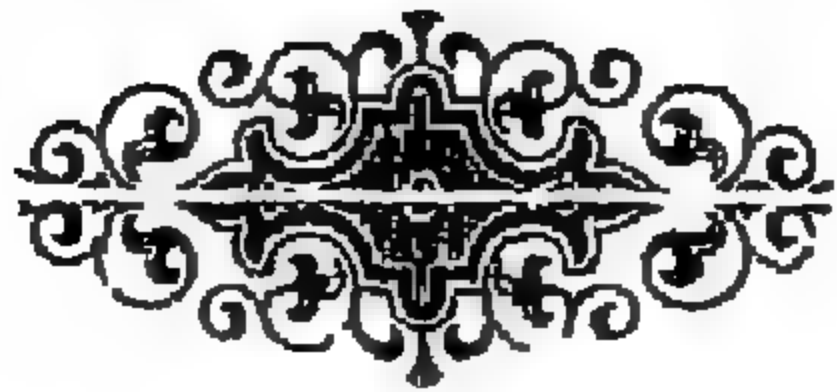


وغيرها فإذا أرادوا استخراج الجواب عما يسأل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفاً ثم أخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا إلى الزايرة ثم إلى الوتر المكنف فيها بالبرج الطالع من أوله ماراً إلى المركز ثم إلى محيط الدائرة فبالطالع فبأخذون جميع الحروف المكنوبة عليه من أوله إلى آخره والأعداد المرسومة بينهما ويصيرونها حروفاً بحساب الجمل وقد ينقلون أحادها إلى العشرات وعشراتها إلى المئين وبالعكس فيهما كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون إلى ذلك جميع ما على الوتر المكنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والأعداد من أوله إلى المركز فقط لا يتجاوزونه إلى المحيط ويفعلون بالأعداد ما فعلوه بالأول ويضيفونها إلى الحروف الأخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو أصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في أس البرج وأسه عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه الأس عند أهل صناعة الحساب فإنه عندهم البعد عن أول المراتب ثم يضربونه في عدد آخر يسمونه الأس الأكبر والدور الأصلي ويدخلون بما تجمع لهم من ذلك في يوت الجدول على قوانين معروفة وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفاً ويسقطون أخرى ويقابلون بما معهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون إلى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف بأعداد معلومة يسمونها الأدوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور ويعاودون ذلك بعدد الأدوار المعينة عندهم لذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وتؤلف على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك ابن وهيب المتقدم حسبما نذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرة وقد رأينا كثيراً من الخواص يتهافون على استخراج الغيب منها بتلك الأعمال ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافقي الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لأنه قد مر لك أن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة وإنما المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الإلهام والتوافق في الخطاب حتى يكون

الْجَوَابُ مُسْتَقِيمًا أَوْ مُوَافِقًا لِلسُّؤَالِ وَوُقُوعُ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَكْسِيرِ الْحُرُوفِ  
 الْمُجْتَمِعَةِ مِنَ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَارِ وَالْدُخُولِ فِي الْجَدْوَلِ بِالْأَعْدَادِ الْمُجْتَمِعَةِ مِنْ ضَرْبِ  
 الْأَعْدَادِ الْمَفْرُوضَةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنَ الْجَدْوَلِ بِذَلِكَ وَطَرَحِ أُخْرَى وَمَعَاوِدَةٍ  
 ذَلِكَ فِي الْأَدْوَارِ الْمَعْدُودَةِ وَمُقَابَلَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِحُرُوفِ الْبَيْتِ عَلَى التَّوَالِي غَيْرُ مُسْتَنَكِرٍ  
 وَقَدْ يَقَعُ الْإِطْلَاعُ مِنْ بَعْضِ الْأَذْكِيَاءِ عَلَى تَنَاسُبِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَيَقَعُ لَهُ مَعْرِفَةُ  
 الْمَجْهُولِ فَالْتَّنَاسُبُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ هُوَ سَبَبُ الْحُصُولِ عَلَى الْمَجْهُولِ مِنَ الْمَعْلُومِ الْحَاصِلِ  
 لِلنَّفْسِ وَطَرِيقُ الْحُصُولِ سَيِّمًا مِنْ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ فَإِنَّهَا تُفِيدُ الْعَقْلَ قُوَّةً عَلَى الْقِيَاسِ وَزِيَادَةً  
 فِي الْفِكْرِ وَقَدْ مَرَّ تَعْلِيلُ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى يَنْسَبُونَ هَذِهِ الزَّايِرَةَ  
 فِي الْغَالِبِ لِأَهْلِ الرِّيَاضَةِ فَهِيَ مَنْسُوبَةٌ لِلْسَّبَبِ وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى أُخْرَى مَنْسُوبَةٍ لِسَهْلِ  
 بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَاعْمَرِي إِنَّهَا مِنْ الْأَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ وَالْمُعَانَاةِ الْعَجِيبَةِ وَالْجَوَابُ الَّذِي  
 يُخْرَجُ مِنْهَا فَالْسِرُّ فِي خُرُوجِهِ مَنْظُومًا يَظْهَرُ لِي إِنَّهَا هُوَ الْمُقَابَلَةُ بِحُرُوفِ ذَلِكَ الْبَيْتِ  
 وَلِهَذَا يَكُونُ النَّظْمُ عَلَى وَزْنِهِ وَرَوِيهِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّا وَجَدْنَا أَعْمَالًا أُخْرَى لَهُمْ فِي مِثْلِ  
 ذَلِكَ أَسْقَطُوا فِيهَا الْمُقَابَلَةَ بِالْبَيْتِ فَلَمْ يُخْرَجِ الْجَوَابُ مَنْظُومًا كَمَا تَرَاهُ عِنْدَ الْكَلَامِ  
 عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَضَيَّقُوا مَدَارِ كُفْمٍ عَنِ التَّصْدِيقِ بِهَذَا الْعَمَلِ وَتَقْوَدُهُ  
 إِلَى الْمَطْلُوبِ فَيُنْكِرُ صِحَّتَهَا وَيَحْسِبُ أَنَّهَا مِنَ التَّخِيلَاتِ وَالْإِيهَامَاتِ وَأَنَّ صَاحِبَ  
 الْعَمَلِ بِهَا يَثْبُتُ حُرُوفَ الْبَيْتِ الَّذِي يَنْظِمُهُ كَمَا يُرِيدُ بَيْنَ أَثْنَاءِ حُرُوفِ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَارِ  
 وَيَنْعَلُ تِلْكَ الصَّنَاعَاتِ عَلَى غَيْرِ نِسْبَةٍ وَلَا قَانُونٍ ثُمَّ يَجِيءُ بِالْبَيْتِ وَيَوْمُ أَنْ الْعَمَلُ جَاءَ  
 عَلَى طَرِيقَةٍ مُنْضَبِطَةٍ وَهَذَا الْحُسْبَانُ تَوَهُّمٌ فَاسِدٌ حَمَلَ عَلَيْهِ الْقُصُورُ عَنْ فَهْمِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ  
 الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالتَّفَاوُتِ بَيْنَ الْمَدَارِكِ وَالْعُقُولِ وَلَكِنْ مِنْ شَأْنِ كُلِّ  
 مُدْرِكٍ إِنْكَارُ مَا لَيْسَ فِي طَوْقِهِ إِدْرَاكُهُ وَيَكْفِينَا فِي رَدِّ ذَلِكَ مُشَاهَدَةُ الْعَمَلِ بِهَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ وَالْحَدْسُ الْقَطْعِيُّ فَإِنَّهَا جَاءَتْ بِعَمَلٍ مُطَرَّدٍ وَقَانُونٍ صَحِيحٍ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ عِنْدَ مَنْ  
 يُبَاشِرُ ذَلِكَ مِمَّنْ لَهُ ذِكَاةٌ وَحَدْسٌ وَإِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُعَايَاةِ فِي الْعَدَدِ الَّذِي هُوَ  
 أَوْضَحُ الْوَاضِحَاتِ يَعْسُرُ عَلَى الْفَهْمِ إِدْرَاكُهُ لِبُعْدِ النَّسْبَةِ فِيهِ وَخِفَائِهَا فَمَا ظَنُّكَ بِمِثْلِ  
 هَذَا مَعَ خِفَاءِ النَّسْبَةِ فِيهِ وَغَرَابَتِهَا فَلَنْذَكُرْ مَسْئَلَةً مِنَ الْمُعَايَاةِ يَتَضَيَّقُ لَكَ بِهَا شَيْءٌ مِمَّا  
 ذَكَرْنَا مِثَالَهُ لَوْ قِيلَ لَكَ خُذْ عَدَدًا مِنَ الدَّرَاهِمِ وَاجْعَلْ بِإِزَاءِ كُلِّ دِرْهَمٍ ثَلَاثَةً مِنْ



الْفُلُوسِ ثُمَّ أَجْمَعَ الْفُلُوسَ الَّتِي أَخَذَتْ وَاشْتَرَتْ بِهَا طَائِرًا ثُمَّ اشْتَرَتْ بِالْدَّرَاهِمِ كُلَّهَا طَيْرًا  
 بِسَعْرِ ذَلِكَ الطَّائِرِ فَكَمْ الطُّيُورُ الْمُشْتَرَاةُ بِالْدَّرَاهِمِ فَجَوَابُهُ أَنْ نَقُولَ هِيَ تِسْعَةٌ لِأَنَّكَ  
 تَعْلَمُ أَنَّ فُلُوسَ الدَّرَاهِمِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ وَأَنَّ الثَّلَاثَةَ ثَمَنُهَا وَأَنَّ عِدَّةَ اثْمَانِ الْوَاحِدِ  
 ثَمَانِيَةٌ فَإِذَا جُمِعَتِ الثَّمَنُ مِنَ الدَّرَاهِمِ إِلَى الثَّمَنِ الْآخِرِ فَكَانَ كُلُّ ثَمَنٍ طَائِرٍ فِيهِ  
 ثَمَانِيَةُ طُيُورٍ عِدَّةُ اثْمَانِ الْوَاحِدِ وَتَزِيدُ عَلَى الثَّمَانِيَةِ طَائِرًا آخَرَ وَهُوَ الْمُشْتَرَى بِالْفُلُوسِ  
 أَلَمْ أَخُذْهُ أَوَّلًا وَعَلَى سَعَرِهِ اشْتَرَيْتُ بِالْدَّرَاهِمِ فَهَيَكُونَ تِسْعَةٌ فَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ خَرَجَ  
 لَكَ الْجَوَابُ الْمُضْمَرُ بِسِرِّ التَّنَاسُبِ الَّذِي بَيْنَ أَعْدَادِ الْمَسْئَلَةِ وَالْوَهْمِ أَوَّلَ مَا يُلْقَى  
 إِلَيْكَ هَذِهِ وَأَمْثَالُهَا إِنَّمَا يَجْعَلُهُ مِنْ قَبِيلِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ وَظَهَرَ أَنَّ التَّنَاسُبَ  
 بَيْنَ الْأُمُورِ هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ مَجْهُولَهَا مِنْ مَعْلُومِهَا وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي الْوَاقِعَاتِ الْخَاصَّةِ فِي  
 الوجودِ أَوَّالِ الْعِلْمِ وَأَمَّا الْكَائِنَاتُ الْمُسْتَقْبَلَةُ إِذَا لَمْ تُعْلَمْ أَسْبَابُ وَقُوعِهَا وَلَا يَتَبَيَّنَ لَهَا  
 خَبَرٌ صَادِقٌ عَنْهَا فَهُوَ غَيْبٌ لَا يُمْكِنُ مَعْرِفَتُهُ وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ فَالْأَعْمَالُ الْوَاقِعَةُ  
 فِي الزَّائِرَةِ كُلِّهَا إِنَّمَا هِيَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ مِنَ الْفَظِ السُّؤَالِ لِأَنَّهَا كَمَا رَأَيْتَ  
 اسْتِنْبَاطُ حُرُوفٍ عَلَى تَرْتِيبٍ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ بَعِيْنَهَا عَلَى تَرْتِيبٍ آخَرَ وَسِرُّ ذَلِكَ إِنَّمَا  
 هُوَ مِنْ تَنَاسُبٍ بَيْنَهُمَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ فَمَنْ عَرَفَ ذَلِكَ التَّنَاسُبَ تيسَّرَ عَلَيْهِ  
 اسْتِخْرَاجُ ذَلِكَ الْجَوَابِ بِتِلْكَ الْقَوَانِينِ وَالْجَوَابُ يَدُلُّ فِي مَقَامٍ آخَرَ مِنْ حَيْثُ مَوْضُوعُ  
 الْفَظِ وَتَرَكَيبِهِ عَلَى وَقُوعِ أَحَدِ طَرَفِي السُّؤَالِ مِنْ نَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ  
 الْمَقَامِ الْأَوَّلِ بَلْ إِنَّمَا يَرْجِعُ لِمُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمَا فِي الْخَارِجِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى  
 مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ بَلِ الْبَشَرُ مُحْجُوبُونَ عَنْهُ وَقَدْ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَاللَّهُ  
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ



## الفصل الثاني

في العمران البدوي والام الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه فصول وتمهيدات

### الفصل الاول

في ان احيال البدو والحضر طبيعية

اعلم ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف محلهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل الحاجي والكافي فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من يتجمل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والنعير والنحل والدود لتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه يتسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والحدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو امرا ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفع انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المتشجلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرّفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الافوات والملابس والتأنيق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للحضر ثم تزيد احوال الرفه والدعة فتجي عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنيق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباغ وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح واحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها وباليغون في تنجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملابس او فراش او انية او ماعون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من يتجمل في معاشه الصنائع ومنهم من يتجمل التجارة



وَتَكُونُ مَكَاسِبُهُمْ أَنْعَى وَأَرْفَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ لِأَنَّ أَحْوَالَهُمْ زَائِدَةٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ  
وَمَعَاشُهُمْ عَلَى نِسْبَةٍ وَجَدِهِمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَجْيَالَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ طَبِيعِيَّةٌ لَا بَدَّ مِنْهَا كَمَا قُلْنَا

## الفصل الثاني

في ان جيل العرب في الخلقة طبيعي

قَدْ قَدَّمْنَا فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ هُمُ الْمُنْتَحِلُونَ لِلْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ مِنَ الْقَلْعِ  
وَالْقِيَامِ عَلَى الْأَنْعَامِ وَأَنَّهُمْ مُقْتَصِرُونَ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِينِ  
وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ وَمُقْتَصِرُونَ عَمَّا فَوْقَ ذَلِكَ مِنْ حَاجِي أَوْ كَمَا لِي يَتَّخِذُونَ  
الْبُيُوتَ مِنَ الشَّعْرِ وَالْوَبَرِ أَوْ الشَّجَرِ أَوْ مِنَ الطِّينِ وَالْحِجَارَةِ غَيْرَ مَنْجَدَةٍ إِنَّمَا هُوَ قَصْدُ  
الْإِسْتِظْلَالِ وَالْكُنْ لَا مَا وَرَاءَهُ وَقَدْ يَأْوُونَ إِلَى الْغَيْرَانِ وَالْكُهُوفِ وَأَمَا أَقْوَاتُهُمْ  
فَيَتَنَاوَلُونَ بِهَا بِسِيرًا بِعِلَاجٍ أَوْ بِغَيْرِ عِلَاجٍ الْبَتَّةِ إِلَّا مَا مَسَّتْهُ النَّارُ فَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ مِنْهُمْ  
فِي الزَّرَاعَةِ وَالْقِيَامِ بِالْقَلْعِ كَانَ الْمَقَامُ بِهِ أَوَّلَى مِنَ الطَّعْنِ وَهَؤُلَاءِ سُكَّانُ الْمَدَرِ  
وَالْقُرَى وَالْجِبَالِ وَهُمْ عَامَّةُ الْبَرِّ وَالْأَعَاجِمِ وَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ فِي السَّائِمَةِ مِثْلَ الْغَنَمِ  
وَالْبَقَرِ فَهُمْ ذُئُفٌ فِي الْأَغْلَبِ لِارْتِيَادِ الْمَسَارِحِ وَالْمِيَاهِ لِحَيَوَانَاتِهِمْ فَالْتَّقَلُّبُ فِي الْأَرْضِ  
أَصْلَحُ بِهِمْ وَيُسَمُّونَ شَاوِيَةً وَمَعْنَاهُ الْقَائِمُونَ عَلَى الشَّاءِ وَالْبَقَرِ وَلَا يُبْعِدُونَ فِي الْقَفْرِ  
لِفَقْدَانِ الْمَسَارِحِ الطَّيِّبَةِ وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ الْبَرِّ وَالتُّرْكِ وَإِخْوَانِهِمْ مِنَ التُّرْكُمَانِ وَالصَّقَالِبَةِ  
وَأَمَّا مَنْ كَانَ مَعَاشُهُمْ فِي الْإِبِلِ فَهُمْ أَكْثَرُ ظَعْنًا وَأَبْعَدُ فِي الْقَفْرِ مَجَالًا لِأَنَّ مَسَارِحَ  
التَّلُّولِ وَنَبَاتَهَا وَشَجَرَهَا لَا يَسْتَعْنِي بِهَا الْإِبِلُ فِي قَوَامِ حَيَاتِهَا عَنْ مَرَاعِي الشَّجَرِ بِالْقَفْرِ  
وَوُرُودِ مِيَاهِهِ الْمِلْحَةِ وَالتَّقَلُّبِ فَصَلَ الشِّتَاءُ فِي تَوَاحِيهِ فِرَارًا مِنْ أَذَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ  
هَوَائِهِ وَطَلَبًا لِمَا خِصَّ النَّتَاجُ فِي رِمَالِهِ إِذَا الْإِبِلُ أَصْعَبُ الْحَيَوَانَاتِ فَصَالًا وَمَخَاضًا  
وَأَحْوَجًا فِي ذَلِكَ إِلَى الدِّفْءِ فَاضْطُرُّوا إِلَى إِبْعَادِ النُّجْعَةِ وَرُبَّمَا زَادَتْهُمْ الْحَافِيَةُ عَنْ  
التَّلُّولِ أَيْضًا فَأَوَّغَلُوا فِي الْقِفَارِ نَفَرَةً عَنِ الضَّعَةِ مِنْهُمْ فَكَانُوا لِذَلِكَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَحُّشًا  
وَيَنْزِلُونَ مِنْ أَهْلِ الْحَوَاضِرِ مَنَازِلَةَ الْوَحْشِ غَيْرَ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ وَالْمُقْتَرِسِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ  
الْعُجْمِ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْعَرَبُ وَفِي مَعْنَاهُمْ ذُئُفُ الْبَرِّ وَزَنَاتُهُ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَكْرَادُ وَالتُّرْكُمَانُ  
وَالتُّرْكُ بِالْمَشْرِقِ إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدُ نُّجْعَةً وَأَشَدَّ بِدَاوَةً لِأَنَّهُمْ مُخْتَصُونَ بِالْقِيَامِ عَلَى

الْأَبْلَ فَقَطْ وَهَؤُلَاءِ يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَعَلَى الشَّيَاطِينِ وَالْبَقَرِ مَعَهَا فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ جِيلَ الْعَرَبِ  
طَبِيعِي لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الْعُمُرَانِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثالث

في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليه وان البادية اصل العمران  
والامصار مدد لها

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْبَدَوَ هُمُ الْمُقْتَصِرُونَ عَلَى الضَّرُورِيِّ فِي أَحْوَالِهِمُ الْعَاجِزُونَ عَمَّا  
فَوْقَهُ وَأَنَّ الْحَضَرَ الْمُعْتَنُونَ بِحَاجَاتِ التَّرَفِ وَالْكَمَالِ فِي أَحْوَالِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَلَا  
شَكَّ أَنَّ الضَّرُورِيَّ أَقْدَمُ مِنَ الْحَاجِي وَالْكَمَالِيِّ وَسَابِقٌ عَلَيْهِ وَلِأَنَّ الضَّرُورِيَّ أَصْلُ  
وَالْكَمَالِيِّ فَرَعٌ نَاشِئٌ عَنْهُ فَالْبَدُوُّ أَصْلٌ لِلْمَدُنِ وَالْحَضَرِ وَسَابِقٌ عَلَيْهِمَا لِأَنَّ أَوَّلَ  
مَطَالِبِ الْإِنْسَانِ الضَّرُورِيَّ وَلَا يَنْتَهِي إِلَى الْكَمَالِ وَالتَّرَفِ إِلَّا إِذَا كَانَ الضَّرُورِيُّ  
حَاصِلًا فَخُشُونَةُ الْبِدَاوَةِ قَبْلَ رِقَّةِ الْحَضَارَةِ وَإِلَهَذَا نَجْدُ التَّمَدُّنِ غَايَةُ لِلْبَدَوِيِّ يَجْرِي إِلَيْهَا  
وَيَنْتَهِي بِسَعْيِهِ إِلَى مُقْتَرَحِهِ مِنْهَا وَمَتَى حَصَلَ عَلَى الرِّيَاشِ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ بِهِ أَحْوَالُ  
التَّرَفِ وَعَوَائِدِهِ عَاجَ إِلَى الدَّعَةِ وَأَمَكَنَ نَفْسَهُ إِلَى قِيَادِ الْمَدِينَةِ وَهَكَذَا شَأْنُ الْقَبَائِلِ  
الْمُتَبَدِّلَةِ كُلِّهِمْ وَالْحَضَرِيِّ لَا يَتَشَوَّفُ إِلَى أَحْوَالِ الْبَادِيَةِ إِلَّا لِبِضْرُورَةٍ تَدْعُوهُ إِلَيْهَا  
أَوْ لِقَصِيرٍ عَنْ أَحْوَالِ أَهْلِ مَدِينَتِهِ وَمِمَّا يَشْهَدُ لَنَا أَنَّ الْبَدَوَ أَصْلٌ لِلْحَضَرِ وَمُتَقَدِّمٌ  
عَلَيْهِ أَنَا إِذَا قُتِّسْنَا أَهْلَ مِصْرَ مِنَ الْأَمْصَارِ وَجَدْنَا أَوْلِيَّةَ أَكْثَرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَدَوِ الَّذِينَ  
بِنَاحِيَةِ ذَلِكَ الْمِصْرِ وَعَدَلُوا إِلَى الدَّعَةِ وَالتَّرَفِ الَّذِي فِي الْحَضَرِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ  
أَحْوَالَ الْحَضَارَةِ نَاشِئَةٌ عَنْ أَحْوَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَنَّهَا أَصْلُ لَهَا فَتَفْهَمُهُ . ثُمَّ إِنَّ كُلَّ  
وَاحِدٍ مِنَ الْبَدَوِ وَالْحَضَرِ مُتَفَاوِتُ الْأَحْوَالِ مِنْ جِنْسِهِ قَرِيبٌ حَتَّى أَكْثَرُ مِنْ حَيٍّ وَقَبِيلَةٍ  
أَكْثَرُ مِنْ قَبِيلَةٍ وَمِصْرٍ أَوْسَعُ مِنْ مِصْرٍ وَمَدِينَةٍ أَكْثَرُ عُمُرَانًا مِنْ مَدِينَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ  
وُجُودَ الْبَدَوِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى وُجُودِ الْمَدُنِ وَالْأَمْصَارِ وَأَصْلُ لَهَا بِمَا أَنَّ وُجُودَ الْمَدُنِ  
وَالْأَمْصَارِ مِنْ عَوَائِدِ التَّرَفِ وَالدَّعَةِ الَّتِي هِيَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنْ عَوَائِدِ الضَّرُورَةِ الْمَعَاشِيَةِ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ



## الفصل الرابع

في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة

وَسَبَبُهُ أَنَّ النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى كَانَتْ مُتَهَيِّئَةً لِتَقْبُولَ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا  
وَيَنْطَبِعُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ  
يَهُودِيَانِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يُحْجِسَانِيَّةٍ وَيَقْدِرُ مَا سَبَقَ إِلَيْهَا مِنْ أَحَدِ الْخَلْقَيْنِ تَبَعْدُ عَنِ الْآخَرِ  
وَيَضَعُ عَلَيْهَا أَكْتِسَابَهُ فَصَاحِبُ الْخَيْرِ إِذَا سَبَقَتْ إِلَى نَفْسِهِ عَوَائِدُ الْخَيْرِ وَحَصَلَتْ  
لَهَا مَلَكَتُهُ بَعْدَ عَنِ الشَّرِّ وَصَعِبَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ وَكَذَا صَاحِبُ الشَّرِّ إِذَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ  
أَيْضًا عَوَائِدُهُ وَأَهْلُ الْحَضَرِ لِكَثْرَةِ مَا يُعَانُونَ مِنْ فُتُونِ الْمَلَاذِ وَعَوَائِدِ التَّرَفِ وَالْإِقْبَالِ  
عَلَى الدُّنْيَا وَالْعُكُوفِ عَلَى شَهَوَاتِهِمْ مِنْهَا وَقَدْ تَلَوْتُ أَنْفُسَهُمْ بِكَثِيرٍ مِنْ مَذْمُومَاتِ  
الْخَلْقِ وَالشَّرِّ وَبَعْدَتْ عَلَيْهِمْ طُرُقُ الْخَيْرِ وَمَسَالِكُهُ بِقَدْرِ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى  
لَقَدْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ مَذَاهِبُ الْحِشْمَةِ فِي أَحْوَالِهِمْ فَتَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ يَقْدَعُونَ فِي أَقْوَالِ  
الْفَحْشَاءِ فِي مَجَالِسِهِمْ وَبَيْنَ كِبَرَائِهِمْ وَأَهْلِ مُحَارِمِهِمْ لَا يَصُدُّهُمْ عَنْهُ وَارِعُ الْحِشْمَةِ  
لَمَّا أَخَذَتْهُمْ بِهِ عَوَائِدُ السُّوءِ فِي التَّظَاهِرِ بِالْفَوَاحِشِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَأَهْلُ الْبَدْوِ وَإِنْ  
كَانُوا مُقْبِلِينَ عَلَى الدُّنْيَا مِثْلَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْمِقْدَارِ الضَّرُورِيِّ لَا فِي التَّرَفِ وَلَا فِي شَيْءٍ  
مِنْ أَسْبَابِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَدَوَاعِيهَا فَعَوَائِدُهُمْ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ عَلَى نِسْبَتِهَا وَمَا يَحْصُلُ  
فِيهِمْ مِنْ مَذَاهِبِ السُّوءِ وَمَذْمُومَاتِ الْخَلْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الْحَضَرِ أَقَلُّ بِكَثِيرٍ فَهُمْ  
أَقْرَبُ إِلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى وَابْعَدُ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النَّفْسِ مِنْ سُوءِ الْمَلَكَاتِ بِكَثْرَةِ  
الْعَوَائِدِ الْمَذْمُومَةِ وَفُجْهِهَا فَيَسْتَهْلُ عِلَاجَهُمْ عَنْ عِلَاجِ الْحَضَرِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَقَدْ يَتَوَضَّعُ فِيهَا  
بَعْدُ أَنْ الْحَضَارَةُ هِيَ نِهَايَةُ الْعُمْرَانِ وَخُرُوجُهُ إِلَى الْفَسَادِ وَنِهَايَةُ الشَّرِّ وَالْبَعْدُ عَنِ الْخَيْرِ  
فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ أَقْرَبُ إِلَى الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَلَا  
يُعْتَرِضُ عَلَى ذَلِكَ بِمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ قَوْلِ الْحَجَّاجِ لِسَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ  
وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى سُكْنَى الْبَادِيَةِ فَقَالَ لَهُ أَرْتَدَدْتَ عَلَى عَقِيكَ تَعَرَّبْتَ فَقَالَ لَا  
وَأَكُنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لِي فِي الْبَدْوِ فَأَعْلَمْتُ أَنَّ الْهَجْرَةَ أَفْتَرَضَتْ  
أَوَّلَ الْإِسْلَامِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ لِيَكُونُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ حَلَّ مِنَ  
الْمَوَاطِنِ يَنْصُرُونَهُ وَيُظَاهِرُونَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَيَحْرُسُونَهُ وَلَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً عَلَى الْأَعْرَابِ

أَهْلُ الْبَادِيَةِ لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يَمَسُّهُمْ مِنْ عَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُظَاهَرَةِ  
 وَالْحِرَاسَةِ مَا لَا يَمَسُّ غَيْرَهُمْ مِنْ بَادِيَةِ الْأَعْرَابِ وَقَدْ كَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَسْتَعِيدُونَ بِاللَّهِ  
 مِنَ الْعَرَبِ وَهُوَ سُكْنَى الْبَادِيَةِ حَيْثُ لَا تَجِبُ الْهَجْرَةُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
 حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عِنْدَ مَرَضِهِ بِمَكَّةَ اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هَجْرَتَهُمْ وَلَا  
 تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَمَعْنَاهُ أَنَّ يُؤْفِقَهُمْ لِمُلَازِمَةِ الْمَدِينَةِ وَعَدَمِ التَّحَوُّلِ عَنْهَا فَلَا يَرْجِعُوا  
 عَنْ هَجْرَتِهِمْ الَّتِي ابْتَدَأُوا بِهَا وَهُوَ مِنْ بَابِ الرُّجُوعِ عَلَى الْعَقَبِ فِي السَّعْيِ إِلَى وَجْهِهِ مِنَ  
 الْوُجُوهِ وَقِيلَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ خَاصًّا بِمَا قَبْلَ الْفَتْحِ حِينَ كَانَتْ الْحَاجَةُ دَاعِيَةً إِلَى الْهَجْرَةِ  
 لِقَلَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا بَعْدَ الْفَتْحِ وَحِينَ كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَأَعَزُّوا وَتَكَفَّلَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ  
 بِالْعِصْمَةِ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ الْهَجْرَةَ سَاقِطَةٌ حِينَئِذٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا هَجْرَةَ بَعْدَ  
 الْفَتْحِ وَقِيلَ سَقَطَ إِنْشَاؤها عَنْهُ يُسَلِّمُ بَعْدَ الْفَتْحِ وَقِيلَ سَقَطَ وَجُوبُهَا عَنْهُ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ  
 قَبْلَ الْفَتْحِ وَالْكُلُّ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّهَا بَعْدَ الْوَفَاةِ سَاقِطَةٌ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ أَفْتَرَقُوا مِنْ يَوْمِئِذٍ  
 فِي الْأَفَاقِ وَانْتَشَرُوا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فَضْلُ الشُّكْنَى بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ هَجْرَةُ فَقَوْلُ الْحَجَّاجِ  
 لِسَلَمَةَ حِينَ سَكَنَ الْبَادِيَةَ ارْتَدَدَتْ عَلَى عَقَبَيْكَ تَعَرَّبْتَ نَعَى عَلَيْهِ فِي تَرْكِ الشُّكْنَى  
 بِالْمَدِينَةِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ الَّذِي قَدَّمَاهُ وَهُوَ قَوْلُهُ لَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ  
 وَقَوْلُهُ تَعَرَّبْتَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ صَارَ مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يُهَاجِرُونَ وَأَجَابَ سَلَمَةُ  
 بِإِنْكَارِ مَا أَلْزَمَهُ مِنَ الْأَمْرَيْنِ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لَهُ فِي الْبَدْوِ وَيَكُونُ  
 ذَلِكَ خَاصًّا بِهِ كَشَهَادَةِ خُزَيْمَةَ وَعِنَاقِ أَبِي بُرْدَةَ أَوْ يَكُونُ الْحَجَّاجُ إِنَّمَا نَعَى عَلَيْهِ  
 تَرْكَ الشُّكْنَى بِالْمَدِينَةِ فَقَطْ لِعِلْمِهِ بِسُقُوطِ الْهَجْرَةِ بَعْدَ الْوَفَاةِ وَاجَابَهُ سَلَمَةُ بِأَنَّهُ  
 اغْتَنَامُهُ لِإِذْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَى وَأَفْضَلُ فَمَا أَثَرُهُ بِهِ وَأَخْتَصَّهُ إِلَّا لِمَعْنَى  
 عِلْمِهِ فِيهِ وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَلَيْسَ دَلِيلًا عَلَى مَذْمَةِ الْبَدْوِ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ بِالْعَرَبِ لِأَنَّ  
 مَشْرُوعِيَّةَ الْهَجْرَةِ إِنَّمَا كَانَتْ كَمَا عَلِمْتَ لِمُظَاهَرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِرَاسَتِهِ  
 لَا لِمَذْمَةِ الْبَدْوِ فَلَيْسَ فِي النَّعْيِ عَلَى تَرْكِ هَذَا الْوَاجِبِ دَلِيلٌ عَلَى مَذْمَةِ الْعَرَبِ وَاللَّهُ  
 سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ



## الفصل الخامس

في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْحَضَرِ الْقَوَا جُنُوبُهُمْ عَلَى مَهَادِ الرَّاحَةِ وَالِدَعَةِ وَانْتَمَسُوا  
فِي النَّعِيمِ وَالْتَّرَفِ وَوَكَلُوا أَمْرَهُمْ فِي الْمُدَافَعَةِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ إِلَى وَالِيهِمْ وَالْحَاكِمِ  
الَّذِي يَسُوسُهُمْ وَالْحَكَمِيَّةِ الَّتِي تَوَلَّى حِرَاسَتَهُمْ وَأَسْتَنَامُوا إِلَى الْأَسْوَارِ الَّتِي تَحُوطُهُمْ  
وَالْحُرُزِ الَّتِي يَحُولُ دُونَهُمْ فَلَا تَهَيِّجُهُمْ هَيْعَةٌ وَلَا يَنْفِرُ لَهُمْ صَيْدُهُمْ غَارُونَ آمِنُونَ  
قَدْ الْقَوَا السِّلَاحَ وَتَوَلَّى عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ الْأَجْيَالُ وَتَنَزَّلُوا مَنْزِلَةَ النِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ الَّذِينَ  
هُمْ عِيَالٌ عَلَى أَبِي مَثْوَاهُمْ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ خُلُقًا يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الطَّبِيعَةِ وَأَهْلُ الْبَدْوِ لَتَفْرِدُهُمْ  
عَنِ الْجُمُوعِ وَتَوْحِشُهُمْ فِي الضَّوَاحِي وَبُعْدُهُمْ عَنِ الْحَكَمِيَّةِ وَانْتِبَازُهُمْ عَنِ الْأَسْوَارِ  
وَالْأَبْوَابِ قَائِمُونَ بِالْمُدَافَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَا يَكْلُونَهَا إِلَى سِوَاهُمْ وَلَا يَتَّقُونَ فِيهَا بَغِيرَهُمْ  
فَهُمْ دَائِمًا يَحْمِلُونَ السِّلَاحَ وَيَتَلَقَّوْنَ عَنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي الطَّرِيقِ وَيَتَجَافُونَ عَنِ الْهَجُوعِ  
إِلَّا غَرَارًا فِي الْمَجَالِسِ وَعَلَى الرِّحَالِ وَفَوْقَ الْأَقْتَابِ وَيَتَوَجَّسُّونَ لِلنَّبَاتِ وَالْهَيْعَاتِ  
وَيَتَفَرَّدُونَ فِي الْقَفْرِ وَالْبَيْدَاءِ مُدْلِينَ بِبِاسِهِمْ وَاثْقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ قَدْ صَارَ لَهُمُ الْبَاسُ خُلُقًا  
وَالشَّجَاعَةُ سَجِيَّةً يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا مَتَى دَعَاهُمْ دَاعٍ أَوْ اسْتَنْفَرَهُمْ صَارِخٌ وَأَهْلُ الْحَضَرِ مَهْمَا  
خَالَطُوهُمْ فِي الْبَادِيَةِ أَوْ صَاحَبُوهُمْ فِي السَّيْرِ عِيَالٌ عَلَيْهِمْ لَا يَمْلِكُونَ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ  
أَنْفُسِهِمْ وَذَلِكَ مُشَاهِدٌ بِالْعِيَانِ حَتَّى فِي مَعْرِفَةِ الضَّوَاحِي وَالْجِهَاتِ وَمَوَارِدِ الْمِيَاهِ وَمَشَارِعِ  
السُّبُلِ وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا شَرَحْنَاهُ وَأَصْلُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ ابْنُ عَوَائِدِهِ وَمَا لَوْفِهِ لَا ابْنَ طَبِيعَتِهِ  
وَمَزَاجِهِ فَالَّذِي أَلْفَهُ فِي الْأَحْوَالِ حَتَّى صَارَ خُلُقًا وَمَلَكَةً وَعَادَةً تَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الطَّبِيعَةِ  
وَالْحَبْلَةِ وَأَعْتَبَرَ ذَلِكَ فِي الْأَدَمِيِّينَ تَجِدُهُ كَثِيرًا صَحِيحًا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

## الفصل السادس

في ان معاناة اهل الحضرة للاحكام مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم  
وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ مَالِكٌ أَمْرٍ نَفْسِهِ إِذَا الرُّؤْسَاءُ وَالْأَمْرَاءُ الْمَالِكُونَ لِأَمْرِ  
النَّاسِ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ فَمِنْ الْغَالِبِ أَنَّ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي مَلَكَةٍ غَيْرِهِ وَلَا يَدْرِي  
فَإِنْ كَانَتِ الْمَلَكَةُ رَفِيقَةً وَعَادِلَةً لَا يُعَانِي مِنْهَا حُكْمٌ وَلَا مَنَعٌ وَصَدَّكَ كَانَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ

يَدِيهَا مُدْبِلِينَ بَمَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ شَجَاعَةٍ أَوْ جُبْنٍ وَاثْقِينَ بَعْدَ الْوَارِعِ حَتَّى صَارَ لَهُمْ  
إِلَّا دَلَالُ جِبِلَّةٍ لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ وَأَحْكَامُهَا بِالْقَهْرِ وَالسَّطْوَةِ  
وَالْإِخَافَةِ فَتَكْسِرُ حِينَئِذٍ مِنْ سُورَةِ بَأْسِهِمْ وَتُذْهِبُ الْمَنِعَةَ عَنْهُمْ لِمَا يَكُونُ مِنَ  
التَّكَاسُلِ فِي النَّفْسِ الْمُضْطَرَّةِ كَمَا نَبِيْنُهُ وَقَدْ نَهَى عُمَرُ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ  
مِثْلِهَا لَمَّا أَخَذَ زُهْرَةُ بْنُ حَوْبَةَ سَلَبَ الْجَالِنُوسِ وَكَانَتْ قِيَمَتُهُ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ  
الذَّهَبِ وَكَانَ اتَّبَعَ الْجَالِنُوسَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ سَلَبَهُ فَأَنْتَزَعَهُ مِنْهُ سَعْدٌ وَقَالَ  
لَهُ هَلَّا أَنْتَظَرْتَ فِي اتِّبَاعِهِ إِذْنِي وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ يَسْتَأْذِنُهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ تَعَمَّدُ إِلَى  
مِثْلِ زُهْرَةَ وَقَدْ صَلَّى بِمَا صَلَّى بِهِ وَبَقِيَ عَلَيْكَ مَا بَقِيَ مِنْ حَرْبِكَ وَتَكْسِرُ فَوْقَهُ وَتُفْسِدُ  
قَلْبَهُ وَأَمْضَى لَهُ عُمَرُ سَلَبَهُ وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْأَحْكَامُ بِالْعِقَابِ فَمَذْهَبُهُ لِلْبَأْسِ بِالْكُلِّيَّةِ  
لأنَّ وَقْعَ الْعِقَابِ بِهِ وَلَمْ يُدَافِعْ عَنْ نَفْسِهِ بِكُسْبِهِ الْمَدْلَّةِ الَّتِي تَكْسِرُ مِنْ سُورَةِ بَأْسِهِ  
بِلاَ شَكٍّ وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْأَحْكَامُ تَأْدِيبِيَّةً وَتَعْلِيمِيَّةً وَأُخِذَتْ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا أَثَرَتْ  
فِي ذَلِكَ بَعْضَ الشَّيْءِ لِمَرْبَاهُ عَلَى الْخَافَةِ وَالِاتِّقْيَادِ فَلَا يَكُونُ مُدْلًا بِبَأْسِهِ وَلِهَذَا نَجِدُ  
الْمُتَوَحِّشِينَ مِنَ الْعَرَبِ أَهْلَ الْبَدْوِ أَشَدَّ بَأْسًا مِنْ تَأْخُذِهِ الْأَحْكَامُ وَنَجِدُ أَيْضًا الَّذِينَ  
يَعَانُونَ الْأَحْكَامَ وَمَا كَثَرَتْ مِنْ لَدُنْ مَرْبَاهُمْ فِي التَّأْدِيبِ وَالتَّعْلِيمِ فِي الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ  
وَالدِّيَّانَاتِ يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ بَأْسِهِمْ كَثِيرًا وَلَا يَكَادُونَ يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ عَادِيَةً  
بَوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ وَهَذَا شَأْنُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الْمُتَحِيلِينَ لِلْقِرَاءَةِ وَالْإِخْذِ عَنِ الْمَشَائِخِ  
وَالْأَيْمَةِ الْمُسَارِسِينَ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّأْدِيبِ فِي تَجَالِسِ الْوُقَارِ وَالْهَيْبَةِ فِيهِمْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ  
وَذَهَابُهَا بِالْمَنِعَةِ وَالْبَأْسِ وَلَا تَسْتَنْكَرُ ذَلِكَ بَمَا وَقَعَ فِي الْعَمَلِيَّةِ مِنْ أَخْذِهِمْ بِأَحْكَامِ  
الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ وَلَمْ يُنْقِصْ ذَلِكَ مِنْ بَأْسِهِمْ بَلْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ بَأْسًا لِأَنَّ الشَّارِعَ  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُ دِينَهُمْ كَانَ وَارِعِينَ فِيهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِمَا  
نَبِيَّ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَلَمْ يَكُنْ بِتَّعْلِيمِ صِنَاعِيٍّ وَلَا تَأْدِيبِ تَعْلِيمِيٍّ إِنَّمَا  
هِيَ أَحْكَامُ الدِّينِ وَآدَابُهُ الْمُتَلَقَّاةُ ثَقَلًا يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا بِمَا رَسَخَ فِيهِمْ مِنْ عَقَائِدِ  
الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ فَلَمْ تَزَلْ سُورَةُ بَأْسِهِمْ مُسْتَحْكِمَةً كَمَا كَانَتْ وَلَمْ تُخْذِشْهَا أَظْفَارُ  
التَّأْدِيبِ وَالْحُكْمِ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الشَّرْعُ لَا أَدَبَهُ اللَّهُ حِرْصًا  
عَلَى أَنْ يَكُونَ الْوَارِعُ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَيَقِينًا بِأَنَّ الشَّارِعَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ



وَلَمَّا تَنَاقَصَ الدِّينُ فِي النَّاسِ وَأُخِذُوا بِالْأَحْكَامِ الْوَازِعَةِ ثُمَّ صَارَ الشَّرْعُ عِلْمًا وَصِنَاعَةً  
يُؤْخَذُ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّأْدِيبِ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى الْحَضَارَةِ وَخُلِقَ الْإِنْتِقَادُ إِلَى الْأَحْكَامِ  
نَقَصَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْبَاسِ فِيهِمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْأَحْكَامَ السُّلْطَانِيَّةَ وَالتَّعْلِيمِيَّةَ مُفْسِدَةٌ  
لِلْبَاسِ لِأَنَّ الْوَازِعَ فِيهَا ذَاتِي وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ وَالتَّعْلِيمِيَّةُ مِمَّا  
تُؤَثِّرُ فِي أَهْلِ الْحَوَاضِرِ فِي ضَعْفِ نَفْسِهِمْ وَخَضَعِ الشُّوْكَ مِنْهُمْ بِمَعَانَاتِهِمْ فِي وَلِيدِهِمْ  
وَكُهُولِهِمْ وَالْبَدُو بِمَعَزَلٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ أَحْكَامِ السُّلْطَانِ وَالتَّعْلِيمِ  
وَالْآدَابِ وَلِهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ فِي أَحْكَامِ الْمُعَلِّمِينَ وَالْمُتَعَلِّمِينَ  
أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤَدِّبِ أَنْ يَضْرِبَ أَحَدًا مِنَ الصِّبْيَانِ فِي التَّعْلِيمِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ نَقْلَهُ  
عَنْ شُرَيْحِ الْقَاضِي وَاجْتَنَبَ لَهُ بَعْضُهُمْ بِمَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ بَدَأَ الْوَحْيِ مِنْ شَأْنِ الْغَطِّ وَأَنَّهُ  
كَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَلَا يَصْلُحُ شَأْنُ الْغَطِّ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ لِبُعْدِهِ  
عَنِ التَّعْلِيمِ الْمُتَعَارِفِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

### الفصل السابع

في ان سكنى البدو لا تكون الا للقبائل اهل العصبية

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَكَّبَ فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَهَدَيْنَاهُ  
الْجُدَيْنِ وَقَالَ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا وَالشَّرُّ أَقْرَبُ الْخِلَالِ إِلَيْهِ إِذَا أَهْمَلَ فِي مَرَعَى  
عَوَائِدِهِ وَلَمْ يَهْدِ بِهِ الْإِقْتِدَاءُ بِالْدِّينِ وَعَلَى ذَلِكَ الْجَمُّ الْغَفِيرُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَمِنْ  
أَخْلَاقِ الْبَشَرِ فِيهِمُ الظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ فَمَنْ أَمْتَدَّتْ عَيْنُهُ إِلَى مَنَاعِ  
أَخِيهِ فَقَدْ أَمْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى أَخِيهِ إِلَّا أَنْ يَصُدَّهُ وَازِعٌ كَمَا قَالَ

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّدَا عِفَّةً فَلَعَلَّةً لَا يَظْلِمُ  
فَأَمَّا الْمَدَنُ وَالْأَمْصَارُ فَعُدْوَانُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ تَدْفَعُهُ الْحُكُومُ وَالْدَّوْلَةُ بِمَا قَبَضُوا  
عَلَى أَيْدِي مَنْ تَحْتَهُمْ مِنَ الْكَافَّةِ أَنْ يَمْتَدَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَوْ يَعْدُو عَلَيْهِ فَهُمْ  
مَكْبُوحُونَ بِحِكْمَةِ الْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ عَنِ الظُّلْمِ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنَ الْحَاكِمِ بِنَفْسِهِ وَأَمَّا  
الْعُدْوَانُ الَّذِي مِنْ خَارِجِ الْمَدِينَةِ فَيَدْفَعُهُ سِيَاحُ الْأَسْوَارِ عِنْدَ الْغَفْلَةِ أَوْ الْغَرَّةِ لَيْلًا  
أَوْ الْعَجْزِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ نَهَارًا أَوْ يَدْفَعُهُ أَرْذِيَادُ الْحَامِيَةِ مِنْ أَعْوَانِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ الْأَسْتِعْدَادِ  
وَالْمَقَاوِمَةِ وَأَمَّا أَحْيَاءُ الْبَدُو فَيَزِعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ مَشَائِخُهُمْ وَكِبَرَاؤُهُمْ بِمَا وَفَّرَ فِي

نُفُوسِ الْكَافَّةِ لَيْسَ مِنَ الْوَقَارِ وَالْتَّجَلَّةِ وَأَمَّا حَالُهُمْ فَأَيْمًا يَذُودُ عَنْهَا مِنْ خَارِجِ حَامِيَةٍ  
 الْحَيِّ مِنْ أَنْجَادِهِمْ وَفِتْيَانِهِمْ الْمَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَةِ فِيهِمْ وَلَا يَصْدُقُ دِفَاعُهُمْ وَذِيَادُهُمْ  
 إِلَّا إِذَا كَانُوا عَصِيَّةً وَأَهْلَ نَسَبٍ وَاحِدٍ لَانَّهُمْ بِذَلِكَ تَشَدُّ شَوْكَتُهُمْ وَيُخْشَى جَانِبُهُمْ  
 إِذْ نُعْرَةُ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى نَسَبِهِ وَعَصِيَّتِهِ أَهْمٌ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنَ الشَّقَّةِ  
 وَالنُّعْرَةِ " عَلَى ذَوِي أَرْحَامِهِمْ وَقُرْبَاهُمْ مَوْجُودَةً فِي الطَّبَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ وَبِهَا يَكُونُ  
 التَّعَاوُدُ وَالتَّنَاصُرُ وَتَعْظُمُ رَهْبَةُ الْعَدُوِّ لَهُمْ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِيمَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ عَنْ إِخْوَةِ  
 يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالُوا لِأَيِّهِ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا الْخَاسِرُونَ  
 وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُتَوَهَّمُ الْعُدُوانُ عَلَى أَحَدٍ مَعَ وُجُودِ الْعِصْبَةِ لَهُ وَأَمَّا الْمَتَفَرِّدُونَ فِي  
 أُنْسَابِهِمْ فَقَلٌّ أَنْ تُصِيبَ أَحَدًا مِنْهُمْ نُعْرَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ فَإِذَا أَظْلَمَ الْجَوْشُ بِالشَّرِّ يَوْمَ  
 الْحَرْبِ تَسَّالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَبْغِي النِّجَاةَ لِنَفْسِهِ خِيفَةً وَأَسْتِيحَاشًا مِنَ التَّخَاذُلِ فَلَا  
 يَقْدِرُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَى سَكْنَى الْقَفَرِ لِمَا أَنَّهُمْ حِينَئِذٍ طُعْمَةٌ لِمَنْ يَلْتَهُمُهُمْ مِنَ  
 الْأَمَمِ سِوَاهُمْ وَإِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي السُّكْنَى الَّتِي تَحْتَاجُ لِلْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ فَبِمِثْلِهِ  
 يَتَّبَعُونَ لَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَحْمِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ مِنْ بُؤَةِ أَوْ إِقَامَةِ مَلِكٍ أَوْ دَعْوَةٍ إِذْ بُلُوغُ  
 الْفَرَضِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالْقِتَالِ عَلَيْهِ لِمَا فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ مِنَ الْإِسْتِعْصَاءِ وَلَا  
 بَدَّ فِي الْقِتَالِ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا فَاتَّخِذْهُ إِمَامًا تُقْتَدِي بِهِ فِيمَا نُورِدُهُ عَلَيْكَ  
 بَعْدَ وَ اللَّهِ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ

### الفصل الثامن

في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه  
 وَذَلِكَ أَنَّ صَلَةَ الرَّحِمِ طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ إِلَّا فِي الْأَقْلَرِ وَمِنْ صَاتِيهَا النُّعْرَةُ عَلَى ذَوِي  
 الْقُرْبَى وَأَهْلِ الْأَرْحَامِ أَنَّ يَنَالَهُمْ ضِمٌّ أَوْ تُصِيبُهُمْ هَلَكَةٌ فَإِنَّ الْقَرِيبَ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ  
 غَضَاضَةً مِنْ ظِلْمِ قَرِيبِهِ أَوْ الْعَدَاءِ عَلَيْهِ وَيَوَدُّ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَصِلُهُ مِنَ الْمَعَاطِبِ  
 وَالْمَهَالِكِ نَزْعٌ طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ مَذْكَانًا فَإِذَا كَانَ النَّسَبُ الْمُتَوَاصِلُ بَيْنَ الْمُتَنَاصِرِينَ  
 قَرِيبًا جِدًّا بَحِثُ حَصَلَ بِهِ الْإِتِّحَادُ وَالْإِلْتِحَامُ كَانَتْ الْوَصْلَةُ ظَاهِرَةً فَاسْتَدْعَتْ ذَلِكَ  
 بِمَجْرَدِهَا وَوُضُوحِهَا وَإِذَا بَعُدَ النَّسَبُ بَعْضُ الشَّيْءِ فَرُبَّمَا تُنَوِّسِي بَعْضُهَا وَيَبْقَى مِنْهَا شُهُرَةٌ

(١) النعرة والنعار بالضم فيها والنعير الصراخ والصباح في حرب او شركا في الغاموس



فَتَحْمِلُ عَلَى الثُّغْرَةِ لِدَوِي نَسَبِهِ بِالْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْهُ فِرَارًا مِنَ الْغَضَاظَةِ الَّتِي يَتَوَهَّمُ فِي  
نَفْسِهِ مِنْ ظُلْمٍ مَنْ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْوَلَاءُ وَالْحِلْفُ إِذْ نُعْرَةُ كُلِّ  
أَحَدٍ عَلَى أَهْلِ وَلَائِهِ وَحِلْفِهِ لِلْأَلْفَةِ الَّتِي تَلْحُقُ النَّفْسَ مِنْ اهْتِضَامٍ جَارِهَا أَوْ قَرِيبَهَا أَوْ  
نَسَبِهَا بِوَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ النَّسَبِ وَذَلِكَ لِأَجْلِ اللَّحْمَةِ الْخَاصِلَةِ مِنَ الْوَلَاءِ مِثْلَ لُحْمَةِ النَّسَبِ  
أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا وَمِنْ هَذَا تَقَرُّهُمْ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا  
تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِنَّمَا فَائِدَتُهُ هَذَا الْإِلْتِحَامُ الَّذِي يُوجِبُ صَلَةَ  
الْأَرْحَامِ حَتَّى تَقَعَ الْمُنَاصَرَةُ وَالنُّعْرَةُ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مُسْتَعْنَى عَنْهُ إِذِ النَّسَبُ أَمْرٌ وَهَمِيٌّ  
لَا حَقِيقَةً لَهُ وَتَنْفَعُهُ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذِهِ الْوُصْلَةِ وَالْإِلْتِحَامِ فَإِذَا كَانَ ظَاهِرًا وَاضِحًا حَمَلَ  
النَّفْسُ عَلَى طَبِيعَتِهَا مِنَ النُّعْرَةِ كَمَا قُلْنَا وَإِذَا كَانَ إِنَّمَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْخَبَرِ الْبَعِيدِ ضَعُفَتْ  
فِيهِ الْوَهْمُ وَذَهَبَتْ فَائِدَتُهُ وَصَارَ الشُّغْلُ بِهِ مَجَانًا وَمِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ الْمُنْهِي عَنْهُ وَمِنْ  
هَذَا الْإِعْتِبَارِ مَعْنَى قَوْلِهِمُ النَّسَبُ عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ وَجْهَالَةٌ لَا تُضِرُّ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِذَا  
خَرَجَ عَنِ الْوُضُوحِ وَصَارَ مِنْ قِبَلِ الْعُلُومِ ذَهَبَتْ فَائِدَةُ الْوَهْمِ فِيهِ عَنِ النَّفْسِ وَانْتَفَتْ  
النُّعْرَةُ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَيْهَا الْعَصَبِيَّةُ فَلَا مَنْفَعَةَ فِيهِ حِينَئِذٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل التاسع

في ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب  
ومن في معنهم

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اخْتَصَوْا بِهِ مِنْ نَكْدِ الْعَيْشِ وَشَطَفَ الْأَحْوَالِ وَسُوءِ الْمَوَاطِنِ حَمَلَتُهُمْ  
عَلَيْهَا الْفَرُورَةُ الَّتِي عَيَّنَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْقِسْمَةَ وَهِيَ لَمَّا كَانَ مَعَاشُهُمْ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْإِبِلِ  
وَنِتَاجِهَا وَرِعَايَتِهَا وَالْإِبِلُ تَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوَحُّشِ فِي الْقَفْرِ لِرَعِيَّتِهَا مِنْ شَجَرِهِ وَنِتَاجِهَا فِي  
رَمَالِهِ كَمَا تَقْدَمُ وَالْقَفْرُ مَكَانُ الشَّطَفِ وَالسَّغْبِ فَصَارَ لَهُمُ الْفَأُّ وَعَادَةً وَرَبِيتَ فِيهِ  
أَجْيَالُهُمْ حَتَّى تَمَكَّنَتْ خُلُقًا وَجَبِلَةً فَلَا يَنْزِعُ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ أَنَّ يَسْأَلُهُمْ فِي  
حَالِهِمْ وَلَا يَأْتِسُ بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْيَالِ بَلْ لَوْ وَجَدَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ السَّبِيلَ إِلَى الْفِرَارِ مِنْ  
حَالِهِ وَأَمْكَنَهُ ذَلِكَ لَمَّا تَرَكَهُ فَيُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ مِنْ اخْتِلَاطِ أَنْسَابِهِمْ وَفَسَادِهَا  
وَلَا تَزَالُ بَيْنَهُمْ مُحْفُوظَةٌ صَرِيحَةٌ وَاعْتَبَرُ ذَلِكَ فِي مُضَرٍّ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ وَثَقِيفٍ وَبَنِي  
أَسَدٍ وَهَذِيلٍ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ مِنْ خُزَاعَةَ لَمَّا كَانُوا أَهْلَ شَطَفٍ وَمَوَاطِنَ غَيْرِ ذَاتِ زَرْعٍ

وَلَا ضَرْعٍ وَبَعْدُوا مِنْ أَرْيَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَعَادِنِ الْأَدَمِ وَالْحُبُوبِ كَيْفَ كَانَتْ  
 أَنْسَابُهُمْ صَرِيحَةً مَحْفُوظَةً لَمْ يَدْخُلْهَا اخْتِلَاطٌ وَلَا عُرِفَ فِيهَا شَوْبٌ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ  
 كَانُوا بِالْتُّلُولِ وَفِي مَعَادِنِ الْخَضْبِ الْمَرَاعِي وَالْعَيْشِ مِنْ حَمِيرٍ وَكَهْلَانٍ مِثْلَ لَحْمٍ وَجُدَامٍ  
 وَغَسَّانٍ وَطَيٍّ وَفَضَاعَةٍ وَإِيَادٍ فَاخْتَلَطَتْ أَنْسَابُهُمْ وَتَدَاخَلَتْ شُعُوبُهُمْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ  
 يَوْمِهِمْ مِنْ اخْتِلَافٍ عِنْدَ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ وَإِنَّمَا جَاءَهُمْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْعَجَمِ وَمُخَالَطَتِهِمْ  
 وَهُمْ لَا يَعْتَبِرُونَ الْحَفَظَةَ عَلَى النَّسَبِ فِي يَوْمِهِمْ وَشُعُوبِهِمْ وَإِنَّمَا هَذَا لِلْعَرَبِ فَقَطْ .  
 قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ تَعَلَّمُوا النَّسَبَ وَلَا تَكُونُوا كَنَبِطِ السَّوَادِ إِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ  
 عَنْ أَصْلِهِ قَالَ مِنْ قَرْيَةٍ كَذَا هَذَا أَيْ مَا لَحِقَ هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ أَهْلَ الْأَرْيَافِ مِنَ الْأَزْدِ حَامٍ  
 مَعَ النَّاسِ عَلَى الْبَلَدِ الطَّيِّبِ وَالْمَرَاعِي الْخَضِيبَةِ فَكَثُرَ الْإِخْتِلَاطُ وَتَدَاخَلَتْ الْأَنْسَابُ  
 وَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ الْإِتِمَاءُ إِلَى الْمَوَاطِنِ فَيُقَالُ جُنْدٌ قِنْسَرِينَ جُنْدٌ  
 دَمَشْقَ جُنْدٌ الْعَوَاضِمِ وَانْتَقَلَ ذَلِكَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُنْ لِأَطْرَاحِ الْعَرَبِ أَمْرٌ النَّسَبِ  
 وَإِنَّمَا كَانَ لِاخْتِصَامِهِمْ بِالْمَوَاطِنِ بَعْدَ الْفَتْحِ حَتَّى عُرِفُوا بِهَا وَصَارَتْ لَهُمْ عَلَامَةٌ  
 زَائِدَةٌ عَلَى النَّسَبِ يَتَمَيِّزُونَ بِهَا عِنْدَ أَمْرَائِهِمْ ثُمَّ وَقَعَ الْإِخْتِلَاطُ فِي الْحَوَاضِرِ مَعَ الْعَجَمِ  
 وَغَيْرِهِمْ وَفَسَدَتْ الْأَنْسَابُ بِالْجُمْلَةِ وَفُقِدَتْ ثَمَرَتُهَا مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَأُطْرِحَتْ ثُمَّ ثَلَاثَتِ  
 الْقَبَائِلُ وَدَثِرَتْ فَدَثِرَتْ الْعَصَبِيَّةُ بِدَثُورِهَا وَبَقِيَ ذَلِكَ فِي الْبَدْوِ كَمَا كَانَ وَاللَّهُ وَارِثُ  
 الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل العاشر

في اختلاط الانساب كيف يقع

اعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ بَعْضًا مِنْ أَهْلِ الْأَنْسَابِ يَسْقُطُ إِلَى أَهْلِ نَسَبٍ آخَرَ بِقَرَابَةٍ  
 إِلَيْهِمْ أَوْ حَافٍ أَوْ وَلَاءٍ أَوْ لِفِرَارٍ مِنْ قَوْمِهِ بِجِنَايَةٍ أَصَابَهَا فَيَدْعِي بِنَسَبِ هَؤُلَاءِ وَيَعُدُّ  
 مِنْهُمْ فِي ثَمَرَاتِهِ مِنَ الثَّعْرَةِ وَالْقَوْدِ وَحَمْلِ الدِّيَاتِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِذَا وَجِدَتْ ثَمَرَاتُ  
 النَّسَبِ فَكَأَنَّهُ وَجِدَ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِكُونِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا جَرِيَانُ أَحْكَامِهِمْ  
 وَأَحْوَالِهِمْ عَلَيْهِ وَكَأَنَّهُ التَّحَمُّ بِهِمْ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَتَنَاسَى النَّسَبَ الْأَوَّلَ بِطُولِ الزَّمَانِ وَيَذْهَبُ  
 أَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ فَيَخْفَى عَلَى أَكْثَرِ وَمَا زَالَتْ الْأَنْسَابُ تَسْقُطُ مِنْ شَعْبٍ إِلَى شَعْبٍ وَيَتَنَجَّمُ  
 قَوْمٌ بِآخَرِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ وَالْعَجَمِ . وَانْظُرْ خِلَافَ النَّاسِ فِي نَسَبِ



آل المُنْذِرِ وَغَيْرِهِمْ يَتَبَيَّنُ لَكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْهُ شَأْنُ بَيْعِلَةَ فِي عَرْجَةِ بْنِ هَرَثَمَةَ لَمَّا  
وَلَاهُ عُمَرُ عَلَيْهِمُ فَسَأَلُوهُ الْإِعْفَاءَ مِنْهُ وَقَالُوا هُوَ فِينَا لَزِيْقٌ أَيْ دَخِيلٌ وَلَصِيْقٌ وَطَلَبُوا  
أَنْ يُؤَلَّى عَلَيْهِمْ جَرِيرًا فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ عَرْجَةُ صَدَقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا  
رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ أَصَبْتُ دَمًا فِي قَوْمِي وَلَحَقْتُ بِهِمْ وَأَنْظَرْتُ مِنْهُ كَيْفَ اخْتَلَطَ عَرْجَةُ بِبَيْعِلَةَ  
وَلَيْسَ جِلْدَتُهُمْ وَدُعَايُ بَنَسَبِهِمْ حَتَّى تَرُشَّحَ لِلرَّئَاسَةِ عَلَيْهِمْ لَوْلَا عِلْمُ بَعْضِهِمْ بِوَشَائِحِهِ  
وَلَوْ غَفَلُوا عَنْ ذَلِكَ وَآمَدَ الزَّمَنُ لِتَنُومِي بِالْجُمْلَةِ وَعَدَّ مِنْهُمْ بِكُلِّ وَجْهِ وَمَذْهَبٍ فَافْهَمَهُ  
وَأَعْتَبَرَ سِرَّ اللَّهِ فِي خَلِيقَتِهِ وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْعُهُودِ وَاللَّهُ  
الْمُوفِيُّ لِلصَّوَابِ بِمَنْهِ وَفَضْلُهُ وَكَرَمُهُ

### (١) الفصل الحادي عشر

في ان الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من اهل العصبية

إِعْلَمْ أَنَّ كُلَّ حَيٍّ أَوْ بَطْنٍ مِنَ الْقَبَائِلِ وَإِنْ كَانُوا عَصَابَةً وَاحِدَةً لِنَسَبِهِمُ الْعَامِّ  
فَقِيهِمْ أَيْضًا عَصَبِيَّاتٌ أُخْرَى لِلْأَنْسَابِ خَاصَّةٌ هِيَ أَشَدُّ اتِّحَامًا مِنَ النَّسَبِ الْعَامِّ لَهُمْ مِثْلُ  
عَشِيرَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ أَهْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ أَوْ إِخْوَةٍ بَنِي أَبٍ وَاحِدٍ لَا مِثْلَ بَنِي الْعَمِّ الْأَقْرَبِينَ أَوْ  
الْأَبْعَدِينَ فَهَؤُلَاءِ أَقْعَدُ بِنَسَبِهِمُ الْمَخْصُوصِ وَيُشَارُ كُونَ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَصَائِبِ فِي  
النَّسَبِ الْعَامِّ وَالنُّعْرَةِ تُقَعُّ مِنْ أَهْلِ نَسَبِهِمُ الْمَخْصُوصِ وَمِنْ أَهْلِ النَّسَبِ الْعَامِّ إِلَّا أَنَّهَا  
فِي النَّسَبِ الْخَاصِّ أَشَدُّ اقْتِرَابَ اللَّحْمَةِ وَالرَّئَاسَةِ فِيهِمْ إِنَّمَا تَكُونُ فِي نِصَابٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
وَلَا تَكُونُ فِي الْكُلِّ وَلَمَّا كَانَتْ الرَّئَاسَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْغَلْبِ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ عَصَبِيَّةً  
ذَلِكَ النَّصَابُ أَقْوَى مِنْ سَائِرِ الْعَصَائِبِ لِيَقَعَ الْغَلْبُ بِهَا وَلَيْتِمُ الرَّئَاسَةُ لِأَهْلِهَا فَإِذَا وَجَبَ  
ذَلِكَ تَعَيَّنَ أَنَّ الرَّئَاسَةَ عَلَيْهِمْ لَا تَزَالُ فِي ذَلِكَ النَّصَابِ الْمَخْصُوصِ بِأَهْلِ الْغَلْبِ  
عَلَيْهِمْ إِذْ لَوْ خَرَجَتْ عَنْهُمْ وَصَارَتْ فِي الْعَصَائِبِ الْأُخْرَى النَّازِلَةِ عَنْ عَصَابَتِهِمْ فِي  
الْغَلْبِ لَمَّا تَمَّتْ لَهُمُ الرَّئَاسَةُ فَلَا تَزَالُ فِي ذَلِكَ النَّصَابِ مُتَنَاقِلَةً مِنْ فَرْعٍ مِنْهُمْ إِلَى  
فَرْعٍ وَلَا تَنْتَقِلُ إِلَّا إِلَى الْأَقْوَى مِنْ فُرُوعِهِ لِمَا قُلْنَاهُ مِنْ سِرِّ الْغَلْبِ لِأَنَّ الْإِجْتِمَاعَ  
وَالْعَصَبِيَّةَ بِمِثَابَةِ الْمِزَاجِ لِلْمُتَكَوِّنِ وَالْمِزَاجُ فِي الْمُتَكَوِّنِ لَا يَصْلُحُ إِذَا تَكَافَأَتْ

(١) هذا الفصل ساقط من النسخ الفارسية وموجود في النسخة الفرنسية وإثباته أولى ليطابق كلامه

اول الفصل ١٢ اه قاله نصر الموريني

الْعَاصِرُ فَلَا بُدَّ مِنْ غَلْبَةِ أَحَدِهَا وَإِلَّا لَمْ يَتِمَّ التَّكْوِينُ فَهَذَا هُوَ سِرُّ اشْتِرَاطِ الْغَلْبِ فِي الْعَصِيَّةِ وَمِنْهُ تَعَيَّنَ اسْتِمْرَارُ الرِّئَاسَةِ فِي النِّصَابِ الْخُصُوصِ بِهَا كَمَا قَرَّرْنَاهُ

### الفصل الثاني عشر

في ان الرئاسة على اهل العصبة لا تكون في غير نسبهم  
وذلك ان الرئاسة لا تكون الا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبة كما قدمناه  
فلا بد في الرئاسة على القوم ان تكون من عصبة غالبية لعصباتهم واحدة واحدة  
لان كل عصبة منهم اذا احست بغلب عصبة الرئيس لهم اقرؤا بالاذعان والاتباع  
والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون له عصبة فيهم بالنسب إنما هو ملصق لزيق  
وغاية التعصب له بالولاء والخلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة واذا فرضنا انه  
قد التحم بهم واختلط وتوحي عهده الاول من الالتصاق وليس جلدتهم ودعي  
بنسبهم فكيف له الرئاسة قبل هذا الالتحام او لاحد من سلفه والرئاسة على القوم  
إنما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب بالعصبة فالأولية التي كانت لهذا  
الملصق قد عرفت فيها التصافه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرئاسة حينئذ  
فكيف تنوالت عنه وهو على حال الالتصاق والرئاسة لا بد وان تكون موروثة عن  
مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبة وقد يتشوف كثير من الرؤساء على القبائل  
والعصائب الى انساب يلجئون بها إما لخصوصية فضيلة كانت في اهل ذلك النسب من  
شجاعة او كرم او ذكر كيف اتفق فيزععون الى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في  
شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من القدح في رئاستهم والطعن في شرفهم  
وهذا كثير في الناس لهذا العهد فمن ذلك ما يدعيه زناته جملة انهم من العرب ومنه  
ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بني عامر احد شعوب رغبة انهم من  
بني سليم ثم من الشريد منهم لحق جدتهم ببني عامر نجارا يصنع الحرجان<sup>(١)</sup> واختلط  
بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازي ومن ذلك ادعاء بني عبد  
القوي بن العباس بن توجين انهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة في هذا  
النسب الشريف وغلطا باسم العباس بن عطية أبي عبد القوي ولم يعلم دخول احد

(١) قوله الحرجان بكسر الحاء جمع حرج بفتحين نعت المولى اه



مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ إِلَى الْمَغْرِبِ لِأَنَّهُ كَانَ مُنْذُ أَوَّلِ دَوْلَتِهِمْ عَلَى دَعْوَةِ الْعَلَوِيِّينَ أَعْدَائِهِمْ  
 مِنَ الْأَدَارِسَةِ وَالْعَبِيدِيِّينَ فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ سِبْطِ الْعَبَّاسِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَةِ الْعَلَوِيِّينَ . وَكَذَلِكَ  
 مَا يَدَّعِيهِ أَبْنَاءُ زِيَّانَ مُلُوكُ تَلَمَّسَانَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْوَاحِدِ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْقَاسِمِ بْنِ  
 أَدْرِيسَ ذَهَابًا إِلَى مَا أَشْتَهَرُ فِي نَسَبِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْقَاسِمِ فَيَقُولُونَ بِلِسَانِهِمُ الزَّنَائِي  
 أَنْتَ الْقَاسِمُ أَيُّ بَنُو الْقَاسِمِ ثُمَّ يَدَّعُونَ أَنَّ الْقَاسِمَ هَذَا هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ أَدْرِيسَ أَوْ الْقَاسِمُ  
 بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَدْرِيسَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا فَغَايَةُ الْقَاسِمِ هَذَا أَنَّهُ فَرَّ مِنْ مَكَانِ  
 سُلْطَانِهِ مُسْتَجِيرًا بِهِمْ فَكَيْفَ تَمَّ لَهُ أَلْ رَّئَاسَةُ عَلَيْهِمْ فِي بَادِيَتِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ غَلَطٌ مِنْ قِبَلِ  
 اسْمِ الْقَاسِمِ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْوُجُودِ فِي الْأَدَارِسَةِ فَتَوَهَّمُوا أَنَّ قَاسِمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ وَهُمْ  
 غَيْرُ مُتَحَاجِينَ لِذَلِكَ فَإِنَّ مَنَالَهُمْ لِلْمَلِكِ وَالْعِزَّةُ إِنَّمَا كَانَ بِعَصَبِيَّتِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ يَأْدَعَاءُ  
 عَلَوِيَّةٍ وَلَا عَبَّاسِيَّةٍ وَلَا شَيْءٍ مِنَ الْأَنْسَابِ وَإِنَّمَا يَحْمِلُ عَلَى هَذَا الْمُتَقَرِّبُونَ إِلَى الْمُلُوكِ  
 بِمَنَازِعِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَيَشْتَهَرُ حَتَّى يَبْعُدَ عَنِ الرَّدِّ وَلَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ يَغْمُرَاسِنَ بْنِ زِيَّانَ  
 مُؤَثَّلِ سُلْطَانِهِمْ أَنَّهُ لَمَّا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ أَنْكَرَهُ وَقَالَ بَلَغَنِي الزَّنَائِيَّةُ مَا مَعْنَاهُ أَمَا الدُّنْيَا  
 وَالْمَلِكُ فَلِنَا هُمَا بِسُيُوفِنَا لَا بِهِذَا النَّسَبِ وَأَمَّا تَفَعُّهُمَا فِي الْآخِرَةِ فَمَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ  
 وَأَعْرَضَ عَنِ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا يَدَّعِيهِ بَنُو سَعْدِ شَيْخُ بَنِي يَزِيدَ  
 مِنْ زُرْعَةِ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَنُو سَلَامَةَ شَيْخُ بَنِي يَدَلَّتَنَ  
 مِنْ تَوْجِينَ أَنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمٍ وَالزَّوَادَةُ شَيْخُ رِيَّاحٍ أَنَّهُمْ مِنْ أَعْقَابِ الْبَرَامِكَةِ وَكَذَا  
 بَنُو مَهْنَا أَمْرَاءُ طَبِيعٍ بِالْمَشْرِقِ يَدَّعُونَ فِيمَا بَلَغَنَا أَنَّهُمْ مِنْ أَعْقَابِهِمْ وَآمِثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ  
 وَرِئَاسَتُهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مَانِعَةٌ مِنْ آدَعَاءِ هَذِهِ الْأَنْسَابِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ بَلْ تُعَيَّنُ أَنْ يَكُونُوا  
 مِنْ صَرِيحِ ذَلِكَ النَّسَبِ وَأَقْوَى عَصَبِيَّاتِهِ فَاعْتَبَرَهُ وَاجْتَنَبَ الْمَغَالِطَ فِيهِ وَلَا تَجْعَلْ مِنْ  
 هَذَا الْبَابِ إِلَّا حَاقَ مَهْدِيٍّ الْمَوْحِدِينَ بِنَسَبِ الْعَلَوِيَّةِ فَإِنَّ الْمَهْدِيَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَنَبِتِ  
 أَلْ رَّئَاسَةِ فِي هَرِثْمَةِ قَوْمِهِ وَإِنَّمَا رَأَسَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ اِشْتِهَارِهِ بِالْعِلْمِ وَالْدِّينِ وَدُخُولِ  
 قِبَائِلِ الْمَصَامِدَةِ فِي دَعْوَتِهِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْمَنَابِتِ الْمُتَوَسِّطَةِ فِيهِمْ وَاللَّهُ  
 عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

## الفصل الثالث عشر

في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبية

ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وذلك ان الشرف والحسب إنما هو بالخلال ومعنى البيت ان يعد الرجل في آباءه  
أشرفاً من كورين يكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم بجملة في أهل جلدته لهما  
وقر في نفوسهم من جملة سلفه وشرفهم بخلالهم والناس في نسابهم وتناسلهم معادن  
قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا  
فقهوا فمعنى الحسب راجع إلى الأنساب وقد بينا أن ثمرة الأنساب وفائدتها إنما هي  
العصبية للثمرة والتناصر فحيث تكون العصبية مرهوبة والمنبت فيها زكي محمي  
تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى وتعيد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها  
فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصبية لوجود ثمرة النسب وتفاوت البيوت  
في هذا الشرف بتفاوت العصبية لأنه سرها ولا يكون للمنفردين من أهل الأمصار  
بيت إلا بالمجاز وإن توهموه فزخرف من الدعاوى وإذا اعتبرت الحسب في أهل  
الأمصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعد سلفاً في خلال الخير ومخالطة أهله مع  
الركون إلى العافية ما استطاع وهذا مغاير لسر العصبية التي هي ثمرة النسب وتعيد  
الآباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز لعلاقة ما فيه من تعديد الآباء  
المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسباً بالحقيقة وعلى الإطلاق  
وإن ثبت أنه حقيقة فيهما بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في  
بعض مواضعه أولى وقد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والخلال ثم ينسبون منه  
لدهابها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالغمار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب  
يعدون به أنفسهم من أشراف البيوت أهل العصائب وليسوا منها في شيء لدهاب  
العصبية جملة وكثير من أهل الأمصار الناشئين في بيوت العرب أو العجم لأول  
عهدهم مؤسسون بذلك وأكثر ما رشح الوسواس في ذلك لبني إسرائيل فإنه كان  
أهم بيت من أعظم بيوت العالم بالمنبت أولاً لما تعدد في سلفهم من الأنبياء والرسل  
من لدن إبراهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملتهم وشريعته ثم بالعصبية ثانياً وما



أَتَاهُمُ اللَّهُ بِهَا مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ ثُمَّ انْتَحُوا مِنْ ذَلِكَ أَجْمَعَ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ  
الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ فِي الْأَرْضِ وَانْقَرَدُوا بِالْأَسْتِعْبَادِ لِلْكَفَرِ  
الْآفَا مِنَ السِّنِينَ وَمَا زَالَ هَذَا التَّوَسُّوسُ مُصَاحِبًا لَهُمْ فَتَجِدُهُمْ يَقُولُونَ هَذَا هَارُونِي هَذَا  
مِنْ نَسْلِ يُوْشَعَ هَذَا مِنْ عَقِبِ كَالِبِ هَذَا مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا مَعَ ذَهَابِ الْعَصِيَّةِ وَرُسُوحِ الدَّلِّ  
فِيهِمْ مِنْذُ أَحْقَابِ مُتَطَاوِلَةٍ وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَغَيْرِهِمُ الْمُنْقَطِعِينَ فِي أَنْسَابِهِمْ  
عَنِ الْعَصِيَّةِ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْمَذْيَانِ . وَقَدْ غَلَطَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ فِي هَذَا لَمَّا ذَكَرَ  
الْحَسَبَ فِي كِتَابِ الْخُطَابَةِ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَالْحَسَبُ هُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ  
قَوْمٍ قَدِيمٍ نَزَلَهُمْ بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَنْفَعُهُ  
قَدَمُ نَزْلِهِمْ بِالْمَدِينَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ عِصَابَةٌ يُرْهَبُ بِهَا جَانِبُهُ وَتَحْمِلُ غَيْرُهُمْ عَلَى الْقَبُولِ  
مِنْهُ فَكَأَنَّهُ أَطْلَقَ الْحَسَبَ عَلَى تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ فَقَطَّ مَعَ أَنَّ الْخُطَابَةَ إِنَّمَا هِيَ اسْتِمَالَةٌ مِنْ  
بُؤْرٍ اسْتِمَالَتُهُ وَهُمْ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَأَمَّا مَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ الْبَتَّةَ فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ وَلَا  
يَقْدَرُ عَلَى اسْتِمَالَةِ أَحَدٍ وَلَا يُسْتِمَالُ هُوَ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ مِنَ الْحَضَرِ بِهِذِهِ الْمَثَابَةِ إِلَّا  
أَنَّ ابْنَ رُشْدٍ رَبَا فِي جَبَلٍ وَبَلَدٍ وَلَمْ يُمَارِسُوا الْعَصِيَّةَ وَلَا أَنْسُوا أَحْوَالَهَا فَبَقِيَ فِي أَمْرِ  
الْبَيْتِ وَالْحَسَبِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْ تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يَرَأِ فِيهِ  
حَقِيقَةَ الْعَصِيَّةِ وَسِرِّهَا فِي الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

### الفصل الرابع عشر

في أن البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع إنما هو بمواليهم لا بأنسابهم  
وذلك أَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الشَّرْفَ بِالْأَصَالَةِ وَالْحَقِيقَةَ إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ فَإِذَا أُصْطَنَعَ  
أَهْلُ الْعَصِيَّةِ قَوْمًا مِنْ غَيْرِ نَسَبِهِمْ أَوْ اسْتَرْقُوا الْعِبْدَانِ وَالْمَوَالِي وَالتَّحَمُّوا بِهِ كَمَا قُلْنَاهُ  
ضَرَبَ مَعَهُمْ أَوْلِيَّكَ الْمَوَالِي وَالْمُصْطَنَعُونَ بِنَسَبِهِمْ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَلَبَسُوا جِلْدَتَهَا  
كَأَنَّهَُا عَصَبَتُهُمْ وَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْإِتِّظَامِ فِي الْعَصِيَّةِ مُسَاهَمَةٌ فِي نَسَبِهَا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَمَوَالٍ كَانَ مَوْلَى رِقٍّ أَوْ مَوْلَى أُصْطِنَاعٍ وَحَلَفَ  
وَلَيْسَ نَسَبٌ وَلَادَتِهِ يَنْفَعُ لَهُ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ إِذْ هِيَ مُبَايَنَةٌ لِذَلِكَ النَّسَبِ وَعَصِيَّةٌ ذَلِكَ  
النَّسَبِ مَفْقُودَةٌ لِذَهَابِ سِرِّهَا عِنْدَ اتِّحَامِهِ بِهَذَا النَّسَبِ الْآخِرِ وَفُقْدَانِهِ أَهْلَ عَصِيَّتِهَا  
فَيَصِيرُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَيَنْدَرِجُ فِيهِمْ فَإِذَا تَعَدَّتْ لَهُ الْأَبَاءُ فِي هَذِهِ الْعَصِيَّةِ كَانَ لَهُ يَنْسَبُ

شَرَفٌ وَبَيْتٌ عَلَى نَسَبِهِ فِي وَلَائِهِمْ وَأَصْطِنَاعِهِمْ لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى شَرَفِهِمْ بَلْ يَكُونُ  
 أَدُونَهُ مِنْهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَهَذَا شَأْنُ الْمَوَالِي فِي الدَّوَلِ وَالْخِدْمَةِ كُلِّهِمْ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا  
 يَشْرَفُونَ بِالرُّسُوخِ فِي وِلَايَةِ الدَّوَلَةِ وَخِدْمَتِهَا وَتَعَدُّ الْأَبَاءَ فِي وَلَايَتِهَا أَلَا تَرَى إِلَى مَوَالِي  
 الْأَثَرَاكِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ قَبْلِهِمْ وَبَنِي نُوبَخْتٍ كَيْفَ أَدْرَكُوا  
 الْبَيْتَ وَالشَّرَفَ وَبَنُوا الْمَجْدَ وَالْأَصَالَ بِالرُّسُوخِ فِي وِلَايَةِ الدَّوَلَةِ فَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى  
 بْنُ خَالِدٍ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ بَيْتًا وَشَرَفًا بِالْإِتِّسَابِ إِلَى وِلَايَةِ الرَّشِيدِ وَقَوْمِهِ لَا بِالْإِتِّسَابِ  
 فِي الْفُرْسِ وَكَذَا مَوَالِي كُلِّ دَوْلَةٍ وَخِدْمَتِهَا إِنَّمَا يَكُونُ لَهُمُ الْبَيْتُ وَالْحَسَبُ بِالرُّسُوخِ  
 فِي وِلَايَتِهَا وَالْأَصَالَ فِي أَصْطِنَاعِهَا وَيَضْمَحِلُّ نَسَبُهُ الْأَقْدَمُ مِنْ غَيْرِ نَسَبِهَا وَيَبْقَى مُغْنَى لَا  
 عِبْرَةَ بِهِ فِي أَصَالَتِهِ وَمَجْدِهِ وَإِنَّمَا الْمُعْتَبَرُ نَسَبُهُ وَلَايَتُهُ وَأَصْطِنَاعُهُ إِذْ فِيهِ سِرُّ الْعَصَبِيَّةِ  
 الَّتِي بِهَا الْبَيْتُ وَالشَّرَفُ فَكَانَ شَرَفُهُ مُشْتَقًّا مِنْ شَرَفِ مَوَالِيهِ وَبِنَاؤُهُ مِنْ بِنَائِهِمْ فَلَمْ  
 يَنْفَعَهُ نَسَبُ وَلَادَتِهِ وَإِنَّمَا بَنَى مَجْدَهُ نَسَبُ الْوِلَايَةِ فِي الدَّوَلَةِ وَلُحْمَةُ الْأَصْطِنَاعِ فِيهَا  
 وَالْزِّيَّةُ وَقَدْ يَكُونُ نَسَبُهُ الْأَوَّلُ فِي لُحْمَةِ عَصَبِيَّتِهِ وَدَوْلَتِهِ فَإِذَا ذَهَبَتْ وَصَارَ وَلَاؤُهُ  
 وَأَصْطِنَاعُهُ فِي أُخْرَى لَمْ تَنْفَعَهُ الْأَوَّلَى لِذَهَابِ عَصَبِيَّتِهَا وَانْتَفَعَ بِالثَّانِيَةِ لَوْجُودِهَا وَهَذَا  
 حَالُ بَنِي بَرْمَكٍ إِذَا الْمَنْقُولُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْفُرْسِ مِنْ سِدَنَةِ بُيُوتِ النَّارِ عِنْدَهُمْ  
 وَلَمَّا صَارُوا إِلَى وِلَايَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ لَمْ يَكُنْ بِالْأَوَّلِ أَعْتِبَارًا وَإِنَّمَا كَانَ شَرَفُهُمْ مِنْ حَيْثُ  
 وَلَايَتُهُمْ فِي الدَّوَلَةِ وَأَصْطِنَاعُهُمْ وَمَا سِوَى هَذَا فَوَقَّهْمُ تَوَسُّوسُ بِهِ النَّفُوسُ الْجَانِحَةُ وَلَا  
 حَقِيقَةُ لَهُ وَالْوُجُودُ شَاهِدٌ بِمَا قُلْنَا وَإِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

### الفصل الخامس عشر

في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة ابناء

اعلم ان العالم العنصري بما فيه كائن فاسد لا من ذواته ولا من احواله  
 فالممكنات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات الا انسان وغيره كائنه فاسدة  
 بالمعينة وكذلك ما يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ ثم  
 تدرس وكذا الصنائع وامثالها والحسب من العوارض التي تعرض للادميين فهو كائن  
 فاسد لا محالة وايس يوجد لاحد من اهل الخليقة شرف متصل في آبائه من لدن ادم  
 اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحيطة على السرف فيه





فِي الْأَنْسَابِ وَالْحَسَبِ . وَفِي كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَزِيفِ الْغَوَانِي أَنَّ كِسْرَى قَالَ  
لِلنُّعْمَانِ هَلْ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ تَتَشَرَّفُ عَلَى قَبِيلَةٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ بِأَيِّ شَيْءٍ قَالَ مَنْ كَانَ لَهُ  
ثَلَاثَةُ آبَاءٍ مُتَوَالِيَةٍ رُؤْسَاءُ ثُمَّ اتَّصَلَ ذَلِكَ بِكَمَالِ الرَّابِعِ فَأَلْبَيْتُ مِنْ قَبِيلَتِهِ وَطَلَبَ ذَلِكَ  
فَلَمْ يَجِدْهُ إِلَّا فِي آلِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ وَهُمْ بَيْتُ قَيْسٍ وَآلِ ذِي الْجَدَيْنِ بَيْتُ  
شَيْبَانَ وَآلِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مِنْ كِنْدَةَ وَآلِ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ وَآلِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ  
الْمَنْقَرِيِّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَجَمَعَ هَؤُلَاءِ الرِّهْطَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَأَقْعَدَ لَهُمُ  
الْحُكَّامَ وَالْعُدُولَ فَقَامَ حَذِيفَةُ بْنُ بَدْرِ ثُمَّ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ لِقِرَابَتِهِ مِنَ النُّعْمَانِ ثُمَّ  
بِسْطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَيْبَانَ ثُمَّ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ثُمَّ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَخَطَبُوا وَنَثَرُوا فَقَالَ  
كِسْرَى كُلُّهُمْ سَيِّدٌ يَصْلُحُ لِمَوْضِعِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْبُيُوتَاتُ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْعَرَبِ  
بَعْدَ بَنِي هَاشِمٍ وَمَعَهُمْ بَيْتُ بَنِي الدُّيَّانِ مِنْ بَنِي الْحَرِثِ بْنِ كَعْبٍ الْيَمَنِيِّ وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ  
عَلَى أَنَّ الْأَرْبَعَةَ الْآبَاءَ نِهَايَةً فِي الْحَسَبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل السادس عشر

في ان الام الوحشية افدر على التغلب ممن سواها

إِعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْبِدَاوَةُ سَبِيًّا فِي الشَّجَاعَةِ كَمَا قُلْنَا فِي الْمُقَدِّمَةِ الثَّلَاثَةِ لَا  
جَرَمَ كَانَ هَذَا الْجِيلُ الْوَحْشِيُّ أَشَدَّ شَجَاعَةً مِنَ الْجِيلِ الْآخِرِ فَهُمْ أَقْدَرُ عَلَى التَّغْلِبِ  
وَأَنْتِزَاعِ مَا فِي أَيْدِي سِوَاهُمْ مِنَ الْأُمَمِ بَلِ الْجِيلُ الْوَاحِدُ يُخْتَلِفُ أَحْوَالُهُ فِي ذَلِكَ  
بِاخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ فَكُلَّمَا نَزَلُوا الْأَرْيَافَ وَتَفَنَّقُوا النَّعِيمَ وَالْفُؤَادِ عَوَائِدَ الْخِصْبِ فِي  
الْمَعَاشِ وَالنَّعِيمِ نَقَصَ مِنْ شَجَاعَتِهِمْ بِمِقْدَارِ مَا نَقَصَ مِنْ تَوْحُّشِهِمْ وَبِدَاوَتِهِمْ وَأَعْتَبِ  
ذَلِكَ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ بِدَوَاجِنِ الطُّيَّانِ وَالْبَقَرِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْحُمُرِ إِذَا زَالَ تَوْحُّشُهَا  
بِمُخَالَطَةِ الْآدَمِيِّينَ وَأَخْصَبَ عَيْشُهَا كَيْفَ يَخْتَلِفُ حَالُهَا فِي الْإِنْتِهَاضِ وَالسَّيْدَةِ حَتَّى فِي  
مِشْيَتِهَا وَحُسْنِ أَدِيمِهَا وَكَذَلِكَ الْآدَمِيُّ الْمُتَوْحِّشُ إِذَا أُنِسَ وَأَلِفَ وَسَبِيهُ أَنْ تَكُونُ  
السَّجَايَا وَالطُّبَايِعُ إِنَّمَا هُوَ عَنِ الْمَأْلُوفَاتِ وَالْعَوَائِدِ وَإِذَا كَانَ الْغَلْبُ لِلْأُمَمِ إِنَّمَا يَكُونُ  
بِالْإِقْدَامِ وَالْبَسَالَةِ فَمَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْيَالِ أُعْرِقَ فِي الْبِدَاوَةِ وَأَكْثَرَ تَوْحُّشًا  
كَانَ أَقْرَبَ إِلَى التَّغْلِبِ عَلَى سِوَاهُ إِذَا تَقَارَبَا فِي الْعَدَدِ وَتَكَافَا فِي الْقُوَّةِ الْعَصَبِيَّةِ وَانْظُرْ  
فِي ذَلِكَ شَأْنَ مُضَرٍّ مَعَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَكَمَلَانَ السَّابِقِينَ إِلَى الْمُلْكِ وَالنَّعِيمِ وَمَعَ



رَبِيعَةَ الْمُتَوَطِّنِينَ أَرْيَافَ الْعِرَاقِ وَتَعِيمِهِ لَمَّا بَقِيَ مُضَرٌّ فِي بَدَاوَتِهِمْ وَأَقْدَمَهُمُ الْآخَرُونَ إِلَى خِصْبِ الْعَيْشِ وَغَضَارَةِ النَّعِيمِ كَيْفَ أَرْهَفَتِ الْبِدَاوَةُ حَدَّهُمْ فِي التَّغْلِبِ فَغَلَبُوهُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَأَنْتَزَعُوهُ مِنْهُمْ وَهَذَا حَالُ بَنِي طِيٍّ وَبَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ وَبَنِي سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ وَمَنْ بَعْدَهُمْ لَمَّا تَأَخَّرُوا فِي بَادِيَتِهِمْ عَنْ سَائِرِ قَبَائِلِ مُضَرَ وَالْيَمَنِ وَلَمْ يَتَلَبَّسُوا بِشَيْءٍ مِنْ دُنْيَاهُمْ كَيْفَ أَمْسَكَتْ حَالُ الْبِدَاوَةِ عَلَيْهِمْ قُوَّةَ عَصَبِيَّتِهِمْ وَلَمْ تَخْلُقْهَا مَذَاهِبُ التَّرَفِ حَتَّى صَارُوا أَغْلَبَ عَلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَكَذَا كُلُّ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ يَلِي نَعِيمًا وَعَيْشًا خَصِيبًا دُونَ الْحَيِّ الْآخَرِ فَإِنَّ الْحَيَّ الْمُبْتَدِيَ يَكُونُ أَغْلَبَ لَهُ وَأَقْدَرَ عَلَيْهِ إِذَا تَكَافَأَا فِي الْقُوَّةِ وَالْعَدَدِ سِنَّةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ

### الفصل السابع عشر

في ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك

وَذَلِكَ لِأَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الْعَصَبِيَّةَ بِهَا تَكُونُ الْحِمَايَةُ وَالْمُدَافَعَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَكُلُّ أَمْرٍ يَحْتَمِعُ عَلَيْهِ وَقَدَّمْنَا أَنَّ الْأَدَمِيِّينَ بِالطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ يَحْتَاجُونَ فِي كُلِّ اجْتِمَاعٍ إِلَى وَازِعٍ وَحَاكِمٍ يَزْعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَغَلِّبًا عَلَيْهِمْ بِتِلْكَ الْعَصَبِيَّةِ وَالْأَمْرُ لَمْ يَتِمَّ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّغْلِبُ هُوَ الْمُلْكُ وَهُوَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الرِّئَاسَةِ لِأَنَّ الرِّئَاسَةَ إِنَّمَا هِيَ سُودْدٌ وَصَاحِبُهَا مَتَّبِعٌ وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَمَّا الْمُلْكُ فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَهْرِ وَصَاحِبُهَا مَتَّبِعٌ وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَمَّا الْمُلْكُ فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَهْرِ وَصَاحِبُ الْعَصَبِيَّةِ إِذَا بَلَغَ إِلَى رُتْبَةِ طَلَبٍ مَا فَوْقَهَا فَإِذَا بَلَغَ رُتْبَةَ السُّودْدِ وَالْإِتْبَاعِ وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى التَّغْلِبِ وَالْقَهْرِ لَا يَتْرُكُهُ لِأَنَّهُ مَطْلُوبٌ لِلنَّفْسِ وَلَا يَتِمُّ اقْتِدَارُهَا عَلَيْهِ إِلَّا بِالْعَصَبِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا مَتَّبِعًا فَأَتَتْهُ الْمُلْكِيَّةُ غَايَةً لِلْعَصَبِيَّةِ كَمَا رَأَيْتَ ثُمَّ إِنَّ الْقَبِيلَ الْوَاحِدَ وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ يَبُوتَاتٌ مُفْتَرِقَةٌ وَعَصَبِيَّاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَلَا بُدَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ تَكُونُ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِهَا تَغْلِبُهَا وَتَسْتَبِيعُهَا وَتَلْتَمِمْ جَمِيعَ الْعَصَبِيَّاتِ فِيهَا وَتَصِيرُ كَأَنَّهَا عَصَبِيَّةٌ وَاحِدَةٌ كَبْرَى وَإِلَّا وَقَعَ الْإِفْتِرَاقُ الْمُفْضِي إِلَى الْإِخْتِلَافِ وَالتَّنَازُعِ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ التَّغْلِبُ بِتِلْكَ الْعَصَبِيَّةِ عَلَى قَوْمٍ طَلَبَتْ بِطَبْعِهَا التَّغْلِبَ عَلَى أَهْلِ عَصَبِيَّةٍ أُخْرَى بَعِيدَةٍ عَنْهَا فَإِنْ كَفَأَتْهَا أَوْ مَانَعَتْهَا كَانُوا أَفْتَالًا وَأَنْظَارًا وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا التَّغْلِبُ عَلَى حَوْزَتِهَا

وَقَوْمَهَا شَأْنَ الْقَبَائِلِ وَالْأُمَمِ الْمُفْتَرِقَةِ فِي الْعَالَمِ وَإِنْ غَلَبَتْهَا وَأَسْتَتَبَعَتْهَا أَلْتَحَمَتْ بِهَا أَيْضًا  
وَزَادَتْ قُوَّةً فِي الْغَلَبِ إِلَى قُوَّتِهَا وَطَلَبَتْ غَايَةَ مِنَ الْغَلَبِ وَالْتَحَمَتْكُمْ أَعْلَى مِنَ الْغَايَةِ  
الْأُولَى وَابْعَدَ وَهَكَذَا دَائِمًا حَتَّى تُكَافِيَ بِقُوَّتِهَا قُوَّةَ الدَّوْلَةِ فِي هَرَمِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا  
مُحَانِعٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ أَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ أَسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا وَأَنْتَزَعَتْ الْأَمْرَ مِنْ يَدِهَا وَصَارَ  
الْمَلِكُ أَجْمَعُ لَهَا وَإِنْ أَنْتَهَتْ قُوَّتُهَا وَلَمْ يُقَارَنْ ذَلِكَ هَرَمُ الدَّوْلَةِ وَإِنَّمَا قَارَنَ حَاجَتَهَا  
إِلَى الْأَسْتَظْهَارِ بِأَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ أَنْتَظَمَتْهَا الدَّوْلَةُ فِي أَوْلِيَائِهَا تَسْتَظْهِرُ بِهَا عَلَى مَا يَعْنُ مِنْ  
مَقَاصِدِهَا وَذَلِكَ مَلِكٌ آخَرُ دُونَ الْمَلِكِ الْمُسْتَبِدِّ وَهُوَ كَمَا وَقَعَ لِلتُّرْكِ فِي دَوْلَةِ بَنِي  
الْعَبَّاسِ وَاصْنَهَاجَةَ وَزَنَانَةَ مَعَ كُتَامَةَ وَلَبْنِي خَمْدَانَ مَعَ مُلُوكِ الشَّيْعَةِ مِنَ الْعُلُوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ  
فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ الْمَلِكَ هُوَ غَايَةُ الْعَصَبِيَّةِ وَأَنَّهَا إِذَا بَلَغَتْ إِلَى غَايَتِهَا حَصَلَ لِلْقَبِيلَةِ الْمَلِكُ  
إِمَّا بِالْأَسْتَبْدَادِ أَوْ بِالْمُظَاهَرَةِ عَلَى حَسَبِ مَا يَسَعُهُ الْوَقْتُ الْمُقَارِنُ لِذَلِكَ وَإِنْ عَاقَبَ  
عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ عَوَائِقُ كَمَا نُبَيِّنُهُ وَقَفَتْ فِي مَقَامِهَا إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ

### الفصل الثامن عشر

في ان من عوائق الملك حصول الترف وانغاس القبيل في النعيم

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَبِيلَ إِذَا غَلَبَتْ بِعَصَبِيَّتِهَا بَعْضَ الْغَلَبِ أَسْتَوَلَتْ عَلَى النِّعْمَةِ بِمِقْدَارِهِ  
وَشَارَكَتْ أَهْلَ النِّعَمِ وَالْخِصْبِ فِي نِعْمَتِهِمْ وَخِصْبِهِمْ وَضَرَبَتْ مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ بِسَهْمٍ وَحِصَّةٍ  
بِمِقْدَارِ غَلَبِهَا وَأَسْتَظْهَارِ الدَّوْلَةِ بِهَا فَإِنْ كَانَتْ الدَّوْلَةُ مِنَ الْقُوَّةِ بِحَيْثُ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ  
فِي أَنْتِزَاعِ أَمْرِهَا وَلَا مُشَارَكَتِهَا فِيهِ أَذْعَنَ ذَلِكَ الْقَبِيلُ لَوِلَايَتِهَا وَالْقَنُوعَ بِمَا يُسَوِّغُونَ  
مِنْ نِعْمَتِهَا وَيُشْرِكُونَ فِيهِ مِنْ جِبَابَتِهَا وَلَمْ تَسْمُ أَمَالُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ وَلَا  
أَسْبَابِهِ إِنَّمَا هِمَّتُهُمُ النِّعَمُ وَالْكَسْبُ وَخِصْبُ الْعَيْشِ وَالشُّكُونُ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ إِلَى  
الدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ وَالْأَخْذِ بِمَذَاهِبِ الْمَلِكِ فِي الْمَبَانِي وَالْمَلَابِسِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ  
وَالْتَأَنُّ فِيهِ بِمِقْدَارِ مَا حَصَلَ مِنَ الرِّيَاشِ وَالتُّرْفِ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ تَوَابِعِ ذَلِكَ فَتَذْهَبُ  
خُشُونَةُ الْبِدَاوَةِ وَتَضَعُفُ الْعَصَبِيَّةُ وَالْبَسَالَةُ وَيَتَنَعَّمُونَ فِيمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْبَسْطَةِ وَتَنْشَأُ  
بَنُوهُمْ وَأَعْقَابُهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ التُّرْفِ عَنْ خِدْمَةِ أَنْفُسِهِمْ وَوِلَايَةِ حَاجَاتِهِمْ  
وَيَسْتَنَكِفُونَ عَنْ سَائِرِ الْأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ فِي الْعَصَبِيَّةِ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ خُلُقًا لَهُمْ  
وَسَجِيَّةً فَتَنْقُصُ عَصَبِيَّتُهُمْ وَبَسَالَتُهُمْ فِي الْأَجْيَالِ بَعْدَهُمْ يَتَعَاقَبُهَا إِلَى أَنْ تَنْقَرِضَ الْعَصَبِيَّةُ



فِيَا ذُنُونٍ بِالْإِنْقِرَاضِ وَعَلَى قَدَرٍ تَرْفِهِمْ وَنِعْمَتِهِمْ يَكُونُ إِشْرَافُهُمْ عَلَى الْفَنَاءِ فَضْلًا عَنْ  
الْمُلْكِ فَإِنَّ عَوَارِضَ التَّرَفِ وَالْفَرَقِ فِي النِّعَمِ كَاسِرٌ مِنْ سَوْرَةِ الْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا التَّغْلُبُ  
وَإِذَا انْقَرَضَتِ الْعَصِيَّةُ قَصَرَ الْقَبِيلُ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ فَضْلًا عَنْ الْمُطَالَبَةِ  
وَالْتَهْمَتُهُمُ الْأُمَمَ سِوَاهُمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ التَّرَفَ مِنْ عَوَائِقِ الْمُلْكِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل التاسع عشر

في ان من عوائق الملك المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم  
وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَذَلَّةَ وَالْإِنْقِيَادَ كَاسِرَانِ لِسَوْرَةِ الْعَصِيَّةِ وَشِدَّتِهَا فَإِنَّ انْقِيَادَهُمْ  
وَمَذَلَّتَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى فَقْدَانِهَا فَمَا رَأَوْا لِلْمَذَلَّةِ حَتَّى عَجَزُوا عَنِ الْمُدَافَعَةِ فَأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ  
عَاجِزًا عَنِ الْمُقَاوَمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا دَعَاهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ  
إِلَى مُلْكِ الشَّامِ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لَهُمْ مُلْكَهَا كَيْفَ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ وَقَالُوا  
إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يُخْرِجُوا مِنْهَا أَيْ يُخْرِجَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا  
بِضَرْبٍ مِنْ قُدْرَتِهِ غَيْرَ عَصِيَّتِنَا وَتَكُونُ مِنْ عَجِزَاتِكَ يَا مُوسَى وَلَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِمْ لَجُؤًا  
وَأَرْتَكَبُوا الْعِصْيَانَ وَقَالُوا لَهُ أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا أَسُوا مِنْ  
أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْمُقَاوَمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ كَمَا نَقُضِيهِ الْآيَةُ وَمَا يُؤَثِّرُ فِي تَقْسِيرِهَا  
وَذَلِكَ بِمَا حَصَلَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِ الْإِنْقِيَادِ وَمَا رَأَوْا مِنَ الدَّلِيلِ الْقَبِيضِ أَحْقَابًا حَتَّى ذَهَبَتْ  
الْعَصِيَّةُ مِنْهُمْ جُمْلَةً مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُوْهِبُوا حَقَّ الْإِيمَانِ بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ أَنَّ الشَّامَ  
لَهُمْ وَأَنَّ الْعِمَالِقَةَ الَّذِينَ كَانُوا بِأَرِيحَا فَرِيسَتَهُمْ بِحُكْمٍ مِنَ اللَّهِ قَدَرَهُ لَهُمْ فَأَقْصَرُوا  
عَنْ ذَلِكَ وَعَجَزُوا تَعْوِيلًا عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْمُطَالَبَةِ لِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ  
خُلُقِ الْمَذَلَّةِ وَطَاعَنُوا فِيهَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِالنَّيِّهِ  
وَهُوَ أَنَّهُمْ تَاهُوا فِي قَفَرٍ مِنَ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَمِصْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَأْوُوا فِيهَا  
الْعُمَرَانُ وَلَا نَزَلُوا مِصْرًا وَلَا خَالَطُوا بَشَرًا كَمَا فَصَّ الْقُرْآنُ الْغِلْظَةَ الْعِمَالِقَةَ بِالشَّامِ  
وَالْقَبْضَ بِمِصْرَ عَلَيْهِمْ لِعَجْزِهِمْ عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ كَمَا زَعَمُوهُ وَيُظْهِرُ مِنْ مَسَاقِ الْآيَةِ وَمَقْصُودِهَا  
أَنَّ حِكْمَةَ ذَلِكَ الَّتِي مَقْصُودُهُ وَهِيَ فَنَاءُ الْجِيلِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ قَبْضَةِ الدَّلِيلِ وَالْقَهْرِ  
وَالْقُوَّةِ وَتَخَلَّقُوا بِهِ وَأَفْسَدُوا مِنْ عَصِيَّتِهِمْ حَتَّى نَشَأَ فِي ذَلِكَ الَّتِي جِيلٌ آخَرُ عَزِيزٌ لَا  
يَعْرِفُ الْأَحْكَامَ وَالْقَهْرَ وَلَا يُسَامُ بِالْمَذَلَّةِ فَتَنَشَأَتْ بِذَلِكَ عَصِيَّةٌ أُخْرَى أَقْدَرُوا بِهَا

عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَالتَّغْلِبِ وَيُظْهِرُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً أَقَلُّ مَا يَأْتِي فِيهَا فَنَاءُ  
جِيلٍ وَنَشَأُ جِيلٍ آخَرَ سُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ وَفِي هَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى شَأْنِ الْعَصَبِيَّةِ  
وَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْمُدَافَعَةُ وَالْمُقَاوِمَةُ وَالْحِمَايَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَأَنَّ مَنْ فَقَدَهَا عَجَزَ  
عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَيُلْحَقُ بِهَذَا الْفَصْلِ فِيمَا يُوجِبُ الْمَدَّةَ لِلْقَبِيلِ شَأْنُ الْمَغَارِمِ  
وَالضَّرَائِبِ فَإِنَّ الْقَبِيلَ الْغَارِمِينَ مَا أَعْطَوْا أَيْدِي مَنْ ذَلِكَ حَتَّى رَضُوا بِالْمَدَّةِ فِيهِ لِأَنَّ  
فِي الْمَغَارِمِ وَالضَّرَائِبِ ضِيًّا وَمَدَّةً لَا تَحْتَمِلُهَا النَّفُوسُ إِلَّا إِذَا اسْتَمْتَوْتَهُ عَنِ الْقَتْلِ  
وَالْتَلَفِ وَأَنَّ عَصَبِيَّتَهُمْ حِينَئِذٍ ضَعِيفَةٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ وَمَنْ كَانَتْ عَصَبِيَّتُهُ لَا  
تَدْفَعُ عَنْهُ الضِّيمَ فَكَيْفَ لَهُ بِالْمُقَاوِمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَقَدْ حَصَلَ لَهُ الْإِتْقِيَادُ لِلذِّلِّ وَالْمَدَّةُ  
عَائِقَةٌ كَمَا قَدْ مَنَاهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنُ الْحَرْثِ لَمَّا رَأَى سِكَّةَ  
الْمَحْرَثَاتِ فِي بَعْضِ دُورِ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهُمُ الذِّلُّ فَهُوَ دَلِيلٌ  
صَرِيحٌ عَلَى أَنَّ الْمَغْرَمَ مُوجِبٌ لِلذِّلَّةِ هَذَا إِلَى مَا يَصْنَعُ ذُلُّ الْمَغَارِمِ مِنْ خُلُقِ الْمَكْرِ  
وَالْخُدَيْعَةِ بِسَبَبِ مَلَكَةِ الْقَهْرِ فَإِذَا رَأَيْتَ الْقَبِيلَ بِالْمَغَارِمِ فِي رِبْقَةٍ مِنَ الذِّلِّ فَلَا  
تُطْمَعَنَّ لَهَا بِمُلْكٍ آخَرَ الدَّهْرِ وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلْطُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ زَنَاتَهُ بِالْمَغْرِبِ  
كَانُوا شَاوِيَةً يُؤَدُّونَ الْمَغَارِمَ لِمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ غَاظٌ فَاحِشٌ كَمَا  
رَأَيْتَ إِذْ لَوْ وَقَعَ ذَلِكَ لَمَّا اسْتَتَبَ لَهُمْ مُلْكٌ وَلَا تَمَّتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ وَأَنْظُرْ فِيمَا قَالَهُ شَهْرُ بَرَّازٍ  
مَلِكُ الْبَابِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ رَبِيعَةَ لَمَّا أَطَّلَ عَلَيْهِ وَسَّالَ شَهْرُ بَرَّازٍ أَمَانَهُ عَلَى أَنْ  
يَكُونَ لَهُ فَقَالَ أَنَا الْيَوْمَ مِنْكُمْ يَدِي فِي أَيْدِيكُمْ وَصَعْرِي مَعَكُمْ فَمَرَحَبًا بِكُمْ وَبَارَكَ  
اللَّهُ لَنَا وَابِكُمْ وَجَزَيْتُنَا إِلَيْكُمْ النَّصْرُ لَكُمْ وَالْقِيَامُ بِمَا تُحِبُّونَ وَلَا تُذِلُّونَا بِالْجِزْيَةِ فَتَوْهُونَا  
لِعَدُوِّكُمْ فَأَعْتَبِرْ هَذَا فِيمَا قُلْنَا فَإنَّهُ كَافٍ

### الفصل العشرون

في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس

لَمَّا كَانَ الْمُلْكُ طَبِيعِيًّا لِلْإِنْسَانِ لِمَا فِيهِ مِنْ طَبِيعَةِ الْأَجْتِمَاعِ كَمَا قُلْنَا وَكَانَ  
الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ إِلَى خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ خِلَالِ الشَّرِّ بِأَصْلِ فِطْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ النَّاطِقَةِ الْعَاقِلَةِ  
لِأَنَّ الشَّرَّ إِنَّمَا جَاءَهُ مِنْ قِبَلِ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي فِيهِ وَأَمَّا مَنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ فَهُوَ  
إِلَى الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ أَقْرَبُ وَالْمُلْكُ وَالسِّيَاسَةُ إِنَّمَا كَانَا لَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ لِأَنَّهُمَا



لِلْإِنْسَانِ خَاصَّةً لَا لِلْحَيَوَانِ فَإِذَا خِلَالَ الْخَيْرِ فِيهِ هِيَ الَّتِي تَنَاسِبُ السِّيَاسَةَ وَالْمُلْكَ إِذَا  
الْخَيْرُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاسَةِ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْمَجْدَ لَهُ أَصْلٌ مِنْ بَنِي عَلَيْهِ وَتَحَقُّقُ بِهِ  
حَقِيقَتُهُ وَهُوَ الْعَصَبِيَّةُ وَالْعَشِيرُ وَفَرَعٌ يَتِمُّ وَجُودُهُ وَيُكْمِلُهُ وَهُوَ الْخِلَالُ وَإِذَا كَانَ  
الْمُلْكُ غَايَةً لِلْعَصَبِيَّةِ فَهُوَ غَايَةُ لِفُرُوعِهَا وَمُتِمِّمَاتِهَا وَهِيَ الْخِلَالُ لِأَنَّ وَجُودَهُ دُونَ مُتِمِّمَاتِهِ  
كَوُجُودِ شَخْصٍ مَقْطُوعِ الْأَعْضَاءِ أَوْ ظُهُورِهِ عُرْيَانًا بَيْنَ النَّاسِ وَإِذَا كَانَ وَجُودُ الْعَصَبِيَّةِ  
فَقَطٌّ مِنْ غَيْرِ انْتَحَالَ الْخِلَالُ الْحَمِيدَةَ نَقْصًا فِي أَهْلِ الْبُيُوتِ وَالْأَحْسَابِ فَمَا ظَنُّكَ  
بِأَهْلِ الْمُلْكِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ لِكُلِّ مَجْدٍ وَنِهَايَةُ لِكُلِّ حَسَبٍ وَأَيْضًا فَالْسِّيَاسَةُ وَالْمُلْكُ  
هِيَ كِفَالَةُ الْخَلْقِ وَخِلَافَةُ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ لِتَنْفِيدِ أَحْكَامِهِ فِيهِمْ وَأَحْكَامُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ  
وَعِبَادِهِ إِنَّمَا هِيَ بِالْخَيْرِ وَمُرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ كَمَا تَشْهَدُ بِهِ الشَّرَائِعُ وَأَحْكَامُ الْبَشَرِ إِنَّمَا  
هِيَ مِنَ الْجَهْلِ وَالشَّيْطَانِ بِخِلَافِ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَقَدْرِهِ فَإِنَّهُ فَاعِلٌ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعًا  
وَمُقَدِّرُهُمَا إِذْ لَا فَاعِلَ سِوَاهُ فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ الْعَصَبِيَّةُ الْكَفِيلَةُ بِالْقُدْرَةِ وَأَوْنِسَتْ مِنْهُ  
خِلَالَ الْخَيْرِ الْمُنَاسِبَةِ لِتَنْفِيدِ أَحْكَامِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ فَقَدْ تَهَيَّأَ لِلْخِلَافَةِ فِي الْعِبَادِ وَكِفَالَةِ  
الْخَلْقِ وَوُجِدَتْ فِيهِ الصَّلَاحِيَّةُ لِذَلِكَ وَهَذَا الْبُرْهَانُ أَوْثَقُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَصَحُّ مِنْهُ فَقَدْ  
تَبَيَّنَ أَنَّ خِلَالَ الْخَيْرِ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِ الْمُلْكِ لِمَنْ وَجِدَتْ لَهُ الْعَصَبِيَّةُ فَإِذَا نَظَرْنَا فِي  
أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْغَلَبِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّوَاحِي وَالْأُمَمِ فَوَجَدْنَاهُمْ  
يَتَنَافَسُونَ فِي الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ مِنَ الْكِرَمِ وَالْعَفْوِ عَنِ الزَّلَّاتِ وَالْإِحْتِمَالِ مِنْ غَيْرِ الْقَادِرِ  
وَالْقَرَى لِلضُّيُوفِ وَحَمْلِ الْكُلِّ وَكَسْبِ الْمُعْدِمِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ  
وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ فِي صَوْنِ الْأَعْرَاضِ وَتَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ وَإِجْلَالِ الْعُلَمَاءِ الْحَامِلِينَ لَهَا  
وَالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا يُحَدِّدُونَهُ لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ وَحَسَنِ الظَّنِّ بِهِمْ وَاعْتِقَادِ أَهْلِ الدِّينِ  
وَالْتَبَرُّكِ بِهِمْ وَرَغْبَةِ الدُّعَاءِ مِنْهُمْ وَالْحَيَاءِ مِنَ الْأَكْبَارِ وَالْمَشَاجِحِ وَتَوْقِيرِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ  
وَالْإِنْقِيَادَ إِلَى الْحَقِّ مَعَ الدَّاعِي إِلَيْهِ وَإِنْصَافِ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَالتَّبَدُّلِ فِي  
أَحْوَالِهِمْ وَالْإِنْقِيَادَ لِلْحَقِّ وَالتَّوَاضُّعَ لِلْمُسْكِينِ وَاسْتِمَاعَ شَكَايِ الْمُسْتَغِيثِينَ وَالتَّدِينِ  
بِالشَّرَائِعِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا وَعَلَى أَسْبَابِهَا وَالتَّجَانُّي عَنِ الْغَدْرِ وَالْمَكْرِ وَالْخُدَيْعَةِ  
وَنَقْضِ الْعَهْدِ وَأَمثال ذلك عَلِمْنَا أَنَّ هَذِهِ خُلُقُ السِّيَاسَةِ قَدْ حَصَلَتْ لِيَدِيهِمْ وَاسْتَحَقُّوا بِهَا  
أَنْ يَكُونُوا سَاسَةً لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ أَوْ عَلَى الْعُمُومِ وَأَنَّهُ خَيْرٌ سَاقَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ

مُنَاسِبٌ لِعَصِيَّتِهِمْ وَغَلَبِهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ سُدًى فِيهِمْ وَلَا وَجَدَ عَيْشًا مِنْهُمْ وَالْمَلِكُ أَنْسَبُ  
 الْمَرَاتِبِ وَالْخَيْرَاتِ لِعَصِيَّتِهِمْ فَعَلِمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَأْذَنَ لَهُمْ بِالْمَلِكِ وَسَاقَهُ إِلَيْهِمْ  
 وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَأْذَنَ اللَّهُ بِاتِّقَاضِ الْمَلِكِ مِنْ أُمَّةٍ حَمَلَهُمْ عَلَى ارْتِكَابِ  
 الْمَذْمُومَاتِ وَاتِّحَالِ الرِّذَائِلِ وَسُلُوكِ طُرُقِهَا فَتَفْقَدُ الْفَضَائِلُ السِّيَاسِيَّةُ مِنْهُمْ جُمْلَةً وَلَا  
 تَزَالُ فِي انْتِقَاصٍ إِلَى أَنْ يُخْرِجَ الْمَلِكُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَتَبَدَّلَ بِهِ سِوَاهُمْ لِيَكُونَ نَعِيًا  
 عَلَيْهِمْ فِي سَلْبِ مَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ مِنَ الْمَلِكِ وَجَعَلَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَإِذَا  
 أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَاسْتَقَرَى  
 ذَلِكَ وَتَبَعَهُ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ تَجِدُ كَثِيرًا مِمَّا قُلْنَاهُ وَرَسَمْنَاهُ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
 وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ خِلَالِ الْكَمَالِ الَّتِي يَتَنَافَسُ فِيهَا الْقَبَائِلُ أَلْوُ الْعَصَبِيَّةِ وَتَكُونُ شَاهِدَةً  
 لَهُمْ بِالْمَلِكِ إِكْرَامُ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْأَشْرَافِ وَأَهْلِ الْأَحْسَابِ وَأَصْنَافِ التِّجَارِ  
 وَالْغُرَبَاءِ وَإِنْ زَالَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ إِكْرَامَ الْقَبَائِلِ وَأَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ وَالْعَشَائِرِ  
 لِمَنْ يَنْهَضُهُمْ فِي الشَّرَفِ وَيُجَادِبُهُمْ حَبْلَ الْعَشِيرِ وَالْعَصَبِيَّةِ وَيُشَارِكُهُمْ فِي اتِّسَاعِ  
 الْجَاهِ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ يَحْمِلُ عَلَيْهِ فِي الْأَكْثَرِ الرِّغْبَةُ فِي الْجَاهِ أَوْ الْخُفَافَةُ مِنْ قَوْمِ  
 الْمُكْرَمِ أَوْ التَّمَسُّ بِمِثْلِهَا مِنْهُ وَأَمَّا أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ عَصَبِيَّةٌ تُنْقَى وَلَا جَاهٌ  
 يُرْتَجَى فَيَنْدَفِعُ الشُّكُّ فِي شَأْنِ كِرَامَتِهِمْ وَيَتَحَمَّضُ الْقَصْدُ فِيهِمْ أَنَّهُ لِلْمَجْدِ وَاتِّحَالِ  
 الْكَمَالِ فِي الْخِلَالِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى السِّيَاسَةِ بِالْكُلِّيَّةِ لِأَنَّ إِكْرَامَ أَقْتَالِهِ وَأَمْثَالِهِ  
 ضَرُورِيٌّ فِي السِّيَاسَةِ الْخَاصَّةِ بَيْنَ قَبِيلِهِ وَنُظَرَائِهِ وَإِكْرَامُ الطَّارِئِينَ مِنْ أَهْلِ الْفَضَائِلِ  
 وَالْخُصُوصِيَّاتِ كَمَالٌ فِي السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ فَالصَّالِحُونَ لِلدِّينِ وَالْعُلَمَاءُ لِلْجَاهِ إِلَيْهِمْ فِي  
 إِقَامَةِ مَرَاسِمِ الشَّرِيعَةِ وَالتَّجَارُ لِلتَّرْغِيبِ حَتَّى تَعْمَ الْمَنْفَعَةُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالْغُرَبَاءُ مِنْ  
 مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَإِنْ زَالَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْأَنْصَافِ وَهُوَ مِنَ الْعَدْلِ فَيَعْلَمُ بِوُجُودِ  
 ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ أَنْتِمَائِهِمْ لِلْسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَهِيَ الْمَلِكُ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ تَأْذَنَ بِوُجُودِهَا  
 فِيهِمْ لِوُجُودِ عِلَامَاتِهَا وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلُ مَا يَذْهَبُ مِنَ الْقَبِيلِ أَهْلُ الْمَلِكِ إِذَا تَأْذَنَ اللَّهُ  
 تَعَالَى بِسَلْبِ مُلْكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ إِكْرَامَ هَذَا الصِّنْفِ مِنَ الْخَلْقِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ ذَهَبَ  
 مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْفَضَائِلَ قَدْ أَخَذَتْ فِي الذَّهَابِ عَنْهُمْ وَأَرْقَبَ زَوَالِ الْمَلِكِ  
 مِنْهُمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ



## الفصل الحادي والعشرون

في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع  
 وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَقْدَرُ عَلَى الْغَلَبِ وَالْإِسْتِدَارِ كَمَا قُلْنَاهُ وَأَسْتَعْبَادِ الطَّوَائِفِ  
 أَقْدَرَتِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْأُمَمِ سِوَاهُمْ وَلَأَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ مِنَ الْأَهْلِينَ مَنْزِلَةَ الْمُفْتَرِسِ مِنَ  
 الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ وَهُوَ لَا مِثْلَ الْعَرَبِ وَزَنَاتُهُ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْأَكْرَادِ وَالْتِرْكُمَانِ  
 وَأَهْلِ اللَّشَامِ مِنْ صَنْهَاجَةٍ وَأَيْضًا فَهُوَ لَا الْمُتَوَحِّشُونَ لَيْسَ لَهُمْ وَطَنٌ يَرْتَفُونَ مِنْهُ وَلَا  
 بَلَدٌ يَجْتَنُونَ إِلَيْهِ فَنِسْبَةُ الْأَقْطَارِ وَالْمَوَاطِنِ إِلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاءِ فَلِهَذَا لَا يَقْتَصِرُونَ عَلَى  
 مَلَكَهٍ قُطْرِهِمْ وَمَا جَاوَزَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ وَلَا يَقِفُونَ عِنْدَ حُدُودِ أَفْقِهِمْ بَلْ يَنْظُرُونَ إِلَى  
 الْأَقَالِيمِ الْبَعِيدَةِ وَيَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْأُمَمِ النَّائِيَةِ وَأَنْظُرْ مَا يُحْكِي فِي ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بُويعَ وَقَامَ يُخْرِضُ النَّاسَ عَلَى الْعِرَاقِ فَقَالَ إِنَّ الْحِجَازَ لَيْسَ لَكُمْ بِدَارٍ  
 إِلَّا عَلَى الشَّجْعَةِ وَلَا يَقْوَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ إِلَّا بِذَلِكَ أَيْنَ الْقُرَاءِ الْمُهَاجِرُونَ عَنْ مَوْعِدِ اللَّهِ  
 سِيرُوا فِي الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَ كُمْ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ أَنْ يُورِثَكُمُوهَا فَقَالَ لِيُظْهِرَهُ عَلَى  
 الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ أَيْضًا بِحَالِ الْعَرَبِ السَّالِفَةِ مِنْ قَبْلُ مِثْلُ  
 التَّبَاعَةِ وَخَمِيرٍ كَيْفَ كَانُوا يَخْطُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَرَّةً وَإِلَى الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ  
 أُخْرَى وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِغَيْرِ الْعَرَبِ مِنَ الْأُمَمِ وَكَذَا حَالُ الْمُشَمِّينَ مِنَ الْمَغْرِبِ لَمَّا  
 نَزَعُوا إِلَى الْمُلْكِ طَفَرُوا مِنَ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَتَجَالَتْهُمْ مِنْهُ فِي جَوَارِ السُّودَانِ إِلَى  
 الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ فِي مَمَالِكِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَهَذَا شَأْنُ هَذِهِ الْأُمَمِ  
 الْوَحْشِيَّةِ فَلِذَلِكَ تَكُونُ دَوْلَتُهُمْ أَوْسَعَ نِطَاقًا وَأَبْعَدَ مِنْ مَرَكَزِهَا نِهَايَةً وَاللَّهُ يَقْدِرُ  
 اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا شَرِيكَ لَهُ

## الفصل الثاني والعشرون

في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من

عوده الى شعب آخر منها ما دامت لهم العصبية

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمُلْكَ إِنَّمَا حَصَلَ لَهُمْ بَعْدَ سَوْرَةِ الْغَلَبِ وَالْإِذْعَانِ لَهُمْ مِنْ  
 سَائِرِ الْأُمَمِ سِوَاهُمْ فَيَتَعَيَّنُ مِنْهُمْ الْمُبَاشِرُونَ لِلْأَمْرِ الْحَامِلُونَ سَرِيرَ الْمُلْكِ وَلَا يَكُونُ

ذَلِكَ لِجَمِيعِهِمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَثْرَةِ الَّتِي يَضِيقُ عَنْهَا نِطَاقُ الْمُرَاحِمَةِ وَالْغَيْرَةِ الَّتِي  
تَجْدَعُ أَنْوْفَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَطَاوِلِينَ لِلرُّتْبَةِ فَإِذَا تَعَيَّنَ أَوْلَئِكَ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ انْغَمَسُوا  
فِي النِّعَمِ وَغَرُّوا فِي بَحْرِ التَّرَفِ وَالْخِصْبِ وَاسْتَعْبَدُوا إِخْوَانَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْجِيلِ وَانْفَقَوْهُمْ  
فِي وُجُوهِ الدَّوْلَةِ وَمَذَاهِبِهَا وَبَقِيَ الَّذِينَ بَعَدُوا عَنِ الْأَمْرِ وَكَبِحُوا عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِي ظِلِّ  
مِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ الَّتِي شَارَكُوهَا بِنَسَبِهِمْ وَبِمَنْجَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ التَّرَفِ وَأَسْبَابِهِ  
فَإِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الْأَوَّلِينَ الْأَيَّامُ وَأَبَادَ غَضَرَاءُ هُمْ الْهَرَمُ فَطَجَّتْهُمْ الدَّوْلَةُ وَأَكَلَ الدَّهْرُ  
عَلَيْهِمْ وَشَرِبَ بِمَا أَرْهَفَ النَّعِيمُ مِنْ حَذَرِهِمْ وَاسْتَقَتَّ غَرِيزَةُ التَّرَفِ مِنْ مَائِهِمْ وَبَاغُوا  
غَايَتَهُمْ مِنْ طَبِيعَةِ التَّمَدُّنِ الْإِنْسَانِيِّ وَالتَّغْلِبِ السِّيَاسِيِّ (شعر)

كَدُودِ الْقَرْ يَنْسِجُ ثُمَّ يَفْنَى بِمَرْكَزِ نَسْجِهِ فِي الْإِنْعِكَاسِ

كَانَتْ حِينَئِذٍ عَصَبِيَّةُ الْآخَرِينَ مَوْفُورَةً وَسُورَةُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَاسِرِ مُحْفُوظَةً وَشَارَتْهُمْ  
فِي الْغَلَبِ مَعْلُومَةٌ فَتَسَمَّوْا مَالَهُمْ إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي كَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ الْغَالِبَةِ مِنْ  
جِسِّ عَصَبِيَّتِهِمْ وَتَرْتَفِعُ الْمُنَازَعَةُ لِمَا عُرِفَ مِنْ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَوْلُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَيَصِيرُ  
إِلَيْهِمْ وَكَذَا يَتَّفِقُ فِيهِمْ مَعَ مَنْ بَقِيَ أَيْضًا مُنْتَبِذًا عَنْهُ مِنْ عَشَائِرِ أُمَّتِهِمْ فَلَا يَزَالُ الْمَلِكُ  
مُتَحِدًا فِي الْأُمَّةِ إِلَى أَنْ تَنْكَسِرَ سُورَةُ الْعَصَبِيَّةِ مِنْهَا أَوْ يَفْنَى سَائِرُ عَشَائِرِهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ وَأَعْتَبِرْ هَذَا بِمَا وَقَعَ فِي الْعَرَبِ لَمَّا أَنْقَرَضَ  
مَلِكُ عَادٍ قَامَ بِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ ثَمُودَ وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ الْعَمَالِيقَةُ وَمِنْ  
بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ حَمِيرَ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ التَّبَاعِيَّةُ مِنْ حَمِيرَ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ  
الْأَذْوَاءُ كَذَلِكَ ثُمَّ جَاءَتِ الدَّوْلَةُ لِمُضَرَ وَكَذَا الْفُرْسُ لَمَّا أَنْقَرَضَ أَمْرَ الْكِنِيَّةِ مَلِكُ  
مِنْ بَعْدِهِمْ السَّاسَانِيَّةُ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهِمْ أَجْمَعَ بِالْإِسْلَامِ وَكَذَا الْيُونَانِيُّونَ  
أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَانْتَقَلَ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنَ الرُّومِ وَكَذَا الْبَرْبَرُ بِالْمَغْرِبِ لَمَّا أَنْقَرَضَ  
أَمْرُ مَغْرَاوَةَ وَكَتَامَةَ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَى صَنْهَاجَةَ ثُمَّ الْمَلْشَمِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ  
مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعُوبِ زَنَاطَةَ وَهَكَذَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَخَلْقِهِ وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ إِنَّمَا  
يَكُونُ بِالْعَصَبِيَّةِ وَهِيَ مُتَفَاوِتَةٌ فِي الْأَجْيَالِ وَالْمَلِكُ يُخْلِقُ التَّرَفَ وَيُذْهِبُهُ كَمَا سَنَدَّ كُرُهُ  
بَعْدُ فَإِذَا أَنْقَرَضَتِ دَوْلَةٌ فَإِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَمْرُ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ عَصَبِيَّةٌ مُشَارِكَةٌ لِعَصَبِيَّتِهِمْ  
الَّتِي عُرِفَ لَهَا التَّسْلِيمُ وَالْإِتْقَادُ وَأُونِسَ مِنْهَا الْغَلَبُ لِجَمِيعِ الْعَصَبِيَّاتِ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَوْجَدُ



فِي النَّسَبِ الْقَرِيبِ مِنْهُمْ لِأَنَّ تَقَاوُتَ الْعَصَبِيَّةِ بِحَسَبِ مَا قَرُبَ مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ الَّتِي هِيَ فِيهِ أَوْ بَعْدَ حَتَّى إِذَا وَقَعَ فِي الْعَالَمِ تَبْدِيلٌ كَبِيرٌ مِنْ تَحْوِيلِ مِلَّةٍ أَوْ ذَهَابِ عُمْرَانِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ قُدْرَتِهِ فَيُخْرِجُ عَنْ ذَلِكَ الْجِيلِ إِلَى الْجِيلِ الَّذِي يَأْذَنُ اللَّهُ بِقِيَامِهِ بِذَلِكَ التَّبْدِيلِ كَمَا وَقَعَ لِمُضَرٍّ حِينَ غَلَبُوا عَلَى الْأُمَمِ وَالْدُّوَلِ وَأَخَذُوا الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِي أَهْلِ الْعَالَمِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَكْبُوحِينَ عَنْهُ أَحْقَابًا

### الفصل الثالث والعشرون

في ان الماغلوب مولع ابدًا بالاقْتداء بالغالب في شعاره وزيه  
ونخلته وسائر احواله وعوائده

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ أَبَدًا تَعْتَقِدُ الْكَمَالَ فِي مَنْ غَلَبَهَا وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ إِمَّا لِنَظَرِهِ بِالْكَمَالِ بِمَا وَفَّرَ عِنْدَهَا مِنْ تَعْظِيمِهِ أَوْ لِمَا تُغَالِطُ بِهِ مِنْ أَنَّ اتِّقْيَادَهَا لِنَسَبٍ لَغَلَبٍ طَبِيعِيٍّ إِنَّمَا هُوَ لِكَمَالِ الْغَالِبِ فَإِذَا غَالَطَتْ بِذَلِكَ وَاتَّصَلَتْ لَهَا أَعْتِقَادًا فَانْتَحَلَتْ جَمِيعَ مَذَاهِبِ الْغَالِبِ وَتَشَبَّهَتْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْإِقْتِدَاءُ أَوْ لِمَا تَرَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ أَنَّ غَلَبَ الْغَالِبِ لَهَا لَيْسَ بِعَصَبِيَّةٍ وَلَا قُوَّةٍ بِأَسٍ وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا انْتَحَلَتْهُ مِنَ الْعَوَائِدِ وَالْمَذَاهِبِ تُغَالِطُ أَيْضًا بِذَلِكَ عَنْ الْغَلَبِ وَهَذَا رَاجِعٌ لِلأَوَّلِ وَلِذَلِكَ تَرَى الْمَغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ أَبَدًا بِالْغَالِبِ فِي مَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَسِلَاحِهِ فِي اتِّخَاذِهَا وَأَشْكَالِهَا بَلْ وَفِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي الْأَنْبَاءِ مَعَ آبَائِهِمْ كَيْفَ تَجِدُهُمْ مُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ دَائِمًا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَعْتِقَادِهِمُ الْكَمَالَ فِيهِمْ وَانْظُرْ إِلَى كُلِّ قُطْرٍ مِنَ الْأَفْطَارِ كَيْفَ يَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ زِيَّ الْحَامِيَةِ وَجُنْدُ السُّلْطَانِ فِي الْأَكْثَرِ لِأَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ لَهُمْ حَتَّى أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ تُجَاوِرُ أُخْرَى وَلَهَا الْغَلَبُ عَلَيْهَا فَيَسْرِي إِلَيْهِمْ مِنْ هَذَا التَّشَبُّهِ وَالْإِقْتِدَاءِ حَظٌّ كَبِيرٌ كَمَا هُوَ فِي الْأَنْدَالِ لِهَذَا الْعَهْدِ مَعَ أُمِّ الْجَلَالَةِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ يَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ فِي مَلَابِسِهِمْ وَشَارَاتِهِمْ وَالْكَثِيرِ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ حَتَّى فِي رَسْمِ التَّمَاثِيلِ فِي الْجُذُرَانِ وَالْمَصَانِعِ وَالْبُيُوتِ حَتَّى لَقَدْ يَسْتَشْعِرُ مِنْ ذَلِكَ النَّاطِرُ بَعَيْنِ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ مِنْ عِلَامَاتِ الْأَسْتِيْلَاءِ وَالْأَمْرِ لِلَّهِ وَتَأَمَّلْ فِي هَذَا سِرَّ قَوْلِهِمُ الْعَامَّةُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ إِذَا الْمَلِكُ غَالِبٌ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ وَالرَّعِيَّةُ مُقْتَدُونَ بِهِ لِأَعْتِقَادِ الْكَمَالِ فِيهِ أَعْتِقَادَ الْأَنْبَاءِ بِآبَائِهِمْ وَالْمُتَعَلِّمِينَ بِمُعَلِّمِيهِمْ وَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَبِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّوْفِيقُ

## الفصل الرابع والعشرون

في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا يَحْصُلُ فِي النُّفُوسِ مِنَ التَّكَاسُلِ إِذَا مَلَكَ امْرُؤًا عَالِيَهَا  
وَصَارَتْ بِالْإِسْتِعْبَادِ آلَةً لِسِوَاهَا وَعَالَةً عَلَيْهِمْ فَيَقْصُرُ الْأَمَلُ وَيَضْعُفُ التَّنَاسُلُ وَالْإِعْتِمَادُ  
إِنَّمَا هُوَ عَنْ جِدَّةِ الْأَمَلِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنَ النَّشَاطِ فِي الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ فَإِذَا ذَهَبَ الْأَمَلُ  
بِالتَّكَاسُلِ وَذَهَبَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَكَانَتِ الْعَصَبِيَّةُ ذَاهِبَةً بِالْغَلَبِ الْحَاصِلِ  
عَلَيْهِمْ تَنَاقَصَ عُمرَانِهِمْ وَتَلَاشَتِ مَكَاسِبُهُمْ وَمَسَاعِيهِمْ وَعَجَزُوا عَنْ الْمُدَافَعَةِ عَنْ  
أَنْفُسِهِمْ بِمَا خَضَعَ الْغَلَبُ مِنْ شَوْكَتِهِمْ فَأَصْبَحُوا مُغْلِبِينَ لِكُلِّ مُتَغَلَّبٍ وَطَعْمَةً لِكُلِّ  
آكِلٍ وَسِوَاهُ كَانُوا حَاصِلُوا عَلَى غَايَتِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ أَمْ لَمْ يَحْصُلُوا. وَفِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ سِرَّهُ آخِرُ  
وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ رَئِيسٌ بِطَبْعِهِ بِمُقْتَضَى الْإِسْتِخْلَافِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ وَالرَّئِيسُ إِذَا غَلِبَ عَلَى  
رَأْسَتِهِ وَكَبِجَ عَنْ غَايَةِ عِزِّهِ تَكَاسَلَ حَتَّى عَنْ شَبَعٍ بَطْنِهِ وَرِيَّ كَبِدِهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي  
أَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَلَقَدْ يُقَالُ مِثْلُهُ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرَسَةِ وَإِنَّهَا لَا تَسَافِدُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ  
فِي مَلَكَةِ الْأَدَمِيِّينَ فَلَا يَزَالُ هَذَا الْقَبِيلُ الْمَمْلُوكُ عَلَيْهِ امْرُؤُهُ فِي تَنَاقُصٍ وَأَخْتِمِ حِلَالَ  
إِلَى أَنْ يَأْخُذَهُمُ الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَأَعْتَبْ ذَلِكَ فِي أُمَّةِ الْفُرْسِ كَيْفَ كَانَتْ قَدَمَلَاتِ  
الْعَالَمِ كَثَرَةً وَلَمَّا فَنِيَتْ حَامِيَتُهُمْ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ بَقِيَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُ مِنَ الْكَثِيرِ  
يُقَالُ إِنَّ سَعْدًا أَحْصَى مَا وَرَاءَ الْمَدَائِنِ فَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَسَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْهُمْ  
سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا رَبُّ بَيْتٍ وَلَمَّا تَحَصَّلُوا فِي مَلَكَةِ الْعَرَبِ وَقَبْضَةِ الْقَهْرِ لَمْ يَكُنْ  
بَقَاؤُهُمْ إِلَّا قَلِيلًا وَدُثِرُوا سَكَّانٌ لَمْ يَكُونُوا وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لَظْلَمٌ نَزَلَ بِهِمْ أَوْ عُدْوَانٍ  
شَمَلَهُمْ فَلَمَكَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْعَدْلِ مَا عَلِمْتَ وَإِنَّمَا هِيَ طَبِيعَةٌ فِي الْإِنْسَانِ إِذَا غَلَبَ  
عَلَى أَمْرِهِ وَصَارَ آلَةً لِغَيْرِهِ وَلِهَذَا إِنَّمَا تُذْعِنُ لِلرِّقِّ فِي الْغَالِبِ أُمَّةُ السُّودَانِ لِنَقْصِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ فِيهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ عَرَضِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ كَمَا قُلْنَا أَوْ مَنْ يَرْجُو بِأَنْتِظَامِهِ  
فِي رِبْقَةِ الرِّقِّ حُصُولَ رُتْبَةٍ أَوْ إِفَادَةِ مَالٍ أَوْ عِزٍّ كَمَا يَقَعُ لِمَالِكِ الثَّرَكِ بِالْمَشْرِقِ  
وَالْعُلُوجِ مِنَ الْجَلَالَةِ وَالْإِفْرَنْجَةِ فَإِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةً بِاسْتِخْلَاصِ الدَّوْلَةِ لَهُمْ فَلَا يَأْتُون  
مِنَ الرِّقِّ لِمَا يَأْمُلُونَهُ مِنَ الْجَاهِ وَالرُّتْبَةِ بِأَصْطِفَاءِ الدَّوْلَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ  
وَبِهِ التَّوْفِيقُ



## الفصل الخامس والعشرون

في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط

وذلك انهم بطبيعة التوحش الذي فيهم اهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى متجعاتهم بالقفر ولا يذهبون الى المزاحمة والمخاربة الا اذا دفعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستنصب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتنعة عليهم باوعار الجبال بمنجاة من عيشتهم وفسادهم لانهم لا يتسمون اليهم الهضاب ولا يزكون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسائط فمتى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لا كليلهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولةها عليهم الى ان يصبح أهلها مغلبين لهم ثم تعاورونهم باختلاف الأيدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض عمرانهم والله قادر على خلقه وهو الواحد القهار لا رب غيره

## الفصل السادس والعشرون

في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب

والسبب في ذلك انهم امة وحشية باستحكام عوائد التوحش واسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجيلة وكان عندهم مكدودا لما فيه من الخروج عن رتبة الحكم وعدم الاتقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالحجر مثلا انما حاجتهم اليه لنصبه اثافي القدر فينقلونه من المباني ويخربونها عليه ويعودونه لذلك والخشب ايضا انما حاجتهم اليه ليعمرؤا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على العموم وايضا فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في اخذ اموال الناس حد يشتهون اليه بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعوت انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخرب العمران وايضا فلانهم

يُكَافُونَ عَلَى أَهْلِ الْأَعْمَالِ مِنَ الصَّنَائِعِ وَالْحِرَفِ أَعْمَالُهُمْ لَا يَرَوْنَ لَهَا قِيمَةً وَلَا قِسْطًا مِنَ الْأَجْرِ وَالْثَمَنِ وَالْأَعْمَالُ كَمَا سَنَذْكُرُهُ هِيَ أَصْلُ الْمَكَاسِبِ وَحَقِيقَتُهَا وَإِذَا فَسَدَتِ الْأَعْمَالُ وَصَارَتْ نَجَسًا ضَعُفَتِ الْأُمَالُ فِي الْمَكَاسِبِ وَانْقَبَضَتِ الْأَيْدِي عَنْ الْأَعْمَالِ وَابْدَعَرُ السَّاكِنُ وَفَسَدَ الْعُمَرَانُ وَأَيْضًا فَإِنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ عِنَايَةٌ بِالْأَحْكَامِ وَزَجَرَ النَّاسِ عَنِ الْمَفَاسِدِ وَدَفَاعَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ إِنَّمَا هُمُومُهُمْ مَا يَأْخُذُونَهُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ نَهْبًا أَوْ غَرَامَةً فَإِذَا تَوَصَّلُوا إِلَى ذَلِكَ وَحَصَلُوا عَلَيْهِ أَعْرَضُوا عَمَّا بَعْدَهُ مِنْ تَسَدِيدِ أحوَالِهِمْ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَقَهَرِ بَعْضِهِمْ عَنْ أَغْرَاضِ الْمَفَاسِدِ وَرُبَّمَا فَرَضُوا الْعُقُوبَاتِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ الْفَائِدَةِ وَالْجِبَايَةِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا كَمَا هُوَ شَأْنُهُمْ وَذَلِكَ لَيْسَ بِمُعْنٍ فِي دَفْعِ الْمَفَاسِدِ وَزَجَرَ الْمُتَعَرِّضِ لَهَا بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ زَائِدًا فِيهَا لِاسْتِسْهَالِ الْغُرْمِ فِي جَانِبِ حُصُولِ الْغَرَضِ فَتَبْقَى الرِّعَايَا فِي مَلَكَتِهِمْ كَأَنَّهَا قَوْضَى <sup>(١)</sup> دُونَ حُكْمٍ وَالْقَوْضَى مَهْلِكَةٌ لِلْبَشَرِ مُفْسِدَةٌ لِلْعُمَرَانِ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّ وَجُودَ الْمَلِكِ خَاصَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ لَا يَسْتَقِيمُ وَجُودُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ إِلَّا بِهَا وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْفَصْلِ وَأَيْضًا فَهُمْ مُتَنَافِسُونَ فِي الرِّئَاسَةِ وَقُلَّ أَنْ يَسْلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْأَمْرَ لِغَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ أَبَاهُ أَوْ أَخَاهُ أَوْ كَبِيرَ عَشِيرَتِهِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَعَلَى كُرْهِهِ مِنْ أَجْلِ الْحَيَاءِ فَيَتَعَدَّدُ الْحُكْمُ مِنْهُمْ وَالْأُمَرَاءُ وَتُخْتَلِفُ الْأَيْدِي عَلَى الرِّعِيَّةِ فِي الْجِبَايَةِ وَالْأَحْكَامِ فَيَفْسُدُ الْعُمَرَانُ وَيَنْقُضُ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ الْوَافِدُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْحِجَاجِ وَارَادَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ عِنْدَهُ بِحَسَنِ السِّيَاسَةِ وَالْعُمَرَانِ فَقَالَ تَرَكَتُهُ يَظْلِمُ وَحَدَهُ وَانْظُرْ إِلَى مَا مَلَكَوهُ وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَوْطَانِ مِنْ لَدُنِ الْحَقِيقَةِ كَيْفَ تَقْوُضُ عُمَرَانُهُ وَاقْفَرُ سَاكِنُهُ وَبَدَلَتْ الْأَرْضُ فِيهِ غَيْرَ الْأَرْضِ فَالْيَمَنُ قَرَارُهُمْ خَرَابٌ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْأَمْصَارِ وَعِرَاقِ الْعَرَبِ كَذَلِكَ قَدْ خَرِبَ عُمَرَانُهُ الَّذِي كَانَ لِلْفُرْسِ أَجْمَعَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ كَذَلِكَ وَأَفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ لَمَّا جَازَ إِلَيْهَا بَنُو هِلَالٍ وَبَنُو سُلَيْمٍ مِنْهُ أَوَّلُ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَتَمَرَّسُوا بِهَا لِثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِنَ السِّنِينَ قَدْ لَحِقَ بِهَا وَعَادَتْ بِسَائِطُهُ خَرَابًا كُلُّهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَا بَيْنَ السُّودَانِ وَالْبَحْرِ الرَّوِّيِّ كُلِّهِ عُمَرَانًا تَشْهَدُ بِذَلِكَ آثَارُ الْعُمَرَانِ فِيهِ مِنَ الْمَعَالِمِ وَتَمَائِيلِ الْبِنَاءِ وَشَوَاهِدِ الْقُرَى وَالْمَدَرِ وَاللَّهُ



يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل السابع والعشرون

في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية

او اثر عظيم من الدين على الجملة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ خُلِقَ التَّوْحُشُ الَّذِي فِيهِمْ أَصْعَبُ الْأُمَمِ انْقِيَادًا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِلْغَلْظَةِ وَالْأَنَفَةِ وَبُعْدِ الْهِمَّةِ وَالْمُنَافَسَةِ فِي الرِّئَاسَةِ فَقَلَّمَا تَجْتَمِعُ أَهْوَاؤُهُمْ فَإِذَا كَانَ الدِّينُ بِالنَّبُوَّةِ أَوْ الْوِلَايَةِ كَانَ الْوَارِعُ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَذَهَبَ خُلُقُ الْكِبَرِ وَالْمُنَافَسَةِ مِنْهُمْ فَسَهِّلَ انْقِيَادَهُمْ وَاجْتِمَاعَهُمْ وَذَلِكَ بِمَا يَشْمَلُهُمْ مِنَ الدِّينِ الْمَذْهَبِ لِلْغَلْظَةِ وَالْأَنَفَةِ الْوَارِعِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّنَافُسِ فَإِذَا كَانَ فِيهِمُ النَّبِيُّ أَوْ الْوَلِيُّ الَّذِي يَبْعَثُهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَذْهَبُ عَنْهُمْ مَذْمُومَاتُ الْأَخْلَاقِ وَيَأْخُذُهُمْ بِمَحْمُودِهَا وَيُؤَلِّفُ كَلِمَتَهُمْ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ تَمَّ اجْتِمَاعُهُمْ وَحَصَلَ لَهُمُ التَّغَلُّبُ وَالْمُلْكُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَسْرَعُ النَّاسِ قَبُولًا لِلْحَقِّ وَالْهُدَى لِسَلَامَةِ طِبَاعِهِمْ مِنْ عَوَجِ الْمَلَكَاتِ وَبَرَاءَتِهَا مِنْ ذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خُلُقِ التَّوْحُشِ الْقَرِيبِ الْمُعَانَاةِ الْمُتَهَيِّءِ لِإِقْبُولِ الْخَيْرِ بِبَقَائِهِ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى وَبُعْدِهِ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النُّفُوسِ مِنْ قَبِيحِ الْعَوَائِدِ وَسُوءِ الْمَلَكَاتِ فَإِنْ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ تَقَدَّمَ

### الفصل الثامن والعشرون

في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ بِدَاوَةٍ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ وَأَبْعَدُ مَجَالًا فِي الْفَقْرِ وَأَغْنَى عَنْ حَاجَاتِ التَّلَوُّلِ وَجُوبِهَا لِاعْتِيَادِهِمُ الشُّطْفَ وَخُشُونَةَ الْعَيْشِ فَاسْتَغْنَوْا عَنْ غَيْرِهِمْ فَصَعِبَ انْقِيَادُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ لِإِبْلَافِهِمْ ذَلِكَ وَلِلتَّوْحُشِ وَرِئِيسِهِمْ تَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ غَالِبًا لِلْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا الْمُدَافَعَةُ فَكَانَ مُضْطَرًّا إِلَى إِحْسَانِ مَلَكَتِهِمْ وَتَرْكِ مُرَافَعَتِهِمْ لِئَلَّا يَخْتَلِ عَلَيْهِ شَأْنُ عَصِيَّتِهِ فَيَكُونُ فِيهَا هَلَاكُهُ وَهَلَاكُهُمْ وَسِيَاسَةُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ السَّائِسُ وَارِعًا بِالْقَهْرِ وَالْإِلَامِ تَسْتَقِيمُ سِيَاسَتُهُ وَأَيْضًا فَإِنَّ مِنْ طَبِيعَتِهِمْ كَمَا قَدْ مَنَاهُ أَخَذَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ خَاصَّةً وَالتَّجَافِي عَمَّا سِوَى ذَلِكَ مِنْ

الْأَحْكَامَ بَيْنَهُمْ وَدِفَاعَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فَإِذَا مَلَكَوا أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ جَعَلُوا  
 غَايَةَ مُلْكِهِمُ الِاتِّفَاعَ بِأَخْذِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَتَرْكُوا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ بَيْنَهُمْ  
 وَرُبَّمَا جَعَلُوا الْعُقُوبَاتِ عَلَى الْمَفَاسِدِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَكْثِيرِ الْجَبَايَاتِ وَتَحْصِيلِ  
 الْفَوَائِدِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ وَازِعًا وَرُبَّمَا يَكُونُ بَاعِثًا بِحَسَبِ الْأَغْرَاضِ الْبَاعِثَةِ عَلَى الْمَفَاسِدِ  
 وَاسْتِهَانَةٍ مَا يُعْطَى مِنْ مَالِهِ فِي جَانِبِ غَرَضِهِ فَتَنْمُو الْمَفَاسِدُ بِذَلِكَ وَيَقَعُ تَخَرُّبُ  
 الْعُمَرَانِ فَتَبْقَى تِلْكَ الْأُمَّةُ كَأَنَّهَا فَوْضَى مُسْتَطِيلَةٌ أَيْدِي بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فَلَا يَسْتَقِيمُ  
 لَهَا عُمُرَانٌ وَتَخْرُبُ سَرِيعًا شَأْنُ الْفَوْضَى كَمَا قَدَّمَاهُ فَبَعْدَتْ طِبَاعُ الْعَرَبِ لِذَلِكَ كُلِّهِ  
 عَنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ وَإِنَّمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهَا بَعْدَ انْقِلَابِ طِبَاعِهِمْ وَتَبَدُّلِهَا بِصِبْغَةِ دِينِيَّةٍ  
 تَمْحُو ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتَجْعَلُ الْوَازِعَ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَتَحْمِلُهُمْ عَلَى دِفَاعِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ  
 عَنْ بَعْضٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِدَوْلَتِهِمْ فِي الْأَمَلَةِ لَمَّا شَيْدَ لَهُمُ الدِّينُ أَمْرُ  
 السِّيَاسَةِ بِالشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا الْمُرَاعِيَةِ لِمَصَالِحِ الْعُمَرَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَتَتَابَعَ فِيهَا  
 الْخُلَفَاءُ عَظُمَ حِينَئِذٍ مُلْكُهُمْ وَقَوِيَ سُلْطَانُهُمْ كَانَ رُسْمُهُ إِذَا رَأَى الْمُسْلِمِينَ  
 يَجْتَمِعُونَ لِلصَّلَاةِ يَقُولُ أَكَلَ عُمْرُ كَيْدِي يُعَلِّمُ الْكِلَابَ الْأَدَابَ ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ  
 انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ عَنِ الدَّوْلَةِ أَجْيَالٌ نَبَذُوا الدِّينَ فَنَسُوا السِّيَاسَةَ وَرَجَعُوا إِلَى قَفَرِهِمْ وَجَهْلِهِمْ  
 شَأْنُ عَصَبِيَّتِهِمْ مَعَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ يَبْعِدُهُمْ عَنِ الْأَنْقِيَادِ وَإِعْطَاءِ النِّصْفَةِ فَتَوْحَشُوا كَمَا  
 كَانُوا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ جِنْسِ الْخُلَفَاءِ وَمِنْ جِيلِهِمْ وَلَمَّا ذَهَبَ  
 أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَانْحَى رُسْمُهَا انْقَطَعَ الْأَمْرُ جُمْلَةً مِنْ أَيْدِيهِمْ وَغَلَبَ عَلَيْهِمُ الْعَجَمُ دُونَهُمْ  
 وَأَقَامُوا فِي بَادِيَةِ قَفَارِهِمْ لَا يَعْرِفُونَ الْمُلْكَ وَلَا سِيَاسَتَهُ بَلْ قَدْ يَجْهَلُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ  
 قَدْ كَانَ لَهُمْ مُلْكٌ فِي الْقَدِيمِ وَمَا كَانَ فِي الْقَدِيمِ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ فِي الْخَلِيقَةِ مَا كَانَ  
 لِأَجْيَالِهِمْ مِنَ الْمُلْكِ وَدَوْلٌ عَادٍ وَثُمُودٌ وَالْعَالِقَةُ وَحَمِيرٌ وَالتَّبَاعَةُ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ ثُمَّ  
 دَوْلَةُ مُضَرَ فِي الْإِسْلَامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ لَكِنْ بَعْدَ عَهْدِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ لَمَّا  
 نَسُوا الدِّينَ فَرَجَعُوا إِلَى أَصْلِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَقَدْ يَحْصُلُ لَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ غَلَبٌ  
 عَلَى الدَّوْلِ الْمُسْتَضْعَفَةِ كَمَا فِي الْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا يَكُونُ مَالُهُ وَغَايَتُهُ إِلَّا تَخْوِيبَ  
 مَا يَسْتَوْلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُمَرَانِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ



## الفصل التاسع والعشرون

في ان البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار  
 قَدْ نَقَدَّمْنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْبَادِيَةِ نَاقِصٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَوَاضِرِ وَالْأَمْصَارِ لِأَنَّ الْأُمُورَ  
 الْضَرُورِيَّةَ فِي الْعُمَرَ بْنِ لَيْسَ كُلُّهَا مَوْجُودَةً لِأَهْلِ الْبَدْوِ وَإِنَّمَا تُوجَدُ لَدَيْهِمْ فِي مَوَاطِنِهِمْ  
 أُمُورُ الْفَلَحِ وَمَوَادُّهَا مَعْدُومَةٌ وَمُعْظَمُ الصَّنَائِعِ فَلَا تُوجَدُ لَدَيْهِمْ فِي السَّكَلِيَّةِ مِنْ تِجَارٍ  
 وَخِيَاطٍ وَحَدَادٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا يُقِيمُ لَهُمْ ضَرُورِيَّاتِ مَعَاشِهِمْ فِي الْفَلَحِ وَغَيْرِهِ وَكَذَا  
 الدَّنَانِيرُ وَالْدَّرَاهِمُ مَفْقُودَةٌ لَدَيْهِمْ وَإِنَّمَا بِيَدِيهِمْ أَعْوَاضُهَا مِنْ مِثْلِ الزَّرَاعَةِ وَأَعْيَانِ  
 الْحَيَوَانِ أَوْ فَضْلَاتِهِ الْبَنَاتُ وَأَوْبَارًا وَأَشْعَارًا وَإِهَابًا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأَمْصَارِ فَيَعْوِضُونَ عَنْ  
 عَنْهُ بِالْدَّنَانِيرِ وَالْدَّرَاهِمِ إِلَّا أَنَّ حَاجَتَهُمْ إِلَى الْأَمْصَارِ فِي الْضَرُورِيِّ وَحَاجَةُ أَهْلِ  
 الْأَمْصَارِ إِلَيْهِمْ فِي الْحَاجِيِّ وَالْكَمَالِيِّ فَهُمْ مُتَحَاجُونَ إِلَى الْأَمْصَارِ بِطَبِيعَةِ وُجُودِهِمْ  
 فَمَا دَامُوا فِي الْبَادِيَةِ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ مَلِكٌ وَلَا أَسَدِيْلَاءٌ عَلَى الْأَمْصَارِ فَهُمْ مُتَحَاجُونَ إِلَى  
 أَهْلِهَا وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مَصَالِحِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ مَتَى دَعَوْهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَطَالَبُوهُمْ بِهِ وَإِنْ كَانَ  
 فِي الْمِصْرِ مَلِكٌ كَانَ خُضُوعُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِغَلْبِ الْمَلِكِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمِصْرِ مَلِكٌ  
 فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ رِئَاسَةٍ وَنَوْعِ اسْتِبْدَادٍ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ عَلَى الْبَاقِينَ وَإِلَّا انْتَقَضَ عُمَرَانُهُ  
 وَذَلِكَ الرَّئِيسُ يَحْمِلُهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَالسَّعْيِ فِي مَصَالِحِهِ إِمَّا طَوْعًا يَبْذُلُ الْمَالِ لَهُمْ ثُمَّ  
 يُبْدِي لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْضَرُورِيَّاتِ فِي مِصْرِهِ فَيَسْتَقِيمُ عُمَرَانُهُمْ وَإِمَّا كَرْهًا  
 إِنْ تَمَّتْ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَوْ بِالْتَغْرِيبِ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ جَانِبٌ مِنْهُمْ يَغَالِبُ بِهِ  
 الْبَاقِينَ فَيَضْطَرُّ الْبَاقُونَ إِلَى طَاعَتِهِ بِمَا يَتَوَقَّعُونَ لِذَلِكَ مِنْ فَسَادِ عُمَرَانِهِمْ وَرُبَّمَا لَا يَسْعَهُمْ  
 مُفَارَقَةُ تِلْكَ النُّوَاحِي إِلَى جِهَاتٍ أُخْرَى لِأَنَّ كُلَّ الْجِهَاتِ مَعْمُورٌ بِالْبَدْوِ الَّذِينَ غَلِبُوا  
 عَلَيْهَا وَمَنْعُوهَا مِنْ غَيْرِهَا فَلَا يَجِدُ هَوْلًا مُلْجَأً إِلَّا طَاعَةَ الْمِصْرِ فَهُمْ بِالضَّرُورَةِ مَغْلُوبُونَ  
 لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَاللَّهُ فَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْقَهَّارُ

## الفصل الثالث من الكتاب الاول

في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك  
كله من الاحوال وفيه قواعد ومتمات

### الفصل الاول

في ان الملك والدولة العامة انما يحصلان بالقبيل والعصبية  
وذلك انا قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبية لما  
فيها من النعرة والتدابر واستتاتة كل واحد منهم دون صاحبه . ثم ان الملك منصب  
شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية  
فيقع فيه التنافس غالبا وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة  
وتفضي الى الحرب والقتال والمغالبة وشيئ منها لا يقع الا بالعصبية كما ذكرناه انفا  
وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تمهيدا لدولة  
منذ اولها وطال امد مرابهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد جيل فلا يعرفون ما  
فعل الله اول الدولة انما يذكرون اصحاب الدولة وقد استحكمت صبغتهم ووقع  
التسليم لهم والاستغناء عن العصبية في تمهيد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر  
من اوله وما لقي اولهم من المتاعب دونه وخصوصا اهل الاندلس في نسيان هذه  
العصبية واثرها لطول الامد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبية بما تلاشى وطئهم  
وخلا من العصائب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شيء عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل

### الفصل الثاني

في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبية  
والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا  
بقوة قوية من الغلب للغلبة وان الناس لم يالفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت  
الرئاسة في اهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في  
اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسبت النفوس شأن الاولية واستحكمت لاهل ذلك  
النصاب صبغة الرئاسة ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم



عَلَى أَمْرِهِمْ فِتْنَالَهُمْ عَلَى الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فَلَمْ يَحْتَاجُوا حِينَئِذٍ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى كَبِيرِ عَصَابَةٍ  
بَلْ كَانَ طَاعَتَهَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لَا يَدُلُّ وَلَا يُعْلَمُ خِلَافُهُ وَلَا أَمْرٌ مَا يُوضَعُ الْكَلَامُ فِي  
الْإِمَامَةِ آخِرَ الْكَلَامِ عَلَى الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ كَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ عَقُودِهَا وَيَكُونُ اسْتَظْهَارُهُمْ  
حِينَئِذٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَدَوْلَتِهِمْ الْخُصُوصَةَ إِمَّا بِالْمَوَالِي وَالْمُصْطَنَعِينَ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي  
ظِلِّ الْعَصَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَإِمَّا بِالْعَصَائِبِ الْخَارِجِينَ عَنْ نَسَبِهَا الدَّاخِلِينَ فِي وَلَايَتِهَا وَمِثْلُ  
هَذَا وَقَعَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ فَإِنَّ عَصَبِيَّةَ الْعَرَبِ كَانَتْ فَسَدَتْ لِعَهْدِ دَوْلَةِ الْمُعْتَصِمِ وَابْنِهِ  
الْوَاتِقِ وَاسْتَظْهَرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ بِالْمَوَالِي مِنَ الْعَجَمِ وَالْتُرْكِ وَالْدَيْلَمِ وَالسُّجُوقِيَّةِ  
وغيرِهِمْ ثُمَّ تَغَلَّبَ الْعَجَمُ الْأَوَّلِيَاءُ عَلَى الدَّوَاحِي وَتَقَلَّصَ ظِلُّ الدَّوْلَةِ فَلَمْ تَكُنْ تَعْدُو أَعْمَالَ  
بَغْدَادَ حَتَّى زَحَنَ إِلَيْهَا الدَّيْلَمُ وَمَلَكَوْهَا وَصَارَ الْخِلَائِقُ فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ  
وَمَلَكَ السُّجُوقِيَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ فَصَارُوا فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَزَحَنَ آخِرُ الْتُّكَارِ  
فَقَتَلُوا الْخَلِيفَةَ وَمَحَوْا رَسْمَ الدَّوْلَةِ وَكَذًا صَنَاجِدُ بِالْمَغْرِبِ فَسَدَتْ عَصَبِيَّتُهُمْ مِنْهُدُ الْمِائَةِ  
الْخَامِسَةِ أَوْ مَا قَبْلَهَا وَاسْتَمَرَّتْ لَهُمُ الدَّوْلَةُ مُتَقَلِّصَةً الظِّلِّ بِالْمَهْدِيَّةِ وَبِحَايَةِ وَالْقَلْعَةِ  
وَسَائِرِ ثُغُورِ أَفْرِيقِيَّةٍ وَرُبَّمَا أَنْتَزَى بِشَاكِ الثُّغُورِ مَنْ نَارَعَهُمُ الْمَلِكُ وَأَعْتَصَمَ فِيهَا وَالسُّلْطَانُ  
وَالْمَلِكُ مَعَ ذَلِكَ مُسَلِّمٌ لَهُمْ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِأَنْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَجَاءَ الْمُوَحِّدُونَ بِقُوَّةٍ  
قَوِيَّةٍ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فِي الْمَصَامِدَةِ فَمَحَوْا آثَارَهُمْ وَكَذًا دَوْلَةُ بَنِي أُمِيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ لَمَّا فَسَدَتْ  
عَصَبِيَّتُهَا مِنَ الْعَرَبِ اسْتَوَلَى مُلُوكُ الطَّوَائِفِ عَلَى أَمْرِهَا وَأَقْتَسَمُوا خِلَافَتَهَا وَتَنَافَسُوا بَيْنَهُمْ  
وَتَوَزَّعُوا تَمَالِكَ الدَّوْلَةِ وَأَنْتَزَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَا كَانَ فِي وَلَايَتِهِ وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ وَبَلَغَهُمْ  
شَأْنُ الْعَجَمِ مَعَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فَتَلَقَّبُوا بِالْقَابِ الْمَلِكِ وَلَبِسُوا شَارَتَهُ وَأَمِنُوا مِمَّنْ يَنْقُضُ  
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُغَيِّرُهُ لِأَنَّ الْأَنْدَلُسَ لَيْسَ بِدَارِ عَصَائِبٍ وَلَا قِبَائِلٍ كَمَا سَنَدَّ كُرْهُهُ  
وَاسْتَمَرَ لَهُمْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ ابْنُ شَرَفٍ

مِمَّا يُزْهِدُنِي فِي أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ      أَسْمَاءُ مُعْتَصِمٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ  
الْقَابُ مَمْلُوكَةٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا      كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحًا صُورَةَ الْأَسَدِ

فَاسْتَظْهَرُوا عَلَى أَمْرِهِمْ بِالْمَوَالِي وَالْمُصْطَنَعِينَ وَالطَّرَاءَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ  
مِنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ وَزَنَاتِهِ وَغَيْرِهِمْ أَقْتَدَاءُ بِالدَّوْلَةِ فِي آخِرِ أَمْرِهَا فِي الْإِسْتَظْهَارِ بِهِمْ حِينَ  
ضَعُفَتْ عَصَبِيَّةُ الْعَرَبِ وَاسْتَبَدَّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ عَلَى الدَّوْلَةِ فَكَانَ لَهُمْ دَوْلٌ عَظِيمَةٌ

أَسْتَبَدَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِجَانِبٍ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَحَظٌّ كَبِيرٌ مِنَ الْمُلْكِ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوْلَةِ  
 إِلَيَّ أَقْتَسَمُوهَا وَلَمْ يَزَالُوا فِي سُلْطَانِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى جَازَ إِلَيْهِمُ الْبَحْرُ الْمُرَاطُوتُ أَهْلُ  
 الْعَصِيَّةِ الْقَوِيَّةِ مِنْ لَمْتُونَةٍ فَأَسْتَبَدُّوا بِهِمْ وَأَزَالُوهُمْ عَنْ مَرَكَزِهِمْ وَمَحَّوْا آثَارَهُمْ وَلَمْ يَقْتَدِرُوا  
 عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ لِفَقْدَانِ الْعَصِيَّةِ لَدَيْهِمْ فَبِهِذِهِ الْعَصِيَّةِ يَكُونُ تَمْهِيدُ الدَّوْلَةِ وَخِمَائِهَا مِنْ  
 أَوْلَاهَا وَقَدْ ظَنَّ الطَّرْطُوشِيُّ أَنَّ حَامِيَةَ الدُّوَلِ بِإِطْلَاقِ هُمْ الْجُنْدِ أَهْلُ الْعَطَاءِ الْمَفْرُوضِ  
 مَعَ الْأَهْلِ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ سِرَاجَ الْمُلُوكِ وَكَلَامُهُ لَا يَتَنَاولُ تَأْسِيسَ  
 الدُّوَلِ الْعَامَّةِ فِي أَوْلَاهَا وَإِنَّمَا هُوَ مُخَصَّصٌ بِالدُّوَلِ الْأَخِيرَةِ بَعْدَ التَّمْهِيدِ وَأَسْتَقْرَارِ  
 الْمُلْكِ فِي النِّصَابِ وَاسْتِحْكَامِ الصِّبْغَةِ لِأَهْلِهِ فَالرَّجُلُ إِنَّمَا أَدْرَكَ الدَّوْلَةَ عِنْدَ هَرَمِهَا  
 وَخَلَقَ جِدَّتَهَا وَرُجُوعَهَا إِلَى الْأَسْتِظْهَارِ بِالْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ ثُمَّ إِلَى الْمُسْتَعْدِمِينَ مِنْ  
 وَرَائِهِمْ بِالْأَجْرِ عَلَى الْمُدَافَعَةِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَدْرَكَ دُولَ الطَّوَائِفِ وَذَلِكَ عِنْدَ اخْتِلَالِ بَنِي  
 أُمَيَّةَ وَأَنْقِرَاضِ عَصِيَّتِهَا مِنَ الْعَرَبِ وَأَسْتِبْدَادِ كُلِّ أَمِيرٍ بِقُطْرِهِ وَكَانَ فِي إِيَالَةِ الْمُسْتَعِينِ  
 بَنِي هُودَ وَأَبْنَاهُ الْمُظْفَرُ أَهْلُ مِرْقَسَةِ وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْعَصِيَّةِ شَيْءٌ لِأَسْتِغْلَاةِ  
 التَّرَفِّ عَلَى الْعَرَبِ مِنْذُ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ السِّنِينَ وَهَلَاكِهِمْ وَلَمْ يَرَ إِلَّا سُلْطَانًا مُسْتَبِدًّا بِالْمُلْكِ  
 عَنْ عَشَائِرِهِ قَدْ اسْتَحْكَمَتْ لَهُ صِبْغَةُ الْأَسْتِبْدَادِ مِنْذُ عَهْدِ الدَّوْلَةِ وَبَقِيَّةِ الْعَصِيَّةِ فَهُوَ  
 لِنَاكَ لَا يُنَازِعُ فِيهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى أَمْرِهِ بِالْأَجْرَاءِ مِنَ الْمُتَرْزِقَةِ فَأُطْلِقَ الطَّرْطُوشِيُّ الْقَوْلَ  
 فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَتَفَتَّحْ لِكَيْفِيَّةِ الْأَمْرِ مِنْذُ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ  
 فَتَفَتَّحْ أَنْتَ لَهُ وَأَفْهَمِ سِرَّ اللَّهِ فِيهِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل الثالث

في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصية  
 وذلك انه اذا كان لعصية غلب كثير على الامر والاجيال وفي نفوس القائمين  
 بأمره من اهل القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانتبد عن  
 مقر ملكه ومنبت عزه اشتملوا عليه وقاموا بأمره وظاهره على شأنه وعنوا بتمهيد  
 دولته يرجون استقراره في نصابه وتناولوا الامر من يد اعياصه وجزاءه لهم على مظاهرته  
 بأصطفائهم لرتب الملك وخططه من وزارة او قيادة او ولاية تغري ولا يطمعون في  
 مشاركته في شيء من سلطانه تسليما لعصيته وانقيادا لما استحكم له واقومه من



صَبْغَةُ الْغَلْبِ فِي الْعَالَمِ وَعَقِيدَةُ إِيْمَانِيَّةٍ اسْتَقَرَّتْ فِي الْأَذْعَانِ لَهُمْ فَلَوْ رَامُوهَا مَعَهُ أَوْ  
 دُونَهُ لَزَلَتْ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلدَّارِسَةِ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْعَبِيدِيْنَ  
 بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَمِصْرَ لَمَّا انْتَبَذَ الطَّالِبِيُّونَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْقَاصِيَةِ وَابْتَعَدُوا عَنْ مَقَرِّ  
 الْخِلَافَةِ وَهَمَّوْا إِلَى طَلَبِهَا مِنْ أَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْكَمَتْ الصَّبْغَةُ لِابْنِي عَبْدِ  
 مَنْفٍ لِابْنِي أُمِيَّةٍ أَوَّلًا ثُمَّ لِابْنِي هَاشِمٍ مِنْ بَعْدِهِمْ فَخَرَجُوا بِالْقَاصِيَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَدَعَوْا  
 لَأَنْفُسِهِمْ وَقَامَ بِأَمْرِهِمُ الْبَرَابِرَةُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَأَوْرُبَةُ وَمَغِيلَةُ لِلدَّارِسَةِ وَكُتَامَةُ  
 وَصَنْهَاجَةُ وَهَوَّارَةُ لِلْعَبِيدِيْنَ فَشِيدُوا دَوْلَتَهُمْ وَهَدُّوا بِعَصَائِبِهِمْ أَمْرَهُمْ وَاقْتَطَعُوا مِنْ  
 مَمَالِكِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْمَغْرِبَ كُلَّهُ ثُمَّ أَفْرِيقِيَّةً وَلَمْ يَزَلْ ظِلُّ الدَّوْلَةِ يَتَقَلَّصُ وَظِلُّ الْعَبِيدِيْنَ  
 يَمْتَدُّ إِلَى أَنْ مَلَكَوْا مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ وَقَاسَمُوهُمْ فِي الْمَمَالِكِ الْأَسْلَابِيَّةِ شَقَّ  
 الْأَبْلَمَةَ وَهَوَّلَاءَ الْبَرَابِرَةُ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِمْ مُسْلِمُونَ لِلْعَبِيدِيْنَ أَمْرَهُمْ  
 مُذْعِنُونَ لِمَلِكِهِمْ وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَنَافَسُونَ فِي الرُّتَبَةِ عِنْدَهُمْ خَاصَّةً تَسْلِيماً لِمَا حَصَلَ مِنْ  
 صَبْغَةِ الْمَلِكِ لِابْنِي هَاشِمٍ وَلَمَّا اسْتَحْكَمَ مِنَ الْغَلْبِ لِقُرَيْشٍ وَمِصْرَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ فَلَمْ  
 يَزَلِ الْمَلِكُ فِي أَعْقَابِهِمْ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ بِأَمْرِهَا وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الرابع

في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين

اما من نبوة او دعة حق

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْغَلْبِ وَالْغَلْبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَاتِّقَاقِ  
 الْأَهْوَاءِ عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَجَمْعِ الْقُلُوبِ وَتَأْلِيفِهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِمَعُونَةِ مَنْ أَلَّهِ فِي إِقَامَةِ دِينِهِ  
 قَالَ تَعَالَى لَوْ أَتَفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَتَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَسِرُّهُ أَنَّ الْقُلُوبَ إِذَا  
 تَدَاعَتْ إِلَى أَهْوَاءِ الْبَاطِلِ وَالْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا حَصَلَ التَّنَافُسُ وَفُشِيَ الْخِلَافُ وَإِذَا انْصَرَفَتْ  
 إِلَى الْحَقِّ وَرَفُضَتِ الدُّنْيَا وَالْبَاطِلَ وَأَقْبَلَتْ عَلَى اللَّهِ اتَّحَدَتْ وَجْهَتَهَا فَذَهَبَ التَّنَافُسُ وَقَلَّ  
 الْخِلَافُ وَحَسُنَ التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاوُدُ وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْكَلِمَةِ لِذَلِكَ فَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ كَمَا  
 نَبَّيْنُ لَكَ بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل الخامس

في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية

التي كانت لها من عددها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ أَنَّ الصِّبْغَةَ الدِّينِيَّةَ تَذْهَبُ بِالتَّنَافُسِ وَالتَّحَاسُدِ الَّذِي فِي أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَتُفَرِّدُ الْوُجْهَةَ إِلَى الْحَقِّ فَإِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْأَسْتَبْصَارُ فِي أَمْرِهِمْ لَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ لِأَنَّ الْوُجْهَةَ وَاحِدَةً وَالْمَطْلُوبُ مُنْسَاوٍ عِنْدَهُمْ وَهُمْ مُسْتَهْتَكُونَ عَلَيْهِ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الَّتِي هُمْ طَالِبُوهَا وَإِنْ كَانُوا أَضْعَافَهُمْ نَافِرًا ضَرْحًا مُتَبَايِنَةً بِالْبَاطِلِ وَتَخَاضُّهُمْ لَتَقِيَّةِ الْمَوْتِ حَاصِلٌ فَلَا يُقَاوِمُونَهُمْ وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ بَلْ يَغْلِبُونَ عَلَيْهِمْ وَيُعَاجِلُهُمُ الْفَنَاءُ بِمَا فِيهِمْ مِنَ التَّرَفِ وَالذَّلِّ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلْعَرَبِ صَدْرَ الْإِسْلَامِ فِي الْفُتُوحَاتِ فَكَانَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَادِسِيَّةِ وَالْأَزْمُوكِ بِضِعَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا فِي كُلِّ مَعْسُكٍ وَجُمُوعُ فَارِسَ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا بِالْقَادِسِيَّةِ وَجُمُوعُ هِرَقِلَ عَلَى مَا قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ فَلَمْ يَقِفْ لِلْعَرَبِ أَحَدٌ مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَهَزَمُوهُمْ وَغَالِبُوهُمْ عَلَى مَا بَأْيَدِيهِمْ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي دَوْلَةِ لِمَثُونَةَ وَدَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ كَانَتْ فَقَدْ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْقَبَائِلِ كَثِيرٌ يَمُنُّ بِقَاوِمِهِمْ فِي الْعَدَدِ وَالْعَصَبِيَّةِ أَوْ يَشْفِ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّ الْاجْتِمَاعَ الدِّينِيَّ ضَاعَفَ قُوَّةَ عَصَبِيَّتِهِمْ بِالْأَسْتَبْصَارِ وَالْإِسْتِثْنَاتِ كَمَا قُلْنَا فَلَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ إِذَا حَالَتْ صِبْغَةُ الدِّينِ وَفَسَدَتْ كَيْفَ يَنْتَقِضُ الْأَمْرُ وَيَصِيرُ الْغَلْبُ عَلَى نِسْبَةِ الْعَصَبِيَّةِ وَخَدَهَا دُونَ زِيَادَةِ الدِّينِ فَتَغْلِبُ الدَّوْلَةُ مَنْ كَانَ تَحْتَ يَدِهَا مِنَ الْعَصَائِبِ الْمُكَافئةِ لَهَا أَوْ الزَّائِدَةِ الْقُوَّةِ عَلَيْهَا الَّذِينَ غَلَبَتْهُمْ بِمُضَاعَفَةِ الدِّينِ لِقُوَّتِهَا وَلَوْ كَانُوا أَكْثَرَ عَصَبِيَّةً مِنْهَا وَأَشَدَّ بِدَاوَةً وَاعْتَبِرَ هَذَا فِي الْمُوَحِّدِينَ مَعَ زَنَاتِهِ لَمَّا كَانَتْ زَنَاتُهُ أَبَدَى مِنَ الْمَصَامِدَةِ وَأَشَدَّ تَوْحُّشًا وَكَانَ لِلْمَصَامِدَةِ الدَّعْوَةُ الدِّينِيَّةُ بِاتِّبَاعِ الْمَهْدِيِّ فَلَبِسُوا صِبْغَتَهَا وَتَضَاعَفَتْ قُوَّةُ عَصَبِيَّتِهِمْ بِهَا فَغَلَبُوا عَلَى زَنَاتِهِ أَوَّلًا وَاسْتَبَعَوْهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنْ حَيْثُ الْعَصَبِيَّةُ وَالْبِدَاوَةُ أَشَدَّ مِنْهُمْ فَلَمَّا خَلَوْا مِنْ تِلْكَ الصِّبْغَةِ الدِّينِيَّةِ انْتَقَضَتْ عَلَيْهِمْ زَنَاتُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَغَالِبُوهُمْ عَلَى الْأَمْرِ وَانْتَزَعُوهُ مِنْهُمْ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ



## الفصل السادس

في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم  
وهذا لما قدمناه من أن كل أمر يُحمَلُ عليه السكافة فلا بد له من العصبية وفي  
الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه وإذا كان هذا في  
الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تُخرق له العادة في  
الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع النعلين  
في التصوف ثار بالاندلس داعياً إلى الحق ومبياً أصحابه بالمرابطين قبل دعوة  
المهدي فاستتب له الأمر قليلاً لشغل المشونة بما دهمهم من أمر الموحدين ولم تكن  
هناك عصائب ولا قبائل يدفعونه عن شأنه فلم يلبث حين استولى الموحدون على  
المغرب أن أذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعهم من معقله بمحضر أركش وأمكنهم  
من ثغره وكان أول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تُسمى ثورة المرابطين  
ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فإن كثيراً  
من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من  
الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف ونجاء في الثواب  
عليه من الله فيكثر أتباعهم والمتكاثرون بهم من الفوغاء والذمماء ويعرّضون أنفسهم  
في ذلك للمهلك وأكثرهم يهلكون في هذا السبيل ما زورين غير ما جورين لأن  
الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى  
الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم  
يستطع فبقلبه وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا  
المطالبة القوية التي من وراءها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان  
حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب وهم  
المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء الله إنما أجرى الأمور على مستقر العادة  
والله حكيم عليم فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققاً قصر به  
الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك وأما إن كان من المتلبسين بذلك في

طَلَبَ الرِّئَاسَةَ فَاجْدَرُ أَنْ تَعُوْقَهُ الْعَوَاقِقُ وَتَنْقَطِعُ بِهِ الْمَهَالِكُ لِأَنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ لَا يَتِمُّ إِلَّا  
 بِرِضَاةٍ وَإِعَانَةٍ وَإِلْخْلَاصٍ لَهُ وَالنَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا يَشُكُّ فِي ذَلِكَ مُسْلِمٌ وَلَا يَرْتَابُ  
 فِيهِ ذُو بَصِيرَةٍ وَأَوَّلُ ابْتِدَاءِ هَذِهِ الزَّعَةِ فِي الْمِلَّةِ بَغْدَادَ حَيْثُ وَقَعَتْ فِتْنَةُ طَاهِرٍ  
 وَقَتْلَ الْأَمِينِ وَأَبْطَأَ الدَّامُونُ بِخُرَاسَانَ عَنْ مُقَدِّمِ الْعِرَاقِ ثُمَّ عَهْدَ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى  
 الرِّضَى مِنْ آلِ الْحُسَيْنِ فَكَشَفَ بَنُو الْعَبَّاسِ عَنْ وَجْهِ الزَّكِيِّ عَلَيْهِ وَتَدَاعَوْا لِلْقِيَامِ  
 وَخَلَعَ طَاعَةَ الدَّامُونِ وَالْإِسْتِبْدَالَ مِنْهُ وَبُويعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ فَوَقَعَ الْهَرْجُ  
 بِبَغْدَادَ وَأَنْطَلَقَتْ أَيْدِي الزَّعَرَةِ بِهَا مِنَ الشُّطَارِ وَالْحَرِيَّةِ عَلَى أَهْلِ الْعَافِيَةِ وَالصُّونِ  
 وَقَطَعُوا السَّبِيلَ وَأَمْتَلَّتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ نِهَابِ النَّاسِ وَبَاعُوهَا عِلَاقِيَّةً فِي الْأَسْوَاقِ وَأَسْتَعْدَى  
 أَهْلُهَا الْحُكَّامَ فَلَمْ يَعْدُوهُمْ فَتَوَافَرَ أَهْلُ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ عَلَى مَنَعَ الْفُسَّاقِ وَكَفَّ  
 عَادِيَتَهُمْ وَقَامَ بِبَغْدَادَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِخَالِدِ الدُّرْيُوسِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ  
 وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاجَابَهُ خَلْقٌ وَقَاتَلَ أَهْلَ الزَّعَرَةِ فَغَلَبَهُمْ وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِيهِمْ  
 بِالضَّرْبِ وَالتَّنْكِيلِ ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ رَجُلٌ آخَرُ مِنْ سَوَادِ أَهْلِ بَغْدَادَ يُعْرَفُ بِسَهْلِ  
 ابْنِ سَلَامَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَيُكْنَى أَبَا حَاتِمٍ وَعَلَّقَ مُصْحَفًا فِي عُنُقِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فَاتَّبَعَهُ النَّاسُ كَافَّةً مِنْ بَيْنِ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَمِنْ دُونِهِمْ وَتَزَلَّ قَصْرُ  
 طَاهِرٍ وَاتَّخَذَ الدِّيْوَانَ وَطَافَ بِبَغْدَادَ وَمَنَعَ كُلَّ مَنْ أَخَافَ الْمَارَةَ وَمَنَعَ الْخِفَارَةَ  
 لِأُولَئِكَ الشُّطَارِ وَقَالَ لَهُ خَالِدُ الدُّرْيُوسُ أَنَا لَا أَعِيبُ عَلَى السُّلْطَانِ فَقَالَ لَهُ سَهْلٌ لَكِنِّي  
 أَقَاتِلُ كُلَّ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَتْ مِنْ كَانَ وَذَلِكَ سَنَةٌ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ  
 وَجَهَّزَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ الْعَسَاكِرَ فَغَلَبَهُ وَأَسْرَهُ وَأَنْحَلَ أَمْرَهُ سَرِيعًا وَذَهَبَ وَجَنَّا  
 بِنَفْسِهِ ثُمَّ اقْتَدَى بِهَذَا الْعَمَلِ بَعْدُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَسَّوسِينَ يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ  
 وَلَا يَعْرِفُونَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي إِقَامَتِهِ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَغَبَّةِ أَمْرِهِمْ وَمَالَ  
 أَخْوَالِهِمْ وَالَّذِي يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ هَوْلَاءِ إِمَّا الْمُدَاوَاةُ إِنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْجَنُونِ وَإِمَّا  
 التَّنْكِيلُ بِالْقَتْلِ أَوْ الضَّرْبِ إِنْ أَحْدَثُوا هَرْجًا وَإِمَّا إِذَاعَةُ السُّخْرِيَّةِ مِنْهُمْ وَعَدُّهُمْ  
 مِنْ جُمْلَةِ الصَّفَاعِينَ وَقَدْ يَنْتَسِبُ بَعْضُهُمْ إِلَى الْفَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ إِمَّا بِأَنَّهُ هُوَ أَوْ بِأَنَّهُ دَاعٍ  
 لَهُ وَلَيْسَ مَعَ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ وَلَا مَا هُوَ أَكْثَرُ الْمُنْتَخِلِينَ لِمِثْلِ هَذَا



تَجِدُهُمْ مُوسُوسِينَ أَوْ مَجَانِينَ أَوْ مُلَبَّسِينَ يَطْلُبُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ رِئَاسَةً أَمْتَلَاتْ  
بِهَا جَوَانِحَهُمْ وَعَجَزُوا عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِهَا الْعَادِيَةِ فَيَحْسِبُونَ أَنَّ هَذَا  
مِنْ الْأَسْبَابِ الْبَالِغَةِ بِهِمْ إِلَى مَا يُؤْمَلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَحْسِبُونَ مَا يَنَالُهُمْ فِيهِ مِنْ  
الْهَلَاكَةِ فَيُسْرِعَ إِلَيْهِمُ الْقَتْلُ بِمَا يُحْدِثُونَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَتَسْوَةِ سَاقِبَةِ مَكْرِهِمْ وَقَدْ كَانَ  
لِأَوَّلِ هَذِهِ الْمِائَةِ خَرَجَ بِالسُّوسِ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ يُدْعَى التُّوبْذَرِيُّ عَمَدَ إِلَى  
مَسْجِدِ مَاسَةَ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ هُنَاكَ وَزَعَمَ أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ الْمُنْتَظَرُ تَلْبِيسًا عَلَى الْعَامَّةِ هُنَاكَ  
بِمَا مَلَأَ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْخُذْرَانِ بِأَنْتِظَارِهِ هُنَاكَ وَأَنَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ يَكُونُ أَصْلُ دَعْوَتِهِ  
فَتَهَافَّتَ عَلَيْهِ طَوَائِفُ مِنَ عَامَّةِ الْبَرْبَرِ تَهَافَّتَ الْفَرَّاشُ ثُمَّ خَشِيَ رُؤْسَهُمْ اتَّسَاعَ  
نِطَاقِ الْفِتْنَةِ فَدَسَّ إِلَيْهِ كَبِيرُ الْمَصَامِدَةِ يَوْمئِذٍ عُمَرُ السَّكْسِيوِيُّ مِنْ قَتْلِهِ فِي  
فَرَّاشِهِ وَكَذَلِكَ خَرَجَ فِي غِيَمَارِهِ أَيْضًا لِأَوَّلِ هَذِهِ الْمِائَةِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْعَبَّاسِ  
وَأَدْعَى مِثْلَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَاتَّبَعَ نَعِيقَهُ الْأَرْدَلُونَ مِنْ سُفْهَاءِ تِلْكَ الْقَبَائِلِ وَأَغْمَارِهِمْ  
وَزَحَنَ إِلَى بَادِسَ مِنْ أَمْصَارِهِمْ وَدَخَاهَا عُنُودٌ ثُمَّ قُتِلَ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ ظُهُورِ  
دَعْوَتِهِ وَمَضَى فِي الْهَالِكِينَ الْأَوَّلِينَ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَالْفَلَطُ فِيهِ مِنَ الْغَفْلَةِ  
عَنِ اعْتِبَارِ الْعَصَبِيَّةِ فِي مِثْلِهَا وَأَمَّا إِنْ كَانَ التَّلْبِيسُ فَأَحْرَى أَنْ لَا يَتِمَّ لَهُ أَمْرٌ وَأَنَّ  
يَبُوءَ بِإِيمِهِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لِأَرْبَ غَيْرِهِ  
وَلَا مَعْبُودَ سِوَهُ

### الفصل السابع

في ان كل دولة لها حصّة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عِصَابَةَ الدَّوْلَةِ وَقَوْمَهَا الْقَائِمِينَ بِهَا الْمُمَهِّدِينَ لَهَا لَا بُدَّ مِنْ  
تَوْزِيْعِهِمْ حِصَصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالشُّغُورِ الَّتِي تَصِيرُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا لِحِمَايَتِهَا مِنْ  
الْعَدُوِّ وَإِمْضَاءِ أَحْكَامِ الدَّوْلَةِ فِيهَا مِنْ جِبَايَةِ وَرَدَعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِذَا تَوَزَّعَتِ الْعِصَابَةُ  
كُلُّهَا عَلَى الشُّغُورِ وَالْمَمَالِكِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَقَارُعِ عَدِيدِهَا وَقَدْ بَلَغَتِ الْمَمَالِكُ حَيْثُئِذٍ إِلَى  
حَدٍّ يَكُونُ ثَغْرًا لِلدَّوْلَةِ وَتَحْمًا لَوَطْنِهَا وَنِطَاقًا لِمَرْكَزِ مُلْكِهَا فَإِنْ تَكَفَّلَتِ الدَّوْلَةُ بَعْدَ  
ذَلِكَ زِيَادَةً عَلَى مَا بِيَدِهَا بَقِيَ دُونَ حَامِيَةٍ وَكَانَ مَوْضِعًا لِانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ مِنَ الْعَدُوِّ  
وَالنَّجَاورِ وَيَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ التَّجَاسُرِ وَخَرْقِ سِيَاجِ الْهَيْبَةِ

وَمَا كَانَتْ الْعَصَابَةُ مَوْفُورَةً وَلَمْ يَنْفَدْ عَدَدُهَا فِي تَوْزِيْعِ الْحِصَصِ عَلَى الشُّغُورِ وَالنَّوَاحِي  
بَقِيَ فِي الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ عَلَى تَنَاوُلِ مَا وَرَاءَ الْغَايَةِ حَتَّى يَنْفَسِحَ نِطَاقُهَا إِلَى غَايَتِهِ وَالْعِلَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ  
فِي ذَلِكَ هِيَ قُوَّةُ الْعَصَبِيَّةِ مِنْ سَائِرِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ وَكُلُّ قُوَّةٍ يَصْدُرُ عَنْهَا فِعْلٌ مِنَ الْأَنْعَالِ  
فَشَأْنُهَا ذَلِكَ فِي فِعْلِهَا وَالدَّوْلَةُ فِي مَرْكَزِهَا أَشَدُّ مِمَّا يَكُونُ فِي الطَّرَفِ وَالنِّطَاقُ وَإِذَا  
انْتَهَتْ إِلَى النِّطَاقِ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ عَجَزَتْ وَأَقْصَرَتْ عَمَّا وَرَاءَهُ شَأْنُ الْأَشِعَّةِ وَالْأَنْوَارِ  
إِذَا انْبَعَثَتْ مِنَ الْمَرَكَزِ وَالِدَوَائِرِ الْمُنْقَسِمَةِ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ مِنَ النَّقْرِ عَلَيْهِ ثُمَّ إِذَا  
أَدْرَكَهَا الْمَرَمُ وَالضَّعْفُ فَإِنَّمَا تَأْخُذُ فِي التَّنَاقُصِ مِنْ جَنَةِ الْأَطْرَافِ وَلَا يَزَالُ الْمَرْكَزُ  
مَحْفُوظًا إِلَى أَنْ يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِ الْأَمْرِ جُمْلَةً فَيُنْثَذِرُ بِكَوْنِ انْقِرَاضِ الْمَرْكَزِ  
وَإِذَا غَلِبَ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنْ مَرْكَزِهَا فَلَا يَنْفَعُهَا بَقَاؤُهَا الْأَطْرَافِ وَالنِّطَاقِ بَلْ تَضْمَحِلُ لَوَقْتِهَا  
فَإِنَّ الْمَرْكَزَ كَالْقَلْبِ الَّذِي تَنْبَعِثُ مِنْهُ الرُّوحُ فَإِذَا غَلِبَ عَلَى الْقَلْبِ وَمَلَكَ أَنْهَزَمَ جَمِيعُ  
الْأَطْرَافِ وَانْظُرْ هَذَا فِي الدَّوْلَةِ الْفَارِسِيَّةِ كَانَ مَرْكَزُهَا الْمَدَائِنُ فَلَمَّا غَابَ الْمُسْلِمُونَ  
عَنِ الْمَدَائِنِ انْقَرَضَ أَمْرُ فَارِسَ أَجْمَعٍ وَلَمْ يَنْفَعْ يَزْدَجُرْدَ مَا بَقِيَ بِيَدِهِ مِنَ أَطْرَافِ  
مَمَالِكِهِ وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ الدَّوْلَةُ الرُّومِيَّةُ بِالشَّامِ لَمَّا كَانَ مَرْكَزُهَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ وَغَابَ عَنْهُمْ  
الْمُسْلِمُونَ بِالشَّامِ تَحَيَّزُوا إِلَى مَرْكَزِهِمْ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَمْ يَضُرَّهُمْ انْتِزَاعُ الشَّامِ مِنْ  
أَيْدِيهِمْ فَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ مُتَّصِلًا بِهَا إِلَى أَنْ تَأْذَنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهِ وَانْظُرْ أَيْضًا شَأْنَ  
الْعَرَبِ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ لَمَّا كَانَتْ عَصَائِبُهُمْ مَوْفُورَةً كَيْفَ غَلَبُوا عَلَى مَا جَاوَرَهُمْ مِنَ  
الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ لِأَسْرَعِ وَقْتٍ ثُمَّ تَجَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنَ السِّنْدِ وَالْحَبَشَةِ  
وَأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ ثُمَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا تَفَرَّقُوا حِصَصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالشُّغُورِ وَنَزَلُوهَا  
حَامِيَةً وَتَفَدَّ عَدَدُهُمْ فِي تِلْكَ التَّوْزِيعَاتِ أَقْصَرُوا عَنِ الْفَتْوحَاتِ بَعْدَ وَانْتَهَى أَمْرُ الْإِسْلَامِ  
وَلَمْ يَتَجَاوَزْ تِلْكَ الْحُدُودَ وَمِنْهَا تَرَاجَعَتِ الدَّوْلَةُ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهَا وَكَذَا كَانَ  
حَالُ الدُّوَلِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ كُلِّ دَوْلَةٍ عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثَرَةِ وَعِنْدَ  
نَقَادِ عَدَدِهِمْ بِالتَّوْزِيعِ يَنْقَطِعُ لَهُمُ الْفَتْحُ وَالْإِسْتِيلَاءُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ



## الفصل الثامن

في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائم بها  
في القلة والكثرة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمُلْكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَهْلُ الْعَصِيَّةِ هُمُ الْحَامِيَةُ الَّذِينَ  
يَنْزِلُونَ بِمَمَالِكِ الدَّوْلَةِ وَأَقْطَارِهَا وَيَنْقَسِمُونَ عَلَيْهَا فَمَا كَانَ مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَامَّةِ قَبِيلُهَا  
وَأَهْلُ عِصَابَتِهَا أَكْثَرَ كَانَتْ أَقْوَى وَأَكْثَرَ مَمَالِكَ وَأَوْطَانًا وَكَانَ مُلْكُهَا أَوْسَعَ لِذَلِكَ  
وَأُعْتَبِرَ ذَلِكَ بِالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَمَّا آتَتْ اللَّهُ كَلِمَةَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَدَدُ  
الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ آخِرِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةً أَلْفَ وَعَشْرَةَ  
أَلْفٍ مِنْ مُضَرَ وَقَحْطَانَ مَا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ إِلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْوَفَاةِ  
فَلَمَّا تَوَجَّهُوا لِطَلَبِ مَا فِي أَيْدِي الْأُمَمِ مِنَ الْمُلْكِ لَمْ يَكُنْ دُونَهُ حِمَى وَلَا وَزَرٌ فَاسْتَبِيحَ  
حِمَى فَارِسَ وَالرُّومَ أَهْلَ الدَّوْلَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ فِي الْعَالَمِ لِعَهْدِهِمُ وَالْتَرَكُوا بِالْمَشْرِقِ  
وَالْأَفْرَاجَةِ وَالْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ وَالْقُوطِ بِالْأَنْدَلُسِ وَخَطَوْا مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشُّوسِ الْأَقْصَى  
وَمِنَ الْيَمَنِ إِلَى التُّرْكِ بِأَقْصَى الشَّمَالِ وَاسْتَوَلُوا عَلَى الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ ثُمَّ انْظُرْ بَعْدَ ذَلِكَ  
دَوْلَةَ صَنْهَاجَةَ وَالْمُوحِدِينَ مَعَ الْعَبِيدِيِّينَ قَبْلَهُمْ لَمَّا كَانَ كُنَامَةُ الْقَائِمِينَ بِدَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ  
أَكْثَرَ مِنْ صَنْهَاجَةَ وَمِنَ الْمَصَامِدَةِ كَانَتْ دَوَاتُهُمْ أَعْظَمَ فَمَلَكَوْا أَفْرِقِيَّةَ وَالْمَغْرِبَ  
وَالشَّامَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازَ ثُمَّ انْظُرْ بَعْدَ ذَلِكَ دَوْلَةَ زَنَاتَةَ لَمَّا كَانَ عَدَدُهُمْ أَقَلَّ مِنَ الْمَصَامِدَةِ  
قَصَرَ مَلِكُهُمْ عَنْ مَلِكِ الْمُوحِدِينَ لِقُصُورِ عَدَدِهِمْ عَنْ عَدَدِ الْمَصَامِدَةِ مِنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ  
ثُمَّ أَعْتَبِرْ بَعْدَ ذَلِكَ حَالَ الدَّوْلَتَيْنِ لِهَذَا الْعَهْدِ لَزَنَاتَةَ بَنِي مُرَيْنَ وَبَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانَتْ  
دَوَاتُهُمْ أَقْوَى مِنْهَا وَأَوْسَعَ نِطَاقًا وَكَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الْغَلَبُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . يُقَالُ إِنَّ  
عَدَدَ بَنِي مُرَيْنَ لِأَوَّلِ مُلْكِهِمْ كَانَ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَإِنَّ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانُوا أَلْفًا إِلَّا  
أَنَّ الدَّوْلَةَ بِالرِّفَةِ وَكَثْرَةِ التَّابِعِ كَثُرَتْ مِنْ أَعْدَادِهِمْ وَعَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ فِي أَعْدَادِ  
الْمُتَغَلِبِينَ لِأَوَّلِ الْمُلْكِ يَكُونُ اتِّسَاعُ الدَّوْلَةِ وَقُوَّتُهَا وَأَمَّا طُولُ أَمْدِهَا أَيْضًا فَعَلَى تِلْكَ  
النِّسْبَةِ لِأَنَّ عُمَرَ الْحَادِثِ مِنْ قُوَّةِ مَزَاجِهِ وَمَزَاجِ الدُّوَلِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ  
الْعَصِيَّةُ قَوِيَّةً كَانَ الْمِزَاجُ تَابِعًا لَهَا وَكَانَ أَمْدُ الْعُمَرِ طَوِيلًا وَالْعَصِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ بِكَثْرَةِ  
الْعَدَدِ وَوُفُورِهِ كَمَا قُلْنَا هُ وَالسَّبَبُ الصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النِّقْصَ إِنَّمَا يَبْدُو فِي الدَّوْلَةِ مِنْ

الْأَطْرَافِ فَإِذَا كَانَتْ مَمَالِكُهَا كَثِيرَةً كَانَتْ أَطْرَافُهَا بَعِيدَةً عَنْ مَرْكَزِهَا وَكَثِيرَةً وَكُلُّ  
 نَقْصٍ يَقَعُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ زَمَنٍ فَتَكْثُرُ أَزْمَانُ النِّقْصِ لِكَثْرَةِ الْمَمَالِكِ وَاخْتِصَاصِ  
 كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِنَقْصٍ وَزَمَانٍ فَيَكُونُ أَمْدُهَا أَطْوَلَ الدُّوَلِ لَا بَنُو الْعَبَّاسِ أَهْلُ الْمَرْكَزِ  
 وَلَا بَنُو أُمَيَّةِ الْمُسْتَبِدِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَنْقُصْ أَمْرُ جَمِيعِهِمْ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ مِنْ  
 الْهَجْرَةِ وَدَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ كَانَ أَمْدُهَا قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَدَوْلَةُ صَنَهَاجَةَ  
 دُونَهُمْ مِنْ لَدُنْ تَقْلِيدِ مُعِزِّ الدُّوَلَةِ أَمْرًا فَرِيقِيَّةً لِأَكْثَرِ بَنِي زَيْرِي فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ  
 وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى حِينَ اسْتِيْلَاءِ الْمُوَحِّدِينَ عَلَى الْقَلْعَةِ وَبِجَايَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ  
 وَدَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَنَاهَزُ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَكَذَا نَسَبُ الدُّوَلِ فِي  
 أَعْمَارِهَا عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا سَنَةِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ

### الفصل التاسع

فِي أَنَّ الْأَوْطَانَ الْكَثِيرَةَ الْقَبَائِلَ وَالْعَصَائِبَ قُلُوبُهَا تَسْتَحْكِمُ فِيهَا دَوْلَةً  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافُ الْأَرَءِ وَالْأَهْوَاءِ وَأَنَّ وَرَاءَ كُلِّ رَأْيٍ مِنْهَا وَهْوَى  
 عَصِيَّةٌ تَمَانِعُ دُونَهَا فَيَكْثُرُ الْإِنْتِقَاضُ عَلَى الدُّوَلَةِ وَالْخُرُوجُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ وَتَنَةٍ وَإِنْ  
 كَانَتْ ذَاتَ عَصِيَّةٍ لِأَنَّ كُلَّ عَصِيَّةٍ مِمَّنْ تَحْتَ يَدِهَا تَطُنُّ فِي نَفْسِهَا مَنَعَةً وَقُوَّةً وَأَنْظُرُ  
 مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ مُنْذُ أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَلِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّ سَاكِنِي هَذِهِ  
 الْأَوْطَانَ مِنَ الْبَرَبَرِ أَهْلُ قَبَائِلٍ وَعَصِيَّاتٍ فَلَمْ يُغْنِ فِيهِمْ الْغَلَبُ الْأَوَّلُ الَّذِي كَانَ لِأَبْنِ  
 أَبِي سَرْحٍ عَلَيْهِمْ وَهَلَى الْإِفْرَنْجِيَّةُ شَيْئًا وَعَاوَدُوا بَعْدَ ذَلِكَ الثَّوْرَةَ وَالرِّدَّةَ مَرَّةً بَعْدَ  
 أُخْرَى وَعَظُمَ الْإِثْمَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الدِّينُ عِنْدَهُمْ عَادُوا إِلَى الثَّوْرَةِ  
 وَالْخُرُوجِ وَالْأَخْذِ بِدِينِ الْخَوَارِجِ مَرَاتٍ عَدِيدَةً قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ أَرْتَدَّتِ الْبَرَابِرَةُ  
 بِالْمَغْرِبِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً وَلَمْ تَسْتَقِرَّ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ فِيهِمْ إِلَّا لِعَهْدِ وَلَايَةِ مُوسَى  
 بْنِ نُصَيْرٍ فَمَا بَعْدَهُ وَهَذَا مَعْنَى مَا يُنْقَلُ عَنْ عُمَرَ أَنَّ أَفْرِيقَةَ مَفْرُوقَةُ الْقُلُوبِ أَهْلًا بِإِشَارَةِ  
 إِلَى مَا فِيهَا مِنْ كَثْرَةِ الْعَصَائِبِ وَالْقَبَائِلِ الْحَامِيَةِ لَهُمْ عَلَى عَدَمِ الْإِذْعَانِ وَالْإِتْقِيَادِ وَلَمْ  
 يَكُنِ الْعِرَاقُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ بِتِلْكَ الصِّفَةِ وَلَا الشَّامُ إِنَّمَا كَانَتْ حَامِيَّتُهَا مِنْ فَارِسَ  
 وَالرُّومِ وَالْكَافَّةِ دَهْمَاءُ أَهْلِ مَدُنٍ وَأَمْصَارٍ فَلَمَّا غَلَبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَأَنْزَعُوهُ  
 مِنْ أَيْدِيهِمْ لَمْ يَبْقَ فِيهَا مُمَانِعٌ وَلَا مُشَاقٌّ وَالْبَرَبَرُ قَبَائِلُهُمْ بِالْمَغْرِبِ أَكْثَرُ مِنْ أَنَّ



تُحْصَى وَكُلُّهُمْ بَادِيَّةٌ وَأَهْلُ عَصَائِبٍ وَعَشَائِرٍ وَكُلُّمَا هَلَكَتْ قَبِيلَةٌ عَادَتْ الْأُخْرَى  
 مَكَانَهَا وَإِلَى دِينِهَا مِنَ الْخِلَافِ وَالرَّدَةِ فَطَالَ أَمْرُ الْعَرَبِ فِي تَهْيِيدِ الدَّوْلَةِ بِوَطَنِ  
 أَفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ بِالشَّامِ لِعَهْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ فِيهِ مِنْ قَبَائِلِ  
 فَلَسْطِينَ وَكَنْعَانَ وَبَنِي عَيْصُو وَبَنِي مِدْيَنَ وَبَنِي لُوطٍ وَالرُّومَ وَالْيُونَانَ وَالْعِمَاقَةَ وَكَرِيكَشَ  
 وَالنَّبْطَ مِنْ جَانِبِ الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلَ مَا لَا يُحْصَى كَثَرَةً وَتَنَوُّعًا فِي الْعَصَبِيَّةِ فَصَعِبَ عَلَى  
 بَنِي إِسْرَائِيلَ تَهْيِيدُ دَوْلَتِهِمْ وَرُسُوحُ أَمْرِهِمْ وَأَضْطَرَبَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى  
 وَسَرَى ذَلِكَ الْخِلَافُ إِلَيْهِمْ فَأَخْلَفُوا عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَخَرَجُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَلِكٌ  
 مُوَطَّدٌ سَائِرًا يَأْمُرُهُمْ إِلَى أَنْ غَلَبَهُمُ الْفَرَسُ ثُمَّ يُونَانُ ثُمَّ الرُّومُ آخِرُ أَمْرِهِمْ عِنْدَ الْجَلَاءِ  
 وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَبَعَكَسَ هَذَا أَيْضًا الْأَوْطَانُ الْخَالِيَةُ مِنَ الْعَصَبِيَّاتِ يَسْهُلُ تَهْيِيدُ  
 الدَّوْلَةِ فِيهَا وَيَكُونُ سُلْطَانُهَا وَازِعًا لِقِلَّةِ الْهَرَجِ وَالْإِنْتِقَاضِ وَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ فِيهَا إِلَى  
 كَثِيرٍ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ كَمَا هُوَ الشَّانُ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ إِذْ هِيَ خَالُو مِنْ الْقَبَائِلِ  
 وَالْعَصَبِيَّاتِ كَانَ لَمْ يَكُنِ الشَّامُ مَعْدِنًا لَهُمْ كَمَا قَدْ نَاهُ فَمَلِكُ مِصْرَ فِي غَايَةِ الدَّعَةِ وَالرُّسُوحِ  
 لِقِلَّةِ الْخَوَارِجِ وَأَهْلُ الْعَصَائِبِ إِنَّمَا هُوَ سُلْطَانٌ وَرَعِيَّةٌ وَدَوْلَتُهَا قَائِمَةٌ بِمُلُوكِ التُّرُكِ  
 وَعَصَائِبِهِمْ يَغْلِبُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَسْتَقِلُّ الْأَمْرُ فِيهِمْ مِنْ مَنبِتٍ إِلَى مَنبِتٍ  
 وَالْخِلَافَةُ مُسَمَّاةٌ لِلْعَبَّاسِيِّ مِنْ أَعْقَابِ الْخُلَفَاءِ بِبَغْدَادَ وَكَذَا شَأْنُ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّ  
 عَصَبِيَّةَ ابْنِ الْأَحْمَرِ سُلْطَانِهَا لَمْ تَكُنْ لِأَوَّلِ دَوْلَتِهِمْ بِقُوَّةٍ وَلَا كَانَتْ كَرَاتٍ إِنَّمَا يَكُونُ  
 أَهْلُ يَتٍّ مِنْ يُوتِ الْعَرَبِ أَهْلُ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بَقُوا مِنْ ذَلِكَ الْقِلَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ  
 الْأَنْدَلُسِ لَمَّا انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْهُمْ وَمَلَكَهُمْ الْبَرْبَرُ مِنْ لِمَثُونَةٍ وَالْمُوحِدِينَ  
 سَمُّوا مَلَكَتْهُمْ وَثَقُلَتْ وَطَائَتُهُمْ عَلَيْهِمْ فَأَشْرَبَتْ الْقُلُوبُ بَغْضَاءَهُمْ وَأَمَكَنَ الْمُوَحِدُونَ  
 وَالسَّادَةُ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ كَثِيرًا مِنَ الْحِصُونِ لِلطَّاعِيَةِ فِي سَبِيلِ الْأَسْتِظْهَارِ بِهِ عَلَى شَأْنِهِمْ  
 مَنْ تَمَلَّكَ الْحَضْرَةَ مَرَاكِشَ فَاجْتَمَعَ مَنْ كَانَ بَقِيَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ مَعَادِنُ  
 مِنْ يُوتِ الْعَرَبِ تَجَافَى بِهِمُ الْمَنبِتُ عَنِ الْحَاضِرَةِ وَالْأَمْصَارِ بَعْضَ الشَّيْءِ وَرَسَّخُوا فِي  
 الْعَصَبِيَّةِ مِثْلَ ابْنِ هُوْدٍ وَابْنِ الْأَحْمَرِ وَابْنِ مَرْدَنِشَ وَأَمْثَالِهِمْ فَقَامَ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ  
 وَدَعَا بِدَعْوَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِالْمَشْرِقِ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى الْمُوَحِدِينَ  
 فَنَبَذُوا إِلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَأَخْرَجُوهُمْ وَأَسْتَقِلَّ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ سَمَّا ابْنُ

الْأَحْمَرِ لِلْأَمْرِ وَخَالَفَ ابْنُ هُوْدٍ فِي دَعْوَتِهِ قَدْعًا هُوَ لَا يَنْبَغِي لِأَبِي حَنْصٍ صَاحِبِ أَفْرِيقِيَّةٍ  
 مِنَ الْمُوَحِّدِينَ وَقَامَ بِالْأَمْرِ وَتَنَاوَلَهُ بِعَصَابَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ قَرَابَتِهِ كَانُوا يُسَمُّونَ الرُّؤُسَاءَ وَلَمْ  
 يَحْتَجْ لِأَكْثَرِ مِنْهُمْ لِقَلَّةِ الْعَصَائِبِ بِالْأَنْدَلُسِ وَإِنَّمَا سُلْطَانُ وَرَعِيَّةٌ ثُمَّ اسْتَظْهَرَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ عَلَى الطَّاعِيَةِ بِمَنْ يُعِزُّ إِلَيْهِ الْبَحْرُ مِنْ أَعْيَاصِ زَنَاتَةٍ فَصَارُوا مَعَهُ عَصَبَةً عَلَى  
 الشَّاعِرَةِ وَالرُّبَاطِ ثُمَّ سَمَا لِصَاحِبِ مِنْ مُلُوكِ زَنَاتَةٍ أَمَلٌ فِي الْأَسْتِيْلَاءِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ  
 فَصَارَ أَوْلَئِكَ الْأَعْيَاصُ عَصَابَةً ابْنِ الْأَحْمَرِ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنْهُ إِلَى أَنْ تَأْتَلَ  
 أَمْرُهُ وَرَسَخَ وَأَلْفَتَهُ النُّفُوسُ وَعَجَزَ النَّاسُ عَنْ مُطَالَبَتِهِ وَوَرِثَهُ أَعْقَابُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا تَظُنُّ  
 أَنَّهُ بَغَيْرِ عَصَابَةٍ فَلَيْسَ كَذَلِكَ وَقَدْ كَانَ مَبْدَأُهُ بِعَصَابَةٍ إِلَّا أَنَّهَا قَلِيلَةٌ وَعَلَى قَدَرِ الْحَاجَةِ  
 فَإِنْ فُطِرَ الْأَنْدَلُسُ لِقَلَّةِ الْعَصَائِبِ وَالْقَبَائِلِ فِيهِ يُغْنِي عَنْ كَثَرَةِ الْعَصَبِيَّةِ فِي التَّغَالُبِ  
 عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

### الفصل العاشر

في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد

وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصَبِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةُ مُتَأَلِّفَةٌ مِنْ عَصَبَاتٍ  
 كَثِيرَةٍ تَكُونُ وَاحِدَةً مِنْهَا أَقْوَى مِنَ الْأُخْرَى كُلُّهَا فَتَغْلِبُهَا وَتَسْتَوِلِي عَلَيْهَا حَتَّى تُصَيِّرَهَا  
 جَمِيعًا فِي ضَمْنِهَا وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْأَجْتِمَاعُ وَالْغَلْبُ عَلَى النَّاسِ وَالِدُولِ وَسِرُّهُ أَنَّ الْعَصَبِيَّةَ  
 الْعَامَّةَ لِلْقَبِيلِ هِيَ مِثْلُ الْمِزَاجِ لِلْمُتَّكُونَ وَالْمِزَاجُ إِنَّمَا يَكُونُ عَنِ الْعُنَاصِرِ وَقَدْ تَبَيَّنَ  
 فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ الْعُنَاصِرَ إِذَا اجْتَمَعَتْ مُتَكَافِئَةً فَلَا يَقَعُ مِنْهَا مِزَاجٌ أَصْلًا بَلْ لَا بُدَّ مِنْ  
 أَنْ تَكُونَ وَاحِدَةً مِنْهَا هِيَ الْغَالِبَةُ عَلَى الْكُلِّ حَتَّى يَجْمَعَهَا وَتُوَلِّفَهَا وَتُصَيِّرَهَا عَصَبِيَّةً  
 وَاحِدَةً شَامِلَةً لْجَمِيعِ الْعَصَائِبِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي ضَمْنِهَا وَتِلْكَ الْعَصَبِيَّةُ الْكُبْرَى إِنَّمَا  
 تَكُونُ اقْوَمُ أَهْلِ بَيْتٍ وَرِئَاسَةٍ فِيهِمْ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ رَئِيسًا لَهُمْ غَالِبًا  
 عَلَيْهِمْ فَيَتَعَيَّنُ رَئِيسًا لِلْعَصَبِيَّاتِ كُلِّهَا لَغَلْبِ مَنَبَتِهِ لْجَمِيعِهَا وَإِذَا تَعَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ فَمِنْ الطَّبِيعَةِ  
 الْحَيَوَانِيَّةِ خُلُقُ الْكِبَرِ وَالْأَتَقَةِ فَيَأْتِي حِينَئِذٍ مِنَ الْمُسَاهَمَةِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي اسْتِثْبَاعِهِمْ  
 وَالتَّحْكُمِ فِيهِمْ وَيَجِيئُ خُلُقُ التَّأَلُّهِ الَّذِي فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ مَعَ مَا يُقْتَضِيهِ السِّيَاسَةُ مِنْ  
 انْفِرَادِ الْحَاكِمِ لِفَسَادِ الْكُلِّ بِاخْتِلَافِ الْحُكْمَانِ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لَفَسَدَتْ  
 فَتَجْدَعُ حِينَئِذٍ أَنْوْفُ الْعَصَبِيَّاتِ وَتَفْلَحُ شَكَائِمُهُمْ عَنْ أَنْ يَسْمُوا إِلَى مُشَارَكَتِهِ فِي التَّحْكُمِ



وَنُقَرِّعُ عَصِيَّتَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيَنْفَرِدُ بِهِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى لَا يَبْرُكَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْأَمْرِ لَا نَافَةَ وَلَا جَمَلًا فَيَنْفَرِدُ بِذَلِكَ الْمَجْدُ بِكُلِّيَّتِهِ وَيُدْفَعُهُمْ عَنْ مُسَاهَمَتِهِ وَقَدْ يَتِمُّ ذَلِكَ لِلأَوَّلِ مِنْ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ لَا يَتِمُّ إِلَّا لِلثَّانِي وَالثَّالِثِ عَلَى قَدَرِ مُمَانَعَةِ الْعَصِيَّاتِ وَقُوَّتِهَا إِلَّا أَنَّهُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الدَّوْلِ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الحادي عشر

في ان من طبيعة الملك الترف

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ إِذَا تَغَلَّبَتْ وَمَا كُنْتَ مَا بِأَيْدِي أَهْلِ الْمُلْكِ قَبْلَهَا كَثُرَ رِيَاسُهَا وَنِعْمَتُهَا فَتَكْثُرُ عَوَائِدُهُمْ وَيَتَجَاوِزُونَ ضَرُورَاتِ الْعَيْشِ وَخُشُوعَتَهُ إِلَى نَوَافِلِهِ وَرِقَّتِهِ وَزِينَتِهِ وَيَذْهَبُونَ إِلَى اتِّبَاعِ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَتَصِيرُ لَتِلْكَ النُّوَافِلِ عَوَائِدُ ضَرُورِيَّةٌ فِي تَحْصِيلِهَا وَيَنْزِعُونَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى رِقَّةِ الْأَحْوَالِ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ وَالْفُرُشِ وَالْأَنْبِيَةِ وَيَتَفَاخَرُونَ فِي ذَلِكَ وَيُفَاخِرُونَ فِيهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَكْلِ الطَّيِّبِ وَلَبْسِ الْأَنْبِيَةِ وَزُكُوبِ الْفَارِهِ وَيُنَاقِضُ خَلْفَهُمْ فِي ذَلِكَ سَلَفُهُمْ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَعَلَى قَدَرِ مُلْكِهِمْ يَكُونُ حَظُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَتَرَفُّهُمْ فِيهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا مِنْ ذَلِكَ الْغَايَةَ الَّتِي لِلدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَهَا بِحَسَبِ قُوَّتِهَا وَعَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثاني عشر

في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَا يَحْصُلُ لَهَا الْمُلْكُ إِلَّا بِالْمُطَابَلَةِ وَالْمُطَابَلَةُ غَايَتُهَا الْغَلْبُ وَالْمُلْكُ وَإِذَا حَصَلَتِ الْغَايَةُ انْقَضَى السَّعْيُ إِلَيْهَا (قال الشاعر)  
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ  
فَإِذَا حَصَلَ الْمُلْكُ أَقْصَرُوا عَنِ الْمَتَاعِ الَّتِي كَانُوا يَتَكَلَّفُونَهَا فِي طَلَبِهِ وَآثَرُوا الرِّاحَةَ وَالسُّكُونَ وَالدَّعَةَ وَرَجَعُوا إِلَى تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمُلْكِ مِنَ الْمَبَانِي وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَلَابِسِ فَيَبْنُونَ الْقُصُورَ وَيُجْرُونَ الْمِيَاهَ وَيَغْرِسُونَ الرِّيَاضَ وَيَسْتَمْتِعُونَ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا وَيُؤَثِّرُونَ الرِّاحَةَ عَلَى الْمَتَاعِ وَيَتَأَتَّقُونَ فِي أَحْوَالِ الْمَلَابِسِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْأَنْبِيَةِ وَالْفُرُشِ مَا اسْتَطَاعُوا وَيَأْلَفُونَ ذَلِكَ وَيُورِثُونَهُ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَجْيَالِهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَزَايَدُ فِيهِمْ

إِلَى أَنْ يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثالث عشر

في انه اذا تحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة

اقيمت الدولة على الهرم

وَيَبَيِّنُهُ مِنْ وَجْهِهِ . الْأَوَّلُ أَنَّهَا تَقْتَضِي الْإِنْفِرَادَ بِالْمَجْدِ كَمَا قُلْنَا هُ وَبِمَهْمَا كَانَتْ  
الْمَجْدُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْعِصَابَةِ وَكَانَ مَعِيَهُمْ لَهُ وَاحِدًا كَانَتْ هِمَمُهُمْ فِي التَّغْلِبِ عَلَى الْغَيْرِ  
وَاللَّبِّ عَنِ الْخُوزَةِ أَسْوَةً فِي طُمُوحِهَا وَقُوَّةِ شَكَائِمِهَا وَرَمَاهُمْ إِلَى الْعَزِّ جَمِيعًا يَسْتَطِيعُونَ  
الْمَوْتَ فِي بِنَاءِ نَجْدِهِمْ وَيُؤْثِرُونَ الْمَلَكَ عَلَى فُسَادِهِ وَإِذَا انْفَرَدَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِالْمَجْدِ  
فَرَعَ عَصِيَّتَهُمْ وَكَبَّحَ مِنْ أَعْيُنِهِمْ وَأَسْتَأْثَرَ بِالْأَمْوَالِ دُونَهُمْ فَتَكَاسَلُوا عَنِ الْغَزْوِ وَفَسَلَ  
رُبُّهُمْ وَرَأَيْمُوا الْمَدْلَةَ وَالْإِسْتِعْبَادَ ثُمَّ رُبِّي أَلْجِلُ الثَّانِي مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ يَحْسِبُونَ مَا يَنَالُهُمْ  
مِنَ الْعَطَاءِ أَجْرًا مِنَ السُّلْطَانِ لَهُمْ عَنِ الْحِمَايَةِ وَالْمَعُونَةِ لَا يَجْرِي فِي عُقُولِهِمْ سِوَاهُ وَقُلْ  
أَنْ يَسْتَأْجِرَ أَحَدٌ نَفْسَهُ عَلَى الْمَوْتِ فَيَصِيرُ ذَلِكَ وَهَنًا فِي الدَّوْلَةِ وَخَضًا مِنَ الشُّوْكَه  
وَيُقْبَلُ بِهِ عَلَى مَنَاحِي الضَّعْفِ وَالْهَرَمِ لِفَسَادِ الْعِصَابَةِ بِذَهَابِ الْبَاسِ مِنْ أَهْلِهَا . وَالْوَجْهُ  
الثَّانِي أَنَّ طَبِيعَةَ الْمُلْكَ تَقْتَضِي التَّرَفَ كَمَا قَدْ مَنَاهُ فَتَكْثُرُ عَوَائِدُهُمْ وَتَزِيدُ نَفَقَاتِهِمْ  
عَلَى أُعْطِيَاتِهِمْ وَلَا يَبْقَى دَخْلُهُمْ بِخُرْجِهِمْ فَالْفَقِيرُ مِنْهُمْ يَهْلِكُ وَالْمُتَرَفُّ يَسْتَغْرِقُ عَطَاءَهُ  
بِتَرَفِهِ ثُمَّ يَزْدَادُ ذَلِكَ فِي أَجْيَالِهِمُ الْمَتَأَخِّرَةِ إِلَى أَنْ يَقْصُرَ الْعَطَاءُ كُلُّهُ عَنِ التَّرَفِ  
وَعَوَائِدِهِ وَتَمَسَّهُمُ الْحَاجَةُ وَتُطَالِبُهُمْ مُلُوكُهُمْ بِمَحْضَرِ نَفَقَاتِهِمْ فِي الْغَزْوِ وَالْخُرُوبِ فَلَا  
يَجِدُونَ وَلِجَّةً عَنْهَا يَوْفِقُونَ بِهِمُ الْعُقُوبَاتِ وَيَنْتَزِعُونَ مَا فِي أَيْدِي الْكَثِيرِ مِنْهُمْ يَسْتَأْثِرُونَ  
بِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ يُؤْثِرُونَ بِهِ أَبْنَاءَهُمْ وَصَنَائِعَ دَوْلَتِهِمْ فَيُضْعِفُونَهُمْ لِذَلِكَ عَنْ إِقَامَةِ أَحْوَالِهِمْ  
وَيَضْعُفُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ بِضَعْفِهِمْ وَأَيْضًا إِذَا كَثُرَ التَّرَفُ فِي الدَّوْلَةِ وَصَارَ عَطَاؤُهُمْ  
مُقْصَرًّا عَنْ حَاجَاتِهِمْ وَنَفَقَاتِهِمْ أَحْتَاجَ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الَّذِي هُوَ السُّلْطَانُ إِلَى الزِّيَادَةِ  
فِي أُعْطِيَاتِهِمْ حَتَّى يَسُدَّ خَلْلَهُمْ وَيُزِيحَ عِلْلَهُمْ وَالْجَبَايَةُ مِقْدَارُهَا مَعْلُومٌ وَلَا تَزِيدُ وَلَا  
تَنْقُصُ وَإِنْ زَادَتْ بِمَا يُسْتَحْدَثُ مِنَ الْمَكُوسِ فَيَصِيرُ مِقْدَارُهَا بَعْدَ الزِّيَادَةِ مُخَدُّدًا  
فَإِذَا وَزَعَتْ الْجَبَايَةُ عَلَى الْأَعْطِيَاتِ وَقَدْ حَدَّثَتْ فِيهَا الزِّيَادَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمَا حَدَثَ مِنْ  
تَرْفِهِمْ وَكَثْرَةِ نَفَقَاتِهِمْ نَقَصَ عَدَدُ الْحِمَايَةِ حِينَئِذٍ عَمَّا كَانَ قَبْلَ زِيَادَةِ الْأَعْطِيَاتِ ثُمَّ



يَعْظُمُ التَّرَفُ وَتَكْثُرُ مَقَادِيرُ الْأَعْطِيَّاتِ لِذَلِكَ فَيَنْقُصُ عَدَدُ الْحَامِيَةِ وَثَالِثًا وَرَابِعًا إِلَى  
 أَنْ يَعُودَ الْعَسْكَرُ إِلَى أَقَلِّ الْأَعْدَادِ فَتَضَعُ الْحِمَايَةُ لِذَلِكَ وَتَسْقُطُ قُوَّةُ الدَّوْلَةِ وَيَتَجَاسَرُ  
 عَلَيْهَا مَنْ يُجَاوِزُهَا مِنَ الدُّوَلِ أَوْ مَنْ هُوَ تَحْتَ يَدَيْهَا مِنَ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ وَيَأْذَنُ اللَّهُ  
 فِيهَا بِإِلْفَاءِ الَّذِي كَتَبَهُ عَلَى خَلْقَتِهِ وَأَيْضًا فَالتَّرَفُ مُفْسِدٌ لِلخَلْقِ بِمَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنَ  
 الْوَانِ الشَّرِّ وَالْبُهْسَفَةِ وَعَوَائِدِهَا كَمَا يَأْتِي فِي فَصْلِ الْحِضَارَةِ فَتَذْهَبُ مِنْهُمْ خِلَالُ  
 الْخَيْرِ الَّتِي كَانَتْ عِلَامَةً عَلَى الْمُلْكِ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ وَيَصِفُونَ بِمَا يُنَاقِضُهَا مِنْ خِلَالِ الشَّرِّ  
 فَيَكُونُ عِلَامَةً عَلَى الْإِدْبَارِ وَالْإِنْقِرَاضِ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فِي خَلْقَتِهِ وَتَأْخُذُ  
 الدَّوْلَةُ مَبَادِيءَ الْعَطَبِ وَتَتَضَعُ أَحْوَالَهَا وَتَنْزِلُ بِهَا أَمْرَاضٌ مُزْمِنَةٌ مِنَ الْهَرَمِ إِلَى أَنْ  
 يُقْضَى عَلَيْهَا. الْوَجْهُ الثَّلَاثُ أَنَّ طَبِيعَةَ الْمُلْكِ تَقْتَضِي الدَّعَةَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَإِذَا اتَّخَذُوا  
 الدَّعَةَ وَالرَّاحَةَ مَا لَمْ يَخْلُقُوا صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ طَبِيعَةً وَجِبِلَّةً شَأْنُ الْعَوَائِدِ كُلِّهَا وَإِبْلَافِهَا  
 فَتَرَبَّى أَجْبَالُهُمْ الْخَادِثَةُ فِي غَضَارَةِ الْعَيْشِ وَمِهَادِ التَّرَفِ وَالدَّعَةِ وَيَنْقَلِبُ خَلْقُ التَّوَحُّشِ  
 وَيَنْسَوْنَ عَوَائِدَ الْبِدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا الْمُلْكُ مِنْ شِدَّةِ الْبَاسِ وَتَعُودُ الْإِفْتِرَاسِ وَرُكُوبِ  
 الْبَيْدَاءِ وَهِدَايَةِ الْقَفْرِ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّوقَةِ مِنَ الْحَضَرِ إِلَّا فِي الثَّقَافَةِ وَالشَّارَةِ  
 فَتَضَعُ حِمَايَتَهُمْ وَيَذْهَبُ بِأَسْمِهِمْ وَتَتَخَضَّشُ شَوْكَتُهُمْ وَيَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا  
 تَلْبَسُ مِنْ ثِيَابِ الْهَرَمِ ثُمَّ لَا يَزَالُونَ يَتَكَلَّمُونَ بِعَوَائِدِ التَّرَفِ وَالْحِضَارَةِ وَالسُّكُونِ وَالدَّعَةِ  
 وَرِقَّةِ الْحَاشِيَةِ فِي جَمِيعِ أَحْزَالِهِمْ وَتَغْمِسُونَ فِيهَا وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَبْعُدُونَ عَنِ الْبِدَاوَةِ  
 وَالْحَشُونَةِ وَيَنْسَلِخُونَ عَنْهَا شَيْئًا فَشَيْئًا وَيَنْسَوْنَ خُلُقَ الْبَسَالَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا الْحِمَايَةُ وَالْمُدَافَعَةُ  
 حَتَّى يَعُودُوا عِيَالًا عَلَى حَامِيَةٍ أُخْرَى إِنْ كَانَتْ لَهُمْ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الدُّوَلِ الَّتِي أَخْبَارُهَا  
 فِي الصُّحُفِ لَدَيْكَ تَجِدُ مَا قُلْتُهُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ صَحِيحًا مِنْ غَيْرِ رَيْبَةٍ وَرُبَّمَا يَحْدُثُ فِي الدَّوْلَةِ  
 إِذَا طَرَفَهَا هَذَا الْهَرَمُ بِالتَّرَفِ وَالرَّاحَةِ أَنْ يَتَخَيَّرَ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْصَارًا وَشِيعَةً مِنْ غَيْرِ  
 جَلَدَتِهِمْ مِمَّنْ تَعُودُ الْحَشُونَةُ فَيَتَخَذُهُمْ جُنْدًا يَكُونُ أَصْبَرَ عَلَى الْحَرْبِ وَأَقْدَرَ عَلَى مُعَانَاةِ  
 الشَّدَائِدِ مِنَ الْجُوعِ وَالشَّطَفِ وَيَكُونُ ذَلِكَ دَوَاءً لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي عَسَاهُ أَنْ  
 يَطْرُقَهَا حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهَا بِأَمْرِ هَذَا كَمَا وَقَعَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فَإِنْ غَالَبَ  
 جُنْدُهَا الْمَوَالِي مِنَ التُّرْكِ فَتَتَخَيَّرُ مَلُوكَهُمْ مِنْ أَوْلِيكَ الْمَمَالِكِ أَنْجَلُوا بَيْنَ إِلَيْهِمْ فُرْسَانًا  
 وَجُنْدًا فَيَكُونُونَ أَجْرًا عَلَى الْحَرْبِ وَأَصْبَرَ عَلَى الشَّطَفِ مِنْ أُنْبَاءِ الْمَمَالِكِ الَّذِينَ

كَانُوا قَبْلَهُمْ وَرَبُّوا فِي مَاءِ الدَّعِيمِ وَالسُّلْطَانِ وَظِلِّهِ وَكَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ بِأَفْرِ بَقِيَّةٍ  
فَإِنْ صَاحِبَهَا كَثِيرًا مَا يَتَّخِذُ أَجْنَادَهُ مِنْ زَنَانَةٍ وَالْعَرَبِ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْهُمْ وَيَتْرُكُ أَهْلَ  
الدَّوْلَةِ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلتَّرَفِ فَتَسْتَجِدُّ الدَّوْلَةُ بِذَلِكَ عُمَرَاءَ آخَرَ سَالِمًا مِنَ الْهَرَمِ وَاللَّهِ  
وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل الرابع عشر

في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للأشخاص  
اعلم ان العُمر الطبيعي للأشخاص على ما زعم الأطباء والمنجمون مائة وعشرون  
سنة وهي سنو القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العُمر في كل جيل بحسب  
القرانات فيزيد عن هذا وينقص منه فيكون أعمار بعض أهل القرانات مائة تامة  
وبعضهم خمسين أو ثمانين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القرانات عند الناظرين فيها  
وأعمار هذه الملة ما بين الستين إلى السبعين كما في الحديث ولا يزيد على العُمر  
الطبيعي الذي هو مائة وعشرون إلا في الصور النادرة وعلى الأوضاع الغربية من  
الفلك كما وقع في شأن نوح عليه السلام وقليل من قوم عاد وثمود وأما أعمار  
الدول أيضا وإن كانت تختلف بحسب القرانات إلا أن الدولة في الغالب لا تعدو  
أعمار ثلاثة أجيال والجيل هو عُمر شخص واحد من العُمر الوسط فيكون  
أربعين الذي هو انتهاء النُمو والنُشوء إلى غايته قال تعالى حتى إذا بلغ أشده وبلغ  
أربعين سنة ولهذا قلنا إن عُمر الشخص الواحد هو عُمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه  
في حكمة التيه الذي وقع في بني إسرائيل وأن المقصود بالأربعين فيه فناء الجيل  
الأحياء ونشأة جيل آخر لم يعمدوا الدل ولا عرفوه فدل على اعتبار الأربعين في  
عُمر الجيل الذي هو عُمر الشخص الواحد وإنما قلنا إن عُمر الدولة لا يعدو في الغالب  
ثلاثة أجيال لأن الجيل الأول لم يزلوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من  
شطف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في العبد فلا تزال سيرة العصبية  
محفوظة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني  
تحول حالهم بالملك والترف من البداوة إلى الحضارة ومن الشطف إلى الترف  
والخصب ومن الاشتراك في العبد إلى أفراد الواحد به وكسل الباقيين عن



السعي فيه ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستيكانة فتكسر سورة العصبية بعض  
الشيء وثونس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل  
الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا اعتزازهم وسعيهم إلى التجدد ورايتهم في المدافعة  
والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإن ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء  
من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من وجودها فيهم وأما  
الجيل الثالث فينسبون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز  
والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويباغ فيهم الترف غايته بما تنقوه من النعيم  
وغضارة العيش فيصيرون عيالاً على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين  
للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسرب الحماية والمدافعة والمطالبة  
ويلبسون على الناس في الشارة والزري ورؤوب الخيل وحسن الثقافة يمرون بها وهم  
في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورها فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا  
مدافعة فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل التجدة ويستكثر  
بالموالي ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب  
الدولة بما حملت فهذه كما تراه ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة ومخلفها  
ولهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في أن التجدد والحسب إنما هو  
أربعة آباء وقد أتيناك فيه برهان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهدناه قبل من  
المقدمات فتأمل فلو تعدو وجه الحق إن كنت من أهل الانصاف وهذه الأجيال  
الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على مامر ولا تعدو الدول في الغالب هذا العمر بتقريب  
قبله أو بعده إلا إن عارض لها عارض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصل  
مستولياً والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعاً فإذا جاء أجاؤهم  
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزايد  
إلى سن الوقوف ثم إلى سن الرجوع ولهذا يجري على السنة الناس في المشهور أن  
عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فأعبره واتخذ منه قانوناً يصحح لك عدد الآباء في  
عمود النسب الذي تريد من قبل معرفة السنين الماضية إذا كنت قد استرقت في  
عددهم وكانت السنين الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من السنين

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآبَاءِ فَإِنْ تَقَدَّتْ عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ مَعَ نُفُودِ عَدَدِهِمْ فَهُوَ صَحِيحٌ وَإِنْ نَقَصَتْ عَنْهُ  
يَجِبُ فَقَدْ غُلِطَ عَدَدُهُمْ بِزِيَادَةٍ وَاحِدَةٍ فِي عُمُودِ النَّسَبِ وَإِنْ زَادَتْ بِمِثْلِهِ فَقَدْ سَقَطَ وَاحِدٌ  
وَكَذَلِكَ تَأْخُذُ عَدَدُ السِّنِينَ مِنْ عَدَدِهِمْ إِذَا كَانَ مُحْصَلًا لَدَيْكَ فَتَأَمَّلْهُ تَجِدُهُ فِي الْغَالِبِ  
صَحِيحًا وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

### الفصل الخامس عشر

في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

إِعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَطْوَارَ طَبِيعِيَّةٌ لِلدُّوَلِ فَإِنَّ الْغَلَبَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْمَلِكُ إِنَّمَا هُوَ  
بِالْعَصِيَّةِ وَبِمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ شِدَّةِ الْبَأْسِ وَتَعَوُّدِ الْأَفْتِرَاسِ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ غَالِبًا إِلَّا مَعَ  
الْبَدَاوَةِ فَطَوْرُ الدَّوَلَةِ مِنْ أَوَّلِهَا بِدَاوَةٌ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ الْمَلِكُ تَبِعَهُ الرِّفَّةُ وَاتَّسَاعُ الْأَحْوَالِ  
وَالْحَضَارَةُ إِنَّمَا هِيَ تَقَنُّنٌ فِي التَّرْفِ وَإِحْكَامُ الصَّنَائِعِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي وُجُوهِهِ وَمَذَاهِبِهِ  
مِنَ الْمَطَابِخِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَبَانِي وَالْفُرُشِ وَالْأَبْنِيَةِ وَسَائِرِ عَوَائِدِ الْمَنْزِلِ وَأَحْوَالِهِ  
فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا صَنَائِعٌ فِي اسْتِجَادَتِهِ وَالتَّائِقُ فِيهِ تَخْتَصُّ بِهِ وَيَتَأَلَّوْا بَعْضُهَا بَعْضًا  
وَاتَّكَثَرُ بِاخْتِلَافِ مَا تَنْزِعُ إِلَيْهِ الْنُفُوسُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَاذِ وَالْتَّعَمُّ بِأَحْوَالِ  
التَّرْفِ وَمَا تَتَلَوَّنُ بِهِ مِنَ الْعَوَائِدِ فَصَارَ طَوْرُ الْحَضَارَةِ فِي الْمَلِكِ يَتَّبِعُ طَوْرَ الْبَدَاوَةِ  
ضَرُورَةً لِمُضْرُورَةٍ تَبِعِيَّةٍ الرِّفَّةِ لِلْمَلِكِ وَأَهْلُ الدُّوَلِ أَبَدًا يُقَلِّدُونَ فِي طَوْرِ الْحَضَارَةِ  
وَأَحْوَالِهَا لِلدَّوَلَةِ السَّابِقَةِ قَبْلَهُمْ فَأَحْوَالُهُمْ يُشَاهِدُونَ وَمِنْهُمْ فِي الْغَالِبِ يَأْخُذُونَ وَمِثْلُ هَذَا  
وَقَعَ لِلْعَرَبِ لَمَّا كَانَ الْفَتْحُ وَمَلَكَوا فَارِسَ وَالرُّومَ وَاسْتَعْمَلُوا بَنَاتِهِمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَلَمْ  
يَكُونُوا لِدَلِكِ الْعَهْدِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْحَضَارَةِ فَقَدْ حُكِيَ أَنَّهُ قَدِيمٌ لَهُمُ الْمَرْقُوقُ فَكَانُوا  
يَحْسِبُونَهُ رِقَاعًا وَعَثَرُوا عَلَى الْكَافُورِ فِي خَزَائِنِ كِسْرَى فَاسْتَعْمَلُوهُ فِي عَجِينِهِمْ مِلْحًا وَمِثَالُ  
ذَلِكَ كَثِيرٌ فَلَمَّا اسْتَعْبَدُوا أَهْلَ الدُّوَلِ قَبْلَهُمْ وَاسْتَعْمَلُوهُمْ فِي مِهْنِهِمْ وَحَاجَاتِ مَنَازِلِهِمْ  
وَاخْتَارُوا مِنْهُمْ الْمَهْرَةَ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ وَالْقَوْمَةَ عَلَيْهِمْ أَفَادُوهُمْ عِلَاجَ ذَلِكَ وَالْقِيَامَ  
عَلَى عَمَلِهِ وَالتَّفَنُّ فِيهِ مَعَ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ اتِّسَاعِ الْعَيْشِ وَالتَّفَنُّ فِي أَحْوَالِهِ فَبَلَغُوا الْغَايَةَ  
فِي ذَلِكَ وَتَطَوَّرُوا بِطَوْرِ الْحَضَارَةِ وَالتَّرْفِ فِي الْأَحْوَالِ وَاسْتِجَادَةِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ  
وَالْمَلَابِسِ وَالْمَبَانِي وَالْأَسْلِحَةِ وَالْفُرُشِ وَالْأَبْنِيَةِ وَسَائِرِ الْمَاعُودِ وَالْخُرَتِيِّ وَكَذَلِكَ  
أَحْوَالُهُمْ فِي أَيَّامِ الْمُبَاهَاةِ وَالْوَلَايَمِ وَلِيَالِي الْأَعْرَاسِ فَأَتَوْا مِنْ ذَلِكَ وَرَاءَ الْغَايَةِ وَانْظُرْ



مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ وَالطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُمَا فِي أَغْرَاسِ الْمَأْمُونِ بِبُورَانَ بِنْتِ الْحَسَنِ  
 بْنِ سَهْلٍ وَمَا بَدَلَ أَبُوهَا لِحَاشِيَةِ الْمَأْمُونِ حِينَ وَافَاهُ فِي خُطْبَتِهَا إِلَى دَارِهِ بِفَمِ الصُّلْحِ  
 وَرَكِبَ إِلَيْهَا فِي السَّفِينِ وَمَا أَتَقَى فِي أَمْلَاكِهَا وَمَا نَحَلَهَا الْمَأْمُونُ وَأَتَقَى فِي عَرَسِهَا  
 نَقَفَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْعَجَبِ فَتَنَّهُ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ نَثَرَ يَوْمَ الْأَمْلَاكِ فِي الصَّبِيحِ الَّذِي  
 حَضَرَهُ حَاشِيَةُ الْمَأْمُونِ فَنَثَرَ عَلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ بَنَادِقَ الْمَلِكِ مَلْثُوثَةً دَلَى  
 الرِّقَاعِ بِالضَّبَاعِ وَالْعَقَارِ مُسَوَّغَةً لِمَنْ حَصَلَتْ فِي يَدِهِ يَقَعُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا  
 أَدَاهُ إِلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ وَالْبَخْتُ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ بُدْرَ الدَّنَانِيرِ فِي كُلِّ بُدْرَةٍ عَشْرَةُ  
 آلَافٍ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ بُدْرَ الدَّرَاهِمِ كَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَتَقَى عَلَى مَقَامَةِ الْمَأْمُونِ  
 بِدَارِهِ اضْعَافَ ذَلِكَ وَمِنْهُ أَنَّ الْمَأْمُونِ أَعْطَاهَا فِي مُهْرِهَا لَيْلَةً زِفَافِهَا أَلْفَ حَصَاةٍ مِنْ  
 الْيَاقُوتِ وَأَوْقَدَ شُمُوعَ الْعَنْبَرِ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِائَةً مِنْ وَهُوَ رَطْلٌ وَثُلَاثُ (١)  
 وَبَسَطَ لَهَا فُرْشًا كَانَ الْخَصِيرُ مِنْهَا مَنْسُوجًا بِالذَّهَبِ مُكَلَّلًا بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَقَالَ  
 الْمَأْمُونُ حِينَ رَأَاهُ قَاتِلَ اللَّهِ أَبَا نُوَّاسٍ كَأَنَّهُ أَبْصَرَ هَذَا حَيْثَ يَقُولُ فِي صِنَةِ الْخَمْرِ  
 كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَأَعَدَّ بِدَارِ الطَّبِخِ مِنَ الْخُطْبِ لِلَّيْلَةِ الْوَلِيمَةِ ثَقُلَ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ بَغْلًا مُدَّةَ عَامٍ كَامِلٍ  
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفُنِيَ الْخُطْبُ لِلْيَمَانِ وَأَوْقَدُوا الْجَرِيدَ يَصُبُّونَ عَلَيْهِ الزَّيْتَ  
 وَأَوْعَزَ إِلَى النَّوَاتِيَةِ بِإِحْضَارِ السُّفُنِ لِإِجَازَةِ الْخَوَاصِّ مِنَ النَّاسِ بِدِجْلَةٍ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى  
 قُصُورِ الْمَلِكِ بِمَدِينَةِ الْمَأْمُونِ لِحُضُورِ الْوَلِيمَةِ فَكَانَتْ الْحَرَاقَاتُ (٢) الْمُدَّةُ لِذَلِكَ  
 ثَلَاثِينَ أَلْفًا أَجَازُوا النَّاسَ فِيهَا أُخْرِيَّاتِ نَهَارِهِمْ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ وَكَذَلِكَ عَرَسُ  
 الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ بِطُلَيْطَلَةَ نَقَلَهُ ابْنُ سَامٍ فِي كِتَابِ الذَّخِيرَةِ وَأَبْنُ حَيَّانَ بَعْدَ أَنْ  
 كَانُوا كُلُّهُمْ فِي الطَّوْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبِدَاوَةِ عَاجِزِينَ عَنْ ذَلِكَ جُمْلَةً لِفَقْدَانِ أَسْبَابِهِ  
 وَالْقَائِمِينَ عَلَى صَنَائِعِهِ فِي غَضَاضَتِهِمْ وَسَدَاجَتِهِمْ يُذَكِّرُ أَنَّ الْحِجَّاجَ أَوَّلَ مَا فِي اخْتِثَانِ  
 بَعْضٍ وَلِيهِ فَاسْتَحْضَرَ بَعْضُ الدَّهَاقِينِ يَسْأَلُهُ عَنْ وَلَائِمِ الْفُرْسِ وَقَالَ أَخْبِرْنِي بِأَعْظَمِ  
 صَنِيعٍ شَهِدْتَهُ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ شَهِدْتُ بَعْضَ مَرَاذِبِهِ كِسْرَى وَقَدْ صَنَعَ لِأَهْلِ

(١) قوله وثلثان الذي كتب في اللغة ان المن رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التونسية ثلثان

(٢) المحرقات بالفتح جمع حرقاة سفينة فيها مراحي نار يرمي بها العدو اه مخنار

فَارِسَ صَنِيعًا أَحْضَرَ فِيهِ صِحَافَ الذَّهَبِ عَلَى أَخُونَةِ الْفِضَّةِ أَرْبَعًا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَتَحْمِلُهُ  
 أَرْبَعُ وَصَائِفَ وَيَجْلِسُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ النَّاسِ فَإِذَا طَعِمُوا اتَّبَعُوا أَرْبَعَتَهُمُ الْمَائِدَةُ  
 بِصِحَافِهَا وَوُصَفَائِهَا فَقَالَ الْحَجَّاجُ يَا غُلَامُ انْخَرِ الْجُزُرَ وَأَطْعِمِ النَّاسَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِلُّ  
 بِهَذِهِ الْأُجْبَةِ وَكَذَلِكَ كَانَتْ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أُعْطِيَتْ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَوَائِزُهُمْ فَإِنَّمَا كَانَ  
 أَكْثَرُهَا الْإِلَّاءُ أَخَذًا بِمَذَاهِبِ الْعَرَبِ وَبِدَوَاتِهِمْ ثُمَّ كَانَتْ الْجَوَائِزُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 وَالْعَبِيدِيَّينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَحْمَالِ الْمَالِ وَنُحُوتِ الثِّيَابِ وَإِعْدَادِ الْخَيْلِ بِمَرَاكِبِهَا  
 وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ كِتَابَةِ مَعَ الْأَغَالِيَةِ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَكَذَا بَنِي طَفَّحٍ بِمِصْرَ وَشَأْنُ لِمَثُونَةَ  
 مَعَ مُلُوكِ الطُّوَّائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْمُوحِدِينَ كَذَلِكَ وَشَأْنُ زَنَاتَةَ مَعَ الْمُوحِدِينَ وَهَلُمَّ  
 جَرًّا تَنْتَقِلُ الْحِضَارَةُ مِنَ الدَّوَلِ السَّالِفَةِ إِلَى الدَّوَلِ الْخَالِفَةِ فَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ الْفُرْسِ لِلْعَرَبِ  
 بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ وَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى مُلُوكِ الْمَغْرِبِ مِنَ  
 الْمُوحِدِينَ وَزَنَاتَةَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الدَّيْلَمِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ ثُمَّ  
 إِلَى السَّلْجُوقِيَّةِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ الْمَمَالِكِ بِمِصْرَ وَالتُّرْكِ بِالْعِرَاقِ وَعَلَى قَدَرِ عِظَمِ الدَّوَلَةِ  
 يَكُونُ شَأْنُهَا فِي الْحِضَارَةِ إِذَا أُمُورُ الْحِضَارَةِ مِنْ تَوَابِعِ التَّرَفِ وَالتَّرَفِ مِنْ تَوَابِعِ  
 الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ وَالثَّرْوَةُ وَالنِّعْمَةُ مِنْ تَوَابِعِ الْمَلِكِ وَمِقْدَارُ مَا يَسْتَوِلِي عَلَيْهِ أَهْلُ الدَّوَلَةِ  
 فَعَلَى نِسْبَةِ الْمَلِكِ يَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ فَاعْتَبَرَهُ وَتَقَسَّمَهُ وَتَأَمَّلَهُ تَجِدُهُ مَتَّحِيحًا فِي الْعُمَرَانِ  
 وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل السادس عشر

في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْقَبِيلَ إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْمَلِكُ وَالتَّرَفُ كَثُرَ التَّنَاسُلُ وَالْوُلْدُ  
 وَالْعُمُومِيَّةُ فَكَثُرَتِ الْعِصَابَةُ وَاسْتَكْثَرُوا أَيْضًا مِنَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ وَرَبَّيْتُ أَجْيَالُهُمْ  
 فِي جَوْ ذَلِكَ النِّعَمِ وَالرَّفَةِ فَازْدَادُوا بِهِ عَدَدًا إِلَى عَدَدِهِمْ وَقُوَّةً إِلَى قُوَّتِهِمْ بِسَبَبِ  
 كَثَرَةِ الْعِصَابِ حِينَئِذٍ بِكَثَرَةِ الْعَدَدِ فَإِذَا ذَهَبَ الْجِيلُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَأَخَذَتِ الدَّوَلَةُ  
 فِي الْهَرَمِ لَمْ تَسْتَغْلِ أُولَئِكَ الصَّنَائِعُ وَالْمَوَالِي بِأَنْفُسِهِمْ فِي تَأْسِيسِ الدَّوَلَةِ وَتَمْهِيدِ  
 مَلِكِهَا لِأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِنَّمَا كَانُوا عِيَالًا عَلَى أَهْلِهَا وَمَعُونَةً لَهَا فَإِذَا  
 ذَهَبَ الْأَصْلُ لَمْ يَسْتَغْلِ الْفَرْعُ بِالرُّسُوحِ فَيَذْهَبُ وَيَتَلَاشَى وَلَا تَبْقَى الدَّوَلَةُ عَلَى حَالِهَا



مِنَ الْقُوَّةِ وَاعْتَبَرَ هَذَا بِمَا وَقَعَ فِي الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْأَسْلَامِ كَانَ عَدَدُ الْعَرَبِ كَمَا قُلْنَا  
لِعَهْدِ النَّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا وَمَا يُقَارِبُهَا مِنْ مُضَرٍّ وَفُحْطَانٍ وَلَمَّا بَلَغَ التَّرَفُ  
مَبَالِغَهُ فِي الدَّوْلَةِ وَتَوَفَّرَ نَعْمُهُمْ بِتَوَفُّرِ النِّعَمَةِ وَاسْتَكْثَرَ الْخُلَفَاءُ مِنَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ  
بَلَغَ ذَلِكَ الْعَدَدُ إِلَى أَضْعَافِهِ يُقَالُ إِنَّ الْمُعْتَصِمَ نَازَلَ عُمُورِيَّةً لَمَّا افْتَتَحَهَا فِي تِسْعِمِائَةِ  
أَلْفٍ وَلَا يَبْعُدُ مِثْلُ هَذَا الْعَدَدُ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا إِذَا اعْتَبَرْتَ حَامِيَتَهُمْ فِي الثُّغُورِ الدَّائِيَةِ  
وَالْقَاصِيَةِ شَرْقًا وَغَرْبًا إِلَى الْجَنْدِ الْحَامِلِينَ سَرِيرَ الْمَلِكِ وَالْمَوَالِي وَالْمُضْطَنِّعِينَ وَقَالَ  
الْمَسْعُودِيُّ أَحْصَى بَنُو الْعَبَّاسِ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَاصَّةً أَيَّامَ الْمَأْمُونِ لِلْإِثْقَاقِ عَلَيْهِمْ  
فَكَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا بَيْنَ ذَكَرٍ وَأُنْثَى فَانْظُرْ مَبَالِغَ هَذَا الْعَدَدِ لِأَقَلِّ مِنْ مِائَتَيْ سَنَةٍ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ سَبَبَهُ الرِّفْقُ وَالنَّعِيمُ الَّذِي حَصَلَ لِلدَّوْلَةِ وَرَبِّي فِيهِ أَجْيَالُهُمْ وَإِلَّا فَعَدَدُ الْعَرَبِ  
لِلْأَوَّلِ الْفَتْحِ لَمْ يَبْلُغْ هَذَا وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

### الفصل السابع عشر

في اطوار الدولة واختلاف احوالها وخلق اهلها باختلاف الاطوار  
اعلم ان الدولة تنقل في اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون  
بها في كل طور خلقا من احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الآخر لأن  
الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعد في  
الغالب خمسة اطوار. الطور الأول طور الظفر بالبغيه وغلب المدافع والممانع  
والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة في هذا الطور أسوة قومه في  
اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد دونهم بشيء  
لأن ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحالها. الطور الثاني  
طور الاستيلاء على قومه والافراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة  
والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيا بأصطناع الرجال واتخاذ  
الموالي والصنائع والاستكثار من ذلك لجذب أنوف أهل عصبية وعشيرته المقامين  
له في نسبة الضاربين في الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الأمر ويصددهم عن  
موارده ويرددهم على اعتمادهم أن يخلصوا إليه حتى يقر الأمر في نصابه ويفرد أهل  
بيته بما يبني من مجده فيعاني من مدافعهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب

الْأَمْرَ أَوْ أَشَدَّ لَأَنَّ الْأَوَّلِينَ دَافَعُوا الْأَجَانِبَ فَكَانَ ظُهُرُهُمْ عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ أَهْلُ  
 الْعَصِيَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ وَهَذَا يُدَافِعُ الْأَقَارِبَ لَا يُظَاهِرُهُ عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ إِلَّا الْأَقْلُ مِنَ  
 الْأَبَاعِدِ فَيَرْكَبُ صَعْبًا مِنَ الْأَمْرِ. الطَّوْرُ الثَّلَاثُ طَوْرُ الْفَرَاغِ وَالِدَّةُ لِتَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ  
 الْمُلْكِ مِمَّا تَنْزِعُ طِبَاعُ الْبَشَرِ إِلَيْهِ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَالِ وَتَخْلِيدِ الْأَثَارِ وَبَعْدِ الصِّيتِ  
 فَيَسْتَفْرِغُ وَسْعَهُ فِي الْجِبَايَةِ وَضَبْطِ الدُّخْلِ وَالْخُرْجِ وَإِحْصَاءِ النِّفَقَاتِ وَالْقَصْدِ فِيهَا  
 وَتَشْيِيدِ الْمَبَانِي الْحَافِلَةِ وَالْمَصَانِعِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَمْصَارِ الْمُتَّسِعَةِ وَالْهَيَا كُلِّ الْمُرْتَبَعَةِ  
 وَإِجَارَةِ الْوُفُودِ مِنْ أَشْرَافِ الْأُمَمِ وَوُجُوهِ الْقَبَائِلِ وَبَثِّ الْمَعْرُوفِ فِي أَهْلِهِ هَذَا مَعَ  
 التَّوَسُّعِ عَلَى صَنَائِعِهِ وَحَاشِيَتِهِ فِي أَحْوَالِهِمْ بِالْمَالِ وَتِلْجَاهِ وَأَعْتِرَاضِ جُنُودِهِ وَإِذْرَارِ  
 أَرْزَاقِهِمْ وَإِنْصَافِهِمْ فِي أُعْطِيَانِهِمْ إِكْلَ هِلَالٍ حَتَّى يَظْهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فِي مَلَابِسِهِمْ  
 وَشُكْبِهِمْ وَشَارَاتِهِمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ فَيَبْهِي بِهِمُ الدُّوْلُ الْمُسَالِمَةَ وَيُرْهَبُ الدُّوْلُ الْحَارِبَةَ  
 وَهَذَا الطَّوْرُ آخِرُ أَطْوَارِ الْإِسْتِبْدَارِ مِنْ احْتِجَابِ الدَّوْلَةِ لِنَفْسِهِمْ فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ كُلِّهَا  
 مُسْتَقْلُونَ بِأَرْزَاقِهِمْ بَانُونَ إِعْزِيزُهُمْ مُوَضِّحُونَ الطَّرِيقَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. الطَّوْرُ الرَّابِعُ طَوْرُ  
 الْقَنُوعِ وَالْمُسَالَمَةِ وَيَكُونُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ فِي هَذَا قَانِعًا بِمَا بَنَى أَوَّلُهُ سَلَامًا لِإِنْظَارِهِ  
 مِنَ الْمُلُوكِ وَأَقْنَالِهِ مُقْلِدًا لِلْمَاضِينَ مِنْ سَلَفِهِ فَيَتَّبِعُ آثَارَهُمْ حَذْوَ النَّمْلِ بِالنَّمْلِ وَيَقْتَفِي  
 طَرِيقَهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَاجِجِ الْإِقْتِدَاءِ وَيَرَى أَنَّ فِي الْخُرُوجِ عَنْ تَقْلِيدِهِمْ فُسَادَ أَمْرِهِ وَأَنَّهُمْ  
 أَبْصَرُ بِمَا بَنَوْا مِنْ مَجْدِهِ. الطَّوْرُ الْخَامِسُ طَوْرُ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ وَيَكُونُ صَاحِبُ  
 الدَّوْلَةِ فِي هَذَا الطَّوْرِ مُتْلِفًا لِمَا جَمَعَ أَوَّلُهُ فِي سَبِيلِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَاذِ وَالْكَرَمِ عَلَى  
 بَطَانَتِهِ وَفِي تَجَالِسِهِ وَاضْطِنَاعِ أَخْدَانِ السُّوءِ وَخَضِرَاءِ الدِّمَنِ وَتَقْلِيدِهِمْ عَظِيمَاتِ الْأُمُورِ  
 الَّتِي لَا يَسْتَقِيلُونَ بِحَمْلِهَا وَلَا يَعْرِفُونَ مَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ مِنْهَا مُسْتَفْسِدَ الْكِبَارِ الْأَوْلِيَاءِ  
 مِنْ قَوْمِهِ وَصَنَائِعِ سَلَفِهِ حَتَّى يَضْطَغِنُوا عَلَيْهِ وَيَتَخَذَلُوا عَنْ نُصْرَتِهِ مُضِيْعًا مِنْ جُنْدِهِ  
 بِمَا أَتَّفَقَ مِنْ أُعْطِيَانِهِمْ فِي شَهَوَاتِهِ وَحُجْبِ عَنْهُمْ وَجْهِ مَبَاشَرَتِهِ وَتَفَقُّدِهِ فَيَكُونُ تَخَرُّبًا  
 لِمَا كَانَ سَلَفُهُ يُؤَسِّسُونَ وَهَادِمًا لِمَا كَانُوا يَبْنُونَ وَفِي هَذَا الطَّوْرِ تَحْصُلُ فِي الدَّوْلَةِ طَبِيعَةُ  
 الْهَرَمِ وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهَا الْمَرَضُ الْمَزْمِنُ الَّذِي لَا تَكَادُ تَخْلُصُ مِنْهُ وَلَا يَكُونُ لَهَا مَعَهُ  
 بَرْءٌ إِلَى أَنْ تَقْرَضَ كَمَا نَبِيْنُهُ فِي الْأَحْوَالِ الَّتِي نَسَرِدُهَا وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ



## الفصل الثامن عشر

في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَثَارَ إِنَّمَا تَخْدُثُ عَنِ الْقُوَّةِ الَّتِي بِهَا كَانَتْ أَوَّلًا وَعَلَى قَدَرِهَا  
يَكُونُ الْأَثَرُ فَمِنْ ذَلِكَ مَبَاقِي الدَّوْلَةِ وَهِيَ كُلُّهَا الْعَظِيمَةُ فَإِنَّمَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّةِ  
الدَّوْلَةِ فِي أَصْلِهَا لِأَنَّهَا لَا تَنُمُ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْفَعْلَةِ وَاجْتِمَاعِ الْأَيْدِي عَلَى الْعَمَلِ بِالْتَّعَاوُنِ  
فِيهِ فَإِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ عَظِيمَةً فَسِيحَةُ الْجَوَائِبِ كَثِيرَةٌ الْمَالِكِ وَالرَّعَايَا كَانَ الْفَعْلَةُ  
كَثِيرِينَ جِدًّا وَحُسِرُوا مِنْ آفَاقِ الدَّوْلَةِ وَأَقْطَارِهَا فَتَمَّ الْعَمَلُ عَلَى أَعْظَمِ هَيَاكِلِهِ الْأَثَرُ  
إِلَى مَصَانِعِ قَوْمٍ عَادٍ وَثُمُودٍ وَمَا قَصَّهُ الْقُرْآنُ عَنْهُمَا وَانْظُرْ بِالْمُشَاهَدَةِ إِيَّوَانِ كِسْرَى  
وَمَا أَقْتَدَرَ فِيهِ الْفَرَسُ حَتَّى إِنَّهُ عَزَمَ الرِّشِيدُ عَلَى هَدْمِهِ وَتَخْرِيْبِهِ فَتَكَادَ عَنْهُ وَشَرَعَ  
فِيهِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْعَجْزُ وَفِصَّةُ اسْتِشَارَتِهِ لِيَحْيَى ابْنِ خَالِدٍ فِي شَأْنِهِ مَعْرُوفَةٌ فَإِنْظُرْ كَيْفَ  
نَقْتَدِرُ دَوْلَةً عَلَى بِنَاءٍ لَا تَسْتَطِيعُ أُخْرَى عَلَى هَدْمِهِ مَعَ بَوْنِ مَا بَيْنَ الْهَدْمِ وَالْبِنَاءِ فِي السَّهُولَةِ  
تَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ بَوْنَ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَانْظُرْ إِلَى بِلَاطِ الْوَلِيدِ بِدِمَشْقَ وَجَامِعِ بَنِي أُمَيَّةٍ  
بِقُرْطَبَةٍ وَالْقَنْظَرَةِ الَّتِي عَلَى وَادِيهَا وَكَذَلِكَ بِنَاءُ الْحَنَائَا لِلْجَلْبِ الْمَاءِ إِلَى قَرْطَابَجَنَّةٍ فِي  
الْقَنَازَةِ الرَّأْكِبَةِ عَلَيْهَا وَآثَارِ شَرْشَالٍ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَهْرَامِ بِمِصْرَ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَثَارِ  
الْمِثَالَةِ لِلْعِيَانِ يُعْلَمُ مِنْهُ اخْتِلَافُ الدُّوَلِ فِي الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ وَاعْلَمْ أَنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالَ  
لِلْأَقْدَمِينَ إِنَّمَا كَانَتْ بِأَهْنَدَامٍ وَاجْتِمَاعِ الْفَعْلَةِ وَكَثْرَةِ الْأَيْدِي عَلَيْهَا فَبِذَلِكَ شِدَّتْ  
تِلْكَ أَلْهِيَا كُلُّ وَالْمَصَانِعِ وَلَا تَتَوَهَّمُ مَا تَتَوَهَّمُ الْعَامَّةُ أَنَّ ذَلِكَ لِعِظَمِ أَجْسَامِ الْأَقْدَمِينَ  
عَنْ أَجْسَامِنَا فِي أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا فَلَيْسَ بَيْنَ الْبَشَرِ فِي ذَلِكَ كَبِيرُ بَوْنٍ كَمَا نَجِدُ بَيْنَ  
أَلْهِيَا كُلِّ وَالْأَثَارِ وَلَقَدْ وَلَعَ الْقُصَّاصُ بِذَلِكَ وَتَغَالَوْا فِيهِ وَسَطَرُوا عَنْ عَادٍ وَثُمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ  
فِي ذَلِكَ أَخْبَارًا عَرَبِيَّةً فِي الْكُذِبِ مِنْ أَغْرِبِهَا مَا يَحْكُونُ عَنْ عَوْجِ بْنِ عِنَاقٍ<sup>(١)</sup> رَجُلٍ  
مِنَ الْعَمَالِقَةِ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الشَّامِ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لَطُولِهِ يَتَنَاوَلُ السَّمَكَ  
مِنَ الْبَحْرِ وَيَشْوِيهِ إِلَى الشَّمْسِ وَيَزِيدُونَ إِلَى جَهْلِهِمْ بِأَحْوَالِ الْبَشَرِ الْجَهْلَ بِأَحْوَالِ  
الْكَوَاكِبِ لِمَا أَعْتَقَدُوا أَنَّ لِلشَّمْسِ حَرَارَةً وَأَنَّهَا شَدِيدَةٌ فِيمَا قَرُبَ مِنْهَا وَلَا يَعْلَمُونَ

(١) قوله ابن عناق الذي في القاموس في باب المجيم عوج بن عوق بالواو والمشهور على السنة الناس

عنى بالنون قتاله نصر الهور بني

أَنَّ الْحَرَّ هُوَ الضَّوُّ وَأَنَّ الضَّوَّ فِيمَا قَرُبَ مِنَ الْأَرْضِ أَكْثَرُ لِأَنَّهُ كَاسِ الْأَشْعَةِ  
 مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ بِمُقَابَلَةِ الْأَضْوَاءِ فَتَضَاعَفُ الْحَرَارَةُ هُنَا لِأَجْلِ ذَلِكَ وَإِذَا تَجَاوَزَتْ  
 مَطَارِحَ الْأَشْعَةِ الْمُنْعَكِسَةِ فَلَا حَرَّ هُنَاكَ بَلْ يَكُونُ فِيهِ الْبَرْدُ حَيْثُ مُجَارِي السَّحَابِ  
 وَأَنَّ الشَّمْسَ فِي نَفْسِهَا لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ وَإِنَّمَا هِيَ جِسْمٌ بَسِيطٌ مُضِيٌّ لَا مِزَاجَ لَهُ  
 وَكَذَلِكَ عُوجُ بْنُ عِنَاقٍ هُوَ فِيمَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْعَمَالِقَةِ أَوْ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ  
 كَانُوا فَرِيسَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ فَتْحِهِمُ الشَّامَ وَأَطْوَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجِسْمَانِهِمْ لِذَلِكَ  
 الْعَهْدِ قَرِيبَةٌ مِنْ هَيَاكِلِنَا يَشْهَدُ لِذَلِكَ أَبْوَابُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَإِنَّهَا وَإِنْ خُرِبَتْ  
 وَجُدِدَتْ لَمْ تَزَلِ الْمَحَافِظَةُ عَلَى أَشْكَالِهَا وَمَقَادِيرُ أَبْوَابِهَا وَكَيْفَ يَكُونُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ  
 عُوجٍ وَبَيْنَ أَهْلِ عَصْرِهِ بِهَذَا الْمِقْدَارِ وَإِنَّمَا مَثَارُ غَلْطِهِمْ فِي هَذَا أَنَّهُمْ اسْتَعْظَمُوا آثَارَ  
 الْأَمْرِ وَلَمْ يَفْهَمُوا حَالَ الدُّوَلِ فِي الْأَجْتِمَاعِ وَالْعَمَلِ وَمَا يَحْصُلُ بِذَلِكَ وَبِالْهَيْدَامِ مِنَ  
 الْآثَارِ الْعَظِيمَةِ فَصَرَفُوهُ إِلَى قُوَّةِ الْأَجْسَامِ وَشِدَّتِهَا بِعِظَمِ هَيَاكِلِهَا وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ  
 وَقَدْ زَعَمَ الْمَسْعُودِيُّ وَنَقَلَهُ عَنِ الْفَلَّاسِفَةِ مَزْعَمًا لَا مُسْتَنَدَ لَهُ إِلَّا التَّحَكُّمُ وَهُوَ أَنَّ  
 الطَّبِيعَةَ الَّتِي هِيَ جَبَلَةٌ لِلْأَجْسَامِ لَمَّا بَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَانَتْ فِي تَمَامِ الْكُرَّةِ وَنِهَايَةِ الْقُوَّةِ  
 وَالْكَمَالِ وَكَانَتْ الْأَعْمَارُ أَطْوَلَ وَالْأَجْسَامُ أَقْوَى لِكَمَالِ تِلْكَ الطَّبِيعَةِ فَإِنْ طُرُوهُ  
 الْمَوْتِ إِنَّمَا هُوَ بِانْحِلَالِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ قُوَّةٌ كَانَتْ الْأَعْمَارُ أَزِيدَ فَكَانَ  
 الْعَالَمُ فِي أَوَّلِيَّةِ نَشْأَتِهِ تَامَ الْأَعْمَارُ كَامِلَ الْأَجْسَامِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَتَنَاقَصُ لِنُقْصَانِ الْمَادَّةِ  
 إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَنَاقَصُ إِلَى وَقْتِ الْإِنْحِلَالِ  
 وَانْقِرَاضِ الْعَالَمِ وَهَذَا رَأْيِي لَا وَجْهَ لَهُ إِلَّا التَّحَكُّمُ كَمَا تَرَاهُ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ  
 وَلَا سَبَبٌ بُرْهَانِيٌّ وَنَحْنُ نَشَاهِدُ مَسَاكِينَ الْأَوَّلِينَ وَأَبْوَابَهُمْ وَطُرُقَهُمْ فِيمَا أَخَذُوهُ مِنْ  
 الْبَنِيَانِ وَالْهَيَاكِلِ وَالْدِيَارِ وَالْمَسَاكِينِ كَدِيَارِ ثَمُودَ الْمُنْحَوْتَةِ فِي الصَّلْدِ مِنَ الصَّخْرِ يَوْمًا  
 صَغَارًا وَأَبْوَابَهَا ضَيِّقَةً وَقَدْ أَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّهَا دِيَارُهُمْ وَنَهَى عَنِ اسْتِعْمَالِ  
 مِيَاهِهِمْ وَطَرَحَ مَا عَجَنَ بِهِ وَأَهْرَقَ وَقَالَ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا  
 أَنْ تَكُونُوا بِأَكِينٍ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ وَكَذَلِكَ أَرْضُ عَادٍ وَمِصْرُ وَالشَّامُ وَسَائِرُ  
 بَقَاعِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَالْحَقُّ مَا قَرَزْنَاهُ وَمِنْ آثَارِ الدُّوَلِ أَيْضًا حَالُهَا فِي الْأَعْرَاسِ  
 وَالْوَلَايِمِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي وَلِيْمَةِ بُورَانَ وَصَنِيعِ الْحَبَّاجِ وَأَبْنِ ذِي النُّونِ وَقَدْ مَرَّ



ذَلِكَ كُلُّهُ وَمِنْ آثَارِهَا أَيْضًا عَطَايَا الدُّوَلِ وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَتِهَا وَيُظْهَرُ ذَلِكَ  
 فِيهَا وَلَوْ أَشْرَفَتْ عَلَى الْهَرَمِ فَإِنَّ الْهَمَمَ الَّتِي لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّةِ مُلْكِهِمْ  
 وَغَلَبِهِمْ لِلنَّاسِ وَالْهَمْدُ لَا تَزَالُ مُصَاحِبَةً لَهُمْ إِلَى أَنْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَأَعْتَبَرُ ذَلِكَ بِجَوَائِزِ  
 ابْنِ ذِي يَزَنَ لَوْفِدِ فُرَيْشٍ كَيْفَ أَعْطَاهُمْ مِنْ أَرْطَالِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَعْبَدِ  
 وَالْوَصَائِفِ عَشْرًا عَشْرًا وَمِنْ كَرِشِ الْعَبَرِ وَاحِدَةً وَأَضَعْتُ ذَلِكَ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهِ  
 لِعَبْدِ الْمُطَلَبِ وَإِنَّمَا مُلْكُهُ يَوْمَئِذٍ قَرَارَةٌ الْيَمَنِ خَاصَّةً تَحْتَ اسْتِبدَادِ فَارِسَ وَإِنَّمَا حَمَلَهُ  
 عَلَى ذَلِكَ هِمَّةُ نَفْسِهِ بِمَا كَانَ لِقَوْمِهِ التَّابِعَةِ مِنَ الْمُلْكِ فِي الْأَرْضِ وَالْغَلَبِ عَلَى الْأُمَمِ  
 فِي الْعِرَاقَيْنِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ وَكَانَ الصَّنَاجِيُونُ بِأَفْرِيقِيَّةٍ أَيْضًا إِذَا أَجَازُوا الْوَفْدَ مِنْ  
 أُمَرَاءِ زَنَاتَةِ الْوَفَائِدِينَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّمَا يُعْطُونَهُمُ الْمَالَ أَحْمَالًا وَالْكِسَاءَ مُخَوَّنًا تَمْلُوءَةً  
 وَالْحُمَلَاتِ جَنَائِبَ عَدِيدَةٍ وَفِي تَارِيخِ ابْنِ الرِّقِيقِ مِنْ ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ وَكَذَلِكَ  
 كَانَ عَطَايَا الْبَرَامِكَةِ وَجَوَائِزُهُمْ وَتَفَقَّاهُمْ وَكَانُوا إِذَا كَسَبُوا مُعْدِمًا فَإِنَّمَا هُوَ الْوِلَايَةُ  
 وَالنِّعْمَةُ آخِرَ الدَّهْرِ لَا الْعَطَايَا الَّتِي يَسْتَفِدُّهُ يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ وَأَخْبَارُهُمْ فِي ذَلِكَ  
 كَثِيرَةٌ مَسْطُورَةٌ وَهِيَ كُلُّهَا عَلَى نِسْبَةِ الدُّوَلِ جَارِيَةٌ هَذَا جَوْهَرُ الصِّقْلِيِّ الْكَاتِبِ  
 قَائِدُ جَيْشِ الْعَبِيدِيِّينَ لَمَّا أَرْتَحَلَ إِلَى فَتْحِ مِصْرَ اسْتَعَدَّ مِنَ الْفَقِيرِ وَانِ بِأَلْفِ حِمْلٍ مِنَ  
 الْمَالَ وَلَا تَنْتَهِي الْيَوْمَ دَوْلَةٌ إِلَى مِثْلِ هَذَا وَكَذَلِكَ وَجَدَ بِمِخْطِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ  
 عَبْدِ الْحَمِيدِ عَمَلٌ بِمَا يَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ بِبَغْدَادَ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي  
 نَقَلَتْهُ مِنْ جَرَابِ الدَّوْلَةِ (غلات السواد) سَبْعٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَمِنْ الْحُلَلِ النَّجْرَانِيَّةِ مِائَتَا حِلَّةٍ وَمِنْ طِينِ الْخُثَمِ مِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ  
 رِطْلًا (كُكْر) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ (كورد جلَّة)  
 عِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَثَمَانِيَّةُ دِرْهَمٍ (حلوان) أَرْبَعَةُ أَلْفِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ (الاهواز) خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَمِنْ السُّكَّرِ ثَلَاثُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (فارس) سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَمِنْ مَاءِ الْوَرْدِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ  
 قَارُورَةٍ وَمِنْ الزَّيْتِ الْأَسْوَدِ عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (كرمان) أَرْبَعَةُ أَلْفِ أَلْفٍ  
 دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِائَتَا أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَمِنْ الْمَتَاعِ الْيَمَانِيِّ خَمْسِمِائَةَ ثَوْبٍ وَمِنْ التَّمْرِ عِشْرُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (مَكْران) أَرْبَعُمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّةً (السند وما يليه) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ

أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَخَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِنْ أَلْعُودِ الْهِنْدِيِّ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ رِطْلًا  
 (سجستان) أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْتِيَابِ الْمُعِينَةِ ثَلَاثُمِائَةِ ثَوْبٍ وَمِنْ  
 أَلْفَانِيدِ عِشْرُونَ رِطْلًا (خراسان) ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ نَقَرِ  
 أَلْفِضَّةٍ أَلْفَا نَقْرَةً وَمِنْ أَلْبَرَاذِينِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَمِنْ أَلرَّقِيقِ أَلْفُ رَأْسٍ وَمِنْ أَلْمَتَاعِ  
 عِشْرُونَ أَلْفَ ثَوْبٍ وَمِنْ أَلْإِهْلِيلِجِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (جرجان) اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْإِبْرِيسِمِ أَلْفُ شَقَّةٍ (فوس) أَلْفُ أَلْفِ مَرَّتَيْنِ وَخَمْسُمِائَةِ  
 مِنْ نَقَرِ أَلْفِضَّةٍ (طبرستان والروبان ونهاوند) سِتَّةُ آلَافِ أَلْفِ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ  
 وَمِنْ أَلْقَرَشِ أَلطَبَرِيِّ سِتْمِائَةِ قِطْعَةٍ وَمِنْ أَلْأَكْسِيَةِ مِائَتَانِ وَمِنْ أَلْتِيَابِ خَمْسُمِائَةِ ثَوْبٍ  
 وَمِنْ أَلْمَنَادِيلِ ثَلَاثُمِائَةِ وَمِنْ أَلْجَامَاتِ ثَلَاثُمِائَةِ (الري) اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْعَسَلِ عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (همدان) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ وَمِنْ رُبِّ الرُّمَّانِ أَلْفُ رِطْلٍ وَمِنْ أَلْعَسَلِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ  
 (ما بين البصرة والكوفة) عَشْرَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 (ماسبدان والدينار<sup>(١)</sup>) أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ (شهرزور) سِتَّةُ آلَافِ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ (الموصل وما يليها) أَرْبَعَةُ وَعِشْرُونَ أَلْفَ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْعَسَلِ أَلْبَيْضِ عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (اذريجان) أَرْبَعَةُ  
 آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ (الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات) أَرْبَعَةُ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلرَّقِيقِ أَلْفُ رَأْسٍ وَمِنْ أَلْعَسَلِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ زِقٍّ وَمِنْ  
 أَلْبَزَاةِ<sup>(٢)</sup> عَشْرَةٌ وَمِنْ أَلْأَكْسِيَةِ عِشْرُونَ (ارمينية) ثَلَاثَةُ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْبَسْطِ<sup>(٣)</sup> أَلْأَحْفُورِ عِشْرُونَ وَمِنْ أَلزَّقِ خَمْسُمِائَةِ وَثَلَاثُونَ رِطْلًا وَمِنْ  
 أَلْمَسَاجِجِ أَلسُّرِّ مَا هِيَ عَشْرَةُ آلَافِ رِطْلٍ وَمِنْ أَلصُّونَجِ عَشْرَةُ آلَافِ رِطْلٍ وَمِنْ  
 أَلْبِغَالِ مِائَتَانِ وَمِنْ أَلْمَهْرَةِ ثَلَاثُونَ (قنسرين) أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِنْ أَلزَّيْتِ أَلْفُ  
 حِمْلٍ (دمشق) أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ (الأردن) سَبْعَةُ  
 وَتِسْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ (فلسطين) ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَعَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ وَمِنْ

(١) قوله والدينار وانظر انما الدينور وفي الترجمة التركية ماسبدان وريان اه (٢) قوله ومن

البزاة في التركية ومن السكر عشرة صناديق اه . (٣) وفي نسخة البسط



الزيت ثلاثمائة ألف رطل ( مصر ) ألف ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وعشرون  
 ألف دينار ( بركة ) ألف ألف درهم مرتين ( افرقية ) ثلاثة عشر ألف ألف درهم  
 مرتين ومن البسط مائة وعشرون ( اليمن ) ثلاثمائة الف دينار وسبعون ألف دينار  
 سوى المتاع ( الحجاز ) ثلاثمائة الف دينار انتهى . وأما الأندلس فألذي ذكره  
 الثقات من مؤرخيها أن عبد الرحمن الناصر خات في بيوت أمواله خمسة آلاف ألف  
 الف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقناطير خمسمائة ألف قنطار .  
 ورأيت في بعض تواريخ الرشيد أن التحمول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف  
 قنطار وخمسمائة قنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا  
 تُكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله فتضيق حوصلتك عند ملقط  
 المستكنات فكثير من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الأخبار عن الدول السالفة  
 بادر بالإنكار وليس ذلك من الصواب فإن أحوال الوجود والعمران متفاوتة ومن  
 أدرك منها رتبة سملى أو وسطى فلا يحضر المدارك كلها فيها ونحن إذا اعتبرنا ما  
 ينقل لنا عن دولة بني العباس وبني أمية والعباسيين وناسبتنا الصحيح من ذلك والذي  
 لا شك فيه بالذي نشاهد من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة إليها وجدنا بينها بونا  
 وهو لما بينها من التفاوت في أصل قوتها وعمران ممالكها فالأثار كلها جارية على  
 نسبة الأصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا إنكار ذلك عنها إذ كثير من هذه  
 الأحوال في غاية الشبهة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستفيض والمتواتر وفيها  
 المعاین والمشاهد من آثار البناء وغيره فنحن من الأحوال المنقولة مراتب الدول  
 في قوتها أو ضعفها وضخامتها أو صغرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية  
 المستظرفة وذلك أنه ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين  
 رجل من مشيخة طنجة يعرف بأبن بطوطة<sup>(١)</sup> كان رحل منذ عشرين سنة قبلها  
 إلى المشرق ونقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك  
 الهند وهو السلطان محمد شاه وأصل بمالكها لذلك العهد وهو فيروزجوه وكان له منه  
 مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انتقل إلى المغرب

(١) كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وانهواها سنة ٧٥٤ وهي عجيبة ومختصرة كما كرر بس اه

وَاتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ وَكَانَ يُحَدِّثُ عَنْ شَأْنِ رِحْلَتِهِ وَمَا رَأَى مِنْ الْعَجَائِبِ  
بِمَمَالِكِ الْأَرْضِ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ دَوْلَةِ صَاحِبِ الْهِنْدِ وَيَأْتِي مِنْ أَحْوَالِهِ  
بِمَا يَسْتَعْرِبُهُ السَّامِعُونَ مِثْلَ أَنَّ مَلِكَ الْهِنْدِ إِذَا خَرَجَ إِلَى السَّفَرِ أَحْمَى أَهْلَ مَدِينَتِهِ  
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَفَرَضَ لَهُمْ رِزْقَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ تُدْفَعُ لَهُمْ مِنْ عَطَائِهِ وَأَنَّهُ  
عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ سَفَرِهِ يَدْخُلُ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ يَبْرُزُ فِيهِ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَى مَخْرَاجِ الْبَلَدِ  
وَيَطُوفُونَ بِهِ وَيُنْصَبُ أَمَامَهُ فِي ذَلِكَ الْحَقْلِ مَنَاجِيْقَاتٌ عَلَى الظَّهْرِ تُرَى بِهَا شَكَاكِرُ  
الدَّرَاهِمِ وَالْدَنَانِيرِ عَلَى النَّاسِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ إِيَّوَانَهُ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ فَتَنَاحِي  
النَّاسُ بِتَكْذِيبِهِ وَلَقِيتُ أَيَّامُنِي وَزِيرَ السُّلْطَانِ فَارِسَ بْنِ وَرْدَارِ الْبَعِيدِ الصِّبْتِ  
فَقَاوَضْتُهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ وَأَرَيْتُهُ إِنْكَارَ أَخْبَارِ ذَلِكَ الرَّجُلِ لِمَا اسْتَفَاضَ فِي النَّاسِ  
مِنْ تَكْذِيبِهِ فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ فَارِسُ إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَكْبِرَ مِثْلَ هَذَا مِنْ أَحْوَالِ الدُّوَلِ  
بِمَا أَنْتَ لَمْ تَرَهُ فَتَكُونُ كَأَنَّ الْوَزِيرَ النَّاشِئَ فِي السِّجْنِ وَذَلِكَ أَنَّ وَزِيرًا اعْتَقَلَهُ  
سُلْطَانُهُ وَهَكَكَتْ فِي السِّجْنِ سَنِينَ رُبِّيَ فِيهَا ابْنُهُ فِي ذَلِكَ الْحَبْسِ فَلَمَّا أَدْرَكَ وَعَقَلَ  
سَأَلَ عَنِ اللَّحْمَانِ الَّتِي كَانَ يَتَغَذَّى بِهَا فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ هَذَا لَحْمُ الْغَنَمِ فَقَالَ وَمَا الْغَنَمُ فَيَصِفُهَا  
لَهُ أَبُوهُ بِشَيْئَاتِهَا وَنُعُوتِهَا فَيَقُولُ يَا أَبَتِ تَرَاهَا مِثْلَ الْفَارِ فَيُنْكِرُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ أَيْنَ الْغَنَمُ  
مِنَ الْفَارِ وَكَذَا فِي لَحْمِ الْأَيْلِ وَالْبَقَرِ إِذْ لَمْ يُعَايِنِ فِي مَحْبِسِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ إِلَّا الْفَارَ  
فَيَحْسِبُهَا كُلَّهَا أَبْنَاءَ جِنْسِ الْفَارِ وَلِهَذَا كَثِيرًا مَا يَعْتَرِي النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ كَمَا يَعْتَرِيهِمْ  
الْوَسْوَاسُ فِي الزِّيَادَةِ عِنْدَ قَصْدِ الْأَغْرَابِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ أَوَّلُ الْكِتَابِ فَلْيَرْجِعْ  
إِلَى أَصُولِهِ وَلْيَكُنْ مُهَيِّمًا عَلَى نَفْسِهِ وَمُمَيِّزًا بَيْنَ طَبِيعَةِ الْإِمْكَانِ وَالْمُسْتَعِ  
بِصَرِيحِ عَقْلِهِ وَمُسْتَقِيمِ فِطْرَتِهِ فَمَا دَخَلَ فِي نِطَاقِ الْإِمْكَانِ قَبْلَهُ وَمَا خَرَجَ عَنْهُ رَفَضَهُ  
وَلَيْسَ مُرَادُنَا الْإِمْكَانَ الْعَقْلِيَّ الْمَطْلُوقَ فَإِنَّ نِطَاقَهُ أَوْسَعُ شَيْءٍ فَلَا يُفْرَضُ حَدًّا بَيْنَ  
الْوَاقِعَاتِ وَإِنَّمَا مُرَادُنَا الْإِمْكَانَ بِحَسَبِ الْمَادَّةِ الَّتِي لِلشَّيْءِ فَإِنَّا إِذَا نَظَرْنَا أَصْلَ الشَّيْءِ  
وَجِنْسَهُ وَصِنْفَهُ وَمِقْدَارَ عِظَمِهِ وَقُوَّتِهِ أَجْرَيْنَا الْحُكْمَ مِنْ نِسْبَةِ ذَلِكَ عَلَى أَحْوَالِهِ  
وَحَكَمْنَا بِالْإِمْتِنَاعِ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْ نِطَاقِهِ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ



## الفصل التاسع عشر

في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبته بالموالي والمصطنعين  
اعلم ان صاحب الدولة انما يتيم امره كما قلناه بقومه فهم عصابته وظهر اواؤه  
على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم بقائد اعمال مملكته ووزارة دولته  
وجباية امواله لانهم اعوانه على الغلب وشركاؤه في الامر ومساهموه في سائر مهماته  
هذا ما دام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد  
عنهم والافراد بالهجد ودافعهم عنه بالمراح صاروا في حقيقة الامر من بعض  
اعدائه واحتاج في مدافعتهم عن الامر وصددهم عن المشاركة الى اولياء آخرين من  
غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون اقرب اليه من سائرهم  
واخص به قربا واصطناعا واولى ايثارا وجاها لئلا انهم يستميتون دونه في مدافعة  
قومه عن الامر الذي كان لهم والرغبة التي افوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب  
الدولة ويخصهم بمزيد التكرمة والايثار ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه ويقلدهم  
جليل الاعمال والولايات من الوزارة والقيادة والجباية وما يختص به لنفسه وتكون  
خالصة له دون قومه من القاب المملكية لانهم حينئذ اولياؤه الاقربون ونصحاؤه  
المخلصون وذلك حينئذ مؤذن باهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها الفساد  
العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب اهل الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة  
السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع  
في برئها من هذا الداء لانه ما مضى بتاكدا في الاعقاب الى ان يذهب رسمها واعتبر  
ذلك في دولة بني امية كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولاية اعمالهم  
برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن زياد بن ابي سفيان  
والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابي صخرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة  
وموسى بن نصير وبلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري ونصر بن سيار ومثاليهم  
من رجال العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها ايضا  
برجال العرب فلما صارت الدولة الافراد بالهجد وكبح العرب عن التطاول  
للولايات صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نوبخت وبني

طَاهِرٌ ثُمَّ بَنِي بُوَيْهٍ مِمَّوَالِي التُّرْكِ مِثْلَ بَغَا وَوَصِيفٍ وَأَلْمِشَ وَبَاكِكَ وَأَبْنِ طُولُونَ  
وَأَبْنَاءِهِمْ وَغَيْرَ هَؤُلَاءِ مِنْ مَمَّوَالِي الْعَجَمِ فَتَكُونُ الدَّوْلَةُ لِغَيْرِ مَنْ مَهْدَهَا وَالْعِزُّ لِغَيْرِ مَنْ  
أَجْتَلَبَهُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل العشرون

في احوال الموالى والمصطنعين في الدول

اعْلَمْ أَنَّ الْمُصْطَنَعِينَ فِي الدُّوَلِ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْإِلْتِحَامِ بِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ بِتَفَاوُتِ  
قَدِيمِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ فِي الْإِلْتِحَامِ بِصَاحِبِهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَقْصُودَ فِي الْعَصِيَّةِ مِنَ  
الْمُدَافَعَةِ وَالْمُعَالِجَةِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالنَّسَبِ لِأَجْلِ التَّنَاصُرِ فِي ذَوِي الْأَرْحَامِ وَالْقُرْبَى وَالْتِخَاذِ  
فِي الْأَجَانِبِ وَالْبُعْدَاءِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَالْوَلَايَةُ وَالْمُخَالَطَةُ بِالرَّقِ أَوْ بِالْخَلْفِ نَتَزَلُ مَنْزِلَةً  
ذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ النَّسَبِ وَإِنْ كَانَ طَبِيعِيًّا فَإِنَّمَا هُوَ وَهْمِيٌّ وَالْمَعْنَى الَّذِي كَانَ بِهِ الْإِلْتِحَامُ  
إِنَّمَا هُوَ الْعِشْرَةُ وَالْمُدَافَعَةُ وَطُولُ الْمَارَسَةِ وَالصُّحْبَةُ بِالْمَرْبِيِّ وَالرِّضَاعُ وَسَائِرُ  
أَحْوَالِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ وَإِذَا حَصَلَ الْإِلْتِحَامُ بِذَلِكَ جَاءَتِ الثَّغَرَةُ وَالتَّنَاصُرُ وَهَذَا مُشَاهِدٌ  
بَيْنَ النَّاسِ وَأَعْتَبَرُ مِثْلَهُ فِي الْأَصْطِنَاعِ فَإِنَّهُ يَحْدُثُ بَيْنَ الْمُصْطَنَعِ وَمَنْ أَصْطَنَعَهُ نِسْبَةً  
خَاصَّةً مِنَ الْوَصْلَةِ نَتَزَلُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ وَتَوْكِدُ اللَّحْمَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَسَبٌ فَتُشْرَكَ  
النَّسَبُ مَوْجُودَةٌ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ بَيْنَ الْقَبِيلِ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِمْ قَبْلَ حُصُولِ الْمُلْكِ  
لَهُمْ كَانَتْ عُرُوقُهَا أَوْشَجَ وَعَقَائِدُهَا أَوْشَحَ وَنَسَبُهَا أَوْشَحَ لَوْجَهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ قَبْلَ  
الْمُلْكِ أَسْوَةٌ فِي حَالِهِمْ فَلَا يَتَمَيَّزُ النَّسَبُ عَنِ الْوَلَايَةِ إِلَّا عِنْدَ الْأَقْلِ مِنْهُمْ فَيَتَزَلُّونَ  
مِنْهُمْ مَنْزِلَةَ ذَوِي قَرَابَتِهِمْ وَأَهْلِ أَرْحَامِهِمْ وَإِذَا أَصْطَنَعُوهُمْ بَعْدَ الْمُلْكِ كَانَتْ مَرْتَبَةُ  
الْمُلْكِ تُمَيِّزَةً لِلسَّيِّدِ عَنِ الْمَوْلَى وَلِأَهْلِ الْقَرَابَةِ عَنِ أَهْلِ الْوَلَايَةِ وَالْأَصْطِنَاعِ لِمَا  
نَقَضِيهِ أَحْوَالُ الرِّئَاسَةِ وَالْمُلْكِ مِنْ تَمَيُّزِ الرُّتَبِ وَتَفَاوُثِهَا فَتَمَيَّزُ حَالَتُهُمْ وَيَتَزَلُّونَ  
مَنْزِلَةَ الْأَجَانِبِ وَيَكُونُ الْإِلْتِحَامُ بَيْنَهُمْ أَوْضَعَفَ وَالتَّنَاصُرُ لِذَلِكَ أَبْعَدَ وَذَلِكَ أَنْقَصُ  
مِنَ الْأَصْطِنَاعِ قَبْلَ الْمُلْكِ . الْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّ الْأَصْطِنَاعَ قَبْلَ الْمُلْكِ يَبْعُدُ عَهْدُهُ عَنِ  
أَهْلِ الدَّوْلَةِ بِطُولِ الزَّمَانِ وَيُخْفِي شَأْنَ تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَيُظَنُّ بِهَا فِي الْأَكْثَرِ النَّسَبُ  
فَيَقْوَى حَالُ الْعَصِيَّةِ وَأَمَّا بَعْدَ الْمُلْكِ فَيَقْرُبُ الْعَهْدُ وَيَسْتَوِي فِي مَعْرِفَتِهِ الْأَكْثَرُ فَتَتَبَيَّنُ  
اللَّحْمَةُ وَتَمَيَّزُ عَنِ النَّسَبِ فَتَضَعُفُ الْعَصِيَّةُ بِالنَّسَبِ إِلَى الْوَلَايَةِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ



الدَّوْلَةَ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الدُّوَلِ وَالرَّئِيسَاتِ تَجِدُهُ فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَصْطِنَاءَهُ قَبْلَ حُصُولِ  
الرَّئِيسَةِ وَالْمَلِكِ لِمُصْطَنِعِهِ تَجِدُهُ أَشَدَّ اتِّحَامًا بِهِ وَأَقْرَبَ قَرَابَةً إِلَيْهِ وَيَنْزِلُ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ  
إِبْنَانِهِ وَإِخْوَانِهِ وَذَوِي رَحِمِهِ وَمَنْ كَانَ أَصْطِنَاءَهُ بَعْدَ حُصُولِ الْمَلِكِ وَالرَّئِيسَةِ لِمُصْطَنِعِهِ  
لَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ وَاللَّحْمَةِ مَا لِلأَوَّلِينَ وَهَذَا مُشَاهِدٌ بِالْعَيَانِ حَتَّى إِنْ الدَّوْلَةَ فِي  
آخِرِ عُمْرِهَا تَرْجِعُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْأَجَانِبِ وَأَصْطِنَاعِهِمْ وَلَا يَبْنِي لَهُمْ تَجِدُ كَمَا بَنَاهُ  
الْمُصْطَنِعُونَ قَبْلَ الدَّوْلَةِ اقْرَبَ الْعَهْدِ حِينَئِذٍ بِأَوْلِيَّتِهِمْ وَمُشَارَفَةِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْإِنْقِرَاضِ  
فَيَكُونُونَ مُنْخَطِئِينَ فِي مَهَاوِي الضَّعَةِ وَإِنَّمَا يَحْمِلُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَصْطِنَاعِهِمْ  
وَالْعُدُولِ إِلَيْهِمْ عَنْ أَوْلِيَائِهِمَا الْأَقْدَمِينَ وَصَنَائِعِهِمَا الْأَوَّلِينَ مَا يَغْتَرِبُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ  
الْعِزَّةِ عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَقِلَّةِ الْخُضُوعِ لَهُ وَتَنْظَرُهُ بِمَا يَنْظُرُهُ بِهِ قَبِيلُهُ وَأَهْلُ نَسَبِهِ إِنَّمَا كَدَّ  
اللَّحْمَةِ مِنْذُ الْعُصُورِ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْمَرْبَى وَالْإِتِّصَالِ بِأَبَائِهِ وَسَلَفِ قَوْمِهِ وَالْإِنْتِظَامِ مَعَ  
كِبَرَاءِ أَهْلِ بَيْتِهِ فَيَحْصُلُ لَهُمْ بِذَلِكَ دَالَّةٌ عَلَيْهِ وَأَعْتَزَّازٌ فَيَنَافِرُهُمْ بِسَبَبِهَا صَاحِبُ الدَّوْلَةِ  
وَيَعْدِلُ عَنْهُمْ إِلَى اسْتِعْمَالِ سِوَاهُمْ وَيَكُونُ عَهْدُ اسْتِغْلَاذِهِمْ وَأَصْطِنَاعِهِمْ قَرِيبًا فَلَا  
يَبْلُغُونَ رُتَبَ التَّجَدِّ وَيَبْقَوْنَ عَلَى حَالِهِمْ مِنَ الْخَارِجِيَّةِ وَهَكَذَا شَأْنُ الدُّوَلِ فِي آخِرِهَا  
وَأَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ اسْمُ الصَّنَائِعِ وَالْأَوْلِيَاءِ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْمُحْدَثُونَ فَخَدَمٌ  
وَأَعْوَانٌ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

### الفصل الحادي والعشرون

فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه

إِذَا اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ فِي نِصَابٍ مُعَيَّنٍ وَمَنْبَتٍ وَاحِدٍ مِنَ الْقَبِيلِ الْقَائِمِينَ بِالدَّوْلَةِ  
وَأَتَفَرَّدُوا بِهِ وَدَفَعُوا سَائِرَ الْقَبِيلِ عَنْهُ وَتَدَاوَلَتْ بَنُوهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ بِحَسَبِ التَّرْشِيحِ  
فَرُبَّمَا حَدَثَ التَّغْلُبُ عَلَى الْمُنْصَبِ مِنْ وُزَرَائِهِمْ وَحَاشِيَتِهِمْ وَسَبَبُهُ فِي الْأَكْثَرِ وَلَايَةُ  
صَبِيٍّ صَغِيرٍ أَوْ مُضْعَفٍ مِنْ أَهْلِ الْمَنْبَتِ يَتَرَشَّحُ لِلْوَلَايَةِ بَعْدَ أَبِيهِ أَوْ بِتَرَشِيحِ ذَوِيهِ  
وَحَوْلِهِ وَيُوْتَسُّ مِنْهُ الْعَجْزُ عَنِ الْقِيَامِ بِالْمَلِكِ فَيَقُومُ بِهِ كَافِلُهُ مِنْ وُزَرَاءِ أَبِيهِ وَحَاشِيَتِهِ  
وَمَوَالِيهِ أَوْ قَبِيلِهِ وَيُورَثِي بِحِفْظِ أَمْرِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يُوْتَسَّ مِنْهُ الْإِسْتِبْدَادُ وَيَجْعَلَ ذَلِكَ  
ذَرِيعَةً لِلْمَلِكِ فَيَحْبُبُ الصَّبِيَّ عَنِ النَّاسِ وَيُعَوِّدُهُ إِلَيْهَا تَرْفُ أَحْوَالِهِ وَيَسِيمُهُ فِي مَرَاغِبِهَا  
مَتَى أَمْكَنَهُ وَيُنْسِيهِ النَّظَرَ فِي الْأُمُورِ السُّلْطَانِيَّةِ حَتَّى يَسْتَبِدَّ عَلَيْهِ وَهُوَ بِمَا عَوَّدَهُ يَعْتَقِدُ

أَنَّ حَظَّ السُّلْطَانِ مِنَ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُوَ جُلُوسُ السَّرِيرِ وَإِعْطَاءُ الصَّنْفَةِ وَخِطَابُ التَّهْوِيلِ  
وَالْقُعُودُ مَعَ النِّسَاءِ خَلْفَ الْحِجَابِ وَأَنَّ الْحُلَّ وَالرِّبْطَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَمُبَاشَرَةَ الْأَحْوَالِ  
الْمُلُوكِيَّةِ وَتَفْقِدَهَا مِنَ النَّظَرِ فِي الْجَيْشِ وَالْمَالِ وَالْثُّغُورِ إِنَّمَا هُوَ لِلْوَزِيرِ وَيُسَلِّمُ لَهُ فِي  
ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَسْتَحْكِمَ لَهُ صِبْغَةُ الرَّئِيسَةِ وَالْإِسْتِبْدَادُ وَيَتَحَوَّلَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ وَيُؤَثِّرُ  
بِهِ عَشِيرَتَهُ وَأَبْنَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي بُوَيْهِ وَالتُّرْكِ وَكَافُورِ الْأَخْشِيدِيِّ وَغَيْرِهِمْ  
بِالْمَشْرِقِ وَالْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَقَدْ يَتَفَتَّنُ ذَلِكَ الْمُتَحَجُّورُ الْمُغْلِبُ لِشَأْنِهِ  
فِيحَاوِلُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ رِبْقَةِ الْحَبْرِ وَالْإِسْتِبْدَادِ وَيُرْجِعُ الْمَلِكَ إِلَى نِصَابِهِ وَيَضْرِبُ  
عَلَى أَيْدِي الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهِ إِمَّا بِقَتْلِ أَوْ بَرَفْعٍ عَنِ الرُّتْبَةِ فَقَطْ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي النَّادِرِ  
الْأَقْلَ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا أَخَذَتْ فِي تَغْلِبِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ اسْتَمَرَّتْ لَهَا ذَلِكَ وَقَدْ أَنْ  
تَخْرُجَ عَنْهُ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُوجَدُ فِي الْأَكْثَرِ عَنْ أَحْوَالِ التَّرَفِ وَنَشْأَةِ أَبْنَاءِ الْمَلِكِ  
مُنْعَمِينَ فِي نَعِيمِهِ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الرُّجُولَةِ وَأَلْفُوا أَخْلَاقَ الدَّيَّانَاتِ وَالْأَظَارِ وَرَبَّوْا عَلَيْهِمَا  
فَلَا يَنْزِعُونَ إِلَى رِئَاسَةٍ وَلَا يَعْرِفُونَ اسْتِبْدَادًا مِنْ تَغْلِبِ إِنَّمَا هُمْ فِي الْقَنُوعِ بِالْأَهْلِيَّةِ  
وَالنَّفْسِ فِي اللَّذَاتِ وَأَنْوَاعِ التَّرَفِ وَهَذَا التَّغْلِبُ يَكُونُ لِلْمَوَالِي وَالْمُصْطَنَعِينَ عِنْدَ  
اسْتِبْدَادِ عَشِيرَةِ الْمَلِكِ عَلَى قَوْمِهِمْ وَأَنْفِرَادِهِمْ بِهِ دُونَهُمْ وَهُوَ عَارِضٌ لِلدَّوْلَةِ خَرُورِيٌّ  
كَمَا قَدْ مَنَاهُ وَهَذَانِ مَرْضَانِ لَا بُرَى لِلدَّوْلَةِ مِنْهُمَا إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَا يَكُونُ  
مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

### الفصل الثاني والعشرون

فِي أَنَّ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَى السُّلْطَانِ لَا يَشَارِكُونَهُ فِي الْقَبْلِ الْخَاصِّ بِالْمَلِكِ  
وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ حَصَلَ لِأَوَّلِيهِ مِنْ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ بَعْضِيَّةٌ قَوْمِيَّةٌ وَعَصَابِيَّةٌ  
الَّتِي اسْتَبَعَتْهُمْ حَتَّى اسْتَحْكَمَتْ لَهُ وَإِقْوَمِهِ صِبْغَةُ الْمَلِكِ وَالتَّغْلِبِ وَهِيَ لَمْ تَزَلْ بَاقِيَةً  
وَبِهَا أَمُحِظَ رَسْمُ الدَّوْلَةِ وَبَقَاؤُهَا وَهَذَا التَّغْلِبُ وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ عَصَابِيَّةٍ مِنْ قَبِيلِ  
الْمَلِكِ أَوْ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ فَعَصَابِيَّةٌ مُنْدرِجَةٌ فِي عَصَابِيَّةِ أَهْلِ الْمَلِكِ وَتَابِعَةٌ لَهَا وَلَيْسَ  
لَهُ صِبْغَةٌ فِي الْمَلِكِ وَهُوَ لَا يَحَاوِلُ فِي اسْتِبْدَادِهِ أَنْتِزَاعَ ثَمَرَاتِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ  
وَالْحُلِّ وَالْعَقْدِ وَالْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ يَوْمَ فِيهَا أَهْلُ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ مُتَصَرِّفٌ عَنْ سُلْطَانِهِ  
مُنْفَذٌ فِي ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ لِأَحْكَامِهِ فَهُوَ يَتَجَافَى عَنْ سِمَاتِ الْمَلِكِ وَشَارَاتِهِ



وَأَلْقَاهُ جُنْدَهُ وَبَعْدُ نَفْسَهُ عَنِ التُّهْمَةِ بِذَلِكَ وَإِنْ حَصَلَ لَهُ الْأَسْتِبْدَادُ لِأَنَّهُ مُسْتَرٍ فِي  
 اسْتِبْدَادِهِ ذَلِكَ بِالْحُجَابِ الَّذِي ضَرَبَهُ السُّلْطَانُ وَأَوَّلُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَنِ الْقَبِيلِ مِنْذُ  
 أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَمُغَالِطَ عَنْهُ بِالنِّيَابَةِ وَلَوْ تَعَرَّضَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لَنَفْسِهِ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصَبِيَّةِ  
 وَقَبِيلُ الْمَلِكِ وَحَاوَلُوا الْأَسْتِثَارَ بِهِ دُونَهُ لِأَنَّهُ لَمْ تَسْتَحْكَمْ لَهُ فِي ذَلِكَ صِبْغَةٌ تَحْمِلُهُمْ  
 عَلَى التَّسْلِيمِ لَهُ وَالْإِنْقِيَادِ فِيهِ لِكُلِّ أَوَّلٍ وَهَلَةٍ وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ النَّاصِرِ  
 بْنِ مَنصُورٍ بْنِ أَبِي عَامِرٍ حِينَ سَمَا إِلَى مُشَارَكَةِ هِشَامٍ وَأَهْلٍ يَتِيهِ فِي لَقَبِ الْخِلَافَةِ وَلَمْ  
 يَقْنَعْ بِمَا قَنِعَ بِهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ مِنَ الْأَسْتِبْدَادِ بِالْحُلِّ وَالْعَقْدِ وَالْمَرَامِ الْمَتَابِعَةِ فَطَلَبَ  
 مِنْ هِشَامٍ خَائِنَتِهِ أَنْ يَعْبُدَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فَفَسَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَنُومِرَوَانَ وَسَائِرُ قُرَيْشٍ وَبَايَعُوا  
 لِابْنِ عَمِّ الْخَلِيفَةِ هِشَامٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْجُبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ وَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ وَكَانَ فِي ذَلِكَ  
 خَرَابٌ دَوْلَةِ الْعَامِرِيِّينَ وَهَلَاكُ الْمُؤَيَّدِ خَلِيفَتِهِمْ وَأَسْتَبْدِلَ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَعْيَاصِ الدَّوْلَةِ  
 إِلَى آخِرِهَا وَاخْتَلَتْ مَرَامُهُمْ مَلِكِهِمْ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الثالث والعشرون

في حقيقة الملك واصنافه

الْمَلِكُ مَنْصِبٌ طَبِيعِيٌّ لِلْإِنْسَانِ لِأَنَّا قَدْ يَبِينُ أَنَّ الْبَشَرَ لَا يُمَكِّنُ حَيَاتُهُمْ وَوُجُودُهُمْ  
 إِلَّا بِاجْتِمَاعِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى تَحْصِيلِ قُوَّتِهِمْ وَخُرُورِ بَنَانِهِمْ وَإِذَا اجْتَمَعُوا دَعَتْ الضَّرُورَةُ  
 إِلَى الْمُعَامَلَةِ وَاقْتِضَاءِ الْحَاجَاتِ وَمَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَهُ إِلَى حَاجَتِهِ بِأَخْذِهَا مِنْ  
 صَاحِبِهِ لِمَا فِي الطَّبِيعَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيُمَانَعُهُ الْآخَرُ  
 عَنْهَا بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ وَالْإِنْفَةِ وَمُقْتَضَى الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي ذَلِكَ فَيَقَعُ التَّنَازُعُ الْمُفْضِي  
 إِلَى الْمُقَاتَلَةِ وَهِيَ تُؤَدِّي إِلَى الْهَرْجِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَإِذْهَابِ النَّفْسِ الْمُفْضِي ذَلِكَ إِلَى  
 انْقِطَاعِ النَّوْعِ وَهُوَ مِمَّا خَصَّهُ الْبَارِي سُبْحَانَهُ بِالْمُحَافَظَةِ فَاسْتَحَالَ بِقَاوُمِهِمْ فَوْضَى دُونَ  
 حَاكِمٍ يَزَعُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَاحْتَاوُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى الْوَازِعِ وَهُوَ الْحَاكِمُ  
 عَلَيْهِمْ وَهُوَ بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَلِكُ الْقَاهِرُ الْمُتَحَكِّمُ وَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ مِنَ  
 الْعَصَبِيَّةِ لِمَا قَدْ مَنَاهُ مِنْ أَنَّ الْمُطَالِبَاتِ كُلَّهَا وَالْمُدَافَعَاتِ لَا تَنُتِمُ إِلَّا بِالْعَصَبِيَّةِ وَهَذَا الْمَلِكُ  
 كَمَا تَرَاهُ مَنْصِبٌ شَرِيفٌ تَتَوَجَّهُ نَحْوُهُ الْمُطَالِبَاتُ وَيَحْتَاجُ إِلَى الْمُدَافَعَاتِ وَلَا يَتِمُّ شَيْءٌ

(١) قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكسر الفاء يقال نفس عليه الشيء كفرج لم يره أهلاً له كذا في القاموس

مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَصَبِيَّاتِ كَمَا مَرَّ وَالْعَصَبِيَّاتُ مُتَفَاوِتَةٌ وَكُلُّ عَصَبِيَّةٍ فَلَهَا تَحَكُّمٌ وَتَغْلِبٌ عَلَى مَنْ يَكْلِبُهَا مِنْ قَوْمِهَا وَعَشِيرَتِهَا وَلَيْسَ الْمَلِكُ لِكُلِّ عَصَبِيَّةٍ وَإِنَّمَا الْمَلِكُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لِمَنْ يَسْتَعِيدُ الرَّعِيَّةَ وَيَجِيءُ الْأَمْوَالَ وَيَبْعَثُ الْبُعُوثَ وَيَحْمِي الثُّغُورَ وَلَا تَكُونُ فَوْقَ يَدِهِ يَدٌ قَاهِرَةٌ وَهَذَا مَعْنَى الْمَلِكِ وَحَقِيقَتُهُ فِي الْمَشْهُورِ فَمَنْ قَصَرَتْ بِهِ عَصَبِيَّتُهُ عَنْ بَعْضِهَا مِثْلَ حِمَايَةِ الثُّغُورِ أَوْ جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ أَوْ بَعَثِ الْبُعُوثِ فَهُوَ مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ تَتِمَّ حَقِيقَتُهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنْ مُلُوكِ الْبَرَبَرِ فِي دَوْلَةِ الْأَغَالِيَةِ بِالْقَيْرَوَانِ وَلِمُلُوكِ الْعَجَمِ صَدَرَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَمَنْ قَصَرَتْ بِهِ عَصَبِيَّتُهُ أَيْضًا عَنِ الْأَسْتِعْلَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْعَصَبِيَّاتِ وَالضَّرْبِ عَلَى سَائِرِ الْأَيْدِي وَكَانَ فَوْقَهُمْ غَيْرُهُ فَهُوَ أَيْضًا مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ تَتِمَّ حَقِيقَتُهُ وَهُوَ لَا يَمِثِلُ أَمْرَاءَ النَّوَاحِي وَرُؤَسَاءَ الْجِهَاتِ الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ دَوْلَةٌ وَاحِدَةٌ وَكَثِيرًا مَا يُوجَدُ هَذَا فِي الدَّوْلَةِ الْمُتَّسِعَةِ النَّطَاقِ أَغْنَى تَوْجُدُ مُلُوكٍ عَلَى قَوْمِهِمْ فِي النَّوَاحِي الْقَاصِيَةِ يَدِينُونَ بِطَاعَةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي جَمَعَتْهُمْ مِثْلَ صَنْهَاجَةٍ مَعَ الْعَبِيدِيِّينَ وَزَنَاتَةٍ مَعَ الْأُمَوِيِّينَ تَارَةً وَالْعَبِيدِيِّينَ تَارَةً أُخْرَى وَمِثْلَ مُلُوكِ الْعَجَمِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمِثْلَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ مِنَ الْفُرْسِ مَعَ الْأَسْكَندَرِ وَقَوْمِهِ الْيُونَانِيِّينَ وَكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَاعْتَبِرْهُ تَجِدُهُ وَاللَّهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ

### الفصل الرابع والعشرون

في ان ارهاف الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر

إِعْلَمْ أَنَّ مَصْلَحَةَ الرَّعِيَّةِ فِي السُّلْطَانِ لَيْسَتْ فِي ذَاتِهِ وَجِسْمِهِ مِنْ حُسْنِ شَكْلِهِ أَوْ مَلَاحَةِ وَجْهِهِ أَوْ عِظَمِ جِسْمَانِهِ أَوْ اتِّسَاعِ عِلْمِهِ أَوْ جُرْدَةِ خَطِّهِ أَوْ ثِقُوبِ ذَهَبِهِ وَإِنَّمَا مَصْلَحَتُهُمْ فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا ضَافِيَةً وَهِيَ نِسْبَةٌ بَيْنَ مُتَسَبِّبِينَ لِحَقِيقَةِ السُّلْطَانِ أَنَّهُ الْمَلِكُ لِلرَّعِيَّةِ الْقَائِمُ فِي أُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ فَالسُّلْطَانُ مَنْ لَهُ رَعِيَّةٌ وَالرَّعِيَّةُ مَنْ لَهَا سُلْطَانٌ وَالصِّفَةُ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْمَلَكَةَ وَهِيَ كَوْنُهُ يَمْلِكُهُمْ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَلَكَةُ وَتَوَابِعُهَا مِنَ الْجُودَةِ بِمَكَانٍ حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ جَمِيلَةً صَالِحَةً كَانَ ذَلِكَ مَصْلَحَةً لَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً مُتَعَسِّفَةً كَانَ ذَلِكَ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ وَالْأَسَاسُ لَهُمْ وَيَعُودُ حُسْنُ الْمَلَكَةِ إِلَى الرِّفْقِ فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ قَاهِرًا بَاطِشًا بِالْعُقُوبَاتِ مُنْقَبِحًا عَنْ عَوْرَاتِ النَّاسِ وَتَعْدِيدِ ذُنُوبِهِمْ شَمْلَهُمُ الْخَوْفُ وَالذُّلُّ وَلَا ذُوا مِنْهُ بِالْكَذِبِ وَالْمَكْرِ



وَالْخَدِيعَةَ فَتَخَلَّقُوا بِهَا وَفَسَدَتْ بَصَائِرُهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ وَرُبَّمَا خَذَلُوهُ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ  
وَالْمُدَافَعَاتِ فَفَسَدَتْ الْحِمَايَةُ بِفَسَادِ النِّيَّاتِ وَرُبَّمَا أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ ذَلِكَ فَتَفْسَدَ الدَّوْلَةُ  
وَيَخْرَبَ السِّيَاحُ وَإِنْ دَامَ أَمْرُهُ عَلَيْهِمْ وَقَهَرُهُ فَسَدَتِ الْعَصَبِيَّةُ لِمَاقِلَانِهِ أَوَّلًا وَفَسَدَ السِّيَاحُ  
مِنْ أَصْلِهِ بِالْعِجْزِ عَنِ الْحِمَايَةِ وَإِذَا كَانَ رَفِيقًا بِهِمْ مُتَجَاوِزًا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ اسْتَنَامُوا إِلَيْهِ  
وَلَا ذَوَابِهِ وَأَشْرَبُوا نَجَبَتَهُ وَاسْتَمَاتُوا دُونَهُ فِي مُحَارَبَةِ أَعْدَائِهِ فَأَسْتَقَامَ الْأَمْرُ مِنْ كُلِّ  
جَانِبٍ وَأَمَّا تَوَابِعُ حُسْنِ الْمَالِكَةِ فَهِيَ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ وَالْمُدَافَعَةُ عَنْهُمْ فَالْمُدَافَعَةُ بِهَا  
تَنْمُو حَقِيقَةُ الْمَلِكِ وَأَمَّا النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانُ لَهُمْ فَمِنْ جُدَّةِ الرَّفْقِ بِهِمْ وَالنَّظَرِ  
لَهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَهِيَ أَصْلُ كِبَرٍ مِنَ التَّحَبُّبِ إِلَى الرَّعِيَّةِ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَلَّمَا تَكُونُ مَالِكَةُ  
الرَّفْقِ فِي مَنْ يَكُونُ يَقْظًا شَدِيدَ الذِّكَاءِ مِنَ النَّاسِ وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ الرَّفْقُ فِي  
الْغُلِّ وَالْمُتَغَفَّلِ وَأَقَلُّ مَا يَكُونُ فِي الْيَقِظِ لِأَنَّهُ يُكَلِّفُ الرَّعِيَّةَ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ لِنُفُوزِ  
نَظَرِهِ فِيهِمَا وَرَاءَ مَدَارِكِهِمْ وَأُطْلَاعِهِ عَلَى عَوَاقِبِ الْأُمُورِ فِي مَبَادِيهَا بِالرَّعِيَّةِ فَيَكُونُ  
لِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِيرُوا عَلَى سَبَرٍ أَوْ ضَعْفَتِكُمْ وَهَذَا الْبَابُ اشْتَرَطَ الشَّارِعُ  
فِي الْحَاكِمِ قَلَّةَ الْإِفْرَاطِ فِي الذِّكَاءِ وَمَا أَخَذَهُ مِنْ قِصَّةِ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَنِيَانَ لَمَّا عَزَلَهُ  
عُمَرُ عَنِ الْعِرَاقِ وَقَالَ لَهُ لِمَ عَزَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْعِجْزُ أَمْ الْخِيَانَةُ فَقَالَ عُمَرُ لَمْ  
أَعَزْلِكَ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَهْمَلَ فَضْلَ عَقْلِكَ عَنِ النَّاسِ فَأُخِذَ مِنْ  
هَذَا أَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَكُونُ مُفْرَطُ الذِّكَاءِ وَالْكَيْسِ مِثْلَ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَنِيَانَ وَعُمَرُ  
بْنُ الْعَاصِ إِذَا تَبَعُ ذَلِكَ مِنَ التَّعَسُّفِ وَسُوءِ الْمَالِكَةِ وَهَمَلَ التَّوَجُّدَ عَلَى مَا لَيْسَ فِي  
طَبْعِهِ كَمَا يَأْتِي فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَالِكِينَ وَتَقَرَّرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْكَيْسَ  
وَالذِّكَاءَ عَيْبٌ فِي صَاحِبِ السِّيَاسَةِ لِأَنَّهُ إِفْرَاطٌ فِي الْفِكْرِ كَمَا أَنَّ الْبَلَادَةَ إِفْرَاطٌ فِي  
الْجُمُودِ وَالطَّرْفَانِ مَذْمُومَانِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ إِنْسَانِيٍّ وَالنَّحْوُ هُوَ التَّوَسُّطُ كَمَا فِي الْكَرَمِ  
مَعَ التَّبَذِيرِ وَالْبُخْلِ وَكَذَا فِي الشَّجَاعَةِ مَعَ الْهَوَجِ وَالْجُبْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الصِّفَاتِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ وَلِهَذَا يُوصَفُ الشَّدِيدُ الْكَيْسِ بِصِفَاتِ الشَّيْطَانِ فَيُقَالُ شَيْطَانٌ وَمُتَشَيْطِنٌ  
وَأَمثال ذلك والله يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ

## الفصل الخامس والعشرون

في معنى الخلافة والامامة

لَمَّا كَانَتْ حَقِيقَةُ الْمُلْكِ أَنَّهُ الْإِجْتِمَاعُ الْفَرُوقِيُّ لِلْبَشَرِ وَمُقْتَضَاهُ التَّغَلُّبُ وَالْقَهْرُ  
الَّذَانِ هُمَا مِنْ آثَارِ الْغَضَبِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ كَانَتْ أَحْكَامُ صَاحِبِهِ فِي الْغَالِبِ جَائِزَةً عَنْ  
الْحَقِّ مُجْحَفَةً بِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ مِنَ الْخَلْقِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ لِحِمْلِهِ إِيَّاهُمْ فِي الْغَالِبِ عَلَى  
مَا لَيْسَ فِي طَوْقِهِمْ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَشَهْوَاتِهِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْمَقَاصِدِ مِنَ الْخَلْفِ  
وَالسَّلَفِ مِنْهُمْ فَتَعَسَّرُ طَاعَتُهُ لِذَلِكَ وَتَجِبُ الْعَصِيَّةُ الْمُفْضِيَّةُ إِلَى الْهَرَجِ وَالْقَتْلِ فَوَجِبَ  
أَنْ يُرْجَعَ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوَانِينِ سِيَاسِيَّةٍ مَفْرُوضَةٍ يُسَلِّمُهَا الْكَافَّةُ يَتَقَادُونَ إِلَى أَحْكَامِهَا  
كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِلْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَإِذَا خَلَّتِ الدَّوْلَةُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ السِّيَاسَةِ  
لَمْ يَسْتَبِأْ أَمْرُهَا وَلَمْ يَتِمَّ اسْتِبْلَاؤُهَا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ فَإِذَا كَانَتْ  
هَذِهِ الْقَوَانِينُ مَفْرُوضَةً مِنَ الْعُقَلَاءِ وَأَكْبَارِ الدَّوْلَةِ وَبُصَرَائِهَا كَانَتْ سِيَاسَةً عَقْلِيَّةً وَإِذَا  
كَانَتْ مَفْرُوضَةً مِنَ اللَّهِ بِشَارِعٍ يُقَرِّرُهَا وَيُشَرِّعُهَا كَانَتْ سِيَاسَةً دِينِيَّةً نَافِعَةً فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَلْقَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهِمْ دُنْيَاهُمْ فَقَطُّ فَإِنَّهَا كُلُّهَا عِبَتْ  
وَبَاطِلٌ إِذْ غَابَتْهَا الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ وَاللَّهُ يَقُولُ أَحْسِبْتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا فَالْمَقْصُودُ  
بِهِمْ إِنَّمَا هُوَ دِينُهُمُ الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى السَّعَادَةِ فِي آخِرَتِهِمْ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فَجَاءَتْ الشَّرَائِعُ بِحَمْلِهِمْ عَلَى ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ  
عِبَادَةٍ وَمُعَامَلَةٍ حَتَّى فِي الْمُلْكِ الَّذِي هُوَ طَبِيعِيٌّ لِلْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ فَأَجْرَتْهُ عَلَى  
مِنْهَاجِ الدِّينِ لِيَكُونَ الْكُلُّ بِحُوطًا يَنْظُرُ الشَّارِعُ فَمَا كَانَ مِنْهُ يُقْتَضَى الْقَهْرُ وَالتَّغَلُّبُ  
وَأَهْمَالُ الْقُوَّةِ الْعَصَبِيَّةِ فِي مَرَعَاهَا فَجَوْرٌ وَعُدْوَانٌ وَمَذْمُومٌ عِنْدَهُ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى  
الْحِكْمَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَمَا كَانَ مِنْهُ يُقْتَضَى السِّيَاسَةُ وَأَحْكَامُهَا مَذْمُومٌ أَيْضًا لِأَنَّهُ نَظَرٌ  
بِغَيْرِ نُورِ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ لِأَنَّ الشَّارِعَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ  
الْكَافَّةِ فِيهَا هُوَ مُغَيَّبٌ عَنْهُمْ مِنْ أُمُورِ آخِرَتِهِمْ وَأَعْمَالُ الْبَشَرِ كُلُّهَا عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي  
مَعَادِهِمْ مِنْ مَلِكٍ أَوْ غَيْرِهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ  
وَأَحْكَامُ السِّيَاسَةِ إِنَّمَا تُطْلَعُ عَلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا فَقَطُّ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ حَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَمَقْصُودُ الشَّارِعِ بِالنَّاسِ صَلَاحُ آخِرَتِهِمْ فَوَجِبَ بِمُقْتَضَى الشَّرَائِعِ حَمْلُ الْكَافَّةِ



عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ وَكَانَ هَذَا الْحُكْمُ لِأَهْلِ الشَّرِيعَةِ  
وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ قَامَ فِيهِ مَقَامُهُمْ وَهُمْ الْخُلَفَاءُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَعْنَى الْخِلَافَةِ  
وَأَنَّ الْمَلِكَ الطَّبِيعِيَّ هُوَ حَمْلُ الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى الْفَرَضِ وَالشَّهْوَةِ وَالسِّيَاسِيِّ هُوَ حَمْلُ  
الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ فِي جَلْبِ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ وَالْخِلَافَةُ  
هِيَ حَمْلُ الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ فِي مَصَالِحِهِمُ الْآخِرَوِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ الرَّاجِعَةِ  
إِلَيْهَا إِذَا أَحْوَالُ الدُّنْيَا تَرَجَّعُ كُلُّهَا عِنْدَ الشَّارِعِ إِلَى أَعْتِبَارِهَا بِمَصَالِحِ الْآخِرَةِ فَهِيَ فِي  
الْحَقِيقَةِ خِلَافَةٌ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ فَافْهَمْ ذَلِكَ  
وَأَعْتَبِرْهُ فِيمَا نُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ بَعْدِ وَآلَهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

### الفصل السادس والعشرون

في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه

وَإِذْ قَدْ بَيَّنَّا حَقِيقَةَ هَذَا الْمَنْصِبِ وَأَنَّهُ نِيَابَةٌ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِي حِفْظِ الدِّينِ  
وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ تُسَمَّى خِلَافَةً وَإِمَامَةً وَالْقَائِمُ بِهِ خَلِيفَةٌ وَإِمَامًا فَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ إِمَامًا  
فَتَشْبِيهًُا بِإِمَامِ الصَّلَاةِ فِي اتِّبَاعِهِ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ وَلِهَذَا يُقَالُ لِلْإِمَامَةِ الْكُبْرَى وَأَمَّا  
تَسْمِيَتُهُ خَلِيفَةً فَلِكَوْنِهِ يَخْلُفُ النَّبِيَّ فِي أُمْتِهِ فَيُقَالُ خَلِيفَةُ بِلَا طَلَاقٍ وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ  
وَاخْتِلَافَ فِي تَسْمِيَتِهِ خَلِيفَةُ اللَّهِ فَأَجَارَهُ بَعْضُهُمْ اقْتِبَاسًا مِنَ الْخِلَافَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي لِلْأَدَمِيِّينَ  
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَقَوْلِهِ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَمَنْعَ  
الْجُمُورُ مِنْهُ لِأَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ لَيْسَ عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَى أَبُو بَكْرٍ عَنْهُ لَمَّا دُعِيَ بِهِ وَقَالَ لَسْتُ  
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَلَكِنِّي خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَنَّ الْأَسْتِخْلَافَ إِنَّمَا هُوَ  
فِي حَقِّ الْغَائِبِ وَأَمَّا الْحَاضِرُ فَلَا تُنْمِ إِذَا نَصَّبَ الْإِمَامَ وَاجِبٌ قَدْ عُرِفَ وَجُوبُهُ فِي  
الشَّرْعِ بِإِجْمَاعِ أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ  
وَفَاتِهِ بَادَرُوا إِلَى بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَسْلِيمِ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِمْ وَكَذَا فِي  
كُلِّ عَصْرٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَلَمْ تُتْرَكِ النَّاسُ فَوْضَى فِي عَصْرِ مِنْ الْأَعْصَارِ وَاسْتَقَرَّ ذَلِكَ  
إِجْمَاعًا دَالًّا عَلَى وَجُوبِ نَصْبِ الْإِمَامِ وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ مَذْرَكَ وَجُوبِهِ  
الْعَقْلُ وَأَنَّ الْإِجْمَاعَ الَّذِي وَقَعَ إِنَّمَا هُوَ قَضَاءُ بِحُكْمِ الْعَقْلِ فِيهِ قَالُوا وَإِنَّمَا وَجِبَ  
بِالْعَقْلِ لِضَرُورَةِ الْإِجْتِمَاعِ لِلْبَشَرِ وَاسْتِحَالَةِ حَيَاتِهِمْ وَوُجُودِهِمْ مُتَفَرِّدِينَ وَمِنْ ضَرُورَةِ

الْأَجْتِمَاعُ التَّنَازُعُ لَا زَدِ حَامِ الْأَغْرَاضِ فَمَا لَمْ يَكُنِ الْحَاكِمُ الْوَارِعَ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى  
 الْهَرَجِ الْمُؤَذِنِ بِهَلَاكِ الْبَشَرِ وَانْقِطَاعِهِمْ مَعَ أَنَّ حِفْظَ النَّوعِ مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرْعِ  
 الضَّرُورِيَّةِ وَهَذَا الْمَعْنَى بَعِيْنُهُ هُوَ الَّذِي لَحَظَهُ الْحُكَمَاءُ فِي وُجُوبِ النُّبُوءَاتِ فِي الْبَشَرِ  
 وَقَدْ نَبَّهْنَا عَلَى فُسَادِهِ وَأَنَّ إِحْدَى مُقَدِّمَاتِهِ أَنَّ الْوَارِعَ إِنَّمَا يَكُونُ بِشَّرْعٍ مِنَ اللَّهِ تَسْلَمُ  
 لَهُ الْكَافَّةُ تَسْلِيمَ إِيْمَانٍ وَاعْتِقَادٍ وَهُوَ غَيْرُ مُسَلَّمٍ لِأَنَّ الْوَارِعَ قَدْ يَكُونُ بِسَطْوَةِ الْمَلِكِ  
 وَقَهْرِ أَهْلِ الشُّوْكَةِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ شَرْعٌ كَمَا فِي أَمْرِ الْمَجُوسِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ  
 كِتَابٌ أَوْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ أَوْ تَقُولُ يَكْفِي فِي رَفْعِ التَّنَازُعِ مَعْرِفَةُ كُلِّ وَاحِدٍ بِتَحْرِيمِ  
 الظُّلْمِ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْعَقْلِ فَأَدْعَاؤُهُمْ أَنَّ أَرْتِفَاعَ التَّنَازُعِ إِنَّمَا يَكُونُ بِوُجُودِ الشَّرْعِ  
 هُنَاكَ وَنَصَبِ الْإِمَامِ هُنَا غَيْرُ مَحْجُوحٍ بَلْ كَمَا يَكُونُ نَصَبُ الْإِمَامِ يَكُونُ بِوُجُودِ  
 الرُّؤَسَاءِ أَهْلِ الشُّوْكَةِ أَوْ بِامْتِنَاعِ النَّاسِ عَنِ التَّنَازُعِ وَالتَّظَالُمِ فَلَا يَنْهَضُ دَلِيلُهُمْ  
 الْعَقْلُ الْمَبْنِي عَلَى هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ قَدَلٌ عَلَى أَنَّ مَذْرَبَ وَجُوبِهِ إِنَّمَا هُوَ بِالشَّرْعِ وَهُوَ  
 الْأَجْمَاعُ الَّذِي قَدَّمَ نَاهُ وَقَدْ شَدَّ بَعْضُ النَّاسِ فَقَالَ بَعْدَ وَجُوبِ هَذَا النَّصَبِ رَأْسًا لَا  
 بِالْعَقْلِ وَلَا بِالشَّرْعِ مِنْهُمْ الْأَصَحُّ مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ وَبَعْضُ الْخَوَارِجِ وَغَيْرُهُمْ وَالْوَاجِبُ  
 عِنْدَ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا هُوَ امْضَاءُ الْحُكْمِ الشَّرْعِ فَإِذَا تَوَاطَّاتِ الْأُمَّةُ عَلَى الْعَدْلِ وَتَنْفِيذِ  
 أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَخْتَجِ إِلَى إِمَامٍ وَلَا يَجِبُ نَصَبُهُ وَدَوُلَاءِ نَحْجُوجُونَ بِالْأَجْمَاعِ  
 وَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ إِنَّمَا هُوَ الْفِرَارُ عَنِ الْمُلْكِ وَمَذَاهِبِهِ مِنَ الْإِسْطِطَالَةِ  
 وَالتَّغْلِبِ وَالْإِسْتِمْتَاعِ بِالْذُّنُوبِ لَمَّا رَأَوْا الشَّرِيعَةَ مُشْتَلَّةً بِذِمِّ ذَلِكَ وَالنَّعْيِ عَلَى أَهْلِهِ  
 وَمُرَغِبَةٍ فِي رَفْضِهِ وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَذِمَّ الْمُلْكَ لِذَاتِهِ وَلَا حَظَرَ الْقِيَامَ بِهِ وَإِنَّمَا ذَمَّ  
 الْمَفَاسِدَ النَّاشِئَةَ عَنْهُ مِنَ الْقَهْرِ وَالظُّلْمِ وَالتَّمَتُّعِ بِالذَّاتِ وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي هَذِهِ مَفَاسِدَ  
 مَحْظُورَةً وَهِيَ مِنْ تَوَابِعِهِ كَمَا أَتَى عَلَى الْعَدْلِ وَالنِّصْفَةِ وَإِقَامَةِ مَرَاسِمِ الدِّينِ وَالذَّبِّ  
 عَنْهُ وَأَوْجَبَ بِإِزَائِيهَا الثَّوَابَ وَهِيَ كُلُّهَا مِنْ تَوَابِعِ الْمُلْكِ فَإِذَا إِنَّمَا وَقَعَ الذِّمُّ لِلْمُلْكِ  
 عَلَى صِنْفٍ وَحَالٍ دُونَ حَالٍ أُخْرَى وَلَمْ يَذِمَّهُ لِذَاتِهِ وَلَا طَلَبَ تَرْكَهُ كَمَا ذَمَّ الشَّهْوَةَ  
 وَالغَضَبَ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ وَلَيْسَ مُرَادُهُ تَرْكُهُمَا بِالْكُلِّيَّةِ لِإِعْيَاةِ الْفَرُودَةِ إِلَيْهَا وَأَمَّا  
 الْمُرَادُ تَصْرِيفُهُمَا عَلَى مُقْتَضَى الْحَقِّ وَقَدْ كَانَ لِدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
 عَلَيْهِمَا الْمُلْكُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِمَا وَهُمَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَكْرَمِ الْخَلْقِ عِنْدَهُ



ثُمَّ نَقُولُ لَهُمْ إِنَّ هَذَا الْفِرَارَ عَنِ الْمَلِكِ بَعْدَ وَجُوبِ هَذَا النَّصْبِ لَا يُغْنِيكُمْ شَيْئًا لِأَنَّكُمْ  
 مُوَافِقُونَ عَلَى وَجُوبِ إِقَامَةِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَذَلِكَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ وَالشُّوْكَةِ  
 وَالْعَصِيَّةُ مُقْتَضِيَةٌ بِطَبْعِهَا لِلْمَلِكِ فَيَحْصُلُ الْمَلِكُ وَإِنْ لَمْ يَنْصَبْ إِمَامٌ وَهُوَ عَيْنُ مَا قَرَّرْتُمْ  
 عَنْهُ وَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ هَذَا النَّصْبَ وَاجِبٌ بِإِجْمَاعٍ فَهُوَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ وَرَاجِعٌ  
 إِلَى اخْتِيَارِ أَهْلِ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِمْ نَصْبُهُ وَيَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا طَاعَتُهُ لِقَوْلِهِ  
 تَعَالَى أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَأَمَّا شُرُوطُ هَذَا الْمَنْصَبِ فَهِيَ  
 أَرْبَعَةٌ الْعِلْمُ وَالْعَدَالَةُ وَالْكَفَايَةُ وَسَلَامَةُ الْخَوَاسِ وَالْأَعْضَاءِ مِمَّا يُؤْثَرُ فِي الرَّأْيِ  
 وَالْعَمَلِ وَاخْتَلَفَ فِي شَرْطِ خَامِسٍ وَهُوَ النَّسَبُ الْقُرَشِيُّ فَأَمَّا اشْتِرَاطُ الْعِلْمِ فَظَاهِرٌ لِأَنَّهُ  
 إِنَّمَا يَكُونُ مُنْفِذًا لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا كَانَ عَالِمًا بِهَا وَمَا لَمْ يَعْلَمْهَا لَا يَصِحُّ تَقْدِيمُهُ  
 لَهَا وَلَا يَكْفِي مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا لِأَنَّ التَّقَايِدَ تَقْصُرُ وَالْإِمَامَةَ تَسْتَدْعِي  
 الْكَمَالَ فِي الْأَوْصَافِ وَالْأَحْوَالِ وَأَمَّا الْعَدَالَةُ فَلِأَنَّهُ مَنْصَبٌ دِينِي يَنْظَرُ فِي سَائِرِ  
 الْمَنَاصِبِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِيهَا فَكَانَ أَوَّلَى بِاشْتِرَاطِهَا فِيهِ وَلَا خِلَافَ فِي انْتِفَاءِ الْعَدَالَةِ فِيهِ  
 بِفِسْقِ الْجَوَارِحِ مِنْ أَرْتِكَابِ الْمُحْظُورَاتِ وَأَمْثَالِهَا وَفِي انْتِفَائِهَا بِالْبِدْعِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ  
 خِلَافٌ وَأَمَّا الْكَفَايَةُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ جَرِيئًا عَلَى إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَاقْتِحَامِ الْحُرُوبِ بِصِيرَةٍ  
 بِهَا كَفِيلًا يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَيْهَا عَارِفًا بِالْعَصِيَّةِ وَأَحْوَالِ الدِّهَاءِ قَوِيًّا عَلَى مُعَانَاةِ السِّيَاسَةِ  
 لِيَصِحَّ لَهُ بِذَلِكَ مَا جُعِلَ إِلَيْهِ مِنْ حِمَايَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ وَإِقَامَةِ الْأَحْكَامِ وَتَنْدِيرِ  
 الْمَصَالِحِ وَأَمَّا سَلَامَةُ الْخَوَاسِ وَالْأَعْضَاءِ مِنَ النِّقْصِ وَالْعُطْلَةِ كَالْجُنُونِ وَالْعَمَى وَالصَّمِّ  
 وَالْخَرَسِ وَمَا يُؤْثَرُ فَقْدُهُ مِنَ الْأَعْضَاءِ فِي الْعَمَلِ كَقَدِّ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ وَالْأَنْشِينِ  
 فَتَشَرْطُ السَّلَامَةُ مِنْهَا كُلِّهَا لِتَأْثِيرِ ذَلِكَ فِي تِمَامِ عَمَلِهِ وَفِيَامِهِ بِمَا جُعِلَ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ  
 إِنَّمَا يَشِينُ فِي الْمَنْظَرِ فَقَطْ كَقَدِّ إِحْدَى هَذِهِ الْأَعْضَاءِ فَشَرْطُ السَّلَامَةِ مِنْهُ شَرْطُ  
 كَمَالٍ وَيُلْحَقُ بِفَقْدَانِ الْأَعْضَاءِ الْمَنْعُ مِنَ التَّصَرُّفِ وَهُوَ ضَرْبَانِ ضَرْبٌ يُلْحَقُ بِهِذِهِ فِي  
 اشْتِرَاطِ السَّلَامَةِ مِنْهُ شَرْطٌ وَجُوبٌ وَهُوَ الْقَهْرُ وَالْعَجْزُ عَنِ التَّصَرُّفِ جُمْلَةً بِالْأَسْرِ وَشَبْهِهِ  
 وَضَرْبٌ لَا يُلْحَقُ بِهِذِهِ وَهُوَ الْحَجْرُ بِاسْتِيْلَاءِ بَعْضِ أَعْوَانِهِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ عَصِيَانٍ وَلَا مُشَاقَّةٍ  
 فَيَنْتَقِلُ النَّظَرُ فِي حَالِ هَذَا الْمُسْتَوَلِيِّ فَإِنْ جَرَى عَلَى حُكْمِ الدِّينِ وَالْعَدْلِ وَحَمِيدِ  
 السِّيَاسَةِ جَازَ قَرَارُهُ وَإِلَّا اسْتَنْصَرَ الْمُسْلِمُونَ بِمَنْ يَقْبِضُ يَدَهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَدْفَعُ عَلَيْهِ

حَتَّى يَنْفَذَ فِعْلُ الْخَلِيفَةِ وَأَمَّا النَّسَبُ الْقُرَشِيُّ فَلِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ ذَلِكَ  
 وَاخْتِجَّتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْأَنْصَارِ لَمَّا هُمَا يَوْمَئِذٍ بَيْعَةَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَقَالُوا مِمَّا أَمِيرٌ  
 وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ وَبِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ أَوْصَانَا بِأَنْ نُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِكُمْ وَنَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ وَلَوْ كَانَتْ الْإِمَارَةُ فِيكُمْ  
 لَمْ نَكُنْ الْوَصِيَّةُ بِكُمْ فَحَبَّجُوا الْأَنْصَارَ وَرَجَعُوا عَنْ قَوْلِهِمْ مِمَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ  
 وَعَدَلُوا عَمَّا كَانُوا هُمَا بِهِ مِنْ بَيْعَةِ سَعْدٍ لِذَلِكَ وَثَبَّتَ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ لَا يَزَالُ هَذَا  
 الْأَمْرُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ  
 قُرَيْشٍ وَتَلَاشَتْ عَصِيَّتُهُمْ بِمَا نَالَهُمْ مِنَ التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ وَبِمَا أَنْفَقَتْهُمْ الدَّوْلَةُ فِي سَائِرِ  
 أَقْطَارِ الْأَرْضِ عَجَزُوا بِذَلِكَ عَنْ حَمْلِ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمُ الْأَعَاجِمُ وَصَارَ الْحُلُّ  
 وَالْعَقْدُ لَهُمْ فَأَشْتَبِهَ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ حَتَّى ذَهَبُوا إِلَى تَفْيِ اشْتِرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ  
 وَعَوَّلُوا عَلَى ظَوَاهِرِ فِي ذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ وُلِّيَ  
 عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ذُو زَيْبَةٍ وَهَذَا لَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ خَرَجَ مُخْرَجَ التَّمَثِيلِ  
 وَالْفَرْضِ لِلْمُبَالَاغَةِ فِي إِيْجَابِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَمِثْلَ قَوْلِ عُمَرَ لَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى حَدِيفَةَ  
 حَيًّا لَوَلِيْتُهُ أَوْلَمَّا دَخَلْتَنِي فِيهِ الظَّنُّ وَهُوَ أَيْضًا لَا يُفِيدُ ذَلِكَ لِمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَذْهَبَ  
 الصَّحَابَةِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ وَأَيْضًا فَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَعَصِيَّةُ الْوَلَاءِ حَاصِلَةٌ إِسَالِمٌ فِي قُرَيْشٍ  
 وَهِيَ الْفَائِدَةُ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ وَلَمَّا اسْتَعْظَمَ عُمَرُ أَمْرَ الْخِلَافَةِ وَرَأَى شُرُوطَهَا كَانَهَا  
 مَفْقُودَةً فِي ظَنِّهِ عَدَلَ إِلَى سَالِمٍ لِتَوْفُرِ شُرُوطِ الْخِلَافَةِ عِنْدَهُ فِيهِ حَتَّى مِنَ النَّسَبِ الْمُفِيدِ  
 لِلْعَصِيَّةِ كَمَا نَذَرُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صِرَاحَةُ النَّسَبِ فَرَأَاهُ غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ إِذِ الْفَائِدَةُ  
 فِي النَّسَبِ إِنَّمَا هِيَ الْعَصِيَّةُ وَهِيَ حَاصِلَةٌ مِنَ الْوَلَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ حِرْصًا مِنْ عُمَرَ رِخِيَّ اللَّهِ  
 عَنْهُ عَلَى النَّظَرِ لِلْمُسْلِمِينَ وَتَقْلِيدِ أَمْرِهِمْ لِمَنْ لَا تَلْحَقُهُ فِيهِ لَأَئِمَّةٌ وَلَا عَلَيْهِ فِيهِ عَهْدَةٌ  
 وَمِنَ الْقَائِلِينَ بِتَفْيِ اشْتِرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ لَمَّا أَدْرَكَ عَلَيْهِ عَصِيَّةُ  
 قُرَيْشٍ مِنَ التَّلَاشِي وَالْإِضْمِحَالِ وَأَسْتَبْدَادِ مُلُوكِ الْعَجَمِ مِنَ الْخُلَفَاءِ فَاسْقَطَ شَرْطَ  
 الْقُرَشِيَّةِ وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِرَأْيِ الْخَوَارِجِ لِمَا رَأَى عَلَيْهِ حَالِ الْخُلَفَاءِ إِيْهَادِهِ وَبَقِيَ  
 الْجُمْهُورُ عَلَى الْقَوْلِ بِاشْتِرَاطِهَا وَصَحَّةِ الْإِمَامَةِ لِلْقُرَشِيِّ وَلَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ الْقِيَامِ بِأُمُورِ  
 الْمُسْلِمِينَ وَرُدَّ عَلَيْهِمْ سُقُوطُ شَرْطِ الْكِفَايَةِ الَّتِي يَقْوَى بِهَا عَلَى أَمْرِهِ لِأَنَّهُ إِذَا ذَهَبَتْ



الشُّوْكَةُ بِذَهَابِ الْعَصَبِيَّةِ فَقَدْ ذَهَبَتِ الْكَفَايَةُ وَإِذَا وَقَعَ الْإِخْلَالُ بِشَرَطِ الْكَفَايَةِ  
تَطَرَّقَ ذَلِكَ أَيْضًا إِلَى الْعِلْمِ وَالِدِينِ وَسَقَطَ أَعْتِبَارُ شُرُوطِ هَذَا الْمَنْصِبِ وَهُوَ خِلَافُ  
الْإِجْتِمَاعِ . وَلَنْتَكَلَّمَ الْآنَ فِي حِكْمَةِ اشْتِرَاطِ النَّسَبِ لِيَتَحَقَّقَ بِهِ الصَّوَابُ فِي هَذِهِ  
الْمَذَاهِبِ فنَقُولُ : إِنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ كُلَّهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مَقَاصِدَ وَحِكْمٍ تَشْتَمِلُ  
عَلَيْهَا وَتُشَرِّعُ لِأَجْلِهَا وَنَحْنُ إِذَا بَحَثْنَا عَنْ الْحِكْمَةِ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ الْقُرَشِيِّ وَمَقْصَدِ  
الْإِشَارَةِ مِنْهُ لَمْ يُقْتَصَرْ فِيهِ عَلَى التَّبَرُّكِ بِوَصْلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا هُوَ فِي  
الْمَشْهُورِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْوَصْلَةُ مَوْجُودَةً وَالتَّبَرُّكِ بِهَا حَاصِلًا لَكِنَّ التَّبَرُّكَ لَيْسَ مِنْ  
الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ كَمَا عَلِمْتَ فَلَا بُدَّ إِذَنْ مِنَ الْمَصْلَحَةِ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ وَهِيَ  
الْمَقْصُودَةُ مِنْ مَشْرُوعِيَّتِهَا وَإِذَا سَبَرْنَا وَقَسَمْنَا لَمْ نَجِدْهَا إِلَّا أَعْتِبَارَ الْعَصَبِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ  
بِهَا الْحِمَايَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَيَرْتَفِعُ الْخِلَافُ وَالْفِرْقَةُ بِوُجُودِهَا لِصَاحِبِ الْمَنْصِبِ فَتَسْكُنُ  
إِلَيْهِ الْمِلَّةُ وَأَهْلُهَا وَيَنْتَظِمُ حَبْلُ الْإِلَافَةِ فِيهَا وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا عَصَبَةً مُضَرَّ وَأَصَاهُمْ  
وَأَهْلُ الْغَلَبِ مِنْهُمْ وَكَانَ لَهُمْ عَلَى سَائِرِ مُضَرِّ الْعِزَّةُ بِالْكَثَرَةِ وَالْعَصَبِيَّةُ وَالشَّرَفُ  
فَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَعْتَرِفُ لَهُمْ بِذَلِكَ وَيَسْتَكِينُونَ لِعَالِيهِمْ فَلَوْ جُعِلَ الْأَمْرُ فِي سِوَاهُمْ  
لَتَوَقَّعَ افْتِرَاقُ الْكَلِمَةِ بِمُخَالَفَتِهِمْ وَعَدَمِ انْقِيَادِهِمْ وَلَا يَقْدِرُ غَيْرُهُمْ مِنْ قِبَائِلِ مُضَرَّ  
أَنْ يَرُدُّهُمْ عَنِ الْخِلَافِ وَلَا يَحْمَاهُمْ عَلَى الْكُرَّةِ فَتَتَفَرَّقَ الْجَمَاعَةُ وَتُخْتَلَفَ الْكَلِمَةُ  
وَالْإِشَارَةُ مُحْذَرٌ مِنْ ذَلِكَ حَرِيصٌ عَلَى اتِّفَاقِهِمْ وَرَفَعِ التَّنَازُعِ وَالشَّتَاتِ بَيْنَهُمْ لِيَحْصُلَ  
الْأَلْحَمَةُ وَالْعَصَبِيَّةُ وَيُحْسَنَ الْحِمَايَةُ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ لَأَنَّهُمْ قَادِرُونَ  
عَلَى سَوْقِ النَّاسِ بِعَصَا الْغَلَبِ إِلَى مَا يُرَادُ مِنْهُمْ فَلَا يُخْشَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ خِلَافِ عَلَيْهِمْ  
وَلَا فُرْقَةٍ لَأَنَّهُمْ كَفِيلُونَ حِينَئِذٍ بِدَفْعِهَا وَمَنْعِ النَّاسِ مِنْهَا فَأَشْرُطَ نَسَبُهُمُ الْقُرَشِيُّ  
فِي هَذَا الْمَنْصِبِ وَهُمْ أَهْلُ الْعَصَبِيَّةِ الْقَوِيَّةِ لِيَكُونَ أَبْلَغُ فِي انْتِظَامِ الْمِلَّةِ وَاتِّفَاقِ  
الْكَلِمَةِ وَإِذَا انْتَضَمَتْ كَلِمَتُهُمْ انْتَضَمَتْ بِانْتِظَامِهَا كَلِمَةُ مُضَرَّ أَجْمَعَ فَأَذْعَنَ لَهُمْ  
سَائِرُ الْعَرَبِ وَانْقَادَتِ الْأُمَمُ سِوَاهُمْ إِلَى أَحْكَامِ الْمِلَّةِ وَوُطِّئَتْ جُنُودُهُمْ قَاصِيَةَ الْبِلَادِ  
كَمَا وَقَعَ فِي أَيَّامِ الْفُتُوحَاتِ وَاسْتَمَرَّ بَعْدَهَا فِي الدَّوْلَتَيْنِ إِلَى أَنْ أَضْمَحَلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ  
وَتَلَاشَتْ عَصَبِيَّةُ الْعَرَبِ وَيُعْلَمُ مَا كَانَ لِقُرَيْشٍ مِنَ الْكَثَرَةِ وَالتَّغْلِبِ عَلَى بَطُونِ مُضَرَّ  
مَنْ مَارَسَ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَسِيرَهُمْ وَتَقَطَّنَ لِلَّذِي فِي أَحْوَالِهِمْ . وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ

فِي كِتَابِ السِّيرِ وَغَيْرِهِ فَإِذَا ثَبِتَ أَنَّ اشْتِرَاطَ الْقُرْشِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ لِدَفْعِ الزَّانِعِ بِمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْغَلْبِ وَعَلِمْنَا أَنَّ الشَّارِعَ لَا يَخْصُ الْأَحْكَامَ بِجِيلٍ وَلَا عَصْرِ وَلَا أُمَّةٍ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْكِنَايَةِ فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهَا وَطَرَدْنَا الْعِلَّةَ الْمُشْتَمَلَةَ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنَ الْقُرْشِيَّةِ وَهِيَ وُجُودُ الْعَصِيَّةِ فَاشْتَرَطْنَا فِي الْقَائِمِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْمٍ أُولَى عَصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ غَالِبَةٍ دَلَى مَنْ مَعَهَا لِعَصْرِهَا لِيَسْتَتَبِعُوا مَنْ سِوَاهُمْ وَتَجْتَمِعَ الْكَلِمَةُ عَلَى حُسْنِ الْحِمَايَةِ وَلَا يُعْلَمُ ذَلِكَ فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَفَاقِ كَمَا كَانَ فِي الْقُرْشِيَّةِ إِذِ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ كَانَتْ عَامَةً وَعَصِيَّةُ الْعَرَبِ كَانَتْ وَافِيَةً بِهَا فَغَلَبُوا سَائِرَ الْأُمَمِ وَإِنَّمَا يُخْصُ لِهَذَا الْعَهْدِ كُلُّ قُطْرٍ بِمَنْ تَكُونُ لَهُ فِيهِ الْعَصِيَّةُ الْغَالِبَةُ وَإِذَا نَظَرْتَ سِرَّ اللَّهِ فِي الْخِلَافَةِ لَمْ تَعُدْ هَذَا لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا جَعَلَ الْخَلِيفَةَ نَائِبًا عَنْهُ فِي الْقِيَامِ بِأُمُورِ عِبَادِهِ لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَيَرُدَّهُمْ عَنْ مَضَارِّهِمْ وَهُوَ مُخَاطَبٌ بِذَلِكَ وَلَا يُخَاطَبُ بِالْأَمْرِ إِلَّا مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ أَلَا تَرَى مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْخَطِيبِ<sup>(١)</sup> فِي شَأْنِ النِّسَاءِ وَأَنَّهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ جُعِلَ تَبَعًا لِلرَّجَالِ وَلَمْ يَدْخُلْنَ فِي الْخِطَابِ بِالْوَضْعِ وَإِنَّمَا دَخَلْنَ عِنْدَهُ بِالْقِيَاسِ وَذَلِكَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لِمَنْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَكَانَ الرِّجَالُ قَوَّامِينَ عَلَيْهِنَّ اللَّهُمَّ إِلَّا فِي الْعِبَادَاتِ الَّتِي كُلُّ أَحَدٍ فِيهَا قَائِمٌ عَلَى نَفْسِهِ فَخِطَابُهُنَّ فِيهَا بِالْوَضْعِ لَا بِالْقِيَاسِ ثُمَّ إِنَّ الْوُجُودَ شَاهِدٌ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ بِأَمْرِ أُمَّةٍ أَوْ جِيلٍ إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ وَقُلْ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ الشَّرْعِيُّ مُخَالَفًا لِلْأَمْرِ الْوُجُودِيِّ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل السابع والعشرون

في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة

اعْلَمْ أَنَّ الشَّيْعَةَ لُغَةً هُمُ الصَّحْبُ وَالْإِتْبَاعُ وَيُطْلَقُ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْخَلَفِ وَالسَّلَفِ عَلَى اتِّبَاعِ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَذْهَبُهُمْ جَمِيعًا مُتَّفِقِينَ عَلَيْهِ أَنَّ الْإِمَامَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ الَّتِي تَفُوضُ إِلَى نَظَرِ الْأُمَّةِ وَيَتَعَيَّنُ الْقَائِمُ بِهَا بِتَعْيِينِهِمْ بَلْ هِيَ رُكْنُ الدِّينِ وَقَاعِدَةُ الْإِسْلَامِ وَلَا يَجُوزُ لِنَبِيِّ إِغْفَالُهُ وَلَا تَقْوِيضُهُ إِلَى الْأُمَّةِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعْيِينُ الْإِمَامِ لَهُمْ وَيَكُونُ مَعْصُومًا مِنَ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ وَإِنْ

(١) قوله الإمام ابن الخطيب هو الفخر الرازي قاله نصر



عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي عَيْنَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِنُصُوصٍ يَنْقُلُونَهَا وَيُؤْوِلُونَهَا  
 عَلَى مُقْتَضَى مَذْهَبِهِمْ لَا يَعْرِفُهَا جَهَانِدَةُ السُّنَّةِ وَلَا نَقْلَةُ الشَّرِيعَةِ بَلْ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ  
 أَوْ مَطْعُونٌ فِي طَرِيقِهِ أَوْ بَعِيدٌ عَنْ تَأْوِيلَاتِهِمْ الْفَاسِدَةِ وَتَنْقَسِمُ هَذِهِ النُّصُوصُ عِنْدَهُمْ إِلَى  
 جَلِّيٍّ وَخَفِيٍِّّ فَالْجَلِّيُّ مِثْلُ قَوْلِهِ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ قَالُوا وَلَمْ تُطْرَدْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ  
 إِلَّا فِي عَلِيٍّ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُمَرُ أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمِنْهَا قَوْلُهُ أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ  
 وَلَا مَعْنَى لِإِمَامَةٍ إِلَّا الْقَضَاءُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِأَوَّلِي الْأَمْرِ الْوَاجِبَةِ طَاعَتِهِمْ  
 بِقَوْلِهِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوَّلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَالْمُرَادُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ وَلِهَذَا  
 كَانَ حُكْمًا فِي قَضِيَّةِ الْإِمَامَةِ يَوْمَ السَّقِينَةِ دُونَ غَيْرِهِ وَمِنْهَا قَوْلُهُ مَنْ يَبَايِعُنِي عَلَى  
 رُوحِهِ وَهُوَ وَصِيٌّ وَوَلِيٌّ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي فَلَمْ يَبَايِعَهُ إِلَّا عَلِيٌّ وَمِنْ الْخَفِيِّ عِنْدَهُمْ بَعَثُ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا لِقِرَاءَةِ سُورَةِ بَرَاءَةِ فِي الْمَوْسِمِ حِينَ أَنْزَلَتْ فَإِنَّهُ بَعَثَ  
 بِهَا أَوَّلًا أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ لِيَبْلُغَهُ رَجُلٌ مِنْكَ أَوْ مِنْ قَوْمِكَ فَبَعَثَ عَلِيًّا لِيَكُونَ  
 الْقَارِءُ الْمُبْلَغُ قَالُوا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ وَآيُضًا فَلَمْ يُعْرِفْ أَنَّهُ قَدَّمَ أَحَدًا عَلَى  
 عَلِيٍّ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَدَّمَ عَلَيْهِمَا فِي غَزَاتَيْنِ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ مَرَّةً وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ  
 أُخْرَى وَهَذِهِ كُلُّهَا أَدَلَّةٌ شَاهِدَةٌ بِتَعْيِينِ عَلِيٍّ لِلْخِلَافَةِ دُونَ غَيْرِهِ فَمِنْهَا مَا هُوَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ  
 وَمِنْهَا مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنْ تَأْوِيلِهِمْ ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ هَذِهِ النُّصُوصَ تَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِ عَلِيٍّ  
 وَتَشْخِصِهِ وَكَذَلِكَ تَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْإِمَامِيَّةُ وَيَتَبَرَّأُونَ مِنَ الشَّيْخَيْنِ  
 حَيْثُ لَمْ يَقْدِمُوا عَلِيًّا وَيَبَايَعُوهُ بِمُقْتَضَى هَذِهِ النُّصُوصِ وَيَغْمِضُونَ فِي إِمَامَتِهِمَا وَلَا يُلْتَفَتُ  
 إِلَى ثِقَلِ الْقَدَحِ فِيهِمَا مِنْ غُلَاتِهِمْ فَهُوَ مُرَدُّودٌ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّ هَذِهِ  
 الْأَدَلَّةَ إِنَّمَا أَقْتَضَتْ تَعْيِينَ عَلِيٍّ بِالْوَصْفِ لَا بِالشَّخْصِ وَالنَّاسُ مُقْصِرُونَ حَيْثُ لَمْ يَضَعُوا  
 الْوَصْفَ مَوْضِعَهُ وَلَا هُمْ الزَّيْدِيَّةُ وَلَا يَتَبَرَّأُونَ مِنَ الشَّيْخَيْنِ وَلَا يَغْمِضُونَ فِي إِمَامَتِهِمَا مَعَ  
 قَوْلِهِمْ بَأَنَّ عَلِيًّا أَفْضَلُ مِنْهُمَا لَكِنَّهُمْ يُجَوِّزُونَ إِمَامَةَ الْمَفْضُولِ مَعَ وَجُودِ الْأَفْضَلِ ثُمَّ  
 اخْتَلَفَتْ نَقُولُ هَؤُلَاءِ الشَّيْعَةِ فِي مَسَاقِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ عَلِيٍّ فَمِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا فِي وَلَدِ فَاطِمَةَ  
 بِالنِّصِّ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى مَا يُذَكَّرُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ يُسَمَّوْنَ الْإِمَامِيَّةَ نِسْبَةً إِلَى  
 مَقَالَتِهِمْ بِاشْتِرَاطِ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ وَتَعْيِينِهِ فِي الْإِيمَانِ وَهِيَ أَصْلٌ عِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا  
 فِي وَلَدِ فَاطِمَةَ لَكِنْ بِالِاخْتِيَارِ مَعَ الشُّيُوخِ وَيَشْتَرِطُ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مِنْهُمْ عَالِمًا

زَاهِدًا جَوَادًا شَجَاعًا وَيُخْرِجُ دَاعِيًا إِلَى إِمَامَتِهِ وَهُوَ لَا هُمْ الزَيْدِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى صَاحِبِ  
 الْمَذْهَبِ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّبِطُ وَقَدْ كَانَ يُنَازِرُ أَخَاهُ مُحَمَّدًا الْبَاقِرَ عَلَى  
 اشْتِرَاطِ الْخُرُوجِ فِي الْإِمَامِ فَيُلْزِمُهُ الْبَاقِرُ أَنْ لَا يَكُونَ أَبُوهُمَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ إِمَامًا  
 لِأَنَّهُ لَمْ يُخْرِجْ وَلَا تَعَرَّضَ لِلْخُرُوجِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَنْعَى عَلَيْهِ مَذَاهِبَ الْمُعْتَزَلَةِ وَأَخَذَهُ  
 أَبَاهُ عَنْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ وَلَمَّا نَازَرَ الْإِمَامِيَّةَ زَيْدًا فِي إِمَامَةِ الشَّيْخَيْنِ وَرَأَاهُ يَقُولُ  
 بِإِمَامَتِهِمَا وَلَا يَتَّبِعُ مِنْهُمَا رَفُضُهُ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَبِذَلِكَ سُمُّوا رَافِضَةً وَمِنْهُمْ  
 مَنْ سَاقَهَا بَعْدَ عَلِيٍّ وَآبِيهِ السَّبِطَيْنِ إِلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخِيهِمَا مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ  
 ثُمَّ إِلَى وَلِيِّهِ وَهُمْ الْكَيْسَانِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى كَيْسَانَ مَوْلَاهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ اخْتِلَافَاتٌ  
 كَثِيرَةٌ تَرَكْنَاهَا اخْتِصَارًا وَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ يُسَوِّنُ الْغُلَاةَ تَجَاوُزُوا حَدَّ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ  
 فِي الْقَوْلِ بِاللَّوْهِيَّةِ هُوَلَاءُ الْأَئِمَّةِ إِمَامًا عَلَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ أَتَصَوَّفُوا بِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ أَوْ أَنَّ  
 الْإِلَهَ حَلَّ فِي ذَاتِهِ الْبَشَرِيَّةَ وَهُوَ قَوْلُ بِالْحُلُولِ يُوَافِقُ مَذْهَبَ النَّصَارَى فِي عَيْسَى صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَقَدْ حَرَقَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّارِ مَنْ ذَهَبَ فِيهِ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَخَّطَ  
 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ الْمُخْتَارَ بْنَ أَبِي عُبَيْدٍ لَمَّا بَلَغَهُ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْهُ فَصَرَّحَ بِإِعْنَتِهِ وَالْبَرَاءَةَ  
 مِنْهُ وَكَذَلِكَ فَعَلَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِمَنْ بَلَغَهُ مِثْلُ هَذَا عَنْهُ وَمِنْهُمْ  
 مَنْ يَقُولُ إِنَّ كَمَالَ الْإِمَامِ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ فَإِذَا مَاتَ انْتَقَلَتْ رُوحُهُ إِلَى إِمَامٍ آخَرَ  
 إِيكُونُ فِيهِ ذَلِكَ الْكَمَالُ وَهُوَ قَوْلُ بِالتَّنَاسُخِ وَمِنْ هُوَلَاءِ الْغُلَاةِ مَنْ يَقِفُ عِنْدَ وَاحِدٍ  
 مِنَ الْأَئِمَّةِ لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى غَيْرِهِ بِحَسَبِ مَنْ يُعَيِّنُ لِذَلِكَ عِنْدَهُمْ وَهُوَ لَا هُمْ الْوَاقِفِيَّةُ  
 فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ هُوَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ إِلَّا أَنَّهُ غَائِبٌ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ وَيَسْتَشْهِدُونَ لِذَلِكَ  
 بِقِصَّةِ الْخَضِرِ قِيلَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِنَّهُ فِي السَّحَابِ وَالرَّعْدُ صَوْتُهُ  
 وَالْبَرْقُ فِي صَوْتِهِ وَقَالُوا مِثْلَهُ فِي مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَإِنَّهُ فِي جَبَلٍ رَضَوِي مِنْ أَرْضِ  
 الْحِجَازِ وَقَالَ شَاعِرُهُمْ

وَلَاةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءٌ

هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خِفَاءٌ

وَسَبِطٌ غَيْبَتُهُ كَرَبْلَاءِ

يَقُودُ الْجَيْشَ يَقْدُمُهُ اللَّوَاءُ

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ

عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ

فَسَبِطٌ مَسْبُطُ إِيْمَانٍ وَبَرٌّ

وَسَبِطٌ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى



تَغَيَّبَ لَا يُرَى فِيهِمْ زَمَانًا بِرِضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ  
وَقَالَ مِثْلُهُ غُلَاةُ الْأِمَامِيَّةِ وَخُصُوصًا الْإِثْنَا عَشَرِيَّةُ مِنْهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ  
اِئِمَّتِهِمْ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ وَيَلْقَبُونَهُ الْمَهْدِيَّ دَخَلَ فِي سِرْدَابٍ بِدَارِهِمْ  
فِي الْحِلَّةِ وَتَغَيَّبَ حِينَ أُعْتِقِلَ مَعَ أُمِّهِ وَغَابَ هُنَاكَ وَهُوَ يُخْرَجُ آخِرَ الزَّمَانِ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ  
عَدْلًا يُشِيرُونَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَدِيثِ الْوَاقِعِ فِي كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ فِي الْمَهْدِيِّ وَهُمْ إِلَى  
الآنَ يَنْتَظِرُونَهُ وَيَسْمُونَهُ الْمُنْتَظَرَ لِذَلِكَ وَيَقِفُونَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ بَابَ  
هَذَا السَّرْدَابِ وَقَدْ قَدَّمُوا مَرْكَبًا فِيهِتَفُونَ بِاسْمِهِ وَيَدْعُونَهُ لِلْخُرُوجِ حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ  
ثُمَّ يَنْفَضُونَ وَيُرْجَتُونَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّيْلَةِ الْآتِيَةِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَبَعْضُ هَؤُلَاءِ  
الْوَاقِفِيَّةِ يَقُولُ إِنَّ الْأِمَامَ الَّذِي مَاتَ يَرْجِعُ إِلَى حَيَاتِهِ الدُّنْيَا وَيَسْتَشْهِدُونَ لِذَلِكَ بِمَا  
وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَقَتِيلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
حِينَ ضُرِبَ بِعِظَامِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أُمِرُوا بِذَبْحِهَا وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنَ الْخَوَارِقِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى  
طَرِيقِ الْمُعْجِزَةِ وَلَا يَصِحُّ الْأَسْتِشْهَادُ بِهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّيِّدُ  
الْحَمِيرِيُّ وَمِنْ شِعْرِهِ فِي ذَلِكَ

إِذَا مَا الْمَرْءُ شَابَ لَهُ قَدَالٌ وَعَلَّلَهُ الْمَوَاشِطُ بِالْخِضَابِ  
فَقَدْ ذَهَبَتْ بِشَاشَتِهِ وَأَوْدَى فَقُمُ يَا صَاحِبَ نَبِكِ عَلَى الشَّكَابِ  
إِلَى يَوْمٍ يَثُوبُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى دُنْيَاهُمْ قَبْلَ الْحِسَابِ  
فَلَيْسَ بِعَائِدٍ مَا فَاتَ مِنْهُ إِلَى أَحَدٍ إِلَى يَوْمِ الْإِيَابِ  
أَدِينُ بَانَ ذَلِكَ دِينَ حَقٍّ وَمَا أَنَا فِي النُّشُورِ بِذِي أَرْتِيَابِ  
كَذَلِكَ اللَّهُ أَخْبَرَ عَنْ أَنَاسٍ حَيُوا مِنْ بَعْدِ دَرَسٍ فِي التُّرَابِ

وَقَدْ كَفَانَا مَوْوَنَةُ هَؤُلَاءِ الْغُلَاةِ أَيْمَةُ الشَّيْعَةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِهَا وَيُطْلُونَ أَحْتِجَاجَاتِهِمْ  
عَلَيْهَا وَأَمَّا الْكَيْسَانِيَّةُ فَسَاقُوا الْإِمَامَةَ مِنْ بَعْدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ إِلَى ابْنِهِ أَبِي هَاشِمٍ  
وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْهَاشِمِيَّةُ ثُمَّ اقْتَرَفُوا مِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا بَعْدَهُ إِلَى أَخِيهِ عَلِيِّ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ  
ابْنِ عَلِيٍّ وَآخَرُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هَاشِمٍ لَمَّا مَاتَ بِأَرْضِ السَّرَاةِ مُنْصَرِفًا مِنَ الشَّامِ  
أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأَوْصَى مُحَمَّدٌ إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ  
بِالْإِمَامِ وَأَوْصَى إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِيَّةِ الْمَلَقَبِ بِالسَّفَاحِ وَأَوْصَى هُوَ

إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَلَقِ بِالْمَنْصُورِ وَانْتَقَلَتْ فِي وَلَدِهِ بِالْأَنْصِ وَالْعَهْدِ وَاحِدًا  
بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى آخِرِهِمْ وَهَذَا مَذَهَبُ الْهَاشِمِيَّةِ الْقَائِمِينَ بِدَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَكَانَ مِنْهُمْ  
أَبُو مُسْلِمٍ وَسَالِمَانُ بْنُ كُثَيْرٍ وَأَبُو سَامَةَ الْخَلَّالُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ شِيعَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَزُبُرُهَا  
يَعْتَضِدُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَبَّاسِ لِأَنَّهُ كَانَ حَيًّا وَقَدْ  
الْوَفَاةُ وَهُوَ أَوْلَى بِالْوَرَاثَةِ بِعَصَبِيَّةِ الْعُمُومَةِ وَأَمَّا الزُّيْدِيَّةُ فَسَاقُوا الْإِمَامَةَ عَلَى مَذَهَبِهِمْ  
فِيهَا وَإِنَّهَا بِاخْتِيَارِ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ لَا بِالْأَنْصِ فَقَالُوا بِإِمَامَةِ عَلِيِّ ثُمَّ ابْنِهِ الْحُسَيْنِ ثُمَّ  
أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ثُمَّ ابْنِهِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ صَاحِبُ هَذَا الْمَذَهَبِ وَخَرَجَ بِالْكُوفَةِ دَاعِيًا  
إِلَى الْإِمَامَةِ فَقُتِلَ وَصُلِبَ بِالْكِنَاسَةِ وَقَالَ الزُّيْدِيَّةُ بِإِمَامَةِ ابْنِهِ يُحْيَى مِنْ بَعْدِهِ فَمَضَى  
إِلَى خُرَاسَانَ وَقُتِلَ بِالْجُوزْجَانِ بَعْدَ أَنْ أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ  
الْحُسَيْنِ السَّبِطِ وَيُقَالُ لَهُ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ فَخَرَجَ بِالْحِجَازِ وَتَلَقَّبَ بِالْمَهْدِيِّ وَجَاءَتْهُ عَسَاكِرُ  
الْمَنْصُورِ فَقُتِلَ وَعُهِدَ إِلَى أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ فَقَامَ بِالْبَصْرَةِ وَمَعَهُ عِيسَى بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ  
فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْمَنْصُورُ عَسَاكِرَهُ فَهَزَمَ وَقُتِلَ إِبْرَاهِيمُ وَعِيسَى وَكَانَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ أَخْبَرَهُمْ  
بِذَلِكَ كُلِّهِ وَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي كَرَامَاتِهِ وَذَهَبَ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ  
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ وَعُمَرُ هُوَ أَخُو زَيْدِ  
ابْنِ عَلِيٍّ فَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بِالطَّالِقَانِ فَقَضَى عَلَيْهِ وَسَبَقَ إِلَى الْمَعْتَصِمِ فَجَسَّهُ  
وَمَاتَ فِي حَبْسِهِ وَقَالَ آخَرُونَ مِنَ الزُّيْدِيَّةِ إِنَّ الْإِمَامَ بَعْدَ يُحْيَى بْنِ زَيْدٍ هُوَ أَخُوهُ  
عِيسَى الَّذِي حَضَرَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي قِتَالِهِ مَعَ مَنْصُورٍ وَتَقَالُوا الْإِمَامَةَ فِي عَقْبِهِ  
وَالِيهِ انْتَسَبَ دَعْيُ الزَّيْجِ كَمَا نَذَرُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَقَالَ آخَرُونَ مِنَ الزُّيْدِيَّةِ إِنَّ  
الْإِمَامَ بَعْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخُوهُ أَدْرِيسُ الَّذِي فَرَّ إِلَى الْمَغْرِبِ وَمَاتَ هُنَاكَ  
وَقَامَ بِأَمْرِهِ ابْنُهُ أَدْرِيسُ وَاخْتَطَّ مَدِينَةَ فَاسَ وَكَانَ مِنْ بَعْدِهِ عَقْبُهُ مُلُوكًا بِالْمَغْرِبِ  
إِلَى أَنْ انْقَرَضُوا كَمَا نَذَرُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَبَقِيَ أَمْرُ الزُّيْدِيَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ غَيْرَ مُنْتَظِمٍ  
وَكَانَ مِنْهُمْ الدَّاعِي الَّذِي مَلَكَ طَبْرَسْتَانَ وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ  
ابْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ الْحُسَيْنِ السَّبِطِ وَأَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ ثُمَّ قَامَ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ  
فِي الدَّيْلَمِ النَّاصِرُ الْأَطْرُوشُ مِنْهُمْ وَأَسْلَمُوا عَلَى يَدِهِ وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ الْحُسَيْنِ  
ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ وَعُمَرُ أَخُو زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فَكَانَتْ لِبَنِيهِ بِطَبْرَسْتَانَ دَوْلَةٌ وَتَوَصَّلَ



الدِّلْمُ مِنْ نَسَبِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ وَالْإِسْتِبدَادِ عَلَى الْخُلَفَاءِ بِبَغْدَادَ كَمَا نَذَرُ فِي أَخْبَارِهِمْ .  
 وَأَمَّا الْإِمَامِيَّةُ فَسَاقُوا الْإِمَامَةَ مِنْ عَلِيِّ الرِّضَى إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ بِالْوَصِيَّةِ ثُمَّ إِلَى أَخِيهِ  
 الْحُسَيْنِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ جَعْفَرِ  
 الصَّادِقِ وَمِنْ هُنَا افْتَرَقُوا فَرَقَتَيْنِ فَرَقَةً سَاقُوهَا إِلَى وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ وَيَعْرِفُونَهُ بَيْنَهُمْ بِالْإِمَامِ  
 وَهُمْ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ وَفَرَقَةً سَاقُوهَا إِلَى ابْنِهِ مُوسَى الْكَاظِمِ وَهُمْ الْإِثْنَا عَشَرِيَّةُ لَوْ قُوفِهِمْ  
 عِنْدَ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَقَوْلُهُمْ بِغَيْبَتِهِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا مَرَّ فَأَمَّا الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ  
 فَقَالُوا بِإِمَامَةِ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامِ بِالنَّصِّ مِنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ وَفَائِدَةُ النَّصِّ عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ وَإِنْ  
 كَانَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ أَبِيهِ إِنَّمَا هُوَ بَقَاءُ الْإِمَامَةِ فِي عَقِبِهِ كَقِصَّةِ هَارُونَ مَعَ مُوسَى صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ عَلَيْهِمَا قَالُوا ثُمَّ انْتَقَلَتِ الْإِمَامَةُ مِنْ إِسْمَاعِيلَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْمَكْتُومِ وَهُوَ أَوَّلُ  
 الْأَئِمَّةِ الْمَسْتُورِينَ لِأَنَّ الْإِمَامَ عِنْدَهُمْ قَدْ لَا يَكُونُ لَهُ شَوْكَةٌ فَيَسْتَتِرُ وَتَكُونُ دُعَاؤُهُ  
 ظَاهِرِينَ إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَى الْخَلْقِ وَإِذَا كَانَتْ لَهُ شَوْكَةٌ ظَهَرَ وَأُظْهِرَ دَعْوَتُهُ قَالُوا وَبَعْدَ  
 مُحَمَّدٍ الْمَكْتُومِ ابْنُهُ جَعْفَرُ الصَّادِقِ وَبَعْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَيِّبُ وَهُوَ آخِرُ الْمَسْتُورِينَ  
 وَبَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ الْمُهْدِي الَّذِي أَظْهَرَ دَعْوَتَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ فِي كُتَامَةٍ وَتَتَابَعَ  
 النَّاسُ عَلَى دَعْوَتِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ مَعْتَقِلِهِ بِسِجْلَامَاةَ وَمَلَّكَ الْفَيْرَوَانَ وَالْمَغْرِبَ وَمَلَّكَ  
 بَنُوهُ مِنْ بَعْدِ مِصْرَ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيُسَمَّى هَؤُلَاءِ نِسْبَةً إِلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَةِ  
 إِسْمَاعِيلَ وَيُسَمَّوْنَ أَيْضًا بِالْبَاطِنِيَّةِ نِسْبَةً إِلَى قَوْلِهِمْ بِالْإِمَامِ الْبَاطِنِ أَيْ الْمَسْتُورِ وَيُسَمَّوْنَ  
 أَيْضًا الْمُلْحِدَةَ لِمَا فِي ضَمْنِ مَقَالَتِهِمْ مِنَ الْإِلْحَادِ وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ قَدِيمَةٌ وَمَقَالَاتٌ جَدِيدَةٌ  
 دَعَا إِلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّبَّاحِ فِي آخِرِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَمَلَّكَ حُصُونًا بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ  
 وَلَمْ تَزَلْ دَعْوَتُهُ فِيهَا إِلَى أَنْ تَوَزَّعَ الْهَلَاكُ بَيْنَ مُلُوكِ التُّرْكِ بِمِصْرَ وَمُلُوكِ التُّرْكِ بِالْعِرَاقِ  
 فَأَنْقَرَضَتْ وَمَقَالَةٌ هَذَا الصَّبَّاحِ فِي دَعْوَتِهِ مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرِ سَنَانِي \*  
 وَأَمَّا الْإِثْنَا عَشَرِيَّةُ فَرُبَّمَا خُصُّوا بِاسْمِ الْإِمَامِيَّةِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ فَقَالُوا بِإِمَامَةِ  
 مُوسَى الْكَاظِمِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ لَوْفَاةِ أَخِيهِ الْأَكْبَرِ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِمَا  
 جَعْفَرٍ فَنَصَّ عَلَى إِمَامَةِ مُوسَى هَذَا ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيُّ الرِّضَا الَّذِي عَهْدَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ وَمَاتَ  
 قَبْلَهُ فَلَمْ يَنْبَغْ لَهُ أَمْرٌ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ التَّقِيُّ ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيُّ الْهَادِي ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَسَنِ  
 الْعَسْكَرِيُّ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْمُهْدِي الْمُنْتَظَرِ الَّذِي قَدْ مَنَاهُ قَبْلُ وَفِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ

هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير إلا أن هذه أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها ومطالعتها فعليه بكتاب الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرهما ففيها بيان ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو العلي الكبير

## الفصل الثامن والعشرون

في انقلاب الخلافة إلى الملك

إعلم أن الملك غاية طبيعية للعصبة ليس وقوعه عنها باختيار إنما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلناه من قبل وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبة إذ المطالبة لا تتم إلا بها كما قدمناه . فالعصبة ضرورية للملة وبوجودها يتم أمر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبيًا إلا في منعة من قومه ثم وجدنا الشارع قد ذم العصبة وتدب إلى أطراحها وتركها فقال إن الله أذهب عنكم عييتكم<sup>(١)</sup> الجاهلية وفخرها بالآباء أنتم بنو آدم وآدم من تراب وقال تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ووجدناه أيضًا قد ذم الملك وأهله ونعى على أهله أخوالهم من الاستمتاع بالخلاف والإسراف في غير القصد والتكسب عن صراط الله وإنما حض على الإلفة في الدين وحذر من الخلاف والفرقة \* وأعلم أن الدنيا كلها وأحوالها مطية للآخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهي عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب إلى تركه إهماله بالكلية أو إقتلاعه من أصله وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكلية إنما قصده تضييقها في أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى يصير المقاصد كلها حقًا وتتحد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الإنسان فإنه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد وإعلاء كلمة الله وإنما يذم الغضب للشيطان وللأغراض الدنيوية فإذا كان الغضب لذلك كان مذمومًا وإذا كان الغضب في الله والله كان ممدوحًا وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات أيضًا ليس المراد إبطالها بالكلية فإن من بطلت شهوته كان نقصًا في حقه وإنما المراد تضييقها فيما أيسر له بأشتماله

(١) عية تضم العين وكسرهما وكسر الموحدة شدة وتشديد المناة التخمية الكبر والخبر والخفوة فامرس



عَلَى الْمَصَالِحِ لِيَكُونَ الْإِنْسَانُ عَبْدًا مُتَجَبِّرًا فَطَوَّعَ الْأَوَامِرَ الْإِلَهِيَّةَ وَكَذَا الْعَصَبِيَّةُ حَيْثُ  
 ذَمَّهَا الشَّارِعُ وَقَالَ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ فَإِنَّمَا مِرَادُهُ حَيْثُ تَكُونُ  
 الْعَصَبِيَّةُ عَلَى الْبَاطِلِ وَأَحْوَالِهِ كَمَا كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فَخْرٌ بِهَا أَوْ حَقٌّ  
 عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّ ذَلِكَ نَجَانٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعُقَلَاءِ وَغَيْرُ نَافِعٍ فِي الْآخِرَةِ أَلَيْسَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ  
 فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ الْعَصَبِيَّةُ فِي الْحَقِّ وَإِقَامَةُ أَمْرِ اللَّهِ فَأَمْرٌ مَطْلُوبٌ وَلَوْ بَطَلَ لَبَطَلَتِ الشَّرَائِعُ  
 إِذْ لَا يَتِمُّ قِيَامُهَا إِلَّا بِالْعَصَبِيَّةِ كَمَا قُلْنَا مِنْ قَبْلُ وَكَذَا الْمَلِكُ لِمَا ذَمَّهُ الشَّارِعُ لَمْ يَدَمْ  
 مِنْهُ الْغَلَبُ بِالْحَقِّ وَقَهَرَ الْكَافَّةَ عَلَى الدِّينِ وَرِعَاةِ الْمَصَالِحِ وَإِنَّمَا ذَمُّهُ لِمَا فِيهِ مِنَ  
 التَّغْلِبِ بِالْبَاطِلِ وَتَضَرُّفِ الْأَدَمِيِّينَ طَوَّعَ الْأَغْرَاضِ وَالْتَهَوَاتِ كَمَا قُلْنَا فَلَوْ كَانَ  
 الْمَلِكُ مُخْلِصًا فِي غَلْبِهِ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لِلَّهِ وَلِحَمَلِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَجِهَادِ عَدُوِّهِ لَمْ يَكُنْ  
 ذَلِكَ مَذْمُومًا وَقَدْ قَالَ سُلَيْمَانُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ رَبِّ هَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ  
 بَعْدِي لِمَا عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَمْعَزِلُ عَنِ الْبَاطِلِ فِي النُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ \* وَلَمَّا لَقِيَ مُعَاوِيَةَ  
 عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى الشَّامِ فِي أُجْبَةِ الْمَلِكِ وَزِيهِ مِنْ  
 الْعَدِيدِ وَالْعُدَّةِ اسْتَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ أَكِسْرِيَّةٌ يَا مُعَاوِيَةُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 أَنَا فِي تَغَرُّبٍ جَاهِ الْعَدُوِّ وَبِنَا إِلَى مَبَاهِلِهِمْ بِزِينَةِ الْحَرْبِ وَالْجِهَادِ حَاجَةٌ فَسَكَتَ وَلَمْ يُخَطِّئْهُ  
 لِمَا أَحْتَجَّ عَلَيْهِ بِمَقْصِدٍ مِنْ مَقَاصِدِ الْحَقِّ وَالِدِّينَ فَلَوْ كَانَ الْقَصْدُ رَفْضَ الْمَلِكِ مِنْ  
 أَصْلِهِ لَمْ يَقْنَعَهُ الْجَوَابُ فِي تِلْكَ الْكِسْرِيَّةِ وَاتِّحَالِهَا بَلْ كَانَ يُحَرِّضُ عَلَى خُرُوجِهِ عَنْهَا  
 بِالْجُمْلَةِ وَإِنَّمَا أَرَادَ عُمَرُ بِالْكِسْرِيَّةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَارِسَ فِي مُلْكِهِمْ مِنْ  
 ارْتِكَابِ الْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَسُلُوكِ سَبِيلِهِ وَالْعَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ وَأَجَابَهُ مُعَاوِيَةُ بِأَنَّ الْقَصْدَ  
 بِذَلِكَ لَيْسَ كِسْرِيَّةَ فَارِسَ وَبَاطِلِهِمْ وَإِنَّمَا قَصْدُهُ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ فَسَكَتَ \* وَهَكَذَا  
 كَانَ شَأْنُ الصَّحَابَةِ فِي رَفْضِ الْمَلِكِ وَأَحْوَالِهِ وَنِسْيَانِ عَوَائِدِهِ حَذَرًا مِنَ التَّبَاسُّهِ بِالْبَاطِلِ  
 فَلَمَّا اسْتَحْضَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الصَّلَاةِ إِذْ هِيَ أَهَمُّ  
 أُمُورِ الدِّينِ وَأَرْتَضَاهُ النَّاسُ لِلْخِلَافَةِ وَهِيَ خَلُّ الْكَافَّةِ عَلَى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَجِرْ  
 لِلْمَلِكِ ذِكْرٌ لِمَا أَنَّهُ مَظَنَّةٌ لِلْبَاطِلِ وَنَحْلَةٌ يَوْمئِذٍ لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ فَقَامَ  
 بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ مَا شَاءَ اللَّهُ مُتَّبِعًا سُنَنَ صَاحِبِهِ وَقَاتَلَ أَهْلَ الرَّدَّةِ حَتَّى اجْتَمَعَ الْعَرَبُ  
 عَلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ عَهْدَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْنَى أَثَرَهُ وَقَاتَلَ الْأُمَمَ فَغَلِبَهُمْ وَأَذِنَ لِلْعَرَبِ بِالنِّزَاعِ

مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْمُلْكِ فَعَلَبُوهُمْ عَلَيْهِ وَأَنْتَزَعُوهُ مِنْهُمْ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ  
 عَفَّانَ ثُمَّ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالْكُلُّ مُتَبَرِّئُونَ مِنَ الْمُلْكِ مُنْكَبُونَ عَنْ طُرُقِهِ  
 وَأَكَّدَ ذَلِكَ لَدَيْهِمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ غَضَاظَةِ الْإِسْلَامِ وَبِدَاوَةِ الْعَرَبِ فَقَدْ كَانُوا أَعْدَاءَ  
 الْأُمَمِ عَنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَتَرْفِهَا لَا مِنْ حَيْثُ دِينُهُمُ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى الزُّهْدِ فِي النَّعِيمِ  
 وَلَا مِنْ حَيْثُ بَدَاوَتُهُمْ وَمَوَاطِنُهُمْ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُشُونَةِ الْعَيْشِ وَشَطَفَةِ الَّذِي الْفُؤُ  
 فَلَمْ تَكُنْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ أَسْغَبَ عَيْشًا مِنْ مُضَرٍّ لَمَّا كَانُوا بِالْحِجَازِ فِي أَرْضٍ غَيْرِ ذَاتِ  
 زَرْعٍ وَلَا ضَرْعٍ وَكَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنَ الْأَرْيَافِ وَحُبُوبِهَا لِبُعْدِهَا وَاخْتِصَاصِهَا بِمَنْ وَلِيَهَا  
 مِنْ رِبِيعَةٍ وَالْيَمَنِ فَلَمْ يَكُونُوا يَتَطَاوَلُونَ إِلَى خِصْبِهَا وَلَقَدْ كَانُوا كَثِيرًا مَا يَأْكُلُونَ  
 الْعَقَارِبَ وَالْخَنَافِسَ وَيَفْخَرُونَ بِأَكْلِ الْعَلَمَزِ وَهُوَ وَبَرُّ الْأَيْلِ يَمُوهَنُ بِالْحِجَارَةِ فِي الدَّمِ  
 وَيَطْجُونَهُ وَقَرِيبًا مِنْ هَذَا كَانَتْ حَالُ فَرِيشٍ فِي مَطَاعِمِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ  
 عَصَبِيَّةُ الْعَرَبِ عَلَى الدِّينِ بِمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَحَفُوا  
 إِلَى أُمَمِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَطَلَبُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِوَعْدِ الصِّدْقِ فَأَبْتَزُوا  
 مَلِكَهُمْ وَأَسْتَبَاحُوا دِيَارَهُمْ فَزَخَرَتْ بِحَارِ الرِّفَةِ لَدَيْهِمْ حَتَّى كَانَ الْفَارِسُ الْوَاحِدُ يُقَسِّمُ  
 لَهُ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ أَوْ نَحْوَهَا فَأَسْتَوَلُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا لَا يَأْخُذُهُ  
 الْحَصْرُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ عَلَى خُشُونَةِ عَيْشِهِمْ فَكَانَ عُمَرُ يُرْقِعُ ثَوْبَهُ بِالْجِلْدِ وَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ  
 يَا صَفْرَاءُ وَيَا بَيْضَاءُ غَرِي غَيْرِي وَكَانَ أَبُو مُوسَى يَتَجَافَى عَنْ أَكْلِ الدَّجَاجِ لِأَنَّهُ لَمْ  
 يَعْبُدْهَا لِلْعَرَبِ لِقِلَّتِهَا يَوْمئِذٍ وَكَانَتْ الْمَنَاحِلُ مَفْقُودَةً عِنْدَهُمْ بِالْجُمْلَةِ وَإِنَّمَا يَأْكُلُونَ  
 الْحَنْظَلَةَ بِنِخَالِهَا وَمَكَاسِبَهُمْ مَعَ هَذَا أَتَمُّ مَا كَانَتْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ  
 فِي أَيَّامِ عُثْمَانَ أَقْتَنَى الصَّحَابَةُ الصِّيَاعَ وَالْمَالَ فَكَانَ لَهُ يَوْمَ قُتِلَ عِنْدَ خَازِنِهِ خَمْسُونَ  
 وَمِائَةً أَلْفٍ دِينَارٍ وَأَلْفُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَفِيهِ صِيَاعُهُ بِوَادِي الْقُرَى وَحَنِينَ وَغَيْرِهِمَا  
 مِائَةً أَلْفٍ دِينَارٍ وَخَلْفَ إِبِلٍ وَخَيْلًا كَثِيرَةً وَبَلَغَ الثَّمَنُ الْوَاحِدُ مِنْ مَتْرُوكِ الزُّبَيْرِ بَعْدَ  
 وَفَاتِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلْفَ أَلْفِ فَرَسٍ وَأَلْفَ أُمَّةٍ وَكَانَتْ غَلَّةُ طَلْحَةَ مِنَ الْعِرَاقِ  
 أَلْفَ دِينَارٍ كُلَّ يَوْمٍ وَمِنْ نَاحِيَةِ السَّرَّاءِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ عَلَى مَرْبِطِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 بْنِ عَوْفٍ أَلْفُ فَرَسٍ وَلَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ وَعَشْرَةُ أَلْفٍ مِنَ الْغَنَمِ وَبَلَغَ الرَّبْعُ مِنْ مَتْرُوكِهِ  
 بَعْدَ وَفَاتِهِ أَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَخَلْفَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا كَانَ يُكْسَرُ



بِالْفُؤُوسِ غَيْرَ مَا خَلَفَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالضِّيَاعِ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَبَنَى الزُّبَيْرُ دَارَهُ  
 بِالْبَصْرَةِ وَكَذَلِكَ بَنَى بِمِصْرَ وَالْكُوفَةَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَكَذَلِكَ بَنَى طَلْحَةُ دَارَهُ  
 بِالْكُوفَةِ وَشَيْدَ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَبَنَاهَا بِالْجَنْ وَالْأَجْرَ وَالسَّاجَ وَبَنَى سَعْدُ بْنُ أَبِي  
 وَقَّاصٍ دَارَهُ بِالْعَقِيقِ وَرَفَعَ مَسْجِدَهَا وَأَوْسَعَ فِضَاءَهَا وَجَعَلَ عَلَى أَعْلَاهَا شُرُفَاتٍ وَبَنَى  
 الْمِقْدَادُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَجَعَلَهَا نُحْصَةَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَخَلَفَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُنْبِهِ خَمْسِينَ  
 أَلْفَ دِينَارٍ وَعَقَارًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مَا قِيمَتُهُ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ أَهْ كَلَامُ الْمَسْعُودِيِّ  
 فَكَانَتْ مَكَاسِبُ الْقَوْمِ كَمَا تَرَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَنَعِيًّا عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ إِذْ هِيَ أَمْوَالٌ  
 حَلَالٌ لِأَنْهَا غَنَائِمٌ وَفُيُوتٌ وَلَمْ يَكُنْ تَصَرُّفُهُمْ فِيهَا بِإِسْرَافٍ إِنَّمَا كَانُوا عَلَى قَصْدٍ فِي  
 أَحْوَالِهِمْ كَمَا قُلْنَاهُ فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِيهِمْ وَإِنْ كَانَ الْإِسْتِكْثَارُ مِنَ الدُّنْيَا مَذْمُومًا  
 فَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالْخُرُوجِ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ وَإِذَا كَانَتْ  
 حَالُهُمْ قَصْدًا وَتَفَقَّاتُهُمْ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِهِ كَانَتْ ذَلِكَ الْإِسْتِكْثَارُ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى  
 طُرُقِ الْحَقِّ وَكَتْسَابِ الدَّارِ الْآخِرَةِ فَلَمَّا تَدَرَّجَتْ الْبِدَاوَةُ وَالْغَضَاظَةُ إِلَى نِهَائِهَا  
 وَجَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصَبِيَّةِ كَمَا قُلْنَاهُ وَحَصَلَ التَّغْلِبُ وَالْقَهْرُ كَانَ  
 حُكْمُ ذَلِكَ الْمَلِكِ عِنْدَهُمْ حُكْمُ ذَلِكَ الرَّفِيعِ وَالْإِسْتِكْثَارُ مِنَ الْأَمْوَالِ فَلَمْ يَضُرُّوْا  
 ذَلِكَ التَّغْلِبُ فِي بَاطِلٍ وَلَا خَرَجُوا بِهِ عَنْ مَقَاصِدِ الدِّينَانَةِ وَمَذَاهِبِ الْحَقِّ \* وَلَمَّا وَقَعَتْ  
 الْفِتْنَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَهِيَ مُقْتَضَى الْعَصَبِيَّةِ كَانَ طَرِيقُهُمْ فِيهَا الْحَقُّ وَالْإِجْتِهَادُ وَلَمْ  
 يَكُونُوا فِي تَحَارُّبِهِمْ لِمُغْرَضٍ دُنْيَوِيٍّ أَوْ لِإِثَارٍ بَاطِلٍ أَوْ لِإِسْتِشْعَارِ حَقْدٍ كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُ  
 مُتَوَهِّمٌ وَيَنْزِعُ إِلَيْهِ مُلْحِدٌ وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ اجْتِهَادُهُمْ فِي الْحَقِّ وَسَفَهُ كُلِّ وَاحِدٍ نَظَرَ  
 صَاحِبِهِ بِاجْتِهَادِهِ فِي الْحَقِّ فَاقْتُلُوا عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الْمُصِيبُ عَلِيًّا فَلَمْ يَكُنْ مُعَاوِيَةُ قَائِمًا  
 فِيهَا بِقَصْدِ الْبَاطِلِ إِنَّمَا قَصَدَ الْحَقَّ وَأَخْطَأَ وَالْكُلُّ كَانُوا فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى حَقٍّ ثُمَّ  
 اقْتَضَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ الْإِنْفِرَادَ بِالْمَجْدِ وَاسْتِشْعَارَ الْوَاحِدِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِمُعَاوِيَةَ أَنْ  
 يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ فَهُوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ سَاقَتْهُ الْعَصَبِيَّةُ بِطَبِيعَتِهَا وَاسْتَشْعَرَتْهُ بُنَوَانِيَّةٌ وَمَنْ  
 لَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقَةِ مُعَاوِيَةَ فِي اقْتِفَاءِ الْحَقِّ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ فَأَعْوَصُوا عَلَيْهِ وَاسْتَمَانُوا  
 دُونَهُ وَلَوْ حَمَلَهُمْ مُعَاوِيَةُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ وَخَالَفَهُمْ فِي الْإِنْفِرَادِ بِالْأَمْرِ لَوْ قُوعَ فِي  
 اقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّتِي كَانَ جَمْعُهَا وَتَأْلِيفُهَا أَهْمٌ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ لَيْسَ وَرَاءَهُ كَبِيرٌ مُخَالَفَةٌ

وَقَدْ كَانَتْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ إِذَا رَأَى الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنِي  
 أَبِي بَكْرٍ لَوْ كَانَ لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لَوَلَّيْتُهِ الْخِلَافَةَ وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُعْهَدَ إِلَيْهِ لَفَعَلَ وَلَكِنَّهُ  
 كَانَ يَخْشَى مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ أَهْلَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُحَوِّلَ الْأَمْرَ  
 عَنْهُمْ لِئَلَّا تَقَعَ الْفُرْقَةُ وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا حَمَلَ عَلَيْهِ مَنَازِعُ الْمَلِكِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ  
 فَالْمَلِكُ إِذَا حَصَلَ وَفَرَضْنَا أَنَّ الْوَاحِدَ انْفَرَدَ بِهِ وَصَرَفَهُ فِي مَذَاهِبِ الْحَقِّ وَوُجُوهِهِ  
 لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَكْبِيرٌ عَلَيْهِ وَلَقَدْ انْفَرَدَ سُلَيْمَانُ وَأَبُو دَاوُدُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا بِمَلِكِ  
 بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَا اقْتَضَتْهُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ مِنَ الْإِنْفِرَادِ بِهِ وَكَانُوا مَا عَلِمْتَ مِنَ النُّبُوَّةِ  
 وَالْحَقِّ وَكَذَلِكَ عَهْدُ مُعَاوِيَةَ إِلَى يَزِيدَ خَوْفًا مِنْ أَفْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ بِمَا كَانَتْ بَنُو أُمَيَّةَ  
 لَمْ يَرْضُوا تَسْلِيمَ الْأَمْرِ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ فَلَوْ قَدْ عُهِدَ إِلَى غَيْرِهِ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ مَعَ أَنَّ ظَنَّهُمْ  
 كَانَ بِهِ صَالِحًا وَلَا يَرْتَابُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ وَلَا يُظَنُّ بِمُعَاوِيَةَ غَيْرُهُ فَلَمْ يَكُنْ لِيُعْهَدَ إِلَيْهِ  
 وَهُوَ يَعْتَقِدُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْفِسْقِ حَاشَا لِلَّهِ لِمُعَاوِيَةَ مِنْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ كَانَ مَرْوَانُ  
 ابْنُ الْحَكَمِ وَأَبْنُهُ وَإِنْ كَانُوا مُلُوكًا لَمْ يَكُنْ مَذْهَبُهُمْ فِي الْمَلِكِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْبِطَالَةِ  
 وَالْبَغْيِ إِنَّمَا كَانُوا مُتَحَرِّينَ لِمَقَاصِدِ الْحَقِّ جُنْدَهُمْ إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ تَحْمِلُهُمْ عَلَى بَعْضِهَا  
 مِثْلَ خَشْيَةِ أَفْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّذِي هُوَ أَهْمٌ لَدَيْهِمْ مِنْ كُلِّ مَقْصَدٍ يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا كَانُوا  
 عَلَيْهِ مِنَ الْإِتْبَاعِ وَالْإِقْتِدَاءِ وَمَا عَلِمَ السَّلَفُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمْ فَقَدْ أَحْتَجَّ مَالِكُ  
 فِي الْمُوَطَّأِ بِعَمَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَمَّا مَرْوَانُ فَكَانَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنَ التَّابِعِينَ وَعَدَالَتُهُمْ  
 مَعْرُوفَةٌ ثُمَّ تَدَرَّجَ الْأَمْرُ فِي وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانُوا مِنَ الدِّينِ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ  
 وَتَوَسَّطَهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَزَعَّ إِلَى طَرِيقَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَالصَّحَابَةِ جُنْدَهُ وَلَمْ  
 يَهْمِلْ ثُمَّ جَاءَ خَلْفُهُمْ وَاسْتَعْمَلُوا طَبِيعَةَ الْمَلِكِ فِي أَغْرَاضِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَمَقَاصِدِهِمْ وَنَسُوا  
 مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ مِنْ تَحَرِّيِ الْقَصْدِ فِيهَا وَاعْتِمَادِ الْحَقِّ فِي مَذَاهِبِهَا فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا  
 دَعَا النَّاسَ إِلَى أَنْ نَعُوا عَلَيْهِمْ أَفْعَالَهُمْ وَأَدَالُوا بِالِدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنْهُمْ وَوُلِّيَ رِجَالُهَا الْأَمْرَ  
 فَكَانُوا مِنَ الْعَدَالَةِ بِمَكَانٍ وَصَرَفُوا الْمَلِكَ فِي وَجْهِهِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِهِ مَا اسْتَطَاعُوا حَتَّى  
 جَاءَ بَنُو الرَّشِيدِ مِنْ بَعْدِهِ فَكَانَ مِنْهُمْ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ ثُمَّ أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى بَنِيهِمْ  
 فَأَعْطُوا الْمَلِكَ وَالتَّرَفَ حَقَّهُ وَانْتَمَسُوا فِي الدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا وَبَدَّوْا الدِّينَ وَرَأَوْهُمْ ظَاهِرِيًّا  
 فَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِمُجَرَّبِهِمْ وَانْتَزَعَ الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ جُمْلَةً وَأَمَكَّنَ سِوَاهُمْ وَاللَّهُ لَا



يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَمَنْ تَأْمَلَ سَيْرَ هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَاخْتِلَافَهُمْ فِي تَحَرِّيِ الْحَقِّ  
 مِنَ الْبَاطِلِ عَلِمَ صِحَّةَ مَا قُلْنَاهُ وَقَدْ جَكَهُ الْمَسْعُودِيُّ مِثْلَهُ فِي أَحْوَالِ بَنِي أُمَيَّةٍ عَنْ  
 أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ وَقَدْ حَضَرَ عُمُومَتُهُ وَذَكَرُوا بَنِي أُمَيَّةٍ فَقَالَ أَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ فَكَانَ  
 جَبَّارًا لَا يُبَالِي بِمَا صَنَعَ وَأَمَّا سُلَيْمَانُ فَكَانَ هَمُّهُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَأَمَّا عُمَرُ فَكَانَ أَعْوَرَ  
 بَيْنَ عُمَيَّانَ وَكَانَ رَجُلٌ الْقَوْمِ هِشَامُ قَالَ وَلَمْ يَزَلْ بَنُو أُمَيَّةٍ ضَاطِبِينَ لِمَا مَهَّدَ لَهُمْ مِنْ  
 السُّلْطَانِ يُحَوِّطُونَهُ وَيَصُونُونَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ مَعَ تَسْنِيمِهِمْ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَرَفْضِهِمْ  
 دَنِيَّاتِهَا حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَبْنَائِهِمُ الْمُتَرَفِينَ فَكَانَتْ هِمَّتُهُمْ قَصْدَ الشَّهَوَاتِ وَرُكُوبَ  
 اللَّذَاتِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ جَهْلًا بِاسْتِدْرَاجِهِ وَأَمَّا لِمَكْرِهِ مَعَ أَطْرَاحِهِمْ صِيَانَةَ الْخِلَافَةِ  
 وَاسْتِخْفَافِهِمْ بِحَقِّ الرِّئَاسَةِ وَضَعْفِهِمْ عَنِ السِّيَاسَةِ فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّ وَالْبَسْمُ الْدُلَّ وَتَقَى  
 عَنْهُمْ النِّعْمَةَ ثُمَّ اسْتَحْضَرَ عَبْدُ اللَّهِ <sup>(١)</sup> بْنُ مَرْوَانَ فَقَصَّ عَلَيْهِ خَبْرَهُ مَعَ مَلِكِ النَّوْبَةِ لَمَّا  
 دَخَلَ أَرْضَهُمْ فَأَرَاهُ أَيَّامَ السَّفَاحِ قَالَ أَقَمْتُ مَلِكًا ثُمَّ أَتَانِي مَلِكُهُمْ فَقَعَدَ عَلَيَّ الْأَرْضِ  
 وَقَدْ بَسِطَتْ لِي فُرْشٌ ذَاتُ قِيَمَةٍ فَقُلْتُ مَا مَنَعَكَ عَنِ الْقُعُودِ عَلَيَّ ثِيَابِنَا فَقَالَ إِنِّي مَلِكٌ  
 وَحَقٌّ لِكُلِّ مَلِكٍ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِعِظَمَةِ اللَّهِ إِذْ رَفَعَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ لِي لَمْ تَشْرَبُونَ الْخَمْرَ  
 وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ فَقُلْتُ أَجْتَرَأُ عَلَى ذَلِكَ عَيْدُنَا وَأَتْبَاعُنَا قَالَ فَلِمَ تَطْشُونَ  
 الزَّرْعَ بِدَوَابِّكُمْ وَالْفَسَادَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ قُلْتُ فَعَلْ ذَلِكَ عَيْدُنَا وَأَتْبَاعُنَا بِجَهْلِهِمْ قَالَ  
 فَلِمَ تَلْبَسُونَ الدِّيَابِجَ وَالذَّهَبَ وَالْحَرِيرَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ قُلْتُ ذَهَبَ مِنَّا  
 الْمَلِكُ وَانْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ مِنَ الْعَجَمِ دَخَلُوا فِي دِينِنَا فَلَبَسُوا ذَلِكَ عَلَى الْكُفْرِ مِنَّا فَأُطْرَقَ  
 يَنْكِتُ يَدِيهِ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ عَيْدُنَا وَأَتْبَاعُنَا وَأَعَاجِمُ دَخَلُوا فِي دِينِنَا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ  
 إِلَيَّ وَقَالَ لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ اسْتَحْلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَتَيْتُمْ مَا عَنَى  
 نَهْيُهُمْ وَظَلَمْتُمْ فِي مَا مَلَكَتُمْ فَسَلَبَكُمْ اللَّهُ الْعِزَّ وَالْبَسْمُ الْدُلَّ بِذُنُوبِكُمْ وَلِلَّهِ تَقِيَّةٌ لَمْ  
 يُبَلِّغْ غَايَتَهَا فِيكُمْ وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُحِلَّ بِكُمْ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ بِيَلَدِي فِينَالِي مَعَكُمْ وَإِنَّمَا  
 الضِّيَافَةُ ثَلَاثُ قَرَوْدٍ مَا أَحْتَجُّ إِلَيْهِ وَأَرْجِعُ عَنْ أَرْضِي فَتَعَجَّبَ الْمَنْصُورُ وَأُطْرَقَ فَقَدْ  
 تَبَيَّنَ لَكَ كَيْفَ انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمَلِكِ وَأَنَّ الْأَمْرَ كَانَ فِي أَوَّلِهِ خِلَافَةً وَوَارِعُ  
 كُلِّ أَحَدٍ فِيهَا مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ الدِّينُ وَكَانُوا يُؤَثِّرُونَهُ عَلَى أُمُورِ دُنْيَاهُمْ وَإِنْ أَفْضَتْ إِلَى

(١) قوله عبد الله كذا في النسخة التونسية وبعض الأرسية وفي بعضها عد الملك واطنه نصوبًا قاله نصر

هَلَاكِهِمْ وَخَدَعَهُمْ دُونَ الْكَافَّةِ فَهَذَا عُثْمَانُ لَمَّا حُصِرَ فِي الدَّارِ جَاءَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ  
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَابْنُ جَعْفَرٍ وَأَمثالُهُمْ يُرِيدُونَ الْمُدَافَعَةَ عَنْهُ فَأَبَى وَمَنَعَ مِنْ سَلِّ  
السُّيُوفِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَخَافَةَ الْفُرْقَةِ وَحِفْظًا لِلِإِلَافَةِ الَّتِي بِهَا حَفِظَ الْكَلِمَةَ وَلَوْ أَدَّى  
إِلَى هَلَاكِهِ وَهَذَا عَلِيُّ أَشَارَ عَلَيْهِ الْمُغِيرَةُ لِأَوَّلِ وَلَايَتِهِ بِاسْتِيقَاءِ الزُّبَيْرِ وَمُعَاوِيَةَ  
وَطَلْحَةَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَيْعَتِهِ وَتَتَّفِقَ الْكَلِمَةُ وَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ  
مِنْ أَمْرِهِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ فَأَبَى فِرَارًا مِنَ الْغَيْشِ الَّذِي يُنَافِيهِ إِلَّا سَلَامًا  
وَعَدَا عَلَيْهِ الْمُغِيرَةُ مِنَ الْغَدَاةِ فَقَالَ لَقَدْ أَشْرْتُ عَلَيْكَ بِالْأَمْسِ بِمَا أَشْرْتُ ثُمَّ عُدْتُ إِلَى  
نَظَرِي فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَأَنَّ الْحَقَّ فِيمَا رَأَيْتَهُ أَنْتَ فَقَالَ عَلِيُّ لَا وَاللَّهِ  
بَلْ أَعْلَمُ أَنَّكَ نَصَحْتَنِي بِالْأَمْسِ وَغَشَشْتَنِي الْيَوْمَ وَلَكِنْ مَنَعَنِي مِمَّا أَشْرْتُ بِهِ زَائِدُ  
الْحَقِّ وَهَكَذَا كَانَتْ أَخْوَالُهُمْ فِي إِصْلَاحِ دِينِهِمْ بِفَسَادِ دُنْيَاهُمْ وَنَحْنُ

نُرْفَعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينَئَا بَقِيَ وَلَا مَا نُرْفَعُ

فَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى الْمَلِكِ وَبَقِيَتْ مَعَانِي الْخِلَافَةِ مِنْ تَحَرِّيِ الدِّينِ  
وَمَذَاهِبِهِ وَالْجُرْيِ عَلَى مِنْهَاجِ الْحَقِّ وَلَمْ يَظْهَرَ الْغَيْرُ إِلَّا فِي الْوَارِعِ الَّذِي كَانَ دِينًا  
ثُمَّ انْقَلَبَ عَصَبِيَّةً وَسَيْفًا وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ إِعْهَدَ مُعَاوِيَةَ وَمَرْوَانَ وَابْنِهِ عَبْدَ الْمَلِكِ  
وَالصَّدْرَ الْأَوَّلَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الرَّشِيدِ وَبَعْضُ وَلَدِهِ ثُمَّ ذَهَبَتْ مَعَانِي الْخِلَافَةِ  
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَسْمَاهَا وَصَارَ الْأَمْرُ مُلْكًا بَحْتًا وَجَرَتْ طَبِيعَةُ التَّغَابُّ إِلَى غَايَتِهَا وَاسْتَعْمِلَتْ  
فِي أَغْرَاضِهَا مِنَ الْقَهْرِ وَالتَّقَلُّبِ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَاذِ وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ لَوْلَا عَبْدُ  
الْمَلِكِ وَلَمَنْ جَاءَ بَعْدَ الرَّشِيدِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَمَّ الْخِلَافَةَ بَاقِيًا فِيهِمْ لِبَقَاءِ عَصَبِيَّةِ  
الْعَرَبِ وَالْخِلَافَةُ وَالْمَلِكُ فِي الطُّوَرَيْنِ مُلْتَبَسٌ بَعْضُهُمَا بِبَعْضٍ ثُمَّ ذَهَبَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ  
وَأَثَرُهَا بِذَهَابِ عَصَبِيَّةِ الْعَرَبِ وَفَنَاءِ جِيلِهِمْ وَتَلَاثِي أَخْوَالِهِمْ وَبَقِيَ الْأَمْرُ مُلْكًا بَحْتًا  
كَمَا كَانَ الشَّانُ فِي مُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ يَدِينُونَ بِطَاعَةِ الْخَلِيفَةِ تَبَرُّكًا وَالْمَلِكُ  
يَجْمَعُ الْقَابِهِ وَمَنَاحِيهِ لَهُمْ وَلَيْسَ لِلْخَلِيفَةِ مِنْهُ شَيْءٌ وَكَذَلِكَ فَعَلَ مُلُوكُ زَنَاتَةَ بِالْمَغْرِبِ  
مِثْلَ صَنْهَاجَةَ مَعَ الْعَبِيدِيِّينَ وَمَغْرَاوَةَ وَبَنِي يَفْرُوتَ أَيْضًا مَعَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ  
وَالْعَبِيدِيِّينَ بِالْقَيْرَوَانِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ وُجِدَتْ بِدُونِ الْمَلِكِ أَوَّلًا ثُمَّ التَّبَسَّتْ  
مَعَانِيهِمَا وَاخْتَلَطَتْ ثُمَّ انْفَرَدَ الْمَلِكُ حَيْثُ اقْتَرَقَتْ عَصَبِيَّتُهُ مِنْ عَصَبِيَّةِ الْخِلَافَةِ وَاللَّهُ



مُقَدَّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

## الفصل التاسع والعشرون

في معنى البيعة <sup>(١)</sup>

اعْلَمْ أَنَّ الْبَيْعَةَ هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ كَانَ الْمُبَايَعُ يُعَاهِدُ أَمِيرَهُ عَلَى أَنَّهُ يُسَلِّمُ لَهُ  
النَّظَرَ فِي أَمْرِ نَفْسِهِ وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُنَازِعُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَيُطِيعُهُ فِيمَا يُكَلِّفُهُ  
بِهِ مِنَ الْأَمْرِ عَلَى الْمُنْشِطِ وَالْمُكْرَهِ وَكَانُوا إِذَا بَايَعُوا الْأَمِيرَ وَعَقَدُوا عَهْدَهُ جَعَلُوا  
أَيْدِيَهُمْ فِي يَدِهِ تَأْكِيدًا لِلْعَهْدِ فَأُشْبِهَ ذَلِكَ فِعْلَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي فَسُمِّيَ بَيْعَةً مَصْدَرُ  
بَاعَ وَصَارَتْ الْبَيْعَةُ مُصَاحَفَةً بِالْأَيْدِي هَذَا مَدْلُولُهَا فِي عُرْفِ الْأُمَّةِ وَمَعْنَى الشَّرْعِ وَهُوَ  
الْمُرَادُ فِي الْحَدِيثِ فِي بَيْعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ وَعِنْدَ الشَّجَرَةِ وَحَيْثُمَا  
وَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ وَمِنْهُ بَيْعَةُ الْخُلَفَاءِ وَمِنْهُ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ كَانَ الْخُلَفَاءُ يُسْتَحْلِفُونَ عَلَى الْعَهْدِ  
وَيَسْتَوْعِبُونَ الْأَيْمَانَ كُلَّهَا لِذَلِكَ فَسُمِّيَ هَذَا الْأَيْمَانُ بَيْعَةً وَكَانَ الْإِكْرَاهُ  
فِيهَا أَكْثَرَ وَأَغْلَبَ وَلِهَذَا لَمَّا أَفْتَى مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسُقُوطِ بَيْعِ الْإِكْرَاهِ أَنْكَرَهَا  
الْوَلَاةُ عَلَيْهِ وَرَأَوْهَا قَادِحَةً فِي أَيْمَانِ الْبَيْعَةِ وَوَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ مَخَنَةِ الْإِمَامِ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ وَأَمَّا الْبَيْعَةُ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَهِيَ تَحِيَّةُ الْمُلُوكِ الْكَسْرُوتِ مِنَ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ  
أَوْ الْيَدِ أَوْ الرِّجْلِ أَوْ الذَّنْبِلِ أُطْلِقَ عَلَيْهَا اسْمُ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ مَجَازًا لِمَا  
كَانَ هَذَا الْخُضُوعُ فِي التَّحِيَّةِ وَالْإِزَامِ الْآدَابِ مِنْ لَوَازِمِ الطَّاعَةِ وَتَوَابِعِهَا وَغَلَبَ فِيهِ  
حَتَّى صَارَتْ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً وَأُسْتَعْنِيَ بِهَا عَنْ مُصَاحَفَةِ أَيْدِي النَّاسِ الَّتِي هِيَ الْحَقِيقَةُ فِي  
الْأَصْلِ لِمَا فِي الْمُصَاحَفَةِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ التَّنَزُّلِ وَالْإِبْتِدَالِ الْمُنَافِيَيْنِ لِلرَّئَاسَةِ وَصَوْنِ  
الْمَنْصِبِ الْمُلُوكِيِّ إِلَّا فِي الْأَقْلِ مِمَّنْ يَقْصِدُ التَّوَاضُّعَ مِنَ الْمُلُوكِ فَيَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ مَعَ  
خَوَاصِهِ وَمَشَاهِيرِ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ رَعِيَّتِهِ فَأَفْهَمَ مَعْنَى الْبَيْعَةِ فِي الْعُرْفِ فَإِنَّهُ أَكِيدُ عَلَى  
الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتَهُ لِمَا يَلْزِمُهُ مِنْ حَقِّ سُلْطَانِهِ وَإِمَامِهِ وَلَا تَكُونُ أَعْمَالُهُ عِبَادًا وَجَبَانًا  
وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِكَ مَعَ الْمُلُوكِ وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

(١) البيعة بفتح الموحدة اما بكسرها على وزن شبيعة بسكون الياء فيها فهي معبد النصرى اهـ

## الفصل الثلاثون

### في ولاية العهد

إِعلم أَنَّا قَدَّمْنَا الْكَلَامَ فِي الْأَمَّةِ وَمَشْرُوعِيَّتِهَا إِمَّا فِيهَا مِنْ الْمَصْلَحَةِ وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا لِلنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الْأُمَّةِ لِدِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فَهُوَ وَإِيَّاهُمْ وَالْأَمِينُ عَلَيْهِمْ يَنْظُرُ لَهُمْ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ أَنْ يَنْظُرَ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَيُقِيمَ لَهُمْ مَنْ يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ كَمَا كَانَ هُوَ يَتَوَلَّاهَا وَيَتَّقُونَ يَنْظُرُهُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا وَثَقُوا بِهِ فِيمَا قَبْلُ وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ مِنَ الشَّرْعِ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى جَوَازِهِ وَأَنْعِقَادِهِ إِذْ وَقَعَ بِعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعُمَرِ بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَجَازُوهُ وَأَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِهِ طَاعَةَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ وَكَذَلِكَ عُمَرُ فِي الشُّوْزَى إِلَى السِّتَةِ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ وَجَعَلَ لَهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا لِلْمُسْلِمِينَ فَفَوَّضَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَأَجْتَهِدَ وَنَازَلَ الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدَهُمْ مُتَّفِقِينَ عَلَى عُثْمَانَ وَعَلَى عَلِيٍّ فَأَثَرُ عُثْمَانَ بِالْبَيْعَةِ عَلَى ذَلِكَ لِمَوَاقِفِهِ إِيَّاهُ عَلَى لُزُومِ الْإِقْتِدَاءِ بِالشَّيْخَيْنِ فِي كُلِّ مَا يَعْنُ دُونَ اجْتِهَادِهِ فَأَنْعَقَدَ أَمْرُ عُثْمَانَ لِذَلِكَ وَأَوْجَبُوا طَاعَتَهُ وَالْمَلَأُوا مِنَ الصَّحَابَةِ حَاضِرُونَ لِلأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْعَهْدِ عَارِفُونَ بِمَشْرُوعِيَّتِهِ وَالْإِجْمَاعُ حُجَّةٌ كَمَا عُرِفَ وَلَا يُتَّهَمُ الْإِمَامُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَإِنْ عَهْدَ إِلَى أَبِيهِ أَوْ ابْنِهِ لِأَنَّهُ مَا مَوْنٌ عَلَى النَّظَرِ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ فَأَوَّلَى أَنْ لَا يَحْتَمِلَ فِيهَا تَبَعَةً بَعْدَ مَمَاتِهِ خِلَافًا لِمَنْ قَالَ بِاتِّهَامِهِ فِي الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ أَوْ لِمَنْ خَصَّصَ التَّهْمَةَ بِالْوَلَدِ دُونَ الْوَالِدِ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ الظَّنِّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ دَاعِيَةٌ تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ إِيْثَارِ مَصْلَحَةٍ أَوْ تَوَقُّعِ مَفْسَدَةٍ فَتَنْتَفِي الظَّنُّ فِي ذَلِكَ رَأْسًا كَمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ مُعَاوِيَةَ لِابْنِهِ يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فَعَلُ مُعَاوِيَةَ مَعَ وَفَاقِ النَّاسِ لَهُ حُجَّةٌ فِي الْبَابِ وَالَّذِي دَعَا مُعَاوِيَةَ لِإِيْثَارِ ابْنِهِ يَزِيدَ بِالْعَهْدِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ إِنَّمَا هُوَ مُرَاعَاةُ الْمَصْلَحَةِ فِي اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ أَهْوَائِهِمْ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ إِذْ بَنُوا أُمِيَّةً يَوْمئِذٍ لَا يَرْضَوْنَ سِوَاهُمْ وَهُمْ عَصَابَةُ قُرَيْشٍ وَأَهْلُ الْمِلَّةِ أَجْمَعٌ وَأَهْلُ الْغَلْبِ مِنْهُمْ فَأَثَرُهُ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ يَمُنُّ يُظَنُّ أَنَّهُ أَوَّلَى بِهَا وَعَدَلٌ عَنِ الْفَاضِلِ إِلَى الْمَفْضُولِ حِرْصًا عَلَى الْإِتِّفَاقِ وَاجْتِمَاعِ الْأَهْوَاءِ الَّذِي شَأْنُهُ أَهَمُّ عِنْدَ الشَّارِعِ وَإِنْ كَانَ لَا يُظَنُّ بِمُعَاوِيَةَ غَيْرُ هَذَا فَعَدَالَتُهُ



وَصَحْبَتُهُ مَانِعَةٌ مِنْ سِوَى ذَلِكَ وَحُضُورُ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ لِذَلِكَ وَسُكُوتُهُمْ عَنْهُ دَلِيلٌ  
عَلَى انْتِفَاءِ الرَّيْبِ فِيهِ فَلْيَسُوا مِمَّنْ يَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ هَوَادَةٌ وَلَيْسَ مُعَاوِيَةُ مِمَّنْ تَأْخُذُهُ  
الْعِزَّةُ فِي قَبُولِ الْحَقِّ فَإِنَّهُمْ كَلَّمُوا أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ وَعَدَالَتُهُمْ مَانِعَةٌ مِنْهُ وَفَرَارُ عَبْدِ اللَّهِ  
ابْنِ عُمَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مُحْمُولٌ عَلَى تَوَرُّعِهِ مِنَ الدُّخُولِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ مَبَاحًا  
كَانَ أَوْ مُحْظُورًا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي انْتِخَالَفِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي اتَّفَقَ  
عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ إِلَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ وَنُدُورُ انْتِخَالَفِ مَعْرُوفٌ ثُمَّ إِنَّهُ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ  
مُعَاوِيَةَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِهِ مِثْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسُلَيْمَانَ  
مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَالسَّفَّاحَ وَالْمَنْصُورَ وَالْمَهْدِيَّ وَالرَّشِيدَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ  
عَرَفَتْ عَدَالَتُهُمْ وَحَسَنُ رَأْيِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالنَّظَرُ لَهُمْ وَلَا يُعَابُ عَلَيْهِمْ إِثَارُ أَبْنَائِهِمْ  
وَأَخْوَانِهِمْ وَخُرُوجُهُمْ عَنْ سُنَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ فِي ذَلِكَ فَشَأْنُهُمْ غَيْرُ شَأْنِ أَوْلَئِكَ  
الْخُلَفَاءِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى حِينٍ لَمْ تَحْدَثْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَكَانَ الْوَارِعُ دِينِيًّا فَعِنْدَ كُلِّ  
أَحَدٍ وَارِعٌ مِنْ نَفْسِهِ فَعَهِدُوا إِلَى مَنْ يَرْضِيهِ الدِّينُ فَقَطُّ وَاتَّزَوْهُ عَلَى غَيْرِهِ وَوَكَّلُوا كُلُّ  
مَنْ يَسْتُمُو إِلَى ذَلِكَ إِلَى وَارِعِهِ وَأَمَّا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ لَدُنْ مُعَاوِيَةَ فَكَانَتْ الْعَصِيَّةُ قَدْ  
أَشْرَفَتْ عَلَى غَايَتِهَا مِنَ الْمَلِكِ وَالْوَارِعِ الدِّينِيِّ قَدْ ضَعُفَ وَاحْتَجَّجَ إِلَى الْوَارِعِ السُّلْطَانِي  
وَالْعَصْبَانِي فَلَزِمَ عَهْدًا إِلَى غَيْرِ مَنْ تَرْضِيهِ الْعَصِيَّةُ لَرَدَّتْ ذَلِكَ الْعَهْدَ وَانْتَقَضَ أَمْرُهُ  
سَرِيعًا وَصَارَتْ الْجَمَاعَةُ إِلَى الْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا بَالُ  
الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفُوا عَلَيْكَ وَلَمْ يَخْتَلَفُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ  
كَانَا وَالْيَمِينَ عَلَى مِثْلِي وَأَنَا الْيَوْمَ وَالْغَدَ عَلَى مِثْلِكَ يُشِيرُ إِلَى وَارِعِ الدِّينِ أَفَلَا تَرَى إِلَى  
الْهَامُونَ لَمَّا عَهْدَ إِلَى عَلِيٍّ بَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَسَمَاءُ الرَّضَا كَيْفَ أَنْكَرَتْ  
الْعَبَّاسِيَّةُ ذَلِكَ وَنَقَضُوا بَيْعَتَهُ وَبَايَعُوا لِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَظَهَرَ مِنَ الْهَرَجِ  
وَالْإِخْلَافِ وَانْقِطَاعِ السُّبُلِ وَتَعَدُّدِ الثُّوَارِ وَالْخَوَارِجِ مَا كَادَ أَنْ يَصْطَلِمَ الْأَمْرُ حَتَّى بَادَرَ  
الْهَامُونَ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى بَغْدَادَ وَرَدَّ أَمْرَهُمْ لِمُعَاهِدِهِ فَلَا بُدَّ مِنْ أَعْتِبَارِ ذَلِكَ فِي الْعَهْدِ  
فَالْعُصُورُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ وَالْقَبَائِلِ وَالْعَصَبِيَّاتِ وَتَخْتَلِفُ  
بِاخْتِلَافِ الْمَصَالِحِ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا حُكْمٌ يُخَصُّهُ لُطْفًا مِنَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَأَمَّا أَنْ  
يَكُونَ الْقَصْدُ بِالْعَهْدِ حِفْظَ التِّرَاثِ عَلَى الْأَبْنَاءِ فَلَيْسَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الدِّينِيَّةِ إِذْ هُوَ أَمْرٌ

مِنْ اللَّهِ يَخْصُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يَنْبَغِي أَنْ تُحَسِّنَ فِيهِ النِّيَّةُ مَا أَمَكَنَ خَوْفًا مِنْ  
 أَلْبَثَ بِالنَّاصِبِ الدِّينِيَّةِ وَالْمُلْكِ لِلَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ \* وَعَرَضَ هُنَا أُمُورٌ تَدْعُو  
 الْضُرُورَةَ إِلَى بَيَانِ الْحَقِّ فِيهَا \* فَالْأَوَّلُ مِنْهَا مَا حَدَّثَ فِي زَيْدٍ مِنَ الْفُسْقِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ  
 فَأَيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ بِمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْ زَيْدٍ فَإِنَّهُ أَعْدَلَ مِنْ ذَلِكَ  
 وَأَفْضَلُ بَلْ كَانَ يَعْدِلُهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي سَمَاعِ الْغَنَاءِ وَبَيْنَاهُ عَنْهُ وَهُوَ أَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ  
 وَكَانَتْ مَذَاهِبُهُمْ فِيهِ مُخْتَلِفَةً وَلَمَّا حَدَّثَ فِي زَيْدٍ مَا حَدَّثَ مِنَ الْفُسْقِ اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ  
 حِينَئِذٍ فِي شَأْنِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِ وَتَقَضَّ يَبْعَتُهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ  
 الْحُسَيْنُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَنْ اتَّبَعَهُمَا فِي ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَاهُ لِمَا  
 فِيهِ مِنْ إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ وَكَثْرَةِ الْقَتْلِ مَعَ الْعَجْزِ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ لِأَنَّ شَوْكَةَ زَيْدٍ يَوْمَئِذٍ هِيَ  
 عَصَابَةُ بَنِي أُمَيَّةَ وَجُمْهُورِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ فُرَيْشٍ وَتَسْتَبِيعُ عَصَابِيَّةَ مُضَرَ أَجْمَعَ وَهِيَ  
 أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَوْكَةٍ وَلَا تُطَاقُ مُقَاوَمَتُهُمْ فَأَقْصَرُوا عَنْ زَيْدٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَأَقَامُوا عَلَى  
 الدُّعَاءِ بِهِدَايَتِهِ وَالرَّاحَةِ مِنْهُ وَهَذَا كَانَ شَأْنُ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَثَرِ مُجْتَهِدُونَ وَلَا  
 يُنْكِرُونَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فَمَقَاصِدُهُمْ فِي الْبَرِّ وَتَحَرِّيِ الْحَقِّ مَعْرُوفَةٌ وَفَقْنَا اللَّهَ  
 لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ \* وَالْأَمْرُ الثَّانِي هُوَ شَأْنُ الْعَهْدِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا تَدَّعِيهِ  
 الشَّيْعَةُ مِنْ وَصِيَّتِهِ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَصِحَّ وَلَا نَقَلَهُ أَحَدٌ مِنْ أَيْمَةِ النُّقْلِ  
 وَالَّذِي وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ طَلَبِ الدَّوَاءِ وَالْقِرْطَاسِ لِيَكْتُبَ الْوَصِيَّةَ وَأَنَّ عُمَرَ مَنَعَ  
 مِنْ ذَلِكَ فَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ وَكَذَا قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ طُعِنَ وَسُئِلَ  
 فِي الْعَهْدِ فَقَالَ إِنْ أَعُوذَ فَقَدْ عَهَدَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَإِنْ أَتْرَكَ فَقَدْ تَرَكَ  
 مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعُوذْ وَكَذَلِكَ قَوْلُ عَلِيِّ لِلْعَبَّاسِ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ دَعَاهُ لِلدُّخُولِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلَانِهِ عَنْ  
 شَأْنِهِمَا فِي الْعَهْدِ فَأَبَى عَلِيٌّ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ إِنَّهُ إِنْ مَنَعْنَا مِنْهَا فَلَا نَظْمَعُ فِيهَا آخِرَ الدَّهْرِ  
 وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عَلِيًّا عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُوصَ وَلَا عَهْدَ إِلَى أَحَدٍ وَشُبْهَةُ الْإِمَامِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هِيَ كَوْنُ الْإِمَامَةِ مِنْ أَزْكَانِ الدِّينِ كَمَا يَزْعُمُونَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ مِنَ  
 الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ الْمَفُوضَةِ إِلَى نَظَرِ الْخَلْقِ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ أَزْكَانِ الدِّينِ لَكَانَ شَأْنُهَا  
 شَأْنَ الصَّلَاةِ وَلَكَانَ يُسْتَخْلَفُ فِيهَا كَمَا أُسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ فِي الصَّلَاةِ وَلَكَانَ يَشْتَهَرُ



كَمَا اشْتَهَرَ أَمْرُ الصَّلَاةِ وَاجْتِنَاجُ الصَّحَابَةِ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ بِقِيَاسِهَا عَلَى الصَّلَاةِ  
 فِي قَوْلِهِمْ أَرَضَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِينِنَا أَفَلَا نَرْضَاهُ لِدُنْيَانَا دَلِيلٌ عَلَى  
 أَنَّ الْوَصِيَّةَ لَمْ تَقَعْ وَيَدُلُّ ذَلِكَ أَيْضًا عَلَى أَنَّ أَمْرَ الْإِمَامَةِ وَالْعَهْدَ بِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمَا  
 كَمَا هُوَ الْيَوْمَ وَشَأْنُ الْعَصِيَّةِ الْمُرَاعَاةُ فِي الْاجْتِمَاعِ وَالْإِفْتِرَاقُ فِي تَجَارِي الْعَادَةِ  
 لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ بِذَلِكَ لِالْعَتَبَارِ لِأَنَّ أَمْرَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ كَانَ كُلُّهُ بِخَوَارِقِ الْعَادَةِ  
 مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ وَاسْتِمَاتَةِ النَّاسِ دُونَهُ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْأَحْوَالِ الَّتِي كَانُوا  
 يَشَاهِدُونَهَا فِي حُضُورِ الْمَلَائِكَةِ لِنَصْرِهِمْ وَتَرَدُّدِ خَيْرِ السَّمَاءِ بَيْنَهُمْ وَتَجَدُّدِ خِطَابِ  
 اللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ تُتْلَى عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى مُرَاعَاةِ الْعَصِيَّةِ لِمَا شَمَلَ النَّاسَ مِنْ صِبْغَةِ  
 الْإِنْقِيَادِ وَالْإِذْعَانِ وَمَا يَسْتَفِزُّهُمْ مِنْ تَتَابُعِ الْمُعْجَزَاتِ الْخَارِقَةِ وَالْأَحْوَالِ الْإِلَهِيَّةِ الْوَاقِعَةِ  
 وَالْمَلَائِكَةِ الْمَتَرَدِّدَةِ الَّتِي وَجَّهُوا مِنْهَا وَدُهِشُوا مِنْ تَتَابُعِهَا فَكَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَالْمُلْكِ  
 وَالْعَهْدِ وَالْعَصِيَّةِ وَسَائِرِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مُنْدرِجًا فِي ذَلِكَ الْقَبِيلِ كَمَا وَقَعَ فَلَمَّا انْخَصَرَ  
 ذَلِكَ الْمَدَدُ بِذَهَابِ تِلْكَ الْمُعْجَزَاتِ ثُمَّ بَقِيَ الْقُرُونُ الَّذِينَ شَاهَدُوهَا فَاسْتَحَالَتْ تِلْكَ  
 الصَّبْغَةُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَذَهَبَتِ الْخَوَارِقُ وَصَارَ الْحُكْمُ لِلْعَادَةِ كَمَا كَانَ فَاعْتَبِرْ أَمْرَ  
 الْعَصِيَّةِ وَتَجَارِي الْعَوَائِدِ فِيمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ وَالْخِلَافَةُ  
 وَالْعَهْدُ بِهِمَا مِنْهُمَا مِنَ الْمُهَيَّمَاتِ الْأَكْبَدَةِ كَمَا زَعَمُوا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ فَانْظُرْ  
 كَيْفَ كَانَتْ الْخِلَافَةُ لِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مُهِمَّةٍ فَلَمْ يَعْهَدْ فِيهَا ثُمَّ تَدَرَّجَتْ  
 الْأَهَمِّيَّةُ زَمَانَ الْخِلَافَةِ بَعْضُ الشَّيْءِ بِمَا دَعَتْ الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ فِي الْحِمَايَةِ وَالْجِهَادِ وَشَأْنِ  
 الرَّدِّ وَالْفُتُوحَاتِ فَكَانُوا بِالْخِيَارِ فِي الْفِعْلِ وَالْتَرَكِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 ثُمَّ صَارَتْ الْيَوْمَ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ لِلْإِمَامَةِ عَلَى الْحِمَايَةِ وَالْقِيَامِ بِالْمَصَالِحِ فَاعْتَبِرْتَ فِيهَا  
 الْعَصِيَّةَ الَّتِي هِيَ سِرُّ الْوَارِعِ عَنِ الْفُرْقَةِ وَالتَّخَاذُلِ وَمَنْشَأُ الْاجْتِمَاعِ وَالتَّوَافُقِ الْكَفِيلُ  
 بِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا \* وَالْأَمْرُ الثَّلَاثُ شَأْنُ الْحُرُوبِ الْوَاقِعَةِ فِي الْإِسْلَامِ  
 بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَأَعْلَمَ أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ إِنَّمَا يَقَعُ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَيَنْشَأُ عَنِ  
 الْاجْتِهَادِ فِي الْأَدَلَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَدَارِكِ الْمُعْتَبَرَةِ وَالْمُجْتَهِدُونَ إِذَا اخْتَلَفُوا فَإِنْ قُلْنَا  
 إِنَّ الْحَقَّ فِي الْمَسَائِلِ الْاجْتِهَادِيَّةِ وَاحِدٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ وَمَنْ لَمْ يُصَادِفْهُ فَهُوَ مُخْطِئٌ  
 فَإِنَّ جِهَتَهُ لَا تَتَعَيَّنُ بِاجْتِمَاعِ فَيَقِفُ الْكُلُّ عَلَى أَحْتِمَالِ الْإِصَابَةِ وَلَا يَتَعَيَّنُ الْمُخْطِئُ

مِنْهَا وَالتَّائِبِينَ مَدْفُوعٌ عَنِ الْكُلِّ إِنْجَمًا وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ الْكُلَّ حَقٌّ وَإِنْ كُلُّ مُجْتَهِدٍ  
 مُصِيبٌ فَأَحْرَى بِنَفْيِ الْخَطَايَا وَالتَّائِبِينَ وَغَايَةُ الْخِلَافِ الَّذِي بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّائِبِينَ أَنَّهُ  
 خِلَافٌ أَجْتَهَادِي فِي مَسَائِلِ دِينِيَّةٍ ظَنِّيَّةٍ وَهَذَا حُكْمُهُ وَالَّذِي وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ  
 إِنَّمَا هُوَ وَاقِعَةٌ عَلَيَّ مَعَ مُعَاوِيَةَ وَمَعَ الزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَوَاقِعَةُ الْحُسَيْنِ مَعَ يَزِيدَ  
 وَوَاقِعَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَّا وَاقِعَةُ عَلَيٍّ فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا عِنْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ  
 مُفَرَّقِينَ فِي الْأَمْصَارِ فَلَمْ يَشْهَدُوا بَيْعَةَ عَلِيٍّ وَالَّذِينَ شَهِدُوا فَمِنْهُمْ مَنْ بَايَعَ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 تَوَقَّفَ حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ وَيَتَّفِقُوا عَلَى إِمَامِ كَسَعِدٍ وَسَعِيدٍ وَابْنِ عُمَرَ وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ  
 وَالْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَقُدَامَةَ بْنِ مَطْعُونٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَكُتَيْبَ  
 بْنِ مَالِكٍ وَالنُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ وَحَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ وَمُسْلِمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ وَفُضَالَ بْنَ عُبَيْدٍ وَأَمْثَلَهُمْ  
 مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ وَالَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَمْصَارِ عَدَلُوا عَنْ بَيْعَتِهِ أَيْضًا إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ  
 عُثْمَانَ وَتَرَكَوا الْأَمْرَ فَوْضَى حَتَّى يَكُونَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ يُولُونَهُ وَظَنُّوا بِعَلِيٍّ  
 هَوَادَةً فِي السُّكُوتِ عَنْ نَصْرِ عُثْمَانَ مِنْ قَاتِلِهِ لَا فِي الْمَمَالَةِ عَلَيْهِ فَخَاشَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ  
 وَلَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ إِذَا صَرَخَ بِمَلَامَتِهِ إِنَّمَا يُوْجِّهَهَا عَلَيْهِ فِي سُكُونِهِ فَقَطْ ثُمَّ اخْتَلَفُوا  
 بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَى عَلِيٌّ أَنَّ بَيْعَتَهُ قَدْ انْعَقَدَتْ وَلَزِمَتْ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا بِاجْتِمَاعٍ مِنْ أَجْتَمَعَ  
 عَلَيْهَا بِالْمَدِينَةِ دَارَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَوْطِنِ الصَّحَابَةِ وَأَرْجَاءِ الْأَمْرِ فِي  
 الْمَطَالِبَةِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَى اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ فَيَتِمَّ كُنْ حِينَئِذٍ مِنْ ذَلِكَ  
 وَرَأَى الْآخَرُونَ أَنَّ بَيْعَتَهُ لَمْ تَنْعَقَدْ لِافْتِرَاقِ الصَّحَابَةِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ بِالْأَفَاقِ وَلَمْ  
 يَخْضُرْ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا تَكُونُ الْبَيْعَةُ إِلَّا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَلَا تُلْزِمُ بِعَقْدِ  
 مَنْ تَوَلَّاهَا مِنْ غَيْرِهِمْ أَوْ مِنْ الْقَلِيلِ مِنْهُمْ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ حِينَئِذٍ فَوْضَى فَيُطَالِبُونَ  
 أَوَّلًا بِدَمِ عُثْمَانَ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ عَلَى إِمَامٍ وَذَهَبَ إِلَى هَذَا مُعَاوِيَةُ وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ  
 وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ وَالزُّبَيْرُ وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَطَلْحَةُ وَابْنُ مُحَمَّدٍ وَسَعْدُ وَسَعِيدُ  
 وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ خَدِيجٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ  
 تَخَلَّفُوا عَنْ بَيْعَةِ عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ كَمَا ذَكَرْنَا إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْعَصْرِ الثَّانِي مِنْ بَعْدِهِمْ  
 اتَّفَقُوا عَلَى انْعِقَادِ بَيْعَةِ عَلِيٍّ وَلُزُومِهَا لِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ وَتَصَوُّبِ رَأْيِهِ فِيمَا ذَهَبَ  
 إِلَيْهِ وَتَعْيِينِ الْخَطَايَا مِنْ جِهَةِ مُعَاوِيَةَ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ وَخُصُوصًا طَلْحَةَ



وَالزُّبَيْرُ لِانْتِقَاضِهِمَا عَلَى عَلِيٍّ بَعْدَ الْبَيْعَةِ لَهُ فِيمَا نُقِلَ مَعَ دَفْعِ النَّائِمِ عَنْ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ  
كَالشَّانِ فِي الْمُجْتَهِدِينَ وَصَارَ ذَلِكَ إِجْمَاعًا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الثَّانِي عَلَى أَحَدِ قَوْلِي أَهْلِ  
الْعَصْرِ الْأَوَّلِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَلَقَدْ سُئِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَتْلِ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ  
فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتُنَّ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَقَلْبُهُ نَفِيٌّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ يُشِيرُ إِلَى  
الْفَرِيقَيْنِ نَقْلَهُ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ فَلَا يَقَعَنَّ عِنْدَكَ رَبِّ فِي عَدَالَةٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا قَدَحٍ فِي  
شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ مَنْ عَلِمْتَ وَأَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ إِنَّمَا هِيَ عَنِ الْمُسْتَنَدَاتِ وَعَدَالَتِهِمْ  
مَفْرُوعٌ مِنْهَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَّا قَوْلًا لِلْمُعْتَزِلَةِ فِيمَنْ قَاتَلَ عَلِيًّا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ  
أَهْلِ الْحَقِّ وَلَا عَرَجَ عَلَيْهِ وَإِذَا نَظَرْتَ بَعَيْنِ الْأَنْصَافِ عَذَرْتَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ فِي شَأْنِ  
الْإِخْتِلَافِ فِي عُثْمَانَ وَإِخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ مِنْ بَعْدُ وَعَلِمْتَ أَنَّهَا كَانَتْ فِتْنَةً أَبْشَى اللَّهُ  
بِهَا الْأُمَّةَ بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَدُوَّهُمْ وَمَلَائِكَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَنَزَلُوا  
الْأَمْصَارَ عَلَى حُدُودِهِمْ بِالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَكَانَ أَكْثَرُ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
نَزَلُوا هَذِهِ الْأَمْصَارَ جُنَاةً لَمْ يَسْتَكْبِرُوا مِنْ صُحْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا  
ارْتَاضُوا بِمُخْلَقِهِ مَعَ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْعَصِيَّةِ وَالْتَفَاحِ وَالْبُعْدِ عَنْ  
سَكِينَةِ الْإِيمَانِ وَإِذَا بِهِمْ عِنْدَ اسْتِفْحَالِ الدَّوْلَةِ قَدْ أَصْبَحُوا فِي مِلْكَةِ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ وَثَقِيفٍ وَهَذِيلٍ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَيَثْرِبَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ  
إِلَى الْإِيمَانِ فَاسْتَنْصَحُوا مِنْ ذَلِكَ وَغَضُّوا بِهِ لِمَا يَرَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّقَدُّمِ بِأَنْسَابِهِمْ  
وَكَثَرَتِهِمْ وَمُصَادَمَةِ فَارِسَ وَالرُّومِ مِثْلَ قَبَائِلِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ رَبِيعَةَ  
وَقَبَائِلِ كِنْدَةَ وَالْأَزْدِ مِنَ الْيَمَنِ وَتَمِيمٍ وَقَيْسٍ مِنْ مُضَرَ فَصَارُوا إِلَى الْغَضِّ مِنْ قُرَيْشٍ  
وَالْإِنْفَةِ عَلَيْهِمْ وَالتَّمْرِ بِيضٍ فِي طَاعَتِهِمْ وَالتَّعَلُّلِ فِي ذَلِكَ بِالتَّظَلُّمِ مِنْهُمْ وَالْإِسْتِعْدَاءِ  
عَلَيْهِمْ وَالطَّعْنِ فِيهِمْ بِالْعِجْزِ عَنِ السُّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الْقِسْمِ عَنِ السُّوِيَّةِ وَفُشَّتِ الْمَقَالَةُ  
بِذَلِكَ وَانْتَهَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُمْ مَنْ عَلِمْتَ فَأَعْظَمُوهُ وَأَبْلَغُوهُ عُثْمَانَ فَبَعَثَ إِلَى الْأَمْصَارِ  
مَنْ يَكْشِفُ لَهُ الْخَبَرَ بَعَثَ ابْنُ عُمَرَ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَأَمْثَالُهُمْ فَلَمْ  
يَنْكُرُوا عَلَى الْأَمْصَارِ شَيْئًا وَلَا رَأَوْا عَلَيْهِمْ طَعْنًا وَأَدَّوْا ذَلِكَ كَمَا عَلِمُوهُ فَلَمْ يَنْقُطِعِ  
الطَّعْنُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَمَا زَالَتِ الشَّنَاعَاتُ تَتَمُورُ وَمِي الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ وَهُوَ عَلَى  
الْكُوفَةِ يَشْرِبُ الْخَمْرَ وَشَهِدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَحَدَّ عُثْمَانُ وَعَزَلَهُ ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ

مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ يَسْأَلُونَ عَزَلَ الْعَمَالِ وَشَكَاوَا إِلَى عَائِشَةَ وَعَلِيٍّ وَالزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَعَزَلَ  
 لَهُمْ عُثْمَانُ بَعْضَ الْعَمَالِ فَلَمْ تَنْقَطِعْ بِذَلِكَ أَلْسِنَتُهُمْ بَلْ وَقَدْ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي وَهُوَ  
 عَلَى الْكُوفَةِ فَلَمَّا رَجَعَ اعْتَرَضُوهُ بِالطَّرِيقِ وَرَدُّوهُ مَعْرُولا ثُمَّ انْتَقَلَ اخِلَافُ بَيْنَ  
 عُثْمَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْمَدِينَةِ وَتَقَمُّوا عَلَيْهِ امْتِنَاعَهُ مِنَ الْعَزْلِ فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ  
 عَلَى جُرْحَةٍ ثُمَّ نَقَلُوا النَّكَبَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِالْإِجْتِهَادِ وَهُمْ أَيْضًا  
 كَذَلِكَ ثُمَّ تَجَمَّعَ قَوْمٌ مِنَ الْغَوَاةِ وَجَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ يُظْهِرُونَ طَلَبَ النِّصْفَةِ مِنْ عُثْمَانَ  
 وَهُمْ يُضْمِرُونَ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِ وَفِيهِمْ مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَمِصْرَ وَقَامَ مَعَهُمْ فِي  
 ذَلِكَ عَلِيٌّ وَعَائِشَةُ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَغَيْرُهُمْ يُحَاوِلُونَ تَسْكِينَ الْأُمُورِ وَرُجُوعَ عُثْمَانَ إِلَى  
 رَأْيِهِمْ وَعَزَلَ لَهُمْ عَامِلَ مِصْرَ فَأَنْصَرَفُوا قَلِيلًا ثُمَّ رَجَعُوا وَقَدْ لَبَسُوا بِكِتَابِ مُدَلِّسٍ يَزْعُمُونَ  
 أَنَّهُمْ لَقَوْهُ فِي يَدِ حَامِلِهِ إِلَى عَامِلِ مِصْرَ بِأَنْ يَقْتُلَهُمْ وَحَلَفَ عُثْمَانُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالُوا هَكُنَا  
 مِنْ مَرْوَانَ فَإِنَّهُ كَاتِبُكَ خَافَ مَرْوَانَ فَقَالَ لَيْسَ فِي الْحُكْمِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا فَحَاصَرُوهُ  
 بِدَارِهِ ثُمَّ بَيْتُوهُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ النَّاسِ وَقَتَلُوهُ وَأَنْفَتَحَ بَابُ الْفِتْنَةِ فَايْكُلُ مِنْ هَوْلَاءِ  
 عَذْرُفِيَا وَقَعَ وَكَلَمُهُمْ كَانُوا مُهْتَمِينَ بِأَمْرِ الدِّينِ وَلَا يُضِيعُونَ شَيْئًا مِنْ تَعَلُّقَاتِهِ ثُمَّ نَظَرُوا  
 بَعْدَ هَذَا الْوَاقِعِ وَاجْتَهَدُوا وَاللَّهُ مُطَاعٌ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَعَالِمٌ بِهِمْ وَنَحْنُ لَا نَنْظُرُ بِهِمْ إِلَّا  
 خَيْرًا لِمَا شَهِدَتْ بِهِ أَحْوَالُهُمْ وَهَقَالَاتُ الصَّادِقِ فِيهِمْ وَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَإِنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ فِسْقُ  
 يَزِيدَ عِنْدَ الْكَافَّةِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ بَعَثَتْ شَيْعَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالْكُوفَةِ لِلْحُسَيْنِ أَنْ  
 يَأْتِيَهُمْ فَيَقُومُوا بِأَمْرِهِ فَرَأَى الْحُسَيْنُ أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدَ مُتَعَيْنٌ مِنْ أَجْلِ فِسْقِهِ لَا  
 سِيَّامَا مِنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ وَظَنُّهَا مِنْ نَفْسِهِ بِأَهْلِيَّتِهِ وَشَوْكَتِهِ فَأَمَّا الْأَهْلِيَّةُ فَكَانَتْ  
 كَمَا ظَنَّ وَزِيَادَةً وَأَمَّا الشُّوْكَةُ فَغَلِطَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ فِيهَا لِأَنَّ عَصَبِيَّةَ مِصْرَ كَانَتْ فِي قُرَيْشٍ  
 وَعَصَبِيَّةَ عَبْدِ مَنَافٍ إِنَّمَا كَانَتْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ تَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُمْ قُرَيْشٌ وَسَائِرُ النَّاسِ وَلَا  
 يُنْكِرُونَهُ وَإِنَّمَا نُسَبِي ذَلِكَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ لِمَا شَغَلَ النَّاسَ مِنَ الدُّهُولِ بِالْخَوَارِقِ  
 وَأَمْرِ الْوَحْيِ وَتَرَدُّدِ الْمَلَائِكَةِ لِنُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ فَأَغْفَلُوا أُمُورَ عَوَائِدِهِمْ وَذَهَبَتْ  
 عَصَبِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنَازِعُهَا وَنُسِبَتْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَصَبِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ فِي الْحِمَايَةِ وَالِدِفَاعِ  
 يُشْتَفَعُ بِهَا فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ وَالِدِّينِ فِيهَا مُحْكَمٌ وَالْعَادَةُ مَعْرُولَةٌ  
 حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أَمْرُ النُّبُوَّةِ وَالْخَوَارِقِ الْمَهُولَةِ تَرَجَّعَ الْحُكْمُ بَعْضُ الشَّيْءِ لِلْعَوَائِدِ



فَعَادَتِ الْعَصِيَّةَ كَمَا كَانَتْ وَلَمْ تَكُنْ وَأَصْبَحَتْ مُضِرُّ أَطْوَعَ لِبَنِي أُمَيَّةٍ مِنْ سِوَاهُمْ  
بِمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ قَبْلُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ غَلَطُ الْحُسَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ فِي أَمْرِ دُنْيَوِيٍّ لَا يُضِرُّهُ  
الْغَلَطُ فِيهِ وَأَمَّا الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فَلَمْ يَغْلَطْ فِيهِ لِأَنَّهُ مَنْوُطٌ بِظَنِّهِ وَكَانَ حُكْمُهُ الْقُدْرَةُ عَلَى  
ذَلِكَ وَلَقَدْ عَدَلَهُ ابْنُ الْعَبَّاسِ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الْحَنَفِيَّةِ أُخْرُهُ وَغَيْرُهُ  
فِي مَسِيرِهِ إِلَى الْكُوفَةِ وَعَلِمُوا غَلَطَهُ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ بِسَبِيلِهِ لِمَا أَرَادَهُ  
اللَّهُ وَأَمَّا غَيْرُ الْحُسَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحِجَازِ وَمَعَ يَزِيدَ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِنْ  
التَّابِعِينَ لَهُمْ فَرَأَوْا أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَجُوزُ لِمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ  
الْمَرْجِ وَالْذِمَّةِ فَأَقْصَرُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ يُتَابِعُوا الْحُسَيْنَ وَلَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ وَلَا أَثَمُوهُ  
لِأَنَّهُ مُجْتَهِدٌ وَهُوَ أُسْوَةٌ الْمُجْتَهِدِينَ وَلَا يَذْهَبُ بِكَ الْغَلَطُ أَنَّ نَقُولَ بِنَائِمٍ هُوَ لَا بِمُخَالَفَةِ  
الْحُسَيْنِ وَقُعُودِهِمْ عَنْ نَصْرِهِ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ وَكَانُوا مَعَ يَزِيدَ وَلَمْ يَرَوْا الْخُرُوجَ  
عَلَيْهِ وَكَانَ الْحُسَيْنُ يَسْتَشِيرُهُمْ وَهُوَ بِكَرْبَلَاءَ عَلَى فَضْلِهِ وَحَقِّهِ وَيَقُولُ سَأُؤَا جَابِرَ بْنَ  
عَبْدِ اللَّهِ وَأَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَسَهْلَ بْنَ سَعِيدٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ وَأَمْثَلَهُمْ  
وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِمْ قُعُودُهُمْ عَنْ نَصْرِهِ وَلَا تَعَرَّضَ لِذَلِكَ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ عَنْ أَجْتِهَادٍ وَإِنْ  
كَانَ هُوَ عَلَى أَجْتِهَادٍ وَيَكُونُ ذَلِكَ كَمَا يُعَدُّ الشَّافِعِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالْحَنَفِيُّ عَلَى شُرْبِ  
النَّبِيذِ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَقِتَالَهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ أَجْتِهَادٍ هُوَ لَا وَإِنْ كَانَ خِلَافُهُ  
عَنْ أَجْتِهَادِهِمْ وَإِنَّمَا انْفَرَدَ بِقِتَالِهِ يَزِيدُ وَالصَّحَابَةُ وَلَا نَقُولُ إِنْ يَزِيدُ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا  
وَلَمْ يُجِزْ هُوَ لَا الْخُرُوجَ عَلَيْهِ فَأَفْعَالُهُ عِنْدَهُمْ صَحِيحَةٌ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَنْفَعُ مِنْ أَعْمَالِ  
الْفَاسِقِ مَا كَانَ مَشْرُوعًا وَقِتَالُ الْبُغَاةِ عِنْدَهُمْ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ  
وَهُوَ مَفْقُودٌ فِي مَسْئَلَتِنَا فَلَا يَجُوزُ قِتَالُ الْحُسَيْنِ مَعَ يَزِيدَ وَلَا لِيَزِيدَ بَلْ هِيَ مِنْ فَعَلَاتِهِ  
الْمُؤَكَّدَةِ لِفِسْقِهِ وَالْحُسَيْنِ فِيهَا شَهِيدٌ مُثَابٌ وَهُوَ عَلَى حَقٍّ وَأَجْتِهَادٍ وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ  
كَانُوا مَعَ يَزِيدَ عَلَى حَقٍّ أَيْضًا وَأَجْتِهَادٍ وَقَدْ غَلَطَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ  
فِي هَذَا فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِالْعَوَاصِمِ وَالْقَوَاصِمِ مَا مَعْنَاهُ . إِنَّ الْحُسَيْنَ قُتِلَ  
بِشَرْعٍ جَدِّهِ وَهُوَ غَلَطٌ حَمَلَتْهُ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ عَنْ اشْتِرَاطِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَمَنْ أَعْدَلَ مِنْ  
الْحُسَيْنِ فِي زَمَانِهِ فِي إِمَامَتِهِ وَعَدَالَتِهِ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْآرَاءِ وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهُ رَأَى  
فِي مَنَامِهِ مَا رَأَاهُ الْحُسَيْنُ وَظَنَّ كَمَا ظَنَّ وَغَلَطَهُ فِي أَمْرِ الشُّوَكَةِ أَعْظَمُ لِأَنَّ بَنِي أَسَدٍ

لَا يُقَاوِمُونَ بَنِي أُمِيَّةَ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ وَالْقَوْلُ يَتَعَيَّنُ الْخَطَاءُ فِي جِهَةِ مُعَاوِيَةَ مَعَ  
عَلِيٍّ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِأَنَّ الْأَجْمَاعَ هُنَاكَ قَضَى لَنَا بِهِ وَلَمْ يَجِدْهُ هَاهُنَا وَأَمَّا يَزِيدُ فَعَيَّنَ  
خَطَأَهُ فَسَقَهُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ صَاحِبُ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَكْثَرُ النَّاسِ عَدَالَةً وَنَاهِيكَ بِعَدَالَتِهِ  
أَحْتِجَاجُ مَالِكٍ بِفَعْلِهِ وَعَدُولُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ إِلَى يَبْعَتِهِ عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَمْ تَتَّعِدْ  
لَأَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْهَا أَهْلُ الْعَقْدِ وَالْحُلْ كَبِيْعَةُ مَرْوَانَ وَابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ وَالْكُلُّ  
مُجْتَهِدُونَ مُحْمُولُونَ عَلَى الْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ وَإِنْ لَمْ يَتَعَيَّنْ فِي جِهَةِ مِنْهُمَا وَالْقَتْلُ الَّذِي نَزَلَ  
بِهِ بَعْدَ تَقْرِيرِ مَا قَرَّرْنَاهُ يَجِيءُ عَلَى قَوَاعِدِ الْفَقْهِ وَقَوَائِينِهِ مَعَ أَنَّهُ شَهِيدٌ مُثَابٌّ بِاعْتِبَارِ  
قَصْدِهِ وَتَحَرُّيهِ الْحَقُّ هَذَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ أَفْعَالُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ  
وَالنَّابِعِينَ فَهُمْ خِيَارُ الْأُمَّةِ وَإِذَا جَعَلْنَاهُمْ عُرْضَةً لِلْقَدَحِ فَمَنْ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالْعَدَالَةِ  
وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ  
يَفْشُو الْكَذِبُ فَيُجْعَلُ الْخَيْرَةُ وَهِيَ الْعَدَالَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْقَرْنِ الْأَوَّلِ وَالَّذِي يَلِيهِ فَإِيَّاكَ أَنْ  
تَعُودَ نَفْسَكَ أَوْ لِسَانَكَ التَّعَرُّضَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا يُشَوِّشُ قَلْبَكَ بِالرَّيْبِ فِي شَيْءٍ مِمَّا وَقَعَ  
مِنْهُمْ وَالتَّمَسُّ لَهُمْ مَذَاهِبَ الْحَقِّ وَطُرُقَهُ مَا اسْتَطَعْتَ فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ وَمَا  
اخْتَلَفُوا إِلَّا عَنْ يَنَّةٍ وَمَا قَاتَلُوا أَوْ قَتَلُوا إِلَّا فِي سَبِيلِ جِهَادٍ أَوْ إِظْهَارِ حَقٍّ وَاعْتَقَدَ مَعَ  
ذَلِكَ أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ رَحْمَةٌ لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ لِيَقْتَدِيَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَنْ يَخْتَارُهُ مِنْهُمْ  
وَيَجْعَلُهُ إِمَامَةً وَهَادِيَةً وَدَلِيلَةً فَافْهَمْ ذَلِكَ وَتَبَيَّنَ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَكْوَانِهِ وَأَعْلَمَ  
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِلَيْهِ الْمَلْجَأُ وَالْمَصِيرُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل الحادي والثلاثون

### في الخطط الدينية الخلافة

لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْخِلَافَةِ نِيَابَةٌ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ  
الدُّنْيَا فَصَاحِبُ الشَّرْعِ مُتَصَرِّفٌ فِي الْأَمْرَيْنِ أَمَّا فِي الدِّينِ فَبِمُقْتَضَى التَّكْلِيفِ  
الشَّرْعِيِّ الَّذِي هُوَ مَأْمُورٌ بِتَبْلِيغِهَا وَحَمْلُ النَّاسِ عَلَيْهَا وَأَمَّا سِيَاسَةُ الدُّنْيَا فَبِمُقْتَضَى رِعَايَتِهِ  
لِمَصَالِحِهِمْ فِي الْعُمُرَانِ الْبَشَرِيِّ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا الْعُمُرَانُ ضَرُورِيٌّ لِلْبَشَرِ وَأَنَّ رِعَايَةَ  
مَصَالِحِهِ كَذَلِكَ لئَلَّا يَفْسُدَ إِنْ أَهْمَلْتُمْ وَقَدَّمْنَا أَنَّ الْمَلِكَ وَسَطَوَتَهُ كَافٍ فِي حُصُولِ هَذِهِ  
الْمَصَالِحِ نَعَمْ إِنَّمَا تَكُونُ أَكْمَلَ إِذَا كَانَتْ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ



الْمَصَالِح فَقَدْ صَارَ الْمَلِكُ يَنْدَرُجُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ إِذَا كَانَ إِسْلَامِيًّا وَيَكُونُ مِنْ تَوَابِعِهَا  
 وَقَدْ يَنْفَرِدُ إِذَا كَانَ فِي غَيْرِ الْمِلَّةِ وَلَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَرَاتِبُ خَادِمَةٍ وَوُظَائِفُ تَابِعَةٍ  
 تُتَعَيَّنُ خِطَطًا وَتُنَوِّزُ عَلَى رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَظَائِفُ فَيَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ بِوُظَيْفَتِهِ حَسَبَ مَا يَعْنِيهِ  
 الْمَلِكُ الَّذِي تَكُونُ يَدُهُ عَالِيَةً عَلَيْهِمْ فَيَتِمُّ بِذَلِكَ أَمْرُهُ وَيَحْسُنُ قِيَامُهُ بِسُلْطَانِهِ وَأَمَّا  
 الْمَنْصِبُ الْخِلَافِيُّ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يَنْدَرُجُ تَحْتَهُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَتَصَرُّفُهُ  
 الَّذِي يَخْتَصُّ بِخِطَطٍ وَمَرَاتِبٍ لَا تُعْرَفُ إِلَّا لِلْخُلَفَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ فَلَنَذْكُرَ الْآنَ الْخِطَطَ  
 الدِّينِيَّةَ الْمُخْتَصَّةَ بِالْخِلَافَةِ وَنَرْجِعُ إِلَى الْخِطَطِ الْمُلُوكِيَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْخِطَطَ  
 الدِّينِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْفَتَا وَالْقَضَاءِ وَالْجِهَادِ وَالْحِسْبَةِ كُلِّهَا مُنْدرِجَةٌ تَحْتَ  
 الْإِمَامَةِ الْكُبْرَى الَّتِي هِيَ الْخِلَافَةُ فَكَانَهَا الْإِمَامُ الْكَبِيرُ وَالْأَصْلُ الْجَامِعُ وَهَذِهِ  
 كُلُّهَا مُتَفَرِّعَةٌ عَنْهَا وَدَاخِلَةٌ فِيهَا لِعُمُومِ نَظَرِ الْخِلَافَةِ وَتَصَرُّفِهَا فِي سَائِرِ أَحْوَالِ الْمِلَّةِ  
 الدِّينِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ وَتَنْفِيذِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فِيهَا عَلَى الْعُمُومِ فَأَمَّا إِمَامَةُ الصَّلَاةِ فَهِيَ أَرْفَعُ  
 هَذِهِ الْخِطَطِ كُلِّهَا وَأَرْفَعُ مِنَ الْمَلِكِ بِخُصُوصِهِ الْمُنْدرِجِ مَعَهَا تَحْتَ الْخِلَافَةِ وَلَقَدْ  
 يَشْهَدُ لِذَلِكَ اسْتِدْلَالُ الصَّحَابَةِ فِي شَأْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِاسْتِخْلَافِهِ فِي  
 الصَّلَاةِ عَلَى اسْتِخْلَافِهِ فِي السِّيَاسَةِ فِي قَوْلِهِمْ أَزْتَضَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِدِينِنَا أَفَلَا نَرْضَاهُ لِدُنْيَانَا فَلَوْلَا أَنَّ الصَّلَاةَ أَرْفَعُ مِنَ السِّيَاسَةِ لَمَا صَحَّ الْقِيَاسُ وَإِذَا  
 ثَبَتَ ذَلِكَ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَسَاجِدَ فِي الْمَدِينَةِ صِنْفَانِ مَسَاجِدُ عَظِيمَةٍ كَثِيرَةٌ الْغَاشِيَةُ  
 مَعْدَةَ لِلصَّلَوَاتِ الْمَشْهُودَةِ وَأُخْرَى دُونَهَا مُخْتَصَّةٌ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ وَلَيْسَتْ لِلصَّلَوَاتِ  
 الْعَامَّةِ فَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْعَظِيمَةُ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ أَوْ مَنْ يُفَوِّضُ إِلَيْهِ  
 مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ مِنْ وَزِيرٍ أَوْ قَاضٍ فَيَنْصِبُ لَهَا الْإِمَامَ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ  
 وَالْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَالْحُسُوفَيْنِ وَالْإِسْتِسْقَاءِ وَتَعَيَّنَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ طَرِيقِ  
 الْأَوَّلَى وَالْإِسْتِحْسَانِ وَلِئَلَّا يَفْتَاتَ الرَّعَايَا عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ  
 وَقَدْ يَقُولُ بِالْوُجُوبِ فِي ذَلِكَ مَنْ يَقُولُ بِوُجُوبِ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ فَيَكُونُ نَصْبُ الْإِمَامِ  
 لَهَا عِنْدَهُ وَاجِبًا وَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْمُخْتَصَّةُ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْجِيرَانِ  
 وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرِ خَلِيفَةٍ وَلَا سُلْطَانٍ وَأَحْكَامُ هَذِهِ الْوِلَايَةِ وَشُرُوطُهَا وَالْمَوْلى فِيهَا  
 مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَمَبْسُوطَةٌ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ لِلْمَاوَرَدِيِّ وَغَيْرِهِ

فَلَا نَطُولُ بِذِكْرِهَا وَقَدْ كَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوَّلُونَ لَا يُقْلِدُونَهَا غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ وَأَنْظُرُ  
مَنْ طُعِنَ مِنَ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْأَذَانِ بِالصَّلَاةِ وَتَرَصَّدُهُمْ لِذَلِكَ فِي أَوْقَاتِهَا  
يَشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ بِمُبَاشَرَتِهِمْ لَهَا وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَخْلَفِينَ فِيهَا وَكَذَا كَانَ رِجَالُ  
الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ اسْتَشَارَ بِهَا وَأَسْتَظَامًا لِرُبَّتِهَا يُحْكِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ  
أَنَّهُ قَالَ لِحَاجِبِهِ قَدْ جَعَلْتُ لَكَ حِجَابَةً يَأْتِي إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةِ صَاحِبِ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ يَفْسُدُ  
بِالتَّأْخِيرِ وَالْأَذَانُ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ وَالْبَرِيدُ فَإِنْ فِي تَأْخِيرِهِ فَسَادُ الْقَاصِيَةِ  
فَلَمَّا جَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَعَوَارِضُهُ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالتَّرَفُّعِ عَنْ مُسَاوَاةِ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ  
وَدُنْيَاهُمْ اسْتَنَابُوا فِي الصَّلَاةِ فَكَانُوا يَسْتَأْذِنُونَ بِهَا فِي الْأَحْيَانِ وَفِي الصَّلَوَاتِ الْعَامَّةِ  
كَالْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ إِشَارَةً وَتَنْوِيهَا فَعَلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْعَبِيدِيِّينَ  
صَدَرَتْ عَنْهُمْ وَأَمَّا الْفُتَيَّا فَلِلْخَلِيفَةِ تَصْنُحُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالتَّدْرِيسُ وَرَدُّ الْفُتَيَّا إِلَى مَنْ  
هُوَ أَهْلُهَا وَإِعَانَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَمَنْعُ مَنْ لَيْسَ أَهْلًا لَهَا وَزَجْرُهُ لِأَنَّهَا مِنْ مَصَالِحِ  
الْمُسْلِمِينَ فِي أَدْيَانِهِمْ فَتَجِبُ عَلَيْهِ مُرَاعَاتُهَا لِئَلَّا يَتَعَرَّضَ لِذَلِكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلُّ  
النَّاسَ وَلِلْمُدْرِسِ الْإِتِّصَابُ لِتَعْلِيمِ الْعِلْمِ وَبَثِّهِ وَالْجُلُوسُ لِذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ فَإِنْ كَانَتْ  
مِنَ الْمَسَاجِدِ الْعِظَامِ الَّتِي لِلسُّلْطَانِ الْوَلَايَةُ عَلَيْهَا وَالنَّظَرُ فِي أَيْمَتِهَا كَمَا مَرَّ فَلَا بُدَّ مِنْ  
اسْتِثْنَائِهِ فِي ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ مَسَاجِدِ الْعَامَّةِ فَلَا يَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَى إِذْنِ عَلَى أَنَّهُ  
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ أَحَدٍ مِنَ الْمُفْقِينَ وَالْمُدْرِسِينَ زَاجِرٌ مِنْ نَفْسِهِ يَمْنَعُهُ عَنْ  
التَّصَدِّي لِمَا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلُّ بِهِ الْمُسْتَهْدِي وَيُضِلُّ بِهِ الْمُسْتَرْشِدُ وَفِي الْأَثَرِ  
أَجْرُكُمْ عَلَى الْفُتَيَّا أَجْرُكُمْ عَلَى جَرَائِمِ جَهَنَّمَ فَلِلسُّلْطَانِ فِيهِمْ لِذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ  
مَا تُوجِبُهُ الْمَصْلَحَةُ مِنْ إِجَازَةٍ أَوْ رَدٍّ وَأَمَّا الْقَضَاءُ فَهُوَ مِنَ الْوُضَائِفِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ  
الْخِلَافَةِ لِأَنَّهُ مَنْصِبُ الْفَضْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْخُصُومَاتِ حَسْبًا لِلتَّدَاعِي وَقَطْعًا لِلتَّنَازُعِ إِلَّا  
أَنَّهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَلَقَّاةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَكَانَ لِذَلِكَ مِنْ وَضَائِفِ  
الْخِلَافَةِ وَمُنْدرَجًا فِي عُمُومِهَا وَكَانَ الْخُلَفَاءُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ يُبَاشِرُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَلَا  
يَجْعَلُونَ الْقَضَاءَ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ وَأَوَّلُ مَنْ دَفَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَفَوَّضَهُ فِيهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ فَوَلَّى أَبَا الدَّرْدَاءِ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ وَوَلَّى شَرِيحًا بِالْبَصْرَةِ وَوَلَّى أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ  
بِالْكُوفَةِ وَكَتَبَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابَ الْمَشْهُورَ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْقَضَاءِ



وَهِيَ مُسْتَوْفَاةٌ فِيهِ يَقُولُ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ فَافْهَمِ  
إِذَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمُكَ بِحَقِّ لَا تَقَاذِلْهُ وَأَسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَجَلِيسِكَ  
وَعَدْلِكَ حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ وَلَا يَأْسَ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ  
أَدْعَى وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَحْلَ حَرَامًا أَوْ  
حَرَّمَ حَالًا وَلَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ أَمْسٍ فَرَأَجَعْتَ الْيَوْمَ فِيهِ عَقْلَكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ  
إِرْشَادَكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي  
الْبَاطِلِ أَنَّهُمْ فِيمَا يَتَلَجَّلَجُ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ثُمَّ أَعْرِفِ الْأَمْثَالَ  
وَالْأَشْبَاهَ وَفَسِ الْأُمُورَ بِنِظَائِرِهَا وَاجْعَلْ لِمَنْ أَدْعَى حَقًّا غَايِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمْدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ  
فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَتَهُ أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَحْلَلْتَ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْتَى لِلشُّكِّ  
وَأَجَلٌ لِلْعَمَى الْمُسْلِمُونَ عُدُولُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا بِمَجْلُودٍ فِي حَدٍّ أَوْ تُجْرَى عَلَيْهِ  
شَهَادَةُ زُورٍ أَوْ ظَنِينًا فِي نَسَبٍ أَوْ وَلَائٍ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَفَا عَنِ الْإِيمَانِ وَدَرَأَ  
بِالْبَيِّنَاتِ وَإِيَّاكَ وَالْقَلَقَ وَالضُّجْرَ وَالتَّأَنُّفَ بِالْخُصُومِ فَإِنَّ اسْتِقْرَارَ الْحَقِّ فِي مَوَاطِنِ  
الْحَقِّ يُعْظِمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجَرَ وَيُخَسِّنُ بِهِ الذِّكْرَ وَالسَّلَامُ إِنَّتَهَى كِتَابُ عُمْرٍ وَإِنَّمَا  
كَانُوا يُقْلِدُونَ الْقَضَاءَ لِغَيْرِهِمْ وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ لِقِيَاهِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَكَثْرَةِ  
أَشْغَالِهَا مِنَ الْجِهَادِ وَالْفُتُوحَاتِ وَسِدْرِ الشُّعُورِ وَحِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِمَّا يَقُومُ بِهِ  
غَيْرُهُمْ لِعِظَمِ الْعِنَايَةِ فَاسْتَحَقُّوا الْقَضَاءَ فِي الْوَاقِعَاتِ بَيْنَ النَّاسِ وَاسْتَخْلَفُوا فِيهِ مَنْ يَقُومُ  
بِهِ تَخْفِيفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقْلِدُونَهُ أَهْلَ عَصِيَّتِهِمْ بِالنَّسَبِ أَوْ الْوَلَاءِ  
وَلَا يُقْلِدُونَهُ لِمَنْ بَعْدَ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَمَّا أَحْكَامُ هَذَا الْمَنْصِبِ وَشُرُوطُهُ فَمَعْرُوفَةٌ  
فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَخُصُوصًا كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَّا أَنَّ الْقَاضِيَّ إِنَّمَا كَانَ لَهُ  
فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ الْفَضْلُ بَيْنَ الْخُصُومِ فَقَطْ ثُمَّ دُفِعَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أُمُورٌ أُخْرَى عَلَى  
الْتِدَارِ بِحَسَبِ اشْتِغَالِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ بِالسِّيَاسَةِ الْكُبْرَى وَاسْتَقَرَّ مَنْصِبُ الْقَضَاءِ  
آخِرَ الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ يَجْمَعُ مَعَ الْفَضْلِ بَيْنَ الْخُصُومِ اسْتِيفَاءَ بَعْضِ الْحَقُوقِ الْعَامَّةِ  
لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْمَحْجُورِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَجَانِينَ وَالْبَتَائِي وَالْمُفْلِسِينَ وَأَهْلِ  
السُّفْهِ وَفِي وَصَايَا الْمُسْلِمِينَ وَأَوْقَافِهِمْ وَتَزْوِيجِ الْآيَامِ عِنْدَ فَقْدِ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى رَأْيٍ مَنْ  
رَأَاهُ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الطَّرَفَاتِ وَالْأَبْنِيَةِ وَتَصْفِحِ الشُّهُودِ وَالْأَمْنَاءِ وَالنُّوَابِ وَاسْتِيفَاءِ

الْعِلْمُ وَالْخَبْرَةُ فِيهِمْ بِالْعَدَالَةِ وَالْجَرَحِ لِيَحْصُلَ لَهُ الْوُثُوقُ بِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ كُلُّهَا  
 مِنْ تَعَلُّقَاتِ وَظَائِفِهِ وَتَوَابِعِ وَلَايَتِهِ وَقَدْ كَانَ الْخُلَفَاءُ مِنْ قَبْلُ يَجْعَلُونَ لِلْقَاضِي النَّظَرَ  
 فِي الْمَظَالِمِ وَهِيَ وَظِيفَةٌ مُمْتَزِجَةٌ مِنْ سَطْوَةِ السَّاطِنَةِ وَنَصَفَةِ الْقَضَاءِ وَتَحْتَاجُ إِلَى عُلُوِّ  
 يَدٍ وَعَظِيمِ رَهْبَةٍ تَقْطَعُ الظَّالِمَ مِنَ الْخُصَمَيْنِ وَتَزْجُرُ الْمُتَعَدِّيَّ وَكَانَهُ يُنْضِي مَا عَجَزَ  
 الْقَضَاءُ أَوْ غَيْرُهُمْ عَنْ إِمْضَائِهِ وَيَكُونُ نَظَرُهُ فِي الْبَيِّنَاتِ وَالْتِقَارِ وَأَعْتَادِ الْأَمَارَاتِ  
 وَالْقَرَائِنِ وَتَأْخِيرِ الْحُكْمِ إِلَى اسْتِجْلَاءِ الْحَقِّ وَحَمْلِ الْخُصَمَيْنِ عَلَى الصُّلْحِ وَاسْتِحْلَافِ  
 الشُّهُودِ وَذَلِكَ أَوْسَعُ مِنْ نَظَرِ الْقَاضِي \* وَكَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوَّلُونَ يُبَاشِرُونَهَا بِأَنْفُسِهِمْ  
 إِلَى أَيَّامِ الْمُهْتَدِيِّ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَهَا لِقَضَائِهِمْ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُ مَعَ قَاضِيهِ أَبِي أَدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ وَكََمَا فَعَلَهُ الْمَأْمُونُ ابْنُ أَبِي أَكْثَمَ  
 وَالْمُعْتَصِمُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَ لِلْقَاضِي قِيَادَةَ الْجِهَادِ فِي عَسَاكِرِ  
 الطَّوَائِفِ وَكَانَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ يُخْرِجُ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ بِالطَّائِفَةِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ  
 وَكَذَا مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ قَاضِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّادِرِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ تَوَلِيَّةُ  
 هَذِهِ الْوُظَائِفِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْخُلَفَاءِ أَوْ مَنْ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ لَهُ مِنْ وَزِيرٍ مُفَوَّضٍ أَوْ  
 سُلْطَانٍ مُتَغَلَّبٍ وَكَانَ أَيْضًا النَّظَرُ فِي الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
 وَالْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعَبِيدِيِّينَ بِمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ رَاجِعًا إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ وَهِيَ  
 وَظِيفَةٌ أُخْرَى دِينِيَّةٌ كَانَتْ مِنَ الْوُظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ فِي تِلْكَ الدَّوَلِ تَوْسِعُ النَّظَرَ فِيهَا عَنْ  
 أَحْكَامِ الْقَضَاءِ قَلِيلًا فَيَجْعَلُ لِلتُّهْمَةِ فِي الْحُكْمِ تَجَالًا وَيَفْرِضُ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةَ قَبْلَ  
 ثُبُوتِ الْجَرَائِمِ وَيُقِيمُ الْحُدُودَ الثَّابِتَةَ فِي مَحَالِّهَا وَيَحْكُمُ فِي الْقَوَدِ وَالْقِصَاصِ وَيُقِيمُ  
 التَّعْزِيزَ وَالتَّأْدِيبَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الْجَرِيمَةِ ثُمَّ تَنُوسِي شَأْنِ هَاتَيْنِ الْوُظَائِفَتَيْنِ  
 فِي الدَّوَلِ الَّتِي تَنُوسِي فِيهَا أَمْرُ الْخِلَافَةِ فَصَارَ أَمْرُ الْمَظَالِمِ رَاجِعًا إِلَى السُّلْطَانِ كَانَ  
 لَهُ تَقْوِيزُ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ وَانْقَسَمَتِ وَظِيفَةُ الشُّرْطَةِ قِسْمَيْنِ مِنْهَا  
 وَظِيفَةُ التُّهْمَةِ عَلَى الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ حُدُودِهَا وَمُبَاشَرَةُ الْقَطْعِ وَالْقِصَاصِ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ  
 وَنُصِبَ لِذَلِكَ فِي هَذِهِ الدَّوَلِ حَاكِمٌ يَحْكُمُ فِيهَا بِمُوجِبِ السِّيَاسَةِ دُونَ مُرَاجَعَةِ  
 الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَيُسَمَّى تَارَةً بِاسْمِ الْوَالِي وَتَارَةً بِاسْمِ الشُّرْطَةِ وَبَقِيَ قِسْمُ  
 التَّعْزِيزِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ فِي الْجَرَائِمِ الثَّابِتَةِ شَرَفًا فَجُمِعَ ذَلِكَ لِلْقَاضِي مَعَ مَا نَقَدَّمَ وَصَارَ



ذَلِكَ مِنْ تَوَابِعِ وَظِيفَةِ وَلَايَتِهِ وَأَسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى ذَلِكَ وَخَرَجَتْ هَذِهِ  
 الْوِظِيفَةُ عَنْ أَهْلِ عَصِيَّةِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الْأَمْرَ لِمَا كَانَ خِلَافَةً دِينِيَّةً وَهَذِهِ الْخِطَّةُ مِنْ  
 مَرَّاسِمِ الدِّينِ فَكَانُوا لَا يُؤَلُّونَ فِيهَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ عَصَابَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ بِالْحَلْفِ  
 أَوْ بِالرَّقِ أَوْ بِالْأَصْطِنَاعِ مِمَّنْ يُوثِقُ بِكِفَايَتِهِ أَوْ غَنَائِهِ فِيمَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ \* وَلَمَّا انْقَرَضَ  
 شَأْنُ الْخِلَافَةِ وَطَوَّرَهَا وَصَارَ الْأَمْرُ كُلُّهُ مُلْكًا أَوْ سُلْطَانًا صَارَتْ هَذِهِ الْخِطَّةُ الدِّينِيَّةُ  
 بَعِيدَةً عَنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقَابِ الْمَلِكِ وَلَا مَرَّاسِمِهِ ثُمَّ خَرَجَ الْأَمْرُ  
 جُمْلَةً مِنَ الْعَرَبِ وَصَارَ الْمُلْكُ لِسِوَاهُمْ مِنْ أُمَّةِ التُّرْكِ وَالْبَرْبَرِ فَازْدَادَتْ هَذِهِ الْخِطَّةُ  
 الْخِلَافِيَّةُ بَعْدًا عَنْهُمْ بِمَنْحَاهَا وَعَصَابَتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ دِينُهُمْ  
 وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ وَأَحْكَامَهُ وَشَرَائِعَهُ نَحْلَتُهُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ وَطَرِيقُهُمْ  
 وَغَيْرُهُمْ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤَلُّونَهَا جَانِبًا مِنَ التَّعْظِيمِ لِمَا دَانُوا بِالْمِلَّةِ فَقَطَّ فَصَارُوا  
 يُقَلِّدُونَهَا مِنْ غَيْرِ عَصَابَتِهِمْ مِمَّنْ كَانَ تَأَهَّلَ لَهَا فِي دَوْلِ الْخُلَفَاءِ السَّالِفَةِ وَكَانَ أُولَئِكَ  
 الْمُتَأَهِّلُونَ بِمَا أَخَذَهُمْ تَرْفُ الدَّوْلِ مِنْذُ مِائَتَيْنِ مِنَ السِّنِينَ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الْبِدَاوَةِ وَخُشُونَتَهَا  
 وَالتَّبَسُّوَا بِالْحِضَارَةِ فِي عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَدَعَتْهُمْ وَقَلَّةِ الْمُمَانَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ  
 الْخِطَّةُ فِي الدَّوْلِ الْمُلُوكِيَّةِ مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ مُخْتَصَةً بِهَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي  
 أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَنَزَلَ أَهْلُهَا عَنْ مَرَاتِبِ الْعِزِّ لِنَقْدِ الْأَهْلِيَّةِ بِأَنْسَابِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ  
 الْحِضَارَةِ فَلَحِقَهُمْ مِنَ الْإِخْتِقَارِ مَا لَحِقَ الْحَضَرَ الْمُتَغَمِّسِينَ فِي التَّرَفِ وَالِدَّةِ الْبُعْدَاءِ عَنْ  
 عَصِيَّةِ الْمُلِكِ الَّذِينَ هُمْ عِيَالٌ عَلَى الْحَاكِمَةِ وَصَارَ أَعْتِبَارُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ أَجْلِ قِيَامِهَا  
 بِالْمِلَّةِ وَأَخَذَهَا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ لِمَا أَنَّهُمْ الْحَامِلُونَ لِلْأَحْكَامِ الْمُقْتَدُونَ بِهَا وَلَمْ  
 يَكُنْ إِيشَارُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِكْرَامًا لِدَوَانِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا يَتَّبَعُ مِنَ التَّجَمُّلِ  
 بِمَكَانِهِمْ فِي تَجَالِسِ الْمُلِكِ لِتَعْظِيمِ الرَّتَبِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا مِنْ الْحَلِّ  
 وَالْعَقْدِ شَيْءٌ وَإِنْ حَضَرُوهُ فَحُضُورٌ رَسْمِيٌّ لَا حَقِيقَةً وَرَاءَهُ إِذْ حَقِيقَةُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ إِنَّمَا  
 هِيَ لِأَهْلِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ فَلَا حِلَّ لَهُ وَلَا عَقْدَ لَدَيْهِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَخَذَ  
 الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ عَنْهُمْ وَتَلَقَّى الْفَتَاوَى مِنْهُمْ فَتَعَمَّ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ وَرُبَّمَا يَطُنُّ بَعْضُ  
 النَّاسِ أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ وَأَنَّ فِعْلَ الْمُلُوكِ فِيمَا فَعَلُوهُ مِنْ إِخْرَاجِ الْفُقَهَاءِ وَالْقُضَاةِ  
 مِنَ الشُّورَى مَرْجُوحٌ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَأَعْلَمَ أَنَّ

ذَلِكَ لَيْسَ كَمَا ظَنَّهُ وَحُكْمُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِنَّمَا يَجْرِي عَلَى مَا انْقَضِيهِ طَبِيعَةُ  
 الْعُمَرَانِ وَإِلَّا كَانَ بَعِيدًا عَنِ السِّيَاسَةِ فَطَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ فِي هَؤُلَاءِ لَا تَقْضِي لَهُمْ شَيْئًا  
 مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الشُّورَى وَالْحُلَّ وَالْعَقْدَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِصَاحِبِ عَصِيَّةٍ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى حَلِّ  
 أَوْ عَقْدٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ وَآمًا مَنْ لَا عَصِيَّةَ لَهُ وَلَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا مِنْ  
 حِمَايَتِهَا وَإِنَّمَا هُوَ عِيَالٌ عَلَى غَيْرِهِ فَأَيُّ مَدْخَلٍ لَهُ فِي الشُّورَى أَوْ أَيُّ مَعْنَى يَدْعُو إِلَى  
 اعْتِبَارِهِ فِيهَا أَلَا شُورَاهُ فِيمَا يَعْلَمُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَمَوْجُودَةٌ فِي  
 الْأَسْتِفْتَاءِ خَاصَّةً وَآمًا شُورَاهُ فِي السِّيَاسَةِ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهَا لِإِقْدَانِهِ الْعَصِيَّةَ وَالْقِيَامَ عَلَى  
 مَعْرِفَةِ أَحْوَالِهَا وَأَحْكَامِهَا وَإِنَّمَا إِكْرَامُهُمْ مِنْ تَبَرُّعَاتِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ الشَّاهِدَةِ  
 لَهُمْ بِجَمِيلِ الْأَعْتِقَادِ فِي الدِّينِ وَتَعْظِيمِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ بِأَيِّ جِهَةٍ انْتَسَبَ وَآمًا قَوْلُهُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْفُقَهَاءَ فِي الْأَغْلَبِ إِنْ هَذَا الْعَهْدُ وَمَا اخْتَفَ  
 بِهِ إِنَّمَا حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ أَقْوَالًا فِي كَيْفِيَّةِ الْأَعْمَالِ فِي الْعِبَادَاتِ وَكَيْفِيَّةِ الْقَضَاءِ فِي  
 الْمُعَامَلَاتِ يَنْصُونَهَا عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْعَمَلِ بِهَا هَذِهِ غَايَةُ أَكْبَرِهِمْ وَلَا يَتَصِفُونَ إِلَّا  
 بِالْأَقْلِ مِنْهَا وَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَالسَّلَفُ رُضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَاهْلُ الدِّينِ وَالْوَرَعِ مِنْ  
 الْمُسْلِمِينَ حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ اتِّصَافًا بِهَا وَتَحَقُّقًا بِمَذَاهِبِهَا فَمَنْ حَمَلَهَا اتِّصَافًا وَتَحَقُّقًا دُونَ تَقْلِيدِ  
 فَهُوَ مِنَ الْوَارِثِينَ مِثْلَ أَهْلِ رِسَالَةِ الْفُشَيْرِيِّ وَمَنْ اجْتَمَعَ لَهُ الْأَمْرَانِ فَهُوَ الْعَالِمُ وَهُوَ  
 الْوَارِثُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِثْلَ فُقَهَاءِ التَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَمَنْ اقْتَفَى طَرِيقَهُمْ  
 وَجَاءَ عَلَى أَثَرِهِمْ وَإِذَا انْفَرَدَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ فَالْعَابِدُ أَحَقُّ بِالْوَرَاثَةِ  
 مِنَ الْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لِأَنَّ الْعَابِدَ وَرِثَ بِصِفَةِ وَالْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لَمْ يَرِثْ  
 شَيْئًا إِنَّمَا هُوَ صَاحِبُ أَقْوَالٍ يَنْصُهَا عَلَيْنَا فِي كَيْفِيَّاتِ الْعَمَلِ وَهُؤُلَاءِ أَكْثَرُ فُقَهَاءِ  
 عَصْرِنَا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ

(العدالة) \* وَهِيَ وَظِيفَةٌ دِينِيَّةٌ تَابِعَةٌ لِلْقَضَاءِ وَمِنْ مَوَادِّ تَصَرُّفِهِ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ  
 الْوِظِيفَةِ الْقِيَامُ عَنْ إِذْنِ الْقَاضِي بِالشَّهَادَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ تَحْمَلًا عِنْدَ  
 الْأَشْهَادِ وَأَدَاءً عِنْدَ التَّنَازُعِ وَكِتَابًا فِي السَّجِلَاتِ تُحْفَظُ بِهِ حُقُوقُ النَّاسِ وَأَمْلًا كَرَمًا  
 وَدَيُونُهُمْ وَسَائِرُ مُعَامَلَاتِهِمْ وَشَرَطُ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ الْإِتِّصَافُ بِالْعِدَالَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْبَرَاءَةِ  
 مِنَ الْجُرْحِ ثُمَّ الْقِيَامُ بِكُتُبِ السَّجِلَاتِ وَالْعُقُودِ مِنْ جِهَةِ عِبَارَاتِهَا وَانْظَامِ فُصُولِهَا وَمِنْ



جهة إحصاء شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ إلى ما يتعلق بذلك من الفقه  
ولاجل هذه الشروط وما يحتاج إليه من الميراث<sup>(١)</sup> على ذلك والمدارسة له اختص  
ذلك ببعض العدول وصار الصنف القائمون به كأنهم مختصون بالعدالة وليس كذلك  
وإنما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصحح أحوالهم  
والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه  
من حفظ حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن ذرته وإذا تعين هؤلاء  
لهذه الوظيفة عمت الفائدة في تعيين من تحقق عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار  
واشتباه الأحوال واضطرار القضاة إلى الفصل بين المتنازعين بالبيئات الموثوقة  
فيكون غالباً في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في سائر الامصار دكاكين ومصاطب  
يختصون بالجلوس عليها فيتعاهدون أصحاب المعاملات للاشهاد وتقييده بالكتاب  
وصار مدلول هذه اللفظة مشتركاً بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة  
الشرعية التي هي أخت الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله تعالى أعلم

### الحسبة والسكة

إما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين يعين لذلك من يراه أهلاً له فيتعين فرضه  
عليه ويتخذ الأعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزُر ويؤدب على قدرها  
ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات  
ومنع الحملين وأهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على أهل المباني  
المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدي  
المعلمين في المكاتب وغيرها في الإبلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا  
يتوقف حكمه على تنازع أو استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه  
من ذلك ويرفع إليه وليس له إمضاء الحكم في الدعاوي مطلقاً بل فيما يتعلق بالغش  
والتدليس في المعاش وغيرها في المكابيل والموازين وله أيضاً حمل المماطلين  
على الانصاف وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا إنفاذ حكم وكأنها أحكام

(١) الميراث بكسر الميم التمرن والاعتقاد على الشيء

يُنَزَّهُ الْقَاضِي عَنْهَا لِعُمُومِهَا وَسُهُولَةِ اغْتِزَافِهَا فَتُدْفَعُ إِلَى صَاحِبِ هَذِهِ الْوِظَافَةِ لِيَقُومَ بِهَا  
فَوْضَعُهَا عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَكُونُ خَادِمَةً لِمَنْصِبِ الْقَضَاءِ وَقَدْ كَانَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ مِثْلَ الْعَبِيدِيِّينَ بِمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَمَوِيِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ دَاخِلَةً فِي عُمُومِ  
وِلَايَةِ الْقَاضِي يُؤْتَى فِيهَا بِاخْتِيَارِهِ ثُمَّ لَمَّا انْفَرَدَتْ وَظِيفَةُ السُّلْطَانِ عَنِ الْخِلَافَةِ وَصَارَ  
نَظَرُهُ عَامًّا فِي أُمُورِ السِّيَاسَةِ انْتَدَرَجَتْ فِي وَظَائِفِ الْمَلِكِ وَأُفْرِدَتْ بِالْوِلَايَةِ  
وَأَمَّا السِّكَّةُ فَهِيَ النَّظَرُ فِي النُّقُودِ الْمُتَعَامَلِ بَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَحِفْظُهَا مِمَّا يَدْخُلُهَا  
مِنَ الْغِشِّ أَوْ النِّقْصِ إِنْ كَانَ يُتَعَامَلُ بِهَا عَدَدًا أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ وَيُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ  
جَمِيعِ الْأَعْتِبَارَاتِ ثُمَّ فِي وَضْعِ عِلَامَةِ السُّلْطَانِ عَلَى تِلْكَ النُّقُودِ بِالْإِسْتِجَادَةِ وَالْخُلُوصِ  
بِرِسْمِ تِلْكَ الْعِلَامَةِ فِيهَا مِنْ خَاتَمِ حَدِيدٍ اتَّخَذَ لِدَلَالَةٍ وَتُقِشَ فِيهِ نُقُوشٌ خَاصَّةٌ بِهِ فَيُوضَعُ  
عَلَى الدِّرِينَارِ بَعْدَ أَنْ يَقْدَرَ وَيُضْرَبَ عَلَيْهِ بِالْمِطْرَقَةِ حَتَّى تُرْمَمَ فِيهِ تِلْكَ النُّقُوشُ وَتَكُونُ  
عِلَامَةً عَلَى جُودَتِهِ بِحَسَبِ الْغَايَةِ الَّتِي وَقَفَ عِنْدَهَا السِّبْكُ وَالتَّخْلِيصُ فِي مُتَعَارِفِ أَهْلِ  
الْقُطْرِ وَمَذَاهِبِ الدَّوْلَةِ الْحَاكِمَةِ فَإِنَّ السِّبْكُ وَالتَّخْلِيصَ فِي النُّقُودِ لَا يَقِفُ عِنْدَ غَايَةٍ  
وَإِنَّمَا تَرْجِعُ غَايَتُهُ إِلَى الْإِجْتِهَادِ فَإِذَا وَقَفَ أَهْلُ أَفْقٍ أَوْ قُطْرٍ عَلَى غَايَةٍ مِنَ التَّخْلِيصِ  
وَقَفُوا عِنْدَهَا وَسَمَّوْهَا إِمَامًا وَعِيَارًا يَعْتَبِرُونَ بِهِ نُقُودَهُمْ وَيَتَّقِدُونَهَا بِمِثَالَتِهِ فَإِنْ نَقَصَ  
عَنْ ذَلِكَ كَانَ زَيْفًا وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِصْحَابُ هَذِهِ الْوِظَافَةِ وَهِيَ دِينِيَّةٌ بِهَذَا  
الْأَعْتِبَارِ فَتَنْدَرِجُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ وَقَدْ كَانَتْ تَنْدَرِجُ فِي عُمُومِ وِلَايَةِ الْقَاضِي ثُمَّ أُفْرِدَتْ  
لِهَذَا الْعَهْدِ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَبْشَةِ هَذَا آخِرُ الْكَلَامِ فِي الْوِظَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَبَقِيَ مِنْهَا  
وَظَائِفُ ذَهَبَتْ بِذَهَابٍ مَا يُنْظَرُ فِيهِ وَأُخْرَى صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً فَوْظِيفَةُ الْإِمَارَةِ وَالْوِزَارَةِ  
وَالْحَرْبِ وَالْخِرَاجِ صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً نَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا فِي أَمَّا كُنْهَا بَعْدَ وَظِيفَةِ الْجِهَادِ وَوَظِيفَةُ  
الْجِهَادِ بَطَلَتْ بِطُلَانِهِ إِلَّا فِي قَلِيلٍ مِنَ الدُّوَلِ يُمَارِسُونَهُ وَيُذَرِّجُونَ أَحْكَامَهُ غَالِبًا فِي  
السُّلْطَانِيَّاتِ وَكَذَا نَقَابَةُ الْأَنْسَابِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْخِلَافَةِ أَوْ الْحَقِّ فِي بَيْتِ الْمَالِ  
قَدْ بَطَلَتْ لِذُورِ الْخِلَافَةِ وَرُسُومِهَا وَبِالْجُمْلَةِ قَدْ انْتَدَرَجَتْ رُسُومُ الْخِلَافَةِ وَوَظَائِفُهَا فِي  
رُسُومِ الْمَلِكِ وَالسِّيَاسَةِ فِي سَائِرِ الدُّوَلِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاللَّهُ مُصَرِّفُ الْأُمُورِ كَيْفَ يَشَاءُ



## الفصل الثاني والثلاثون

في اللقب بأمير المؤمنين وأنه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء  
وذلك أنه لما بويج أبو بكر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم  
وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الأمر  
على ذلك إلى أن هلك فلما بويج لعمر بعده إليه كانوا يدعونه خليفة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وكانهم استثقلوا هذا اللقب بكثرتهم وطول إضافته وأنه  
يتزايد فيما بعد دائماً إلى أن ينتهي إلى الهجنة ويذهب منه التمييز بتعدد الإضافات  
وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعى  
به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الأمير وهو فعيل من الإمارة وقد كان  
الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة  
أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لإمارته على جيش القادسية  
وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه  
يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال إن أول من دعاه  
بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمر بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل يريد جاء  
بافتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول أين أمير  
المؤمنين وسميها أصحابه فاستحسنوه وقالوا أصبت والله اسمه إنه والله أمير المؤمنين  
حقاً فدعوه بذلك وذهب لقباً له في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركون  
فيها أحد سواهم إلا سائر دولة بني أمية ثم إن الشيعة خصوا علياً باسم الإمام نعتاً له  
بالإمامة التي هي اخت الخلافة وتعريضاً بمذهبهم في أنه أحق بإمامة الصلاة من  
أبي بكر لما هو مذهبهم ويدعونهم فخصوه بهذا اللقب ولعن يسوقون إليه منصب  
الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالإمام ما داموا يدعون لهم في الخلفاء  
حتى إذا استولون على الدولة يحولون اللقب فيما بعده إلى أمير المؤمنين كما فعله  
شيعة بني العباس فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم بالإمام إلى إبراهيم الذي جهروا  
بالدعاء له وعقدوا الرايات للحرب على أمره فلما هلك دعي أخوه السفاح بأمير المؤمنين  
وكذا الرافضة بأفريقيا فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم من ولد إسماعيل بالإمام حتى

أَنْتَهَى الْأَمْرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَكَانُوا أَيْضًا يَدْعُونَهُ بِالْإِمَامِ وَلِابْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ  
 مِنْ بَعْدِهِ فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ لَهُمُ الْأَمْرَ دَعَوْا مِنْ بَعْدِهِمَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَا الْأَدَارِسَةَ  
 بِالْمَغْرِبِ كَانُوا يُلَقَّبُونَ أَدْرِيسَ بِالْإِمَامِ وَأَبْنَهُ أَدْرِيسَ الْأَصْغَرَ كَذَلِكَ وَهَكَذَا شَأْنُهُمْ  
 وَتَوَارَثَ الْخُلَفَاءُ هَذَا اللَّقَبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَعَلُوهُ مِمَّةً لِمَنْ يَمْلِكُ الْحِجَازَ وَالشَّامَ  
 وَالْعِرَاقَ وَالْمَوَاطِنَ الَّتِي هِيَ دِيَارُ الْعَرَبِ وَمَرَاكِزُ الدَّوْلَةِ وَأَهْلُ الْمِلَّةِ وَالْفَتْحِ وَازْدَادَ  
 لَذَلِكَ فِي عُتُقَانِ الدَّوْلَةِ وَبَدْخِهَا لَقَبٌ آخَرٌ لِلْخُلَفَاءِ يَمَيِّزُهُ عَنْ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ لِمَا فِي  
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَشْتِرَاكِ بَيْنَهُمْ فَاسْتَحْدَثَ لِذَلِكَ بَنُو الْعَبَّاسِ حِجَابًا لِأَسْمَائِهِمْ  
 الْأَعْلَامَ عَنْ أَسْمَائِهَا فِي أَلْسِنَةِ السُّوقِ وَصَوَّنَا لَهَا عَنِ الْإِبْتِدَالِ فَتَلَقَّبُوا بِالسَّنَاحِ وَالْمَنْصُورِ  
 وَالْمَهْدِيِّ وَالْهَادِي وَالرَّشِيدِ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ فِي ذَلِكَ الْعَبِيدِيُّونَ بِأَفْرِيقِيَّةِ  
 وَمِصْرَ وَتَجَافَى بَنُو أُمَيَّةَ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَشْرِقِ قَبْلَهُمْ مَعَ الْغَضَاضَةِ وَالسَّذَاجَةِ لِأَنَّ  
 الْعُرُوبِيَّةَ وَمَنَازِعَهَا لَمْ تَفَارِقْهُمْ حِينَئِذٍ وَلَمْ يَتَحَوَّلْ عَنْهُمْ شِعَارُ الْبِدَاوَةِ إِلَى شِعَارِ الْحِصَارَةِ  
 وَأَمَّا بِالْأَنْدَلُسِ فَتَلَقَّبُوا كَسَلَفِهِمْ مَعَ مَا عَمِلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْقُصُورِ عَنْ ذَلِكَ بِالْقُصُورِ  
 عَنْ مُلْكِ الْحِجَازِ أَصْلِ الْعَرَبِ وَالْمِائَةِ وَالْبُعْدِ عَنْ دَارِ الْخِلَافَةِ الَّتِي هِيَ مَرْكَزُ الْعَصَبِيَّةِ  
 وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا مَنَعُوا بِإِمَارَةِ الْقَاصِيَةِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ مَهَالِكِ بَنِي الْعَبَّاسِ حَتَّى إِذَا جَاءَ  
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخْلُ الْآخِرُ مِنْهُمْ وَهُوَ النَّاصِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ  
 ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ لِأَوَّلِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ وَاشْتَهَرَ مَا نَالَ الْخِلَافَةَ بِالْمَشْرِقِ  
 مِنَ الْخَجَرِ وَاسْتَبْدَادِ الْمَوَالِي وَعَيْشِهِمْ فِي الْخُلَفَاءِ بِالْعَزْلِ وَالْإِسْتِبْدَالِ وَالْقَتْلِ وَالسَّمَلِ  
 ذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا إِلَى مِثْلِ مَذَاهِبِ الْخُلَفَاءِ بِالْمَشْرِقِ وَأَفْرِيقِيَّةِ وَتَسَمَّى  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَلَقَّبَ بِالنَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ وَأَخَذَتْ مِنْ بَعْدِهِ عَادَةٌ وَمَذْهَبٌ لِقَنِّ عَنْهُ  
 وَلَمْ يَكُنْ لَا بَاءَهِ وَسَلَفِ قَوْمِهِ وَاسْتَمَرَ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَنْقَرَضَتْ عَصَبِيَّةُ  
 الْعَرَبِ أَجْمَعٍ وَذَهَبَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَ الْمَوَالِي مِنَ الْعَجَمِ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ وَالصَّنَائِعِ  
 عَلَى الْعَبِيدِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ وَصَنَاهُجُهُ عَلَى أُمَرَاءِ أَفْرِيقِيَّةِ وَزَنَاتُهُ عَلَى الْمَغْرِبِ وَمُلُوكِ  
 الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى أَمْرِ بَنِي أُمَيَّةَ وَأَقْنَسَمُوهُ وَأَفْتَرَقَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ فَأَخْتَلَفَتْ  
 مَذَاهِبُ الْمُلُوكِ بِالْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ فِي الْأَخْتِصَاصِ بِالْأَلْقَابِ بَعْدَ أَنْ تَسَمَّوْا جَمِيعًا  
 بِأَسْمِ السُّلْطَانِ فَأَمَّا مُلُوكُ الْمَشْرِقِ مِنَ الْعَجَمِ فَكَانَ الْخُلَفَاءُ يَخُصُّونَهُمْ بِالْأَلْقَابِ



تَشْرِيفِيَّةٍ حَتَّى يُسْتَشْعَرَ مِنْهَا أَنْقِيَادُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ وَحُسْنُ وَلَايَتِهِمْ مِثْلَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَعُضْدِ  
الدَّوْلَةِ وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ وَمَعَزِ الدَّوْلَةِ وَنَصِيرِ الدَّوْلَةِ وَنِظَامِ الْمُلْكِ وَبَهَاءِ الدَّوْلَةِ وَذَخِيرَةِ  
الْمُلْكِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ وَكَانَ الْعَبِيدِيُّونَ أَيْضًا يَخْصُونَ بِهَا أُمَرَاءَ صَنْهَاجَةَ فَلَمَّا اسْتَبَدُّوا  
عَلَى الْخِلَافَةِ قَنَعُوا بِهَذِهِ الْأَلْقَابِ وَتَجَافَوْا عَنِ الْأَقَابِ الْخِلَافَةِ أَدَبًا مَعَهَا وَعُدُولًا عَنْ  
سِمَانِهَا الْمُخْتَصَّةِ بِهَا شَأْنِ الْمُتَغَلِّبِينَ الْمُسْتَبَدِّينَ كَمَا قُلْنَا هُ وَنَزَعَ الْمُتَاَخِرُونَ أَعْلَامَهُ  
الْمَشْرِقِ حِينَ قَوِيَ اسْتِبْدَادُهُمْ عَلَى الْمُلْكِ وَعَلَا كِبَرُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ وَتَلَاشَتْ  
عَصَبِيَّةُ الْخِلَافَةِ وَأَضْمَعَتِ بِالْجُمْلَةِ إِلَى انْتِحَالِ الْأَقَابِ الْخِصَاصَةِ بِالْمُلْكِ مِثْلِ النَّاصِرِ  
وَالْمَنْصُورِ وَزِيَادَةِ عَلَى الْأَقَابِ يَخْصُونَ بِهَا قَبْلَ هَذَا الْإِنْتِحَالِ مُشْعِرَةً بِالْخُرُوجِ عَنْ رِبْقَةِ  
الْوَلَاءِ وَالْإِصْطِنَاعِ بِمَا أَضَافُوهَا إِلَى الدِّينِ فَقَطُّ فَيَقُولُونَ صَلاَحُ الدِّينِ أَسَدُ الدِّينِ  
نُورُ الدِّينِ وَأَمَّا مُلُوكُ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ فَأَقْتَسَمُوا الْأَقَابَ الْخِلَافَةَ وَتَوَزَّعُوهَا لِقُوَّةِ  
اسْتِبْدَادِهِمْ عَلَيْهَا بِمَا كَانُوا مِنْ قَبِيلِهَا وَعَصَبِيَّتِهَا فَتَلَقَّبُوا بِالنَّاصِرِ وَالْمَنْصُورِ وَالْمُعْتَمِدِ  
وَالْمُظَفَّرِ وَأَمْثَالِهَا كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي شَرْفٍ بَنَى عَلَيْهِمْ

بِمَا يَزْهَدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسِ أَسْمَاءُ مُعْتَمِدٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ  
الْأَقَابُ مَمْلُوكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَأَمْرٍ يَحْكِي انْتِفَاحًا صُورَةَ الْأَسَدِ

وَأَمَّا صَنْهَاجَةُ فَأَقْتَصَرُوا عَنِ الْأَقَابِ الَّتِي كَانَتْ الْخِلَافَةُ الْعَبِيدِيُّونَ يَلْقَبُونَ بِهَا لِتَنَوُّيَةِ مِثْلِ  
نَصِيرِ الدَّوْلَةِ وَمَعَزِ الدَّوْلَةِ وَاتَّصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ لَمَّا أَدَالُوا مِنْ دَعْوَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِدَعْوَةِ  
الْعَبَّاسِيِّينَ ثُمَّ بَعْدَتْ الشُّقَّةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخِلَافَةِ وَنَسُوا عَهْدَهَا فَنَسُوا هَذِهِ الْأَقَابَ وَأَقْتَصَرُوا  
عَلَى أَسْمِ السُّلْطَانِ وَكَذَا شَأْنُ مُلُوكِ مَغْرَاوَةِ بِالْمَغْرِبِ لَمْ يَنْتَحِلُوا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَقَابِ  
إِلَّا أَسْمَ السُّلْطَانِ جَزِيًّا عَلَى مَذَاهِبِ الْبِدَاوَةِ وَالْفَضَاضَةِ وَلَمَّا مَحِي رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَعَطَّلَ  
دَسْتُهَا وَقَامَ بِالْمَغْرِبِ مِنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ يُوسُفُ بْنُ نَاشِفِينَ مَلِكُ لِحْمُونَةَ فَمَلَكَ الْعُدُونَيْنِ  
وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِقْتِدَاءِ نَزَعَتْ بِهِ هِمَّتُهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ تَكْمِيلًا  
لِمَرَامِهِ دِينِهِ فَخَاطَبَ الْمُسْتَظْهَرَ الْعَبَّاسِيَّ وَأَوْفَدَ عَلَيْهِ يَبْعَتُهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الْعَرَبِيِّ وَابْنَهُ  
الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ مِنْ مَشِيخَةِ إِشْبِيلِيَّةٍ يَطْلُبَانِ تَوَلِيَّتَهُ إِيَّاهَا عَلَى الْمَغْرِبِ وَتَقْلِيدَهُ ذَلِكَ  
فَانْقَلَبُوا إِلَيْهِ بَعْدَ الْخِلَافَةِ لَهُ عَلَى الْمَغْرِبِ وَاسْتَشْعَارَ زِيَرَتِهِمْ فِي لُبُوسِهِ وَرُتْبَتِهِ وَخَاطَبَهُ  
فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَشْرِيفًا وَاخْتِصَاصًا فَاتَّخَذَهَا لِقَبًّا وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ دُعَايَ لَهُ بِأَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلِ أَدْبَا مَعَ رُتْبَةِ الْخِلَافَةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَقَوْمُهُ الْمُرَاطِبُونَ مِنْ انْتِحَالِ  
 الدِّينِ وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَجَاءَ الْمَهْدِيُّ عَلَى أَثَرِهِمْ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ أَخَذًا بِمَذَاهِبِ  
 الْأَشْعَرِيَّةِ نَاعِيًا عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ عُدُولَهُمْ عَنْهَا إِلَى تَقْلِيدِ السَّلَفِ فِي تَرْكِ التَّأْوِيلِ  
 لظَوَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَمَا يُوَوِّلُ إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنَ التَّجْسِيمِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيَّةِ  
 وَسَمَّى أَتْبَاعَهُ الْمُوَحِّدِينَ تَعْرِيفًا بِذَلِكَ النَّكِيرِ وَكَانَ يَرَى رَأْيَ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي  
 الْأِمَامِ الْمَعْصُومِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ يُحْفَظُ بِوُجُودِهِ نِظَامُ هَذَا الْعَالَمِ فَسَمَّى  
 بِالْإِمَامِ لِمَا قُلْنَاهُ أَوَّلًا مِنْ مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ فِي الْقَابِ خُلَفَائِهِمْ وَأَزْدَفَ بِالْمَعْصُومِ  
 إِشَارَةً إِلَى مَذْهَبِهِ فِي عِصْمَةِ الْإِمَامِ وَتَنَزَّهَ عِنْدَ أَتْبَاعِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخَذًا  
 بِمَذَاهِبِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الشَّيْعَةِ وَلِمَا فِيهَا مِنْ مُشَارَكَةِ الْأَغْمَارِ وَالْوِلْدَانِ مِنْ أَعْقَابِ  
 أَهْلِ الْخِلَافَةِ يَوْمئِذٍ بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ انْتَحَلَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَلِيَّ عَهْدِهِ الْقَبَّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَجَرَى عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ خُلَفَاءُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَالْأَبِي حَفْصٍ مِنْ بَعْدِهِمْ اسْتَشَارًا بِهِ  
 عَمَّنْ سِوَاهُمْ لِمَا دَعَا إِلَيْهِ شَيْخُهُمُ الْمَهْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُ صَاحِبُ الْأَمْرِ وَأَوْلِيَاؤُهُ مِنْ  
 بَعْدِهِ كَذَلِكَ دُونَ كُلِّ أَحَدٍ لَانْتِفَاءِ عَصِيَّةِ قُرَيْشٍ وَتَلَاشِيهَا فَكَانَ ذَلِكَ دَائِبُهُمْ وَلَمَّا  
 انْتَقَضَ الْأَمْرُ بِالْمَغْرِبِ وَانْتَزَعَتْ زُنَاتُهُ ذَهَبَ أَوَّلُهُمْ مَذَاهِبَ الْبِدَاوَةِ وَالسَّذَاجَةِ وَأَتْبَاعُ  
 لِمَثُونَةٍ فِي انْتِحَالِ الْقَبِّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَدْبَا مَعَ رُتْبَةِ الْخِلَافَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَى طَاعَتِهَا  
 لِبَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَوَّلًا وَلِبَنِي أَبِي حَفْصٍ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ تَزَعَّ الْمُتَاخِرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الْقَبِّ  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَانْتَجَلَوْهُ لِهَذَا الْعَهْدِ اسْتِبْلَاغًا فِي مَنَازِعِ الْمُلْكِ وَتَتَمِيمًا لِمَذَاهِبِهِ  
 وَسِمَانِهِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

### الفصل الثالث والثلاثون

في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود  
 اعْلَمْ أَنَّ الْمِلَّةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ قَائِمٍ عِنْدَ غَيْبَةِ النَّبِيِّ بِحَمْلِهِمْ عَلَى أَحْكَامِهَا وَشَرَائِعِهَا  
 وَيَكُونُ كَخَلِيفَةٍ فِيهِمْ لِلنَّبِيِّ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ وَالنُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ أَيْضًا بِمَا  
 تَقَدَّمَ مِنْ ضَرُورَةِ السِّيَاسَةِ فِيهِمْ لِلِاجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ شَخْصٍ بِحَمْلِهِمْ عَلَى  
 مَصَالِحِهِمْ وَيَزَعُهُمْ عَنْ مَفَاسِدِهِمْ بِالْقَهْرِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْمَلِكِ وَالْمِلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِمَا  
 كَانَ الْجِهَادُ فِيهَا مَشْرُوعًا لِعُمُومِ الدَّعْوَةِ وَحَمْلِ السَّكَاةِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ طَوْعًا أَوْ



كُرْهَا اتَّخَذَتْ فِيهَا اخْلَافَةً وَالْمَلِكُ لِمَوَاجِهَةِ الشُّوْكَةِ مِنَ الْقَائِمِينَ بِهَا إِلَيْهِمَا مَعًا وَأَمَّا  
مَا سِوَى الْمِلَّةِ إِلَّا سَلَامِيَّةٌ فَلَمْ تَكُنْ دَعْوَتُهُمْ عَامَّةً وَلَا الْجِهَادُ عِنْدَهُمْ مَشْرُوعًا إِلَّا  
فِي الْمُدَافَعَةِ فَقَطْ فَصَارَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ الدِّينِ فِيهَا لَا يَعْنِيهِ شَيْءٌ مِنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ وَإِنَّمَا  
وَقَعَ الْمَلِكُ لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ بِالْعَرَضِ وَالْأَمْرِ غَيْرِ دِينِي وَهُوَ مَا اقْتَضَتْ لَهُمُ الْعَصَبِيَّةُ لِمَا  
فِيهَا مِنَ الطَّلَبِ لِلْمَلِكِ بِالطَّبَعِ لِمَا قَدَّمَاهُ لَانَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ بِالْغَلَبِ عَلَى الْأُمَمِ  
كَمَا فِي الْمِلَّةِ إِلَّا سَلَامِيَّةٌ وَإِنَّمَا هُمْ مَطْلُوبُونَ بِإِقَامَةِ دِينِهِمْ فِي خَاصَّتِهِمْ وَلِذَلِكَ بَقِيَ  
بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَيُوشَعَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ لَا يَعْتَنُونَ  
بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُمْ بِإِقَامَةِ دِينِهِمْ فَقَطْ وَكَانَ الْقَائِمُ بِهِ يَنْهَى يُسَمَّى  
الْكُوهَنَ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقِيمُ لَهُمُ أَمْرَ الصَّلَاةِ وَالْقُرْبَانِ وَيَشْتَرِطُونَ  
فِيهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ هَارُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يُعْقِبْ ثُمَّ اخْتَارُوا  
لِإِقَامَةِ السِّيَاسَةِ الَّتِي هِيَ لِلْبَشَرِ بِالطَّبَعِ سَبْعِينَ سَنَةً كَانُوا يَتْلُونَ أَحْكَامَهُمْ الْعَامَّةَ  
وَالْكُوهَنُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ رُتَبَةً فِي الدِّينِ وَأَبْعَدُ عَنْ شُغْبِ الْأَحْكَامِ وَأَبْصَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ  
إِلَى أَنْ اسْتَحْكَمَتْ طَبِيعَةُ الْعَصَبِيَّةِ وَتَحَضَّتِ الشُّوْكَةُ لِلْمَلِكِ فَغَابُوا الْكَنْعَانِيِّينَ عَلَى  
الْأَرْضِ الَّتِي أَوْرَثَهُمُ اللَّهُ يَتَّيْتِ الْمَقْدِسَ وَمَا جَاوَرَهَا كَمَا بَيَّنَّ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَخَارَبَتْهُمْ أُمَمُ الْفِلِسْطِينِ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْأَزْمَنَ وَأَزْدَنَ وَعَمَّانَ  
وَمَارِبَ وَرِثَاسَتَهُمْ فِي ذَلِكَ رَاجِعَةً إِلَى شُيُوخِهِمْ وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ  
سَنَةٍ وَلَمْ تَكُنْ بِهِمْ صَوْلَةُ الْمَلِكِ وَضَجَرَ بَنُو طَالُوتَ وَغَلِبَ الْأُمَمُ وَقُتِلَ جَالُوتُ مَلِكُ  
الْفِلِسْطِينِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ دَاوُدُ ثُمَّ سَلِمَانُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَاسْتَفْحَلَ مُلْكُهُ وَأَمْتَدَّ  
إِلَى الْحِجَازِ ثُمَّ أَطْرَافِ الْيَمَنِ ثُمَّ إِلَى أَطْرَافِ بِلَادِ الرُّومِ ثُمَّ افْتَرَقَ الْأَسْبَاطُ مِنْ بَعْدِ  
سَلِمَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمُقْتَضَى الْعَصَبِيَّةِ فِي الدُّوَلِ كَمَا قَدَّمَاهُ إِلَى دَوْلَتَيْنِ كَانَتَا  
إِحْدَاهُمَا بِالْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ لِلْأَسْبَاطِ الْعَشْرَةِ وَالْآخَرَى بِالْقُدْسِ وَالشَّامِ لِبَنِي يَهُوذَا  
وَبَنِيَامِينَ ثُمَّ غَلِبَهُمْ بَنُو نَصْرٍ مَلِكُ بَابِلَ عَلَى مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَلِكِ أَوَّلًا الْأَسْبَاطُ  
الْعَشْرَةُ ثُمَّ ثَانِيًا بَنِي يَهُوذَا وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ بَعْدَ اتِّصَالِ مُلْكِهِمْ نَحْوَ أَلْفِ سَنَةٍ وَخَرَّبَ  
مَسْجِدَهُمْ وَأَحْرَقَ تَوْرَاتَهُمْ وَأَمَاتَ دِينَهُمْ وَتَقْلَهُمْ إِلَى أَصْبَهَانَ وَبِلَادِ الْعِرَاقِ إِلَى أَنْ  
رَدَّهُمْ بَعْضُ مُلُوكِ الْكِلْيَانِيَّةِ مِنَ الْفُرْسِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ سَنَةً مِنْ

خُرُوجِهِمْ فَبَنَوْا الْمَسْجِدَ وَأَقَامُوا أَمْرَ دِينِهِمْ عَلَى الرَّمَمِ الْأَوَّلِ لِلْكَهَنَةِ فَقَطَّ وَالْمَلِكُ  
لِلْفَرَسِ ثُمَّ غَابَ الْإِسْكَندَرُ وَبَنُو يُونَانَ عَلَى الْفَرَسِ وَصَارَ الْيَهُودُ فِي مَلَكَتِهِمْ ثُمَّ  
قَسَلَ أَمْرُ الْيُونَانِيِّينَ فَأَعَزَّ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ بِالْعَصِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَدَفَعُوهُمْ عَنْ الْأَسْتِيْلَاءِ  
عَلَيْهِمْ وَقَامَ بِمَلِكِهِمُ الْكَهَنَةُ الَّذِينَ كَانُوا فِيهِمْ مِنْ بَنِي حَشْمَنَائِي وَقَاتَلُوا يُونَانَ حَتَّى  
أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَغَلِبَهُمُ الرُّومُ فَصَارُوا تَحْتَ أَمْرِهِمْ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَفِيهَا  
بَنُو هِيرُودُسَ أَصْهَارُ بَنِي حَشْمَنَائِي وَبَقِيَتْ دَوْلَتُهُمْ فَحَاصَرُوهُمْ مَدَّةً ثُمَّ أَفْتَحُوهَا عَنْوَةً  
وَأَفْخَسُوا فِي الْقَتْلِ وَالْهَدْمِ وَالْتَحْرِيقِ وَخَرَبُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَجْلَوْهُمْ عَنْهَا إِلَى رُومَةٍ وَمَا  
وَرَاءَهَا وَهُوَ الْخَرَابُ الثَّانِي لِلْمَسْجِدِ وَيُسَمِّيهِ الْيَهُودُ بِالْجَلَاوَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ يَقُمْ لَهُمْ  
بَعْدَهَا مَلِكٌ لِإِقْدَانِ الْعَصِيَّةِ مِنْهُمْ وَبَقُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَلَكَةِ الرُّومِ مِنْ بَعْدِهِمْ يُقِيمُ  
لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمُ الرَّئِيسُ عَلَيْهِمُ الْمُسَمَّى بِالْكُوهِنِ ثُمَّ جَاءَ الْمَسِيحُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
عَلَيْهِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الدِّينِ وَالنَّسْخِ لِبَعْضِ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ  
الْعَجِيبَةُ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ  
وَأَمْنَوَ بِهِ وَأَكْثَرُهُمُ الْخَوَارِثُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ وَابْعَثَ مِنْهُمْ رُسُلًا إِلَى  
الْأَفَاقِ دَاعِينَ إِلَى مِلَّتِهِ وَذَلِكَ أَيَّامَ أَوْغُسْطُسَ أَوَّلِ مُلُوكِ الْقِيَاصِرَةِ وَفِي مَدَّةِ هِيرُودُسَ  
مَلِكِ الْيَهُودِ الَّذِي أَنْزَعَ الْمَلِكُ مِنْ بَنِي حَشْمَنَائِي أَصْهَارِهِ فَحَسَدَهُ الْيَهُودُ وَكَذَّبُوهُ  
وَكَتَبَ هِيرُودُسُ مَلِكُهُمْ مَلِكَ الْقِيَاصِرَةِ أَوْغُسْطُسَ يُغْرِيهِ بِهِ فَأَذِنَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ  
وَوَقَعَ مَا تَلَاهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَمْرِهِ وَافْتَرَقَ الْخَوَارِثُونَ شِيعًا وَدَخَلَ أَكْثَرُهُمْ بِلَادَ الرُّومِ  
دَاعِينَ إِلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ وَكَانَ بَطْرُسُ كَبِيرُهُمْ فَزَلَ بِرُومَةٍ دَارَ مَلِكِ الْقِيَاصِرَةِ ثُمَّ  
كَتَبُوا الْإِنْجِيلَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي نَسْخِ الْأَرْبَعِ عَلَى اخْتِلَافٍ  
رَوَايَاتِهِمْ فَكَتَبَ مَتَّى إِنْجِيلَهُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَنَقَلَهُ يُوحَنَّا بْنُ زَبْدِي  
مِنْهُمْ إِلَى اللِّسَانِ اللَّاتِينِيِّ وَكَتَبَ لُوقَا مِنْهُمْ إِنْجِيلَهُ بِاللَّاتِينِيِّ إِلَى بَعْضِ أَكْبَارِ الرُّومِ  
وَكَتَبَ يُوحَنَّا بْنُ زَبْدِي مِنْهُمْ إِنْجِيلَهُ بِرُومَةٍ وَكَتَبَ بَطْرُسُ إِنْجِيلَهُ بِاللَّاتِينِيِّ وَنَسَبَهُ  
إِلَى مَرْقَاصِ تَلْمِيذِهِ وَاخْتَلَفَتْ هَذِهِ النُّسَخُ الْأَرْبَعُ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ كُلُّهَا  
وَحِيدًا صَرَفًا بَلْ مَشُوبَةٌ بِكَلَامِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِكَلَامِ الْخَوَارِثِينَ وَكُلُّهَا مَوَاعِظُ  
وَقِصَصٌ وَالْأَحْكَامُ فِيهَا قَلِيلَةٌ جِدًّا وَاجْتَمَعَ الْخَوَارِثُونَ الرُّسُلُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ بِرُومَةٍ



وَوَضَعُوا قَوَانِينَ أَلْمَلَةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَصَيَّرُوهَا يَدَ أَقْلِيْمَنْطُسَ تَلْمِيذِ بَطْرُسَ وَكَتَبُوا فِيهَا  
عَدَدَ الْكُتُبِ الَّتِي يَجِبُ قَبُولُهَا وَالْعَمَلُ بِهَا مِنْ شَرِيعَةِ الْيَهُودِ الْقَدِيمَةِ الثَّوْرَةِ وَهِيَ خَمْسَةُ  
أَسْفَارَ وَكِتَابِ يُوشَعَ وَكِتَابِ الْقُضَاةِ وَكِتَابِ رَاعُوثَ وَكِتَابِ يَهُوذَا وَأَسْفَارُ الْمُلُوكِ  
أَرْبَعَةٌ وَسَفَرُ بَنِيَامِينَ وَكُتُبُ الْمُقَابِيْنِ لِأَنَّ كَرْيُونَ ثَلَاثَةٌ وَكِتَابُ عَزْرَا الْإِمَامِ  
وَكِتَابُ أَوْشِيرَ وَقِصَّةُ هَامَانَ وَكِتَابُ أَيُّوبَ الصِّدِّيقِ وَزَامِيرُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُتُبُ  
أَبْنَةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَةٌ وَنُبُوءَاتُ الْأَنْبِيَاءِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ سِتَّةٌ عَشَرَ وَكِتَابُ  
يَسُوعَ بْنِ شَارِخَ وَزَيْرِ سُلَيْمَانَ وَمِنْ شَرِيعَةِ عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُتَقَاتُ مِنْ  
الْحَوَارِيِّينَ نُسُخُ الْإِنْجِيلِ الْأَرْبَعِ وَكُتُبُ الْقِتَالِيْقُونَ سَبْعُ رَسَائِلَ وَثَامِنُهَا الْإِبْرِيْكَيْسُ  
فِي قِصَصِ الرُّسُلِ وَكِتَابُ بُولُسَ أَرْبَعُ عَشْرَةَ رِسَالَةً وَكِتَابُ أَقْلِيْمَنْطُسَ وَفِيهِ الْأَحْكَامُ  
وَكِتَابُ أَبُوغَالْمَسِيْسَ وَفِيهِ رُؤْيَا يُوْحَنَّا بْنِ زَبْدِي وَاخْتَلَفَتْ شَأْنُ الْقِيَاصِرَةِ فِي الْأَخْذِ  
بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ تَارَةً وَتَعْظِيمِ أَهْلِهَا ثُمَّ تَرْكِهَا أُخْرَى وَالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ وَالْبَغْيِ إِلَى  
أَنْ جَاءَ قُسْطَنْطِينُ وَأَخَذَ بِهَا وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا وَكَانَ صَاحِبُ هَذَا الدِّينِ وَالْمَقِيمِ  
لِمِرَاسِيْمِهِ يُسَمُّونَهُ الْبَطْرِكَ وَهُوَ رَأْسُ أَلْمَلَةِ عِنْدَهُمْ وَخَلِيفَةُ الْمَسِيْحِ فِيهِمْ يَبْعَثُ  
نُوَابَهُ وَخُلَفَاءَهُ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُ مِنْ أُمَّةٍ النَّصْرَانِيَّةِ وَيُسَمُّونَهُ الْأَسْقَفَ أَيْ نَائِبَ الْبَطْرِكَ  
وَيُسَمُّونَ الْإِمَامَ الَّذِي يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُفْتِيهِمْ فِي الدِّينِ بِالْقِسِيْسِ وَيُسَمُّونَ الْمُنْقَطِعَ  
الَّذِي حَبَسَ نَفْسَهُ فِي الْخَلْوَةِ لِلْعِبَادَةِ بِالرَّاهِبِ وَأَكْثَرُ خَلَوَاتِهِمْ فِي الصَّوَامِعِ وَكَانَ  
بَطْرُسُ الرَّسُولُ رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ وَكَبِيرُ التَّلَامِيْذِ بِرُومَةِ يُقِيمُ بِهَا دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَى  
أَنْ قَتَلَهُ نِيرُونُ خَامِسُ الْقِيَاصِرَةِ فِيمَنْ قَتَلَ مِنَ الْبَطَارِيقِ وَالْأَسَاقِفَةِ ثُمَّ قَامَ بِخِلَافَتِهِ فِي  
كُرْسِيِّ رُومَةِ آريُّوسُ وَكَانَ مَرْقَاسُ الْإِنْجِيلِيِّ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ دَاعِيًا  
سَبْعَ سِنِينَ فَقَامَ بَعْدَهُ حَنَانِيَا وَتَسَمَّى بِالْبَطْرِكَ وَهُوَ أَوَّلُ الْبَطَارِكَةِ فِيهَا وَجَعَلَ مَعَهُ  
اَثْنَيْ عَشَرَ قِسًّا عَلَى أَنَّهُ إِذَا مَاتَ الْبَطْرِكَ يَكُونُ وَاحِدٌ مِنْ اِلَاثْنَيْ عَشَرَ مَكَانَهُ وَيَخْتَارُ  
مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدًا مَكَانَ ذَلِكَ اِلَاثْنَيْ عَشَرَ فَكَانَ أَمْرُ الْبَطَارِكَةِ إِلَى الْقُسُوسِ ثُمَّ لَمَّا  
وَقَعَ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ فِي قَوَاعِدِ دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِ وَاجْتَمَعُوا بَنِيْقِيَّةَ أَيَّامَ قُسْطَنْطِينِ  
لِتَحْرِيرِ الْحَقِّ فِي الدِّينِ وَاتَّفَقَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَمَانِيَةٌ عَشَرَ مِنْ أَسَاقِفَتِهِمْ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ فِي  
الدِّينِ فَكَتَبُوهُ وَسَمَّوْهُ الْإِمَامَ وَصَيَّرُوهُ أَصْلًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَكَانَ فِيْمَا كَتَبُوهُ أَنَّ

البطرك القائم بالدين لا يرجع في تعيينه إلى اجتراح الأقسمة كما قرره حنايا تلميذ  
مرقاس وأبطلوا ذلك الرأي وإنما يقدم عن بلاء واختبار من أئمة المؤمنين  
ورؤسائهم فبقي الأمر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لهم  
مجمعات في تقريره ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقي الأمر فيها على ذلك واتصل  
فيهم نيابة الأساقفة عن البطاركة وكان الأساقفة يدعون البطرك بالآب أيضاً  
تعظيماً له فاشتبه الاسم في أعصار متطاولة يقال آخرها بطركية هرقل باسكندرية  
فأرادوا أن يميزوا البطرك عن الأسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه أبو الآباء  
وظهر هذا الاسم أول ظهوره بمصر على ما زعم جرجيس بن العميد في تاريخه ثم  
نقلوه إلى صاحب الكرسي الأعظم عندهم وهو كرسي بطرس الرسول كما قدمناه  
فلم يزل سمة عليه حتى الآن ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه  
في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبه  
فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة إلى أن استقرت لهم ثلاث  
طوائف هي فرقة ولا يلتفتون إلى غيرها وهم الملكية واليعقوبية والنسطورية ثم  
اختصت كل فرقة منهم بطرك فبطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على رأي  
الملكية ورومة لإفرنجية ومليكهم قائم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بمصر  
على رأي اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيهم والحبشة يدينون بدينهم وبطرك مصر  
فيهم أساقفة ينبون عنه في إقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا بطرك رومة  
لهذا العهد ولا تسمى اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بباءين موحدين  
من أسفل والنطق بها مخممة والثانية مشددة ومن مذاهب البابا عند الإفرنجية أنه  
يخصهم على الاتقياد لملك واحد يرجعون إليه في اختلافهم واجتماعهم تخرجاً من  
افتراق الكلمة ويشعري به العصية التي لا فوقها منهم لتكون يده عالية على  
جميعهم ويسمونه الإمبردور<sup>(١)</sup> وحرفه الوسط بين النال والطاء المعجمتين ومباشرة  
يضع التاج على رأسه للتبرك فيسمى المتوج ولعله معنى لفظة الإمبردور وهذا

(١) المشهور قديماً إمبراطور بالطاء المهبلية والفرنسيس يقول إمبرور ومعناها عندهم ملك الملوك



مُلَخَّصُ مَا أُورِدْنَاهُ مِنْ شَرْحِ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا أَلْبَابَا وَالْكُوهِنُ وَاللَّهُ يُضِلُّ  
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

## الفصل الرابع والثلاثون

في مراتب الملك والسلطان والقيام

إِذْ عَلِمَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي نَفْسِهِ ضَعِيفٌ يُحْمَلُ أَمْرًا ثَقِيلًا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْأَسْتِعَانَةِ بِأَنْبَاءِ  
جَنْسِهِ وَإِذَا كَانَ يَسْتَعِينُ بِهِمْ فِي ضَرُورَةٍ مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مَهْنِهِ <sup>(١)</sup> فَمَا ظَنُّكَ بِسِيَاسَةِ نَوْعِهِ  
وَمَنْ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى حِمَايَةِ الْكَافَّةِ مِنْ عَدُوِّهِ بِالْمُدَافَعَةِ  
عَنْهُمْ وَإِلَى كَفِّ عَدُوَانِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي أَنْفُسِهِمْ بِإِمْضَاءِ الْأَحْكَامِ الْوَازِعَةِ  
فِيهِمْ وَكَفِّ الْعَدُوَانِ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ بِإِصْلَاحِ سَائِلَتِهِمْ وَإِلَى حَمْلِهِمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ  
وَمَا تَعْمَلُهُمْ بِهِ الْبُلُوْى فِي مَعَاشِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ مِنْ تَقْدِ الْمَعَاشِ وَالْمَكَائِلِ وَالْمَوَازِينِ  
حَذَرًا مِنَ التَّطْفِيفِ وَإِلَى النَّظَرِ فِي السِّكَّةِ بِحِفْظِ الثُّقُودِ الَّتِي يَتَعَامَلُونَ بِهَا مِنَ الْغَشِّ  
وَإِلَى سِيَاسَتِهِمْ بِمَا يُرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الْإِتْقَانِ لَهُ وَالرِّضَى بِمَقَاصِدِهِ مِنْهُمْ وَاتِّفَادِهِ  
بِالْعَجْدِ دُونَهُمْ فَيَتَحَمَّلُ مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ الْغَايَةِ مِنْ مُعَانَةِ الْقُلُوبِ قَالَ بَعْضُ الْأَشْرَافِ  
مِنَ الْحُكَمَاءِ لِمُعَانَةِ ثَقَلِ الْجِبَالِ مِنْ أَمَاكِنِهَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مُعَانَةِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ  
إِنَّ الْأَسْتِعَانَةَ إِذَا كَانَتْ بِأُولِي الْقُرْبَى مِنْ أَهْلِ النَّسَبِ أَوْ التَّزْيِيَةِ أَوْ الْأَصْطِنَاعِ  
الْقَدِيمِ لِلدَّوْلَةِ كَانَتْ أَكْمَلَ لِمَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ مِنْ مُجَانَسَةِ خَلْقِهِمْ لِخَلْقِهِ فَنَتَمُّ الْمَشَاكَلَةِ  
فِي الْأَسْتِعَانَةِ قَالَ تَعَالَى وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي  
وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِي وَهُوَ إِمَّا أَنْ يَسْتَعِينَ فِي ذَلِكَ بِسَيْفِهِ أَوْ قَلَمِهِ أَوْ رَأْيِهِ أَوْ مَعَارِفِهِ  
أَوْ بِحُجَابِهِ عَنِ النَّاسِ أَنْ يَزْدَحِمُوا عَلَيْهِ فَيُشْغِلُوهُ عَنِ النَّظَرِ فِي مَهْمَاتِهِمْ أَوْ يَدْفَعِ النَّظَرَ  
فِي الْمُلْكِ كُلِّهِ وَيُعَوِّلَ عَلَى كِفَايَتِهِ فِي ذَلِكَ وَأَضْطَلَاعِهِ فَلِذَلِكَ قَدْ تَوَجَّدُ فِي رَجُلٍ  
وَاحِدٍ وَقَدْ تَفَرَّقَ فِي أَشْخَاصٍ وَقَدْ يَتَفَرَّعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ كَالْقَلَمِ  
يَتَفَرَّعُ إِلَى قَلَمِ الرِّسَالِ وَالْمُخَاطَبَاتِ وَقَلَمِ الصُّكُوكِ وَالْإِفْطَاعَاتِ وَإِلَى قَلَمِ الْمُحَاسَبَاتِ  
وَهُوَ صَاحِبُ الْجَبَايَةِ وَالْعَطَاءِ وَدِيَوَانُ الْجَيْشِ وَكَالِ السِّيفِ يَتَفَرَّعُ إِلَى صَاحِبِ الْحَرْبِ

(١) المهنة الخدمة وجمعها من بكسر الميم

وَصَاحِبِ الشُّرْطَةِ وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ وَوَلَايَةِ الثُّغُورِ ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الْوُظَائِفَ السُّلْطَانِيَّةَ فِي  
هَذِهِ الْمِلَّةِ إِلَّا سَلَامِيَّةً مُنْدرِجَةً تَحْتَ الْخِلَافَةِ لِاحْتِمَالِ مَنْصِبِ الْخِلَافَةِ عَلَى الدِّينِ  
وَالدُّنْيَا كَمَا قَدَّمَاهُ فَالْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِجَمِيعِهَا وَمَوْجُودَةٌ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ  
مِنْهَا فِي سَائِرِ وُجُوهِهَا لِعُمُومِ تَعَلُّقِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَالْفَقِيهُ يَنْظُرُ  
فِي مَرْتَبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَشُرُوطِ تَقْلِيدِهَا اسْتِبْدَادًا عَلَى الْخِلَافَةِ وَهُوَ مَعْنَى السُّلْطَانِ  
أَوْ تَعْوِيضًا مِنْهَا وَهُوَ مَعْنَى الْوِزَارَةِ عِنْدَهُمْ كَمَا يَأْتِي وَفِي نَظَرِهِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْأَمْوَالِ  
وَسَائِرِ السِّيَاسَاتِ مُطْلَقًا أَوْ مُقَيَّدًا وَفِي مُوجِبَاتِ الْعَزْلِ إِنْ عَرَضَتْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي  
الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَكَذَا فِي سَائِرِ الْوُظَائِفِ الَّتِي تَحْتَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ وَزَارَةٍ أَوْ  
جِيَاةٍ أَوْ وَلَايَةٍ لَا بُدَّ لِلْفَقِيهِ مِنَ النَّظَرِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ كَمَا قَدَّمَاهُ مِنْ انْسِحَابِ  
حُكْمِ الْخِلَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْمِلَّةِ إِلَّا سَلَامِيَّةً عَلَى رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِلَّا أَنْ  
كَلَامَنَا فِي وُظَائِفِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَرُتْبَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِمُقْتَضَى طَبِيعَةِ الْعُمَرَانِ وَوُجُودِ  
الْبَشَرِ لَا بِمَا يُخَصُّهَا مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فَلَيْسَ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا كَمَا عَلِمْتَ فَلَا  
مُتَحَاجٌّ إِلَى تَفْصِيلِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ مَعَ أَنَّهَا مُسْتَوْفَاةٌ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ  
مِثْلِ كِتَابِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ الْمَاوَرَدِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَعْلَامِ الْفُقَهَاءِ فَإِنْ أَرَدْتَ  
اسْتِيفَاءَهَا فَعَلَيْكَ بِمُطَالَعَتِهَا هُنَاكَ وَإِنَّمَا تَكَلَّمْنَا فِي الْوُظَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَأَفْرَدْنَاهَا  
لِنُمِيزَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوُظَائِفِ السُّلْطَانِيَّةِ فَقَطْ لَا لِتَحْقِيقِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ  
غَرَضِ كِتَابِنَا وَإِنَّمَا تَكَلَّمْنَا فِي ذَلِكَ بِمَا نَقْضِيهِ طَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ فِي الْوُجُودِ  
الْإِنْسَانِيِّ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

الوزارة \* وَهِيَ أُمُّ الْخَطَطِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالرُّتْبِ الْمُلُوكِيَّةِ لِأَنَّ اسْمَهَا يَدُلُّ عَلَى مُطْلَقِ  
الْإِعَانَةِ فَإِنَّ الْوِزَارَةَ مَأْخُودَةٌ إِمَّا مِنَ الْمُوَازَرَةِ وَهِيَ الْمَعَاوَنَةُ أَوْ مِنَ الْوِزْرِ وَهُوَ  
الْقَلْبُ كَأَنَّهُ يُحْمَلُ مَعَ مَفَاعِلِهِ أَوْ زَارَهُ وَاثْقَالُهُ وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْمَعَاوَنَةِ الْمُطْلَقَةِ وَقَدْ  
كُنَّا قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ أَنَّ أَحْوَالَ السُّلْطَانِ وَتَصَرُّفَاتِهِ لَا تَعْدُو أَرْبَعَةً لِأَنَّهَا إِمَّا أَنْ  
تَكُونَ فِي أُمُورِ حِمَايَةِ الْكِفَاةِ وَأَسْبَابِهَا مِنَ النَّظَرِ فِي الْجِدِّ وَالسِّلَاحِ وَالْحُرُوبِ وَسَائِرِ  
أُمُورِ الْحِمَايَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَصَاحِبُ هَذَا هُوَ الْوَزِيرُ الْمُتَعَارِفُ فِي الدُّوَلِ الْقَدِيمَةِ  
بِالْمَشْرِقِ وَلِهَذَا الْعَهْدُ بِالْمَغْرِبِ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ مُخَاطَبَاتِهِ لِمَنْ بَعْدَ عَنْهُ فِي



أُمُورِ جِبَايَةِ الْمَالِ وَإِتْفَاقِهِ وَضَبْطُ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ أَنْ يَكُونَ بِمَضَبَطَةٍ وَصَاحِبُ  
 هَذَا هُوَ صَاحِبُ الْمَالِ وَالْجِبَايَةِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْوَزِيرِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ وَإِمَّا أَنْ  
 يَكُونَ فِي مُدَافَعَةِ النَّاسِ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْهُ أَنْ يَزِدَّحُوا عَلَيْهِ فَيُشْغِلُوهُ عَنْ فَهْمِهِ وَهَذَا  
 رَاجِعٌ لِصَاحِبِ الْبَابِ الَّذِي يَحْتَجُّهُ فَلَا تَعْدُو أَحْوَالُهُ هَذِهِ إِلَّا زُبْعَةً بِوَجْهِهِ وَكُلُّ خِطَّةٍ  
 أَوْ رُتْبَةٍ مِنْ رُتَبِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ فَإِلَيْهَا يَرْجِعُ إِلَّا أَنْ الْأَرْزَاقَ مِنْهَا مَا كَانَتْ إِلَّا عَانَةً  
 فِيهِ عَامَّةً فِيمَا تَحْتَ يَدِ السُّلْطَانِ مِنْ ذَلِكَ الصِّنْفِ إِذْ هُوَ يَقْتَضِي مُبَاشَرَةَ السُّلْطَانِ دَائِمًا  
 وَمُشَارَكَتَهُ فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَحْوَالِ مُلْكِهِ وَأَمَّا مَا كَانَ خَاصًّا بِبَعْضِ النَّاسِ أَوْ  
 بِبَعْضِ الْجِهَاتِ فَيَكُونُ دُونَ الرُّتْبَةِ الْأُخْرَى كَقِيَادَةِ ثَغَرٍ أَوْ وَلَايَةِ جِبَايَةٍ خَاصَّةٍ أَوْ  
 النَّظَرِ فِي أَمْرِ خَاصٍّ كَحِسْبَةِ الطَّعَامِ أَوْ النَّظَرِ فِي السِّكَّةِ فَإِنْ هَذِهِ كُلُّهَا نَظَرٌ فِي  
 أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ فَيَكُونُ صَاحِبُهَا تَبَعًا لِأَهْلِ النَّظَرِ الْعَامِ وَتَكُونُ رُتْبَتُهُ مَرُوسَةً لِأُولَئِكَ  
 وَمَا زَالَ الْأَمْرُ فِي الدُّوَلِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ هَكَذَا حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ وَصَارَ الْأَمْرُ خِلَافَةً  
 فَذَهَبَتْ تِلْكَ الْخِطَطُ كُلُّهَا بِذَهَابِ رَسْمِ الْمَلِكِ إِلَى مَا هُوَ طَبِيعِيٌّ مِنَ الْمَعَاوَنَةِ بِالرَّأْيِ  
 وَالْمُفَاوَضَةِ فِيهِ فَلَمْ يُمْكِنْ زَوَالُهُ إِذْ هُوَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ وَيُفَاوِضُهُمْ فِي مَهْمَاتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَيَخُصُّ مَعَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ  
 بِمُخْصَصِيَّاتٍ أُخْرَى حَتَّى كَانَ الْعَرَبُ الَّذِينَ عَرَفُوا الدُّوَلَ وَأَحْوَالَهَا فِي كِسْرَى وَقَيْصَرَ  
 وَالنَّجَاشِيِّ يُسَمُّونَ أَبَا بَكْرٍ وَزِيرَهُ وَلَمْ يَكُنْ لَفْظُ الْوَزِيرِ يُعْرَفُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِذَهَابِ  
 رُتْبَةِ الْمَلِكِ بِسَدَاجَةِ الْإِسْلَامِ وَكَذَا عُمَرُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٌّ وَعُثْمَانُ مَعَ عُمَرَ وَأَمَّا  
 حَالُ الْجِبَايَةِ وَالْإِتْفَاقِ وَالْحِسْبَانِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ بِرُتْبَةٍ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا عَرَبًا أُمِّيِّينَ  
 لَا يُحْسِنُونَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ فَكَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ فِي الْحِسَابِ أَهْلَ الْكِتَابِ أَوْ أَفْرَادًا  
 مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ مِمَّنْ يُجِيدُهُ وَكَانَ قَلِيلًا فِيهِمْ وَأَمَّا أَشْرَافُهُمْ فَلَمْ يَكُونُوا يُجِيدُونَهُ  
 لِأَنَّ الْأُمِّيَّةَ كَانَتْ صِفَتَهُمُ الَّتِي أَمْتَاوُا بِهَا وَكَذَا حَالُ الْمُخَاطَبَاتِ وَتَنْفِيدِ الْأُمُورِ لَمْ  
 تَكُنْ عِنْدَهُمْ رُتْبَةٌ خَاصَّةٌ لِلْأُمِّيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ وَالْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ فِي كِثْمَانِ الْقَوْلِ  
 وَتَأْدِيتِهِ وَلَمْ تَخْرُجِ السِّيَاسَةُ إِلَى اخْتِيَارِهِ لِأَنَّ الْخِلَافَةَ إِنَّمَا هِيَ دِينٌ لَيْسَتْ مِنَ السِّيَاسَةِ  
 الْمُلْكِيَّةِ فِي شَيْءٍ وَأَيْضًا فَلَمْ تَكُنْ الْكِتَابَةُ صِنَاعَةً فَيُسْتَجَادُ الْخَلِيفَةُ أَحْسَنَهَا لِأَنَّ  
 الْكُلَّ كَانُوا يُعْبِرُونَ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ بِأَبْلَغِ الْعِبَارَاتِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْخَطُّ فَكَانَ الْخَلِيفَةُ

يَسْتَنْبِطُ فِي كِتَابَتِهِ مَتَى عَنْ لَهُ مِنْ يُحْسِنُهُ وَأَمَّا مُدَانَعَةُ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْ أَبْوَابِهِمْ  
فَكَانَ تَحْظُورًا بِالشَّرِيعَةِ فَلَمْ يَفْعَلُوهُ فَلَمَّا انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمَلِكِ وَجَاءَتْ رُسُومُ  
السُّلْطَانِ وَالْقَابَةِ كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ بُدِيَ بِهِ فِي الدَّوْلَةِ شَأْنُ الْبَابِ وَسَدُّ دُونِ الْجُيُورِ بِمَا  
كَانُوا يَخْشَوْنَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ اغْتِيَالِ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ كَمَا وَقَعَ بِعُمَرَ وَعَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ  
وَعُمَرَ بْنِ الْعَاصِي وَغَيْرِهِمْ مَعَ مَا فِي فَتْحِهِ مِنْ أَزْدِحَامِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ وَشُغْلِهِمْ بِهِمْ عَنْ  
الْمِهْمَاتِ فَاتَّخَذُوا مَنْ يَقُومُ لَهُمْ بِذَلِكَ وَسَمَّوهُ الْحَاجِبَ وَقَدْ جَاءَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا  
وَلَّى حَاجِبَهُ قَالَ لَهُ قَدْ وَلَّيْتُكَ حِجَابَةَ بَابِي إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةِ الْمُؤَذِّنِ لِلصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعِي  
اللَّهِ وَصَاحِبُ الْبَرِّ يَدِ فَأَمَرَهُ مَا جَاءَ بِهِ وَصَاحِبُ الطَّعَامِ إِيْمَالًا يَفْسُدُ ثُمَّ اسْتَفْحَلَ الْمَلِكُ بَعْدَ  
ذَلِكَ فَظَهَرَ الْمُشَاوَرُ وَالْمُعِينُ فِي أُمُورِ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ وَاسْتِثْلَافِهِمْ وَاطِّاقِ عَلَيْهِ أَسْمُ  
الْوَزِيرِ وَبَقِيَ أَمْرُ الْحِسْبَانِ فِي الْمَوَالِي وَالذَّمِّيِّينَ وَاتَّخَذَ لِلتَّجَلَّاتِ كَاتِبٌ مُخْصُوصٌ  
حَوْطَةً عَلَى أَسْرَارِ السُّلْطَانِ أَنْ تَشْتَرِ فَتَفْسُدَ سِيَاسَتُهُ مَعَ قَوْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ بِمَثَابَةِ  
الْوَزِيرِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَخْبِجُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْخَطُّ وَالْكِتَابُ لَا مِنْ حَيْثُ اللِّسَانُ الَّذِي هُوَ  
الْكَلَامُ إِذِ اللِّسَانُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَفْسُدْ فَكَانَتْ الْوِزَارَةُ لِذَلِكَ أَرْفَعَ رُتَبِهِمْ  
يَوْمَئِذٍ فِي سَائِرِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ نَكَانَ النَّظَرُ لِلْوَزِيرِ عَامًا فِي أحوَالِ التَّدْبِيرِ وَالْمُفَاوَضَاتِ  
وَسَائِرِ أُمُورِ الْحِمَايَاتِ وَالْمُطَالَبَاتِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ النَّظَرِ فِي دِيْوَانِ الْجُنْدِ وَفَرْضِ الْعَطَاءِ  
بِالْأَهْلِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَاسْتَفْحَلَ الْمَلِكُ وَعَظُمَتْ مَرَاتِبُهُ  
وَارْتَفَعَتْ وَعَظُمَ شَأْنُ الْوَزِيرِ وَصَارَتْ إِلَيْهِ النِّيَابَةُ فِي إِنْقَازِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ تَعَيَّنَتْ مَرَاتِبُهُ  
فِي الدَّوْلَةِ وَعَنْتَ لَهَا الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهَا الرِّقَابُ وَجُعِلَ لَهَا النَّظَرُ فِي دِيْوَانِ الْحِسْبَانِ  
لَمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ خَطُّهُ مِنْ قِسْمِ الْأَعْطِيَاتِ فِي الْجُنْدِ فَاحْتَاجَ إِلَى النَّظَرِ فِي جَمْعِهِ وَتَقْرِيقِهِ  
وَأُضِيفَ إِلَيْهِ النَّظَرُ فِيهِ ثُمَّ جُعِلَ لَهُ النَّظَرُ فِي الْقَلَمِ وَالتَّرْسِيلِ لِصَوْنِ أَسْرَارِ السُّلْطَانِ  
وَلِحِفْظِ الْبَلَاغَةِ لَمَّا كَانَ اللِّسَانُ قَدْ فَسَدَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَجُعِلَ الْخَاتَمُ لِسَجَلَاتِ السُّلْطَانِ  
لِيَحْفَظَهَا مِنَ الدِّيَاعِ وَالشِّيَاعِ وَدُفِعَ إِلَيْهِ فَصَارَ أَسْمُ الْوَزِيرِ جَامِعًا لَخَطِّي السِّيفِ وَالْقَلَمِ  
وَسَائِرِ مَعَانِي الْوِزَارَةِ وَالْمُعَاوَنَةِ حَتَّى لَقِيَ دُعَى جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بِالسُّلْطَانِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ  
إِشَارَةً إِلَى عُمُومِ نَظَرِهِ وَقِيَامِهِ بِالدَّوْلَةِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ مِنَ الرُّتَبِ السُّلْطَانِيَّةِ كُلِّهَا إِلَّا  
الْحِجَابَةُ الَّتِي هِيَ الْقِيَامُ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ تَكُنْ لَهُ لِاسْتِنْكَافِهِ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ فِي



لِدَوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ شَأْنُ الْأَسْتِبْدَادِ عَلَى السُّلْطَانِ وَتَعَاوَرَ فِيهَا اسْتِبْدَادُ الْوِزَارَةِ مَرَّةً وَالسُّلْطَانِ  
خَرَى وَصَارَ الْوَزِيرُ إِذَا اسْتَبَدَّ مُحْتَاجًا إِلَى اسْتِنَابَةِ الْخَلِيفَةِ إِيَّاهُ لِذَلِكَ لِتَصَحِّحِ الْأَحْكَامِ  
لِشَرْعِيَّةٍ وَتَجَبِّي عَلَى حَالِهَا كَمَا تَقَدَّمَتْ فَأَنْقَسَمَتِ الْوِزَارَةُ حِينَئِذٍ إِلَى وَزَارَةٍ تَنْفِيذٍ وَهِيَ  
حَالُ مَا يَكُونُ السُّلْطَانُ قَائِمًا عَلَى نَفْسِهِ وَإِلَى وَزَارَةٍ تَقْوِيضٍ وَهِيَ حَالُ مَا يَكُونُ الْوَزِيرُ  
اسْتَبَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَمَرَ الْأَسْتِبْدَادُ وَصَارَ الْأَمْرُ لِمُلُوكِ الْعَجَمِ وَتَعَطَّلَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَلَمْ  
يَكُنْ لِأُولَئِكَ الْمُتَغَلِّبِينَ أَنْ يَتَّحِلُوا الْقَابِ الْخِلَافَةِ وَاسْتَنْكَفُوا مِنْ مُشَارَكَةِ الْوُزَرَاءِ  
فِي الْقَابِ لِأَنَّهُمْ خَوَّلَ لَهُمْ فَتَسَمَّوْا بِالْإِمَارَةِ وَالسُّلْطَانِ وَكَانَ الْمُسْتَبَدُّ عَلَى الدَّوْلَةِ يُسَمَّى  
مِيرَ الْأَمْرَاءِ أَوْ بِالسُّلْطَانِ إِلَى مَا يُحْلِيهِ بِهِ الْخَلِيفَةُ مِنْ الْقَابِ كَمَا تَرَاهُ فِي الْقَابِ  
وَتَرَكَوْا اسْمَ الْوِزَارَةِ إِلَى مَنْ يَتَوَلَّاهَا لِلْخَلِيفَةِ فِي خَاصَّتِهِ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا الشَّأْنُ عِنْدَهُمْ إِلَى  
آخِرِ دَوْلَتِهِمْ وَفَسَدَ اللِّسَانُ خِلَالَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَصَارَتْ صِنَاعَةٌ يَتَّحِلُهَا بَعْضُ النَّاسِ  
فَأَمْتَنَتْ وَتَرَفَّعَ الْوَزَرَاءُ عَنْهَا لِذَلِكَ وَلِأَنَّهُمْ عَجَمٌ وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْبَلَاغَةُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ مِنْ  
لِسَانِهِمْ فَتُخَيَّرَ لَهَا مِنْ سَائِرِ الطَّبَقَاتِ وَاخْتَصَّتْ بِهِ وَصَارَتْ خَادِمَةً لِلْوَزِيرِ وَاخْتَصَّ  
اسْمُ الْأَمِيرِ بِصَاحِبِ الْحُرُوبِ وَالْجُنْدِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا وَيَدُهُ مَعَ ذَلِكَ عَالِيَةٌ عَلَى أَهْلِ  
الرُّتَبِ وَأَمْرُهُ نَافِذٌ فِي الْكُلِّ إِمَّا نِيَابَةً أَوْ اسْتِبْدَادًا وَاسْتَمَرَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا ثُمَّ جَاءَتْ  
دَوْلَةُ التُّرْكَ آخِرًا بِمِصْرَ فَرَأَوْا أَنَّ الْوِزَارَةَ قَدْ ابْتَدَلَتْ بِتَرَفُّعِ أُولَئِكَ عَنْهَا وَدَنَعَهَا لِمَنْ  
يَقُومُ بِهَا لِلْخَلِيفَةِ الْمُحْجُورِ وَنَظَرُهُ مَعَ ذَلِكَ مُتَعَقِّبٌ بِنَظَرِ الْأَمِيرِ فَصَارَتْ مَرُوسَةً نَاقِصَةً  
فَاسْتَنْكَفَ أَهْلُ هَذِهِ الرُّتَبَةِ الْعَالِيَةِ فِي الدَّوْلَةِ عَنْ اسْمِ الْوِزَارَةِ وَصَارَ صَاحِبُ  
الْأَحْكَامِ وَالنَّظَرِ فِي الْجُنْدِ يُسَمَّى عِنْدَهُمْ بِالنَّائِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَبَقِيَ اسْمُ الْحَاجِبِ فِي  
مَدْلُولِهِ وَاخْتَصَّ اسْمُ الْوَزِيرِ عِنْدَهُمْ بِالنَّظَرِ فِي الْجَبَايَةِ وَأَمَّا دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ  
فَانْفَقُوا اسْمَ الْوَزِيرِ فِي مَدْلُولِهِ أَوَّلَ الدَّوْلَةِ ثُمَّ قَسَدُوا خِطَّتَهُ أَصْنَافًا وَأَفْرَدُوا لِكُلِّ  
صِنْفٍ وَزِيرًا فَجَعَلُوا الْحِسْبَانَ الْمَالَ وَزِيرًا وَالتَّرْسِيلَ وَزِيرًا وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِ الْمُتَظَلِّمِينَ  
وَزِيرًا وَالنَّظَرَ فِي أَحْوَالِ أَهْلِ الثُّغُورِ وَزِيرًا وَجَعَلَ لَهُمْ بَيْتًا يَجْلِسُونَ فِيهِ عَلَى فُرْشٍ  
مُنْصَدَةٍ لَهُمْ وَيَنْقُذُونَ أَمْرَ السُّلْطَانِ هُنَاكَ كُلُّهُمْ فِيمَا جُعِلَ لَهُ وَأَفْرَدَ لِلتَّرَدُّدِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ  
الْخَلِيفَةِ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَرْتَفَعَ عَنْهُمْ بِبَاشَرَةِ السُّلْطَانِ فِي كُلِّ وَقْتٍ فَارْتَفَعَ مَجْلِسُهُ عَنْ

مَجَالِسِهِمْ وَخَصَّوهُ بِأَسْمِ الْحَاجِبِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ هَذَا إِلَى آخِرِ دَوْلَتِهِمْ فَأَرْتَفَعَتْ خِطَّةُ  
 الْحَاجِبِ وَمَرَّتْهُ عَلَى سَائِرِ الرُّتَبِ حَتَّى صَارَ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ يَنْتَحِلُونَ لِقَبَّهَا فَأَكْثَرُهُمْ  
 يَوْمَئِذٍ يُسَمَّى الْحَاجِبَ كَمَا نَذَكَّرُهُ ثُمَّ جَاءَتْ دَوْلَةُ الشَّيْعَةِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَالْقَيْرَوَانِ وَكَانَ  
 لِلْقَائِمِينَ بِهَا رُسُوحٌ فِي الْبِدَاوَةِ فَأَغْفَلُوا أَمْرَ هَذِهِ الْخِطَطِ أَوَّلًا وَتَنْقِيحِ أَسْمَائِهَا كَمَا  
 تَرَاهُ فِي أَخْبَارِ دَوْلَتِهِمْ \* وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَغْفَلَتْ الْأَمْرَ  
 أَوَّلًا لِلْبِدَاوَةِ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى انْتِحَالِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ وَكَانَ أَسْمُ الْوَزِيرِ فِي مَدْلُولِهِ ثُمَّ  
 اتَّبَعُوا دَوْلَةَ الْأُمَوِيِّينَ وَقَلَّدُوهَا فِي مَذَاهِبِ السُّلْطَانِ وَاخْتَارُوا أَسْمَ الْوَزِيرِ لِمَنْ  
 يَحْجُبُ السُّلْطَانُ فِي مَجْلِسِهِ وَيَقِفُ بِالْوُفُودِ وَالْدَاخِلِينَ عَلَى السُّلْطَانِ عِنْدَ الْحُدُودِ فِي تَحِيَّتِهِمْ  
 وَخِطَابِهِمْ وَالْآدَابِ الَّتِي تَلْزَمُ فِي الْكُفُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَفَعُوا خِطَّةَ الْحِجَابَةِ عَنْهُ مَا  
 شَاءُوا وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فَيُسَمُّونَ  
 هَذَا الَّذِي يَقِفُ بِالنَّاسِ عَلَى حُدُودِ الْآدَابِ فِي الْإِقَاءِ وَالنَّجِيَّةِ فِي مَجَالِسِ السُّلْطَانِ  
 وَالتَّقْدِمِ بِالْوُفُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ الدَّوِيْدَارَ وَيُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ اسْتِثْبَاعَ كَاتِبِ السِّرِّ وَأَصْحَابِ  
 الْبَرِيدِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي حَاجَاتِ السُّلْطَانِ بِالْقَاصِيَةِ وَبِالْحَاضِرَةِ وَحَالَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَاللَّهُ مُوَلِّي الْأُمُورِ لِمَنْ يَشَاءُ

( الحِجَابَةُ ) \* قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ كَانَ مَخْصُوصًا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
 وَالْعَبَّاسِيَّةِ بِمَنْ يَحْجُبُ السُّلْطَانِ عَنِ الْعَامَّةِ وَيُغْلِقُ بَابَهُ دُونَهُمْ أَوْ يَفْتَحُهُ لَهُمْ عَلَى  
 قَدَرِهِ فِي مَوَاقِفِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ مَنَزَلَةً يَوْمًا عَنِ الْخِطَطِ مَرُوسَةً لَهَا إِذَا الْوَزِيرُ مُتَصَرِّفٌ  
 فِيهَا بِمَا يَرَاهُ وَهَكَذَا كَانَتْ سَائِرُ أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى هَذَا الْعَهْدِ فَهِيَ بِمَصْرَ مَرُوسَةٌ  
 لِصَاحِبِ الْخِطَّةِ الْعُلِيَّا الْمُسَمَّى بِالنَّائِبِ \* وَأَمَّا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ  
 الْحِجَابَةُ لِمَنْ يَحْجُبُ السُّلْطَانِ عَنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَيَكُونُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوُزَرَاءِ  
 فَمِنْ دُونِهِمْ فَكَانَتْ فِي دَوْلَتِهِمْ رَفِيعَةً غَايَةً كَمَا تَرَاهُ فِي أَخْبَارِهِمْ كَأَنَّ حَدِيدَ وَغَيْرِهِ  
 مِنْ حِجَابِهِمْ ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْإِسْتِبدَادُ عَلَى الدَّوْلَةِ اخْتُصَّ الْمُسْتَبِدُّ بِأَسْمِ الْحِجَابَةِ لِشَرَفِهَا  
 فَكَانَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَأَبْنَاؤُهُ كَذَلِكَ وَلَمَّا بَدَّوْا فِي مَظَاهِرِ الْمَلِكِ وَأَطْوَارِهِ  
 جَاءَ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فَلَمْ يَتْرَكُوا لِقَبَّهَا وَكَانُوا يَعُدُّونَهُ شَرَفًا لَهُمْ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ  
 مُلْكًا بَعْدَ انْتِحَالِ الْقَابِ الْمَلِكِ وَأَسْمَائِهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ذِكْرِ الْحَاجِبِ وَذِي الْوِزَارَتَيْنِ



يَعْنُونَ بِهِ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ وَيَبْدُلُونَ بِالْحِجَابَةِ عَلَى حِجَابَةِ السُّلْطَانِ عَنِ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ  
وَيَبْدِي الْوِزَارَتَيْنِ عَنْ جَمْعِهِ لِحِطَّتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِي دَوْلِ الْمَغْرِبِ  
وَأَفْرِيقِيَّةَ ذِكْرًا لِهَذَا الْأَسْمِ لِلْبِدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ وَرُبَّمَا يُوْجَدُ فِي دَوْلَةِ الْعَبِيدِيْنَ  
بِمِصْرَ عِنْدَ اسْتِعْظَامِهَا وَحَضَارَتِهَا إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ \* وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ لَمْ  
تَسْتَمَكِنْ فِيهَا الْحَضَارَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى اتِّحَالِ الْأَلْقَابِ وَتَمْيِيزِ الْخِطَطِ وَتَعْيِينِهَا بِالْأَسْمَاءِ  
إِلَّا آخِرًا فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الرُّتَبِ إِلَّا الْوِزِيرُ فَكَانُوا أَوَّلًا يَخْصُونَ بِهَذَا الْأَسْمِ  
الْكَاتِبَ الْمُتَصَرِّفَ الْمُشَارِكَ لِلسُّلْطَانِ فِي خَاصِّ أَمْرِهِ كَابْنِ عَطِيَّةَ وَعَبْدَ السَّلَامِ  
الْكُوفِيَّ وَكَانَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ النَّظَرُ فِي الْحِسَابِ وَالْأَشْغَالِ الْمَالِيَّةِ ثُمَّ صَارَ بَعْدَ ذَلِكَ  
أَسْمُ الْوِزِيرِ لِأَهْلِ نَسَبِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ كَابْنِ جَامِعٍ وَغَيْرِهِ وَلَمْ يَكُنْ أَسْمُ  
الْحَاجِبِ مَعْرُوفًا فِي دَوْلَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ \* وَأَمَّا بَنُو أَبِي حَفْصٍ بِأَفْرِيقِيَّةَ فَكَانَتْ الرِّئَاسَةُ  
فِي دَوْلَتِهِمْ أَوَّلًا وَالتَّقْدِيمُ لَوِزِيرٍ وَالرَّأْيُ وَالْمَشُورَةُ وَكَانَ يُخَصُّ بِأَسْمِ شَيْخِ الْمُوَحِّدِينَ  
وَكَانَ لَهُ النَّظَرُ فِي الْوَلَايَاتِ وَالْعَزَلِ وَقَوْدِ الْعَسَاكِرِ وَالْحُرُوبِ وَأَخْصَصَ الْحِسْبَانُ  
وَالدِّيَّانُ بِرُتْبَةٍ أُخْرَى وَيُسَمَّى مَثُولِهَا بِصَاحِبِ الْأَشْغَالِ يَنْظُرُ فِيهَا النَّظَرَ الْمُطْلَقَ فِي  
الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَيُحَاسِبُ وَيَسْتَخْلَصُ الْأَمْوَالَ وَيُعَاقِبُ عَلَى التَّفْرِيطِ وَكَانَ مِنْ شَرْطِهِ  
أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ وَأَخْصَصَ عِنْدَهُمُ الْقَلَمُ أَيْضًا بِمَنْ يُجِيدُ التَّرْسِيلَ وَيُؤْتَمِنُ  
عَلَى الْأَسْرَارِ لِأَنَّ الْكِتَابَةَ لَمْ تَكُنْ مِنْ مُسْتَحَلِّ الْقَوْمِ وَلَا التَّرْسِيلَ بِلِسَانِهِمْ فَلَمْ  
يُشْرَطْ فِيهِ النَّسَبُ وَاحْتِجَاجُ السُّلْطَانِ لِاتِّسَاعِ مُلْكِهِ وَكَثْرَةِ الْمُؤْتَرَفِينَ بِدَارِهِ إِلَى  
قَهْرٍ مَانٍ خَاصٍّ بِدَارِهِ فِي أَحْوَالِهِ يُجَرِّبُهَا عَلَى قَدْرِهَا وَتَرْتَّبُهَا مِنْ رِزْقٍ وَعَطَاءٍ وَكُسُوفٍ  
وَنَفَقَةٍ فِي الْمَطَابَخِ وَالْإِصْطِبَالَاتِ وَغَيْرِهَا وَحَقَرِ الذَّخِيرَةِ وَتَنْفِيذِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي  
ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْحَيَاةِ فَخَصَّوهُ بِأَسْمِ الْحَاجِبِ وَرُبَّمَا أَضَافُوا إِلَيْهِ كِتَابَةَ الْعَلَامَةِ عَلَى  
السَّيْلَانِ إِذَا اتَّفَقَ أَنَّهُ يُحَسِّنُ صِنَاعَةَ الْكِتَابَةِ وَرُبَّمَا جَعَلُوهُ غَيْرَهُ وَاسْتَمَرَ الْأَمْرُ عَلَى  
ذَلِكَ وَحَجَبَ السُّلْطَانُ نَفْسَهُ عَنِ النَّاسِ فَصَارَ هَذَا الْحَاجِبُ وَاسِطَةً بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ أَهْلِ  
الرُّتَبِ كُلِّهِمْ ثُمَّ جُمِعَ لَهُ آخِرَ الدَّوْلَةِ السَّيْفُ وَالْحَرْبُ ثُمَّ الرَّأْيُ وَالْمَشُورَةُ فَصَارَتْ الْخِطَّةُ  
أَرْفَعَ الرُّتَبِ وَأَوْعَبَهَا لِلْخِطَطِ ثُمَّ جَاءَ الْأَسْتِبْدَادُ وَالْحَجَرُ مُدَّةً مِنْ بَعْدِ السُّلْطَانِ الثَّانِي عَشَرَ  
مِنْهُمْ ثُمَّ اسْتَبَدَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَفِيدُهُ السُّلْطَانُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَذْهَبَ أَثَارُ الْحَجَرِ

وَالْأَسْبَدَارِ بِإِذْهَابِ خِطَّةِ الْحِجَابَةِ الَّتِي كَانَتْ سُلْمًا إِلَيْهِ وَبَاشَرُ أُمُورِهِ كَأَنَّهَا بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ  
اسْتِعَانَةٍ بِأَحَدٍ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ

وَأَمَّا دَوْلَةُ زَنَاتَةَ بِالْمَغْرِبِ وَأَعْظَمُهَا دَوْلَةُ بَنِي مُرِينَ فَلَا أَثَرَ لِأَسْمِ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ  
وَأَمَّا رِئَاسَةُ الْحَرْبِ وَالْعَسَاكِرِ فَهِيَ لِلْوَزِيرِ وَرُتَبَةُ الْقَلَمِ فِي الْحِسْبَانِ وَالرِّسَالِ رَاجِعَةٌ  
إِلَى مَنْ يُحْسِنُهَا مِنْ أَهْلِهَا وَإِنْ اخْتَصَّتْ بَعْضُ الْبُيُوتِ الْمُصْطَنِعِينَ فِي دَوْلَتِهِمْ وَقَدْ  
تَجَمَّعَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ تَفَرَّقَ وَأَمَّا بَابُ السُّلْطَانِ وَحُجَّتُهُ عَنِ الْعَامَّةِ فَهِيَ رُتَبَةٌ عِنْدَهُمْ فَيَسْمَى  
صَاحِبُهَا عِنْدَهُمْ بِالْمِزْوَارِ وَمَعْنَاهُ الْمَقْدَمُ عَلَى الْجَنَادِ وَالْمُتَصَرِّفِينَ بِبَابِ السُّلْطَانِ فِي  
تَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ وَتَضَرِيفِ عُقُوبَاتِهِ وَإِنْ زَالَ سَطَوَاتِهِ وَحَفِظَ الْمُعْتَقَلِينَ فِي سِجُونِهِ وَالْعَرِيفُ  
عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ فَالْبَابُ لَهُ وَأَخَذَ النَّاسُ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ الْحُدُودِ فِي دَارِ الْعَامَّةِ رَاجِعُ  
إِلَيْهِ فَكَانَتْهَا وَزَارَةُ صُغْرَى . وَأَمَّا دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ فَلَا أَثَرَ عِنْدَهُمْ لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ  
الْأَلْقَابِ وَلَا تَمَيِيزِ الْخِطَطِ لِبِدَاوَةِ دَوْلَتِهِمْ وَقُصُورِهَا وَإِنَّمَا يَخْصُونَ بِأَسْمِ الْحَاجِبِ فِي  
بَعْضِ الْأَحْوَالِ مُنْفَذَ الْخَاصِّ بِالسُّلْطَانِ فِي دَارِهِ كَمَا كَانَ فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصٍ وَقَدْ  
يَجْمَعُونَ لَهُ الْحِسْبَانِ وَالسَّجَلِ كَمَا كَانَ فِيهَا حَمَامُهُمْ عَلَى ذَلِكَ تَقْلِيدُ الدَّوْلَةِ بِمَا كَانُوا فِي  
تَبِعَتِهَا وَقَائِمِينَ بِدَعْوَتِهَا مِنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَالْمَخْصُوصُ عِنْدَهُمْ بِالْحِسْبَانِ وَتَنْفِيزِ حَالِ السُّلْطَانِ  
وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْمَالِيَةِ يُسَمُّونَهُ بِالْوَكِيلِ وَأَمَّا الْوَزِيرُ فَكَالْوَزِيرِ إِلَّا أَنَّهُ يُجْمَعُ لَهُ التَّرْسِيلُ  
وَالسُّلْطَانُ عِنْدَهُمْ يَضَعُ خِطَّةً عَلَى السَّجَلَاتِ كُلِّهَا فَلَيْسَ هُنَاكَ خِطَّةُ الْعَامَّةِ كَمَا غَيْرُهُمْ مِنَ الدُّوَلِ  
وَأَمَّا دَوْلَةُ التُّرْكِ بِمِصْرَ فَأَسْمُ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ مَوْضُوعٌ لِلْحَاكِمِ مِنْ أَهْلِ الشُّوْكَةِ وَهُمْ التُّرْكُ  
يُنْفِذُ الْأَحْكَامَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ وَهُمْ مُتَعَدِّدُونَ وَهَذِهِ الْوُظَيْفَةُ عِنْدَهُمْ تَحْتَ وَظَيْفَةِ  
النِّيَابَةِ الَّتِي لَهَا الْحُكْمُ فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَفِي الْعَامَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلِلنَّائِبِ التَّوَايَةِ وَالْعَزَلُ  
فِي بَعْضِ الْوُظَائِفِ عَلَى الْأَحْيَانِ وَيَقْطَعُ الْقَلِيلَ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَيَبْتِهَا وَتُنْفِذُ أَوَامِرُهُ  
كَمَا تُنْفِذُ الْمَرَاسِمُ السُّلْطَانِيَّةُ وَكَانَ لَهُ النِّيَابَةُ الْمُطْلَقَةُ عَنِ السُّلْطَانِ وَالْحِجَابِ الْحُكْمِ فَقَطَّ  
فِي طَبَقَاتِ الْعَامَّةِ وَالْجُنْدِ عِنْدَ التَّرَافُعِ إِلَيْهِمْ وَإِجْبَارٍ مِنْ أَبِي الْإِنْقِيَادِ لِلْحُكْمِ وَطَوْرُهُمْ  
تَحْتَ طَوْرِ النِّيَابَةِ وَالْوَزِيرُ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ هُوَ صَاحِبُ جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ عَلَى  
اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا مِنْ خَرَاجٍ أَوْ مَكْسٍ أَوْ جِزْيَةٍ ثُمَّ فِي تَضَرِيفِهَا فِي الْأَتَقَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ



أَوْ الْجَرَائِزِ الْمُقَدَّرَةِ وَلَهُ مَعَ ذَلِكَ التَّوَلَّى وَالْعَزْلُ فِي سَائِرِ الْعُمَالِ الْمُبَاشِرِينَ لَهُمْ  
الْجَبَايَةَ وَالتَّنْفِيدَ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَتَبَايُنِ أَصْنَافِهِمْ وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ أَنْ يَكُونَ هَذَا  
الْوَزِيرُ مِنْ صِنْفِ الْقَبِيضِ الْقَائِمِينَ عَلَى دِيَوَانِ الْحِسْبَانِ وَالْجَبَايَةِ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِذَلِكَ فِي  
مَضَرٍّ مِنْ عُصُورٍ قَدِيمَةٍ وَقَدْ يُولِيهَا السُّلْطَانُ بَعْضَ الْأَحْيَانِ لِأَهْلِ الشُّوْكَةِ مِنْ رِجَالَاتِ  
الْثَّرِكِ أَوْ أُنْبَاءِهِمْ عَلَى حَسَبِ الدَّاعِيَةِ لِذَلِكَ وَاللَّهُ مُدَبِّرُ الْأُمُورِ وَمُضَرِّفُهَا بِحِكْمَتِهِ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

### ديوان الاعمال والجبايات

إِعْلَمَنَّ أَنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ مِنَ الْوُظَائِفِ الصَّرُورِيَّةِ لِلْمُلْكِ وَهِيَ الْقِيَامُ عَلَى أَعْمَالِ  
الْجَبَايَاتِ وَحِفْظِ حُقُوقِ الدَّوْلَةِ فِي الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَإِحْصَاءِ الْعَسَاكِرِ بِأَسْمَائِهِمْ وَتَقْدِيرِ  
أَرْزَاقِهِمْ وَصَرْفِ أُعْطِيَانِهِمْ فِي إِبَائَاتِهَا وَالرُّجُوعِ فِي ذَلِكَ إِلَى الْقَوَانِينِ الَّتِي يُرْتَبِهَا قَوْمَةُ  
تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَقَهَّارَةِ الدَّوْلَةِ وَهِيَ كُلُّهَا مَسْطُورَةٌ فِي كِتَابٍ شَاهِدٍ بِتَفَاصِيلِ ذَلِكَ فِي  
الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ مَبْنِيٍّ عَلَى جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنَ الْحِسَابِ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا الْمَهَرَّةُ مِنْ أَهْلِ  
تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْكِتَابُ بِالْدِيَوَانِ وَكَذَلِكَ مَكَانُ جُلُوسِ الْعُمَالِ  
الْمُبَاشِرِينَ لَهَا \* وَيُقَالُ إِنَّ أَصْلَ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ أَنَّ كِسْرَى نَظَرَ يَوْمًا إِلَى كِتَابِ  
دِيَوَانِهِ وَهُمْ يَتَحَسَّبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَانَهُمْ يُحَادِثُونَ فَقَالَ دِيَوَانُهُ أَيُّ تَجَانِينُ بِلُغَةِ الْفَرَسِ  
فَسُمِّيَ مَوْضِعُهُمْ بِذَلِكَ وَحُذِفَتِ الْإِثَاءُ لِكثَرَةِ الْأَسْتِعْمَالِ تَخْفِيفًا فَقِيلَ دِيَوَانٌ ثُمَّ نُقِلَ هَذَا  
الِاسْمُ إِلَى كِتَابِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمُتَضَمِّنِ لِلْقَوَانِينِ وَالْحِسْبَانَاتِ وَقِيلَ إِنَّهُ اسْمُ  
لِلشَّيَاطِينِ بِالْفَارْسِيَّةِ سُمِّيَ الْكِتَابُ بِذَلِكَ لِسُرْعَةِ تَقْوِذِهِمْ فِي فَهْمِ الْأُمُورِ وَوُقُوفِهِمْ عَلَى  
الْجُلِيِّ مِنْهَا وَالْخَفِيِّ وَجَمْعِهِمْ لِمَا شَدَّ وَتَفَرَّقَ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى مَكَانِ جُلُوسِهِمْ لِتِلْكَ الْأَعْمَالِ  
وَعَلَى هَذَا فَيَتَنَاوَلُ اسْمُ الدِّيَوَانِ كِتَابَ الرِّسَالِ وَمَكَانَ جُلُوسِهِ بِيَابَ السُّلْطَانِ عَلَى مَا  
يَأْتِي بَعْدُ وَقَدْ تُفَرَّدُ هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ بِنَظَرٍ وَاحِدٍ يَنْظُرُ فِي سَائِرِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ يُفَرَّدُ  
كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا بِنَظَرٍ كَمَا يُفَرَّدُ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ النَّظَرُ فِي الْعَسَاكِرِ وَإِقْطَاعَاتِهِمْ  
وَحِسْبَانِ أُعْطِيَانِهِمْ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مُصْطَلَحِ الدَّوْلَةِ وَمَا قَرَّرَهُ أَوَّلُهَا . وَاعْلَمْ  
أَنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ إِنَّمَا تَحْدُثُ فِي الدُّوَلِ عِنْدَ تَمَكُّنِ الْغَلْبِ وَالْإِسْتِيلَاءِ وَالنَّظَرِ فِي  
أَعْطَافِ الْمُلْكِ وَفُنُونِ التَّمْهِيدِ وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الدِّيَوَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عُمَرُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَالُ لِسَبَبٍ مَالٌ أَتَى بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَأَسْتَكْثَرُوهُ  
 وَتَعَبُوا فِي قَسْمِهِ فَسَمَوْا إِلَى إِحْصَاءِ الْأَمْوَالِ وَضَبَطِ الْعَطَاءِ وَالْحَقُوقِ فَأَشَارَ خَالِدُ بْنُ  
 الْوَلِيدِ بِالْدِيَّانِ وَقَالَ رَأَيْتُ مُلُوكَ الشَّامِ يَدُونُونَ فَقِيلَ مِنْهُ عَمْرٌ وَقِيلَ بَلْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِهِ  
 الْهَرَمِزَانُ لَمَّا رَأَاهُ تَبَعْتُ الْبُعُوثَ بِغَيْرِ دِيَّانٍ فَقِيلَ لَهُ وَمَنْ يَعْلَمُ بِغَيْبَةٍ مَنْ يَغِيبُ مِنْهُمْ  
 فَإِنْ مَنْ تَخَلَّفَ أَخْلَ بِمَكَانِهِ وَإِنَّمَا يَضْبُطُ ذَلِكَ الْكِتَابُ فَأَثَبَتْ لَهُمْ دِيَّانًا وَسَأَلَ  
 عَمْرٌ عَنْ أَسْمِ الدِّيَّانِ فَعَبَّرَ لَهُ وَلَمَّا اجْتَمَعَ ذَلِكَ أَمْرٌ عَقِيلَ بَنَ أَبِي طَالِبٍ وَمُخْرَمَةَ  
 ابْنُ نَوْفَلٍ وَجُبَيْرُ بْنُ مَطْعَمٍ وَكَانُوا مِنْ كُتَّابِ قُرَيْشٍ فَكَتَبُوا دِيَّانَ الْعَسَاكِرِ إِلَّا سَلَامِيَّةَ  
 عَلَى تَرْتِيبِ الْأَنْسَابِ مُبْتَدَأً مِنْ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا بَعْدَهَا الْأَقْرَبُ  
 فَأَلْفَرَبُ هَكَذَا كَانَ أَيْدَاءُ دِيَّانِ الْجَيْشِ وَرَوَى الزُّهْرِيُّ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْمُسَيَّبِ  
 أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَمَّا دِيَّانُ الْخَرَاجِ وَالْجَبَايَاتِ فَبَقِيَ بَعْدَ  
 إِلَّا سَلَامَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ دِيَّانِ الْعِرَاقِ بِالْفَارِسِيَّةِ وَدِيَّانِ الشَّامِ بِالرُّومِيَّةِ  
 وَكِتَابُ الدَّوَاوِينِ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَاسْتَحَالَ  
 الْأَمْرُ مُلْكًا وَانْتَقَلَ الْقَوْمُ مِنْ غَضَاضَةِ الْبِدَاوَةِ إِلَى رَوْنَقِ الْحِضَارَةِ وَمِنْ سَدَاجَةِ  
 الْأُمِّيَّةِ إِلَى حَذَقِ الْكِتَابَةِ وَظَهَرَ فِي الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ مَهْرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالْحِسْبَانِ  
 فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ بْنُ سَعْدٍ وَابْنَ الْأَزْدِ لِعَهْدِهِ أَنْ يَنْقُلَ دِيَّانَ الشَّامِ إِلَى  
 الْعَرَبِيَّةِ فَأَكْمَلَهُ لِسَنَةِ مِنْ يَوْمِ أَيْدَائِهِ وَوَقَفَ عَلَيْهِ سَرْحُونُ كَاتِبُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ  
 لِكُتَّابِ الرُّومِ أَطْلُبُوا الْعَيْشَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَقَدْ قَطَعَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ . وَأَمَّا دِيَّانُ  
 الْعِرَاقِ فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ كَاتِبَهُ صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ  
 وَلَقِنَ ذَلِكَ عَنْ زَادَانَ فَرُوخَ كَاتِبِ الْحَجَّاجِ قَبْلَهُ وَلَمَّا قُتِلَ زَادَانُ فِي حَرْبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 ابْنِ الْأَشْعَثِ اسْتَخْلَفَ الْحَجَّاجُ صَالِحًا هَذَا مَكَانَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْقُلَ الدِّيَّانَ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ  
 إِلَى الْعَرَبِيَّةِ فَفَعَلَ وَرَغِمَ لَذَلِكَ كُتَّابُ الْفُرْسِ وَكَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى يَقُولُ لَللَّهِ دَرُّ  
 صَالِحٍ مَا أَعْظَمَ مَنَّتُهُ عَلَى الْكِتَابِ ثُمَّ جُعِلَتْ هَذِهِ الْوُضَائِفَةُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 مُضَافَةً إِلَى مَنْ كَانَ لَهُ النَّظَرُ فِيهِ كَمَا كَانَ شَأْنُ بَنِي بَرْمَكٍ وَبَنِي سَهْلٍ بَنُ نُوحَيْتٍ  
 وَغَيْرِهِمْ مِنْ وَزَرَاءِ الدَّوْلَةِ . وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْوُضَائِفَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا  
 يَخْتَصُّ بِالْجَيْشِ أَوْ يَتَّيْتُ الْمَالِ فِي الدَّخْلِ وَالْخَرْجِ وَتَمْيِيزِ النَّوَاحِي بِالصِّلَحِ وَالْعُنُوفَةِ وَفِي تَقْلِيدِ



هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكتاب وقوانين الحسابات فأمره راجع  
إلى كتب الأحكام السلطانية وهي مسطورة هناك وليست من غرض كتابنا وإنما تكلم  
فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من  
الملك بل هي ثالثة أركانها لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه  
فاحتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيف وأمر القلم وأمر المال فينفرد  
صاحبها لذلك بجزء من رئاسة الملك وكذلك كان الأمر في دولة بني أمية بالأندلس  
والطوائف بعدهم وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها إنما يكون من الموحدين  
يستقل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاية والعمال فيها  
ثم تنفيذها على قدرها وفي موافقتها وكان يعرف بصاحب الأشغال وكان ربما يليها  
في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها ولما استبد بنو أبي حفص بأفريقية وكان شأن  
الجلالية من الأندلس فقدم عليهم أهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الأندلس  
مثل بني سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين ببني أبي الحسن فاستكفوا بهم  
في ذلك وجعلوا لهم النظر في الأشغال كما كان لهم بالأندلس ودألوا فيها بينهم وبين  
الموحدين ثم استقل بها أهل الحساب والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما  
استغلت أمر الحاجب ونفذ أمره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم  
وصار صاحبه مروءة للحاجب وأصبح من جملة الجباة وذهبت تلك الرئاسة التي كانت  
له في الدولة وأما دولة بني مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخراج يجمع لواحده  
وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها ويرجع إلى ديوانه ونظيره  
معقب بنظر السلطان أو الوزير وخطه معتبر في صحة الحساب في الخارج والعطاء  
هذه أصول الرتب والخطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر ومباشرة  
للسلطان وأما هذه الرتبة في دولة الترك فمشتوكة وصاحب ديوان العطاء يعرف  
بنظر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان الجباية العامة  
للدولة وهو أعلى رتب الناظرين في الأموال لأن النظر في الأموال عندهم يتنوع إلى  
رتب كثيرة لأنفساح دولتهم وعظمة سلطانهم واتساع الأموال والجبايات عن  
أن يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه فتعين للنظر العام

مِنْهَا هَذَا الْمَخْصُوصُ بِاسْمِ الْوَزِيرِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ رَدِيفٌ لِمَوْلَى مِنْ مَوَالِي السُّلْطَانِ  
وَأَهْلُ عَصَبِيَّتِهِ وَأَرْبَابُ السُّيُوفِ فِي الدَّوْلَةِ يَرْجِعُ نَظْرُ الْوَزِيرِ إِلَى نَظَرِهِ وَيَجْتَهِدُ جُهْدَهُ  
فِي مُتَابَعَتِهِ وَيَسْمَى عِنْدَهُمْ أَسْتَاذَ الدَّوْلَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْأُمَرَاءِ الْأَكْبَرِ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ  
الْجُنْدِ وَأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَيَتَّبِعُ هَذِهِ الْخِطَّةَ خِطَطُ عِنْدَهُمْ أُخْرَى كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْأَمْوَالِ  
وَالْحِسْبَانِ مَقْصُورَةُ النَّظَرِ إِلَى أُمُورٍ خَاصَّةٍ مِثْلِ نَظَرِ الْخَاصِّ وَهُوَ الْمُبَاشَرُ لِلْأَمْوَالِ  
السُّلْطَانِ الْخَاصَّةِ بِهِ مِنْ إِنْطَاعَاتِهِ أَوْ سَهْمَانِهِ مِنْ أَمْوَالِ الْخَرَاجِ وَبِلَادِ الْجَبَايَةِ مِمَّا لَيْسَ  
مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ الْعَامَّةِ وَهُوَ تَحْتَ يَدِ الْأَمِيرِ أَسْتَاذِ الدَّارِ وَإِنْ كَانَ الْوَزِيرُ مِنْ  
الْجُنْدِ فَلَا يَكُونُ لَأَسْتَاذِ الدَّارِ نَظْرٌ عَلَيْهِ وَنَظْرُ الْخَاصِّ تَحْتَ يَدِ الْخَازِنِ لِلْأَمْوَالِ السُّلْطَانِ  
مِنْ مَمَالِيكِهِ الْمُسَمَّى خَازِنَ الدَّارِ لِاخْتِصَاصِ وَظِيفَتِهَا بِمَا لِلْسُلْطَانِ الْخَاصِّ . هَذَا  
بَيَانُ هَذِهِ الْخِطَّةِ بِدَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ بَعْدَ مَا قَدَّمَناه مِنْ أَمْرِهَا بِالْمَغْرِبِ وَاللَّهُ مُصَرِّفُ  
الْأُمُورِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ

### ديوان الرسائل والكتابة

هَذِهِ الْوَظِيفَةُ غَيْرُ ضَرُورِيَّةٍ فِي الْمُلْكِ لِاسْتِغْنَاءِ كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ عَنْهَا رَأْسًا كَمَا فِي  
الدُّوَلِ الْعَرِيقَةِ فِي الْبِدَاوَةِ الَّتِي لَمْ يَأْخُذْهَا تَهْدِيبُ الْحِضَارَةِ وَلَا اسْتِحْكَامُ الصَّنَائِعِ وَإِنَّمَا  
أَكْدَا الْحَاجَةَ إِلَيْهَا فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ شَأْنُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَالْبَلَاغَةِ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ  
الْمَقَاصِدِ فَصَارَ الْكِتَابُ يُؤَدِّي كُنْهَ الْحَاجَةِ بِأَبْلَغٍ مِنَ الْعِبَارَةِ اللَّسَانِيَّةِ فِي الْأَكْثَرِ  
وَكَانَ الْكَاتِبُ لِلْأَمِيرِ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ نَسَبِهِ وَمِنْ عِظَمَاءِ قَبِيلِهِ كَمَا كَانَ لِلْخُلَفَاءِ وَأُمَرَاءِ  
الْصَّحَابَةِ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ اعْظَمَ أَمَانَتِهِمْ وَخُلُوصِ أَمْرَارِهِمْ فَلَمَّا فَسَدَ اللِّسَانُ وَصَارَ  
صِنَاعَةً اخْتَصَّ بِمَنْ يُحْسِنُهُ وَكَانَتْ عِنْدَ بَنِي الْعَبَّاسِ رَفِيعَةً وَكَانَ الْكَاتِبُ يُصْدِرُ السَّجِلَاتِ  
مُطْلَقَةً وَيَكْتُبُ فِي آخِرِهَا اسْمَهُ وَيَخْتُمُ عَلَيْهَا بِخَاتَمِ السُّلْطَانِ وَهُوَ طَابِعٌ مَنقُوشٌ فِيهِ  
اسْمُ السُّلْطَانِ أَوْ شَارَتْهُ يُغَمَسُ فِي طِينٍ أَحْمَرَ مُذَابٍ بِالْمَاءِ وَيُسَمَّى طِينُ الْخَتْمِ  
وَيُطْبَعُ بِهِ عَلَى طَرَفِي السَّجْلِ عِنْدَ طَبِيعِهِ وَإِنْصَافِهِ ثُمَّ صَارَتْ السَّجِلَاتُ مِنْ بَعْدِهِمْ تُصَدَّرُ  
بِاسْمِ السُّلْطَانِ وَيَضَعُ الْكَاتِبُ فِيهَا عَلَامَتَهُ أَوَّلًا أَوْ آخِرًا عَلَى حَسَبِ الْإِخْتِيَارِ فِي تَحْلِيلِهَا  
وَفِي لَفْظِهَا ثُمَّ قَدْ تَنَزَّلَ هَذِهِ الْخِطَّةُ بِارْتِفَاعِ الْمَكَانِ عِنْدَ السُّلْطَانِ لِغَيْرِ صَاحِبِهَا مِنْ أَهْلِ  
الْمَرَاتِبِ فِي الدَّوْلَةِ أَوْ اسْتِئْذَانِ وَزِيرٍ عَلَيْهِ فَتَصِيرُ عَلَامَةً هَذَا الْكِتَابِ مُلْغَاةً الْحُكْمِ



بِعَلَامَةِ الرَّئِيسِ عَلَيْهِ يَسْتَدِلُّ بِهَا فَيَكْتُبُ صُورَةَ عَلَامَتِهِ الْمَعْبُودَةِ وَالْحُكْمَ لِعَلَامَةِ ذَلِكَ  
 الرَّئِيسِ كَمَا وَقَعَ آخِرَ الدَّوْلَةِ الْخَفِصِيَّةِ لَمَّا ارْتَفَعَ شَأْنُ الْحِجَابَةِ وَصَارَ أَمْرُهَا إِلَى التَّفْوِيزِ  
 ثُمَّ الْإِسْتِدَادِ صَارَ حُكْمُ الْعَلَامَةِ الَّتِي لِلْكَاتِبِ مَأْنَى وَصُورَتُهَا ثَابِتَةً إِتْبَاعًا لِمَا سَلَفَ مِنْ أَمْرِهَا  
 فَصَارَ الْحَاجِبُ يَرْسِمُ لِلْكَاتِبِ إِمضَاءَ كِتَابِهِ ذَلِكَ بِخَطِّ يَصْنَعُهُ وَيَتَخَيَّرُ لَهُ مِنْ صِيغِ الْإِثْقَادِ  
 مَا شَاءَ فَيَاْتِمُرُ الْكَاتِبُ لَهُ وَيَضَعُ الْعَلَامَةَ الْمُعْتَادَةَ وَقَدْ يُخْتَصُّ السُّلْطَانُ لِنَفْسِهِ بِوَضْعِ  
 ذَلِكَ إِذَا كَانَ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ قَائِمًا عَلَى نَفْسِهِ فَيَرْسِمُ الْأَمْرَ لِلْكَاتِبِ لِيَضَعَ عِلَامَتَهُ \* وَمِنْ  
 خِطَطِ الْكِتَابَةِ التَّوْقِيعُ وَهُوَ أَنْ يَجْلِسَ الْكَاتِبُ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ فِي مَجَالِسِ حُكْمِهِ  
 وَفَصْلِهِ وَيُوقِعُ عَلَى الْقِصَصِ الْمَرْفُوعَةِ إِلَيْهِ أَحْكَامُهَا وَالْفَصْلِ فِيهَا مُتَقَاتَةً مِنَ السُّلْطَانِ بِأَوْجَرِ  
 لَفْظٍ وَأَبْلَغِهِ فَإِمَّا أَنْ تَصْدُرَ كَذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ يَخْتَرُ الْكَاتِبُ عَلَى مِثَالِهَا فِي سِجْلِ يَكُونُ بِيَدِ  
 صَاحِبِ الْقِصَّةِ وَيَحْتَاجُ الْمَوْقِعُ إِلَى عَارِضَةٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ يَسْتَقِيمُ بِهَا تَوْقِيعُهُ وَقَدْ كَانَ  
 جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يُوقِعُ فِي الْقِصَصِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ وَيَرْمِي بِالْقِصَّةِ إِلَى صَاحِبِهَا  
 فَكَانَتْ تَوْقِيعَاتُهُ يَتَنَافَسُ الْبَلَاغَةُ فِي تَحْصِيلِهَا لِلْوُقُوفِ فِيهَا عَلَى أَسَالِبِ الْبَلَاغَةِ وَفُنُونِهَا  
 حَتَّى قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ تُبَاعُ كُلُّ قِصَّةٍ مِنْهَا بِدِينَارٍ وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ الدَّوْلِ \* وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْخِطَّةِ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتَخَيَّرَ أَرْفَعَ طَبَقَاتِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْمُرُوءَةِ  
 وَالْحِشْمَةِ مِنْهُمْ وَزِيَادَةَ الْعِلْمِ وَعَارِضَةَ الْبَلَاغَةِ فَإِنَّهُ مُعَرَّضٌ لِلنَّظَرِ فِي أَصُولِ الْعِلْمِ لَمَّا  
 يَعْزُضُ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ وَمَقَاصِدِ أَحْكَامِهِمْ مِنْ أُمُثَالِ ذَلِكَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ عِشْرَةُ  
 الْمُلُوكِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْأَدَابِ وَالتَّخَلُّقِ بِالْفَضَائِلِ مَعَ مَا يُضْطَرُّ إِلَيْهِ فِي التَّرْسِيلِ وَتَطْبِيقِ  
 مَقَاصِدِ الْكَلَامِ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَأَمْرَارِهَا وَقَدْ تَكُونُ الرَّتَبَةُ فِي بَعْضِ الدَّوْلِ مُسْتَنْدَةً  
 إِلَى أَرْبَابِ السُّيُوفِ لَمَّا يَقْتَضِيهِ طَبْعُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْبُعْدِ عَنْ مُعَانَاةِ الْعُلُومِ لِأَجْلِ سَدَاجَةِ  
 الْعَصِيَّةِ فَيَخْتَصُّ السُّلْطَانُ أَهْلَ عَصِيَّتِهِ بِخِطَطِ دَوْلَتِهِ وَسَائِرِ رُتَبِهِ فَيُقَلِّدُ أَلْمَالُ وَالسَّيْفُ  
 وَالْكِتَابَةُ مِنْهُمْ فَأَمَّا رُتَبَةُ السَّيْفِ فَتَسْتَعْنِي عَنْ مُعَانَاةِ الْعِلْمِ وَأَمَّا أَلْمَالُ وَالْكِتَابَةُ  
 فَيَضْطَرُّ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَاغَةُ فِي هَذِهِ وَالْحِسْبَانُ فِي الْأُخْرَى فَيَخْتَارُونَ لَهَا مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ  
 مَا دَعَتْ إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ وَيُقَلِّدُونَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَكُونُ يَدُ آخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ غَالِبَةً  
 عَلَى يَدِهِ وَيَكُونُ نَظَرُهُ مُنْصَرِفًا عَنْ نَظَرِهِ كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ  
 فَإِنَّ الْكِتَابَةَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ لِصَاحِبِ الْإِنْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ تَحْتَ يَدِ أَمِيرٍ مِنْ أَهْلِ

عَصِيَّةُ السُّلْطَانِ يُعْرِفُ بِالِدَوِيدَارِ وَتَعْوِيلُ السُّلْطَانِ وَوُثُوقُهُ بِهِ وَاسْتِنَامَتُهُ فِي غَالِبِ  
أَحْوَالِهِ إِلَيْهِ وَتَعْوِيلُهُ عَلَى الْآخِرِ فِي أَحْوَالِ الْبَلَاغَةِ وَتَطْبِيقِ الْمَقَاصِدِ وَكُتْمَانِ الْأَسْرَارِ  
وغير ذلك من تَوَابِعِهَا \* وَأَمَّا الشُّرُوطُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي صَاحِبِ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي يُلَاحِظُهَا  
السُّلْطَانُ فِي اخْتِيَارِهِ وَانْتِقَائِهِ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ فِيهِ كَثِيرَةٌ وَأَحْسَنُ مَنْ اسْتَوْعَبَهَا  
عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى الْكِتَابِ وَهِيَ أَمَّا بَعْدُ حَفِظَكُمْ اللَّهُ يَا أَهْلَ  
صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ وَحَاطَكُمْ وَوَقَّكُمْ وَأَرْشَدَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ  
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمُسْكِرِينَ  
أَصْنَافًا وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً وَحَرَّفَهُمْ فِي صُنُوفِ الصِّنَاعَاتِ وَضُرُوبِ الْمَحَاوَلَاتِ  
إِلَى أَسْبَابِ مَعَاشِهِمْ وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ فَجَعَلَكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ  
أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمَرْوَاتِ وَالْعِلْمِ وَالرِّزَانَةِ بِكُمْ يَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ مُحَاسِنُهَا وَتُسْتَقِيمُ أُمُورُهَا  
وَيُنْصَحَائِكُمْ يُصَلِّحُ اللَّهُ لِلْخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ وَتَعْمُرُ بِلَدَانَهُمْ لَا يَسْتَخْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ وَلَا  
يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ فَمَوْقِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعُ أَسْمَاعِهِمُ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ  
وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي بِهَا يَبْصُرُونَ وَالسِّنْتِمْ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ وَأَيْدِيهِمُ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُونَ فَأَمْتَعَكُمْ  
اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ وَلَا تَزَعْ عَنْكُمْ مَا أَضْفَاهُ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ  
وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَخْرَجَ إِلَى اجْتِمَاعٍ خِلَالَ الْخَيْرِ الْمَحْمُودَةِ وَخِصَالِ  
الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْكِتَابُ إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا  
الْكِتَابِ مِنْ صِنْتِكُمْ فَإِنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ فِي نَفْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَشُقُّ  
بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ فَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ مُقَدِّمًا  
فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ مُتَحَجِّمًا فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ مُؤَثِّرًا لِلْعَفَافِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ  
كُتْمًا لِلْأَسْرَارِ وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَالِمًا بِمَا يَأْتِي مِنَ النَّوَازِلِ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا  
وَالطَّوَارِقَ فِي أَمَاكِنِهَا قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ وَإِنْ لَمْ يُحْكَمْهُ أَخَذَ  
مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا يَكْتَفِي بِهِ يَعْرِفُ بِغَرِيزَةِ عَقْلِهِ وَحُسْنِ أَدَبِهِ وَفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ قَبْلَ  
وُرُودِهِ وَعَاقِبَتُهُ مَا يَصْدُرُّ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ فَيَعِدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عَادَتَهُ وَعِتَادَهُ وَيُهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ  
وَعَادَتَهُ فَيَتَنَافَسُوا يَا مَعَشَرَ الْكِتَابِ فِي صُنُوفِ الْأَدَابِ وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَابْدَأُوا بِعِلْمِ كِتَابِ  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّهَا ثِقَافُ السِّنْتِكُمْ ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ حَلِيَّةُ



كُتِبَ كُمْ وَأَرْوُوا الْأَشْعَارَ وَأَعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا  
 وَسِيرَهَا فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هِمَمُكُمْ وَلَا تُضِيعُوا النَّظَرَ فِي الْحِسَابِ  
 فَإِنَّهُ قِيَامُ كُتَابِ الْخُرَاجِ وَأَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِيهَا وَدَنِيهَا وَسَفَسَافِ  
 الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا فَإِنَّهَا مُدَّةٌ لِلرَّقَابِ مُفْسِدَةٌ لِلْكِتَابِ وَتَزْهُوا صِنَاعَتَكُمْ عَنِ الدَّنَاءَةِ  
 وَأَرْبَاوَا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبَرِ  
 وَالسَّخَفِ وَالْعِظَمَةِ فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ تَجْتَلِبُهُ مِنْ غَيْرِ إِخْنَةٍ وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ  
 وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْيَقُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنَّبْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ وَإِنْ نَبَا الزَّمَانُ  
 بِرَجُلٍ مِنْكُمْ فَأَعْطِفُوا عَلَيْهِ وَأَسْوَهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالُهُ وَيَثُوبَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَإِنْ أَقْعَدَ  
 أَحَدًا مِنْكُمْ الْكِبَرُ عَنْ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ فَزُورُوهُ وَعَظِّمُوهُ وَشَاوِرُوهُ وَأَسْتَظْهِرُوا  
 بِفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ وَلَيْكُنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ أَصْطَنَعَهُ وَأَسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ  
 حَاجَتِهِ إِلَيْهِ أَحَاطَ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ حَمْدَةٌ فَلَا يَصِفُهَا إِلَّا إِلَى  
 صَاحِبِهِ وَإِنْ عَرَضَتْ مَذْمُومَةٌ فَلْيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ وَلْيَحْذَرِ السَّقْطَةَ وَالزَّلَّةَ وَالْمَلَلَ عِنْدَ تَغْيِيرِ  
 الْحَالِ فَإِنَّ الْعَيْبَ إِلَيْكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى الْقُرَاءَةِ وَهُوَ لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ لَهُمْ فَقَدْ  
 عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحِبَهُ مَنْ يَبْدُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ فَوَاجِبٌ  
 عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِدَ لَهُ مِنْ وَفَائِهِ وَشُكْرِهِ وَأَخْتِمَالِهِ وَخَيْرِهِ وَنَصِيحَتِهِ وَكِتْمَانِ سِرِّهِ وَتَدْبِيرِ أَمْرِهِ  
 مَا هُوَ جَزَاءُ الْحَقِّ وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ بِفَعَالِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالْإِضْطِرَّارِ إِلَى مَا لَدَيْهِ فَاسْتَشْعِرُوا  
 ذَلِكَ وَفَقِّكُمْ اللَّهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالَةِ الرِّخَاءِ وَالشَّدَةِ وَالْحِرْمَانِ وَالْمُؤَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ  
 وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فَتَنَعَتِ السَّيِّئَةُ هَذِهِ مِنْ وَسْمِ بِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ وَإِذَا  
 وَثِيَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَوْصِرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلْقِ اللَّهِ وَعِيَالِهِ أَمْرٌ فَلْيُرَاقِبِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيُؤَثِّرْ  
 طَاعَتَهُ وَلْيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيقًا وَلِلْمَظْلُومِ مُنْصِفًا فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ إِلَيْهِ  
 أَرْفَقَهُمْ بِعِيَالِهِ ثُمَّ لَيْكُنْ بِالْعَدْلِ حَاكِمًا وَلِلْأَشْرَافِ مُكْرِمًا وَلِلْفُقَرَاءِ مُؤَفِّرًا وَلِلْبِلَادِ  
 عَامِرًا وَلِلرَّعِيَّةِ مُتَأَلِّفًا وَعَنْ أَذَاهُمْ مُتَخَلِّفًا وَلْيَكُنْ فِي تَجَلُّسِهِ مُتَوَاضِعًا حَلِيمًا وَفِي سَجَلَاتِ  
 خَرَاجِهِ وَأَسْتِغْضَاءِ حُقُوقِهِ رَفِيقًا وَإِذَا صَحِبَ أَحَدُكُمْ رَجُلًا فَلْيَخْتَبِرْ خَلِيقَتَهُ فَإِذَا عَرَفَ  
 حُسْنَهَا وَقُبْحَهَا أَعَانَهُ عَلَى مَا يُوَافِقُهُ مِنَ الْحَسَنِ وَأَخْتَالَ عَلَى صَرْفِهِ عَمَّا يَهْوَاهُ مِنَ الْقُبْحِ  
 بِاللَّطْفِ حِيلَةٍ وَأَجْمَلَ وَسِيلَةٍ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَائِسَ الْبَيْمَةِ إِذَا كَانَ بِصِيرًا بِسِيَاسَتِهَا

أَلْتَمَسَ مَعْرِفَةَ أَخْلَاقِهَا فَإِنْ كَانَتْ رَمُوحًا لَمْ يَهْجُهَا إِذَا رَكِبَهَا وَإِنْ كَانَتْ شَبُوبًا أَثَقَاها  
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَإِنْ خَافَ مِنْهَا شَرُّودًا تَوَقَّاهَا مِنْ نَاحِيَةِ رَأْسِهَا وَإِنْ كَانَتْ حَرُونًا قَمَعَ  
 بِرَفْقٍ هَوَاهَا فِي طَرَقِهَا فَإِنْ اسْتَمَرَّتْ عَطْفَهَا يَسِيرًا فَيَسْلُسُ لَهُ قِيَادُهَا وَفِي هَذَا الْوَصْفِ  
 مِنَ السِّيَاسَةِ دَلَائِلُ لِمَنْ سَاسَ النَّاسَ وَعَامَلَهُمْ وَجَرَّبَهُمْ وَدَاخَلَهُمْ وَالْكَاتِبُ بِفَضْلِ  
 آدِبِهِ وَشَرِيفِ صَنْعَتِهِ وَلَطِيفِ حِيلَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِمَنْ يُجَاوِرُهُ مِنَ النَّاسِ وَيُنَاطِرُهُ وَيَفْهَمُ  
 عَنْهُ أَوْ يَخَافُ سَطَوَتَهُ أَوَّلَى بِالرَّفْقِ لِصَاحِبِهِ وَمُدَارَاتِهِ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِ مِنْ سَائِسِ الْبَيْمَةِ  
 الَّتِي لَا تُخِيرُ جَوَابًا وَلَا تَعْرِفُ صَوَابًا وَلَا تَفْهَمُ خَطَابًا إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُصِيرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُهَا  
 الرَّكْبُ عَلَيْهَا إِلَّا فَارَقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي النَّظَرِ وَأَعْمَلُوا مَا أَمَرَكُمْ فِيهِ مِنْ  
 الرُّوْيَةِ وَالْفِكْرِ تَأْمِنُوا بِإِذْنِ اللَّهِ مِمَّنْ صَحِبْتُمُوهُ النَّبُوَّةَ وَالْإِسْتِثْقَالَ وَالْجَفْوَةَ وَيَصِيرُ  
 مِنْكُمْ إِلَى الْمَوَافَقَةِ وَتَصِيرُوا مِنْهُ إِلَى الْمَوَاخَاةِ وَالشَّفَقَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا يُجَاوِزَنَّ  
 الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي هَيْئَةِ مَجْلِسِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَبَنَائِهِ وَخَدْمِهِ وَغَيْرِ  
 ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ أَمْرِهِ قَدْرَ حَقِّهِ فَإِنَّكُمْ مَعَ مَا فَضَّلَكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرَفِ صَنْعَتِكُمْ خَدْمَةً  
 لَا تُحْمَلُونَ فِي خِدْمَتِكُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ وَحَفَظَةً لَا تُحْتَمَلُ مِنْكُمْ أَعْمَالُ التَّضْيِيعِ وَالتَّبَذِيرِ  
 وَاسْتَعِينُوا عَلَى عَفَافِكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُهُ لَكُمْ وَقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ وَاحْذَرُوا  
 مَتَالِفَ السَّرَفِ وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِ فَإِنَّهُمَا يُعْقِبَانِ الْفَقْرَ وَيُذِلَّانِ الرَّقَابَ وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا  
 وَسَيِّمَا الْكُتَّابِ وَأَرْبَابِ الْأَدَابِ وَالْأُمُورِ أَشْبَاهُ وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ فَاسْتَدِلُّوا عَلَى  
 مُؤْتَنَفِ أَعْمَالِكُمْ بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرُّبَتُكُمْ ثُمَّ اسْأَلُوا مِنْ مَسَالِكِ التَّدْبِيرِ أَوْضَحُهَا  
 مُحِجَّةٌ وَأَصْدَقُهَا حُجَّةٌ وَأَحْمَدُهَا عَاقِبَةٌ وَأَعْلَمُوا أَنَّ لِلتَّدْبِيرِ آفَةً مُتْلِفَةً وَهُوَ الْوَصْفُ الشَّاعِلُ  
 لِصَاحِبِهِ عَنْ إِنْقَازِ عِلْمِهِ وَرَوِيَّتِهِ فَلْيَقْصِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي مَجْلِسِهِ قَصْدَ الْكَافِي مِنْ  
 مَنْطِقِهِ وَلْيُوجِزْ فِي أَبْتِدَائِهِ وَجَوَابِهِ وَلْيَأْخُذْ بِمَجَامِعِ حُجَجِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِنَعْلِهِ  
 وَمَدْفَعَةٌ لِلشَّاعِلِ عَنْ إِكْثَارِهِ وَلِيَضْرَعَ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةِ تَوْفِيقِهِ وَإِمْدَادِهِ بِتَسْلِيْدِهِ وَمَخَافَةِ  
 وَقُوعِهِ فِي الْغَلَطِ الْمُضِرِّ بِيَدْنِهِ وَعَقْلِهِ وَآدِبِهِ فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانَ أَوْ قَالَ قَائِلًا إِنْ  
 الَّذِي بَرَزَ مِنْ جَمِيلِ صَنْعَتِهِ وَقُوَّةِ حَرَكَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ فَقَدْ  
 تَعَرَّضَ بِظَنِّهِ أَوْ مَقَالَتِهِ إِلَى أَنْ يَكِيلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ فَيَصِيرَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ  
 كَافٍ وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ وَلَا يَقِلُّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرَ بِالْأُمُورِ وَأَحْمَلُ



لِعِبِّ التَّدْبِيرِ مِنْ مُرَافِقِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ فَإِنْ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ  
ذَوِي الْأَلْبَابِ مَنْ رَمَى بِالْعُجْبِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَرَأَى أَنَّ أَصْحَابَهُ أَعْقَلُ مِنْهُ وَأَحَدُهُ فِي  
طَرِيقَتِهِ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ مِنْ غَيْرِ  
اغْتِرَارٍ بِرَأْيِهِ وَلَا تَزْكِيَةٍ لِنَفْسِهِ وَلَا يُكَانِزَ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ  
وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعَظَمَتِهِ وَالتَّذَلُّ لِعِزَّتِهِ وَالتَّحَدُّثُ  
بِنِعْمَتِهِ وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ تَلَزُّمِهِ النَّصِيحَةِ بِلَزْمِهِ الْعَمَلِ  
وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغَرَّةُ كَلَامِهِ بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلِذَلِكَ  
جَعَلْتُهُ آخِرَهُ وَتَمَّمْتُهُ بِهِ تَوَلَّانا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ  
سَبَقَ عَلَيْهِ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَيَدِيهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ  
(الشرطة) \* وَيُسَمَّى صَاحِبُهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَفْرِيقَةِ الْحَاكِمِ وَفِي دَوْلَةِ أَهْلِ  
الْأَنْدَلُسِ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكِ الْوَالِي وَهِيَ وَظِيفَةٌ مَرْوُوسَةٌ لِصَاحِبِ السَّيْفِ  
فِي الدَّوْلَةِ وَحُكْمُهُ نَافِذٌ فِي صَاحِبِهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَكَانَ أَصْلُ وَضْعِهَا فِي الدَّوْلَةِ  
الْعَبَّاسِيَّةِ لِمَنْ يُقِيمُ أَحْكَامَ الْجَرَائِمِ فِي حَالِ اسْتِبْدَادِهَا أَوَّلًا ثُمَّ الْحُدُودَ بَعْدَ اسْتِيفَائِهَا  
فَإِنَّ التُّهَمَ الَّتِي تَعْرِضُ فِي الْجَرَائِمِ لَا نَظَرَ لِلشَّرْعِ إِلَّا فِي اسْتِيفَاءِ حُدُودِهَا وَلِلْسِّيَاسَةِ  
النَّظَرُ فِي اسْتِيفَاءِ مُوجِبَاتِهَا بِإِفْرَارِ بُكْرِهِ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ إِذَا اخْتَفَتْ بِهِ الْقَرَأِينُ لِمَا  
تُوجِبُهُ الْمَصْلَحَةُ الْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ الَّذِي يَقُومُ بِهِذَا الْاسْتِبْدَادَ وَبِاسْتِيفَاءِ الْحُدُودِ  
بَعْدَهُ إِذَا تَنَزَّ عَنْهُ الْقَاضِي يُسَمَّى صَاحِبَ الشُّرْطَةِ وَرُبَّمَا جَعَلُوا إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي الْحُدُودِ  
وَالدِّمَاءِ بِإِطْلَاقٍ وَأَفْرَدُوهَا مِنْ نَظَرِ الْقَاضِي وَنَزَّهُوا هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ وَقَلَّدُوهَا كِبَارَ الْقَوَادِ  
وَعُظَمَاءَ الْخَاصَّةِ مِنْ مَوَالِيهِمْ وَلَمْ تَكُنْ عَامَّةَ التَّنْفِيدِ فِي طَبَقَاتِ النَّاسِ إِنَّمَا كَانَتْ  
حُكْمُهُمْ عَلَى الدِّهْمَاءِ وَأَهْلِ الرِّيبِ وَالضَّرْبِ عَلَى أَيْدِي الرِّعَاعِ وَالْفَجَرَةِ ثُمَّ عَظُمَتْ  
نِبَاهَتُهَا فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَنُبُوْعَتْ إِلَى شُرْطَةِ كُبْرَى وَشُرْطَةِ صُغْرَى وَجُعِلَ  
حُكْمُ الْكُبْرَى عَلَى الْخَاصَّةِ وَالْدِّهْمَاءِ وَجُعِلَ لَهُ الْحُكْمُ عَلَى أَهْلِ الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ  
وَالضَّرْبُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الظَّلَامَاتِ وَعَلَى أَيْدِي أَقَارِبِهِمْ وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِ  
وَجُعِلَ صَاحِبُ الصُّغْرَى مَخْصُوصًا بِالْعَامَّةِ وَنُصِبَ لِصَاحِبِ الْكُبْرَى كُرْسِيُّ بِيَابِ دَارِ  
السُّلْطَانِ وَرِجَالٌ يَتَبَوَّوْنَ الْمَقَاعِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَبْرَحُونَ عَنْهَا إِلَّا فِي تَصْرِيفِهِ وَكَانَتْ

وَلَا يَتَّبِعُهَا إِلَّا كَآبِرٌ مِنْ رِجَالَاتِ الدَّوْلَةِ حَتَّى كَانَتْ تَرْشِيحًا لِلْوِزَارَةِ وَالْحِجَابَةِ  
وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ الْمُؤَحِّدِينَ بِالْمَغْرِبِ فَكَانَ لَهَا حِظٌّ مِنَ التَّنْوِيهِ وَإِنْ لَمْ يَجْعَلُوهَا  
عَامَةً وَكَانَ لَا يَلِيهَا إِلَّا رِجَالَاتُ الْمُؤَحِّدِينَ وَكِبَرَاؤُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ التَّحْكُمُ عَلَى أَهْلِ  
الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ ثُمَّ فَسَدَ الْيَوْمَ مَنَصِبُهَا وَخَرَجَتْ عَنْ رِجَالِ الْمُؤَحِّدِينَ وَصَارَتْ  
وَلَا يَتَّبِعُهَا لِمَنْ قَامَ بِهَا مِنْ الْمُصْطَفِيِّينَ وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ بَنِي مُرَيْنَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ  
فَوَلَا يَتَّبِعُهَا فِي يَوْمٍ مَوَالِيَهُمْ وَأَهْلُ أَصْطِنَاعِهِمْ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فِي رِجَالَاتِ  
التُّرْكِ أَوْ أَغْقَابِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ قَبْلَهُمْ مِنَ التُّرْكِ يَتَخَيَّرُونَهُمْ لَهَا فِي النَّظَرِ بَمَا يَظْهَرُ مِنْهُمْ  
مِنْ الصَّلَابَةِ وَالْمَضَاءِ فِي الْأَحْكَامِ لِقَطْعِ مَوَادِّ الْفَسَادِ وَحَسْمِ أَبْوَابِ الدَّعَاةِ وَتَخْرِيبِ  
مَوَاطِنِ الْفُسُوقِ وَتَفْرِيقِ مَجَامِعِهِ مَعَ إِقَامَةِ الْخُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ كَمَا نَقَضَ بِهِ رِعَايَةَ  
الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ  
(قيادة الاساطيل) \* وَهِيَ مِنْ مَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ وَخِطَطِهَا فِي مُلْكِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ  
وَمَرُوسَةُ إصَاحِبِ السَّيْفِ وَتَحْتَ حُكْمِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَيُسَمَّى صَاحِبَهَا فِي  
عُرْفِهِمُ الْبَلَمَنْدُ بِتَفْخِيمِ اللَّامِ مَقُولًا مِنْ لُغَةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ فَإِنَّهُ اسْمُهَا فِي أَصْطِلَاحِ لُغَتِهِمْ  
وَإِنَّمَا اخْتَصَّتْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ بِمُلْكِ أَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّهَا جَمِيعًا عَلَى ضِفَّةِ الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ وَعَلَى عُدُوَّتِهِ الْجَنُوبِيَّةِ بِلَادُ الْبَرْبَرِ كُلُّهُمْ مِنْ سَبْتَةِ إِلَى  
الشَّامِ وَعَلَى عُدُوَّتِهِ الشَّمَالِيَّةِ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ وَالْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالرُّومِ إِلَى بِلَادِ  
الشَّامِ أَيْضًا وَيُسَمَّى الْبَحْرُ الرُّومِيُّ وَالْبَحْرُ الشَّامِيُّ نِسْبَةً إِلَى أَهْلِ عُدُوَّتِهِ وَالسَّاكِنُونَ  
بِسَيْفِ هَذَا الْبَحْرِ وَسَوَاحِلِهِ مِنْ عُدُوَّتِهِ يُعَانُونَ مِنْ أَحْوَالِهِ مَا لَا تُعَانِيهِ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ  
الْبَحَارُ فَقَدْ كَانَتْ الرُّومُ وَالْإِفْرَنْجِيَّةُ وَالْقُوطُ بِالْعُدُوَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
وَكَانَتْ أَكْثَرُ حُرُوبِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ فِي السُّفُنِ فَكَانُوا مَهْرَةً فِي رُكُوبِهِ وَالْحَرْبُ فِي  
أَسَاطِيلِهِ وَلَمَّا أَسَفَ مِنْ أَسَفٍ مِنْهُمْ إِلَى مُلْكِ الْعُدُوَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِثْلَ الرُّومِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةِ  
وَالْقُوطِ إِلَى الْمَغْرِبِ أَجَازُوا فِي الْأَسَاطِيلِ وَمَلَكُوهَا وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْبَرْبَرِ بِهَا وَانْتَزَعُوا  
مِنْ أَيْدِيهِمْ أَمْوَالَهَا وَكَانَ لَهَا بِهَا الْمَدُنُ الْخَافِلَةُ مِثْلَ قَرطَاجَنَةِ وَسَبِيْطَلَّةِ وَجُلُولَاءِ وَمِرْنَاقِ  
وَشِرْشَالِ وَطَنْجَةِ وَكَانَ صَاحِبُ قَرطَاجَنَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحَارِبُ صَاحِبَ رُومَةَ وَيُبْعَثُ  
الْأَسَاطِيلَ لِحَرْبِهِ مَشْحُونَةً بِالْعَسَاكِرِ وَالْعِدَدِ فَكَانَتْ هَذِهِ عَادَةً لِأَهْلِ هَذَا الْبَحْرِ



السَّاكِنِينَ حَفَافِيهِ مَعْرُوفَةً فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ وَلَمَّا مَلَكَ الْمُسْلِمُونَ مِصْرَ كَتَبَ عُمَرُ  
ابْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ صِفَ لِي الْبَحْرَ نَكْتُبُ إِلَيْهِ  
إِنَّ الْبَحْرَ خَلَقَ عَظِيمٌ يَرْكَبُهُ خَلْقٌ ضَعِيفٌ دُودٌ عَلَى عُودٍ فَأَوْعَزَ حِينَئِذٍ بِمَنْعِ الْمُسْلِمِينَ  
مِنْ رُكُوبِهِ وَلَمْ يَرْكَبْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا مَنْ أَفْتَاتَ عَلَى عُمَرَ فِي رُكُوبِهِ وَتَالَ مِنْ  
عِقَابِهِ كَمَا فَعَلَ بِعَرْفِجَةَ بْنِ هَرَثَمَةَ الْأَزْدِيِّ سَيِّدِ بَيْحِلَةَ لَمَّا أَغْزَاهُ عَمَّانَ فَبَلَغَهُ غَزْوُهُ  
فِي الْبَحْرِ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ وَعَنْفَهُ أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ لِلْغَزْوِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا  
كَانَ لِعَهْدِ مُعَاوِيَةَ أَذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي رُكُوبِهِ وَالْجِهَادِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ  
أَنَّ الْعَرَبَ لَيْدَاقِيهِمْ لَمْ يَكُونُوا مَهْرَةً فِي ثِقَاتِهِ وَرُكُوبِهِ وَالرُّومُ وَالْأَفَرِيقَةُ لِمَارَسَتِهِمْ  
أَحْوَالَهُ وَمَرَبَاهُمْ فِي الثَّقَابِ عَلَى أَعْوَادِهِ مَرَبُوءًا عَلَيْهِ وَأَحْكَمُوا الدَّرَايَةَ بِثِقَاتِهِ فَلَمَّا  
اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ لِلْعَرَبِ وَشَمَخَ سُلْطَانُهُمْ وَصَارَتْ أُمَمُ الْعَجَمِ خَوَلَاءَ لَهُمْ وَتَحْتَ أَيْدِيهِمْ  
وَتَقَرَّبَ كُلُّ ذِي صَنْعَةٍ إِلَيْهِمْ بِمَبْلَغِ صِنَاعَتِهِ وَاسْتَخْدَمُوا مِنَ النَّوَاتِيَةِ فِي حَاجَاتِهِمْ  
الْبَحْرِيَّةِ أُمَمًا وَتَكَرَّرَتْ مُمَارَسَتُهُمْ لِلْبَحْرِ وَثِقَاتُهُ وَاسْتَحْدَثُوا بَصَرَاءَ بِهَا فَشَرُّهُوا إِلَى  
الْجِهَادِ فِيهِ وَأَنْشَأُوا السُّفْنَ فِيهِ وَالشَّوَانِي وَشَحْنُوا الْأَسَاطِيلَ بِالرِّجَالِ وَالسِّلَاحِ وَأَمَطَوْهَا  
الْعَسَاكِرَ وَالْمُقَاتِلَةَ لِمَنْ وَرَاءَ الْبَحْرِ مِنْ أُمَمِ الْكُفْرِ وَأَخْتَصُّوا بِذَلِكَ مِنْ مَمَالِكِهِمْ  
وَتُغُورِهِمْ مَا كَانَ أَقْرَبَ لِهَذَا الْبَحْرِ وَعَلَى حَافَتِهِ مِثْلُ الشَّامِ وَأَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ  
وَأَوْعَزَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى حَسَّانَ بْنِ النُّعْمَانِ عَامِلِ أَفْرِيقِيَّةَ بِاتِّخَاذِ دَارِ صِنَاعَةِ  
بَتُونِسَ لِإِنْشَاءِ آلَاتِ الْبَحْرِيَّةِ حِرْصًا ذَلِي مَرَامٍ الْجِهَادِ وَمِنْهَا كَانَ فَتْحُ صِقَالِيَّةَ أَيَّامَ  
زِيَادَةَ اللَّهِ الْأَوَّلِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ عَلَى يَدِ أَسَدِ بْنِ الْفَرَاتِ شَيْخِ الْفُتَيَّا وَفَتْحُ  
قُوصَرَةَ أَيْضًا فِي أَيَّامِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُذَيْفٍ أَغْزَى صِقَالِيَّةَ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ بْنِ  
أَبِي سُفْيَانَ فَلَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَفُتِحَتْ عَلَى يَدِ ابْنِ الْأَغْلَبِ وَقَائِدِهِ أَسَدِ بْنِ الْفَرَاتِ  
وَكَانَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَسَاطِيلُ أَفْرِيقِيَّةَ وَالْأَنْدَلُسِ فِي دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ وَالْأَوِيَّيْنَ ثُمَّ عَاقَبُ  
إِلَى بِلَادِهِمَا فِي سَبِيلِ الْفِتْنَةِ فَتَجُوسُ خِلَالَ السَّوَاخِلِ بِالْإِفْسَادِ وَالتَّخْرِيبِ وَأَنْتَهَى  
أَسْطُولُ الْأَنْدَلُسِ أَيَّامَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ إِلَى مَائَتِي مَرْكَبٍ أَوْ نَحْوِهَا وَأَسْطُولُ  
أَفْرِيقِيَّةَ كَذَلِكَ مِثْلُهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَكَانَ قَائِدُ الْأَسَاطِيلِ بِالْأَنْدَلُسِ ابْنُ دُمَاحِشَ  
وَمَرَفَاها لِلْحِطِّ وَالْإِفْلَاحِ بِجَايَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَكَانَتْ أَسَاطِيلُهَا مُجْتَمِعَةً مِنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ

مِنْ كُلِّ بَلَدٍ تَتَّخِذُ فِيهِ السُّفُنُ اسْطُولٌ يَرْجِعُ نَظَرُهُ إِلَى قَائِدٍ مِنَ التَّوَانِيَةِ يُدِيرُ أَمْرَ حَرْبِهِ  
 وَسِلَاحِهِ وَمُقَاتَلَتِهِ وَرَأْسُ يَدِيرُ أَمْرَ جَرَيْتِهِ بِالرَّيْحِ أَوْ بِالْمَجَازِيْفِ وَأَمْرَ إِزْسَائِهِ فِي  
 مَرَفَّتِهِ فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْأَسَاطِيلُ لَغْزٍ وَمُحْتَفِلٍ أَوْ غَرَضٍ سُلْطَانِيٍّ مِنْهُمْ عَسَكَرَتْ بِمَرَفَّتِهَا  
 الْمَعْلُومِ وَشَحَنَهَا السُّلْطَانُ بِرِجَالِهِ وَأَنْجَادِ عَسَاكِرِهِ وَمَوَالِيهِ وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ أَمِيرٍ وَاحِدٍ  
 مِنْ أَعْلَى طَبَقَاتِ أَهْلِ مَمْلُوكِيَّتِهِ يَرْجِعُونَ كُلُّهُمْ إِلَيْهِ ثُمَّ يُسَرِّحُهُمْ لَوُجْهِهِمْ وَيَنْتَظِرُ  
 أَيَّاهُمْ بِالْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لِعَهْدَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَدْ غَلَبُوا عَلَى هَذَا  
 الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ وَعَظُمَتِ صَوْلَتُهُمْ وَسُلْطَانُهُمْ فِيهِ فَلَمْ يَكُنِ الْأُمَمُ النَّصْرَانِيَّةُ  
 قَبْلَ بِأَسَاطِيلِهِمْ شَيْءٌ مِنْ جَوَانِبِهِ وَامْتَطَوْا ظَهْرَهُ لِلْفَتْحِ سَائِرَ أَيَّامِهِمْ فَكَانَتْ لَهُمْ  
 الْمَقَامَاتُ الْمَعْلُومَةُ مِنَ الْفَتْحِ وَالْغَنَائِمِ وَمَلَكَُوا سَائِرَ الْجَزَائِرِ الْمُنْقَطِعَةِ عَنِ السَّوَاهِلِ  
 فِيهِ مِثْلَ مَيُورْقَةِ وَمَنُورْقَةِ وَيَابَسَةِ وَسِرْدَانِيَّةٍ وَصِقْلِيَّةٍ وَقَوْصَرَةٍ وَمَالِطَةِ وَأَقْرِيطِشَ  
 وَقَبْرُسَ وَسَائِرِ مَمَالِكِ الرُّومِ وَالْإِفْرَنْجِ وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّيْبِيُّ وَأَبْنَاؤُهُ يَغْزُونَ  
 أَسَاطِيلَهُمْ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ جَزِيرَةَ جَنُودَةٍ فَتَنْقَلِبُ بِالظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ وَافْتَتَحَ بُجَاهِدُ الْعَامِرِيُّ  
 صَاحِبُ دَانِيَّةٍ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ جَزِيرَةَ سِرْدَانِيَّةٍ فِي أَسَاطِيلِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
 وَأَرْبَعِينَ النَّصَارَى لَوَقْتِهَا وَالْمُسْلِمُونَ خِلَالَ ذَلِكَ كُلِّهِ قَدْ تَغَلَّبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ لُجَّةِ هَذَا  
 الْبَحْرِ وَصَارَتْ أَسَاطِيلُهُمْ فِيهِمْ جَائِيَّةً وَذَاهِبَةً وَالْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ تُجِيزُ الْبَحْرَ فِي  
 الْأَسَاطِيلِ مِنْ صِقْلِيَّةٍ إِلَى الْبَرِّ الْكَبِيرِ الْمُقَابِلِ لَهَا مِنَ الْعُدُوَّةِ الشَّمَالِيَّةِ فَتُوقِعُ بِمُلُوكِ  
 الْإِفْرَنْجِ وَتُشْخِنُ فِي مَمَالِكِهِمْ كَمَا وَقَعَ فِي أَيَّامِ بَنِي الْحُسَيْنِ مُلُوكِ صِقْلِيَّةِ الْقَائِمِينَ  
 فِيهَا بِدَعْوَةِ الْعَبِيدِيِّينَ وَانْحَاذَتْ أُمَمُ النَّصْرَانِيَّةِ بِأَسَاطِيلِهِمْ إِلَى الْجَنَابِ الشَّمَالِيِّ الشَّرْقِيِّ  
 مِنْهُ مِنْ سَوَاحِلِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالصَّقَالِبَةِ وَجَزَائِرِ الرُّومَانِيَّةِ لَا يَعْدُونَهَا وَأَسَاطِيلُ الْمُسْلِمِينَ  
 قَدْ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمْ ضِرَاءُ الْأَسَدِ عَلَى فَرِيَسَتِهِ وَقَدْ مَلَأَتْ الْأَكْثَرُ مِنْ بَسِيطِ هَذَا الْبَحْرِ  
 عُدَّةً وَعَدَدًا وَاخْتَلَفَتْ فِي طُرُقِهِ سِلَاحًا وَحَرْبًا فَلَمْ تَظْهَرْ لِلنَّصْرَانِيَّةِ فِيهِ الْوَاحِ حَتَّى إِذَا  
 أَدْرَكَ الدَّوْلَةَ الْعَبِيدِيَّةَ وَالْأُمَوِيَّةَ الْفُشْلُ وَالْوَهْنُ وَطَرَقَهَا الْإِعْتِلَالُ مَدَّ النَّصَارَى أَيْدِيَهُمْ  
 إِلَى جَزَائِرِ الْبَحْرِ الشَّرْقِيَّةِ مِثْلَ صِقْلِيَّةٍ وَأَقْرِيطِشَ وَمَالِطَةِ فَمَلَكَوْهَا ثُمَّ الْحَوَاطِلُ سَوَاحِلِ الشَّامِ  
 فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ وَمَلَكَوا طَرَابُلُسَ وَعَسْقَلَانَ وَصُورَ وَعَكَّا وَأَسْتَوَلُوا عَلَى جَمِيعِ الشُّغُورِ  
 بِسَوَاحِلِ الشَّامِ وَغَلَبُوا عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَبَنُوا عَلَيْهِ كَنِيسَةً لِمَظْهَرِ دِينِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ وَغَلَبُوا



بني خزرون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكوا المهدية مقر  
ملوك العبيديين من يد أعقاب بلكين بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة  
الكرّة بهذا البحر وضعت شأن الأساطيل في دولة مصر والشام إلى أن انقطع ولم  
يعتوا بشيء من أمره لهذا العهد بعد أن كان لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت  
الحّد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هناك وبقيت  
بأفريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد  
موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كره فكان قائد  
الأسطول به لعهد لمتونة بني ميمون رؤساء جزيرة قاذس ومن أيديهم أخذها  
عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد  
العدوتين جميعاً \* ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا  
العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وكانت قائد  
أسطولهم أحمد الصقلي أصله من صد غبار الموطنين بجزيرة سريوكش أسره النصارى  
من سواحلهما ورّبي عندهم واستخلصه صاحب صقلية واستكفاه ثم هلك وولي ابنه  
فأستخطه ببعض النزعات وخشي على نفسه ولحق بتونس ونزل على السيد بها من بني  
عبد المؤمن وأجاز مراكش فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمبرّة  
والكرامة وأجزل الصلة وفلده أمر أساطيله فجلى في جهاد أمم النصرانية وكانت  
له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين \* وانتهت أساطيل  
المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما  
عهدناه ولما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهد باسترجاع  
ثغور الشام من يد أمم النصرانية وتطهير بيت المقدس تابعت أساطيلهم بالمدد  
لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه فامدوهم  
بالعدد والآفات ولم تقاومهم أساطيل الإسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك  
الجانب الشرقي من البحرية وتعدّد أساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل  
عن ممانعتهم هناك كما أشرنا إليه قبل فأوفد صلاح الدين على أبي يعقوب المنصور  
سلطان المغرب لعهد من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ من بيت بني منقذ

مُلُوكٍ شِيزَرٍ وَكَانَ مَلِكُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَبْقَى عَلَيْهِمْ فِي دَوْلَتِهِ فَبَعَثَ عَبْدَ الصَّرِيمِ مِنْهُمْ  
 هَذَا إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ طَالِبًا مَدَدَ الْأَسَاطِيلِ لِتَحُولٍ فِي الْبَحْرِ بَيْنَ أَسَاطِيلِ الْأَجَانِبِ  
 وَبَيْنَ مَرَامِهِمْ مِنْ أَمْدَادِ النَّصْرَانِيَّةِ بِشُغُورِ الشَّامِ وَأَصْحَبَهُ كِتَابَهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ إِنْشَاءِ  
 الْفَاضِلِ الْيَسَّانِيِّ يَقُولُ فِي افْتِتَاحِهِ فَتَحَ اللَّهُ لِسَيِّدِنَا أَبْوَابَ الْمَنَاجِحِ وَالْمِيَامِ حَسْبَمَا  
 نَقَلَهُ الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ الْفَتْحِ الْقَيْسِيِّ فَتَقِمَ عَلَيْهِمُ الْمَنْصُورُ نَجَافِيهِمْ عَنْ  
 خِطَابِهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمَرَهَا فِي نَفْسِهِ وَحَمَاهُمْ ذَلِكَ مَنَاجِحَ الْبَرِّ وَالْمَكْرَامَةِ وَرَدَّهُمْ  
 إِلَى مَرَسَلِهِمْ وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى اخْتِصَاصِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ  
 بِالْأَسَاطِيلِ وَمَا حَصَلَ لِلنَّصْرَانِيَّةِ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مِنَ الْأَسْطِطَالَةِ وَعَدَمِ  
 عِنَايَةِ الدَّوَلِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ لِذَلِكَ الْعَهْدِ وَمَا بَعْدَهُ إِنْشَاءُ الْأَسَاطِيلِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْأَسْطِغْدَادِ  
 مِنْهَا لِلدَّوَلَةِ وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورُ وَأَعْتَلَّتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ وَأَسْتَوْلَتْ أُمَمُ  
 الْجَلَالَةِ عَلَى الْأَكْثَرِ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالْجَاوَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ وَمَلَكَوا  
 الْجَزَائِرَ الَّتِي بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْبَحْرِ الرَّومِيِّ قَوِيَتْ رِيحُهُمْ فِي بَسِيطِ هَذَا الْبَحْرِ وَاشْتَدَّتْ  
 شَوْكَتُهُمْ وَكَثُرَتْ فِيهِ أَسَاطِيلُهُمْ وَتَرَاجَعَتْ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ إِلَى الْمُسَاوَاةِ مَعَهُمْ  
 كَمَا وَقَعَ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ مَلِكِ زَنَاطَةَ بِالْمَغْرِبِ فَإِنَّ أَسَاطِيلَهُ كَانَتْ عِنْدَ  
 مَرَامِهِ الْجِهَادِ مِثْلَ عُدَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَعَدِيدِهِمْ ثُمَّ تَرَاجَعَتْ عَنْ ذَلِكَ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي  
 الْأَسَاطِيلِ لِضَعْفِ الدَّوَلَةِ وَنِسْيَانِ عَوَائِدِ الْبَحْرِ بِكَثْرَةِ الْعَوَائِدِ الْبَدَوِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَأَنْقِطَاعِ  
 الْعَوَائِدِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ وَرَجْعِ النَّصَارَى فِيهِ إِلَى دِينِهِمْ الْمَعْرُوفِ مِنَ الذُّبَابَةِ فِيهِ وَالْمِرَانِ  
 عَلَيْهِ وَالْبَصْرِ بِأَحْوَالِهِ وَغَابَ الْأَمْرُ فِي لُجَّتِهِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ كَالْأَجَانِبِ  
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ لَهُمْ الْمِرَانُ عَلَيْهِ لَوْ وَجَدُوا كَثْرَةً مِنْ الْأَنْصَارِ  
 وَالْأَعْوَانِ أَوْ قَلَّةً مِنَ الدَّوَلَةِ تَسْتَجِيشُ لَهُمْ أَعْوَانًا وَتُوضِحُ لَهُمْ فِي هَذَا الْغَرَضِ مَسْلَكًا  
 وَبَقِيَتْ الرُّتْبَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الدَّوَلَةِ الْغَرْبِيَّةِ نَحْفُوظَةً وَالرَّسْمُ فِي مُعَانَاةِ الْأَسَاطِيلِ بِالْإِنْشَاءِ  
 وَالرُّكُوبِ مَعْبُودًا لَمَّا عَسَاهُ أَنْ تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنَ الْأَغْرَاضِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي الْبِلَادِ  
 الْبَحْرِيَّةِ وَالْمُسْلِمُونَ يَسْتَمِيبُونَ الرِّيحَ عَلَى الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ فَمِنْ الْمُشْتَهَرِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ  
 عَنْ كُتُبِ الْحَدِّثَانِ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُرَّةِ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَافْتِتَاحِ مَا وَرَاءَ  
 الْبَحْرِ مِنْ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الْأَسَاطِيلِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ



حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

### الفصل الخامس والثلاثون

في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

إِعْلَمَنَّ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةُ إِصْحَابِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى أَمْرِهٖ إِلَّا أَنَّ  
الْحَاجَةَ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ إِلَى السَّيْفِ مَا دَامَ أَهْلُهَا فِي تَمْهِيدِ أَمْرِهِمْ أَشَدَّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى  
الْقَلَمِ لِأَنَّ الْقَلَمَ فِي تِلْكَ الْحَالِ خَادِمٌ فَقَطْ مُنْقَذٌ لِلْحُكْمِ السُّلْطَانِيِّ وَالسَّيْفُ شَرِيكَ فِي  
الْمَعُونَةِ وَكَذَلِكَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ حَيْثُ تَضَعُ عِمَامَتَهُمَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيَقِلُّ أَهْلُهَا بِمَا  
يَنَالُهُمْ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي قَدَّمَاهُ فَتَتَحَاجُّ الدَّوْلَةُ إِلَى الْإِسْتِظْهَارِ بِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَتَقْوَى  
الْحَاجَةُ إِلَيْهِمْ فِي حِمَايَةِ الدَّوْلَةِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهَا كَمَا كَانَ الشَّأْنُ أَوَّلَ الْأَمْرِ فِي تَمْهِيدِهَا  
فَيَكُونُ لِلْسَّيْفِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْقَلَمِ فِي الْحَالَتَيْنِ وَيَكُونُ أَرْبَابُ السَّيْفِ حِينَئِذٍ أَوْسَعَ جَاهًا  
وَأَكْثَرَ نِعْمَةً وَأَسْنَى إِقْطَاعًا وَأَمَّا فِي وَسْطِ الدَّوْلَةِ فَيَسْتَغْنِي صَاحِبُهَا بَعْضَ الشَّيْءِ عَنْ  
السَّيْفِ لِأَنَّهُ قَدْ تَمَهَّدَ أَمْرُهُ وَلَمْ يَبْقَ هَمُّهُ إِلَّا فِي تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمُلْكِ مِنَ الْجَبَايَةِ  
وَالضَّبْطِ وَمُبَاهَاةِ الدُّوَلِ وَتَنْفِيدِ الْأَحْكَامِ وَالْقَلَمُ هُوَ الدَّعِيْنُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَتَعْظُمُ الْحَاجَةُ  
إِلَى تَصْرِيفِهِ وَتَكُونُ السُّيُوفُ مُهْمَلَةً فِي مَضَاجِعِ أَعْمَادِهَا إِلَّا إِذَا أَنَابَتْ نَائِبَةٌ أَوْ  
دُعِيَتْ إِلَى سَدِّ فُرْجَةٍ وَمِمَّا سِوَى ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهَا فَتَكُونُ أَرْبَابُ الْأَقْلَامِ فِي  
هَذِهِ الْحَاجَةِ أَوْسَعَ جَاهًا وَأَعْلَى رُتَبَةً وَأَعْظَمَ نِعْمَةً وَثَرَوَةً وَأَقْرَبَ مِنَ السُّلْطَانِ مَجْلِسًا  
وَأَكْثَرَ إِلَيْهِ تَرَدُّدًا وَفِي خَلَوَاتِهِ نَجِيًّا لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ آتِي بِهَا يَسْتَظْهِرُ عَلَى تَحْصِيلِ  
ثَمَرَاتِ مَلِكِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى أَعْطَافِهِ وَتَثْقِيفِ أَطْرَافِهِ وَالْمُبَاهَاةِ بِأَحْوَالِهِ وَيَكُونُ  
الْوُزَرَاءُ حِينَئِذٍ وَأَهْلُ السُّيُوفِ مُسْتَغْنَى عَنْهُمْ مُبْعَدِينَ عَنْ بَاطِنِ السُّلْطَانِ حَذَرِينَ عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَوَادِرِهِ \* وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ  
بِالْقُدُومِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفِظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا الْفَرَسِ أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا  
سَكَتَ الدَّهْمَا سِنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل السادس والثلاثون

في شارات الملك والسلطان الخاصة به

إِعْلَمَنَّ أَنَّ لِلْسُّلْطَانِ شَارَاتٍ وَأَحْوَالَ أَتَقَضِيهَا الْأَبْهَةُ وَالْبَذَخُ فَيَخْتَصُّ بِهَا وَيَتَمَيَّزُ

بِاتِّحَالِهَا عَنْ الرَّعِيَّةِ وَالْبَطَانَةِ وَسَائِرِ الرُّؤَسَاءِ فِي دَوْلَتِهِ فَلَمَّا ذَكَرْنَا مَا هُوَ مُشْتَهَرٌ مِنْهَا  
بِمَبْلَغِ الْمَعْرِفَةِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَالِمٍ  
الْآلَةُ \* فَمِنْ شَارَاتِ الْمَلِكِ اتِّخَاذُ الْآلَةِ مِنْ نَشْرِ الْأَلْوِيَةِ وَالرَّايَاتِ وَقَرَعِ الطُّبُولِ  
وَالنَّفْحِ فِي الْأَبْوَابِ وَالْقُرُونِ وَقَدْ ذَكَرَ أَرِسْطُو فِي الْكِتَابِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ فِي السِّيَاسَةِ  
أَنَّ السِّرَّ فِي ذَلِكَ إِرْهَابُ الْعَدُوِّ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّ الْأَصْوَاتَ الْهَائِلَةَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي النَّفُوسِ  
بِالرَّوْعَةِ وَاعْتِمَارِي إِنَّهُ أَمْرٌ وَجَدَانِي فِي مَوَاطِنِ الْحَرْبِ يُجِدُّهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَهَذَا  
السَّبَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَرِسْطُو إِنْ كَانَ ذَكَرَهُ فَهُوَ صَحِيحٌ بَعْضُ الْأَعْتِبَارَاتِ \* وَأَمَّا  
الْحَقُّ فِي ذَلِكَ فَهُوَ أَنَّ النَّفْسَ عِنْدَ سَمَاعِ النِّغَمِ وَالْأَصْوَاتِ يُذَرِّكُمَا الْفَرْحَ وَالطَّرْبُ بِلَا  
شَكٍّ فَيُصِيبُ مِزَاجَ الرُّوحِ نَشْوَةً يَسْتَسْجِلُ بِهَا الصَّعْبَ وَيَسْتَمِيتُ فِي ذَلِكَ الْوَجْهَ  
الَّذِي هُوَ فِيهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ حَتَّى فِي الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ بِاتِّفَاعِ الْأَيْلِ بِالْحِدَاءِ وَالْخَيْلِ  
بِالصَّيْرِ وَالصَّرِيحِ كَمَا عَلِمْتَ وَيَزِيدُ ذَلِكَ تَأْثِيرًا إِذَا كَانَتْ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً كَمَا  
فِي الْغِنَاءِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَحْدُثُ إِسْمَاعِهِ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى لِأَجْلِ ذَلِكَ لَتَخِذُ الْعُجْمُ فِي  
مَوَاطِنِ حُرُوبِهِمُ الْآلَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةَ <sup>(١)</sup> لَا طَبْلًا وَلَا بُوْقًا فَيُحْدِقُ الْمَغْنُونُ بِالْإِسْلَامِ فِي  
مَوَكِبِهِ بِالْأَتَمِّ وَيُغْنُونَ فَيَحْرُكُونَ نَفُوسَ الشُّجْعَانِ بِضَرْبِهِمْ إِلَى الْأَسْتِمَاتَةِ وَلَقَدْ رَأَيْنَا فِي  
حُرُوبِ الْعَرَبِ مَنْ يَتَغَنَّى أَمَامَ الْمَوَكِبِ بِالشَّعْرِ وَيُطْرِبُ فَتَجِيئُ هِمُّ الْأَبْطَالِ بِمَا فِيهَا  
وَيُسَارِعُونَ إِلَى تَجَالِ الْحَرْبِ وَيَنْبَعِثُ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى قِرْنِهِ وَكَذَلِكَ زَنَاتُهُ مِنْ أُمَمِ الْمَغْرِبِ  
يَتَقَدَّمُ الشَّاعِرُ عِنْدَهُمْ أَمَامَ الصُّنُوفِ وَيَتَغَنَّى فَيَحْرُكُ بِغِنَائِهِ الْجِبَالَ الرَّوَاسِي وَيَنْبَعِثُ عَلَى  
الْأَسْتِمَاتَةِ مَنْ لَا يَظُنُّ بِهَا وَيُسَمُّونَ ذَلِكَ الْغِنَاءَ نَاصُوكَايَ وَأَصْلُهُ كُلُّهُ فَرْحٌ يَحْدُثُ فِي  
النَّفْسِ فَتَنْبَعِثُ عَنْهُ الشَّجَاعَةُ كَمَا تَنْبَعِثُ عَنْ نَشْوَةِ الْخَمْرِ بِمَا حَدَّثَ عَنْهَا مِنَ الْفَرْحِ وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ وَأَمَّا تَكْثِيرُ الرَّايَاتِ وَتَلْوِينُهَا وَإِطَالَتُهَا فَالْقَصْدُ بِهِ التَّهْوِيلُ لَا أَكْثَرُ وَرُبَّمَا تَحْدُثُ  
فِي النَّفُوسِ مِنَ التَّهْوِيلِ زِيَادَةٌ فِي الْأَقْدَامِ وَأَحْوَالِ النَّفُوسِ وَتَلْوِينَاتُهَا غَرِيبَةٌ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ  
الْعَلِيمُ \* ثُمَّ إِنَّ الْمُلُوكَ وَالْأُدُولَ يَخْتَلِفُونَ فِي اتِّخَاذِ هَذِهِ الشَّارَاتِ فَمِنْهُمْ مُكْثَرٌ وَمِنْهُمْ  
مُقَلِّلٌ بِحَسَبِ اتِّسَاعِ الدَّوْلَةِ وَعِظَمِهَا فَأَمَّا الرَّايَاتُ فَإِنَّهَا شِعَارُ الْحُرُوبِ مِنْ عَهْدِ الْخَلْقَةِ

(١) قوله موسيقية وفي نسخة المرسية رية: وهي صحيحة لأن الموسيقى بكسر الهمزة بين التختين اسم للنغم  
والآلحان وتوقعها ونية ال فيها موسيقير ويقال تضارب الآلة موسيقار انظر ادل سفينة الشيخ محمد شهاب



وَلَمْ تَزَلِ الْأُمَمُ تَعْقِدُهَا فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ وَالْغَزَوَاتِ لِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ \* وَأَمَّا قَرْعُ الطُّبُولِ وَالنَّفْخُ فِي الْأَبْوَاقِ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لِأَوَّلِ  
الْمَلَّةِ مُتَجَافِينَ عَنْهُ تَنَزُّهَا عَنْ غِلْظَةِ الْمَلِكِ وَرَفْضًا لِأَحْوَالِهِ وَاحْتِقَارًا لِأَهْلِيَّتِهِ الَّتِي لَبَسَتْ  
مِنْ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ حَتَّى إِذَا انْقَلَبَتْ الْخِلَافَةُ مَلِكًا وَتَبَجَّحُوا بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا وَلَا بَسَمُ  
الْمَوَالِي مِنَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ أَهْلِ الدُّوَلِ السَّائِفَةِ وَأَرْوَهُمْ مَا كَانَ أَوْلَئِكَ يَتَحَلَوْنَهُ مِنْ  
مَذَاهِبِ الْبَذَخِ وَالْتَّرَفِ فَكَانَ مِمَّا اسْتَحْسَنُوهُ اتِّخَاذَ آلَةٍ فَآخَذُوهَا وَأَذْنُوا لِعُمَلَائِهِمْ  
فِي اتِّخَاذِهَا تَنْوِيهًا بِالْمُلْكِ وَأَهْلِهِ فَكَثِيرًا مَا كَانَ الْعَامِلُ صَاحِبُ الثَّغْرِ أَوْ قَائِدُ الْجَيْشِ  
يَعْقِدُ لَهُ الْخِلَافَةَ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ أَوِ الْعَبِيدِيِّينَ لِيُؤَاهُ وَيُخْرِجُ إِلَى بَعْثِهِ أَوْ عَمَلِهِ مِنْ دَارِ  
الْخِلَافَةِ أَوْ دَارِهِ فِي مَوَكِبٍ مِنْ أَصْحَابِ الرَّايَاتِ وَالْآلَاتِ فَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَوَكِبِ الْعَامِلِ  
وَالْخِلَافَةِ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْأَلْوِيَةِ وَقِلَّتِهَا أَوْ بِمَا اخْتَصَّ بِهِ الْخِلَافَةُ مِنَ الْأَلْوَانِ لِرَايَتِهِ كَالسَّوَادِ  
فِي رَايَاتِ بَنِي الْعَبَّاسِ فَإِنَّ رَايَاتِهِمْ كَانَتْ سُودًا حَزَنًا عَلَى شُهَدَائِهِمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَنَعِيًا  
عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ فِي قَتْلِهِمْ وَلِلَّذَلِكَ سُمُّوا الْمُسَوَّدَةَ \* وَلَمَّا افْتَرَقَ أَمْرُ الْهَاشِمِيِّينَ وَخَرَجَ  
الطَّالِبِيُّونَ عَلَى الْعَبَّاسِيِّينَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَعَصَرَ ذَهَبُوا إِلَى مُخَالَفَتِهِمْ فِي ذَلِكَ فَاتَّخَذُوا  
الرَّايَاتِ بَيْضًا وَسُمُّوا الْمُبَيِّضَةَ لِذَلِكَ سَائِرَ أَيَّامِ الْعَبِيدِيِّينَ وَمَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ فِي  
ذَلِكَ الْعَهْدِ بِالشَّرْقِ كَالدَّاعِي بِطَبْرِسْتَانَ وَدَاعِي صَعْدَةَ أَوْ مَنْ دَعَا إِلَى بِدْعَةِ الرَّافِضَةِ  
مِنْ غَيْرِهِمْ كَالْقَرَامِطَةِ وَلَمَّا نَزَعَ الْمَأْمُونُ عَنْ لُبْسِ السَّوَادِ وَشِعَارِهِ فِي دَوْلَتِهِ عَدَلَ إِلَى  
لَوْنِ الْخَضِرَةِ فَجَعَلَ رَايَتَهُ خَضِرَاءَ وَأَمَّا الْأَسْتَكْنَازُ مِنْهَا فَلَا يَنْتَهِي إِلَى حَدٍّ وَقَدْ كَانَتْ  
آلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ أَمَّا خَرَجَ الْعَزِيزُ إِلَى قَتَحِ الشَّامِ خَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْبُنُودِ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنَ  
الْأَبْوَاقِ وَأَمَّا مُلُوكُ الْبَرَبَرِ بِالْمَغْرِبِ مِنْ صَنْهَاجَةٍ وَغَيْرِهَا فَلَمْ يُخْتَصُّوا بِلَوْنٍ وَاحِدٍ بَلْ  
وَشَوْهَا بِالذَّهَبِ وَاتَّخَذُوهَا مِنَ الْحَرِيرِ الْخَالِصِ مُلَوَّنَةً وَأَسْتَمَرُّوا عَلَى الْإِذْنِ فِيهَا لِعُمَلَائِهِمْ  
حَتَّى إِذَا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ زَنَاتِهِ قَصَرُوا الْآلَةَ مِنَ الطُّبُولِ وَالْبُنُودِ  
عَلَى السُّلْطَانِ وَحَظَرُوهَا عَلَى مَنْ سِوَاهُ مِنْ عُمَلَائِهِ وَجَعَلُوا لَهَا مَوَكِبًا خَاصًّا يَتَّبِعُ أَثَرُ السُّلْطَانِ  
فِي مَسِيرِهِ يُسَمَّى السَّاقَةَ وَهُمْ فِيهِ بَيْنَ مُكْثَرٍ وَمَقْلٍ بِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِ الدُّوَلِ فِي ذَلِكَ  
فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى سَبْعَةٍ مِنَ الْعَدَدِ تَبَرُّكًَا بِالسَّبْعَةِ كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَبَنِي  
الْأَحْمَرِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَشْرَةَ وَالْعِشْرِينَ كَمَا هُوَ عِنْدَ زَنَاتِهِ وَقَدْ بَلَغَتْ فِي

أَيَّامِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ فِيمَا أَدْرَكَنَاهُ مِائَةٌ مِنَ الطُّبُولِ وَمِائَةٌ مِنَ الْبُنُودِ مَلُونَةٌ  
بِالْحَرِيرِ مَنَسُوجَةٌ بِالذَّهَبِ مَا بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَيَا ذُنُونِ لِلْوَلَاةِ وَالْعُمَالِ وَالْقَوَادِ فِي  
اتِّخَاذِ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْكُتَاتِ بَيْضَاءَ وَطَبْلٍ صَغِيرٍ أَيَّامَ الْحَرْبِ لَا يَتَجَاوَزُونَ  
ذَلِكَ وَأَمَّا دَوْلَةُ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُونَ رَايَةً وَاحِدَةً عَظِيمَةً وَفِي رَأْسِهَا  
خَصْلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الشَّعْرِ يُسَمُّونَهَا الشَّالِشَ وَالْجُتْرَ وَهِيَ شَعَارُ السُّلْطَانِ عِنْدَهُمْ ثُمَّ اتَّعَدُّ  
الرَّايَاتُ وَيُسَمُّونَهَا السَّنَاقِقَ وَاحِدُهَا سَنَقَقٌ وَهِيَ الرَّايَةُ بِلِسَانِهِمْ وَأَمَّا الطُّبُولُ فَيَبْلُغُونَ  
فِي الْأَسْتِكَثَارِ مِنْهَا وَيُسَمُّونَهَا الْكُوسَاتِ وَيُيَحْنُونَ لِكُلِّ أَمِيرٍ أَوْ قَائِدٍ عَسْكَرٍ أَنْ  
يَتَّخِذَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ إِلَّا الْجُتْرَ فَإِنَّهُ خَاصٌّ بِالسُّلْطَانِ وَأَمَّا الْجَلَالِيقَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ  
أَمْرِ الْأَفْرَنْجَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَأَكْثَرُ شَأْنِهِمْ اتِّخَاذُ الْأَلْوِيَةِ الْقَلِيلَةِ ذَاهِبَةٍ فِي الْجَوْ صُغْدًا  
وَمَعَهَا قَرَعُ الْأَوْتَارِ مِنَ الطَّنَابِيرِ وَتَفْخُ الْغِطَاتُ يَذْهَبُونَ فِيهَا مَذْهَبَ الْغَنَاءِ وَطَرِيقَهُ فِي مَوَاطِنِ  
حُرُوبِهِمْ هَكَذَا يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ وَعَمَّنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ

(السريـر) . وَأَمَّا السَّرِيرُ وَالْمَنْبَرُ وَالْثَغْتُ وَالْكُرْسِيُّ فَيُحْيَا أَعْوَادَ مَنْصُوبَةٍ أَوْ أَرَانِكُ  
مَنْصُودَةٍ جُلُوسِ السُّلْطَانِ عَلَيْهَا مَرْتَفَعًا عَنْ أَهْلِ تَجْلِسِهِ أَنْ يُسَاوِيَهُمْ فِي الصَّعِيدِ وَلَمْ يَزَلْ  
ذَلِكَ مِنْ سُنَنِ الْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَفِي دَوْلِ الْعَجَمِ وَقَدْ كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَى أَسِيرَةِ الذَّهَبِ  
وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَسَلَامُهُ كُرْسِيُّ وَسَرِيرٌ مِنْ عَاجٍ مَغْشَى بِالذَّهَبِ  
إِلَّا أَنَّهُ لَا تَأْخُذُ بِهِ الدُّوْلُ إِلَّا بَعْدَ الْأَسْتِفْحَالِ وَالتَّرَفِّ شَأْنِ الْأُيُوهِ كُلِّهَا كَمَا قُلْنَا  
وَأَمَّا فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ الْبِدَاوَةِ فَلَا يَتَشَوَّقُونَ إِلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهُ فِي الْإِسْلَامِ  
مُعَاوِيَةُ وَاسْتَأْذَنَ النَّاسَ فِيهِ وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي قَدْ بَدِئْتُ فَأَذِنُوا لَهُ فَاتَّخَذَهُ وَاتَّبَعَهُ الْمُلُوكُ  
الْإِسْلَامِيُّونَ فِيهِ وَصَارَ مِنْ مَنَازِعِ الْأُيُوهِ وَلَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَادِي بِمِصْرَ يَجْلِسُ  
فِي قَصْرِهِ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ الْعَرَبِ وَيَأْتِيهِ الْمُقَوَّقَسُ إِلَى قَصْرِهِ وَمَعَهُ سَرِيرٌ مِنَ الذَّهَبِ  
مَحْمُولًا عَلَى الْأَيْدِي جُلُوسِهِ شَأْنِ الْمُلُوكِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمَامَهُ وَلَا يُغَيِّرُونَ عَلَيْهِ وَفَاءً لَهُ  
بِمَا اعْتَقَدَ مَعَهُمْ مِنَ الذِّمَّةِ وَاطْرَاحًا لِأُيُوهِ الْمَلِكِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لِابْنِ الْعَبَّاسِ  
وَالْعَبِيدِيِّينَ وَسَائِرِ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا مِنَ الْأَسِيرَةِ وَالْمَنَابِرِ وَالْثَغُوتِ مَا عَفَا عَنْ  
الْأَكْمِيرَةِ وَالْقِيَاصِرَةِ وَاللَّهُ مُقَلِّبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ



(السكة) وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صوراً أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير اشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عدداً وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزناً ولفظ السكة كان اسماً للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصارت علماً عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان إلهيها أو تمثيل حصن أو حيوان أو مصنوع أو غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم إلى آخر أمرهم . ولما جاء الإسلام أغفل ذلك لسداجة الدين ويداوة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزناً وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم ويردونها في معاملتهم إلى الوزن ويتصارفون بها بينهم إلى أن تفاحش الغش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك وأمر عبد الملك الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرب الدراهم وتمييز المغشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدائني سنة خمس وسبعين ثم أمر بصرفها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد ثم ولي ابن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم باع خالد القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقيل أول من ضرب الدنانير والدراهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها في أحد الوجهين بركة الله وفي الآخر آمم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها آمم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك أن الدرهم كان وزنه أول الإسلام ستة دنانير والميثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك أن أوزان الدرهم

أَيَّامَ الْفُرْسِ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً وَكَانَ مِنْهَا عَلَى وَزْنِ الْمِثْقَالِ عِشْرُونَ فِيرَاطًا وَمِنْهَا اثْنَا عَشَرَ  
 وَمِنْهَا عَشْرَةٌ فَلَمَّا أُحْتِجَجَ إِلَى تَقْدِيرِهِ فِي الزَّكَاةِ أَخَذَ الْوَسْطَ وَذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ فِيرَاطًا  
 فَكَانَ الْمِثْقَالُ دِرْهَمًا وَثَلَاثَةَ أَسْبَاعٍ دِرْهَمٌ وَقِيلَ كَانَتْ مِنْهَا الْبَغْلِيُّ بِشِمَانِيَّةٍ دَوَانِقُ  
 وَالطَّبْرِيُّ أَرْبَعَةٌ دَوَانِقُ وَالْمَغْرِبِيُّ ثَمَانِيَّةٌ دَوَانِقُ وَالْيَمَنِيُّ سِتَّةٌ دَوَانِقُ فَأَمَرَ عُمَرُ أَنْ يُنْظَرَ  
 الْأَغْلَبُ فِي التَّعَامُلِ فَكَانَ الْبَغْلِيُّ وَالطَّبْرِيُّ اثْنَيْ عَشَرَ دَانِقًا وَكَانَ الدِّرْهَمُ سِتَّةَ  
 دَوَانِقٍ وَإِنْ زِدْتَ ثَلَاثَةَ أَسْبَاعِهِ كَانَ مِثْقَالًا وَإِذَا انْقَصَتْ ثَلَاثَةُ أَعْشَارِ الْمِثْقَالِ كَانَ  
 دِرْهَمًا فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ اخْتِذَاذَ السِّكَّةِ لِحِصَانَةِ النُّقْدَيْنِ الْجَارِيَيْنِ فِي مُعَامَلَةِ  
 الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْغِشِّ عَيْنَ مَقْدَارِهَا عَلَى هَذَا الَّذِي اسْتَقَرَّ لِعَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 وَاتَّخَذَ فِيهِ كَلِمَاتٍ لَا صُورًا لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَ الْكَلَامَ وَالْبَلَاغَةَ أَقْرَبَ مَنَاحِيهِمْ وَأُظْهِرَهَا  
 مَعَ أَنَّ الشَّرْعَ يَنْهَى عَنِ الصُّورِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَمَرَ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَيَّامِ الْمِلَّةِ كُلِّهَا  
 وَكَانَ الدِّينَارُ وَالْدِرْهَمُ عَلَى شَكْلَيْنِ مُدَوَّرَيْنِ وَالْكِتَابَةُ عَلَيْهِمَا فِي دَوَائِرٍ مُتَوَازِيَةٍ  
 يُكْتَبُ فِيهَا مِنْ أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ أَسْمَاءُ اللَّهِ تَهْلِيلًا وَتَحْمِيدًا وَصَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَفِي  
 الْوَجْهِ الثَّانِي التَّأْرِيخُ وَأَسْمُ الْخَلِيفَةِ وَهَكَذَا أَيَّامَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَالْعَبِيدِيِّينَ وَالْأُمَوِيِّينَ  
 وَأَمَّا صَنْعُهَا فَلَمْ يَتَّخِذُوا سِكَّةً إِلَّا آخِرَ الْأَمْرِ اتَّخَذَهَا مَنْصُورٌ صَاحِبُ بَغْيَاةٍ ذَكَرَ ذَلِكَ  
 ابْنُ حَمَادٍ فِي تَارِيخِهِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ كَانَ مِمَّا سَنَّ لَهُمُ الْمَهْدِيُّ اخْتِذَاذَ  
 سِكَّةِ الدِّرْهَمِ مُرَبَّعَ الشَّكْلِ وَأَنْ يُرْسَمَ فِي دَائِرَةِ الدِّينَارِ شَكْلُ مُرَبَّعٍ فِي وَسْطِهِ  
 وَيُمْلَأَ مِنْ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ تَهْلِيلًا وَتَحْمِيدًا وَمِنْ الْجَانِبِ الْآخَرِ كُتِبَ فِي السُّطُورِ بِأَسْمِهِ  
 وَأَسْمِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَعَلَّ ذَلِكَ الْمُوَحِّدُونَ وَكَانَتْ سِكَّتُهُمْ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَلَقَدْ كَانَ الْمَهْدِيُّ فِيمَا يُنْقَلُ يُنْعَتُ قَبْلَ ظُهُورِهِ بِصَاحِبِ الدِّرْهَمِ الْمُرَبَّعِ نَعْتَهُ بِذَلِكَ  
 الْمُتَكَلِّمُونَ بِالْحَدَّثَانِ مِنْ قَبْلِهِ الْخُخْبَرُونَ فِي مَلَاحِمِهِمْ عَنْ دَوْلَتِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ فَسِكَّتُهُمْ غَيْرُ مُقَدَّرَةٍ وَإِنَّمَا يَتَعَامَلُونَ بِالْذَّنَائِرِ وَالْدِّرَاهِمِ وَزَنًا بِالْصَنْجَاتِ  
 الْمَقَدَّرَةِ بَعْدَ مِنْهَا وَلَا يَطْبَعُونَ عَلَيْهَا بِالسِّكَّةِ نُقُوشَ الْكَلِمَاتِ بِالتَّهْلِيلِ وَالصَّلَاةِ وَأَسْمِ  
 السُّلْطَانِ كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

وَلَنُخْتَمِ الْكَلَامَ فِي السِّكَّةِ بِذِكْرِ حَقِيقَةِ الدِّرْهَمِ وَالْدِّينَارِ الشَّرْعِيَيْنِ وَيَبَانَ

حَقِيقَةُ مَقْدَارِهِمَا



وذلك أن الدينار والدرهم مختلفا في السكة في المقدار والموازن بالآفاق  
والأمصار وسائر الأعمال والشرع قد تعرض لإذكريهما وعلق كثيرا من الأحكام  
بهما في الزكاة والأنكحة والحدود وغيرها فلا بد لهما عنده من حقيقة ومقدار  
معين في تقدير تجري عليهما أحكامه دون غير الشرعي منهما فأعلم أن الإجماع  
منعقد منذ صدر الإسلام وعهد الصحابة والتابعين أن الدرهم الشرعي هو الذي تزن  
العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب والأوقية منه أربعين درهما وهو على هذا سبعة  
أعشار الدينار ووزن الميثقال من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير فالدرهم  
الذي هو سبعة أعشاره خمسون حبة وخمسا حبة وهذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع  
فإن الدرهم الجاهلي كان بينهم على أنواع أجودها الطبري وهو أربعة دنانير والبغلي  
وهو ثمانية دنانير فجعلوا الشرعي بينهما وهو ستة دنانير فكانوا يوجبون الزكاة  
في مائة درهم بغلية ومائة طبرية خمسة دراهم وسطا وقد اختلفت الناس هل  
كان ذلك من وضع عبد الملك أو إجماع الناس بعد عليه كما ذكرناه .  
ذكر ذلك الخطام في كتاب معالم السنن والمأزدي في الأحكام السلطانية  
وأنكره المحققون من المتأخرين لما يلزم عليه أن يكون الدينار والدرهم الشرعيان  
مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية بهما في الزكاة  
والأنكحة والحدود وغيرها كما ذكرناه وأحق أنهما كانا معلومي المقدار في ذلك  
العصر لجريان الأحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق وكان مقدارهما غير مستخص  
في الخارج وإنما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي على المقدار في مقدارهما  
وزنتهما حتى استفحل الإسلام وعظمت الدولة ودعت الحال إلى تشخيصهما في  
المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير وقارن ذلك أيام  
عبد الملك فشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهما  
السكة بأسمه وتأريخه أثر الشهادتين الأيمائيتين وطرح النقود الجاهلية رأسا  
حتى خلصت ونقش عليها سكة وتلاشي وجودها فهذا هو الحق الذي لا محيد عنه  
ومن بعد ذلك وقع اختيار أهل السكة في الدول على مخالفة المقدار الشرعي في  
الدينار والدرهم واختلفت في كل الأقطار والآفاق ورجع الناس إلى تصور مقاديرهما

الشَّرْعِيَّةُ ذَهْنًا كَمَا كَانَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَصَارَ أَهْلُ كُلِّ أَفْقٍ يَسْتَخْرِجُونَ الْحَقُّوقَ  
الشَّرْعِيَّةَ مِنْ سِكَتِهِمْ بِمَعْرِفَةِ النَّسَبَةِ الَّتِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَقَادِيرِهَا الشَّرْعِيَّةِ وَأَمَّا وَزْنُ  
الدِّينَارِ بِاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ حَبَّةً مِنَ الشَّعِيرِ الْوَسَطِ فَهُوَ الَّذِي تَقْلَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَعَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ  
إِلَّا ابْنَ حَزْمٍ خَالَفَ ذَلِكَ وَزَعَمَ أَنَّ وَزَنَهُ أَرْبَعٌ وَثَمَانُونَ حَبَّةً . تَقْلُ ذَلِكَ عَنْهُ الْقَاضِي  
عَبْدُ الْحَقِّ وَرَدَّهُ الْمُحَقِّقُونَ وَعَدَّوْهُ وَهَمًا وَغَلَطًا وَهُوَ الصَّحِيحُ وَاللَّهُ يُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ  
وَكَذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَوْقِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الْمَتَعَارِفَةُ بَيْنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْمَتَعَارِفَةَ  
مُخْتَلَفَةٌ بِاخْتِلَافِ الْأَفْطَارِ وَالشَّرْعِيَّةَ مُتَّحِدَةٌ ذَهْنًا لَا اخْتِلَافَ فِيهَا وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا

(الخاتم) وَأَمَّا الْخَاتَمُ فَهُوَ مِنَ الْخَطِّ السَّاطِنِيَّةِ وَالْوِظَائِفِ الْمُلُوكِيَّةِ وَالْخَتْمُ عَلَى  
الرِّسَالِ وَالصُّكُوكِ مَعْرُوفٌ لِلْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ  
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى قَيْصَرَ قَيْلَ لَهُ إِنَّ الْعَجَمَ لَا يَقْبَلُونَ  
كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنُقِشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ  
الْبُخَارِيُّ جَعَلَ الثَّلَاثَ الْكَلِمَاتِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ وَخَتَمَ بِهِ وَقَالَ لَا يَنْقُشُ أَحَدٌ مِثْلَهُ قَالَ  
وَتَخْتَمُ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ثُمَّ سَقَطَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ فِي بَيْتِ أَرِيَسَ وَكَانَتْ قَلِيلَةً  
الْمَاءُ فَلَمْ يَذْكُرْ قَعْرُهَا بَعْدُ وَاعْتَمَ عُثْمَانُ وَتَطَيَّرَ مِنْهُ وَصَنَعَ آخَرَ عَلَى مِثْلِهِ وَفِي كَيْفِيَّةِ  
نُقُوشِ الْخَاتَمِ وَالْخَتْمِ بِهِ وَجُوهٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ يُطْلَقُ عَلَى الْأَلَةِ الَّتِي تُجْعَلُ فِي الْأَصْبَعِ وَمِنْهُ  
تُخْتَمُ إِذَا لَبَسَهُ وَيُطْلَقُ عَلَى النِّهَايَةِ وَالْتِمَامِ وَمِنْهُ خَتَمْتُ الْأَمْرَ إِذَا بَلَغْتُ آخِرَهُ وَخَتَمْتُ  
الْقُرْآنَ كَذَلِكَ وَمِنْهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُ الْأَمْرِ وَيُطْلَقُ عَلَى السَّدَادِ الَّذِي يُسَدُّ بِهِ الْأَوَانِي  
وَالدِّانَ وَيُقَالُ فِيهِ خِتَامٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى خِتَامُهُ مِسْكٌ وَقَدْ غَلِطَ مَنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِالنِّهَايَةِ  
وَالْتِمَامِ قَالَ لِأَنَّ آخِرَ مَا يَجِدُونَهُ فِي شَرَابِهِمْ رِيحُ الْمِسْكِ وَلَيْسَ الْمَعْنَى عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هُوَ  
مِنَ الْخِتَامِ الَّذِي هُوَ السَّدَادُ لِأَنَّ الْخَمْرَ يُجْعَلُ لَهَا فِي الدِّينِ سَدَادُ الطِّينِ أَوْ الْقَارِ يَحْفَظُهَا  
وَيُطَيَّبُ عَرَفَهَا وَذَوَّقَهَا فَبُورِغٌ فِي وَصْفِ خَمْرِ الْجَنَّةِ بِأَنَّ سَدَادَهَا مِنَ الْمِسْكِ وَهُوَ أَطْيَبُ  
عَرَفًا وَذَوْقًا مِنَ الْقَارِ وَالطِّينِ الْمَعْمُودَيْنِ فِي الدُّنْيَا فَإِذَا صَحَّ إِطْلَاقُ الْخَاتَمِ عَلَى هَذِهِ كَلِمَاتِهَا  
صَحَّ إِطْلَاقُهُ عَلَى أَثَرِهَا النَّاشِئِ عَنْهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ إِذَا نُقِشَتْ بِهِ كَلِمَاتٌ أَوْ أَشْكَالٌ  
ثُمَّ غُمِسَ فِي مَدَافٍ مِنَ الطِّينِ أَوْ مِدَادٍ وَوُضِعَ عَلَى صَفْحِ الْقِرْطَاسِ بَقِيَ أَكْثَرُ الْكَلِمَاتِ



فِي ذَلِكَ الصَّنْعِ وَكَذَلِكَ إِذَا طُبِعَ بِهِ عَلَى جِسْمٍ لَيْسَ كَالشَّمْعِ فَإِنَّهُ يَبْقَى نَقْشُ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ مُرْتَسِمًا فِيهِ وَإِذَا كَانَتْ كَلِمَاتُ وَارْتَسَمَتْ فَقَدْ يُقْرَأُ مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى  
 إِذَا كَانَ النَّقْشُ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ مِنَ الْيَمْنَى وَقَدْ يُقْرَأُ مِنَ الْجِهَةِ الْيَمْنَى إِذَا كَانَ النَّقْشُ  
 مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى لِأَنَّ الْخَتْمَ يَقْلِبُ جِهَةَ الْخَطِّ فِي الصَّفْحِ عَمَّا كَانَ فِي النَّقْشِ مِنْ يَمِينٍ  
 أَوْ يَسَارٍ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْخَتْمُ بِهَذَا الْخَاتَمِ بَعْضُهُ فِي الْمِدَادِ أَوْ الطِّينِ وَوَضَعُهُ  
 فِي الصَّفْحِ فَتَنْقَشَ الْكَلِمَاتُ فِيهِ وَيَكُونُ هَذَا مِنْ مَعْنَى النِّهَايَةِ وَالْتِمَامِ بِمَعْنَى صِحَّةِ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ وَتَقْوِذِهِ كَانَ الْكِتَابُ إِنَّمَا يَتِمُّ الْعَمَلُ بِهِ بِهَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَهُوَ مِنْ دُونِهَا  
 مُغْنَى لَيْسَ بِتَامٍ وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْخَتْمُ بِالْخَطِّ آخِرَ الْكِتَابِ أَوْ أَوَّلَهُ بِكَلِمَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ  
 مِنْ تَحْمِيدٍ أَوْ تَسْبِيحٍ أَوْ بِاسْمِ السُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ أَوْ صَاحِبِ الْكِتَابِ مَنْ كَانَ أَوْ  
 شَيْءٌ مِنْ نَعْوَتِهِ يَكُونُ ذَلِكَ الْخَطُّ عِلَامَةً عَلَى صِحَّةِ الْكِتَابِ وَتَقْوِذِهِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ فِي  
 الْمُتَعَارِفِ عِلَامَةً وَيُسَمَّى خَتْمًا تَشْبِيهًا لَهُ بِأَثَرِ الْخَاتَمِ الْأَصْفِيِّ فِي النَّقْشِ وَمِنْ هَذَا  
 خَاتَمُ الْقَاضِي الَّذِي يَبْعَثُ بِهِ لِلْخُصُومِ أَيْ عِلَامَتُهُ وَخَطُّهُ الَّذِي يُنْقِذُ بِهِمَا أَحْكَامَهُ  
 وَمِنْهُ خَاتَمُ السُّلْطَانِ أَوْ الْخَلِيفَةِ أَيْ عِلَامَتُهُ قَالَ الرَّشِيدُ لِيُحْيَى بْنِ خَالِدٍ لَمَّا أَرَادَ أَنْ  
 يَسْتَوِزَرَ جَعْفَرًا وَيَسْتَبْدِلَ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ أَخِيهِ فَقَالَ لِأَيُّهِمَا يُحْيَى يَا أَبْتَ إِنِّي أَرَدْتُ  
 أَنْ أَجُولَ الْخَاتَمَ مِنْ يَمِينِي إِلَى شِمَالِي فَكُنِّي لَهُ بِالْخَاتَمِ عَنِ الْوِزَارَةِ لِمَا كَانَتْ الْعِلَامَةُ  
 عَلَى الرِّسَالِ وَالصُّكُوكِ مِنْ وَظَائِفِ الْوِزَارَةِ لِعَهْدِهِمْ وَيَشْهَدُ لَصِحَّةِ هَذَا الْإِطْلَاقِ مَا  
 نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَرْسَلَ إِلَى الْحَسَنِ عِنْدَ مُرَاوَدَتِهِ إِيَّاهُ فِي الصُّلْحِ صَحِيفَةً بَيَضَاءَ  
 خَتَمَ عَلَى أَسْفَلِهَا وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَشْتَرِطَ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي خَتَمْتُ أَسْفَلَهَا مَا شِئْتَ  
 فَهُوَ لَكَ وَمَعْنَى الْخَتْمِ هُنَا عِلَامَةٌ فِي آخِرِ الصَّحِيفَةِ بِخَطِّهِ أَوْ غَيْرِهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُخْتَمَ بِهِ  
 فِي جِسْمٍ لَيْسَ فَتَنْقَشُ فِيهِ حُرُوفُهُ وَيُجْعَلُ عَلَى مَوْضِعِ الْحَزْمِ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حَزِمَ  
 وَعَلَى الْمَوْدُوعَاتِ وَهُوَ مِنَ السَّدَادِ كَمَا مَرَّ وَهُوَ فِي الْوَجْهَيْنِ آثَارُ الْخَاتَمِ فَيُطْلَقُ عَلَيْهِ  
 خَاتَمٌ وَأَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ الْخَتْمَ عَلَى الْكِتَابِ أَيْ الْعِلَامَةَ مُعَاوِيَةُ لِأَنَّهُ أَمَرَ لِعَمْرِ بْنِ الزُّبَيْرِ  
 عِنْدَ زِيَادٍ بِالْكُوفَةِ بِمِائَةِ أَلْفٍ فَفَتَحَ الْكِتَابَ وَصَيَّرَ الْمِائَةَ مِائَتَيْنِ وَرَفَعَ زِيَادَ حِسَابَهُ  
 فَأَنْكَرَهَا مُعَاوِيَةُ وَطَلَبَ بِهَا عُمَرَ وَحَبَسَهُ حَتَّى قَضَاهَا عَنْهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ وَاتَّخَذَ مُعَاوِيَةُ  
 عِنْدَ ذَلِكَ دِيْوَانَ الْخَاتَمِ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَقَالَ آخَرُونَ وَحَزَمَ الْكِتَابَ وَلَمْ تَكُنْ

مُحْزَمٌ أَيْ جَعَلَ لَهَا السَّدَادَ وَدِيَوَانَ الْخَتْمِ عِبَارَةً عَنِ الْكُتَّابِ الْقَائِمِينَ عَلَى انْفِذِ  
 كُتُبِ السُّلْطَانِ وَالْخَتْمِ عَلَيْهَا إِمَّا بِالْعَلَامَةِ أَوْ بِالْحَزْمِ وَقَدْ يُطْلَقُ الدِّيَوَانُ عَلَى مَكَانِ  
 جُلُوسِ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي دِيَوَانِ الْأَعْمَالِ وَالْحَزْمُ لِلْكَتُبِ يَكُونُ  
 إِمَّا بِدَسِّ الْوَرَقِ كَمَا فِي عُرْفِ كُتَابِ الْمَغْرِبِ وَإِمَّا بِإِلصَاقِ رَأْسِ الصَّحِيفَةِ عَلَى مَا  
 تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ كَمَا فِي عُرْفِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَقَدْ يُجْعَلُ عَلَى مَكَانِ الدَّسِّ أَوْ  
 الْإِلصَاقِ عِلَامَةٌ يُؤْمَنُ مَعَهَا مِنْ فَتْحِهِ وَالْإِطْلَاقِ عَلَى مَا فِيهِ فَأَهْلُ الْمَغْرِبِ يَجْعَلُونَ عَلَى  
 مَكَانِ الدَّسِّ قِطْعَةً مِنَ الشَّمْعِ وَيَخْتِمُونَ عَلَيْهَا بِخَاتَمٍ تُقَشَّتْ فِيهِ عِلَامَةٌ لِذَلِكَ فَيَرْتَسِمُ  
 النَّقْشُ فِي الشَّمْعِ وَكَانَ فِي الْمَشْرِقِ فِي الدُّوَلِ الْقَدِيمَةِ يُخْتَمُ عَلَى مَكَانِ اللُّصْقِ بِخَاتَمٍ  
 مَنقُوشٍ أَيْضًا قَدْ غُمِسَ فِي مَدَافٍ مِنَ الطِّينِ مَعْدَّةً لِذَلِكَ صِبْغُهُ أَحْمَرُ فَيَرْتَسِمُ ذَلِكَ  
 النَّقْشُ عَلَيْهِ وَكَانَ هَذَا الطِّينُ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يُعْرَفُ بِطِينِ الْخَتْمِ وَكَانَ يُجْلَبُ مِنْ  
 سِيرَافٍ فَيَظْهَرُ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِهَا فَهَذَا الْخَاتَمُ الَّذِي هُوَ الْعِلَامَةُ الْمَكْتُوبَةُ أَوْ النَّقْشُ  
 لِلْسَّدَادِ وَالْحَزْمِ لِلْكَتُبِ خَاصٌّ بِدِيَوَانِ الرِّسَالِ وَكَانَ ذَلِكَ لِلْوُزَيْرِ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
 ثُمَّ اخْتَلَفَ الْعُرْفُ وَصَارَ لِمَنْ إِلَيْهِ التَّرْسِيلُ وَدِيَوَانُ الْكُتَّابِ فِي الدَّوَلَةِ ثُمَّ صَارُوا فِي  
 دُولِ الْمَغْرِبِ يَعْدُونَ مِنْ عِلَامَاتِ الْمَلِكِ وَشَارَاتِهِ الْخَاتَمُ لِلْإِصْبَعِ فَيَسْتَحِيدُونَ صَوْنَهُ  
 مِنَ الذَّهَبِ وَيُرْصَعُونَهُ بِالْفُصُوصِ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالْفَيْرُوزِجِ وَالزُّمُرِّ وَيَلْبَسُهُ السُّلْطَانُ  
 شَارَةً فِي عُرْفِهِمْ كَمَا كَانَتْ الْبُرْدَةُ وَالْقَضِيبُ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْمِظَلَّةُ فِي الدَّوَلَةِ  
 الْعَبْسِيَّةِ وَاللَّهُ مَصْرِفُ الْأُمُورِ بِحُكْمِهِ

(الطراز) \* مِنْ أَهْيَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَمَذَاهِبِ الدُّوَلِ أَنْ تُرْسَمَ أَسْمَاؤُهُمْ أَوْ  
 عِلَامَاتُ تَخْتَصُّ بِهِمْ فِي طِرَازِ أَثَوَابِهِمُ الْمَعْدَّةُ لِلْبَاسِيهِمْ مِنَ الْحَرِيرِ أَوْ الدِّيَبَاجِ أَوْ  
 الْأَبْرِيسِمِ تُعْتَبَرُ كِتَابَةٌ خَطِّهَا فِي نَسْجِ الثَّوبِ الْحَمَامُ وَإِسْدَاءُ بِخِطِّ الذَّهَبِ أَوْ مَا يُخَالِفُ  
 لَوْنِ الثَّوبِ مِنَ الْخِيُوطِ الْمَلُونَةِ مِنْ غَيْرِ الذَّهَبِ عَلَى مَا يُحْكِمُهُ الصَّنَاعُ فِي تَقْدِيرِ ذَلِكَ  
 وَوَضْعِهِ فِي صِنَاعَةِ نَسْجِهِمْ فَتَصِيرُ الشِّيَابُ الْمَلُوكِيَّةُ مُعْلَمَةً بِذَلِكَ الطِّرَازِ قَصْدَ التَّنْوِيهِ  
 بِالْبَاسِيَةِ مِنَ السُّلْطَانِ فَمَنْ دُونَهُ أَوْ التَّنْوِيهِ بِمَنْ يَخْتَصُّهُ السُّلْطَانُ بِمَلْبُوسِهِ إِذَا قَصَدَ  
 تَشْرِيفَهُ بِذَلِكَ أَوْ وِلَايَتَهُ لَوْظِيَّةً مِنْ وَظَائِفِ دَوْلَتِهِ وَكَانَ مُلُوكُ الْعَجَمِ مِنْ قَبْلِ الْإِسْلَامِ  
 يَجْعَلُونَ ذَلِكَ الطِّرَازَ بِصُورِ الْمُلُوكِ وَأَشْكَالِهِمْ أَوْ أَشْكَالٍ وَصُورٍ مُعَيَّنَةٍ لِذَلِكَ ثُمَّ



أَعْتَاضَ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ عَنْ ذَلِكَ بِكُتُبِ أَسْمَائِهِمْ مَعَ كَلِمَاتٍ أُخْرَى تَجْرِي مَجْرَى  
 الْقَالَ أَوْ السَّجَلَاتِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الدَّوْلَتَيْنِ مِنْ أَمِيَّةِ الْأُمُورِ وَأَفْخَمِ الْأَحْوَالِ وَكَانَتْ  
 الدُّورُ الْمَعْدَّةُ لِنَسْحِ أَثْوَابِهِمْ فِي قُصُورِهِمْ تُسَمَّى دُورَ الطَّرَازِ لِذَلِكَ وَكَانَ الْقَائِمُ عَلَى  
 النَّظَرِ فِيهَا يُسَمَّى صَاحِبَ الطَّرَازِ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ الصَّبَاغِ وَالْأَلَةِ وَالْحَاكَةِ فِيهَا وَإِجْرَاءِ  
 أَرْزَاقِهِمْ وَتَسْهِيلِ أَلَانِهِمْ وَمُشَارَفَةِ أَعْمَالِهِمْ وَكَانُوا يَقْلِدُونَ ذَلِكَ لِحَوَاصِ دَوْلَتِهِمْ وَثِقَاتِ  
 مَوَالِيهِمْ وَكَذَلِكَ كَانَ الْحَالُ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمِيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَالطَّوَائِفِ مِنْ بَعْدِهِمْ وَفِي  
 دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِمِصْرَ وَمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ لَمَّا ضَاقَ  
 نِطَاقُ الدُّوَلِ عَنِ التَّرَفِ وَالتَّفَنُّ فِيهِ لِيُضِيقَ نِطَاقُهَا فِي الْإِسْتِيلَاءِ وَتَعَدَّدَتِ الدُّوَلُ تَعَطَّلَتْ  
 هَذِهِ الْوُظُفَةُ وَالْوَلَايَةُ عَلَيْهَا مِنْ أَكْثَرِ الدُّوَلِ بِالْجُمْلَةِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ  
 بِالْمَغْرِبِ بَعْدَ بَنِي أُمِيَّةَ أَوَّلَ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ لَمْ يَأْخُذُوا بِذَلِكَ أَوَّلَ دَوْلَتِهِمْ لَمَّا كَانُوا  
 عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِعِ الدِّيَانَةِ وَالسَّدَاجَةِ الَّتِي لَقْنُوهَا عَنْ إِمَامِهِمْ مُحَمَّدِ بْنِ تُوْمَرْتِ الْمَهْدِيِّ  
 وَكَانُوا يَتَوَرَّعُونَ عَنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ فَسَقَطَتْ هَذِهِ الْوُظُفَةُ مِنْ دَوْلَتِهِمْ وَاسْتَدْرَكَ  
 مِنْهَا أَعْقَابُهُمْ آخِرَ الدَّوَلَةِ طَرَفًا لَمْ يَكُنْ بِتِلْكَ النَّبَاهَةِ وَأَمَّا إِيَّاهُ الْعَهْدِ فَأَذَرَ كُنَّا بِالْمَغْرِبِ  
 فِي الدَّوَلَةِ الْمَرْبُوبَةِ لِعُنْفُوَانِهَا وَشُمُوخِهَا رَسْمًا جَلِيلًا لِقُنُوهِ مِنْ دَوْلَةِ ابْنِ الْأَحْمَرِ مُعَاصِرِهِمْ  
 بِالْأَنْدَلُسِ وَاتَّبَعَ هُوَ فِي ذَلِكَ مُلُوكَ الطَّوَائِفِ فَأَتَى مِنْهُ بِلِخْمَةٍ شَاهِدَةٍ بِالْآثَرِ وَأَمَّا دَوْلَةُ  
 التُّرْكِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ إِيَّاهُ الْعَهْدِ فَفِيهَا مِنَ الطَّرَازِ تَحْرِيرٌ آخِرٌ عَلَى مِقْدَارِ مُلْكِهِمْ وَعُمُرَانِ  
 بِلَادِهِمْ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَصْنَعُ فِي دُورِهِمْ وَقُصُورِهِمْ وَلَبَسَتْ مِنْ وَظَائِفِ دَوْلَتِهِمْ وَإِنَّمَا  
 يَنْسَجُ مَا تَطْلُبُهُ الدَّوَلَةُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ صُنَاعِهِ مِنَ الْحَرِيرِ وَمِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَيُسَمُّونَهُ  
 الْمُرْزُكَشَ لَفْظَةً أُعْجِمِيَّةً وَيُرْسَمُ اسْمُ السُّلْطَانِ أَوِ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ وَيُعَدُّ الصَّنَاعُ لَهُمْ فِيمَا  
 يُعْدُونَهُ لِلدَّوَلَةِ مِنْ طَرَفِ الصَّنَاعَةِ الْإِثْقَةِ بِهَا وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفساطيط والسياج

إِعْلَمَ أَنَّ مِنْ شَارَاتِ الْمُلْكِ وَتَرْفِهِ اتِّخَاذُ الْأَخْيَةِ وَالْفَسَاطِيطِ وَالْفَازَاتِ مِنْ ثِيَابِ  
 الْبُكْتَانِ وَالصُّوفِ وَالْقُطْنِ فَيُبَاهَى بِهَا فِي الْأَسْفَارِ وَتَنْوَعُ مِنْهَا الْأَلْوَانُ مَا بَيْنَ كَبِيرٍ  
 وَصَغِيرٍ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوَلَةِ فِي الثَّرْوَةِ وَالْيَسَارِ وَإِنَّمَا يَكُونُ الْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الدَّوَلَةِ فِي يَوْمِهِمْ  
 الَّتِي جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِاتِّخَاذِهَا قَبْلَ الْمُلْكِ وَكَانَ الْعَرَبُ لِعَهْدِ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلِينَ مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ

إِنَّمَا يَسْكُنُونَ بُيُوتَهُمُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ خِيَامًا مِنَ الْوَبَرِ وَالصُّوفِ وَلَمْ تَزَلِ الْعَرَبُ لِذَلِكَ  
 الْعَهْدِ بَادِينَ إِلَّا الْأَقْلَ مِنْهُمْ فَكَانَتْ أَسْفَارُهُمْ لِعَزَوَاتِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ بِظُعُونِهِمْ وَسَائِرِ  
 حِلَلِهِمْ وَأَحْيَاءِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَكَانَتْ عَسَاكِرُهُمْ  
 لِذَلِكَ كَثِيرَةً الْحُلَلِ بَعِيدَةً مَا بَيْنَ الْمَنَازِلِ مُتَفَرِّقَةً الْأَحْيَاءُ يَغِيبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَنْ  
 نَظَرِ صَاحِبِهِ مِنَ الْأُخْرَى كَشَأْنِ الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ مَا كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَحْتَاجُ إِلَى سَاقَةِ  
 مَحْشَدِ النَّاسِ عَلَى أَثَرِهِ أَنْ يُقِيمُوا إِذَا ظَعَنَ وَنَقِلَ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْحِجَاجِ حِينَ  
 أَشَارَ بِهِ رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ وَقَصَّتُهُمَا فِي إِحْرَاقِ فَسَاطِيطِ رَوْحٍ وَخِيَامِهِ لِأَوَّلِ وَلَايَتِهِ  
 حِينَ وَجَدَهُمْ مُقِيمِينَ فِي يَوْمِ رَحِيلِ عَبْدِ الْمَلِكِ قِصَّةً مَشْهُورَةً وَمِنْ هَذِهِ الْوَلَايَةِ تُعْرَفُ  
 رُتَبَةُ الْحِجَاجِ بَيْنَ الْعَرَبِ فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى إِرَادَتَهُمْ عَلَى الظَّعْنِ إِلَّا مَنْ يَأْمَنُ بِوَادِرِ  
 السُّفَهَاءِ مِنْ أَحْيَاءِهِمْ بِمَا لَهُ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ الْحَائِلَةِ دُونَ ذَلِكَ وَلِذَلِكَ اخْتَصَّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ  
 بِهَذِهِ الرُّتَبَةِ ثِقَةً بِغِنَائِهِ فِيهَا بِعَصَبِيَّتِهِ وَصِرَاطَتِهِ فَلَمَّا تَقَنَّنَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مَذَاهِبِ  
 الْحَضَارَةِ وَالْبَدَخِ وَنَزَلُوا الْمَدَنَ وَالْأَمْصَارَ وَانْتَقَلُوا مِنْ سُكْنَى الْخِيَامِ إِلَى سُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَمِنْ ظَهْرِ الْخُفِّ إِلَى ظَهْرِ الْحَافِرِ اتَّخَذُوا لِلْسُّكْنَى فِي أَسْفَارِهِمْ ثِيَابَ الْكِتَانِ  
 يَسْتَعْمِلُونَ مِنْهَا يَوْمًا مُخْتَلَفَةً الْأَشْكَالِ مُقَدَّرَةً لِأَمْثَالِ مِنَ الْقُورَاءِ وَالْمُسْتَطِيلَةِ وَالْمُرَبَّعَةِ  
 وَبِخْتِفَلُونَ فِيهَا بِأَبْلَغِ مَذَاهِبِ الْإِحْتِفَالِ وَالزَّيْنَةِ وَيُدِيرُ الْأَمِيرُ وَالْقَائِدُ لِلْعَسَاكِ عَلَى  
 فَسَاطِيطِهِ وَفَازَاتِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ سِيَاجًا مِنَ الْكِتَانِ يُسَمَّى فِي الْمَغْرِبِ بِلِسَانِ الْبَرْبَرِ الَّذِي  
 هُوَ لِسَانُ أَهْلِ أَفْرَاكِ بِالْكَافِ وَالْقَافِ وَيَخْتَصُّ بِهِ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ الْقَطْرِ لَا يَكُونُ  
 لِغَيْرِهِ وَأَمَّا فِي الْمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُهُ كُلُّ أَمِيرٍ وَإِنْ كَانَ دُونَ السُّلْطَانِ ثُمَّ جُمِعَتِ الدَّعَةُ  
 بِالنِّسَاءِ وَالْوَلَدَانِ إِلَى الْمَقَامِ بِقُصُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ نَحَفَ لِذَلِكَ ظَهْرُهُمْ وَتَقَارَبَتِ السِّيَاجُ  
 بَيْنَ مَنَازِلِ الْعَسْكَرِ وَاجْتَمَعَ الْجَيْشُ وَالسُّلْطَانُ فِي مَعْسَكٍ وَاحِدٍ يَحْصُرُهُ الْبَصَرُ فِي بَسِيطَةٍ  
 زَهْوًا أَيْقَانًا لِاخْتِلَافِ أَلْوَانِهِ وَاسْتَمَرَ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَذَاهِبِ الدُّوَلِ فِي بَدْخِيَا وَتَرْفِيَا  
 وَكَذَا كَانَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ وَزَنَاتُهُ الَّتِي أَظَلَّتْنَا كَانَ مَفْرُغُهُمْ أَوَّلَ أَمْرِهِمْ فِي بُيُوتِ سُكْنَاهُمْ  
 قَبْلَ الْمُلْكِ مِنَ الْخِيَامِ وَالْقِيَاطِينَ حَتَّى إِذَا اخَذَتِ الدَّوْلَةُ فِي مَذَاهِبِ التَّرَفِ وَسُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَعَادُوا إِلَى سُكْنَى الْأَخْيَةِ وَالْفَسَاطِيطِ بَلَّغُوا مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ مَا أَرَادُوهُ وَهُوَ مِنْ  
 التَّرَفِ بِمَكَانٍ إِلَّا أَنَّ الْعَسَاكِ بِهِ تَصِيرُ عُرْضَةً لِلْيَبَاتِ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ تَشْمَلُهُمْ



فِيهِ الصِّحَّةُ وَلِحَفَّتِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ الَّذِينَ تَكُونُ الْأَسْمَاءُ دُونَهُمْ فَيَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى تَحْفِظِ آخِرِ وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

### المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة

وَهُمَا مِنَ الْأُمُورِ اخْتِلَافِيَّةٍ وَمِنْ شَارَاتِ الْمُلُوكِ الْإِسْلَامِيِّ وَلَمْ يُعْرِفْ فِي غَيْرِ دَوْلِ الْإِسْلَامِ . فَأَمَّا الْبَيْتُ الْمَقْصُورَةُ مِنَ الْمَسْجِدِ لَصَلَاةِ السُّلْطَانِ فَيَتَّخِذُ سِيَّاحًا عَلَى الْحَرَابِ فَيَحُورُهُ وَمَا بِلَيْهِ فَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ حِينَ دَاعَنَهُ الْخَارِجِيُّ وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهَا مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ حِينَ طَعَنَهُ الْبِمَانِيُّ ثُمَّ اتَّخَذَهَا الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِمَا وَصَارَتْ سُنَّةً فِي تَمْيِيزِ السُّلْطَانِ عَنِ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ وَهِيَ إِنَّمَا تَحْدُثُ عِنْدَ حُصُولِ التَّرَفِ فِي الدَّوَلِ وَالْإِسْتِخْلَالِ شَأْنِ أَحْوَالِ الْأَيَّةِ كُلِّهَا وَمَا زَالَ الشَّانُ ذَلِكَ فِي الدَّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا وَعِنْدَ اقْتِرَاقِ الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَتَعَدُّ الدَّوَلِ بِالْمَشْرِقِ وَكَذَا بِالْأَنْدَلُسِ عِنْدَ انْقِرَاضِ الدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَتَعَدُّ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ وَأَمَّا الْمَغْرِبُ فَكَانَ بَنُو الْأَغْلَبِ يَتَّخِذُونَهَا بِالْقَيْرَوَانِ ثُمَّ الْخُلَفَاءُ الْعَبِيدِيُّونَ ثُمَّ وَلَا تَهُمُ عَلَى الْمَغْرِبِ مِنْ صَنْهَاجَةَ بَنُو بَادِيسَ بَفَاسَ وَبَنُو حَمَادٍ بِالْقَلْعَةِ ثُمَّ مَلِكُ الْمُوَحِّدُونَ سَائِرَ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَمَحَا ذَلِكَ الرَّسْمُ عَلَى طَرِيقَةِ الْبِدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ شِعَارَهُمْ وَلَمَّا اسْتَفْحَلَتِ الدَّوَلَةُ وَأَخَذَتْ بِحُظِّهَا مِنَ التَّرَفِ وَجَاءَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورُ ثَالِثُ مُلُوكِهِمْ فَأَتَّخَذَ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ وَبَقِيَتْ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّةً لِمُلُوكِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَهَكَذَا كَانَ الشَّانُ فِي سَائِرِ الدَّوَلِ سُنَّةً اللَّهِ فِي عِبَادِهِ . وَأَمَّا الدُّعَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْخِطْبَةِ فَكَانَ الشَّانُ أَوَّلًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَلَايَةِ الصَّلَاةِ بِأَنْفُسِهِمْ فَكَانُوا يَدْعُونَ لِذَلِكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرَّضَى عَنْ أَصْحَابِهِ وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْمَنْبِرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لَمَّا بَنَى جَامِعَهُ بِمِصْرَ وَأَوَّلُ مَنْ دَعَا لِلْخَلِيفَةِ عَلَى الْمَنْبِرِ ابْنُ عَبَّاسٍ دَعَا لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي خِطْبَتِهِ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ عَامِلٌ لَهُ عَلَيْهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْصُرْ عَلِيًّا عَلَى الْحَقِّ وَاتَّصِلْ الْعَمَلُ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ وَبَعْدَ أَخَذِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَنْبِرَ بَلَغَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ ذَلِكَ فَبَكَّتْ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَنْبِرًا تَرْقِي بِهِ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ مَا يَكْفِيكَ أَنْ تَكُونَ قَائِمًا وَالْمُسْلِمُونَ تَحْتَ عَقَبِكَ فَعَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا كَسَرْتَهُ فَلَمَّا حَدَّثَتْ الْأَيَّةُ وَحَدَّثَتْ فِي الْخُلَفَاءِ الْمَانِعِ مِنَ الْخِطْبَةِ وَالصَّلَاةِ اسْتَنَابُوا

ففيهما فكان الخطيب يُشيدُ بِذِكْرِ الْخَلِيفَةِ عَلَى الْمَنبَرِ تَتَوِيهاً بِاسْمِهِ وَدُعَاءً لَهُ بِمَا جَعَلَ  
 اللَّهُ مَصْنَعَةَ الْعَالَمِ فِيهِ وَلِأَنَّ تِلْكَ السَّاعَةَ مَظْنَةٌ لِلْإِجَابَةِ وَلِمَا ثَبَتَ عَنِ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِمْ  
 مَنْ كَانَتْ لَهُ دَعْوَةٌ صَالِحَةٌ فَلْيَضَعْهَا فِي السُّلْطَانِ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يُفَرِّدُ بِذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَ  
 الْحَجْرُ وَالْإِسْتِبْدَادُ صَارَ الْمُتَغَابِرُونَ عَلَى الدُّوَلِ كَثِيرًا مَا يُشَارِكُونَ الْخَلِيفَةَ فِي ذَلِكَ  
 وَيُشَادُّ بِأَسْمِهِمْ عَقِبَ اسْمِهِ وَذَهَبَ ذَلِكَ بِذَهَابِ تِلْكَ الدُّوَلِ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى اخْتِصَاصِ  
 السُّلْطَانِ بِالْدُّعَاءِ لَهُ عَلَى الْمَنبَرِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ وَحُظِرَ أَنْ يُشَارِكَهُ فِيهِ أَحَدٌ أَوْ يَسْمُوَ  
 إِلَيْهِ وَكَثِيرًا مَا يُغْفَلُ الْمُعَاهِدُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ هَذَا الرِّسْمَ عِنْدَ مَا تَكُونُ الدُّوَلَةُ فِي  
 أَسْوَابِ الْغَضَاضَةِ وَمَنَاحِي الْبِدَاوَةِ فِي التَّغَافُلِ وَالْخُشُونَةِ وَيَقْنَعُونَ بِالْدُّعَاءِ عَلَى الْأَيْبِهِمْ  
 وَالْإِجْمَالِ لِمَنْ وَلِيَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَيُسَمُّونَ مِثْلَ هَذِهِ الْخَطِيبَةِ إِذَا كَانَتْ عَلَى هَذَا  
 الْمَنْحَى عَبَّاسِيَّةً يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الدُّعَاءَ عَلَى الْإِجْمَالِ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْعَبَّاسِيَّ تَقْلِيدًا فِي  
 ذَلِكَ لِمَا سَلَفَ مِنَ الْأَمْرِ وَلَا يَحْفَلُونَ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ تَعْيِينِهِ وَالتَّصْرِيحِ بِاسْمِهِ يُحْكِي  
 أَنَّ يَغْمُرَاسِينَ بْنَ زِيَّانَ عَاهِدَ دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ لَمَّا غَلَبَهُ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَّا يَحْيَى بْنُ  
 أَبِي حَفْصٍ عَلَى تَلْمِصَانٍ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فِي إِعَادَةِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ عَلَى شُرُوطٍ شَرَطَهَا كَانَ فِيهَا  
 ذِكْرُ اسْمِهِ عَلَى مَنَابِرِ عَمَّاهُ فَقَالَ يَغْمُرَاسِينَ تِلْكَ أَعْوَادُهُمْ يَذْكُرُونَ عَلَيْهَا مَنْ شَاءُوا  
 وَكَذَلِكَ يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ عَاهِدَ دَوْلَةِ بَنِي مُرِينَ حَضَرَهُ رَسُولُ الْمُتَّصِرِ الْخَلِيفَةِ  
 بَتُونِسَ مِنْ بَنِي أَبِي حَنْصٍ وَثَالِثُ مُلُوكِهِمْ وَتَخَلَّفَ بَعْضَ أَيَّامِهِ عَنْ شُهُودِ الْجُمُعَةِ فَقِيلَ  
 لَهُ لَمْ يَحْضُرْ هَذَا الرَّسُولُ كَرَاهِيَةً لَخُلُوعِ الْخَطِيبَةِ مِنْ ذِكْرِ سُلْطَانِهِ فَأَذِنَ فِي الدُّعَاءِ لَهُ  
 وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِأَخْذِهِمْ بِدَعْوَتِهِ وَهَكَذَا شَأْنُ الدُّوَلِ فِي بِدَايَتِهَا وَتَمَكُّنِهَا فِي الْغَضَاضَةِ  
 وَالْبِدَاوَةِ فَإِذَا اتَّهَبَتْ عِيُونُ سِيَاسَتِهِمْ وَنَظَرُوا فِي أَعْطَافِ مُلْكِهِمْ وَأَسْتَتَسُوا شِيَأَ  
 الْحِضَارَةِ وَمَقَانِي الْبَدَخِ وَالْأَلْبَهَةِ انْتَحَلُوا جَمِيعَ هَذِهِ السِّمَاتِ وَتَقَنَّنُوا فِيهَا وَتَجَارَوْا إِلَى  
 غَايَتِهَا وَأَنْفَعُوا مِنَ الْمُشَارَكَةِ فِيهَا وَجَزَعُوا مِنْ أَفْتِقَادِهَا وَخُلُوعِ دَوْلَتِهِمْ مِنْ أَثَارِهَا وَالْعَالَمُ  
 يُسْتَأْنُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ

### الفصل السابع والثلاثون

في الحروب ومذاهب الامم وترتيبها

إِذْ عَلِمَ أَنَّ الْحُرُوبَ وَأَنْوَاعَ الْمُقَاتَلَةِ لَمْ تَزَلْ وَاقِعَةً فِي الْخَلِيقَةِ مِنْذُ بَرَأَهَا اللَّهُ وَأَصْلَهَا



إِرَادَةُ اِنْتِقَامِ بَعْضِ الْبَشَرِ مِنْ بَعْضٍ وَيَتَعَصَّبُ لِكُلِّ مِنْهَا أَهْلُ عَصَبَتِهِ فَإِذَا تَدَامَرُوا لِذَلِكَ  
 وَتَوَافَقَتِ الطَّائِفَتَانِ إِحْدَاهُمَا تَطَلُّبُ اَلْإِنْتِقَامِ وَالْأُخْرَى تِدَافِعُ كَانَتْ الْحَرْبُ وَهَذَا أَمْرٌ  
 طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ لَا تَخْلُو عَنْهُ أُمَّةٌ وَلَا جِيلٌ وَسَبَبُ هَذَا اَلْإِنْتِقَامِ فِي الْأَكْثَرِ إِمَّا غِيْرَةٌ  
 وَمُنَافَسَةٌ وَإِمَّا عُدْوَانٌ وَإِمَّا غَضَبٌ لِلَّهِ وَلِدِينِهِ وَإِمَّا غَضَبٌ لِلْمَلِكِ وَسَعْيٌ فِي تَمْهِيدِهِ  
 فَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ مَا يَجْرِي بَيْنَ الْقَبَائِلِ اَلْمُتَجَاوِرَةِ وَالْعَشَائِرِ اَلْمُتَنَازِلَةِ وَالثَّانِي وَهُوَ  
 اَلْعُدْوَانُ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأُمَمِ اَلْوَحْشِيَّةِ السَّاكِنِينَ بِالْفَقْرِ كَالْعَرَبِ وَالتُّرْكِ  
 وَالتُّرْكُمَانِ وَالْأَكْرَادِ وَأَشْبَاهِهِمْ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا أَرْزَاقَهُمْ فِي رِمَاحِهِمْ وَمَعَاهِدَهُمْ نِيْماً  
 بِأَيْدِي غَيْرِهِمْ وَمَنْ دَافَعَهُمْ عَنْ مَتَاعِهِ آذَنُوهُ بِالْحَرْبِ وَلَا بُغْيَةَ لَهُمْ فِيْهَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ  
 رُتْبَةٍ وَلَا مُلْكٍ وَإِنَّمَا هُمْهُمْ وَنُصِبُ أَعْيُنِهِمْ غَلَبُ النَّاسِ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالثَّلَاثُ هُوَ  
 اَلْمُسْتَمَى فِي الشَّرِيعَةِ بِالْجِهَادِ وَالرَّابِعُ هُوَ حُرُوبُ الدُّوَلِ مَعَ اَلْخَارِجِينَ عَلَيْهَا وَاَلْمَانِعِينَ  
 لِبَطَاعَتِهَا فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ مِنَ اَلْحُرُوبِ اَلصِّنْفَانِ الْأَوَّلَانِ مِنْهَا حُرُوبُ بُغْيٍ وَفِتْنَةٍ  
 وَالصِّنْفَانِ الْآخِرَانِ حُرُوبُ جِهَادٍ وَعَدْلٍ وَصِفَةُ اَلْحُرُوبِ اَلْوَاقِعَةِ بَيْنَ أَهْلِ اَلْخَلِيقَةِ مِنْذُ  
 أَوَّلِ وُجُودِهِمْ عَلَى نَوْعَيْنِ نَوْعٍ بِالزَّحْفِ صُفُوفًا وَنَوْعٍ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ أَمَّا الَّذِي بِالزَّحْفِ  
 فَهُوَ قِتَالُ الْعِجَمِ كُلِّهِمْ عَلَى تَعَاقُبِ أَجْيَالِهِمْ وَأَمَّا الَّذِي بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ فَهُوَ قِتَالُ الْعَرَبِ  
 وَالْبَرْبَرِ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَقِتَالُ الزَّحْفِ أَوثَقُ وَأَشَدُّ مِنْ قِتَالِ الْكَرِّ وَالْفَرِّ وَذَلِكَ  
 لِأَنَّ قِتَالَ الزَّحْفِ تَرْتَّبُ فِيهِ الصُّفُوفُ وَتُسَوَّى كَمَا تُسَوَّى الْقِدَاحُ أَوْ صُفُوفُ الصَّلَاةِ  
 وَيَمْشُونَ بِصُفُوفِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ قُدُمًا فَلِذَلِكَ تَكُونُ أَثْبَتَ عِنْدَ الْمَصَارِعِ وَأَصْدَقَ فِي  
 الْقِتَالِ وَأَزْهَبَ لِلْعَدُوِّ لِأَنَّهُ كَالْحَائِطِ اَلْمُتَمَدِّ وَالْقَصْرِ اَلْمَشِيدِ لَا يُطْمَعُ فِي إِزَالَتِهِ وَفِي  
 اَلتَّنْزِيلِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ أَيْ يَشُدُّ  
 بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالثَّبَاتِ وَفِي اَلْحَدِيثِ اَلْكَرِيمِ اَلْمُؤْمِنُ اَللِّمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا  
 وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ لَكَ حِكْمَةُ إِجْبَابِ الثَّبَاتِ وَتَحْرِيمِ اَلدَّوَلِيِّ فِي الزَّحْفِ فَإِنَّ اَلْمَقْصُودَ مِنْ  
 اَلصَّفِّ فِي الْقِتَالِ حِفْظُ النِّظَامِ كَمَا قُلْنَا فَمَنْ وَلَّى اَلْعَدُوَّ ظَهْرَهُ فَقَدْ أَخْلَى بِالْمَصَافَةِ  
 وَبَاءَ بِإِثْمِ اَلْهَزِيمَةِ إِنْ وَقَعَتْ وَصَارَ كَأَنَّهُ جَرَّهَا عَلَى اَلْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ عَدُوَّهُمْ  
 فَعَظُمَ الذَّنْبُ لِعُمُومِ اَلْمَفْسَدَةِ وَتَعَدِّيْهَا إِلَى الدِّينِ بِخَرْقِ سِيَاحِهِ فَعُدَّ مِنَ الْكَبَائِرِ وَيَظْهَرُ  
 مِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ أَنَّ قِتَالَ الزَّحْفِ أَشَدُّ عِنْدَ الشَّارِعِ وَأَمَّا قِتَالُ الْكَرِّ وَالْفَرِّ فَلَيْسَ فِيهِ

مِنَ الشِّدَّةِ وَالْأَمْنِ مِنَ الْهَزِيمَةِ مَا فِي قِتَالِ الرَّحْفِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ يَتَّخِذُونَ وَرَاءَهُمْ فِي  
 الْقِتَالِ مَصَافًا ثَابِتًا يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ فِي الْكُرِّ وَالْفَرِّ وَيَقُومُ لَهُمْ مَقَامَ قِتَالِ الرَّحْفِ كَمَا  
 نَذَرُهُ بَعْدُ ثُمَّ إِنَّ الدُّوَلِ الْقَدِيمَةَ الْكَثِيرَةَ الْجُنُودِ الْمُتَسِّعَةِ الْمَمَالِكِ كَانُوا يَقْسِمُونَ  
 الْجُيُوشَ وَالْعَسَاكِرَ أَقْسَامًا يُسَمُّونَهَا كَرَادِيسَ وَيُسَوُّونَ فِي كُلِّ كَرْدُوسٍ صُفُوفَهُ وَسَبَبُ  
 ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَتْ جُنُودُهُمْ الْكَثْرَةُ الْبَالِغَةُ وَحُشِدُوا مِنْ قَاصِيَةِ النَّوَاحِي اسْتَدْعَى  
 ذَلِكَ أَنْ يَجْهَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِذَا اخْتَلَطُوا فِي مَجَالِ الْحَرْبِ وَاعْتَوَرُوا مَعَ عَدُوِّهِمُ الطَّعْنَ  
 وَالضَّرْبَ فَيُخْشَى مِنْ تَدَافُعِهِمْ فِيمَا يَتَنَهَّمُونَ لِأَجْلِ النُّكْرَاءِ وَجْهَلِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فَلِذَلِكَ كَانُوا  
 يَقْسِمُونَ الْعَسَاكِرَ جُمُوعًا وَيَضُمُّونَ الْمُتَعَارِفِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَيُرَتِّبُونَهَا قَرِيبًا مِنَ التَّرْتِيبِ  
 الطَّبِيعِيِّ فِي الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ وَرِئِيسُ الْعَسَاكِرِ كُلِّهَا مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ قَائِدٍ فِي الْقَلْبِ وَيُسَمُّونَ هَذَا  
 التَّرْتِيبَ التَّعْبِيَّةَ وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي أَخْبَارِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَالْدَوْلَتَيْنِ وَصَدْرَ الْإِسْلَامِ فَيَجْعَلُونَ  
 بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ عَسْكَرًا مُنْفَرِدًا بِصُفُوفِهِ مُتَمِيزًا بِقَائِدِهِ وَرَايَتِهِ وَشِعَارِهِ وَيُسَمُّونَهُ الْمَقْدَمَةَ  
 ثُمَّ عَسْكَرًا آخَرَ نَاحِيَةِ الْيَمِينِ عَنْ مَوْقِفِ الْمَلِكِ وَعَلَى سَمْتِهِ يُسَمُّونَهُ الْمِيمَنَةَ ثُمَّ عَسْكَرًا  
 آخَرَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِلِ كَذَلِكَ يُسَمُّونَهُ الْمِيسِرَةَ ثُمَّ عَسْكَرًا آخَرَ مِنْ وَرَاءِ الْعَسْكَرِ  
 يُسَمُّونَهُ السَّاقَةَ وَيَقِفُ الْمَلِكُ وَأَصْحَابُهُ فِي الْوَسْطِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَعِ وَيُسَمُّونَ مَوْقِفَهُ  
 الْقَلْبَ فَإِذَا تَمَّ لَهُمْ هَذَا التَّرْتِيبُ الْمُحْكَمُ إِمَّا فِي مَدَى وَاحِدٍ لِلْبَصَرِ أَوْ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ  
 أَكْثَرُهَا الْيَوْمُ وَالْيَوْمَانِ بَيْنَ كُلِّ عَسْكَرَيْنِ مِنْهَا أَوْ كَيْفَمَا أَعْطَاهُ حَالُ الْعَسَاكِرِ فِي  
 الْقَلَّةِ وَالْكَثْرَةِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الرَّحْفُ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ التَّعْبِيَّةِ وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ  
 الْفُتُوحَاتِ وَأَخْبَارِ الدَّوْلَتَيْنِ بِالْمَشْرِقِ وَكَيْفَ كَانَتْ الْعَسَاكِرُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ اتَّخَلَفُ  
 عَنْ رَحِيلِهِ لِبُعْدِ الْمَدَى فِي التَّعْبِيَّةِ فَاحْتِجَّ لِمَنْ يَسُوقُهَا مِنْ خَلْفِهِ وَعَيْنَ ذَلِكَ الْحُجَّاجُ  
 ابْنُ يُوسُفَ كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ وَكَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِ وَكَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
 بِالْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ مِنْهُ وَهُوَ تَجْهُولٌ فِيمَا لَدَيْنَا لِأَنَّا أَدْرَكْنَا دَوْلًا قَلِيلَةَ الْعَسَاكِرِ  
 لَا تَنْتَهِي فِي مَجَالِ الْحَرْبِ إِلَى التَّنَاكُرِ بَلْ أَكْثَرُ الْجُيُوشِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ مَعًا يَجْمَعُهُمْ  
 لَدَيْنَا حَالَةً أَوْ مَدِينَةً وَيَعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قِرْنَهُ وَيُنَادِيهِ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ بِاسْمِهِ وَلَقَبِهِ  
 فَاسْتَغْنَى عَنْ تِلْكَ التَّعْبِيَّةِ

وَمِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْكُرِّ وَالْفَرِّ فِي الْحُرُوبِ ضَرْبُ الْمَصَافِ زَرَاءِ عَسْكَرِهِمْ مِنْ



الجمادات والحيوانات النجم فتتخذونها ملجأ للخيلة في كرمهم وفقرهم يطلبون به ثبات  
المقاتلة ليكون أدوم للحرب وأقرب إلى القلب وقد فعله أهل الزحف أيضاً  
ليزيدهم ثباتاً وشدة فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون الفيلة في الحروب  
ويحملون عليها أبراجاً من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات  
ويصفونها وراءهم في حومة الحرب كأنها حصون فتقوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم  
وأنظر ما وقع من ذلك في القادسية وإن فارس في اليوم الثالث اشتدوا بهم على  
المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فخالطوهم وبجوها بالسيوف على خراطيمها  
فنفرت ونجرت على أعقابها إلى مرابطها بالمدائن فجفا معسكر فارس لذلك وأنهزموا  
في اليوم الرابع \* وأما الروم وملوك القوط بالأندلس وأكثر النجم فكانوا يتخذون  
لذلك الأسيرة ينصبون للملك سرير في حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته  
وجنوده من هو زعيم بالاستيامة دونه وترفع الرايات في أركان السرير ويحرق به سياج  
آخر من الرماة والرجالة فيعظم هيكل السرير ويصير فئة للمقاتلة وملجأ للكر  
والفر وجعل ذلك الفرس أيام القادسية وكان رستم جالساً على سرير نصبه لجلوسه  
حتى اختلفت صفوف فارس وخالطة العرب في سريرته ذلك فتحول عنه إلى الفرات وقتل \*  
وأما أهل الكرك والفر من العرب وأكثر الأمم البدوية الرحالة فيصفون لذلك  
إبلهم والظهر الذي يحمل ظعنهم فيكون فئة لهم ويسمونهم الحجودة وليس أمة  
من الأمم إلا وهي تفعل ذلك في حروبها وتراه أوثق في الجولة وأمن من الغرة والهريمة  
وهو أمر مشاهد وقد أغفلته الدول لعهدنا بالجملة واعتاضوا عنه بالظهر الحامل للأثقال  
والفساطيط يجعلونها ساقية من خلفهم ولا تغني غناء الفيلة والإبل فصارت العساكر  
بذلك عرضة للزائم ومستشعرة للفرار في المواقف \* وكان الحرب أول الإسلام  
كله زحفاً وكان العرب إنما يعرفون الكر والفر لكن حملهم على ذلك أول  
الإسلام أمران أحدهما أن أعداءهم كانوا يقتلون زحفاً فيضطرون إلى مقاتلتهم  
بمثل قتالهم الثاني أنهم كانوا مستميتين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رشح  
فيهم من الإيمان والزحف إلى الاستيامة أقرب \* وأول من أبطل الصف في الحروب  
وصار إلى التعبئة كراديس مروان بن الحكم في قتال الضحاك الخارجي والجبري بعده

قَالَ الطَّبْرِيُّ لَمَّا ذَكَرَ قِتَالَ الْجَبَرِيِّ قَوْلَى الْخَوَارِجِ عَلَيْهِمْ شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ  
 الشُّكْرِيُّ وَيُلَقَّبُ أبا الدَّلْفَاءِ قَاتَلَهُمْ مَرَوَّانُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْكَرَادِيسِ وَأَبْطَلَ الصَّفَّ مِنْ  
 يَوْمَئِذٍ أَنْتَهَى. فَتَوَسَّيَ قِتَالُ الزَّحَفِ بِأَبْطَالِ الصَّفِّ ثُمَّ تَوَسَّيَ الصَّفُّ وَرَاءَ الْمُقَاتِلَةِ بِمَا  
 دَاخَلَ الدُّوَلُ مِنَ التَّرَفِ وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَئِذٍ كَانَتْ بَدْوِيَّةً وَسَكَنَاهُمْ أَخْيَامٌ كَانُوا  
 يَسْتَكثِرُونَ مِنَ الْإِبِلِ وَسُكْنَى النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ مَعَهُمْ فِي الْأَحْيَاءِ فَلَمَّا حَصَّوْا عَلَى تَرَفِ  
 الْمَلِكِ وَأَفْوَاسُ سُكْنَى الْقُصُورِ وَالْجَوَاضِرِ وَتَرَكَوْا شَأْنَ الْبَادِيَةِ وَالْقَفَرِ نَسُوا لِذَلِكَ عَهْدَ الْإِبِلِ  
 وَالطَّعَانِ وَصَعِبَ عَلَيْهِمْ اتِّخَاذُهَا فَخَلَفُوا النِّسَاءَ فِي الْأَسْفَارِ وَحَمَلَهُنَّ الْمَلِكُ وَالتَّرَفُ عَلَى اتِّخَاذِ  
 الْفَسَاطِيطِ وَالْأَخْبِيَةِ فَاقْتَصَرُوا عَلَى الظَّهْرِ الْحَامِلِ لِلْإِنْقَالِ<sup>(١)</sup> وَالْأَبْنِيَّةِ وَكَانَ ذَلِكَ صِنْتَهُمْ فِي  
 الْحَرْبِ وَلَا يُغْنِي كُلَّ الْغِنَاءِ لِأَنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى الْأَسْتِعَانَةِ كَمَا يَدْعُو إِلَيْهَا الْأَهْلُ وَالْمَالُ فَيُخَفِّفُ  
 الصَّبْرُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَتَصْرِفُهُمُ الْهَيْعَاتُ وَتُخْرَمُ صُوفُهُمْ: وَلَمَّا ذَكَرْنَا مِنْ ضَرْبِ الْمَصَافِ  
 وَرَاءَ الْعَسَاكِرِ وَتَأَكُّدِهِ فِي قِتَالِ الْكُرِّ وَالْفَرِّ صَارَ مُلُوكُ الْمَغْرِبِ يَتَّخِذُونَ طَائِفَةً مِنْ  
 الْإِفْرَنْجِ فِي جُنْدِهِمْ وَاخْتَصُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّ قِتَالَ أَهْلِ وَطَنِهِمْ كُلِّهِ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ وَالسُّلْطَانُ  
 يَتَأَكَّدُ فِي حَقِّهِ ضَرْبُ الْمَصَافِ لِيَكُونَ رِدَاً لِلْمُقَاتِلَةِ أَمَامَهُ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ ذَلِكَ  
 الصَّفِّ مِنْ قَوْمٍ مُتَعَوِّدِينَ لِلثَّبَاتِ فِي الزَّحَفِ وَإِلَّا أَجْفَلُوا عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكُرِّ وَالْفَرِّ  
 فَأَنْهَزَمَ السُّلْطَانُ وَالْعَسَاكِرُ بِإِجْفَالِهِمْ فَاحْتَاجَ الْمُلُوكُ بِالْمَغْرِبِ أَنْ يَتَّخِذُوا جُنْدًا مِنْ هَذِهِ  
 الْأُمَّةِ الْمُتَعَوِّدَةِ الثَّبَاتِ فِي الزَّحَفِ وَهُمْ الْإِفْرَنْجُ وَيُرْتَبُونَ مَصَافَهُمْ الْمُحْدَقِ بِهِمْ مِنْهَا هَذَا عَلَى مَا  
 فِيهِ مِنَ الْأَسْتِعَانَةِ بِأَهْلِ الْكُفْرِ وَإِنَّهُمْ اسْتَحْفَظُوا ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ الَّتِي أَرَيْنَاكُمْ مِنْ  
 تَخَوُّفِ الْإِجْفَالِ عَلَى مَصَافِ السُّلْطَانِ وَالْإِفْرَنْجِ لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ الثَّبَاتِ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ  
 عَادَتَهُمْ فِي الْقِتَالِ الزَّحَفُ فَكَانُوا أَقْوَمَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ مَعَ أَنَّ الْمُلُوكَ فِي الْمَغْرِبِ  
 إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَرْبِ مَعَ أُمَمِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ وَقِتَالُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَأَمَّا فِي الْجِهَادِ  
 فَلَا يَسْتَعِينُونَ بِهِمْ حَذَرًا مِنْ مُمَالَاتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ  
 أَبَدْنَا سَبِيحَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* وَبَلَّغْنَا أَنَّ أُمَّةَ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ قِتَالُهُمْ مُنَاضِلَةً  
 بِالسَّهَامِ وَأَنَّ تَعَبُّةَ الْحَرْبِ عِنْدَهُمْ بِالْمَصَافِ وَأَنَّهُمْ يَقْسِمُونَ بِثَلَاثَةِ صُفُوفٍ يَضْرِبُونَ  
 صَفًّا وَرَاءَ صَفٍّ وَيَتَرَجَّلُونَ عَنْ خِيُولِهِمْ وَيُفَرِّغُونَ فِيهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَتَنَاضِلُونَ

أقوله للإنقال والابنية مراده بالابنية الخيام كما يدل عليه قوله في فصل المحقق الاتي قريبا اذا نزلوا وضربوا ابنتهم اهـ



جُلُوسًا وَكُلٌّ رِدْءٌ لِلَّذِي أَمَامَهُ أَنْ يَكْبِسَهُمُ الْعَدُوُّ إِلَى أَنْ يَتَّهَبَا النَّصْرَ لِإِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ  
 عَلَى الْأُخْرَى وَهِيَ تَعْبِئَةٌ مُحْكَمَةٌ غَرِيبَةٌ \* وَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِ الْأَوَّلِ فِي حُرُوبِهِمْ حَفَرُ  
 الْخُنَادِقِ عَلَى مَعَسِكَرِهِمْ عِنْدَ مَا يَتَقَارَبُونَ لِلزَّحْبِ حَذَرًا مِنْ مَعَرَّةِ الْبَيَاتِ وَالْهَجُومِ عَلَى  
 الْعَسْكَرِ بِاللَّيْلِ لِمَا فِي ظُلْمَتِهِ وَوَحْشَتِهِ مِنْ مُضَاعَفَةِ الْخَوْفِ فَيَلُودُ الْجَيْشُ بِالْفِرَارِ  
 وَتَجِدُ النَّفُوسُ فِي الظُّلْمَةِ سِتْرًا مِنْ عَارِهِ فَإِذَا تَسَارَوْا فِي ذَلِكَ أَرْجَفَ الْعَسْكَرُ وَوَقَعَتْ  
 الْهَزِيمَةُ فَكَانُوا لِذَلِكَ يَحْتَفِرُونَ الْخُنَادِقَ عَلَى مَعَسِكَرِهِمْ إِذَا نَزَلُوا وَضَرَبُوا أَبْنِيَتَهُمْ  
 وَيُدِيرُونَ الْحَفَائِرَ نِطَاقًا عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ حِرْصًا أَنْ يُخَالِطَهُمُ الْعَدُوُّ بِالْبَيَاتِ  
 فَيَتَخَذَلُوا وَكَانَتْ لِلدُّوَلِ فِي أَمْثَالِ هَذَا قُوَّةٌ وَعَلَيْهِ أَقْدَارُ بِاخْتِشَادِ الرِّجَالِ وَتَجَمُّعِ  
 الْأَيْدِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِهِمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ وَفُورِ الْعُمَرَاءِ وَفَخَامَةِ الْمُلُوكِ  
 فَلَمَّا خَرِبَ الْعُمَرَاءُ وَتَبِعَهُ ضَعْفُ الدُّوَلِ وَقِلَّةُ الْجُنُودِ وَعَدَمُ الزَّعْلَةِ نُسِيَ هَذَا الشَّأْنُ  
 جُمْلَةً كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاللَّهِ خَيْرُ الْقَادِرِينَ وَانْظُرْ وَصِيَّةَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَحَرِيصَهُ  
 لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ صَنِينَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ عِلْمِ الْحَرْبِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَبْصَرَ بِهَا مِنْهُ قَالَ فِي  
 كَلَامٍ لَهُ فَبَسُّوْا صُنُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْعَرَصُوصِ وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَآخِرُوا الْحَاسِرَ وَعَضُّوا  
 عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى السُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَالتَّوَّأَوْا عَلَى أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَصَوْنُ الْأَسِنَّةِ  
 وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ الْجُنَاحِ وَأَسْكَنُ الْقُلُوبِ وَأَخْفَتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ الْفَشَلِ  
 وَأَوَّلَى بِالْوَقَارِ وَأَقِيمُوا رَايَاتِكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَأَسْتَعِينُوا  
 بِالْأَصْدَقِ وَالْأَصْبَرَ فَإِنَّهُ يَقْدِرُ الصَّبْرُ يَنْزِلُ النَّصْرُ وَقَالَ الْأَشْتَرُ يَوْمَئِذٍ يُحْرِضُ الْأَزْدَ عَضُّوا  
 عَلَى النَّوَاجِدِ مِنَ الْأَضْرَاسِ وَأَسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ وَشَدُّوا شِدَّةَ قَوْمٍ مَوْثُورِينَ يَتَأَرُونَ  
 بِأَبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ خِنَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَقَدْ وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ لِمَثَلٍ يُسْبِقُوا بِوَتَرٍ  
 وَلَا يَلْحَقَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَارٌ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ شَاعِرُ لِمُتُونَةٍ  
 وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فِي كَلِمَةٍ يَمْدَحُ بِهَا تَاشِيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ يُوسُفَ وَيَصِفُ ثَبَاتَهُ فِي حَرْبٍ  
 شَهِدَهَا وَيَذْكُرُهُ بِأُمُورِ الْحَرْبِ فِي وَصَايَا تَعْدِيْرَاتٍ تُنَبِّهُكَ عَلَى مَعْرِفَةِ كَثِيرٍ مِنْ  
 سِيَاسَةِ الْحَرْبِ يَقُولُ فِيهَا

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الَّذِي يَتَقَنَّعُ      مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْهَمَامُ الْأَرْوَعُ  
 وَمَنْ الَّذِي عَدَرَ الْعَدُوَّ بِهِ دُجَى      فَأَنْقَضَ كُلُّ وَهْوٍ لَا يَتَزَعَّزَعُ

نَمْضِي الْفَوَارِسُ وَالطِّعَانُ يَصُدُّهَا  
وَاللَّيْلُ مِنْ وَضَحِ التَّرَائِكِ إِنَّهُ  
أَنَّى فَرَعْتُمْ يَا بَنِي صَنْهَاجَةٍ  
إِنْسَانُ عَيْنٍ لَمْ يُصِيبْهَا مِنْكُمْ  
وَصَدَدْتُمْ عَنْ تَاشِيفِينَ وَإِنَّهُ  
مَا أَنْتُمْ إِلَّا أَسْوَدُ خَفِيَّةٍ  
يَا تَاشِيفِينَ أَقِمْ لَجِيْشِكَ عُدْرَهُ

ومنها في سياسة الحرب

أَهْدِيكَ مِنْ أَدَبِ السِّيَاسَةِ مَا بِهِ  
لَا إِنِّي أَذْرِي بِهَا لَكِنِّي  
وَالْبَسَ مِنَ الْخَلْقِ الْمُضَاعَفَةِ الَّتِي  
وَالْهِنْدُوَانِي الرَّقِيقِ فَإِنَّهُ  
وَأَزْكَبَ مِنَ الْخَيْلِ السَّوَابِقِ عِدَّةً  
خَنْدِيقَ عَلَيْكَ إِذَا ضَرَبْتَ تَحْلَةً  
وَالْوَادِ لَا تَعْبُرُهُ وَأَنْزِلْ عِنْدَهُ  
وَأَجْعَلْ مُنَاجِزَةَ الْجِيُوشِ عَشِيَّةً  
وَإِذَا تَضَافَتِ الْجِيُوشُ بِمَعْرِكٍ  
وَأَصْدُمُهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْثُرُ  
وَأَجْعَلْ مِنَ الطَّلَاعِ أَهْلَ شَهَامَةٍ  
لَا تَسْمَعْ الْكَذَّابَ جَاءَكَ رُجُومًا

قَوْلُهُ وَأَصْدُمُهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْثُرُ أَلَيْتُ مُخَالَفَ لِمَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ  
فَقَدْ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ لَمَّا وَلَاهُ حَرْبَ فَارِسَ وَالْعِرَاقِ فَقَالَ لَهُ أَسْمَعْ  
وَأَطِيعْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْرِكْهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَا تُجِيبَنَّ مُسْرِعًا  
حَتَّى تَتَبَيَّنَ فَإِنَّهَا الْحَرْبُ وَلَا يَصَاحُ لَهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِثُ الَّذِي يَعْرِفُ الْفُرْصَةَ  
وَالْكَيْفَ وَقَالَ لَهُ فِي أُخْرَى إِنَّهُ لَنْ يَمْنَعَنِي أَنْ أُوْمَرَ سَاطِطًا إِلَّا سُرْعَتُهُ فِي الْحَرْبِ



وَفِي التَّسَرُّعِ فِي الْحَرْبِ إِلَّا عَنْ بَيَانِ ضِيَاعِ وَاللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ لَأَمَرْتُهُ لِكِنْ الْحَرْبَ لَا  
 يُصْلِحُهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِثُ هَذَا كَلَامُ عُمَرَ وَهُوَ شَاهِدٌ بِأَنَّ التَّشَاؤُلَ فِي الْحَرْبِ أَوْلَى  
 مِنَ الْخُفُوفِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَالُ تِلْكَ الْحَرْبِ وَذَلِكَ عَكْسُ مَا قَالَهُ الصَّبْرُفِي إِلَّا أَنْ يُرِيدَ  
 أَنَّ الصَّدَمَ بَعْدَ الْبَيَانِ فَلَهُ وَجْهٌ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ \* وَلَا وَثُوقَ فِي الْحَرْبِ بِالظَّفَرِ وَإِنْ  
 حَصَلَتْ أَسْبَابُهُ مِنَ الْعِدَّةِ وَالْعَدِيدِ وَإِنَّمَا الظَّفَرُ فِيهَا وَالْغَلْبُ مِنْ قَبِيلِ الْبَحْثِ وَالْإِتِّفَاقِ  
 وَيَكُنْ ذَلِكَ أَنَّ أَسْبَابَ الْغَلْبِ فِي الْأَكْثَرِ مُجْتَمِعَةٌ مِنْ أُمُورٍ ظَاهِرَةٍ وَهِيَ الْجَيُوشُ  
 وَوُفُورُهَا وَكَمَالُ الْأَسْلِحَةِ وَاسْتِجَادَتُهَا وَكَثْرَةُ الشَّجَعَانِ وَتَرْتِيبُ الْمَصَافِ وَمِنْهُ صِدْقُ  
 الْقِتَالِ وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ وَمِنْ أُمُورٍ خَفِيَّةٍ وَهِيَ إِمَّا مِنْ خِدَاعِ الْبَشَرِ وَحِيلِهِمْ فِي  
 الْأَرْجَافِ وَالتَّشَانِيعِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا التَّخْذِيلُ وَفِي التَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَّا كِنْ الْمُرْتَفِعَةِ لِيَكُونَ  
 الْحَرْبُ مِنْ أَعْلَى فَيَتَوَهَّمُ الْمُنْخَفِضُ لِذَلِكَ وَفِي الْكُمُونِ فِي الْغِيَاضِ وَمُطْمَئِنِّ الْأَرْضِ  
 وَالْتَوَارِي بِالْكَدَى حَوْلَ الْعَدُوِّ حَتَّى يَتَدَاوَلَهُمُ الْعَسْكَرُ دَفْعَةً وَقَدْ تَوَرَّطُوا فَيَتَلَمَّسُونَ  
 إِلَى النِّجَاقِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَسْبَابُ الْخَفِيَّةُ أُمُورًا سَمَاوِيَّةً لَا قُدْرَةَ  
 لِلْبَشَرِ عَلَى اكْتِسَابِهَا تُلْقَى فِي الْقُلُوبِ فَيَسْتَوِلِي الرُّهْبُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِهَا فَتَخْتَلُ مَرَكَزُهُمْ  
 فَتَقَعُ الْهَزِيمَةُ وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ الْهَزَائِمُ عَنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ أَكْثَرَةً مَا يَعْمَلُ لِكُلِّ  
 وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِيهَا حِرْصًا عَلَى الْغَلْبِ فَلَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِ التَّأْثِيرِ فِي ذَلِكَ لِأَحَدِهِمَا  
 ضَرُورَةٌ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ رُبَّ حِيلَةٍ  
 أَنْفَعَ مِنْ قَبِيلَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ وَقُوعَ الْغَلْبِ فِي الْحُرُوبِ غَالِبًا عَنْ أَسْبَابِ خَفِيَّةٍ غَيْرِ ظَاهِرَةٍ  
 وَوُقُوعِ الْأَشْيَاءِ عَنِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ هُوَ مَعْنَى الْبَحْثِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ فَأَعْتَبِرْهُ وَتَفَهَّمْ  
 مِنْ وَقُوعِ الْغَلْبِ عَنِ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ كَمَا شَرَحْنَاهُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصَرْتُ  
 بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَمَا وَقَعَ مِنْ غَلْبِهِ لِلْمُشْرِكِينَ فِي حَيَاتِهِ بِالْعَدَدِ الْقَلِيلِ وَغَلْبِ  
 الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ كَذَلِكَ فِي الْفَتْوحَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَكْفُلُ لِنَبِيِّهِ بِالْإِقَاءِ  
 الرُّغْبِ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ حَتَّى يَسْتَوِلِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَيَنْهَزِمُوا مُعْجِزَةً لِرُسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ الرُّغْبُ فِي قُلُوبِهِمْ سَبَبًا لِلْهَزَائِمِ فِي الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا إِلَّا  
 أَنَّهُ خَفِيَ عَنِ الْعَيُونِ \* وَقَدْ ذَكَرَ الطَّرْطُوشِيُّ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْغَلْبِ فِي الْحَرْبِ أَنَّ  
 تُفْضِلَ عِدَّةَ الْفَرَسَانِ الْمَشَاهِيرِ مِنَ الشَّجَعَانِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَلَى عَدَّتِهِمْ فِي الْجَانِبِ

الْآخِرِ مِثْلَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْجَانِبَيْنِ فِيهِ عَشْرَةٌ أَوْ عِشْرُونَ مِنَ الشَّجَعَانِ الْمَشَاهِيرِ وَفِي  
 الْجَانِبِ الْآخِرِ ثَمَانِيَةٌ أَوْ سِتَّةٌ عَشَرَ فَالْجَانِبُ الزَّائِدُ وَلَوْ بِوَاحِدٍ يَكُونُ لَهُ الْغَلْبُ وَأَعَادَ  
 فِي ذَلِكَ وَأَبْدَى وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي قَدَّمْنَا وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ  
 الْمَعْتَبَرُ فِي الْغَلْبِ حَالُ الْعَصَابَةِ أَنْ يَكُونَ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَصَابَةٌ وَاحِدَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّهِمْ  
 وَفِي الْجَانِبِ الْآخِرِ عَصَابٌ مُتَعَدِّدَةٌ لِأَنَّ الْعَصَائِبَ إِذَا كَانَتْ مُتَعَدِّدَةً يَقَعُ بَيْنَهَا مِنْ  
 التَّخَاذُلِ مَا يَقَعُ فِي الْوَحْدَانِ الْمُتَفَرِّقِينَ الْفَاقِدِينَ لِلْعَصَابَةِ تَنْزِلُ كُلُّ عَصَابَةٍ مِنْهُمْ مَنْزِلَةً  
 الْوَاحِدِ وَيَكُونُ الْجَانِبُ الَّذِي عَصَابَتُهُ مُتَعَدِّدَةٌ لَا يُقَاوِمُ الْجَانِبَ الَّذِي عَصَابَتُهُ وَاحِدَةٌ لِأَجْلِ  
 ذَلِكَ فَتَفْهَمُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ أَصَحُّ فِي الْأَعْتِبَارِ مِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ الطَّرْطُوشِيُّ وَلَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى ذَلِكَ  
 إِلَّا نِسْيَانُ شَأْنِ الْعَصَابَةِ فِي حُلَّةٍ وَبَلَدَةٍ وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَرَوْنَ ذَلِكَ الدِّفَاعَ وَالْحِمَايَةَ وَالْمُطَالَبَةَ  
 إِلَى الْوَحْدَانِ وَالْجَمَاعَةِ النَّاشِئَةِ عَنْهُمْ لَا يُعْتَبَرُونَ فِي ذَلِكَ عَصَابَةٌ وَلَا نَسَبًا وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ  
 أَوَّلَ الْكِتَابِ مَعَ أَنَّ هَذَا وَآمَنَّا لَهُ عَلَى تَقْدِيرِ صَحِّهِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ  
 مِثْلُ اتِّفَاقِ الْجَيْشِ فِي الْعِدَّةِ وَصِدْقِ الْقِتَالِ وَكَثْرَةِ الْأَسْلِحَةِ وَمَا أَشَبَّهَا فَكَيْفَ يُجْعَلُ  
 ذَلِكَ كَفِيلاً بِالْغَلْبِ وَنَحْنُ قَدْ قَرَرْنَا لَكَ الْآنَ أَنَّ شَيْئاً مِنْهَا لَا يُعَارِضُ الْأَسْبَابَ الْخَفِيَّةَ  
 مِنَ الْحَيْلِ وَالْخِدَاعِ وَلَا الْأُمُورَ السَّمَاوِيَّةَ مِنَ الرُّعْبِ وَالْخِذْلَانِ الْإِلَهِيِّ فَافْهَمُهُ وَتَفْهَمِ  
 أَحْوَالَ الْكَوْنِ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ \* وَيُلْحَقُ بِمَعْنَى الْغَلْبِ فِي الْحُرُوبِ وَأَنَّ سَبَابَةَ  
 خَفِيَّةً وَغَيْرُ طَبِيعِيَّةٍ حَالُ الشُّهُرَةِ وَالْعَيْتِ فَقُلْ أَنْ تُصَادَفَ مَوْضِعَهَا فِي أَحَدٍ مِنْ طَبَقَاتِ  
 النَّاسِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمُنْتَخِلِينَ لِلْفَضَائِلِ عَلَى الْعُدُومِ وَكَثِيرٌ مِمَّنْ  
 اشتهَرَ بِالشَّرِّ وَهُوَ بِخِلَافِهِ وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تَجَاوَزَتْ عَنْهُ الشُّهُرَةُ وَهُوَ أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا وَقَدْ  
 تُصَادَفُ مَوْضِعَهَا وَتَكُونُ طَبَقًا عَلَى صَاحِبِهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الشُّهُرَةَ وَالصِّيتَ إِنَّمَا  
 هُمَا بِالْإِخْبَارِ وَالْإِخْبَارُ يَدْخُلُهَا الدُّهُولُ عَنِ الْمَقَاصِدِ عِنْدَ التَّنَاقُلِ وَيَدْخُلُهَا التَّعَصُّبُ  
 وَالتَّشْيِيعُ وَيَدْخُلُهَا الْأَوْهَامُ وَيَدْخُلُهَا الْجَهْلُ بِمُطَابَقَةِ الْحِكَايَاتِ لِلْأَحْوَالِ خِفَائِهَا  
 بِالْبَلْبَاسِ وَالتَّصْنَعُ أَوْ لَجْهْلُ النَّاقِلِ وَيَدْخُلُهَا التَّقَرُّبُ لِأَصْحَابِ التَّجَلَّةِ وَالْمَرَاتِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ  
 بِالنِّسَاءِ وَالْمَدْحِ وَتَحْسِينِ الْأَحْوَالِ وَإِشَاعَةِ الذِّكْرِ بِذَلِكَ وَالنُّفُوسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ النِّسَاءِ  
 وَالنَّاسُ مُتَطَاوِلُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَسْبَابُهَا مِنْ جَاهٍ أَوْ ثَرْوَةٍ وَلَيْسُوا مِنَ الْأَكْثَرِ بِرَاغِبِينَ فِي  
 الْفَضَائِلِ وَلَا مُنَافِسِينَ فِي أَهْلِهَا وَأَيْنَ مُطَابَقَةُ الْحَقِّ مَعَ هَذِهِ كُلِّهَا فَتَخْتَلُ الشُّهُرَةُ عَنْ



أَسْبَابُ خَفِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ وَتَكُونُ غَيْرَ مُطَابِقَةٍ وَكُلُّ مَا حَصَلَ بِسَبَبِ خَفِيٍّ فَهُوَ الَّذِي يَعْبُرُ عَنْهُ  
بِالْبَحْتِ كَمَا تَقَرَّرَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن والثلاثون

في الجباية وسبب قتلها وكثرتها

اعْلَمْ أَنَّ الْجَبَايَةَ أَوَّلَ الدَّوْلَةِ تَكُونُ قَلِيلَةً الْوَزَائِعُ كَثِيرَةً الْجُمْلَةُ وَآخِرُ الدَّوْلَةِ تَكُونُ  
كَثِيرَةً الْوَزَائِعُ قَلِيلَةً الْجُمْلَةُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِنْ كَانَتْ عَلَى سُنَنِ الدِّينِ فَلَيْسَتْ  
تَقْتَضِي إِلَّا الْمَغَارِمَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالْخَرَاجِ وَالْجَزْيَةِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ الْوَزَائِعُ لِأَنَّ مِقْدَارَ  
الزَّكَاةِ مِنَ الْمَالِ قَلِيلٌ كَمَا عَلِمْتَ وَكَذَا زَكَاةُ الْحُبُوبِ وَالْمَاشِيَةِ وَكَذَا الْجَزْيَةُ وَالْخَرَاجُ  
وَجَمِيعُ الْمَغَارِمِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ حَدُودٌ لَا تُتَعَدَّى وَإِنْ كَانَتْ عَلَى سُنَنِ التَّغْلِبِ وَالْعَصِيَّةِ  
فَلَا بُدَّ مِنَ الْبِدَاوَةِ فِي أَوَّلِهَا كَمَا نَقَدَمُ وَالْبِدَاوَةُ تَقْتَضِي الْمُسَاحَةَ وَالْمُسَاكِمَةَ وَخَفَضَ  
الْجَنَاحَ وَالتَّجَافِي عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالْعَفْلَةَ عَنْ تَحْصِيلِ ذَلِكَ إِلَّا فِي النَّادِرِ فَيَقِلُّ لِذَلِكَ  
مِقْدَارُ الْوُظَيْفَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْوُزَيْعَةُ الَّتِي تُجْمَعُ الْأَمْوَالُ مِنْ تَجَمُّعِهَا وَإِذَا قَلَّتِ الْوَزَائِعُ  
وَالْوُظَائِفُ عَلَى الرَّعَايَا نَشِطُوا لِلْعَمَلِ وَرَغِبُوا فِيهِ فَيَكْثُرُ الْأَعْتِمَارُ وَيَتَزَايَدُ الْحُصُولُ  
الْأَغْتِبَاطُ بِقِلَّةِ الْمَغْرَمِ وَإِذَا كَثُرَ الْأَعْتِمَارُ كَثُرَتْ أَعْدَادُ تِلْكَ الْوُظَائِفِ وَالْوَزَائِعِ  
فَيَكْثُرُ الْجَبَايَةُ الَّتِي هِيَ جُمْلَتُهَا فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ الدَّوْلَةُ وَاتَّصَلَتْ وَتَعَاقَبَ مُلُوكُهَا وَاحِدًا  
بَعْدَ وَاحِدٍ وَاتَّصَفُوا بِالْكَيْسِ وَذَهَبَ سِرُّ الْبِدَاوَةِ وَالسَّذَاجَةِ وَخُلِقُوا مِنَ الْإِغْضَاءِ وَالتَّجَافِي  
وَجَاءَ الْمَلِكُ الْعَضُوضُ وَالْحِضَارَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الْكَيْسِ وَتَخَلَّقَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ  
بِمُخْلِقِ التَّحَدُّقِ وَتَكَثَّرَتْ عَوَائِدُهُمْ وَحَوَائِجُهُمْ بِسَبَبِ مَا أَنْعَمُوا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالتَّرَفِ  
فَيَكْثُرُونَ الْوُظَائِفَ وَالْوَزَائِعَ حِينَئِذٍ عَلَى الرَّعَايَا وَالْأَكْرَةِ وَالْفَلَاحِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ  
الْمَغَارِمِ وَيَزِيدُونَ فِي كُلِّ وَظَيْفَةٍ وَوُزَيْعَةٍ مِقْدَارًا عَظِيمًا لِيَكْثُرَ لَهُمُ الْجَبَايَةُ وَيَضَعُونَ  
الْمُكُوسَ عَلَى الْمُبَايَعَاتِ وَفِي الْأَبْوَابِ كَمَا نَذَرُ بَعْدُ ثُمَّ تَتَدَرَّجُ الزِّيَادَاتُ فِيهَا بِمِقْدَارِ  
بَعْدَ مِقْدَارٍ لَتَتَدَرَّجَ عَوَائِدُ الدَّوْلَةِ فِي التَّرَفِ وَكَثْرَةِ الْحَاجَاتِ وَالْإِنْفَاقِ بِسَبَبِهِ حَتَّى تَثْقُلَ  
الْمَغَارِمُ عَلَى الرَّعَايَا وَتَهْضِمَهُمْ وَتَصِيرَ عَادَةً مَفْرُوضَةً لِأَنَّ تِلْكَ الزِّيَادَةَ تَتَدَرَّجَتْ قَلِيلًا  
قَلِيلًا وَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ بِمَنْ زَادَهَا عَلَى التَّعِينِ وَلَا مَنْ هُوَ وَاضِعُهَا إِنَّمَا ثَبَتَ عَلَى الرَّعَايَا فِي  
الْأَعْتِمَارِ لِذَهَابِ الْأَمَلِ مِنْ نُفُوسِهِمْ بِقِلَّةِ النِّفَعِ إِذَا قَابَلَ بَيْنَ نَفْعِهِ وَمَغَارِمِهِ وَبَيْنَ

ثَمَرَتِهِ وَفَائِدَتِهِ فَتَنْقِصُ كَثِيرٌ مِنَ الْإِيْدِي عَنِ الْإِعْتِمَارِ جُمْلَةً فَتَنْقُصُ جُمْلَةُ الْجَبَايَةِ  
 حِينَئِذٍ يَنْقُصَانِ تِلْكَ الْوَزَائِعَ مِنْهَا وَرُبَّمَا يَزِيدُونَ فِي مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ النِّقْصَ  
 فِي الْجَبَايَةِ وَيَحْسِبُونَهُ جَبْرًا لِمَا نَقَصَ حَتَّى تَنْتَهِيَ كُلُّ وَظِيفَةٍ وَوَزِيْعَةٍ إِلَى غَايَةٍ لَيْسَ وَرَاءَهَا  
 نَفْعٌ وَلَا فَائِدَةٌ لِكثَرَةِ الْإِتِّفَاقِ حِينَئِذٍ فِي الْإِعْتِمَارِ وَكَثَرَةِ الْمَغَارِمِ وَعَدَمِ وِفَاءِ الْفَائِدَةِ  
 الْمَرْجُوءَةِ بِهِ فَلَا تَزَالُ الْجُمْلَةُ فِي نَقْصٍ وَمِقْدَارُ الْوَزَائِعِ وَالْوُظَائِفِ فِي زِيَادَةٍ لِمَا  
 يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ جَبْرِ الْجُمْلَةِ بِهَا إِلَى أَنْ يَنْتَقِصَ الْعُمَرَانُ بِذَهَابِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْإِعْتِمَارِ  
 وَيَعُودُ وَبِالْذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ لِأَنَّ فَائِدَةَ الْإِعْتِمَارِ عَائِدَةٌ إِلَيْهَا وَإِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ عَلِمْتَ  
 أَنَّ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي الْإِعْتِمَارِ تَقَابُلُ مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ عَلَى الْمُعْتَمِرِينَ مَا أَمْكَنَ  
 فَبِذَلِكَ تَنْبَسِطُ النَّفُوسُ إِلَيْهِ لِثِقَتِهَا بِإِدْرَاكِ النِّفْعَةِ فِيهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَالِكُ الْأُمُورِ  
 كُلِّهَا وَبِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ

### الفصل التاسع والثلاثون

في ضرب المكوس اواخر الدولة

إِعْلَمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا بَدْوِيَّةً كَمَا قُلْنَا فَتَكُونُ لِذَلِكَ قَلِيلَةً الْحَاجَاتِ  
 لِعَدَمِ التَّرَفِ وَعَوَائِدِهِ فَيَكُونُ خَرْجُهَا وَإِنْفَاقُهَا قَلِيلًا فَيَكُونُ فِي الْجَبَايَةِ حِينَئِذٍ وَفَاءً  
 بِأَزِيدٍ مِنْهَا كَثِيرٌ عَنْ حَاجَاتِهِمْ ثُمَّ لَا تَلَبُّثُ أَنْ تَأْخُذَ بِيَدَيْنِ الْحِضَارَةِ فِي التَّرَفِ وَعَوَائِدِهَا  
 وَتَجْرِي عَلَى نَهْجِ الدُّوَلِ السَّابِقَةِ قَبْلَهَا فَيَكْثُرُ لِذَلِكَ خَرَاجُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَيَكْثُرُ خَرَاجُ  
 السُّلْطَانِ خُصُوصًا كَثَرَةً بِالْغَةِ بِنَفَقَتِهِ فِي خَاصَّتِهِ وَكَثَرَةً عَطَائِهِ وَلَا تَنِي بِذَلِكَ الْجَبَايَةُ  
 فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي الْجَبَايَةِ لِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَاكِمِيَّةُ مِنَ الْعَطَاءِ وَالسُّلْطَانُ مِنَ  
 النِّفْقَةِ فَيَزِيدُ فِي مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ وَالْوَزَائِعِ أَوَّلًا كَمَا قُلْنَا ثُمَّ يَزِيدُ الْخَرَاجُ وَالْحَاجَاتُ  
 وَالتَّدْرِيجُ فِي عَوَائِدِ التَّرَفِ وَفِي الْعَطَاءِ لِلْحَاكِمِيَّةِ وَيُدْرِكُ الدَّوْلَةَ الْهَرَمُ وَتَضَعُ عِصَابَتُهَا  
 عَنْ جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْقَاصِيَةِ فَتَقِلُّ الْجَبَايَةُ وَتَكْثُرُ الْعَوَائِدُ وَيَكْثُرُ  
 بِكَثَرَتِهَا أَرْزَاقُ الْجُنْدِ وَعَطَاؤُهُمْ فَيَسْتَحْدِثُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْوَاعًا مِنَ الْجَبَايَةِ يَضُرُّ بِهَا  
 عَلَى الْبِيَاعَاتِ وَيَفْرِضُ لَهَا قَدْرًا مَعْلُومًا عَلَى الْأَثْمَانِ فِي الْأَسْوَاقِ وَعَلَى أَعْيَانِ السَّاعِ فِي  
 أَمْوَالِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مَعَ هَذَا مُضْطَرٌّ لِذَلِكَ بِمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ طُرُقُ النَّاسِ مِنْ كَثَرَةِ الْعَطَاءِ  
 مِنْ زِيَادَةِ الْجِيُوشِ وَالْحَاكِمِيَّةِ وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ زِيَادَةً بِالْغَةِ فَتَكْسَدُ



الأسواق لفساد الآمال ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد إلى أن تضجّل وقد كان وقع منه بامصار المشرق في أخريات الدولة العباسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم وأسقط صلاح الدين أيوب تلك الرسوم جملة وأعاضها بآثار الخير وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى محي رسمه يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وكذلك وقع بامصار الجريد بأفريقية لهذا العهد حين استبد بها رؤساؤها والله تعالى أعلم

### الفصل الرابعون

في ان التجارة من السلطان مضره بالرعايا ومفسدة للجباية

اعلم ان الدولة اذا ضاقت جبايتها بما قدمناه من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر الحاصل من جبايتها على الوفاء بحاجاتها وتنفقاتها واحتاجت إلى مزيد المال والجباية فتارة توضع المكوس على بيعات الرعايا وأسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل قبله وتارة بالزيادة في القاب المكوس إن كان قد استحدث من قبل وتارة بمقاسمة العمال والجباة وامتلاك عظامهم لما يرون أنهم قد حصلوا على شيء طائل من أموال الجباية لا يظهره الحسبان وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان على تسمية الجباية لما يرون التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع يسارة أموالهم وأن الأرباح تكون على نسبة رؤوس الأموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء البضائع والتعرض بها لحوالة الأسواق ويحسبون ذلك من إضرار الجباية وتكثير الفوائد وهو غلط عظيم وإدخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فأولا مضايقة الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير أسباب ذلك فإن الرعايا مكافئون في اليسار متقاربون ومزاحمة بعضهم بعضا تنتهي إلى غاية موجودهم أو تقرب وإذا رافقهم السلطان في ذلك وماله أعظم كثيرا منهم فلا يكاد أحد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته ويدخل على النفوس من ذلك غم وتكدثم إن السلطان قد يتزع الكثير من ذلك إذا تعرض له غضا أو بآيسر ثمن أو لا يجد من يناقشه في شرائه فيبغض ثمنه على بائعه ثم إذا حصل فوائد الفلاحة ومغلبها كله من زرع أو حرير أو عسل أو سكر أو غير ذلك من أنواع

الْغَلَّاتِ وَحَصَلَتْ بَضَائِعُ التِّجَارَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ فَلَا يَنْتَظِرُونَ بِهَ حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ وَلَا  
 تَفَاقَ الْبَيَاعَاتِ لِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ تَكَالِيفُ الدَّوْلَةِ فَيُكَلِّفُونَ أَهْلَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ مِنْ  
 تَاجِرٍ أَوْ فَلَاحٍ بِشِرَاءِ تِلْكَ الْبَضَائِعِ وَلَا يَرْضَوْنَ فِي أَنْمَانِهَا إِلَّا الْقِيمَ وَازِيدَ فَيَسْتَوْعِبُونَ  
 فِي ذَلِكَ نَاضَ أَمْوَالَهُمْ وَتَبَقِيَ تِلْكَ الْبَضَائِعُ بِأَيْدِيهِمْ عُرُوضًا جَامِدَةً وَيَدْمُكُشُونَ عَطْلًا  
 مِنْ آلِ دَارَةٍ الَّتِي فِيهَا كَسِبَهُمْ وَمَعَاشُهُمْ وَرُبَّمَا تَدْعُوهُمْ الْفَرُورَةُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ  
 فَيَبِيعُونَ تِلْكَ السَّيِّعَ عَلَى كَسَادٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ بِأَبْخَسِ ثَمَنٍ وَرُبَّمَا يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ عَلَى  
 التَّاجِرِ وَالْفَلَاحِ مِنْهُمْ بِمَا يَذْهَبُ رَأْسَ مَالِهِ فَيَقْعُدُ عَنْ سُوقِهِ وَيَتَعَدَّدُ ذَلِكَ وَيَتَكَرَّرُ  
 وَيَدْخُلُ بِهِ عَلَى الرِّعَايَا مِنَ الْعَنَتِ وَالْمُضَايِقَةِ وَفَسَادِ الْأَرْبَاحِ مَا يَقْبِضُ أَمْوَالَهُمْ عَنْ  
 السَّعْيِ فِي ذَلِكَ جُمْلَةً وَيُؤَدِّي إِلَى فَسَادِ الْجَبَايَةِ فَإِنَّ مُعْظَمَ الْجَبَايَةِ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْفَلَاحِينَ  
 وَالتَّجَارِ وَلَا سِيمَا بَعْدَ وَضْعِ الْمَكُوسِ وَنُفُوزِ الْجَبَايَةِ بِهَا فَإِذَا انْقَبَضَ الْفَلَاحُونَ عَنْ  
 الْفَلَاحَةِ وَقَعَدَ التَّجَارُ عَنْ التِّجَارَةِ ذَهَبَتِ الْجَبَايَةُ جُمْلَةً أَوْ دَخَلَهَا النِّقْصُ الْمُتَفَاحِشُ وَإِذَا  
 قَاسَ السُّلْطَانُ بَيْنَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْجَبَايَةِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَاحِ الْقَلِيلَةِ وَجَدَهَا بِالنِّسْبَةِ  
 إِلَى الْجَبَايَةِ أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ ثُمَّ إِنَّهُ وَلَوْ كَانَ مُفِيدًا فَيَذْهَبُ لَهُ بِحِظٍّ عَظِيمٍ مِنَ الْجَبَايَةِ فِيمَا  
 يُعَانِيهِ مِنْ شِرَاءٍ أَوْ بَيْعٍ فَإِنَّهُ مِنَ الْبَعِيدِ أَنْ يُوجَدَ فِيهِ مِنَ الْمَكْسِ وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ فِي  
 تِلْكَ الصَّفَقَاتِ لَكَانَ تَكْسِبُهَا كُلَّهَا حَاصِلًا مِنْ جِهَةِ الْجَبَايَةِ ثُمَّ فِيهِ التَّعَرُّضُ لِأَهْلِ  
 عُمُرَانِهِ وَاجْتِلَالُ الدَّوْلَةِ بِفَسَادِهِمْ وَتَقْصِيرِهِمْ فَإِنَّ الرِّعَايَا إِذَا قَعَدُوا عَنْ تَثْمِيرِ أَمْوَالِهِمْ  
 بِالْفَلَاحَةِ وَالتِّجَارَةِ تَقْصَتْ وَتَلَاشَتْ بِالنِّفَقَاتِ وَكَانَ فِيهَا تَلَاَفُ أَحْوَالِهِمْ فَأَفْهَمَ ذَلِكَ  
 وَكَانَ الْفُرْسُ لَا يُمْلِكُونَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلُوكَةِ ثُمَّ يَخْتَارُونَهُ مِنْ أَهْلِ  
 الْفَضْلِ وَالدِّينِ وَالْأَدَبِ وَالسَّخَاءِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ ثُمَّ يَشْتَرِطُونَ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ  
 الْعَدْلَ وَأَنْ لَا يَتَّخِذَ صَنْعَةً فَيُضِرَّ بِجِيرَانِهِ وَلَا يَتَاجَرَ فَيُحِبَّ غَلَاءَ الْأَسْعَارِ فِي الْبَضَائِعِ  
 وَأَنْ لَا يَسْتَخْدِمَ الْعَبِيدَ فَإِنَّهُمْ لَا يُشِيرُونَ بِخَيْرٍ وَلَا مَصْلَحَةٍ . وَاعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا  
 يُنَمِّي مَالَهُ وَلَا يَدِرُّ مَوْجُودَهُ إِلَّا الْجَبَايَةُ وَإِذَا رَازَهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَدْلِ فِي أَهْلِ الْأَمْوَالِ  
 وَالنَّظَرِ لَهُمْ بِذَلِكَ فَبِذَلِكَ تَنْبَسِطُ أَمْوَالُهُمْ وَتَنْشَرِحُ صُدُورُهُمْ لِلْأَخْذِ فِي تَثْمِيرِ الْأَمْوَالِ  
 وَتَنْمِيَّتِهَا فَتَعْظُمُ مِنْهَا جَبَايَةُ السُّلْطَانِ وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ قَلْحٍ فَإِنَّمَا هُوَ مُضَرَّةٌ  
 عَاجِلَةٌ لِلرِّعَايَا وَفَسَادٌ لِلْجَبَايَةِ وَنَقْصٌ لِلْعِمَارَةِ وَقَدْ يَنْتَهِي الْحَالُ بِهِؤَلَاءِ الْمُنْسَلِّخِينَ لِلتِّجَارَةِ



وَالْفَلَاحَةَ مِنَ الْأَمْراءِ وَالْمُتَغَلِّينَ فِي الْبُلْدَانِ أَنَّهُمْ يَتَعَرَّضُونَ لِشِرَاءِ الْغَلَّاتِ وَالسَّامِ  
 مِنْ أَرْبَابِهَا الْوَارِدِينَ عَلَى بِلَدِهِمْ وَيَفْرِضُونَ لِدَلِكِ مِنَ الثَّمَنِ مَا يَشَاءُونَ وَيَبِيعُونَهَا فِي  
 وَقْتِهَا لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الرِّعَايَا بِمَا يَفْرِضُونَ مِنَ الثَّمَنِ وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى  
 وَأَقْرَبُ إِلَى فَسَادِ الرِّعِيَّةِ وَأَخْثَلَالِ أَمْوَالِهِمْ وَرُبَّمَا يَحْمِلُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ مَنْ  
 يَدْخُلُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ أَغْنَى التُّجَّارَ وَالْفَلَاحِينَ لِمَا هِيَ صِنَاعَتُهُ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا فَيَحْمِلُ  
 السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ وَيَضْرِبُ مَعَهُ بِسَمِهِمْ لِنَفْسِهِ لِيَحْصُلَ عَلَى غَرَضِهِ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ سَرِيعًا  
 وَلَا سِيمًا مَعَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ التِّجَارَةِ بِالْمَغْرَمِ وَلَا مَكْسٍ فَإِنَّهَا أَجْدَرُ بِمُؤَلِّمِ الْأَمْوَالِ  
 وَأَسْرَعُ فِي تَشْمِيرِهِ وَلَا يَفْهَمُ مَا يَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ مِنَ الضَّرَرِ بِنَقْصِ جِبَايَتِهِ فَيَنْبَغِي  
 لِلْسُّلْطَانِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَيُعْرِضَ عَنْ سَعَايَتِهِمْ الْمُضِرَّةِ بِجِبَايَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَاللَّهُ  
 يُلْهِمُنَا رُشْدًا أَنْفُسِنَا وَيَنْفَعُنَا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الواحد والاربعون

في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْجِبَايَةَ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ تَتَوَزَّعُ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلِ وَالْعَصَبِيَّةِ  
 بِمِقْدَارِ غِنَائِهِمْ وَعَصَبِيَّتِهِمْ وَلِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فِي تَمْهِيدِ الدَّوْلَةِ كَمَا قُلْنَا مِنْ قَبْلُ  
 فَرِئْسُهُمْ فِي ذَلِكَ مُتَجَانِفٍ لَهُمْ عَمَّا يَسْتَمُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْتِبدَادِ عَلَيْهِمْ فَلَهُ عَلَيْهِمْ عِزَّةُ  
 وَلَهُ إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ فَلَا يَطِيرُ فِي مُهْمَانِهِ مِنَ الْجِبَايَةِ إِلَّا الْأَقْلُ مِنْ حَاجَتِهِ فَتَجِدُ حَاشِيَتَهُ  
 لِدَلِكِ وَأَذْيَالَهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالْمَوَالِي مُتَمَلِّقِينَ فِي الْغَالِبِ وَجَاهَهُمْ مُتَقَلِّصُونَ  
 لِأَنَّهُمْ مِنْ جَاهِ مَخْدُومِيهِمْ وَنِطَاقُهُ قَدْ ضَاقَ بِمَنْ يُزَاحِمُهُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ فَإِذَا اسْتَفْعَلَتْ  
 طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَحَصَلَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْأَسْتِبدَادُ عَلَى قَوْمِهِ قَبْضُ أَيْدِيهِمْ عَنْ الْجِبَايَاتِ  
 إِلَّا مَا يَطِيرُ لَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ فِي مُهْمَانِهِمْ وَثَقُلَ حُطُوبُهُمْ إِذْ ذَاكَ لِقَلَّةِ غِنَائِهِمْ فِي  
 الدَّوْلَةِ بِمَا أَنْكَبَحَ مِنْ أَعْنَتِهِمْ وَصَارَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعُ مُسَاهِمِينَ لَهُمْ فِي الْقِيَامِ بِالدَّوْلَةِ  
 وَتَمْهِيدِ الْأَمْرِ فَيَنْفَرِدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ بِالْجِبَايَةِ أَوْ مُعْظَمِهَا وَيَحْتَوِي عَلَى الْأَمْوَالِ  
 وَيَحْتَجِجُهَا لِلنَّفَقَاتِ فِي مُهْمَاتِ الْأَحْوَالِ فَتَكْثُرُ ثَرْوَتُهُ وَتَمْتَلِكُ خَزَائِنُهُ وَيَتَسَّعُ نِطَاقُ  
 جَاهِهِ وَيَعْتَزُّ عَلَى سَائِرِ قَوْمِهِ فَيَعْظُمُ حَالُ حَاشِيَتِهِ وَذَوِيهِ مِنْ وَزِيرٍ وَكَاتِبٍ وَحَاجِبٍ  
 وَمَوْلَى وَشُرْطِيٍّ وَيَتَسَّعُ جَاهُهُمْ وَيَقْتَسُونَ الْأَمْوَالِ وَيَتَأَثَّلُونَهَا ثُمَّ إِذَا أَخَذَتِ الدَّوْلَةُ فِي

أَلْهَرَمِ بِتِلَاشِي الْعَصِيَّةِ وَفَنَاءِ الْقَلِيلِ الْمُعَاهِدِينَ لِلدَّوْلَةِ أَحْتَاجَ صَاحِبُ الْأَمْرِ حِينَئِذٍ إِلَى الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ لِكَثْرَةِ الْخَوَارِجِ وَالْمُنَازِعِينَ وَالثَّوَارِ وَتَوَهُمِ الْإِنْتِقَاضِ فَصَارَ خَرَجُهُ لِيُظْهِرَائِهِ وَأَعْوَانِهِ وَهُمْ أَرْبَابُ السُّيُوفِ وَأَهْلُ الْعَصِيَّاتِ وَأَتَّفَقَ خَزَائِنُهُ وَحَاصِلُهُ فِي مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ وَقَلَّتْ مَعَ ذَلِكَ الْجَبَابَةُ لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْعَطَاءِ وَالْإِتْفَاقِ فَيَقِلُّ الْخَرَجُ وَتَشْتَدُّ حَاجَةُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَالِ فَيَتَقَلَّصُ ظِلُّ النِّعْمَةِ وَالتَّرَفِ عَنِ الْخَوَاصِّ وَالْجَبَابِ وَالْكِتَابِ يَتَقَلَّصُ الْجَاهُ عَنْهُمْ وَضِيقُ نِطَاقِهِ عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ تَشْتَدُّ حَاجَةُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَالِ وَتُنْفَقُ أَبْنَاءُ الْبِطَانَةِ وَالْحَاشِيَةِ مَا تَأْتِلُهُ آبَاؤُهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي غَيْرِ سَبِيلِهَا مِنْ إِعَانَةِ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَيُقْبَلُونَ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ وَسَلَفُهُمْ مِنَ الْمُنَاصَحَةِ وَيَرَى صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ أَحَقُّ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ الَّتِي أَكْتَسَبَتْ فِي دَوْلَةِ سَلَفِهِ وَبِحَاجَتِهِمْ فَيَضْطَلِمُهَا وَيَنْزِعُهَا مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَوَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى نِسْبَةِ رُتَبِهِمْ وَتَنْكُرُ الدَّوْلَةُ لَهُمْ وَيَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِفَنَاءِ حَاشِيَتِهَا وَرِجَالِهَا وَأَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ مِنْ بِطَانَتِهَا وَيَتَقَوَّضُ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ مَبَانِي الْعَجْدِ بَعْدَ أَنْ يَدْعُمَهُ أَهْلُهُ وَيَرْفَعُوهُ. وَانْظُرْ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ لَوُزَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي بَنِي قُحْطَبَةَ وَبَنِي بَرْمَكٍ وَبَنِي سَهْلٍ وَبَنِي طَاهِرٍ وَأَمْثَالِهِمْ ثُمَّ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ عِنْدَ انْخِلَالِهَا أَيَّامَ الطَّوَائِفِ فِي بَنِي شَهِيدٍ وَبَنِي أَبِي عَبْدِةٍ وَبَنِي حُدَيْرٍ وَبَنِي بُرْدٍ وَأَمْثَالِهِمْ وَكَذَا فِي الدَّوْلَةِ الَّتِي أَدْرَكْنَاهَا لِعَهْدِنَا سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ

فصل \* وَلِذَا يَتَوَقَّعُ أَهْلُ الدَّوْلَةِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَعَاطِبِ صَارَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ يَنْزِعُونَ إِلَى الْفِرَارِ عَنِ الرُّتَبِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْ رِبْقَةِ السُّلْطَانِ بِمَا حَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ مَالِ الدَّوْلَةِ إِلَى قُطْرِ آخَرَ وَيُرُونَ أَنَّهُ أَهْنًا لَهُمْ وَأَسْلَمٌ فِي إِتْفَاقِهِ وَحُصُولِ ثَمَرَتِهِ وَهُوَ مِنَ الْأَغْلَاطِ الْفَاحِشَةِ وَالْأَوْهَامِ الْمُفْسِدَةِ لِأَحْوَالِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخِلَاصَ مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ الْحُصُولِ فِيهِ عَسِيرٌ مُمْتَنِعٌ فَإِنْ صَاحِبَ هَذَا الْغَرَضِ إِذَا كَانَ هُوَ الْمَلِكُ نَفْسَهُ فَلَا تُمْكِنُهُ الرِّعِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ طَرَفَةً عَيْنٍ وَلَا أَهْلُ الْعَصِيَّةِ الْمُزَاحِمُونَ لَهُ بَلْ فِي ظُهُورِ ذَلِكَ مِنْهُ هَدْمٌ لِمُلْكِهِ وَإِتْلَافٌ لِنَفْسِهِ بِعِجَارِي الْعَادَةِ بِذَلِكَ لِأَنَّ رِبْقَةَ الْمَلِكِ يَعْسُرُ الْخِلَاصَ مِنْهَا وَلَا سِيَّما عِنْدَ اسْتِفْحَالِ الدَّوْلَةِ وَضِيقِ نِطَاقِهَا وَمَا يَعْزِضُ فِيهَا مِنَ الْبَعْدِ عَنِ الْعَجْدِ وَالْخِلَالِ وَالتَّخَلُّقِ بِالْأَشْرِّ وَمَا إِذَا كَانَ صَاحِبُ هَذَا الْغَرَضِ مِنْ بِطَانَةِ السُّلْطَانِ



وَحَاشِيَتُهُ وَأَهْلُ الرُّتَبِ فِي دَوْلَتِهِ فَقُلَّ أَنْ يُخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ أَمَّا أَوَّلًا فَلَمَّا يَرَاهُ  
الْمُلُوكُ أَنَّ ذَوِيهِمْ وَحَاشِيَتَهُمْ بَلَّ وَسَائِرَ رَعَايَاهُمْ مَمَالِكُ لَهُمْ مُطَاعُونَ عَلَى ذَاتِ صُدُورِهِمْ  
فَلَا يَسْمَحُونَ بِحُلِّ رِبْقَتِهِ مِنْ الْخِدْمَةِ ضِنًّا بِأَسْرَارِهِمْ وَأَخْوَالِهِمْ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَغَيْرَةٌ  
مِنْ خِدْمَتِهِ لِسَوَاهِهِمْ وَلَقَدْ كَانَ بَنُو أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ يَمْنَعُونَ أَهْلَ دَوْلَتِهِمْ مِنَ السَّفَرِ لِفَرِيضَةِ  
الْحَجِّ لِمَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنْ وَقُوعِهِمْ بِأَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ فَلَمْ يَحْجَّ سَائِرُ أَيْيَاهِهِمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ  
دَوْلَتِهِمْ وَمَا أُبِيحَ الْحَجُّ لِأَهْلِ الدَّوْلِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا بَعْدَ فَرَاغِ شَأْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَزَجُوعِهَا  
إِلَى الطَّوَائِفِ وَأَمَّا ثَانِيًا فَلَانْتَهَمَ وَإِنْ سَمَحُوا بِحُلِّ رِبْقَتِهِ فَلَا يَسْمَحُونَ بِالتَّجَافِي عَنْ ذَلِكَ  
الْمَالِ لِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ مَالِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ دَوْلَتِهِمْ إِذْ لَمْ يُكْتَسَبْ  
إِلَّا بِهَا وَفِي ظِلِّ جَاهِهَا فَتَحْتُمُ نَفْسُهُمْ عَلَى انْتِزَاعِ ذَلِكَ الدَّالِّ وَالتَّقَامِهِ كَمَا هُوَ جُزْءٌ  
مِنَ الدَّوْلَةِ يَنْتَفِعُونَ بِهِ ثُمَّ إِذَا تَوَهَّمْنَا أَنَّهُ خَاصٌّ بِذَلِكَ الْمَالِ إِلَى قَطْرِ آخَرٍ وَهُوَ فِي  
النَّارِ الْأَقْلُ فَتَمْتَدُّ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْمُلُوكِ بِذَلِكَ الْقَطْرِ وَيَنْتَزِعُونَهُ بِالْإِرْهَابِ وَالتَّخْوِيفِ  
تَعْرِضًا أَوْ بِالْقَهْرِ ظَاهِرًا لِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ مَالُ الْجَبَايَةِ وَالدَّوْلِ وَأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلانْتِقَاقِ فِي  
الْمَصَالِحِ وَإِذَا كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ تَمْتَدُّ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالْبَسَارِ الْمُتَكَسِّبِينَ مِنْ وُجُوهِ  
الْمَعَاشِ فَأُخْرِى بِهَا أَنْ تَمْتَدَّ إِلَى أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ وَالدَّوْلِ الَّتِي تَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ بِالْشَّرْعِ  
وَالْعَادَةِ وَلَقَدْ حَاوَلَ السُّلْطَانُ أَبُو بَيْعِي زَكَرِيَّا بْنُ أَحْمَدَ اللَّخْيَانِيُّ نَاسِعُ أَوْ عَاشِرُ مُلُوكِ  
الْحَفْصِيِّينَ بِأَفْرِيقَةِ الْخُرُوجِ عَنْ عَهْدَةِ الْمَلِكِ وَاللِّحَاقِ بِمِصْرَ فِرَارًا مِنْ طَلَبِ صَاحِبِ  
الثُّغُورِ الْغُرَبِيَّةِ لَمَّا اسْتَجْمَعَ لَغْزُو ثُوْنِسَ فَأَسْتَعْمَلَ اللَّخْيَانِيُّ الرِّحْلَةَ إِلَى ثَغْرِ دِرْبَاسَ  
يُورِي بِتَمْهِيدِهِ وَرَكِبَ السَّفِينَ مِنْ هُنَالِكَ وَخَلَصَ إِلَى الْأَسْكَنْدَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ حَمَلَ  
جَمِيعَ مَا وَجَدَهُ بَيْتَ الْمَالِ مِنَ الصَّامِتِ وَالذَّخِيرَةِ وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ بِخَزَائِنِهِمْ مِنْ  
الْمَتَاعِ وَالْعَقَارِ وَالْجَوْهَرِ حَتَّى الْكَتَبِ وَاخْتَمَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى مِصْرَ وَنَزَلَ عَلَى  
الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَادُونَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ مِنَ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ فَأَكْرَمَ نُزْلَهُ وَرَفَعَ  
مَجْلِسَهُ وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَخْلَصُ ذَخِيرَتَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا بِالْغَرَضِ إِلَى أَنْ حَصَلَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَبْقَ  
مَعَاشُ ابْنِ اللَّخْيَانِيِّ إِلَّا فِي جِرَابَتِهِ الَّتِي فَرَضَ لَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ  
حَسَبَمَا نَذَكُرُهُ فِي أَخْبَارِهِ فَهَذَا وَآمَنَّا لَهُ مِنْ جُمْلَةِ التَّوَسُّاسِ الَّذِي يَعْتَرِي أَهْلَ الدَّوْلِ  
لِمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ مُلُوكِهِمْ مِنَ الْمَعَاطِبِ وَإِنَّمَا يَخْلُصُونَ إِنْ اتَّفَقَ لَهُمُ الْخُلَاصُ بِأَنْفُسِهِمْ

وَمَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنَ الْحَاجَةِ فَعَلَطُوا وَهُمْ وَالَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الشُّهُرَةِ بِخِدْمَةِ الدُّوَلِ كَافٍ  
فِي وَجْدَانِ الْمَعَاشِ لَهُمْ بِالْجَرَائِزِ السُّلْطَانِيَّةِ أَوْ بِالْجَاهِ فِي اتِّحَالِ طُرُقِ الْكَسْبِ مِنَ  
التِّجَارَةِ وَالْفِلَاحَةِ وَالدُّوَلِ أَنْسَابُ لَكِنْ

النَّاسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الرِّزَاقُ وَهُوَ الْمُوفِّقُ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثاني والاربعون

في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالسُّلْطَانَ هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ لِلْعَالَمِ وَمِنْهُ مَادَّةُ الْعُمَرَانِ  
فَإِذَا اخْتَجَنَ السُّلْطَانُ الْأَمْوَالَ أَوْ الْحَبَائِزَ أَوْ فَقِدَتْ فَلَمْ يَصْرِفْهَا فِي مَصَارِفِهَا قَلَّ حِينَئِذٍ  
مَا بِيَدَيِ الْحَاشِيَةِ وَالْحَامِيَةِ وَانْقَطَعَ أَيْضًا مَا كَانَ يَصِلُ مِنْهُمْ لِحَاشِيَتِهِمْ وَذَوِيهِمْ وَقَلَّتْ  
تَفَقَّاتُهُمْ جُمْلَةً وَهُمْ مُعْظَمُ السُّوَادِ وَتَفَقَّاتُهُمْ أَكْثَرُ مَادَّةِ الْأَسْوَاقِ تَمِّنُ سِوَاهُمْ فَيَقَعُ  
الْكِسَادُ حِينَئِذٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَتَضَعُفُ الْأَزْبَاحُ فِي الْمَتَاجِرِ فَيَقِلُّ الْخَرَجُ لِذَلِكَ لِأَنَّ  
الْخَرَاجَ وَالْجَبَايَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الْأَعْتِمَارِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَتَفَاقُ الْأَسْوَاقِ وَطَلَبِ النَّاسِ  
لِلْفَوَائِدِ وَالْأَزْبَاحِ وَوَبَالَ ذَلِكَ عَائِدٌ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالنِّقْصِ لِقِلَّةِ أَمْوَالِ السُّلْطَانِ حِينَئِذٍ  
بِقِلَّةِ الْخَرَاجِ فَإِنَّ الدَّوْلَةَ كَمَا قُلْنَا هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ أُمُّ الْأَسْوَاقِ كُلِّهَا وَأَصْلُهَا  
وَمَادَّتُهَا فِي الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ فَإِنْ كَسَدَتْ وَقَلَّتْ مَصَارِفُهَا فَأَجْدِزَ بِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَسْوَاقِ  
أَنْ يَلْحَقَهَا مِثْلُ ذَلِكَ وَأَشَدُّ مِنْهُ وَأَيْضًا فَالْمَالُ إِنَّمَا هُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَالسُّلْطَانِ  
مِنْهُمْ إِلَيْهِ وَمِنْهُ إِلَيْهِمْ فَإِذَا جَبَسَهُ السُّلْطَانُ عِنْدَهُ فَقَدَتْهُ الرَّعِيَّةُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ

### الفصل الثالث والاربعون

في ان الظلم موذن بخراب العمران

إِعْلَمْ أَنَّ الْعُدْوَانَ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ ذَاهِبٌ بِأَمْوَالِهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا وَكَتْسَابِهَا  
لِمَا يَرَوْنَهُ حِينَئِذٍ مِنْ أَنَّ غَايَتَهَا وَمَصِيرَهَا أَنْتَهَابُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَإِذَا ذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ فِي  
اكتسَابِهَا وَتَحْصِيلِهَا انْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ السَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَعَلَى قَدَرِ الْأَعْتِدَاءِ وَنُسْبَتِهِ  
يَكُونُ انْقِبَاضُ الرِّعَايَا عَنِ السَّعْيِ فِي الْاِكتِسَابِ فَإِذَا كَانَ الْأَعْتِدَاءُ كَثِيرًا عَامًّا فِي  
جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ كَانَ الْقَعُودُ عَنِ الْكَسْبِ كَذَلِكَ لِنِهَايَةِ بِالْأَمَالِ جُمْلَةً بِدُخُولِهِ



مِنْ جَمِيعِ أَبْوَابِهَا وَإِنْ كَانَ الْإِعْتِدَاءُ يَسِيرًا كَانَ الْإِنْتِقَاضُ عَنِ الْكَسْبِ عَلَى نِسْبَتِهِ  
 وَالْعُمُرَانُ وَوُفُورُهُ وَتَفَاقُ أَسْوَاقِهِ إِنَّمَا هُوَ بِالْأَعْمَالِ وَسَعْيِ النَّاسِ فِي الْمَصَالِحِ  
 وَالْمَكَاسِبِ ذَاهِبِينَ وَجَائِينَ فَإِذَا قَعَدَ النَّاسُ عَنِ الْمَعَاشِ وَانْتَقَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ  
 الْمَكَاسِبِ كَسَدَتْ أَسْوَاقُ الْعُمُرَانِ وَانْتَقَضَتْ الْأَحْوَالُ وَابْتَدَعَ النَّاسُ فِي الْأَفَاقِ مِنْ  
 غَيْرِ تِلْكَ الْإِيَالَةِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ فِيمَا خَرَجَ عَنْ نِطَاقِهَا فَخَفَتْ سَاكِنُ الْقَطْرِ وَخَلَّتْ  
 دِيَارُهُ وَخَرَجَتْ أَمْصَارُهُ وَاخْتَلَّتْ بِاخْتِلَالِهِ حَالُ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ لِمَا أَنَّهَا صُورَةُ  
 لِلْعُمُرَانِ تَفْسُدُ بِفَسَادِ مَادِّيَّاتِهَا ضَرُورَةً وَانْظُرْ فِي ذَلِكَ مَا حَكَاهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي أَخْبَارِ  
 الْفُرْسِ عَنِ الْمُؤَبَّدَانِ صَاحِبِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ أَيَّامَ بَهْرَامَ بْنِ بَهْرَامَ وَمَا عَرَّضَ بِهِ لِلْمَلِكِ  
 فِي انْكَارِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ عَائِدَتِهِ عَلَى الدَّوْلَةِ بِضَرْبِ الْمِثَالِ فِي  
 ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ الْيَوْمِ حِينَ سَمِعَ الْمَلِكُ أَصْوَاتَهَا وَسَأَلَهُ عَنْ فَهْمِ كَلَامِهَا فَقَالَ لَهُ إِنَّ يَوْمًا  
 ذَكَرَ أَيْرُومُ نِكَاحَ يَوْمِ انْتَى وَإِنَّهَا شَرِطَتْ عَلَيْهِ عِشْرِينَ قَرْيَةً مِنَ الْخَرَابِ فِي أَيَّامِ بَهْرَامَ  
 فَقَبِلَ شَرْطَهَا وَقَالَ لَهَا إِنْ دَامَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ أَقْطَعْتُكَ أَلْفَ قَرْيَةٍ وَهَذَا أَسهَلُ مَرَامٍ فَتَنَبَّهَ  
 الْمَلِكُ مِنْ غَفْلَتِهِ وَخَلَا بِالْمُؤَبَّدَانِ وَسَأَلَهُ عَنْ مُرَادِهِ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ الْمَلِكَ  
 لَا يَتِمُّ عِزُّهُ إِلَّا بِالشَّرِيعَةِ وَالْقِيَامِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَالتَّصَرُّفِ تَحْتَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَلَا قِيَامَ  
 لِلشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْمَلِكِ وَلَا عِزَّ لِلْمَلِكِ إِلَّا بِالرِّجَالِ وَلَا قِيَامَ لِلرِّجَالِ إِلَّا بِالْمَالِ وَلَا  
 سَبِيلَ إِلَى الْمَالِ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَلَا سَبِيلَ لِلْعِمَارَةِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ الْمِيزَانُ الْمَنْصُوبُ  
 بَيْنَ الْخَلِيقَةِ نَصَبَهُ الرَّبُّ وَجَعَلَ لَهُ قِيَمًا وَهُوَ الْمَلِكُ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَمَدَتُ إِلَى الضِّيَاعِ  
 فَأَنْتَزَعْتَهَا مِنْ أَزْبَابِهَا وَعُمَارِهَا وَهُمْ أَزْبَابُ الْخَرَاجِ وَمَنْ تَوَخَّذَ مِنْهُمْ الْأَمْوَالُ وَأَقْطَعْتَهَا  
 الْحَاشِيَةَ وَالْخُدَمَ وَأَهْلَ الْبِطَالَةِ فَتَرَكُوا الْعِمَارَةَ وَالنَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ وَمَا يُصْلِحُ الضِّيَاعَ  
 وَسُومِحُوا فِي الْخَرَاجِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَوَقَعَ الْحَيْفُ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ أَزْبَابِ الْخَرَاجِ وَعُمَارِ  
 الضِّيَاعِ فَأَنْجَلُوا عَنْ ضِيَاعِهِمْ وَخَلُّوا دِيَارَهُمْ وَأَوُوا إِلَى مَا تَعَذَّرَ مِنَ الضِّيَاعِ فَسَكَنُوهَا  
 فَقَلَّتِ الْعِمَارَةُ وَخَرِبَتِ الضِّيَاعُ وَقَلَّتِ الْأَمْوَالُ وَهَلَكَتِ الْجُنُودُ وَالرَّعِيَّةُ وَطَمَعَ فِي  
 مَلِكِ فَارِسَ مَنْ جَاوَرَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ لِعِلْمِهِمْ بِانْقِطَاعِ الْمَوَادِّ الَّتِي لَا تَسْتَقِيمُ دَعَائِمُ  
 الْمَلِكِ إِلَّا بِهَا فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَى النَّظَرِ فِي مُلْكِهِ وَأَنْتَزَعَتِ الضِّيَاعُ مِنْ  
 أَيْدِي الْخَاصَّةِ وَرُدَّتْ عَلَى أَزْبَابِهَا وَحُمِلُوا عَلَى رُسُومِهِمْ السَّالِفَةِ وَأَخَذُوا فِي الْعِمَارَةِ وَقَوَّيَ

مَنْ ضَعُفَ مِنْهُمْ فَعَمَرَتِ الْأَرْضُ وَأَخْصَبَتِ الْبِلَادُ وَكَثُرَتِ الْأَمْوَالُ عِنْدَ جُبَاةِ الْخَرَاجِ  
 وَقَوِيَتِ الْجُنُودُ وَقُطِعَتِ مَوَادُّ الْأَعْدَاءِ وَشُجِنَتِ الثُّغُورُ وَأَقْبَلَ الْمَلِكُ عَلَى مُبَاشَرَةِ أُمُورِهِ  
 بِنَفْسِهِ فَحَسُنَتْ أَيَّامُهُ وَانْتَضَمَ مَلِكُهُ فَتَفَهَّمُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّ الظُّلْمَ يُخْرِبُ الْعُمَرَانَ  
 وَأَنَّ عَائِدَةَ الْخَرَابِ فِي الْعُمَرَانِ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالْفَسَادِ وَالْإِنْتِقَاضِ وَلَا تَنْظُرُ فِي ذَلِكَ إِلَى  
 أَنَّ الْأَعْتِدَاءَ قَدْ يُوجَدُ بِالْأَمْصَارِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الدُّوَلِ الَّتِي بِهَا وَلَمْ يَقَعْ فِيهَا خَرَابٌ وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْأَعْتِدَاءِ وَأَحْوَالِ أَهْلِ الْمِصْرِ فَلَمَّا كَانَ  
 الْمِصْرُ كَبِيرًا وَعُمَرَانُهُ كَثِيرًا وَأَحْوَالُهُ مُتَّسِعَةً بِمَا لَا يَحْصِرُ كَانَ وَقُوعُ النِّقْصِ فِيهِ بِالْأَعْتِدَاءِ  
 وَالظُّلْمِ بَسِيرًا لِأَنَّ النِّقْصَ إِنَّمَا يَقَعُ بِالتَّدْرِيجِ فَإِذَا خَفِيَ بِكَثْرَةِ الْأَحْوَالِ وَاتَّسَعَ  
 الْأَعْمَالُ فِي الْمِصْرِ لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُهُ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ وَقَدْ تَذَهَبُ تِلْكَ الدَّوْلَةُ الْمُعْتَدِيَّةُ مِنْ  
 أَصْلِهَا قَبْلَ خَرَابِ الْمِصْرِ وَتَجِيءُ الدَّوْلَةُ الْأُخْرَى فَتَرْقَعُهُ بِجِدَّتِهَا وَتَجْبُرُ النِّقْصَ الَّذِي كَانَ  
 خَفِيًّا فِيهِ فَلَا يَكَادُ يُشْعَرُ بِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا أَنَّ حُصُولَ  
 النِّقْصِ فِي الْعُمَرَانِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ أَمْرٌ وَقِيعٌ لَا بُدَّ مِنْهُ لِمَا قَدَّمَاهُ وَوَبَّالَهُ عَائِدَةٌ عَلَى  
 الدُّوَلِ وَلَا تَحْسَبَنَّ الظُّلْمَ إِنَّمَا هُوَ أَخْذُ الْمَالِ أَوْ الْمُلْكِ مِنْ يَدِ مَالِكِهِ مِنْ غَيْرِ عَوَضٍ  
 وَلَا سَبَبٍ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ بَلِ الظُّلْمُ أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ وَكُلٌّ مِنْ أَخْذِ مَلِكٍ أَحَدٍ أَوْ غَصْبِهِ  
 فِي عَمَلِهِ أَوْ طَائِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ فَرْضٍ عَلَيْهِ حَقًّا لَمْ يَفْرِضْهُ الشَّرْعُ فَقَدْ ظَلَمَهُ فَجُبَاةُ  
 الْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ ظَلَمَةٌ وَالْمُعْتَدُونَ عَلَيْهَا ظَلَمَةٌ وَالْمُنْتَهَبُونَ لَهَا ظَلَمَةٌ وَالْمَانِعُونَ  
 لِحُقُوقِ النَّاسِ ظَلَمَةٌ وَخُصَابُ الْأَمْلَاقِ عَلَى الْعُمُومِ ظَلَمَةٌ وَوَبَّالُ ذَلِكَ كُلِّهِ عَائِدَةٌ عَلَى الدَّوْلَةِ  
 بِخَرَابِ الْعُمَرَانِ الَّذِي هُوَ مَادَّتُهَا لِإِذْهَابِهِ الْأَمْوَالِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ  
 الْمَقْصُودَةُ لِلشَّارِعِ فِي تَعْرِيمِ الظُّلْمِ وَهُوَ مَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنْ فُسَادِ الْعُمَرَانِ وَخَرَابِهِ وَذَلِكَ  
 مُؤَذِّنٌ بِانْقِطَاعِ النَّوعِ الْبَشَرِيِّ وَهِيَ الْحِكْمَةُ الْعَامَّةُ الْمُرَاعِيَّةُ لِلشَّرْعِ فِي جَمِيعِ  
 مَقَاصِدِهِ الْفَرُوقِ الْخَمْسَةِ مِنْ حِيْظِ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالنَّسْلِ وَالْمَالِ فَلَمَّا كَانَ  
 الظُّلْمُ كَمَا رَأَيْتَ مُؤَذِّنًا بِانْقِطَاعِ النَّوعِ لِمَا أَدَّى إِلَيْهِ مِنْ تَخْرِيبِ الْعُمَرَانِ كَانَتْ  
 حِكْمَةُ الْخَطَرِ فِيهِ مُوجُودَةً فَكَانَ تَحْرِيمُهُ مُهِمًّا وَأَدِلَّتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُ  
 مِنْ أَنْ يَأْخُذَهَا قَانُونُ الضَّبْطِ وَالْحَصْرِ وَلَوْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ قَادِرًا عَلَى الظُّلْمِ لَوَضِعَ بِإِزَائِهِ  
 مِنَ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةِ مَا وَضِعَ بِإِزَاءِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُفْسِدَاتِ لِلنَّوعِ الَّتِي يَقْدِرُ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى



أَقْتَرَفَهَا مِنْ أَرْزَانَا وَالْقَتْلِ وَالسُّكْرِ إِلَّا أَنَّ الظُّلْمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ  
 إِنَّمَا يَقَعُ مِنْ أَهْلِ الْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ فَبُورِخَ فِي ذِمَّتِهِ وَتَكْرِيرِ الْوَعِيدِ فِيهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ  
 الْوَازِغُ فِيهِ لِلْقَادِرِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّ الْعُقُوبَةَ قَدُوضَتْ  
 بِإِزَاءِ الْحِرَابَةِ فِي الشَّرْعِ وَهِيَ مِنْ ظُلْمِ الْقَادِرِ لِأَنَّ الْحَارِبَ زَمَنَ حِرَابَتِهِ قَادِرٌ فَإِنْ فِي  
 الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ طَرِيقَيْنِ . أَحَدُهُمَا أَنْ تَقُولَ الْعُقُوبَةُ عَلَى مَا يَقْتَرِفُهُ مِنَ الْجُنَايَاتِ فِي نَفْسِ  
 أَمْوَالٍ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَالْمُطَالَبَةِ بِجُنَايَتِهِ  
 وَأَمَّا نَفْسُ الْحِرَابَةِ فَهِيَ خُلُوفٌ مِنَ الْعُقُوبَةِ . الطَّرِيقُ الثَّانِي أَنْ تَقُولَ الْحَارِبُ لَا يَوْصَفُ  
 بِالْقُدْرَةِ لِأَنَّا إِنَّمَا نَعْنِي بِقُدْرَةِ الظَّالِمِ أَيْدِ الْمَبْسُوطَةِ الَّتِي لَا تُعَارِضُهَا قُدْرَةٌ فَهِيَ الْمُؤَذِّنَةُ  
 بِالْخَرَابِ وَأَمَّا قُدْرَةُ الْحَارِبِ فَإِنَّمَا هِيَ إِخَافَةٌ يَجْعَلُهَا ذَرِيعَةً لِأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَالْمُدَافَعَةِ  
 عَنْهَا بِيَدِ الْكُلِّ مَوْجُودَةٌ شَرْعًا وَسِيَاسَةً فَلَيْسَتْ مِنَ الْقَدْرِ الْمُؤَذِّنِ بِالْخَرَابِ وَاللَّهُ  
 قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ . وَمِنْ أَشَدِّ الظُّلَامَاتِ وَأَعْظَمِهَا فِي إِفْسَادِ الْعُمَرَانِ تَكْلِيفُ الْأَعْمَالِ  
 وَتَسْخِيرُ الرِّعَايَا بِغَيْرِ حَقٍّ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنْ قَبِيلِ الْمُتَمَوَّلَاتِ كَمَا سَبَقَ فِي  
 بَابِ الرِّزْقِ لِأَنَّ الرِّزْقَ وَالْكَسْبَ إِنَّمَا هُوَ قِيمُ أَعْمَالِ أَهْلِ الْعُمَرَانِ فَإِذَا مَسَّاعِيهِمْ  
 وَأَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا مُتَمَوَّلَاتٌ وَمَكَايِبُ لَهُمْ بَلْ لَا مَكَايِبَ لَهُمْ سِوَاهَا فَإِنَّ الرِّعِيَّةَ  
 الْمُعْتَمِلِينَ فِي الْعِمَارَةِ إِنَّمَا مَعَاشُهُمْ وَمَكَايِبُهُمْ مِنْ أَعْتِمَالِهِمْ ذَلِكَ فَإِذَا كَفُّوا الْعَمَلَ  
 فِي غَيْرِ شَأْنِهِمْ وَاتَّخَذُوا سِخْرِيًّا فِي مَعَاشِهِمْ بَطَلَ كَسْبُهُمْ وَأَغْتَضَبُوا قِيَمَةَ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ  
 وَهُوَ مُتَمَوَّلُهُمْ فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الضَّرَرُ وَذَهَبَ لَهُمْ حَظٌّ كَبِيرٌ مِنْ مَعَاشِهِمْ بَلْ هُوَ مَعَاشُهُمْ  
 بِالْجُمْلَةِ وَإِنْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَفْسَدَ أَمَالَهُمْ فِي الْعِمَارَةِ وَقَعَدُوا عَنِ السَّعْيِ فِيهَا  
 جُمْلَةً فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى انْتِقَاضِ الْعُمَرَانِ وَتَخَرُّبِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ  
 وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فِي الظُّلْمِ وَإِفْسَادِ الْعُمَرَانِ وَالِدَوْلَةُ التَّسَلُّطُ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ  
 بِشِرَاءٍ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ ثُمَّ فَرَضَ الْبُضَائِعَ عَلَيْهِمْ بِأَرْقَعِ الْأَثْمَانِ عَلَى  
 وَجْهِ الْغَضَبِ وَالْإِكْرَاهِ فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ وَرُبَّمَا تُفَرِّضُ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْأَثْمَانَ عَلَى  
 التَّوَّاحِي وَالتَّعْجِيلِ فَيَتَعَمَّلُونَ فِي تِلْكَ الْخِسَارَةِ الَّتِي تُلْحَقُهُمْ بِمَا يُحْدِثُهُمُ الْمَطَامِعُ مِنْ جَبَرِ  
 ذَلِكَ بِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِي تِلْكَ الْبُضَائِعِ الَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ بِالْغَلَاءِ إِلَى بَيْعِهَا بِأَبْخَسِ  
 الْأَثْمَانِ وَتَعُودُ خِسَارَةٌ مَا بَيْنَ الصَّفَقَتَيْنِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ وَقَدْ يَعْمُ ذَلِكَ أَصْنَافُ

التَّجَارَةُ الْمُقِيمِينَ بِالْمَدِينَةِ وَالْوَارِدِينَ مِنَ الْأَفَاقِ فِي الْبَضَائِعِ وَسَائِرِ السُّوقَةِ وَأَهْلُ  
 الدِّكَائِينَ فِي الْمَاكِيلِ وَالْفَوَاكِهِ وَأَهْلُ الصَّنَائِعِ فِيمَا يَتَّخِذُونَ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْمَوَاعِينِ  
 فَتَشْمَلُ الْخِيسَارَةُ سَائِرَ الْأَصْنَافِ وَالطَّبَقَاتِ وَتَتَوَالَى عَلَى السَّاعَاتِ وَتُجْحِفُ بِرُؤُوسِ  
 الْأَمْوَالِ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا وَلِيَّةً إِلَّا الْقُعُودَ عَنِ الْأَسْوَاقِ لِذَهَابِ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ فِي  
 جَبْرِهَا بِالْأَرْبَاحِ وَيَتَنَاقَلُ الْوَارِدُونَ مِنَ الْأَفَاقِ لِشِرَاءِ الْبَضَائِعِ وَيَبْعُهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ  
 فَتَكْسُدُ الْأَسْوَاقُ وَيَبْطُلُ مَعَاشُ الرِّعَايَا لِأَنَّ عَامَّتَهُ مِنَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَإِذَا كَانَتْ  
 الْأَسْوَاقُ عَطْلًا مِنْهَا بَطَلَ مَعَاشُهُمْ وَتَنَقَّصَ جَبَايَةُ السُّلْطَانِ أَوْ تَفْسَدُ لِأَنَّ مُعْظَمَهَا مِنْ  
 أَوْسَطِ الدَّوْلَةِ وَمَا بَعْدَهَا إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْمَكُوسِ عَلَى الْبَيَاعَاتِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ وَيُؤْوِلُ ذَلِكَ  
 إِلَى تَلَاشِي الدَّوْلَةِ وَفَسَادِ عُمُرَانِ الْمَدِينَةِ وَيَتَطَرَّقُ هَذَا الْخُلَلُ عَلَى التَّدْرِيجِ وَلَا يُشْعَرُ  
 بِهِ هَذَا مَا كَانَ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الدَّرَائِعِ وَالْأَسْبَابِ إِلَى اخْتِزِ الْأَمْوَالِ وَأَمَّا اخْتُذَاهَا مَجَانًا  
 وَالْعُدْوَانُ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَحُرْمَتِهِمْ وَدِمَائِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ فَهُوَ يُفْضِي  
 إِلَى الْخُلَلِ وَالْفَسَادِ دَفْعَةً وَتَنَقُّصِ الدَّوْلَةِ سَرِيعًا بِمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْهَرَجِ الْمُفْضِي إِلَى  
 الْإِنْتِقَاصِ وَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمَفَاسِدِ حَظَرَ الشَّرْعُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَشَرَعَ الْمَكَايِسَةَ فِي  
 الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَحَظَرَ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ سَدًّا لِأَبْوَابِ الْمَفَاسِدِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى  
 انْتِقَاصِ الْعُمُرَانِ بِالْهَرَجِ أَوْ بَطْلَانِ الْمَعَاشِ وَأَعْلَمَ أَنَّ الدَّاعِيَ لِذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا هُوَ  
 حَاجَةُ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ إِلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الْمَالِ بِمَا يَغْرِضُ لَهُمْ مِنَ التَّرَفِ فِي الْأَحْوَالِ  
 فَتَكْثُرُ نَفَقَاتُهُمْ وَيَعْظُمُ الْخَرْجُ وَلَا يَبْقَى بِهِ الدَّخْلُ عَلَى الْقَوَانِينِ الْمُعْتَادَةِ يَسْتَحْدِثُونَ  
 الْقَبَا وَوُجُوهًا يُوسِعُونَ بِهَا الْجَبَايَةَ لِيَفِي لَهُمُ الدَّخْلُ بِالْخَرْجِ ثُمَّ لَا يَزَالُ التَّرَفُ يَزِيدُ  
 وَالْخَرْجُ بِسَبَبِهِ يَكْثُرُ وَالْحَاجَةُ إِلَى أَمْوَالِ النَّاسِ تَشْتَدُّ وَنِطَاقُ الدَّوْلَةِ بِذَلِكَ يَزِيدُ  
 إِلَى أَنْ تَعْمِيَ دَائِرَتُهَا وَيَذْهَبَ بِرِسْمِهَا وَيَغْلِبَهَا طَالِبُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الرابع والاربعون

في ان الحجاب كيف يقع في الدول وفي انه يعظم عند الهرم  
 اعلم ان الدولة في اول امرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قد مناه  
 لانه لا بد لها من العصية التي بها يتم امرها ويحصل استيلاؤها والبداءة هي شعار  
 العصية والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك وان كان قيامها



بِعِزِّ الْغَلْبِ فَقَطُّ فَالْبِدَاوَةُ الَّتِي بِهَا يَحْصُلُ الْغَلْبُ بَعِيدَةٌ أَيْضًا عَنْ مَنَازِعِ الْمُلْكِ وَمَذَاهِبِهِ  
وَإِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا بَدْوِيَّةً كَانَ صَاحِبُهَا عَلَى حَالِ الْغَضَاضَةِ وَالْبِدَاوَةِ  
وَالْقُرْبِ مِنَ النَّاسِ وَسَهْوَةِ الْإِذْنِ فَإِذَا رَسَخَ عِزُّهُ وَصَارَ إِلَى الْإِنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ عَنِ  
النَّاسِ لِلْحَدِيثِ مَعَ أَوْلِيَائِهِ فِي خَوَاصِّ شُؤْنِهِ لِمَا يَكْثُرُ حِينَئِذٍ بِحَاشِيَتِهِ فَيَطْلُبُ  
الْإِنْفِرَادَ مِنَ الْعَامَّةِ مَا اسْتَطَاعَ وَيَتَّخِذُ الْإِذْنَ بِبَابِهِ عَلَى مَنْ لَا يَأْمَنُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ  
دَوْلَتِهِ وَيَتَّخِذُ حَاجِبًا لَهُ عَنِ النَّاسِ يُقِيمُهُ بِبَابِهِ لِهَذِهِ الْوُظْنَةِ ثُمَّ إِذَا اسْتَفْحَلَ الْمُلْكُ  
وَجَاءَتْ مَذَاهِبُهُ وَمَنَازِعُهُ اسْتَحَالَتْ أَخْلَاقُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَخْلَاقِ الْمُلْكِ وَهِيَ أَخْلَاقُ  
غَرِيبَةٍ مُخْصُوصَةٍ يَحْتَاجُ مُبَاشَرُهَا إِلَى مُدَارَاتِهَا وَمُعَامَلَتِهَا بِمَا يَجِبُ لَهَا وَرُبَّمَا جَهَلَ تِلْكَ  
الْأَخْلَاقَ مِنْهُمْ بَعْضُ مَنْ يُبَاشِرُهُمْ فَوَقَعَ فِيهَا لَا يُرْضِيهِمْ فَسَخِطُوا وَصَارُوا إِلَى حَالَةِ الْإِنْتِقَامِ  
مِنْهُ فَأَتَقَرَّدَ بِمَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَدَابِ الْخَوَاصِّ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ وَحَجَّبُوا غَيْرَ أَوْلِيكَ الْخَاصَّةِ  
عَنِ لِقَائِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حِفْظًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ مُعَانِيَةٍ مَا يُسَخِطُهُمْ عَلَى النَّاسِ مِنْ  
التَّعَرُّضِ لِعِقَابِهِمْ فَصَارَ لَهُمْ حِجَابٌ آخَرٌ أَخَصُّ مِنَ الْحِجَابِ الْأَوَّلِ يُفْضِي إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
خَوَاصُّهُمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَيُحْجَبُ دُونَهُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْحِجَابُ الثَّانِي يُفْضِي إِلَى  
مَجَالِسِ الْأَوْلِيَاءِ وَيُحْجَبُ دُونَهُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْحِجَابُ الْأَوَّلُ يَكُونُ فِي أَوَّلِ  
الدَّوْلَةِ كَمَا ذَكَرْنَا كَمَا حَدَّثَ لِأَيَّامِ مُعَاوِيَةَ وَعَبْدِ الْمَلِكِ وَخُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَكَانَ  
الْقَائِمُ عَلَى ذَلِكَ الْحِجَابِ يُسَمَّى عِنْدَهُمُ الْحَاجِبَ جَزِيًّا عَلَى مَذْهَبِ الْإِسْتِشْقَاقِ الصَّحِيحِ  
ثُمَّ لَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَجَدَتِ الدَّوْلَةُ مِنَ التَّرَفِّ وَالْعِزِّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ  
وَكَمَلَتْ خُلُقُ الْمُلْكِ عَلَى مَا يَجِبُ فِيهَا فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الْحِجَابِ الثَّانِي وَصَارَ اسْمُ الْحَاجِبِ  
أَخَصُّ بِهِ وَصَارَ بِبَابِ الْخُلَفَاءِ دَارَانَ لِلْعَبَّاسِيَّةِ دَارُ الْخَاصَّةِ وَدَارُ الْعَامَّةِ كَمَا هُوَ مُسْتَطَوِّرٌ  
فِي أَخْبَارِهِمْ ثُمَّ حَدَّثَ فِي الدُّوَلِ حِجَابٌ ثَالِثٌ أَخَصُّ مِنَ الْأَوَّلَيْنِ وَهُوَ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ الْحَجَرِ  
عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الدَّوْلَةِ وَخَوَاصَّ الْمُلْكِ إِذَا نَصَبُوا الْأَبْنَاءَ مِنَ الْأَعْقَابِ  
وَحَاوَلُوا الْإِسْتِيزَادَ عَلَيْهِمْ فَأَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ ذَلِكَ الْمُسْتَبِدُّ أَنْ يَحْجُبَ عَنْهُ بِطَانَةٌ أَبْنَاهُ  
وَخَوَاصُّ أَوْلِيَائِهِ يُؤْهِمُهُ أَنْ فِي مُبَاشَرَتِهِمْ إِيَّاهُ خَرَقَ حِجَابَ أَلَهِيَّةٍ وَفَسَادَ قَانُونِ الْأَدَبِ  
لِيَقْطَعَ بِذَلِكَ لِقَاءَ الْغَيْرِ وَيُعَوِّدَهُ مُلَابَسَةُ أَخْلَاقِهِ هُوَ حَتَّى لَا يَتَبَدَّلَ بِهِ سِوَاهُ إِلَى أَنْ  
يَسْتَحْكِمَ الْأَسْتِيزَادَ عَلَيْهِ فَيَكُونُ هَذَا الْحِجَابُ مِنْ دَوَاعِيهِ وَهَذَا الْحِجَابُ لَا يَقَعُ فِي

الغالب إلا أواخر الدولة كما قدمناه في الحجر ويكون دليلاً على هرم الدولة وتنفاد قوتها وهو مما يخشاه أهل الدول على أنفسهم لأن القائمين بالدولة يحاولون على ذلك يطباعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من أعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصاً مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومباريه

### الفصل الخامس والاربعون

في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

اعلم أن أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك أن الملك عندما يستفحل ويبلغ من أحوال الترف والنعيم إلى غايتها ويستبد صاحب الدولة بالمجد وينفرد به ويألف حينئذ عن المشاركة ويصير إلى قطع أسبابها ما استطاع بإهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه فربما أرتاب المساهمون له في ذلك بأنفسهم ونزعوا إلى القاصية إليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاغترار والاسترابة ويكون نطاق الدولة قد أخذ في التضيق ورجع عن القاصية فيستبد ذلك النارع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة أو يكاد وأنظر ذلك في الدولة الإسلامية العربية حين كان أمرها حريزاً مجتمعاً ونطاقاً ممتداً في الاتساع وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم ينبض عرق من الخلافة سائر أيامه إلا ما كان من بدعة الخوارج المستهيتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك ليزعة ملك ولا رئاسة ولم يتم أمرهم لمزاحمتهم العصبية القوية ثم لما خرج الأمر من بني أمية واستقل بنو العباس بالأمر وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف واذنت بالتقليص عن القاصية نزع عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس قاصية دولة الإسلام فاستحدث بها ملكاً واقتطعها عن دولتهم وصير الدولة دولتين ثم نزع أدریس إلى المغرب وخرج به وقام بأمره وأمر ابنه من بعده البرابرة من أوربة ومغيلة وزناتة واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة تقلصاً فاضطرب الأغلبية في الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة وقام بأمرهم كتماناً وصنهاجة واستولوا على أفريقية والمغرب ثم مضر والشام والحجاز وغلبوا على الأدارسة وقسموا الدولة دولتين أخريين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس



مَرْكَزَ الْعَرَبِ وَأَصْلَهُمْ وَمَادَّتُهُمُ الْإِسْلَامُ وَدَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ الْمُجَدِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ  
 مَلِكُهُمُ الْقَدِيمُ وَخِلَافَتُهُمْ بِالْمَشْرِقِ وَدَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَمِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ  
 وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ أَنْقِرَاضُهَا مُتَقَارِبًا أَوْ جَمِيعًا وَكَذَلِكَ انْقَسَمَتِ دَوْلَةُ  
 بَنِي الْعَبَّاسِ بِدُولٍ أُخْرَى وَكَانَ بِالْقَاصِيَةِ بَنُو سَاسَانَ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَخُرَاسَانَ وَالْعُلُوِيَّةَ  
 فِي الدَّيْلَمِ وَطَبْرِسْتَانَ وَالْأَسْتِغْلَاقَ إِلَى الدَّيْلَمِ عَلَى الْعِرَاقِينَ وَعَلَى بَغْدَادَ وَالْخُلَفَاءَ  
 ثُمَّ جَاءَ السُّلْجُوقِيَّةُ فَمَلَكَوا جَمِيعَ ذَلِكَ ثُمَّ انْقَسَمَتِ دَوْلَتُهُمْ أَيْضًا بَعْدَ الْإِسْتِفْحَالِ كَمَا  
 هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ وَكَذَلِكَ أُعْثِرَهُ فِي دَوْلَةِ صِنَهَاجَةَ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةَ لَمَّا بَلَغَتْ  
 إِلَى غَايَتِهَا أَيَّامَ بَادِيَسَ بْنِ الْمَنْصُورِ خَرَجَ عَلَيْهِ عَمُّهُ حَمَادٌ وَأَقْطَعَ مِمَّا لِكَ الْعَرَبِ لِنَفْسِهِ  
 مَا بَيْنَ جَبَلِ أَوْرَاسَ إِلَى تَلْمُسَانَ وَمَلُوكِيَّةَ وَأَخْطَطَ الْفَلْعَةَ بِجَبَلِ كُتَامَةِ حِيَالِ الْمَسِيلَةِ وَنَزَلَهَا  
 وَأَسْتَوَلَى عَلَى مَرْكَزِهِمْ أَشِيرَ بِجَبَلِ تَيْطَرَى وَاسْتَحْدَثَ مُلْكًا آخَرَ قَسِيمًا لِمُلْكِ آلِ بَادِيَسَ  
 وَبَقِيَ آلُ بَادِيَسَ بِالْقَيْرَوَانِ وَمَا إِلَيْهَا وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ انْقَرَضَ أَمْرُهَا جَمِيعًا وَكَذَلِكَ  
 دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ لَمَّا تَقَلَّصَ ظِلُّهَا ثَارَ بِأَفْرِيقِيَّةَ بَنُو أَبِي حَفْصٍ فَأَسْتَقْلَوْهَا وَأَسْتَحْدَثُوا  
 مُلْكًا لِأَعْقَابِهِمْ بِدَوَاحِيهَا ثُمَّ لَمَّا اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُمْ وَأَسْتَوَلَى عَلَى الْغَايَةِ خَرَجَ عَلَى الْمَلِكِ  
 الْغُرَبِيَّةَ مِنْ أَعْقَابِهِمُ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَاءَ يَحْيَى ابْنُ السُّلْطَانِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ رَابِعِ خُلَفَائِهِمْ  
 وَاسْتَحْدَثَ مُلْكًا بِجَبَايَةَ وَقَسَنْطِينَةَ وَمَا إِلَيْهَا أَوْرَثَهُ بَنِيهِ وَقَسَمُوا بِهِ الدَّوْلَةَ قِسْمَيْنِ  
 ثُمَّ اسْتَوَلَوْا عَلَى كُرْمِي الْحَضْرَةِ بَنُونِيسَ ثُمَّ انْقَسَمَ الْمُلْكُ مَا بَيْنَ أَعْقَابِهِمْ ثُمَّ عَادَ الْأَسْتِغْلَاقُ  
 فِيهِمْ وَقَدْ يَنْشَبِي الْإِنْقِسَامُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ دَوْلَتَيْنِ وَثَلَاثٍ وَفِي غَيْرِ أَعْيَاصِ الْمُلْكِ مِنْ قَوْمِهِ  
 كَمَا وَقَعَ فِي مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ وَفِي مُلْكِ صِنَهَاجَةَ بِأَفْرِيقِيَّةَ  
 فَقَدْ كَانَ لِأَخِيرِ دَوْلَتِهِمْ فِي كُلِّ حِصْنٍ مِنْ حِصُونِ أَفْرِيقِيَّةَ ثَأْنٌ مُسْتَقِلٌّ بِأَمْرِهِ كَمَا أَقْدَمَ  
 ذِكْرُهُ وَكَذَا حَالُ الْجُرَيْدِ وَالزَّابِ مِنْ أَفْرِيقِيَّةَ فَيَلْ هَذَا الْعَهْدِ كَمَا نَذَرْتُ وَهَكَذَا شَأْنُ  
 كُلِّ دَوْلَةٍ لَا بُدَّ وَأَنْ يَعْزِضَ فِيهَا عَوَارِضُ الْهَرَمِ بِالْتَرْفِ وَالِدَّةِ وَتَقْلُصُ ظِلُّ الْغَلَبِ فَيَنْقَسِمُ  
 أَعْيَاصُهَا وَمَنْ يَغْلِبُ مِنْ رِجَالِ دَوْلَتِهَا لِأَمْرٍ وَيَتَعَدَّدُ فِيهَا الدُّوَلُ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل السادس والاربعون

في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع

قَدْ قَدَّمْنَا ذِكْرَ الْعَوَارِضِ الْمُؤَذِّنَةِ بِالْهَرَمِ وَأَسْبَابَهُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَبَيْنَا أَنَّهَا

تَحْدُثُ لِلدَّوْلَةِ بِالطَّبَعِ وَأَنَّهَا كُلُّهَا أُمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ لَهَا وَإِذَا كَانَ الْهَرَمُ طَبِيعِيًّا فِي الدَّوْلَةِ  
كَانَ حَدُوثُهُ بِمِثَابَةِ حَدُوثِ الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ كَمَا يَحْدُثُ الْهَرَمُ فِي الْمَزَاجِ الْحَيَوَانِيِّ  
وَالْهَرَمُ مِنَ الْأَبْرَاضِ الْمَزْمِنَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ دَوَائُهَا وَلَا أَرْتِفَاعُهَا بَلَّا أَنَّهُ طَبِيعِيٌّ وَالْأُمُورُ  
الطَّبِيعِيَّةُ لَا تَبْدُلُ وَقَدْ يَتَنَبَّهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ بِمَنْ لَهُ يَقْظَةٌ فِي السِّيَاسَةِ فَيَرَى مَا  
تَزَلُ بِدَوَلَتِهِمْ مِنْ عَوَارِضِ الْهَرَمِ وَيَظُنُّ أَنَّ مُمْكِنَ الِارْتِفَاعِ فَيَأْخُذُ نَفْسَهُ بِتَلَا فِي الدَّوْلَةِ  
وَإِصْلَاحِ مَزَاجِهَا عَنْ ذَلِكَ الْهَرَمِ وَيَحْسِبُهُ أَنَّ لِحَقِّهَا بِتَقْصِيرٍ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ  
وَعَفْلَتِهِمْ وَأَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّهَا أُمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلدَّوْلَةِ وَالْعَوَائِدُ هِيَ الْمَانِعَةُ لَهُ مِنْ تَلَا فِيهَا  
وَالْعَوَائِدُ مَنَزَلَةٌ طَبِيعِيَّةٌ أُخْرَى فَإِنْ مَنْ أَدْرَكَ مَثَلًا أَبَاهُ وَأَكْثَرَ أَهْلِي يَتَنَبَّهُ يَلْبَسُونَ  
الْحَرِيرَ وَالْدِّيْبَاجَ وَيَتَحَلَّلُونَ بِالذَّهَبِ فِي السَّلَاحِ وَالْمَرَكَابِ وَيَحْتَجِبُونَ عَنِ النَّاسِ فِي  
الْمَجَالِسِ وَالصَّلَواتِ فَلَا يُمَكِّنُهُ مُخَالَفَةُ سَلَفِهِ فِي ذَلِكَ إِلَى الْخُشُونَةِ فِي اللِّبَاسِ وَالزِّيِّ  
وَالِاخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ إِذِ الْعَوَائِدُ حِينَئِذٍ تَمْنَعُهُ وَتُقْبِحُ عَلَيْهِ مُرْتَكِبُهُ وَلَوْ فَعَلَهُ لَرُمِيَ  
بِالْجُنُونِ وَالْوَسْوَاسِ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْعَوَائِدِ دَفْعَةً وَخُشْيَ عَلَيْهِ عَائِدَةُ ذَلِكَ وَعَاقِبَتُهُ فِي  
سُلْطَانِهِ وَأَنْظَرُ شَأْنِ الْأَنْبِيَاءِ فِي إِنْكَارِ الْعَوَائِدِ وَتَخَالُفَتِهَا لَوْلَا أَلَا يُبِيدُ الْإِلَهِ وَالنَّصْرُ  
السَّمَاوِيُّ وَرُبَّمَا تَكُونُ الْعَصَبِيَّةُ قَدْ ذَهَبَتْ فَتَكُونُ الْأُيُودُ تُعَوِّضُ عَنْ مَوَاقِعِهَا مِنَ  
الْأَنْفُسِ فَإِذَا أُزِيلَتْ تِلْكَ الْأُيُودُ مَعَ ضَعْفِ الْعَصَبِيَّةِ تَجَاسَرَتِ الرِّعَايَا عَلَى الدَّوْلَةِ بِذَهَابِ  
أَوْهَامِ الْأُيُودِ فَتَنْدَرِغُ الدَّوْلَةُ بِتِلْكَ الْأُيُودِ مَا أَمَكْنَهَا حَتَّى يَنْقُضِيَ الْأَمْرُ وَرُبَّمَا يَحْدُثُ  
عِنْدَ آخِرِ الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ تُؤَيِّمُ أَنَّ الْهَرَمَ قَدْ أَرْتَفَعَ عَنْهَا وَيُوضُّ ذُبَالُهَا إِيمَاضَةُ الْخُمُودِ  
كَمَا يَقَعُ فِي الذُّبَالِ الْمُشْتَعِلِ فَإِنَّهُ عِنْدَ مُقَارَبَةِ أَنْطِفَائِهِ يُوضُّ إِيمَاضَةً تُؤَيِّمُ أَنَّهَا اشْتَعَالٌ  
وَهِيَ أَنْطِفَاءٌ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَلَا تُغْفِلْ سِرَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتَهُ فِي أَطْرَادِ وَجُودِهِ عَلَى مَا  
قَدَّرَ فِيهِ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

### الفصل السابع والاربعون

في كيفية طرق الخلل للدولة

إِذَا عَلِمَ أَنَّ مَبْنَى الْمَلِكِ عَلَى أَسَاسَيْنِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا فَالْأَوَّلُ الشُّوْكَ وَالْعَصَبِيَّةُ وَهُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ  
بِالْجُنْدِ وَالثَّانِي الْمَالُ الَّذِي هُوَ قَوَامُ أَوْلِيكَ الْجُنْدِ وَإِقَامَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ مِنَ  
الْأَحْوَالِ وَالْخُلَلِ إِذَا طَرَقَ الدَّوْلَةُ طَرَفَهَا فِي هَذَيْنِ الْأَسَاسَيْنِ فَلَنْذَكَرُ أَوَّلَ طُرُوقِ



الْخُلَالِ فِي الشُّوْكَةِ وَالْعَصِيَّةِ ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى طُرُقِهِ فِي الْمَالِ وَالْجَبَايَةِ وَأَعْلَمُ أَنَّ تَمْهِيدَ  
 الدَّوْلَةِ وَتَأْسِيسَهَا كَمَا قُلْنَا هُيَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ عَصِيَّةٍ كَبْرَى جَامِعَةٍ  
 لِلْعَصَائِبِ مُسْتَتَبِعَةٍ لَهَا وَهِيَ عَصِيَّةُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْخَاصَّةِ مِنْ عَشِيرَةٍ وَقَبِيلَةٍ فَإِذَا جَاءَتْ  
 الدَّوْلَةُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ مِنَ التَّرَفِ وَجَدَعَ أَنْوَفَ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ كَانَ أَوَّلُ مَا يُجَدِّعُ أَنْوَفَ  
 عَشِيرَتِهِ وَذَوِي قُرْبَاهُ الْمُقَامِسِينَ لَهُ فِي أَسْمِ الْمَلِكِ فَيَسْتَبِيدُ فِي جَدْعِ أَنْوَفِهِمْ بِمَا بَلَغَ  
 مِنْ سَوَادِهِمْ لِمَكَانِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَالْعِزِّ وَالْغَلْبِ فَيَحِيطُ بِهِمْ هَادِمَانِ وَهُمَا التَّرَفُ وَالْقَهْرُ  
 ثُمَّ يَصِيرُ الْقَهْرُ آخِرًا إِلَى الْقَتْلِ لِمَا يَحْصُلُ مِنْ مَرَضِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ رُسُوحِ الْمَلِكِ لِصَاحِبِ  
 الْأَمْرِ فَيَقْلِبُ غَيْرَتَهُ مِنْهُمْ إِلَى الْخَوْفِ عَلَى مَلِكِهِ فَيَأْخُذُهُمُ بِالْقَتْلِ وَالْإِهَانَةِ وَسَلْبِ  
 النِّعْمَةِ وَالتَّرَفِ الَّذِي تَعَوَّدُوا الْكَثِيرَ مِنْهُ فَيَهْلِكُونَ وَيَقْلُونَ وَتَفْسُدُ عَصِيَّةُ صَاحِبِ  
 الدَّوْلَةِ مِنْهُمْ وَهِيَ الْعَصِيَّةُ الْكُبْرَى الَّتِي كَانَتْ تُجْمَعُ بِهَا الْعَصَائِبُ وَتَسْتَبْعِيهَا فَتَنْحَلُّ  
 عُرْوَتُهَا وَتَضَعُفُ شَكِيمَتُهَا وَتُسْتَبَدَّلُ عَنْهَا بِالْبَطَانَةِ مِنْ مَوَالِي النِّعْمَةِ وَصَنَائِعِ الْإِحْسَانِ  
 وَتَأْخُذُ مِنْهُمْ عَصِيَّةً إِلَّا أَنَّهُمَا لَيْسَتْ مِثْلَ تِلْكَ الشَّدَةِ الشَّكِيمَةِ لِفُقْدَانِ الرَّحِمِ وَالْقَرَابَةِ  
 مِنْهَا وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ شَأْنَ الْعَصِيَّةِ وَقُوَّتُهَا إِنَّمَا هِيَ بِالْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ  
 فِي ذَلِكَ فَيَنْفَرِدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ عَنْ الْعَشِيرِ وَالْأَنْصَارِ الطَّبِيعِيَّةِ وَيُحْسِنُ بِذَلِكَ أَهْلُ  
 الْعَصَائِبِ الْآخَرَى فَيَتَجَامَرُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى بَطَانَتِهِ تَجَاسُرًا طَبِيعِيًّا فَيَهْلِكُهُمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ  
 وَيَتَّبِعُهُمُ بِالْقَتْلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَقْلِدُ الْآخَرِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ الْأَوَّلِ مَعَ مَا  
 يَكُونُ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ مِنْ مُهْلِكَةِ التَّرَفِ الَّذِي قَدَّمْنَا فَيَسْتَوِلِي عَلَيْهِمُ الْهَلَاكُ بِالتَّرَفِ  
 وَالْقَتْلِ حَتَّى يَخْرُجُوا عَنْ صِبْغَةِ تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَيَفْشُوا بِعِزَّتِهَا وَثَوَرَتِهَا وَيَصِيرُوا أَوْجَزَ  
 عَلَى الْحِمَايَةِ وَيَقْلُونَ لِذَلِكَ فَتَقِلُّ الْحِمَايَةُ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْأَطْرَافِ وَالشُّعُوبِ فَتَتَجَاسَرُ الرِّعَايَا  
 عَلَى بَعْضِ الدَّعْوَةِ فِي الْأَطْرَافِ وَيُبَادِرُ الْخَوَارِجُ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَعْيَاصِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى  
 تِلْكَ الْأَطْرَافِ لِمَا يَرْجُونَ حِينَئِذٍ مِنْ حُصُولِ غَرَضِهِمْ بِمُبَايَعَةِ أَهْلِ الْقَاصِيَةِ لَهُمْ  
 وَأَمْنِهِمْ مِنْ وُصُولِ الْحَامِيَةِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَدَرَّجُ وَنِطَاقُ الدَّوْلَةِ يَتَضَايِقُ حَتَّى  
 تَصِيرَ الْخَوَارِجُ فِي أَقْرَبِ الْأَمَاكِنِ إِلَى مَرْكَزِ الدَّوْلَةِ وَرُبَّمَا انْقَسَمَتِ الدَّوْلَةُ عِنْدَ  
 ذَلِكَ بِدَوْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ عَلَى قَدَرِ قُوَّتِهَا فِي الْأَصْلِ كَمَا قُلْنَا وَيَقُومُ بِأَمْرِهَا غَيْرُ أَهْلِ  
 عَصِيَّتِهَا لَكِنْ إِذْ عَانَا لِأَهْلِ عَصِيَّتِهَا وَلِغَلْبِهِمُ الْمَعْنُودِ وَاعْتَبَرْنَا هَذَا فِي دَوْلَةِ الْعَرَبِ فِي

إِلَى سَلَامٍ كَيْفَ انْتَهَتْ أَوَّلًا إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَكَانَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةٍ نَافِذًا فِي جَمِيعِ  
 الْعَرَبِ بِعَصِيَّةِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ حَتَّى لَقِيَ أَمْرَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِدِمَشْقٍ بِقَتْلِ  
 عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ بِقَرْطَبَةَ فَقَتِلَ وَلَمْ يَرُدَّ أَمْرُهُ ثُمَّ تَلَا شَتَّ عَصِيَّةِ بَنِي أُمَيَّةٍ  
 بِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ التَّرَفِ فَأَتَقَرَّضُوا وَجَاءَ بَنُو الْعَبَّاسِ فَغَضُّوا مِنْ أَعْنَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَقَتَلُوا  
 الطَّالِبِينَ وَشَرَّدُوهُمْ فَأَتَحَلَّتْ عَصِيَّةُ عَبْدِ مَنَافٍ وَتَلَا شَتَّ وَتَجَاسَرَ الْعَرَبُ عَلَيْهِمْ فَأَسْتَبَدَّ  
 عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْقَاصِيَةِ مِثْلُ بَنِي الْأَغْلَبِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهِمْ وَأَنْقَسَمَتِ  
 الدَّوْلَةُ ثُمَّ خَرَجَ بَنُو أَدْرِيسَ بِالْمَغْرِبِ وَقَامَ الْبَزْبَرُ بِأَمْرِهِمْ إِذْ عَانَا لِلْعَصِيَّةِ الَّتِي لَهُمْ  
 وَأَمَّا أَنْ تَصِلَهُمْ مُقَاتِلَةٌ أَوْ حَامِيَةٌ لِلدَّوْلَةِ فَإِذَا خَرَجَ الدُّعَاةُ آخِرًا فَيَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْأَطْرَافِ  
 وَالْقَاصِيَةِ وَتَحْصُلُ لَهُمْ هُنَاكَ دَعْوَةٌ وَمَلِكٌ تَنْقَسِمُ بِهِ الدَّوْلَةُ وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ مَتَى زَادَتْ  
 الدَّوْلَةُ ثِقَلًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَرْكَزِ وَتَضَعُفُ الْبَطَانَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا أَخَذَ مِنْهَا التَّرَفُ  
 فَتَهْلِكُ وَتَضَعُفُ الدَّوْلَةُ الْمُتَقَسِّمَةُ كُلُّهَا وَرُبَّمَا طَالَ أَمْدُهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَسْتَغْنِي  
 عَنِ الْعَصِيَّةِ بِمَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الصَّبْغَةِ فِي نَفْسِ أَهْلِ إِيَالَتِهَا وَهِيَ صِبْغَةُ الْإِنْقِيَادِ وَالتَّسْلِيمِ  
 مِنْذُ السَّنِينَ الطَّوِيلَةِ الَّتِي لَا يَعْقِلُ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْيَالِ مَبْدَأَهَا وَلَا أَوَّلِيَّتَهَا فَلَا يَعْقِلُونَ إِلَّا  
 التَّسْلِيمَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ فَيَسْتَغْنِي بِذَلِكَ عَنْ قُوَّةِ الْعَصَائِبِ وَيَكْفِي صَاحِبَهَا بِمَا حَصَلَ  
 لَهَا فِي تَمْهِيدِ أَمْرِهَا الْإِجْرَاءِ عَلَى الْحَامِيَةِ مِنْ جُنْدِيٍّ وَمُرْتَزِقٍ وَيَعْضُدُ ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي  
 النُّفُوسِ عَامَّةً مِنَ التَّسْلِيمِ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَتَصَوَّرُ عُضْيَانًا أَوْ خُرُوجًا إِلَّا وَالْجُمْهُورُ  
 مُنْكَرُونَ عَلَيْهِ يُخَافُونَ لَهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّصَدِّي لِذَلِكَ وَلَوْ جَهَدَ جُهْدَهُ وَرُبَّمَا كَانَتْ  
 الدَّوْلَةُ فِي هَذَا الْحَالِ أَسْلَمَ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُنَازَعَةِ لِأَسْنَحِ كَامِ صِبْغَةِ التَّسْلِيمِ وَالْإِنْقِيَادِ  
 لَهُمْ فَلَا تَكَادُ النُّفُوسُ تُحَدِّثُ مِثْرَهَا بِخُفَافَةٍ وَلَا يَخْتَلِجُ فِي خَمِيرِهَا انْتِحَافٌ عَنْ  
 الطَّاعَةِ فَيَكُونُ أَسْلَمَ مِنَ الْهَرْجِ وَالْإِنْتِقَاضِ الَّذِي يَحْدُثُ مِنَ الْعَصَائِبِ وَالْعَشَائِرِ  
 ثُمَّ لَا يَزَالُ أَمْرُ الدَّوْلَةِ كَذَلِكَ وَهِيَ تَتَلَا شَى فِي ذَاتِهَا شَأْنَ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ فِي الْبَدَنِ  
 الْعَادِمِ لِلْغِذَاءِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى وَقْتِهَا الْمَقْدُورِ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَلِكُلِّ دَوْلَةٍ  
 أَمَدٌ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . وَأَمَّا الْخُلَلُ الَّذِي يَشْطَرِّقُ مِنْ جِهَةِ  
 الْمَالِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِهَا تَكُونُ بِدَوِيَّةٍ كَمَا مَرَّ فَيَكُونُ خُلُقُ الرَّفِيقِ بِالرَّعَايَا  
 وَالْقَصْدُ فِي النِّفَقَاتِ وَالْتِمَعُّفُ عَنِ الْأَمْوَالِ فَتَتَجَانَّى عَنِ الْإِمْعَانِ فِي الْجَبَايَةِ وَالتَّحَذُّقِ



وَالْكَيْسِ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَحِسْبَانِ الْعُمَالِ وَلَا دَاعِيَةً حِينَئِذٍ إِلَى الْأَسْرَافِ فِي النِّفَقَةِ  
فَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى كَثْرَةِ الْمَالِ ثُمَّ يَحْصُلُ الْأَسْتِيْلَاءُ وَيَعْظُمُ وَيَسْتَفْجِلُ الْمَلِكُ فَيَدْعُو  
إِلَى التَّرَفِ وَيَكْثُرُ إِلَّا تَفَاقُ بِسَبَبِهِ فَتَعْظُمُ نَفَقَاتُ السُّلْطَانِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْعُمَمِ  
بَلْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمِصْرِ وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي أُعْطِيَاتِ الْجُنْدِ وَأَرْزَاقِ  
أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ يَعْظُمُ التَّرَفُ فَيَكْثُرُ الْأَسْرَافُ فِي النِّفَقَاتِ وَيَنْتَشِرُ ذَلِكَ فِي الرِّعِيَّةِ  
لَأَنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مُلُوكِهَا وَعَوَائِدِهَا وَبِمَحْتَاجِ السُّلْطَانِ إِلَى ضَرْبِ الْمُكُوسِ عَلَى  
أَثْمَانِ الْبِيعَاتِ فِي الْأَسْوَاقِ لِإِذْ رَارِ الْجَبَايَةِ لِمَا يَرَاهُ مِنْ تَرْفِ الْمَدِينَةِ الشَّاهِدِ عَلَيْهِمْ  
بِأَلَرِّ فِيهِ وَلِمَا يَحْتَاجُ هُوَ إِلَيْهِ مِنْ نَفَقَاتِ سُلْطَانِهِ وَأَرْزَاقِ جُنْدِهِ ثُمَّ تَزِيدُ عَوَائِدُ التَّرَفِ  
فَلَا تَقْبِي بِهَا الْمُكُوسُ وَتَكُونُ الدَّوْلَةُ قَدْ اسْتَفْجَلَتْ فِي الْأَسْطِطَالَةِ وَالْقَهْرِ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهَا  
مِنَ الرِّعَايَا فَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ إِلَى جَمْعِ الْمَالِ مِنْ أَمْوَالِ الرِّعَايَا مِنْ مَكْسٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ نَقْدٍ  
فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِشِبْهِهِ أَوْ بِغَيْرِ شِبْهِهِ وَيَكُونُ الْجُنْدُ فِي ذَلِكَ الطَّوْرِ قَدْ تَجَاسَرَ عَلَى  
الدَّوْلَةِ بِمَا لَحِقَ مِنَ الْفَشَلِ وَالْهَرَمِ فِي الْعَصِيَّةِ فَتَتَوَقَّعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتُدَاوِي بِسَكِينَةٍ  
الْعَطَايَا وَكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ فِيهِمْ وَلَا تَجِدُ عَنْ ذَلِكَ وَلِيَّةً وَتَكُونُ جِبَاةُ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ  
قَدْ عَظُمَتْ ثَرَوَتُهُمْ فِي هَذَا الطَّوْرِ بِكَثْرَةِ الْجَبَايَةِ وَكَوْنِهَا بِأَيْدِيهِمْ وَبِمَا اتَّسَعَ لَذَلِكَ  
مِنْ جَاهِهِمْ فَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ بِاخْتِجَانِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْجَبَايَةِ وَتَفْشُو السَّعَايَةُ فِيهِمْ بَعْضُهُمْ  
مِنْ بَعْضٍ لِلْمُنَافَسَةِ وَالْحَقْدِ فَتَعْمَهُمُ النَّكَبَاتُ وَالْمُصَادَرَاتُ وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ  
تَذْهَبَ ثَرَوَتُهُمْ وَتَنَالِشَى أَمْوَالَهُمْ وَيَفْقَدَ مَا كَانَ لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْأَثَرِ وَالْجَمَالِ بِهِمْ وَإِذَا  
أَصْطَلَمَتْ نِعْمَتُهُمْ تَجَاوَزَتْهُمْ الدَّوْلَةُ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ مِنَ الرِّعَايَا سِوَاهُمْ وَيَكُونُ الْوَهْنُ  
فِي هَذَا الطَّوْرِ قَدْ لَحِقَ الشُّوْكَ وَضَعُفَتْ عَنِ الْأَسْطِطَالَةِ وَالْقَهْرِ فَتَنْصَرِفُ سِيَاسَةُ صَاحِبِ  
الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِلَى مُدَارَاةِ الْأُمُورِ بِبَذْلِ الْمَالِ وَيَرَاهُ أَرْفَعَ مِنَ السَّيْفِ لِقَلَّةِ غِنَائِهِ فَتَعْظُمُ  
حَاجَتُهُ إِلَى الْأَمْوَالِ زِيَادَةً عَلَى النِّفَقَاتِ وَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ وَلَا يَغْنَى فِيهَا يُرِيدُ وَيَعْظُمُ الْهَرَمُ  
بِالدَّوْلَةِ وَيَتَجَاسَرُ عَلَيْهَا أَهْلُ النَّوَاحِي وَالدَّوْلَةُ تَنْحَلُّ عُرَاهَا فِي كُلِّ طَوْرِ مِنْ هَذِهِ إِلَى  
أَنْ تُفْضِيَ إِلَى الْهَلَاكِ وَتَنْعَوِضَ مِنَ الْأَسْطِطَالَةِ الْكُكُلُ فَإِنْ قَصَدَهَا طَالِبٌ أَنْتَزَعَهَا مِنْ  
أَيْدِي الْقَائِمِينَ بِهَا وَإِلَّا بَقِيَتْ وَهِيَ تَتَلَاشَى إِلَى أَنْ تَضْمَحِلَّ كَالذُّبَالِ فِي السِّرَاجِ إِذَا  
فَنِيَ زَيْتُهُ وَطَفِيَ وَاللَّهُ مَالِكُ الْأُمُورِ وَمُدِيرُ الْأَشْيَاءِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

## الفصل الثامن والاربعون

في حدوث الدولة وتجدها كيف يقع

اعلم ان نشأة الدول وبيدائها اذا اخذت الدولة المستقرة في الهرم والانتقاص  
تكون على نوعين إما بان يستبد ولاية الأعمال في الدولة بالقاصية عند ما يتقلص  
ظلمها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وما يستقر في نصابه يرثه  
عنه أبنائه أو مواليه ويستفحل لهم الملك بالتدريج وربما يزدحمون على ذلك الملك  
ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على  
صاحبه وينتزع ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم  
وتقلص ظلمها عن القاصية واستبد بنو ساسان بما وراء النهر وبنو حمدان بالموصل والشام  
وبنو طولون بمصر وكما وقع بالدولة الأموية بالاندلس وافترق ملكها في الطوائف  
الذين كانوا ولائها في الأعمال وانقسمت دولاً وملوكاً أورثوها من بعدهم من  
قرابتهم أو مواليتهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرباً لأنهم  
مستقرون في رئاستهم ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وإنما  
الدولة أدركها الهرم وتقلص ظلمها عن القاصية وعجزت عن الوصول إليها والنوع الثاني  
بان يخرج على الدولة خارج ممن يجاوزها من الأمم والقبائل إما بدعوة يحمل الناس  
عليها كما أشرنا إليه أو يكون صاحب شوكة وعصبية كبيراً في قومه قد استفحل أمره  
فتسمو بهم إلى الملك وقد حدثوا به أنفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة  
المستقرة وما نزل بها من الهرم فيتعين له ولقومه الاستيلاء عليها ويمارسونها بالهطالبة  
إلى أن يظفروا بها ويذنون<sup>(١)</sup> كما يتبين والله سبحانه وتعالى أعلم

## الفصل التاسع والاربعون

في ان الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمناجزة  
قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الأطراف إذا  
تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر نيارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الأكثر  
كما قدمناه لأن قضاةهم القنوع بما في أيديهم وهونهاية قوتهم والنوع الثاني نوع

(١) نوله و زنون وفي نسخة ويرفون من الرفو بالراء والماء اهـ



الدَّعَاةُ وَالْخَوَارِجُ عَلَى الدَّوْلَةِ وَهَؤُلَاءِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْمَطَالِبَةِ لِأَنَّ قُوَّتَهُمْ وَافِيَةٌ بِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ  
إِنَّمَا يَكُونُ فِي نِصَابٍ يَكُونُ لَهُ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْإِعْتِزَالِ مَا هُوَ كِفَاؤُهُ ذَلِكَ وَوَأَفَ بِهِ  
فَيَقَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ حُرُوبٌ سِجَالٌ تَتَكَوَّرُ وَتَتَّصِلُ إِلَى أَنْ يَقَعَ لَهُمْ  
الْإِسْتِيْلَاءُ وَالظَّفَرُ بِالْمَطْلُوبِ وَلَا يَحْصُلُ لَهُمْ فِي الْغَالِبِ ظَفَرٌ بِأَلْمُنَاجَزَةِ وَالسَّبَبُ فِي  
ذَلِكَ أَنَّ الظَّفَرَ فِي الْحُرُوبِ إِنَّمَا يَقَعُ كَمَا قَدَّمْنَاهُ بِأُمُورٍ تَفْسَانِيَّةٍ وَهَمِيَّةٍ وَإِنْ كَانَ  
الْعَدَدُ وَالسَّلَاحُ وَصِدْقُ الْقِتَالِ كَفِيْلًا بِهِ لِكُنْهٖ قَادِرٌ مَعَ تِلْكَ الْأُمُورِ الْوَهْمِيَّةِ كَمَا  
مَرَّ وَلِذَلِكَ كَانَ الْخِدَاعُ مِنْ أَرْفَعِ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْحَرْبِ وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ الظَّفَرُ بِهِ وَفِي  
الْحَدِيثِ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ وَالِدَوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ قَدْ صَيَّرَتِ الْعَوَائِدَ أَلْمَأْلُوفَةَ طَاعَتَهَا ضَرْوِيَّةً  
وَاجِبَةً كَمَا أَتَقَدَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَتَكْثُرُ بِذَلِكَ الْعَوَائِقُ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ  
وَيَكْثُرُ مِنْ هِمِّ أَتْبَاعِهِ وَأَهْلِ شَوْكَيْهِ وَإِنْ كَانَ الْأَقْرَبُونَ مِنْ بَطَانَتِهِ عَلَى بَصَرَةٍ فِي  
طَاعَتِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ إِلَّا أَنَّ الْآخَرِينَ أَكْثَرُ وَقَدْ دَاخَلَهُمُ الْفُشْلُ بِتِلْكَ الْعَقَائِدِ فِي التَّسَابِيهِ  
لِلدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ فَيَحْصُلُ بَعْضُ الْفُتُورِ مِنْهُمْ وَلَا يَكَادُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ يَرْجِعُ  
إِلَى الصَّبْرِ وَالْمُطَاوَلَةِ حَتَّى يَتَّضِحَ هَرَمُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ فَتَضْحَلُ عَقَائِدُ التَّسَابِيهِ لَهَا  
مِنْ قَوْمِهِ وَتَنْبَعِثُ مِنْهُمْ أَلْهَمٌ لِصِدْقِ الْمَطَالِبَةِ مَعَهُ فَيَقَعُ الظَّفَرُ وَالْإِسْتِيْلَاءُ وَأَيْضًا  
فَالِدَوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ كَثِيرَةُ الرِّزْقِ بِمَا اسْتَحْكَمَ لَهُمْ مِنَ الْمُلْكِ وَتَوَسَّعَ مِنَ النِّعَمِ  
وَاللَّذَاتِ وَاخْتَصَوْا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ فَيَكْثُرُ عِنْدَهُمْ أَرْتِبَاطُ الْخِيُولِ  
وَأَسْتِجَادَةُ الْأَسْلِحَةِ وَتَعْظُمُ فِيهِمُ الْأَبْهَةُ الْمَالِكِيَّةُ وَيَفِيضُ الْعَطَاءُ بَيْنَهُمْ مِنْ مُلُوكِهِمْ  
أَخْتِيَارًا وَاضْطِرَارًا فَيُرْهِبُونَ بِذَلِكَ كُلَّ عَدُوِّهِمْ وَأَهْلَ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ بِمَعْزِلٍ عَنْ  
ذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَأَحْوَالِ الْفَقْرِ وَالْخُصَاصَةِ فَيَسْبِقُ إِلَى قُلُوبِهِمْ أَوْهَامُ  
الرَّغْبِ بِمَا يَبْتَغِيهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ وَيُخْرِمُونَ عَنْ قِتَالِهِمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ  
فَيَصِيرُ أَمْرُهُمْ إِلَى الْمُطَاوَلَةِ حَتَّى تَأْخُذَ الْمُسْتَقَرَّةُ مَا خَذَهَا مِنَ الْهَرَمِ وَيَسْتَحْكِمَ  
الْخَلَلَ فِيهَا فِي الْعَصِيَّةِ وَالْجَبَايَةِ فَيَنْتَهِرُ حِينَئِذٍ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ فُرْصَتَهُ فِي  
الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا بَعْدَ حِينَ مُنْذُ الْمَطَالِبَةِ سُنَّةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَأَيْضًا فَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ  
كُلُّهُمْ مَبَايِنُونَ لِلدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ بِأَنْسَابِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَفِي سَائِرِ مَنَاحِيهِمْ ثُمَّ هُمْ مُفَاخِرُونَ  
لَهُمْ وَمُنَابِذُونَ بِمَا وَقَعَ مِنْ هَذِهِ الْمَطَالِبَةِ وَبِطَمَعِهِمْ فِي الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهِ فَتَمَكَّنَ

الْمُبَايَعَةِ بَيْنَ أَهْلِ الدَّوْلَتَيْنِ سِرًّا وَجَهْرًا وَلَا يَصِلُ إِلَى أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ خَبْرٌ عَنْ  
 أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ يُصِيبُونَ مِنْهُ غُرَّةً<sup>(١)</sup> بَاطِنًا وَظَاهِرًا لَا تَقْطَاعَ الْمُدَاخَلَةَ بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ  
 فَيُقِيمُونَ عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَهُمْ فِي إِحْجَامٍ وَيَتَكَلَّمُونَ عَنِ الْمُنَاجَزَةِ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِزَوَالِ  
 الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ وَفَنَاءِ عُمْرِهَا وَوُفُورِ الْخُلَاكِ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهَا وَاتَّضَحَ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ  
 الْمُسْتَجِدَّةِ مَعَ مَا كَانَ يَخْفَى مِنْهُمْ مِنْ هَرَمِهَا وَتَلَاشِيهَا وَقَدْ عَظُمَتْ قُوَّتُهُمْ بِمَا اقْتَطَعُوهُ  
 مِنْ أَعْمَالِهَا وَنَقَصُوهُ مِنْ أَطْرَافِهَا فَتَنَبَّهَتْ هِمَمُهُمْ بِدَا وَاحِدَةٍ لِلْمُنَاجَزَةِ وَيَذْهَبُ مَا كَانَ  
 بَثًّا فِي عَزَائِمِهِمْ مِنَ التَّوَهُّمَاتِ وَتَنْتَهِي الْمُطَاوَلَةُ إِلَى حَدِّهَا وَيَقَعُ الْأَسْتِيْلَاءُ آخِرًا  
 بِالْمُعَاجَلَةِ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ حِينَ ظُهُورِهَا حِينَ قَامَ الشَّيْعَةُ بِخُرَاسَانَ  
 بَعْدَ انْقِطَاعِ الدَّعْوَةِ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الْمُطَالَبَةِ عَشْرَ سِنِينَ أَوْ تَزِيدُ وَحِينَئِذٍ تَمَّ لَهُمُ الظَّفَرُ  
 وَاسْتَوْلَوْا عَلَى الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَكَذَا الْعُلُوِيَّةِ بِطَبْرِسْتَانَ عِنْدَ ظُهُورِ دَعْوَتِهِمْ فِي الدَّيْلَمِ  
 كَيْفَ كَانَتْ مُطَاوَلَتُهُمْ حَتَّى اسْتَوْلَوْا عَلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ثُمَّ لَمَّا انْقَضَى أَمْرُ الْعُلُوِيَّةِ وَسَمَا  
 الدَّيْلَمِ إِلَى مُلْكِ فَارِسَ وَالْعِرَاقَيْنِ فَمَكَثُوا سِنِينَ كَثِيرَةً يُطَاوَلُونَ حَتَّى اقْتَطَعُوا  
 أَصْبَهَانَ ثُمَّ اسْتَوْلَوْا عَلَى الْخَلِيفَةِ بِبَغْدَادَ وَكَذَا الْعَبِيدِيُّونَ أَقَامَ دَاعِيَتَهُمْ بِالْمَغْرِبِ  
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ بِنِي كُتَامَةَ مِنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ عَشْرَ سِنِينَ وَيَزِيدُ تَطَاوُلُ بَنِي الْأَغْلَبِ  
 بِأَفْرِيقِيَّةَ حَتَّى ظَفَرُوا بِهِمْ وَاسْتَوْلُوا عَلَى الْمَغْرِبِ كُلِّهِ وَهَمَّوْا إِلَى مُلْكِ مِصْرَ فَمَكَثُوا  
 ثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا فِي طَلَبِهَا يُجْهِّزُونَ إِلَيْهَا الْعَسَاكِرَ وَالْأَسَاطِيلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَيَجْعَلُونَ  
 الْمَدَدَ لِمُدَافَعَتِهِمْ بَرًّا وَبَحْرًا مِنْ بَغْدَادَ وَالشَّامِ وَمَلَكُوا الْأِسْكَندَرِيَّةَ وَالْقَيْسِيَّةَ  
 وَالصَّعِيدَ وَتَخَطَّتْ دَعْوَتُهُمْ مِنْ هُنَالِكَ إِلَى الْحِجَازِ وَأُقِيمَتْ بِالْحَرَمَيْنِ ثُمَّ نَازَلَ قَائِدُهُمْ  
 جَوْهَرُ الْكَاتِبِ بِعَسَاكِرِهِ مَدِينَةَ مِصْرَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَاقْتَلَعَ دَوْلَةَ بَنِي طُغْجٍ مِنْ أَصُولِهَا  
 وَاخْتَطَّ الْقَاهِرَةَ فَجَاءَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ الْمُعْزِ لِإِدِينِ اللَّهِ فَزَلَّهَا إِسْتَيْنَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا مِنْذُ  
 اسْتِيْلَائِهِمْ عَلَى الْأِسْكَندَرِيَّةِ وَكَذَا السُّجُوفِيَّةُ مُلُوكُ الثُّرُكِ لَمَّا اسْتَوْلَوْا عَلَى بَنِي سَاسَانَ  
 وَأَجَازُوا مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ مَكَثُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً يُطَاوَلُونَ بَنِي سَبَكْتِكِينَ بِخُرَاسَانَ  
 حَتَّى اسْتَوْلَوْا عَلَى دَوْلَتِهِ ثُمَّ زَحَمُوا إِلَى بَغْدَادَ فَاسْتَوْلُوا عَلَيْهَا وَعَلَى الْخَلِيفَةِ بِهَا بَعْدَ أَيَّامٍ  
 مِنَ الدَّهْرِ وَكَذَا الثُّرُكُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَرَجُوا مِنَ الْمَفَازَةِ عَامَ سَبْعَةِ عَشَرَ وَسِتِّمِائَةٍ فَلَمْ  
 يَتِمَّ لَهُمُ الْأَسْتِيْلَاءُ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَذَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ خَرَجَ بِهِ الْمُرَابِطُونَ مِنْ



لِمِثُونَةٍ عَلَى مَلُوكِهِ مِنْ مِغْرَاوَةٍ فَطَاوَلُوهُمْ سِنِينَ ثُمَّ اسْتَوَلَوْا عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ الْمُوَحِدُونَ  
 يَدْعُوهُمْ عَلَى لِمِثُونَةٍ فَمَكَثُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً يُحَارِبُونَهُمْ حَتَّى اسْتَوَلَوْا عَلَى  
 كُرْسِيِّهِمْ بِمَرَاكِشَ وَكَذَا بَنُو مَرْيَنَ مِنْ زَنَاتَةَ خَرَجُوا عَلَى الْمُوَحِدِينَ فَمَكَثُوا يُطَاوَلُونَهُمْ  
 نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَاسْتَوَلَوْا عَلَى فَاسَ وَاقْتَطَعُوهَا وَأَعْمَالَهَا مِنْ أَمْكِهِمْ ثُمَّ أَقَامُوا  
 فِي مُحَارَبَتِهِمْ ثَلَاثِينَ أُخْرَى حَتَّى اسْتَوَلَوْا عَلَى كُرْسِيِّهِمْ بِمَرَاكِشَ حَسْبَمَا نَذَرُ ذَلِكَ  
 كَلَمَةً فِي تَوَارِيخِ هَذِهِ الدُّوَلِ فَهَكَذَا حَالُ الدُّوَلِ الْمُسْتَجِدَّةِ مَعَ الْمُسْتَقَرَّةِ فِي الْمَطَاوِلَةِ  
 وَالْمَطَاوِلَةِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ بِمَا وَقَعَ فِي  
 الْفَتْوحَاتِ إِلَّا سَلَامِيَّةً وَكَيْفَ كَانَ اسْتِبْلَاؤُهُمْ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ لثَلَاثِ أَوْ أَرْبَعِ مِنْ  
 وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ مُعْجَزَةً مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا  
 سِرُّهَا اسْتِمَاتَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ اسْتِبْعَادًا بِالْإِيمَانِ وَمَا أَوْفَعَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ  
 عَدُوِّهِمْ مِنَ الرُّعْبِ وَالتَّخَاذُلِ فَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ خَارِقًا لِلْعَادَةِ الْمَقْرَرَةِ فِي مَطَاوِلَةِ الدُّوَلِ  
 الْمُسْتَجِدَّةِ لِلْمُسْتَقَرَّةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ خَارِقًا فَهُوَ مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
 الْمُتَعَارِفِ ظُهُورُهَا فِي أَلَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمُعْجَزَاتُ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا الْأُمُورُ الْعَادِيَّةُ وَلَا  
 يُعْتَرَضُ بِهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخمسون

في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات  
 إِعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَقَرَّرَ لَكَ فِيمَا سَلَفَ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الرِّفْقِ  
 فِي مَلَكَتِهَا وَالْإِعْتِدَالِ فِي إِيَالَتِهَا إِمَّا مِنَ الدِّينِ إِنْ كَانَتْ الدَّعْوَةُ دِينِيَّةً أَوْ مِنَ  
 الْمُمَكَّارَةِ وَالْمُحَاسَنَةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا الْبِدَاوَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلدُّوَلِ وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَكََةُ  
 رَفِيقَةً مُحْسِنَةً انْبَسَطَتْ أَمَالُ الرِّعَايَا وَانْتَشَطُوا لِلْعُمُرَانِ وَأَسْبَابُهُ فَتَوَفَّرَ وَيَكْثُرُ التَّنَاسُلُ  
 وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالتَّدْرِيجِ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ بَعْدَ جِيلٍ أَوْ جِيلَيْنِ فِي الْأَقَلِّ وَفِي  
 انْقِضَاءِ الْجِيلَيْنِ تُشْرِفُ الدَّوْلَةُ عَلَى نِهَايَةِ عُمْرِهَا الطَّبِيعِيِّ فَيَكُونُ حِينَئِذٍ الْعُمُرَانُ فِي  
 غَايَةِ الْوُفُورِ وَالنَّمَاءِ وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ قَدْ مَرَّ لَكَ أَنَّ أَوَاخِرَ الدَّوْلَةِ يَكُونُ فِيهَا إِلَّا جَحَافٌ  
 بِالرِّعَايَا وَسُوءُ الْمَلَكََةِ فَذَلِكَ صَحِيحٌ وَلَا يُعَارِضُ مَا قُلْنَاهُ لِأَنَّ إِلَّا جَحَافٌ وَإِنْ حَدَثَ  
 حِينَئِذٍ وَقَلَّتِ الْجَبَايَا فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي تَنَاقُصِ الْعُمُرَانِ بَعْدَ حِينٍ مِنْ أَجْلِ التَّدْرِيجِ

فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ ثُمَّ إِنَّ الْجَمَاعَاتِ وَالْمَوْتَانَ تَكْثُرُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدُّوَلِ  
 وَالسَّبَبُ فِيهِ إِمَّا الْجَمَاعَاتُ فَلِقَبْضِ النَّاسِ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْفَلَاحِ فِي الْأَكْثَرِ بِسَبَبِ مَا يَقَعُ  
 فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْعُدُونِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْجَبَايَاتِ أَوْ الْفِتَنِ الْوَاقِعَةِ فِي انْتِقَاصِ الرِّعَايَا  
 وَكَثْرَةِ الْخَوَارِجِ لَهُمْ الدَّوْلَةُ فَيَقِلُّ اخْتِكَارُ الزَّرْعِ غَالِبًا وَلَيْسَ صَلَاحُ الزَّرْعِ وَثَمَرَتُهُ  
 بِمُسْتَمِرِّ الوجودِ وَلَا عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فَطَبِيعَةُ الْعَالَمِ فِي كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ وَقِلَّتِهَا مُخْتَلِفَةٌ  
 وَالْمَطَرُ يَقْوَى وَيَضْعُفُ وَيَقِلُّ وَيَكْثُرُ وَالزَّرْعُ وَالثِّمَارُ وَالضَّرْعُ عَلَى نِسْبَتِهِ إِلَّا أَنَّ  
 النَّاسَ وَاثِقُونَ فِي أَقْوَاتِهِمْ بِالْإِخْتِكَارِ فَإِذَا فَقِدَ الْإِخْتِكَارَ عَظُمَ تَوَقُّعُ النَّاسِ الْجَمَاعَاتِ  
 فَغَلَا الزَّرْعُ وَعَجَزَ عَنْهُ أُولُو الْخُصَاصَةِ فَهَلَكُوا وَكَانَ بَعْضُ السَّنَوَاتِ الْإِخْتِكَارَ مَفْقُودًا  
 فَشَمَلَ النَّاسَ الْجُوعُ وَأَمَّا كَثْرَةُ الْمَوْتَانِ فَلَهَا أُسْبَابٌ مِنْ كَثْرَةِ الْجَمَاعَاتِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ  
 أَوْ كَثْرَةِ الْفِتَنِ لِاخْتِلَالِ الدَّوْلَةِ فَيَكْثُرُ الْهَرْجُ وَالْقَتْلُ أَوْ وَقُوعُ الْوَبَاءِ وَسَبَبُهُ فِي  
 الْغَالِبِ فِسَادُ الْهَوَاءِ بِكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ لِكَثْرَةِ مَا يُخَالِطُهُ مِنَ الْعَفَنِ وَالرُّطُوبَاتِ الْفَاسِدَةِ  
 وَإِذَا فَسَدَ الْهَوَاءُ وَهُوَ غِذَاءُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ وَمَلَابِسُهُ دَائِمًا فَيَسْرِي الْفَسَادُ إِلَى  
 مَزَاجِهِ فَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ قَوِيًّا وَقَعَ الْمَرَضُ فِي الرِّثَّةِ وَهَذِهِ هِيَ الطَّوَاعِينُ وَأَمْرَاضُهَا  
 مَخْصُوصَةٌ بِالرِّثَّةِ وَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ دُونَ الْقَوِيِّ وَالْكَثِيرِ فَيَكْثُرُ الْعَفْنُ وَيَتَضَاعَفُ  
 فَتَكْثُرُ الْحُمُكُ فِي الْأَمْزِجَةِ وَتَمْرَضُ الْأَبْدَانُ وَتَهْلِكُ وَسَبَبُ كَثْرَةِ الْعَفَنِ وَالرُّطُوبَاتِ  
 الْفَاسِدَةِ فِي هَذَا كُلِّهِ كَثْرَةُ الْعُمَرَانِ وَوُفُورُهُ آخِرُ الدَّوْلَةِ لِمَا كَانَ فِي أَوَائِلِهَا مِنْ حُسْنِ  
 الْمَلَكَةِ وَرِفْقِهَا وَقِلَّةِ الْمَغْرَمِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَلِهَذَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ  
 تَخَلُّلَ الْخِلَاءِ وَالْفَقْرِ بَيْنَ الْعُمَرَانِ ضَرُورِيٌّ لِيَكُونَ تَمْوُجُ الْهَوَاءِ يَذْهَبُ بِمَا يَحْتَضِرُ فِي  
 الْهَوَاءِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْعَفَنِ بِمُخَالِطَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَيَأْتِي بِالْهَوَاءِ الصَّحِيحِ وَلِهَذَا أَيْضًا فَإِنَّ  
 الْمَوْتَانَ يَكُونُ فِي الْمَدِينِ الْمَوْفُورَةِ الْعُمَرَانِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا بِكَثِيرٍ كَمَضَرٍ بِالْمَشْرِقِ  
 وَفَاسٍ بِالْمَغْرِبِ وَاللَّهُ يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الحادي والخمسون

فِي إِنْ الْعُمَرَانِ الْبَشَرِي لَا يَدُلُّهُ مِنْ سِيَاسَةِ يَنْتَظِمُ بِهَا أَمْرُهُ  
 اعْلَمْ أَنَّ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ الْإِجْتِمَاعَ لِلْبَشَرِ ضَرُورِيٌّ وَهُوَ مَعْنَى  
 الْعُمَرَانِ الَّذِي تَكَلَّمَ فِيهِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُمْ فِي الْإِجْتِمَاعِ مِنْ وَازِعٍ حَاكِمٍ يَرْجِعُونَ



إِلَيْهِ وَحُكْمُهُ فِيهِمْ تَارَةً يَكُونُ مُسْتَنَدًا إِلَى شَرْعٍ مُنْزَلٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُوجِبُ اتِّقَادَهُمْ  
إِلَيْهِ إِيْمَانُهُمْ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَيْهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُبْلَغُهُ وَتَارَةً إِلَى سِيَاسَةِ عَقْلِيَّةٍ يُوجِبُ  
اتِّقَادَهُمْ إِلَيْهَا مَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ ثَوَابِ ذَلِكَ الْحَاكِمِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِمَصَالِحِهِمْ فَالْأُولَى  
يَحْصُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِعِلْمِ الشَّارِعِ بِالْمَصَالِحِ فِي الْعَاقِبَةِ وَلِمُرَاعَاةِ نَجَاةِ  
الْعِبَادِ فِي الْآخِرَةِ وَالثَّانِيَةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا فَقَطْ وَمَا تَسْمَعُهُ مِنْ السِّيَاسَةِ  
الْمَدَنِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كُلُّ  
وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَجْتَمَعِ فِي نَفْسِهِ وَخُلُقِهِ حَتَّى يَسْتَغْنُوا عَنِ الْحُكَامِ رَأْسًا  
وَيُسَمُّونَ الْمَجْتَمَعَ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ مَا يُسَمَّى مِنْ ذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ الْفَاصِلَةِ وَالْقَوَانِينِ  
الْمُرَاعَاةِ فِي ذَلِكَ بِالسِّيَاسَةِ الْمَدَنِيَّةِ وَلَيْسَ مُرَادُهُمُ السِّيَاسَةُ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا أَهْلُ  
الْإِجْتِمَاعِ بِالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ فَإِنَّ هَذِهِ غَيْرُ تِلْكَ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ الْفَاصِلَةُ عِنْدَهُمْ نَادِرَةٌ أَوْ  
بَعِيدَةٌ الْوُقُوعِ وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ عَلَيْهَا عَلَى جِهَةِ الْفَرَضِ وَالْتَقْدِيرِ ثُمَّ إِنَّ السِّيَاسَةَ الْعَقْلِيَّةَ  
الَّتِي قَدَّمَاهَا تَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا يُرَاعَى فِيهَا الْمَصَالِحُ عَلَى الْعُمُومِ وَمَصَالِحُ  
السُّلْطَانِ فِي اسْتِقَامَةِ مُلْكِهِ عَلَى الْخُصُوصِ وَهَذِهِ كَانَتْ سِيَاسَةَ الْفَرَسِ وَهِيَ عَلَى جِهَةِ  
الْحِكْمَةِ وَقَدْ أَغْنَانَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي الْمِلَّةِ وَلِعَهْدِ الْخِلَافَةِ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ  
مُغْنِيَّةٌ عَنْهَا فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَأَحْكَامُ الْمُلْكِ مُنْدرِجَةٌ فِيهَا. الْوَجْهُ الثَّانِي  
أَنْ يُرَاعَى فِيهَا مَصْلَحَةُ السُّلْطَانِ وَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ لَهُ الْمُلْكُ مَعَ الْقَهْرِ وَالْإِسْطِطَالَةِ وَتَكُونُ  
الْمَصَالِحُ الْعَامَّةُ فِي هَذِهِ تَبَعًا وَهَذِهِ السِّيَاسَةُ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْإِجْتِمَاعِ الَّتِي لِسَائِرِ  
الْمُلُوكِ فِي الْعَالَمِ مِنْ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ إِلَّا أَنَّ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ يَجْرُونَ مِنْهَا عَلَى مَا نَقَضِيهِ  
الشَّرِيعَةُ إِلَّا سَلَامِيَّةٌ بِحَسَبِ جِهَتِهِمْ فَقَوَانِينُهَا إِذَا اجْتَمَعَتْ مِنْ أَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ وَآدَابٍ  
خُلُقِيَّةٍ وَقَوَانِينِ فِي الْإِجْتِمَاعِ طَبِيعِيَّةٍ وَأَشْيَاءَ مِنْ مُرَاعَاةِ الشُّوْكَةِ وَالْعَصِيَّةِ خَرُورِيَّةٍ  
وَالْإِفْتِدَاءِ فِيهَا بِالشَّرْعِ أَوَّلًا ثُمَّ الْحُكْمَاءُ فِي آدَابِهِمْ وَالْمُلُوكُ فِي سِيرِهِمْ وَمِنْ أَحْسَنِ  
مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ وَأَوْدِعَ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ لَمَّا وَلَاهُ  
الْمَأْمُونُ الرِّقَّةَ وَمِصْرَ وَمَا بَيْنَهُمَا فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُوهُ طَاهِرٌ كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ عَهْدَ إِلَيْهِ  
فِيهِ وَوَصَاةٌ بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي دَوْلَتِهِ وَسُلْطَانِهِ مِنَ الْآدَابِ الدِّينِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ وَالسِّيَاسَةِ  
الشَّرْعِيَّةِ وَالْمُلُوكِيَّةِ وَحَثَّهُ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشِّيمِ بِمَا لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ مُلْكٌ

وَلَا سُوءَةَ . وَنَصُّ الْكِتَابِ ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) أَمَّا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحُدَّةِ  
لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَزَايِلَةِ سُخْطِهِ وَاحْظِ رِعْيَتَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَالْزَمْ مَا أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ  
وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعْصِدُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنَجِّيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ  
عِقَابِهِ وَأَلِيمٍ عَذَابُهُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ الرَّأْفَةَ عَلَيْكَ مِنْ أَسْرَعَاكَ  
أَمْرُهُمْ مِنْ عِبَادِهِ وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ فِيهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ عَلَيْهِمْ وَالذَّبَّ عَنْهُمْ وَالِدْفَعَ  
عَنْ حَرِيمِهِمْ وَنَصَبِهِمْ وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسِرِّيهِمْ وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ  
وَمُواخَذَكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفَكَ عَلَيْهِ وَسَائِلَكَ عَنْهُ وَمُثْبِتَكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ  
فَقَرِّغْ لِدَلِّكَ فَهَمَكَ وَعَقْلَكَ وَبَصَرَكَ وَلَا يُشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَإِنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ وَمِلَاكَ  
شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُوقِفُكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلِيَكُنْ أَوَّلُ مَا تُلْزِمُ بِهِ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ فَعَلَكَ  
الْمُوَاطَّاةَ عَلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ مِنَ الصَّوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَيْهَا بِالنَّاسِ  
قَبْلَكَ وَتَوَابِعِهَا عَلَى سُنَنِهَا مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ لَهَا وَافْتِتَاحِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا وَرَتْلِ  
فِي قِرَاءَتِكَ وَتَدْوِينِ فِي رُكُوعِكَ وَسُجُودِكَ وَتَشْهِيدِكَ وَلِتَصْرِفَ فِيهِ رَأْيَكَ وَنَيْتَكَ  
وَأَحْضُضْ عَلَيْهِ جَمَاعَةً مَعَكَ وَمَعَكَ وَتَحْتَ يَدِكَ وَأَدَابَ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
تَنَهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِالْأَخْذِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَالْمُشَاوَرَةِ عَلَى خَلَائِقِهِ وَاقْتِفَاءِ أَثَرِ السَّالِفِ الصَّالِحِ مِنْ بَعْدِهِ وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَاسْتَعِنْ  
عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقْوَاهُ وَبَارُومِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَمْرٍ  
وَنَهْيٍ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَائْتِمَامِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَثَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
ثُمَّ فَمَّ فِيهِ بِالْحَقِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَمِيلَنَّ عَنِ الْعَدْلِ فِيمَا أَحْبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ لِقَرِيبٍ  
مِنَ النَّاسِ أَوْ لِبَعِيدٍ وَآثِرِ الْفَقْهَ وَأَهْلَهُ وَالِدِينَ وَحَدَّثَهُ وَكِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْعَامِلِينَ  
بِهِ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا يَتَزَيَّنُّ بِهِ الْمَرْءُ الْفَقْهَ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَلَحْثُ عَلَيْهِ وَالْمَعْرِفَةُ  
بِمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي  
عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمُؤَبِّقَاتِ كُلِّهَا وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَزِدَادُ الْمَرْءُ مَعْرِفَةً وَاجْتِلَالًا  
لَهُ وَدَرَكًَا لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْقِيرِ لِأَمْرِكَ وَالْهَيْبَةِ  
لِسُلْطَانِكَ وَالْأَنَسَةِ بِكَ وَالثِّقَةِ بِعَدْلِكَ وَعَلَيْكَ بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ



تَقَعًا وَلَا أَخَصَّ أَمْنًا وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَائِلٌ عَلَى  
التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقِيَامُ الدِّينِ وَالسَّنَنِ الْهَادِيَةِ بِالْإِقْتِصَادِ وَكَذَلِكَ فِي  
دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تُقْصِرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآجِرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ  
وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ وَالْإِعَانَةِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الْبَرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ إِذَا كَانَ يُطَلَبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ  
تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمِرَافَقَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ أَمَّا تَعَلُّمُ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا  
يُورِثُ الْعِزَّ وَيُمَحِّصُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّكَ لَنْ تُحَوِّطَ نَفْسَكَ مِنْ قَائِلٍ وَلَا تَنْصَاحُ أُمُورِكَ  
بِأَفْضَلِ مِنْهُ فَإِنَّهُ وَاهِتٌ بِهِ نَتِمْ أُمُورِكَ وَتَزِدُ مَقْدِرَتُكَ وَتَصْلُحُ عَامَّتُكَ وَخَاصَّتُكَ وَأَحْسِنِ  
ظَنِّكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَسْتَقِيمَ لَكَ رَعِيَّتُكَ وَالتَّمَسُّبُ إِلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا تَسْتَدِيمُ  
بِهِ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ وَلَا تُتَّهِمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُؤَيِّدُ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ  
أَمْرَهُ فَإِنْ إِيْقَاعَ التُّهْمِ بِالْبِرِّاءِ وَالظُّنُونِ السَّيِّئَةِ بِهِمْ أَتَمَّ إِثْمٌ فَأَجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حَسَنَ  
الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَأَطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ وَأَرْفُضْ فِيهِمْ يُعْنِكَ ذَلِكَ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِمْ  
وَرِيَاضَتِهِمْ وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا فَإِنَّهُ يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ  
وَهْنِكَ وَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْغَمِّ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ مَا يُنْقِصُ لَذَاذَةَ عَيْشِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ  
تَجِدُ بِحَسَنِ الظَّنِّ قُوَّةً وَرَاحَةً وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ  
النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِكَ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَلَا يَمْنَعُكَ حَسَنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ  
وَالرَّأْفَةُ بِرَعِيَّتِكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْمَسْئَلَةَ وَتَلْبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ  
وَحَيَاطَةَ الرَّعِيَّةِ وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ وَحَمْلَ مَوْثِقَاتِهِمْ أَيْسَرُ عِنْدَكَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ  
فَإِنَّهُ أَقْوَمُ لِلدِّينِ وَأَخْيَا لِلْسُّنَةِ وَأَخْصَى نِيَّتِكَ فِي جَمِيعِ هَذَا وَتَقَرَّدُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ  
تَقَرَّدُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُسْتَوَلٌّ عَمَّا صَنَعَ وَتَجْزِي بِمَا أَحْسَنَ وَمُواخَذٌ بِمَا أَسَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنْ أَتْبَعَهُ وَعَزَّزَهُ وَأَسْلَكَ بِمَنْ تَسُوَّسَهُ وَتَرَعَاهُ  
نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى وَأَقَمَ حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ  
وَمَا اسْتَحَقُّوه وَلَا تُعْطِلَ ذَلِكَ وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ وَلَا تُؤَخِّرْ عِقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنْ فِي  
تَفْرِيطِكَ فِي ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ وَأَعْتَزِمَ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسَّنَنِ  
الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمْ لَكَ مَرْوَتُكَ وَإِذَا عَاهَدْتَ  
عَهْدًا فَأَوْفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا فَأَنْجِزْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ

كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَشَدُّ لِسَانِكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغَضُ  
 أَهْلِ النَّمِيمَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآخِلِهَا تَقْرِبُ الْكَذُوبِ وَالْجُرَاءَةِ  
 عَلَى الْكَذِبِ لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَأْتَمِ وَالزُّورَ وَالنَّمِيمَةَ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ النَّمِيمَةَ لَا  
 يَسْلُمُ صَاحِبُهَا وَقَائِلُهَا لَا يَسْلَمُ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ أَمْرٌ وَأَحَبُّ أَهْلِ الصَّلَاحِ  
 وَالصِّدْقِ وَأَعَزُّ الْأَشْرَافِ بِالْحَقِّ وَأَسَى الضُّعَفَاءِ وَصِلِ الرَّحِمَ وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ  
 تَعَالَى وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ وَالتَّحَمُّسَ فِيهِ ثَوَابَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبِ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورَ  
 وَأَصْرِفْ عَنْهُمَا رَأْيَكَ وَأَظْهِرْ بَرَاءَتَكَ مِنْ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِكَ وَأَنْعِمْ بِالْعَدْلِ فِي سِيَاسَتِهِمْ  
 وَفُتِّ بِالْحَقِّ فِيهِمْ وَبِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِكَ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ الْغَضَبِ  
 وَآثِرِ الْحِلْمَ وَالْوَقَارَ وَإِيَّاكَ وَالْحِلَّةَ وَالطَّيِّشَ وَالْغُرُورَ فِيمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ  
 أَنَا مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرَّأْيِ وَقِلَّةِ الْيَقِينِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
 وَأَخْلِصْ لِلَّهِ وَحْدَهُ النِّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ  
 وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ وَلَنْ تَجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ وَحُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى حَمَلَةِ  
 النِّعْمَةِ مِنْ اصْتِحَابِ السُّلْطَانِ وَالْمَبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا نِعَمَ اللَّهِ وَإِحْسَانَهُ  
 وَأَسْتَطَالُوا بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَضْلِهِ وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّ نَفْسِكَ وَلِتَكُنْ ذَخَائِرُكَ  
 وَكُوزُكَ الَّتِي تَدَّخِرُ وَتَكُنْزُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاسْتِصْلَاحُ الرِّعِيَّةِ وَعِمَارَةُ بِلَادِهِمْ وَالتَّفَقُّدُ  
 لِأُمُورِهِمْ وَالْحِفْظُ لِدِمَائِهِمْ وَالْإِغَاثَةُ لِمَلْهُوفِهِمْ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا اكْتُنِزَتْ وَأَدْخِرَتْ  
 فِي الْخَزَائِنِ لَا تَنْمُو وَإِذَا كَانَتْ فِي صِلَاحِ الرِّعِيَّةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْأَذْيَةِ  
 عَنْهُمْ نَمَتْ وَزَكَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَرَبَّتْ بِهَا الْوَلَايَةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ وَاعْتَقِدَ  
 فِيهَا الْعِزُّ وَالْمَنْفَعَةُ فَلْيَكُنْ كُنْزُ خَزَائِنِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ  
 وَوَفْرٍ مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حُقُوقَهُمْ وَأَوْفٍ مِنْ ذَلِكَ حِصَّةَهُمْ وَتَعَهَّدَ مَا  
 يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَاشَهُمْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَاسْتَوْجَبْتَ الْمَزِيدَ  
 مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جِبَايَةِ خِرَاجِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رَعِيَّتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرُ  
 وَكَانَ الْجَمِيعُ لِمَا شَمَلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ لِبَطَاعَتِكَ وَأَطِيبَ أَنْفُسًا بِكُلِّ مَا  
 أَرَدْتَ وَأَجْهَدَ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ وَلْيَعْظُمْ حَقُّكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ  
 الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْرِفْ لِلشَّاكِرِينَ حَقَّهُمْ وَاثْبِتْهُمْ عَلَيْهِ وَإِيَّاكَ أَنْ



تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا هَوَلَ الْآخِرَةِ فَتَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ فَإِنَّ التَّهَؤُونَ يُورِثُ التَّفْرِيطَ  
وَالْتَّفْرِيطَ يُورِثُ الْبَوَارَ وَلَيْسَ كُنْ عَمَلُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَزْجِ الثَّوَابَ فِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ  
سُبْحَانَهُ قَدْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ فَضْلَهُ وَأَعْتَصِمَ بِالشُّكْرِ وَعَلَيْهِ فَاعْتَمِدْ بِزِدِكَ اللَّهُ خَيْرًا  
وَإِحْسَانًا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُثِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ وَإِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ وَلَا  
تُحَقِّرَنَّ ذَنْبًا وَلَا تُمَالِئَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا وَلَا تَصِلَنَّ كُفُورًا وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا  
وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَمَامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا وَلَا تُوَالِيَنَّ فَاسِقًا وَلَا تُتْبِعَنَّ غَاوِيًا وَلَا تَحْمَدَنَّ  
مُرَائِيًا وَلَا تُحَقِّرَنَّ إِنْسَانًا وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا وَلَا تُحْسِنَنَّ بَاطِلًا وَلَا تُلَاحِظَنَّ مُضْحِكًا  
وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا وَلَا تَزْهَوَنَّ فَخْرًا وَلَا تُظْهِرَنَّ غَضَبًا وَلَا تُبَايِنَنَّ رَجَاءً وَلَا تُمَشِينَ مَرَحًا  
وَلَا تُفْرِطَنَّ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَلَا تَرْفَعَنَّ لِلنَّمَامِ عَيْنًا وَلَا تُغْمِضَنَّ عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ  
أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَكْثِرْ مُشَاوَرَةَ الْفُقَهَاءِ وَاسْتَعْمِلْ نَفْسَكَ  
بِالْحِلْمِ وَخُذْ عَنِ أَهْلِ التَّجَارِبِ وَذَوِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ وَالْحِكْمَةِ وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي  
مَشُورَتِكَ أَهْلَ الرِّقَّةِ وَالْبُخْلِ وَلَا تَسْمَعَنَّ لَهُمْ قَوْلًا فَإِنْ ضَرَرَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمْ  
وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فُسَادًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِيهِ أَمْرٌ رَعِيَّتِكَ مِنَ الشَّيْخِ وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا  
كُنْتَ حَرِيصًا كُنْتَ كَثِيرَ الْأَخْذِ قَلِيلَ الْعَطِيَّةِ وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ  
أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنَّ رَعِيَّتَكَ إِنَّمَا تَعْقُدُ عَلَى مَحَبَّتِكَ بِالْكَفِّ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَتَرْكِ الْجُورِ  
عَلَيْهِمْ وَابْتِدِئْ مَنْ صَافَاكَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ بِالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ وَحَسَنِ الْعَطِيَّةِ لَهُمْ وَاجْتَنِبِ  
الشَّيْخَ وَأَعْلَمْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى الْإِنْسَانُ بِهِ رَبَّهُ وَإِنَّ الْعَاصِيَ بِمَنْزِلَةِ خَزْيٍ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ بِالْحَقِّ وَاجْعَلْ  
لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مِنْ فَيْتِكَ حَظًّا وَنَصيبًا وَاقْنِ أَنَّ الْجُودَ أَفْضَلُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فَأَعِدْهُ لِنَفْسِكَ  
خُلُقًا وَأَرْضَ بِهِ عَمَلًا وَمَذْهَبًا وَتَفَقَّدِ الْجُنْدَ فِي دَوَائِبِهِمْ وَمَكَاتِهِمْ وَأَدِرْ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ  
وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَائِشِهِمْ يَذْهَبِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ فَاقْتَهُمْ فَيَقْوَى لَكَ أَمْرُهُمْ وَتَزِيدَ  
قُلُوبُهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرُكَ خُلُوصًا وَانْشِرَاحًا وَحَسْبُ ذِي السُّلْطَانِ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ  
يَكُونَ عَلَى جُنْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ ذَا رَحْمَةٍ فِي عَدْلِهِ وَحِيطَةٍ وَإِنْصَافٍ وَعِنَايَةٍ وَشَفَقَةٍ وَبِرٍّ  
وَتَوْسِعَةٍ فَزَايِلُ مَكْرُوهِ أَحَدِ الْبَايِنِ بِامْتِشَاعِ فَضِيلَةِ الْبَابِ الْآخِرِ وَلِزُومِ الْعَمَلِ بِهِ  
تَلْقَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى نَجَاحًا وَصَلَاحًا وَفَلَاحًا وَأَعْلَمْ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَكَانِ

الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأُمُورِ لِأَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي تَعَدَّلُ عَلَيْهِ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي  
 الْأَرْضِ وَبِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ وَالْعَمَلِ تَصْلَحُ أَحْوَالُ الرِّعِيَّةِ وَتَأْمَنُ السُّبُلُ  
 وَيَتَصَفَّى الْمَظْلُومُ وَتَأْخُذُ النَّاسُ حُقُوقَهُمْ وَتَحْسُنُ الدَّعِيشَةُ وَيُؤَدَّى حَقُّ الطَّاعَةِ  
 وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ وَيُقِيمُ الدِّينَ وَيَجْرِي السُّنَنَ وَالشَّرَائِعَ فِي تِجَارِيهَا وَاشْتَدَّ  
 فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوَرَّعَ عَنِ النَّطْفِ وَأَنْصَحَ لِإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَأَقْبَلَ الْعِجْلَةَ وَأَبْعَدَ  
 عَنِ الضَّيْبِ وَالْقَلَقِ وَأَقْنَعَ بِالْقِسْمِ وَانْتَفَعَ بِتَجَرُّبِكَ وَأَنْتَبَهَ فِي حِمِّكَ وَأَسَدَّدَ فِي مَنْطِقِكَ  
 وَأَنْصَفَ الْخَصْمَ وَقَفَّ عِنْدَ الشُّبْهَةِ وَأَبْلَغَ فِي الْحُجَّةِ وَلَا يَأْخُذُكَ فِي أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ  
 مُحَابَاةٌ وَلَا تِجَامَلَةٌ وَلَا لَوْمَةٌ لِأَيِّمْ وَثَبَّتَ وَتَأَنَّنَ وَرَاقِبَ وَأَنْظَرَ وَتَذَكَّرَ وَتَدَبَّرَ وَاعْتَبَرَ  
 وَتَوَاضَعَ لِرَبِّكَ وَأَرْزَقَ بِجَمِيعِ الرِّعِيَّةِ وَسَاطِطِ الْحَقِّ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى سَنِّكَ  
 دَمٍ فَإِنَّ الدِّمَاءَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ عَظِيمٍ أَنْتَهَا كَمَا لَمَّا بَغِيْرَ حَقِّهَا وَأَنْظَرَ هَذَا  
 الْخَرَجَ الَّذِي اسْتَقَامَتْ عَلَيْهِ الرِّعِيَّةُ وَجَعَلَهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ عِزًّا وَرَفْعَةً وَلِأَهْلِهِ  
 تَوْسِعَةً وَمَنْعَةً وَلِعَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ كِتَابًا وَغِيْظًا وَلِأَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ مُعَادِيهِمْ ذُلًّا وَصَغَارًا  
 فَوَزَعَهُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالتَّسْوِيَةِ وَالْعُمُومِ وَلَا تَدْفَعَنَّ شَيْئًا مِنْهُ عَنْ شَرِيفٍ  
 لَشَرَفِهِ وَلَا عَنْ غَنِيٍّ لِعِنَاةٍ وَلَا عَنْ كَاتِبٍ لَكَ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَاصَّتِكَ وَلَا حَاشِيَتِكَ وَلَا  
 تَأْخُذَنَّ مِنْهُ فَوْقَ الْإِحْتِمَالِ وَلَا تُكَلِّفْ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ وَأَحْمِلِ النَّاسَ كُلَّهُمْ  
 عَلَى أَمْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ لِنَفْسِهِمْ وَأَلْزَمُ لِرِضَاءِ الْعَامَّةِ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ جَعَلْتَ بُولَايَتِكَ  
 خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقِيَمَهُمْ فَخُذْ  
 مِنْهُمْ مَا أَعْطَوْكَ مِنْ عَفْوِهِمْ وَنَفَقَتِهِ فِي قِيَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ وَاسْتَعْمِلْ  
 عَلَيْهِمْ أُولِي الرِّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرُّبَةِ وَالْخُبْرَةِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ وَوَسَّعْ  
 عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ الْحُقُوقِ الْإِزْمَةِ لَكَ فِيمَا ثَقُلْتَ وَأُسْنَدَ إِلَيْكَ فَلَا  
 يُشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا يَصْرِفُكَ عَنْهُ صَارِفٌ فَإِنَّكَ مَتَى أَثَرَتَهُ وَقُمْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ  
 اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحُسْنَ الْأَخْذِ وَثَبَّتَ فِي عَمَلِكَ وَاجْتَرَرْتَ بِهِ  
 الْحُجَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتَ عَلَى الصَّلَاحِ فَدَرَّتِ الْخَيْرَاتُ بِبِلَدِكَ وَفَشَتْ الْعِمَارَةُ  
 بِبَنَاتِكَ وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى  
 أَرْتِيَاضِ جُنْدِكَ وَإِِرْضَاءِ الْعَامَّةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ وَكَانَتْ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ



مَرْضَى الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَآلَةٍ وَقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ  
 فَتَأْفِسُ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّمُ عَلَيْهِ شَيْئًا تُحَمَّدُ عَاقِبَةُ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاجْعَلْ فِي  
 كُلِّ كُوزَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عُمَالِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ  
 حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ كُلِّهَا فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ  
 فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ  
 حُسْنَ الدِّفَاعِ وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ ثُمَّ خُذْ  
 فِيهِ عُدَّتَهُ فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرِهِ وَقَدَّرَهُ وَأَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَغْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ  
 فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَنُقِضَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَاسْتَغْمِلِ الْحُزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ  
 وَبَاشِرُهُ بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَأَكْثِرْ مِنْ اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ  
 وَافْرَغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِعَدِّكَ وَأَكْثِرْ مُبَاشَرَتَهُ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ الْغَدَا مُورًا وَحَوَادِثَ  
 تُلْهِمُكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي أَخَّرْتَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا  
 أَخَّرْتَ عَمَلَهُ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ عَمَلُ يَوْمَيْنِ فَيَثْقُلُكَ ذَلِكَ حَتَّى تَمْرُضَ مِنْهُ وَإِذَا أَمَضْتَ  
 لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ بَدَنَكَ وَنَفْسَكَ وَجَمَعْتَ أَمْرَ سُلْطَانِكَ وَانْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ  
 وَذَوِي الْفَضْلِ مِنْهُمْ مِمَّنْ بَلَوْتَ صَفَاءَ طَوْبَتِهِمْ وَشَهِدْتَ مَوَدَّتِهِمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتِهِمْ  
 بِالنُّصْحِ وَالْحِفَافَةِ عَلَى أَمْرِكَ فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنِ إِلَيْهِمْ وَتَعَاهَدْ أَهْلَ الْيُونَتَاتِ مِمَّنْ  
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ وَأَحْنَمِلْ مَوَاقِفَهُمْ وَأَصْلِحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا يَجِدُوا لِحَالَتِهِمْ مَسًّا  
 وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ إِلَيْكَ  
 وَالْمُحْتَقِرُ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ فَسَلْ عَنْهُ أَحْفَى مَسْئَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ  
 مِنْ رَعِيَّتِكَ وَامْرُؤُهُمْ يَرْفَعُ حَوَائِجَهُمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لَتَنْظُرَ فِيمَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَهُمْ  
 وَتَعَاهَدْ ذَوِي الْبِئْسَاءِ وَأَيَّتَامَهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ اقْتِدَاءً  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْعَطْفِ عَلَيْهِمْ وَالصَّلَةِ لَهُمْ لِيُصْلِحَ اللَّهُ بِذَلِكَ  
 عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَهَ وَزِيَادَةً وَاجْرَ لِلْأَصْرَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَقَدِّمْ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ  
 مِنْهُمْ وَالْحَافِظِينَ لِأَكْثَرِهِ فِي الْجَرَايَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ وَأَنْصِبْ لِمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ دُورًا  
 تَأْوِيهِمْ وَقَوَامًا يَرْفِقُونَ بِهِمْ وَأَطِبَّاءَ يُعَالِجُونَ أَسْقَامَهُمْ وَأَسْعِفِيَهُمْ بِشَهَوَاتِهِمْ مَا لَمْ يُؤَدَّرْ  
 ذَلِكَ إِلَى إِسْرَافٍ فِي بَيْتِ الْمَالِ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا أُعْطُوا حَقُوقَهُمْ وَأَفْضَلَ أَمَانِيَتِهِمْ

لَمْ يُرْضِهِمْ ذَلِكَ وَلَمْ تَطِيبْ أَنْفُسَهُمْ دُونَ رَفْعِ حَوَائِجِهِمْ إِلَى وُلاَتِهِمْ طَمَعًا فِي نَيْلِ  
الزِّيَادَةِ وَفَضْلِ الرِّفْقِ مِنْهُمْ وَرُبَّمَا تَبَرَّمُ الْمُتَصَفِّحُ لِأُمُورِ النَّاسِ لِكَثْرَةِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ  
وَيُسْغِلُ فِكْرُهُ وَذَهْنُهُ فِيهَا مَا يَبَالُغُ بِهِ مِنْ مَوْثِقَةٍ وَمَشَقَّةٍ وَلَيْسَ مَنْ يَرِغَبُ فِي الْعَدْلِ  
وَيَعْرِفُ مَحَاسِنَ أُمُورِهِ فِي الْعَاجِلِ وَفَضْلَ ثَوَابِ الْآجِلِ كَالَّذِي يَسْتَقْبِلُ مَا يَقْرَبُ بِهِ إِلَى  
اللَّهِ تَعَالَى وَيَلْتَمِسُ رَحْمَتَهُ وَأَكْثَرُ الْأَذْنِ لِلنَّاسِ عَلَيْكَ وَأَبْرَزُ لَهُمْ وَجْهَكَ وَسَكَنُ  
لَهُمْ حَوَاسِكَ وَأَخْفَضُ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأُظْهِرُ لَهُمْ بِشْرَكَ وَلِنْ لَهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالنُّطْقِ  
وَأَعْطِفْ عَلَيْهِمْ بِجُودِكَ وَفَضْلِكَ وَإِذَا أَعْطَيْتَ فَأَعْطِ بِسَمَاحَةٍ وَطِيبِ نَفْسٍ وَالنَّاسِ  
لِلصَّبِيحَةِ وَالْأَجْرِ مِنْ غَيْرِ تَكْدِيرٍ وَلَا أَمْتِنَانِ فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى ذَلِكَ تَبْجَارَةٌ مُرَبِّحَةٌ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاعْتَبِرْ بِمَا تَرَى مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَنْ مَضَى قَبْلَكَ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ  
وَالرِّئَاسَةِ فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْأَمَمِ الْبَائِدَةِ ثُمَّ اعْتَصِمِ فِي أَحْوَالِكَ كُلِّهَا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى وَالْوُقُوفِ عِنْدَ مَحَبَّتِهِ وَالْعَمَلِ بِشَرِيعَتِهِ وَسُنَّتِهِ وَبِإِقَامَةِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَاجْتَنِبْ  
مَا فَارَقَ ذَلِكَ وَخَالَفَهُ وَدَعَا إِلَى سُخْطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْرِفْ مَا يَجْمَعُ عُمَّالَكَ مِنْ  
الْأَمْوَالِ وَمَا يُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا يَجْمَعُ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقُ إِسْرَافًا وَأَكْثَرُ مَجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ  
وَمُشَاوَرَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ وَلْيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السُّنَنِ وَإِقَامَتُهَا وَإِيثَارُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ  
وَمَعَالِيهَا وَلْيَكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَائِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ تَمْنَعَهُ  
هَيْبَتِكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ وَإِعْلَانِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ فَإِنَّ أَوْلِيكَ أَنْصَحُ  
أَوْلِيَائِكَ وَمُظَاهِرُونَ لَكَ وَانْظُرْ عُمَّالَكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكِتَابِكَ فَوْقَ كُلِّ  
رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكِتَابِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ  
عُمَّالِكَ وَأُمُورِ الدَّوْلَةِ وَرَعِيَّتِكَ ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُورَدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَفَهْمَكَ  
وَعَقْلَكَ وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدَبُّرَ لَهُ فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمْضِهِ وَأَسْتَحْرِ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِنَايِكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى الْمَسْئَلَةِ عَنْهُ وَالثَّبُتِ فِيهِ وَلَا تَمَنَّ  
عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ تَوْثِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالْإِسْتِقَامَةَ  
وَالْعَوْنَ فِي أُمُورِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ وَتَقْهَمَنَّ كِتَابِي  
إِلَيْكَ وَأَنْعِمِ النَّظَرَ فِيهِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَأَسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِكَ وَأَسْتَحِرْهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الصَّلَاحِ وَأَهْلِهِ وَلْيَكُنْ أَعْظَمُ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلُ رَعِيَّتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ



وَجَلَّ رَضَى وَلَدَيْنِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمَكِّنَا وَلِلْمِلَّةِ وَالْذِمَّةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا وَأَنَا  
 أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحَسِّنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ وَرُشْدَكَ وَكِلَاءَتَكَ وَالسَّلَامُ. وَحَدَّثَ الْأَخْبَارِيُّونَ  
 أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَمَّا ظَهَرَ وَشَاعَ أَمْرُهُ أُعْجِبَ بِهِ النَّاسُ وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ فَلَمَّا قُرِئَ  
 عَلَيْهِ قَالَ مَا أَبْقَى أَبُو الطَّيِّبِ يَعْنِي طَاهِرًا شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ وَالتَّدْبِيرِ وَالرَّأْيِ  
 وَالسِّيَاسَةِ وَصَلَاحِ الْمَلِكِ وَالرَّعِيَّةِ وَحِفْظِ السُّلْطَانِ وَطَاعَةِ الْخُلَفَاءِ وَتَقْوِيمِ الْخِلَافَةِ إِلَّا  
 وَقَدْ أَحْكَمَهُ وَأَوْصَى بِهِ ثُمَّ أَمَرَ الْمَأْمُونُ فَكُتِبَ بِهِ إِلَى جَمِيعِ الْعُمَّالِ فِي النَّوَاحِي  
 لِيَقْتَدُوا بِهِ وَيَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ هَذَا أَحْسَنُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ السِّيَاسَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثاني والخمسون

في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك  
 اعلم ان في المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممر الاعصار انه لا بد  
 في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه  
 المسلمون ويستولون على المالک الإسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروجه  
 الدجال وما بعده من اشراط الساعة الثابتة في الصحيح على اثره وان عيسى ينزل من  
 بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيسأده على قتله ويأتي بالمهدي في صلاته ويحتجون  
 في الشأن بأحاديث خرجها الأئمة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها  
 ببعض الاخبار وللمتصوفة المتأخرين في امر هذا الفاطمي طريقة أخرى ونوع من  
 الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على الكشف الذي هو أصل طرائقهم ونحن  
 الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة في هذا الشأن وما للمنكرين فيها من المطاعين  
 وما لهم في إنكارهم من المستند ثم تتبعه بذكر كلام المتصوفة ورأيهم ليتبين  
 لك الصحيح من ذلك إن شاء الله تعالى فنقول إن جماعة من الأئمة خرجوا أحاديث  
 المهدي منهم الترمذي وأبو داود والبرزاني ماجه والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي  
 وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي وأبى عباس وأبى عمر وطلحة وأبى  
 مسعود وأبى هريرة وأنس وأبى سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرّة  
 ابن عباس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث بن جزء بإسناد ربما يعرض لها

الْمُنْكَرُونَ كَمَا تَذَكُّرُهُ إِلَّا أَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْجَرْحَ مُقَدَّمٌ عَلَى  
 التَّعْدِيلِ فَإِذَا وَجَدْنَا طَعْنًا فِي بَعْضِ رِجَالِ الْأَسَانِيدِ بِعَقْلَةٍ أَوْ بِسُوءِ حِفْظٍ أَوْ ضَعْفٍ أَوْ  
 سُوءِ رَأْيٍ تَطَرَّقَ ذَلِكَ إِلَى صِحَّةِ الْحَدِيثِ وَأَوْهَنَ مِنْهَا وَلَا تَقُولَنَّ مِثْلُ ذَلِكَ رُبَّمَا يَتَطَرَّقُ  
 إِلَى رِجَالِ الصَّحِيحِينَ فَإِنَّ الْإِجْمَاعَ قَدْ اتَّصَلَ فِي الْأُمَّةِ عَلَى تَلْقِيهِمَا بِالْقَبُولِ وَالْعَمَلِ  
 بِمَا فِيهِمَا وَفِي الْإِجْمَاعِ أَكْثَرُ حِمَايَةٍ وَأَحْسَنُ دَفْعًا وَلَيْسَ غَيْرُ الصَّحِيحِينَ بِمِثَابَتِهِمَا  
 فِي ذَلِكَ فَقَدْ تَجَدَّدَ مَجَالُ الْكَلَامِ فِي أُسَانِيدِهِمَا بِمَا نُقِلَ عَنْ أَيْمَةِ الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ  
 وَلَقَدْ تَوَعَّلَّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عَلَى مَا نُقِلَ السَّهْلِيُّ عَنْهُ فِي جَمْعِهِ لِلْأَحَادِيثِ  
 الْوَارِدَةِ فِي الْمَهْدِيِّ فَقَالَ وَمِنْ أَغْرِبِهَا إِسْنَادًا مَا ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْكَافُ فِي فَوَائِدِ  
 الْأَخْبَارِ مُسْتَنَدًا إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ  
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَذَبَ بِالْمَهْدِيِّ فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ كَذَبَ بِالْجَلَّالِ فَقَدْ كَذَبَ  
 وَقَالَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مِثْلُ ذَلِكَ فِيمَا أَحْسِبُ وَحَسْبُكَ هَذَا غُلُوبًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 بِصِحَّةِ طَرِيقِهِ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الْإِسْكَافَ عِنْدَهُمْ مُتَّهَمٌ وَضَاعٌ  
 وَأَمَّا الثَّرْمُذِيُّ فَخَرَجَ هُوَ وَابْنُ دَاوُدَ بِسَنَدِهِمَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ طَرِيقِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي  
 النَّجُودِ أَحَدِ الْقُرَاءِ السَّبْعَةِ إِلَى زُرَّ بْنِ حَبِيشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِ  
 رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ يَتِي يُوَاطِيُ اسْمُهُ اسْمِي وَأَسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ  
 وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَقَالَ فِي رِسَالَتِهِ الْمَشْهُورَةِ إِنَّ مَا سَكَتَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ صَالِحٌ  
 وَلَفْظُ الثَّرْمُذِيِّ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ يَتِي يُوَاطِيُ اسْمُهُ اسْمِي  
 وَفِي لَفْظِ آخَرَ حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ يَتِي وَكَأَلَاهَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَرَوَاهُ أَيْضًا  
 مِنْ طَرِيقٍ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ الْحَاكِمُ رَوَاهُ الثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ وَزَائِدَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ  
 أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَاصِمٍ قَالَ وَطَرُقُ عَاصِمٍ عَنْ زُرَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ كُلُّهَا صَحِيحَةٌ عَلَى  
 مَا أَصْلَتْهُ مِنَ الْإِحْتِجَاجِ بِأَخْبَارِ عَاصِمٍ إِذْ هُوَ إِمَامٌ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ (إِنْ تَهَيَّ) إِلَّا  
 أَنَّ عَاصِمًا قَالَ فِيهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا قَارِئًا لِلْقُرْآنِ خَيْرًا ثِقَةً وَالْأَعْمَشُ  
 أَحْفَظُ مِنْهُ وَكَانَ شُعْبَةُ يُخْتَارُ الْأَعْمَشَ عَلَيْهِ فِي تَثْبِيتِ الْحَدِيثِ وَقَالَ الْعَجَلِيُّ كَانَ يَخْتَلِفُ  
 عَلَيْهِ فِي زُرَّ وَابْنِ وَائِلٍ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى ضَعْفِ رِوَايَتِهِ عَنْهُمَا وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ



كَانَ ثِقَةً إِلَّا أَنَّهُ كَثِيرُ الْخَطَا فِي حَدِيثِهِ وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ فِي حَدِيثِهِ اضْطَرَّابٌ  
 وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ قُلْتُ لِأَبِي إِنْ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ عَاصِمٌ ثِقَةٌ فَقَالَ  
 لَيْسَ مَحَلُّهُ هَذَا وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ ابْنُ عَلَيْهِ فَقَالَ كُلُّ مَنْ اسْمُهُ عَاصِمٌ سَيِّئٌ الْحِفْظُ  
 وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ مَحَلُّهُ عِنْدِي مَحَلُّ الصِّدْقِ صَالِحُ الْحَدِيثِ وَلَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ الْحَافِظُ  
 وَاخْتَلَفَ فِيهِ قَوْلُ النَّسَائِيِّ وَقَالَ ابْنُ حَرَّاشٍ فِي حَدِيثِهِ تَكْرَرٌ وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ  
 الْعَقِيلِيُّ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا سُوءُ الْحِفْظِ وَقَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ فِي حِفْظِهِ شَيْءٌ وَقَالَ يَحْيَى  
 الْقَطَّانُ مَا وَجَدْتُ رَجُلًا اسْمُهُ عَاصِمٌ إِلَّا وَجَدْتُهُ رَدِيءَ الْحِفْظِ وَقَالَ أَيْضًا سَمِعْتُ  
 شُعْبَةَ يَقُولُ حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ أَبِي الْجُودِ وَفِي النَّاسِ مَا فِيهَا وَقَالَ الذَّهَبِيُّ ثَبَتَ فِي  
 الْقِرَاءَةِ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَإِنْ أَحْتَجُّ أَحَدًا بِأَنَّ الشَّيْخَيْنِ أَخْرَجَاهُ لَهُ فَنَقُولُ أَخْرَجَاهُ  
 مَقْرُونًا بِغَيْرِهِ لَا أَصْلًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ  
 رِوَايَةِ قُطْنِ بْنِ خَلِيفَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي مُرَّةَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُهَا  
 عَدْلًا كَمَا مَلَأْتُ جَوْرًا وَقُطْنُ بْنُ خَلِيفَةَ وَإِنْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ وَيَحْيَى ابْنُ الْقَطَّانِ وَابْنُ  
 مُعِينٍ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ إِلَّا أَنَّ الْعَجَلِيَّ قَالَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَفِيهِ تَشْيَعٌ قَلِيلٌ وَقَالَ ابْنُ  
 مُعِينٍ مَرَّةً ثِقَةً شَيْعِيٌّ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ كُنَّا نَمُرُّ عَلَى قُطْنٍ وَهُوَ مَطْرُوحٌ  
 لَا نَكْتُمُ عَنْهُ وَقَالَ مَرَّةً كُنْتُ أَمُرُّ بِهِ وَأَدْعُهُ مِثْلَ الْكَلْبِ وَقَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ لَا يُحْتَجُّ  
 بِهِ وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ مَا تَرَكْتُ الرِّوَايَةَ عَنْهُ إِلَّا لِسُوءِ مَذْهَبِهِ وَقَالَ الْجَرَجَانِيُّ  
 زَائِعٌ غَيْرُ ثِقَةٍ أَنْتَهَى وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا بِسَنَدِهِ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَرْوَانَ  
 ابْنَ الْمُغِيرَةِ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي قَيْسٍ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ أَبِي اسْتِمَاقٍ النَّسَبِيِّ  
 قَالَ قَالَ عَلِيٌّ وَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ إِنْ أَبْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَمَا سَمَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِأَسْمِ نَبِيِّكُمْ يُشَبِّهُهُ فِي الْخُلُقِ وَلَا يُشَبِّهُهُ فِي  
 الْخُلُقِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقَالَ هَارُونُ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي قَيْسٍ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفٍ  
 عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ هِلَالِ بْنِ عُمَرَ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مَنْصُورٌ يُوْطِنُ  
 أَوْ يُمْكِنُ لَيْلَ مُحَمَّدٍ كَمَا مَكَثَتْ قُرَيْشٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَّ

عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُهُ أَوْ قَالَ إِيَّابَهُ سَكَتَ أَبُو دَاوُدَ عَلَيْهِ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي  
 هَارُونَ هُوَ مِنْ وَلَدِ الشَّيْعَةِ وَقَالَ السُّلَيْمَانِيُّ فِيهِ نَظَرٌ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي عُمَرَ بْنِ أَبِي قَيْسٍ  
 لَا بَأْسَ فِي حَدِيثِهِ خَطَأٌ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ صَدَقَ لَهُ أَوْهَامٌ وَأَمَّا أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْعِيُّ وَإِنْ  
 خَرَجَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ اخْتَلَطَ آخِرَ عُمُرِهِ وَرَوَاتُهُ عَنْ عَلِيٍّ مُنْقَطِعَةٌ  
 وَكَذَلِكَ رَوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ عَنْ هَارُونَ بْنِ الْمُغِيرَةِ . وَأَمَّا السَّنَدُ الثَّانِي فَأَبُو الْحَسَنِ فِيهِ  
 وَهَلَالُ بْنُ عُمَرَ تَجْهُولَانِ وَلَمْ يُعْرِفْ أَبُو الْحَسَنِ إِلَّا مِنْ رَوَايَةِ مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفٍ عَنْهُ  
 أَنْتَهَى وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ طَرِيقِ عَلِيٍّ  
 ابْنَ تَقِيلٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ يَقُولُ الْمَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ وَأَقْظُ الْحَاكِمِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَذْكُرُ الْمَهْدِيَّ فَقَالَ نَعَمْ هُوَ حَقٌّ وَهُوَ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عَلَيْهِ بِالصَّحِيحِ وَلَا  
 غَيْرِهِ وَقَدْ ضَعَفَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْعَقِيلِيُّ وَقَالَ لَا يَتَّبِعُ عَلِيُّ بْنُ تَقِيلٍ عَلَيْهِ وَلَا يُعْرِفُ إِلَّا بِهِ  
 وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ مِنْ رَوَايَةِ صَالِحِ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ صَاحِبٍ لَهُ عَنْ  
 أُمِّ سَلَمَةَ قَالَ يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ فَيُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا  
 إِلَى مَكَّةَ فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرَّكْنِ وَالْمَقَامِ  
 فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعَثٌ مِنَ الشَّامِ فَيُخَفِّفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَإِذَا رَأَى النَّاسُ  
 ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ أَهْلِ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيُبَايِعُونَهُ ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ  
 أَخُوَالَهُ كُلُّهُمْ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا فَيُظْهِرُونَ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ بَعَثُ كُلِّبِ وَالْخَلِيفَةُ لِمَنْ لَمْ  
 يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كُلِّبِ فَيَقْسِمُ الْمَالَ وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَيُلْقِي الْأَسْلَامَ بِحِجْرَانِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ تِسْعَ سِنِينَ ثُمَّ رَوَاهُ  
 أَبُو دَاوُدَ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ  
 الْمُبْهَمُ فِي الْأَسْنَادِ الْأَوَّلِ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِينَ لَا مَطْعَنَ فِيهِمْ وَلَا مَعْمَرٌ وَقَدْ  
 يُقَالُ إِنَّهُ مِنْ رَوَايَةِ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ وَقَتَادَةُ مُدَلِّسٌ وَقَدْ عَنَّنَهُ وَالْمُدَلِّسُ لَا يَقْبَلُ  
 مِنْ حَدِيثِهِ إِلَّا مَا صُرِّحَ فِيهِ بِالسَّمَاعِ مَعَ أَنَّ الْحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ تَضَرُّعٌ بِذِكْرِ الْمَهْدِيِّ  
 نَعَمْ ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي أَبْوَابِهِ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا وَتَابَعَهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ  
 الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجَلِي الْجَبْهَةُ أَقْنِي



الْأَنْفَ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا يَمْلَأُ سَبْعَ سِنِينَ هَذَا لَفْظُ  
أَبِي دَاوُدَ وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَلَفْظُ الْحَاكِمِ الْمَهْدِيِّ مِمَّا أَهْلُ الْبَيْتِ أَشْمُ الْأَنْفِ أَقْنَى أَجَلِي  
يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَعِيشُ مَكْدًا وَيَبْسُطُ يَسَارَهُ  
وَإِصْبَعَيْنِ مِنْ يَمِينِهِ السَّبَابَةَ وَالْأَيْبَاهِمَ وَعَقْدَ ثَلَاثَ قَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ  
عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ١٥٠. وَعُمَرَانُ الْقُطَّانُ مُخْتَلَفٌ فِي الْإِحْتِجَاجِ بِهِ إِنَّمَا أَخْرَجَ  
لَهُ الْبُخَارِيُّ اسْتِشْهَادًا لَا أَصْلًا وَكَانَ يَحْيَى الْقُطَّانُ لَا يُحَدِّثُ عَنْهُ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ  
لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِشَيْءٍ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَالِحَ  
الْحَدِيثِ وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ كَانَ حَرُورِيًّا وَكَانَ يَرَى السِّيفَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَقَالَ  
النِّسَائِيُّ ضَعِيفٌ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْأَجَرِيُّ سَأَلْتُ أَبَا دَاوُدَ عَنْهُ فَقَالَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ  
وَمَا سَمِعْتُ إِلَّا خَيْرًا وَسَمِعْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى ذَكَرَهُ فَقَالَ ضَعِيفٌ أَقْنَى فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ يَفْتَوِي شَدِيدَةً فِيهَا سَفْكُ الدِّمَاءِ وَخَرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ  
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ الْأَعْمِيِّ عَنْ أَبِي صَدِيقٍ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ  
الْخُدْرِيِّ قَالَ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْضُ شَيْءٍ حَدَّثَ قَسَالْنَا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
إِنْ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيِّ يُخْرِجُ وَيَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا زَيْدُ الشَّاذِلِيُّ قَالَ قُلْنَا وَمَا ذَاكَ  
قَالَ سِنِينَ قَالَ فَيَحْيَى إِلَيْهِ فَيَقُولُ يَا مَهْدِي أَعْطِنِي قَالَ فَيَحْثُولُهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ  
يَحْمِلَهُ لَفْظُ التِّرْمِذِيِّ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَقَدْ رَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَفْظُ ابْنِ مَاجَةَ وَالْحَاكِمِ يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيِّ إِنْ قَصَرَ  
فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتَسَعٌ فَتَنَعَمُ أُمَّتِي فِيهِ نِعْمَةً لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا قَطُّ تُوُفِّيَ الْأَرْضُ أَكْلَهَا وَلَا  
يُدْخِرُ مِنْهُ شَيْئًا وَالْمَالُ يَوْمئِذٍ كُدُوسٌ فَيَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ يَا مَهْدِي أَعْطِنِي فَيَقُولُ خُذْ  
إِنْ تَهَيَّ وَزَيْدُ الْعَمِيِّ وَإِنْ قَالَ فِيهِ الدَّارِقُطِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مُعِينٍ إِنَّهُ صَالِحٌ  
وَزَادَ أَحْمَدُ إِنَّهُ فَوْقَ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ وَفَضْلُ ابْنِ عِيسَى إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ ضَعِيفٌ  
يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يَحْتَجُّ بِهِ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَا شَيْءَ وَقَالَ مَرَّةً  
يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ مَتَمَّاسِكٌ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ بِقَوِيٍّ وَاهِي  
الْحَدِيثُ ضَعِيفًا وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِذَاكَ وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ شُعْبَةُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ ضَعِيفٌ  
وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ عَامَّةٌ مَا يَرْوِيهِ وَمَنْ يَرْوِي عَنْهُمْ ضَعْفَاءُ عَلَى أَنَّ شُعْبَةَ قَدْ رَوَى عَنْهُ وَلَعَلَّ

شُعْبَةُ لَمْ يَرْوِ عَنْ أَضْعَفَ مِنْهُ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ حَدِيثَ الزُّمْدِيِّ وَقَعَ تَفْسِيرًا لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ  
 فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي  
 خَلِيفَةٌ يَحْشُو الْمَالَ حَشْوًا لَا يَعْدُهُ عَدًّا وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ  
 يَحْشُو الْمَالَ حَشْوًا وَمِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْهُمَا قَالَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ  
 وَلَا يَعْدُهُ أَنْتَهَى وَاحَادِيثُ مُسْلِمٍ لَمْ يَقَعْ فِيهَا ذِكْرُ الْمَهْدِيِّ وَلَا دَلِيلٌ يَقُومُ عَلَى أَنَّهُ الْمُرَادُ  
 مِنْهَا وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَوْفِ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي  
 سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُمْلَأَ الْأَرْضُ  
 جَوْرًا وَظُلْمًا وَعُدْوَانًا ثُمَّ يُخْرَجُ مِنْ أَهْلِ يَنبِيَّ رَجُلٌ بِمَالِهَا فِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلَّتْ ظُلْمًا  
 وَعُدْوَانًا وَقَالَ فِيهِ الْحَاكِمُ هَذَا صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجْ جَاهُ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ  
 أَيْضًا عَنْ طَرِيقِ سَلِيمَانَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ  
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُخْرَجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يُسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ  
 وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ نَبَاتَهَا وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ يَعِيشُ سَبْعًا  
 أَوْ ثَمَانِيًا يَعْنِي حُجُبًا وَقَالَ فِيهِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجْ جَاهُ مَعَ أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ  
 عُبَيْدٍ لَمْ يُخْرِجْ لَهُ أَحَدًا مِنَ السَّنَةِ لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي الثِّقَاتِ وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ أَحَدًا  
 تَكَلَّمَ فِيهِ ثُمَّ رَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أُسْدِ بْنِ مُوسَى عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ  
 مَطَرِ الْوَرَّاقِ وَأَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ  
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُمْلَأُ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا فَيُخْرَجُ رَجُلٌ مِنْ عَثَرَتِي  
 فَيَمْلِكُ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَفِسْطًا كَمَا مِلَّتْ جَوْرًا وَظُلْمًا وَقَالَ الْحَاكِمُ  
 فِيهِ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ لِأَنَّهُ أَخْرَجَ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ وَعَنْ شَيْخِهِ  
 مَطَرِ الْوَرَّاقِ وَأَمَّا شَيْخُهُ الْآخَرُ وَهُوَ أَبُو هَارُونَ الْعَبْدِيُّ فَلَمْ يُخْرِجْ لَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ  
 جِدًّا مَتَّحَمٌ بِالْكَذِبِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى بَسْطِ أَقْوَالِ الْأُئِمَّةِ فِي تَضْعِيفِهِ وَأَمَّا الرَّاوي لَهُ  
 عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ فَهُوَ أُسْدُ بْنُ مُوسَى يَلْقَبُ أُسْدَ السَّنَةِ وَإِنْ قَالَ الْبُخَارِيُّ مَشْهُورُ  
 الْحَدِيثِ وَاسْتَشْهَدَ بِهِ فِي صَحِيحِهِ وَاحْتَجَّ بِهِ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى  
 ثِقَةً لَوْ لَمْ يُصَنَّفْ كَانَ خَيْرًا لَهُ وَقَالَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَزْمٍ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ  
 فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْوَاصِلِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ وَاصِلٍ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ



النَّاجِي عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيِّ أَحَدِ بَنِي بَهْدَلَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ  
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ  
 وَجَلَّ لَهُ الْقَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا وَتُمَلَأُ الْأَرْضُ مِنْهُ فِسْطًا وَعَدَلًا كَمَا  
 مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَعْمَلُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ مِائِينَ وَيَنْزِلُ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَقَالَ  
 الطَّبْرَانِيُّ فِيهِ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ وَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي  
 سَعِيدٍ أَحَدًا إِلَّا أَبَا الْوَاصِلِ فَإِنَّهُ رَوَاهُ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنْتَهَى وَهَذَا  
 الْحَسَنُ بْنُ يَزِيدَ ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَلَمْ يُعْرِفْهُ بِأَكْثَرِ مِمَّا فِي هَذَا الْإِسْنَادِ مِنْ  
 رَوَايَتِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَرَوَايَةِ أَبِي الصَّدِّيقِ عَنْهُ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ إِنَّهُ تَجِبُولٌ  
 لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي الثِّقَاتِ وَأَمَّا أَبُو الْوَاصِلِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ فَلَمْ  
 يُخْرِجْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ السَّنَةِ وَذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي الثِّقَاتِ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَقَالَ فِيهِ  
 يَرْوَى عَنْ أَنَسٍ رَوَى عَنْهُ شُعْبَةُ وَعَتَابُ بْنُ بُشَيْرٍ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ فِي كِتَابِ السَّنَنِ  
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ  
 قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَبِلَ فِتْنَةً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَمَّا  
 رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ قَالَ فَقُلْتُ مَا تَرَى  
 فِي وَجْهِكَ شَيْئًا تَكْرَهُهُ فَقَالَ إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ أَهْلَ  
 بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ  
 رَايَاتٌ سُودٌ فَيَسْأَلُونَ الْخَبَرَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ فَيُقَاتِلُونَ وَبُصْرُونَ فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا  
 فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلَأُهَا فِسْطًا كَمَا مَلَأُوهَا جَوْرًا  
 فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِيهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى التَّلَجِ أَنْتَهَى . وَهَذَا الْحَدِيثُ يُعْرَفُ  
 عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ بِحَدِيثِ الرَّايَاتِ وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ رَوَاهُ فِيهِ شُعْبَةُ كَانَ رَقَاعًا  
 يَعْنِي يَرْفَعُ الْأَحَادِيثَ الَّتِي لَا تُعْرَفُ مَرْفُوعَةً وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضِيلِ مِنْ كِبَارِ أئِمَّةِ  
 الشَّيْخَةِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ وَقَالَ مَرْثُةٌ حَدِيثُهُ لَيْسَ بِذَلِكَ وَقَالَ يَحْيَى  
 ابْنُ مُعِينٍ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْعَجَلِيُّ جَائِزُ الْحَدِيثِ وَكَانَ بِآخِرِهِ يَلْقَنُ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ  
 بِكُتُبِ حَدِيثِهِ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ سَمِعْتُهُمْ  
 يُضَعِّفُونَ حَدِيثَهُ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا تَرَكَ حَدِيثَهُ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ وَقَالَ

ابْنُ عَدِيٍّ هُوَ مِنْ شِيعَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَمَعَ ضَعْفِهِ يَكْتُوبُ حَدِيثَهُ وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ  
 لَكِنْ مَقْرُونًا بِغَيْرِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا كَثْرُونَ عَلَى ضَعْفِهِ وَقَدْ صَرَحَ الْأَئِمَّةُ بِتَضْعِيفِ  
 هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ حَدِيثُ الرَّايَاتِ وَقَالَ  
 وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ فِيهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَكَذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ أَبُو قُدَامَةَ سَمِعْتُ  
 أَبَا أُسَامَةَ يَقُولُ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي الرَّايَاتِ لَوْ حَلَفَ عِنْدِي خَمْسِينَ يَمِينًا  
 أُسَامَةُ مَا صَدَّقْتُهُ أَهَذَا مَذْهَبُ إِبْرَاهِيمَ أَهَذَا مَذْهَبُ عَلْقَمَةَ أَهَذَا مَذْهَبُ عَبْدِ اللَّهِ وَأُورِدَ  
 الْعَقِيلِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الضَّعْفَاءِ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَخَرَجَ أَبُو مَاجَةَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ يَاسِينَ الْعِجْلِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَهْدِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُصَلِّحُ اللَّهُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ وَيَاسِينَ الْعِجْلِيُّ  
 وَإِنْ قَالَ فِيهِ ابْنُ مُعِينٍ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ فِيهِ نَظَرٌ وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْ أَصْطِلَاحِهِ  
 قُوَّةٌ فِي التَّضْعِيفِ جَدًّا وَأُورِدَ لَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي الْكَامِلِ وَالذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ هَذَا  
 الْحَدِيثَ عَلَى وَجْهِ الْأَسْتِنكَارِ لَهُ وَقَالَ هُوَ مَعْرُوفٌ بِهِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ  
 عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِنَّا الْمَهْدِيُّ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ بَلْ مِنْنَا بِنَا يَخْتِمُ اللَّهُ كَمَا بِنَا فَتَحَ وَبِنَا يَسْتَنْقِذُونَ مِنَ الشِّرْكِ وَبِنَا  
 يُؤَلِّفُ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بَعْدَ عِدَاوَةٍ بَيْنَهُ كَمَا بِنَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عِدَاوَةِ الشِّرْكِ قَالَ  
 عَلِيُّ أَمْؤُمُونُ أَمْ كَافِرُونَ قَالَ مَفْثُونَ وَكَافِرٌ أَنْتَ وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهِيْعَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ  
 مَعْرُوفٌ الْحَالِ وَفِيهِ عُمَرُ بْنُ جَابِرٍ الْخُضَرِيُّ وَهُوَ أَوْضَعُ مِنْهُ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
 رَوَى عَنْ جَابِرٍ مَنَاكِيرٌ وَبَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَكْذِبُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ لَيْسَ بِثِقَةٍ وَقَالَ كَانَ ابْنُ  
 لَهِيْعَةَ شَيْخًا أَحْمَقَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَكَانَ يَقُولُ عَلِيٌّ فِي السَّحَابِ وَكَانَ يَجْلِسُ مَعَنَا فَيُبْصِرُ  
 سَحَابَةً فَيَقُولُ هَذَا عَلِيٌّ قَدْ مَرَّ فِي السَّحَابِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فِتْنَةٌ يَحْصُلُ النَّاسُ فِيهَا  
 كَمَا يَحْصُلُ الذَّهَبُ فِي الْمَعْدِنِ فَلَا تَسْبُوا أَهْلَ الشَّامِ وَلَكِنْ سَبُوا أَشْرَارَهُمْ فَإِنَّ فِيهِمْ  
 الْأَبْدَالَ يُوشِكُ أَنْ يُرْسَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ صَيْبٌ مِنَ السَّمَاءِ فَيُفَرِّقُ جَمَاعَتَهُمْ حَتَّى لَوْ  
 قَاتَلَتْهُمْ السَّحَابُ غَلَبَتْهُمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ خَارِجٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي ثَلَاثِ رَايَاتٍ الْمُكْثَرُ  
 يَقُولُ بِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَالْمَقِلُ يَقُولُ بِهِمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا وَأَمَّا رِثْمُهُمْ أَمَّا يَلْقُونَ



سَبْعَ رَايَاتٍ تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ مِنْهَا رَجُلٌ يَطْلُبُ الْمَلِكَ فَيَقْتُلُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا وَيَرُدُّ اللَّهُ إِلَى  
الْمُسْلِمِينَ الْقَتْلَ وَنِعْمَتَهُمْ وَقَاصِيَتَهُمْ وَرَأْيَهُمْ . اهـ . وفيه عبد الله ابن لهيعة وهو ضعيف  
معروف الحال ورواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه في روايته  
ثم يظهر الهاشمي فيرد الله الناس إلى القتل الخ وأيس في طريقه ابن لهيعة وهو إسناد  
صحيح كما ذكر وخرج الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه من روايته  
أبي الطفيل عن محمد بن الحنفية قال كنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن  
المهدي فقال له هيئات ثم عقد يده سبعا فقال ذلك يخرج في آخر الزمان إذا قال  
الرجل الله الله قتل ويجمع الله له قوما قزعا كقزع السحاب يؤلف الله بين  
قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد دخل فيهم عدتهم على عدة أهل  
بدر لم يسبقهم الأولون ولا يذركهم الآخرون وعلى عدد أصحاب طالوت الدين  
جاوزوا معه النهر قال أبو الطفيل قال ابن الحنفية أتريده قلت نعم قال فإنه يخرج من  
بين هذين الأخشين قلت لا جرم والله ولا أدعها حتى أموت ومات بها يعني مكة  
قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وإنما هو على شرط مسلم  
فقط فإن فيه عمارا الذهبي ويونس بن أبي إسحاق ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمرو  
بن محمد العبقرى ولم يخرج له البخاري احتجاجا بل استشهدا مع ما ينضم إلى ذلك  
من تشيع عمارة الذهبي وهو وإن وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم النسائي وغيرهم  
فقد قال علي بن المدني عن سفيان أن بشر بن مروان قطع عرقويه قلت في أي شيء  
قال في التشيع وخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه في رواية سعد بن  
عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد اليمامي عن عكرمة بن عمار عن إسحاق  
ابن عبد الله عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج ولد  
عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي  
انتهى وعكرمة بن عمار وإن أخرج له مسلم وإنما أخرج له متابعة وقد ضعفه بعض  
وثقه آخرون وقال أبو حاتم الرازي هو مدلس فلا يقبل إلى أن يصرح بالسماع  
علي بن زياد قال الذهبي في الميزان لا تدري من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله  
ابن زياد وسعد بن عبد الحميد وإن وثقه يعقوب بن أبي شيبه وقال فيه يحيى بن

مُعِينٍ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ الثَّوْرِيُّ قَالُوا لِأَنَّهُ رَأَاهُ يُفْتِي فِي مَسَائِلَ وَيُخْطِئُ  
فِيهَا وَقَالَ ابْنُ حَبَّانَ كَانَ مِنْ فَحْشِ عَطَاؤِهِ فَلَا يُحْتَجُّ فِيهِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ سَعِيدُ  
ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَدَّعِي أَنَّهُ سَمِعَ عَرَضَ كُتُبِ مَالِكٍ وَالنَّاسُ يُشْكِرُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَهُوَ  
هَهُنَا بِبَغْدَادَ لَمْ يُحْتَجَّ فَكَيْفَ سَمِعَهَا وَجَعَلَهُ الذَّهَبِيُّ مِنْ لَمْ يَقْدَحْ فِيهِ كَلَامٌ مِنْ تَكَلَّمَ  
فِيهِ وَخَرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ رِوَايَةِ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْفُوفًا عَلَيْهِ قَالَ  
مُجَاهِدٌ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ لَوْ لَمْ أَسْمَعْ أَنَّكَ مِثْلُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ  
فَقَالَ مُجَاهِدٌ فَإِنَّهُ فِي سِتْرٍ لَا أَذْكَرُهُ لِمَنْ يَكْرَهُ قَالَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِمَّا أَهْلُ الْبَيْتِ  
أَرْبَعَةٌ مِمَّا السَّفَاحُ وَمِمَّا الْمُنْدِرُ وَمِمَّا الْمَهْدِيُّ قَالَ فَقَالَ مُجَاهِدٌ بَيْنَ لِي هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ  
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَّا السَّفَاحُ فَرُبَّمَا قَتَلَ أَنْصَارَهُ وَعَفَا عَنْ عَدُوِّهِ وَأَمَّا الْمُنْدِرُ أَرَاهُ قَالَ  
فَإِنَّهُ يُعْطِي الْمَالَ الْكَثِيرَ وَلَا يَتَعَاطَى فِي نَفْسِهِ وَيُمْسِكُ الْقَلِيلَ مِنْ حَقِّهِ وَأَمَّا الْمَنْصُورُ  
فَإِنَّهُ يُعْطِي النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِ الشُّطْرَ مِمَّا كَانَ يُعْطِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَيَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ وَالْمَنْصُورُ يَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ  
وَأَمَّا الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جُورًا وَتَأْمِنُ الْبِهَائِمُ السَّبَاعَ وَتُلْقِي  
الْأَرْضُ أَفْلَاحَ كَبِدِهَا قَالَ قُلْتُ وَمَا أَفْلَاحُ كَبِدِهَا قَالَ أَمْثَالُ الْأَسْطُوانَةِ مِنَ الذَّهَبِ  
وَالْفِضَّةِ وَقَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ إِسْمَاعِيلَ  
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ عَنْ أَبِيهِ وَإِسْمَاعِيلُ ضَعِيفٌ وَإِبْرَاهِيمُ أَبُوهُ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ  
فَالَا كَثَرُونَ عَلَى تَضَعِيفِهِ ١٠٠٠ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ عِنْدَ كِبَرِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّاياتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَهُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا  
لَا أَحْفَظُهُ قَالَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايَعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلَجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ ١٠٠٠  
وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحَّاحِينَ إِلَّا أَنْ فِيهِ أَبَا قِلَابَةَ الْجَرْمِيِّ وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ مُدْلَسٌ  
وَفِيهِ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالتَّدْلِيسِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنَنْ وَلَمْ يُصْرَحْ بِالسَّمَاعِ  
فَلَا يُقْبَلُ وَفِيهِ عَبْدُ الرَّزَاقِ بْنُ هَمَّامٍ وَكَانَ مَشْهُورًا بِالتَّشْيِيعِ وَعَمِّي فِي آخِرِ وَقْتِهِ فَخَلَطَ  
قَالَ ابْنُ عَدِي حَدَّثَ بِأَحَادِيثَ فِي الْفَضَائِلِ لَمْ يُوَافِقْهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَلَسَبُوهُ إِلَى التَّشْيِيعِ  
إِنْ تَهَى ١٠٠٠ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ الزَّيْدِيِّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ



لِهَيْعَةٍ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ جَابِرٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ  
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوطِئُونَ لِلْمَهْدِيِّ بِعَنِي  
 سُلْطَانَهُ قَالَ الطَّبْرَانِيُّ تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ لِهَيْعَةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي حَدِيثٍ عَلَى الَّذِي خَرَجَهُ  
 الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ أَنَّ ابْنَ لِهَيْعَةَ ضَعِيفٌ وَأَنَّ شَيْخَهُ عُمَرَ بْنَ جَابِرٍ أَوْضَعُ  
 مِنْهُ وَخَرَجَ الْبَزَارِيُّ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ وَاللَّفْظُ لِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ  
 أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قَصَرَ فَسَبْعٌ  
 وَإِلَّا فَثَمَانٌ وَإِلَّا فَتِسْعٌ تَنَعَّمُ فِيهَا أُمَّتِي نِعْمَةً لَمْ يَنَعَمُوا بِمِثْلِهَا تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا  
 وَلَا تَذْخِرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنَ النَّبَاتِ وَالْمَالُ كُذُوسٌ يَقُومُ الرَّجُلُ يَقُولُ يَا مَهْدِيُّ اعْطِنِي  
 فَيَقُولُ خُذْ قَالَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَزَارِيُّ تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الْعَجَلِيُّ زَادَ الْبَزَارِيُّ وَلَا نَعْلَمُ  
 أَنَّهُ تَابِعُهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ وَإِنْ وَثَّقَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حَبَّانٍ أَيْضًا بِمَا ذَكَرَهُ فِي الثَّقَاتِ  
 وَقَالَ فِيهِ يَحْتَجُّ بِنُ مَعِينٍ صَالِحٍ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ  
 لَيْسَ عِنْدِي بِذَلِكَ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ الْعَجَلِيَّ  
 حَدَّثَ بِأَحَادِيثَ وَأَنَا شَاهِدٌ لَمْ نَكْتُبْهَا تَرَكْتُهَا عَلَى عَمْدٍ وَكُتِبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْهُ  
 كَأَنَّهُ ضَعْفُهُ وَخَرَجَهُ أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ حَدَّثَنِي خَلِيلِي  
 أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا أَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يَخْرُجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ  
 بَيْتِي فَيَضْرِبُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ قَالَ قُلْتُ وَكَمْ يَمْلِكُ قَالَ خَمْسًا وَاثْنَتَيْنِ قَالَ قُلْتُ وَمَا  
 خَمْسًا وَاثْنَتَيْنِ قَالَ لَا أَدْرِي ١٠ وَهَذَا السَّنَدُ غَيْرُ مُتَحْتَجٍّ بِهِ وَإِنْ قَالَ فِيهِ بَشِيرُ بْنُ نَهْيَكٍ  
 وَقَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ لَا يُحْتَجُّ بِهِ فَقَدْ اخْتَجَّ بِهِ الشَّيْخَانِ وَوَثَّقَهُ النَّاسُ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى قَوْلِ  
 أَبِي حَاتِمٍ لَا يُحْتَجُّ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ رَجَاءُ ابْنِ أَبِي رَجَاءٍ الْيَشْكُرِيُّ وَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ قَالَ  
 أَبُو زُرْعَةَ ثِقَّةٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ضَعِيفٌ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ ضَعِيفٌ وَقَالَ مَرَّةً صَالِحٌ وَعَلَّقَ  
 لَهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ خَدِيثًا وَاحِدًا وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَارِيُّ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي  
 مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ عَنْ قُرَّةَ بْنِ إِيَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَتَمْلَأَنَّ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا فَإِذَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَسْمُهُ  
 أَسْمِي وَأَسْمُهُ أَسْمِي يَمْلَأُهَا عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا فَلَا تَمْنَعُ السَّمَاءُ  
 مِنْ قَطْرِهَا شَيْئًا وَلَا تَذْخِرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنْ نَبَاتِهَا يَلْبَثُ فِيكُمْ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا أَوْ تِسْعًا

يَعْنِي سَنِينَ ١٠ هـ. وَفِيهِ دَاوُدُ بْنُ الْمُحَبِّي بْنِ الْأَحْمَرِ عَنْ أَبِيهِ وَهُمَا ضَعِيفَانِ جِدًّا وَخَرَجَ  
الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ عَنْ أَبِي عُمَرَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ يَسَارِهِ وَالْعَبَّاسُ عَنْ يَمِينِهِ إِذْ  
تَلَا حَى الْعَبَّاسُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَغْلَظَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْعَبَّاسِ فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ وَبِيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ جَوْرًا  
وظُلْمًا وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ  
بِالْفَتَى التَّمِيمِيِّ فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَهُوَ صَاحِبُ رَايَةِ الْمَهْدِيِّ. انْتَهَى. وَفِيهِ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ لُيْعَةَ وَهُمَا ضَعِيفَانِ ١٠ هـ. وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ  
الْأَوْسَطِ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ  
لَا يَسْكُنُ مِنْهَا جَانِبٌ إِلَّا تَشَاجَرُ جَانِبٌ حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ إِنْ أَمِيرَكُمْ فُلَانٌ.  
١٠ هـ. وَفِيهِ الْمُثَنَّى بْنُ الصَّبَّاحِ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ تَصْرِيحٌ بِذِكْرِ الْمَهْدِيِّ  
وَأِنَّمَا ذَكَرُوهُ فِي أَبْوَابِهِ وَتَرْجَمَتِهِ اسْتِثْنَاءً فَهَذِهِ جُمْلَةُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي خَرَجَ بِهَا  
الْأَثَمَةُ فِي شَأْنِ الْمَهْدِيِّ وَخُرُوجِهِ آخِرَ الزَّمَانِ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتَ لَمْ يَخْلُصْ مِنْهَا مِنْ  
النَّقْدِ إِلَّا الْقَلِيلُ وَالْأَقْلُ مِنْهُ وَرُبَّمَا تَمَسَّكَ الْمُتَكِرُّونَ لِشَأْنِهِ بِمَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ  
خَالِدٍ الْجَنْدِيُّ عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِي عِيَّاشٍ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ  
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ  
مُعِينٍ فِي مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ إِنَّهُ ثِقَّةٌ وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ وَقَالَ الْحَاكِمُ فِيهِ  
إِنَّهُ رَجُلٌ مَجْهُولٌ وَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ فِي إِسْنَادِهِ فَعَرَّةٌ يَرْوُونَهُ كَمَا نَقَدَّمْ وَيُنْسَبُ ذَلِكَ  
لِمُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَمَرَّةٌ يَرْوُونَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبَانَ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرُسُلًا قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فَرَجَعَ إِلَى رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ  
مَجْهُولٌ عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ وَهُوَ مَثْرُوكٌ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَهُوَ مُنْقَطِعٌ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ مُضْطَرَبٌ وَقَدْ قِيلَ أَنَّ لَامَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى أَيْ  
لَا يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِيِّ إِلَّا عِيسَى يُحَاوِلُونَ بِهَذَا التَّأْوِيلِ رَدَّ الْأَحْتِجَاجِ بِهِ أَوْ الْجَمْعَ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ وَهُوَ مَدْفُوعٌ بِحَدِيثِ جُرَيْجٍ وَمِثْلِهِ مِنَ الْخَوَارِقِ. وَأَمَّا الْمَتَصَوِّفَةُ فَلَمْ  
يَكُنِ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْهُمْ يَخُوضُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَإِنَّمَا كَانَ كَلَامُهُمْ فِي الْمُجَاهِدَةِ



بِالْأَعْمَالِ وَمَا يَحْصُلُ عَنْهَا مِنْ نَتَائِجِ الْمَوَاجِدِ وَالْأَحْوَالِ وَكَانَ كَلَامُ الْإِمَامِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ  
 مِنَ الشَّيْعَةِ فِي تَفْضِيلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَالْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَادِّعَاءِ الْوَصِيَّةِ لَهُ  
 بِذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّبَرُّيِّ مِنَ الشَّيْخَيْنِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي مَذَاهِبِهِمْ  
 ثُمَّ حَدَّثَ فِيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَوْلُ بِالْإِمَامِ الْمُعْصُومِ وَكَثُرَتِ التَّالِيفُ فِي مَذَاهِبِهِمْ وَجَاءَ  
 الْأِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنْهُمْ يَدْعُونَ الْوَهْبِيَّةَ الْإِمَامِ بِنَوْعٍ مِنَ الْحُلُولِ وَآخَرُونَ يَدْعُونَ رَجْعَةَ  
 مَنْ مَاتَ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِنَوْعٍ التَّنَائُخِ وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ مُجِيَّ مَنْ يَقْطَعُ بِمَوْتِهِ مِنْهُمْ  
 وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ عَوْدَ الْأَمْرِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ  
 الْأَحَادِيثِ فِي الْمَهْدِيِّ وَغَيْرِهَا ثُمَّ حَدَّثَ أَيْضًا عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْكَلَامُ  
 فِي الْكُشْفِ وَفِيمَا وَرَاءَ الْحُسْنِ وَظَهَرَ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ الْقَوْلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِالْحُلُولِ  
 وَالْوَحْدَةِ فَشَارَكُوا فِيهَا الْإِمَامِيَّةَ وَالرَّافِضَةَ لِقَوْلِهِمْ بِالْوَهْبِيَّةِ الْإِئِمَّةِ وَحُلُولِ الْإِلَهِ فِيهِمْ  
 وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَالْإِبْدَالِ وَكَانَهُ يُحَاكِي مَذْهَبَ الرَّافِضَةِ فِي الْإِمَامِ  
 وَالنُّقَبَاءِ وَأَشْرَبُوا أَقْوَالَ الشَّيْعَةِ وَتَوَعَّلَوْا فِي الدِّيانَةِ بِمَذَاهِبِهِمْ حَتَّى جَعَلُوا مُسْتَدَدَ طَرِيقِهِمْ  
 فِي لُبْسِ الْخُرْقَةِ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْبَسَهَا الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ  
 بِالْإِتِمَامِ الطَّرِيقَةِ وَاتَّصَلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ بِالْجَنِيدِ مِنْ شُيُوخِهِمْ وَلَا يُعْلَمُ هَذَا عَنْ عَلِيٍّ مِنْ  
 وَجْهِ صَحِيحٍ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ خَاصَّةً بِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بَلِ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ  
 أُسْوَةٌ فِي طَرِيقِ الْهُدَى وَفِي تَخْصِصِ هَذَا بِعَلِيٍّ دُونَهُمْ رَاحَةٌ مِنَ التَّشْيِيعِ قَوِيَّةٌ يَفْهَمُ  
 مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْقَوْمِ دَخَلَهُمْ فِي التَّشْيِيعِ وَانْخَرِطُوا فِي سِلْكِهِ وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا  
 الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَأَمْثَلَاتُ كُتُبِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ مِنَ الرَّافِضَةِ وَكُتُبُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ  
 الْمُتَصَوِّفَةِ يُمَثِّلُ ذَلِكَ فِي الْفَاطِمِيَّةِ الْمُنْتَظَرِ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُعَلِّيهُ عَلَى بَعْضٍ وَيُلْقِنُهُ بَعْضُهُمْ  
 عَنْ بَعْضٍ وَكَانَهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أُصُولٍ وَاهِيَةٍ مِنَ التَّرِيقَتَيْنِ وَرُبَّمَا يَسْتَدِلُّ بَعْضُهُمْ بِكَلَامِ  
 الْمُتَجَمِّينَ فِي الْقِرَآنَاتِ وَهُوَ مِنْ نَوْعِ الْكَلَامِ فِي الْمَلَا حِمٍ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهَا  
 فِي الْبَابِ الَّذِي بَلَّيْ هَذَا وَكَثُرَ مِنْ تَكَلُّمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي شَأْنِ  
 الْفَاطِمِيَّةِ ابْنُ الْعَرَبِيِّ الْحَافِي فِي كِتَابِ عَتَقَاءِ مَغْرِبٍ وَابْنُ قُسَيٍّ فِي كِتَابِ خَلْعِ  
 التَّعْلِينَ وَعَبْدُ الْحَقِّ بْنُ سَبْعِينَ وَابْنُ أَبِي وَاصِلٍ تَلْمِيزُهُ فِي شَرْحِهِ لِكِتَابِ خَلْعِ التَّعْلِينَ  
 وَكَثُرَ كَلِمَاتُهُمْ فِي شَأْنِهِ الْغَاثُ وَآمَالُ وَرُبَّمَا يَصْرِحُونَ فِي الْأَقْلِ أَوْ يَصْرَحُ مُفَسِّرُو

كَلَامِهِمْ وَحَاصِلُ مَذْهَبِهِمْ فِيهِ عَلَى مَا ذَكَرَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ أَنَّ النَّبُوَّةَ بِهَا ظَهَرَ الْحَقُّ  
 وَالْهُدَى بَعْدَ الضَّلَالِ وَالْعَمَى وَأَنَّهَا تَعْقِبُهَا الْخِلَافَةُ ثُمَّ يَعْقِبُ الْخِلَافَةَ الْمُلْكُ ثُمَّ يَعُودُ يُجَبَّرُ  
 وَتَكْبَرُ وَبَاطِلًا قَالُوا وَلَمَّا كَانَ فِي الْمَعْمُودِ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ رُجُوعَ الْأُمُورِ إِلَى مَا كَانَتْ وَجَبَ  
 أَنْ يَحْيَا أَمْرُ النَّبُوَّةِ وَالْحَقِّ بِالْوِلَايَةِ ثُمَّ بِخِلَافَتِهَا ثُمَّ يَعْقِبُهَا الدَّجَلُ مَكَانَ الْمُلْكِ وَالنَّسْلِ  
 ثُمَّ يَعُودُ الْكُفْرُ بِحَالِهِ يُشِيرُونَ بِهَذَا إِمَّا وَقَعَ مِنْ شَأْنِ النَّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ بَعْدَهَا وَالْمُلْكِ  
 بَعْدَ الْخِلَافَةِ هَذِهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ وَكَذَلِكَ الْوِلَايَةُ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الْفَاطِمِيِّ وَالْدَّجَلُ بَعْدَهَا  
 كِتَابَةٌ عَنْ خُرُوجِ الدَّجَالِ عَلَى أَثَرِهِ وَالْكَفَرُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ عَلَى نِسْبَةِ  
 الثَّلَاثِ الْمَرَاتِبِ الْأُولَى قَالُوا وَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ لِقُرَيْشٍ حُكْمًا شَرْعِيًّا بِالْإِجْمَاعِ  
 الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ أَنْكَارُ مَنْ لَمْ يُزَاولْ عَلَيْهِ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْإِمَامَةُ فِيمَنْ هُوَ أَخَصُّ  
 مِنْ قُرَيْشٍ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَّا ظَاهِرًا كَبْنِي عَبْدِ الدُّطَّالِبِ وَإِمَّا بَاطِنًا مِمَّنْ  
 كَانَ مِنْ حَقِيقَةِ آلِ وَالْآلِ مَنْ إِذَا حَضَرَ لَمْ يَلْقَبْ مَنْ هُوَ آلُهُ وَأَبْنُ الْعَرَبِيِّ  
 الْحَنَائِمِيُّ سَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ عَتَقَاءَ مُغْرِبٍ مِنْ تَأْلِيْفِهِ خَاتِمَ الْأَوْلِيَاءِ وَكُنِيَ عَنْهُ بِابْنَةِ  
 الْفِضَّةِ إِشَارَةً إِلَى حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 مَثَلِي فِيمَنْ قَبْلِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَبْتَنَى بَيْتًا وَأَكْمَلَهُ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ  
 إِلَّا مَوْضِعُ لُبْنَةٍ فَأَنَا تِلْكَ اللَّبْنَةُ فَيُفَسِّرُونَ خَاتِمَ النَّبِيِّينَ بِاللُّبْنَةِ حَتَّى أَكْمَلْتُ الْبَيَانَ  
 وَمَعْنَاهُ الَّذِي الَّذِي حَصَلَتْ لَهُ النَّبُوَّةُ الْكَامِلَةُ وَيُشْتَلُونَ الْوِلَايَةَ فِي تَفَاوُتِ مَرَاتِبِهَا  
 بِاللُّبْنَةِ وَيَجْعَلُونَ صَاحِبَ الْكَمَالِ فِيهَا خَاتِمَ الْأَوْلِيَاءِ أَيْ حَائِزَ الرُّتْبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ  
 الْوِلَايَةِ كَمَا كَانَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ حَائِزًا لِلْمَرْتَبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ النَّبُوَّةِ نَكْنَى الشَّارِحُ  
 عَنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْخَاتِمَةَ بِاللُّبْنَةِ الْبَيْتِ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ وَهُمَا عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ  
 فِيهِمَا فِي لُبْنَةٍ وَاحِدَةٍ فِي التَّمْثِيلِ فِي النَّبُوَّةِ لُبْنَةٌ ذَهَبٌ وَفِي الْوِلَايَةِ لُبْنَةٌ فِضَّةٌ لِلتَّفَاوُتِ  
 بَيْنَ الرُّتْبَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجْعَلُونَ لُبْنَةَ الذَّهَبِ كِتَابَةً عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلُبْنَةَ الْفِضَّةِ كِتَابَةً عَنْ هَذَا الْوَلِيِّ الْفَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ وَذَلِكَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَهَذَا خَاتِمُ الْأَوْلِيَاءِ وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِيمَا نَقَلَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ عَنْهُ وَهَذَا الْإِمَامُ  
 الْمُنْتَظَرُ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ وَظُهُورُهُ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ مُضِيِّ سِتِّ خُمْسٍ مِنْ  
 الْحِجْرَةِ وَرَسْمُ حُرُوفِهَا ثَلَاثَةٌ يُرِيدُ عَدَدُهَا بِحِسَابِ الْجَمَلِ وَهُوَ الْخَلَاءُ الْمُعْجَمَةُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ



فَوْقُ سِتْمِائَةٍ وَالْفَاءُ أُخْتُ الْقَافِ بِثَمَانِينَ وَالْجِيمُ الْمُعْجَمَةُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ أَسْفَلُ ثَلَاثَةٌ  
وَذَلِكَ سِتْمِائَةٌ وَثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَهِيَ آخِرُ الْقَرْنِ السَّابِعِ وَلَمَّا أَنْصَرَمَ هَذَا الْعَصْرُ  
وَلَمْ يَظْهَرْ حَمَلُ ذَلِكَ بَعْضُ الْمُقَلِّدِينَ لَهُمْ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِتِلْكَ الْمُدَّةِ مَوْلِدُهُ وَعَبَّرَ  
بِظُهُورِهِ عَنْ مَوْلِدِهِ وَإِنْ كَانَ خُرُوجُهُ يَكُونُ بَعْدَ الْعَشْرِ وَالسَّبْعِ الْمِائَةِ فَإِنَّهُ الْإِمَامُ النَّاجِمُ مِنْ  
بَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ قَالَ وَإِذَا كَانَ مَوْلِدُهُ كَمَا زَعَمَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ سَنَةً ثَلَاثٌ وَثَمَانِينَ  
وَسِتْمِائَةً فَيَكُونُ عُمُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً قَالَ وَزَعَمُوا أَنَّ خُرُوجَ الدَّجَالِ  
يَكُونُ سَنَةً ثَلَاثٌ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةً مِنَ الْيَوْمِ الْمُحَمَّدِيِّ وَابْتِدَاءُ الْيَوْمِ الْمُحَمَّدِيِّ  
عِنْدَهُمْ مِنْ يَوْمِ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَمَامِ أَلْفِ سَنَةٍ قَالَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
فِي شَرْحِهِ كِتَابَ خَلْعِ التَّعْلِينَ الْوَلِيُّ الْمُنْتَظَرُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِمُحَمَّدٍ  
الْمَهْدِيِّ وَخَاتِمِ الْأَوَّلِيَاءِ وَلَيْسَ هُوَ بِنَبِيِّ وَإِنَّمَا هُوَ وَلِيُّ ابْتِغَاةِ رُوحِهِ وَحَبِيبُهُ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَالَمُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ وَقَالَ عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيََاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَلَمْ تَزَلِ الْبَشَرَى تَتَابَعُ بِهِ مِنْ أَوَّلِ الْيَوْمِ الْمُحَمَّدِيِّ إِلَى قُبُلِ الْخَمْسِمِائَةِ نِصْفِ الْيَوْمِ  
وَنَأْ كُنْتُ وَتَضَاعَفَتْ بِبَاشِيرِ الْمَشَائِخِ بِتَقَرُّبِ وَقْتِهِ وَأَزْدِلَافِ زَمَانِهِ مِنْذُ انْقَضَتْ  
إِلَى هَلُمِّ جَرَّأٍ قَالَ وَذَكَرَ الْكِنْدِيُّ أَنَّ هَذَا الْوَلِيَّ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ صَلَاةَ الظُّهْرِ  
وَيُجَدِّدُ الْإِسْلَامَ وَيُظْهِرُ الْعَدْلَ وَيَفْتَحُ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ وَيَصِلُ إِلَى رُومِيَّةٍ فَيَفْتَحُهَا  
وَيَسِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَيَفْتَحُهَا وَيَفْتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَيَصِيرُ لَهُ مُلْكُ الْأَرْضِ فَيَتَقَوَّى  
الْمُسْلِمُونَ وَيَعْلُو الْإِسْلَامُ وَيُظْهِرُ دِينَ الْحَنِيفِيَّةِ فَإِنْ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ  
وَقَتَ صَلَاةٍ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٍ وَقَالَ الْكِنْدِيُّ أَيْضًا  
الْحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ غَيْرُ الْمُعْجَمَةِ يَعْنِي الْمَفْتَحَ بِهَا سُورَةُ الْقُرْآنِ جُمْلَةً عَدَدُهَا سَبْعِمِائَةٌ  
وَثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ وَسَبْعٌ دَجَالِيَّةٌ ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَيُصْلِحُ الدُّنْيَا  
وَتَمْشِي الشَّاةُ مَعَ الذِّئْبِ ثُمَّ مَبْلَغُ مُلْكِ الْعَجَمِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ مَعَ عِيسَى مِائَةٌ وَسِتُّونَ عَامًا  
عَدَدُ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَهِيَ ق ي ن دَوَّلَةُ الْعَدْلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ عَامًا قَالَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
وَمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ لَا مَهْدِي إِلَّا عِيسَى فَمَعْنَاهُ لَا مَهْدِي تُسَاوِي هِدَايَتَهُ هِدَايَتَهُ وَقِيلَ لَا  
يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ إِلَّا عِيسَى وَهَذَا مَدْفُوعٌ بِحَدِيثِ جَرِيرٍ وَغَيْرِهِ وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ  
أَنَّهُ قَالَ لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً





كَاللُّوْلُو كَثِيرُ خِيَلَانِ الْوَجْهِ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مَرْبُوعُ الْخَلْقِ وَإِلَى الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ  
 وَفِي آخَرَ أَنَّهُ يَتَزَوَّجُ فِي الْغَرْبِ وَالْغَرْبُ دَلُّ الْبَادِيَةِ يُرِيدُ أَنَّهُ يَتَزَوَّجُ مِنْهَا وَيَلِدُ زَوْجَتَهُ  
 وَذَكَرَ وَفَاتَهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامًا وَجَاءَ أَنَّ عِيسَى يَمُوتُ بِالْمَدِينَةِ وَيُدْفَنُ إِلَى جَانِبِ عُمَرَ  
 ابْنِ الْخَطَّابِ وَجَاءَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يُخْشِرَانِ بَيْنَ نَبِيِّنِ قَالَ ابْنُ أَبِي وَاطِلٍ وَالشَّيْعَةُ  
 تَقُولُ إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ مَسِيحُ الْمَسَائِيحِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ قُلْتُ وَعَلَيْهِ حَمَلُ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ  
 حَدِيثٌ لَا مَهْدِي إِلَّا عِيسَى أَيْ لَا يَكُونُ مَهْدِي إِلَّا الْمَهْدِي الَّذِي نَسَبَتْهُ إِلَى الشَّرِيعَةِ  
 الْحَمْدِيَّةِ نِسْبَةً عِيسَى إِلَى الشَّرِيعَةِ الْمُؤَسَّسَةِ فِي الْإِتْبَاعِ وَعَدَمِ النَّسَخِ إِلَى كَلَامٍ  
 مِنْ أَمْثَالِ هَذَا يَعْنُونَ فِيهِ الْوَقْتُ وَالرَّجُلُ وَالْمَكَانُ بِأَدَلَّةٍ وَاهِيَةٍ وَتَحَكُّمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ  
 فَيَنْقُضِي الزَّمَانَ وَلَا أَثَرَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَيَرْجِعُونَ إِلَى تَجْدِيدِ رَأْيِ آخَرَ مُتَبَحِّلٍ كَمَا  
 تَرَاهُمْ مِنْ مَفْهُومَاتٍ لُغَوِيَّةٍ وَأَشْيَاءٍ تَخْيِيلِيَّةٍ وَأَحْكَامٍ نُجُومِيَّةٍ فِي هَذَا انْقَضَتْ أَعْمَارُ الْأَوَّلِ  
 مِنْهُمْ وَالْآخِرِ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ الَّذِينَ عَاصَرْنَاهُمْ فَأَكْثَرُهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى ظُهُورِ رَجُلٍ  
 مَجْدِدٍ لِأَحْكَامِ الْمِلَّةِ وَمَرَامِ الْحَقِّ وَيَتَحَيَّنُونَ ظُهُورَهُ لِمَا قَرُبَ مِنْ عَصْرِنَا فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ  
 مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ وَبَعْضُهُمْ يُطْلِقُ الْقَوْلَ فِيهِ سَمِعْنَاهُ مِنْ جَمَاعَةٍ أَكْثَرُهُمْ أَبُو يَعْقُوبَ الْبَادِيسِيُّ  
 كَبِيرُ الْأَوْلِيَاءِ بِالْمَغْرِبِ كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ وَأَخْبَرَنِي عَنْهُ حَافِدُ صَاحِبِنَا  
 أَبُو يَحْيَى زَكَرِيَّا عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ الْوَلِيِّ أَبِي يَعْقُوبَ الْمَذْكُورِ  
 هَذَا آخِرُ مَا أَطْلَعْنَا عَلَيْهِ أَوْ بَلَّغْنَا مِنْ كَلَامٍ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَمَا أَوْرَدَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ  
 مِنْ أَخْبَارِ الْمَهْدِيِّ قَدْ اسْتَوْفَيْنَا جَمِيعَهُ بِمَبْلَغٍ طَاقَتِنَا وَالْحَقُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَرَّرَ  
 لَدَيْكَ أَنَّهُ لَا تَتِمُّ دَعْوَةٌ مِنَ الدِّينِ وَالْمَلِكِ إِلَّا بِوُجُودِ شَوْكَةِ عَصِيَّةٍ تُظْهِرُهُ وَتُدَافِعُ  
 عَنْهُ مِنْ يَدْفَعُهُ حَتَّى يَتِمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِيهِ وَقَدْ قَرَّرْنَا ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ الَّتِي  
 أَرَيْنَاكَ هُنَاكَ وَعَصِيَّةُ الْفَاطِمِيِّينَ بَلْ وَقُرَيْشُ أَجْمَعَ قَدْ تَلَاشَتْ مِنْ جَمِيعِ الْأَفَاقِ وَوُجِدَ  
 أَمْرُ آخَرُونَ قَدْ اسْتَعَلَّتْ عَصِيَّتُهُمْ عَلَى عَصِيَّةِ قُرَيْشٍ إِلَّا مَا بَقِيَ بِالْحِجَازِ فِي مَكَّةَ وَيَنْبَغُ  
 بِالْمَدِينَةِ مِنَ الطَّالِبِينَ مِنْ بَنِي حَسَنَ وَبَنِي حُسَيْنَ وَبَنِي جَعْفَرٍ وَهُمْ مُنْتَشِرُونَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ  
 وَغَالِبُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَصَائِبُ بَدَوِيَّةٍ مُتَفَرِّقُونَ فِي مَوَاطِنِهِمْ وَإِمَارَاتِهِمْ وَأَرَادِيهِمْ يَبْلُغُونَ  
 الْأَفَاقَ مِنَ الْكَثَرَةِ فَإِنْ صَحَّ ظُهُورُ هَذَا الْمَهْدِيِّ فَلَا وَجْهَ لظُهُورِ دَعْوَتِهِ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ  
 مِنْهُمْ وَيُؤَافِقُ اللَّهَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي اتِّبَاعِهِ حَتَّى تَتِمَّ لَهُ شَوْكَةُ وَعَصِيَّةُ وَافِيَةٌ بِإِظْهَارِ

كَلِمَتِهِ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَأَمَّا عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ مِثْلُ أَنْ يَدْعُو فَاطِمِي مِنْهُمْ إِلَى  
 مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ فِي أَتَقَى مِنَ الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ عَصِيَّةٍ وَلَا شَوْكَةٍ إِلَّا تَجَرَّدَ نِسْبَةً فِي أَهْلِ  
 الْبَيْتِ فَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ وَلَا يُعْكَنُ لِمَا اسْتَفْنَاهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ الصَّحِيحَةِ وَأَمَّا مَا تَدْعِيهِ الْعَامَّةُ  
 وَالْأَغْمَارُ مِنَ الدَّهْمَاءِ مِمَّنْ لَا يَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَقْلِ يَهْدِيهِ وَلَا عِلْمٍ يُفِيدُهُ فَيُجِيبُونَ  
 ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ نِسْبَةٍ وَفِي غَيْرِ مَكَانٍ تَقْلِيدًا لِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ ظُهُورِ فَاطِمِيٍّ وَلَا يَعْلَمُونَ  
 حَقِيقَةَ الْأَمْرِ كَمَا يَنْبَأُهُ وَأَكْثَرُ مَا يُجِيبُونَ فِي ذَلِكَ الْقَاصِيَةَ مِنَ الْمَمَالِكِ وَأَطْرَافِ  
 الْعُمَرَانِ مِثْلِ الزَّابِ بِأَفْرِيقَةِ وَالسُّوسِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَنَجْدِ الْكَثِيرِ مِنْ ضُعَفَاءِ الْبَصَائِرِ  
 يَقْصِدُونَ رِبَاطًا بِمَاسَةٍ لِمَا كَانَ ذَلِكَ الرِّبَاطُ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْمُثْمِنِينَ مِنْ كِدَالَةٍ وَاعْتِقَادِهِمْ  
 أَنَّهُ مِنْهُمْ أَوْ قَائِمُونَ بِدَعْوَتِهِ زَعَمًا لَا مُسْتَدَّ لَهُمْ إِلَّا غَرَابَةُ تِلْكَ الْأُمَمِ وَبُعْدُهُمْ عَنْ  
 بَقِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِأَحْوَالِهَا مِنْ كَثَرَةٍ أَوْ قِلَّةٍ أَوْ ضَعْفٍ أَوْ قُوَّةٍ وَلِبُعْدِ الْقَاصِيَةِ عَنْ مَنَالِ  
 الدَّوْلَةِ وَخُرُوجِهَا عَنْ نِطَاقِهَا فَتَقْوَى عِنْدَهُمُ الْأَوْدَامُ فِي ظُهُورِهِ هُنَاكَ بِخُرُوجِهِ عَنْ رِيقَةِ  
 الدَّوْلَةِ وَمَنَالِ الْأَحْكَامِ وَالْقَهْرِ وَلَا تَحْصُلُ لَدَيْهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا هَذَا وَقَدْ يَقْصِدُ ذَلِكَ  
 الْمَوْضِعَ كَثِيرٌ مِنْ ضُعَفَاءِ الْعُقُولِ لِلتَّلَاسِ بِدَعْوَةِ بِيْمَةٍ تَمَامُهَا وَسَوَاسُهَا وَحُمَقًا وَقَتْلَ  
 كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَبْلِيَّ قَالَ خَرَجَ بِرِبَاطٍ مَاسَةٍ لِأَوَّلِ  
 الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ وَعَصَرَ السُّلْطَانُ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ رَجُلٌ مِنْ مُتَحَلِّي التَّصَوُّفِ يُعْرَفُ  
 بِالشُّوْزَرِيِّ نِسْبَةً إِلَى تُوْزَرَ مُصَغَّرًا وَادَّعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ الْمُنْتَظَرُ وَاتَّبَعَهُ الْكَثِيرُ مِنْ  
 أَهْلِ السُّوسِ مِنْ ضَالَّةٍ وَكَزُولَةٍ وَعَظُمَ أَمْرُهُ وَخَافَهُ رُؤَسَاءُ الْمَصَامِدَةِ عَلَى أَمْرِهِمْ فَلَدَسَ  
 عَلَيْهِ السُّكَّسِيُّ مَنْ قَتَلَهُ بَتَانًا وَأَنْحَلَ أَمْرُهُ وَكَذَلِكَ ظَهَرَ فِي غَمَارَةٍ فِي آخِرِ الْمِائَةِ  
 السَّابِعَةِ وَعَشْرِ التَّسْعِينَ مِنْهَا رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْعَبَّاسِ وَادَّعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ وَاتَّبَعَهُ الدَّهْمَاءُ  
 مِنْ غَمَارَةٍ وَدَخَلَ مَدِينَةَ فَاسَ عُنُوةً وَحَرَّقَ أَسْوَاقَهَا وَأَرْتَعَلَ إِلَى بَلَدِ الْمَرْمَةِ فَقُتِلَ بِهَا  
 غِيلَةً وَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا السَّطِ وَأَخْبَرَنِي شَيْخُنَا الْمَذْكُورُ بِغَرِيبَةٍ فِي مِثْلِ هَذَا  
 وَهُوَ أَنَّهُ صَحِبَ فِي حُجَّةٍ فِي رِبَاطِ الْعِبَادِ وَهُوَ مَدْفَنُ الشَّيْخِ أَبِي مَدِينٍ فِي جَبَلِ تَلْمَسَانَ  
 الْمُطَّلِ عَلَيْهَا رَجُلَانِ مِنَ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ سُكَّانِ كَرْبَلَاءَ كَانَ مَتَّبِعًا مُعَظَّمًا كَثِيرَ التَّلْمِيزِ  
 وَالْخِدَامِ قَالَ وَكَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ مَوْطِنِهِ يَتَلَقَّوْنَهُ بِاللَّفَقَاتِ فِي أَكْثَرِ الْبُلْدَانِ قَالَ  
 وَتَا كَدَّتِ الصُّنْبَةُ يَتَنَا فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ فَأَنْكَشَفَ لِي أَمْرُهُمْ وَأَنْتَهُمْ إِنَّمَا جَاءُوا



مِنْ مَوَاطِنِهِمْ بِكَرْبَلَاءَ لَطَلَبَ هَذَا الْأَمْرَ وَانْتَحَالَ دَعْوَةُ الْفَاطِمِيِّ بِالْمَغْرِبِ فَلَمَّا عَايَنَ  
 دَوْلَةَ بَنِي مُرَيْنَ وَيُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ يَوْمَئِذٍ مُنَازِلَ تَلَمَّسَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ أَرْجِعُوا فَقَدْ  
 أَرَى بَيْنَهُ الْغَلَطَ وَلَيْسَ هَذَا الْوَقْتُ وَقْتَنَا وَبَدُلَ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ عَلَى أَنَّهُ  
 مُسْتَبْصِرٌ فِي أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ الْمُكَافِئَةِ لِأَهْلِ الْوَقْتِ فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ  
 غَرِيبٌ فِي ذَلِكَ الْوَطَنِ وَلَا شَوْكَةَ لَهُ وَأَنَّ عَصِيَّةَ بَنِي مُرَيْنَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ لَا يُقَاوِمُهَا أَحَدٌ  
 مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ اسْتَكَانَ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ وَأَقْصَرَ عَنْ مَطَامِعِهِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَيْقِنَ  
 أَنَّ عَصِيَّةَ الْفَوَاطِمِ وَقُرَيْشٍ أَجْمَعٍ قَدْ ذَهَبَتْ لَا سِيمَا فِي الْمَغْرِبِ إِلَّا أَنَّ التَّعَصُّبَ  
 لِشَأْنِهِ لَمْ يَتْرُكْهُ لِهَذَا الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَدْ كَانَتْ بِالْمَغْرِبِ لِهَذِهِ  
 الْعُصُورِ الْقَرِيبَةِ نَزْعَةٌ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى الْحَقِّ وَالْقِيَامِ بِالسُّنَّةِ لَا يَتَحَلُّونَ فِيهَا دَعْوَةَ فَاطِمِيٍّ  
 وَلَا غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يَنْزِعُ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ الْوَاحِدُ فَالْوَاحِدُ إِلَى إِقَامَةِ السُّنَّةِ  
 وَتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ وَيَعْتَنِي بِذَلِكَ وَيَكْثُرُ تَابِعُهُ وَأَكْثَرُ مَا يُعْنُونَ بِإِصْلَاحِ السَّابِلَةِ  
 لِمَا أَنَّ أَكْثَرَ فَسَادِ الْأَعْرَابِ فِيهَا لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ طَبِيعَةِ مَعَاشِهِمْ فَيَأْخُذُونَ فِي تَغْيِيرِ  
 الْمُنْكَرِ بِمَا اسْتَطَاعُوا إِلَّا أَنَّ الصَّبْغَةَ الدِّينِيَّةَ فِيهِمْ لَمْ تُسْتَحْكَمْ لِمَا أَنَّ تَوْبَةَ الْعَرَبِ  
 وَرُجُوعَهُمْ إِلَى الدِّينِ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ بِهَا الْإِفْصَارَ عَنِ الْغَارَةِ وَالنَّهْبِ لَا يَعْقِلُونَ فِي تَوْبَتِهِمْ  
 وَإِقْبَالِهِمْ إِلَى مَنَاحِي الدِّيَانَةِ غَيْرَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا الْمَعْصِيَةُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قَبْلَ الْمُقَرَّبَةِ وَمِنْهَا  
 تَوْبَتُهُمْ فَتَجِدُ ذَلِكَ الْمُنْتَحِلَ لِلدُّعْوَةِ وَالْقَائِمَ بِزَعْمِهِ بِالسُّنَّةِ غَيْرَ مُتَعَمِّقِينَ فِي فُرُوعِ  
 الْإِقْتِدَاءِ وَالْإِتْبَاعِ إِنَّمَا دِينُهُمُ الْأَعْرَاضُ عَنِ النَّهْبِ وَالْبَغْيِ وَإِفْسَادِ السَّابِلَةِ ثُمَّ  
 الْأَقْبَالُ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَالْمَعَاشِ بِأَفْصَى جُهِدِهِمْ وَشَتَّى بَيْنَ هَذَا الْأَجْرِ مِنْ إِصْلَاحِ  
 الْخَلْقِ وَمِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا فَاتِّقَاهُمَا مُمْتَنِعٌ لَا تُسْتَحْكَمُ لَهُ صِبْغَةٌ فِي الدِّينِ وَلَا يَكْمُلُ  
 لَهُ نُزُوعٌ عَنِ الْبَاطِلِ عَلَى الْجُمْلَةِ وَلَا يَكْثُرُونَ وَيَخْتَلِفُ حَالُ صَاحِبِ الدُّعْوَةِ مَعَهُمْ فِي  
 اسْتِحْكَامِ دِينِهِ وَوِلَايَتِهِ فِي نَفْسِهِ دُونَ تَابِعِهِ فَإِذَا هَلَكَ انْتَحَلَ أَمْرُهُمْ وَتَلَاشَتْ عَصِيَّتُهُمْ  
 وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ بِأَفْرِيقَةِ لِرَجُلٍ مِنْ كَعْبٍ مِنْ سُلَيْمٍ يُسَمَّى فَايِمَ بْنَ مِرَّةَ بْنِ أَحْمَدَ فِي  
 الْمِائَةِ السَّابِعَةِ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِرَجُلٍ آخَرَ مِنْ بَادِيَةِ رِيَّاحٍ مِنْ بَطْنٍ مِنْهُمْ يُعْرَفُونَ بِمُسْلِمٍ  
 وَكَانَ يُسَمَّى سَعَادَةً وَكَانَ أَشَدَّ دِينًا مِنَ الْأَوَّلِ وَأَقْوَمَ طَرِيقَةً فِي نَفْسِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ  
 يَسْتَنْبِ أَمْرُ تَابِعِهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ حَسَبًا يَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَ ذِكْرِ قِبَائِلِ

سَلِيمٍ وَرِيَّاحٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ نَاسٌ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ يَتَشَبَّهُونَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَيَلْبَسُونَ  
فِيهَا وَيَتَحَلُّونَ أَمَمَ السُّنَّةِ وَلَيْسُوا عَلَيْهَا إِلَّا الْأَقْلَ فَلَا يَتِمُّ لَهُمْ وَلَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ شَيْءٌ  
مِنْ أَمْرِهِمْ . انتهى

### الفصل الثالث والخمسون

في ابتداء الدول والامم وفي الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر

اعْلَمْ أَنَّ مِنْ خَوَاصِّ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ التَّشَوُّقَ إِلَى عَوَاقِبِ أُمُورِهِمْ وَعِلْمَ مَا يَحْدُثُ  
لَهُمْ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ سِيَّمَا الْحَوَادِثُ الْعَامَّةُ كَمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَعْرِفَةِ  
مُدَدِ الدُّوَلِ أَوْ تَفَاوُثِهَا وَالتَّلَطُّعُ إِلَى هَذَا طَبِيعَةٌ تَجِبُ لِلنَّاسِ وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْكَثِيرَ مِنَ  
النَّاسِ يَتَشَوَّقُونَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ وَالْأَخْبَارِ مِنَ الْكُهَّانِ لِمَنْ قَصَدَهُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ  
مِنَ الْمُلُوكِ وَالسُّوْفَةِ بِعَرُوفَةٍ وَقَدْ نَجَدُ فِي الْمَدُنِ صِنْفًا مِنَ النَّاسِ يَتَحَلُّونَ الْمَعَاشَ مِنْ ذَلِكَ  
لِعَالِمِهِمْ بِحِرْصٍ النَّاسِ عَلَيْهِ فَيَنْتَصِبُونَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْكَافِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِمَنْ  
يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ فَتَغْدُو عَلَيْهِمْ وَتَرْوَحُ نِسْوَانُ الْمَدِينَةِ وَصِبْيَانُهَا وَكَثِيرٌ مِنْ ضُعَفَاءِ الْعُقُولِ  
يَسْتَكْشِفُونَ عَوَاقِبَ أُمُورِهِمْ فِي الْكَسْبِ وَالْجَاهِ وَالْمَعَاشِ وَالْمُعَاشَرَةِ وَالْعِدَاوَةِ وَأَمْثَالِ  
ذَلِكَ مَا بَيْنَ خَطِّ فِي الرَّمْلِ وَيُسَمُّونَهُ النُّجُومَ وَطَرِيقَ بِالْحَصِيِّ وَالْحُبُوبِ وَيُسَمُّونَهُ الْحَاسِبَ  
وَنَظَرَ فِي الْمَرَايَا وَالْمِيَاهِ وَيُسَمُّونَهُ ضَارِبَ الْمُنْدَلِ وَهُوَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الْفَاشِيَةِ فِي  
الْأَمْصَارِ مَا تَقَرَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ مِنْ ذَمٍّ ذَلِكَ وَإِنَّ الْبَشَرَ مُحْجُوبُونَ عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا مَنْ  
أَظْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ فِي نَوْمٍ أَوْ وَلَايَةٍ وَأَكْثَرُ مَا يَعْتَنِي بِذَلِكَ وَيَتَطَّلَعُ إِلَيْهِ الْأَمْرَاءُ  
وَالْمُلُوكُ فِي أَمَارِ دَوْلَتِهِمْ وَلِذَلِكَ أَنْصَرَفَتِ الْعِنَايَةُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ وَكُلُّ أُمَّةٍ مِنْ  
الْأَمَمِ يُوجَدُ لَهُمْ كَلَامٌ مِنْ كَاهِنٍ أَوْ مُنْجِمٍ أَوْ وَلِيٍّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ مُلْكٍ يَرْتَقِبُونَهُ أَوْ  
دَوْلَةٍ يُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا وَمَا يَحْدُثُ لَهُمْ مِنَ الْحَرْبِ وَالْمَلَاحِمِ وَمُدَّةِ بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَعَدَدِ  
الْمُلُوكِ فِيهَا وَالتَّعَرُّضِ لِأَمْنَائِهِمْ وَيُسَمَّى مِثْلُ ذَلِكَ الْحَدَّثَانِ وَكَانَ فِي الْعَرَبِ الْكُهَّانُ  
وَالْعَرَّافُونَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ أَخْبَرُوا بِمَا سَيَكُونُ لِلْعَرَبِ مِنَ الْمُلْكِ وَالْدَّوْلَةِ  
كَأَوْقَعِ لَشِقٍ وَسَطِيحٍ فِي تَاوِيلِ رُؤْيَا رَيْبَعَةَ بْنِ نَضْرٍ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ أَخْبَرَهُمْ بِمُلْكِ  
الْحَبَشَةِ بِأَدْنَاهُمْ ثُمَّ رَجُوعِهَا إِلَيْهِمْ ثُمَّ ظَهَرَ الْمُلْكُ وَالْدَّوْلَةُ لِلْعَرَبِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَكَذَا



تَأْوِيلُ سَطِيحٍ لِرُؤْيَا الْمُؤْبَدَانِ حَيْثُ بَعَثَ إِلَيْهِ كَسْرَى بِهَا مَعَ عَبْدِ الْمَسِيحِ وَأَخْبَرَهُمْ  
بِظُهُورِ دَوْلَةِ الْعَرَبِ وَكَذَا كَانَ فِي جِيلِ الْبَرِّ كَهَانَ مِنْ أَشْهَرِهِمْ مُوسَى بْنُ صَالِحٍ مِنْ  
بَنِي يَفْرَنْ وَيُقَالُ مِنْ غَمْرَةٍ لَهُ كَلِمَاتٌ حَدَّثَانِيَّةٌ عَلَى طَرِيقَةِ الشَّعْرِ بِرِطَانَتِهِمْ وَفِيهَا حَدَّثَانُ  
كَثِيرٌ وَمُعْظَمُهُ فَمَا يَكُونُ لِرِزْنَانَةٍ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْدَوْلَةِ بِالْمَغْرِبِ وَهِيَ مَتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ  
أَهْلِ الْجِيلِ وَهُمْ يَزْعُمُونَ نَارَةً أَنَّهُ وَلِيٌّ وَنَارَةً أَنَّهُ كَاهِنٌ وَقَدْ يَزْعُمُ بَعْضُ مَزَاعِمِهِمْ أَنَّهُ  
كَانَ نَبِيًّا لِأَنَّ تَارِيخَهُ عِنْدَهُمْ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِكَثِيرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ يَسْتَنِدُ الْجِيلُ إِلَى  
خَبَرِ الْأَنْبِيَاءِ إِنْ كَانَ لِعَهْدِهِمْ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّ أَنْبِيَاءَهُمُ الْمُتَعَاقِبِينَ فِيهِمْ  
كَانُوا يُخْبِرُونَهُمْ بِمِثْلِهِ عِنْدَمَا يَعْنُونَهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنْهُ وَأَمَّا فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَوَقَعَ  
مِنْهُ كَثِيرٌ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى بَقَاءِ الدُّنْيَا وَمُدَّتِهَا عَلَى الْعُمُومِ وَفِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الدَّوْلَةِ وَأَعْمَارِهَا  
عَلَى الْخُصُوصِ وَكَانَ الْمُعْتَمِدُ فِي ذَلِكَ فِي مَنْ صَدَرَ الْإِسْلَامُ لِأَثَارِ مَنْقُولَةٍ عَنِ الصَّحَابَةِ  
وْخُصُوصًا مَسْلَمَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ كُتُبِ الْأَحْبَارِ وَوَهَبِ بْنِ مُنْبِهٍ وَأَمْثَالِهِمَا وَرُبَّمَا  
أَقْتَبَسُوا بَعْضُ ذَلِكَ مِنْ ظَوَاهِرِ مَا تُورِثُهُ وَتَأْوِيلَاتِ مُحْتَمَلَةٍ وَوَقَعَ لَجَعْفَرٍ وَأَمْثَالِهِ مِنْ أَهْلِ  
الْبَيْتِ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ مُسْتَنَدُهُمْ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْكَشْفُ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْوَلَايَةِ وَإِذَا  
كَانَ مِثْلُهُ لَا يُنْكَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي ذَوِيهِمْ وَأَعْقَابِهِمْ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ فِيكُمْ مُحَدِّثِينَ فَهُمْ أَوَّلَى النَّاسِ بِهِذِهِ الرُّتَبِ الشَّرِيفَةِ وَالْكَرَامَاتِ  
الْمَوْهُوبَةِ وَأَمَّا بَعْدَ صَدْرِ الدِّلَّةِ وَحَيْثُ عَلِقَ النَّاسُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ  
وَتُرْجِمَتِ كُتُبُ الْحُكَمَاءِ إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَأَكْثَرُ مُعْتَمِدِهِمْ فِي ذَلِكَ كَلَامُ  
الْمُنْجِمِينَ فِي الْمُلُوكِ وَالْأَدْوَلِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِنَ الْقِرَائِنَاتِ وَفِي الْمَوَالِيدِ وَالْمَسَائِلِ  
وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ مِنَ الطَّوَالِعِ لَهَا وَهِيَ شَكْلُ الْفَلَكَ عِنْدَ حَدُوثِهَا فَلَمَّا كُرِيَ الْآنَ  
مَا وَقَعَ لِأَهْلِ الْأَثَرِ فِي ذَلِكَ ثُمَّ تَرَجَّعُ إِلَى كَلَامِ الْمُنْجِمِينَ أَمَّا أَهْلُ الْأَثَرِ فَلَهُمْ فِي  
مُدَّةِ الْمَلَلِ وَبَقَاءِ الدُّنْيَا عَلَى مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ السُّهَيْلِيِّ فَإِنَّهُ نُقِلَ عَنِ الطَّبْرِيِّ مَا  
يَقْتَضِي أَنَّ مُدَّةَ بَقَاءِ الدُّنْيَا مِنْذُ الْعِلَةِ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ وَنُقِضَ ذَلِكَ بِظُهُورِ كَذِبِهِ وَمُسْتَنَدُ  
الطَّبْرِيِّ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ نُقِلَ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّ الدُّنْيَا جُمُعَةٌ مِنْ جُمُعِ الْآخِرَةِ وَلَمْ يَذْكُرْ  
لِذَلِكَ دَلِيلًا وَسِرُّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ تَقْدِيرُ الدُّنْيَا بِأَيَّامِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهِيَ سَبْعَةٌ  
ثُمَّ الْيَوْمُ بِأَلْفِ سَنَةٍ لِقَوْلِهِ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ وَقَدْ ثَبَتَ فِي

الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ  
 مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ وَقَالَ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ  
 وَالْوُسْطَى وَقَدَّرَ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ حِينَ صَيْرُورَةِ ظِلِّ كُلِّ شَيْءٍ  
 مِثْلِيهِ يَكُونُ عَلَى التَّقْرِيبِ نِصْفَ سَبْعٍ وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْوُسْطَى عَلَى السَّبَابَةِ فَشَكُونُ هَذِهِ  
 الْمُدَّةُ نِصْفَ سَبْعٍ الْجُمُعَةُ كُلُّهَا وَهُوَ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ أَنْ يُؤَخِّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ نِصْفَ يَوْمٍ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا قَبْلَ الْمِلَّةِ  
 خَمْسَةُ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهٍ أَنَّهَا خَمْسَةُ آلَافٍ وَسِتِّمِائَةِ سَنَةٍ أَغْنَى  
 الْمَاضِي وَعَنْ كَعْبٍ أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا كُلُّهَا سِتَّةُ آلَافٍ سَنَةٍ قَالَ السُّهَيْلِيُّ وَابْنُ فِي الْحَدِيثَيْنِ  
 مَا يَشْهَدُ لشيءٍ مِمَّا ذَكَرَهُ مَعَ وَقُوعِ الْوُجُودِ بِخِلَافِهِ فَأَمَّا قَوْلُهُ لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ أَنْ  
 يُؤَخِّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ نِصْفَ يَوْمٍ فَلَا يَقْتَضِي نَقْيَ الزِّيَادَةِ عَلَى النِّصْفِ وَأَمَّا قَوْلُهُ بُعِثْتُ  
 أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ فَأَنَّمَا فِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْقُرْبِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعَةِ نَبِيٌّ غَيْرُهُ  
 وَلَا شَرْعٌ غَيْرُ شَرْعِهِ ثُمَّ رَجَعَ السُّهَيْلِيُّ إِلَى تَعْيِينِ أَمَدِ الْمِلَّةِ مِنْ مَدْرَكِ آخِرِ لَوْ سَاعِدَهُ  
 التَّحْقِيقُ وَهُوَ أَنَّهُ جَمَعَ الْحُرُوفَ الْمُقْطَعَةَ فِي أَوَائِلِ السُّورِ بَعْدَ حَذْفِ الْمُكَرَّرِ قَالَ  
 وَهِيَ أَرْبَعَةُ عَشَرَ حَرْفًا يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ ( اَلَمْ يَسْطَعِ نَصْحَ حَقِّ كَرِهٍ ) فَأَخَذَ عَدَدَهَا بِحِسَابِ  
 الْجُمْلِ فَكَانَ سَبْعِمِائَةً وَثَلَاثَةً <sup>(١)</sup> أَضَافَهُ إِلَى الْمُنْقَضِي مِنَ آلَافِ الْآخِرِ قَبْلَ بَعْثِهِ  
 فَهَذِهِ هِيَ مُدَّةُ الْمِلَّةِ قَالَ وَلَا يَبْعُدُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَفَوَائِدِهَا  
 قُلْتُ وَكَوْنُهُ لَا يَبْعُدُ لَا يَقْتَضِي ظُهُورَهُ وَلَا التَّعْوِيلَ عَلَيْهِ وَالَّذِي حَمَلَ السُّهَيْلِيُّ عَلَى ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هُوَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ السَّيْرِ لِابْنِ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِ ابْنِي أَخْطَبَ مِنْ أَخْبَارِ الْيَهُودِ  
 وَهُمَا أَبُو يَاسِرَ وَأَخُوهُ حَيٌّ حِينَ سَمِعَا مِنَ الْأَحْرَفِ الْمُقْطَعَةِ اَلَمْ وَتَأَوَّلَاهَا عَلَى بَيَانِ  
 الْمُدَّةِ بِهَذَا الْحِسَابِ فَبَلَغَتْ إِحْدَى وَسَبْعِينَ فَاسْتَقْلَا الْمُدَّةَ وَجَاءَ حَيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ فَقَالَ الْمَصُّ ثُمَّ اسْتَزَادَ الرَّثْمُ ثُمَّ اسْتَزَادَ الْمَرْ فَكَانَتْ  
 إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَاسْتَطَالَ الْمُدَّةَ وَقَالَ قَدْ لَبِسَ عَلَيْنَا أَمْرُكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى  
 لَا نَدْرِي أَقَلِيلًا أَعْطَيْتَ أَمْ كَثِيرًا ثُمَّ ذَهَبُوا عَنْهُ وَقَالَ لَهُمْ أَبُو يَاسِرَ مَا يُدْرِيكُمْ  
 لَعَلَّهُ أَعْطَى عَدَدَهَا كُلُّهَا تِسْعِمِائَةً وَأَرْبَعَ سِنِينَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى مِنْهُ

١ هذا العدد غير مطابق كما ان المترجم التركي لم يطابق في قوله ٩٣٠ وإنما المطابق للحروف المذكورة ٦٩٣



آيات محكمة هن أم الكتاب وأخر متشابهات اه. ولا يقوم من القصة دليل على  
 تقدير اللمة بهذا العدد لأن دالة هذه الحروف على تلك الأعداد ليست طبيعية ولا  
 عقلية وإنما هي بالتواضع والأصطلاح الذي يسمونه حساب الجمل نعم إنه قديم  
 مشهور وقدم الأصطلاح لا يصير حجة وليس أبو يامير وأخوه حتى ممن يؤخذ رأيه  
 في ذلك دليلاً ولا من علماء اليهود لأنهم كانوا بادية بالحجاز غفلاً عن الصنائع  
 والعلوم حتى عن علم شريعتهم وفقه كتابهم ومثلهم وإنما يتفقون مثل هذا الحساب  
 كما تتلقفه العوام في كل ملة فلا ينهض السهيلي دليل على ما ادعاه من ذلك ووقع  
 في اللمة في حدثان دولتها على الخصوص مسند من الأثر إجمالي في حديث خرجه  
 أبو داود عن حذيفة بن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهبي عن سعيد  
 ابن أبي مرزيم عن عبد الله بن فروخ عن أسامة بن زيد اللبني عن أبي قبيصة بن  
 ذؤيب عن أبيه قال قال حذيفة بن اليمان والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه  
 والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فئة إلى أن تنقضي الدنيا لا يبلغ من  
 معه ثلثمائة فصاعداً إلا قد سماه باسمه وأسم أبيه وقبيلته وسكت عليه أبو داود وقد  
 تقدم أنه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه فهو صالح وهذا الحديث إذا كان  
 صحيحاً فهو مجمل ويفتقر في بيان إجماله وتعيين مبهماته إلى آثار أخرى يجرود  
 أسانيدها وقد وقع إسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير هذا الوجه فوقع  
 في الصحيحين من حديث حذيفة أيضاً قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً  
 فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا جئت عنه حفظه من حفظه ونسبه  
 من نسبه قد علمه أصحابه هؤلاء اه. ولفظ البخاري ما ترك شيئاً إلى قيام الساعة إلا  
 ذكره وفي كتاب الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال صلى بنا رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم يوماً صلاة العصر بنهار ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة  
 إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسبه من نسبه اه. وهذه الأحاديث كلها معمولة على ما  
 ثبت في الصحيحين من أحاديث الفتن والاشتراط لا غير لأنه المعهود من الشارع صلوات  
 الله وسلامه عليه في أمثال هذه الأمور وهذه الزيادة التي تورد بها أبو داود في  
 هذه الطريق شاذة منكورة مع أن الأئمة اختلفوا في رجاله فقال ابن أبي مرزيم في

ابْنِ فَرُوحٍ أَحَادِيثُهُ مَنَّا كَثِيرٌ وَقَالَ الْبُخَارِيُّ يُعَرِّفُ مِنْهُ وَيُنْكِرُ وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ  
 أَحَادِيثُهُ غَيْرُ مَحْفُوظَةٍ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ فِي الصَّحِيحِينَ وَوَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ  
 فَإِنَّمَا خَرَجَ لَهُ الْبُخَارِيُّ اسْتِشْهَادًا وَضَعْفَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ ابْنُ  
 حَاتِمٍ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ وَأَبُو قَبِيصَةَ ابْنُ ذُؤَيْبٍ يَجْهَلُ فَتَضَعُفُ هَذِهِ الزِّيَادَةُ  
 الَّتِي وَقَعَتْ لِأَبِي دَاوُدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ مَعَ شَذُوذِهَا كَمَا مَرَّ . وَقَدْ  
 يَسْتَنِدُونَ فِي حَدَّثَانِ الدُّوَلِ عَلَى الْخُصُوصِ إِلَى كِتَابِ الْجَعْفَرِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ فِيهِ عِلْمَ ذَلِكَ  
 كُلِّهِ مِنْ طَرِيقِ الْأَثَارِ وَالنُّجُومِ لَا يَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَعْرِفُونَ أَصْلَ ذَلِكَ وَلَا  
 مُسْتَنَدَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ كِتَابَ الْجَعْفَرِ كَانَ أَصْلُهُ أَنَّ هَارُونَ بْنَ سَعِيدٍ الْعَجَلِيَّ وَهُوَ رَأْسُ  
 الزِّيَادَةِ كَانَ لَهُ كِتَابٌ يَرْوِيهِ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَفِيهِ عِلْمٌ مَا سَيَقَعُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَى  
 الْعُمُومِ وَبَعْضُ الْأَشْخَاصِ مِنْهُمْ عَلَى الْخُصُوصِ وَقَعَ ذَلِكَ لَجَعْفَرٍ وَنَظَائِرِهِ مِنْ رِجَالِهِمْ  
 عَلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ وَالْمُكْشَفِ الَّذِي يَقَعُ لِمِثْلِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَكَانَ مَكْتُوبًا عِنْدَ  
 جَعْفَرٍ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ صَغِيرٍ فَرَوَاهُ عَنْهُ هَارُونَ الْعَجَلِيُّ وَكَتَبَهُ وَسَمَاهُ الْجَعْفَرُ بِاسْمِ الْجِلْدِ  
 الَّذِي كُتِبَ فِيهِ لِأَنَّ الْجَعْفَرَ فِي اللُّغَةِ هُوَ الصَّغِيرُ وَصَارَ هَذَا الْإِسْمُ عَلَمًا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ  
 عِنْدَهُمْ وَكَانَ فِيهِ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ وَمَا فِي بَاطِنِهِ مِنْ غَرَائِبِ الْمَعَانِي مَرْوِيَةٌ عَنْ جَعْفَرٍ  
 الصَّادِقِ وَهَذَا الْكِتَابُ لَمْ يَنْتَهِ رِوَايَتُهُ وَلَا عُرِفَ عَيْنُهُ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ مِنْهُ شَوَازٌ مِنْ  
 الْكَلِمَاتِ لَا يَضْحِكُهَا دَلِيلٌ وَلَوْ صَحَّ السَّنَدُ إِلَى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ لَكَانَ فِيهِ نِعَمُ الْمُسْتَنَدِ  
 مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ رِجَالٍ قَوْمِهِ فَبِهِمْ أَهْلُ الْكِرَامَاتِ وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُحَذِّرُ بَعْضَ  
 قَرَابَتِهِ بِوَقَائِعٍ تَكُونُ لَهُمْ فَتَصِحُّ كَمَا يَقُولُ وَقَدْ حَذَّرَ يَحْيَى ابْنُ عَمِّهِ زَيْدٌ مِنْ مَضَرَعِهِ  
 وَعَصَاهُ فُخْرَجَ وَقُتِلَ بِالْجُوزْجَانِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِذَا كَانَتِ الْكِرَامَةُ تَقَعُ لِغَيْرِهِمْ  
 فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ عِلْمًا وَدِينًا وَآثَارًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَعِنَايَةٍ مِنَ اللَّهِ بِالْأَصْلِ الْكَرِيمِ تَشْهَدُ  
 لِفُرُوعِهِ الطَّيِّبَةِ وَقَدْ يُنْقَلُ بَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ غَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَى  
 أَحَدٍ وَفِي أَخْبَارِ دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ كَثِيرٌ مِنْهُ وَأَنْظُرْ مَا حَكَاهُ ابْنُ الرَّقِيقِ فِي إِقَاءِ أَبِي  
 عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ لِعَبِيدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ مَعَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ وَمَا حَدَّثَاهُ بِهِ وَكَيْفَ  
 بَعَثَاهُ إِلَى ابْنِ حَوْشَبٍ دَاعِيَتِهِمْ بِالْيَمَنِ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَبَثَّ الدَّعْوَةَ  
 فِيهِ عَلَى عِلْمٍ لِقَنَّهُ أَنَّ دَعْوَتَهُ تَتِمُّ هُنَاكَ وَأَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ لَمَّا بَنَى الْمَهْدِيَّةَ بَعْدَ اسْتِفْهَالِ



دَوْلَتِهِمْ بِأَفْرِيقِيَّةَ قَالَ بَنِيَتْهَا لِيَعْتَصِمَ بِهَا الْقَوَاطِمُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَرَاهُمْ مَوْقِفَ صَاحِبِ  
 الْحِمَارِ أَبِي يَزِيدَ بِالْهَدِيَّةِ وَكَانَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَهَيِّ مَوْقِفِهِ حَتَّى جَاءَهُ الْخَبَرُ بِبُلُوغِهِ إِلَى  
 الْمَكَانِ الَّذِي عِنْدَهُ جَدُّهُ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهُ فَأَيَقَنَ بِالظَّفَرِ وَبَرَزَ مِنَ الْبَلَدِ فَهَزَمَهُ وَاتَّبَعَهُ  
 إِلَى نَاحِيَةِ الزَّابِ فَظَفَرَ بِهِ وَقَتْلَهُ وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ كَثِيرَةٌ. وَأَمَّا الْمُنَجِّمُونَ فَيَسْتَنْدُونَ  
 فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ إِلَى الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ أَمَّا فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِثْلِ الْمُلْكِ وَالْدُّوَلِ  
 فَمِنْ الْقِرَانَاتِ وَخُصُوصًا بَيْنَ الْعَلَوِيِّينَ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَلَوِيِّينَ زُحَلُ وَالْمُشْتَرِي يَقْتَرِنَانِ فِي  
 كُلِّ عَشْرِينَ سَنَةً مَرَّةً ثُمَّ يَعُودُ الْقِرَانُ إِلَى بُرْجِ آخَرٍ فِي تِلْكَ الْمِثْلَةِ مِنْ التَّثْلِيثِ  
 الْأَيْمَنِ ثُمَّ بَعْدَهُ إِلَى آخَرٍ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي الْمِثْلَةِ الْوَاحِدَةِ ثِنْتِي عَشْرَةَ  
 مَرَّةً تَسْتَوِي بِرُوحَةِ الثَّلَاثَةِ فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ فَيَسْتَوِي بِهَا فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ  
 ثَالِثَةً ثُمَّ رَابِعَةً فَيَسْتَوِي فِي الْمِثْلَةِ ثِنْتِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَأَرْبَعُ عَوْدَاتٍ فِي مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ  
 سَنَةً وَيَكُونُ انْتِقَالُهُ فِي كُلِّ بُرْجٍ عَلَى التَّثْلِيثِ الْأَيْمَنِ وَيَنْتَقِلُ مِنَ الْمِثْلَةِ إِلَى الْمِثْلَةِ  
 الَّتِي تَلِيهَا أَعْنِي الْبُرْجَ الَّذِي يَلِي الْبُرْجَ الْآخِرَ مِنَ الْقِرَانِ الَّذِي قَبْلَهُ فِي الْمِثْلَةِ وَهَذَا  
 الْقِرَانُ الَّذِي هُوَ قِرَانُ الْعَلَوِيِّينَ يَنْقَسِمُ إِلَى كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَوَسْطٍ فَالْكَبِيرُ هُوَ اجْتِمَاعُ  
 الْعَلَوِيِّينَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَلَكَ إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا بَعْدَ تِسْعِمَائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً مَرَّةً  
 وَاحِدَةً وَالْوَسْطُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعَلَوِيِّينَ فِي كُلِّ مِثْلَةٍ اثْنَتِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَبَعْدَ مِثْلَتَيْنِ  
 وَأَرْبَعِينَ سَنَةً يَنْتَقِلُ إِلَى مِثْلَةٍ أُخْرَى وَالصَّغِيرُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعَلَوِيِّينَ فِي دَرَجَةِ بُرْجٍ  
 وَبَعْدَ عَشْرِينَ سَنَةً يَقْتَرِنَانِ فِي بُرْجٍ آخَرَ عَلَى ثَلَاثِيهِ الْأَيْمَنِ فِي مِثْلِ دَرَجَةٍ أَوْ دَقَائِقِهِ  
 مِثَالُ ذَلِكَ وَقَعَ الْقِرَانُ يَكُونُ أَوَّلَ دَقِيقَةٍ مِنَ الْحَمَلِ وَبَعْدَ عَشْرِينَ يَكُونُ فِي أَوَّلِ دَقِيقَةٍ مِنَ  
 الْأَسَدِ وَهَذِهِ كُلُّهَا نَارِيَّةٌ وَهَذَا كُلُّهُ قِرَانٌ صَغِيرٌ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَوَّلِ الْحَمَلِ بَعْدَ سِتِّينَ  
 سَنَةً وَيُسَمَّى دَوْرَ الْقِرَانِ وَعَوْدَ الْقِرَانِ وَبَعْدَ مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ يَنْتَقِلُ مِنَ النَّارِيَّةِ إِلَى  
 التَّرَابِيَّةِ لِأَنَّهَا بَعْدَهَا وَهَذَا قِرَانٌ وَسْطٌ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْهَوَائِيَّةِ ثُمَّ الْمَائِيَّةِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى  
 أَوَّلِ الْحَمَلِ فِي تِسْعِمَائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَهُوَ الْكَبِيرُ وَالْقِرَانُ الْكَبِيرُ يَدُلُّ عَلَى عِظَامِ  
 الْأُمُورِ مِثْلَ تَغْيِيرِ الْمُلْكِ وَالْدُّوَلَةِ وَانْتِقَالِ الْمُلْكِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ وَالْوَسْطُ عَلَى ظُهُورِ  
 الْمُتَغَلِّبِينَ وَالطَّالِبِينَ لِلْمُلْكِ وَالصَّغِيرُ عَلَى ظُهُورِ الْخَوَارِجِ وَاللُّعَاةِ وَخَرَابِ الْمُدُنِ أَوْ  
 عُمَرَانِهَا وَيَقَعُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْقِرَانَاتِ قِرَانُ التَّحْسِينِ فِي بُرْجِ السَّرَطَانِ فِي كُلِّ ثَلَاثِينَ

سَنَةً مَرَّةً وَيُسَمَّى الرَّابِعَ وَيُزَجُّ السَّرَطَانُ هُوَ طَالِعُ الْعَالَمِ وَفِيهِ وَبَالُ زُحَلٍ وَهَبُوطُ  
الْمَرِيخِ فَتَعْظُمُ دَلَالَةُ هَذَا الْقِرَانِ فِي الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ وَظُهُورُ الْخَوَارِجِ  
وَحَرَكَةُ الْعَسَاكِرِ وَعِصْيَانُ الْجُنْدِ وَالْوَبَاءُ وَالْقَحْطُ وَيَدُومُ ذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي عَلَى قَدَرِ  
السَّعَادَةِ وَالنُّحُوسَةِ فِي وَقْتِ قِرَانِهِمَا عَلَى قَدَرِ تَبْسِيرِ الدَّلِيلِ فِيهِ قَالَ جِرَاسُ بْنُ أَحْمَدَ  
الْحَاسِبِيُّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَلْفَهُ لِنِظَامِ الْمَلِكِ وَرَجُوعِ الْمَرِيخِ إِلَى الْعَقَرِبِ لَهُ أَثَرٌ  
عَظِيمٌ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِأَنَّهُ كَانَ دَلِيلًا فَالْمَوْلِدُ النَّبَوِيُّ كَانَ عِنْدَ قِرَانِ الْعَلَوِيِّينَ  
يُزَجُّ الْعَقَرِبُ فَلَمَّا رَجَعَ هُنَاكَ حَدَثَ التَّشْوِيشُ عَلَى الْخُلَفَاءِ وَكَثُرَ الْمَرَضُ فِي أَهْلِ  
الْعِلْمِ وَالِدِّينَ وَنَقَصَتْ أَحْوَالُهُمْ وَرُبَّمَا انْهَدَمَ بَعْضُ بُيُوتِ الْعِبَادَةِ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ  
عِنْدَ قَتْلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَرَّوَانٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَالْمُتَوَكِّلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ فَإِذَا  
رُوعِيَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ مَعَ أَحْكَامِ الْقِرَانَاتِ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْأَحْكَامِ وَذَكَرَ شَاذَانُ  
الْبَلْخِيُّ أَنَّ الْمِلَّةَ تَنْتَهِي إِلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ وَقَدْ ظَهَرَ كَذِبُ هَذَا الْقَوْلِ وَقَالَ  
أَبُو مَعْشَرٍ يَظْهَرُ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْهَا اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ وَقَالَ خِرَاشُ  
رَأَيْتُ فِي كُتُبِ الْقَدَمَاءِ أَنَّ الْمُتَجَمِّعِينَ أَخْبَرُوا كِسْرَى عَنْ مَلِكِ الْعَرَبِ وَظُهُورِ النُّبُوَّةِ  
فِيهِمْ وَأَنَّ دَلِيلَهُمُ الزُّهْرَةُ وَكَانَتْ فِي شَرْفِهَا فَيَبْقَى الْمَلِكُ فِيهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَقَالَ  
أَبُو مَعْشَرٍ فِي كِتَابِ الْقِرَانَاتِ الْقِسْمَةُ إِذَا انْتَبَتِ إِلَى السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْحُوتِ فِيهَا  
شَرْفُ الزُّهْرَةِ وَوَقَعَ الْقِرَانُ مَعَ ذَلِكَ يُزَجُّ الْعَقَرِبُ وَهُوَ دَلِيلُ الْعَرَبِ ظَهَرَتْ حِينَئِذٍ  
دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَكَانَ مِنْهُمْ نَبِيٌّ وَيَكُونُ قُوَّةُ مَلِكِهِ وَمُدَّتُهُ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ دَرَجَاتِ شَرْفِ  
الزُّهْرَةِ وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً بِتَقَرُّبٍ مِنْ بُرْجِ الْحُوتِ وَمُدَّةُ ذَلِكَ سِتِّمِائَةٍ وَعِشْرُ  
سِنِينَ وَكَانَ ظُهُورُ أَبِي مُسْلِمٍ عِنْدَ انْتِقَالِ الزُّهْرَةِ وَوُقُوعِ الْقِسْمَةِ أَوَّلَ الْحَمَلِ وَصَاحِبُ  
الْجَدِّ الْمُشْتَرِي وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ إِنَّ مُدَّةَ الْمِلَّةِ تَنْتَهِي إِلَى سِتِّمِائَةٍ  
وِثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً قَالَ لِأَنَّ الزُّهْرَةَ كَانَتْ عِنْدَ قِرَانِ الْمِلَّةِ فِي ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً  
وِثَلَاثِينَ دَقِيقَةً مِنَ الْحُوتِ فَالْبَاقِي إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً وَثَمَانٍ عَشْرَةَ دَقِيقَةً وَدَقَائِقُهَا  
سِتُونَ فَيَكُونُ سِتِّمِائَةً وَثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً قَالَ وَهَذِهِ مُدَّةُ الْمِلَّةِ بِاتِّفَاقِ الْحُكَمَاءِ  
وَبَعْضُهُ الْحُرُوفُ الْوَاقِعَةُ فِي أَوَّلِ السُّورِ بِحَذْفِ الْمُكَرَّرِ وَاعْتِبَارِهِ بِحِسَابِ الْجَمَلِ  
قُلْتُ وَهَذَا هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّهْلِيُّ وَالْغَالِبُ أَنَّ الْأَوَّلَ هُوَ مُسْتَنَدُ السُّهْلِيِّ فِيمَا نَقَلْنَاهُ



عَنْهُ قَالَ خِرَاشُ سَأَلَ هَرْمُزُ إِفْرِيدَ الْحَكِيمِ عَنْ مُدَّةِ أَرْدَشِيرَ وَوَلَدِهِ مُلُوكِ السَّاسَانِيَّةِ  
فَقَالَ دَلِيلُ مُلْكِهِ الْمُشْتَرِي وَكَانَ فِي شَرَفِهِ فَيُعْطَى أَطْوَلُ السِّنِينَ وَأَجُودَهَا أَرْبَعُمِائَةٍ  
وَسَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ تَزِيدُ الزُّهْرَةُ وَتَكُونُ فِي شَرَفِهَا وَهِيَ دَلِيلُ الْعَرَبِ فَيَمْلِكُونَ  
لِأَنَّ طَالِعَ الْقِرَانِ الْمِيزَانَ وَصَاحِبِ الزُّهْرَةِ وَكَانَتْ عِنْدَ الْقِرَانِ فِي شَرَفِهَا فَدَلَّ أَنَّهُمْ  
يَمْلِكُونَ أَلْفَ سَنَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَسَأَلَ كِسْرَى أُنُوشِرْوَانَ وَزِيرَهُ بَزَرَ جَمَهَرَ الْحَكِيمِ  
عَنْ خُرُوجِ الْمَلِكِ مِنْ فَارِسَ إِلَى الْعَرَبِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْقَائِمَ مِنْهُمْ يُوَلِّدُ لِحَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ  
مِنْ دَوْلَتِهِ وَيَمْلِكُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ وَالْمُشْتَرِي يَغُوصُ إِلَى الزُّهْرَةِ وَيَتَّقِلُ الْقِرَانُ  
مِنْ الْمَوَائِجَةِ إِلَى الْعَقَرِ وَهُوَ مَائِي وَهُوَ دَلِيلُ الْعَرَبِ فَهَذِهِ الْأَدْلَةُ تُقْضِي لِلْمِلَّةِ بِمُدَّةِ  
دَوْرِ الزُّهْرَةِ وَهِيَ أَلْفٌ وَسِتُّونَ سَنَةً وَسَأَلَ كِسْرَى أَبْرُويزُ الْيُوسَ الْحَكِيمِ عَنْ ذَلِكَ  
فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِ بَزَرَ جَمَهَرَ وَقَالَ تُوْفِيلُ الرُّومِيُّ الْمُنْجِمُ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ إِنَّ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ  
تَبْقَى مُدَّةَ الْقِرَانِ الْكَبِيرِ تِسْعِمِائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً فَإِذَا عَادَ الْقِرَانُ إِلَى بُرْجِ الْعَقَرِ  
كَمَا كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْمِلَّةِ وَتَغَيَّرَ وَضْعُ الْكُوكِبِ عَنْ هَيْئَتِهَا فِي قِرَانِ الْمِلَّةِ فَيُخْبِرُ  
إِمَّا أَنْ يَفْتَرِ الْعَمَلُ بِهِ أَوْ يَتَجَدَّدَ مِنَ الْأَحْكَامِ مَا يُوجِبُ خِلَافَ الظَّنِّ قَالَ خِرَاشُ  
وَأَتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ خَرَابَ الْعَالَمِ يَكُونُ بِأَسْبِلَاءِ الْمَاءِ وَالنَّارِ حَتَّى تَهْلِكَ سَائِرُ الْمُسْكُونَاتِ  
وَذَلِكَ عِنْدَ مَا يَقْطَعُ قَلْبُ الْأَسَدِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَهِيَ حَدُّ الْمَرْيَجِ وَذَلِكَ بَعْدَ  
مُضِيِّ تِسْعِمِائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَذَكَرَ خِرَاشُ أَنَّ مَلِكَ زَابِلَسْتَانَ بَعَثَ إِلَى الْمَأْمُونِ  
بِحَكِيمِهِ ذُو بَانَ اسْتَحْفَهُ بِهِ فِي هَدِيَّةٍ وَأَنَّهُ تَصَرَّفَ لِلْمَأْمُونِ فِي الْأَخْتِيَارَاتِ بِمُجْرُوبٍ أَخِيهِ  
وَبِعَقْدِ اللِّوَاءِ لِطَاهِرٍ وَأَنَّ الْمَأْمُونِ أَعْظَمَ حِكْمَتَهُ فَسَأَلَهُ عَنْ مُدَّةِ مُلْكِهِمْ فَأَخْبَرَهُ  
بِاتِّقَاعِ الْمَلِكِ مِنْ عَقِبِهِ وَاتِّصَالِهِ فِي وَلَدِ أَخِيهِ وَأَنَّ الْعَجَمَ يَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْخِلَافَةِ مِنْ  
الدَّيْلَمِ فِي دَوْلَةِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَيَكُونُ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ ثُمَّ يَسُوهُ حَالَهُمْ ثُمَّ تَظْهَرُ التُّرْكُ مِنْ  
شِمَالِ الْمَشْرِقِ فَيَمْلِكُونَ إِلَى الشَّامِ وَالْفُرَاتِ وَسَيَحْمُونَ وَسَيَمْلِكُونَ بِلَادَ الرُّومِ وَيَكُونُ  
مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا فَقَالَ مِنْ كُتُبِ الْحُكَمَاءِ وَمِنْ أَحْكَامِ  
صَصَّةِ بْنِ دَاهِرِ الْهِنْدِيِّ الَّذِي وَضَعَ الشِّطْرَنْجَ قُلْتُ وَالتُّرْكُ الَّذِينَ أَسَارَ إِلَى ظُهُورِهِمْ  
بَعْدَ الدَّيْلَمِ هُمُ السُّجُوفِيَّةُ وَقَدْ انْقَضَتْ دَوْلَتُهُمْ أَوَّلَ الْقَرْنِ السَّابِعِ قَالَ خِرَاشُ وَاتَّقِلُ  
الْقِرَانِ إِلَى الْمُثَلَّةِ الْمَائِيَّةِ مِنْ بُرْجِ الْحُوتِ يَكُونُ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَثَلَاثِينَ وَثَمَانِمِائَةً

ليزدجرد وبعدها إلى برج العقرب حيث كان قرآن الملة سنة ثلاث وخمسين قال والذي  
 في الحوت هو أول الانتقال والذي في العقرب يستخرج منه دلائل الملة قال وتحويل  
 السنة الأولى من القرآن الأول في المثلثات المائية في ثاني رجب سنة ثمان وستين  
 وثمانمائة ولم يستوف الكلام على ذلك. وأما مستند المنجمين في دولة على الخصوص  
 فمن القرآن الأوسط وهيئة الفلك عند وقوعه لأن له دالة عندهم على حدوث الدولة  
 وجهاتها من العمران والقائمين بها من الأمم وعدد ملوكهم وأسمائهم وأعمارهم ونحلهم  
 وأديانهم وعوائدهم وحروبهم كما ذكر أبو معشر في كتابه في القرانات وقد توجد هذه  
 الدلالة من القرآن الأصغر إذا كان الأوسط دالا عليه فمن هذا يوجد الكلام في الدول  
 وقد كان يعقوب ابن إسحاق الكندي منجم الرشيد والمأمون وضع في القرانات الكائنة  
 في الملة كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب إلى جعفر الصادق وذكر  
 فيه فيما يقال حدثان دولة بني العباس وأنها نهايتهم وأشار إلى أنقراضها والحادثه على  
 بغداد أنها تقع في منتصف المائة السابعة وأنه باقراضها يكون أنقراض الملة ولم تقف  
 على شيء من خبر هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه وأعله غرق في كتبهم التي طرحتها  
 هلاك كوكب التبر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء وقد  
 وقع بالمغرب جزء منسوب إلى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير والظاهر أنه وضع ليبي  
 عبد المؤمن لذكر الأولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن  
 ذلك من حديثه وكذب ما بعده وكان في دولة بني العباس من بعد الكندي منجمون  
 وكتب في الحديثان وانظر ما نقله الطبري في أخبار المهدي عن أبي بديل من أصحاب  
 صنائع الدولة قال بعث إلي الربيع والحسن في غزائهما مع الرشيد أيام أبيه فبحثتهما  
 جوف الليل فإذا عندهما كتاب من كتب الدولة يعني الحديثان وإذا مدة المهدي فيه  
 عشر سنين فقلت هذا الكتاب لا يخفى على المهدي وقد مضى من دولته ما مضى فإذا  
 وقف عليه كنتم قد نعيتم إليه نفسه قالوا فما الحيلة فاستدعيت عبسة الوراق مولى  
 آل بديل وقلت له أنسخ هذه الورقة وأكتب مكان عشر أربعين ففعل فوالله لولا  
 أنني رأيت العشرة في تلك الورقة والأربعين في هذه ما كنت أشك أنها هي ثم كتب  
 الناس من بعد ذلك في حديثان الدول منظوماً ومثورا ورجزا ما شاء الله أن يكتبوه



وَبِأَيْدِي النَّاسِ مُتَّفَرِّقَةً كَثِيرٌ مِنْهَا وَتُسَمَّى الْمَلَا حِمَ وَبَعْضُهَا فِي حَدِّ ثَانِ الْمِلَّةِ عَلَى الْعُمُومِ  
وَبَعْضُهَا فِي دَوْلَةٍ عَلَى الْخُصُوصِ وَكُلُّهَا مَنَسُوبَةٌ إِلَى مَشَاهِيرَ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ وَإِسَ مِنْهَا أَصْلُ  
يُعْتَمَدُ عَلَى رَوَايَتِهِ عَنْ وَاضِعِهِ الْمَنَسُوبِ إِلَيْهِ فَمِنْ هَذِهِ الْمَلَا حِمِ بِالْمَغْرِبِ قَصِيدَةُ ابْنِ  
مُرَّانَةَ مِنْ بَجَرِ الطَّوِيلِ عَلَى رَوِيِّ الرِّاءِ وَهِيَ مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ النَّاسِ وَتَحْسِبُ الْعَامَّةُ أَنَّهَا مِنْ  
الْحَدِّ ثَانِ الْعَامِ فَيُطْلَقُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا عَلَى الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْ شُبُوحِنَا  
أَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِدَوْلَةٍ لِمَثُونَةٍ لِأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ قُبِيلَ دَوَاتِهِمْ وَذَكَرَ فِيهَا أَسْتِيْلَاءَهُمْ عَلَى  
سَبْتَةَ مِنْ يَدِ مَوَالِي بَنِي حَمُودٍ وَمُلْكِهِمْ لِعُدُوَّةِ الْأَنْدَلُسِ وَمِنْ الْمَلَا حِمِ يَدِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ  
أَيْضًا قَصِيدَةٌ تُسَمَّى التَّبَعِيَّةُ أَوَّلُهَا

طَرِبْتُ وَمَا ذَاكَ مِنِّي طَرِبَ وَقَدْ يَطْرِبُ الطَّائِرُ الْمُغْتَصَبُ  
وَمَا ذَاكَ مِنِّي لِلَّهِ أَرَاهُ وَلَكِنْ لَتَذَكَّرَ بَعْضُ السَّبَبِ  
قَرِيبًا مِنْ خَمْسِمِائَةٍ يَتَّى أَوَّلُهَا يُقَالُ ذَكَرَ فِيهَا كَثِيرًا مِنْ دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَأَشَارَ  
فِيهَا إِلَى الْفَاطِمِيِّ وَغَيْرِهِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ وَمِنْ الْمَلَا حِمِ بِالْمَغْرِبِ أَيْضًا مَلْعَبَةٌ  
مِنْ الشُّعْرِ الرَّجَلِيِّ مَنَسُوبَةٌ لِبَعْضِ الْيَهُودِ ذَكَرَ فِيهَا أَحْكَامَ الْقِرَآنَاتِ لِعَصْرِهِ الْعُلُوِّينِ  
وَالْحَسَنِينَ وَغَيْرَهَا وَذَكَرَ مِثْلَهُ قَتِيلًا بِفَاسَ وَكَانَ كَذَلِكَ فِيمَا زَعَمُوهُ وَأَوَّلُهُ  
فِي صَبْغِ ذَا الْأَزْرَقِ لَشَرَفِهِ خِيَارًا فَافْهَمُوا يَا قَوْمَ هَذِهِ الْإِشَارَا  
نَجْمُ زَحَلِ اخْبِرْ بِذِي الْعِلَامَا وَبَدَلُ الشُّكْلَا وَهِيَ سِلَامَا  
شَاشِيَّةُ زَرْقَا بَدَلُ الْعِلَامَا وَشَاشُ الْأَزْرَقِ بَدَلُ الْفَرَارَا  
يَقُولُ فِي آخِرِهِ

قَدْ تَمَّ ذَا التَّجْنِيسِ لِأَنَسَانِ يَهُودِي يَصْلُبُ فِي بِلْدَةِ فَاسَ فِي يَوْمِ عِيدِ  
حَتَّى يَجِيَهُ النَّاسُ مِنَ الْبُوَادِي وَفَتْلُهُ يَا قَوْمَ عَلَى الْفَرَادِ  
وَأَيَّانُهُ نَحْوُ الْخَمْسِمِائَةِ وَهِيَ فِي الْقِرَآنَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَمِنْ مَلَا حِمِ الْمَغْرِبِ  
أَيْضًا قَصِيدَةٌ مِنْ عَرُوضِ الْمُتَقَارِبِ عَلَى رَوِيِّ الْبَاءِ فِي حَدِّ ثَانِ دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصٍ  
بَتُونِسَ مِنَ الْمُوحِدِينَ مَنَسُوبَةٌ لِابْنِ الْأَبَارِ وَقَالَ لِي قَاضِي قُسْطَنْطِينِيَّةِ الْخَطِيبُ الْكَبِيرُ  
أَبُو عَلِيٍّ بْنُ بَادِيَسَ وَكَانَ بَصِيرًا بِمَا يَقُولُهُ وَلَهُ قَدَمٌ فِي التَّنْجِيمِ فَقَالَ لِي إِنَّ هَذَا ابْنُ الْأَبَارِ  
لَيْسَ هُوَ الْحَافِظُ الْأَنْدَلُسِيُّ الْكَاتِبُ مَقْتُولُ الْمُسْتَنْصِرِ وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ خِيَاطٌ مِنْ أَهْلِ

تُونِسَ نَوَاطَاتُ شُهْرَتُهُ مَعَ شُهْرَةِ الْحَافِظِ وَكَانَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يُنْشِدُ هَذِهِ  
الْأَيَّاتَ مِنْ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ وَبَقِيَ بَعْضُهَا فِي حِفْظِي مَطْلَعُهَا

عَذِيرِي مِنْ زَمَنِ قُلُوبٍ  
وَيَبْعَثُ مِنْ جَيْشِهِ قَائِدًا  
فَتَأْتِي إِلَى الشَّيْخِ أَخْبَارُهُ  
وَيُظْهِرُ مِنْ عَدْلِهِ سِيرَةً  
يَعْرِى بِبَارِقِهِ الْأَشْنَبِ  
وَيَبْقَى هُنَاكَ عَلَى رَقَبِ  
فَيُقْبِلُ كَالْجَمَلِ الْأَجْرَبِ  
وَتِلْكَ سِيَاسَةُ مُسْتَجَابِ

ومنها

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فَأَمَّا<sup>(١)</sup> رَأَيْتَ الرُّسُومَ أَمَحَّتْ وَلَمْ يُرْعَ حَقٌّ لِيْهِ مَنَصِبِ  
تُخَذُ فِي التَّرَحُّلِ عَنْ تُونِسَ وَوَدَّعَ مَعَالِمَهَا وَأَذْهَبَ  
فَسَوْفَ تَكُونُ بِهَا فَتْنَةً تُضِيفُ الْبَرِيءَ إِلَى الْمَذْنِبِ  
وَوَقَفْتُ بِالْمَغْرِبِ عَلَى مَلْحَمَةٍ أُخْرَى فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَنْصَلٍ هُوَ لَا بَتُونِسَ فِيهَا بَعْدَ  
السُّلْطَانِ أَبِي يَحْيَى الشَّهِيرِ عَاشِرِ مُلُوكِهِمْ ذِكْرُ مُحَمَّدٍ أَخِيهِ مِنْ بَعْدِهِ يَقُولُ فِيهَا  
وَبَعْدَ أَبِي عَبْدِ الْإِلَهِ شَقِيقُهُ وَيُعْرَفُ بِالْوَثَابِ فِي نُسْخَةِ الْأَصْلِ

إِلَّا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يَمْلِكْهَا بَعْدَ أَخِيهِ وَكَانَ يُمْنِي بِذَلِكَ نَفْسَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ وَهِيَ  
الْمَلَا حِمٍ فِي الْمَغْرِبِ أَيْضًا الْمَلْعَبَةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْهَوِثْنِيِّ عَلَى لُغَةِ الْعَامَّةِ فِي عَرُوضِ الْبَلَدِ

دعني بدمعي الهتان فترت الامطار ولم تفتر

واستقت كلها الويدان واني تملي وتغدر

وَهِيَ طَوِيلَةٌ وَمَحْفُوظَةٌ بَيْنَ عَامَةِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْغَالِبِ عَلَيْهَا الْوُضْعُ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ مِنْهَا قَوْلٌ إِلَّا عَلَى تَأْوِيلٍ مُعْرِفُهُ الْعَامَّةُ أَوِ الْحَارِفُ فِيهِ مَنْ يَتَحَلَّلُهَا مِنَ الْخَاصَّةِ وَوَقَّتْ بِالْمَشْرِقِ عَلَى مَلْحَمَةٍ مَنَسُوبَةٍ لِأَبْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَاتِمِيِّ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ شَبِهَ الْأَلْغَازَ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ لِيَحْلُلَهُ إِلَى أَوْفَاقٍ عَدَدِيَّةٍ وَرَمْوزٍ مَلْغُوزَةٍ وَأَشْكَالٍ حَيَوَانَاتٍ تَامَّةٍ وَرُؤُوسٍ مُقَطَّعَةٍ وَتَمَاثِيلَ مِنْ حَيَوَانَاتٍ غَرِيبَةٍ وَفِي آخِرِهَا قَصِيدَةٌ عَلَى رَوِيِّ اللَّامِ وَالْغَالِبِ أَنَّهَا كُلُّهَا غَيْرُ صَحِيحَةٍ لِأَنَّهَا لَمْ تَنْشَأْ عَنْ أَصْلِ عَلِيٍّ مِنْ نَجْمَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَسَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ هُنَاكَ

١ قوله فلما رايت اصله فان رايت زيدت ما وادغمت في ان الشرطية المحذوف نونها خطأ وفي نسخة فلما رايت والاولى هي الموجودة في النسخة التونسية ٥١٠٠ قاله نصر



مَلَا حِمٍّ أُخْرَى مَنَسُوبَةٌ لِأَبْنِ سِينَاءَ وَأَبْنِ عُقَابَ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا دَلِيلٌ عَلَى الصِّحَّةِ لِأَنَّ  
ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْقِرَآنَاتِ وَوَقَفْتُ بِالْمَشْرِقِ أَيْضًا عَلَى مَلْحَمَةٍ مِنْ حَدَّثَانِ دَوْلَةِ  
الْأَثَرِ مَنَسُوبَةٍ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ يُسَمَّى الْبَاجِرْبَقِيَّ وَكَلَّمَهَا الْغَزَّ بِالْحُرُوفِ أَوَّلَهَا

إِنْ شِئْتَ تَكْشِفُ سِرَّ الْجَفْرِ يَا سُوْلِي مِنْ عِلْمِ جَفْرِ وَصِيِّ وَالِدِ الْحَسَنِ  
فَأَنْفَهُمْ وَكُنْ وَاعِيًا حَرْفًا وَجُمْلَةً وَالْوَصْفَ فَأَنْفَهُمْ كِفْعَلِ الْحَازِقِ الْفَطْنِ  
أَمَّا الَّذِي قَبْلَ عَصْرِي لَسْتُ أَذْكُرُهُ لَكِنِّي أَذْكُرُ الْآتِي مِنَ الزَّمَنِ  
بِشَهْرِ بَيْبَرَسَ يَبْقَى بَعْدَ خَمْسَتِهَا بِحَاءٍ مِيمٍ بَطِيشٌ نَامٌ فِي الْكُنْ  
شَيْنٌ لَهُ أَنْزَلٌ مِنْ تَحْتِ سُرَّتِهِ لَهُ الْقَضَاءُ قَضَى أَيُّ ذَلِكَ الْمَنْزِ  
فَمِصْرُ وَالشَّامُ مَعَ أَرْضِ الْعِرَاقِ لَهُ وَأَذْرَبِجَانُ فِي مُلْكٍ إِلَى الْيَمَنِ  
وَأَيَّانَهَا كَثِيرَةٌ وَالْغَالِبُ أَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ وَمِثْلُ صِنْعَتِهَا كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ كَثِيرٌ

وَمَعْرُوفُ الْإِنْتِحَالِ

حَكَى الْمَوْزُونُ خُونَ لِأَخْبَارِ بَغْدَادَ أَنَّهُ كَانَ بِهَا أَيَّامَ الْمُقْتَدِرِ وَرَاقٌ ذِكْرِي يُعْرِفُ  
بِالدَّانِي بِلِ الْأَوْرَاقِ وَيَكْتُبُ فِيهَا بِخَطِّ عَتِيقٍ يَرْمُزُ فِيهِ بِحُرُوفٍ مِنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ  
الدَّوْلَةِ وَيُشِيرُ بِهَا إِلَى مَا يَعْرِفُ مِنْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ الرِّفْعَةِ وَالْجَاهِ كُلَّهَا مَلَا حِمٍّ وَيَحْصُلُ  
عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّهُ وَضَعَ فِي بَعْضِ دَفَاتِرِهِ مِيمًا مُكَرَّرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ  
وَجَاءَ بِهِ إِلَى مُفْلِحٍ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ فَقَالَ لَهُ هَذَا كِتَابَةٌ عَنْكَ وَهُوَ مُفْلِحٌ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ  
وَذَكَرَ عَنْهُ مَا يَرْضَاهُ وَيُنَالُهُ مِنَ الدَّوْلَةِ وَنَصَبَ لِذَلِكَ عَلَامَاتٍ يُمَوِّهُ بِهَا عَلَيْهِ فَبَدَّلَ لَهُ  
مَا أَغْنَاهُ بِهِ ثُمَّ وَضَعَهُ لِلْوَزِيرِ ابْنِ الْقَاسِمِ بْنِ وَهْبٍ عَلَى مُفْلِحٍ هَذَا وَكَانَ مَعْرُوفًا لِفَجَاءِهِ  
بِأَوْرَاقٍ مِثْلَهَا وَذَكَرَ اسْمَ الْوَزِيرِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَبِعَلَامَاتٍ ذَكَرَهَا وَأَنَّهُ يَلِي  
الْوِزَارَةَ لِلثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَتَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ عَلَى يَدَيْهِ وَيَقْهَرُ الْأَعْدَاءُ وَتَعْمُرُ الدُّنْيَا  
فِي أَيَّامِهِ وَأَوْقَفَ مُفْلِحًا هَذَا عَلَى الْأَوْرَاقِ وَذَكَرَ فِيهَا كَوَائِنَ أُخْرَى وَمَلَا حِمٍّ مِنْ هَذَا  
النَّوعِ مِيمًا وَقَعَ وَمِيمًا لَمْ يَقَعْ وَنَسَبَ جَمِيعَهُ إِلَى دَانَالٍ فَأَعْجَبَ بِهِ مُفْلِحٌ وَوَقَفَ عَلَيْهِ  
الْمُقْتَدِرُ وَأَهْتَدَى مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ وَالْعَلَامَاتِ إِلَى ابْنِ وَهْبٍ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لَوِزَارَتِهِ  
بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ الْعَرِيقَةِ فِي الْكُذِبِ وَالْجَهْلِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ  
الْمَلْحَمَةَ الَّتِي يَنْسِبُونَهَا إِلَى الْبَاجِرْبَقِيِّ مِنْ هَذَا النَّوعِ وَلَقَدْ سَأَلْتُ أَكْمَلَ الدِّينِ ابْنَ

شَيْخُ الْحَنْفِيَّةِ مِنَ الْعَجَمِ بِالْذِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَنْ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ وَعَنْ هَذَا الرَّجُلِ  
الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَهُوَ الْبَاجِرُ بَقِي وَكَانَ عَارِفًا بِطَرَائِقِهِمْ فَقَالَ كَانَ مِنْ  
الْقَلَنْدَرِيَّةِ الْمُبْتَدِعَةِ فِي حَاقِ اللَّحْيَةِ وَكَانَ يَتَحَدَّثُ عَمَّا يَكُونُ بِطَرِيقِ الْكَشْفِ وَيُؤَيِّ  
إِلَى رِجَالٍ مُعَيَّنِينَ عِنْدَهُ وَيُلَاحِظُ عَلَيْهِمْ بِحُرُوفٍ يُعَيِّنُهَا فِي خِمْنِهَا لِمَنْ يَرَاهُ مِنْهُمْ وَرُبَّمَا  
يُظْهِرُ نَظْمَ ذَلِكَ فِي أَتِيَاتٍ قَلِيلَةٍ كَانَ يَتَعَامَدُهَا فَتَنَوَّلَاتٍ عَنْهُ وَوَلَّحَ النَّاسُ بِهَا وَجَعَلُوهَا  
مَلْحَمَةً مَرْمُوزَةً وَزَادَ فِيهَا الْخُرَاصُونَ مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَشَغِلَ الْعَامَّةُ بِفِكَ  
رُمُوزِهَا وَهُوَ أَمْرٌ مُمْتَنِعٌ إِذَا الرَّمْزُ إِنَّمَا يَهْدِي إِلَى كَشْفِهِ قَانُونٌ يُعْرَفُ قَبْلَهُ وَيُوضَعُ  
لَهُ وَأَمَّا مِثْلُ هَذِهِ الْحُرُوفِ فَدِلَالَتُهَا عَلَى الْمُرَادِ مِنْهَا تَخْصُوصَةٌ بِهَذَا النَّظْمِ لَا يَتَجَاوِزُهُ  
فَرَأَيْتُ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ الْفَاضِلِ شَفَاءٌ لِمَا كَانَ فِي النَّفْسِ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ  
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ



## الفصل الرابع

### من الكتاب الاول

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال  
وفيه سوابق ولواحق

### الفصل الاول

في ان الدول من المدن والامصار وانما توجد ثمانية عن الملك  
وَيَبَيِّنُهُ أَنَّ الْبِنَاءَ وَاخْتِطَاطَ الْمَنَازِلِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَنَازِعِ الْحِضَارَةِ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا  
التَّرَفُّ وَاللَّذَّةُ كَمَا قَدْ تَنَاهَى ذَلِكَ مُتَأَخِّرًا عَنِ الْبِدَاوَةِ وَمَنَازِعِهَا وَأَيْضًا فَالْمَدَنُ وَالْأَمْصَارُ  
ذَاتُ هِيََا كُلِّ وَأَجْرَامٍ عَظِيمَةٍ وَبِنَاءٍ كَبِيرٍ وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلْعُمُومِ لَا لِلْخُصُوصِ فَتَحْتَاجُ  
إِلَى اجْتِمَاعِ الْأَيْدِي وَكَثْرَةِ التَّعَاوُنِ وَلَيْسَتْ مِنَ الْأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ لِلنَّاسِ الَّتِي تَعْمُ بِهَا  
الْبَلَاوَى حَتَّى يَكُونَ نُزُوعُهُمْ إِلَيْهَا أَضْطِرَارًا بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِكْرَاهِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَسَوْفِيهِمْ  
إِلَيْهِ مُضْطَهَدِينَ بِعَصَا الْمَلِكِ أَوْ مُرْغَبِينَ فِي الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ الَّذِي لَا يَنِي بِكَثْرَتِهِ إِلَّا



الْمَلِكُ وَالِدَوْلَةُ فَلَا بُدَّ فِي تَمْصِيرِ الْأَمْصَارِ وَأَخْطَاطِ الْمُدُنِ مِنَ الدَّوْلَةِ وَالْمَلِكِ ثُمَّ إِذَا  
 بُنِيَ الْمَدِينَةُ وَكُمِلَ تَشْيِيدُهَا بِحَسَبِ نَظَرٍ مِنْ شَيْدِهَا وَبِمَا اقْتَضَتْهُ الْأَحْوَالُ السَّمَاوِيَّةُ  
 وَالْأَرْضِيَّةُ فِيهَا فَعُمِّرُ الدَّوْلَةَ حِينَئِذٍ عُمُرُهَا فَإِنْ كَانَ عُمُرُ الدَّوْلَةِ قَصِيرًا وَقَفَتْ الْحَالُ فِيهَا  
 عِنْدَ انْتِهَاءِ الدَّوْلَةِ وَتَرَاجَعَ عُمُرَانِهَا وَخَرِبَتْ وَإِنْ كَانَ أَمَدُ الدَّوْلَةِ طَوِيلًا وَمَدَّتْهَا مُنْفَسِحَةٌ  
 فَلَا تَزَالُ الْمَصَانِعُ فِيهَا تُشَادُّ وَالْمَنَازِلُ الرَّحِيْبَةُ تَكْثُرُ وَتَتَعَدَّدُ وَنِطَاقُ الْأَسْوَاقِ  
 يَتَبَاعَدُ وَيَنْفَسِحُ إِلَى أَنْ تُتَّسِعَ الْخُطَّةُ وَتَبْعَدَ الْمَسَافَةُ وَيَنْفَسِحَ ذَرْعُ الْمَسَاحَةِ كَمَا وَقَعَ  
 بِبَغْدَادَ وَأَمْثَالِهَا. ذَكَرَ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ الْحَمَامَاتِ بَلَغَ عَدْدُهَا بِبَغْدَادَ لِعَهْدِ  
 الْمَأْمُونِ خَمْسَةَ وَسِتِّينَ أَلْفَ حَمَامٍ وَكَانَتْ مُشْتَمِلَةً عَلَى مُدُنٍ وَأَمْصَارٍ مُتَلَاصِقَةٍ وَمُتَقَارِبَةٍ  
 تَجَاوَزُ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ تَكُنْ مَدِينَةً وَحْدَهَا يَجْمَعُهَا سُورٌ وَاحِدٌ لِإِفْرَاطِ الْعُمُرَانِ وَكَذَا حَالُ  
 الْقَيْرَوَانِ وَقُرْطُبَةَ وَالْمَهْدِيَّةِ فِي أَلَمِلَةِ الْأِسْلَامِيَّةِ وَحَالُ مِصْرَ الْقَاهِرَةِ بَعْدَهَا فِيمَا بَلَّغْنَا  
 لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا بَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْمُشِيدَةِ لِلْمَدِينَةِ فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ إِصْوَاحِي تِلْكَ  
 الْمَدِينَةِ وَمَا قَارِبَهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْبَسَائِطِ بَادِيَةً بِمِدَّتِهَا الْعُمُرَانِ دَائِمًا فَيَكُونُ ذَلِكَ  
 حَافِظًا لَوْجُودِهَا وَيَسْتَمِرُّ عُمُرُهَا بَعْدَ الدَّوْلَةِ كَمَا تَرَاهُ بِنَاسٍ وَبِجَايَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَبِعِرَاقِ  
 الْعَجَمِ مِنَ الْمَشْرِقِ الْمَوْجُودِ لَهَا الْعُمُرَانُ مِنَ الْجِبَالِ لِأَنَّ أَهْلَ الْبِدَاوَةِ إِذَا انْتَهَتْ  
 أَحْوَالُهُمْ إِلَى غَايَتِهَا مِنَ الرِّفَةِ وَالْكَسْبِ تَدْعُو إِلَى الدَّعَةِ وَالشُّكُونِ الَّذِي فِي طَبِيعَةِ  
 الْبَشَرِ فَيَنْزِلُونَ الْمُدُنَ وَالْأَمْصَارَ وَيَتَأَهَّلُونَ وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَتِلْكَ الْمَدِينَةِ الْمَوْسَسَةُ  
 مَادَّةً تَفِيدُهَا الْعُمُرَانُ بِتَرَادُفِ السَّاكِنِ مِنْ بَدْوِهَا فَيَكُونُ انْقِرَاضُ الدَّوْلَةِ خَرَقًا  
 لِسِيَاجِهَا فَيَزُولُ حِفْظُهَا وَيَتَنَاقَصُ عُمُرَانُهَا شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَبْذَعِرَ سَاكِنُهَا وَتَخْرِبَ  
 كَمَا وَقَعَ بِمِصْرَ وَبَغْدَادَ وَالْكُوفَةِ بِالْمَشْرِقِ وَالْقَيْرَوَانِ وَالْمَهْدِيَّةِ وَقَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ  
 بِالْمَغْرِبِ وَأَمْثَالِهَا فَتَفْهَمُهُ وَرُبَّمَا يَنْزِلُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ انْقِرَاضِ مُحْتَطِيبِهَا الْأَوَّلِينَ مَلِكٌ  
 آخَرٌ وَدَوْلَةٌ ثَانِيَةٌ يَتَّخِذُهَا قَرَارًا وَكُرْسِيًا يَسْتَعْنِي بِهَا عَنْ أَخْطَاطِ مَدِينَةٍ يَنْزِلُهَا فَتَحْفَظُ  
 تِلْكَ الدَّوْلَةُ سِيَاجَهَا وَتَزِيدُ مَبَانِيَهَا وَمَصَانِعَهَا يَزِيدُ أَحْوَالُ الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ وَتَرْفُهَا  
 وَتَسْتَجِدُّ بِعُمُرَانِهَا عُمُرًا آخَرَ كَمَا وَقَعَ بِنَاسٍ وَالْقَاهِرَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
 أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثاني

في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

وذلك ان القبائل والعصائب اذا حصل لهم الملك اضطروا للاستيلاء على الامصار  
لامورين احدهما ما يدعو اليه الملك من الدعة والراحة وخط الاثقال واستكمال  
ما كان ناقصا من امور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من امر  
المنازعين والمشاعبين لان المضر الذي يكون في نواحيهم ربما يكون ملجأ  
لعم يروم منازعتهم والخروج عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي سموا اليه من ايديهم  
فيعتصم بذلك المضر ويغالبهم ومغالبة المضر على نهاية من الصعوبة والمشقة  
والمضر يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه من الامتناع ونكاية الحرب من  
وراء الجدران من غير حاجة الى كثير عدد ولا عظيم شوكة لان الشوكة والعصاة  
انما اخشى اليهما في الحرب للثبات لما يقع من بعد كره القوم بعضهم على بعض عند  
الجولة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون الى كبير عصابة ولا عدد فيكون حال  
هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما يفت في عضد الامة التي تروم الاستيلاء  
ويخذ شوكة استيلائها فاذا كانت بين اجنابهم امصارا انتظموها في استيلائهم للامن  
من مثل هذا الانحرار وان لم يكن هناك مضر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم  
اولا وخط اثقالهم وليكون شجرا في حلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم  
وعصائبهم فتعين ان الملك يدعو الى نزول الامصار والاستيلاء عليها والله سبحانه  
وتعالى اعلم وبه التوفيق لا رب سواه

## الفصل الثالث

في ان المدن العظيمة والهياكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير

قد قدمنا ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها وانها تكون على نسبتها وذلك ان  
تشديد المدن انما يحصل باجماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة  
منسعة الممالك حشر الفعلة من اقطارها وجمعت ايديهم على عملها وربما استعين في  
ذلك في اكثر الامر بالهندام الذي يضاعف القوي والقدر في حمل اثقال البناء



لِعَجْزِ الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ وَضَعْفِهَا عَنْ ذَلِكَ كَالْخَالِ وَغَيْرِهِ وَرُبَّمَا يَتَوَهَّمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ  
إِذَا نَظَرَ إِلَى آثَارِ الْأَقْدَمِينَ وَمَصَانِعِهِمُ الْعَظِيمَةِ مِثْلَ إِيوَانَ كِسْرَى وَأَهْرَامِ مِصْرَ  
وَحَنَائِيَا الْمُعَلَّقَةِ وَشَرْشَالِ بِالْمَغْرِبِ إِنَّمَا كَانَتْ يَقْدِرُهُمْ مَتَرَفَيْنِ أَوْ مُجْتَمِعِينَ فَيَتَخَيَّلُ  
لَهُمْ أَجْسَامًا تُنَاسِبُ ذَلِكَ الْعَظَمَ مِنْ هَذِهِ بِكَثِيرٍ فِي طُولِهَا وَقُدْرَتِهَا لِتُنَاسِبَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ  
الْقُدْرِ الَّتِي صَدَرَتْ تِلْكَ الْمَبَانِي عَنْهَا وَيُغْفَلُ عَنْ شَأْنِ الْهِنْدَامِ وَالْخَالِ وَمَا أَقْتَضَتْهُ فِي  
ذَلِكَ الصَّنَاعَةُ الْهِنْدَسِيَّةُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَغَلِّبِينَ فِي الْبِلَادِ يُعَايِنُ فِي شَأْنِ الْبِنَاءِ وَاسْتِعْمَالِ  
الْحِجَلِ فِي نَقْلِ الْأَجْزَامِ عِنْدَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُعْتَنِينَ بِذَلِكَ مِنَ الْعَجْمِ مَا يَشْهَدُ لَهُ بِمَا قُلْنَاهُ  
عَيَانًا وَأَكْثَرُ آثَارِ الْأَقْدَمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ تُسَمِّيهِمَا الْعَامَّةُ عَادِيَّةً نِسْبَةً إِلَى قَوْمِ عَادٍ لِتَوْهُمِهِمْ  
أَنَّ مَبَانِي عَادٍ وَمَصَانِعِهِمْ إِنَّمَا عَظُمَتْ لِعَظَمِ أَجْسَامِهِمْ وَتَضَاعَفَ قُدْرُهُمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
فَقَدْ نَجِدُ آثَارًا كَثِيرَةً مِنْ آثَارِ الَّذِينَ تُعْرَفُ مُقَادِيرُ أَجْسَامِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَهِيَ فِي  
مِثْلِ ذَلِكَ الْعَظَمِ أَوْ الْعَظَمِ كإِيوَانَ كِسْرَى وَمَبَانِي الْعَبِيدِيِّينَ مِنَ الشَّيْعَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ  
وَالصَّنَهَاجِيِّينَ وَأَثَرُهُمْ بَادٍ إِلَى الْيَوْمِ فِي صَوْمَعَةٍ قَلْعَةٍ بَنَى حَمَادٌ وَكَذَلِكَ بَنَاهُ الْأَغَالِبَةُ فِي  
جَامِعِ الْقَيْرَوَانَ وَبَنَاهُ الْمُوَحِّدِينَ فِي رِبَاطِ الْفَتْحِ وَرِبَاطِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ لِعَهْدِ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْمَنْصُورَةِ بِإِزَاءِ تَلَمْسَانَ وَكَذَلِكَ الْحَنَائِيَا الَّتِي جَلَبَ إِلَيْهَا أَهْلُ قَرْطَاجَنَةَ  
الْمَاءِ فِي الْفَنَاءِ الرَّاكِبَةِ عَلَيْهَا مَائِلَةً لِهَذَا الْعَهْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَبَانِي وَالْهَيَاكِلِ الَّتِي نَقَلَتْ  
إِلَيْنَا أَخْبَارُ أَهْلِهَا قَرِيبًا وَبَعِيدًا وَآيَقُنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِإِفْرَاطٍ فِي مُقَادِيرِ أَجْسَامِهِمْ وَإِنَّمَا  
هَذَا رَأْيِي وَلَعِبٌ بِهِ الْقُصَّاصُ عَنْ قَوْمِ عَادٍ وَتَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ وَنَجِدُ يَبُوتَ تَمُودَ فِي الْحَجَرِ مَنْحُوتَةً  
إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهَا يَوْمُهُمْ يَمُرُّ بِهَا الرُّكْبُ الْحِجَازِيُّ  
أَكْثَرَ السَّنِينَ وَيُشَاهِدُونَهَا لَا تَزِيدُ فِي جَوْهَا وَمَسَاحَتِهَا وَتَمْكِكُهَا عَلَى الْمُتَعَاهِدِ وَإِنَّهُمْ  
لَيُبَالِغُونَ فِيهَا بِعَثْقَدُونَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَزْعُمُونَ أَنَّ عَوْجَ بَنِ عَنَاقٍ مِنْ جِيلِ الْعَمَالِقَةِ  
كَانَ يَتَنَاوَلُ السَّمَكَ مِنَ الْبَحْرِ طَرِيقًا فَيَشْوِيهِ فِي الشَّمْسِ يَزْعُمُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ حَارَّةٌ  
فِي مَا قَرُبَ مِنْهَا وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْحَرَّ فِيهَا لَدَيْنَا هُوَ الضَّوُّ لِأَنَّهُ كَاسِ الشَّعَاعِ بِمُقَابَلَةِ سَطْحِ  
الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَأَمَّا الشَّمْسُ فِي تَفْسِهَا فَغَيْرُ حَارَّةٍ وَلَا بَارِدَةٍ وَإِنَّمَا هِيَ كَزَوْكَبٍ مُضِيٍّ  
لَا مِزَاجَ لَهُ وَقَدْ أَقْدَمَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي حَيْثُ ذَكَرْنَا أَنَّ آثَارَ الدَّوْلَةِ عَلَى  
نِسْبَةِ قُوَّتِهَا فِي أَصْلِهَا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُحْكِمُ مَا يُرِيدُ

## الفصل الرابع

في ان الهياكل العظيمة جداً لا تستقل بينها الدولة الواحدة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حَاجَةِ الْبِنَاءِ إِلَى التَّعَاوُنِ وَمُضَاعَفَةِ الْقُدْرِ الْبَشَرِيَّةِ وَقَدْ تَكُونُ الْمَبَانِي فِي عِظَمِهَا أَكْثَرَ مِنَ الْقُدْرِ مُفْرَدَةً أَوْ مُضَاعَفَةً بِالْهِنْدَامِ كَمَا قُلْنَا هُ فَيُحْتَاجُ إِلَى مُعَاوَدَةِ قُدْرٍ أُخْرَى مِثْلَهَا فِي أَزْمِنَةٍ مُتَعَابِقَةٍ إِلَى أَنْ تُتِمَّ فَيَبْتَدِئُ الْأَوَّلُ مِنْهُمْ بِالْبِنَاءِ وَيَعْقِبُهُ الثَّانِي وَالثَّالِثُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ اسْتَكْمَلَ شَأْنَهُ فِي حُسْرِ الْفَعْلَةِ وَجَمَعَ الْأَيْدِي حَتَّى يُتِمَّ الْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ وَيَكْمُلُ وَيَكُونُ مِثْلًا لِلْعِيَانِ يَظُنُّهُ مَنْ يَرَاهُ مِنَ الْآخِرِينَ أَنَّهُ بِنَاءُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنْظُرْ فِي ذَلِكَ مَا نَقَلَهُ الْمُؤَرِّخُونَ فِي بِنَاءِ سِدِّ مَارِبَ وَأَنَّ الَّذِي بَنَاهُ سَبَا بْنُ يَشْجَبَ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَعَاقَهُ الْمَوْتُ عَنْ إِتْمَامِهِ فَأَتَمَّهُ مُلُوكُ حِمْيَرَ مِنْ بَعْدِهِ وَمِثْلُ هَذَا مَا نُقِلَ فِي بِنَاءِ قَرْطَاجِنَةَ وَقَنَاتِهَا الرَّابِثَةِ عَلَى الْحَنَائَا الْعَادِيَّةِ وَأَكْثَرُ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ فِي الْغَالِبِ هَذَا شَأْنُهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ أَنَّ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةَ لِعَهْدِنَا نَجِدُ الْمَلِكَ الْوَاحِدَ يَشْرَعُ فِي اخْتِطَاطِهَا وَتَأْسِيسِهَا فَإِذَا لَمْ يَتَّبِعْ أَثَرَهُ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْمُلُوكِ فِي إِتْمَامِهَا بَقِيَتْ بِحَالِهَا وَلَمْ يَكْمُلِ الْقَصْدُ فِيهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ أَيْضًا أَنَّا نَجِدُ أَثَارًا كَثِيرَةً مِنَ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ تَعْجزُ الدُّوَلُ عَنْ هَدْمِهَا وَتَخْرِبُ بِهَا مَعَ أَنَّ الْهَدْمَ أَيْسَرُ مِنَ الْبِنَاءِ بِكَثِيرٍ لِأَنَّ الْهَدْمَ رُجُوعٌ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ الْعَدَمُ وَالْبِنَاءُ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ فَإِذَا وَجَدْنَا بِنَاءً تَضَعُ قُوَّتُ الْبَشَرِيَّةِ عَنْ هَدْمِهِ مَعَ سُهُولَةِ الْهَدْمِ عَلِمْنَا أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي أَسَّسَتْهُ مُفْرَطَةُ الْقُوَّةِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ أَثَرُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَهَذَا مِثْلُ مَا وَقَعَ لِلْعَرَبِ فِي إِيْوَانَ كِسْرَى لَمَّا اعْتَزَمَ الرَّشِيدُ عَلَى هَدْمِهِ وَبَعَثَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ فِي مَحَبَسِهِ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ وَأَتْرُكْهُ مِثْلًا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى عِظَمِ مُلْكِ آبَائِكَ الَّذِينَ سَلَبُوا الْمُلْكَ لِأَهْلِ ذَلِكَ الْهَيْكَلِ فَأَتَمَّهُمْ فِي النَّصِيحَةِ وَقَالَ أَخَذْتُهُ الثُّغْرَةَ لِلْعَجَمِ وَاللَّهُ لَا أَصْرَعْنَهُ وَشَرَعَ فِي هَدْمِهِ وَجَمَعَ الْأَيْدِي عَلَيْهِ وَأَتَّخَذَ لَهُ الْفُؤُسَ وَحَمَاهُ بِالنَّارِ وَصَبَّ عَلَيْهِ الْخَلَّ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَجْزُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَخَافَ الْفَضِيحَةَ بَعَثَ إِلَى يَحْيَى يَسْتَشِيرُهُ ثَانِيًا فِي التَّجَافِي عَنْ الْهَدْمِ فَقَالَ لَا تَفْعَلْ وَأَسْتَمِرَّ عَلَى ذَلِكَ لِمَثَلٍ يُقَالُ عَجْزُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَلِكِ الْعَرَبِ عَنْ هَدْمِ مَصْنَعٍ مِنْ مَصَانِعِ الْعَجَمِ فَعَرَفَهَا الرَّشِيدُ وَأَقْصَرَ عَنْ هَدْمِهِ وَكَذَلِكَ اتَّفَقَ لِلْمَأْمُونِ فِي هَدْمِ الْأَهْرَامِ الَّتِي بِمِصْرَ



وَجَمَعَ الْفَعْلَةَ إِهْدَمَهَا فَلَمْ يَحُلْ بِطَائِلٍ وَشَرَعُوا فِي نَقْبِهِ فَأَنْتَبَهُوا إِلَى جَوِّ بَيْنَ الْحَائِطِ وَالظَّاهِرِ  
وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْخَيْطَانِ وَهُنَالِكَ كَانَ مُنْتَهَى هَدْمِهِمْ وَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ فِيمَا يُقَالُ مَنْفَذُ ظَاهِرٍ  
وَيَزْعُمُ الزَّاعِمُونَ أَنَّهُ وَجَدَ رِكَازًا بَيْنَ تِلْكَ الْخَيْطَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَكَذَلِكَ خَنَابَا الْعُحَاقَةِ  
إِلَى هَذَا الْعَهْدِ تَحْتَاجُ أَهْلُ مَدِينَةِ ثُونِسَ إِلَى اخْتِخابِ الْحِجَارَةِ لِبِنَائِهِمْ وَتَسْتَحِيدُ الصُّنَاعُ  
حِجَارَةَ تِلْكَ الْخَنَابَا فَيَحَاوِلُونَ عَلَى هَدْمِهَا الْأَيَّامَ الْعَدِيدَةَ وَلَا يَسْقُطُ الصَّغِيرُ مِنْ جُذُرِهَا  
إِلَّا بَعْدَ عَصَبِ الرِّيقِ وَتَجْتَمِعُ لَهُ الْحَفَائِلُ الْمَشْهُورَةُ شَهِدَتْ مِنْهَا فِي أَيَّامِ صِبَايَ  
كَثِيرًا وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ

### الفصل الخامس

فيما تجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن المراعاة  
إِعْلَمُ أَنَّ الْمَدْنَ قَرَارٌ يَتَّخِذُهُ الْأُمَمُ عِنْدَ حُصُولِ الْغَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ مِنَ التَّرَفِ وَدَوَاعِيهِ  
فَتُؤَثِّرُ الدَّعَاةُ وَالشُّكُونُ وَتَتَوَجَّهُ إِلَى اخْتِخَاذِ الْمَنَازِلِ لِلْقَرَارِ وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْقَرَارُ  
وَالْمَأْوَى وَجِبَ أَنْ يُرَاعَى فِيهِ دَفْعُ الْمَضَارِّ بِالْحِمَايَةِ مِنْ طَوَارِقِهَا وَجَبَ الْمَنَافِعُ  
وَتَسْهِيلُ الْمَرَافِقِ لَهَا فَأَمَّا الْحِمَايَةُ مِنَ الْمَضَارِّ فَيُرَاعَى لَهَا أَنْ يُدَارَ عَلَى مَنَازِلِهَا جَمِيعًا  
سِيَّاحُ الْأَسْوَارِ وَأَنْ يَكُونَ وَضْعُ ذَلِكَ فِي مُتَنَعٍ مِنَ الْأَمَكِنَةِ إِمَّا عَلَى هَضْبَةٍ مُتَوَعِّرَةٍ  
مِنَ الْجِبَلِ وَإِمَّا بِاسْتِدَارَةٍ بِحَرِّ أَوْ نَهْرٍ بِهَا حَتَّى لَا يُوصَلَ إِلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ الْعُبُورِ عَلَى جِسْرِ  
أَوْ قَنْطَرَةٍ فَيَصْعَبُ مَنَالُهَا عَلَى الْعَدُوِّ وَيَتَضَاعَفُ امْتِنَاعُهَا وَحُصْنُهَا وَمِمَّا يُرَاعَى فِي ذَلِكَ  
لِلْحِمَايَةِ مِنَ الْأَلْفَاتِ السَّمَوِيَّةِ طَيْبُ الْهَوَاءِ لِلسَّلَامَةِ مِنَ الْأَمْرَاضِ فَإِنَّ الْهَوَاءَ إِذَا كَانَ  
رَاكِدًا خَبِيثًا أَوْ مُجَاوِرًا لِلْمِيَاهِ الْفَاسِدَةِ أَوْ مَنَافِعَ مُتَعَفِّتَةٍ أَوْ مَرْوُجٍ خَبِيثَةٍ أُسْرِعَ إِلَيْهَا  
الْعَفْنُ مِنْ مُجَاوَرَتِهَا فَأُسْرِعَ الْمَرَضُ لِلْحَيَوَانِ الْكَائِنِ فِيهِ لَا مُحَالَةَ وَهَذَا مُشَاهِدٌ وَالْمَدْنَ  
الَّتِي لَمْ يُرَاعَ فِيهَا طَيْبُ الْهَوَاءِ كَثِيرَةُ الْأَمْرَاضِ فِي الْغَالِبِ وَقَدْ اشتهر بِذَلِكَ فِي قُطْرِ  
الْمَغْرِبِ بَلَدُ قَابِسَ مِنْ بِلَادِ الْجَرِيدِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ فَلَا يَكَادُ سَاكِنُهَا أَوْ طَارِقُهَا يَخْلُصُ مِنْ  
حُمَّى الْعَفْنِ بِوَجْهِهِ وَلَقَدْ يُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ حَدَثَ فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ مِنْ قَبْلُ وَنَقَلَ  
الْبُكْرِيُّ فِي سَبَبِ حَدُوثِهِ أَنَّهُ وَقَعَ فِيهَا حَفَرٌ ظَهَرَ فِيهِ إِنَاءٌ مِنْ نُحَاسٍ مَخْتُومٌ بِالرَّصَاصِ  
فَلَمَّا فَضَّ خِتَامُهُ صَعِدَ مِنْهُ دُخَانٌ إِلَى الْجَوِّ وَانْقَطَعَ وَكَانَ ذَلِكَ مَبْدَأَ أَمْرَاضِ الْحُمَمَاتِ  
فِيهِ وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ الْإِنَاءَ كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِ الطَّلَسِمَاتِ لَوَبَائِهِ وَأَنَّهُ

هَب سِرَّهُ بِنْدَاهِ فَرَجَع إِلَيْهَا الْعَفَنُ وَالْوَبَاءُ وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ مِنْ مَذَاهِبِ الْعَامَّةِ وَمَبَاحِثِهِمْ  
لِكَيْكَةِ وَالْبُكَرِيِّ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَبَاهَةِ الْعِلْمِ وَأَسْتِنَارَةِ الْبَصِيرَةِ بِحَيْثُ يَدْفَعُ مِثْلَ هَذَا  
وَيَتَبَيَّنُ خَرَفُهُ فَنَقْلُهُ كَمَا سَمِعَهُ وَالَّذِي يَكْشِفُ لَكَ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَهْوِيَّةَ  
لَعَفَنَةٌ أَكْثَرُ مَا يَهَيِّئُهَا لِتَعْفِينِ الْأَجْسَامِ وَأَمْرَاضِ الْحُمَمَاتِ رُكُودُهَا فَإِذَا تَخَلَّلَتْهَا الرِّيحُ  
تَفَشَّتْ وَذَهَبَتْ بِهَا يَمِينًا وَشِمَالًا خَفَّ شَأْنُ الْعَفَنِ وَالْمَرَضِ الْبَادِي مِنْهَا لِلْحَيَوَانَاتِ وَالْبَلَدُ  
ذَا كَانَ كَثِيرَ السَّاكِينِ وَكَثُرَتْ حَرَكَاتُ أَهْلِهِ فَيَتَمَوَّجُ الْهَوَاءُ ضَرُورَةً وَتَحْدُثُ  
لِرِيحٍ أَلْمُتَخَلِّلَةِ الْهَوَاءِ الرَّاكِدِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مُعِينًا لَهُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالتَّمَوُّجِ وَإِذَا خَفَّ  
لِسَاكِنُ لَمْ يَجِدِ الْهَوَاءَ مُعِينًا عَلَى حَرَكَتِهِ وَتَمَوُّجِهِ وَبَقِيَ سَاكِنًا رَاكِدًا وَعَظُمَ عَفَنُهُ  
كَثُرَ ضَرَرُهُ وَبَلَدٌ قَابَسَ هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ مَا كَانَتْ أَفْرِيقِيَّةٌ مُسْتَجِدَّةٌ الْعُمَرَانِ كَثِيرَةً  
لِسَاكِنِ تَمَوَّجُ بِأَهْلِهَا مَوْجًا فَكَانَ ذَلِكَ مُعِينًا عَلَى تَمَوُّجِ الْهَوَاءِ وَأَضْطِرَابِهِ وَتَخْفِيفِ  
لَاذِي مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا كَثِيرُ عَفَنٍ وَلَا مَرَضٍ وَعِنْدَ مَا خَفَّ سَاكِنُهَا رَكَدَ هَوَاؤُهَا  
لَمُتَعَفِّنٍ بِفَسَادِ مِيَاهِهَا فَكَثُرَ الْعَفَنُ وَالْمَرَضُ فَهَذَا وَجْهُهُ لَا غَيْرُ وَقَدْ رَأَيْنَا عَكْسَ  
ذَلِكَ فِي بِلَادٍ وَضَعَتْ وَلَمْ يُرَاعَ فِيهَا طِيبُ الْهَوَاءِ وَكَانَتْ أَوَّلًا قَلِيلَةَ السَّاكِينِ فَكَانَتْ  
مَرَاضُهَا كَثِيرَةً فَلَمَّا كَثُرَ سُكَّانُهَا انْتَقَلَ حَالُهَا عَنْ ذَلِكَ وَهَذَا مِثْلُ دَارِ الْمَلِكِ بِفَاسَ  
هَذَا الْعَهْدِ الْمُسَمَّى بِالْبَلَدِ الْجَدِيدِ وَكَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْعَالَمِ فَتَفْهَمُهُ تَجِدُ مَا قُلْتُهُ لَكَ  
أَمَّا جَلْبُ الْمَنَافِعِ وَالْمَرَافِقِ لِلْبَلَدِ فَيُرَاعَى فِيهِ أُمُورٌ مِنْهَا الْمَاءُ بَأَنَّ يَكُونَ الْبَلَدُ عَلَى  
هَرٍ أَوْ بِأَزَائِهَا عِيُونَ عَذْبَةٌ ثَرَّةٌ فَإِنَّ وُجُودَ الْمَاءِ قَرِيبًا مِنَ الْبَلَدِ يُسَهِّلُ عَلَى السَّاكِنِ  
حَاجَةَ الْمَاءِ وَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ فَيَكُونُ لَهُمْ فِي وُجُودِهِ مَرْفَقَةٌ عَظِيمَةٌ عَامَّةٌ وَمِمَّا يُرَاعَى  
بِالْمَرَافِقِ فِي الْمَدْنِ طِيبُ الْمَرَاعِي لِسَائِمَتِهِمْ إِذَا صَاحِبُ كُلِّ قَرَارٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ  
وَجْنِ الْحَيَوَانِ لِلنِّتَاجِ وَالضَّرْعِ وَالرُّكُوبِ وَلَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْمَرَاعِي فَإِذَا كَانَ قَرِيبًا  
لِجَبِّ كَانَ ذَلِكَ أَزْفَقَ بِحَالِهِمْ لِمَا يُعَانُونَ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي بُعْدِهِ وَمِمَّا يُرَاعَى أَيْضًا  
لِمَزَارِعٍ فَإِنَّ الزُّرُوعَ هِيَ الْأَفْوَاتُ فَإِذَا كَانَتْ مَزَارِعُ الْبَلَدِ بِالْقُرْبِ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ  
سَهْلًا فِي اتِّخَاذِهِ وَأَقْرَبَ فِي تَحْصِيلِهِ وَمِنْ ذَلِكَ الشَّجَرُ لِلْحَطَبِ وَالْبِنَاءِ فَإِنَّ الْحَطَبَ مِمَّا  
يُؤْتَى فِي اتِّخَاذِهِ لِقُودِ النَّيِّرَانِ لِلِاصْطِلَاءِ وَالطَّبَخِ وَالْخَشَبُ أَيْضًا ضَرُورِي  
سَقْفِهِمْ وَكَثِيرٌ مِمَّا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْخَشَبُ مِنْ ضَرُورِيَّاتِهِمْ وَقَدْ يُرَاعَى أَيْضًا قُرْبُهَا مِنْ



الْبَحْرِ لِتَسْهِيلِ الْحَاجَاتِ الْقَاصِيَةِ مِنَ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمُثَابَةِ الْأَوَّلِ  
وَهَذِهِ كُلُّهَا مُتَفَاوِتَةٌ بِتَفَاوُتِ الْحَاجَاتِ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ ضَرُورَةُ السَّاكِنِ وَقَدْ يَكُونُ الْوَاضِعُ  
غَافِلًا عَنْ حُسْنِ الْإِخْتِيَارِ الطَّبِيعِيِّ أَوْ إِنَّمَا يُرَاعِي مَا هُوَ أَهْمٌ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ وَلَا  
يَذْكُرُ حَاجَةَ غَيْرِهِمْ كَمَا فَعَلَهُ الْعَرَبُ لِأَوَّلِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدِينِ الَّتِي اخْتَطَوْهَا  
بِالْعِرَاقِ وَأَفْرِيقِيَّةَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُرَاعُوا فِيهَا إِلَّا الْأَهْمَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَرَاعِي الْإِبِلِ وَمَا يَصْلُحُ  
لَهَا مِنَ الشَّجَرِ وَالْمَاءِ الْمَلْحِ وَلَمْ يُرَاعُوا الْمَاءَ وَلَا الْمَزَارِعَ وَلَا الْحُطَبَ وَلَا مَرَاعِي  
السَّائِمَةِ مِنْ ذَوَاتِ الظِّلْفِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ كَالْقَيْرَوَانِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَأَمْثَالِهَا  
وَلِهَذَا كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الْخَرَابِ مَا لَمْ تُرَاعَ فِيهَا الْأُمُورُ الطَّبِيعِيَّةُ

وَمَا يُرَاعَى فِي الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ الَّتِي عَلَى الْبَحْرِ أَنْ تَكُونَ فِي جَبَلٍ أَوْ تَكُونَ بَيْنَ  
أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ مَوْفُورَةً أَلْعَدِ تَكُونُ مَرِيخًا لِلْمَدِينَةِ مَتَى طَرَقَهَا طَارِقٌ مِنَ الْعَدُوِّ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَدِينَةَ إِذَا كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ وَلَمْ يَكُنْ بِسَاحَتِهَا عُمَرَانُ  
لِلْقَبَائِلِ أَهْلُ الْعَصَبِيَّاتِ وَلَا مَوْضِعٌ مُتَوَعَّرٌ مِنَ الْجَبَلِ كَانَتْ فِي غَرَّةِ اللَّيَالِ وَسَهْلٍ طُرُوقِهَا  
فِي الْأَسَاطِيلِ الْبَحْرِيَّةِ عَلَى عَدُوِّهَا وَتَحِيْفُهُ لَهَا لِمَا يَأْتِي مِنْ وَجُودِ الدَّرِيخِ لَهَا وَأَنَّ  
الْخَضَرَ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلدَّعَةِ قَدْ صَارُوا عِيَالًا وَخَرَجُوا عَنْ حُكْمِ الْمُقَاتَلَةِ وَهَذِهِ  
كَأَنَّ سَكَنْدَرِيَّةَ مِنَ الْمَشْرِقِ وَطَرَابُلُسَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَبُونَةَ وَسَلَا وَمَتَى كَانَتْ الْقَبَائِلُ  
وَالْعَصَائِبُ مُوَطَّنِينَ بِقُرْبِهَا بِحَيْثُ يَبْلُغُهُمُ الصَّرِيخُ وَالنَّعِيرُ وَكَانَتْ مُتَوَعِّرَةً الْمَسَالِكِ عَلَى  
مَنْ يَرُومُهَا بِاخْتِطَاطِهَا فِي هَضَابِ الْجِبَالِ وَتَلَى أَسْنِمَتِهَا كَانَ لَهَا بِذَلِكَ مَنَعَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ  
وَيُسُّوْا مِنْ طُرُوقِهَا لِمَا يُكَابِدُونَهُ مِنْ وَعَرِهَا وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ إِجَابَةِ صَرِيخِهَا كَمَا فِي  
سَبْتَةِ وَبِجَابَةِ وَبَلَدِ الْقَلِّ عَلَى صَغَرِهَا فَأَفْهَمَ ذَلِكَ وَاعْتَبَرَهُ فِي اخْتِصَاصِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ  
بِاسْمِ الثَّغْرِ مِنْ لَدُنِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مَعَ أَنَّ الدَّعْوَةَ مِنْ وَرَائِهَا بِبَرَقَةٍ وَأَفْرِيقِيَّةَ وَإِنَّمَا أُعْتَبِرَ  
فِي ذَلِكَ الْخُفَافَةُ الْمُتَوَقَّعَةُ فِيهَا مِنَ الْبَحْرِ لِسَهُولَةِ وَضْعِهَا وَلِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَانَ طُرُوقُ الْعَدُوِّ  
لِلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَطَرَابُلُسَ فِي الْحِلَّةِ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةً وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل السادس

في المساجد والبيوت العظيمة في العالم

إِعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَضْلَ مِنْ الْأَرْضِ بِقَاعًا اخْتَصَمَهَا بِتَشْرِيفِهِ وَجَعَلَهَا مَوَاطِنَ

لِعِبَادَتِهِ يُضَاعَفُ فِيهَا الثَّوَابُ وَيَنْمُو بِهَا الْأَجُورُ وَأَخْبَرَنَا بِذَلِكَ عَلَى أَلْسِنِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ  
لُطْفًا بِعِبَادِهِ وَتَسْهِيلًا لِمَنْ سَلَكَ السَّعَادَةَ لَهُمْ. وَكَانَتْ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَفْضَلُ بَقَاعِ  
الْأَرْضِ حَسَبًا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ وَهِيَ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ أَمَّا الْبَيْتُ  
الْحَرَامُ الَّذِي بِمَكَّةَ فَهُوَ بَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ اللَّهُ بِنَائِهِ وَأَنْ  
يُؤْذَنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَيْهِ فَبَنَاهُ هُوَ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ كَمَا نَصَّهُ الْقُرْآنُ وَقَامَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ  
فِيهِ وَسَكَنَ إِسْمَاعِيلُ بِهِ مَعَ هَاجَرَ وَمَنْ نَزَلَ مَعَهُمْ مِنْ جُرْهُمٍ إِلَى أَنْ قَبَضَهُمَا اللَّهُ وَدُفِنَا  
بِالتَّحَجُّرِ مِنْهُ. وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ بَنَاهُ دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَمْرُهُمَا اللَّهُ بِبِنَائِهِ  
مَسْجِدِهِ وَتَنْصِبِ هَيَاكِلِهِ وَدُفِنَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ وَلَدِ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَوَالِيهِ.  
وَالْمَدِينَةُ مُهَاجَرُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا  
وِاقَامَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ بِهَا فَبَنَى مَسْجِدَهُ الْحَرَامَ بِهَا وَكَانَ مَلْحَدُهُ الشَّرِيفُ فِي تَرْبَتِهَا  
فَهَذِهِ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ قِرَّةٌ عَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَمَهْوَى أَفْئِدَتِهِمْ وَعَظْمَةُ دِينِهِمْ وَفِي الْأَثَارِ  
مِنْ فَضْلِهَا وَمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ فِي مُجَاوَرَتِهَا وَالصَّلَاةِ فِيهَا كَثِيرٌ مَعْرُوفٌ فَلَنُشِيرَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ  
الْخَبَرِ عَنْ أَوَّلِيَّةِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ وَكَيْفَ تَدَرَّجَتْ أَحْوَالُهَا إِلَى أَنْ كَمُلَ ظُهُورُهَا  
فِي الْعَالَمِ فَأَمَّا مَكَّةُ فَأَوَّلِيَّتُهَا فِيمَا يُقَالُ أَنَّ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَنَاهَا فُبَالَةَ الْبَيْتِ  
الْمَعْمُورِ ثُمَّ هَدَمَهَا الطُّوفَانُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَيْسَ فِيهِ خَبَرٌ صَحِيحٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَقْبَسُوهُ  
مِنْ مَحْمِلِ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ  
إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَشَأْنِ زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَغَيْرَتِهَا مِنْ هَاجَرَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَأَوْحَى  
اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكْ أَبْنَهُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجَرَ بِالْفَلَاةِ فَوَضَعَهُمَا فِي مَكَانٍ أَلْبَيْتِ وَسَارَ  
عَنْهُمَا وَكَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمَا مِنَ اللَّطْفِ فِي نَبْعِ مَاءٍ زَمْزَمَ وَمُرُورِ الرُّفْقَةِ مِنْ جُرْهُمٍ  
بِهَا حَتَّى اخْتَمَلُوهُمَا وَسَكَنُوا إِلَيْهِمَا وَنَزَلُوا مَعَهُمَا حَوَالِي زَمْزَمَ كَمَا عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ  
فَاتَّخَذَ إِسْمَاعِيلُ بِمَوْضِعِ الْكَعْبَةِ بَيْتًا يَأْوِي إِلَيْهِ وَأَدَارَ عَلَيْهِ سِيَاجًا مِنَ الرَّدَمِ وَجَعَلَهُ  
زَرْبًا لِقَوْمِهِ وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِرَارًا لِيُبَارِكَ مِنْ الشَّامِ أَمْرًا فِي آخِرِهَا  
بِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ مَكَانَ ذَلِكَ الزَّرْبِ فَبَنَاهُ وَاسْتَعَانَ فِيهِ بِأَبْنِهِ إِسْمَاعِيلَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى  
حُجَّتِهِ وَبَقِيَ إِسْمَاعِيلُ سَاكِنًا بِهِ وَلَمَّا قُبِضَتْ أُمُّهُ هَاجَرَ وَقَامَ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ الْبَيْتِ  
مَعَ أَحْوَالِهِمْ مِنْ جُرْهُمٍ ثُمَّ الْعَمَالِيقُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَاسْتَحَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ وَالنَّاسُ يَهْرَعُونَ



إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ أَفْقٍ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ لَا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ دَنَا  
أَوْ نَأَى فَقَدْ نُقِلَ أَنَّ التَّبَاعَةَ كَانَتْ تَحْجُ الْبَيْتَ وَتُعْظِمُهُ وَأَنَّ تَبَعًا كَسَاهَا الْمَلَاءُ  
وَالْوَصَائِلَ وَأَمَرَ بِتَطْهِيرِهَا وَجَعَلَ لَهَا مِفْتَاحًا وَنَقَلَ أَيْضًا أَنَّ الْفَرَسَ كَانَتْ تَحْجُهُ وَتُقَرِّبُ  
إِلَيْهِ وَأَنَّ غَزَايَ الذَّهَبِ اللَّذَيْنِ وَجَدَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ احْتَفَرَ زَمْزَمَ كَانَا مِنْ  
قَرَابَتِهِمْ وَلَمْ يَزَلْ لِحُزْمِهِمُ الْوَلَايَةُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ مِنْ قَبْلِ خُيُولَتِهِمْ حَتَّى إِذَا  
خَرَجَتْ خَزَاعَةُ وَأَقَامُوا بِهَا بَعْدَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ كَثُرَ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ وَانْتَشَرُوا وَاشْتَبَعُوا إِلَى  
كِنَانَةٍ ثُمَّ كِنَانَةُ إِلَى قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ وَسَاءَتْ وَلَايَةُ خَزَاعَةَ فَغَلَبَتْهُمْ قُرَيْشٌ عَلَى أَمْرِ  
وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْبَيْتِ وَمَلَكَوْا عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ فَبَنَى الْبَيْتَ وَسَقَفَهُ بِخَشَبِ  
الدُّومِ وَجَرِيدِ النَّخْلِ وَقَالَ الْأَعَشَى

خَلَفْتُ بِشَوْبِي رَاهِبَ الدُّورِ وَالَّتِي بَنَاهَا قُصَيُّ وَالْمِضَاضُ بْنُ جُرْهُمٍ  
ثُمَّ أَصَابَ الْبَيْتَ سَيْلٌ وَيُقَالُ حَرِيقٌ وَتَهْدَمُ وَأَعَادُوا بِنَاءَهُ وَجَمَعُوا النِّفْقَةَ لِذَلِكَ مِنْ  
أَمْوَالِهِمْ وَأَنْكَسَرَتْ مَفِينَةُ بِسَاحِلِ جَدَّةَ فَأَشْتَرُوا خَشَبَهَا لِلْسَّقْفِ وَكَانَتْ جُدْرَانُهُ فَوْقَ  
الْقَامَةِ فَجَعَلُوهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَكَانَ الْبَابُ لَاصِقًا بِالْأَرْضِ فَجَعَلُوهُ فَوْقَ الْقَامَةِ إِثْلًا  
تَدْخُلُهُ السُّيُولُ وَقَصُرَتْ بِهِمُ النِّفْقَةُ عَنْ إِتِمَامِهِ فَقَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِهِ وَتَرَكَوا مِنْهُ سِتَّ  
أَذْرُعٍ وَشِبْرًا أَدَارُوهَا بِجِدَارٍ قَصِيرٍ يُطَافُ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ الْحَجَرُ وَبَقِيَ الْبَيْتُ عَلَى هَذَا  
الْبِنَاءِ إِلَى أَنْ تَحَصَّنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ حِينَ دَعَا لِنَفْسِهِ وَرَحَنَتْ إِلَيْهِ جُيُوشُ يَزِيدَ  
بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْحَصَيْنِ بْنِ نُمَيْرٍ السَّكُونِيِّ وَرَمَى الْبَيْتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ فَأَصَابَهُ  
حَرِيقٌ يُقَالُ مِنَ النَّفْطِ الَّذِي رَمَوْا بِهِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَعَادَ بِنَاءَهُ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ بَعْدَ  
أَنْ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي بِنَائِهِ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِكُفْرِ لَرَدَدْتُ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ  
وَلَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا فَهَدَمَهُ وَكَشَفَتْ عَنْ أُسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَمَعَ  
الْوُجُوهَ وَالْأَكْبَارَ حَتَّى عَابَتْهُ وَأَشَارَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالتَّحَرِّيِ فِي حِفْظِ الْقِبْلَةِ عَلَى النَّاسِ  
فَأَدَارَ عَلَى الْأَسَاسِ الْخَشَبَ وَنَصَبَ مِنْ فَوْقِهَا الْأَسْتَارَ حِفْظًا لِلْقِبْلَةِ وَبَعَثَ إِلَى صَنْعَاءَ  
فِي الْفِضَّةِ وَالْكُنُسِ فَحَمَلَهَا وَسَأَلَ عَنْ مَقْطَعِ الْحِجَارَةِ الْأَوَّلِ فَجَمَعَ مِنْهَا مَا أَخْتِاجُ  
إِلَيْهِ ثُمَّ شَرَعَ فِي الْبِنَاءِ عَلَى أُسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَفَعَ جُدْرَانَهَا سَبْعًا وَعِشْرِينَ

ذَرَاةً وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ لِاصِقَيْنِ بِالْأَرْضِ كَمَا رَوَى فِي حَدِيثِهِ وَجَعَلَ فُرْشَهَا وَإِزْرَهَا  
 بِالرَّخَامِ وَصَاغَ لَهَا الْمَفَاتِيحَ وَصَفَّاحَ الْأَبْوَابِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ جَاءَ الْحَجَّاجُ لِحِصَارِهِ أَيَّامَ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ وَرَمَى عَلَى الْمَسْجِدِ بِالْمَنْجَنِيقَاتِ إِلَى أَنْ تَصَدَّعَتْ حِيطَانُهَا ثُمَّ لَمَّا ظَفَرَ  
 بَابْنِ الزُّبَيْرِ شَاوَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ فِيمَا بَنَاهُ وَزَادَهُ فِي الْبَيْتِ فَأَمَرَهُ بِهِدْمِهِ وَرَدَّ الْبَيْتَ  
 عَلَى قَوَاعِدِ فُرَيْشٍ كَمَا هِيَ الْيَوْمَ وَيُقَالُ إِنَّهُ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ حِينَ عَلِمَ صِحَّةَ رِوَايَةِ ابْنِ  
 الزُّبَيْرِ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ وَقَالَ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ حَمَلْتُ أَبَا حَبِيبٍ فِي أَمْرِ الْبَيْتِ وَبَنَائِهِ  
 مَا تَحْمَلُ فَهَدَمَ الْحَجَّاجُ مِنْهَا سِتَّ أَذْرُعٍ وَشَبْرًا مَكَانَ الْحَجَرِ وَبَنَاهَا عَلَى أَسَاسِ فُرَيْشٍ  
 وَسَدَّ الْبَابَ الْغَرْبِيَّ وَمَا تَحْتَ عَتَبَةِ بَابِهَا الْيَوْمَ مِنَ الْبَابِ الشَّرْقِيِّ وَتَرَكَ سَائِرَهَا لَمْ يَغْيَرْ  
 مِنْهُ شَيْئًا فَكُلُّ الْبِنَاءِ الَّذِي فِيهِ الْيَوْمَ بِنَاءُ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَبِنَاءُ الْحَجَّاجِ فِي الْحَائِطِ صَلَةُ  
 ظَاهِرَةِ الْعِيَانِ لُحْمَةٌ ظَاهِرَةٌ بَيْنَ الْبِنَائَيْنِ وَالْبِنَاءُ مُمَيَّزٌ عَنِ الْبِنَاءِ بِمِقْدَارِ اصْبَعٍ شِبْهُ  
 الصَّدْعِ وَقَدْ لُحِمَ وَيَعْرِضُ هَهُنَا إِشْكَالٌ قَوِيٌّ لِمُنَافَاتِهِ لِمَا يَقُولُهُ الْفُقَهَاءُ فِي أَمْرِ الطُّوَافِ  
 وَيَحْتَذِرُ الطَّائِفُ أَنْ يَمِيلَ عَلَى الشَّاذِرِ وَأَنَّ الدَّائِرَ عَلَى أَسَاسِ الْجُدُرِ مِنْ أَسْفَلِهَا يَقَعُ  
 طُوفَاهُ دَاخِلَ الْبَيْتِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْجُدُرَ إِنَّمَا قَامَتْ عَلَى بَعْضِ الْأَسَاسِ وَتَرَكَ بَعْضُهُ وَهُوَ  
 مَكَانُ الشَّاذِرِ وَأَنَّ كَذَا قَالُوا فِي تَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ لَا بُدَّ مِنْ رُجُوعِ الطَّائِفِ مِنَ  
 التَّقْبِيلِ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا لِمَا يَقَعُ بَعْضُ طُوفَائِهِ دَاخِلَ الْبَيْتِ وَإِذَا كَانَتْ الْجُدُرَانِ  
 كُلُّهُمَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ إِنَّمَا بُنِيَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ فَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ  
 وَلَا تَخْلُصَ مِنْ هَذَا إِلَّا بِأَحَدٍ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْحَجَّاجُ هَدَمَ جَمِيعَهُ وَأَعَادَهُ  
 وَقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ إِلَّا أَنَّ الْعِيَانَ فِي شَوَاهِدِ الْبِنَاءِ بِاللِّتْحَامِ مَا بَيْنَ الْبِنَائَيْنِ وَتُمَيِّزُ أَحَدَ  
 الشَّقَيْنِ مِنَ أَعْلَاهُ عَلَى الْآخِرِ فِي الصَّنَاعَةِ يَرُدُّ ذَلِكَ وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَمْ يَرُدَّ  
 الْبَيْتَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ جَمِيعِ جِوَانِهِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْحَجَرِ فَقَطْ لِيَدْخُلَهُ فَهِيَ  
 الْآنَ مَعَ كَوْنِهَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَيْسَتْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ وَهَذَا بَعِيدٌ وَلَا مَحِيصَ مِنْ  
 هَذَيْنِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ثُمَّ إِنَّ مَسَاحَةَ الْبَيْتِ وَهُوَ الْمَسْجِدُ كَانَ فُضَاءً لِلطَّائِفِينَ  
 وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ جُدُرٌ أَيَّامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ كَثُرَ  
 النَّاسُ فَاشْتَرَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُورًا هَدَمَهَا وَزَادَهَا فِي الْمَسْجِدِ وَأَدَارَ عَلَيْهَا جِدَارًا  
 دُونَ الْقَامَةِ وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ عُثْمَانُ ثُمَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَنَاهُ بِعُمْدِ



الرَّخَامِ ثُمَّ زَادَ فِيهِ الْمَنْصُورُ وَأَبْنَةُ الْمَهْدِيِّ مِنْ بَعْدِهِ وَوَقَفَتْ الزِّيَادَةُ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ لِعَهْدِنَا . وَتَشْرِيفُ اللَّهِ إِيَّاهَا الْبَيْتَ وَعَيْنَانَهُ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ وَكَفَى بِذَلِكَ أَنْ جَعَلَهُ مَهِيظًا لِلْوَحْيِ وَالْمَلَائِكَةِ وَمَكَانًا لِلْعِبَادَةِ وَفَرَضَ شَرَائِعَ الْحَجِّ وَمَنَاسِكَه وَأَوْجَبَ لِحَرَمِهِ مِنْ سَائِرِ نَوَاحِيهِ مِنْ حُقُوقِ التَّعْظِيمِ وَالْحَقِّ مَا لَمْ يُوجِبْهُ لِغَيْرِهِ فَمَنْعَ كُلِّ مَنْ خَالَفَ دِينَ الْإِسْلَامِ مِنْ دُخُولِ ذَلِكَ الْحَرَمِ وَأَوْجَبَ عَلَى دَاخِلِهِ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ الْخَيْطِ إِلَّا إِذَا رَأَى يَسْتُرُهُ وَحَمَى الْعَائِدَ بِهِ وَالرَّائِعَ فِي مَسَارِحِهِ مِنْ مَوَاقِعِ الْآفَاتِ فَلَا يُرَامُ فِيهِ خَائِفٌ وَلَا يُصَادُ لَهُ وَخَشٌ وَلَا يُحْتَطَبُ لَهُ شَجَرٌ . وَحَدُّ الْحَرَمِ الَّذِي يُخْتَصُّ بِهِذِهِ الْحَرَمَةُ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ إِلَى التَّنْعِيمِ وَمِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ إِلَى الثَّنِيَّةِ مِنْ جَبَلِ الْمُنْقَطِعِ وَمِنْ طَرِيقِ الطَّائِفِ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ إِلَى بَطْنِ غَمْرَةٍ وَمِنْ طَرِيقِ جَدَّةِ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ إِلَى مُنْقَطِعِ الْعَشَائِرِ . هَذَا شَأْنُ مَكَّةَ وَخَبَرُهَا وَتُسَمَّى أُمُّ الْقُرَى وَتُسَمَّى الْكَعْبَةُ لِعُلُوقِهَا مِنْ أَسْمِ الْكَعْبِ وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا بَكَّةَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ لِأَنَّ النَّاسَ يَبْكُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَيْهَا أَيْ يَدْفَعُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ بَاءَ بَكَّةَ أَبْدَلُوهَا مِيمًا كَمَا قَالُوا لَا زَبٌّ وَلَا زِمٌّ لِقُرْبِ الْخُرَجِينَ وَقَالَ الْخُفَيْيُّ بِأَنْبَاءٍ وَبِالْمِيمِ الْبَلَدُ وَقَالَ الرَّهْرِيُّ بِأَنْبَاءٍ لِلْمَسْجِدِ كُلِّهِ وَبِالْمِيمِ لِلْحَرَمِ وَقَدْ كَانَتْ الْأُمَمُ مِنْذُ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ تُعْظِمُهُ وَالْمُلُوكُ تَبْعُثُ إِلَيْهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْذَّخَائِرِ مِثْلَ كِسْرَى وَغَيْرِهِ وَفِصَّةَ الْأَسْيَافِ وَغَزَا إِلَى الذَّهَبِ اللَّذِينَ وَجَدَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ اخْتَفَرَ زَمْزَمَ مَعْرُوفَةً وَقَدْ وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَفْتَحَ مَكَّةَ فِي الْجَبِّ الَّذِي كَانَ فِيهَا سَبْعِينَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ مِنَ الذَّهَبِ مِمَّا كَانَ الْمُلُوكُ يَهْدُونَ لِلْبَيْتِ فِيهَا أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ مُكَرَّرَةً مَرَّتَيْنِ بِمِائَتِي قِنْطَارٍ وَزَنًا وَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اسْتَعْنَتْ بِهِذَا الْمَالُ عَلَى حَرْبِكَ فَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ ذَكَرَ لِأَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يُحَرِّكْهُ هَكَذَا قَالَ الْأَزْرَقِيُّ وَفِي الْبُخَارِيِّ يُسْنِدُهُ إِلَى أَبِي وَائِلٍ قَالَ جَاءَتْ إِلَى شَيْبَةَ بْنِ عَثْمَانَ وَقَالَ جَلَسَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدْعَ فِيهَا صَفَرَاءَ وَلَا يَتَضَاءَ إِلَّا فُسَحْتَهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قُلْتُ مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ قَالَ وَلَمْ قُلْتُ فَلَمْ يَفْعَلْ صَاحِبَاكَ فَقَالَ هُمَا اللَّذَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا وَخَرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَقَامَ ذَلِكَ الْمَالُ إِلَى أَنْ كَانَتْ فِتْنَةُ الْأَفْطَسِ وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ حِينَ غَلَبَ مَكَّةَ عُمَدٌ إِلَى

الْكَعْبَةِ فَأَخَذَ مَا فِي خَزَائِنِهَا وَقَالَ مَا تَصْنَعُ الْكَعْبَةُ بِهَذَا الْمَالِ مَوْضِعًا فِيهَا لَا يُنْتَفَعُ بِهِ  
 نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى حَرْبِنَا وَأَخْرَجَهُ وَاتَّصَرَفَ فِيهِ وَبَطَّأَتِ الذَّخِيرَةُ مِنَ الْكَعْبَةِ  
 مِنْ يَوْمَئِذٍ . ( واما بيت المقدس ) وَهُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى فَكَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ أَيَّامَ الصَّابِئَةِ  
 مَوْضِعَ الزُّهْرَةِ وَكَانُوا يُقَرَّبُونَ إِلَيْهِ الزَّيْتَ فِيمَا يُقَرَّبُونَهُ يَصُبُّونَهُ عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي هُنَاكَ  
 ثُمَّ دُثِرَ ذَلِكَ الْهَيْكَلُ وَاتَّخَذَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ مَلَكَوْهَا قَبْلَةَ إِصْلَاحِهِمْ : وَذَلِكَ أَنَّ  
 مُوسَى صَاوَأْتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا خَرَجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ لِمَمْلِكِيَّتِهِمْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ كَمَا  
 وَعَدَ اللَّهُ آبَاءَهُمْ إِسْرَائِيلَ وَأَبَاهُ إِسْحَاقَ مِنْ قَبْلِهِ وَأَقَامُوا بِأَرْضِ آلِيهِ أَمْرَهُ اللَّهُ بِاتِّخَاذِ  
 قُبَّةٍ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ عِثَّةٍ بِالْوَحْيِ مَقْدَارُهَا وَصِفَتُهَا وَهِيَ كِلْهَا وَتَمَائِيلُهَا وَأَنْ يَكُونَ  
 فِيهَا التَّابُوتُ وَمَائِدَةٌ بِصَحَافِهَا وَمَنَارَةٌ بِقَنَادِيلِهَا وَأَنْ يَصْنَعَ مَذْبَحًا لِلْقُرْبَانِ وَصَفَ ذَلِكَ  
 كُلَّهُ فِي التَّوْرَةِ أَكْمَلَ وَصَفَ فَصْنَعَ الْقُبَّةَ وَوَضَعَ فِيهَا تَابُوتَ الْعَهْدِ وَهُوَ التَّابُوتُ  
 الَّذِي فِيهِ الْأَلْوَاحُ الْمَصْنُوعَةُ عِوَضًا عَنِ الْأَلْوَاحِ الْمُنْزَلَةِ بِالْكَلِمَاتِ الْعَشْرِ لَمَّا تَكَسَّرَتْ  
 وَوَضَعَ الْمَذْبَحَ عِنْدَهَا . وَعَهْدَ اللَّهُ إِلَى مُوسَى بِأَنْ يَكُونَ هَارُونَ صَاحِبَ الْقُرْبَانِ وَتَصْبُوا  
 تِلْكَ الْقُبَّةَ بَيْنَ خِيَامِهِمْ فِي آلِيهِ يُصَلُّونَ إِلَيْهَا وَيَتَقَرَّبُونَ فِي الْمَذْبَحِ أَمَامَهَا وَيَتَعَرَّضُونَ  
 لِلْوَحْيِ عِنْدَهَا . وَلَمَّا مَلَكَوْا الشَّامَ وَبَقِيَتْ تِلْكَ الْقُبَّةُ قِبْلَتَهُمْ وَوَضَعُوهَا عَلَى الصَّخْرَةِ  
 بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَأَرَادَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَاءَ مَسْجِدِهِ عَلَى الصَّخْرَةِ مَكَانَهَا فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ  
 ذَلِكَ وَعَهْدَ بِهِ إِلَى ابْنِهِ سُلَيْمَانَ فَبَنَاهُ لِأَرْبَعِ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِ وَلِخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ وَفَاةِ  
 مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاتَّخَذَ عُمْدَةً مِنَ الصُّفْرِ وَجَعَلَ بِهِ صَرْحَ الزُّجَاجِ وَغَشَّى أَبْوَابَهُ  
 وَحِيطَانَهُ بِالذَّهَبِ وَصَاغَ هِيََا كُلَّهُ وَتَمَائِيلَهُ وَأَوْعِيَتُهُ وَمَنَارَتَهُ وَمَفْتَاحَهُ مِنَ الذَّهَبِ وَجَعَلَ  
 فِي ظَهْرِهِ قَبْرًا لِيَضَعَ فِيهِ تَابُوتَ الْعَهْدِ وَهُوَ التَّابُوتُ الَّذِي فِيهِ الْأَلْوَاحُ وَجَاءَ بِهِ مِنْ  
 صِهْيُونَ بَلَدِ أَبِيهِ دَاوُدَ تَحْمِيلُهُ الْأَسْبَاطُ وَالْكَهَنُوتُ حَتَّى وَضَعَهُ فِي الْقَبْرِ وَوُضِعَتِ الْقُبَّةُ  
 وَالْأَوْعِيَّةُ وَالْمَذْبَحُ كُلُّ وَاحِدٍ حَيْثُ أُعِدَّ لَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَأَقَامَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ  
 خَرَبَهُ بِحَتِّ نَصْرٍ بَعْدَ ثَمَانِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ بِنَائِهِ وَأَخْرَقَ التَّوْرَةَ وَالْعَصَا وَصَاغَ الْهِيََا كُلَّ وَنَثَرَ  
 الْأَحْجَارَ ثُمَّ لَمَّا أَعَادَهُمْ مُلُوكُ الْفَرَسِ بَنَاهُ عَزِيزُ نَبِيِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِيَّاهُ بِإِعَانَةِ بَهْمَنْ  
 مَلِكِ الْفَرَسِ الَّذِي كَانَتْ الْوِلَادَةُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّ بَحْتِ نَصْرٍ وَحَدَّ لَهُمْ فِي  
 بِنْيَانِهِ حُدُودًا دُونَ بِنَاءِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمْ يَتَجَاوَزُوها ثُمَّ تَدَاوَلَتْهُمْ



مُلُوكُ يُونَانَ وَالْفُرسِ وَالرُّومِ وَاسْتَفْجَلَ الْمَلِكُ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ ثُمَّ لَبِنِي  
 حَشَمَنَائِي مِنْ كَهَنَتِهِمْ ثُمَّ لَصَّهْرِهِمْ هِيرُودُسَ وَلَبَنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ وَبَنَى هِيرُودُسُ بَيْتَ الْقُدْسِ  
 عَلَى بِنَاءِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَأَثَّقَ فِيهِ حَتَّى أَكْمَلَهُ فِي سِتِّ سِنِينَ فَلَمَّا جَاءَ طَيْطُسُ  
 مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ وَغَابَهُمْ وَمَلَكَ أَمْرَهُمْ خَرَّبَ بَيْتَ الْقُدْسِ وَمَسْجِدَهَا وَأَمَرَ أَنْ يُزْرَعَ  
 مَكَانَهُ ثُمَّ أَخَذَ الرُّومُ بِيَدَيْنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَانُوا بِتَعْظِيمِهِ ثُمَّ اخْتَلَفَ حَالُ  
 مُلُوكِ الرُّومِ فِي الْأَخْذِ بِدِينِ النَّصَارَى تَارَةً وَتَرَكَهُ أُخْرَى إِلَى أَنْ جَاءَ قُسْطَنْطِينُ  
 وَتَنَصَّرَتْ أُمُّهُ هِيلَانَةُ وَارْتَدَّتْ إِلَى النَّسَنِ فِي سَلْبِ الْخَشَبَةِ الَّتِي صُلِبَ عَلَيْهَا الْمَسِيحُ  
 بِزَعْمِهِمْ فَأَخْبَرَهَا الْقَسَاوِسَةُ بِأَنَّهُ رُمِيَ بِخَشَبَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ وَأَنَّ عَائِيهَا الْقَامَاتِ وَالْقَاذُورَاتِ  
 فَأَسْتَخْرَجَتِ الْخَشَبَةَ وَبَنَتْ مَكَانَ تِلْكَ الْقَامَاتِ كِبِيسَةَ الْقَامَةِ كَانَهَا عَلَى قَبْرِهِ بِزَعْمِهِمْ  
 وَهَرَبَتْ مَا وَجَدَتْ مِنْ عِمَارَةِ الْبَيْتِ وَأَمَرَتْ بِطَرْحِ الزَّبَلِ وَالْقَامَاتِ عَلَى الصَّخْرَةِ حَتَّى  
 غَطَّاهَا وَخَفِيَ مَكَانُهَا جِزَاءُ بَزْعَمِهَا لِمَا فَعَلُوهُ بِقَبْرِ الْمَسِيحِ ثُمَّ بَنَوْا بِإِزَاءِ الْقَامَةِ بَيْتَ لَحْمٍ  
 وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ الْإِسْلَامُ  
 وَحَضَرَ عُمَرُ لِفَتْحِ بَيْتِ الْقُدْسِ وَسَأَلَ عَنِ الصَّخْرَةِ فَأَرَى مَكَانَهَا وَقَدْ عَلَاهَا الزَّبَلُ  
 وَالثَّرَابُ فَكَشَفَ عَنْهَا وَبَنَى عَلَيْهَا مَسْجِدًا عَلَى طَرِيقِ الْبِدَاوَةِ وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِهِ مَا أَدْنَى اللَّهِ  
 مِنْ تَعْظِيمِهِ وَمَا سَبَقَ مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ فِي فَضْلِهِ حَسْبَمَا ثَبَتَ ثُمَّ اخْتَفَلَ الْوَلِيدُ بْنُ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ فِي تَشْيِيدِ مَسْجِدِهِ عَلَى سُنَنِ مَسَاجِدِ الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْإِحْتِفَالِ  
 كَمَا فَعَلَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَفِي  
 مَسْجِدِ دِمَشْقٍ وَكَانَتْ الْعَرَبُ تُسَمِّيهِ بِالْأَطِ الْوَلِيدِ وَالزَّمَّ مَلِكَ الرُّومِ أَنْ يَبْعَثَ الْفَعْلَةَ  
 وَالْمَالَ لِبِنَاءِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ وَأَنْ يُنْمِقُوهَا بِالْفَسْفَسَاءِ فَطَاعَ لِذَلِكَ وَتَمَّ بِنَاؤُهَا عَلَى  
 مَا اقْتَرَحَهُ ثُمَّ لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ أَعْوَامَ الْخَمْسِمِائَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي آخِرِهَا  
 وَكَانَتْ فِي مَلِكَةِ الْعَبِيدِيِّينَ خُلَفَاءِ الْقَاهِرِ مِنَ الشَّيْعَةِ وَاخْتَلَّ أَمْرُهُمْ زَحَفَ الْفَرَنْجَةُ  
 إِلَى بَيْتِ الْقُدْسِ فَمَلَكَوهُ وَمَلَكَوْهُمَا مَعَهُ عَامَةُ ثُغُورِ الشَّامِ وَبَنَوْا عَلَى الصَّخْرَةِ الْقُدْسَةِ  
 مِنْهُ كِبِيسَةً كَانُوا يُعَظِّمُونَهَا وَيَفْتَخِرُونَ بِبِنَائِهَا حَتَّى إِذَا اسْتَقَلَّ صَالِحُ الدِّينِ بْنُ  
 أَيُّوبَ الْكُرْدِي بِمَلِكِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَمَحَا أَثَرَ الْعَبِيدِيِّينَ وَبَدَعَهُمْ زَحَفَ إِلَى الشَّامِ  
 وَجَاهَدَ مَنْ كَانَ بِهِ مِنَ الْفَرَنْجَةِ حَتَّى غَلَبَهُمْ عَلَى بَيْتِ الْقُدْسِ وَعَلَى مَا كَانُوا مَلَكَوهُ

من ثغور الشام وذلك لنحو ثمانين وخمسين من الهجرة وهدم تلك الكنيسة  
وأظهر الصخرة وبنى المسجد على النحو الذي هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يعرض  
لك إلا شكال المعروف في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن  
أول بيت وضع فقال بين مكة وبين بناء بيت المقدس قيل نكمت بينهما قال أربعون  
سنة فإن المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس بمقدار ما بين إبراهيم وسليمان  
لأن سليمان بانيه وهو ينفى على آلاف بكثير. وأعلم أن المراد بالوضع في الحديث  
ليس البناء وإنما المراد أول بيت عين للعبادة ولا يتعد أن يكون بيت المقدس عين  
للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة وقد نقل أن الصابئة بنوا على الصخرة هيكل  
الزهرة فلعل ذلك أنها كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الأصنام والأصنام  
حوالي الكعبة وفي جوفها والصابئة الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد إبراهيم  
عليه السلام فلا تبعد مدة الأربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت المقدس  
وإن لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وأن أول من بنى بيت المقدس سليمان  
عليه السلام فتفهمة فيه حل هذا الإشكال. وأما المدينة وهي المسماة يثرب  
فهي من بناء يثرب بن هلايل من العمالة وملكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما  
ملكوه من أرض الحجاز ثم جاورهم بنو قبيلة من غسان وغلبوهم عليها وعلى حصونها.  
ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر إليها  
ومعه أبو بكر وتبعه أصحابه ونزل بها وبنى مسجده ويوتنه في الموضع الذي كان الله  
قد أعد له لذلك وشرفه في سابق أزيل وأواه أبناء قبيلة ونصروه فلذلك سموا الأنصار  
وتمت كلمة الإسلام من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح  
مكة وملكها وظن الأنصار أنه يتحول عنهم إلى بلده فأهمهم ذلك فخطبهم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه غير متحول حتى إذا قبض صلى الله  
عليه وسلم كان ملجده الشريف بها وجاء في فضلها من الأحاديث الصحيحة ما لا يخفى  
به ووقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها على مكة وبه قال مالك رحمه الله لما ثبت  
عنده في ذلك من النص الصحيح عن رفيع بن ربيعة بن مخدج أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال المدينة خير من مكة نقل ذلك أبو الوهاب في المعونة إلى الأحاديث الأخرى



تَدُلُّ بِظَاهِرِهَا عَلَى ذَلِكَ وَخَالَفَتْ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ . وَأَصْبَحَتْ عَلَى كُلِّ حَالٍ ثَانِيَةً  
 الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَجَنَحَ إِلَيْهَا الْأُمَمُ بِأَفْئِدَتِهِمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ فَانْظُرْ كَيْفَ تَدْرَجَتْ  
 الْفَضِيلَةُ فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الْمُعْظَمَةِ لِمَا سَبَقَ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ لَهَا وَتَفَهَّمْ سِرَّ اللَّهِ فِي الْكُونِ  
 وَتَدْرِيجَهُ عَلَى تَرْتِيبٍ مُحْكَمٍ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا . وَأَمَّا غَيْرُ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ  
 فَلَا تَعْلَمُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا يُقَالُ مِنْ شَأْنِ مَسْجِدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَرَنْدِيبَ مِنْ  
 جَزَائِرِ الْهِنْدِ لَكِنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ شَيْءٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَتْ الْأُمَمُ فِي الْقَدِيمِ مَسَاجِدُ  
 يُعْظِمُونَهَا عَلَى جِهَةِ الدِّيانَةِ بِزَعْمِهِمْ مِنْهَا بُيُوتُ النَّارِ لِلْفَرَسِ وَهِيَ كُلُّ يُونَانَ وَيُيُوتُ الْعَرَبِ  
 بِالْحِجَازِ أَلَّتِي أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَدْمِهَا فِي غَزْوَاتِهِ وَقَدْ ذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ مِنْهَا  
 بُيُوتًا أَسْنَا مِنْ ذِكْرِهَا فِي شَيْءٍ إِذْ هِيَ غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ وَلَا هِيَ عَلَى طَرِيقِ دِينِي وَلَا يُلْتَفَتُ  
 إِلَيْهَا وَلَا إِلَى الْخَبَرِ عَنْهَا وَيَكْفِي فِي ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي التَّوَارِيخِ فَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ الْأَخْبَارِ  
 فَعَلَيْهِ بِهَا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ سُبْحَانَهُ

### الفصل السابع

في ان المدن والامصار بافریقیة والمغرب قليلة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَفْطَارَ كَانَتْ لِلْبَرِّ مِنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
 وَكَانَ عُمَرَانُهَا كُلُّهُ بَدَوِيًّا وَلَمْ تَسْتَمِرَّ فِيهِمْ الْحَضَارَةُ حَتَّى تُسْتَكْمَلَ أَحْوَالُهَا وَالْأَوَّلُ  
 أَلَّتِي مَلَكَتْهُمْ مِنْ الْأَفْرِجَةِ وَالْعَرَبِ لَمْ يَطُلْ أَمْدُ مَلَكَتِهِمْ فِيهِمْ حَتَّى تَرَسَّخَ الْحَضَارَةُ  
 مِنْهَا فَلَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ الْبِدَاوَةِ وَشُرُوقُهَا فَكَانُوا إِلَيْهَا أَقْرَبَ فَلَمْ تَكُنْ مَبَانِيهِمْ وَأَيْضًا  
 فَالْصَّنَائِعُ بَعِيدَةٌ عَنِ الْبَرِّ لِأَنَّهُمْ أَغْرَقُوا فِي الْبَدْوِ وَالصَّنَائِعُ مِنْ تَوَابِعِ الْحَضَارَةِ وَإِنَّمَا  
 نَتَمَّ الْمَبَانِي بِهَا فَلَا بُدَّ مِنَ الْحَذَقِ فِي تَعْلُمِهَا فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلْبَرِّ رَأْيُ الْحَالِ لَهَا لَمْ يَكُنْ  
 لَهُمْ تَشَوُّقٌ إِلَى الْمَبَانِي فَضَلَّ عَنْ الْمَدُنِ وَأَيْضًا فَهْمُ أَهْلِ عَصَبِيَّاتٍ وَأَنْسَابٍ لَا يَخْلُو  
 عَنْ ذَلِكَ جَمْعُ مِنْهُمْ وَالْأَنْسَابُ وَالْعَصَبِيَّةُ أَجْنَحُ إِلَى الْبَدْوِ وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى الْمَدُنِ  
 الدُّعَا وَالسَّكُونُ وَيَصِيرُ سَاكِنُهَا عِيَالًا عَلَى حَامِيَّتِهَا فَتَجِدُ أَهْلَ الْبَدْوِ لِذَلِكَ يَسْتَنَكِفُونَ  
 عَنْ سُكْنَى الْمَدِينَةِ أَوْ الْإِقَامَةِ بِهَا فَلَا يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ إِلَّا التَّرَفُّ وَالْغِنَى وَقَلِيلٌ مَا هُوَ  
 فِي النَّاسِ فَلِذَلِكَ كَانَ عُمَرَانُ أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ بَدَوِيًّا أَهْلُ خِيَامٍ  
 وَظَوَاعِنَ وَقِيَاطِنَ وَكُنَّ فِي الْجِبَالِ وَكَانَ عُمَرَانُ بِلَادِ الْعَجَمِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرُهُ قُرَى

وَأَمَّارًا وَرَسَاتِيقَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَعِرَاقِ الْعَجَمِ وَأَمْثَالِهَا لِأَنَّ  
الْعَجَمَ لَيْسُوا بِأَهْلِ أَنْسَابٍ يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا وَيَتَّبِعُونَ فِي صُرَاحَتِهَا وَالتَّجَارِبِهَا إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ سُكْنَى الْبَدْوِ لِأَهْلِ الْأَنْسَابِ لِأَنَّ لُحْمَةَ النَّسَبِ أَقْرَبُ وَأَشَدُّ فَتَكُونُ  
عَصِيَّتُهُ كَذَلِكَ وَتَنْزِعُ بِصَاحِبِهَا إِلَى سُكْنَى الْبَدْوِ وَالتَّجَارِبِ عَنْ الْمِصْرِ الَّذِي يَذْهَبُ  
بِالْبَسَالَةِ وَيُصِيرُهُ عِيَالًا عَلَى غَيْرِهِ فَافْهَمَهُ وَقَسَّ عَلَيْهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن

في ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها

والى من كان قبلها من الدول

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِثْلَهُ فِي الْبَزْرِ بَعِيْنِهِ إِذِ الْعَرَبُ أَيْضًا أُعْرِقُ فِي الْبَدْوِ  
وَأَبْعَدُ عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَيُّضًا كَانُوا أَجَانِبَ مِنَ الْعَمَالِكِ الَّتِي اسْتَوَلَوْا عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
وَلَمَّا تَمَلَّكُوهَا لَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمَدُ حَتَّى تَسْتَوِي رُسُومُ الْحِضَارَةِ مَعَ أَنَّهُمْ اسْتَعْنَوْا بِمَا  
وَجَدُوا مِنْ مَبَانِي غَيْرِهِمْ وَأَيُّضًا فَكَانَ الدِّينُ أَوَّلَ الْأَمْرِ مَانِعًا مِنَ الْغُلَاةِ أَوْ الْبُنْيَانِ  
وَالْإِسْرَافِ فِيهِ فِي غَيْرِ الْقَصْدِ كَمَا عَهَدَ لَهُمْ عُمَرُ حِينَ اسْتَأْذَنُوهُ فِي بِنَاءِ الْكُوفَةِ  
بِالْحِجَارَةِ وَقَدْ وَقَعَ الْحَرْبُ فِي الْقَصَبِ الَّذِي كَانُوا بَنَوْا بِهِ مِنْ قَبْلُ فَقَالَ أَفْعَلُوا وَلَا يَزِيدَنَّ  
أَحَدٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيْكَاتٍ وَلَا تُطَالُوا فِي الْبُنْيَانِ وَالزَّمُوا السَّنَةَ تَلْزِمُكُمْ الدَّوْلَةُ وَعَهْدِي إِلَى  
الْوَفْدِ وَتَقْدَمَ إِلَى النَّاسِ أَنْ لَا يَرْفَعُوا بُنْيَانًا فَوْقَ الْقَدْرِ قَالُوا وَمَا الْقَدْرُ قَالَ لَا يَقْرَبُكُمْ  
مِنَ السَّرَفِ وَلَا يُخْرِجُكُمْ عَنِ الْقَصْدِ فَلَمَّا بَعْدَ الْعَهْدِ بِالَّذِينَ وَالتَّحَرُّجُ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ  
الْمَقَاصِدِ وَغَلَبَتْ طَبِيعَةُ الْمُلْكِ وَالتَّرَفِ وَاسْتَعْدَمَ الْعَرَبُ أُمَّةُ الْفُرْسِ وَأَخَذُوا عَنْهُمْ  
الصَّنَائِعَ وَالْمَبَانِي وَدَعَتْهُمْ إِلَيْهَا أَحْوَالُ الدَّعَةِ وَالتَّرَفِ فَجَنَّدَ شَيْدُوا الْمَبَانِي وَالْمَصَانِعَ  
وَكَانَ عَهْدُ ذَلِكَ قَرِيبًا بِانْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَلَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمَدُ لِكثْرَةِ الْبِنَاءِ وَاخْتِطَاطِ  
الْمُدُنِ وَالْأَمْصَارِ إِلَّا قَلِيلًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ فَالْفُرْسُ طَالَتْ مَدَنُهُمْ الْأَفَّا  
مِنَ السِّنِينَ وَكَذَلِكَ الْقَبْطُ وَالنَّبْطُ وَالرُّومُ وَكَذَلِكَ الْعَرَبُ الْأُولَى مِنْ عَادَ وَثَمُودَ وَالْعَالِقَةَ  
وَالْتَّبَاعَةَ طَالَتْ أَمَادُهُمْ وَرَسَخَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِمْ فَكَانَتْ مَبَانِيهِمْ وَهِيَ كُلُّهُمْ أَكْثَرُ  
عَدَدًا وَأَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ أَثَرًا وَاسْتَبْصَرَ فِي هَذَا تَجْدُهُ كَمَا قُلْتُ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ  
وَمَنْ عَلَيْهَا



## الفصل التاسع

في ان المباني التي كانت تحتطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل  
والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني  
وثيقة في تشييدها وله والله اعلم وجه آخر وهو افس به وذلك قلة مراعاتهم لحسن  
الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع  
والمراعي فانه بالتفاوت في هذا تتفاوت جودة المصير وردائه من حيث العمران  
الطبيعي والعرب بمنزل عن هذا وانما يراعون مراعي ابلهم خاصة لا يبالون بالماء  
طاب او خبت ولا قل او كثر ولا يسألون عن زكاء المزارع والمنابت والاهوية  
لانهم في الارض وتقلهم الحبوب من البلد البعيد واما الزياح فالفقر مختلف للمهاب  
كلها والظعن كليل لهم بطبيعتها لان الزياح انما تختبث مع القرار والسكنى وكثرة  
الفضلات وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها  
الا مراعي ابلهم وما يقرب من الفقر ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع  
الطبيعي للمدن ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قدمنا انه يحتاج اليه في  
العمران فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الامة فيعمرها الناس  
فلاول وهلة من انحلال امرهم وذهاب عصبيتهم التي كانت سببا لها اتى عليها الخراب  
والانحلال كان لم تكن والله يحكمكم لا معقب لحكمه

## الفصل العاشر

في مبادي الخراب في الامصار

اعلم ان الامصار اذا اختطت اولاً تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء  
من الحجر والجير وغيرها مما يعال على الحيطان عند التاني كالزخ والخام والرج  
والزجاج والفسيفساء والصدف فيكون بناؤها يومئذ بدوياً ولائها فاسدة فاذا عظم  
عمران المدينة وكثر ساكنها كثرت الآلات بكثرة الاعمال حينئذ وكثرت الصنائع  
الى ان تبلغ غايتها من ذلك كما سبق بشأنها فاذا تراجع عمرانها وخفت ساكنها  
قلت الصنائع لاجل ذلك وفقدت الاجادة في البناء والاحكام والمعالة عليه بالتتميق  
ثم تقل الاعمال لعدم الساكن فيقل جلب الآلات من الحجر والخام وغيرها

فَتَفْقَدُ وَيَصِيرُ بِنَاؤُهُمْ وَتَشِيدُهُمْ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي فِي مَبَانِيهِمْ فَيَنْقُلُونَهَا مِنْ مَصْنَعٍ إِلَى مَصْنَعٍ لِأَجْلِ خَلَاءِ أَكْثَرِ الْمَصَانِعِ وَالْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ بِقَلَّةِ الْعُمَرَانِ وَقُصُورِهِ عَمَّا كَانَ أَوَّلًا ثُمَّ لَا تَزَالُ تُنْقَلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ وَمِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ إِلَى أَنْ يُفْقَدَ الْكَثِيرُ مِنْهَا جُمْلَةً فَيَعُودُونَ إِلَى الْبِدَاوَةِ فِي الْبِنَاءِ وَاتِّخَاذِ الطُّوبِ عَوَضًا عَنِ الْحِجَارَةِ وَالْقُصُورِ عَنِ التَّنْمِيقِ بِالْكُلِّيَّةِ فَيَعُودُ بِنَاءُ الْمَدِينَةِ مِثْلَ بِنَاءِ الْقَرْيِ وَالْمَدَرِ وَتُظْهِرُ عَلَيْهَا سِيمَاءُ الْبِدَاوَةِ ثُمَّ تَمُرُّ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى غَايَتِهَا مِنَ الْخَرَابِ إِنْ قُدِرَ لَهَا بِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ

### الفصل الحادي عشر

في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لاهلها ونفاق الاسواق

انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عُرِفَ وَثَبَتَ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْبَشَرِ غَيْرُ مُسْتَقِلٍّ بِتَحْصِيلِ حَاجَاتِهِ فِي مَعَاشِهِ وَأَنَّهُمْ مُتَعَاوِنُونَ جَمِيعًا فِي عُمُرَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَالْحَاجَةُ الَّتِي تُحْصَلُ بِتَعَاوُنِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَشْتَدُّ ضَرُورَةً أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِهِمْ أَوْ أَعْيَافًا فَالْقُوَّةُ مِنَ الْخَطِئَةِ مِثْلًا لَا يَسْتَقِلُّ الْوَاحِدُ بِتَحْصِيلِ حِصَّتِهِ مِنْهُ وَإِذَا انْتَدَبَ لِتَحْصِيلِ السَّنَةِ أَوْ الْعَشْرِ مِنْ حَدَادٍ وَنَحَارٍ لِلآلَاتِ وَقَائِمٍ عَلَى الْبَقَرِ وَإِثَارَةِ الْأَرْضِ وَحِصَادِ السَّنْبِلِ وَسَائِرِ مَوْثِ الْفَلَحِ وَتَوَزَّعُوا عَلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ أَوْ اجْتَمَعُوا وَحَصَلَ بِعَمَلِهِمْ ذَلِكَ مِقْدَارٌ مِنَ الْقُوَّةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قُوَّةٌ لِأَعْيَافِهِمْ مَرَّتَيْنِ فَالْأَعْمَالُ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ زَائِدَةٌ عَلَى حَاجَاتِ الْعَامِلِينَ وَضُرُورَاتِهِمْ فَأَهْلُ مَدِينَةٍ أَوْ مَضَرٍ إِذَا وَزَّعَتْ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا عَلَى مِقْدَارِ ضُرُورَاتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ أَكْتَفَى فِيهَا بِالْأَقَلِّ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا زَائِدَةً عَلَى الضَّرُورَاتِ فَتُصَرَّفُ فِي حَالَاتِ التَّرَفِّ وَعَوَائِدِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَيَسْتَجْلِبُونَهُ مِنْهُمْ بِأَعْوَاضِهِ وَفِيمَهُ فَيَكُونُ لَهُمْ بِذَلِكَ حِظٌّ مِنَ الْغِنَى وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ فِي بَابِ الْكَسْبِ وَالرِّزْقِ أَنَّ الْمَكْسَبَ إِنَّمَا هِيَ قِيمَةُ الْأَعْمَالِ فَإِذَا كَثُرَتِ الْأَعْمَالُ كَثُرَتْ قِيمَتُهَا بَيْنَهُمْ فَكَثُرَتْ مَكْسَبُهُمْ ضَرُورَةً وَدَعَتْهُمْ أَحْوَالُ الرِّفَةِ وَالْغِنَى إِلَى التَّرَفِّ وَحَاجَاتِهِ مِنَ الثَّانِي فِي الْمَسَاكِينِ وَالْمَلَابِسِ وَاسْتِجَادَةِ الْإِنْيَةِ وَالْمَاعُونِ وَاتِّخَاذِ الْخَدَمِ وَالْمَرَآكِبِ وَهَذِهِ كُلُّهَا أَعْمَالٌ تُسْتَدْعَى بِقِيمَتِهَا وَيَخْتَارُ الْمَهْرَةُ فِي ضِنَاعَتِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا فَتَنَفَّقُ أَسْوَاقُ الْأَعْمَالِ وَالصَّنَائِعِ وَيَكْثُرُ دَخْلُ الْمِضْرِ



وَخَرَجُهُ وَيَحْصُلُ الْبَسَارُ لِنْتَعَلِي ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِمْ وَمَتَى زَادَ الْعُمَرَانُ زَادَتِ الْأَعْمَالُ  
 ثَانِيَةً ثُمَّ زَادَ التَّرَفُ تَابِعًا لِلْكَسْبِ وَزَادَتِ عَوَائِدُهُ وَحَاجَاتُهُ وَأَسْتَنْبَطَتِ الصَّنَائِعُ  
 لِحَصِيلِهَا فَزَادَتِ قِيمُهَا وَتَضَاعَفَ الْكَسْبُ فِي الْمَدِينَةِ لِذَلِكَ ثَانِيَةً وَتَفَقَّتْ سُوقُ الْأَعْمَالِ  
 بِهَا أَكْثَرُ مِنَ الْأَوَّلِ وَكَذَا فِي الزِّيَادَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الزَّائِدَةَ كُلَّهَا  
 تَخْتَصُّ بِالتَّرَفِ وَالْغِنَى بِخِلَافِ الْأَعْمَالِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْمَعَاشِ فَالْمِصْرُ إِذَا  
 فَضُلَ بِعُمَرَانٍ وَاحِدٍ فَفَضْلُهُ بِزِيَادَةِ كَسْبٍ وَرِفَةٍ بِعَوَائِدٍ مِنَ التَّرَفِ لَا تُوجَدُ فِي الْآخِرِ  
 فَمَا كَانَ عُمَرَانُهُ مِنَ الْأَمْصَارِ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ كَانَ حَالُ أَهْلِهِ فِي التَّرَفِ أَبْلَغَ مِنْ حَالِ  
 الْمِصْرِ الَّذِي دُونَهُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْأَصْنَافِ الْقَاضِيَةِ مَعَ الْقَاضِيِ وَالتَّاجِرِ مَعَ  
 التَّاجِرِ وَالصَّانِعِ مَعَ الصَّانِعِ وَالسُّوْفِيِّ مَعَ السُّوْفِيِّ وَالْأَمِيرِ مَعَ الْأَمِيرِ وَالشَّرْطِيِّ مَعَ  
 الشَّرْطِيِّ \* وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ مَثَلًا بِحَالِ فَاسَ مَعَ غَيْرِهَا مِنْ أَمْصَارِهِ مِثْلَ بَجَايَةِ  
 وَتَلْمُسَانَ وَسَبْتَةَ تَجِدُ بَيْنَهُمَا بَوْنًا كَثِيرًا عَلَى الْجُمْلَةِ ثُمَّ عَلَى الْخُصُوصِيَّاتِ فَحَالُ الْقَاضِيِ  
 بِفَاسَ أَوْسَعُ مِنْ حَالِ الْقَاضِيِ بِتَلْمُسَانَ وَهَكَذَا كُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفِ أَهْلِهِ وَكَذَا  
 أَيْضًا حَالُ تَلْمُسَانَ مَعَ وَهْرَانَ أَوْ الْجَزَائِرِ وَحَالُ وَهْرَانَ وَالْجَزَائِرِ مَعَ مَا دُونَهُمَا إِلَى أَنْ  
 تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَدَرِ الَّذِينَ اعْتَمَلَهُمْ فِي ضَرُورِيَّاتِ مَعَاشِهِمْ فَقَطْ وَيُقْصِرُونَ عَنْهَا وَمَا  
 ذَلِكَ إِلَّا لِتَفَاوُتِ الْأَعْمَالِ فِيهَا فَكَانَهَا كُلُّهَا أَسْوَاقَ الْأَعْمَالِ وَالْخُرُجِ فِي كُلِّ سُوقٍ عَلَى  
 نِسْبَتِهِ فَالْقَاضِيِ بِفَاسَ دَخَلَهُ كِفَاءُ خَرَجِهِ وَكَذَا الْقَاضِيِ بِتَلْمُسَانَ وَحَيْثُ الدَّخْلُ وَالْخُرُجُ  
 أَكْثَرُ تَكُونُ الْأَحْوَالُ أَعْظَمَ وَهِيَ بِفَاسَ أَكْثَرُ لِتَفَاقٍ سُوقِ الْأَعْمَالِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
 التَّرَفُ فَالْأَحْوَالُ أَضْحَمُ ثُمَّ كَذَا حَالُ وَهْرَانَ وَفُسْطَاطِيَّةَ وَالْجَزَائِرِ وَبِسُكْرَةَ حَتَّى  
 تَنْتَهِيَ كَمَا قُلْنَا إِلَى الْأَمْصَارِ الَّتِي لَا تُؤْتِي أَعْمَالُهَا بِضَرُورَاتِهَا وَلَا تُعَدُّ فِي الْأَمْصَارِ إِذَا  
 هِيَ مِنْ قَبِيلِ الْقُرَى وَالْمَدَرِ فَلِذَلِكَ تَجِدُ أَهْلَ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ ضِعْفَاءَ الْأَحْوَالِ  
 مُتَقَارِبِينَ فِي الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ لِمَا أَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَا تَقِي بِضَرُورَاتِهِمْ وَلَا يَفْضُلُ مَا يَتَأَلَّفُونَ  
 كَسْبًا فَلَا تَنْمُو مَكْسَبُهُمْ وَهُمْ لِذَلِكَ مَسَاكِينُ مُحَاطِينَ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَاعْتَبِرْ  
 ذَلِكَ حَتَّى فِي أَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالسُّؤَالِ فَإِنَّ السَّائِلَ بِفَاسَ أَحْسَنُ حَالًا مِنَ السَّائِلِ بِتَلْمُسَانَ  
 أَوْ وَهْرَانَ وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِفَاسَ السُّؤَالَ يَسْأَلُونَ أَيَّامَ الْأَضَاحِيِّ أَثْمَانَ ضَحَايَاهُمْ وَرَأَيْتُهُمْ  
 يَسْأَلُونَ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ التَّرَفِ وَاقْتِرَاحِ الْمَاكِلِ مِثْلَ سُؤَالِ الْعَمْرِ وَالسَّمَنِ

وَعِلَاجِ الطَّبَخِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَاعُونِ كَالْعُرْبَالِ وَالْأَلْيَةِ وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ مِثْلَ هَذَا  
يَتَلَمَّسَانِ أَوْ وَهْرَانِ لَا سَتُكْرَ وَعَنَفَ وَزَجَرَ وَيَبْلُغُنَا لِهَذَا الْعَهْدِ عَنْ أَحْوَالِ الْقَاهِرَةِ  
وَمِصْرَ مِنَ التَّرَفِ وَالْغِنَى فِي عَوَائِدِهِمْ مَا يُقْضَى مِنْهُ الْعَجَبُ حَتَّى أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَرَاءِ  
بِالْمَغْرِبِ يَنْزِعُونَ مِنَ الثَّقَلَةِ إِلَى مِصْرَ لِذَلِكَ وَإِنَّا يَبْلُغُهُمْ مِنْ أَنَّ شَأْنَ الرِّفْقِ بِمِصْرَ  
أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهَا وَيَعْتَقِدُ الْعَامَّةُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ ذَلِكَ لَزِيَادَةِ إِيْثَارٍ فِي أَهْلِ تِلْكَ الْأَفَاقِ  
عَلَى غَيْرِهِمْ أَوْ أَمْوَالٍ مُخْتَزَنَةٍ لَدَيْهِمْ وَأَنْهُمْ أَكْثَرُ صَدَقَةٍ وَإِيْثَارًا مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ  
الْأَمْصَارِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا تَعْرِفُهُ مِنْ أَنَّ عُمَرَ بْنَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ أَكْثَرُ مِنْ  
عُمَرَ بْنَ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الَّتِي لَدَيْكَ فَعَظُمَتْ لَذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ وَأَمَّا حَالُ الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ  
فَمُتَّكَفِيٌّ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَمَتَى عَظُمَ الدَّخْلُ عَظُمَ الْخُرْجُ وَبِالْعَكْسِ وَمَتَى عَظُمَ  
الدَّخْلُ وَالْخُرْجُ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ السَّاكِنِينَ وَوَسَّعَ الْمِصْرُ كُلُّ شَيْءٍ يَبْلُغُكَ مِنْ مِثْلِ هَذَا  
فَلَا تُنْكِرُهُ وَأَعْتَبِرْهُ بِكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ وَمَا يَكُونُ عَنْهُ مِنْ كَثْرَةِ الْمُكَاسِبَةِ الَّتِي  
يَسْهَلُ بِسَبَبِهَا الْبَدَلُ وَالْإِثَارُ عَلَى مُبْتَغِيهِ وَمِثْلُهُ بِشَأْنِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ مَعَ بُيُوتِ الْمَدِينَةِ  
الْوَحِيدَةِ وَكَيْفَ تَخْتَابُ أَحْوَالُهَا فِي هُجْرَانِهَا أَوْ غَشْيَانِهَا فَإِنَّ بُيُوتَ أَهْلِ النِّعَمِ وَالثَّرْوَةِ  
وَالْمَوَائِدِ الْخَصِيصَةِ مِنْهَا تَكْثُرُ بِسَاحَتِهَا وَأَقْنِيَّتِهَا بِذَرِّ الْحُبُوبِ وَسَوَاقِطِ الْفُتَاتِ فَيَزْدَحِمُ  
عَلَيْهَا غَوَاشِي النَّمْلِ وَالْخِشَاشِ وَيَلْحَقُ فَوْقَهَا عَصَائِبُ الطُّيُورِ حَتَّى تَرُوحَ بِطَانًا وَتُثْمَلِي شَبَعًا  
وَرِيًّا وَبُيُوتُ أَهْلِ الْخِصَاصَةِ وَالْفُقَرَاءِ الْمُكَاسِدَةِ أَرْزَاقُهُمْ لَا يَسْرِي بِسَاحَتِهَا دَيْبٌ وَلَا  
يُحَلِّقُ بِجَوِّهَا طَائِرٌ وَلَا تَأْوِي إِلَى زَوَابِا يُؤْوِيهِمْ فَارَةٌ وَلَا هَرَّةٌ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ  
تَسْقُطُ الطُّيُورُ حَيْثُ تَلْتَقِطُ الْحَبَّ م وَتَغْشَى مَنَازِلَ الْكُرْمَاءِ

فَتَأْمَلُ سِرَّ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ وَأَعْتَبِرْ غَاشِيَةَ الْأَنَامِيِّ بِغَاشِيَةِ الْعُجْمِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَفُتَاتِ  
الْمَوَائِدِ بِفَضْلَاتِ الرِّزْقِ وَالتَّرَفِ وَسَهُولَتِهَا عَلَى مَنْ يَبْدُلُهَا لِاسْتِغْنَائِهِمْ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ  
لَوْجُودِ أَمْثَالِهَا لَدَيْهِمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ اتِّسَاعَ الْأَحْوَالِ وَكَثْرَةَ النِّعَمِ فِي الْعُمَرَانِ تَابِعٌ لِكَثْرَتِهِ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَدْلَمُ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

### الفصل الثاني عشر

في أسعار المدن

إِعْلَمُ أَنَّ الْأَسْوَاقَ كُلَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى حَاجَاتِ النَّاسِ فَمِنْهَا الضَّرُورِيُّ وَهِيَ الْأَقْوَاتُ



مِنَ الْخِنْطَةِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا كَلْبَافِلَاءَ وَالْبَصَلِ وَالثُّومِ وَأَشْبَاهِهِ وَمِنْهَا الْحَاجِي وَالْكِمَالِي  
 مِثْلُ الْآدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْمَلَابِيسِ وَالْمَاعُونِ وَالْمَرَاجِبِ وَسَائِرِ الْمَصَانِعِ وَالْمَبَانِي فَإِذَا  
 اسْتَبَجَرَ الْمِصْرُ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ رَخِصَتْ أَسْعَارُ الضَّرُورِيِّ مِنَ الْقُوتِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ وَغَلَّتْ  
 أَسْعَارُ الْكِمَالِي مِنَ الْآدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَمَا يَتَّبِعُهَا وَإِذَا قَلَّ سَاكِنُ الْمِصْرِ وَضَعُفَ  
 عُمُرَانُهُ كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحُبُوبَ مِنْ ضَرُورَاتِ الْقُوتِ فَتَتَوَفَّرُ  
 الدَّوَاعِي عَلَى اتِّخَاذِهَا إِذَا كُلُّ أَحَدٍ لَا يَهْدِلُ قُوتَ نَفْسِهِ وَلَا قُوتَ مَنَزِلِهِ لِشَهْرِهِ أَوْ سَنَتِهِ  
 فَيَعْمَلُ اتِّخَاذَهَا أَهْلُ الْمِصْرِ أَجْدَعُ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِصْرِ أَوْ فِيمَا قَرُبَ مِنْهُ  
 لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ وَكُلُّ مَنْخِذٍ لِقُوتِهِ فَتَفْضُلُ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ يَتِيهِ فَضْلَةٌ كَبِيرَةٌ تَسُدُّ خَلَّةَ  
 كَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمِصْرِ فَتَفْضُلُ الْأَقْوَاتُ عَنْ أَهْلِ الْمِصْرِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ  
 فَتَرْخُصُ أَسْعَارُهَا فِي الْغَالِبِ إِلَّا مَا يُصِيبُهَا فِي بَعْضِ السِّنِينَ مِنَ آَلَفَاتِ السَّمَاءِ وَلَوْ لَا  
 احْتِكَارُ النَّاسِ لَهَا لِمَا يَتَوَقَّعُ مِنْ تِلْكَ آَلَفَاتِ لَبَدَاتِ دُونَ ثَمَنِ وَلَا عِوَضَ لِكَثْرَتِهَا  
 بِكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ . وَأَمَّا سَائِرُ الْمَرَافِقِ مِنَ الْآدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَمَا إِلَيْهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ بِهَا  
 الْبُلُوى وَلَا يَسْتَفْرِقُ اتِّخَاذُهَا أَعْمَالُ أَهْلِ الْمِصْرِ أَجْدَعِينَ وَلَا الْكَثِيرَ مِنْهُمْ ثُمَّ إِنْ  
 الْمِصْرُ إِذَا كَانَ مُسْتَبَجِرًا مَوْفُورَ الْعُمَرَانِ كَثِيرَ حَاجَاتِ التَّرْفِ تَوَفَّرَتْ حِينَئِذٍ الدَّوَاعِي  
 عَلَى طَلَبِ تِلْكَ الْمَرَافِقِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْهَا كُلُّ بِحَسَبِ حَالِهِ فَيَقْصُرُ الْمَوْجُودُ مِنْهَا عَلَى  
 الْحَاجَاتِ فُصُورًا بِالْغَا وَبِكَثْرِ الْمُسْتَامُونَ لَهَا وَهِيَ قَلِيلَةٌ فِي نَفْسِهَا فَتَزِدُحِمُ أَهْلُ الْأَغْرَاضِ  
 وَيَبْذُلُ أَهْلُ التَّرْفِ وَالْإِسْرَافِ فِي الْغَلَاءِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ  
 فَيَقَعُ فِيهَا الْغَلَاءُ كَمَا تَرَاهُ . وَأَمَّا الصَّنَائِعُ وَالْأَعْمَالُ أَيْضًا فِي الْأَمْصَارِ الْمَوْفُورَةِ الْعُمَرَانِ  
 فَسَبَبُ الْغَلَاءِ فِيهَا أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ الْأَوَّلُ كَثْرَةُ الْحَاجَةِ لِمَكَانِ التَّرْفِ فِي الْمِصْرِ بِكَثْرَةِ  
 عُمُرَانِهِ وَالثَّانِي اعْتِزَالُ أَهْلِ الْأَعْمَالِ لِحِدْمَتِهِمْ وَأَمْتِنَانِ أَنْفُسِهِمْ لِسُهُولَةِ الْعِمَالِ فِي  
 الْمَدِينَةِ بِكَثْرَةِ أَقْوَانِهَا وَالثَّالِثُ كَثْرَةُ الْمُتَرَفِينَ وَكَثْرَةُ حَاجَتِهِمْ إِلَى أَمْتِنَانِ غَيْرِهِمْ  
 وَإِلَى اسْتِعْمَالِ الصَّنَاعِ فِي مَهْنِهِمْ فَيَبْذُلُونَ فِي ذَلِكَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِنْ قِيَمَةِ  
 أَعْمَالِهِمْ مُزَاحِمَةً وَمُنَافَسَةً فِي الْإِسْتِثَارِ بِهَا فَيَعْتَزُّ الْعُمَالُ وَالصَّنَاعُ وَأَهْلُ الْحِرَفِ وَتَغْلُو  
 أَعْمَالُهُمْ وَتَكْثُرُ نَفَقَاتُ أَهْلِ الْمِصْرِ فِي ذَلِكَ . وَأَمَّا الْأَمْصَارُ الصَّغِيرَةُ وَالْقَلِيلَةُ  
 السَّاكِنِ فَأَقْوَانُهُمْ قَلِيلَةٌ لِقَلَّةِ الْعَمَلِ فِيهَا وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ لِصِغَرِ مِصْرِهِمْ مِنْ عَدَمِ الْقُوتِ

فَيَتَمَسَّكُونَ بِمَا يَحْتَسِلُ مِنْهُ فِي أَيْدِيهِمْ وَيَحْتَكِرُونَهُ فَيَعِزُّ وَجُودُهُ لَدَيْهِمْ وَيَغْلُو ثَمَنُهُ  
 عَلَى مُسْتَامِهِ وَأَمَّا مُرَافِقُهُمْ فَلَا تَدْعُو إِلَيْهَا أَيْضًا حَاجَةٌ بِقِلَّةِ السَّاكِنِ وَضَعْفِ الْأَحْوَالِ  
 فَلَا تَنْفَقُ لَدَيْهِمْ سُوقُهُ فَيَخْتَصُّ بِالرُّخْصِ فِي سِعَرِهِ وَقَدْ يَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ  
 قِيَمَةُ مَا يَعْزُضُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَكُوسِ وَالْمَغَارِمِ لِلسُّلْطَانِ فِي الْأَسْوَاقِ وَبَابِ الْحَفْرِ  
 وَالْحَيَاةِ فِي مَنَافِعِ وَصُولِهَا عَنِ الْبُيُوعَاتِ لِمَا يَمَسُّهُمْ وَبِذَلِكَ كَانَتْ الْأَسْعَارُ فِي الْأَمْصَارِ  
 أَغْلَى مِنَ الْأَسْعَارِ فِي الْبَادِيَةِ إِذِ الْمَكُوسُ وَالْمَغَارِمُ وَالْفَرَائِضُ قَلِيلَةٌ لَدَيْهِمْ أَوْ  
 مَعْدُومَةٌ وَكَثَرَتْهَا فِي الْأَمْصَارِ لَا سِيَّمَا فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ تَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ  
 قِيَمَةُ عِلَاجِهَا فِي الْفَلَحِ وَيُحَافَظُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَسْعَارِهَا كَمَا وَقَعَ بِالْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا الْجَاهُ النَّصَارَى إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ وَبِلَادِهِ الْمُتَوَعَّرَةِ الْخَبِيثَةِ الزَّارِعَةِ  
 النَّكِدَةَ النَّبَاتِ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ الزَّاكِيَةَ وَالْبَلَدَ الطَّيِّبَ فَاحْتَاجُوا إِلَى عِلَاجِ  
 الْمَزَارِعِ وَالْفُؤْدِ لِإِصْلَاحِ نَبَاتِهَا وَفَلَحِهَا وَكَانَ ذَلِكَ الْعِلَاجُ بِأَعْمَالِ ذَاتِ قِيَمٍ وَمَوَادِّ  
 مِنَ الزَّبَلِ وَغَيْرِهِ لَهَا مَوْثِقَةٌ وَصَارَتْ فِي فَلَاحِهِمْ نَفَقَاتٌ لَهَا خَطَرٌ فَأَعْتَبَرُوها فِي سِعَرِهِمْ  
 وَأَخْتَصُّ قَطْرُ الْأَنْدَلُسِ بِالْغَلَاءِ مِنْذُ اضْطَرَّ لَهُمُ النَّصَارَى إِلَى هَذَا الْمَعْمُورِ بِالْإِسْلَامِ  
 مَعَ سَوَاحِلِهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ وَيَحْتَسِبُ النَّاسُ إِذَا سَمِعُوا بِغَلَاءِ الْأَسْعَارِ فِي قَطْرِهَا أَنَّهَا لِقِلَّةِ  
 الْأَقْوَاتِ وَالْحُبُوبِ فِي أَرْضِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَعْمُورِ فَلَمَّا فِيمَا عَلِمْنَاهُ  
 وَأَقْوَمُهُمْ عَلَيْهِ وَقُلَّ أَنْ يَخْلُو مِنْهُمْ سُلْطَانٌ أَوْ سُوقَةٌ عَنْ فِدَانٍ أَوْ مَزْرَعَةٍ أَوْ فَلَاحٍ إِلَّا  
 قَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ وَالْمِهَنِ أَوْ الطَّرَاءِ عَلَى الْوَطَنِ مِنَ الْغَزَاةِ الْمُجَاهِدِينَ وَلِهَذَا  
 يَخْتَصُّهُ السُّلْطَانُ فِي عَطَائِهِمْ بِالْعَوْلَةِ وَهِيَ أَقْوَاتُهُمْ وَعُلُوفَاتُهُمْ مِنَ الزَّرْعِ وَإِنَّمَا السَّبَبُ  
 فِي غَلَاءِ سِعْرِ الْحُبُوبِ عِنْدَهُمْ مَا ذَكَرْنَاهُ . وَلَمَّا كَانَتْ بِلَادُ الْبَرْبَرِ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ  
 فِي زَكَاةِ مَنَابِتِهِمْ وَطِيبِ أَرْضِهِمْ أَرْتَفَعَتْ عَنْهُمْ الْمُونُ جُمْلَةً فِي الْفَلَاحِ مَعَ كَثَرَتِهِ  
 وَعُمُومَتِهِ فَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِرُخْصِ الْأَقْوَاتِ بِلَدِهِمْ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ  
 الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثالث عشر

في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمِصْرَ الْكَثِيرَ الْعُمَرَانَ يَكْثُرُ تَرْفُهُ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَتَكْثُرُ



حَاجَاتُ سَاكِنِهِ مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَتُعْتَادُ تِلْكَ الْحَاجَاتُ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهَا فَتَنْقَلِبُ ضَرُورَاتٍ وَتَصِيرُ فِيهِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا مَعَ ذَلِكَ عَزِيزَةً وَالْمَرَافِقُ غَالِيَةً بِأَزْدِ حَامِ الْأَغْرَاضِ عَالِيَةً مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَبِالْمَغَارِمِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الْأَسْوَاقِ وَالْبِيَاعَاتِ وَتُعْتَبَرُ فِي قِيَمِ الْمَبِيعَاتِ وَبِعَظْمِ فِيهَا الْغَلَاءِ فِي الْمَرَافِقِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَعْمَالِ فَتَكْثُرُ لِذَلِكَ نَقَقَاتُ سَاكِنِهِ كَثَرَةً بِالْغَةِ عَلَى نِسْبَةِ عُمْرَانِهِ وَبِعَظْمِ خَرْجِهِ فَيَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ لِلنَّفَقَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ فِي ضَرُورَاتِ عَيْشِهِمْ وَسَائِرِ مَوْثِقَتِهِمْ وَالْبَدْوِيِّ لَمْ يَكُنْ دَخْلُهُ كَثِيرًا سَاكِنًا بِمَكَانٍ كَاسِدِ الْأَسْوَاقِ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي فِي سَبَبِ الْكَسْبِ فَلَمْ يَتَأَثَّلْ كَسْبًا وَلَا مَالًا فَيَعْتَذِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سُكْنَى الْمِصْرِ الْكَبِيرِ لَغَلَاءِ مَرَافِقِهِ وَعِزَّةِ حَاجَاتِهِ وَهُوَ فِي بَدْوِهِ يَسُدُّ خَلَّتَهُ بِأَقْلٍ الْأَعْمَالِ لِأَنَّهُ قَلِيلُ عَوَائِدِ التَّرَفِ فِي مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مَوْثِقَتِهِ فَلَا يُضْطَرُّ إِلَى الْمَالِ وَكُلُّ مَنْ يَتَشَوَّفُ إِلَى الْمِصْرِ وَسُكْنَاهُ مِنَ الْبَادِيَةِ فَسَرِيعًا مَا يَظْهَرُ عَجْزُهُ وَيَفْتَضِحُ فِي اسْتِطَاعَتِهِ إِلَّا مَنْ يَقْدِمُ مِنْهُمْ تَأَثَّلَ الْمَالِ وَيَحْصُلُ لَهُ مِنْهُ فَوْقَ الْحَاجَةِ وَيَجْرِي إِلَى الْغَايَةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِأَهْلِ الْعُمُرَانِ مِنَ الدَّعَةِ وَالتَّرَفِ فَيَحْتَاجُ يَنْتَقِلُ إِلَى الْمِصْرِ وَيَنْتَظِمُ حَالَهُ مَعَ أَحْوَالِ أَهْلِهِ فِي عَوَائِدِهِمْ وَتَرْفِهِمْ وَهَكَذَا شَأْنُ بِدَاءَةِ عُمْرَانِ الْأَمْصَارِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ

### الفصل الرابع عشر

في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرقة والفقر مثل الامصار

اعْلَمْ أَنَّ مَا تَوَفَّرَ عُمْرَانُهُ مِنَ الْأَقْطَارِ وَتَعَدَّدَتِ الْأُمُورُ فِي جِهَاتِهِ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهِ وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَمْصَارُهُمْ وَعَظُمَتْ دَوْلَتُهُمْ وَمَالَ كَثَمُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثَرَةِ الْأَعْمَالِ وَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ مِنْ أَنَّهَا سَبَبٌ لِلثَّرْوَةِ بِمَا يَفْضُلُ عَنْهَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بِالضَّرُورِيَّاتِ فِي حَاجَاتِ السَّاكِنِ مِنَ الْفَضْلَةِ الْبَالِغَةِ عَلَى مِقْدَارِ الْعُمُرَانِ وَكَثَرَتِهِ فَيَعُودُ عَلَى النَّاسِ كَسْبًا يَتَأَثَّلُونَهُ حَسْبَمَا نَذَرْتُ ذَلِكَ فِي فَصْلِ الْمَعَاشِ وَيَبْكَانِ الرِّزْقُ وَالْكَسْبُ فَيَتَزَيَّدُ الرِّقَّةُ لِذَلِكَ وَتَتَسَّعُ الْأَحْوَالُ وَيُجْبَى التَّرَفُ وَالْغِنَى وَتَكْثُرُ الْحِجَابِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ بِتَفَاقِ الْأَسْوَاقِ فِي كَثَرِ مَالِهَا وَيَشْتَعُ سُلْطَانُهَا وَتَتَفَنَّنُ فِي اتِّخَاذِ الْمَعَاقِلِ وَالْحُصُونِ وَالاخْطِاطِ الْعَدْنِ وَتَشِيدُ الْأَمْصَارَ . وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَقْطَارِ الْمَشْرِقِ مِثْلَ مِصْرِ وَالشَّامِ وَعِرَاقِ الْعَجَمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَنَاحِيَةِ الشَّعَالِ كُلِّهَا

وَأَفْطَارَهَا وَرَاءَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ لَمَّا كَثُرَ عُمْرَانُهَا كَيْفَ كَثُرَ أَلْمَالُ فِيهِمْ وَعَظُمَتِ  
دَوْلَتُهُمْ وَتَعَدَّدَتِ مَدَنُهُمْ وَخَوَاصِرُهُمْ وَعَظُمَتِ مَتَاجِرُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ فَالَّذِي نَشَاهِدُهُ  
لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَحْوَالِ تِجَارَةِ الْأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ الْوَارِدِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْمَغْرِبِ فِي  
رَفْعِهِمْ وَاتِّسَاعِ أَحْوَالِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ وَكَذَا تِجَارَةُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ  
الْأَفْصَى مِنْ عِرَاقِ الْعَجَمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ فَإِنَّهُ يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ فِي بَابِ الْغِنَى وَالرِّفَةِ غَرَائِبُ  
تَسِيرُ الرُّكْبَانُ بِحَدِيثِهَا وَرُبَّمَا تُتَلَقَّى بِالْإِنْكَارِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ وَيَحْسَبُ مَنْ يَسْمَعُهَا مِنْ  
الْعَامَّةِ أَنَّ ذَلِكَ لَا بَادَةَ فِي أَمْوَالِهِمْ أَفَلَا لَانَ الْعَمَادَانِ الذَّهَبِيَّةَ وَالْفِضِّيَّةَ أَكْثَرُ بِأَرْضِهِمْ  
أَوْ لَانَ ذَهَبَ الْأَقْدَمِينَ مِنَ الْأُمَمِ اسْتَأْثَرُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَمَعْدِنُ  
الذَّهَبِ الَّذِي نَعْرِفُهُ فِي هَذِهِ الْأَقْطَارِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ وَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ  
أَقْرَبُ وَجَمِيعُ مَا فِي أَرْضِهِمْ مِنَ الْبِضَاعَةِ فَإِنَّمَا يَجْلِبُونَهُ إِلَى غَيْرِ بِلَادِهِمْ لِلتِّجَارَةِ فَلَوْ  
كَانَ أَلْمَالُ عَتِيدًا مَوْفُورًا لِيَدِهِمْ لَمَّا جَآؤُوا بِضَائِعَهُمْ إِلَى سِوَاهُمْ يَتَنَفَّسُونَ بِهَا الْأَمْوَالَ وَلَا  
اسْتَعْنَوْا عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْجُمْلَةِ . وَقَدْ ذَهَبَ الْمُنْجِمُونَ لَمَّا رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ وَاسْتَفْزَعُوا  
مَا فِي الْمَشْرِقِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَحْوَالِ وَاتِّسَاعِهَا وَوُفُورِ أَمْوَالِهَا فَقَالُوا بَانَ عَطَايَا الْكَوَاكِبِ  
وَالسِّهَامِ فِي مَوَالِدِ الْمَشْرِقِ أَكْثَرُ مِنْهَا حِصَصًا فِي مَوَالِدِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَذَلِكَ  
صَحِيحٌ مِنْ جِهَةِ الْمُطَابَقَةِ بَيْنَ الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ الْأَرْضِيَّةِ كَمَا قُلْنَا هُمْ  
إِنَّمَا أُعْطُوا فِي ذَلِكَ السَّبَبِ النُّجُومِيِّ وَبَقِيَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعْطُوا السَّبَبَ الْأَرْضِيَّ وَهُوَ مَا  
ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثَرَةِ الْعُمَرَانِ وَاخْتِصَاصِهِ بِأَرْضِ الْمَشْرِقِ وَأَفْطَارِهِ وَكَثَرَةِ الْعُمَرَانِ  
تَفِيدُ كَثَرَةَ الْكَسْبِ بِكَثَرَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ سَبَبُهُ فَلِذَلِكَ اخْتِصَّ الْمَشْرِقُ بِالرِّفَةِ  
مِنْ بَيْنِ الْآفَاقِ لَا إِنْ ذَلِكَ لِمَجْرَدِ الْأَثَرِ النُّجُومِيِّ فَقَدْ فَهِمْتَ مَا أَشْرْنَا لَكَ أَوَّلًا أَنَّهُ  
لَا يَسْتَقِلُّ بِذَلِكَ وَأَنَّ الْمُطَابَقَةَ بَيْنَ حُكْمِهِ وَعُمَرَانِ الْأَرْضِ وَطَبِيعَتِهَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ .  
وَأَعْتَبِرْ حَالَهُ هَذَا الرَّفَةِ مِنَ الْعُمَرَانِ فِي قُطْرِ أَفْرِيقِيَّةٍ وَبَرْقَةِ لَمَّا خَفَّ سَكْنُهَا وَتَنَاقَصَ  
عُمْرَانُهَا كَيْفَ تَلَاَشَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهَا وَانْتَهَوْا إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَضَعُفَتْ جَبَابَتُهَا  
فَقَلَّتْ أَمْوَالُ دَوْلَتِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ دَوْلُ الشَّيْعَةِ وَصَنَاجَةً بِهَا عَلَى مَا بَلَغَكَ مِنَ الرَّفَةِ  
وَكَثَرَةِ الْجَبَابَاتِ وَاتِّسَاعِ الْأَحْوَالِ فِي تَفَقُّتِهِمْ وَأَعْطِيَاتِهِمْ حَتَّى لَقَدْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ  
تُرْفَعُ مِنَ الْقَيَرَوَانِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ لِحَاجَاتِهِ وَمُهِمَّاتِهِ وَكَانَتْ أَمْوَالُ الدَّوْلَةِ بِحَيْثُ جَمَلُ



جَوْهَرُ الْكَاتِبِ فِي سَفَرِهِ إِلَى فَتْحِ مِصْرَ الْفَخْرِ مِنَ الْمَالِ يَسْتَعِدُّ بِهَا لِأَرْزَاقِ  
الْجُنُودِ وَأَعْطِيَاتِهِمْ وَتَفَقَّاتِ الْغَزَاةِ وَقُطْرِ الْمَغْرِبِ وَإِنْ كَانَ فِي الْقَدِيمِ دُونَ أَفْرِيقِيَّةَ  
فَلَمْ يَكُنْ بِالْقَلِيلِ فِي ذَلِكَ وَكَانَتْ أَحْوَالُهُ فِي دَوْلِ الْمُوَحِّدِينَ مَتَّسِعَةً وَجَبَابَاتُهُ مَوْفُورَةً  
وَهُوَ لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ أَقْصَرَ عَنْ ذَلِكَ لِقُصُورِ الْعُمَرَانِ فِيهِ وَتَنَاقُصِهِ فَقَدْ ذَهَبَ مِنْ عُمَرَانِ  
الْبَرْبَرِ فِيهِ أَكْثَرُهُ وَنَقَصَ عَنْ مَعْبُودِهِ تَقْصًا ظَاهِرًا مُحْسُوسًا وَكَادَ أَنْ يَحْقُقَ فِي أَحْوَالِهِ  
بِمِثْلِ أَحْوَالِ أَفْرِيقِيَّةَ بَعْدَ أَنْ كَانَ عُمَرَانُهُ مُتَّصِلًا مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ إِلَى بِلَادِ  
السُّيْدَانِ فِي طُولِ مَا بَيْنَ السُّوسِ الْأَنْصِيِّ وَرَقَّةَ وَهِيَ الْيَوْمَ كَلْبَابَاةُ أَكْثَرُهَا تَفَارُ  
وَحَلَاةٌ وَصَحَارَى إِلَّا مَا هُوَ مِنْهَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ أَوْ مَا يُقَارِبُهُ مِنَ التَّوَلِّ وَاللَّهُ وَارِثُ  
الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الخامس عشر

في تائل العقار والضباع في الامصار وحال فوئدها ومستغلاتها  
إِغْلَمْ أَنَّ تَائِلَ الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ الْكَثِيرَةِ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ لَا يَكُونُ دَفْعَةً  
وَاحِدَةً وَلَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ إِذْ لَيْسَ يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الرِّقَةِ مَا يَمْلِكُ بِهِ الْأَمْلَاقَ  
الَّتِي تَخْرُجُ فِيمَتِهَا عَنِ الْحَدِّ وَلَوْ بَلَغَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي الرِّقَةِ مَا عَسَى أَنْ تَبْلُغَ وَإِنَّمَا يَكُونُ  
مُلْكُهُمْ وَتَأْتِلُهُمْ لَهَا تَذَرِيحًا إِمَّا بِالْوَرَاثَةِ مِنْ آبَائِهِ وَذَوِي رَحِمِهِ حَتَّى تَتَأَدَّى أَمْلَاقُ  
الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ إِلَى الْوَاحِدِ وَأَكْثَرُ ذَلِكَ أَوْ أَنْ يَكُونَ بِمَحْوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّ الْعَقَارَ  
فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ وَأَوَّلِ الْآخَرَى عِنْدَ فَنَاءِ الْحَامِيَةِ وَخَرَقِ السِّيَاحِ وَتَدَاعِي الْمِصْرِ إِلَى  
الْخَرَابِ نَقْلُ الْغِبْطَةِ بِهِ لِقَلَّةِ الْمَنْفَعَةِ فِيهَا بِتَلَاشِي الْأَحْوَالِ فَتَرْخُصُ فِيمَهَا وَتَمْلِكُ  
بِالْأَثْمَانِ الْيَسِيرَةِ وَتَتَخَطَّى بِالْمِيرَاثِ إِلَى مُلْكٍ آخَرَ وَقَدْ اسْتَجَدَّ الْمِصْرُ شَبَابَهُ بِاسْتِحْثَالِ  
الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ وَانْتَضَحَتْ لَهُ أَحْوَالُ رَائِقَةٍ حَسَنَةٍ تَحْصُلُ مَعَهَا الْغِبْطَةُ فِي الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ  
لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهَا حِينَئِذٍ فَتَعْظُمُ قِيمَتُهَا وَيَكُونُ لَهَا خَطَرٌ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَوَّلِ وَهَذَا مَعْنَى الْحَوَالَةِ  
فِيهَا وَيُصْبِحُ مَالِكُهَا مِنْ أَغْنَى أَهْلِ الْمِصْرِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَعْيِهِ وَكَتْسَابِهِ إِذْ قُدْرَتُهُ  
تَعْجِزُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ . وَأَمَّا فَوَائِدُ الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ فَهِيَ غَيْرُ كَافِيَةٍ لِمَالِكِهَا فِي حَاجَاتِ  
مَعَاشِهِ إِذْ هِيَ لَا تَنِي بِعَوَائِدِ التَّرَفِّ وَأَسْبَابِهِ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْغَالِبِ لِسَدِّ الْخَلَّةِ وَضَرُورَةِ  
الْمَعَاشِ وَالَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْ مَشِيخَةِ الْبُلْدَانِ أَنَّ الْقَصْدَ بِاِفْتِنَاءِ الْمُلْكِ مِنَ الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ

إِنَّمَا هُوَ الْخَشْيَةُ عَلَى مَنْ يَتْرُكُ خَلْفَهُ مِنَ الذَّرِيَّةِ الضَّعْفَاءِ لِيَكُونَ مَرْبَاهُمْ بِهِ وَرِزْقُهُ فِيهِ وَنُشُوتُهُمْ بِفَائِدَتِهِ مَا دَامُوا عَاجِزِينَ عَنْ إِلَّا كِتَابٍ فَإِذَا اقْتَدَرُوا عَلَى تَحْصِيلِ الْمَكَاسِبِ سَعَوْا فِيهَا بِأَنْفُسِهِمْ وَرُبَّمَا يَكُونُ مِنَ الْوَلَدِ مَنْ يَعْجِزُ عَنِ التَّكْسِبِ لِضَعْفِ فِي بَدَنِهِ أَوْ آفَةٍ فِي عَقْلِهِ الْمَعَاشِي فَيَكُونُ ذَلِكَ الْعَقَارُ قَوَامًا لِحَالِهِ هَذَا قَصْدُ الْمُتَرَفِّينَ فِي أَفْتِنَائِهِ وَأَمَّا التَّمَوُّلُ مِنْهُ وَإِجْرَاءُ أَحْوَالِ الْمُتَرَفِّينَ فَلَا وَقَدْ يَحْصُلُ ذَلِكَ مِنْهُ لِلْقَلِيلِ أَوْ النَّادِرِ بِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَحُصُولِ الْكَثْرَةِ الْبَالِغَةِ مِنْهُ وَالْعَالِي فِي جِنْسِهِ وَفِيَمَتِهِ فِي الْمِصْرِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ رُبَّمَا أَمْتَدَّتْ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْأُمَرَاءِ وَالْوَلَاةِ وَاعْتَصَبُوهُ فِي الْغَالِبِ أَوْ أَرَادُوهُ عَلَى يَبْعِهِ مِنْهُمْ وَنَالَتْ اُتْحَابُهُ مِنْهُ مَضَارٌّ وَمَعَاطِبُ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

### الفصل السادس عشر

في حاجات المتولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة  
وَذَلِكَ أَنَّ الْحَضَرِيَّ إِذَا عَظُمَ تَمَوُّلُهُ وَكَثُرَ لِعَقَارِهِ وَالضِّيَاعِ تَأْتَلُهُ وَأَصْبَحَ أَغْنَى أَهْلِ الْمِصْرِ وَرَمَقَتُهُ الْعْيُونُ بِذَلِكَ وَانْفَسَحَتْ أَحْوَالُهُ فِي التَّرَفِ وَالْعَوَائِدِ زَاخَمَ عَلَيْهَا الْأُمَرَاءُ وَالْمُلُوكُ وَغَضُّوا بِهِ وَلِمَا فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدْوَانِ تَمْتَدُّ أَعْيُنُهُمْ إِلَى تَمَلُّكِ مَا بِيَدِهِ وَيُنَافِسُونَهُ فِيهِ وَيَتَحَيَّلُونَ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ مُمْكِنٍ حَتَّى يُحْصِلُوهُ فِي رِبْقَةٍ حُسْنِ سُلْطَانِيٍّ وَسَبَبٍ مِنَ الْمُؤَاخَذَةِ ظَاهِرٍ يُنْتَزَعُ بِهِ مَالُهُ وَأَكْثَرُ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ جَائِزَةٌ فِي الْغَالِبِ إِذَا الْعَدْلُ أَلْحَضُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْخِلَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ اللَّبَثِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَعُودُ مُلْكًا عَضُوضًا فَلَا بُدَّ حِينَئِذٍ لِصَاحِبِ الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ الشَّهِيرَةِ فِي الْأَعْمَرَانِ مِنْ حَامِيَةٍ تَذُودُ عَنْهُ وَجَاهٍ يَنْسَحِبُ عَلَيْهِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ لِلْمُلْكِ أَوْ خَالِصَةٍ لَهُ أَوْ عَصِيَّةٍ يَتَحَمَّاهَا السُّلْطَانُ فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَرْتَعُ فِي أَمْنِهَا مِنْ طَوَارِقِ التَّعَدِّيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ أَصْبَحَ نَهْبًا بِوُجُوهِ التَّخَيُّلاتِ وَأَسْبَابِ الْحُكَّامِ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل السابع عشر

في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ بانصال الدولة ورسوخها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحَضَارَةَ هِيَ أَحْوَالٌ عَادِيَّةٌ زَائِدَةٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ أَحْوَالِ



الْعُمَرَانِ زِيَادَةً تَتَفَاوَتْ بِتَفَاوُتِ الرِّفَةِ وَتَفَاوُتِ الْأَثَمِ فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثَرَةِ تَفَاوُتًا غَيْرَ  
 مُنْهَصِرٍ وَتَقَعُ فِيهَا عِنْدَ كَثَرَةِ التَّفَنُّ فِي أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا فَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَائِعِ  
 وَيَحْتَاجُ كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا إِلَى الْقَوْمَةِ عَلَيْهِ وَالْمَهَرَّةِ فِيهِ وَيَقْدَرُ مَا يَتَزَيَّدُ مِنْ أَصْنَافِهَا  
 تَزَيَّدُ أَهْلُ صِنَاعَتِهَا وَيَتَلَوَّنُ ذَلِكَ الْجِيلُ بِهَا وَمَتَى اتَّصَلَتِ الْأَيَّامُ وَتَعَايَنَتِ تِلْكَ الصَّنَاعَاتُ  
 حَذَقَ أُولَئِكَ الصَّنَاعُ فِي صِنَاعَتِهِمْ وَمَهَرُوا فِي مَعْرِفَتِهَا وَالْأَعْصَارُ بِطُولِهَا وَأَنْفِسَاحِ أَمْدِهَا  
 وَتَكَرَّرَ أَمْثَالُهَا تَزَيَّدُهَا اسْتَحْكَامًا وَرُسُوخًا وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ لِاسْتِجَارِ  
 الْعُمَرَانِ وَكَثَرَةِ الرِّفَةِ فِي أَهْلِهَا وَذَلِكَ كُلُّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ  
 تَجْمَعُ أَمْوَالَ الرِّعِيَّةِ وَتُنْفِقُهَا فِي بَطَانَتِهَا وَرِجَالِهَا وَتَتَسَّعُ أَحْوَالُهُمْ بِالْجَاهِ أَكْثَرُ مِنْ  
 اتِّسَاعِهَا بِالْمَالِ فَيَكُونُ دَخْلُ تِلْكَ الْأَمْوَالِ مِنَ الرِّعَايَا وَخَرْجُهَا فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ فِي  
 مَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ وَهُمْ إِلَّا كَثُرَ فَتَعَظُمَ لِذَلِكَ ثَرَوَتُهُمْ وَيَكْثُرَ غِنَاهُمْ وَتَزَيَّدَ  
 عَوَائِدُ التَّرَفِ وَمَذَاهِبُهُ وَتَسْتَحْكُمَ لَدَيْهِمْ الصَّنَائِعُ فِي سَائِرِ فُنُونِهِ وَهَذِهِ هِيَ الْحِضَارَةُ .  
 وَلِهَذَا تَجِدُ الْأَمْصَارَ الَّتِي فِي الْقَاصِيَةِ وَلَوْ كَانَتْ مَوْفُورَةً الْعُمَرَانِ تَغْلِبُ عَلَيْهَا أَحْوَالُ الْبِدَاوَةِ  
 وَتَبْعُدُ عَنِ الْحِضَارَةِ فِي جَمِيعِ مَذَاهِبِهَا بِخِلَافِ الْمَدُنِ الْمُتَوَسِّطَةِ فِي الْأَفْطَارِ الَّتِي هِيَ  
 مَرْكَزُ الدَّوْلَةِ وَمَقَرُّهَا وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَجَاوَرَةِ السُّلْطَانِ لَهُمْ وَفَيْضِ أَمْوَالِهِ فِيهِمْ كَالْمَاءِ  
 يَخْضَرُ مَا قَرُبَ مِنْهُ فَمَا قَرُبَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْجُفُوفِ عَلَى الْبَعْدِ وَقَدْ قَدَّمْنَا  
 أَنَّ السُّلْطَانَ وَالدَّوْلَةَ سُوقٌ لِلْعَالَمِ فَالْبَضَائِعُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي السُّوقِ وَمَا قَرُبَ مِنْهُ وَإِذَا  
 أَبْعَدَتْ عَنِ السُّوقِ أَفْتَقِدَتْ الْبَضَائِعُ جُمْلَةً ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا اتَّصَلَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ وَتَعَايَنَتْ  
 مُلُوكُهَا فِي ذَلِكَ الْمِصْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ اسْتَحْكَمَتِ الْحِضَارَةُ فِيهِمْ وَزَادَتْ رُسُوخًا  
 وَاعْتَبَرُوا ذَلِكَ فِي الْيَهُودِ لَمَّا طَالَ مُلْكُهُمْ بِالشَّامِ فَنَحُوا مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ رَسَخَتْ  
 حَضَارَتُهُمْ وَحَذَقُوا فِي أَحْوَالِ الْمَعَاشِ وَعَوَائِدِهِ وَالتَّفَنُّ فِي صِنَاعَاتِهِ مِنَ الْمَطَاغِمِ  
 وَالْمَلَابِسِ وَمَسَائِرِ أَحْوَالِ الْمَنْزِلِ حَتَّى إِنَّهَا لَتُؤْخَذُ عَنْهُمْ فِي الْغَالِبِ إِلَى الْيَوْمِ وَرَسَخَتْ  
 الْحِضَارَةُ أَيْضًا وَعَوَائِدُهَا فِي الشَّامِ مِنْهُمْ وَمِنْ دَوْلَةِ الرُّومِ بَعْدَهُمْ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ فَكَانُوا  
 فِي غَايَةِ الْحِضَارَةِ . وَكَذَلِكَ أَيْضًا الْقَبْطُ دَامَ مُلْكُهُمْ فِي الْخُلَاقَةِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ  
 فَرَسَخَتْ عَوَائِدُ الْحِضَارَةِ فِي بِلَادِهِمْ مِصْرَ وَأَعْقَبَهُمْ بِهَا مُلْكُ الْيُونَانِ وَالرُّومِ ثُمَّ مُلْكُ  
 الْأَبْسَلَامِ الْأَبْسَخِ لَا يَكُنْ فَلَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ الْحِضَارَةِ بِهَا مُتَّصِلَةً وَكَذَلِكَ أَيْضًا رَسَخَتْ

عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العمالة والتبعية الآفا  
من السنين وأعقبهم ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس  
بها من لدن الكلدانيين والكيانية والكسروية والعرب بعدهم الآفا من السنين فلم  
يكن على وجه الأرض لهذا العهد أحضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذا أيضاً  
رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط  
ثم ما أعقبها من ملك بني أمية الآفا من السنين وكلتا الدولتين عظمة فاتتت فيها  
عوائد الحضارة واستحكمت وأما إفريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الإسلام  
ملك ضخم إنما قطع الإفرنجية إلى إفريقية البحر ومما كوا الساحل وكانت طاعة  
البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة وأوفاز وأهل المغرب  
لم يجاوزهم دولة وإنما كانوا يبعثون بطاعتهم إلى القوط من وراء البحر ولما جاء  
الله بالإسلام وملك العرب إفريقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب إلا قليلاً  
أول الإسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن أسنقر منهم بإفريقية والمغرب  
لم يجذب بهما من الحضارة ما يقلد فيه من سلفه إذ كانوا برابر منغمسين في البداوة  
ثم انتقض برابرة المغرب الأقصى لأقرب العهود على يد ميسرة المطفري أيام هشام  
ابن عبد الملك ولم يرجعوا أمر العرب بعد واستقلوا بأمر أنفسهم وإن بايعوا  
لأدريس فلا تعد دولته فيهم عربية لأن البرابر هم الذين تولوها ولم يكن من العرب  
فيها كثير عدد وبقيت إفريقية للأغالبة ومن إليهم من العرب فكان أهم من الحضارة  
بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القيروان وورث  
ذلك عنهم كتامة ثم صنهاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ أربعائة سنة  
وأنصرفت دولتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب  
بدو العرب الهلاليين عليها وخرّبوها وبقي أثر خفي من حضارة العمران فيها وإلى هذا  
العهد يونس فيمن سلف له بالقلعة أو القيروان أو المهدية سلف فتجد له من الحضارة  
في شؤون منزله وعوائد أحواله آثاراً ملتبسة بغيرها يميزها الحضري البصير بها وكذا  
في أكثر أمصار إفريقية وأيس كذلك في المغرب وأمصاره لرؤس الدولة بإفريقية  
أكثر أمداً منذ عهد الأغالبة والشيعة وصنهاجة وأما المغرب فانتقل إليه منذ دولة



الْمُوحِدِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ حَظٌّ كَبِيرٌ مِنَ الْحِضَارَةِ وَأَسْتَحْكَمَتْ بِهِ عَوَائِدُهَا بِمَا كَانَ  
لِدَوْلَتِهِمْ مِنَ الْأَسْتِلاَاءِ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَانْتَقَلَ الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِهَا إِلَيْهِمْ طَوْعًا  
وَكَرْهًا وَكَانَتْ مِنْ اتِّسَاعِ النَّطَاقِ مَا عَلِمْتَ فَكَانَ فِيهَا حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحِضَارَةِ  
وَأَسْتَحْكَمَهَا وَمُعْظَمُهَا مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْتَقَلَ أَهْلُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ جَالِيَةِ  
النَّصَارَى إِلَى أَفْرِيقِيَّةٍ فَأَبْقَوْا فِيهَا وَبِأَمْصَارِهَا مِنَ الْحِضَارَةِ آثَارًا وَمُعْظَمُهَا بِتُونِسَ  
أَمْتَزَجَتْ بِحِضَارَةِ مِصْرَ وَمَا يَنْقُلُهُ السَّافِرُونَ مِنْ عَوَائِدِهَا فَكَانَ بِذَلِكَ لِلْمَغْرِبِ  
وَأَفْرِيقِيَّةٍ حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحِضَارَةِ عِنِّي عَلَيْهِ الْخَلَاءُ وَرَجِعَ إِلَى أَعْقَابِهِ وَعَادَ الْبَزْبُرُ  
بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَدْيَانِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْخَشُونَةِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَآثَارُ الْحِضَارَةِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ  
أَكْثَرُ مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ بِأَتْدَاوَلٍ فِيهَا مِنَ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَغْرِبِ  
وَلِقُرْبِ عَوَائِدِهِمْ مِنْ عَوَائِدِ أَهْلِ مِصْرَ بِكَثْرَةِ الْمُتَرَدِّدِينَ بَيْنَهُمْ . فَتَفْطَنُ هَذَا  
السِّرَّ فَإِنَّهُ خَفِيَ عَنِ النَّاسِ وَأَعْلَمَ أَنَّهَا أُمُورٌ مُتَنَاسِبَةٌ وَهِيَ حَالُ الدُّوَلَةِ فِي الْقُوَّةِ  
وَالضَّعْفِ وَكَثْرَةِ الْأُمَّةِ أَوْ الْجِيلِ وَعَظَمِ الْمَدِينَةِ أَوْ الْمِصْرِ وَكَثْرَةِ النِّعْمَةِ وَالْيَسَارِ  
وَذَلِكَ أَنَّ الدُّوَلَةَ وَالْمُلْكَ صُرَّةُ الْخَلِيقَةِ وَالْعُمْرَانُ وَكُلُّهَا مَادَّةٌ لَهَا مِنَ الرِّعَايَا وَالْأَمْصَارِ  
وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَأَمْوَالِ الْجَبَايَةِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ وَيَسَارُهُمْ فِي الْغَالِبِ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ  
وَإِذَا أَفَاضَ السُّلْطَانُ عَطَاءَهُ وَأَمْوَالَهُ فِي أَهْلِهَا أَنْبَتَ فِيهِمْ وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ ثُمَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
فَهِيَ ذَاهِبَةٌ عَنْهُمْ فِي الْجَبَايَةِ وَالْخَرَاجِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْعَطَاءِ فَعَلَى نِسْبَةِ حَالِ الدُّوَلَةِ  
يَكُونُ يَسَارُ الرِّعَايَا وَعَلَى نِسْبَةِ يَسَارِ الرِّعَايَا وَكَثْرَتِهِمْ يَكُونُ مَالُ الدُّوَلَةِ وَأَصْلُهُ  
كُلُّهُ الْعُمْرَانُ وَكَثْرَتُهُ فَأَعْتَبِرْهُ وَتَأَمَّلْهُ فِي الدُّوَلِ تَجِدْهُ وَاللَّهُ يَحْكُمُ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الثامن عشر

في ان الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها موزنة بفساده  
قَدْ بَيَّنَّا لَكَ فِيمَا سَلَفَ أَنَّ الْمُلْكَ وَالْدُّوَلَةَ غَايَةُ الْعَصَبِيَّةِ وَأَنَّ الْحِضَارَةَ غَايَةُ الْبِدَاوَةِ وَأَنَّ  
الْعُمْرَانَ كُلُّهُ مِنْ بِدَاوَةٍ وَحِضَارَةٍ وَمُلْكٍ وَسُوقَةٍ لَهُ عُمَرٌ مُحْسُوسٌ كَمَا أَنَّ لِلشَّخْصِ الْوَاحِدِ مِنْ  
اشْتِيَاسِ الْمُسْكُونَاتِ عُمَرًا مُحْسُوسًا وَتَبَيَّنَ فِي الْمَعْقُولِ وَالْمُنْقُولِ أَنَّ الْأَرْبَعِينَ لِلْإِنْسَانِ  
غَايَةٌ فِي تَزَايُدِ قُوَّاهُ وَنُمُوِّهَا وَأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ سِنَ الْأَرْبَعِينَ وَقَفَتِ الطَّبِيعَةُ عَنْ أَثَرِ النُّشُوءِ  
وَالنُّمُوِّ بَرَهَةً ثُمَّ تَأْخُذُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْإِلْتِحَاطِ فَلْتَعْلَمْ أَنَّ الْحِضَارَةَ فِي الْعُمْرَانِ أَيْضًا

كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران  
دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها والحضارة كما علمت هي التفنن  
في الترف واستجداء أحواله والكلف بالصنائع التي تؤتى من أصنافه وسائر فنونه  
من الصنائع الهيئته للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الأبنية ولسائر  
أحوال المنزل وللتأني في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند  
البداوة وعدم التأني فيها وإذا بلغ التأني في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة  
الشهوات فتتكون النفس من تلك العوائد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها  
ولا دنياها أما دينها فلا يستحكما صبغة العوائد التي يعسر نزوعها وأما دنياها فلكثرة  
الحاجات والمؤنات التي تطالب بها العوائد ويعجز وينكسب عن الوفاء بها ويأنه أن  
المضر بالتفنن في الحضارة تعظم تنفقات أهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فمتى  
كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل وقد كنا قدّمنا أن المضر الكثير  
العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجته ثم تزيد بها المكوس غلاء لأن  
الحضارة إنما تكون عند انتهاء الدولة في استئصالها وهو زمن وضع المكوس في  
الدول كثيرة خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس تعود إلى البياعات بالغلاء لأن  
السوق والتجار كلهم يحتسبون على سلعهم وبضائعهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة  
أنفسهم فيكون المكس لذلك دأخلا في قيم المبيعات وأثمانها فتعظم تنفقات أهل  
الحضارة وتخرج عن القصد إلى الإسراف ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من  
أثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في التنفقات ويتتابعون في الإملاق  
والخاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبائع فيمكسد الأسواق ويفسد  
حال المدينة وداعية ذلك كله إفراط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة  
على العموم في الأسواق والعمران وأما بساد أهلها في ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص  
فمن الكدر والتعب في حاجات العوائد والتلون بالوان الشر في تخصيصها وما يعود على  
النفس من الضرر بعد تخصيصها بمصول لون آخر من ألوانها فلذلك يكثر منهم الفسق  
والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف  
النفس إلى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم أجرياء على



الْكُذِبَ وَالْمُقَامَرَةَ وَالْغَشَّ وَالْخِلَابَةَ وَالسَّرِقَةَ وَالْفُجُورَ فِي الْإِيمَانِ وَالرِّبَا فِي الْبَيْعَاتِ  
 ثُمَّ تَجِدُهُمْ أَبْصَرَ بِطُرُقِ الْفُسْقِ وَمَذَاهِبِهِ وَالْمَجَاهِرَةَ بِهِ وَبِدَوَاعِيهِ وَأَطْرَاحِ الْحِشْمَةِ  
 فِي الْخَوْضِ فِيهِ حَتَّى بَيْنَ الْأَقَارِبِ وَذَوِي الْحَرَامِ الَّذِينَ تَقْتَضِي الْبِدَاوَةُ الْحَيَاءَ مِنْهُمْ  
 فِي الْإِقْدَاعِ بِذَلِكَ وَتَجِدُهُمْ أَيْضًا أَبْصَرَ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ يَدْفَعُونَ بِذَلِكَ مَا عَسَاهُ أَنْ يَنَالَهُمْ  
 مِنَ الْقَهْرِ وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنَ الْعِقَابِ عَلَى تِلْكَ الْقَبَائِحِ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ عَادَةً وَخُلُقًا  
 لَا كَثَرِهِمْ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ وَيَمُوجُ بِحَرِّ الْمَدِينَةِ بِالسَّنَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ  
 وَيُجَارِيهِمْ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ نَاشِئَةِ الدَّوْلَةِ وَوِلْدَانِهِمْ مِمَّنْ أَهْمِلَ عَنِ التَّأْدِيبِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ  
 خُلُقُ الْجَوَارِ وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ النَّسَابِ وَيُوتَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ بَشَرٌ مُتَمَثِّلُونَ وَإِنَّمَا  
 تَفَاضَلُوا وَتَمَيَّزُوا بِالْخُلُقِ وَكَتَسَابِ الْفَضَائِلِ وَاجْتِنَابِ الرَّذَائِلِ فَمَنْ اسْتَحْكَمَتْ فِيهِ  
 لَمْ يَنْفَعَهُ زَكَاةُ نَسَبِهِ وَلَا طِيبُ مَنْبَتِهِ وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ أَعْقَابِ الْبُيُوتِ وَذَوِي  
 الْأَحْسَابِ وَالْأَصَالَةِ وَأَهْلِ الدُّوَلِ مُنْطَرِحِينَ فِي الْعُمَارِ مُتَحَلِّينَ لِلْحَرْفِ الدَّنِيئَةِ فِي  
 مَعَاشِهِمْ بِمَا فَسَدَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَمَا تَلَوَّنُوا بِهِ مِنْ صِبْغَةِ الشَّرِّ وَالسَّفْسَفَةِ وَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ  
 فِي الْمَدِينَةِ أَوِ الْأُمَّةِ تَأْذَنَ اللَّهُ بِخَرَابِهَا وَتَقْرَاضِهَا وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ  
 نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَوَجْهُهُ حِينَئِذٍ  
 أَنْ مَكَاسِبُهُمْ حِينَئِذٍ لَا تَنِي بِحَاجَاتِهِمْ لِكثَرَةِ الْعَوَائِدِ وَمُطَالَبَةِ النَّفْسِ بِهَا فَلَا تَسْتَقِيمُ  
 أَحْوَالُهُمْ وَإِذَا فَسَدَتْ أَحْوَالُ الْأَشْخَاصِ وَاحِدًا وَاحِدًا اخْتَلَّ نِظَامُ الْمَدِينَةِ وَخَرِبَتْ  
 وَهَذَا مَعْنَى مَا يَقُولُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْخَوَاصِّ أَنَّ الْمَدِينَةَ إِذَا كَثُرَ فِيهَا غَرَسُ النَّارَنْجِ  
 تَأْذَنَتْ بِالْخَرَابِ حَتَّى أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْعَامَّةِ يَتَحَامَى غَرَسُ النَّارَنْجِ بِالْدُّورِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ  
 ذَلِكَ وَلَا أَنَّهُ خَاصِيَّةٌ فِي النَّارَنْجِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْبَسَاتِينَ وَاجِرَاءَ الْمِيَاهِ هُوَ مِنْ  
 تَوَابِعِ الْحِضَارَةِ ثُمَّ إِنَّ النَّارَنْجَ وَاللَّيَّةَ وَالسَّرَوَ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِمَّا لَا طَعْمَ فِيهِ وَلَا مَنَافِعَ  
 هُوَ مِنْ غَايَةِ الْحِضَارَةِ إِذْ لَا يُقْصَدُ بِهَا فِي الْبَسَاتِينَ إِلَّا أَشْكَالُهَا فَقَطْ وَلَا تُغْرَسُ إِلَّا بَعْدَ  
 التَّفَنُّنِ فِي مَذَاهِبِ التَّرَفِ وَهَذَا هُوَ الطَّوْرُ الَّذِي يُخْشَى مَعَهُ هَلَاكُ الْمِصْرِ وَخَرَابُهُ كَمَا  
 قُلْنَا هُوَ وَلَقَدْ قِيلَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الدِّقْلَى وَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ إِذِ الدِّقْلَى لَا يُقْصَدُ بِهَا إِلَّا  
 تَلَوْنُ الْبَسَاتِينَ بِنُورِهَا مَا بَيْنَ أَحْمَرَ وَأَبْيَضَ وَهُوَ مِنْ مَذَاهِبِ التَّرَفِ . وَمِنْ مَفَاسِدِ  
 الْحِضَارَةِ لِأَنَّهُمَا فِي الشَّهَوَاتِ وَالْإِسْتِرْسَالِ فِيهَا لِكثَرَةِ التَّرَفِ فَيَقَعُ التَّفَنُّنُ فِي شَهَوَاتِ

الْبَطْنِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَلَاذِ فَيُفْضِي ذَلِكَ إِلَى فَسَادِ النَّوعِ فَأَفْهَمَ ذَلِكَ وَأَعْتَبَرَهُ بِهِ  
 أَنَّ غَايَةَ الْعُمُرَانِ هِيَ الْحِضَارَةُ وَالتَّرَفُ وَأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ غَايَتَهُ انْقَلَبَ إِلَى الْفَسَادِ وَأَخَذَ فِي  
 الْهَرَمِ كَالْأَعْدَارِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْحَيَوَانَاتِ بَلْ تَقُولُ إِنَّ الْأَخْلَاقَ الْحَاصِلَةَ مِنَ الْحِضَارَةِ وَالتَّرَفِ  
 هِيَ عَيْنُ الْفَسَادِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا هُوَ إِنْسَانٌ بِاِقْتِدَارِهِ عَلَى جَانِبِ مَنَافِعِهِ وَدَفْعِ مَضَارِهِ  
 وَاسْتِقَامَةِ خُلُقِهِ لِلسَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَالْحَضَرِيُّ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُبَاشَرَتِهِ حَاجَاتِهِ إِمَّا عَجْزًا لِمَا  
 حَصَلَ لَهُ مِنَ الدَّعَةِ أَوْ تَرْفَعًا لِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْمَرْبَى فِي الدَّعِيمِ وَالتَّرَفِ وَكَذَا الْأَنْزِينَ  
 ذَمِيمٌ وَكَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ وَاسْتِقَامَةِ خُلُقِهِ لِلسَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَالْحَضَرِيُّ بِمَا  
 قَدْ فَقَدَ مِنْ خُلُقِ الْإِنْسَانِ بِالتَّرَفِ وَالتَّعِيمِ فِي قَهْرِ التَّأْدِيبِ فَهُوَ بِذَلِكَ عِيَالٌ عَلَى الْحَامِيَةِ  
 الَّتِي تُدَافِعُ عَنْهُ ثُمَّ هُوَ فَاسِدٌ أَيْضًا غَالِبًا بِمَا فَسَدَتْ مِنْهُ الْعَوَائِدُ وَطَاعَتُهَا وَمَا تَلَوَّنَتْ بِهِ  
 النَّفْسُ مِنْ مَكَانَتِهَا كَمَا قَرَّرْنَاهُ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَإِذَا فَسَدَ الْإِنْسَانُ فِي قُدْرَتِهِ  
 عَلَى أَخْلَاقِهِ وَدِينِهِ فَقَدْ فَسَدَتْ إِنْسَانِيَّتُهُ وَصَارَ مَسْخًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَبِهَا الْإِعْتِبَارُ كَانَ  
 الَّذِينَ يَتَرَبَّوْنَ عَلَى الْحِضَارَةِ وَخُلُقِهَا مَوْجُودُونَ فِي كُلِّ دَوْلَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْحِضَارَةَ هِيَ  
 سُنُّ الْوُقُوفِ لِعُمُرِ الْعَالَمِ فِي الْعُمُرَانِ وَالْدَوْلَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ  
 لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ

### الفصل التاسع عشر

في أن الامصار التي تكون كراسي الملوك تخرب بمخراب الدولة وانقراضها  
 قَدْ اسْتَقَرَّ بِنَا فِي الْعُمُرَانِ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا اخْتَلَّتْ وَانْتَقَضَتْ فَإِنَّ الْمِصْرَ الَّذِي  
 يَكُونُ كُرْسِيًّا لِسُلْطَانِهَا يَنْتَقِضُ عُمُرَانُهُ وَرُبَّمَا يَنْتَهِي فِي انْتِقَاضِهِ إِلَى الْخُرَابِ وَلَا يَكَادُ  
 ذَلِكَ يَتَخَلَّفُ وَالسَّبَبُ فِيهِ أُمُورٌ الْأَوَّلُ أَنَّ الدَّوْلَةَ لَا بُدَّ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاوَةِ الْمُقْتَضِيَةِ  
 لِلتَّجَانِي عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالْبُعْدِ عَنِ التَّحَدُّقِ وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى تَخْفِيفِ الْجَبَايَةِ وَالْمَغَارِمِ  
 الَّتِي مِنْهَا مَادَّةُ الدَّوْلَةِ فَتَقِلُّ النِّفَقَاتُ وَيَقِلُّ التَّرَفُ فَإِذَا صَارَ الْمِصْرُ الَّذِي كَانَ كُرْسِيًّا  
 لِلْمَلِكِ فِي مَلَكَةٍ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ وَتَقَصَّتْ أَحْوَالُ التَّرَفِ فِيهَا نَقَصَ التَّرَفُ  
 فِيمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهَا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ لِأَنَّ الرِّعَايَا تَبْعُ لِلدَّوْلَةِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى خُلُقِ الدَّوْلَةِ  
 إِمَّا طَوْعًا لِمَا فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ مِنْ تَقْلِيدِ مَتَّبِعِيهِمْ أَوْ كَرْهًا لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ خُلُقُ الدَّوْلَةِ  
 مِنَ الْإِنْقِبَاضِ عَنِ التَّرَفِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَقِلَّةِ الْفَوَائِدِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْعَوَائِدِ فَتَقْصُرُ



لذلك حضارة المضر ويذهب منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما نقول في خراب  
المضر . الأمر الثاني أن الدولة إنما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب وإنما  
يكون بعد العداوة والحروب والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر  
إحداهما على الأخرى في العوائد والأحوال وغلب أحد المتنافيين يذهب بالمنافي  
الآخر فتكون أحوال الدولة السابقة منكراً عند أهل الدولة ومستبشعة وقبيحة  
وخصوصاً أحوال الترف فتفقد في عرفهم بذكر الدولة لها حتى تنشأ لهم بالتدريج  
عوائد أخرى من الترف فتكون عنها حضارة مستأنفة وفيما بين ذلك قصور الحضارة  
الأولى ونقصها وهو معنى اختلال العمران في المضر . الأمر الثالث أن كل أمة لا  
بدل لهم من وطن وهو منشأهم ومنه أولية ملكهم وإذا ملكوا ملكاً آخر صار تبعاً  
لأول وأما صارت تابعة لأمصار الأول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسط  
الكرسي نخوم الممالك التي للدولة لأنه شبه المركز للنطاق فيبعد مكانه عن  
مكان الكرسي الأول وتهوى أفئدة الناس من أجل الدولة والسلطان فينتقل إليه  
العمران ويخف من مضر الكرسي الأول والحضارة إنما هي توفر العمران كما  
قدمناه فنقص حضارته وتمدنه وهو معنى اختلاله وهذا كما وقع للسلجوقية في عدولهم  
بكرسيهم عن بغداد إلى أصفهان وللعرب قبلهم في العدول عن المدائن إلى الكوفة  
والبصرة ولبي العباس في العدول عن دمشق إلى بغداد ولبي مرين بالغرب في  
العدول عن مراكش إلى فاس وبالجملية فامتخا الدولة الكرسي في مضر  
يحل بعمران الكرسي الأول . الأمر الرابع أن الدولة الثانية لا بد فيها من تبع  
أهل الدولة السابقة وأشباعها بتحويلهم إلى قطر آخر يؤمن فيه غائلتهم على الدولة  
وأكثر أهل المضر الكرسي أشباع الدولة إما من الحامية الذين نزلوا به أول  
الدولة أو أعيان المضر لأن لهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع أصنافهم  
ول أكثرهم ناشئ في الدولة فهم شيعه لها وإن لم يكونوا بالشوكة والعصبية فهم  
بالميل والمحبة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة محو آثار الدولة السابقة فيقلهم  
من مضر الكرسي إلى وطنها المتمكن في ملكيتها فبعضهم على نوع التغريب  
والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والثلطف بحيث لا يؤدي إلى النفرة حتى لا يبقى في

مِصْرُ الْكُرْسِيِّ إِلَّا الْبَاعَةَ وَالْهَمْلُ مِنْ أَهْلِ الْفَلَحِ وَالْعِيَارَةُ وَسَوَادُ الْعَامَّةِ وَيَنْزِلُ مَكَانَهُمْ  
حَامِيَتَهَا وَأَشْيَاعُهَا مَنْ يَشْتَدُّ بِهِ الْمِصْرُ وَإِذَا ذَهَبَ مِنَ الْمِصْرِ أَعْيَانُهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ تَقْصُ  
سَاكِنُهُ وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِ عُمُرَانِهِ ثُمَّ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَسْتَجِدَّ عُمُرَانُ آخَرٍ فِي ذَلِكَ الدَّوْلَةِ  
الْجَدِيدَةِ وَتَحْصُلُ فِيهِ حِضَارَةٌ أُخْرَى عَلَى قَدَرِ الدَّوْلَةِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمِثَابَةِ مَنْ لَهُ بَيْتٌ عَلَى  
أَوْصَافٍ مَخْصُوصَةٍ فَأَظْهَرَ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى تَغْيِيرِ تِلْكَ الْأَوْصَافِ وَإِعَادَةِ بِنَائِهَا عَلَى مَا يَخْتَارُهُ  
وَيَقْتَرِحُهُ فَيُخْرِبُ ذَلِكَ الْبَيْتَ ثُمَّ يُعِيدُ بِنَاءَهُ ثَانِيًا وَقَدْ وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْأُمُورِ الَّتِي  
هِيَ كِرَامِي لِلْمَلِكِ وَشَاهِدُنَاهُ وَعَلِمْنَاهُ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَالسَّبَبُ الطَّبِيعِيُّ الْأَوَّلُ  
فِي ذَلِكَ عَلَى الْجُمْلَةِ أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالْمَلِكَ لِعُمُرَانٍ بِمِثَابَةِ الصُّورَةِ لِلْمَادَّةِ وَهُوَ الشَّكْلُ الْحَافِظُ  
بِنَوْعِهِ لَوْجُودِهَا وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عُلُومِ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ لَا يُكُنْ أَنْفِكََاكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ  
فَالدَّوْلَةُ دُونَ الْعُمُرَانِ لَا تُتَصَوَّرُ وَالْعُمُرَانُ دُونَ الدَّوْلَةِ وَالْمَلِكُ مُتَعَدِّ بِمَا فِي طَبَاعِ  
الْبَشَرِ مِنَ الْعُدْوَانِ الدَّاعِي إِلَى الْوَارِعِ فَتَتَعَيَّنُ السِّيَاسَةُ لِذَلِكَ إِمَّا الشَّرْعِيَّةَ أَوِ الْمَلِكِيَّةَ  
وَهُوَ مَعْنَى الدَّوْلَةِ وَإِذَا كَانَا لَا يَنْفَكَا فَاخْتِلَالُ أَحَدِهِمَا مُؤَثِّرٌ فِي اخْتِلَالِ الْآخَرِ  
كَمَا أَنَّ عَدَمَهُ مُؤَثِّرٌ فِي عَدَمِهِ وَالتَّخَلُّلُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ خَلَلِ الدَّوْلَةِ الْكُلِّيَّةِ  
مِثْلَ دَوْلَةِ الرُّومِ أَوِ الْفَرَسِ أَوِ الْعَرَبِ عَلَى الْعُمُومِ أَوْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَوْ بَنِي الْعَبَّاسِ كَذَلِكَ  
وَأَمَّا الدَّوْلَةُ الشَّخْصِيَّةُ مِثْلَ دَوْلَةِ أَنْوْشِرْوَانَ أَوْ هِرَقْلٍ أَوْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَوْ  
الرَّشِيدِ فَأَشْخَاصُهَا مُتَعَاكِفَةٌ عَلَى الْعُمُرَانِ حَافِظَةٌ لَوْجُودِهِ وَبَقَائِهِ وَقَرِيبَةٌ الشَّيْءِ بَعْضُهَا  
مِنْ بَعْضٍ فَلَا تُؤَثِّرُ كَثِيرٌ اخْتِلَالُ لَانَّ الدَّوْلَةَ بِالْحَقِيقَةِ الْفَاعِلَةَ فِي مَادَّةِ الْعُمُرَانِ إِنَّمَا  
هِيَ الْعَصَبِيَّةُ وَالشُّوْكَةُ وَهِيَ مُسْتَمِرَّةٌ عَلَى أَشْخَاصِ الدَّوْلَةِ فَإِذَا ذَهَبَتْ تِلْكَ الْعَصَبِيَّةُ وَدَفَعَتْهَا  
عَصَبِيَّةٌ أُخْرَى مُؤَثِّرَةٌ فِي الْعُمُرَانِ ذَهَبَتْ أَهْلُ الشُّوْكَةِ بِأَجْمَعِهِمْ وَعَظُمُ التَّخَلُّلُ كَمَا  
فَرَّزْنَاهُ أَوَّلًا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل العشرون

فِي اخْتِصَاصِ بَعْضِ الْأُمُورِ بِبَعْضِ الصَّنَائِعِ دُونَ بَعْضٍ  
وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ أَعْمَالَ أَهْلِ الْمِصْرِ يَسْتَدْعِي بَعْضُهَا بَعْضًا لِمَا فِي طَبِيعَةِ  
الْعُمُرَانِ مِنَ التَّعَاوُنِ وَمَا يَسْتَدْعِي مِنَ الْأَعْمَالِ يُخْتَصُّ بِبَعْضِ أَهْلِ الْمِصْرِ فَيَقُومُونَ عَلَيْهِ  
وَيَسْتَبْصِرُونَ فِي صِنَاعَتِهِ وَيَخْتَصُّونَ بِوُضُفَتِهِ وَيَجْعَلُونَ مَعَاشَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَهُمْ مِنْهُ لِعُمُومِ



الْبَلَوَى بِهِ فِي الْمِصْرِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَمَا لَا يَسْتَدْعِي فِي الْمِصْرِ يَكُونُ غَفْلًا إِذْ لَا فَائِدَةَ  
لِمُنْتَحِلِهِ فِي الْإِحْتِرَافِ بِهِ وَمَا يَسْتَدْعِي مِنْ ذَلِكَ لِضَرُورَةِ الْمَعَاشِ فَيُوجَدُ فِي كُلِّ مِصْرٍ  
كَالْخِيَاطِ وَالْحُدَادِ وَالنَّجَّارِ وَمِثَالَهَا وَمَا يَسْتَدْعِي لِعَوَائِدِ التَّرَفِّ وَأَحْوَالِهِ فَإِنَّمَا يُوجَدُ  
فِي الْمَدُنِ الْمُسْتَبْجِرَةِ فِي الْعِمَارَةِ الْآخِذَةِ فِي عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَالْحِضَارَةِ مِثْلِ الرَّجَّاجِ  
وَالصَّائِغِ وَالْدِهَانِ وَالطَّبَّاحِ وَالصَّنَّارِ وَالْفَرَّاشِ وَالذَّبَّاحِ وَمِثَالِ هَذِهِ وَهِيَ مُتَفَاوِتَةٌ  
وَيَقْدَرُ مَا تَزِيدُ عَوَائِدُ الْحِضَارَةِ وَتَسْتَدْعِي أَحْوَالَ التَّرَفِّ تَعُدُّ صَنَائِعُ لِذَلِكَ النَّوعِ  
فَتُوجَدُ بِذَلِكَ الْمِصْرِدُونَ غَيْرُهُ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْحَمَامَاتُ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تُوجَدُ فِي الْأَمْصَارِ  
الْمُسْتَحْضِرَةِ الْمُسْتَبْجِرَةِ الْعُمَرَانِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ التَّرَفُّ وَالْغِنَى مِنَ التَّنْعَمِ وَلِذَلِكَ  
لَا تَكُونُ فِي الْمَدُنِ الْمُتَوَسِّطَةِ وَإِنْ تَزَعُ بَعْضُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ إِلَيْهَا فَيَخْتَطُّهَا  
وَيَجْرِي أَحْوَالُهَا إِلَّا أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهَا دَاعِيَةٌ مِنْ كَافَّةِ النَّاسِ فَسَرَعَانَ مَا تُهْجَرُ وَتُخْرَبُ  
وَتَفِرُّ عَنْهَا الْقَوْمَةُ لِقِلَّةِ فَائِدَتِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ مِنْهَا وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ

### الفصل الحادي والعشرون

في وجود العصبية في الأمصار وتغلب بعضهم على بعض

مِنْ الْبَيِّنِ أَنَّ الْإِلْتِحَامَ وَالْإِتِّصَالَ مَوْجُودٌ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ نَسَبٍ  
وَاحِدٍ إِلَّا أَنَّهُ كَمَا قَدَّمَاهُ أَضَعَفُ مِمَّا يَكُونُ بِالنَّسَبِ وَأَنَّهُ يُحْصَلُ بِهِ الْعَصَبِيَّةُ بَعْضًا مِمَّا  
تُحْصَلُ بِالنَّسَبِ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مُلْتَحِمُونَ بِالْصَّحْرِ يُجْتَذِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى  
أَنْ يَكُونُوا لَحْمًا لَحْمًا وَقَرَابَةً قَرَابَةً وَتَجِدُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالصَّدَاقَةِ مَا يَكُونُ بَيْنَ  
الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ مِثْلَهُ فَيَفْتَرِقُونَ شَيْعًا وَعَصَائِبَ فَإِذَا نَزَلَ الْهَرَمُ بِالْدَوْلَةِ وَتَقَلَّصَ ظِلُّ  
الدَّوْلَةِ عَنِ الْقَاصِيَةِ أَحْتَاَجَ أَهْلُ أَمْصَارِهَا إِلَى الْقِيَامِ عَلَى أَمْرِهِمُ وَالنَّظَرِ فِي حِمَايَةِ بِلَدِهِمْ  
وَرَجَعُوا إِلَى الشُّوَرَى وَتَمَيَّزَ الْعَلِيَّةُ عَنِ السُّفْلَةِ وَالنُّفُوسُ بِطِبَاعِهَا مُتَطَاوِلَةٌ إِلَى الْغَلَبِ  
وَالرَّئَاسَةِ فَتَطْمَحُ الْمَشِيخَةُ خِلَاءَ الْجُودِ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ إِلَى الْأَسْتَبْدَادِ  
وَيُنَازِعُ كُلُّ صَاحِبَةٍ وَيَسْتَوْصِلُونَ بِالْإِتِّبَاعِ مِنَ الْمَوَالِي وَالشَّيْعِ وَالْأَحْلَافِ وَيَبْذُلُونَ  
مَا فِي أَيْدِيهِمْ لِلْأَوْغَادِ وَالْأَوْشَابِ فَيَعْصُوبُ كُلُّ إِصَاحِبَةٍ وَيَتَعَيْنُ الْغَلَبُ لِبَعْضِهِمْ فَيَعْطِفُ  
عَلَى كَفَائِهِ لِيَقْصَنَ مِنْ أَعْنَتِهِمْ وَيَتَّبِعَهُمْ بِالْقَتْلِ أَوِ التَّغْرِيبِ حَتَّى يَخْضَعُوا مِنْهُمْ الشُّوَكَاةَ  
النَّافِذَةَ وَيَقْلَمَ الْأَظْفَارَ الْخَادِشَةَ وَيَسْتَبِدُّ بِمِصْرِهِ أَجْمَعَ وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ اسْتَحْدَثَ مُلْكًا

يُورثه عَقِبُهُ فَيَحْدُثُ فِي ذَلِكَ الْمَلِكِ الْأَصْغَرِ مَا يَحْدُثُ فِي الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ مِنْ عَوَارِضِ  
الْجِدَّةِ وَالْكَرَمِ وَرُبَّمَا يَسْمُو بَعْضُ هَؤُلَاءِ إِلَى مَنَازِعِ الْمُلُوكِ الْأَعَاظِمِ أَصْحَابِ الْقَبَائِلِ  
وَالْعَشَائِرِ وَالْعَصَبِيَّاتِ وَالزُّحُوفِ وَالْحُرُوبِ وَالْأَقْطَارِ وَالْمَمَالِكِ فَيَنْتَحِلُونَ بِهَا مِنْ الْجُلُوسِ  
عَلَى السَّرِيرِ وَاتِّخَاذِ الْأَلَةِ وَإِعْدَادِ الْمَوَاكِبِ لِلسَّيْرِ فِي أَقْطَارِ الْبَلَدِ وَالنَّخْمِ وَالْحُسْبِيَّةِ  
وَالْخُطَابِ بِالتَّمْوِيلِ مَا يَسْتَغْرِ مِنْهُ مَنْ يُشَاهِدُ أحوَالَهُمْ لَمَّا انْتَحَلُوهُ مِنْ شَارَاتِ الْمَلِكِ الَّتِي  
لَيْسُوا بِهَا بِأَهْلٍ إِنَّمَا دَفَعَهُمْ إِلَى ذَلِكَ انْقِلَابُ الدَّوْلَةِ وَالنِّحَامُ بَعْضُ الْقَرَابَاتِ حَتَّى صَارَتْ عَصَبِيَّةً  
وَقَدْ يَنْزِعُ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيَجْرِي عَلَى مَذْهَبِ السَّدَاجَةِ فِرَارًا مِنَ التَّعْرِيضِ بِنَفْسِهِ لِلشُّخْرِيَّةِ  
وَالْعَبَثِ وَقَدْ وَقَعَ هَذَا بِأَفْرِيقِيَّةٍ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الْخَفَصِيَّةِ لِأَهْلِ بِلَادِ الْجَرِيدِ  
مِنْ طَرَابُلُسَ وَقَاسِ وَتُوْزَرَ وَنَقْطَةَ وَقَفْصَةَ وَبِسْكَرَةَ وَالزَّابِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ سَمَوْا إِلَى  
مِثْلِهَا عِنْدَ انْقِلَابِ ظِلِّ الدَّوْلَةِ عَنْهُمْ مِنْهُ عَقُودٌ مِنَ السِّنِينَ فَاسْتَغْلَبُوا عَلَى أَمْصَارِهِمْ  
وَأَسْتَبَدُّوا بِأَمْرِهَا عَلَى الدَّوْلَةِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْجَبَايَةِ وَأَعْطَوْا طَاعَةً مَعْرُوفَةً وَصَفَقَةً  
مُمرَّضَةً وَأَقْطَعُوهَا جَانِبًا مِنَ الْمَلَائِنَةِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالْإِنْقِيَادِ وَهُمْ بِمَعَزِلِ عَنْهُ وَأَوْرَثُوا  
ذَلِكَ أَعْقَابَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ وَحَدَّثَ فِي خَلْفِهِمْ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالتَّجَبُّرِ مَا يَحْدُثُ لِأَعْقَابِ الْمُلُوكِ  
وَخَلْفِهِمْ وَنَظَّمُوا أَنْفُسَهُمْ فِي عِدَادِ السَّلَاطِينِ عَلَى قُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالسُّوقَةِ حَتَّى نَحَا ذَلِكَ  
مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَنْتَزَعَ مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا نَذَرُ فِي  
أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ وَقَعَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الصَّنَهَاجِيَّةِ وَأَسْتَقَلَّ بِأَمْصَارِ الْجَرِيدِ  
أَهْلُهَا وَأَسْتَبَدُّوا عَلَى الدَّوْلَةِ حَتَّى أَنْتَزَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ شَيْخُ الْمُؤَحِّدِينَ وَمَلِكُهُمْ عَبْدُ الْمُؤْمِنِينَ  
بْنُ عَلِيٍّ وَنَقَلَهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ إِمَارَتِهِمْ بِهَا إِلَى الْمَغْرِبِ وَنَحَا مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ أَثَارَهُمْ كَمَا  
نَذَرُ فِي أَخْبَارِهِ وَكَذَا وَقَعَ بِسَبْتَةِ لِآخِرِ دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا التَّغْلِبُ يَكُونُ  
غَالِبًا فِي أَهْلِ السَّرَوَاتِ وَالْبُيُوتَاتِ الْمُرَشَّحِينَ لِلْمَشِيخَةِ وَالرِّئَاسَةِ فِي الْمِصْرِ وَقَدْ يَحْدُثُ  
التَّغْلِبُ لِبَعْضِ السَّفَلَةِ مِنَ الْغَوْغَاءِ وَالْأَهْمَاءِ وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ الْعَصَبِيَّةُ وَالنِّحَامُ بِالْأَوْغَادِ  
لِأَسْبَابٍ يُجْرِّمُهَا لَهُ الْمَقْدَارُ فَيَتَغْلِبُ عَلَى الْمَشِيخَةِ وَالْعِلْيَةِ إِذَا كَانُوا فَاقِدِينَ لِلْعَصَابَةِ وَاللَّهُ  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ



## الفصل الثاني والعشرون

في لغات اهل الامصار

اعلم ان لغات اهل الامصار انما تكون بلسان الامة او الجليل الغالين عليها او المختطين لها ولذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب ابدا العهد عربية وان كان اللسان العربي المضري قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم والدين والامة صورة للوجود والملك وكلها مواد له والصورة مقدمة على المادة والدين انما يستفاد من الشريعة وهي بلسان العرب لما ان النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الالسن في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهي عمر رضي الله عنه عن بطانة الاعاجم وقال انها خب اي مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات الاعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها لان الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب وهجر الامم لغاتهم ولسانهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنه العجمية دخيلة فيها وغريبة ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض احكامه وتغير اواخره وان كان بقي في الدلالات على اصله وسمي لسانا حضريا في جميع امصار الاسلام وايضا فاكثروا اهل الامصار في الامة ابدا العهد من اعقاب العرب المالكين لها المالكين في ترفها بما كثروا النجم الذين كانوا بها وورثوا ارضهم وديارهم واللغات متوارثة فبقيت لغة الاعقاب على حيال لغة الاباء وان فسدت احكامها بمخالطة الاعجام شيئا فشيئا وسميت لغتهم حضرية منسوبة الى اهل الحواضر والامصار بخلاف لغة البدو من العرب فانها كانت اعرق في العروبية ولما تملك النجم من الديلم والسجوقية بعدهم بالمشرق وزناته والبرز بالمررب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الاسلامية فسد اللسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عنابة المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين وسار ذلك مرجحا لبقاء اللغة العربية المضرية من الشعر والكلام الا قليلا بالامصار فلما ملك التتر

وَالْمَغُولُ بِالْمَشْرِقِ وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ذَهَبَ ذَلِكَ الْمَرْجَحُ وَفَسَدَتِ اللُّغَةُ  
 الْعَرَبِيَّةُ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا رَسْمٌ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ  
 وَبِلَادِ فَارِسَ وَأَرْضِ الْهِنْدِ وَالسِّندِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادِ الشَّامِ وَبِلَادِ الرُّومِ وَذَهَبَتْ  
 أَسَالِيبُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الشَّعْرِ وَالْكَلَامِ إِلَّا قَلِيلًا يَقَعُ تَعْلِيمُهُ صِنَاعِيًّا بِالْقَوَانِينِ  
 الْمَتَدَارِسَةِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَحِفْظِ كَلَامِهِمْ لِمَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِذَلِكَ وَرُبَّمَا بَقِيَتْ  
 اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُضَرِّيَّةُ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْأَنْدَلُسِ بِالْمَغْرِبِ لِبَقَاءِ الدِّينِ طَلَبًا لَهَا  
 فَأَنْحَفَظَتْ بَعْضُ الشَّيْءِ وَأَمَّا فِي مَمَالِكِ الْعِرَاقِ وَمَا وَرَاءَهُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ وَلَا عَيْنٌ  
 حَتَّى إِنْ كُتِبَ الْعُلُومُ صَارَتْ تُكْتَبُ بِاللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ وَكَذَا تَدْرِيصُهُ فِي الْمَجَالِسِ  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

## الفصل الخامس

### من الكتاب الاول

في المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله

من الاحوال وفيه مسائل

### الفصل الاول

في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية

إِغْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُفْتَقِرٌ بِالطَّبْعِ إِلَى مَا يَقُوتهُ وَيَمُونُهُ فِي حَالَتِهِ وَأَطْوَارِهِ مِنْ لَدُنْ نَشْؤِهِ  
 إِلَى أَشُدِّهِ إِلَى كِبَرِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَاللَّهُ يُسْجِنُهُ خَلَقَ جَمِيعَ مَا فِي الْعَالَمِ لِلْإِنْسَانِ  
 وَأَمَّنْ بِهِ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ فَقَالَ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
 مِنْهُ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ وَكَثِيرٌ مِنْ شَوَاهِدِهِ وَيدُ  
 الْإِنْسَانِ مَبْسُوطَةٌ عَلَى الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَسْتِخْلَافِ وَأَيْدِي الْبَشَرِ مُنْتَشِرَةٌ  
 فِيهِ مُشْتَرِكَةٌ فِي ذَلِكَ وَمَا حَصَلَ عَلَيْهِ يَدُ هَذَا أَمْتَعَتْ عَنِ الْآخِرِ إِلَّا بِعَوَضٍ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَتَى  
 اقْتَدَرَ عَلَى نَفْسِهِ وَتَجَاوَزَ الضَّعْفَ سَعَى فِي أَقْنَاءِ الْمَكَاسِبِ لِيُنْفِقَ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْهَا  
 فِي تَحْصِيلِ حَاجَاتِهِ وَضَرُورَاتِهِ بِدَفْعِ الْأَعْوَاضِ عَنْهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ



الرِّزْقَ وَقَدْ يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ بِغَيْرِ سَعْيٍ كَالْمَطَرِ الْمُصْلِحِ لِلزَّرْعَةِ وَأَمثَالِهِ إِلَّا أَنَّهَا إِنَّمَا  
تَكُونُ مُعِينَةً وَلَا بُدَّ مِنْ سَعْيِهِ مَعَهَا يَأْتِي فَتَكُونُ لَهُ تِلْكَ الْمَكْسَبُ مَعَاشًا إِنْ  
كَانَتْ بِمَقْدَارِ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ وَرِبَاشًا وَمَتَمُولًا إِنْ زَادَتْ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ إِنْ ذَلِكَ  
الْحَاصِلُ أَوْ الْمُقْتَنَى إِنْ عَادَتْ مَنْفَعَتُهُ عَلَى الْعَبْدِ وَحَصَّاتُ لَهُ ثَمَرَتُهُ مِنْ إِنْثَاقِهِ فِي مَصَالِحِهِ  
وَحَاجَاتِهِ سُمِّيَ ذَلِكَ رِزْقًا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ  
فَأَنْفَيْتَ أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ وَإِنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ مَصَالِحِهِ  
وَلَا حَاجَاتِهِ فَلَا يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَالِكِ رِزْقًا وَالْمَتَمَلِّكُ مِنْهُ حِينَئِذٍ بِسَعْيِ الْعَبْدِ  
وَقُدْرَتِهِ يُسَمَّى كَسْبًا وَهَذَا مِثْلُ التَّرَاثِ فَإِنَّهُ يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْيَالِكِ كَسْبًا وَلَا يُسَمَّى  
رِزْقًا إِذْ لَمْ يَحْصُلْ بِهِ مُنْتَفَعٌ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَارِثِينَ مَتَى أَنْتَفَعُوا بِهِ يُسَمَّى رِزْقًا هَذَا حَقِيقَةُ  
مُسَمَّى الرِّزْقِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَدْ اشْتَرَطَ الْمُعْتَزِلُ فِي تَسْمِيَةِ رِزْقًا أَنْ يَكُونَ بِحَيْثُ  
يَصِحُّ تَمْلُكُهُ وَمَا لَا يَتَمَلَّكُ عَنْدهُمْ لَا يُسَمَّى رِزْقًا وَأَخْرَجُوا الْغُصُوبَاتِ وَالْحَرَامَ كُلَّهُ  
عَنْ أَنْ يُسَمَّى شَيْءٌ مِنْهَا رِزْقًا وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُ الْغَاصِبَ وَالظَّالِمَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ  
بِرَحْمَتِهِ وَهِدَايَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ حُجْجٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ بَسْطِهَا ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ  
الْكَسْبَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالسَّعْيِ فِي الْإِفْتِنَاءِ وَالْقَصْدِ إِلَى التَّحْصِيلِ فَلَا بُدَّ فِي الرِّزْقِ مِنْ  
سَعْيٍ وَعَمَلٍ وَلَوْ فِي تَنَاوُلِهِ وَابْتِغَائِهِ مِنْ وُجُوهِهِ قَالَ تَعَالَى فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَالسَّعْيُ  
إِلَيْهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْهَامِ فَالْكُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ فِي كُلِّ مَكْسُوبٍ وَمَتَمُولٍ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَمَلًا بِنَفْسِهِ مِثْلَ الصَّنَائِعِ فَظَاهِرٌ  
وَإِنْ كَانَ مُقْتَنَى مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْمَعْدِنِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ كَمَا  
تَرَاهُ وَإِلَّا لَمْ يَحْصُلْ وَلَمْ يَقَعْ بِهِ انْتِفَاعٌ ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْحَجَرَيْنِ الْمَعْدِنَيْنِ مِنَ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ قِيمَةً لِكُلِّ مَتَمُولٍ وَهُمَا الذَّخِيرَةُ وَالْقَنِيَّةُ لِأَهْلِ الْعَالَمِ فِي الْغَالِبِ  
وَإِنْ أَقْتَنَى سِوَاهُمَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَإِنَّمَا هُوَ لِقَصْدِ تَحْصِيلِهِمَا بِمَا يَقَعُ فِي غَيْرِهِمَا مِنْ حَوَالَةِ  
الْأَسْوَاقِ الَّتِي هُمَا عَنْهَا بِمَعْزَلٍ فَهُمَا أَصْلُ الْمَكْسَبِ وَالْقَنِيَّةِ وَالذَّخِيرَةِ وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا  
كُلُّهُ فَأَعْلَمَ أَنَّ مَا يُفِيدُهُ الْإِنْسَانُ وَيَقْتْنِيهِ مِنَ الْمَتَمُولَاتِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّنَائِعِ  
فَالْعَمَادُ الْمُقْتَنَى مِنْهُ قِيمَةُ عَمَلِهِ وَهُوَ الْقَصْدُ بِالْقَنِيَّةِ إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا الْعَمَلُ وَلَيْسَ  
بِمَقْصُودٍ بِنَفْسِهِ لِلْقَنِيَّةِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الصَّنَائِعِ فِي بَعْضِهَا غَيْرُهَا مِثْلُ النِّجَارَةِ وَالْحَيَاكَةِ

مَعَهُمَا الْخَشَبُ وَالْعَزْلُ إِلَّا أَنَّ الْعَمَلَ فِيهِمَا أَكْثَرُ فَعِيَمَتُهُ أَكْثَرُ وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ  
 الصَّنَائِعِ فَلَا بُدَّ مِنْ قِيَمَةٍ ذَلِكَ الْمَقَادِرُ وَالْقَنِيَّةُ مِنْ دُخُولِ قِيَمَةِ الْعَمَلِ الَّذِي حَصَلَتْ  
 بِهِ إِذْ لَوْلَا الْعَمَلُ لَمْ تَحْصُلْ قَنِيَّتُهَا وَقَدْ تَكُونُ مَلَا حِظَةُ الْعَمَلِ ظَاهِرَةً فِي الْكَثِيرِ مِنْهَا  
 فَتَجْعَلُ لَهُ حِصَّةً مِنَ الْقِيَمَةِ عَظُمَتْ أَوْ صَغُرَتْ وَقَدْ تَخْفَى مَلَا حِظَةُ الْعَمَلِ كَمَا فِي أَسْعَارِ  
 الْأَقْوَاتِ بَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَعْتَبَارَ الْأَعْمَالِ وَالنَّفَقَاتِ فِيهَا مَلَا حِظُ فِي أَسْعَارِ الْحَبُوبِ كَمَا  
 قَدَّمَاهُ لَكِنَّهُ خَفِيَ فِي الْأَقْطَارِ الَّتِي عِلَاجُ الْفَلَحِ فِيهَا وَمَوْنُهُ يَسِيرَةٌ فَلَا يَشْعُرُ بِهِ إِلَّا  
 الْقَلِيلُ مِنَ أَهْلِ الْفَلَحِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَقَادِرَ وَالْمُكْتَسَبَاتِ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا إِنَّمَا هِيَ  
 قِيَمُ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَبَيَّنَ مَسْمَى الرِّزْقِ وَأَنَّهُ الْمُسْتَفْعُ بِهِ فَقَدْ بَانَ مَعْنَى الْكَسْبِ  
 وَالرِّزْقِ وَشَرَحَ مَسْمَاهَا وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا فَقِدْتَ الْأَعْمَالَ أَوْ قَلَّتْ بَانَتْ قَاصُ الْعُمُرَانِ  
 تَأْذَنَ اللَّهُ بِرَفْعِ الْكَسْبِ الْأَتَرَى إِلَى الْأَمْصَارِ الْقَلِيلَةِ أَلَسَا كَيْفَ يَقِلُّ الرِّزْقُ  
 وَالْكَسْبُ فِيهَا أَوْ يُفْقَدُ لِقَلَّةِ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَكَذَلِكَ الْأَمْصَارُ الَّتِي يَكُونُ عُمُرَانِهَا  
 أَكْثَرُ يَكُونُ أَهْلُهَا أَوْسَعَ أَحْوَالًا وَأَشَدَّ رَفَاهِيَةً كَمَا قَدَّمَاهُ قَبْلُ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ نَقُولُ  
 الْعَامَّةُ فِي الْبِلَادِ إِذَا تَنَاقَصَ عُمُرَانِهَا إِنَّمَا قَدْ ذَهَبَ رِزْقُهَا حَتَّى أَنَّ الْأَنْهَارَ وَالْعِيُونَ  
 يَنْقَطِعُ جَرِيَّتُهَا فِي الْقَفْرِ لَمَّا أَنَّ قَوْرَ الْعِيُونَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْإِنْبَاطِ وَالْأَمْتِرَاءِ الَّذِي هُوَ  
 بِالْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ كَالْحَالِ فِي ضُرُوعِ الْأَنْعَامِ فَمَا لَمْ يَكُنْ إِنْبَاطٌ وَلَا أَمْتِرَاءٌ نَضَبَتْ وَغَارَتْ  
 بِالْجُمْلَةِ كَمَا يَجِفُّ الضَّرْعُ إِذَا تَرَكَ أَمْتِرَاؤُهُ وَانْظُرْهُ فِي الْبِلَادِ الَّتِي تُعْهَدُ فِيهَا الْعِيُونَ  
 لَيَّامِ عُمُرَانِهَا ثُمَّ يَأْتِي عَلَيْهَا الْخَرَابُ كَيْفَ تَغُورُ مِيَاهُهَا جُمْلَةً كَانَتْ لَمْ تَكُنْ وَاللَّهُ  
 مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

## الفصل الثاني

في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه

إِعْلَمَ أَنَّ الْمَعَاشَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ ابْتِغَاءِ الرِّزْقِ وَالسَّعْيِ فِي تَحْصِيلِهِ وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنَ  
 الْعَيْشِ كَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْعَيْشُ الَّذِي هُوَ الْحَيَاةُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِهَذِهِ جُعِلَتْ مَوْضِعًا لَهُ عَلَى  
 طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ ثُمَّ إِنْ تَحْصِيلُ الرِّزْقِ وَكَسْبُهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِأَخْذِهِ مِنْ يَدِ الْغَيْرِ  
 وَانْتِزَاعِهِ بِالْإِفْتِدَارِ عَلَيْهِ عَلَى قَانُونِ مُتَعَارِفٍ وَيُسَمَّى مَغْرَمًا وَجِبَايَةً وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ  
 مِنَ الْحَيَوَانِ الْوَحْشِيِّ بِإِفْتِرَاسِهِ وَأَخْذِهِ بِرَمِيهِ مِنَ الْبَرِّ أَوْ الْبَحْرِ وَيُسَمَّى أَصْطِيَادًا



وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحَيَوَانِ الدَّاجِنِ بِاسْتِخْرَاجِ فَضُولِهِ الْمُنْصَرَفَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي  
 مَنَافِعِهِمْ كَاللَّبَنِ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرِيرِ مِنْ دُودِهِ وَالْعَسَلِ مِنْ نَحْلِهِ أَوْ يَكُونَ مِنَ النَّبَاتِ  
 فِي الزَّرْعِ وَالشَّجَرِ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِ وَإِعْدَادِهِ لِاسْتِخْرَاجِ ثَمَرَتِهِ وَيُسَمَّى هَذَا كُلُّهُ فَلْحًا وَإِمَّا  
 أَنْ يَكُونَ الْكَسْبُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِمَّا فِي مَوَادِّ مُعَيَّنَةٍ وَتُسَمَّى الصَّنَائِعُ مِنْ كِتَابَةِ  
 وَنِجَارَةٍ وَخِيَاطَةٍ وَحَيَاكَةٍ وَفُرُوسِيَّةٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ أَوْ فِي مَوَادِّ غَيْرِ مُعَيَّنَةٍ وَهِيَ جَمِيعُ  
 الْأُمْتِعَاتِ وَالتَّصَرُّفَاتِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْكَسْبُ مِنَ الْبَضَائِعِ وَإِعْدَادِهَا لِلْأَعْوَاضِ  
 إِمَّا بِالتَّقْلُبِ بَهَا فِي الْبِلَادِ وَاحْتِكَارِهَا وَارْتِقَابِ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِيهَا وَيُسَمَّى هَذَا تِجَارَةً  
 فَهَذِهِ وَجُوهُ الْمَعَاشِ وَأَصْنَافُهُ وَهِيَ مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ الْمُتَحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ  
 كَالْحَرِيرِيِّ وَغَيْرِهِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا الْمَعَاشُ إِمَارَةٌ وَتِجَارَةٌ وَفِلَاحَةٌ وَصِنَاعَةٌ فَأَمَّا الْإِمَارَةُ  
 فَلَيْسَتْ بِمَذْهَبٍ طَبِيعِيٍّ لِلْمَعَاشِ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ  
 الْجَبَابِيَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَأَهْلِهَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي وَأَمَّا الْفِلَاحَةُ وَالصَّنَاعَةُ وَالتِّجَارَةُ فَهِيَ وَجُوهُ  
 طَبِيعِيَّةٌ لِلْمَعَاشِ أَمَّا الْفِلَاحَةُ فَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَيْهَا كُلِّهَا بِالذَّاتِ إِذْ هِيَ بَسِيطَةٌ وَطَبِيعِيَّةٌ  
 فِطْرِيَّةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَلَا عِلْمٍ وَلِهَذَا تُنْسَبُ فِي الْخَلِيقَةِ إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ وَأَنَّهُ  
 مَعْلَمُهَا وَالْقَائِمُ عَلَيْهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا أَقْدَمُ وَجُوهِ الْمَعَاشِ وَأُنْسَبُهَا إِلَى الطَّبِيعَةِ وَأَمَّا  
 الصَّنَائِعُ فَهِيَ ثَانِيَتُهَا وَمُتَأَخِّرَةٌ عَنْهَا لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ وَعِلْمِيَّةٌ تُصَرَّفُ فِيهَا الْأَفْكَارُ وَالْأَنْظَارُ  
 وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ غَالِبًا إِلَّا فِي أَهْلِ الْحَضَرِ الَّذِي هُوَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْبَدْوِ وَثَانٍ عَنْهُ وَمِنْ هَذَا  
 الْمَعْنَى نُسِبَتْ إِلَى أَدْرِيسَ الْأَبِ الثَّانِي لِلْخَلِيقَةِ فَإِنَّهُ مُسْتَبِطٌ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْبَشَرِ  
 بِالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا التِّجَارَةُ وَإِنْ كَانَتْ طَبِيعِيَّةً فِي الْكَسْبِ فَالْأَكْثَرُ مِنْ  
 طُرُقِهَا وَمَذَاهِبِهَا إِنَّمَا هِيَ تَحْيَلَاتٌ فِي الْحُصُولِ عَلَى مَا بَيْنَ الْقِيَمَتَيْنِ فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ  
 لِتَحْصُلِ فَائِدَةٍ الْكَسْبِ مِنْ تِلْكَ الْفَضْلَةِ وَلِذَلِكَ أَبَاحَ الشَّرْعُ فِيهِ الْمُكَاسَبَةَ لِمَا أَنَّهُ  
 مِنْ بَابِ الْمُقَامَرَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ أَخْذًا لِمَالِ الْغَيْرِ مِجَانًا فَلِهَذَا اخْتُصَّ بِالْمَشْرُوعِيَّةِ

### الفصل الثالث

في ان الخدمة ليست من الطبيعي

إِعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْخِدْمَةِ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ الْإِمَارَةِ وَالْمُلْكِ  
 الَّذِي هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرْطِيِّ وَالْكَاتِبِ وَيَسْتَكْفِي فِي كُلِّ بَابٍ بِمَنْ يَعْلَمُ

غناءه فيه ويتكفل بأرزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الإِمارة ومعاشها  
 إذ كلهم يتسحب عليهم حكم الإِمارة والملاك الأعظم هو يتبوع جدواهم وأما ما  
 دون ذلك من الخدمة فسببها أن أكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته أو يكون  
 عاجزاً عنها لِمَا رُبِّيَ عليه من خلق التَّعَمُّ والتَّرف فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه عليه  
 أجراً من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولية الطبيعية للإنسان إذ الثقة  
 بكل أحد عجز ولأنها تزيد في الوظائف والخرج وتدل على العجز والخنث الذي ينبغي  
 في مذاهب الرجولية التنزه عنهما إلا أن العوائد تلبط طباع الإنسان إلى ما لوفها فهو  
 ابن عوائده لا ابن نسيه ومع ذلك فالخديم الذي يستكفي به ويوثق بغنائه كالمفقود  
 إذ الخديم القائم بذلك لا يعدو أربع حالات إما مضطلع بأمره ولا موثوق فيما يحصل  
 بيده وإما بالعكس في إحداهما فقط مثل أن يكون مضطلعاً غير موثوق أو موثوقاً غير  
 مضطلع فأمّا الأول وهو المضطلع الموثوق فلا بد من أحد استعماله بوجه إذ  
 هو بأضطلاعه وثيقته غني عن أهل الرتب الدينية ومحتقر لمثال الأجر من الخدمة  
 لاقتداره على أكثر من ذلك فلا يستعمله إلا الأمرأه أهل الجاه العريض العموم  
 الحاجة إلى الجاه وأما الصنف الثاني وهو ممن ليس بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغي  
 لمعاقل استعماله لأنه ينجف بمخدومه في الأمرين معاً فيضيع عليه لعدم الأضطناع  
 تارة ويذهب ماله بالخيانة أخرى فهو على كل حال كل على مولاه فهذان الصنفان لا  
 يطمع أحد في استعمالهما ولم يبق إلا استعمال الصنفين الآخرين موثوق غير مضطلع  
 ومضطلع غير موثوق وللناس في الترجيح بينهما مذهبان ولكل من الترجيحين وجه  
 إلا أن المضطلع ولو كان غير موثوق أرجح لأنه يؤمن من تضيعه ويحاول على التحرز  
 من خيانتة جهد الاستطاعة وأما المضطلع ولو كان مؤثماً فضرره بالتضيع أكثر من  
 نفعه فأعلم ذلك واتخذ قانوناً في الاتيكفاء بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر  
 على كل شيء

### الفصل الرابع

في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي  
 اعلم ان كثيراً من ضعفاء العقول في الأمصار يعرضون على استخراج الأموال من



تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَبْتَغُونَ الْكَسْبَ مِنْ ذَلِكَ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَمْوَالَ الْأُمَمِ السَّائِلَةِ مُخْتَزَنَةٌ  
كُلُّهَا تَحْتَ الْأَرْضِ مَخْتُومٌ عَلَيْهَا كُلُّهَا بِطَلَامِمْ سِحْرِيَّةٍ لَا يَنْضُ خِتَامُهَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ عَشَرِ  
عَلَى عِلْمِهِ وَاسْتَحْضَرَ مَا يَحُلُّهُ مِنَ الْبُخُورِ وَالِدُعَاءِ وَالْقُرْبَانِ فَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِأَفْرِيقَةٍ يَرَوْنَ  
أَنَّ الْأَفْرِيقَةَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِهَا دَفَنُوا أَمْوَالَهُمْ كَذَلِكَ وَأَوْدَعُوهَا فِي  
الْصُّحُفِ بِالْكِتَابِ إِلَى أَنْ يَجِدُوا السَّبِيلَ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِالْمَشْرِقِ  
يَرَوْنَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي أُمَّةِ الْقَيْطِ وَالرُّومِ وَالْفَرَسِ وَيَتَنَاقِلُونَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ أَشْبَهَ حَدِيثِ  
خُرَافَةٍ مِنْ أَنْتَهَاءِ بَعْضِ الطَّالِبِينَ لِذَلِكَ إِلَى حَنْزِ مَوْضِعِ الْمَالِ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ طَلْسَهُ  
وَلَا خَبْرَهُ فَيَجِدُونَهُ خَالِيًا أَوْ مَعْمُورًا بِالْدِّيدَانِ أَوْ يُشَاهِدُ الْأَمْوَالَ وَالْجَوَاهِرَ مَوْضُوعَةً  
وَالْحَرَسُ دُونَهَا مُنْتَظِينَ سَيُوفِهِمْ أَوْ تَمِيدُ بِهِ الْأَرْضُ حَتَّى يَطْنَهُ خَسَنًا أَوْ مِثْلَ ذَلِكَ  
مِنَ الْهَذَرِ وَنَجِدُ كَثِيرًا مِنْ طَلَبَةِ الْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ الْعَاجِزِينَ عَنِ الْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ  
وَأَسْبَابِهِ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بِالْأَوْرَاقِ الْمُنْخَرَمَةِ الْحَوَاشِي إِمَّا بِخُطُوطٍ عَجَمِيَّةٍ أَوْ  
بِمَا تُرْجِمُ بَزْغَمِهِمْ مِنْهَا مِنْ خُطُوطِ أَهْلِ الدَّفَائِنِ بِإِعْطَاءِ الْأَمَارَاتِ عَلَيْهَا فِي أَمَاكِنِهَا  
يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ الرِّزْقَ مِنْهُمْ بِمَا يَبْعَثُونَهُ عَلَى الْحَفْرِ وَالطَّلَبِ وَيُمَوِّهُونَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا  
حَمَلَهُمْ عَلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِهِمْ طَلَبُ الْجَاهِ فِي مِثْلِ هَذَا مِنْ مَنَالِ الْحُكَّامِ وَالْعُقُوبَاتِ وَرُبَّمَا  
تَكُونُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ نَادِرَةً أَوْ غَرِيبَةً مِنَ الْأَعْمَالِ السِّحْرِيَّةِ يُمَوِّهُ بِهَا عَلَى تَصْدِيقِ مَا  
بَقِيَ مِنْ دَعْوَاهُ وَهُوَ بِمَعَزَلٍ عَنِ السِّحْرِ وَطُرُقِهِ فَتَوَلَّعَ كَثِيرٌ مِنْ ضُعَفَاءِ الْعُقُولِ بِجَمْعِ  
الْأَيْدِي عَلَى الْإِحْتِفَارِ وَالتَّسْتَرِّ فِيهِ بِظُلُمَاتِ اللَّيْلِ مَخَافَةَ الرُّقَبَاءِ وَعَيُونِ أَهْلِ الدُّوَلِ فَإِذَا  
لَمْ يَعْثُرُوا عَلَى شَيْءٍ رَدُّوا ذَلِكَ إِلَى الْجَهْلِ بِالطَّلَسِ الَّذِي خُتِمَ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَالِ  
يُخَادِعُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَنْ إِخْفَاقِ مَطَامِعِهِمْ وَالَّذِي يَحْمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْغَالِبِ زِيَادَةُ  
عَلَى ضَعْفِ الْعَقْلِ إِنَّمَا هُوَ الْعَجْزُ عَنْ طَلَبِ الْمَعَاشِ بِالْوُجُوهِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْكَسْبِ مِنْ  
التِّجَارَةِ وَالْفَلَحِ وَالصَّنَاعَةِ فَيَطْلُبُونَهُ بِالْوُجُوهِ الْمُنْحَرِفَةِ وَعَلَى غَيْرِ الْمَجْرَى الطَّبِيعِيِّ مِنْ  
هَذَا وَأَمثَالِهِ عَجْزًا عَنِ السَّعْيِ فِي الْمَكَاسِبِ وَرُكُونًا إِلَى تَنَاوُلِ الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ  
وَلَا نَصَبٍ فِي تَحْصِيلِهِ وَكَتْسَابِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَقَعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِابْتِغَاءِ ذَلِكَ مِنْ  
غَيْرِ وَجْهِهِ فِي نَصَبٍ وَمَتَاعِبٍ وَجَهْدٍ شَدِيدٍ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ وَيَعْرِضُونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ ذَلِكَ  
لِمَنَالِ الْعُقُوبَاتِ وَرُبَّمَا يَحْمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ زِيَادَةُ التَّرَفِ وَعَوَائِدُهُ وَخُرُوجُهَا

عَنْ حَدِّ النَّبَايَةِ حَتَّى تُقْصِرَ عَنْهَا وَجْهُهُ الْكَسْبُ وَمَذَاهِبُهُ وَلَا تَقِي بِمَطَالِبِهَا فَإِذَا عَجَزَ  
عَنِ الْكَسْبِ يَا تَجَرِّي الطَّبِيعِيِّ لَمْ يَجِدْ وَلِيَّةً فِي نَفْسِهِ إِلَّا التَّمَنِّيَ لِوُجُودِ الْمَالِ الْعَظِيمِ  
دَفْعَةً مِنْ غَيْرِ كِلَانَةٍ لِيَفِي لَهُ ذَلِكَ بِالْعَوَائِدِ الَّتِي حَصَلَ فِي أَسْرِهَا فَيَحْرُسُ عَلَى ابْتِغَاءِ ذَلِكَ  
وَيَسْعَى فِيهِ جُرْدَهُ وَإِلَيْهَا فَإِذَا كَثُرَ مَنْ تَرَاهُمْ يَحْرُسُونَ عَلَى ذَلِكَ هُمُ الْمُتَرَفُونَ مِنْ أَهْلِ  
الدَّوْلَةِ وَمِنْ سُكَّانِ الْأَمْصَارِ الْكَثِيرَةِ التَّرَفِ الْمُتَسِعَةِ الْأَحْوَالِ مِثْلَ مِصْرَ وَمَا فِي  
مَعْنَاهَا فَتَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ مُغْرَمِينَ بِابْتِغَاءِ ذَلِكَ وَتَحْصِيلِهِ وَهَسَاءَ لَهُ الرُّكْبَانُ عَنْ شَوَازِهِ  
كَمَا يَحْرُسُونَ عَلَى الْكَيْمِيَاءِ هَكَذَا بَلَّغَنِي عَنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي مُفَاوَضَةٍ مِنْ بَلَقُونَهُ مِنْ  
طَلَبَةِ الْمَغَارِبَةِ لَعَلَّهُمْ يَعْثُرُونَ مِنْهُ عَلَى دَفِينٍ أَوْ كَنْزٍ وَيَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ أَلْبَحْثَ عَنْ  
تَغْوِيرِ الْمِيَاهِ لِمَا يَرَوْنَ أَنَّ غَالِبَ هَذِهِ الْأَمْوَالِ الدَّفِينَةِ كَانَهَا فِي نَجَارِي النَّيْلِ وَأَنَّهُ أَعْظَمُ  
مَا يَسْتَرِدْفِينَا أَوْ تُخْتَزَنَا فِي تِلْكَ الْأَنْاقِ وَيُمَوِّهُ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ تِلْكَ الدَّفَاتِرِ الْمُفْتَعَلَةِ  
فِي الْأَعْتِدَارِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا بِجُرْيَةِ النَّيْلِ تَسْتَرًا بِذَلِكَ مِنَ الْكُذِبِ حَتَّى يَحْصُلَ  
عَلَى مَعَاشِهِ فَيَحْرُسُ سَامِعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى نُضُوبِ الْمَاءِ بِالْأَعْمَالِ السَّخَرِيَّةِ لِتَحْصِيلِ مُبْتِغَاهُ  
مِنْ هَذِهِ كَلَفًا بِشَأْنِ السَّخَرِ مُتَوَارِثًا فِي ذَلِكَ الْقَطْرِ عَنْ أَوْلِيهِ فَعَالُوهُمْ السَّخَرِيَّةُ وَآثَارُهَا  
بَاقِيَةٌ بِأَرْضِهِمْ فِي الْبَرَارِيِّ وَغَيْرِهَا وَقِصَّةُ سَحْرَةِ فِرْعَوْنَ شَاهِدَةٌ بِاخْتِصَاصِهِمْ بِذَلِكَ  
وَقَدْ تَنَاقَلَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ قِصِيدَةً يَنْسِبُونَهَا إِلَى حُكَمَاةِ الْمَشْرِقِ تُعْطَى فِيهَا كَيْفِيَّةُ  
الْعَمَلِ بِالتَّغْوِيرِ بِصِنَاعَةِ سَخَرِيَّةٍ حَسَبًا تَرَاهُ فِيهَا وَهِيَ هَذِهِ

يَا طَالِبًا لِلسِّرِّ فِي التَّغْوِيرِ	إِسْمَعْ كَلَامَ الصِّدْقِ مِنْ خَيْرِ
دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ صَنَّفُوا فِي كُتُبِهِمْ	مِنْ قَوْلِ بَهْتَانٍ وَلَفْظِ غُرُورِ
وَأَسْمَعْ لِصِدْقِ مَقَالَتِي وَنَصِيحَتِي	إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ لَا يَرَى بِالزُّورِ
فَإِذَا أَرَدْتَ تَغْوِيرَ الْبِشْرِ الَّتِي	حَارَتْ لَهَا الْأَوْهَامُ فِي التَّدْبِيرِ
صَوَّرَ كُصُورَتِكَ الَّتِي أَوْفَقَتْهَا	وَالرَّأْسُ رَأْسُ السَّبِيلِ فِي التَّقْوِيرِ
وَبَدَأَهُ مَاسِكَتَانِ لِلْحَبْلِ الَّذِي	فِي الدَّلْوِ يَنْشَلُ مِنْ قَرَارِ الْبِيرِ
وَبَصَدْرِهِ هَاهُ كَمَا عَابَتْهَا	عَدَدُ الطَّلَاقِ أَحْذَرُ مِنَ التَّكْرِيرِ
وَيَطَا عَلَى الطَّاءَاتِ غَيْرَ مُلَامِسِ	مَشْيِ اللَّيْبِ الْكَيْسِ النِّحْرِ
وَيَكُونُ حَوْلَ الْكُلِّ خَطٌّ دَائِرٌ	تَرْبِيعُهُ أَوَّلَى مِنَ التَّكْوِيرِ



وَأَذْبَحَ عَلَيْهِ الطَّيْرَ وَالطَّحْنَ بِهِ  
بِالسَّنْدَرُوسِ وَبِالْأَبَانِ وَمِيعَةً  
مِنْ أَحْمَرَ أَوْ أَصْفَرَ لَا أَزْرَقَ  
وَيَسُدُّهُ خَيْطَانُ صُوفٍ أَيْضًا  
وَالطَّلَاحُ الْأَسَدُ الَّذِي قَدْ يَبْنُو  
وَالْبَدْرُ مُتَّصِلٌ بِسَعْدٍ عَطَّارِدٍ فِي يَوْمِ سَبْتِ سَاعَةِ التَّنْذِيرِ  
يَعْنِي أَنَّ تَكُونِ الطَّاءَاتُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ كَأَنَّهُ يَمْشِي عَلَيْهَا وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ  
تَمْوِيَّاتِ الْمُتَخَرِّفِينَ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَحْوَالٌ غَرِيبَةٌ وَأَصْطِلَاحَاتٌ عَجِيبَةٌ وَتَنْتَهِي التَّخْرِيفَةُ  
وَالْكَذِبُ بِهِمْ إِلَى أَنْ يَسْكُنُوا الْمَنَازِلَ الْمَشْهُورَةَ وَالْأُورَ الْمَعْرُوفَةَ لِمِثْلِ هَذِهِ  
وَيَحْتَفِرُونَ الْحُفَرَ وَيَضَعُونَ الْمَطَابِقَ فِيهَا وَالشَّوَاهِدَ الَّتِي يَكْتُبُونَهَا فِي صَحَائِفِ كَذِبِهِمْ  
ثُمَّ يَقْصِدُونَ ضَعْفَاءَ الْعُقُولِ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الصَّحَائِفِ وَيَعِثُونَ عَلَى كِبَرَاءِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ  
وَسُكْنَاهُ وَيُوهَمُونَ أَنَّ بِهِ دَفِينًا مِنَ الْمَالِ لَا يَعْبُرُ عَنْ كَثْرَتِهِ وَيُطَالِبُونَ بِالْمَالِ لِاشْتِرَاءِ  
الْعَقَاقِيرِ وَالْبُخُورَاتِ لِحُلِّ الطَّلَاسِمِ وَيَعِدُونَهُ بِظُهُورِ الشَّوَاهِدِ الَّتِي قَدْ أَعَدُّوها هُنَاكَ  
بِأَنْفُسِهِمْ وَمِنْ فِعْلِهِمْ فَيَنْبَغِثُ لِمَا يَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ قَدْ خُدِعَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا  
يَشْعُرُ وَيَتَنَبَّهُمْ فِي ذَلِكَ أَصْطِلَاحٌ فِي كَلَامِهِمْ يُلَبِّسُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ لِيَتَغَيَّ عِنْدَ مُحَاوَرَتِهِمْ  
فِيمَا يَتَلَوْنَهُ مِنْ حَفَرٍ وَبُخُورٍ وَذَبْحِ حَيَوَانٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ عَلَى  
الْحَقِيقَةِ فَلَا أَضِلُّ لَهُ فِي عِلْمٍ وَلَا خَبَرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُذُورَ وَإِنْ كَانَتْ تُوجَدُ لِكُنْهَا  
فِي حُكْمِ النَّادِرِ وَعَلَى وَجْهِ الْإِتِّفَاقِ لَا عَلَى وَجْهِ الْقَصْدِ إِلَيْهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَمْرٍ تَعَمُّ  
بِهِ الْبَلَوَى حَتَّى يَدْخِرَ النَّاسُ أَمْوَالَهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَحْتُمُونَ عَلَيْهَا بِالطَّلَاسِمِ لَا  
فِي الْقَدِيمِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ وَالزَّكَارُ الَّذِي وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَفَرَضَهُ الْفُقَهَاءُ وَهُوَ دَفِينٌ  
الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّمَا يُوجَدُ بِالْعُثُورِ وَالْإِتِّفَاقِ لَا بِالْقَصْدِ وَالطَّلَبِ وَأَيْضًا فَمَنْ أَخْتَزَنَ مَالَهُ وَخَتَمَ  
عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ السَّحَرِيَّةِ فَقَدْ بَالَغَ فِي إِخْفَائِهِ فَكَيْفَ يَنْصَبُ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةُ وَالْأَمَارَاتُ  
لِمَنْ يَتَفَقَّهَ وَيَكْتُبُ ذَلِكَ فِي الصَّحَائِفِ حَتَّى يَطَّلِعَ عَلَى ذَخِيرَتِهِ أَهْلُ الْأَمْصَارِ وَالْأَفَاقِ  
هَذَا يُنَاقِضُ قَصْدَ الْإِخْفَاءِ وَأَيْضًا فَأَفْعَالُ الْعُقُلَاءِ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ لِفَرَضِ مَقْصُودٍ  
فِي الْإِتِّفَاعِ وَمَنْ أَخْتَزَنَ الْمَالَ فَإِنَّهُ يَخْتَزِنُهُ لَوْلِيهِ أَوْ قَرِيبِهِ أَوْ مَنْ يُؤَثِّرُهُ وَأَمَّا أَنْ

يَقْصِدُ اخْتِئَاذَهُ بِالْكَلِمَةِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْبَلَاءِ وَالْهَلَاكِ أَوْ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ  
بِالْكَلِمَةِ مِمَّنْ سَيَأْتِي مِنَ الْأُمَمِ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعُقَلَاءِ بِوَجْهِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ  
أَيْنَ أَمْوَالُ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِنَا وَمَا عَلِمَ فِيهَا مِنَ الْكَثَرَةِ وَالْوُفُورِ فَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَمْوَالَ مِنْ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَمْتَعَةِ إِنَّمَا هِيَ مَعَادِنُ وَمَكَاسِبُ مِثْلُ الْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ  
وَالرَّصَاصِ وَسَائِرِ الْعَقَارَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَالْعُمَرَانِ يُظْهِرُهَا بِالْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَيَزِيدُ  
فِيهَا أَوْ يُنْقِصُهَا وَمَا يُوجَدُ مِنْهَا بِأَيْدِي النَّاسِ فَهُوَ مُتَنَاقِلٌ مُتَوَارِثٌ وَرُبَّمَا أَثْقَلَ مِنْ  
قَطْرِ إِلَى قَطْرِ وَمِنْ دَوْلَةٍ إِلَى أُخْرَى بِحَسَبِ أَغْرَاضِهِ وَالْعُمَرَانِ الَّذِي يَسْتَدْعِي لَهُ فَإِنْ  
نَقَصَ الْمَالُ فِي الْمَغْرِبِ وَافْرِيْقِيَّةَ فَلَمْ يَنْقُصْ بِلَادَ الصَّقَالِبَةِ وَالْإِفْرَنْجِ وَإِنْ نَقَصَ فِي  
مِصْرَ وَالشَّامِ فَلَمْ يَنْقُصْ فِي الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَإِنَّمَا هِيَ الْآلَاتُ وَالْمَكَاسِبُ وَالْعُمَرَانُ  
يُوقِرُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مَعَ أَنَّ الْمَعَادِنَ يُدْرِكُهَا الْبَلَاءُ كَمَا يُدْرِكُ سَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ  
وَيُسْرِعُ إِلَى اللُّوْلُوِّ وَالْجَوْهَرِ أَعْظَمَ مِمَّا يُسْرِعُ إِلَى غَيْرِهِ وَكَذَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنَّحَاسُ  
وَالْحَدِيدُ وَالرَّصَاصُ وَالْقَصْدِيرُ بِنَالِهَا مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفَنَاءِ مَا يَذْهَبُ بِأَعْيَانِهَا لِأَقْرَبِ وَقْتٍ  
وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي مِصْرَ مِنْ أَمْرِ الْمَطَالِبِ وَالْكُتُوزِ فَسَبَبُهُ أَنَّ مِصْرَ فِي مَلَكَةِ الْقُبْطِ  
مُنْذُ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُ مِنَ السِّنِينَ وَكَانَ مَوْتَاهُمْ يُدْفَنُونَ بِمَوْجُودِهِمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
وَالْجَوْهَرِ وَاللَّيْلِ عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلِ فَلَمَّا انْقَضَتْ دَوْلَةُ الْقُبْطِ وَمَلَكَ  
الْفُرْسُ بِإِلَادِهِمْ تَقَرُّوا عَلَى ذَلِكَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَشَفُوا عَنْهُ فَأَخَذُوا مِنْ قُبُورِهِمْ مَا لَا يُوصَفُ  
كَالْأَهْرَامِ مِنْ قُبُورِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهَا وَكَذَا فَعَلَ الْيُونَانِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَصَارَتْ قُبُورُهُمْ  
مَظِنَّةً لِذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَيُعَاثَرُ عَلَى الدَّفْنِ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْأَوْقَاتِ أَمَّا مَا يَدْفَنُونَهُ مِنْ  
أَمْوَالِهِمْ أَوْ مَا يَكْرُمُونَ بِهِ مَوْتَاهُمْ فِي الدَّفْنِ مِنْ أَوْعِيَةٍ وَتَوَائِيْتٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
مَعْدَةٌ لِذَلِكَ فَصَارَتْ قُبُورُ الْقُبْطِ مُنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ مَظِنَّةً لَوْجُودِ ذَلِكَ فِيهَا فَلِذَلِكَ  
عَنِ أَهْلِ مِصْرَ بِالْبَحْثِ عَنِ الْمَطَالِبِ لَوْجُودِ ذَلِكَ فِيهَا وَاسْتِخْرَاجِهَا حَتَّى إِنَّهُمْ حِينَ ضَرَبَتْ  
الْمَكُوسُ عَلَى الْأَصْنَافِ آخِرَ الدَّوْلَةِ ضَرَبَتْ عَلَى أَهْلِ الْمَطَالِبِ وَصَدَرَتْ ضَرْبَةً عَلَى مَنْ  
يَشْتَغِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْحَقَقِيِّ وَالْمُهَوِّسِينَ فَوَجَدَ بِذَلِكَ الْمُتَعَاطُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَطْمَاعِ  
الذَّرِيعَةَ إِلَى الْكَشْفِ عَنْهُ وَالذَّرْعَ بِاسْتِخْرَاجِهِ وَمَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى الْخَيْبَةِ فِي جَمِيعِ  
مَسَاعِيهِمْ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُسْرَانِ فَيَحْتَاجُ مَنْ وَقَعَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْوَسْوَاسِ وَابْتَلَى بِهِ أَنْ



يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَالِ فِي طَلَبِ مَعَايِهِ كَمَا تَعَوَّذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَيَتَصَرَّفُ عَنْ طَرِيقِ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَاسِهِ وَلَا يَشْغُلُ نَفْسَهُ بِالْأَحْصَاءِ وَالْمَكَاذِبِ مِنَ الْحِكَايَاتِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

### الفصل الخامس

في ان الجاه مفيد للمال

وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ صَاحِبَ الْمَالِ وَالْحُظْوَةَ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَعَاشِ أَكْثَرَ يَسَارًا وَثَرْوَةً مِنْ فَاقِدِ الْجَاهِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْجَاهِ مَخْدُومٌ بِالْأَعْمَالِ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ فِي سَبِيلِ التَّزَانِي وَالْحَاجَةِ إِلَى جَاهِهِ فَالنَّاسُ مُعِينُونَ لَهُ بِأَعْمَالِهِمْ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهِ مِنْ ضَرُورِيٍّ أَوْ حَاجِيٍّ أَوْ كَمَا لِي فَتَحْصُلُ قِيَمُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا مِنْ كَسْبِهِ وَجَمِيعِ مَعَاشَاتِهِ أَنْ تُبَدَلَ فِيهِ الْأَعْوَاضُ مِنَ الْعَمَلِ يَسْتَعْمِلُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ عَوَاضٍ فَتَتَوَقَّرُ قِيَمُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِ فَبَيْنَ قِيَمِ الْأَعْمَالِ بِكَتْسِهَا وَقِيَمِ أُخْرَى تَدْعُوهُ الْضَرُورَةُ إِلَى إِخْرَاجِهَا فَتَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ وَالْأَعْمَالُ لِصَاحِبِ الْجَاهِ كَثِيرَةٌ فَتَفِيدُ الْغِنَى لِأَقْرَبِ وَقْتٍ وَيَزْدَادُ مَعَ الْأَيَّامِ يَسَارًا وَثَرْوَةً وَلِهَذَا الْمَعْنَى كَانَتْ إِلَّا مَرَّةً أَحَدَ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ وَفَاقِدُ الْجَاهِ بِالْكِلْيَةِ وَلَوْ كَانَ صَاحِبَ مَالٍ فَلَا يَكُونُ يَسَارُهُ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَالِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ سَعْيِهِ وَهُوَ لَا هُمْ أَكْثَرُ التُّجَّارِ وَلِهَذَا تَجِدُ أَهْلَ الْجَاهِ مِنْهُمْ يَكُونُونَ أَيْسَرَ بِكَثِيرٍ وَمِمَّا يَشْهَدُ لِذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النُّقَّاءِ وَأَهْلَ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ إِذَا اشْتَهَرُوا حَسَنَ الظَّنِّ بِهِمْ وَاعْتَقَدَ الْجُمْهُورُ مُعَامَلَةَ اللَّهِ فِي إِزْفَادِهِمْ فَأَخْلَصَ النَّاسُ فِي إِعَانَتِهِمْ عَلَى أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَالْأَعْمَالِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَأَمْرَعَتِ الْيَوْمِ الثَّرْوَةَ وَأَصْبَحُوا مَيَاسِيرَ مِنْ غَيْرِ مَالٍ مُقْتَنَى إِلَّا مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ قِيَمِ الْأَعْمَالِ الَّتِي وَقَعَتِ الْمَعُونَةُ بِهَا مِنَ النَّاسِ لَهُمْ رَأْيًا مِنْ ذَلِكَ أَعْدَادًا فِي الْأَمْصَارِ وَالْمَدُنِ وَفِي الْبُدَى يَسْعَى لَهُمُ النَّاسُ فِي الْفَلَاحِ وَالتَّجَرِّ وَكُلُّهُ هُوَ قَاعِدٌ بِمَنْزِلِهِ لَا يَبْرَحُ مِنْ مَكَانِهِ فَيَنْمُو مَالُهُ وَيَعْظُمُ كَسْبُهُ وَيَتَأَثَّلُ الْغِنَى مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ وَيَعْجَبُ مَنْ لَا يَفْطِنُ لِهَذَا السِّرِّ فِي جَالِ ثَرَوَتِهِ وَأَسْبَابِ غِنَاهُ وَيَسَارِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

## الفصل السادس

في ان السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع والتملق

وان هذا الخلق من اسباب السعادة

قَدْ سَلَفَ لَنَا فِيمَا سَبَقَ أَنَّ الْكَسْبَ الَّذِي يَسْتَفِيدُهُ الْبَشَرُ إِنَّمَا هُوَ قِيمُ أَعْمَالِهِمْ  
وَلَوْ قُدِّرَ أَحَدٌ عَطِلٌ عَنِ الْعَمَلِ جُمْلَةً لَكَانَ فَاقِدَ الْكَسْبِ بِأَنْكَلِيَّةٍ وَعَلَى قَدَرِ عَمَلِهِ  
وَشَرَفِهِ بَيْنَ الْأَعْمَالِ وَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ يَكُونُ قَدَرُ قِيَمَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ ذَلِكَ نُمُو كَسْبِهِ  
أَوْ نُقْصَانُهُ وَقَدْ يَبِينُ أَنَّ الْجَاهَ يُفِيدُ الْمَالَ لِمَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مِنْ اقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ  
بِأَعْمَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي دَفْعِ الْمَضَارِّ وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ وَكَانَ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ  
أَوْ مَالٍ عَوْضًا عَمَّا يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْجَاهِ مِنَ الْأَغْرَاضِ فِي صَالِحٍ أَوْ طَالِحٍ وَتَصِيرُ  
تِلْكَ الْأَعْمَالُ فِي كَسْبِهِ وَقِيَمَتِهَا أَمْوَالٌ وَثَرَوَةٌ لَهُ فَيَسْتَفِيدُ الْغِنَى وَالْيَسَارَ لِاقْرَبِ وَفَتْ  
ثُمَّ إِنَّ الْجَاهَ مُتَوَزِعٌ فِي النَّاسِ وَمُتَرَتِّبٌ فِيهِمْ طَبَقَةٌ بَعْدَ طَبَقَةٍ يَنْتَهِي فِي الْعُلُوِّ إِلَى  
الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَيْسَ فَوْقَهُمْ بَدٌّ عَالِيَةٌ وَفِي السُّفْلِ إِلَى مَنْ لَا يَمْلِكُ خَيْرًا وَلَا نَفْعًا بَيْنَ أَبْنَاءِ  
جَنْسِهِ وَبَيْنَ ذَلِكَ طَبَقَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَنْتَظِمُ مَعَاشُهُمْ وَيُنَيِّسُرُ  
مَصَالِحُهُمْ وَيَتِمُّ بَقَاؤُهُمْ لِأَنَّ النَّوعَ الْإِنْسَانِيَّ لَا يَتِمُّ وَجُودُهُ إِلَّا بِالتَّعَاوُنِ وَإِنَّهُ وَإِنْ نَدَرَ  
فَقَدْ ذَلِكَ فِي صُورَةٍ مَفْرُوضَةٍ لَا يَصِحُّ بَقَاؤُهُ ثُمَّ إِنَّ هَذَا التَّعَاوُنَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْإِكْرَاهِ  
عَلَيْهِ لَجَهْلِهِمْ فِي الْأَكْثَرِ بِمَصَالِحِ النَّوعِ وَلِمَا جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الْإِخْتِيَارِ وَأَنَّ أَفْعَالَهُمْ  
إِنَّمَا تَصْدُرُ بِالْفِكْرِ وَالرَّوْيَةِ لَا بِالطَّبْعِ وَقَدْ يَمْتَنِعُ مِنَ الْمُعَاوَنَةِ فَيَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَيْهَا فَلَا  
بَدٌّ مِنْ حَامِلٍ يُكْرِهُهُ أَبْنَاءُ النَّوعِ عَلَى مَصَالِحِهِمْ لِتَتِمَّ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي بَقَاءِ هَذَا  
النَّوعِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ  
بَعْضًا سَخِرَآ وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْجَاهَ هُوَ الْقُدْرَةُ الْحَامِلَةُ لِلْبَشَرِ عَلَى  
التَّصَرُّفِ فِي مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ بِالْإِذْنِ وَالْمَنْعِ وَالتَّسْلُطِ بِالْقَهْرِ وَالْعَلْبَةِ  
لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى دَفْعِ مَضَارِّهِمْ وَجَلْبِ مَنَافِعِهِمْ فِي الْعَدْلِ بِأَحْكَامِ الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَعَلَى  
أَغْرَاضِهِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ مَقْصُودٌ فِي الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِالذَّاتِ وَالثَّانِي  
دَاخِلٌ فِيهَا بِالْعَرَضِ كَسَائِرِ الشُّرُورِ الدَّاخِلَةِ فِي الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّهُ قَدْ لَا يَتِمُّ وَجُودُ  
الْخَيْرِ الْكَثِيرِ إِلَّا بِوُجُودِ شَرٍّ يَسِيرُ مِنْ أَجْلِ الْمَوَادِّ فَلَا يَفُوتُ الْخَيْرُ بِذَلِكَ بَلْ يَقَعُ



عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ الدَّسِيرِ وَهَذَا مَعْنَى وَفُوعِ الظُّلْمِ فِي الْخَلِيقَةِ فَتَنْهَمُ ثُمَّ إِنْ  
 كُلُّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَاقِ أَهْلِ الْعُمْرَانِ مِنْ مَدِينَةٍ أَوْ إِقْلِيمٍ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى مَنْ دُونَهَا مِنْ  
 الطَّبَاقِ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى يَسْتَمِدُّ بِذِي الْجَاهِ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي فَوْقَهُ  
 وَيَزِدُّادُ كَسْبُهُ تَصَرُّفًا فِيمَنْ تَحْتَ يَدِهِ عَلَى قَدَرِ مَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ وَالْجَاهُ عَلَى ذَلِكَ دَاخِلٌ  
 عَلَى النَّاسِ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ وَيَتَسَبَّحُ وَيُصَلِّي بِحَسَبِ الطَّبَقَةِ وَالطَّوْرِ الَّذِي فِيهِ  
 صَاحِبُهُ فَإِنْ كَانَ الْجَاهُ مُتَسَعًّا كَانَ الْكَسْبُ النَّاسِي عَنْهُ كَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ ضَيِّقًا قَلِيلًا  
 فَمِثْلُهُ وَفَاقِدُ الْجَاهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلَا يَكُونُ يَسَارُهُ إِلَّا بِمِقْدَارِ عَمَلِهِ أَوْ مَالِهِ وَنِسْبَةِ  
 سَعْيِهِ ذَاهِبًا وَآيِبًا فِي تَنْمِيَّتِهِ كَأَكْثَرِ التُّجَّارِ وَأَهْلِ الْفِلَاحَةِ فِي الْغَالِبِ وَأَهْلُ الصَّنَائِعِ  
 كَذَلِكَ إِذَا فَقَدُوا الْجَاهَ وَاقْتَصَرُوا عَلَى فَوَائِدِ صَنَائِعِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَصِيرُونَ إِلَى الْفَقْرِ  
 وَالْخِصَاصَةِ فِي الْأَكْثَرِ وَلَا تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ ثَرْوَةٌ وَإِنَّمَا يُرْمَقُونَ الْعَيْشَ تَرْمِيقًا وَيُدَافِعُونَ  
 ضَرُورَةَ الْفَقْرِ مُدَافَعَةً وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ وَأَنَّ الْجَاهَ مُتَفَرِّعٌ وَأَنَّ السَّعَادَةَ وَالْخَيْرَ مُقْتَرِنَانِ  
 مُحْصُولِهِ عَلِمْتَ أَنَّ بَذْلَهُ وَإِفَادَتَهُ مِنْ أَكْثَرِ النِّعَمِ وَأَجَلُهَا وَأَنَّ بَاذِلَهُ مِنْ أَجْلِ الْمُتَنَعِّمِينَ  
 وَإِنَّمَا يَبْذُلُهُ إِمَّا تَحْتَ يَدَيْهِ فَيَكُونُ بَذْلُهُ بِيَدِ عَالِيَةٍ وَعِزَّةٌ فَيَحْتَاجُ طَالِبُهُ وَمُبْتَغِيهِ إِلَى  
 خُضُوعٍ وَتَمَلُّقٍ كَمَا يَسْأَلُ أَهْلُ الْعِزِّ وَالْمُلُوكُ وَإِلَّا فَيَتَعَذَّرُ حُصُولُهُ فَلِذَلِكَ قُلْنَا إِنْ  
 الْخُضُوعُ وَالتَّمَلُّقُ مِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ هَذَا الْجَاهِ الْمُحْصَلِ لِلْسَّعَادَةِ وَالْكَسْبِ وَإِنْ  
 أَكْثَرَ أَهْلُ الثَّرْوَةِ وَالسَّعَادَةِ بِهِذَا التَّمَلُّقِ وَهَذَا نَجْدُ الْكَثِيرِ مِمَّنْ يَتَخَلَّقُ بِالتَّرَفِّعِ  
 وَالشَّمِّ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ غَرَضُ الْجَاهِ فَيَقْتَصِرُونَ فِي التَّكْسِبِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيَصِيرُونَ  
 إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْكِبَرَ وَالتَّرَفُّعَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ  
 مِنْ تَوَهُّمِ الْكَمَالِ وَأَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَى بَضَاعَتِهِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ صِنَاعَةٍ كَالْعَالِمِ الْمُتَجَبَّرِ  
 فِي عِلْمِهِ وَالْكَاتِبِ الْمُجِيدِ فِي كِتَابَتِهِ أَوِ الشَّاعِرِ الْبَلِيعِ فِي شِعْرِهِ وَكُلُّ مُحْسِنٍ فِي  
 صِنَاعَتِهِ يَتَوَهُّمُ أَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ لِمَا بِيَدِهِ فَيَحْدُثُ لَهُ تَرْفُّعٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَكَذَا يَتَوَهُّمُ  
 أَهْلُ الْأَنْسَابِ مِمَّنْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ أَوْ عَالِمٌ مَشْهُورٌ أَوْ كَامِلٌ فِي طَوْرِ يَعْبُرُونَ بِهِ بِمَا  
 رَأَوْهُ أَوْ سَمِعُوهُ مِنْ حَالِ آبَائِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ وَيَتَوَهُّمُونَ أَنَّهُمْ اسْتَحَقُّوا مِثْلَ ذَلِكَ بِقَرَابَتِهِمْ  
 إِلَيْهِمْ وَوَرَاثَتِهِمْ عَنْهُمْ فَهُمْ مُتَمَسِّكُونَ فِي الْحَاضِرِ بِالْأَمْرِ الْمَعْدُومِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ  
 الْحِيلَةِ وَالْبَصْرِ وَالتُّجَّارِ بِالْأُمُورِ قَدْ يَتَوَهُّمُ بَعْضُهُمْ كَمَالًا فِي نَفْسِهِ بِذَلِكَ وَاحْتِجَاجًا

إِلَيْهِ وَتَجِدُ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافَ كُلَّهُمْ مُتَرَفِعِينَ لَا يَخْضَعُونَ لِصَاحِبِ الْجَاهِ وَلَا يَتَمَلَّقُونَ لِمَنْ  
هُوَ أَعْلَى مِنْهُمْ وَيَسْتَصْغِرُونَ مَنْ سِوَاهُمْ لِاعْتِقَادِهِمُ الْفَضْلَ عَلَى النَّاسِ فَيَسْتَنكِفُ أَحَدُهُمْ  
عَنِ الْخُضُوعِ وَلَوْ كَانَ لِلْمَلِكِ وَيَعُدُّهُ مَذَلَّةً وَهَوَانًا وَسَنَهًا وَيَحْسَبُ النَّاسُ فِي مَعَامَلَتِهِمْ  
إِيَّاهُ بِمِقْدَارِ مَا يَتَوَهَّمُ فِي نَفْسِهِ وَيَحْقِدُ عَلَى مَنْ قَصَرَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَتَوَهَّمُهُ مِنْ ذَلِكَ  
وَرُبَّمَا يَدْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ الْهَمُومُ وَالْأَحْزَانُ مِنْ تَقْصِيرِهِمْ فِيهِ وَيَسْتَمِرُّ فِي عَنَاءٍ عَظِيمٍ  
مِنْ إِجْبَابِ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ أَوْ إِبَابَةِ النَّاسِ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَيَحْصُلُ لَهُ الْمَقْتُ مِنَ النَّاسِ لِمَا فِي  
طَبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ التَّأَلُّهِ وَقُلَّ أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَحَدٍ فِي الْكَمَالِ وَالْتِرْفَعِ عَلَيْهِ  
إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِنَوْعٍ مِنَ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ وَالْإِسْطِطَالَةِ وَهَذَا كُلُّهُ فِي خِمَنِ الْجَاهِ فَإِذَا  
فَقَدَ صَاحِبُ هَذَا الْخُلُقِ الْجَاهَ وَهُوَ مَقْشُودٌ لَهُ كَمَا تَبَيَّنَ لَكَ مَقْتَهُ النَّاسُ بِهَذَا التَّرْفَعِ وَلَمْ  
يَحْصُلْ لَهُ حَظٌّ مِنْ إِحْسَانِهِمْ وَفُقِدَ الْجَاهُ لِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مِنْهُ لِأَجْلِ  
الْمَقْتِ وَمَا يَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْقُعُودِ عَنْ تَعَاهُدِهِمْ وَغَشْيَانِ مَنَازِلِهِمْ فَفَسَدَ مَعَاشُهُ وَبَقِيَ  
فِي خِصَاصَةٍ وَفَقْرٍ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ وَأَمَّا الثَّرْوَةُ فَلَا تَحْصُلُ لَهُ أَصْلًا وَمِنْ هَذَا أَشْتَهَرَ  
بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الْكَامِلَ فِي الْمَعْرِفَةِ مَحْرُومٌ مِنَ الْحَظِّ وَأَنَّهُ قَدْ حُوسِبَ بِمَا رَزَقَ مِنَ  
الْمَعْرِفَةِ وَأَقْطِيعَ لَهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَظِّ وَهَذَا مَعْنَاهُ وَمَنْ خُلِقَ لِشَيْءٍ يُسِرُّ لَهُ وَاللَّهُ الْمَقْدَرُ  
لَا رَبَّ سِوَاهُ وَلَقَدْ يَقَعُ فِي الدُّوَلِ أَضْرَابٌ فِي الْمَرَاتِبِ مِنْ أَهْلِ الْخُلُقِ وَيَرْتَفِعُ فِيهَا كَثِيرٌ  
مِنَ السَّفَلَةِ وَيَنْزِلُ كَثِيرٌ مِنَ الْعِلْيَةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَذَلِكَ أَنَّ الدُّوَلِ إِذَا بَلَغَتْ نِيهَايَتَهَا  
مِنَ الْغَلْبِ وَالْإِسْطِطَالَةِ انْفَرَدَ مِنْهَا مَنِيَّتُ الْمَلِكِ بِمُلْكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَيُسِسَ مِنْ سِوَاهُمْ  
مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا صَارُوا فِي مَرَاتِبٍ دُونَ مَرْتَبَةِ الْمَلِكِ وَتَحْتَ يَدِ السُّلْطَانِ وَكَانَهُمْ خَوْلٌ  
لَهُ فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ الدُّوَلَةُ وَشَمَخَ الْمَلِكُ تَسَاوَى حَيْثُ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ كُلُّ  
مَنْ انْتَمَى إِلَى خِدْمَتِهِ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِنَصِيحَةٍ وَأَصْطَنَعَهُ السُّلْطَانُ لِعِغَائِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ  
مِهْمَاتِهِ فَتَجِدُ كَثِيرًا مِنَ السُّوقَةِ يَسْعَى فِي التَّقَرُّبِ مِنَ السُّلْطَانِ بِجِدِّهِ وَنُصْحِهِ وَيَتَزَلَّفُ  
إِلَيْهِ بِوُجُوهِ خِدْمَتِهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِعَظِيمٍ مِنَ الْخُضُوعِ وَالتَّمَلُّقِ لَهُ وَلِحَاشِيَتِهِ وَأَهْلُ  
نَسَبِهِ حَتَّى يَرْتَبِعَ قَدَمَهُ مَعَهُمْ وَيَنْظِمَهُ السُّلْطَانُ فِي جُمْلَتِهِ فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ حَظٌّ عَظِيمٌ  
مِنَ السَّعَادَةِ وَيَنْتَظِمُ فِي عَدَدِ أَهْلِ الدُّوَلَةِ وَنَاشِئَةِ الدُّوَلَةِ حَيْثُ مِنْ أَبْنَاءِ قَوْمِهَا الَّذِينَ  
ذَلَّلُوا أَضْغَانَهُمْ وَمَهْدُوا أَكْثَانَهُمْ مُغْتَرِبِينَ بِمَا كَانَ لِأَبَائِهِمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ أَمْ



تَسْمَحُ بِهِ نَفْسُهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ وَيَعْتَدُونَ بِأَتَارِهِ وَيَجْرُونَ فِي مَضْمَارِ الدَّوْلَةِ بِسَبَبِهِ  
فَيَحْقُقُهُمُ السُّلْطَانُ لِذَلِكَ وَيَبَاعِدُهُمْ وَيَحْمِلُ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُصْطَنَعِينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَدُونَ  
بِقَدِيمٍ وَلَا يَذْهَبُونَ إِلَى دَالَّةٍ وَلَا تَرْفَعُ إِنَّمَا دَائِبُهُمْ الْخُضُوعُ لَهُ وَالْتِمَاقُ وَالْإِعْتِمَالُ فِي  
غَرَضِهِ مَتَى ذَهَبَ إِلَيْهِ فَيَتَسَّعَ جَاهُهُمْ وَتَعْلُو مَنَازِلُهُمْ وَتَتَصَرَّفُ إِلَيْهِمُ الْوُجُوهُ وَالْخَوَاطِرُ  
بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ وَالسَّكَاةِ عِنْدَهُ وَيَقْبَى نَاشِئَةُ الدَّوْلَةِ فَيَحْمِلُهُمْ فِيهِمْ مِنْ  
التَّرَفُّعِ وَالْإِعْتِدَادِ بِالْقَدِيمِ لَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدًا مِنَ السُّلْطَانِ وَمَقْتًا وَإِثَارًا لِهَؤُلَاءِ  
الْمُصْطَنَعِينَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ تَنْقَرِضَ الدَّوْلَةُ وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الدَّوْلَةِ وَمِنْهُ جَاءَ شَأْنُ  
الْمُصْطَنَعِينَ فِي الْغَالِبِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل السابع

في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان  
ومحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

وَالسَّبَبُ لِذَلِكَ أَنَّ الْكَسْبَ كَمَا قَدَّمَاهُ قِيَمَةُ الْأَعْمَالِ وَأَنَّهَا مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ  
الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فَإِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ ضَرُورِيَّةً فِي الْعُمَرَانِ عَامَّةً أَلْبَسَتْ بِهَا كَانَتْ قِيَمَتُهَا  
أَعْظَمَ وَكَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا أَشَدَّ وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَائِعِ الدِّينِيَّةِ لَا تُضْطَرُّ إِلَيْهِمْ عَامَّةً الْخَلْقُ  
وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا عِنْدَهُمُ الْخَوَاصُّ مِنْ أَقْبَلٍ عَلَى دِينِهِ وَإِنْ أَحْتِجَّ إِلَى الْفَتَا وَالْقَضَاءِ  
فِي الْخُصُومَاتِ فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَضْطِرَّارِ وَالْعُمُومِ يَقَعُ الْأَسْتِغْنَاءُ عَنْ هَؤُلَاءِ فِي الْأَكْثَرِ  
وَإِنَّمَا يَهْتَمُّ بِإِقَامَةِ مَرَامِهِمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ بِمَا نَالَهُ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ فَيَقْسِمُ لَهُمْ  
حَظًّا مِنَ الرِّزْقِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي قَرَّرْنَاهُ لَا يُسَاوِيهِمْ بِأَهْلِ  
الشُّوْكَةِ وَلَا بِأَهْلِ الصَّنَائِعِ مِنْ حَيْثُ الدِّينُ وَالْمَرَامُ الشَّرْعِيَّةُ لِكُنْهَ يَقْسِمُ بِحَسَبِ  
عُمُومِ الْحَاجَةِ وَضَرُورَةِ أَهْلِ الْعُمَرَانِ فَلَا يَصِحُّ فِي قِسْمِهِمْ إِلَّا الْقَلِيلُ وَهُمْ أَيْضًا لِشَرَفِ  
بَضَائِعِهِمْ أَعِزَّةٌ عَلَى الْخَلْقِ وَعِنْدَ نَفْسِهِمْ فَلَا يَخْضَعُونَ لِأَهْلِ الْجَاهِ حَتَّى يَنَالُوا مِنْهُ حَظًّا  
يَسْتَدْرُونَ بِهِ الرِّزْقَ بَلْ وَلَا تَقْرَعُ أَوْفَاتُهُمْ لِذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ بِهَذِهِ الْبَضَائِعِ  
الشَّرِيفَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَالْبَدَنِ بَلْ وَلَا يَسْعَوْنَ أَبْتِدَالُ أَنْفُسِهِمْ لِأَهْلِ  
الدُّنْيَا لِشَرَفِ بَضَائِعِهِمْ فَهُمْ بِمَعْزِلٍ عَنْ ذَلِكَ فَلِذَلِكَ لَا تَعْظُمُ ثَرَوَتُهُمْ فِي الْغَالِبِ وَلَقَدْ  
بَاحَثْتُ بَعْضَ الْفُضَلَاءِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَوْقَ يَدَيَّ أَوْرَاقَ مُخْرَقَةٍ مِنْ حِسَابَاتِ الدَّوَابِّ

بِدَارِ الْمَأْمُونِ تَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الدُّخْلِ وَالْخُرْجِ وَكَانَ فِيهَا طَالَتْ فِيهِ أَرْزَاقُ الْقُضَاةِ وَالْأَيَّامِ وَالْمُؤَذِّنِينَ فَوْقَهُ عَلَيْهِ وَعِلْمٌ مِنْهُ صِحَّةُ مَا قُلْتُهُ وَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَضَيْنَا الْعَجَبَ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي عَوَالِمِهِ وَاللَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثامن

في ان الفلاحة من معاش المتضعين واهل العافية من البدو

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَصِيلٌ فِي الطَّبِيعَةِ وَبَسِيطٌ فِي مَنْحَاهُ وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُهُ يَنْتَحِلُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْخَضِرِ فِي الْغَالِبِ وَلَا مِنْ الْمُتْرِفِينَ وَيَخْتَصُّ مُنْتَحِلُهُ بِالْمَذَلَّةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَأَى السَّيِّئَةَ بَعْضُ دُورِ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهُ الدُّلُّ وَحَمَلَهُ الْبُخَارِيُّ عَلَى الْأَسْتِكْبَارِ مِنْهُ وَتَرَجَّمَ عَلَيْهِ بَابَ مَا يُحْذَرُ مِنْ عَوَاقِبِ الْأَشْتَغَالِ بِآلَةِ الزَّرْعِ أَوْ تَجَاوُزِ الْحَدِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَالسَّبَبُ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْمَغْرَمِ الْمُفْضِي إِلَى التَّحَكُّمِ وَالْيَدُ الْعَالِيَةُ فَيَكُونُ الْغَارِمُ ذَلِيلًا بَائِسًا بِمَا تَتَنَاوَلُهُ أَيْدِي الْقَهْرِ وَالْأَسْطِطَالَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ الزَّكَاةُ مَغْرَمًا إِنْشَارَةً إِلَى الْمَلِكِ الْمَعْضُومِ السَّاعِرِ لِلنَّاسِ الَّذِي مَعَهُ التَّسَلُّطُ وَالْجُورُ وَنَسِيَانُ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمُتَمَمُولَاتِ وَاعْتِبَارُ الْحُقُوقِ كُلِّهَا مَغْرَمٌ لِلْمَلُوكِ وَالْدُّوَلِ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل التاسع

في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها

إِعْلَمْ أَنَّ التِّجَارَةَ مُحَاوَلَةُ الْكَسْبِ بِتَنْمِيَةِ الْمَالِ بِشِرَاءِ السَّعَاءِ بِالرُّخْصِ وَبَيْعِهَا بِالْغَلَاءِ أَيَّامَ كَانَتِ السِّلْعَةُ مِنْ دَقِيقِ أَوْ زَرْعٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ قِمَاشٍ وَذَلِكَ الْقَدَرُ النَّامِيُّ يُسَمَّى رِبْحًا فَالْمُحَاوَلُ لِذَلِكَ الرَّبْحِ إِمَّا أَنْ يَخْتَرِنَ السَّاعَةَ وَيَتَحَيَّنَ بِهَا حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ مِنَ الرُّخْصِ إِلَى الْغَلَاءِ فَيَعْظُمُ رِبْحُهُ وَإِمَّا بِأَنْ يَنْقُلَهُ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ تَنَفُّقُ فِيهِ تِلْكَ السَّاعَةُ أَكْثَرَ مِنْ بَلَدِهِ الَّذِي اشْتَرَاهَا فِيهِ فَيَعْظُمُ رِبْحُهُ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ مِنَ التُّجَّارِ لَطَلَبِ الْكَشْفِ عَنْ حَقِيقَةِ التِّجَارَةِ أَنَا أَعْلَمُهَا لَكَ فِي كَلِمَتَيْنِ اشْتِرَاءُ الرُّخِصِ وَبَيْعُ الْغَالِي فَقَدْ حَصَلَتِ التِّجَارَةُ إِنْشَارَةً مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي قَرَّرْنَاهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ



## الفصل العاشر

في اي اصناف الناس يحترف بالتجارة وايهم ينبغي له اجتناب حرفها  
 قد قدمنا ان معنى التجارة تسمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأغلى من  
 ثمن الشراء إما بانتظار حواله الأسواق أو نقلها إلى بلد هي فيه أثقل وأغلى أو بيعها  
 بالغلاء على الآجال وهذا الربح بالنسبة إلى أصل المال يسير إلا أن المال إذا  
 كان كثيراً عظم الربح لأن القليل في الكثير كثير ثم لا بد في محاولة هذه  
 التسمية من حصول هذا المال بأيدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في  
 تقاضي أثمانها وأهل النصفة قليل فلا بد من الغش والتطيف المجحف بالبضائع  
 ومن المطلق في الأثمان المجحف بالربح كتعطيل المحاولة في تلك المدة وبها نماء  
 ومن الجحود والآنكار المنسحب لرأس المال إن لم يتقيد بالكتاب والشهادة  
 وغنى الحكم في ذلك قليل لأن الحكم إنما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك  
 أحوالاً صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح إلا بعظم العناء والمشقة  
 أو لا يحصل أو يتلشى رأس ماله فإن كان جريئاً على الخصومة بصيراً بالحسبان شديد  
 المماحكة مقدماً على الحكم كان ذلك أقرب له إلى النصفة بجرأته منهم  
 ومما حكته وإلا فلا بد له من جاه يدرع به يوقع له الهبة عند الباعة ويحمل  
 الحكم على إنصافه من معاملته فيحصل له بذلك النصفة في ماله طوعاً في الأول  
 وكرهاً في الثاني وأما من كان فاقداً للجرأة والإقدام من نفسه فاقد الجاه من الحكم  
 فينبغي له أن يجنب الاختراف بالتجارة لأنه يعرض ماله للضياع والذهاب وبصير  
 ما كلة للباعة ولا يكاد ينتصف منهم لأن الغالب في الناس وخصوصاً الرعاع والباعة  
 شرهون إلى ما في أيدي الناس سواهم متوثبون عليه ولولا وازع الأحكام لأصبحت  
 أموال الناس نهباً ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله  
 ذو فضل على العالمين

## الفصل الحادي عشر

في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك  
 وذلك أن التجار في غالب أحوالهم إنما يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من

الْمُكَايَسَةِ ضَرُورَةً فَإِنْ اقْتَصَرَ عَلَيْهَا اقْتَصِرَتْ بِهِ عَلَى خُلُقِهَا وَهِيَ أَغْنَى خُلُقُ الْمُكَايَسَةِ  
بَعِيدَةٌ عَنِ الْمُرُوءَةِ الَّتِي تَخْلُقُ بِهَا الْمُلُوكُ وَالْأَشْرَافُ وَأَمَّا إِنْ اسْتَزْدَلَ خُلُقُهُ بِمَا يَتَّبِعُ  
ذَلِكَ فِي أَهْلِ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنْهُمْ مِنَ الْمُمَاحَكَةِ وَالْعِشْرِ وَالْخِلَابَةِ وَتَعَاهُدِ الْإِيمَانِ  
الْكَاذِبَةِ عَلَى الْأَثْمَانِ رَدًّا وَقُبُولًا فَأَجْدِرُ بِذَلِكَ الْخُلُقِ أَنْ يَكُونَ فِي غَايَةِ الْمَدَلَّةِ لِمَا  
هُوَ مَعْرُوفٌ وَلِذَلِكَ تَجِدُ أَهْلَ الرِّئَاسَةِ يَتَحَامَوْنَ الْأَحْزَافَ بِهَذِهِ الْحِرْفَةِ لِأَجْلِ مَا يُكَسِبُ  
مِنْ هَذَا الْخُلُقِ وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُمْ مَنْ يَسْلَمُ مِنْ هَذَا الْخُلُقِ وَيَتَحَامَاهُ لِشَرَفِ نَفْسِهِ وَكَرَمِ  
جَلَالِهِ إِلَّا أَنَّهُ فِي النَّادِرِ بَيْنَ الْوُجُودِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَهُوَ رَبُّ  
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

### الفصل الثاني عشر

#### في نقل التاجر للسلع

التَّاجِرُ الْبَصِيرُ بِالتِّجَارَةِ لَا يَنْقُلُ مِنَ السِّلَعِ إِلَّا مَا تَعْمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ  
وَالسُّلْطَانِ وَالسُّوقَةِ إِذْ فِي ذَلِكَ تَفَاقُ سَاعَتِهِ وَأَمَّا إِذَا اخْتَصَّ نَقْلَهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَعْضُ  
فَقَطُّ فَقَدْ يَتَعَدَّرُ تَفَاقُ سَاعَتِهِ حِينَئِذٍ بِأَعْوَارِ الشِّرَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْبَعْضِ لِعَارِضٍ مِنَ الْعَوَارِضِ  
فَتَكْسُدُ سَوْقُهُ وَتَفْسُدُ أَرْبَاحُهُ وَكَذَلِكَ إِذَا نَقَلَ السِّلْعَةَ الْمَحْتَاجَ إِلَيْهَا فَإِنَّمَا يَنْقُلُ  
الْوَسْطَى مِنْ صِنْفِهَا فَإِنَّ الْعَالِيَّ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ السِّلَعِ إِنَّمَا يُخْتَصُّ بِهِ أَهْلُ التَّرْوَةِ  
وَحَاشِيَةُ الدَّوْلَةِ وَهُمْ الْأَفْلُ وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّاسُ أَسْوَةً فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْوَسْطَى مِنْ كُلِّ  
صِنْفٍ فَلْيَتَحَرَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ فِيهِ تَفَاقُ سَاعَتِهِ أَوْ كَسَادُهَا وَكَذَلِكَ يَنْقُلُ السِّلْعَ مِنَ الْبَلَدِ  
الْبَعِيدِ الْمَسَافَةِ أَوْ فِي شِدَّةِ الْخَطَرِ فِي الطَّرِيقَاتِ يَكُونُ أَكْثَرُ فَائِدَةٍ لِلتُّجَّارِ وَأَعْظَمُ  
أَرْبَاحًا وَأَكْفَلُ بِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ لِأَنَّ السِّلْعَةَ الْمَنْقُولَةَ حِينَئِذٍ تَكُونُ قَلِيلَةً مَعُوزَةً  
لِبُعْدِ مَكَانِهَا أَوْ شِدَّةِ الْغَرَرِ فِي طَرِيقِهَا فَيَقِلُّ حَامِلُهَا وَيَعِزُّ وَجُودُهَا وَإِذَا قَلَّتْ وَعَزَّتْ  
غَلَّتْ أَثْمَانُهَا وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْبَلَدُ قَرِيبَ الْمَسَافَةِ وَالطَّرِيقُ سَابِلًا بِالْأَمْنِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ  
يَكْثُرُ نَاقِلُهَا فَتَكْثُرُ وَتَرْخُصُ أَثْمَانُهَا وَلِهَذَا تَجِدُ التُّجَّارَ الَّذِينَ يُولَعُونَ بِالْخُلُوعِ إِلَى  
بِلَادِ السُّودَانِ أَرْفَهُ النَّاسِ وَأَكْثَرُهُمْ أَمْوَالًا لِبُعْدِ طَرِيقِهِمْ وَمَشَقَّتِهِ وَأَعْتِرَاضِ الْمَفَازَةِ  
الصَّعْبَةِ الْمُخْطَرَةِ بِالْخَوْفِ وَالْعَطَشِ لَا يُوْجَدُ فِيهَا الْمَاءُ إِلَّا فِي أَمَا كُنْ مَعْلُومَةٍ يَهْتَدِي  
إِلَيْهَا أَدِلَّةٌ الرَّكْبَانِ فَلَا يَرْتَكِبُ خَطَرَ هَذَا الطَّرِيقِ وَبُعْدَهُ إِلَّا الْأَفْلُ مِنَ النَّاسِ فَتَجِدُ



سَاعَ بِلَادِ السُّودَانِ قَلِيلَةً لَدَيْنَا فَتُخْتَصُّ بِالْغَلَاءِ وَكَذَلِكَ سَاعُنَا لَدَيْهِمْ فَتَعْظُمُ بَضَائِعُ الشُّجَارِ  
مِنْ تَنَاقُلِهَا وَيُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْغِنَى وَالثَّرْوَةُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَالْمُسَافِرُونَ مِنْ بِلَادِنَا  
إِلَى الْمَشْرِقِ لِبُعْدِ الشُّقَّةِ أَيْضًا وَأَمَّا الْمَتَرَدِدُونَ فِي أَفْقٍ وَاحِدٍ مَا بَيْنَ أَمْصَارِهِ وَبُلْدَانِهِ  
فَتَأْتِيهِمْ قَلِيلَةٌ وَأَرْبَاحُهُمْ تَأْفِيهِ لِكثَرَةِ السَّاعِ وَكَثَرَةِ نَاقِلِيهَا وَاللَّهُ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ

### الفصل الثالث عشر

#### في الاحتكار

وَمِمَّا اشْتَهَرَ عِنْدَ ذَوِي الْبَصَرِ وَالتَّجَرِبَةِ فِي الْأَمْصَارِ أَنَّ اخْتِكَارَ الزَّرْعِ لِيَحْنِ  
أَوْقَاتِ الْغَلَاءِ مَشُومٌ وَأَنَّهُ يَعُودُ عَلَى فَائِدَتِهِ بِالْتَلَفِ وَاخْشَرَانِ وَسَبَبُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ  
النَّاسَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى الْأَقْوَاتِ مُضْطَرُّونَ إِلَى مَا يَبْذُلُونَ فِيهَا مِنَ الْمَالِ اضْطِرَارًا فَتَبْقَى  
الْأَنْفُسُ مُتَعَلِّقَةً بِهِ وَفِي تَعَلُّقِ الْأَنْفُسِ بِمَا لَهَا سِرٌّ كَبِيرٌ فِي وَبَالِهِ عَلَى مَنْ يَأْخُذُهُ تَجَانًا وَلَعَلَّهُ  
الَّذِي أَعْتَبَرَهُ الشَّارِعُ فِي اخْتِادِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَجَانًا فَالْأَنْفُسُ  
مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِإِعْطَائِهِ ضَرُورَةً مِنْ غَيْرِ سَعَةٍ فِي الْعَذْرِ فَهُوَ كَالْمُكْرِهِ وَمَا عَدَا الْأَقْوَاتِ  
وَالْمَأْكُولَاتِ مِنَ الْمَبِيعَاتِ لَا اضْطِرَارَ لِلنَّاسِ إِلَيْهَا وَإِنَّمَا يَبْعَثُهُمْ عَلَيْهَا التَّفَنُّ فِي  
الشَّهَوَاتِ فَلَا يَبْذُلُونَ أَمْوَالَهُمْ فِيهَا إِلَّا بِاخْتِيَارٍ وَحِرْصٍ وَلَا يَبْقَى لَهُمْ تَعَلُّقٌ بِمَا أُعْطَوْهُ  
فَلِهَذَا يَكُونُ مَنْ عُرِفَ بِالِاخْتِكَارِ يَجْتَمِعُ الْقَوَى النَّفْسَانِيَّةُ عَلَى مُتَابَعَتِهِ لِمَا يَأْخُذُهُ مِنْ  
أَمْوَالِهِمْ فَيَفْسُدُ رِبْحُهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَسَمِعْتُ فِيهَا يُنَاسِبُ هَذَا حِكَايَةَ ذَرِيفَةٍ عَنْ بَعْضِ  
مَشِيخَةِ الْمَغْرِبِ أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْلِي قَالَ حَضَرْتُ عِنْدَ الْقَاضِي بِفَاسَ لِعَهْدِ  
السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ وَهُوَ الْفَقِيهُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَالِي وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ بَعْضَ  
الْأَلْقَابِ الْمَخْزَنِيَّةِ لِجَرَايَتِهِ قَالَ فَاطْرُقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ مِنْ مَكْسِ الْخَمْرِ فَأَسْتَضْحِكَ الْحَاضِرُونَ  
مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَجِبُوا وَسَأَلُوهُ عَنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ فَقَالَ إِذَا كَانَتْ الْجَبَايَاتُ كُلُّهَا حَرَامًا  
فَأَخْتَارَ مِنْهَا مَا لَا تُتَابَعُهُ نَفْسُ مُعْطِيهِ وَالْخَمْرُ قُلٌّ أَنْ يَبْذُلَ فِيهَا أَحَدٌ مَالَهُ إِلَّا وَهُوَ  
طَرِبٌ مَسْرُورٌ بِوُجُودَاتِهِ غَيْرُ أَسِفٍ عَلَيْهِ وَلَا مُتَعَلِّقٌ بِهِ نَفْسُهُ وَهَذِهِ مِلَاحَظَةٌ غَرِيبَةٌ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ الصُّدُورُ

## الفصل الرابع عشر

في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخص

وذلك ان الكسب والمعاش كما قدمناه إنما هو بالصنائع أو التجارة والتجارة هي شراء البضائع والبيع وأدخالها بتخمين بها حوالة الأسواق بالزيادة في أثمانها ويسمى ربحاً ويحصل منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دائماً فإذا استدیم الرخص في ساعة أو عرض من مأكول أو ملبوس أو متمول على الجملة ولم يحصل للتاجر حوالة الأسواق فسد الربح والنماء يطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ففقد التجار عن السعي فيها وفست رؤوس أموالهم واعتبر ذلك أولاً بالزرع فإنه إذا استدیم رخصه يفسد به حال المحترفين بسائر أطواره من الفلح والزراعة لقلة الربح فيه وتدارته أو فقده فيفقدون النماء في أموالهم أو يبيعونه على قلة ويعودون بالإنفاق على رؤوس أموالهم وتفسد أحوالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المحترفين أيضاً بالطحن والتخز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث إلى صيرورته مأكولاً وكذا يفسد حال الجند إذا كانت أرزاقهم من السلطان على أهل الفلح زرعاً فإنها ثقل جبايتهم من ذلك ويعجزون عن إقامة الجندية التي هي بسببها ومطالبون بها ومنقطعون لها فتفسد أحوالهم وكذا إذا استدیم الرخص في السكر أو العسل فسد جميع ما يتعلق به وفقد المحترفون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات إذا استدیم فيها الرخص فإذا الرخص المفرط يجحف بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص وكذا الغلاء المفرط أيضاً وإنما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة الأسواق وعلم ذلك يرجع إلى العوائد المتقررة بين أهل العمران وإنما يحمّد الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة إليه واضطرار الناس إلى الأقوات من بين الغني والفقير والعالة من الخلق هم الأكثر في العمران فيعم الرفق بذلك ويرجع جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم



## الفصل الخامس عشر

في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الروءساء وبعيدة من المروءة  
 قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى معاناة البيع والشراء وجلب الفوائد  
 والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمما حكة والتخذي وممارسة الخصومات واللجاج  
 وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف نقص من الذكاء والمروءة وتجرح فيها لان  
 الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس فافعال الخير تعود باثار الخير والذكاء  
 وافعال الشر والسفسفة تعود بضد ذلك فتتمكن وترسخ ان سبقت وتكررت وتنقص  
 خلال الخير ان تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المدمومة في النفس شأن الملكات  
 الناشئة عن الأفعال وتفاوت هذه الآثار بتفاوت اصناف التجار في أطوارهم فمن  
 كان منهم سافل الطور مخالفا لأشرار الباعة أهل الغش والخلاية والفجور في الأثمان  
 إقرارا وإنكارا كانت رذاعة تلك الخلق عنه أشد وغابت عليه السفسفة وبعد عن  
 المروءة واكتسبها بالجملة وإلا فلا بد له من تأثير المكايسة والمما حكة في  
 مروءته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل  
 قبله أنهم يدرعون بالجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر وأقل من النادر  
 وذلك ان يكون المال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب أو ورثة عن أحد من أهل  
 بيته فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال بأهل الدولة وتكسبه ظهورا وشهرة بين أهل  
 عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به من وكلائه وحشمه  
 ويسهل له الحكم النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من بره وإيتحافه فيبعدونه عن  
 تلك الخلق بالبعد عن معاناة الأفعال المقتضية لها كما مر فتكون مروءتهم أرتج  
 وأبعد عن تلك المحاجة إلا ما يسري من آثار تلك الأفعال من وراء الحجاب فانهم  
 يضطرون الى مشاركة أحوال أولئك الوكلاء ورفاقهم أو خلافهم فيما يأتون أو يذرون  
 من ذلك إلا أنه قليل ولا يكاد يظهر أثره والله خلقكم وما تعملون

## الفصل السادس عشر

في ان الصنائع لا بد لها من العلم  
 اعلم ان الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عمليا هو جسماني

مَحْسُوسٌ وَالْأَحْوَالُ الْجِسْمَانِيَّةُ الْمَحْسُوسَةُ فَتَقْلَبُهَا بِإِلْهَامٍ مُبَاشَرَةٍ أَوْ عِبْرَةٍ لَهَا وَأَكْمَلُ لِمَا  
 الْمُبَاشَرَةُ فِي الْأَحْوَالِ الْجِسْمَانِيَّةِ الْمَحْسُوسَةِ أَيْمٌ فَائِدَةٌ وَالْمَلَكَةُ صِنْفٌ رَاسِخَةٌ تُحْصَلُ  
 عَنْ اسْتِعْمَالِ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَتَكَرُّرِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى تَرْتَسِخَ صُورَتُهُ وَعَلَى نِسْبَةِ الْأَصْلِ  
 تَكُونُ الْمَلَكَةُ وَتَقْلُ الْمُعَايِنَةُ أَوْ عِبْرَةٌ وَأَيْمٌ مِنْ تَقْلِ الْخَبَرِ وَالْعِلْمِ فَالْمَلَكَةُ الْخَاصَّةُ  
 عَنِ الْخَبَرِ عَلَى قَدَرِ جُودَةِ التَّعْلِيمِ وَمَلَكَةُ الْمُتَعَلِّمِ فِي الصَّنَاعَةِ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ ثُمَّ  
 إِنَّ الصَّنَائِعَ مِنْهَا الْبَسِيطُ وَمِنْهَا الْمُرَكَّبُ وَالْبَسِيطُ هُوَ الَّذِي يُخْتَصُّ بِالضَّرُورِيَّاتِ  
 وَالْمُرَكَّبُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لِلْكَمَالِيَّاتِ وَالْمُتَقَدِّمُ مِنْهَا فِي التَّعْلِيمِ هُوَ الْبَسِيطُ لِسَادَاتِهِ  
 أَوَّلًا وَلِإِنَّهُ يُخْتَصُّ بِالضَّرُورِيَّاتِ الَّذِي تَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ فَيَكُونُ سَابِقًا فِي التَّعْلِيمِ  
 وَيَكُونُ تَعْلِيمُهُ نَاقِصًا وَلَا يَزَالُ الْفِكْرُ يُخْرِجُ أَصْنَافَهَا وَمُرَكَّبَاتِهَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ  
 بِالِاسْتِنْبَاطِ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى التَّدْرِيجِ حَتَّى يَكْمَلَ وَلَا يُحْصَلُ ذَلِكَ دَفْعَةً وَإِنَّمَا يُحْصَلُ  
 فِي أَرْزَاقٍ وَأَجْيَالٍ إِذْ خُرُوجُ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ لَا يَكُونُ دَفْعَةً لَا سِيمَا  
 فِي الْأُمُورِ الصَّنَاعِيَّةِ فَلَا بُدَّ لَهُ إِذَنْ مِنْ زَمَانٍ وَلِهَذَا تُجَدُّ الصَّنَائِعُ فِي الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ  
 نَاقِصَةً وَلَا يُوْجَدُ مِنْهَا إِلَّا الْبَسِيطُ فَإِذَا تَزَايَدَتْ حَضَارَتُهَا وَدَعَتْ أُمُورُ التَّرَفِ فِيهَا إِلَى  
 اسْتِعْمَالِ الصَّنَائِعِ خَرَجَتْ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَتَنْقَسِمُ الصَّنَائِعُ أَيْضًا إِلَى مَا يُخْتَصُّ  
 بِأَمْرِ الْمَعَاشِ ضَرُورِيًّا كَانَتْ أَوْ غَيْرَ ضَرُورِيٍّ وَإِلَى مَا يُخْتَصُّ بِالْأَفْكَارِ الَّتِي هِيَ خَاصِيَّةُ  
 الْإِنْسَانِ مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَمِنْ الْأَوَّلِ الْحَيَاكَةُ وَالْجِزَارَةُ وَالنَّجَارَةُ  
 وَالْحِدَادَةُ وَأَمْثَالُهَا وَمِنْ الثَّانِي الْوَرَاقَةُ وَهِيَ مُعَانَةُ الْكُتُبِ بِالْإِنْتِسَاحِ وَالْتَّجْلِيدِ وَالْغِنَاءُ  
 وَالشَّعْرُ وَتَعْلِيمُ الْعِلْمِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَمِنْ الثَّالِثِ الْجُنْدِيَّةُ وَأَمْثَالُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل السابع عشر

فِي أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تَكْمَلُ بِكَمَالِ الْعِمْرَانِ الْحَضَرِيِّ وَكَثْرَتِهِ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ مَا لَمْ يُسْتَوْفَ الْعِمْرَانُ الْحَضَرِيُّ وَتَتِمَدَّنِ الْمَدِينَةُ  
 إِنَّمَا هُمْ فِي الضَّرُورِيِّ مِنَ الْمَعَاشِ وَهُوَ تَحْصِيلُ الْأَقْوَاتِ مِنَ الْحِنْطَةِ وَغَيْرِهَا فَإِذَا  
 تَمَدَّنَتِ الْمَدِينَةُ وَتَزَايَدَتْ فِيهَا الْأَعْمَالُ وَوَفَّتْ بِالضَّرُورِيِّ وَزَادَتْ عَلَيْهِ صَرْفُ الزَّائِدِ  
 حِينَئِذٍ إِلَى الْكَمَالَاتِ مِنَ الْمَعَاشِ ثُمَّ إِنَّ الصَّنَائِعَ وَالْعُلُومَ إِنَّمَا هِيَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ  
 حَيْثُ فِكْرُهُ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْقُوَّةُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْحَيَوَانِيَّةُ وَالْغِدَائِيَّةُ فَهُوَ



مَقْدَمٌ لِّضَرُورِيَّتِهِ عَلَى الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَهِيَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنِ الضَّرُورِيِّ وَعَلَى مِقْدَارِ عُمْرَانِ  
 الْبَلَدِ تَكُونُ جُودَةُ الصَّنَائِعِ لِلتَّائِقِ فِيهَا حِينَئِذٍ وَاسْتِجَادَةُ مَا يُطْلَبُ مِنْهَا بِحَيْثُ تَتَوَفَّرُ  
 دَوَاعِي التَّرَفِّ وَالثَّرْوَةِ وَأَمَّا الْعُمْرَانُ الْبَدَوِيُّ أَوِ الْقَلِيلُ فَلَا يَحْتَاجُ مِنَ الصَّنَائِعِ إِلَّا  
 الْبَسِيطَ خَاصَّةً الْمُسْتَعْمَلَ فِي الضَّرُورِيَّاتِ مِنْ نَجَارٍ أَوْ حَدَادٍ أَوْ خِيَاطٍ أَوْ حَائِكٍ أَوْ  
 جَزَّارٍ وَإِذَا وُجِدَتْ هَذِهِ بَعْدُ فَلَا تُوْجَدُ فِيهِ كَامِلَةً وَلَا مُسْتِجَادَةً وَإِنَّمَا يُوْجَدُ مِنْهَا بِمِقْدَارِ  
 الضَّرُورَةِ إِذْ هِيَ كُلُّهَا وَسَائِلُ إِلَى غَيْرِهَا وَلَيْسَتْ مَقْصُودَةً لِنَاتِهَا وَإِذَا زَخَرَ بِحَجَرِ الْعُمْرَانِ  
 وَطُلِبَتْ فِيهِ الْكَمَالَاتُ كَانَ مِنْ جُمْلَتِهَا التَّائِقُ فِي الصَّنَائِعِ وَاسْتِجَادَتِهَا فَكَمَلَتْ  
 بِجَمِيعِ مُتِمِّمَاتِهَا وَتَزَايَدَتْ صَنَائِعُ أُخْرَى مَعَهَا مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ التَّرَفِّ وَأَحْوَالُهُ مِنْ  
 جَزَّارٍ وَدَبَّاحٍ وَخَرَّازٍ وَصَائِغٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ تَنْتَهِي هَذِهِ الْأَصْنَافُ إِذَا اسْتَجَرَّ الْعُمْرَانُ  
 إِلَى أَنْ يُوْجَدَ مِنْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْكَمَالَاتِ وَالتَّائِقُ فِيهَا فِي الْغَايَةِ وَتَكُونُ مِنْ وَجْهِهِ الْمَعَاشِ  
 فِي الْمِصْرِ لِعُمُومِهَا بَلْ تَكُونُ فَائِدَتُهَا مِنْ أَعْظَمِ فَوَائِدِ الْأَعْمَالِ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ التَّرَفُّ  
 فِي الْمَدِينَةِ مِثْلَ الدَّهَانِ وَالصَّفَّارِ وَالْحَمَائِيِّ وَالطَّبَّاحِ وَالشَّمَاعِ وَالْهَرَّاسِ وَمُعَلِّمِ الْغِنَاءِ  
 وَالرَّقْصِ وَقَرَعِ الطُّبُولِ عَلَى التَّوْقِيعِ وَمِثْلَ الْوَرَّاقِينَ الَّذِينَ يُعَانُونَ صِنَاعَةَ انْتِسَاخِ  
 الْكُتُبِ وَتَجْلِيدِهَا وَتَصْنِيفِهَا فَإِنَّ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَيْهَا التَّرَفُّ فِي الْمَدِينَةِ  
 مِنَ الْإِسْتِغَالِ بِالْأُمُورِ الْفِكْرِيَّةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ تَخْرُجُ عَنِ الْحَدِّ إِذَا كَانَ الْعُمْرَانُ  
 خَارِجًا عَنِ الْحَدِّ كَمَا بَلَغْنَا عَنْ أَهْلِ مِصْرَ أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يَعْلَمُ الطُّيُورَ الْعُجْمَ وَالْحُمُرَ  
 الْإِنْسِيَّةَ وَيَتَخَيَّلُ أَشْيَاءَ مِنَ الْعَجَائِبِ بِإِيْهَاَمِ قَلْبِ الْأَعْيَانِ وَتَعْلِيمِ الْحِدَاءِ وَالرَّقْصِ  
 وَالْمَشْيِ عَلَى الْخُيُوطِ فِي الْهَوَاءِ وَرَفْعِ الْأَثْقَالِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْحِجَارَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ  
 الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تُوْجَدُ عِنْدَنَا بِالْمَغْرِبِ لِأَنَّ عُمْرَانَ أَمْصَارِهِ لَمْ يَبْلُغْ عُمْرَانَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ  
 أَدَامَ اللَّهُ عُمْرَانَهَا يَا مُسْلِمِينَ

### الفصل الثامن عشر

فِي أَنَّ رِسْوَخَ الصَّنَائِعِ فِي الْأَمْصَارِ إِنَّمَا هُوَ بِرِسْوَخِ الْحَضَارَةِ وَطُولِ أَمَدِهِ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرٌ وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا عَوَائِدُ لِلْعُمْرَانِ وَالْأَوَانِ وَالْعَوَائِدُ إِنَّمَا  
 تَرَسُخُ بِكَثْرَةِ التَّكَرُّارِ وَطُولِ الْأَمَدِ فَتَسْتَحْكِمُ صِبْغَةَ ذَلِكَ وَتَرَسُخُ فِي الْأَجْيَالِ  
 وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الصَّبْغَةُ عَسِرَ تَزَعُّعُهَا وَإِلَهَذَا نَجِدُ فِي الْأَمْصَارِ الَّتِي كَانَتْ اسْتَجَرَّتْ فِي

الْحِضَارَةِ لَمَّا تَرَاجَعَ عُمَرَانَهَا وَتَنَاقَصَ بَقِيَّتَ فِيهَا آثَارُ مِنْ هَذِهِ الصَّنَائِعِ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا  
 مِنَ الْأَمْصَارِ الْمُسْتَحْدَثَةِ الْعُمَرَانِ وَلَوْ بَلَغَتْ مَبَالِغَهَا فِي الْوُفُورِ وَالْكَثْرَةِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا  
 لِأَنَّ أَحْوَالَ تِلْكَ الْقَدِيمَةِ الْعُمَرَانِ مُسْتَحْكِمَةٌ رَامِيَةٌ بِطُولِ الْأَحْقَابِ وَتَدَاوُلِ الْأَحْوَالِ  
 وَتَكَرُّرِهَا وَهَذِهِ لَمْ تَبْلُغِ الْغَايَةَ بَعْدُ وَهَذَا كُلُّهَا فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّا نَجِدُ  
 فِيهَا رُسُومَ الصَّنَائِعِ قَائِمَةً وَأَحْوَالَهَا مُسْتَحْكِمَةً رَاسِخَةً فِي جَمِيعِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ  
 أَمْصَارِهَا كَالْمَبَانِي وَالطَّبَيعِ وَأَصْنَافِ الْغِنَاءِ وَاللَّهْوِ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْأَوْتَارِ وَالرُّنُصِ  
 وَتَنْصِيدِ الْفُرُشِ فِي الْقُصُورِ وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ وَالْأَوْضَاعِ فِي الْبِنَاءِ وَصَوْنِ الْآلِيَةِ مِنْ  
 الْمَعَادِنِ وَالْخَرْفِ وَجَمِيعِ الْمَوَاعِينِ وَإِقَامَةِ الْوَلَائِمِ وَالْأَعْرَاسِ وَسَائِرِ الصَّنَائِعِ الَّتِي  
 يَدْعُو إِلَيْهَا التَّرَفُ وَعَوَائِدُهَا فَتَجِدُهُمْ أَقْوَمَ عَلَيْهَا وَأَبْصَرَ بِهَا وَتَجِدُ صَنَائِعَهَا مُسْتَحْكِمَةً  
 لَدَيْهِمْ فَهُمْ عَلَى حِصَّةٍ مَوْفُورَةٍ مِنْ ذَلِكَ وَحَظٌّ مُتَمَيِّزٌ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَإِنْ كَانَ  
 عُمَرَانَهَا قَدْ تَنَاقَصَ وَالْكَثِيرُ مِنْهُ لَا يُسَاوِي عُمَرَانِ غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْعُدُوةِ وَمَا ذَاكَ  
 إِلَّا لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ رُسُوحِ الْحِضَارَةِ فِيهِمْ بِرُسُوحِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَمَا قَبْلَهَا مِنْ دَوْلَةِ  
 الْقُوطِ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ دَوْلَةِ الطَّوَائِفِ وَهَلُمَّ جَرًّا فَبَلَغَتْ الْحِضَارَةُ فِيهَا مَبَالِغًا لَمْ تَبْلُغْهُ فِي قَطْرِ  
 إِلَّا مَا يُنْقَلُ عَنِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ أَيْضًا لِطُولِ أَمَادِ الدُّوَلِ فِيهَا فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا  
 الصَّنَائِعُ وَكَمَلَتْ جَمِيعُ أَصْنَافِهَا عَلَى الْإِسْتِحْجَادَةِ وَالْتِمَاقِ وَبَقِيَّتْ صِبْغَتُهَا ثَابِتَةً فِي ذَلِكَ  
 الْعُمَرَانِ لَا تُفَارِقُهُ إِلَى أَنْ يَنْتَقِضَ بِالْكُلِّيَّةِ حَالُ الصَّبْغِ إِذَا رَسَخَ فِي الثَّوْبِ وَكَذَلِكَ  
 أَيْضًا حَالُ ثَوْبٍ فِيمَا حَصَلَ فِيهَا بِالْحِضَارَةِ مِنَ الدُّوَلِ الصَّنَهَاجِيَّةِ وَالْمُوَحِّدِينَ مِنْ  
 بَعْدِهِمْ وَمَا اسْتَحْكَمَ لَهَا فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ  
 دُونَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَضَاعِفٌ بِرُسُومِهَا تَنْقَلُ إِلَيْهَا مِنْ مِصْرَ اقْرُبِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُمَا  
 وَتَرْدُدِ الْمُسَافِرِينَ مِنْ قَطْرِهَا إِلَى قَطْرِ مِصْرَ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَرُبَّمَا سَكَنَ أَهْلُهَا هُنَاكَ  
 عَصُورًا فَيَنْقَلُونَ مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَمُجْتَمَعِ صَنَائِعِهِمْ مَا يَقَعُ لَدَيْهِمْ مَوْجِعَ الْإِسْتِحْسَانِ  
 فَصَارَتْ أَحْوَالُهَا فِي ذَلِكَ مُتَشَابِهَةً مِنْ أَحْوَالِ مِصْرَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ أَحْوَالِ الْأَنْدَلُسِ  
 لِمَا أَنَّ أَكْثَرَ سَاكِنِيهَا مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ حِينَ الْجَلَاءِ لِعَهْدِ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ وَرَسَخَ  
 فِيهَا مِنْ ذَلِكَ أَحْوَالٌ وَإِنْ كَانَ عُمَرَانُهَا لَيْسَ بِمُنَاسِبٍ لِذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا أَنَّ الصَّبْغَةَ  
 إِذَا اسْتَحْكَمَتْ فَقَلِيلًا مَا تَحُولُ إِلَّا بِزَوَالِ مَحَلِّهَا وَكَذَلِكَ نَجِدُ بِالْقَيْرَوَانِ وَمَرَاكِشَ وَقَلْعَةَ



أَبْنِ حَمَادٍ أَثَرًا بَاقِيًا مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ كُلُّهَا الْيَوْمَ خَرَابًا أَوْ فِي حُكْمِ الْخُرَابِ  
وَلَا يَتَفَتَّنُ لَهَا إِلَّا الْبَصِيرُ مِنَ النَّاسِ فَيَعِدُّ مِنْ هَذِهِ الصَّنَائِعِ أَثَرًا تَدُلُّهُ عَلَى مَا كَانَ بِهَا  
كَأَثَرِ الْخَطِّ الْمَمْحُورِ فِي الْكِتَابِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

### الفصل التاسع عشر

فِي أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تَسْتَجَادُ وَتَكْثُرُ إِذَا كَثُرَ طَالِبُهَا  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرٌ وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَمَحُّ عَمَلَهُ أَنْ يَقَعَ تَجَانًا لِأَنَّهُ كَسْبُهُ  
وَمِنْهُ مَعَاشُهُ إِذْ لَا فَايِدَةَ لَهُ فِي جَمِيعِ عُمُرِهِ فِي شَيْءٍ مِمَّا سِوَاهُ فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَّا فِيمَا لَهُ  
قِيَمَةٌ فِي مِصْرِهِ لِيَعُودَ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ وَإِنْ كَانَتْ الصَّنَاعَةُ مَطْلُوبَةً وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا النَّفَاقُ  
كَانَتْ حِينَئِذٍ الصَّنَاعَةُ بِمِثَابَةِ السَّاعَةِ الَّتِي تَنْفَقُ سُوقُهَا وَتَجَلِبُ لِلْبَيْعِ فَتَجْتَهِدُ النَّاسُ فِي  
الْمَدِينَةِ لِتَعْلَمَ تِلْكَ الصَّنَاعَةُ لِيَكُونَ مِنْهَا مَعَاشُهُمْ وَإِذَا لَمْ تَكُنِ الصَّنَاعَةُ مَطْلُوبَةً لَمْ  
تَنْفَقْ سُوقُهَا وَلَا يُوجَّهُ قَصْدٌ إِلَى تَعْلُمِهَا فَاخْتَصَّتْ بِالْتَرَكِ وَفُقِدَتْ لِلْإِهْمَالِ وَلِهَذَا يُقَالُ  
عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ بِهِ عَنَى أَنْ صِنَاعَتَهُ هِيَ قِيَمَتُهُ أَيْ  
قِيَمَةُ عَمَلِهِ الَّذِي هُوَ مَعَاشُهُ وَأَيْضًا فَهَذَا مِثْرٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّ الصَّنَائِعَ وَإِجَادَتَهَا إِنَّمَا  
تَطْلُبُهَا الدَّوْلَةُ فَهِيَ الَّتِي تَنْفَقُ سُوقُهَا وَتَوَجَّهَ الطَّالِبَاتُ إِلَيْهَا وَمَا لَمْ تَطْلُبْهُ الدَّوْلَةُ وَإِنَّمَا  
يَطْلُبُهَا غَيْرُهَا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ فَلَيْسَ عَلَى نِسْبَتِهَا لِأَنَّ الدَّوْلَةَ هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ وَفِيهَا  
نَفَاقُ كُلِّ شَيْءٍ وَالْقَلِيلُ وَالْكَثِيرُ فِيهَا عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَا تَفَقَّ مِنْهَا كَانَ أَكْثَرِيًّا  
ضَرُورَةً وَالسُّوقَةُ وَإِنْ طَلَبُوا الصَّنَاعَةَ فَلَيْسَ طَلِبُهُمْ بِعَامٍّ وَلَا سُوقُهُمْ بِنَافِقَةٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ

### الفصل العشرون

فِي أَنَّ الْأَمْصَارَ إِذَا قَارَبَتْ الْخُرَابَ انْتَقَضَتْ مِنْهَا الصَّنَائِعُ  
وَذَلِكَ لِأَنَّ بَيْنَنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تُسْتَجَادُ إِذَا أُحْتِجَّ إِلَيْهَا وَكَثُرَ طَالِبُهَا وَإِذَا ضَعُفَتْ  
أَحْوَالُ الْمِصْرِ وَأَخَذَ فِي الْهَرَمِ بِانْتِقَاضِ عُمُرَانِهِ وَقَلَّةِ سَاكِمِهِ تَنَاقَصَ فِيهِ التَّرَفُ وَرَجَعُوا  
إِلَى الْاِقْتِصَارِ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ أَحْوَالِهِمْ فَتَقَلَّ الصَّنَائِعُ الَّتِي كَانَتْ مِنْ تَوَابِعِ التَّرَفِ لِأَنَّ  
صَاحِبَهَا حِينَئِذٍ لَا يَصِحُّ لَهُ بِهَا مَعَاشُهُ فَيَفِرُّ إِلَى غَيْرِهَا أَوْ يَمُوتُ وَلَا يَكُونُ خَلْفٌ مِنْهُ

فَيَذْهَبُ رَسْمُ تِلْكَ الصَّنَائِعِ جُمْلَةً كَمَا يَذْهَبُ النِّقَاشُونَ وَالصُّوَاغُ وَالْكِتَابُ وَالنُّسَاحُ وَمِثْلَهُمْ  
مِنَ الصَّنَائِعِ لِحَاجَاتِ التَّرَفِ وَلَا تَزَالُ الصِّنَاعَاتُ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى أَنْ تَضْمَحِلَّ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ  
الْعَلِيمُ وَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

### الفصل الحادي والعشرون

في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَغْرَقُوا فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْعُمَرَانِ الْخَضِرِيِّ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا وَالْعَجَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَأُمَمِ النُّصْرَانِيَّةِ عُدُوَّةُ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
أَقْوَمُ النَّاسِ عَلَيْهَا لِأَنَّهُمْ أَغْرَقُوا فِي الْعُمَرَانِ الْخَضِرِيِّ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْبَدْوِ وَعُمَرَانِهِ حَتَّى  
إِنْ الْإِبِلَ الَّتِي أَذَانَتِ الْعَرَبَ عَلَى التَّوَحُّشِ فِي الْقَفْرِ وَالْإِعْرَاقِ فِي الْبَدْوِ مَفْقُودَةٌ لَدَيْهِمْ  
بِالْجُمْلَةِ وَمَفْقُودَةٌ مَرَاعِيهَا وَالرِّمَالُ الْمُهَيَّئَةُ لِنَتَاجِهَا وَهَذَا نَجْدُ أَوْطَانِ الْعَرَبِ وَمَا مَلَكَوهُ  
فِي الْإِسْلَامِ قَلِيلُ الصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ حَتَّى تَجَلِبَ إِلَيْهِ مِنْ قَطْرٍ آخَرَ وَأَنْظُرَ بِلَادَ الْعَجَمِ  
مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَأَرْضِ التُّرْكِ وَأُمَمِ النُّصْرَانِيَّةِ كَيْفَ اسْتَكْثَرَتْ فِيهِمِ الصَّنَائِعُ  
وَأَسْتَجَلِبَهَا الْأُمَمُ مِنْ عِنْدِهِمْ وَعَجِمُ الْمَغْرِبِ مِنَ الْبَرْبَرِ مِثْلُ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ لِرُسُوخِهِمْ  
فِي الْبِدَاوَةِ مُنْذُ أَحْقَابِ مِنَ السِّنِينَ وَيَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ قَلَّةُ الْأَمْصَارِ بِقَطْرِهَا كَمَا قَدَّمَاهُ  
فَالصَّنَائِعُ بِالْمَغْرِبِ لِدَلِيلَةِ قَلِيلَةٍ وَغَيْرُ مُسْتَحْكِمَةٍ إِلَّا مَا كُنِيَ مِنْ صِنَاعَةِ الصُّوفِ مِنْ  
نَسِجِهِ وَالْجِلْدِ فِي خَزَرِهِ وَدَبْغِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا اسْتَحْضَرُوا بَلَّغُوا فِيهَا الْمَبَالِغَ لِعُمُومِ الْبَلَوَى بِهَا  
وَكَوْنِ هَذَيْنِ أَغْلَبَ السِّلَعِ فِي قَطْرِهَا لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَمَّا الْمَشْرِقُ فَقَدْ  
رَسَخَتِ الصَّنَائِعُ فِيهِ مُنْذُ مُلْكِ الْأُمَمِ الْأَقْدَمِينَ مِنَ الْفُرْسِ وَالنَّبَطِ وَالْقَبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَيُونَانَ وَالرُّومَ أَحْقَابًا مُتَطَاوِلَةً فَرَسَخَتْ فِيهِمْ أَحْوَالُ الْحَضَارَةِ وَمِنْ جُمَلِهَا الصَّنَائِعُ  
كَمَا قَدَّمَاهُ فَلَمْ يَمْنَحْ رَسْمُهَا وَأَمَّا الْيَمَنُ وَالْبَحْرَانُ وَعُمَانُ وَالْجَزِيرَةُ وَإِنْ مَلَكَهُ  
الْعَرَبُ إِلَّا أَنَّهُمْ تَدَاوَلُوا مِلْكَهُ آلَافًا مِنَ السِّنِينَ فِي أُمَمٍ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ وَأَخْتَطُّوا  
أَمْصَارَهُ وَمُدُنَهُ وَبَلَّغُوا الْغَايَةَ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالتَّرَفِ مِثْلَ عَادَ وَثَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ وَحَمِيرَ  
مِنْ بَعْدِهِمْ وَالتَّبَاعَةَ وَالْأَذْدَاءَ فَطَالَ أَمَدُ الْمُلْكِ وَالْحَضَارَةِ وَاسْتَحْكَمَتْ صِبْغَتُهَا وَتَوَفَّرَتْ  
الصَّنَائِعُ وَرَسَخَتْ فَلَمْ تَبَلَّ بِبَلَى الدَّوَلَةِ كَمَا قَدَّمَاهُ فَبَقِيَتْ مُسْتَجِدَّةٌ حَتَّى الْآنَ وَأَخْتَصَّتْ بِذَلِكَ  
الْوَطَنِ كَصِنَاعَةِ الْوُشِيِّ وَالْعَصَبِ وَمَا يُسْتَجَادُ مِنْ حَوْلِ الثِّيَابِ وَالْحَرِيرِ فِيهَا وَاللَّهُ وَارِثُ



الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الثاني والعشرون

فيمَن حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعد في ملكة اخرى  
ومثال ذلك الخياط إذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها ورسخت في نفسه فلا  
يجيد من بعدها ملكة التجارة أو البناء إلا أن تكون الأولى لم تستحكهم بعد ولم  
ترسخ صبغتها والسبب في ذلك أن الملكات صفات للنفس واللوان فلا تزدحم دفعة  
ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها فإذا  
تلوّنت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعفت فيها الاستعداد باللون  
الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها للملكة أضعف وهذا بين يشهد له الوجود  
فقل أن تجد صاحب صناعة يحكمها ثم يحكم من بعدها أخرى ويكون فيهما معا  
على رتبة واحدة من الإجارة حتى أن أهل العلم الذين ملكتهم فكريّة فهم بهذه  
المثابة ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية فقل أن يجيد  
ملكة علم آخر على نسبه بل يكون مقصرا فيه إن طلبه إلا في الأقل النار من  
الأحوال ومبني سببه على ما ذكرناه من الاستعداد وتلوّنه بلون الملكة الحاصلة في  
النفس والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه

### الفصل الثالث والعشرون

في الإشارة الى امهات الصنائع

إعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في  
العمران فهي بحيث تشد عن الحصر ولا يأخذها العد إلا أن منها ما هو ضروري  
في العمران أو شريف بالموضع فنخصها بالذكر ونترك ما سواها فأما الضروري  
فالفلاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياكة وأما الشريفة بالموضع فالتوليد  
والكتابة والوراقة والغناء والطب فأما التوليد فإنها ضرورية في العمران  
وعامة البلوى إذ بها تحصل حياة المولود وتتم غالبا وموضوعها مع ذلك المولدون  
وامهاتهم وأما الطب فهو حفظ الصحة للإنسان ودفع المرض عنه وبتفرع

عَنْ عِلْمِ الطَّبِيعَةِ وَمَوْضُوعِهِ مَعَ ذَلِكَ بَدَنُ الْإِنْسَانِ وَأَمَّا الْكِتَابَةُ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ  
الْوَرَاثَةِ فَهِيَ حَافِظَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ حَاجَتُهُ وَمَقِيدَةٌ لَهَا عَنِ النَّسْيَانِ وَمُبَالِغَةٌ خَمَائِرِ  
النَّفْسِ إِلَى الْبَعِيدِ الْغَائِبِ وَتَخْلِدُ نَتَائِجَ الْأَفْكَارِ وَالْعُلُومِ فِي الصُّحُفِ وَرَافِعَةٌ رُتَبَ  
الْوُجُودِ لِلْمَعَانِي وَأَمَّا الْغِنَاءُ فَهُوَ نِسْبُ الْأَصْوَاتِ وَمَظْهَرُ جَمَالِهَا لِلْأَسْمَاعِ وَكُلُّ هَذِهِ  
الصَّنَائِعِ الثَّلَاثُ دَاعٍ إِلَى تَخَالُطِ الْمُلُوكِ الْأَعَاضِمِ فِي خَلَوَاتِهِمْ وَمَجَالِسِ أُنْسِهِمْ فَلَهَا  
بِذَلِكَ شَرَفٌ لَيْسَ لِغَيْرِهَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ فَتَابِعَةٌ وَمُتَتِنَةٌ فِي الْغَالِبِ وَقَدْ  
يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَغْرَاضِ وَالِدَوَاعِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

### الفصل الرابع والعشرون

في صناعة الفلاحة

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ ثَمَرَتُهَا اتِّخَاذُ الْأَقْوَاتِ وَالْحُبُوبِ بِالْقِيَامِ عَلَى إِثَارَةِ الْأَرْضِ لَهَا  
أَزْدِرَاعُهَا وَعِلَاجُ نَبَاتِهَا وَتَعْمِيدُهَا بِالسَّقْيِ وَالنَّمِيَةِ إِلَى بُلُوغِ غَايَتِهِ ثُمَّ لِحِصَادِ سُنْبُلِهِ  
وَأَسْتِخْرَاجِ حَبِّهِ مِنْ غُلَافِهِ وَإِحْكَامِ الْأَعْمَالِ لِذَلِكَ وَتَحْصِيلِ أَسْبَابِهِ وَدَوَاعِيهِ وَهِيَ  
أَقْدَمُ الصَّنَائِعِ لِمَا أَنَّهَا تَحْصِلُ الْقُوَّةَ الْمُكْمِلَةَ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ غَالِبًا إِذْ يُمَكِّنُ وُجُودَهُ  
مِنْ دُونَ الْقُوَّةِ وَلِهَذَا اخْتِصَّتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ بِالْبَدْوِ إِذْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ أَقْدَمُ مِنَ الْحَضَرِ  
وَسَابِقٌ عَلَيْهِ فَكَانَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِذَلِكَ بَدْوِيَّةً لَا يَقُومُ عَلَيْهَا الْحَضَرُ وَلَا يَعْرِفُونَهَا لِأَنَّ  
أَحْوَالَهُمْ كُلَّهَا ثَانِيَّةٌ عَلَى الْبَدَاوَةِ فَصَنَائِعُهُمْ ثَانِيَّةٌ عَنْ صَنَائِعِهَا وَتَابِعَةٌ لَهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى مُقِيمُ الْعِبَادِ فِيهَا أَرَادَ

### الفصل الخامس والعشرون

في صناعة البناء

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ أَوَّلُ صَنَائِعِ الْعُمَرَانِ الْحَضَرِيِّ وَأَقْدَمُهَا وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْعَمَلِ فِي اتِّخَاذِ  
الْبُيُوتِ وَالْمَنَازِلِ لِلْكِنِّ وَالْمَأْوَى لِلْأَبْدَانِ فِي الْمَدُنِ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لِمَا جُبِلَ  
عَلَيْهِ مِنَ الْفِكْرِ فِي عَوَاقِبِ أَحْوَالِهِ لَا بُدَّ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْأَذَى مِنَ الْحَرِّ  
وَالْبَرْدِ كَاتِخَاذِ الْبُيُوتِ الْمُكَتَنَفَةِ بِالسَّقْفِ وَالْحِيطَانِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا وَالْبَشَرُ مُخْتَلِفٌ  
فِي هَذِهِ الْجِبِلَةِ الْفِكْرِيَّةِ فَمِنْهُمْ الْمُعْتَدِلُونَ فِيهَا فَيَتَّخِذُونَ ذَلِكَ بِاعْتِدَالِ أَهَالِي الثَّانِي  
وَالثَّالِثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ وَالسَّادِسِ وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ فَيَبْعُدُونَ عَنْ اتِّخَاذِ ذَلِكَ لِقُصُورِ



أَفْكَارِهِمْ عَنْ إِدْرَاكِ الصَّنَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ فَيَادِرُونَ لِلْغَيْرَانِ وَالْكُهُوفِ الْمَعْدَةِ مِنْ غَيْرِ  
 عِلَاجٍ ثُمَّ الْمُعْتَدِلُونَ لِلْمَأْوَى قَدْ يَتَكَثَّرُونَ فِي الْبَسِيطِ الْوَاحِدِ بِمَحِثٍ  
 يَتَنَازَعُونَ وَلَا يَتَعَارَفُونَ فَيَخْشَوْنَ طَرَقَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَيَحْتَاجُونَ إِلَى حِفْظِ مُجْتَمَعِهِمْ بِإِدَارَةِ  
 مَاءٍ أَوْ أَسْوَارٍ تَحُوطُهُمْ وَيَصِيرُ جَمِيعًا مَدِينَةً وَاحِدَةً وَمِصْرًا وَاحِدًا وَيَحُوطُهُمُ الْحَكْمُ  
 مِنْ دَاخِلٍ يَدْفَعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَقَدْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْإِتِّصَافِ وَيَتَخَذُونَ الْمَعَاوِلَ  
 وَالْمَحْشُورَ لَهُمْ وَلَمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِثْلُ الْمُلُوكِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَكِبَارِ  
 الْقَبَائِلِ فِي الْمَدُنِ كُلِّ مَدِينَةٍ عَلَى مَا يَتَعَارَفُونَ وَيَصْطَلِحُونَ عَلَيْهِ وَيُنَاسِبُ مَزَاجَ هَوَائِهِمْ  
 وَاخْتِلَافَ أَحْوَالِهِمْ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَكَذَا حَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْوَاحِدَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ  
 يَتَخَذُ الْقُصُورَ وَالْمَصَانِعَ الْعَظِيمَةَ السَّاحَةَ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى عِدَّةِ الدُّورِ وَالْبُيُوتِ وَالْعُرُفِ  
 الْكَبِيرَةِ لِكَثْرَةِ وَلَدِهِ وَحَشَمِهِ وَعِيَالِهِ وَتَابِعِهِ وَيُؤَسِّسُ جُذُرَانَهَا بِالْحِجَارَةِ وَيَلْحَمُ بَيْنَهَا  
 بِالْكَسِيسِ وَيُعَالِي عَلَيْهَا بِالْأَصْبَغَةِ وَالْجِصِّ وَيَبَالِغُ فِي ذَلِكَ بِالتَّجِيدِ وَالتَّحْمِيقِ إِظْهَارًا  
 لِلْبَسْطَةِ بِالْعِنَايَةِ فِي شَأْنِ الْمَأْوَى وَيَهَيِّئُ مَعَ ذَلِكَ الْأَمْرَابَ وَالْمَطَامِيرَ لِلِاخْتِزَانِ  
 لِأَقْوِيَاتِهِ وَالْإِسْطِبَالَاتِ لِرَبْطِ مُقَرَّبَاتِهِ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجُودِ وَكَثْرَةِ التَّابِعِ وَالْحَاشِيَةِ  
 كَالْأَمْرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْنِي الدَّوْبِرَةَ وَالْبُيُوتَ لِنَفْسِهِ وَسَكْنِهِ وَوَلَدِهِ لَا  
 يَتَّبِعِي مَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِقُصُورِ حَالِهِ عَنهُ وَاقْتِصَارِهِ عَلَى الْكَفِّ الطَّبِيعِيِّ لِلْبَشَرِ وَبَيْنَ  
 ذَلِكَ مَرَاتِبُ غَيْرُ مُنْخَصِرَةٍ وَقَدْ يَحْتَاجُ لَهُذِهِ الصَّنَاعَةُ أَيْضًا عِنْدَ تَأْسِيسِ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ  
 الدُّوَلِ الْمَدُنِ الْعَظِيمَةِ وَالْهَيْكَلِ الْمُرْتَفِعَةِ وَيُبَالِغُونَ فِي إِتْقَانِ الْأَوْضَاعِ وَعُلُوِّ الْأَجْرَامِ  
 مَعَ الْأَحْكَامِ لِتَبْلُغَ الصَّنَاعَةُ مَبَالِغَهَا وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ هِيَ الَّتِي يُحْصِلُ الدَّوَاعِي لِنَظَرِهَا كَثْرُ  
 مَا تَكُونُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ فِي الْأَقَالِيمِ الْمُعْتَدِلَةِ مِنَ الرَّابِعِ وَمَا حَوْلَ ذَلِكَ إِذَا الْأَقَالِيمُ الْمُنْتَحَرِفَةُ  
 لَا بِنَاءَ فِيهَا وَإِنَّمَا يَتَخَذُونَ الْبُيُوتَ حِطَائِرَ مِنَ الْقَصَبِ وَالطِّينِ وَإِنَّمَا يُوْجَدُ فِي الْأَقَالِيمِ  
 الْمُعْتَدِلَةِ لَهُ وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْقَائِمُونَ عَلَيْهَا مُتَفَاوِتُونَ فَمِنْهُمْ الْبَصِيرُ الْمَاهِرُ وَمِنْهُمْ  
 الْقَاصِرُ ثُمَّ هِيَ ائْتَنُوعُ أَنْوَاءَ كَثِيرَةٍ فَمِنْهَا الْبِنَاءُ بِالْحِجَارَةِ الْمُنْجَذَةِ يُقَامُ بِهَا الْجُدْرَانُ  
 مُلَصَّقًا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِالطِّينِ وَالْكَسِيسِ الَّذِي يَعْقَدُ مَعَهَا وَيَلْتَحِمُ كَأَنَّهَا جِسْمٌ وَاحِدٌ  
 وَمِنْهَا الْبِنَاءُ بِالْأُتْرَابِ خَاصَّةً يَتَخَذُ لَهَا لَوْحَانٍ مِنَ الْخَشَبِ مُقَدَّرَانِ طُولًا وَعَرْضًا بِاخْتِلَافِ  
 الْعَادَاتِ فِي التَّقْدِيرِ وَأَوْسَطُهُ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ فَيُنْصَبَانِ عَلَى أَسَاسٍ وَقَدْ بُوْعِدَ

مَا يَنْهَمَا بِمَا يَرَاهُ صَاحِبُ الْبِنَاءِ فِي عَرْضِ الْأَسَاسِ وَيُوصِلُ بَيْنَهُمَا بِأَذْرُعٍ مِنَ الْخَشَبِ  
 يُرَبِّطُ عَلَيْهَا بِالْحِبَالِ وَالْجُدُرِ وَيَسُدُّ الْجِهَتَيْنِ الْبَاقِيَتَيْنِ مِنْ ذَلِكَ الْخَلَاءِ بَيْنَهُمَا بِلَوْحَيْنِ  
 آخَرَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ ثُمَّ يُوضَعُ فِيهِ التُّرَابُ مُخْلَطًا بِالْكِلْسِ وَيُرَكَّزُ بِالْمَرَكَزِ الْمَعْدَّةِ  
 حَتَّى يَنْعَمَ رَكْزُهُ وَيَخْتَلِطَ أَجْزَاؤُهُ ثُمَّ يَزَادُ التُّرَابُ ثَانِيًا وَثَالِثًا إِلَى أَنْ يَمَثُلِيَ ذَلِكَ الْخَلَاءُ  
 بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ وَقَدْ تَدَاخَلَتْ أَجْزَاءُ الْكِلْسِ وَالتُّرَابِ وَصَارَتْ جِسْمًا وَاحِدًا ثُمَّ يُعَادُ  
 نَصَبُ اللَّوْحَيْنِ عَلَى صُورَةٍ وَيُرَكَّزُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَيُنْظَمَ الْأَلْوَاحُ كُلُّهَا سَطْرًا مِنْ  
 فَوْقِ سَطْرٍ إِلَى أَنْ يَنْتَظِمَ الْحَائِطُ كُلُّهُ مُتَّحِمًا كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى الطَّابِيَّةُ  
 وَصَانِعُهُ الطَّوَابِ وَمِنْ صَنَائِعِ الْبِنَاءِ أَيْضًا أَنْ يُجَلَّلَ الْحَيِّطَانِ بِالْكِلْسِ بَعْدَ أَنْ يُحَلَّ  
 بِالْمَاءِ وَيُخْمَرُ أَسْبُوعًا أَوْ أَسْبُوعَيْنِ عَلَى قَدَرِ مَا يَعْتَدِلُ مِزَاجُهُ عَنْ إِفْرَاطِ النَّارِ يَتَلَفِتُ  
 لِلْإِلْهَامِ فَإِذَا تَمَّ لَهُ مَا يَرْضَاهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَاةٍ مِنْ فَوْقِ الْحَائِطِ وَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَلْتَحِمَ وَمِنْ  
 صَنَائِعِ الْبِنَاءِ عَمَلُ السَّقْفِ بِأَنْ يَمَدَّ الْخَشَبُ الْمُحْكَمَةُ النِّجَارَةِ أَوْ السَّادِجَةُ عَلَى حَائِطِي  
 الْبَيْتِ وَمِنْ فَوْقِهَا الْأَلْوَاحُ كَذَلِكَ مَوْصُولَةٌ بِالْدَسَائِرِ وَيُصَبُّ عَلَيْهَا التُّرَابُ وَالْكِلْسُ  
 وَيُسَطُّ بِالْمَرَكَزِ حَتَّى تَتَدَاخَلَ أَجْزَاؤُهَا وَتَلْتَحِمَ وَيُعَالَى عَلَيْهَا الْكِلْسُ كَمَا يُعَالَى  
 عَلَى الْحَائِطِ وَمِنْ صِنَاعَةِ الْبِنَاءِ مَا يَرْجِعُ إِلَى التَّنْمِيقِ وَالتَّزْيِينِ كَمَا يُصْنَعُ مِنْ فَوْقِ  
 الْحَيِّطَانِ الْأَشْكَالُ الْجَسْمَةُ مِنَ الْجَبِينِ يُخْمَرُ بِالْمَاءِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَسَدًا وَفِيهِ بَقِيَّةُ  
 الْبَلَلِ فَيُشَكَّلُ عَلَى التَّنَاسُبِ تَخَرُّبًا بِمِثْقَابِ الْحَدِيدِ إِلَى أَنْ يَبْقَى لَهُ رَوْنَقٌ وَرُؤْيَا  
 وَرُبَّمَا عُولِي عَلَى الْحَيِّطَانِ أَيْضًا يَقْطَعُ الرَّخَامَ وَالْأَجْرَ وَالْخَرْفَ أَوْ بِالصِّدْفِ أَوْ  
 السَّبَجِ يُفَصِّلُ أَجْزَاءَ مُتَجَانِسَةٍ أَوْ مُخْتَلَفَةٍ وَتُوضَعُ فِي الْكِلْسِ عَلَى نِسْبٍ وَأَوْضَاعٍ  
 مُقَدَّرَةٍ عِنْدَهُمْ يَدُو بِهِ الْحَائِطُ لِلْعِيَانِ كَأَنَّهُ قِطْعُ الرِّيَاضِ الْمُتَمَنِّمَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ  
 مِنْ بِنَاءِ الْجِبَابِ وَالصَّهَارِيجِ لِسَفْحِ الْمَاءِ بَعْدَ أَنْ تُعَدَّ فِي الْبُيُوتِ قِصَاعُ الرَّخَامِ الْقَوَارِ  
 الْمُحْكَمَةُ الْخَرْطُ بِالْفُوهَاتِ فِي وَسْطِهَا لِنَبْعِ الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى الصَّهْرِيجِ يُجْلِبُ إِلَيْهِ مِنْ  
 خَارِجِ الْقَنَوَاتِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى الْبُيُوتِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِنَاءِ وَتُخْتَلِفُ الصَّنَاعَةُ فِي  
 جَمِيعِ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْحَذَقِ وَالْبَصْرِ وَبِعَظْمِ عُمُرَانِ الْمَدِينَةِ وَيَتَسَمَّعُ فَيَكْثُرُونَ وَرُبَّمَا  
 يَرْجِعُ الْحُكَّامُ إِلَى نَظَرِ هَوْلَاءِ فِيمَا هُمْ أَبْصَرُ بِهِ مِنْ أَحْوَالِ الْبِنَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ  
 فِي الْمَدُنِ لِكَثْرَةِ الْأَزْدِحَامِ وَالْعُمُرَانِ يَتَشَاخُونَ حَتَّى فِي الْفَضَاءِ وَالْهَوَاءِ الْأَعْلَى



وَالْأَسْفَلَ وَمِنَ الِاتِّفَاعِ بظَاهِرِ الْبِنَاءِ مِمَّا يَتَوَقَّعُ مَعَهُ حُصُولُ الضَّرَرِ فِي الْخَيْطَانِ فَيَمْنَعُ  
جَارَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ وَيَخْتَلِفُونَ أَيْضًا فِي اسْتِحْقَاقِ الطَّرِيقِ وَالْمَنَافِدِ  
لِلْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ وَالْفَضَالَاتِ الْمُسْرِبَةِ فِي الْقَنَوَاتِ وَرُبَّمَا يَدْعِي بَعْضُهُمْ حَقَّ بَعْضٍ فِي  
حَائِطِهِ أَوْ عُلُوِّهِ أَوْ قَنَاتِهِ لِتَضَاقِقِ الْجَوَارِ أَوْ يَدْعِي بَعْضُهُمْ عَلَى جَارِهِ اخْتِلَالَ حَائِطِهِ  
خَشْيَةَ سُقُوطِهِ وَيَحْتَاجُ إِلَى الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِهَدْمِهِ وَدَفْعِ ضَرَرِهِ عَنْ جَارِهِ عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ أَوْ  
يَحْتَاجُ إِلَى قِسْمَةِ دَارٍ أَوْ عَرَصَةٍ بَيْنَ شَرِيكَيْنِ بِحَيْثُ لَا يَقَعُ مَعَهَا فُسَادٌ فِي الدَّارِ وَلَا إِهْمَالٌ  
لِمَنْفَعَتَيْهَا وَأَمثالُ ذَلِكَ وَيَخْفَى جَمِيعُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْبَصَرِ الْعَارِفِينَ بِالْبِنَاءِ وَأَخْوَالِهِ  
الْمُسْتَدِلِّينَ عَلَيْهَا بِالْمَعَاوِدِ وَالْقُمُطِ وَمَرَاكِزِ الْخَشَبِ وَمِيلِ الْخَيْطَانِ وَاعْتِدَالِهَا وَفِسْمِ  
الْمَسَاكِنِ عَلَى نِسْبَةِ أَوْضَاعِهَا وَمَنَافِعِهَا وَتَسْرِيبِ الْمِيَاهِ فِي الْقَنَوَاتِ مَجْلُوبَةً وَمَرْفُوعَةً  
بِحَيْثُ لَا يُضَرُّ بِمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبُيُوتِ وَالْخَيْطَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَهُمْ بِهَذَا كُلِّهِ الْبَصَرُ  
الْمُنْتَهَى الَّذِي آتَتْهُ لِعِبَادِهِمْ مِنْ نَحْوِ ذَلِكَ بِخَدَائِهِمْ بِالْحُجُودَةِ الْقَصِيرَةِ فِي الْأَجْيَالِ بِاعْتِدَالِ  
الدُّوَلِ وَقُوَّتِهَا فَإِنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ وَكَمَالَهَا إِنَّمَا هُوَ بِكَمَالِ الْحَضَارَةِ وَكَثَرَتِهَا بِكَثَرَةِ  
الطَّلَابِ لَهَا فَلِذَلِكَ عِنْدَ مَا تَكُونُ الدُّوَلَةُ بَدْوِيَّةً فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا تَقْتَضِرُ فِي أَمْرِ الْبِنَاءِ إِلَى  
غَيْرِ قَطْرٍ مَا كَمَا وَقَعَ لِلْوَلِيدِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ أَجْمَعَ عَلَى بِنَاءِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ وَالْقُدُسِ  
وَمَسْجِدِهِ بِالشَّامِ فَبَعَثَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي الْفَعْلَةِ الْمَهْرَةَ فِي الْبِنَاءِ فَبَعَثَ  
إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَنْ حَصَلَ لَهُ غَرَضُهُ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاجِدِ وَقَدْ يَعْرِفُ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَشْيَاءَ  
مِنَ الْهَنْدَسَةِ مِثْلَ تَسْوِيَةِ الْخَيْطَانِ بِالْوِزْنِ وَإِجْرَاءِ الْمِيَاهِ بِأَخْذِ الِارْتِفَاعِ وَأَمثالِ ذَلِكَ  
فَيَحْتَاجُ إِلَى الْبَصَرِ بِشَيْءٍ مِنْ مَسَائِلِهِ وَكَذَلِكَ فِي جَرِّ الْأَثْقَالِ بِالْهَنْدَامِ فَإِنَّ الْأَجْرَامَ  
الْعَظِيمَةَ إِذَا شِيدَتْ بِالْحِجَارَةِ الْكَبِيرَةِ يَعْجُزُ قُدْرُ الْفَعْلَةِ عَنْ رَفْعِهَا إِلَى مَكَانِهَا مِنْ  
الْحَائِطِ فَيَتَحِيلُ لِذَلِكَ بِمُضَاعَفَةِ قُوَّةِ الْحَبْلِ بِإِدْخَالِهِ فِي الْمَعَالِقِ مِنْ أَثْقَابِ مُقَدَّرَةٍ عَلَى  
نِسْبِ هَنْدَسِيَّةٍ تُصِيرُ الثَّقِيلَ عِنْدَ مُعَانَاةِ الرَّفْعِ خَفِيفًا فَيَتِمُّ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ بِغَيْرِ لَفْظٍ  
وَهَذَا إِنَّمَا يَتِمُّ بِأَصُولِ هَنْدَسِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ مُتَدَاوِلَةٍ بَيْنَ الْبَشَرِ وَبِمِثْلِهَا كَانَ بِنَاءُ آلِهَةٍ كُلِّ  
الْمِائِلَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّتِي يُحْسَبُ أَنَّهَا مِنْ بِنَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَّ أَبْدَانَهُمْ كَانَتْ عَلَى نِسْبَتِهَا فِي  
الْعَظْمِ الْجَسَامِيِّ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ بِالْحِيلِ الْهَنْدَسِيَّةِ كَمَا ذَكَرْتَاهُ  
فَتَفَهَّمْ ذَلِكَ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ

## الفصل السادس والعشرون

### في صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للإنسان في كل مكنون من المكنونات منافع تكمل بها ضروراته أو حاجاته وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع ما لا ينحصر مما هو معروف لكل أحد ومن منافعها اتخاذها خشباً إذا بنيت وأول منافعها أن يكون وقوداً للنيران في معاشهم وعصياً للإيكاء والدود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائم لما يخشى ميله من أثقالهم ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والحضر فأما أهل البدو فيتخذون منها العمد والأوتاد لحيامهم والحدوج لطعامهم والرماح والقسي والسيهام لسلاحهم وأما أهل الحضر فالسقف ليوتيتهم والأغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة لها ولا تصير إلى الصرّة الخاصة بها إلا بالصناعة والصناعة المكفلة بذلك المصلحة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها إلى تفصيل الخشب أولاً إما بخشب أصغر منه أو ألواح ثم تركيب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعه أعداد تلك الفصائل بالانتظام إلى أن تصير أعضاء ذلك الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم إذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف أو باب أو كرسي أو ما عون حدث التأنق في صناعة ذلك واستجداته بغرائب من الصناعة كمالية ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الأبواب والكراسي ومثل تهيتة القطع من الخشب بصناعة الخراط يحكم برزها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقدرة وتلحم بالأسائر فتبدو لأي العين متحمة وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجئ أنق ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أي نوع كان وكذلك قد يحتاج إلى هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والهدس وهي أجرام هندسية صنعت على قالب الخوت واعتبار سنجيه في الماء بقوادمه وكله ليكون ذلك الشكل أعون



لَهَا فِي مُضَادَّةِ الْمَاءِ وَجُعِلَ لَهَا عَوْضُ الْحَرَكَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي لِلسَّمَكِ تَحْرِيكُ الرِّيحِ  
وَرُبَّمَا أُعِينَتْ بِحَرَكَةِ الْمَقَازِفِ كَمَا فِي الْأَسَاطِيلِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ أَصْلِهَا مُحْتَاجَةٌ  
إِلَى أَصْلٍ كَبِيرٍ مِنَ الِهَنْدَسَةِ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِهَا لِأَنَّ إِخْرَاجَ الصُّورِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ  
عَلَى وَجْهِ الْأَحْكَامِ مُحْتَاجٌ إِلَى مَعْرِفَةِ التَّنَاسُبِ فِي الْمَقَادِيرِ إِمَّا عُمُومًا أَوْ خُصُوصًا  
وَتَنَاسُبُ الْمَقَادِيرِ لَا يَدُ فِيهِ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى الِهَنْدَسِ وَلِهَذَا كَانَتْ أَيْمَةُ الِهَنْدَسَةِ  
الْيُونَانِيُّونَ كُلُّهُمْ أَيْمَةً فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَكَانَ أَوَقْلِيدُسُ صَاحِبُ كِتَابِ الْأُصُولِ فِي  
الِهَنْدَسَةِ نَجَّارًا وَبِهَا كَانَ يُعْرَفُ وَكَذَلِكَ أَبُولُونِيوسُ صَاحِبُ كِتَابِ الْخَزَوَطَاتِ وَمِيلَاوُسُ  
وغيرُهُمْ وَفِيمَا يُقَالُ أَنَّ مُعَلِّمَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي الْخَلِيقَةِ هُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِهَا أَنْشَأَ  
سَفِينَةَ النِّجَارَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا مُعْجَزَتُهُ عِنْدَ الطُّوفَانِ وَهَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ كَانَ مُمَكِّنًا أَغْنَى  
كَوْنَهُ نَجَّارًا إِلَّا أَنَّ كَوْنَهُ أَوَّلَ مَنْ عَلَّمَهَا أَوْ تَعَلَّمَهَا لَا يَقُومُ دَلِيلٌ مِنَ النُّقْلِ عَلَيْهِ لِغَدِ  
الْآمَادِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْإِشَارَةُ إِلَى قِدَمِ النِّجَارَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ حِكَايَةُ عَنْهَا  
قَبْلَ خَبَرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجُعِلَ كَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَعَلَّمَهَا فَتَفَهَّمُوا أَسْرَارَ الصَّنَائِعِ فِي  
الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل السابع والعشرون

في صناعة الحياكة والخياطة

هَاتَانِ الصَّنَاعَتَانِ ضَرُورَتَانِ فِي الْعُمُرَانِ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَشَرُ مِنَ الرِّفْعِ فَالْأُولَى  
تَنْسِجُ الْغَزْلَ مِنَ الصُّوفِ وَالصِّكَّتَانِ وَالْقُطُنِ إِسْدَاءً فِي الطُّولِ وَالْحَمَامَا فِي الْعَرْضِ  
لِذَلِكَ النَّسِجُ بِالْإِتِّحَامِ الشَّدِيدِ فَيَتِمُّ مِنْهَا قِطْعٌ مُقَدَّرَةٌ فَمِنْهَا الْأَكْسِيَّةُ مِنَ الصُّوفِ  
لِلْإِسْتِمَالِ وَمِنْهَا الثِّيَابُ مِنَ الْقُطُنِ وَالصِّكَّتَانِ لِلْيَاسِ وَالصَّنَاعَةُ الثَّانِيَّةُ لِتَقْدِيرِ الْمَنْسُوجَاتِ  
عَلَى اخْتِلَافِ الْأَشْكَالِ وَالْعَوَائِدِ تَفْصِيلُ بِالْمِقْرَاضِ قِطْعًا مُنَاسِبَةً لِلْأَعْضَاءِ الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ  
تُلْحَمُ تِلْكَ الْقِطْعُ بِالْخِيَاطَةِ الْمُحْكَمَةِ وَصَلًا أَوْ تَنْبِيْثًا أَوْ تَفْسِخًا عَلَى حَسَبِ نَوْعِ  
الصَّنَاعَةِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْعُمُرَانِ الْخَضِرِيِّ لِمَا أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ يَسْتَعْنُونَ عَنْهَا  
وَإِنَّمَا يَسْتَمْلُونَ الْأَثَوَابَ أَشْثَالًا وَإِنَّمَا تَفْصِيلُ الثِّيَابِ وَتَقْدِيرُهَا وَالْحَمَامَا بِالْخِيَاطَةِ  
لِلْيَاسِ مِنْ مَذَاهِبِ الْخِضَارَةِ وَفُتُونِهَا وَتَفْهَمُ هَذِهِ فِي سِرِّ تَحْرِيمِ الْمُخِيطِ فِي الْحَجِّ لِمَا  
أَنَّ مَشْرُوعِيَّةَ الْحَجِّ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَبَذِ الْعَلَائِقِ الدُّنْيَوِيَّةِ كُلِّهَا وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

كَمَا خَلَقْنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ حَتَّى لَا يُعْلِقَ الْعَبْدُ قَلْبَهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِهِ لَا طِيبًا وَلَا نِسَاءً  
وَلَا مَخِيطًا وَلَا خَنًا وَلَا يَتَعَرَّضُ لِصَيْدٍ وَلَا لَشَيْءٍ مِنْ عَوَائِدِهِ الَّتِي تَلَوَّنَتْ بِهَا نَفْسُهُ وَخَلَقَهُ  
مَعَ أَنَّهُ يَفْقَدُ مَا بِالْمَوْتِ ضَرُورَةٌ وَإِنَّمَا يَجِبُ كَأَنَّهُ وَارِدٌ إِلَى الْمَحْشَرِ ضَارِعًا بِقَلْبِهِ مُخْلِصًا  
لِرَبِّهِ وَكَانَ جَزَاؤُهُ إِنْ تَمَّ لَهُ إِخْلَاصُهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ  
سُبْحَانَكَ مَا أَرْفَقَكَ بِعِبَادِكَ وَأَرْحَمَكَ بِهِمْ فِي طَلَبِ هِدَايَتِهِمْ إِلَيْكَ . وَهَاتَانِ الصَّنَعَتَانِ  
قَدِيمَتَانِ فِي الْخَلْقَةِ لِمَا أَنَّ الدِّفَّ ضَرُورِيٌّ لِلْبَشَرِ فِي الْعُمُرَانِ الْمُعْتَدِلِ وَأَمَّا الْمُنْحَرِفُ  
إِلَى الْحَرِّ فَلَا يَحْتَاجُ أَهْلُهُ إِلَى دِفٍّ وَلِهَذَا يَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ مِنَ السُّودَانِ  
أَنَّهُمْ عُرَاةٌ فِي الْغَالِبِ وَلِقَدْ مِ هَذِهِ الصَّنَائِعُ يَنْسِبُهَا الْعَامَّةُ إِلَى أَدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَهُوَ أَقْدَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَرُبَّمَا يَنْسِبُونَهَا إِلَى هَرِمِسَ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ هَرِمِسَ هُوَ أَدْرِيسُ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ

### الفصل الثامن والعشرون

#### في صناعة التوليد

وَهِيَ صِنَاعَةٌ يُعْرَفُ بِهَا الْعَمَلُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَوْلُودِ الْأَدَمِيِّ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مِنَ  
الرِّفْقِ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ رَحِمِهَا وَتَهْيِئَةِ أَسْبَابِ ذَلِكَ ثُمَّ مَا يُصْلِحُهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ عَلَى مَا  
نَذَكُرُ وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالنِّسَاءِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ لِمَا أَنَّ الظَّاهِرَاتِ بَعْضُهُنَّ عَلَى عَوَرَاتِ  
بَعْضٍ وَتُسَمَّى الْقَائِمَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُنَّ الْقَابِلَةُ اسْتَعِيرَ فِيهَا مَعْنَى الْإِعْطَاءِ وَالْقَبُولِ  
كَأَنَّ النَّفْسَاءَ تُعْطِيهَا الْجَنِينَ وَكَأَنَهَا تُقْبَلُهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنِينَ إِذَا اسْتَكْمَلَ خَلْقَهُ  
فِي الرَّحِمِ وَأَطْوَارُهُ وَبَلَغَ إِلَى غَايَتِهِ وَالْمُدَّةُ الَّتِي قَدَرَهَا اللَّهُ لِمَكْنِهِ هِيَ تِسْعَةُ  
أَشْهُرٍ فِي الْغَالِبِ فَيَطْلُبُ الْخُرُوجَ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي الْمَوْلُودِ مِنَ الزُّوْعِ لِلذِّكِّ وَيَضِيقُ  
عَلَيْهِ الْمَنْفَذُ فَيَعْسُرُ وَرُبَّمَا مَزَّقَ بَعْضَ جَوَانِبِ الْفَرْجِ بِالضَّغْطِ وَرُبَّمَا انْقَطَعَ بَعْضُ  
مَا كَانَ مِنَ الْأَغْشِيَةِ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَالْإِلْتِحَامِ بِالرَّحِمِ وَهَذِهِ كُلُّهَا آلَامٌ يَشْتَدُّ  
بِهَا الْوَجَعُ وَهُوَ مَعْنَى الطَّلُقِ فَتَكُونُ الْقَابِلَةُ مُعِينَةً فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشَّيْءِ بِغَمَزِ الظَّهْرِ  
وَالْوَرَكَيْنِ وَمَا يُحَاذِي الرَّحِمَ مِنَ الْأَسَافِلِ تُسَاقُ بِذَلِكَ فِعْلُ الدَّافِعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْجَنِينَ  
وَتَسْهِيلِ مَا يَصْعُبُ مِنْهُ بِمَا يُمْكِنُهَا وَعَلَى مَا تَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَةِ عُسْرَةٍ ثُمَّ إِنْ أَخْرَجَ الْجَنِينَ  
بَقِيَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّحِمِ الْوَصْلَةُ حَيْثُ كَانَ يَتَغَدَّى مِنْهَا مُتَّصِلَةً مِنْ مِرَّتِهِ بِمَعَاهُ وَتِلْكَ



أَلْوَصْلَةُ عَضْوُهُ فَضْلِي لِتَغْذِيَةِ الْمَوْلُودِ خَاصَّةً فَتَقْطَعُهَا الْقَابِلَةُ مِنْ حَيْثُ لَا تَتَعَدَّى مَكَانَ  
 الْفَضْلَةِ وَلَا تُضِرُّ بِمَعَاةٍ وَلَا بِرَحِمِ أُمِّهِ ثُمَّ تَدْمِلُ مَكَانَ الْجِرَاحَةِ مِنْهُ بِالْصَّكِيِّ أَوْ بِمَا  
 تَرَاهُ مِنْ وُجُوهِ الْأَنْدِمَالِ ثُمَّ إِنَّ الْجَيْنَ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَتَفِدِ الْفَيْقِ وَهُوَ رَطْبُ  
 الْعِظَامِ سَهْلُ الْأَنْعِطَافِ وَالْإِنْشَاءِ فَرُبَّمَا تَتَغَيَّرُ أَشْكَالُ أَعْضَائِهِ وَأَوْضَاعُهَا اقْرَبُ  
 التَّكْوِينِ وَرُطُوبَةُ الْمَوَادِّ فَتَتَنَاوَلُهُ الْقَابِلَةُ بِالْعَمَزِ وَالْإِصْلَاحِ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عَضْوٍ إِلَى  
 شَكْلِهِ الطَّبِيعِيِّ وَوَضْعِهِ الْمَقْدَرِ لَهُ وَيَرْتَدُّ خَلْقُهُ سَوِيًّا ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تُرَاجِعُ النَّفْسَاءُ  
 وَتُحَازِيهَا بِالْعَمَزِ وَالْمَلَابِنَةِ لَخُرُوجِ أَغْشِيَةِ الْجَيْنِ لِأَنَّهَا رُبَّمَا تَتَأَخَّرُ عَنْ خُرُوجِهِ قَلِيلًا  
 وَيُخْشَى عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ تُرَاجِعَ الْمَاسِكَةَ حَالَهَا الطَّبِيعِيَّةَ قَبْلَ اكْتِمَالِ خُرُوجِ الْأَغْشِيَةِ  
 وَهِيَ فَضْلَاتٌ فَتَعْفَنُ وَيَسِيءُ عَقَبُهَا إِلَى الْآخِرِ فَتَقَعُ الْهَلَاكُ فَتُحَازِرُ الْقَابِلَةُ هَذَا وَتُحَاوِلُ  
 فِي إِعَانَةِ الدَّفْعِ إِلَى أَنْ تَخْرُجَ تِلْكَ الْأَغْشِيَةُ الَّتِي كَانَتْ قَدْ تَأَخَّرَتْ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى الْمَوْلُودِ  
 فَتَمْرُخُ أَعْضَاءَهُ بِالْأَدَهَانِ وَالذُّرُورَاتِ الْقَابِضَةِ لِتَشْدَهُ وَتُخَفِّفَ رُطُوبَاتِ الرَّحِمِ  
 وَتُخَفِّفَ لِرَفْعِ لَهَا تَهٍ وَتُسَعِّطَهُ لِاسْتِفْرَاحِ نُطُوفِ دِمَاغِهِ وَتُغْرِغُهُ بِاللُّعُوقِ لِدَفْعِ السَّدِّ  
 مِنْ مَعَاةٍ وَتَجْوِيفِهَا عَنِ الْإِلْتِصَاقِ ثُمَّ تَدَاوِي النَّفْسَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْوَهْنِ الَّذِي أَصَابَهَا  
 بِالطَّلَقِ وَمَا لِحَقِّ رَحِمِهَا مِنَ أَلَمِ الْإِنْفِصَالِ إِذِ الْمَوْلُودُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَضْوًا طَبِيعِيًّا فَحَالَةً  
 التَّكْوِينِ فِي الرَّحِمِ صِيرَتُهُ بِالْإِلْتِحَامِ كَالْعَضْوِ الْمُتَّصِلِ فَلِذَلِكَ كَانَ فِي انفصاله أَلَمٌ  
 يَقْرُبُ مِنْ أَلَمِ الْقَطْعِ وَتَدَاوِي مَعَ ذَلِكَ مَا يَلْحَقُ الْفَرْجَ مِنْ أَلَمٍ مِنْ جِرَاحَةِ التَّمْزِيقِ  
 عِنْدَ الضَّغْطِ فِي الْخُرُوجِ وَهَذِهِ كُلُّهَا أَدْوَاءُ نَجْدٍ هَؤُلَاءِ الْقَرَابِلُ أَبْصَرَ بِدَوَائِهَا وَكَذَلِكَ  
 مَا يَغْرُضُ لِلْمَوْلُودِ مَدَّةَ الرِّضَاعِ مِنْ أَدْوَاءٍ فِي بَدَنِهِ إِلَى حِينِ الْفِصَالِ فَنَجِدُهَا أَبْصَرَ بِهَا  
 مِنَ الطَّبِيبِ الْمَاهِرِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ بَدَنَ الْإِنْسَانِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِنَّمَا هُوَ بَدَنُ إِنْسَانِيٍّ  
 بِالْقُوَّةِ فَقَطْ فَإِذَا جَاوَزَ الْفِصَالَ صَارَ بَدَنًا إِنْسَانِيًّا بِالْفِئْلِ فَكَانَتْ حَاجَتُهُ حِينَئِذٍ إِلَى الطَّبِيبِ  
 أَشَدَّ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ كَمَا تَرَاهُ ضَرُورَةً فِي الْعُمَرَاءِ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ لَا يَتِمُّ كَوْنُ  
 أَشْخَاصِهِ فِي الْغَالِبِ دُونَهَا وَقَدْ يَغْرُضُ لِبَعْضِ أَشْخَاصِ النَّوْعِ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْ هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ إِمَّا بِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ لَهُمْ مُعْجَزَةٌ وَخَرَقًا لِلْعَادَةِ كَمَا فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتِ  
 اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ بِالْإِلْهَامِ وَهِدَايَةِ يَلَهُمْ لَهَا الْمَوْلُودُ وَيُفْطَرُ عَلَيْهَا فَيَتِمُّ وَجُودُهُمْ  
 مِنْ دُونِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَأَمَّا شَأْنُ الْمُعْجَزَةِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَقَعَ كَثِيرًا وَمِنْهُ مَا رَوِي أَنَّ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِدَ مَسْرُورًا مَخْتُونًا وَاضْعًا يَدِيهِ عَلَى الْأَرْضِ شَاخِصًا يَبْصُرُهُ  
إِلَى السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ شَأْنُ عَيْسَى فِي الْمَعْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَأَمَّا شَأْنُ الْإِلَهَامِ فَلَا يُنْكَرُ  
وَإِذَا كَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ الْعَجْمُ مُخْتَصَّ بِغَرَائِبِ الْإِلَهَامَاتِ كَالنَّحْلِ وَغَيْرِهَا فَمَا ظَنُّكَ  
بِالْإِنْسَانِ الْمَفْضَلِ عَلَيْهَا وَخُصُوصًا بِمَنْ اخْتَصَّ بِكَرَامَةِ اللَّهِ ثُمَّ الْإِلَهَامُ الْعَامُّ  
لِلْمَوْلُودِينَ فِي الْإِقْبَالِ عَلَى النَّدَى أَوْضَحُ شَاهِدٍ عَلَى وُجُودِ الْإِلَهَامِ الْعَامِّ لَهُمْ فَشَأْنُ  
الْعَنَاءِ الْإِلَهِيِّ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَحَاطَ بِهِ وَمِنْ هُنَا يُفْهَمُ بَطْلَانُ رَأْيِ الْفَارَابِيِّ وَحُكْمَاءُ  
الْأَنْدَلُسِ فِيمَا اخْتَجُّوا بِهِ لِعَدَمِ انْقِرَاضِ الْأَنْوَاعِ وَاسْتِحَالَةِ انْقِطَاعِ الْمَكُونَاتِ  
وَخُصُوصًا فِي النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ وَقَالُوا أَوْ انْقَطَعَتْ أَشْخَاصُهُ لَاسْتِحَالَ وَوُجُودُهَا بَعْدَ ذَلِكَ  
لِتَوْفُّقِهِ عَلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِهَا إِذْ لَوْ قَدَرْنَا مَوْلُودًا دُونَ  
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكَفَّالَتِهَا إِلَى حِينِ الْفَصَالِ لَمْ يَتِمَّ بَقَاؤُهُ أَصْلًا وَوُجُودُ الصَّنَائِعِ دُونَ  
الْفِكْرِ مُسْتَعْلَمٌ لِأَنَّهَا ثَمَرَتُهُ وَتَابِعَةٌ لَهُ وَتَكَلَّفَ ابْنُ سِينَا فِي الرَّدِّ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ لِمُخَالَفَتِهِ  
إِيَّاهُ وَذَهَابَهُ إِلَى إِمْكَانِ انْقِطَاعِ الْأَنْوَاعِ وَخَرَابِ عَالَمِ التَّكْوِينِ ثُمَّ عَوْدُهُ ثَانِيًا  
لِاِقْتِضَاءَاتِ فَلَاسِيَةٍ وَأَوْضَاعِ غَرِيبَةٍ تَنْدُرُ فِي الْأَحْقَابِ بِزَعْمِهِ فَتَقْضِي تَحْمِيرَ طِينَةٍ مُنَاسِبَةٍ  
لِمِزَاجِهِ بِحَرَارَةٍ مُنَاسِبَةٍ فَيَتِمُّ كَوْنُهُ إِنْسَانًا ثُمَّ يَقْبِضُ لَهُ حَيَوَانٌ يُخْلَقُ فِيهِ إِلَهَامًا لِتَرْبِيَتِهِ  
وَالْحَنُورِ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَجُودُهُ وَفَصَالُهُ وَأَطْنَبَ فِي بَيَانِ ذَلِكَ فِي الرِّسَالَةِ الَّتِي سَمَّاهَا  
رِسَالَةَ حَيٍّ بْنِ يَقْظَانَ وَهَذَا الْأَسْتِدْلَالُ غَيْرُ صَحِيحٍ وَإِنْ كُنَّا نُوَافِقُهُ عَلَى انْقِطَاعِ  
الْأَنْوَاعِ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ فَإِنَّ دَلِيلَهُ مَبْنِيٌّ عَلَى اسْتِنَادِ الْأَنْعَالِ إِلَى الْعِلَّةِ  
الْمُوجِبَةِ وَدَلِيلُ الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ يَرُدُّ عَلَيْهِ وَلَا وَاسِطَةَ عَلَى الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ  
بَيْنَ الْأَفْعَالِ وَالْقُدْرَةِ الْقَدِيمَةِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذَا الِتَّكَلُّفِ ثُمَّ لَوْ سَلَّمْنَاهُ جَدًّا لَفَافَةٍ  
مَا يَنْبَنِي عَلَيْهِ أَطْرَادُ وَجُودِ هَذَا الشَّخْصِ بِخَلْقِ الْإِلَهَامِ لِتَرْبِيَتِهِ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ وَمَا  
الْفَرُورَةُ الدَّاعِيَةُ لِذَلِكَ وَإِذَا كَانَ الْإِلَهَامُ يُخْلَقُ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ فَمَا الْمَانِعُ مِنْ  
خَلْقِهِ لِلْمَوْلُودِ نَفْسِهِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ أَوَّلًا وَخَلَقَ الْإِلَهَامُ فِي شَخْصٍ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ أَقْرَبُ مِنْ  
خَلْقِهِ فِيهِ لِمَصَالِحِ غَيْرِهِ فَكَلَّا الْمَذْهَبَيْنِ شَاهِدَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِالْبَطْلَانِ فِي مَنَاحِيهِمَا  
لِمَا قَرَّرْتَهُ لَكَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ



## الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والاممار دون البادية  
هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدتها فان ثمرتها حفظ الصحة  
الاصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداداة حتى يحصل لهم البرء من امراضهم واعلم  
ان اصل الامراض كلها انما هو من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث  
الجامع للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الداء اصل كل داء  
البردة فاما قوله المعدة بيت الداء فهو ظاهر واما قوله الحمية رأس الداء فالحمية  
الجوع وهو الاحتماء من الطعام والمعنى ان الجوع هو الدواء العظيم الذي هو اصل  
الادوية واما قوله اصل كل داء البردة فمعنى البردة إدخال الطعام على الطعام  
في المعدة قبل ان يتم هضم الاول وشرح هذا ان الله سبحانه خلق الانسان وحفظ  
حياته بالغذاء يستعمله بالاكل وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية الى ان يصير دما  
ملائما لأجزاء البدن من اللحم والعظم ثم تأخذ النامية فينقلب لحما وعظما ومعنى  
الهضم طبخ الغذاء بالحرارة الغريزية طورا بعد طور حتى يصير جزءا بالفعل من  
البدن وتفسيره ان الغذاء اذا حصل في الفم ولا كنهه الاشدق أثرت فيه حرارة  
الفم طبخا يسيرا وقابت مزاجه بعض الشيء كما تراه في اللقمة اذا تناولتها طعاما  
ثم أجدها مضغا فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة  
المعدة الى ان يصير كيموسا وهو صنف ذلك المطبوع وترسله الى الكبد وترسل  
ما رسب منه في المعى ثفلا ينفذ الى المخرجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك  
الكيموس الى ان يصير عيطا وتطفو عليه رغو من الطبخ هي الصفراء وترسب  
منه أجزاء يابسة هي السوداء ويقصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبخ الغليظ منه  
فهو البلغم ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول وتأخذها طبخ الحال  
الغريزي هناك فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني  
وتأخذ النامية مأخذا في الدم فيكون لحما ثم غليظه عظما ثم يرسل البدن ما  
يفضل عن حاجاته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب والمخاط والدغ هذه  
صورة الغذاء وخروجه من القوة الى الفعل لحما ثم ان اصل الامراض ومعظمها هي

الْحُمَيَّاتُ وَسَبَبُهَا أَنَّ الْحَارَّ الْغَرِيزِيَّ قَدْ يَضْعُفُ عَنْ تَمَامِ النَّضْجِ فِي طَبَخِهِ فِي كُلِّ طَوْرٍ  
 مِنْ هَذِهِ فَيَبْقَى ذَلِكَ الْغِذَاءُ دُونَ نَضْجِهِ وَسَبَبُهُ ظَالِمًا كَثْرَةُ الْغِذَاءِ فِي الْمِعْدَةِ حَتَّى  
 يَكُونُ أَغْلَبَ عَلَى الْحَارِّ الْغَرِيزِيَّ أَوْ إِدْخَالُ الطَّعَامِ إِلَى الْمِعْدَةِ قَبْلَ أَنْ تَسْتَوْفِيَ طَبَخُ  
 الْأَوَّلِ فَيَسْتَقِلُّ بِهِ الْحَارُّ الْغَرِيزِيُّ وَيُتْرَكُ الْأَوَّلُ بِحَالِهِ أَوْ يَتَوَزَّعُ عَلَيْهِمَا فَيَقْصُرُ عَنْ  
 تَمَامِ الطَّبَخِ وَالنَّضْجِ وَتُرْسِلُهُ الْمِعْدَةُ كَذَلِكَ إِلَى الْكَبِدِ فَلَا تَقْوَى حَرَارَةُ الْكَبِدِ  
 أَيْضًا عَلَى إِنْضَاجِهِ وَرُبَّمَا بَقِيَ فِي الْكَبِدِ مِنَ الْغِذَاءِ الْأَوَّلِ فَضْلَةٌ غَيْرُ نَاضِجَةٍ وَتُرْسَلُ  
 الْكَبِدُ جَمِيعَ ذَلِكَ إِلَى الْعُرُوقِ غَيْرِ نَاضِجٍ كَمَا هُوَ فَإِذَا أَخَذَ الْبَدَنُ حَاجَتَهُ الْمَلَأِيْمَةَ  
 أَرْسَلَهُ مَعَ الْفَصَلَاتِ الْأُخْرَى مِنَ الْعَرَقِ وَالْدَّمِ وَاللَّعَابِ إِنْ اقْتَدَرَ عَلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا  
 تَعَجَّرَ عَنِ الْكَبِدِ بَقِيَّةُ الْغِذَاءِ وَالْأَكْبَادُ وَالْأَمْرُؤَاتُ بِالنَّزَالِ فِي الْأَوَّلِ بِكُلِّ  
 ذِي رُطُوبَةٍ مِنَ الْمُتَمَزِّجَاتِ إِذَا لَمْ يَأْخُذْهُ الطَّبَخُ وَالنَّضْجُ يُعَفَّنُ فَيَتَعَفَّنُ ذَلِكَ الْغِذَاءُ  
 غَيْرُ النَّاضِجِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْخِلْطِ وَكُلُّ مُتَعَفَّنٍ فِيهِ حَرَارَةٌ غَرِيبَةٌ وَتِلْكَ هِيَ الْمُسَمَّاةُ فِي  
 بَدَنِ الْإِنْسَانِ بِالْحُمَى وَاخْتَبِرْ ذَلِكَ بِالطَّعَامِ إِذَا تَرَكْتَ حَتَّى يَتَعَفَّنَ وَفِي الزَّبَلِ إِذَا  
 تَعَفَّنَ أَيْضًا كَيْفَ تَبَعَثُ فِيهِ الْحَرَارَةُ وَتَأْخُذُ مَا خَذَهَا فَهَذَا مَعْنَى الْحُمَيَّاتِ فِي الْأَبْدَانِ  
 وَهِيَ رَأْسُ الْأَمْرَاضِ وَأَصْلُهُ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ وَهَذِهِ الْحُمَيَّاتُ عِلَاجُهَا يَقْطَعُ الْغِذَاءُ  
 عَنِ الْمَرِيضِ أَسَابِيعَ مَعْلُومَةٍ ثُمَّ يَتَنَاوَلُ الْأَغْذِيَّةَ الْمَلَأِيْمَةَ حَتَّى يَتِمَّ بَرُؤُهُ وَذَلِكَ فِي  
 حَالِ الصِّحَّةِ عِلَاجٌ فِي اتِّخَافِ مَنْ هَذَا الْمَرَضِ وَأَصْلُهُ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ يَكُونُ  
 ذَلِكَ الْعَفْنُ فِي عَضْوٍ مُخْصُوصٍ فَيَتَوَلَّدُ عَنْهُ مَرَضٌ فِي ذَلِكَ الْعَضْوِ وَيَحْدُثُ جِرَاحَاتٌ فِي  
 الْبَدَنِ إِمَّا فِي الْأَعْضَاءِ الرَّئِيسِيَّةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا وَقَدْ يَمْرُضُ الْعَضْوُ وَيَحْدُثُ عَنْهُ مَرَضٌ  
 الْقَوَى الْمَوْجُودَةُ لَهُ هَذِهِ كَأَنَّهَا جُدَاعُ الْأَمْرَاضِ وَأَصْلُهَا فِي الْغَالِبِ مِنَ الْأَغْذِيَّةِ وَهَذَا  
 كُلُّهُ مَرْفُوعٌ إِلَى الطَّيِّبِ وَوُقُوعُ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ فِي أَهْلِ الْخَضِرِ وَالْأَمْصَارِ أَكْثَرُ  
 لِجَنَابِ يَتَمَيَّنُ وَكَثْرَتِ مَا كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ مِنْ زَنْجٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَغْذِيَّةِ وَنَازِلِ  
 تَوَقُّفِهِمْ لِتَنَاوُلِهَا وَكَثِيرًا مَا يَخْلُطُونَ بِالْأَغْذِيَّةِ مِنَ التَّوَابِلِ وَالْبُقُولِ وَالْفَوَاكِهِ رَطْبًا وَيَابِسًا  
 فِي سَبِيلِ الْعِلَاجِ بِالطَّبَخِ وَلَا يَقْتَصِرُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى نَوْعٍ أَوْ أَنْوَاعٍ فَرُبَّمَا عَدَدْنَا فِي  
 الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مِنَ ألْوَانِ الطَّبَخِ أَرْبَعِينَ نَوْعًا مِنَ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ فَيَصِيرُ الْغِذَاءُ مُزَاجًا  
 غَرِيبًا وَرُبَّمَا يَكُونُ غَرِيبًا عَنْ مُلَاءَمَةِ الْبَدَنِ وَأَجْزَائِهِ ثُمَّ إِنَّ الْأَهْوِيَّةَ فِي الْأَمْصَارِ



تَفْسُدُ بِمُخَالَطَةِ الْأَشْجَرَةِ الْعَفْنَةِ مِنْ كَثَرَةِ الْفَضَلَاتِ وَالْأَهْوِيَةِ مُنْشِطَةً لِلْأَرْوَاحِ وَهَقْوِيَّةً  
بِنَشَاطِهَا الْأَثَرَ الْحَارَّ الْغَرِيزِيَّ فِي الْهَضْمِ ثُمَّ الرِّيَاضَةُ مَفْقُودَةٌ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ إِذْ هُمْ  
فِي الْغَالِبِ وَادْعُونَ سَاكِنُونَ لَا تَأْخُذُ مِنْهُمْ الرِّيَاضَةُ شَيْئًا وَلَا تُؤَثِّرُ فِيهِمْ أَثَرًا فَكَانَ  
وُقُوعُ الْأَمْرَاضِ كَثِيرًا فِي الْمُدُنِ وَالْأَمْصَارِ وَعَلَى قَدَرِ وَقُوعِهِ كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى هَذِهِ  
الصَّنَاعَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ فَمَا كَوَّلَهُمْ قَلِيلٌ فِي الْغَالِبِ وَالْجُوعُ أَغْلَبُ عَلَيْهِمْ لِقَلَّةِ الْحَبُوبِ  
حَتَّى صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ عَادَةً وَرُبَّمَا يُظَنُّ أَنَّهَا جَبِلَةٌ لِاسْتِمْرَارِهَا ثُمَّ الْأَدَمُ قَلِيلَةٌ لَهُمْ  
أَوْ مَفْقُودَةٌ بِالْجُمْلَةِ وَعِلَاجُ الطَّبَّخِ بِالتَّوَابِلِ وَالْفَوَاكِهِ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَى تَرْفِ الْخِصَارَةِ  
الَّذِينَ هُمْ بِمَعَزَلٍ عَنْهُ فَيَتَنَاوَلُونَ أَغْذِيَّتَهُمْ بَسِيطَةً بَعِيدَةً عَمَّا يُخَالِطُهَا وَيُقَرِّبُ مَزَاجَهَا  
مِنْ مَلَأَمَةِ الْبَدَنِ وَأَمَّا أَهْوِيَّتُهُمْ فَقَلِيلَةٌ الْعَفْنِ لِقَلَّةِ الرُّطُوبَاتِ وَالْعَفُونَاتِ إِنْ كَانُوا  
ظَوَاعِنَ ثُمَّ إِنْ الرِّيَاضَةُ مَوْجُودَةٌ فِيهِمْ لِكَثَرَةِ الْحَرَكَةِ فِي رَكْضِ الْخَيْلِ أَوْ الصَّيْدِ أَوْ  
طَلَبِ الْحَاجَاتِ لِمَهْنَةِ أَنْفُسِهِمْ فِي حَاجَاتِهِمْ فَيَحْسُنُ بِذَلِكَ كُلُّهُ الْهَضْمُ وَيَجُودُ وَيُقَقَّدُ  
إِذْ خَالَ الطَّعَامُ عَلَى الطَّعَامِ فَتَكُونُ أَمْرَجَتُهُمْ أَصْلَحَ وَأَبْعَدَ مِنَ الْأَمْرَاضِ فَتَقِلُّ حَاجَتُهُمْ  
إِلَى الطَّبِّ وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ الطَّبِيبُ فِي الْبَادِيَةِ بِوَجْهِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ إِذْ  
لَوْ أَحْتِيجَ إِلَيْهِ لَوُجِدَ لِأَنَّهُ يَكُونُ لَهُ بِذَلِكَ فِي الْبَدْوِ مَعَاشٌ يَدْعُوهُ إِلَى سُكْنَاهُ سُنَّةَ اللَّهِ  
فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا

### الفصل الثلاثون

فِي أَنَّ الْخَطَّ وَالْكِتَابَةَ مِنْ عِدَادِ الصَّنَائِعِ الْإِنْسَانِيَةِ  
وَهُوَ رُسُومٌ وَأَشْكَالٌ حَرْفِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى الْكَلِمَاتِ الْمَسْمُوعَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا فِي النَّفْسِ  
فَهُوَ ثَانِي رُتْبَةٍ مِنَ الدَّلَالَةِ اللَّغَوِيَّةِ وَهُوَ صِنَاعَةٌ شَرِيفَةٌ إِذْ الْكِتَابَةُ مِنْ خَوَاصِّ الْإِنْسَانِ  
الَّتِي يُمَيِّزُ بِهَا عَنِ الْحَيَوَانِ وَأَيْضًا فَهِيَ تُطْلَعُ عَلَى مَا فِي الضَّمَائِرِ وَتُنَادِي بِهَا الْأَغْرَاضُ  
إِلَى الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ فَتَقْضِي الْحَاجَاتِ وَقَدْ دَفَعَتْ مَوْتَهُ الْمُبَاشَرَةَ لَهَا وَيُطْلَعُ بِهَا عَلَى الْعُلُومِ  
وَالْمَعَارِفِ وَصُحُفِ الْأَوَّلِينَ وَمَا كَتَبُوهُ مِنْ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ فَهِيَ شَرِيفَةٌ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ  
وَالْمَنَافِعِ وَخُرُوجُهَا فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالتَّعْلِيمِ وَعَلَى قَدَرِ  
الْاجْتِمَاعِ وَالْعُمُرَانِ وَالتَّنَاقُغِي فِي الْكَمَالَاتِ وَالطَّلَبِ لِذَلِكَ تَكُونُ جُودَةُ الْخَطِّ فِي  
الْمَدِينَةِ إِذْ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا شَأْنُهَا وَأَنَّهَا نَائِبَةٌ لِلْعُمُرَانِ وَلِهَذَا

فَجِدْ أَكْثَرَ الْبَدْوِ أُمِّيِّينَ لَا يَكْتُبُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ وَمَنْ قَرَأَ مِنْهُمْ أَوْ كَتَبَ فَيَكُونُ  
خَطُّهُ قَاصِرًا أَوْ قَرَأَتْهُ غَيْرَ نَافِذَةٍ وَنَجِدُ تَعْلِيمَ الْخَطِّ فِي الْأَمْصَارِ الْخَارِجِ عُمُرَانِهَا عَنْ  
الْحَدِّ أَبْلَغَ وَأَحْسَنَ وَأَمْهَلَ طَرِيقًا لِاسْتِحْكَامِ الصَّنْعَةِ فِيهَا كَمَا يُخَكِّى لَنَا عَنْ مِصْرَ  
لِهَذَا الْعَهْدِ وَإِنْ بِهَا مُعَلِّمِينَ مُنْتَصِبِينَ لِتَعْلِيمِ الْخَطِّ يَقُومُونَ عَلَى التَّعَلُّمِ قَوَائِدَ وَأَحْكَامًا  
فِي وَضْعِ كُلِّ حَرْفٍ وَيَزِيدُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمُبَاشَرَةَ بِتَعْلِيمِ وَضْعِهِ فَتَعْتَضِدُ لَدَيْهِ رُتْبَةُ الْعِلْمِ  
وَالْحُسْنُ فِي التَّعْلِيمِ وَتَأْتِي مَلَكَتُهُ عَلَى أُمَّةٍ الْوُجُوهِ وَإِنَّمَا أَتَى هَذَا مِنْ كَمَالِ الصَّنَائِعِ  
وَوُفُورِهَا بِكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ وَانْتِسَاحِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ كَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ بِالْغَا مَبَالِغَهُ  
مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِثْقَانِ وَالْجُودَةِ فِي دَوْلَةِ التَّبَاعَةِ مَا بَلَغَتْ مِنَ الْحِضَارَةِ وَالْتَّرَفِ وَهُوَ  
الْمُسَمَّى بِالْخَطِّ الْحَمِيرِيِّ وَانْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى الْحَيْرَةِ لِمَا كَانَ بِهَا مِنْ دَوْلَةِ آلِ الْمُنْذِرِ  
نُسْبَاءِ التَّبَاعَةِ فِي الْعَصَبِيَّةِ وَالْعَجْدِيدِينَ لِمَالِكِ الْعَرَبِ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنِ الْخَطُّ عِنْدَهُمْ  
مِنَ الْإِجَادَةِ كَمَا كَانَ عِنْدَ التَّبَاعَةِ لِقُصُورِ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَكَانَتِ الْحِضَارَةُ وَتَوَابِعُهَا  
مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا قَاصِرَةً عَنْ ذَلِكَ وَمِنَ الْحَيْرَةِ لِقُنَّةِ أَهْلِ الطَّائِفِ وَقُرَيْشٍ فِيمَا ذُكِرَ  
وَيُقَالُ إِنَّ الَّذِي تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ مِنَ الْحَيْرَةِ هُوَ سَفِيَانُ بْنُ أُمَيَّةَ وَيُقَالُ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ  
وَأَخَذَهَا مِنْ أَسْلَمَ بْنِ سُدْرَةَ وَهُوَ قَوْلٌ مُمَكِّنٌ وَأَقْرَبُ مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ تَعَلَّمُوهَا  
مِنْ إِيَادَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِقَوْلِ شَاعِرِهِمْ

قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَدِيعًا وَالْخَطُّ وَالْقَلَمُ

وَهُوَ قَوْلٌ بَعِيدٌ لِأَنَّ إِيَادَ وَإِنْ نَزَلُوا سَاحَةَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يَزَالُوا عَلَى شَأْنِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ  
وَالْخَطِّ مِنَ الصَّنَائِعِ الْحَضَرِيَّةِ وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْخَطِّ وَالْقَلَمِ  
مِنَ الْعَرَبِ لِقُرْبِهِمْ مِنْ سَاحَةِ الْأَمْصَارِ وَضَوَاحِيهَا فَالْقَوْلُ بِأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ إِنَّمَا لَقْنُوهَا  
مِنَ الْحَيْرَةِ وَلَقْنُهَا الْحَيْرَةُ مِنَ التَّبَاعَةِ وَحَمِيرٌ هُوَ الْأَلِيقُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَكَانَ لِحَمِيرٍ كِتَابَةٌ  
نُسِىَ الْمُسْنَدَ حُرُوفُهَا مُنْفَصِلَةٌ وَكَانُوا يَمْتَنِعُونَ مِنْ تَعَلُّمِهَا إِلَّا بِأَذْنِهِمْ وَمِنْ حَمِيرٍ تَعَلَّمَتْ  
مِصْرُ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا جُدِيدِينَ لَهَا شَأْنِ الصَّنَائِعِ إِذَا وَقَعَتْ بِالْبَدْوِ  
فَلَا تَكُونُ مُحْكَمَةً الْمَذَاهِبِ وَلَا مَائِلَةً إِلَى الْإِثْقَانِ وَالتَّصْمِيقِ لِبُؤْنِ مَا يَبْتَغِ الْبَدْوُ  
وَالصَّنَاعَةَ وَاسْتَفْنَاءَ الْبَدْوِ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ وَكَانَتِ كِتَابَةُ الْعَرَبِ بَدْوِيَّةً مِثْلَ كِتَابَتِهِمْ أَوْ  
قَرِيبًا مِنْ كِتَابَتِهِمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَوْ نَقُولُ إِنَّ كِتَابَتَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَحْسَنُ صِنَاعَةٍ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ



أَقْرَبُ إِلَى الْخِضَارَةِ وَمُخَالَطَةِ الْأَمْصَارِ وَالْأُدُولِ وَأَمَّا مُضَرُّ فَكَانُوا أَعْرَقَ فِي الْبَدْوِ وَابْعَدَ  
عَنِ الْخَضِرِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ فَكَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ لِأَوَّلِ  
الْإِسْلَامِ غَيْرَ بَالِغٍ إِلَى الْغَايَةِ مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِثْقَانِ وَالْإِجَادَةِ وَلَا إِلَى التَّوَسُّطِ  
لَمَكَانِ الْعَرَبِ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالتَّوَحُّشِ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الصَّنَائِعِ وَانْظُرْ مَا وَتَعَ لِأَجْلِ ذَلِكَ  
فِي رُسُمِهِمُ الْمُصْحَفَ حَيْثُ رَسَمَهُ الصَّحَابَةُ بِخُطُوطِهِمْ وَكَانَتْ غَيْرَ مُسْتَحْكِمَةٍ فِي الْإِجَادَةِ  
فَخَالَفَ الْكَثِيرُ مِنْ رُسُومِهِمْ مَا اقْتَضَتْهُ رُسُومُ صِنَاعَةِ الْخَطِّ عِنْدَ أَهْلِهَا ثُمَّ اقْتَفَى التَّابِعُونَ  
مِنَ السَّلَفِ رُسُمَهُمْ فِيهَا تَبَرُّكَ كَمَا بِمَا رَسَمَهُ أَصْحَابُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَيْرُ  
الْخَلْقِ مِنْ بَعْدِهِ الْمُتَلَقُّونَ لَوْحِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ كَمَا يَقْتَضِي لِهَذَا الْعَهْدِ خَطُّ وَلِيٍّ  
أَوْ عَالِمٍ تَبَرُّكَ كَمَا وَيَتَّبِعُ رَسْمُهُ خَطًّا أَوْ صَوَابًا وَأَيْنَ نِسْبَةُ ذَلِكَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِيمَا كَتَبُوهُ  
فَاتَّبَعَ ذَلِكَ وَانْتَبَتَ رَسْمًا وَتَبَّهَ الْعُلَمَاءُ بِالرَّسْمِ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَلَا تَلْتَفَتْنَا فِي ذَلِكَ إِلَى مَا  
يَزْعَمُهُ بَعْضُ الْمُغَفَّلِينَ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُحْكِمِينَ لِصِنَاعَةِ الْخَطِّ وَأَنَّ مَا يَتَخِيلُ مِنْ  
مُخَالَفَةِ خُطُوطِهِمْ لِأَصُولِ الرَّسْمِ لَيْسَ كَمَا يَتَخِيلُ بَلْ لِكُلِّهَا وَجْهٌ يَقُولُونَ فِي مِثْلِ  
زِيَادَةِ الْأَلْفِ فِي لَا أَذْبَحُهُ إِنَّهُ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّبْحَ لَمْ يَقَعْ وَفِي زِيَادَةِ الْيَاءِ فِي بَايِدَ  
إِنَّهُ تَنْبِيهُ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَأَمثال ذلك مما لَا أَصْلَ لَهُ إِلَّا التَّحْكُمُ  
الْمَحْضُ وَمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا إِعْتِقَادُهُمْ أَنَّ فِي ذَلِكَ تَنْزِيهًا لِلصَّحَابَةِ عَنْ تَوْهُمِ  
النَّقْصِ فِي قِلَّةِ إِجَادَةِ الْخَطِّ وَحَسِبُوا أَنَّ الْخَطَّ كَمَالٌ فَزَهَرُوا عَنْ نَقْصِهِ وَتَسَبَّوْا إِلَيْهِمْ  
الْكَمَالَ بِإِجَادَتِهِ وَطَلَبُوا تَعْلِيلَ مَا خَالَفَ الْإِجَادَةَ مِنْ رُسُمِهِ وَذَلِكَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَطَّ لَيْسَ بِكَمَالٍ فِي حَقِّهِمْ إِذِ الْخَطُّ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ الْمَدَنِيَّةِ الْمَعَاشِيَّةِ  
كَمَا رَأَيْتُهُ فِيمَا مَرَّ وَالْكَمَالُ فِي الصَّنَائِعِ إِضَافِي بِكَمَالٍ مُطْلَقٍ إِذْ لَا يَعُودُ نَقْصُهُ عَلَى  
الذَّاتِ فِي الدِّينِ وَلَا فِي الْخِلَالِ وَإِنَّمَا يَعُودُ عَلَى أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَبِحَسَبِ الْعُمُرَانِ وَالْتِمَاعِ  
عَلَيْهِ لِأَجْلِ دَلَالَتِهِ عَلَى مَا فِي النُّفُوسِ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيًّا وَكَانَ  
ذَلِكَ كَمَالًا فِي حَقِّهِ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَامِهِ لِشَرَفِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ  
أَسْبَابُ الْمَعَاشِ وَالْعُمُرَانِ كُلُّهَا وَلَيْسَتْ الْأُمِّيَّةُ كَمَالًا فِي حَقِّهَا نَحْنُ إِذْ هُوَ مُنْقَطِعٌ إِلَى  
رَبِّهِ وَنَحْنُ مُتَعَاوِنُونَ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا شَأْنَ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا حَتَّى الْعُلُومُ الْأَصْطِلَاحِيَّةُ فَإِنَّ  
الْكَمَالَ فِي حَقِّهِ هُوَ تَنْزِيهُهُ عَنْهَا جُمْلَةً بِمُخَالَفَتِنَا ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْمَلِكُ لِلْعَرَبِ وَفَتَحُوا

الْأَمْسَارَ وَمَلَكَوا أَلْأَمْالِكَ وَنَزَلُوا الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَاحْتَاجَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى الْكِتَابَةِ  
 اسْتَعْمَلُوا الْخَطَّ وَطَلَبُوا صِنَاعَتَهُ وَتَعَلَّمَهُ وَتَدَاوَلُوهُ فَتَرَقَّتِ الْإِجَادَةُ فِيهِ وَاسْتَحْكَمَ وَبَاقُ  
 فِي الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ رُتَبَةً مِنْ الْإِثْقَانِ إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ دُونَ الْغَايَةِ وَالْخَطُّ الْكُوفِيُّ  
 مَعْرُوفُ الرَّسْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ ثُمَّ انْتَشَرَ الْعَرَبُ فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَمْالِكِ وَافْتَتَحُوا أَفْرِيقِيَّةَ  
 وَالْأَنْدَلُسَ وَاخْتَطَّ بَنُو الْعَبَّاسِ بَغْدَادَ وَتَرَقَّتِ الْخُطُوطُ فِيهَا إِلَى الْغَايَةِ لَمَّا اسْتَبْجَرَتْ فِي  
 الْعُمُرَانِ وَكَانَتْ دَارَ الْإِسْلَامِ وَمَرْكَزَ الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَكَانَ الْخَطُّ الْبَغْدَادِيُّ مَعْرُوفَ  
 الرَّسْمِ وَتَبِعَهُ الْإِفْرِيقِيُّ الْمَعْرُوفُ وَرَسْمُهُ الْقَدِيمُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَيَقْرُبُ مِنْ أَوْضَاعِ الْخَطِّ  
 الْمَشْرِقِيِّ وَتَحِيَّزُ مَلِكِ الْأَنْدَلُسِ بِالْأُمَوِيِّينَ فَتَمَيَّزُوا بِأَحْوَالِهِمْ مِنَ الْحِضَارَةِ وَالصَّنَائِعِ  
 وَالْخُطُوطِ فَتَمَيَّزَ صِنْفُ خُطِّهِمُ الْأَنْدَلُسِيُّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفُ الرَّسْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَطَعْمًا بِحَرِّ  
 الْعُمُرَانِ وَالْحِضَارَةِ فِي الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّ قُطْرٍ وَعَظَمَ الْمَلِكُ وَتَفَقَّتْ أَسْوَاقُ  
 الْعُلُومِ وَانْتَسَخَتْ الْكُتُبُ وَأُجِيدَ كِتَابُهَا وَتَجَلِيدُهَا وَمِلَّتْ بِهَا الْقُصُورُ وَالْخَزَائِنُ  
 الْمُلُوكِيَّةُ بِمَا لَا كِفَاءَ لَهُ وَتَنَافَسَ أَهْلُ الْأَقْطَارِ فِي ذَلِكَ وَتَنَافَعُوا فِيهِ ثُمَّ لَمَّا انْحَلَّ نِظَامُ  
 الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَنَاقَصَتْ تَنَاقَصَ ذَلِكَ أَجْمَعُ وَدُرِسَتْ مَعَالِمُ بَغْدَادَ بِدُرُوسِ الْخِلَافَةِ  
 فَأَنْتَقَلَ شَأْنُهَا مِنَ الْخَطِّ وَالْكِتَابَةِ بَلْ وَلِلْعِلْمِ إِلَى مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ فَلَمْ تَزَلْ أَسْوَاقُهَا بِهَا  
 نَافِقَةً لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَهُ بِهَا مُعَلِّمُونَ يَرَسُمُونَ لِتَعَالِيمِ الْحُرُوفِ بِقَوَانِينِ فِي وَضْعِهَا وَأَشْكَالِهَا  
 مُتَعَارِفَةً بَيْنَهُمْ فَلَا يَلْبَثُ الْمُتَعَلِّمُ أَوْ يُعَلِّمُ أَشْكَالَ تِلْكَ الْحُرُوفِ عَلَى تِلْكَ الْأَوْضَاعِ  
 وَقَدْ لَقِّنَهَا حَسَنًا وَحَدِّقَ فِيهَا دُرَبَةً وَكِتَابًا وَأَخَذَهَا قَوَانِينُ عِلْمِيَّةٌ فَتَجَيَّأُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ  
 وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَأَقْتَرَفُوا فِي الْأَقْطَارِ عِنْدَ تِلَاشِي مَلِكِ الْعَرَبِ بِهَا وَمَنْ خَلَفَهُمْ مِنْ  
 الْبَرَبِرِ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمْ أُمَمُ النُّصْرَانِيَّةِ فَانْتَشَرُوا فِي عُدُوَّةِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ مِنْ لَدُنِ  
 الدَّوْلَةِ اللَّحْتُونِيَّةِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَشَارَكُوا أَهْلَ الْعُمُرَانِ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الصَّنَائِعِ وَتَعَلَّقُوا  
 بِأَذْيَالِ الدَّوْلَةِ فَغَلَبَ خُطُّهُمْ عَلَى الْخَطِّ الْإِفْرِيقِيِّ وَعَفَى عَلَيْهِ وَنُسِيَ خُطُّ الْقَيْرَوَانِ  
 وَالْمَهْدِيَّةِ بِنِسْيَانِ عَوَائِدِهِمَا وَصَنَائِعِهِمَا وَصَارَتْ خُطُوطُ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ كُلِّهَا عَلَى الرَّسْمِ  
 الْأَنْدَلُسِيِّ بِنُوسٍ وَمَا إِلَيْهَا لِتَوَفُّرِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِهَا عِنْدَ الْجَالِيَةِ مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ  
 وَبَقِيَ مِنْهُ رَسْمٌ بِبِلَادِ الْجَرِيدِ الَّذِينَ لَمْ يُخَالِطُوا كُتَابَ الْأَنْدَلُسِ وَلَا تَمَرَّسُوا بِجَوَارِهِمْ  
 إِنَّمَا كَانُوا يَغْدُونَ عَلَى دَارِ الْمَلِكِ بِنُوسٍ فَصَارَ خُطُّ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ مِنْ أَحْسَنِ خُطُوطِ



أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ حَتَّى إِذَا تَقَلَّصَ ظِلُّ الدَّوْلَةِ الْمُوَحَّدِيَّةِ بَعْضَ الشَّيْءِ وَتَرَاجَعَ أَمْرُ الْحِضَارَةِ  
وَالْتَرَفَ بِتَرَاجُعِ الْعُمَرَانِ نَقَصَ حِينَئِذٍ حَالُ الْخَطِّ وَفَسَدَتْ رُسُومُهُ وَجُهْلَ فِيهِ وَجَهْدُ  
التَّعْلِيمِ بِفَسَادِ الْحِضَارَةِ وَتَنَاقُصِ الْعُمَرَانِ وَبَقِيَ فِيهِ آثَارُ الْخَطِّ الْأَنْدَلُسِيِّ تَشْهَدُ بِمَا  
كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الصَّنَائِعَ إِذَا رَسَخَتْ بِالْحِضَارَةِ فَيَعْسُرُ نَحْوُهَا  
وَحَصَلَ فِي دَوْلَةِ بَنِي مُرَيْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى لَوْنٌ مِنَ الْخَطِّ الْأَنْدَلُسِيِّ  
لِقُرْبِ جَوَارِهِمْ وَسُقُوطِ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ إِلَى فَارِسَ قَرِيبًا وَاسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُمْ سَائِرَ  
الدَّوْلَةِ وَنُسِيَ عَهْدُ الْخَطِّ فِيهَا بَعْدَ عَنْ سِدَّةِ الْمُلْكِ وَدَارِهِ كَأَنَّهُ لَمْ يُعْرِفْ فَصَارَتْ الْخُطُوطُ  
بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِيِّينَ مَائِلَةً إِلَى الرَّدَاءَةِ بَعِيدَةً عَنِ الْجُودَةِ وَصَارَتْ الْكُتُبُ إِذَا  
أَنْتَسَخَتْ فَلَا فَائِدَةَ تَحْصُلُ لِمُتَصَفِّحِهَا مِنْهَا إِلَّا الْغَنَاءُ وَالْمَشَقَّةُ كَثَرَتْ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ  
الْفَسَادِ وَالْإِسْخَافِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْكَالِ الْخَطِيَّةِ عَنِ الْجُودَةِ حَتَّى لَا تَكَادُ تُقْرَأُ إِلَّا بَعْدَ  
عُسْرِ وَوَقَعُ فِيهِ مَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ بِنَقْصِ الْحِضَارَةِ وَفَسَادِ الدُّوَلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الحادي والثلاثون

#### في صناعة الوراقة

كَانَتْ الْعِنَايَةُ قَدِيمًا بِالدُّوَاوِينِ الْعِلْمِيَّةِ وَالسِّجَلَاتِ فِي نَسْخِهَا وَتَجْلِيدِهَا وَتَضْمِينِهَا  
بِالْزَّوَايَةِ وَالضَّبْطِ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنْ ضَخَامَةِ الدَّوْلَةِ وَتَوَابِعِ الْحِضَارَةِ وَقَدْ ذَهَبَ  
ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِذَهَابِ الدَّوْلَةِ وَتَنَاقُصِ الْعُمَرَانِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْهُ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
بَحْرٌ زَاخِرٌ بِالْعِرَاقِ وَالْأَنْدَلُسِ إِذْ هُوَ كُلُّهُ مِنْ تَوَابِعِ الْعُمَرَانِ وَاتِّسَاعِ نِطَاقِ الدَّوْلَةِ  
وَتَفَاقِ أَسْوَاقِ ذَلِكَ لَدَيْهِمَا فَكَثُرَتْ التَّالِيفُ الْعِلْمِيَّةُ وَالِدُّوَاوِينُ وَحَرِصَ النَّاسُ عَلَى  
تَنَاقُلِهَا فِي الْأَفَاقِ وَالْأَعْصَارِ فَأَنْتَسَخَتْ وَجُلِدَتْ وَجَاءَتْ صِنَاعَةُ الْوَرَّاقِينَ الْمُعَانِينَ  
لِلْإِنْتِسَاخِ وَالتَّضْمِينِ وَالتَّجْلِيدِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْكُتُبِيَّةِ وَالِدُّوَاوِينِ وَأَخْتَصَّتْ بِالْأَمْصَارِ  
الْعَظِيمَةِ الْعُمَرَانِ وَكَانَتْ السِّجَلَاتُ أَوَّلًا لِإِنْتِسَاخِ الْعُلُومِ وَكُتُبِ الرِّسَالِ السُّلْطَانِيَّةِ  
وَالْإِفْطَاعَاتِ وَالصُّكُوكِ فِي الرُّقُوقِ الْمُهَيَّأَةِ بِالصِّنَاعَةِ مِنَ الْجِلْدِ لِكَثَرَةِ الرِّفْقِ وَقِلَّةِ  
الرِّسَالِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالصُّكُوكِ مَعَ ذَلِكَ فَاقْتَصَرُوا عَلَى الْكِتَابِ فِي الرِّقِّ تَشْرِيفًا  
لِلْمَكْتُوباتِ وَمِثْلًا بِهَا إِلَى الصِّحَّةِ وَالْإِثْقَانِ ثُمَّ طَمَحَ بَحْرُ التَّالِيفِ وَالتَّدْوِينِ وَكَثُرَ  
تَرْسِيلُ السُّلْطَانِ وَصُكُوكُهُ وَضَاقَ الرِّقُّ عَنْ ذَلِكَ فَأَشَارَ الْفَضْلُ بْنُ بَيْحَى بِصِنَاعَةِ

الكاغِدِ وَصَنَعَهُ وَكَتَبَ فِيهِ رَسَائِلَ السُّلْطَانِ وَصُكُوكَهُ وَاتَّخَذَهُ النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ  
 صُحُفًا لِمَكْتُوبَاتِهِمُ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَبَلَغَتْ الْإِجَادَةُ فِي صِنَاعَتِهِ مَا شَاءَتْ ثُمَّ وَقَفَتْ  
 عَنَابَةُ أَهْلِ الْعُلُومِ وَهُمْ أَهْلُ الدُّوَلِ عَلَى ضَبْطِ الدَّوَاوِينِ الْعِلْمِيَّةِ وَتَصْحِيحِهَا بِالرَّوَايَةِ  
 الْمُسْنَدَةِ إِلَى مُؤَلِّفِهَا وَوَضَعِهَا لِأَنَّهُ الشَّأْنُ الْأَمُّ مِنَ التَّصْحِيحِ وَالضَّبْطِ فَبِذَلِكَ تُسَنَدُ  
 الْأَقْوَالُ إِلَى قَائِلِهَا وَالْفُتَيَّا إِلَى الْحَاكِمِ بِهَا الْمُجْتَهِدِ فِي طَرِيقِ اسْتِنْبَاطِهَا وَمَا لَمْ يَكُنْ  
 تَصْحِيحُ الْمُتُونِ بِإِسْنَادِهَا إِلَى مَدُونِهَا فَلَا يَصِحُّ إِسْنَادُ قَوْلِ لَهُمْ وَلَا فُتَيَّا وَهَكَذَا كَانَ  
 شَأْنُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَحَمَلَتِهِ فِي الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ وَالْآفَاقِ حَتَّى لَقَدْ قُصِرَتْ فَائِدَةُ الصَّنَاعَةِ  
 الْحَدِيثِيَّةِ فِي الرَّوَايَةِ عَلَى هَذِهِ فَقَطْ إِذْ تَمَرَّتْهَا الْكِبَرَى مِنْ مَعْرِفَةِ تَصْحِيحِ الْأَحَادِيثِ  
 وَحُسْنِهَا وَمُسْنَدِهَا وَمُرْسَلِهَا وَمَقْطُوعِهَا وَمَوْقُوفِهَا مِنْ مَوْضُوعِهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَتَخَفَّتْ زُبْدَةٌ  
 فِي ذَلِكَ الْأُمَمَاتِ الْمُتَلَقَّاتُ بِالْقَبُولِ عِنْدَ الْأُمَّةِ وَصَارَ الْقَصْدُ إِلَى ذَلِكَ لَغْوًا مِنَ الْعَمَلِ  
 وَلَمْ تَبْقَ ثَمَرَةُ الرَّوَايَةِ وَالِاشْتَغَالِ بِهَا إِلَّا فِي تَصْحِيحِ تِلْكَ الْأُمَمَاتِ الْحَدِيثِيَّةِ وَسِوَاهَا  
 مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ لِلْفُتَيَّا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّوَاوِينِ وَالتَّالِيفِ الْعِلْمِيَّةِ وَاتِّصَالِ سَنَدِهَا  
 بِمُؤَلِّفِهَا لِیَصِحَّ النُّقْلُ عَنْهُمْ وَالْإِسْنَادُ إِلَيْهِمْ وَكَانَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ  
 مَعْبَدَةَ الطَّرِيقِ وَاضِحَةً الْمَسَالِكِ وَلِهَذَا نَجَدُ الدَّوَاوِينَ الْمُنْتَسِخَةَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ فِي أَقْطَارِهِمْ  
 عَلَى غَايَةِ مِنَ الْإِثْقَانِ وَالْإِحْكَامِ وَالصِّحَّةِ وَمِنْهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَيْدِي النَّاسِ فِي الْعَالَمِ  
 أَصُولٌ عَتِيقَةٌ تَشْهَدُ بِبُلُوغِ الْغَايَةِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَهْلُ الْآفَاقِ يَتَنَاقَلُونَهَا إِلَى الْآنَ  
 وَيَشْدُونَ عَلَيْهَا يَدَ الضَّنَانَةِ وَلَقَدْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ لِهَذَا الْعَهْدِ جُمْلَةً بِالْمَغْرِبِ وَأَهْلِهِ  
 لَا تَقْطَاعَ صِنَاعَةِ الْخَطِّ وَالضَّبْطِ وَالرَّوَايَةِ مِنْهُ بِانْتِقَاصِ عُمُرَانِهِ وَبِدَاوَةِ أَهْلِهِ وَصَارَتْ  
 الْأُمَمَاتُ وَالِدَّوَاوِينَ تُنْسَخُ بِالْخُطُوطِ الْيَدَوِيَّةِ تُنْسَخُهَا طَلَبَةُ الْبَرَبْرِ صَحَائِفَ مُسْتَعْجِمَةٍ بِرَدَاءَةِ  
 الْخَطِّ وَكَثْرَةِ الْفَسَادِ وَالتَّصْحِيفِ فَتَسْتَغْلِقُ عَلَى مُتَصَفِّحِهَا وَلَا يَحْصُلُ مِنْهَا فَائِدَةٌ إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
 النَّادِرِ وَأَيْضًا فَقَدْ دَخَلَ الْخَلَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْفُتَيَّا فَإِنَّ غَالِبَ الْأَقْوَالِ الْمَعْرُوءَةِ غَيْرُ مَرْوِيَةٍ  
 عَنْ أَيْمَةِ الْمَذْهَبِ وَإِنَّمَا تُتَلَقَّى مِنْ تِلْكَ الدَّوَاوِينِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَتَبَعَ ذَلِكَ أَيْضًا مَا  
 يَتَصَدَّى إِلَيْهِ بَعْضُ أَيْمَتِهِمْ مِنَ التَّالِيفِ الْقَلِيلِ بِصَرِّهِمْ بِصِنَاعَتِهِ وَعَدَمِ الصَّنَائِعِ الْوَافِيَةِ  
 بِمِقَاصِدِهِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذَا الرِّسْمِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَّا اثَّارَةٌ خَفِيَّةٌ بِالْإِمْحَاءِ وَهِيَ الْإِضْغِلَالُ  
 فَقَدْ كَادَ الْعِلْمُ يَنْقَطِعُ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَبَلَّغْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ



أَنَّ صِنَاعَةَ الرَّوَايَةِ قَائِمَةٌ بِالْمَشْرِقِ وَتَضَحِيحُ الدَّوَاوِينِ لِمَنْ يَرُومُهُ بِذَلِكَ سَهْلٌ عَلَى  
مُتَبَغِّهِ لِنِغَاقِ أَسْوَاقِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ كَمَا نَذَكُرُهُ بَعْدُ إِلَّا أَنَّ الْخَطَّ الَّذِي بَقِيَ مِنَ  
الْإِجَادَةِ فِي الْإِنْتِسَاخِ هُنَاكَ إِنَّمَا هُوَ لِلْعَجَمِ وَفِي خُطُوطِهِمْ وَأَمَّا النَّسْخُ بِمِصْرَ فَقَسَدَ  
كَمَا فَسَدَ بِالْمَغْرِبِ وَأَسَدَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثاني والثلاثون

في صناعة الغناء

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ هِيَ تَلْحِينُ الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ بِتَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ عَلَى نِسَبٍ مُنْتَظِمَةٍ  
مَعْرُوفَةٍ يُوقَعُ كُلُّ صَوْتٍ مِنْهَا تَوْقِيعًا عِنْدَ قَطْعِهِ فَيَكُونُ نَغْمَةً ثُمَّ تَوَافُتُ تِلْكَ النِّغْمُ بَعْضُهَا  
إِلَى بَعْضٍ عَلَى نِسَبٍ مُتَعَارِفَةٍ فَيَلْتَمِزُ سَمَاعُهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ التَّنَاسُبِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنْ  
الْكَيْفِيَّةِ فِي تِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي عِلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ أَنَّ الْأَصْوَاتَ لَتَنَاسُبُ  
فَيَكُونُ صَوْتٌ نِصْفِ صَوْتٍ وَرُبْعِ آخَرَ وَخُمْسِ آخَرَ وَجُزْءٍ مِنْ أَحَدِ عَشَرَ مِنْ آخَرَ  
وَاخْتِلَافُ هَذِهِ النِّسَبِ عِنْدَ تَأْدِيَتِهَا إِلَى السَّمْعِ بِخُرُوجِهَا مِنَ الْبَسَاطَةِ إِلَى التَّرْكِيبِ  
وَلَيْسَ كُلُّ تَرْكِيبٍ مِنْهَا مَلْدُودًا عِنْدَ السَّمْعِ بَلْ لِلْمَلْدُودِ تَرْكِيبٌ خَاصَّةٌ وَهِيَ الَّتِي حَصَرَهَا  
أَهْلُ عِلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ وَتَكَلَّمُوا عَلَيْهَا كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي مَوْضِعِهِ وَقَدْ يُسَاقُ ذَلِكَ التَّلْحِينُ  
فِي النِّغَمَاتِ الْغِنَائِيَّةِ بِتَقْطِيعِ أَصْوَاتٍ أُخْرَى مِنَ الْجَمْعَادَاتِ إِمَّا بِالْقَرَعِ أَوْ بِالنَّفْخِ فِي  
الْآلَاتِ لَتَتَّخِذَ لَذَلِكَ قَتَرِي لَهَا لَذَّةٌ عِنْدَ السَّمْعِ فَمِنْهَا إِيذَا الْعَهْدُ أَصْنَفٌ مِنْهَا مَا يُسَمُّونَهُ  
الشَّبَابَةَ وَهِيَ قِصْبَةٌ جَوْفَاءٌ بِأَبْخَاشٍ فِي جَوَانِبِهَا مَعْدُودَةٌ يُنْفَخُ فِيهَا فَتُصَوِّتُ فَيَخْرُجُ الصَّوْتُ  
مِنْ جَوْفِهَا عَلَى سِدَادِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَبْخَاشِ وَيَقْطَعُ الصَّوْتُ بِوَضْعِ الْأَصَابِعِ مِنَ الْيَدَيْنِ  
جَمِيعًا عَلَى تِلْكَ الْأَبْخَاشِ وَضَعًا مُتَعَارِفًا حَتَّى تَحْدُثَ النِّسَبُ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ فِيهِ وَتَتَّصِلَ  
كَذَلِكَ مُتَنَاسِبَةً فَيَلْتَمِزُ السَّمْعُ بِإِذْرَاكِهَا لِلتَّنَاسُبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ جِنْسِ هَذِهِ  
الْآلَةِ الْمِزْمَارُ الَّذِي يُسَمَّى الزِّلَامِيَّ وَهُوَ شَكْلُ الْقِصْبَةِ مَنُحَوَّةٌ الْجَانِبَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ  
جَوْفَاءٌ مِنْ غَيْرِ تَدْوِيرٍ لِأَجْلِ اتِّتِلَافِهَا مِنْ قِطْعَتَيْنِ مُنْفَرِدَتَيْنِ كَذَلِكَ بِأَبْخَاشٍ مَعْدُودَةٍ  
يُنْفَخُ فِيهَا بِقِصْبَةٍ صَغِيرَةٍ تُوصَلُ فَيَنْفِذُ النَّفْخُ بِوَاسِطَتِهَا إِلَيْهَا وَتُصَوِّتُ بِنَغْمَةٍ حَادَّةٍ يُجْرِي  
فِيهَا مِنْ تَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ مِنْ تِلْكَ الْأَبْخَاشِ بِالْأَصَابِعِ مِثْلَ مَا يَجْرِي فِي الشَّبَابَةِ  
وَمِنْ أَحْسَنِ آلَاتِ الزَّمْرِ إِيذَا الْعَهْدِ الْبُوقُ وَهُوَ بُوقٌ مِنْ نَحَاسٍ أَجْوَفٌ فِي مِقْدَارِ

الذراع يتسع إلى أن يكون انقراج مخرجه في مقدار دون الكفت في شكل بري  
القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدي الريح من القم إليه فيخرج الصوت ثخيناً دويّاً  
وفيه انجاش أيضاً معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالأصابع على الناسب فيكون  
ملذوداً ومنها آلات الأوتار وهي جوفاء كلها إما على شكل قطعة من الكرة مثل  
المربط والرباب أو على شكل مربع كالقانون توضع الأوتار على بساطها مشدودة  
في رأسها إلى دسر جائلة ليأتي شد الأوتار ورخوها عند الحاجة إليه بإدارتها ثم  
تقرع الأوتار إما بعود آخر أو بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد أن  
يطل بالسمع والكندر ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في إزاريه أو نقله من  
وتر إلى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الأوتار توقع بأصابعها على  
أطراف الأوتار فيما يقرع أو يحك بالوتر فتحدث الأصوات متناسبة ملذودة  
وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان أو في الأعواد بعضها ببعض على توقيع مناسب  
يحدث عنه التذاذ بالمسموع وتبين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء وذلك أن  
اللذة كما تقرر في موضعه هي إدراك الملائم والتحسوس إنما تدرك منه كيفية  
فإذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت ملذودة وإذا كانت منافية له منافية  
كانت مؤلمة فالملائم من الطعام ما ناسبت كفيته حاسة الذوق في مزاجها وكذا  
الملائم من الملموسات وفي الروائح ما ناسب مزاج الروح القلبي البخاري لأنه  
المدرك وإليه تؤدي الحاسة ولهذا كانت الرياحين والأزهار العطريات أحسن  
رائحة وأشد ملاءمة للروح لغلبة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح القلبي وأما  
المرئيات والمسموعات فالملائم فيها تناسب الأوضاع في أشكالها وكيفياتها فهو  
أنسب عند النفس وأشد ملاءمة لها فإذا كان المرئي متناسباً في شكله وتخطيطه  
التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة  
والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حينئذ مناسباً  
للنفس المدركة فتلك إدراك ملائم ولهذا تجد العاشقين المستهترين في المحبة  
يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج أزواجهم بروح المحبوب وفي هذا سر  
تفهمه إن كنت من أهله وهو اتحاد المبدأ وإن كان ما سواك إذا نظرتة وتأملتة



رَأَيْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ اتِّحَادًا فِي الْبِدَاءِ يَشْهَدُ لَكَ بِهِ اتِّحَادُ كُفَا فِي الْكُفُونِ وَمَعْنَاهُ مِنْ  
وَجْهِ آخَرَ أَنَّ الْوُجُودَ يَشْرِكُ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ كَمَا تَقُولُهُ الْحُكْمَاءُ فَتَوَدُّ أَنْ يَنْزِجَ  
بِمِشَاهِدَاتٍ فِيهِ الْكَمَالَ لِتَتَّحِدَ بِهِ بَلْ تَرْوِمُ النَّفْسُ حِينَئِذٍ الْخُرُوجَ عَنِ الْوُجْهِ إِلَى  
الْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ اتِّحَادُ الْمَبْدَأِ وَالْكَوْنِ وَلَمَّا كَانَ النَّسَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْإِنْسَانِ وَأَقْرَبُهَا  
إِلَى أَنْ يُدْرِكَ الْكَمَالَ فِي تَنَاسُبِ مَوْضُوعِهَا هُوَ شَكْلَةُ الْإِنْسَانِيِّ كَانَ إِذْ رَاكَ لِلْجَمَالِ  
وَالْحُسْنِ فِي تَخَاطُطِهِ وَأَصْوَاتِهِ مِنَ الْمَدَارِكِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى فِطْرَتِهِ فَيُلْهَجُ كُلُّ  
إِنْسَانٍ بِالْحُسْنِ مِنَ الْمَرْتَبَةِ أَوِ الْمَسْمُوعِ بِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ وَالْحُسْنُ فِي الْمَسْمُوعِ أَنْ  
تَكُونَ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً لَا مُتَنَافِرَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْأَصْوَاتَ لَهَا كَيْفِيَّاتٌ مِنَ الْهَمْسِ  
وَالْجَهْرِ وَالرَّخَاوَةِ وَالشَّدَةِ وَالثِقَلَةِ وَالضَّغْطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالتَّنَاسُبُ فِيهَا هُوَ الَّذِي يُوجِبُ  
لَهَا الْحُسْنَ فَأَوَّلًا أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى مَدَى دَفْعَةٍ بَلْ يَتَدَرِّجُ ثُمَّ يَرْجِعُ كَذَلِكَ  
وَهَكَذَا إِلَى الْمِثْلِ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَوْسُطِ الْمَغَايِرِ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ وَتَأَمَّلْ هَذَا مِنْ أَفْتِتَاحِ  
أَهْلِ اللِّسَانِ التَّرَاكِبِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُتَنَافِرَةِ أَوِ الْمُتَقَارِبَةِ الْمَخَارِجِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ  
وَتَأْنِيًا تَنَاسُبُهَا فِي الْأَجْزَاءِ كَمَا مَرَّ أَوَّلَ الْبَابِ فَيَخْرُجُ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى نِصْفِهِ أَوْ ثُلَاثِهِ أَوْ  
جُزْءٍ مِنْ كَذَا مِنْهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ التَّنْقِلُ مُتَنَاسِبًا عَلَى مَا حَصَرَهُ أَهْلُ الصَّنَاعَةِ فَإِذَا  
كَانَتْ الْأَصْوَاتُ عَلَى تَنَاسُبٍ فِي الْكَيْفِيَّاتِ كَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ كَانَتْ مُلَائِمَةً  
مَلْدُودَةً وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يَكُونُ بَسِيطًا وَيَكُونُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مَطْبُوعًا عَلَيْهِ  
لَا يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى تَعْلِيمٍ وَلَا صِنَاعَةٍ كَمَا نَجِدُ الْمَطْبُوعِينَ عَلَى الْمَوَازِينِ الشَّعْرِيَّةِ وَتَوَقُّعِ  
الرَّقْصِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَتُسَمَّى الْعَامَّةُ هَذِهِ الْقَابِلِيَّةُ بِالْمِضْمَارِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ بِهِذِهِ  
الْمِثَابَةِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فَيُجِيدُونَ فِي تَلَاْحِينِ أَصْوَاتِهِمْ كَأَنَّهَا الْمَزَامِيرُ فَيُطْرِبُونَ  
بِحُسْنِ مَسَاقِيمِهِمْ وَتَنَاسُبِ نَغَمَاتِهِمْ وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يَخْدُثُ بِالْتَّرَكِيبِ وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ  
يَسْتَوِي فِي مَعْرِفَتِهِ وَلَا كُلُّ الطَّبَاعِ يُوَافِقُ صَاحِبَهَا فِي الْعَمَلِ بِهِ إِذَا عَلِمَ وَهَذَا هُوَ التَّلْحِينُ  
الَّذِي يَتَكَفَّلُ بِهِ عِلْمُ الْمَوْسِيقِيِّ كَمَا نَشْرَحُهُ بَعْدُ عِنْدَ ذِكْرِ الْعُلُومِ وَقَدْ أَنْكَرَ مَا لَكَ  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْقِرَاءَةُ بِالتَّلْحِينِ وَأَجَازَهَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَلْحِينُ  
الْمَوْسِيقِيِّ الصَّنَاعِيِّ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَلَفَ فِي حَظِّهِ إِذَا صَنَاعَةُ الْغَنَاءِ مُبَايَنَةٌ لِلْقُرْآنِ  
بِكُلِّ وَجْهِ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ وَالْأَدَاءَ مُحْتَاجٌ إِلَى مِقْدَارٍ مِنَ الصَّوْتِ لِتَعْيِينِ أَدَاءِ الْحُرُوفِ لَا

مِنْ حَيْثُ اتَّبَاعُ الْحَرَكَاتِ فِي مَوْضِعِهَا وَمَقْدَارِ الْمَدِّ عِنْدَ مَنْ يُطْلَقُهُ أَوْ يُقْصِرُهُ وَأَمثالُ  
 ذَلِكَ وَالتَّلْحِينُ أَيْضًا يَتَعَيَّنُ لَهُ مَقْدَارٌ مِنَ الصَّوْتِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ مِنْ أَجْلِ التَّنَاسُبِ الَّذِي  
 قُلْنَا فِي حَقِيقَةِ التَّلْحِينِ وَاعْتِبَارُ أَحَدِهِمَا قَدْ يَخْلُ بِالْآخِرِ إِذَا تَعَارَضَا وَتَقَدَّمَ الرَّوَايَةُ مُتَعَيِّنٌ  
 مِنْ تَغْيِيرِ الرَّوَايَةِ الْمَنْقُولَةِ فِي الْقُرْآنِ فَلَا يُمْكِنُ اجْتِمَاعُ التَّلْحِينِ وَالْأَدَاءِ الْمُعْتَبَرِ فِي  
 الْقُرْآنِ بِوَجْهِ وَائِنَّمَا مَرَادُهُمُ التَّلْحِينُ الْبَسِيطُ الَّذِي يَهْتَدِي إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمِضَارِ بِطَبْعِهِ كَمَا  
 قَدَّمَ نَاهُ فَيُرَدُّ دُأْصَوَاتُهُ تَرْدِيدًا عَلَى نَسَبٍ يُدْرِكُهَا الْعَالَمُ بِالْغِنَاءِ وَغَيْرُهُ وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ  
 بِوَجْهِ كَمَا قَالَ مَالِكٌ هَذَا هُوَ مَحَلُّ الْخِلَافِ وَالظَّاهِرُ تَنْزِيهُ الْقُرْآنِ عَنْ هَذَا كُلِّهِ كَمَا  
 ذَهَبَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ الْقُرْآنَ مَحَلُّ خُشُوعٍ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ  
 وَلَيْسَ مَقَامُ التَّلَذُّذِ بِإِذْرَاكِ الْحُسْنِ مِنَ الْأَصْوَاتِ وَهَكَذَا كَانَتْ قِرَاءَةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُمْ كَمَا فِي أَخْبَارِهِمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ أَوْفَى زِمَارًا مِنْ زِمَامِيرِ  
 آلِ دَاوُدَ فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ التَّرْدِيدُ وَالتَّلْحِينُ إِنَّمَا مَعْنَاهُ حُسْنُ الصَّوْتِ وَأَدَاءُ الْقِرَاءَةِ  
 وَالْإِبَانَةُ فِي تَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَالنُّطْقِ بِهَا وَإِذْ قَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الْغِنَاءِ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ يَحْدُثُ  
 فِي الْعُمَرَانِ إِذَا تَوَفَّرَ وَتَجَاوَزَ حَدَّ الضَّرُورِيِّ إِلَى الْحَاجِيِّ ثُمَّ إِلَى الْكَمَالِيِّ وَتَقَنَّنُوا  
 فَتَحَدَّثُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَدْعِيهَا إِلَّا مَنْ فَرَّغَ مِنْ جَمِيعِ حَاجَاتِهِ الضَّرُورِيَّةِ  
 وَالْحُمِيَّةِ مِنَ الْمَعَاشِ وَالْمَنْزِلِ وَغَيْرِهِ فَلَا يَطْلُبُهَا إِلَّا الْفَارِغُونَ عَنْ سَائِرِ أَخْوَالِهِمْ  
 تَفَنُّنًا فِي مَذَاهِبِ الْمَلَكُودَاتِ وَكَانَ فِي سُلْطَانِ النُّجْمِ قَبْلَ الْمِلَّةِ مِنْهَا بَحْرٌ زَاخِرٌ فِي  
 أَمْصَارِهِمْ وَمَدَنِيَّتِهِمْ وَكَانَ مُلُوكُهُمْ يَتَّخِذُونَ ذَلِكَ وَيُولَعُونَ بِهِ حَتَّى لَقَدْ كَانَ لِمُلُوكِ  
 الْفَرَسِ أَهْتِمَامٌ بِأَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَلَهُمْ مَكَانٌ فِي دَوْلَتِهِمْ وَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَشَاهِدَهُمْ  
 وَجَمَاعَتَهُمْ وَيَغْنُونُ فِيهَا وَهَذَا شَأْنُ النُّجْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي كُلِّ أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِهِمْ وَمَمْلَكَةِ  
 مِنْ مَمَالِكِهِمْ وَأَمَّا الْعَرَبُ فَكَانَ لَهُمْ أَوَّلًا فَنُّ الشَّعْرِ يُؤَلِّفُونَ فِيهِ الْكَلَامَ أَجْزَاءً  
 مُتَسَاوِيَةً عَلَى تَنَاسُبٍ بَيْنَهَا فِي عِدَّةِ حُرُوفِهَا الْمُتَحَرِّكَةِ وَالسَّاكِنَةِ وَيُفَصِّلُونَ الْكَلَامَ  
 فِي تِلْكَ الْأَجْزَاءِ تَفْصِيلًا يَكُونُ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا مُسْتَقِلًّا بِالْإِفَادَةِ لَا يَنْعَطِفُ عَلَى الْآخِرِ  
 وَيُسَمُّونَهُ الْبَيْتَ فَتِلَاثُ الطَّبَعِ بِالتَّجْزِئَةِ أَوَّلًا ثُمَّ يَتَنَاسَبُ الْأَجْزَاءُ فِي الْمَقَاطِعِ وَالْمَبَادِي  
 ثُمَّ يَتَأَدَّى الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ وَتَطْبِيقُ الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَالْهَجْوُ بِهِ فَا مَنَازَ مِنْ بَيْنِ كَلَامِهِمْ  
 بِحِظٍّ مِنَ الشَّرَفِ لَيْسَ لغيرِهِ لِأَجْلِ اخْتِصَاصِهِ بِهَذَا التَّنَاسُبِ وَجَعَلُوهُ دِيوَانًا لِأَخْبَارِهِمْ



وَحُكْمِهِمْ وَشَرَفِهِمْ وَتَحَكُّمًا لِقَرَائِهِمْ فِي إِصَابَةِ الْمَعَانِي وَإِجَادَةِ الْأَسَالِبِ وَأَسْتَمَرُّوا  
عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّنَاسُبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِ الْأَجْزَاءِ وَالْمُتَحَرِّكِ وَالسَّاكِنِ مِنَ الْحُرُوفِ  
قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ مِنْ تَنَاسُبِ الْأَصْوَاتِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ الْمَوْسِقَى إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ  
يَشْعُرُوا بِمَا سِوَاهُ لِأَنَّهُمْ حِينَئِذٍ لَمْ يَتَّحِلُوا عِلْمًا وَلَا عَرَفُوا صِنَاعَةً وَكَانَتْ الْبِدَاوَةُ أَغْلَبَ  
مَحَلِّهِمْ ثُمَّ تَغَيَّرَ الْحَدَاةُ مِنْهُمْ فِي حِدَاءِ آبَائِهِمُ وَالْقَتِيَانِ فِي فِضَاءِ خَلَوَاتِهِمْ فَرَجَعُوا الْأَصْوَاتَ  
وَتَرَنَّمُوا وَكَانُوا يُسَمُّونَ التَّرَنَّمَ إِذَا كَانَ بِالشَّعْرِ غِنَاءٌ وَإِذَا كَانَ بِالتَّهْلِيلِ أَوْ نَوْعٍ  
الْقِرَاءَةِ تَغْيِيرًا بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَعَلَّهَا أَبُو إِسْحَاقَ الرَّجَاجُ بِأَنَّهُا تُذَكِّرُ  
بِالْغَايِرِ وَهُوَ الْبَاقِي أَيْ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ وَرُبَّمَا نَاسَبُوا فِي غِنَائِهِمْ بَيْنَ النِّعَمَاتِ مُنَاسَبَةً  
بَسِيطَةً كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ رَشِيقٍ آخِرَ كِتَابِ الْعُمْدَةِ وَغَيْرُهُ وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ السِّنَادَ  
وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ فِي الْخَفِيفِ الَّذِي يُرْقِصُ عَلَيْهِ وَيُمَشَى بِالْدَفِّ وَالْمِزْمَارِ  
فِيضْطَرَبُ وَيَسْتَخِفُّ الْحُلُومُ وَكَانُوا يُسَمُّونَ هَذَا الْهَزَجَ وَهَذَا الْبَسِيطُ كُلُّهُ مِنَ التَّلَاحِينِ  
هُوَ مِنْ أَوَائِلِهَا وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَتَفَتَّنَ لَهُ الطَّبَاعُ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ شَأْنَ الْبَسَائِطِ كُلِّهَا مِنَ  
الصَّنَائِعِ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا شَأْنَ الْعَرَبِ فِي بَدَاوَتِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ فَلَمَّا جَاءَ إِلَّا سَلَامٌ وَأَسْتَوَلُوا  
عَلَى مَمَالِكِ الدُّنْيَا وَحَازُوا سُلْطَانَ الْعَجَمِ وَغَلِبُوهُمْ عَلَيْهِ وَكَانُوا مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْغَضَاضَةِ عَلَى  
الْحَالِ الَّتِي عَرَفَتْ لَهُمْ مَعَ غَضَارَةِ الدِّينِ وَشِدَّتِهِ فِي تَرْكِ أَحْوَالِ الْفَرَاغِ وَمَا لَيْسَ  
بِنَافِعٍ فِي دِينٍ وَلَا مَعَاشٍ فَهَجَرُوا ذَلِكَ شَيْئًا مَا وَلَمْ يَكُنِ الْمَلْدُودُ عِنْدَهُمْ إِلَّا تَرْجِيعُ  
الْقِرَاءَةِ وَالتَّرَنُّمِ بِالشَّعْرِ الَّذِي هُوَ دِينُهُمْ وَمَذْهَبُهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمُ التَّرَفُ وَغَلَبَ عَلَيْهِمُ  
الرِّفَةُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ غَنَائِمِ الْأُمَمِ صَارُوا إِلَى نَضَارَةِ الْعَيْشِ وَرِقَّةِ الْحَاشِيَةِ وَاسْتِحْلَاءِ  
الْفَرَاغِ وَافْتَرَقَ الْمَغْنُونُ مِنَ الْفَرَسِ وَالرُّومِ فَوَقَعُوا إِلَى الْحِجَازِ وَصَارُوا مَوَالِي لِلْعَرَبِ  
وَعَنُوا جَمِيعًا بِالْعِيدَانِ وَالطَّنَابِيرِ وَالْمَعَازِفِ وَالْمِزَامِيرِ وَصَمِيعِ الْعَرَبِ تَلْحِينَهُمْ لِلْأَصْوَاتِ  
فَلَحَنُوا عَلَيْهَا أَشْعَارَهُمْ وَظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ نَشِيطُ الْفَارِسِيِّ وَطُوَيْسٌ وَسَائِبُ بْنُ جَابِرٍ مَوْلَى عُبَيْدِ  
اللَّهِ ابْنِ جَعْفَرٍ فَسَمِعُوا شِعْرَ الْعَرَبِ وَلَحْنَهُ وَأَجَادُوا فِيهِ وَطَارَ لَهُمْ ذِكْرُ شَيْءٍ أَخَذَ عَنْهُمْ  
مَعْبَدٌ وَطَبَقَتْهُ وَأَبْنُ شُرَيْحٍ وَأَنْظَارُهُ وَمَا زَالَتْ تَتَدَرَّجُ إِلَى أَنْ كَمَلَتْ أَيَّامُ بَنِي الْعَبَّاسِ  
عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِيِّ وَأَبْنِهِ إِسْحَاقَ وَأَبْنِهِ حَمَّادٍ وَكَانَ مِنْ  
ذَلِكَ فِي دَوْلَتِهِمْ بَغْدَادَ مَا تَبِعَهُ الْحَدِيثُ بَعْدَهُ بِهِ وَبِمَجَالِسِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَعْنُوا فِي الْأَهْوِ

وَاللَّعِبِ وَاتُّخِذَتِ الْآلَاتُ الرِّقْصِ فِي الْمَلِيسِ وَالْقُضْبَانُ وَالْأَشْعَارُ الَّتِي يَتَرَنَّمُ بِهَا عَلَيْهِ  
وَجُعِلَ صِنْفًا وَحْدَهُ وَاتُّخِذَتِ الْآلَاتُ أُخْرَى لِلرِّقْصِ تُسَمَّى بِالْكَرْجِ وَهِيَ تَمَائِيلُ خَيْلٍ  
مُسْرَجَةٍ مِنَ الْخَشَبِ مُعَلَّقَةٌ بِأَطْرَافِ أَقْبِيَةٍ يَلْبَسُهَا النِّسْوَانُ وَيُحَاكِ كَيْنَ بِهَا امْتِطَاءُ الْخَيْلِ  
فِيكَرُونَ وَيَفِرُّونَ وَيُثَاقِفُونَ وَأَمثالُ ذَلِكَ مِنَ اللَّعِبِ الْمَعْدَّةُ لِلْوَلَائِمِ وَالْأَعْرَاسِ وَأَيَّامُ  
الْأَعْيَادِ وَمَجَالِسُ الْفَرَاغِ وَاللَّهُوَ وَكَثُرَ ذَلِكَ بِبَغْدَادَ وَأَمْصَارِ الْعِرَاقِ وَانْتَشَرَ مِنْهَا إِلَى  
غَيْرِهَا وَكَانَ لِلْمَوْصِلِيِّينَ غُلَامٌ اسْمُهُ زُرْيَابُ أَخَذَ عَنْهُمْ الْغِنَاءَ فَأَجَادَ فَصَرَفُوهُ إِلَى  
الْمَغْرِبِ غَيْرَةً مِنْهُ فَلَحِقَ بِالْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِلِ أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ  
فَبَالَغَ فِي تَكْرِمَتِهِ وَرَكِبَ لِلِقَائِهِ وَأَسْنَى لَهُ الْجَوَائِزَ وَالْأَفْطَاءَ وَالْجَرَائِدَ وَأَحْلَاهُ  
مِنْ دَوْلَتِهِ وَنَدَمَائِهِ بِمَكَانٍ فَأُورِثَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ صِنَاعَةِ الْغِنَاءِ مَا تَنَاقَلُوهُ إِلَى أَرْمَانِ  
الطَّوَائِفِ وَطَمًا مِنْهَا بِأَنْبِيلِيَّةَ بَحْرٍ زَاخِرٍ وَتَنَاقَلَ مِنْهَا بَعْدَ ذَهَابِ غَضَارَتِهَا إِلَى بِلَادِ الْعُدُوَّةِ  
بِأَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ وَانْقَسَمَ عَلَى أَمْصَارِهَا وَبِهَا الْآنَ مِنْهَا صِبَابَةٌ عَلَى تَرَجُّعِ عُمَرَانِهَا  
وَتَنَاقُصِ دَوْلِهَا وَهَذِهِ الصِّنَاعَةُ آخِرُ مَا يَحْتَمِلُ فِي الْعُمَرَانِ مِنَ الصَّنَائِعِ لِأَنَّهَا كَمَالِيَّةٌ فِي  
غَيْرِ وَظِيفَةٍ مِنَ الْوِظَائِفِ إِلَّا وَظِيفَةُ الْفَرَاغِ وَالْفَرَحِ وَهُوَ أَيْضًا أَوَّلُ مَا يَنْقَطِعُ مِنَ  
الْعُمَرَانِ عِنْدَ اخْتِلَالِهِ وَتَرَجُّعِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثالث والثلاثون

فِي أَنَّ الصَّنَائِعَ تَكْسِبُ صَاحِبَهَا عَقْلًا وَخُصُوصًا الْكِتَابَةَ وَالْحِسَابَ  
قَدْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ لِلْإِنْسَانِ إِنَّمَا تُوجَدُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَأَنَّ  
خُرُوجَهَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ إِنَّمَا هُوَ بِتَجَدُّدِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ عَنِ الْمَحْسُوسَاتِ  
أَوَّلًا ثُمَّ مَا يُكْتَسَبُ بَعْدَهَا بِالْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ إِدْرَاكًَا بِالْفِعْلِ وَعَقْلًا مُحَضًّا  
فَتَكُونُ ذَاتًا رُوحَانِيَّةً وَتَسْتَكْمِلُ حِينَئِذٍ وُجُودَهَا فَوْجِبَ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ نَوْعٍ  
مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ يُفِيدُهَا عَقْلًا فَرِيدًا وَالصَّنَائِعُ أَبَدًا يَحْصُلُ عَنْهَا وَغَنَ مَلَكَتِهَا قَانُونٌ  
عِلْمِيٌّ مُسْتَفَادٌ مِنْ تِلْكَ الْمَلَكَاتِ فَلِهَذَا كَانَتِ الْحُنُوكَةُ فِي التَّجَرِبَةِ تُفِيدُ عَقْلًا وَالْحِصَارَةُ  
الْكَامِلَةُ تُفِيدُ عَقْلًا لِأَنَّهَا مُجْتَمِعَةٌ مِنْ صَنَائِعٍ فِي شَأْنِ تَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ وَمُعَاشَرَةِ أَهْلِهَا  
الْجَنَسِ وَتَحْصِيلِ الْأَدَابِ فِي مُخَالَطَتِهِمْ ثُمَّ الْقِيَامُ بِأُمُورِ الدِّينِ وَاعْتِبَارِ آدَابِهَا وَشَرَائِطِهَا  
وَهَذِهِ كُلُّهَا قَوَانِينُ تَنْتَظِمُ عُلُومًا فَيَحْصُلُ مِنْهَا زِيَادَةُ عَقْلِ وَالْكِتَابَةِ مِنْ بَيْنِ الصَّنَائِعِ



أَكْثَرُ إِفَادَةٍ لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَيَبَيِّنُهُ أَنَّ فِي  
الْكِتَابَةِ انْتِقَالَ مِنَ الْحُرُوفِ الْخَطِيَّةِ إِلَى الْكَلِمَاتِ اللَّفْظِيَّةِ فِي الْخَيَالِ وَمِنَ الْكَلِمَاتِ  
الْلَفْظِيَّةِ فِي الْخَيَالِ إِلَى الْمَعَانِي الَّتِي فِي النَّفْسِ ذَلِكَ دَائِمًا فَيَحْصُلُ لَهَا مَلَكَةُ الْإِنْتِقَالِ مِنَ  
الْأَدِلَّةِ إِلَى الْمَذَلُولَاتِ وَهُوَ مَعْنَى النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي يُكْسِبُ الْعُلُومَ الْمَجْهُولَةَ  
فَيُكْسِبُ بِذَلِكَ مَلَكَةً مِنَ التَّعَقُّلِ تَكُونُ زِيَادَةً عَقْلٍ وَيَحْصُلُ بِهِ قُوَّةُ فِطْنَةٍ وَكَيْسٍ فِي  
الْأُمُورِ لَمَّا تَعَوَّدُوهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْتِقَالِ وَلِذَلِكَ قَالَ كِسْرَى فِي كِتَابِهِ لَمَّا رَأَى هُمْ بِتِلْكَ  
الْفِطْنَةِ وَالْكَيْسِ فَقَالَ دِيَوَانُهُ أَيْ شَيَاطِينُ وَجُنُونٌ قَالُوا وَذَلِكَ أَصْلُ اشْتِقَاقِ الدِّيَوَانِ  
لِأَهْلِ الْكِتَابَةِ وَيُلْحَقُ بِذَلِكَ الْحِسَابُ فَإِنَّ فِي صِنَاعَةِ الْحِسَابِ نَوْعَ تَصَرُّفٍ فِي الْعَدَدِ  
بِالْزَّمِّ وَالتَّفْرِيقِ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى اسْتِدْلَالٍ كَثِيرٍ فَيَبْقَى مُتَعَوِّدًا لِلِاسْتِدْلَالِ وَالنَّظَرِ  
وَهُوَ مَعْنَى الْعَقْلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ



## الفصل السادس

### من الكتاب الاول

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله  
من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

### الفصل الاول

في ان العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري

وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ شَارَكَهُ جَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ فِي حَيَوَانِيَّتِهِ مِنَ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ  
وَالْغِذَاءِ وَالسَّكَنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا تَمَيَّزَ عَنْهَا بِالْفِكْرِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ لِتَحْصِيلِ مَعَاشِهِ  
وَالْتَعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأَنْبَاءِ جَنْسِهِ وَالْاجْتِمَاعِ الْمُهَيَّءِ لِذَلِكَ التَّعَاوُنِ وَقَبُولِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ  
عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلِ بِهِ وَاتِّبَاعِ صَلَاحِ أَخْرَافِهِ فَهُوَ مُتَعَكِّرٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ دَائِمًا لَا  
يَفْتَرِدُ عَنِ الْفِكْرِ فِيهِ طَرَفَةٌ عَيْنٌ بَلْ اخْتِلَاجُ الْفِكْرِ أَسْرَعُ مِنْ نَعْمِ الْبَصَرِ وَعَنْ هَذَا  
الْفِكْرِ تَنْشَأُ الْعُلُومُ وَمَا قَدَّمَاهُ مِنَ الصَّنَائِعِ ثُمَّ لِأَجْلِ هَذَا الْفِكْرِ وَمَا جَبَلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ  
بَلِ الْحَيَوَانُ مِنْ تَحْصِيلِ مَا تَسْتَدْعِيهِ الطَّبَاعُ فَيَكُونُ الْفِكْرُ رَاغِبًا فِي تَحْصِيلِ مَا لَيْسَ

عنده من الاذراك كات فيرجع الى من سبقه بعلم او زاد عليه بمعرفة او ادراك او اخذه ممن تقدمه من الانبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على اخذه وعلمه ثم ان فكره ونظره يتوجه الى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد آخر ويتحرر على ذلك حتى يصير الحقائق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا وتتشوف نفوس اهل الجيل الناشئ الى تحصيل ذلك فيفزعون الى اهل معرفته ويحجي التعليم من هذا فقد تبين بذلك ان العلم والتعليم طبعي في البشر

### الفصل الثاني

في ان التعليم للعلم من جملة الصنائع

وذلك ان الحذاق في العلم والفن فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في الاطاعة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذاق في ذلك الفن المتناول حاصلا وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعى لانا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعىها مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدى فيه وبين العاقي الذي لم يعرف علما وبين العالم النحرير والملك انما هي للعالم او الشادي في الفنون دون من سواهما فدل على ان هذه الملكة غير الفهم والوعى والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن او في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة فتفتقر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم او صناعة الى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند كل اهل افق وجيل ويدل ايضا على ان تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فليكل امام من الائمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس من العلم والا لكان واحدا عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين وكذا اصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعته نجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة فدل على انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه واذا انقرر ذلك فاعلم ان سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد ينقطع عن اهل المغرب



بِاخْتِلَالِ عُمَرَانِهِ وَتَنَاقُصِ الدُّوَلِ فِيهِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ تَقْصِ الصَّنَائِعِ وَفَقْدَانِهَا  
 كَمَا مَرَّ ذَلِكَ أَنَّ الْقَيْرَوَانَ وَفَرْطَةَ كَانَتَا حَاضِرَتِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَأَسْتَبْجَرَ عُمَرَانُهُمَا  
 وَكَانَ فِيهِمَا لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ أَسْوَاقٌ نَافِقَةٌ وَبُحُورٌ زَاخِرَةٌ وَرَسَخَ فِيهِمَا التَّعْلِيمُ لِامْتِدَادِ  
 عَصُورِهِمَا وَمَا كَانَ فِيهِمَا مِنَ الْحَضَارَةِ فَلَمَّا خَرِبَتَا انْقَطَعَ التَّعْلِيمُ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَّا قَلِيلًا  
 كَانَ فِي دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ بِمَرَّاكِشَ مُسْتَفَادًا مِنْهَا وَلَمْ تَرَسَخِ الْحَضَارَةُ بِمَرَّاكِشَ لِبِدَاوَةِ  
 الدَّوْلَةِ الْمُوَحِّدِيَّةِ فِي أَوَّلِهَا وَقُرْبَ عَهْدِ انْقِرَاضِهَا بِمَبْدَأِهَا فَلَمْ تَتَّصِلْ أَحْوَالُ الْحَضَارَةِ  
 فِيهَا إِلَّا فِي الْأَوَّلِ وَبَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ بِمَرَّاكِشَ أَرْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنْ أَفْرِيقِيَّةِ  
 الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ زَيْتُونٍ لِعَهْدِ أَوَاسِطِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ فَأَدْرَكَ تَلْمِيزَ الْإِمَامِ ابْنِ  
 الْخَطِيبِ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِّنَ تَعْلِيمَهُمْ وَحَدِّقَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَالنَّقْلِيَّاتِ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ  
 يَعْلَمُ كَثِيرٌ وَتَعْلِيمٌ حَسَنٌ وَجَاءَ عَلَى أَثَرِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ شُعَيْبٍ الدَّكَّالِيُّ  
 كَانَ أَرْتَحَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَغْرِبِ فَأَخَذَ عَنْ مَشِيخَةٍ مِصْرَ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ وَأَسْتَقَرَّ بِهَا  
 وَكَانَ تَعْلِيمُهُ مُفِيدًا فَأَخَذَ عَنْهُمَا أَهْلُ تُونِسَ وَاتَّصَلَ سَنَدُ تَعْلِيمِهِمَا فِي تَلَامِيذِهِمَا جِيلًا  
 بَعْدَ جِيلٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ شَارِحِ بْنِ الْحَاجِبِ وَتَلْمِيزِهِ  
 وَانْتَقَلَ مِنْ تُونِسَ إِلَى تَلْمِيسَانَ فِي ابْنِ الْإِمَامِ وَتَلْمِيزِهِ فَإِنَّهُ قَرَأَ مَعَ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى  
 مَشِيخَةٍ وَاحِدَةٍ فِي مَجَالِسَ بَأَعْيَانِهَا وَتَلْمِيزِ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بِتُونِسَ وَابْنِ الْإِمَامِ بِتَلْمِيسَانَ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنَ الْقَلَّةِ بَحِثْ يُخْشَى انْقِطَاعُ سَنَدِهِمْ ثُمَّ أَرْتَحَلَ مِنْ زَوَاوَةِ فِي  
 آخِرِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ الْمِشْدَالِيُّ وَأَدْرَكَ تَلْمِيزَ أَبِي عَمْرٍو بْنِ  
 الْحَاجِبِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِّنَ تَعْلِيمَهُمْ وَقَرَأَ مَعَ شِهَابِ الدِّينِ الْقِرَافِيِّ فِي مَجَالِسَ وَاحِدَةٍ  
 وَحَدِّقَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَالنَّقْلِيَّاتِ وَرَجَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ يَعْلَمُ كَثِيرٌ وَتَعْلِيمٌ مُفِيدٌ وَتَزَلَّ  
 بِجَايَةِ وَاتَّصَلَ سَنَدُ تَعْلِيمِهِ فِي طَلَبَتِهَا وَرُبَّمَا انْتَقَلَ إِلَى تَلْمِيسَانَ عُمَرَانُ الْمِشْدَالِيِّ مِنْ  
 تَلْمِيزِهِ وَأَوْطَنَهَا وَبَثَّ طَرِيقَتَهُ فِيهَا وَتَلْمِيزُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ بِجَايَةِ وَتَلْمِيسَانَ قَلِيلٌ أَوْ أَقَلُّ  
 مِنَ الْقَلِيلِ وَبَقِيَتْ فَاكُسُ وَسَائِرُ أَفْطَارِ الْمَغْرِبِ خُلُوعًا مِنْ حُسْنِ التَّعْلِيمِ مِنْ لَدُنْ  
 انْقِرَاضِ تَعْلِيمِ فَرْطَةَ وَالْقَيْرَوَانَ وَلَمْ يَتَّصِلْ سَنَدُ التَّعْلِيمِ فَعَسِرَ عَلَيْهِمْ حُصُولُ الْمَلَكَةِ  
 وَالْحَدِّقُ فِي الْعُلُومِ وَأَنْبَسَرُ طُرُقِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَتَقُ الْلِسَانُ بِالْمُحَاوَرَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ فِي  
 الْمَسَائِلِ الْعَالِمِيَّةِ فَهُوَ الَّذِي يَقْرُبُ شَأْنَهَا وَيَحْصِلُ مَرَامَهَا فَتَجِدُ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بَعْدَ

ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوناً لا ينطقون ولا  
 يفاضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف  
 في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجدد ملكته قاصرة في  
 علمه إن فاض أو ناظر أو علم وما اتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده  
 ولا تحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة  
 العلمية وليس كذلك ومما يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعينة لسكنى طلبة  
 العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهي بتونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس  
 على المتعارف هي أقل مما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو  
 اليأس من تحصيلها فطال أمدها في المغرب لهذه المدة لأجل عسرها من قلة الجودة  
 في التعليم خاصة لا بما سوى ذلك وأما أهل الأندلس فذهب رسم التعليم من  
 بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين  
 ولم يبق من رسم العلم فيهم إلا فن العربية والآداب اقتصروا عليه وانحفظ سند  
 تعليمهم فأنحفظ بحفظه وأما الفقه بينهم فرسم خاو وأثر بعد عين وأما العقليات  
 فلا أثر ولا عين وما ذاك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو  
 على عامتها إلا قليلاً بسيف البحر شغلهم بمعايشهم أكثر من شغلهم بما بعدها والله  
 غالب على أمره . وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل أسواقه نافقة وبحوره  
 زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه وإن كانت الأمصار العظيمة التي  
 كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة إلا أن الله تعالى قد  
 أدال منها بأمدار أعظم من تلك وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء  
 النهر من المشرق ثم إلى القاهرة وما إليها من المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها  
 متصلة وسند التعليم بها قائماً فأهل المشرق على الجملة أرتخ في صناعة تعليم  
 العلم وفي سائر الصنائع حتى إنه يظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق  
 في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب وأنهم أشد  
 نباهة وأعظم كياساً بفطرتهم الأولى وأن نفوسهم الناطقة أكمل بفطرتها من نفوس  
 أهل المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الإنسانية ويتشيعون لذلك



وَيُولَعُونَ بِهِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ كَيْسِهِمْ فِي الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَلَيْسَ بَيْنَ  
قُطْرِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ تَفَاوُتٌ بِهَذَا الْمِقْدَارِ الَّذِي هُوَ تَفَاوُتٌ فِي الْحَقِيقَةِ الْوَاحِدَةِ  
اللَّهُمَّ إِلَّا الْأَقَالِيمَ الْمُتَحَرِّفَةَ مِثْلَ الْأَوَّلِ وَالسَّابِعِ فَإِنَّ الْأَمْزِجَةَ فِيهَا مُتَحَرِّفَةٌ  
وَالنُّفُوسَ عَلَى نِسْبَتِهَا كَمَا مَرَّ وَإِنَّمَا الَّذِي فَضَلَ بِهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
هُوَ مَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنْ آثَارِ الْحَضَارَةِ مِنَ الْعَقْلِ الْمَزِيدِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي  
الصَّنَائِعِ وَتَزِيدُهُ الْآنَ تَحْقِيقًا وَذَلِكَ أَنَّ الْحَضَرَ لَهُمْ آدَابٌ فِي أَحْوَالِهِمْ فِي  
الْمَعَاشِ وَالْمَسْكَنِ وَالْبِنَاءِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَكَذَا سَائِرُ أَعْمَالِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ  
وَمُعَامَلَاتِهِمْ وَجَمِيعُ تَصَرُّفَاتِهِمْ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ آدَابٌ يُوقِفُ عِنْدَهَا فِي جَمِيعِ  
مَا يَتَنَاوَلُونَهُ وَيَتَلَبَّسُونَ بِهِ مِنْ أَخْذٍ وَتَرْكِ حَتَّى كَانَهَا حُدُودٌ لَا تُتَعَدَّى وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ  
صَنَائِعُ يَتَلَقَّاهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ صِنَاعَةٍ مُرْتَبَةٌ بِرَجْعٍ  
مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ أَثَرٌ يُكْسِبُهَا عَقْلاً جَدِيداً تَسْتَعِدُّ بِهِ لِقَبُولِ صِنَاعَةٍ أُخْرَى وَيَتَهَيَّأُ بِهَا  
الْعَقْلُ بِسُرْعَةٍ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعَارِفِ وَلَقَدْ بَلَّغْنَا فِي تَعْلِيمِ الصَّنَائِعِ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ غَايَاتٍ  
لَا تُدْرِكُ مِثْلَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْحُمُرَ الْإِنْسِيَّةَ وَالْحَيَوَانَاتِ الْعُجَمَ مِنَ الْمَاشِي وَالطَّائِرِ  
مُفْرَدَاتٍ مِنَ الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ يُسْتَعْرِبُ نَدْوُهَا وَيَعْجِزُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ عَنْ فَهْمِهَا وَحُسْنِ  
الْمَلَكَاتِ فِي التَّعْلِيمِ وَالصَّنَائِعِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَّةِ يَزِيدُ الْإِنْسَانَ ذِكَاً فِي عَقْلِهِ  
وَإِضَاءَةً فِي فِكْرِهِ بِكَثْرَةِ الْمَلَكَاتِ الْخَاصَةِ لِلنَّفْسِ إِذْ قَدَّمْنَا أَنَّ النَّفْسَ إِنَّمَا تَنْشَأُ  
بِالْإِدْرَاكَاتِ وَمَا يُرْجَعُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَلَكَاتِ فَيَزِدَادُونَ بِذَلِكَ كَيْسًا لِمَا يَرْجَعُ إِلَى  
النَّفْسِ مِنَ الْآثَارِ الْعِلْمِيَّةِ فَيُظَنُّهُ الْعَامِّيُّ تَفَاوُتًا فِي الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
الْآتِرَى إِلَى أَهْلِ الْحَضَرِ مَعَ أَهْلِ الْبَدْوِ كَيْفَ تَجِدُ الْحَضَرِيَّ مُتَحَلِّياً بِالذِّكَاةِ مُمْتَلِئاً  
مِنَ الْكَيْسِ حَتَّى إِنْ الْبَدَوِيَّ أَيْظَنُّهُ أَنَّهُ قَدْ فَاتَهُ فِي حَقِيقَةِ إِنْسَانِيَّتِهِ وَعَقْلِهِ وَلَيْسَ  
كَذَلِكَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِإِجَادَتِهِ فِي مَلَكَاتِ الصَّنَائِعِ وَالْآدَابِ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ  
الْحَضَرِيَّةِ مَا لَا يَعْرِفُهُ الْبَدَوِيُّ فَلَمَّا امْتَلَأَ الْحَضَرِيُّ مِنَ الصَّنَائِعِ وَمَلَكَاتِهَا وَحُسْنِ  
تَعْلِيمِهَا ظَنَّ كُلُّ مَنْ قَصَرَ عَنْ تِلْكَ الْمَلَكَاتِ أَنَّهَا لِكَمَالٍ فِي عَقْلِهِ وَأَنَّ نَفْسَ أَهْلِ الْبَدْوِ  
قَاصِرَةٌ بِفِطْرَتِهَا وَجِبِلَّتِهَا عَنْ فِطْرَتِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّا نَجِدُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ مَنْ هُوَ فِي  
أَعْلَى رُتَبَةٍ مِنَ الْفَهْمِ وَالْكَمَالِ فِي عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ إِنَّمَا الَّذِي ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ الْحَضَرِ مِنْ

ذَلِكَ هُوَ رَوْتُ الصَّنَائِعِ وَالتَّعْلِيمِ فَإِنَّ لَهَا آثَارًا تَرْجِعُ إِلَى النَّفْسِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَكَذَا  
 أَهْلُ الْمَشْرِقِ لَمَّا كَانُوا فِي التَّعْلِيمِ وَالصَّنَائِعِ أَرْسَحَ رُتْبَةً وَأَعْلَى قَدَمًا وَكَانَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
 أَقْرَبَ إِلَى الْبِدَاوَةِ لَمَّا قَدَّمَاهُ فِي الْفَضْلِ قَبْلَ هَذَا ظَنُّ الْمُغْفَلُونَ فِي بَادِي الرَّأْيِ أَنَّهُ  
 لِكَمَالٍ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ اخْتَصُوا بِهِ عَنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ فَتَفَهَّمْهُ  
 وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ وَهُوَ إِلَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

### الفصل الثالث

في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ تَعْلِيمَ الْعِلْمِ كَمَا قَدَّمَاهُ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا  
 أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تَكْثُرُ فِي الْأَمْصَارِ وَعَلَى نِسْبَةِ عُمْرَانِهَا فِي الْكَثَرَةِ وَالْقِلَّةِ وَالْحَضَارَةِ  
 وَالْثَرَفِ تَكُونُ نِسْبَةُ الصَّنَائِعِ فِي الْجُودَةِ وَالْكَثَرَةِ لِأَنَّهُ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الْمَعَاشِ فَمَتَى  
 فَضَلَتْ أَعْمَالُ أَهْلِ الْعُمُرَانِ عَنْ مَعَاشِهِمْ أَنْصَرَفَتْ إِلَى مَا وَرَاءَ الْمَعَاشِ مِنَ التَّصَرُّفِ  
 فِي خَاصِيَّةِ الْإِنْسَانِ وَهِيَ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَمَنْ تَشَوَّفَ بِفِطْرَتِهِ إِلَى الْعِلْمِ مِمَّنْ نَشَأَ فِي  
 الْقَرْيِ وَالْأَمْصَارِ غَيْرِ الْمُتَمَدِّدَةِ فَلَا يَجِدُ فِيهَا التَّعْلِيمَ الَّذِي هُوَ صِنَاعِي لِفَقْدَانِ الصَّنَائِعِ  
 فِي أَهْلِ الْبَدْوِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَلَا بَدَلَهُ مِنَ الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِهِ إِلَى الْأَمْصَارِ الْمُسْتَبْحِرَةِ  
 شَأْنَ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا وَاعْتَبِرْ مَا قَرَّرْنَاهُ بِحَالِ بَغْدَادَ وَقُرْطُبَةَ وَالْقَيْرَوَانَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ  
 لَمَّا كَثُرَ عُمْرَانُهَا صَدَرَ الْإِسْلَامُ وَأَسْتَوَتْ فِيهَا الْحَضَارَةُ كَيْفَ زَخَرَتْ فِيهَا بِحَارُ الْعِلْمِ  
 وَتَفَنَّنُوا فِي أَصْطِلَاحَاتِ التَّعْلِيمِ وَأَصْنَافِ الْعُلُومِ وَأَسْتَنْبَاطِ الْمَسَائِلِ وَالْفُنُونِ حَتَّى أَزْبَوَا عَلَى  
 الْمُتَقَدِّمِينَ وَفَاتُوا الْمُتَأَخِّرِينَ وَلَمَّا تَنَاقَصَ عُمْرَانُهَا وَابْدَعَرَّ سُكَّانُهَا انْطَوَى ذَلِكَ الْبَسَاطُ  
 بِمَا عَلَيْهِ جُمْلَةُ وَفُقِدَ الْعِلْمُ بِهَا وَالتَّعْلِيمُ وَانْتَقَلَ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ وَنَحْنُ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ نَرَى أَنَّ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ إِنَّمَا هُوَ بِالْقَاهِرَةِ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ لَمَّا أَنَّ عُمْرَانَهَا مُسْتَبْحِرَةٌ  
 وَحَضَارَتُهَا مُسْتَحْكِمَةٌ مُنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا الصَّنَائِعُ وَتَفَنَّنَتْ وَمِنْ  
 جَمَاهِهَا تَعْلِيمُ الْعِلْمِ وَأَكْثَدُ ذَلِكَ فِيهَا وَحَفِظَهُ مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْعُصُورِ بِهَا مُنْذُ مَائَتَيْنِ مِنَ  
 السِّنِينَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ مِنْ أَيَّامِ صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ أَيُّوبَ وَهَلَمْ جَرَّاهُ وَذَلِكَ أَنَّ أُمَرَاءَ  
 التُّرْكِ فِي دَوْلَتِهِمْ يَخْشَوْنَ عَادِيَّةَ سُلْطَانِهِمْ عَلَى مَنْ يَخْلَفُونَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ لِمَا لَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ  
 الرِّقِّ أَوِ الْوِلَاءِ وَلِمَا يَخْشَى مِنْ مَعَاطِبِ الْمَلِكِ وَنُكْبَاتِهِ فَاسْتَكْثَرُوا مِنْ بِنَاءِ الْمَدَارِسِ



وَالزَّوَايَا وَالرُّبُطُ وَوَقَفُوا عَلَيْهَا الْأَوْقَافَ الْمُغَلَّةَ يَجْعَلُونَ فِيهَا شِرْكَاً لِدِينِهِمْ يَنْظُرُ عَلَيْهِمْ أَوْ  
يُصِيبُ مِنْهَا مَعَ مَا فِيهِمْ غَالِباً مِنَ الْجَنُوحِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْتِمَاسِ الْأَجُورِ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْأَفْعَالِ  
فَبَكَثَرَتْ الْأَوْقَافُ لِذَلِكَ وَعَظُمَتِ الْعِلَالُ وَالْفَوَائِدُ وَكَثُرَ طَالِبُ الْعِلْمِ وَمَعْلَمُهُ بِكَثْرَةِ  
جَرَايَتِهِمْ مِنْهَا وَأَزْتَحَلَ إِلَيْهَا النَّاسُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ مِنَ الْعِرَاقِ وَالْمَغْرِبِ وَتَفَقَّتْ بِهَا أَسْوَاقُ  
الْعُلُومِ وَزَخَرَتْ بِحَارِهَا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الرابع

في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

إِعْلَمَ أَنَّ الْعُلُومَ الَّتِي يَخْوَضُ فِيهَا الْبَشَرُ وَيَتَدَاوُلُونَهَا فِي الْأُمُورِ تَخْصِيلاً وَتَعْلِماً هِيَ  
عَلَى صِنْفَيْنِ صِنْفٌ طَبِيعِي لِلْإِنْسَانِ يَهْتَدِي إِلَيْهِ بِفِكْرِهِ وَصِنْفٌ تَقْلِي يَأْخُذُهُ عَمَلٌ  
وَضَعُهُ وَالْأَوَّلُ هِيَ الْعُلُومُ الْحِكْمِيَّةُ الْفَلَسَفِيَّةُ وَهِيَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ  
بِطَبِيعَةِ فِكْرِهِ وَيَهْتَدِي بِمَدَارِكِهِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى مَوْضُوعَاتِهَا وَمَسَائِلِهَا وَأَنْحَاءِ بَرَاهِينِهَا  
وَوُجُوهِ تَعْلِيمِهَا حَتَّى يَقِفَهُ <sup>(١)</sup> نَظَرُهُ وَيَحْتَهُ عَلَى الصَّوَابِ مِنَ الْخَطَا فِيهَا مِنْ حَيْثُ هُوَ  
إِنْسَانٌ ذُو فِكْرٍ وَالثَّانِي هِيَ الْعُلُومُ النَّقْلِيَّةُ الْوَضْعِيَّةُ وَهِيَ كُلُّهَا مُسْتَنِدَةٌ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ  
الْوَضْعِ الشَّرْعِيِّ وَلَا مَجَالَ فِيهَا لِلْعَقْلِ إِلَّا فِي الْحَقَائِقِ الْفُرُوعِ مِنْ مَسَائِلِهَا بِالْأَصُولِ  
لِأَنَّ الْجُزْئِيَّاتِ الْحَادِثَةَ الْمُتَعَاكِفَةَ لَا تَنْدَرِجُ تَحْتَ النِّقْلِ الْكُلِّيِّ بِمَجَرَّدِ وَضْعِهِ فَتَحْتَاجُ  
إِلَى الْإِلْحَاقِ بِوَجْهِ قِيَاسِيٍّ إِلَّا أَنْ هَذَا الْقِيَاسُ يَتَفَرَّغُ عَنِ الْخَبَرِ بِثَبُوتِ الْحُكْمِ  
فِي الْأَصْلِ وَهُوَ تَقْلِيٌّ فَرَجَعَ هَذَا الْقِيَاسُ إِلَى النِّقْلِ لِتَفَرُّغِهِ عَنْهُ وَأَصْلُ هَذِهِ الْعُلُومِ  
النَّقْلِيَّةِ كُلُّهَا هِيَ الشَّرْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ الَّتِي هِيَ مَشْرُوعَةٌ لَنَا مِنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَهَيِّئُهَا لِلْإِفَادَةِ ثُمَّ يَسْتَتِيعُ ذَلِكَ عُلُومُ  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي هُوَ لِسَانُ الْعِلْمِ وَبِهِ نُزِّلَ الْقُرْآنُ وَأَصْنَافُ هَذِهِ الْعُلُومِ النَّقْلِيَّةِ  
كَثِيرَةٌ لِأَنَّ الْمُكَافَأَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِ  
وَعَلَى أَبْنَاءِ جَنْسِهِ وَهِيَ مَا خُوِذَتْ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ بِاللِّصْنِ أَوْ بِالِاجْتِمَاعِ أَوْ  
بِالِإِلْحَاقِ فَلَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ بِالْكِتَابِ بَيَانِ الظَّاهِرِ أَوَّلًا وَهَذَا هُوَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ ثُمَّ  
بِإِسْنَادِ تَقْلِهِ وَرِوَايَتِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاخْتِلَافِ

(١) قوله حتى يقفه نظره يستعمل وقف متعبداً فنقول وقفته على كذا أي اطالعته عليه فإله نصر

رَوَايَاتِ الْقُرَّاءِ فِي قِرَاءَتِهِ وَهَذَا هُوَ عِلْمُ الْقِرَاءَاتِ ثُمَّ بِإِسْنَادِ السُّنَّةِ إِلَى صَاحِبِهَا وَالْكَلَامِ  
 فِي الرُّوَاةِ النَّاقِلِينَ لَهَا وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ وَعَدَالَتِهِمْ لِيَقَعَ الْوُثُوقُ بِأَخْبَارِهِمْ يَعْلَمُ مَا يَجِبُ  
 الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ هِيَ عُلُومُ الْحَدِيثِ ثُمَّ لَا بُدَّ فِي اسْتِنْبَاطِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ  
 مِنْ أُصُولِهَا مِنْ وَجْهِ قَانُونِي يُفِيدُ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ هَذَا الْاسْتِنْبَاطِ وَهَذَا هُوَ أُصُولُ الْفَقْهِ  
 وَبَعْدَ هَذَا تَحْصُلُ الثَّمَرَةُ بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِ الدُّعَاةِ وَكُلِّفِينَ وَهَذَا هُوَ  
 الْفَقْهُ ثُمَّ إِنَّ التَّكَلِيفَ مِنْهَا بَدَنِيٌّ وَمِنْهَا قَلْبِيٌّ وَهُوَ الْخُتُصُّ بِالْإِيمَانِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ  
 مِمَّا لَا يُعْتَقَدُ وَهَذِهِ هِيَ الْعَقَائِدُ الْإِيمَانِيَّةُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَأُمُورِ الْخَيْرِ وَالنَّعِيمِ  
 وَالْعَذَابِ وَالْقَدَرِ وَالْحِجَاجُ عَنْ هَذِهِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ ثُمَّ النَّظَرُ فِي  
 الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَا بُدَّ أَنْ تَتَقَدَّمَ الْعُلُومُ اللَّسَانِيَّةُ لِأَنَّهُ مُتَوَقَّفٌ عَلَيْهَا وَهِيَ أَصْنَافُ  
 فَنِّيَّةٌ عِلْمُ الْأَلْفَاظِ وَعِلْمُ النَّحْوِ وَعِلْمُ الْبَيَانِ وَعِلْمُ الْأَدَابِ حَسْبَمَا تَكَلَّمُ عَلَيْهَا كُلُّهَا وَهَذِهِ  
 الْعُلُومُ النَّقْلِيَّةُ كَمَا تُخْتَصُّ بِالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَهْلِهَا وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ مِلَّةٍ عَلَى الْجُمْلَةِ  
 لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ فَهِيَ مُشَارِكَةٌ لَهَا فِي الْجَنَسِ الْبَعِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ  
 الْمُنَزَّلَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ الْمُبْلِغِ لَهَا وَأَمَّا عَلَى الْخُصُوصِ فَمُبَايَنَةٌ  
 لِجَمِيعِ الْمِلَلِ لِأَنَّهَا نَاسِخَةٌ لَهَا وَكُلُّ مَا قَبْلَهَا مِنْ عُلُومِ الْمِلَلِ فَمَهْجُورَةٌ وَالنَّظَرُ فِيهَا مَحْظُورٌ  
 فَقَدْ نَهَى الشَّرْعُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ غَيْرِ الْقُرْآنِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ  
 وَالْهُنَا وَالْهُكْمُ وَاحِدٌ وَرَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 وَرَقَةً مِنَ التَّوْرَةِ فَغَضِبَ حَتَّى تَبَيَّنَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ أَلَمْ آتِكُمْ بِهَا يَبْنَاءَ نَقِيَّةً  
 وَاللَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ النَّقْلِيَّةَ قَدْ  
 نَفَقَتْ أَسْوَاقُهَا فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَنْتَهَتْ فِيهَا مَدَارِكُ النَّاطِرِينَ إِلَى  
 الْغَايَةِ الَّتِي لَا شَيْءَ فَوْقَهَا وَهَذِهِ الْأَصْطِلَاحَاتُ وَرُتِبَتِ الْفُنُونُ فَجَاءَتْ مِنْ وَرَاءِ الْغَايَةِ فِي  
 الْحُسْنِ وَالْتِمِيقِ وَكَانَ لِكُلِّ فَنٍّ رِجَالٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فِيهِ وَأَوْضَاعٌ يُسْتَفَادُ مِنْهَا الْعِلْمُ  
 وَأَخُتِصَّ الْمَشْرِقُ مِنْ ذَلِكَ وَالْمَغْرِبُ بِمَا هُوَ مَشْهُورٌ مِنْهَا حَسْبَمَا نَذَكُرُهُ الْآنَ عِنْدَ  
 تَعْدِيدِ هَذِهِ الْفُنُونِ وَقَدْ كَسَدَتْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَسْوَاقُ الْعِلْمِ بِالْمَغْرِبِ لِشِقَاقِ الْعُمَرَانِ  
 فِيهِ وَأَنْقِطَاعِ سِنْدِ الْعِلْمِ وَالْتَعَامِ كَمَا قَدَّمَاهُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ وَمَا أَدْرِي مَا فَعَلَ اللَّهُ



بِالْمَشْرِقِ وَالظَّنُّ بِهِ تَفَاقُ الْعِلْمِ فِيهِ وَاتِّصَالُ التَّعْلِيمِ فِي الْعُلُومِ وَفِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ  
الضَّرُورِيَّةِ وَالْكِمَالِيَّةِ لِكثَرَةِ عُمُرَانِهِ وَالْحِضَارَةِ وَوُجُودِ الْإِعَانَةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِالْجِرَايَةِ  
مِنَ الْأَوْقَافِ الَّتِي اتَّسَعَتْ بِهَا أَرْزَاقُهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ  
وَبِيَدِهِ التَّوْفِيقُ وَالْإِعَانَةُ

### الفصل الخامس

في علوم القرآن من التفسير والقراءات

الْقُرْآنُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْمُنْزَلُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمَكْتُوبُ بَيْنَ دَفْتَيْ الْمَصْخَفِ وَهُوَ  
مُتَوَاتِرٌ بَيْنَ الْأُمَّةِ إِلَّا أَنَّ الْأَصْحَابَةَ رَوَوْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طُرُقٍ  
مُخْتَلِفَةٍ فِي بَعْضِ الظَّاهِرِ وَكَيْفِيَّاتِ الْحُرُوفِ فِي أَدَائِهَا وَتَنَوُّلِ ذَلِكَ وَاشْتَهَرَ إِلَى أَنْ  
اسْتَقَرَّتْ مِنْهَا سَبْعُ طُرُقٍ مُعَيَّنَةٍ تَوَاتَرَتْ نَقْلًا أَيْضًا بِأَدَائِهَا وَاخْتَصَّتْ بِالِاتِّسَابِ إِلَى مَنْ  
اشْتَهَرَ بِرِوَايَتِهَا مِنَ الْجَمْعِ الْغَنِيِّ فَصَارَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ أُصُولًا لِلْقِرَاءَةِ وَزُبْرًا  
زِيدَ بَعْدَ ذَلِكَ قِرَاءَاتٌ أُخْرَى لِحَقَّتْ بِالسَّبْعِ إِلَّا أَنَّهَا عِنْدَ أَيْمَةِ الْقِرَاءَةِ لَا تَقْوَى قُوَّتُهَا  
فِي النُّقْلِ وَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِهَا وَقَدْ خَالَفَ بَعْضُ النَّاسِ فِي تَوَاتُرِ  
طُرُقِهَا لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ كَيْفِيَّاتٌ لِلْأَدَاءِ وَهُوَ غَيْرُ مُنْضَبِطٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ بِقَادِحٍ فِي  
تَوَاتُرِ الْقُرْآنِ وَأَبَاهُ إِلَّا كَثُرُ وَقَالُوا بِتَوَاتُرِهَا وَقَالَ آخَرُونَ بِتَوَاتُرِ غَيْرِ الْأَهَاءِ مِنْهَا  
كَالْمَدِّ وَالْتَسْهِيلِ لِعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ بِالسَّمْعِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَلَمْ يَزَلِ الْقِرَاءَةُ  
يَتَدَاوَلُونَ هَذِهِ الْقِرَاءَاتُ وَرِوَايَتُهَا إِلَى أَنْ كُتِبَتِ الْعُلُومُ وَدُونَتْ فَكُتِبَتْ فِيهَا كُتُبٌ  
مِنَ الْعُلُومِ وَصَارَتْ صِنَاعَةً مَخْصُوصَةً وَعِلْمًا مُفْرَدًا وَتَنَاقَلَهُ النَّاسُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ  
فِي جِيلٍ بَعْدَ جِيلٍ إِلَى أَنْ مَلَكَ بَشَرِقِ الْأَنْدَلُسِ مُجَاهِدٌ مِنْ مَوَالِي الْعَامِرِيِّينَ وَكَانَ  
مُعْتَنِيًا بِهَذَا الْفَنِّ مِنْ بَيْنِ فُنُونِ الْقُرْآنِ لَمَّا أَخَذَهُ بِهِ مَوْلَاهُ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْعَامِرِ  
وَاجْتَهَدَ فِي تَعْلِيمِهِ وَعَرْضِهِ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَيْمَةِ الْقِرَاءَةِ بِحَضْرَتِهِ فَكَانَ سَهْمُهُ فِي  
ذَلِكَ وَافِرًا وَاخْتَصَّ مُجَاهِدٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِمَارَةِ دَانِيَّةٍ وَالْجَزَائِرِ الشَّرْقِيَّةِ فَتَفَقَّتْ بِهَا سُوقُ  
الْقِرَاءَةِ لَمَّا كَانَ هُوَ مِنْ أَيْمَتِهَا وَبِمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ بِسَائِرِ الْعُلُومِ عُمُومًا وَبِالْقِرَاءَاتِ  
خُصُوصًا فَظَهَرَ لِعَهْدِهِ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِيهَا وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا وَانْتَهَتْ إِلَى  
رِوَايَتِهِ أَسَانِيدُهَا وَتَعَدَّدَتْ تَأْلِيفُهُ فِيهَا وَعَوَّلَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَعَدَلُوا عَنْ غَيْرِهَا وَأَعْتَمَدُوا

مِنْ يَنْبِهَا كِتَابَ التَّيْسِيرِ لَهُ ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِيهِمَا مِنَ الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ أَبُو الْقَاسِمِ  
 ابْنُ فَيْرُزَةَ مِنْ أَهْلِ شَاطِئَةِ فَعَمِدَ إِلَى تَهْدِيهِ مَا دَوَّنَهُ أَبُو عَمْرٍو وَتَلَخِيصِهِ فَنَظَّمَ ذَلِكَ  
 كُلَّهُ فِي قَصِيدَةٍ لَغَزَ فِيهَا أَمَاءُ الْقُرَاءِ بِحُرُوفِ اب ج د تَرْتِيبًا أَحْكَمَهُ لِيَتَيَسَّرَ عَلَيْهِ مَا  
 قَصَدَهُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ وَلِيَكُونَ أَسْهَلَ لِلْحِفْظِ لِأَجْلِ نَظْمِهَا فَاسْتَوْعَبَ فِيهَا الْفَنَّ اسْتِعَابًا  
 حَسَنًا وَعَنِ النَّاسِ بِحِفْظِهَا وَتَلَقُّيْنَهَا لِلْوِلْدَانِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَجَرَى أَعْمَلُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَمْصَارِ  
 الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَرُبَّمَا أُضِيفَ إِلَى فَنِّ الْقُرَاءَاتِ فَنُّ الرَّسْمِ أَيْضًا وَهِيَ أَوْضَاعُ  
 حُرُوفِ الْقُرْآنِ فِي الْمُصْحَفِ وَرُسُومُهُ الْخَطِيَّةُ لِأَنَّ فِيهِ حُرُوفًا كَثِيرَةً وَقَعَ رَسْمُهَا عَلَى  
 غَيْرِ الْمَعْرُوفِ مِنْ قِيَاسِ الْخَطِّ كَرِيبَادَةِ الْيَاءِ فِي بَابِيَدٍ وَزِيَادَةِ الْآلِفِ فِي لَا أَذْبَحَنَّهُ  
 وَلَا أَوْضَعُوا وَالْوَاوِ فِي جَزَاءٍ وَالظَّالِمِينَ وَحَذَفَ الْآلِفَاتِ فِي مَوَاضِعَ دُونَ أُخْرَى وَمَا  
 رُسِمَ فِيهِ مِنَ الْبَاءَاتِ مَمْدُودًا وَالْأَصْلُ فِيهِ مَرْبُوطٌ عَلَى شَكْلِ الْهَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقَدْ  
 مَرَّ تَعْلِيلُ هَذَا الرَّسْمِ الْمُصْحَفِيِّ عِنْدَ الْمَكَلَامِ فِي الْخَطِّ فَلَمَّا جَاءَتْ دِلِيلُهُ الْخِلَافَةُ  
 لِأَوْضَاعِ الْخَطِّ وَقَانُونِهِ اخْتِيجَ إِلَى حَضَرِهَا فَكُتِبَ النَّاسُ فِيهَا أَيْضًا عِنْدَ كُتُبِهِمْ  
 فِي الْعُلُومِ وَانْتَهَتْ بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي الْمَذْكُورِ فَكُتِبَ فِيهَا كُتُبًا مِنْ  
 أَشْهَرِهَا كِتَابُ الْمُقْنِعِ وَأَخَذَ بِهِ النَّاسُ وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَنَظَّمَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّاطِئِيُّ فِي  
 قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى رَوِيِّ الرِّاءِ وَوَلَعَ النَّاسُ بِحِفْظِهَا ثُمَّ كَثُرَ الْخِلَافُ فِي الرَّسْمِ فِي  
 كَلِمَاتٍ وَحُرُوفٍ أُخْرَى ذَكَرَهَا أَبُو دَاوُدَ سَائِمَانُ بْنُ نُبَاحٍ مِنْ مَوَالِي نُبَاهِدٍ فِي  
 كُتُبِهِ وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي وَالْمُشْتَهَرُ بِحَمَلِ عُلُومِهِ وَرَوَايَةِ كُتُبِهِ ثُمَّ نُقِلَ  
 بَعْدَهُ خِلَافُ آخَرُ فَنَظَّمَ الْخُرَازِيُّ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِالْمَغْرِبِ أَرْجُوزَةً أُخْرَى زَادَ فِيهَا  
 عَلَى الْمُقْنِعِ خِلَافًا كَثِيرًا وَعَزَاهُ لِتَافِلِيهِ وَاشْتَهَرَتْ بِالْمَغْرِبِ وَاقْتَصَرَ النَّاسُ عَلَى حِفْظِهَا  
 وَهَجَرُوا بِهَا كُتُبَ أَبِي دَاوُدَ وَأَبِي عَمْرٍو وَالشَّاطِئِيِّ فِي الرَّسْمِ.

(وَأَمَّا التفسير) . فَأَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ نُزِّلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَعَلَى أَسَالِبِ بِلَاغَتِهِمْ  
 فَكَانُوا كُلُّهُمْ يَفْهَمُونَهُ وَيَعْلَمُونَ مَعَانِيَهُ فِي مُفْرَدَاتِهِ وَتَرَكَيبِهِ وَكَانَ يُنْزَلُ جَمَلًا جَمَلًا  
 وَأَيَّاتٍ آيَاتٍ لِبَيَانِ التَّوْحِيدِ وَالْفُرُوضِ الدِّينِيَّةِ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْعَقَائِدِ  
 الْإِيمَانِيَّةِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي أَحْكَامِ الْجَوَارِحِ وَمِنْهَا مَا يَتَقَدَّمُ وَمِنْهَا مَا يَتَأَخَّرُ وَيَكُونُ  
 نَاسِخًا لَهُ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبَيِّنُ الْمُجْمَلِ وَيُمَيِّزُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ.



وَيَعْرِفُهُ أَصْحَابُهُ فَعَرَفُوهُ وَعَرَفُوا سَبَبَ نُزُولِ الْآيَاتِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ مِنْهَا مَنْقُولًا عَنْهُ كَمَا  
عَلِمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إِنبِأَ نِعْمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْثَالُ  
ذَلِكَ وَنُقِلَ ذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَتَدَاوَلَ ذَلِكَ التَّابِعُونَ مِنْ  
بَعْدِهِمْ وَنُقِلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَلَمْ يَزَلْ مُتَنَاقِلًا بَيْنَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَالسَّلَفِ حَتَّى صَارَتِ الْمَعَارِفُ  
عُلُومًا وَذَوْنَتِ الْكُتُبُ فَكُتِبَ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ وَتَقَاتِ الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِيهِ عَنِ  
الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الطَّبْرِيِّ وَالْوَاقِدِيِّ وَالثَّعَالِبِيِّ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ  
الْمُفَسِّرِينَ فَكُتِبُوا فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ مِنَ الْأَثَارِ ثُمَّ صَارَتْ عُلُومُ اللِّسَانِ  
صِنَاعِيَّةً مِنَ الْكَلَامِ فِي مَوْضِعَاتِ اللُّغَةِ وَأَحْكَامِ الْأَعْرَابِ وَالْبَلَاغَةِ فِي التَّرَاكِبِ  
فَوَضِعَتِ الدَّوَابِ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَلَسَكَاتٍ لِلْعَرَبِ لَا يُرْجَعُ فِيهَا إِلَى نَقْلِ وَلَا  
كِتَابٍ فَتَنُوسِي ذَلِكَ وَصَارَتْ تُتْلَى مِنْ كُتُبِ أَهْلِ اللِّسَانِ فَاحْتِجَّ إِلَى ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ  
الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَعَلَى مِنْهَاجِ بَلَاغَتِهِمْ وَصَارَ التَّفْسِيرُ عَلَى صِنْفَيْنِ تَفْسِيرٌ ثَقُلِي  
مُسْنَدٌ إِلَى الْأَثَارِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ السَّلَفِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَأَسْبَابُ النُّزُولِ  
وَمَقَاصِدُ الْآيِ وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِالنَّقْلِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَقَدْ جَمَعَ الْمُتَقَدِّمُونَ  
فِي ذَلِكَ وَأَوْعَوْا إِلَّا أَنَّ كُتُبَهُمْ وَمَنْقُولَاتِهِمْ تَشْتَمِلُ عَلَى الْغَثِّ وَالسَّمِينِ وَالْمَقْبُولِ  
وَالْمَرْدُودِ وَالسَّبَبِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَلَا عِلْمٍ وَإِنَّمَا غَابَتْ  
عَلَيْهِمُ الْبِدَاوَةُ وَالْأُمِّيَّةُ وَإِذَا تَشَوَّقُوا إِلَى مَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِمَّا تَشَوَّقُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ  
فِي أَسْبَابِ الْمُكُونَاتِ وَبَدْءِ الْخَلِيقَةِ وَأَسْرَارِ الْوُجُودِ فَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ أَهْلَ  
الْكِتَابِ قَبْلَهُمْ وَيَسْتَفِيدُونَهُ مِنْهُمْ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَمَنْ تَبَعَ دِينَهُمْ مِنَ  
النَّصَارَى وَأَهْلُ التَّوْرَةِ الَّذِينَ بَيْنَ الْعَرَبِ يَوْمئِذٍ بَادِيَةٌ مِثْلُهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا  
مَا تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُعْظَمُهُمْ مِنْ خَيْرِ الَّذِينَ أَخَذُوا بِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ  
فَلَمَّا اسْلَمُوا بَقُوا عَلَى مَا كَانَ عَنْدهُمْ مِمَّا لَا تَعْلُقُ لَهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَخْطِطُونَ  
لَهَا مِثْلَ أَخْبَارِ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَى الْخِلْقَانِ وَالْمَلَأَحِمِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَهَؤُلَاءِ  
مِثْلُ كُتُبِ الْأَخْبَارِ وَوَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَمْثَالُهُمْ فَأَمْتَلَأَتِ التَّفَاسِيرُ  
مِنَ الْمَنْقُولَاتِ عَنْهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ أَخْبَارًا مَوْقُوفَةً عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ بِمَعَا  
يَرْجِعُ إِلَى الْأَحْكَامِ فَتُحَرَّى فِي الصِّحَّةِ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْعَمَلُ وَتَسَاهَلُ الْمُفَسِّرُونَ فِي

مِثْلَ ذَلِكَ وَمَلَأُوا كُتُبَ التَّفْسِيرِ بِهَذِهِ الْمَقُولَاتِ وَأَصْلُهَا كَمَا قُلْنَا عَنْ أَهْلِ التَّوَرَاةِ  
 الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْبَادِيَةَ وَلَا تَحْقِيقَ عِنْدَهُمْ بِمَعْرِفَةِ مَا يَنْقُلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ بَعْدَ  
 صِيَتِهِمْ وَعَظُمَتِ أَقْدَارُهُمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَقَامَاتِ فِي الدِّينِ وَالْمِلَّةِ فَتَلَقَّيْتُ  
 بِالْقَبُولِ مِنْ يَوْمَئِذٍ فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ إِلَى التَّحْقِيقِ وَالتَّنْقِصِ وَجَاءَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ  
 عَطِيَّةٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِالْمَغْرِبِ فَلَخَّصَ تِلْكَ التَّفَاسِيرَ كُلَّهَا وَتَحَرَّى مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى  
 الصَّحَّةِ مِنْهَا وَوَضَعَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ مُتَدَاوِلٍ بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ حَسَنَ الْمَتْنِ  
 وَتَبَعَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تِلْكَ الطَّرِيقَةِ عَلَى مِنْهَاجٍ وَاحِدٍ فِي كِتَابٍ آخَرَ مَشْهُورٌ بِالْمَشْرِقِ  
 وَالصَّنْفُ الْآخَرُ مِنَ التَّفْسِيرِ وَهُوَ مَا يَرْجِعُ إِلَى اللِّسَانِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّغَةِ وَالْإِعْرَابِ  
 وَالْبَلَاغَةِ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى بِحَسَبِ الْمَقَاصِدِ وَالْأَسَالِبِ وَهَذَا الصَّنْفُ مِنَ التَّفْسِيرِ قَلٌّ  
 أَنْ يَفْرَدَ عَنْ الْأَوَّلِ إِذِ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ وَإِنَّمَا جَاءَ هَذَا بَعْدَ أَنْ صَارَ  
 اللِّسَانُ وَعُلُومُهُ صِنَاعَةً نَعَمَ قَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ غَالِبًا وَمِنْ أَحْسَنِ مَا اشْتَمَلَ  
 عَلَيْهِ هَذَا الْفَنُّ مِنَ التَّفَاسِيرِ كِتَابُ الْكَشَافِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ مِنْ أَهْلِ خَوَازِمِ الْعِرَاقِ  
 إِلَّا أَنَّ مُؤَلِّفَهُ مِنْ أَهْلِ الْأَعْتَزَالِ فِي الْعُقَائِدِ فَيَأْتِي بِالْحِجَاجِ عَلَى مَذَاهِبِهِمُ الْفَاسِدَةِ حَيْثُ  
 تَعْرِضُ فِي آيِ الْقُرْآنِ مِنْ طُرُقِ الْبَلَاغَةِ فَصَارَ ذَلِكَ لِلْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ انْخِرَافٌ  
 عَنْهُ وَتَحْذِيرٌ لِلْجُهَّالِ مِنْ مَكَامِهِ مَعَ إِفْرَارِهِمْ بِرُسُوحِ قَدَمِهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاللِّسَانِ وَالْبَلَاغَةِ  
 وَإِذَا كَانَ النَّازِرُ فِيهِ وَاقِفًا مَعَ ذَلِكَ عَلَى الْمَذَاهِبِ السُّنِّيَّةِ مُحْسِنًا لِلْحِجَاجِ عَنْهَا فَلَا جَرَمَ  
 إِنَّهُ مَا مَوْءُونٌ مِنْ غَوَائِلِهِ فَلَمَّا غَنَسْتُمْ مُطَالَعَتَهُ لِعَرَابَةِ فُنُونِهِ فِي اللِّسَانِ وَلَقَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا فِي  
 هَذِهِ الْعُصُورِ تَأْلِيفٌ لِبَعْضِ الْعِرَاقِيِّينَ وَهُوَ شَرَفُ الدِّينِ الطَّبَّيُّ مِنْ أَهْلِ تُوْرِيْزٍ مِنْ  
 عِرَاقِ الْعَجَمِ شَرَحَ فِيهِ كِتَابَ الزَّمَخْشَرِيِّ هَذَا وَتَبَعَ الْفَاطَةَ وَتَعَرَّضَ لِمَذَاهِبِهِ فِي  
 الْأَعْتَزَالِ بِأَدِلَّةٍ تَزَيُّفُهَا وَيَبِينُ أَنَّ الْبَلَاغَةَ إِنَّمَا تَقَعُ فِي الْآيَةِ عَلَى مَا يَرَاهُ أَهْلُ السُّنَّةِ  
 لَا عَلَى مَا يَرَاهُ الْمُعْتَزِلَةُ فَأَحْسَنَ فِي ذَلِكَ مَا شَاءَ مَعَ إِمْتِنَاعِهِ فِي سَائِرِ فُنُونِ الْبَلَاغَةِ  
 وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

### الفصل السادس

في علوم الحديث

وَأَمَّا عُلُومُ الْحَدِيثِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ لِأَنَّ مِنْهَا مَا يُنْظَرُ فِي نَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ



وَذَلِكَ بِمَا ثَبَّتَ فِي شَرِيعَتِنَا مِنْ جَوَازِ النَّسَخِ وَوُقُوعِهِ لُطْفًا مِنْ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَتَخَنُّنًا عَنْهُمْ  
بِاعْتِبَارِ مَصَالِحِهِمُ الَّتِي تَكْفُلُ لَهُمْ بِهَا قَالَ تَعَالَى مَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ  
مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا فَإِذَا تَعَارَضَ الْخَبَرَانِ بِالذَّنْفِ وَالْإِثْبَاتِ وَتَعَدَّرَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بِبَعْضِ التَّأْوِيلِ  
وَعَلِمَ تَقْدِمُ أَحَدُهُمَا تَعَيَّنَ أَنَّ الْمَتَأَخَّرَ نَاسِخٌ وَمَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنْ أَهَمِّ عُلُومِ  
الْحَدِيثِ وَأَصْعَبُهَا قَالَ الزُّهْرِيُّ أَعْيَا الْفُقَهَاءَ وَأَعْجَزُهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا نَاسِخَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَنْسُوخِهِ وَكَانَ لِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ قَدَمٌ رَاسِخَةٌ وَمِنْ  
عُلُومِ الْأَحَادِيثِ النَّظَرُ فِي الْأَسَانِيدِ وَمَعْرِفَةُ مَا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِوُقُوعِهِ  
عَلَى السَّنَدِ الْكَامِلِ الشَّرْطِ لِأَنَّ الْعَمَلَ إِنَّمَا وَجِبَ بِمَا يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ مِنْ  
اِخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُجْتَنَدُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي تُحْصِلُ ذَلِكَ الظَّنَّ وَهُوَ  
بِمَعْرِفَةِ رِوَاةِ الْحَدِيثِ بِالْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَإِنَّمَا يَثْبُتُ ذَلِكَ بِالنَّقْلِ عَنْ أَعْلَامِ الدِّينِ  
بِتَعَدُّيلِهِمْ وَبِرَأْيِهِمْ مِنَ الْجَرَحِ وَالْعَقْلَةِ وَيَكُونُ لَنَا ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْقَبُولِ أَوْ التَّرْكِ  
وَكَذَلِكَ مَرَاتِبُ هَؤُلَاءِ النُّقْلَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفَاوُتُهُمْ فِي ذَلِكَ وَتَمَيُّزُهُمْ فِيهِ  
وَاحِدًا وَاحِدًا وَكَذَلِكَ الْأَسَانِيدُ تَتَفَاوَتُ بِاتِّصَالِهَا وَانْقِطَاعِهَا بِأَنْ يَكُونَ الرَّاوي لَمْ يَلْقَ  
الرَّاويَ الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ وَبِإِسْلَامَتِهَا مِنْ الْعِلَلِ الْمُوهِنَةِ لَهَا وَتَنْتَهِي بِالتَّفَاوُتِ إِلَى طَرَفَيْنِ  
فَحُكْمُ بَقُولِ الْأَعْلَى وَرَدُّ الْأَسْفَلِ وَيُخْتَلَفُ فِي الْمُتَوَسِّطِ بِحَسَبِ الْمَقُولِ عَنْ  
أُئِمَّةِ الشَّانِ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الْفَاطُ أَصْطَلَحُوا عَلَى وَضْعِهَا لِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْمُرْتَبَةِ مِثْلَ  
الصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ وَالضَّعِيفِ وَالْمُرْسَلِ وَالْمُنْقَطِعِ وَالْمُعْضِلِ وَالشَّاذِ وَالْغَرِيبِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ مِنَ الْقَابِهِ الْمُتَدَاوِلَةِ بَيْنَهُمْ وَبَوَّبُوا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَنَقَلُوا مَا فِيهِ مِنْ الْخِلَافِ  
لَأُئِمَّةِ اللِّسَانِ أَوْ الْوَفَاقِ ثُمَّ النَّظَرُ فِي كَيْفِيَّةِ اخْتِذِ الرَّوَايَةِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِقِرَاءَةِ  
أَوْ كِتَابَةِ أَوْ مَنَاقِلَةٍ أَوْ إِجَازَةٍ وَتَفَاوُتَ رُتَبِهَا وَمَا لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخِلَافِ بِالْقَبُولِ  
وَالرَّدِّ ثُمَّ اتَّبَعُوا ذَلِكَ بِكَلَامٍ فِي الْفَاطِ نَقَعَ فِي مَثُونِ الْحَدِيثِ مِنْ غَرِيبٍ أَوْ مُشْكَلٍ  
أَوْ تَضْعِيفٍ أَوْ مُفْتَرَقٍ مِنْهَا أَوْ مُخْتَلَفٍ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ هَذَا مُعْظَمُ مَا يَنْظَرُ فِيهِ أَهْلُ  
الْحَدِيثِ وَغَالِبُهُ وَكَانَتْ أَحْوَالُ نَقْلَةِ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ  
مَعْرُوفَةً عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِهِ فَمِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَمِنْهُمْ بِالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ مِنَ الْعِرَاقِ وَمِنْهُمْ  
بِالشَّامِ وَمِصْرَ بِالْجَمِيعِ مَعْرُوفُونَ مَشْهُورُونَ فِي أَعْصَارِهِمْ وَكَانَتْ طَرِيقَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ

فِي أَغْصَارِهِمْ فِي الْأَسَانِيدِ أَعْلَى مِمَّنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّا فِي الصَّحِيحَةِ لِاسْتِبْدَادِهِمْ فِي شُرُوطِ  
 النَّقْلِ مِنَ الْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَتَجَافِيهِمْ عَنْ قَبُولِ الْجَهْلُولِ الْحَالِ فِي ذَلِكَ وَسَنَدِ الطَّرِيقَةِ  
 الْحِجَازِيَّةِ بَعْدَ السَّلَفِ الْإِمَامُ مَالِكُ عَالِمُ الْمَدِينَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ثُمَّ أَصْحَابُهُ مِثْلُ  
 الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ أَذْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَمْثَالِهِمْ وَكَانَ عِلْمُ  
 الشَّرِيعَةِ فِي مَبْدَأِ هَذَا الْأَمْرِ تَقْلِيدًا مِيرَاقًا شَمَّرَ لَهَا السَّلَفُ وَتَحَرَّوْا الصَّحِيحَ حَتَّى اكْتَمَلُوا  
 وَكَتَبَ مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَ الْمُوطَأِ أَوْدَعَهُ أُصُولَ الْأَحْكَامِ مِنَ الصَّحِيحِ  
 الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ وَرَبَّهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ ثُمَّ عَنِ الْحَافِظِ بِمَعْرِفَةِ طُرُقِ الْأَحَادِيثِ وَأَسَانِيدِهَا  
 الْمُخْتَلَفَةِ وَرُبَّمَا يَقَعُ إِسْنَادُ الْحَدِيثِ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنْ رِوَاةٍ مُخْتَلَفِينَ وَقَدْ يَقَعُ الْحَدِيثُ  
 أَيْضًا فِي أَبْوَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِاخْتِلَافِ الْعَمَانِيِّ الَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ  
 إِمَامُ الْحَدِيثِ ثِنِينَ فِي عَصْرِهِ فَخَرَّجَ أَحَادِيثَ السُّنَنِ عَلَى أَبْوَابِهَا فِي مُسْنَدِهِ الصَّحِيحِ بِجَمِيعِ الطُّرُقِ  
 الَّتِي لِلْحِجَازِيِّينَ وَالْعِرَاقِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ وَاعْتَمَدُوا مِنْهَا مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ دُونَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ  
 وَكَرَّرَ الْأَحَادِيثَ يَسُوقُهَا فِي كُلِّ بَابٍ بِمَعْنَى ذَلِكَ الْبَابِ الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْحَدِيثُ فَتَكَرَّرَتْ  
 لِذَلِكَ أَحَادِيثُهُ حَتَّى يُقَالُ إِنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى تِسْعَةِ <sup>(١)</sup> آلَافِ حَدِيثٍ وَمِائَتَيْنِ مِنْهَا ثَلَاثَةُ  
 آلَافٍ مُتَكَرِّرَةٍ وَفِرَقُ الطُّرُقِ وَالْأَسَانِيدِ عَلَيْهَا مُخْتَلَفَةٌ فِي كُلِّ بَابٍ ثُمَّ جَاءَ الْإِمَامُ  
 مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَالْتَفَ مُسْنَدُهُ الصَّحِيحَ حَذَا فِيهِ حَذْوُ  
 الْبُخَارِيِّ فِي نَقْلِ الْجُمُوعِ عَلَيْهِ وَحَذَفَ الْمُتَكَرِّرَ مِنْهَا وَجَمَعَ الطُّرُقَ وَالْأَسَانِيدَ  
 وَبَوَّهَ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ وَتَرَاجَمَهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْتَوْعِبِ الصَّحِيحَ كُلَّهُ وَقَدْ اسْتَدْرَكَ  
 النَّاسُ عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ ثُمَّ كَتَبَ أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ وَأَبُو عِيْسَى التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو  
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ بِأَوْسَعِ مِنَ الصَّحِيحِ وَقَصَدُوا مَا تَوَفَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ  
 الْعَمَلِ إِمَّا مِنَ الرُّتْبَةِ الْعَالِيَةِ فِي الْأَسَانِيدِ وَهُوَ الصَّحِيحُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِمَّا مِنَ الَّذِي  
 دُونَهُ مِنَ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ إِمَامًا لِلْسُّنَةِ وَالْعَمَلِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَسَانِيدُ الْمَشْهُورَةُ  
 فِي الْمِلَّةِ وَهِيَ أَمَّهَاتُ كُتُبِ الْحَدِيثِ فِي السُّنَنِ فَإِنَّهَا وَإِنْ تَعَدَّدَتْ تَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ  
 فِي الْأَغْلَبِ وَمَعْرِفَةُ هَذِهِ الشُّرُوطِ وَالْأَصْطِلَاحَاتِ كُلِّهَا هِيَ عِلْمُ الْحَدِيثِ وَرُبَّمَا يُفْرَدُ  
 عَنْهَا النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ فَيَجْعَلُ قَنَّا بِرَأْسِهِ وَكَلْدًا الْغَرِيبُ وَالنَّاسِ فِيهِ تَأْلِيفُ مَشْهُورَةٌ



ثُمَّ الْمُؤْتَلَفُ وَالْمُخْتَلَفُ وَقَدْ آلَفَ النَّاسُ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ وَكَثُرُوا وَمِنْ فُحُولِ عُلَمَائِهِ  
 وَأَثَمَتِهِمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ وَتَالِيَتُهُ فِيهِ مَشْهُورَةٌ وَهُوَ الَّذِي هَذَبَهُ وَأَظْهَرَ مُحَاسِنَهُ  
 وَأَشْهَرَ كِتَابَ الْمُتَأَخِّرِينَ فِيهِ كِتَابُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الصَّلَاحِ كَانَ لِعَهْدِ أَوَائِلِ الْمِائَةِ  
 السَّابِعَةِ وَتَلَاَهُ نَحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَالْفَنُّ شَرِيفٌ فِي مَغْزَاهُ لِأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ مَا  
 يُحْفَظُ بِهِ السُّنَنُ الْمُنْقُولَةُ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ وَقَدْ انْقَطَعَ لِهَذَا الْعَهْدِ مُخْرِجُ شَيْءٍ مِنْ  
 الْأَحَادِيثِ وَاسْتَدْرَاجُهَا عَلَى الْمُتَقَدِّمِينَ إِذِ الْعَادَةُ تَشْهَدُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةَ عَلَى  
 تَعَدُّدِهِمْ وَتَلَاَحُقِ عُمُورِهِمْ وَكِفَايَتِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ لَمْ يَكُونُوا لِيُغْفَلُوا شَيْئًا مِنَ السُّنَنِ أَوْ  
 يَتْرَكُوا حَتَّى يَغُثَّ عَلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُ هَذَا بَعِيدٌ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا تَنْصَرِفُ الْعِنَايَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَى  
 تَصْحِيحِ الْأُمَمَاتِ الْمَكْتُوبَةِ وَضَبْطِهَا بِالرِّوَايَةِ عَنْ مُصَنِّفِهَا وَالنَّظَرِ فِي أَسَانِيدِهَا إِلَى  
 مَوَافِقِهَا وَعَرْضِ ذَلِكَ عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ مِنَ الشُّرُوطِ وَالْأَحْكَامِ لِتَتَّصِلَ  
 الْأَسَانِيدُ مُحْكَمَةً إِلَى مُنْتَهَاهَا وَلَمْ يَزِيدُوا فِي ذَلِكَ عَلَى الْعِنَايَةِ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذِهِ  
 الْأُمَمَاتِ الْخَمْسِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ فَأَمَّا الْبُخَارِيُّ وَهُوَ أَعْلَاهَا رُتْبَةً فَاسْتَصْعَبَ النَّاسُ شَرْحَهُ  
 وَاسْتَعْلَقُوا مَنَاحَهُ مِنْ أَجْلِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَرِجَالِهَا مِنْ  
 أَهْلِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ وَأَخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهِمْ وَلِذَلِكَ  
 يُحْتَاجُ إِلَى إِمْعَانِ النَّظَرِ فِي التَّفَقُّهِ فِي تَرْجُمِهِ لِأَنَّهُ يَتَرَجَّمُ التَّرْجُمَةُ وَيُورَدُ فِيهَا الْحَدِيثُ  
 بِسَنَدٍ أَوْ طَرِيقٍ ثُمَّ يَتَرَجَّمُ أُخْرَى وَيُورَدُ فِيهَا ذَلِكَ الْحَدِيثُ بِعَيْنِهِ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعْنَى  
 الَّتِي تَرَجَّمُ بِهِ الْبَابُ وَكَذَلِكَ فِي تَرْجُمَةٍ وَتَرْجُمَةٍ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ الْحَدِيثُ فِي أَبْوَابٍ  
 كَثِيرَةٍ بِحَسَبِ مَعَانِيهِ وَأَخْتِلَافِهَا وَمِنْ شَرْحِهِ وَلَمْ يَسْتَوْفِ هَذَا فِيهِ فَلَمْ يُوفَ حَقَّ الشَّرْحِ  
 كَأَبْنِ بَطَّالٍ وَأَبْنِ الْمُهَلَّبِ وَأَبْنِ التِّينِ وَنَحْوِهِمْ وَلَقَدْ سَمِعْتُ كَثِيرًا مِنْ شُيُوخِنَا رَحِمَهُمُ  
 اللَّهُ يَقُولُونَ شَرَحَ كِتَابُ الْبُخَارِيِّ دِينَ عَلَى الْأُمَّةِ يَعْنُونَ أَنَّ أَحَدًا مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ لَمْ  
 يُوفَ مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الشَّرْحِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ وَأَمَّا صَحِيحُ مُسْلِمٍ فَكَثُرَتْ عِنَايَةُ عُلَمَاءِ  
 الْمَغْرِبِ بِهِ وَأَكْبَرُوا عَلَيْهِ وَأَجْمَعُوا عَلَى تَنْضِيلِهِ عَلَى كِتَابِ الْبُخَارِيِّ مِنْ غَيْرِ الصَّحِيحِ  
 مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرْطِهِ وَأَكْثَرُ مَا وَقَعَ لَهُ فِي التَّرَاجِمِ وَأَمَّا الْإِمَامُ الْمَارِزِيُّ مِنْ  
 فُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ عَلَيْهِ شَرْحًا وَسَمَاءُ الْمُعَلِّمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ اشْتَمَلَ عَلَى عِيُونٍ مِنْ عِلْمِ  
 الْحَدِيثِ وَفُنُونٍ مِنَ الْفِقْهِ ثُمَّ أَكْمَلَهُ الْقَاضِي عِيَّاضٌ مِنْ بَعْدِهِ وَتَمَّمَهُ وَسَمَاهُ إِكْمَالُ

الْمُعْلَمِ وَتَلَاهُمَا مُجِيبِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ بِشَرْحِ اسْتَوْفَى مَا فِي الْكِتَابَيْنِ وَزَادَ عَلَيْهِمَا  
 فَجَاءَ شَرْحًا وَافِيًا . وَأَمَّا كُتُبُ السَّنَنِ الْأُخْرَى وَفِيهَا مُعْظَمُ مَا خَذَ الْفُقَهَاءُ فَأَكْثَرُ شَرْحِهَا  
 فِي كُتُبِ الْفِقْهِ إِلَّا مَا يُخْتَصُّ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ فَكُتِبَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَاسْتَوْفَوْا مِنْ ذَلِكَ  
 مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَمَوْضُوعَاتِهَا وَالْأَسَانِيدِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى الْأَحَادِيثِ  
 الْمَعْمُولِ بِهَا مِنَ السَّنَةِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَحَادِيثَ قَدْ تَمَيَّزَتْ مَرَاتِبُهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بَيْنَ صَحِيحٍ  
 وَحَسَنٍ وَضَعِيفٍ وَمَعْلُولٍ وَغَيْرِهَا تَنَزَّلُهَا أَيْمَةُ الْحَدِيثِ وَجَهَابُذُهُ وَعَرَفُوهَا وَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ  
 فِي تَصْحِيحِ مَا يَصِحُّ مِنْ قَبْلُ وَلَقَدْ كَانَ الْأَيْمَةُ فِي الْحَدِيثِ يُعْرِفُونَ الْأَحَادِيثَ بِطُرُقِهَا  
 وَأَسَانِيدِهَا بِحَيْثُ لَوْ رَوَى حَدِيثٌ بِغَيْرِ سَنَدِهِ وَطَرِيقِهِ يَفْطَنُونَ إِلَى أَنَّهُ قَدْ قَلِبَ عَنْ  
 وَضْعِهِ وَلَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ حِينَ وَرَدَ عَلَى بَغْدَادَ  
 وَقَصَدَ الْمُحَدِّثُونَ أَمْتَحَانَهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ أَحَادِيثَ قَبِلُوا أَسَانِيدَهَا فَقَالَ لَا أَعْرِفُ هَذِهِ  
 وَلَكِنْ حَدَّثَنِي فُلَانٌ ثُمَّ أَتَى بِجَمِيعِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ عَلَى الْوَضْعِ الصَّحِيحِ وَرَدَّ كُلَّ  
 مَتْنٍ إِلَى سَنَدِهِ وَأَقْرَأُوا لَهُ بِالْإِمَامَةِ . وَأَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ الْأَيْمَةَ الْمُجْتَهِدِينَ تَفَاوَتُوا فِي  
 الْأَكْثَارِ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَالْإِفْلَالِ فَأَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يُقَالُ بَلَغَتْ  
 رِوَايَتُهُ إِلَى سَبْعَةِ عَشَرَ حَدِيثًا أَوْ نَحْوَهَا وَمَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّمَا صَحَّ عِنْدَهُ مَا فِي كِتَابِ  
 الْمُوطَّأِ <sup>(١)</sup> وَغَايَتُهَا ثَلَاثُمِائَةِ حَدِيثٍ أَوْ نَحْوَهَا . وَأَخْبَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي  
 مُسْنَدِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ حَدِيثٍ وَلِكُلِّ مَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ فِي ذَلِكَ وَقَدْ تَقَوَّلَ بَعْضُ  
 الْمُبْغِضِينَ الْمُتَعَسِّفِينَ إِلَى أَنْ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ قَلِيلَ الْبِضَاعَةِ فِي الْحَدِيثِ فَلَمَّا قَلَّتْ رِوَايَتُهُ  
 وَلَا سَبِيلَ إِلَى هَذَا الْمُعْتَقَدِ فِي كِبَارِ الْأَيْمَةِ لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ إِنَّمَا تُؤْخَذُ مِنَ الْكِتَابِ  
 وَالسُّنَّةِ وَمَنْ كَانَ قَلِيلَ الْبِضَاعَةِ مِنَ الْحَدِيثِ فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ طَلَبُهُ وَرِوَايَتُهُ وَالْجِدُّ وَالْتِمَامُ  
 فِي ذَلِكَ لِيَأْخُذَ الدِّينَ عَنْ أَصُولٍ صَحِيحَةٍ وَيَتَلَقَّى الْأَحْكَامَ عَنْ صَاحِبِهَا الْمُبْلَغِ لَهَا  
 وَإِنَّمَا قَلَّ مِنْهُمْ مَنْ قَلَّ الرِّوَايَةُ لِأَجْلِ الْمَطَاعِنِ الَّتِي تَعَرَّضُ فِيهَا وَالْعِلَلِ الَّتِي تَعْرِضُ  
 فِي طُرُقِهَا سِيمَا وَالْجَرْحُ مُقَدِّمٌ عِنْدَ أَكْثَرِ قِيُودِيهِ الْاجْتِهَادُ إِلَى تَرْكِ الْأَخْذِ بِمَا  
 يَعْزِضُ مِثْلَ ذَلِكَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَطُرُقِ الْأَسَانِيدِ وَيَكْثُرُ ذَلِكَ فَتَقِلُّ رِوَايَتُهُ

(١) الذي في شرح الزرقاني على الموطأ حكاية أقوال خمسة في عدة أحاديث أولها ٥٠٠ ثانيا ٢٠٠

ثالثها ألف ونبف رابعها ١٧٢٠ خامسها ٦٦٦ وليس فيه قول بما في هذه الصفحة قاله نصر الموريني



لِضَعْفِ فِي الطَّرُقِ هَذَا مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ أَكْثَرُ رَوَايَةٍ لِلْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِأَنَّ  
 الْمَدِينَةَ دَارُ الْهَجْرَةِ وَمَأْوَى الصَّحَابَةِ وَمِنْ أَنْتَقَلَ مِنْهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ كُنْ شُغْلُهُمْ بِالْجِهَادِ  
 أَكْثَرَ وَالْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ إِنَّمَا قَلَّتْ رَوَايَتُهُ لِمَا شَدَّدَ فِي شُرُوطِ الرِّوَايَةِ وَأَتَّعَمَلُ  
 وَضَعْفِ رَوَايَةِ الْحَدِيثِ الْيَقِينِي إِذَا عَارَظَهَا الْفِعْلُ النَّفْسِي وَقَلَّتْ مِنْ أَجْلِهَا رَوَايَةُ فَقُلَّ  
 حَدِيثُهُ لِأَنَّهُ تَرَكَ رَوَايَةَ الْحَدِيثِ مُتَعَمِّدًا خَاشِعًا مِنْ ذَلِكَ وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ  
 الْمُجْتَهِدِينَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ اعْتِمَادُ مَذْهَبِهِ بَيْنَهُمْ وَالْتِمُوسُ عَلَيْهِ وَاعْتِبَارُهُ رَدًّا وَقَبُولًا  
 وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَهُمْ أَجْمَعُونَ فَتَوَسَّعُوا فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَ حَدِيثُهُمْ وَالْمَكْلُ  
 عَنْ اجْتِهَادِ وَقَدْ تَوَسَّعَ اصْطِحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَتْ رَوَايَتُهُمْ وَرَوَى الطَّحْطَاوِيُّ  
 وَأَكْثَرَ وَكُتِبَ مُسْنَدُهُ وَهُوَ جَلِيلُ الْقَدْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْدُلُ الصَّحِيحَيْنِ لِأَنَّ الشُّرُوطَ  
 الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابَيْهِمَا مُجْمَعٌ عَلَيْهَا بَيْنَ الْأُمَّةِ كَمَا قَالُوهُ وَشُرُوطُ  
 الطَّحْطَاوِيِّ غَيْرُ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا كَالرِّوَايَةِ عَنِ الْمُسْتَوْرِ الْحَالِ وَغَيْرِهِ فَلِهَذَا قُدِّمَ الصَّحِيحَانِ  
 بَلْ وَكُتِبَ السَّنَنُ الْمَعْرُوفَةُ عَلَيْهِ لِتَأَخُّرِ شَرْطِهِ عَنْ شُرُوطِهِمْ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا قِيلَ فِي  
 الصَّحِيحَيْنِ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى قَبُولِهِمَا مِنْ جِهَةِ الْإِجْمَاعِ عَلَى صِحَّةِ مَا فِيهِمَا مِنَ الشُّرُوطِ  
 الْمَتَّفَقِ عَلَيْهَا فَلَا تَأْخُذُكَ رَيْبَةٌ فِي ذَلِكَ فَالْقَوْمُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِمْ  
 وَالْيَأْسِ الْخَارِجِ الصَّحِيحَةِ لَهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا فِي حَقَائِقِ الْأُمُورِ

### الفصل السابع

في علم الفقه وما يتبعه من الفرائض

أَلْفِقَهُ مَعْرِفَةُ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ بِالْوُجُوبِ وَالْحَذَرِ وَالنَّدْبِ  
 وَالْكِرَاهَةِ وَالْإِبَاحَةِ وَهِيَ مُتَلَقَاةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا نَصَبَهُ الشَّارِعُ لِمَعْرِفَتِهَا  
 مِنَ الْأَدَلَّةِ فَإِذَا اسْتُخْرِجَتِ الْأَحْكَامُ مِنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ قِيلَ لَهَا فِقْهُ وَكَانَ السَّلَفُ  
 يَسْتَخْرِجُونَهَا مِنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ عَلَى اخْتِلَافٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَلَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ ضَرُورَةً أَنَّ  
 الْأَدَلَّةَ غَالِبَهَا مِنَ النُّصُوصِ وَهِيَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَفِي اقْتِضَاءَاتِ الْفَرَائِضِ لِكَثِيرٍ مِنْ مَعَانِيهَا  
 اخْتِلَافٌ بَيْنَهُمْ مَعْرُوفٌ وَأَيْضًا فَالسُّنَّةُ مُخْتَلِفَةٌ الطَّرُقِ فِي الثُّبُوتِ وَتُعَارِضُ فِي الْأَكْثَرِ  
 أَحْكَامُهَا فَتَحْتَاجُ إِلَى التَّرْجِيحِ وَهُوَ مُخْتَلِفٌ أَيْضًا فَالْأَدَلَّةُ مِنْ غَيْرِ النُّصُوصِ مُخْتَلِفَةٌ فِيهَا  
 وَأَيْضًا فَالْوَقَائِعُ الْمُتَجَدِّدَةُ لَا تُوفَّى بِهَا النُّصُوصُ وَمَا كَانَ مِنْهَا غَيْرَ خَادِرٍ فِي الْمَنْصُرِصِ

فَيُحْتَمَلُ عَلَى الْمَنْصُوصِ لِمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا وَهَذِهِ كُلُّهَا إِشَارَاتٌ لِلْخِلَافِ ضَرُورِيَّةُ الْوُقُوعِ  
وَمِنْ هُنَا وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ إِنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا  
أَهْلَ فُتْيَا وَلَا كَانَ الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَنْ جَمِيعِهِمْ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مُخْتَصًّا بِالْحَامِلِينَ لِلْقُرْآنِ  
الْعَارِفِينَ بِنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَمُتَشَابِهِهِ وَمُخْتَلَفِهِ وَسَائِرِ دِلَالَتِهِ بِمَا تَلَقَّوْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِمَّنْ سَمِعَهُ مِنْهُمْ وَمِنْ عَلَيْهِمْ وَكَانُوا يُسَمُّونَ لِذَلِكَ الْقُرَّاءَ أَيَّ الَّذِينَ  
يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا أُمَّةً أُمِّيَّةً فَأَخْطَصَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ قَارِئًا لِلْكِتَابِ  
بِهَذَا الْأَسْمِ لِعَرَابَتِهِ يَوْمئِذٍ وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ صَدَرَ أَلَمْلَةٌ ثُمَّ عَظُمَتْ أَمْصَارُ الْإِسْلَامِ  
وَذَهَبَتِ الْأُمِّيَّةُ مِنَ الْعَرَبِ بِمُمَارَسَةِ الْكِتَابِ وَتَمَكَّنَ الْإِسْتِنْبَاطُ وَكَمُلَ الْفِقْهُ  
وَأَصْبَحَ صِنَاعَةً وَعِلْمًا فَبَدَلُوا بِأَسْمِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ الْقُرَّاءِ وَأَنْقَسَمَ الْفِقْهُ فِيهِمْ إِلَى  
طَرِيقَتَيْنِ طَرِيقَةُ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَطَرِيقَةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَهُمْ  
أَهْلُ الْحِجَازِ وَكَانَ الْحَدِيثُ قَلِيلًا فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ لِمَا قَدَّمَاهُ فَاسْتَكثَرُوا مِنَ الْقِيَاسِ  
وَمَهَرُوا فِيهِ فَلِذَلِكَ قِيلَ أَهْلُ الرَّأْيِ وَمَقْدَمُ جَمَاعَتِهِمُ الَّذِي اسْتَقَرَّ الْمَذْهَبُ فِيهِ وَفِي  
أَصْحَابِهِ أَبُو حَنِيفَةَ وَإِمَامُ أَهْلِ الْحِجَازِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَالشَّافِعِيُّ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ أَنْكَرَ  
الْقِيَاسَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَبْطَلُوا أَعْمَلَهُ بِهِ وَهُمْ الظَّاهِرِيُّ وَجَعَلُوا الْمَدَارِكَ كُلَّهَا  
مُتَخَصِّرَةً فِي النُّصُوصِ وَالْإِجْمَاعِ وَرَدُّوا الْقِيَاسَ الْجُلِّيَّ وَالْعِلَّةَ الْمَنْصُوصَةَ إِلَى النَّصِّ  
لِأَنَّ النَّصَّ عَلَى الْعِلَّةِ نَصٌّ عَلَى الْحُكْمِ فِي جَمِيعِ مَحَالِّهَا وَكَانَ إِمَامُ هَذَا الْمَذْهَبِ دَاوُدُ  
ابْنُ عَلِيٍّ وَآبَنُهُ وَأَصْحَابُهُمَا وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الثَّلَاثَةُ هِيَ مَذَاهِبُ الْجُمْهُورِ الْمَشْتَهَرَةِ  
بَيْنَ الْأُمَّةِ وَشَدَّ أَهْلُ الْبَيْتِ بِمَذَاهِبِ ابْتَدَعُوهَا وَفَقَّهَ أَنْفَرَدُوا بِهِ وَبَنَوْهُ عَلَى مَذَاهِبِهِمْ  
فِي تَدَاوُلِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ بِالْقَدَحِ وَعَلَى قَوْلِهِمْ بِعِصْمَةِ الْأَئِمَّةِ وَرَفَعَ الْخِلَافَ عَنْ  
أَقْوَالِهِمْ وَهِيَ كَالْأَصُولِ وَاهِيَّةٌ وَشَدَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْخَوَارِجُ وَلَمْ يَحْتَفِلِ الْجُمْهُورُ بِمَذَاهِبِهِمْ  
بَلْ أَوْسَعُوهَا جَانِبَ الْإِنْكَارِ وَالْقَدَحِ فَلَا نَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ مَذَاهِبِهِمْ وَلَا نَرَوِي كُتُبَهُمْ  
وَلَا أَثَرَ لَشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِمْ فَكُتِبَ الشَّيْعَةُ فِي بِلَادِهِمْ وَحَيْثُ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ  
قَائِمَةً فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَالْيَمَنِ وَالْخَوَارِجُ كَذَلِكَ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ كُتُبٌ وَتَأْلِيفٌ  
وَأَرَادَ فِي الْفِقْهِ غَرِيبَةٌ ثُمَّ دُرِسَ مَذْهَبُ أَهْلِ الظَّاهِرِ الْيَوْمَ بِدُرُوسِ أَيْمَتِهِ وَإِنْكَارِ  
الْجُمْهُورِ عَلَى مُنْتَحِلِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي الْكُتُبِ الْمَجْلُودَةِ وَرُبَّمَا يَعْكِفُ كَثِيرٌ مِنَ الطَّالِبِينَ



مِمَّنْ تَكَلَّفَ بِإِتِّحَالِ مَذْهَبِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ يَرُومُ أَخَذَ فِقْهَهُمْ مِنْهَا وَمَذْهَبَهُمْ فَلَا  
 يَخْلُو بَطَائِلَ وَيَصِيرُ إِلَى مُخَالَفَةِ الْجُمْهُورِ وَإِنْكَارِهِمْ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا عُدَّ بِهَذِهِ التَّخَلُّعِ مِنْ  
 أَهْلِ الْبِدْعِ بِنَقْلِهِ الْعِلْمَ مِنَ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ مِفْتَاحِ الْمُعَلِّمِينَ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ ابْنُ حَزْمٍ  
 بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى عُلُوِّ رُتْبَتِهِ فِي حِفْظِ الْحَدِيثِ وَصَارَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الظَّاهِرِ وَمَهْرَ فِيهِ  
 بِاجْتِهَادِ زَعْمِهِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَخَالَفَ إِمَامَهُمْ دَاوُدَ وَتَعَرَّضَ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ  
 فَتَقَمَّ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَوْسَعُوا مَذْهَبَهُ اسْتِغْنَاءً وَإِنْكَارًا وَتَلَفُّوا كُتُبَهُ بِالْإِغْفَالِ وَالْتِرَاكِ  
 حَتَّى إِنَّهَا لَيُحْصَرُ بِعِهَا بِالْأَسْوَاقِ وَرُبَّمَا تَمَزَّقَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَذْهَبُ  
 أَهْلِ الرَّأْيِ مِنَ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ مِنَ الْحِجَازِ . فَأَمَّا أَهْلُ الْعِرَاقِ فَأِمَامُهُمُ الَّذِي  
 اسْتَقَرَّتْ عِنْدَهُ مَذَاهِبُهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَمَقَامُهُ فِي النِّفَةِ لَا يُلْحَقُ شَهِدَ لَهُ  
 بِذَلِكَ أَهْلُ جَلَدَتِهِ وَخُصُوصًا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحِجَازِ فَكَانَ إِمَامُهُمْ مَالِكُ  
 ابْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَعِيُّ إِمَامَ دَارِ الْهُجْرَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاخْتَصَّ بِزِيَادَةِ مُدْرِكِ آخَرِ  
 لِلْأَحْكَامِ غَيْرِ الْمُدَارِكِ الْمُعْتَبَرَةِ عِنْدَ غَيْرِهِ وَهُوَ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ رَأَى  
 أَنَّهُمْ فِيمَا يَنْفُسُونَ عَلَيْهِ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ مُتَابِعُونَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ ضَرُورَةٌ لِدِينِهِمْ وَاقْتِدَائِهِمْ  
 وَهَكَذَا إِلَى الْجِيلِ الْمُبَاشِرِينَ لِفِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآخِذِينَ ذَلِكَ عَنْهُ  
 وَصَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنْ أَصُولِ الْأَدَلَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَظَنُّ كَثِيرٌ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ  
 فَأَنكَرَهُ لِأَنَّ دَلِيلَ الْإِجْمَاعِ لَا يَخُصُّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنْ سِوَاهُمْ بَلْ هُوَ شَامِلٌ لِلْأُمَّةِ .  
 وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِجْمَاعَ إِنَّمَا هُوَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى الْأَمْرِ الدِّينِيِّ عَنْ اجْتِهَادِ وَمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ  
 تَعَالَى لَمْ يَتَّبِعْ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى وَإِنَّمَا أُعْتَبِرَ مِنْ حَيْثُ اتَّبَعَ الْجِيلُ  
 بِالْمُشَاهَدَةِ لِلْجِيلِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَضَرُورَةُ اقْتِدَائِهِمْ  
 بِعَيْنِ ذَلِكَ يَعُمُّ أُمَّةً ذُكِرَتْ فِي بَابِ الْإِجْمَاعِ وَالْأَبْوَابِ بِهَا مِنْ حَيْثُ مَا فِيهَا مِنْ  
 الْإِتِّفَاقِ الْجَامِعِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِجْمَاعِ إِلَّا أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ عَنْ نَظَرٍ وَاجْتِهَادٍ  
 فِي الْأَدَلَةِ وَاتِّفَاقٌ هُوَ لَا فِي فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ مُسْتَنَدِينَ إِلَى مُشَاهَدَةٍ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَوْ ذُكِرَتْ  
 الْمَسْأَلَةُ فِي بَابِ فِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْرِيرِهِ أَوْ مَعَ الْأَدَلَةِ الْمُخْتَلَفِ  
 فِيهَا مِثْلَ مَذْهَبِ الصَّحَابِيِّ وَشَرَعَ مِنْ قَبْلُنَا وَالْإِسْتِصْحَابِ لَكَانَ أَلْيَقُ ثُمَّ كَانَ مِنْ بَعْدِ  
 مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَدْرِيسَ الْمُطَّلِبِيُّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى رَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ

مِنْ بَعْدِ مَالِكٍ وَلَقِيَ أَصْحَابَ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَمَزَجَ طَرِيقَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ  
 بِطَرِيقَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَخْتَصَّ بِمَذْهَبٍ وَخَالَفَ مَالِكًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كَثِيرٍ مِنْ  
 مَذْهَبِهِ وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ مِنْ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ وَقَرَأَ  
 أَصْحَابُهُ عَلَى أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ مَعَ وَفُورٍ بِضَاعَتِهِمْ مِنَ الْحَدِيثِ فَأَخْتَصُوا بِمَذْهَبٍ  
 آخَرَ وَوَقَفَ التَّقْلِيدُ فِي الْأَمْصَارِ عِنْدَهُمْ لِأَرْبَعَةِ وَدَرَسَ الْمُقْلِدُونَ مِنْ سِوَاهُمْ وَسَدَّ  
 النَّاسُ بَابَ الْخِلَافِ وَطَرِيقَهُ لَمَّا كَثُرَ تَشَعُّبُ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِي الْعُلُومِ وَبَلَغَ عَاقِبَةُ  
 الْوُصُولِ إِلَى رُتْبَةِ الْاجْتِهَادِ وَلَمَّا خُشِيَ مِنْ إِسْنَادِ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ وَمَنْ لَا يُوثِقُ  
 بِرَأْيِهِ وَلَا بِدِينِهِ فَصَرَّحُوا بِالْعِزِّ وَالْإِعْوَازِ وَرَدُّوا النَّاسَ إِلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ كُلِّ مَنْ  
 أَخْصَّ بِهِ مِنَ الْمُقْلِدِينَ وَحَظَرُوا أَنْ يَتَدَاوَلَ تَقْلِيدُهُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّلَاعِبِ وَلَمْ يَبْقَ  
 إِلَّا نَقْلُ مَذَاهِبِهِمْ وَعَمَلُ كُلِّ مُقْلِدٍ بِمَذْهَبٍ مِنْ قَلَدَهُ مِنْهُمْ بَعْدَ تَصْحِيحِ الْأُصُولِ  
 وَاتِّصَالِ سَنَدِهَا بِالرِّوَايَةِ لِاتِّخْصُوصِ الْيَوْمِ لِلْفِقْهِ غَيْرُ هَذَا وَمُدَّعَى الْاجْتِهَادِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 رَدُّودٌ عَلَى عَقِبِهِ مَهْجُورٌ تَقْلِيدُهُ وَقَدْ صَارَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ عَلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ  
 الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ فَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَمُقْلَدُهُ قَلِيلٌ لِبُعْدِ مَذْهَبِهِ عَنِ الْاجْتِهَادِ  
 وَأَصَالَتِهِ فِي مُعَاوَذَةِ الرِّوَايَةِ وَالْأَخْبَارِ بَعْضُهَا يَبْغُضُ وَأَكْثَرُهُمْ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ مِنْ  
 بَغْدَادَ وَنَوَاحِيهَا وَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ حِفْظًا لِلْسُنَّةِ وَرِوَايَةَ الْحَدِيثِ وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَقَلَدَهُ  
 الْيَوْمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَمُسْلِمَةُ الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادِ الْعَجَمِ كُلِّهَا لِمَا كَانَ  
 مَذْهَبُهُ أَخْصَّ بِالْعِرَاقِ وَدَارِ السَّلَامِ وَكَانَ تَلْمِيزُهُ صَحَابَةَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 فَكَثُرَتْ تَالِيَتُهُمْ وَمُنَازَرَاتُهُمْ مَعَ الشَّافِعِيَّةِ وَحَسُنَتْ مَبَاحِثُهُمْ فِي الْخِلَافِيَّاتِ وَجَاءُوا  
 مِنْهَا بِعِلْمٍ مُسْتَظَرَفٍ وَأَنْظَارٍ غَرِيبَةٍ وَهِيَ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ وَبِالْمَغْرِبِ مِنْهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ  
 نَقَلَهُ إِلَيْهِ الْقَاضِي بْنُ الْعَرَبِيِّ وَأَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي فِي رِحْلَتَيْهِمَا وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ فَمُقْلَدُوهُ  
 بِمِصْرَ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهَا وَقَدْ كَانَ انْتَشَرَ مَذْهَبُهُ بِالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ  
 وَقَاسَمُوا الْحَنْفِيَّةَ فِي النُّتُوى وَالتَّدْرِيسِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَعَظُمَتْ مَجَالِسُ الْمُنَظَرَاتِ  
 بَيْنَهُمْ وَشَحِنَتْ كُتُبُ الْخِلَافِيَّاتِ بِأَنْوَاعِ اسْتِدْلَالَاتِهِمْ ثُمَّ دُرِسَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِدُرُوسٍ  
 الْمَشْرِقِ وَأَقْطَارِهِ وَكَانَ الْإِمَامُ نَحْمَدُ بْنَ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ لَمَّا نَزَلَ عَلَى بَنِي  
 عَبْدِ الْحَكَمِ بِمِصْرَ أَخَذَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَشْهَبُ وَأَبْنُ الْقَاسِمِ



وَأَبْنُ الْمَوَازِ وَغَيْرُهُمْ ثُمَّ الْحَارِثُ بْنُ مُسْكِينٍ وَبَنُوهُ ثُمَّ انْقَرَضَ فِيهِ أَهْلُ السَّنَةِ مِنْ مِصْرَ  
يُظْهِرُ دَوْلَةَ الرَّاغِضَةِ وَتَدَاوَلَ بِهَا فِقْهُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَتَلَاشَى مِنْ سِوَاهُمْ إِلَى أَنْ ذَهَبَتْ  
دَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ مِنَ الرَّاغِضَةِ عَلَى يَدِ صَالِحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فِقْهُ  
الشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ فَعَادَ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ وَتَقَفَتْ سَوْفُهُ  
وَأَشْتَهَرَ مِنْهُمْ مُجَنِّي الدِّينِ النَّوَوِيُّ مِنَ الْحَلَبَةِ الَّتِي رَيْتَ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ الْأَبُوِيَّةِ  
بِالشَّامِ وَعِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ أَيْضًا ثُمَّ ابْنُ الرَّقْعَةِ بِمِصْرَ وَتَقِيُّ الدِّينِ بْنُ  
دَقِيقِ الْعِيدِ ثُمَّ تَقِيُّ الدِّينِ السَّبْكِيُّ بَعْدَهُمَا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ  
بِمِصْرَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَهُوَ سِرَاجُ الدِّينِ الْبَلْقِينِيُّ فَهُوَ الْيَوْمَ أَكْبَرُ الشَّافِعِيَّةِ بِمِصْرَ كَبِيرُ  
الْعُلَمَاءِ بَلْ أَكْبَرُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ وَأَمَّا مَالِكٌ وَرَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَأَخْصَصَ بِمَذْهَبِهِ  
أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَإِنْ كَانَ يُوجَدُ فِي غَيْرِهِمْ إِلَّا أَنََّّهُمْ لَمْ يُقَلِّدُوا غَيْرَهُ إِلَّا فِي  
الْقَلِيلِ لِمَا أَنَّ رَحْلَتَهُمْ كَانَتْ غَالِبًا إِلَى الْحِجَازِ وَهُوَ مُتَبَعِي سَفَرِهِمْ وَالْمَدِينَةَ يَوْمَئِذٍ دَارُ  
الْعِلْمِ وَمِنْهَا خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنِ الْعِرَاقُ فِي طَرِيقِهِمْ فَأَقْتَصَرُوا عَنْ الْأَخْذِ عَنْ عُلَمَاءِ  
الْمَدِينَةِ وَشَيْخِهِمْ يَوْمَئِذٍ وَإِمَامِهِمْ مَالِكٌ وَشُيُوخُهُ مِنْ قَبْلِهِ وَتَلْمِيزُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجَعَ  
إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَقَلَّدُوهُ دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِمْ طَرِيقَتُهُ وَأَيْضًا  
فَالْبِدَاوَةُ كَانَتْ غَالِبَةً عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُونُوا يُعَانُونَ الْحِضَارَةَ الَّتِي  
لَأَهْلِ الْعِرَاقِ فَكَانُوا إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ أَمِيلًا لِمُنَاسَبَةِ الْبِدَاوَةِ وَلِهَذَا لَمْ يَزَلِ الْمَذْهَبُ  
الْمَالِكِيُّ غَضًا عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَأْخُذْهُ تَفْقِيحُ الْحِضَارَةِ وَتَهْذِيبُهَا كَمَا وَقَعَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَذَاهِبِ  
وَلَمَّا صَارَ مَذْهَبُ كُلِّ إِمَامٍ عِلْمًا مَخْصُوصًا عِنْدَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَبِيلٌ إِلَى  
الْإِجْتِهَادِ وَالْقِيَاسِ فَاجْتَأَوْا إِلَى تَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ فِي الْأِلْحَاقِ وَتَفْرِيقِهَا عِنْدَ الْإِشْتِبَاهِ  
بَعْدَ الْإِسْتِنَادِ إِلَى الْأَصُولِ الْمَقْرَّرَةِ مِنْ مَذَاهِبِ إِمَامِهِمْ وَصَارَ ذَلِكَ كُلُّهُ يَحْتَاجُ إِلَى  
مَلَكَةٍ رَاسِخَةٍ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ التَّنْظِيرِ أَوِ التَّفْرِيقِ وَاتَّبَعَ مَذْهَبُ إِمَامِهِمْ  
فِيهِمَا مَا اسْتَطَاعُوا وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ هِيَ عِلْمُ الْفِقْهِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ جَمِيعًا مُقَلِّدُونَ  
لِمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ كَانَ تَلَامِيذُهُ أَفْتَرَقُوا بِمِصْرَ وَالْعِرَاقِ فَكَانَ بِالْعِرَاقِ مِنْهُمْ  
الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ وَطَبَقَتُهُ مِثْلُ ابْنِ خُوَيْزَمَنْدَادَ وَابْنِ اللَّبَّانِ وَالْقَاضِي وَأَبِي بَكْرٍ  
الْأَنْهَرِيُّ وَالْقَاضِي أَبِي حُسَيْنِ بْنِ الْقَصَّارِ وَالْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَكَانَ

بمصر ابن القاسم وأشهَب وأبن عبد الحكم والحارث بن مسكين وطبقتهم ورحل  
من الأندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك  
في الأندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتيبي من تلامذته كتاب العتبية  
ورحل من أفريقية أسد بن الفرات نكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً ثم انتقل  
إلى مذهب مالك وكتب على ابن القاسم في سائر أبواب الفقه وجاء إلى القيروان  
بكتابه وسمي الأسدية نسبة إلى أسد بن الفرات فقرأ بها سحنون على أسد ثم ارتحل  
إلى المشرق ولقي ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمسائل الأسدية فرجع عن كثير  
منها وكتب سحنون مسائلها ودونها وأثبت ما رجع عنه وكتب لأسد أن يأخذ بكتاب  
سحنون فأنف من ذلك فترك الناس كتابه واتبعوا مدونة سحنون دلي ما كان فيها من  
اختلاط المسائل في الأبواب فكانت تسمى المدونة والمختلطة وعكف أهل  
القيروان على هذه المدونة وأهل الأندلس على الواضحة والعتبية ثم اختصر ابن  
أبي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالمختصر ولخصه أيضاً أبو سعيد  
البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمده النخبة من أهل  
أفريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد أهل الأندلس كتاب العتبية  
وهجروا الواضحة وما سواها ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح  
والإيضاح والجمع فكتب أهل أفريقية على المدونة ما شاء الله أن يكتبوا مثل  
أبن يونس واللخمي وأبن محرز التونسي وأبن بشير وأمثالهم وكتب أهل الأندلس  
على العتبية ما شاء الله أن يكتبوا مثل أبن رشد وأمثاله وجمع أبن أبي زيد جميع ما في  
الأمهات من المسائل والخلاف والآفوال في كتاب النوادر فاشتمل على جميع أقوال  
المذاهب وفرع الأمهات كلها في هذا الكتاب ونقل أبن يونس معظمه في كتابه على  
المدونة وزخرت بحار المذهب المالكي في الأفقين إلى أنقراض دولة قرطبة والقيروان  
ثم تمسك بهما أهل المغرب بعد ذلك إلى أن جاء كتاب أبي عمرو بن الحارث  
لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب وتعدد أقوالهم في كل مسألة فجاء كالبرناج  
للمذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكين وأبن  
المبشر وأبن الأبيت وأبن الرشيق وأبن شاس وكانت بالأسكندرية في بني عوف



وَبَنِي سَنَدٍ وَأَبْنِ عَطَاءٍ اللَّهُ وَلَمْ أَذِرْ عَنْهُمَا أَبُو عَمْرٍو بْنَ الْحَاجِبِ لِكُنْهٖ جَاءَ بَعْدَ  
 أَنْقِرَاضِ دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ وَذَهَابِ فَقْهِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَظُهُورِ فَقْهَاءِ السُّنَّةِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ  
 وَالْمَالِكِيَّةِ وَلَمَّا جَاءَ كِتَابُهُ إِلَى الْمَغْرِبِ آخِرَ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ عَشَرَ عَلَيْهِ الْكَثِيرُ  
 مِنْ طَلَبَةِ الْمَغْرِبِ وَخُصُوصًا أَهْلُ بَجَايَةِ لِمَا كَانَ كَثِيرُ مُشَيِّخَتِهِمْ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ  
 الزَّوَاوِيُّ هُوَ الَّذِي جَلَبَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ كَانَ قَرَأَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِمِصْرَ وَنَسَخَ مُخْتَصَرَهُ  
 ذَلِكَ فَجَاءَ بِهِ وَأَنْتَشَرَ بِقَطْرِ بَجَايَةِ فِي تَلْمِيذِهِ وَمِنْهُمْ أَنْتَقَلَ إِلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ الْمَغْرِبِيَّةِ  
 وَطَلَبَةِ الْفَقْهِ بِالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ يَتَدَاوَلُونَ قِرَاءَتَهُ وَيَتَدَارِسُونَهُ لِمَا يُؤَثَّرُ عَنِ الشَّيْخِ  
 نَاصِرِ الدِّينِ مِنَ التَّرَغِيبِ فِيهِ وَقَدْ شَرَحَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِهِمْ كَأَبْنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَأَبْنِ  
 رُشْدٍ وَأَبْنِ هَارُونَ وَكُلُّهُمْ مِنْ مُشَيِّخَةِ أَهْلِ تُونِسَ وَسَابِقِ حَلَّتِهِمْ فِي الْأَجَادَةِ فِي ذَلِكَ  
 أَبْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَعَامَدُونَ كِتَابَ التَّهْذِيبِ فِي دُرُوسِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي  
 مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

### الفصل الثامن

#### في علم الفرائض

وَهُوَ مَعْرِفَةُ فُرُوضِ الْوَرَاثَةِ وَتَضَمُّنُهَا بِسَهَامِ الْفَرِيضَةِ مِمَّا تَصِحُّ بِاعْتِبَارِ فُرُوضِهَا  
 الْأَصُولُ أَوْ مَنْسَخَتِهَا وَذَلِكَ إِذَا هَلَكَ أَحَدُ الْوَرَثَةِ وَأَنْكَسَرَتْ سَهَامُهُ عَلَى فُرُوضِ  
 وَرَثَتِهِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَحْتَاجُ إِلَى حِسَبٍ تَضَمُّنُ الْفَرِيضَةِ الْأُولَى حَتَّى يَصِلَ أَهْلُ الْفُرُوضِ  
 جَمِيعًا فِي الْفَرِيضَتَيْنِ إِلَى فُرُوضِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَجْزِئَةٍ وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْمَنْسَخَاتُ أَكْثَرَ  
 مِنْ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ وَتَعْدُدُ لِذَلِكَ بَعْدَ أَكْثَرِ وَبِقَدْرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَذَلِكَ  
 إِذَا كَانَتْ فَرِيضَةٌ ذَاتُ وَجْهَيْنِ مِثْلَ أَنْ يُقَرَّ بَعْضُ الْوَرَثَةِ بِوَارِثٍ وَيُنْكَرَهُ الْآخَرُ  
 فَتُصَحَّحُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ حِينَئِذٍ وَيُنْظَرُ مَبْلَغُ السِّهَامِ ثُمَّ تُقَسَّمُ التَّرِكَةُ عَلَى نِسَبِ سَهَامِ  
 الْوَرَثَةِ مِنْ أَصْلِ الْفَرِيضَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَانَ غَالِبًا فِيهِ وَجَعَلُوهُ فَنَاءً  
 مُفْرَدًا وَلِلنَّاسِ فِيهِ تَأْلِيفُ كَثِيرَةٍ أَشْهُرُ مَا عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ مِنْ مُتَأَخَّرِي الْأَنْدَلُسِ  
 كِتَابُ ابْنِ ثَابِتٍ وَمُخْتَصَرُ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْخُفَوِيِّ ثُمَّ الْجَعْدِيُّ وَمِنْ مُتَأَخَّرِي  
 أَفْرِيقِيَّةِ ابْنُ التَّمَرِ الطَّرَابُلُسِيُّ وَأَمَّا الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ فَلَهُمْ فِيهِ  
 تَأْلِيفُ كَثِيرَةٌ وَأَعْمَالٌ عَظِيمَةٌ صَعِبَةٌ شَاهِدَةٌ لَهُمْ بِاتِّسَاعِ الْبَاعِ فِي الْفِقْهِ وَالْحِسَابِ

وخصوصاً أبا المعالي رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف  
لجمعه بين المعقول والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثة بوجوه صحيحة  
يقينية عند ما تجهل المخطوط وتشكل على القاسمين والعلماء من أهل الأمصار بها  
عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج  
إلى استخراج المجهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والأصرف في الجدور  
وأمثال ذلك فيملاون بها تاليفهم وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يفيد فيما  
يتداولونه من وراثتهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد الميراث وتحصيل المصلحة في  
المتداول على أكمل الوجوه وقد يحتاج إلا أكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث  
المنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وأنها أول ما ينسى وفي  
رواية نصف العلم خرجته أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل الفرائض بناءً على أن المراد  
بالفرائض فروض الوراثة والذي يظهر أن هذا التحمل بعيد وأن المراد بالفرائض  
إنما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعادات والموارث وغيرها وبهذا المعنى  
يصح فيها النصفية والثانية وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى  
علم الشريعة كلها ويعين هذا المراد أن حمل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص  
أو تخصيصه بفروض الوراثة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون  
والاصطلاحات ولم يكن صدر الإسلام يُطلق على هذا إلا دلي عام ومشتقاً من  
الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع  
الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية فلا ينبغي أن يحتمل إلا على ما كان يحتمل  
في عصرهم فهو أليق بمرادهم منه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### الفصل التاسع

في أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات

اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة  
وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف وأصول  
الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبنية له فعلى عهد النبي  
صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تُتلقى بما يوحى إليه من القرآن ويبينه بقوله وفعله



بِخِطَابِ شَفَاهِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى نَقْلِ وَلَا إِلَى نَظَرٍ وَفِيَّاسٍ وَمِنْ بَعْدِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
عَلَيْهِ تَعَذَّرَ الْخِطَابُ الشَّفَاهِيُّ وَانْتَفَضَ الْقُرْآنُ بِالتَّوَاتُرِ وَأَمَّا السُّنَّةُ فَأَجْمَعَ الصَّحَابَةُ  
رُضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى وَجُوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِلُ إِلَيْنَا مِنْهَا قَوْلًا أَوْ فِعْلًا بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ  
الَّذِي يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ وَتَعَيَّنَتْ دَلَالَةُ الشَّرْعِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ  
ثُمَّ يُنْزَلُ الْإِجْمَاعُ مَنْزِلَتَهُمَا لِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَى النُّكْبَرِ عَلَى مُخَالَفَتِهِمْ وَلَا يَكُونُ  
ذَلِكَ إِلَّا عَنْ مُسْتَنَدٍ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَفَقَّهُونَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ ثَابِتٍ مَعَ شَهَادَةِ الْأَدِلَّةِ بِعِصْمَةِ  
الْجَمَاعَةِ فَصَارَ الْإِجْمَاعُ دَلِيلًا ثَابِتًا فِي الشَّرْعِيَّاتِ ثُمَّ نَظَرْنَا فِي طُرُقِ اسْتِدْلَالِ  
الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِذَا هُمْ يَقِيسُونَ الْأَشْبَاهَ بِالْأَشْبَاهِ مِنْهُمَا وَيُنَظِّرُونَ  
الْأَمْثَالَ بِالْأَمْثَالِ بِالْإِجْمَاعِ مِنْهُمْ وَتَسْلِيمِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ فِي ذَلِكَ فَإِنْ كَثُرَ مِنَ  
الْوَاقِعَاتِ بَعْدَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمْ تَنْدَرِجْ فِي النُّصُوصِ الثَّابِتَةِ فَقَاسُوهَا بِمَا  
ثَبَتَ وَالْحَقُّوْهَا بِمَا نَصَّ عَلَيْهِ بِشُرُوطٍ فِي ذَلِكَ الْإِلْحَاقِ تُصَحِّحُ تِلْكَ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ  
أَوْ الْمِثْلَيْنِ حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمَا وَاحِدٌ وَصَارَ ذَلِكَ دَلِيلًا  
شَرْعِيًّا بِالْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقِيَاسُ وَهُوَ رَابِعُ الْأَدِلَّةِ وَاتَّفَقَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ  
هَذِهِ هِيَ أَصُولُ الْأَدِلَّةِ وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُهُمْ فِي الْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ إِلَّا أَنَّهُ شُدُودُ  
وَالْحَقُّ بَعْضُهُمْ بِهِذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَدِلَّةٍ أُخْرَى لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا لِضَعْفِ مَدَارِكِهَا  
وَشُدُودِ الْقَوْلِ فِيهَا فَكَانَ أَوَّلُ مَبَاحِثِ هَذَا الْفَنِّ النَّظَرُ فِي كَوْنِ هَذِهِ أَدِلَّةٍ فَأَمَّا  
الْكِتَابُ فَدَلِيلُهُ الْمُعْجِزَةُ الْقَاطِعَةُ فِي مَتْنِهِ وَالتَّوَاتُرُ فِي نَقْلِهِ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مَجَالٌ لِلِاخْتِلَالِ  
وَأَمَّا السُّنَّةُ وَمَا نُقِلَ إِلَيْنَا مِنْهَا فَالْإِجْمَاعُ عَلَى وَجُوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِحُّ مِنْهَا كَمَا قُلْنَا  
مُعْتَصِدًا بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ فِي حَيَاتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مِنْ إِنْقَازِ الْكِتَابِ  
وَالرُّسُلِ إِلَى النَّوَاحِي بِالْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ أَمْرًا وَنَاهِيًّا وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ فَلِاتِّفَاقِهِمْ  
رُضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى إِنْكَارِ مُخَالَفَتِهِمْ مَعَ الْعِصْمَةِ الثَّابِتَةِ لِلْأُمَّةِ وَأَمَّا الْقِيَاسُ  
فَبِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَيْهِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ هَذِهِ أَصُولُ الْأَدِلَّةِ ثُمَّ إِنَّ  
الْمَنْقُولَ مِنَ السُّنَّةِ مُحْتَاجٌ إِلَى تَصْحِيحِ الْخَبَرِ بِالنَّظَرِ فِي طُرُقِ النَّقْلِ وَعَدَالَةِ النَّاقِلِينَ  
لِتَسْمِيَةِ الْحَالَةِ الْمُحْصَلَةِ لِلظَّنِّ بِصِدْقِهِ الَّذِي هُوَ مَنَاطُ وَجُوبِ الْعَمَلِ وَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ  
قَوَاعِدِ الْفَنِّ وَيُلْحَقُ بِذَلِكَ عِنْدَ التَّعَارُضِ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ وَطَلَبِ الْمُتَقَدِّمِ مِنْهُمَا

مَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوحِ وَهِيَ مِنْ فُصُولِهِ أَيْضًا وَأَبْوَابِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَعَيَّنُ النَّظَرُ فِي  
دَلَالَةِ الْأَلْفَاظِ وَذَلِكَ أَنَّ اسْتِفَادَةَ الْمَعَانِي عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ  
عَلَى الْإِطْلَاقِ يَتَوَقَّفُ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّلَالَاتِ الْوَضْعِيَّةِ مُفْرَدَةً وَمُرَكَّبَةً وَالْقَوَانِينِ  
اللِّسَانِيَّةِ فِي ذَلِكَ هِيَ عُلُومُ النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْبَيَانِ وَحِينَ كَانَ الْكَلَامُ مَلَكَةً  
لِأَهْلِهِ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ عُلُومًا وَلَا قَوَانِينٌ وَلَمْ يَكُنِ الْفَقْهُ حَاجِثًا إِلَيْهَا لِأَنَّهَا جَبِلَةٌ  
وَمَلَكَةٌ فَلَمَّا فَسَدَتْ الْمَلَكَةُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ قَبِلَهَا الْجَهْلُ بَذَلًا أَلْتَجَرَّدُونَ لِذَلِكَ  
بِنَقْلِ صَحِيحٍ وَمَقَائِسَ مُسْتَنْبَطَةٍ صَحِيحَةٍ وَصَارَتْ عُلُومًا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْفَقِيهُ فِي مَعْرِفَةِ  
أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ اسْتِفَادَاتٍ أُخْرَى خَاصَّةً مِنْ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ وَهِيَ  
اسْتِفَادَةُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بَيْنَ الْمَعَانِي مِنْ أَدَاتِهَا الْخَاصَّةِ مِنْ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ  
وَهُوَ الْفَقْهُ وَلَا يَكْفِي فِيهِ مَعْرِفَةُ الدَّلَالَاتِ الْوَضْعِيَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ  
أُمُورٍ أُخْرَى لَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا تِلْكَ الدَّلَالَاتُ الْخَاصَّةُ وَبِهَا تُسْتَفَادُ الْأَحْكَامُ بِحَسَبِ مَا أَصَلَ  
أَهْلُ الشَّرْعِ وَجَهًا بَذَلًا الْعِلْمِ مِنْ ذَلِكَ وَجَعَلُوهُ قَوَانِينَ لَهُذِهِ الْإِسْتِنَادَةُ مِثْلُ أَنَّ اللُّغَةَ  
لَا تُثَبِّتُ قِيَاسًا وَالْمُشْتَرِكُ لَا يَرَادُ بِهِ مَعْنَاهُ مَعًا وَالْوَاوُ لَا تُقْتَضِي التَّرْتِيبَ وَالْعَامُّ إِذَا  
اُخْرِجَتْ أَفْرَادُ الْخَاصِّ مِنْهُ هَلْ يَبْقَى حُجَّةٌ فِيهَا عَدَاهَا وَالْأَمْرُ لِلْوُجُوبِ أَوْ النَّدْبِ وَالْفَوْرُ  
أَوْ التَّرَاخِي وَالنَّهْيُ يَقْتَضِي الْفَسَادَ أَوْ الصَّحَّةَ وَالْمُطْلَقُ هَلْ يُحْمَلُ عَلَى الْمُقَيَّدِ وَالنَّصُّ  
عَلَى الْعِلَّةِ كَافٍ فِي التَّعَدُّدِ أَمْ لَا وَأَمْثَالُ هَذِهِ فَكَانَتْ كُلُّهَا مِنْ قَوَاعِدِ هَذَا الْفَنِّ وَلِكُونِهَا  
مِنْ مَبَاحِثِ الدَّلَالَةِ كَانَتْ لِعَوِيَّةٍ ثُمَّ إِنَّ النَّظَرَ فِي الْقِيَاسِ مِنْ أَكْثَرِ قَوَاعِدِ هَذَا الْفَنِّ لِأَنَّ  
فِيهِ تَحْقِيقَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ فِيمَا يُقَاسُ وَيُمَازَلُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَيَنْفَتَحُ الْوَصْفُ الَّذِي  
يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ الْحُكْمَ عَاقِبَ بِهِ فِي الْأَصْلِ مِنْ تَبَيَّنَ أَوْصَافُ ذَلِكَ الْحَمَلِ أَوْ وُجُودُ  
ذَلِكَ الْوَصْفِ وَالْفَرْعِ مِنْ مُعَارِضٍ يَمْنَعُ مِنْ تَرْتِيبِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ فِي مَسَائِلَ أُخْرَى  
مِنْ تَوَابِعِ ذَلِكَ كُلُّهَا قَوَاعِدُ لِهَذَا الْفَنِّ . (واعلم) أَنَّ هَذَا الْفَنَّ مِنَ الْفُنُونِ الْمُسْتَحْدَثَةِ  
فِي الْعِلْمَةِ وَكَانَ السَّالِفُ فِي غِنِيَّةٍ عَنْهُ بِمَا أَنَّ اسْتِفَادَةَ الْمَعَانِي مِنَ الْأَلْفَاظِ لَا يَحْتَاجُ  
فِيهَا إِلَى أَزِيدٍ مِمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَلَكَةِ اللِّسَانِيَّةِ وَأَمَّا الْقَوَانِينُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي  
اسْتِفَادَةِ الْأَحْكَامِ خُصُوصًا فَمِنْهُمْ أَخَذَ مُعْظَمُهَا وَأَمَّا الْأَسَانِيدُ فَلَمْ يَكُونُوا يَحْتَاجُونَ  
إِلَى النَّظَرِ فِيهَا اقْرَبِ الْعَصْرِ وَمُمَارَسَةِ النُّقْلَةِ وَخَبَرَتِهِمْ بِهِمْ فَلَمَّا انْقَرَضَ السَّلَفُ وَذَهَبَ



الصِّدْقُ الْأَوَّلُ وَانْقَلَبَتِ الْعُلُومُ كُلُّهَا صِنَاعَةً كَمَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ قَبْلِ احْتِجَاجِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُجْتَهِدُونَ  
 إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ وَالْقَوَاعِدِ لِاسْتِفَادَةِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْأَدَلَّةِ فَكَتَبُوهَا فَنُفِ  
 قَائِمًا بِرَأْسِهِ سَمَّوْهُ أَصُولَ الْفِقْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ فِيهِ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
 أَمَلَى فِيهِ رِسَالَتَهُ الْمَشْهُورَةَ تَكَلَّمَ فِيهَا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي وَالْبَيَانِ وَالْخَبَرِ وَالنَّسْخِ  
 وَحُكْمِ الْعِلَّةِ الْمَنْصُوصَةِ مِنَ الْقِيَاسِ ثُمَّ كَتَبَ فِيهَا الْحَنْفِيَّةَ فِيهِ وَحَقَّقُوا تِلْكَ الْقَوَاعِدَ  
 وَأَوْسَعُوا الْقَوْلَ فِيهَا وَكَتَبَ الْمُتَكَلِّمُونَ أَيْضًا كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّ كِتَابَةَ الْفُقَهَاءِ فِيهَا  
 أَمَسَ بِالْفِقْهِ وَالْيَقِي بِالْفُرُوعِ كَثَرَةُ الْأَمْثَلَةِ مِنْهَا وَالشَّوَاهِدِ وَبِنَاءِ الْمَسَائِلِ فِيهَا عَلَى  
 النَّكَتِ الْفَقْهِيَّةِ وَالْمُتَكَلِّمُونَ يَجْرِدُونَ صُورَ تِلْكَ الْمَسَائِلِ عَلَى الْفِقْهِ وَيَمِيلُونَ إِلَى  
 الْأَسْتِدْلَالِ الْعَقْلِيِّ مَا أَمَكْنَ لِأَنَّهُ غَالِبُ فُنُونِهِمْ وَمُقْتَضَى طَرِيقَتِهِمْ فَكَانَ إِنْفِقَاءُ الْحَنْفِيَّةِ  
 فِيهَا الْبِدَ الطُّوْلَى مِنَ الْغَوْصِ عَلَى النَّكَتِ الْفَقْهِيَّةِ وَالتَّقَاطُطِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ مِنْ مَسَائِلِ  
 الْفِقْهِ مَا أَمَكْنَ وَجَاءَ أَبُو زَيْدٍ الدَّبُورِيُّ مِنْ أَئِمَّتِهِمْ فَكَتَبَ فِي الْقِيَاسِ بِأَوْسَعِ مِنْ  
 جَمِيعِهِمْ وَتَمَّ الْأَبْجَاثُ وَالشَّرُوطُ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِيهِ وَكَمَلَتْ صِنَاعَةُ أَصُولِ الْفِقْهِ  
 بِكَمَالِهِ وَتَهَدَّتْ مَسَائِلُهُ وَتَمَهَّدَتْ قَوَاعِدُهُ وَعِنِّي النَّاسُ بِطَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِ وَكَانَ  
 مِنْ أَحْسَنِ مَا كَتَبَ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُونَ كِتَابُ الْبَرْهَانِ لِأَمَامِ الْحَرَمِيِّنِ وَالْمُسْتَضْفَى  
 لِلْغَزَالِيِّ وَهُمَا مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَكِتَابُ الْعَهْدِ لَعَبْدِ الْجُبَّارِ وَشَرْحُهُ الْمُعْتَمَدُ لِأَبِي الْحَسَنِ  
 الْبَصْرِيِّ وَهُمَا مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَكَانَتِ الْأَرْبَعَةُ قَوَاعِدَ هَذَا الْفَقْهِ وَأَرْكَانَهُ ثُمَّ لَخَّصَ هَذِهِ  
 الْكُتُبَ الْأَرْبَعَةَ فَحَلَّانَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَهُمَا الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ بْنُ  
 الْخَطِيبِ فِي كِتَابِ الْمُحْصُولِ وَسَيْفُ الدِّينِ الْأَمْدِيُّ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ وَاخْتَلَفَتْ  
 طَرَأَتْهُمَا فِي الْفَقْهِ بَيْنَ التَّحْقِيقِ وَالْحِجَاجِ فَأَبْنُ الْخَطِيبِ أَمِيلٌ إِلَى الْأَسْتِكْثَارِ مِنْ  
 الْأَدَلَّةِ وَالْأَحْجَاجِ وَالْأَمْدِيُّ مَوْلَعٌ بِتَحْقِيقِ الْمَذَاهِبِ وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ وَأَمَّا كِتَابُ  
 الْمُحْصُولِ فَاخْتَصَرَهُ تَلْمِيزُ الْإِمَامِ سِرَاجِ الدِّينِ الْأَزْمَوِيِّ فِي كِتَابِ التَّحْصِيلِ وَتَأْجِ  
 الدِّينِ الْأَزْمَوِيِّ فِي كِتَابِ الْحَاصِلِ وَاقْتَطَعَتْ شَهَابُ الدِّينِ الْقِرَافِيُّ مِنْهُمَا مُقَدِّمَاتٍ  
 وَقَوَاعِدَ فِي كِتَابِ صَغِيرِ سَمَاءِ التَّنْقِيحَاتِ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْبَيْضَاوِيُّ فِي كِتَابِ الْمِنْهَاجِ  
 وَعِنِّي الْمُبْتَدِئُونَ بِهَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ وَشَرْحَهُمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَأَمَّا كِتَابُ الْإِحْكَامِ  
 الْأَمْدِيِّ وَهُوَ أَكْثَرُ تَحْقِيقًا فِي الْمَسَائِلِ فَلَخَّصَهُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْحَاجِبِ فِي كِتَابِهِ

المعروف بِالْمُخْتَصَرِ الْكَبِيرِ ثُمَّ اخْتَصَرَهُ فِي كِتَابٍ آخَرَ تَدَاوَلَهُ طَلَبَةُ الْعِلْمِ وَعَنِي أَهْلُ  
 الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ بِهِ وَبِمُطَالَعَتِهِ وَشَرْحِهِ وَحَصَاتِ زُبْدَةِ طَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي  
 هَذَا الْفَنِّ فِي هَذِهِ الْمُخْتَصَرَاتِ . وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْحَنْفِيَّةِ فَكَتَبُوا فِيهَا كَثِيرًا وَكَانَ  
 مِنْ أَحْسَنِ كِتَابَةٍ فِيهَا لِلْمُنْقَذِ مِنْ تَأْلِيفِ أَبِي زَيْدٍ الدَّبُورِيِّ وَأَحْسَنِ كِتَابَةِ الْمُنَاخِرِينَ  
 فِيهَا تَأْلِيفُ سَيْفِ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيِّ مِنْ أَيْمَتِهِمْ وَهُوَ مُنَوَّعٌ وَجَاءَ ابْنُ السَّاءَتَانِي  
 مِنْ فُقَهَاءِ الْحَنْفِيَّةِ فَجَمَعَ بَيْنَ كِتَابِ الْإِحْكَامِ وَكِتَابِ الْبَزْدَوِيِّ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ  
 وَسَمَّى كِتَابَهُ بِالْبَدَائِعِ فَجَاءَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَوْضَاعِ وَأَبْدَعِهَا وَأَيْمَةُ الْعُلَمَاءِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ يَتَدَاوَلُونَهُ قِرَاءَةً وَبَحْثًا وَأَوَاجٍ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ بِشَرْحِهِ وَالْحَالُ عَلَى  
 ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ هَذِهِ حَقِيقَةُ هَذَا الْفَنِّ وَتَعْيِينُ مَوْضُوعَاتِهِ وَتَعْدِيدُ التَّأْلِيفِ الْمَشْهُورَةِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ فِيهِ وَاللَّهُ يَنْفَعُنَا بِالْعِلْمِ وَيَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
 (وَأَمَّا الْخِلَافَاتُ) . فَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْفِقْهَ الْمُسْتَنْبَطَ مِنَ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ كَثُرَ فِيهِ  
 الْخِلَافُ بَيْنَ الْمُجْتَهِدِينَ بِاخْتِلَافِ مَدَارِكِهِمْ وَأَنْظَارِهِمْ خِلَافًا لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ لِمَا  
 قَدَّمَ نَاهُ وَاتَّسَعَ ذَلِكَ فِي الْمِلَّةِ اتِّسَاعًا عَظِيمًا وَكَانَ لِلْمُقَلِّدِينَ أَنْ يَقَادُوا مِنْ شَاءُوا  
 مِنْهُمْ ثُمَّ لَمَّا أَتَتْهُ ذَلِكَ إِلَى الْأَيْمَةِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ وَكَانُوا بِمَكَانٍ  
 مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ اقْتَصَرَ النَّاسُ عَلَى تَقْلِيدِهِمْ وَمَنْعُوا مِنْ تَقْلِيدِ سِوَاهُمْ لِذَهَابِ الْاجْتِهَادِ  
 لَصُغُوبَتِهِ وَتَشَعُّبِ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ مَوَادُّهُ بِاتِّصَالِ الزَّمَانِ وَافْتِقَادِ مَنْ يَقُومُ عَلَى سِوَى  
 هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ فَأَقِيمَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ أَصُولَ الْمِلَّةِ وَأَجْرَى الْخِلَافُ  
 بَيْنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا وَالْآخِذِينَ بِأَحْكَامِهَا فَجَرَى الْخِلَافُ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ  
 وَالْأَصُولِ الْفِقْهِيَّةِ وَجَرَتْ بَيْنَهُمُ الْمُنَازَعَاتُ فِي تَصْحِيحِ كُلِّ مِنْهُمْ مَذْهَبٍ إِمَامِيٍّ فَجَرَى  
 عَلَى أَصُولٍ صَحِيحَةٍ وَطَرَائِقَ قَوِيَّةٍ يَحْتَجُّ بِهَا كُلُّ عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي قَلَّدَهُ وَتَمَسَّكَ بِهِ  
 وَأَجْرِيَتْ فِي مَسَائِلِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا وَفِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْفِقْهِ فَتَارَةً يَكُونُ الْخِلَافُ  
 بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبُو حَنِيفَةَ يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَارَةً بَيْنَ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ  
 يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَارَةً بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَكَانَ فِي هَذِهِ  
 الْمُنَازَعَاتِ بَيَانُ مَا خَذَ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةُ وَمَشَارَاتُ اخْتِلَافِهِمْ وَمَوَاقِعُ اجْتِهَادِهِمْ كَانَ هَذَا  
 الصِّنْفُ مِنَ الْعِلْمِ يُسَمَّى بِالْخِلَافِيَّاتِ وَلَا بُدَّ لِصَاحِبِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْقَوَاعِدِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا



إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُجْتَهِدُ إِلَّا أَنَّ الْمُجْتَهِدَ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِلْإِسْتِنْبَاطِ  
وَصَاحِبِ الْخِلَافِيَّاتِ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِحِفْظِ تِلْكَ الْمَسَائِلِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنْ أَنْ يَهْدِمَهَا الْخِلَافُ  
بِأَدْلَتِهِ وَهُوَ لَعَمْرِي عِلْمٌ جَلِيلٌ الْفَائِدَةُ فِي مَعْرِفَةِ مَا خِذِ الْأَئِمَّةِ وَأَدْلَتِهِمْ وَمَرَاتِ  
الْمُطَالَعِينَ لَهُ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ وَتَأْلِيفِ الْحَنْفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ تَأْلِيفِ  
الْمَالِكِيَّةِ لِأَنَّ الْقِيَاسَ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ أَصْلٌ لِلْكَثِيرِ مِنْ فُرُوعِ مَذْهَبِهِمْ كَمَا عَرَفْتَ  
فَهُمْ لِذَلِكَ أَهْلُ النَّظَرِ وَالْبَحْثِ . وَأَمَّا الْمَالِكِيَّةُ فَالْأَثَرُ أَكْثَرُ مُعْتَمِدِهِمْ وَلَيْسُوا بِأَهْلِ  
نَظَرٍ وَأَيْضًا فَكَثَرُهُمْ أَهْلُ الْغَرْبِ وَهُمْ بَادِيَةٌ غُثْلٌ مِنَ الصَّنَائِعِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَالْغَزَالِي  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ كِتَابُ الْمَاخِذِ وَلِأَبِي زَيْدٍ الدَّبُورِيِّ كِتَابُ التَّعْلِيقَةِ وَلِأَبْنِ الْقَصَّارِ  
مِنْ شُيُوخِ الْمَالِكِيَّةِ عَيُونُ الْأَدَلَةِ وَقَدْ جَمَعَ أَبُو السَّعَاقِيِّ فِي مُخْتَصَرِهِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ  
جَمِيعَ مَا يَنْبَغِي عَلَيْهَا مِنَ الْفِقْهِ الْخِلَافِيِّ مُدْرَجًا فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ مَا يَنْبَغِي عَلَيْهَا مِنَ الْخِلَافِيَّاتِ  
(وَأَمَّا الْجِدَالُ) وَهُوَ مَعْرِفَةُ آدَابِ الْمُنَظَرَةِ الَّتِي تَجْرِي بَيْنَ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ الْفِقْهِيَّةِ  
وغيرهم فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ بَابُ الْمُنَظَرَةِ فِي الرَّدِّ وَالْقَبُولِ مُتَّسِعًا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَنَظِّرِينَ  
فِي الْإِسْتِدْلَالِ وَالْجَوَابِ يُرْسِلُ عِنَانَهُ فِي الْأَحْتِجَاجِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ صَوَابًا وَمِنْهُ مَا  
يَكُونُ خَطَأً فَاحْتَاجَ الْأَئِمَّةُ إِلَى أَنْ يَضَعُوا آدَابًا وَأَحْكَامًا يَقِفُ الْمُتَنَظِّرَانِ عِنْدَ  
حُدُودِهَا فِي الرَّدِّ وَالْقَبُولِ وَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْمُسْتَدِلِّ وَالْمُجِيبِ وَحَيْثُ يَسُوعُ لَهُ  
أَنْ يَكُونَ مُسْتَدِلًّا وَكَيْفَ يَكُونُ مُخْصُوصًا مُنْقَطِعًا وَمَحَلُّ اعْتِرَاضِهِ أَوْ مُعَارَضَتِهِ وَأَيْنَ  
يَجِبُ عَلَيْهِ الشُّكُوتُ وَلِخَصْمِهِ الْكَلَامُ وَالْإِسْتِدْلَالُ وَلِذَلِكَ قِيلَ فِيهِ إِنَّهُ مَعْرِفَةُ  
بِالْقَوَاعِدِ مِنَ الْحُدُودِ وَالْآدَابِ فِي الْإِسْتِدْلَالِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى حِفْظِ رَأْيٍ وَهَدْمِهِ سِوَا  
كَانَ ذَلِكَ الرَّأْيُ مِنَ الْفِقْهِ أَوْ غَيْرِهِ وَهِيَ طَرِيقَتَانِ طَرِيقَةُ الْبَزْدَوِيِّ وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْأَدَلَةِ  
الشَّرْعِيَّةِ مِنَ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ وَالْإِسْتِدْلَالِ وَطَرِيقَةُ الْعَمِيدِيِّ وَهِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ  
دَلِيلٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ مِنْ أَيِّ عِلْمٍ كَانَ وَأَكْثَرُهُ اسْتِدْلَالٌ وَهُوَ مِنَ الْمَنَاحِي الْحُسْنَةِ  
وَالْمَغَالِطَاتِ فِيهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ كَثِيرَةٌ وَإِذَا اعْتَبَرْنَا النَّظَرَ الْمُنْطَقِيَّ كَانَ فِي الْغَالِبِ  
أَشْبَهُ بِالْقِيَاسِ الْمَغَالِطِيِّ وَالسُّوْفَسْطَائِيِّ إِلَّا أَنَّ صُورَ الْأَدَلَةِ وَالْأَفْسَسَةِ فِيهِ مُحْفُوظَةٌ  
مُرَاعَاةً لِمُتَحَرِّى فِيهَا طُرُقُ الْإِسْتِدْلَالِ كَمَا يَنْبَغِي وَهَذَا الْعَمِيدِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ  
فِيهَا وَنُسِبَتِ الطَّرِيقَةُ إِلَيْهِ وَضَعُ الْكِتَابِ الْمُسَمَّى بِالْإِزْشَادِ مُخْتَصَرًا وَتَبِعَهُ مِنْ بَعْدِهِ

مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَالنَّسْفِيِّ وَغَيْرِهِ جَاءُوا عَلَى أَثَرِهِ وَسَلَكُوا مَسْلَكَهُ وَكَثُرَتْ فِي  
الطَّرِيقَةِ النَّاسُ كَيْفُ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ مَهْجُورَةٌ لِنَقْصِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ فِي الْأُمُتِ إِلَّا سَلَامِيَّةً  
وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كَمَالِيَّةٌ وَلَيْسَتْ ضَرُورِيَّةٌ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل العاشر

### في علم الكلام

هُوَ عِلْمٌ يَتَضَمَّنُ الْحِجَاجَ عَنِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالرَّدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ  
الْمُنْخَرِفِينَ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ عَنْ مَذَاهِبِ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَسِرِّ هَذِهِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ  
هُوَ التَّوْحِيدُ فَلْنَقْدِمْ هُنَا لَطِيفَةً فِي بُرْهَانٍ عَقْلِيٍّ يَكْشِفُ لَنَا عَنِ التَّوْحِيدِ عَلَى أَقْرَبِ  
الطَّرِيقِ وَالْمَأْخِذِ ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى تَحْقِيقِ عِلْمِهِ وَفِيمَا يُنْظَرُ وَيُشِيرُ إِلَى حَدُوثِهِ فِي الْمِلَّةِ  
وَمَا دَعَا إِلَى وَضْعِهِ فنَقُولُ إِنَّ الْحَوَادِثَ فِي عَالَمِ الْكَائِنَاتِ سَوَاءٌ كَانَتْ مِنَ الدَّوَاتِ  
أَوْ مِنَ الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ أَوِ الْحَيَوَانِيَّةِ فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ أَسْبَابٍ مُتَقَدِّمَةٍ عَلَيْهَا يَتَقَعُ فِي  
مُسْتَقَرِّ الْعَادَةِ وَعَنْهَا يَتِمُّ كَوْنُهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ حَادِثٌ أَيْضًا فَلَا بُدَّ لَهُ  
مِنْ أَسْبَابٍ أُخَرَ وَلَا تَزَالُ تِلْكَ الْأَسْبَابُ مُرْتَقِيَّةً حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ  
وَمُوجِدِهَا وَخَالِقِهَا سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَتِلْكَ الْأَسْبَابُ فِي أَرْتِقَائِهَا انْتَفَاسٌ وَتَضَاعُفٌ  
طَوِيلٌ وَعَرَضٌ وَيَحَارُ الْعَقْلُ فِي إِدْرَاكِهَا وَتَعْدِيدِهَا فَإِذَا لَا يَحْصِيهَا إِلَّا الْعِلْمُ الْحَاطِطُ سَيِّمًا  
الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ فَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِهَا فِي الشَّاهِدِ الْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ  
إِذْ لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْفِعْلِ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ وَالْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ أُمُورٌ نَفْسَانِيَّةٌ  
نَاشِئَةٌ فِي الْغَايِبِ عَنْ تَصَوُّرَاتٍ سَابِقَةٍ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتِلْكَ التَّصَوُّرَاتُ هِيَ أَسْبَابُ  
قَصْدِ الْفِعْلِ وَقَدْ تَكُونُ أَسْبَابُ تِلْكَ التَّصَوُّرَاتِ تَصَوُّرَاتٍ أُخْرَى وَكُلُّ مَا يَقَعُ فِي النَّفْسِ  
مِنَ التَّصَوُّرَاتِ مَجْهُولٌ سَبَبُهُ إِذْ لَا يَطْلُعُ أَحَدٌ عَلَى مَبَادِيءِ الْأُمُورِ النَّفْسَانِيَّةِ وَلَا عَلَى  
تَرْتِيبِهَا إِنَّمَا هِيَ أَشْيَاءٌ يُلْقِيهَا اللَّهُ فِي الْفِكْرِ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَالْإِنْسَانُ عَاجِزٌ عَنْ  
مَعْرِفَةِ مَبَادِيئِهَا وَغَايَاتِهَا وَإِنَّمَا يُحِيطُ عَلَمًا فِي الْغَالِبِ بِالْإِسْبَابِ الَّتِي هِيَ طَبِيعَةٌ ظَاهِرَةٌ  
وَيَقَعُ فِي مَدَارِهَا عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ تَحْصُرُهُ النَّفْسُ وَتَحْتَ طَوْرِهَا وَأَمَّا  
التَّصَوُّرَاتُ فَتَنَاطِفُهَا أَوْسَعُ مِنَ النَّفْسِ لِأَنَّهَا الْعَقْلُ الَّذِي هُوَ فَوْقَ طَوْرِ النَّفْسِ فَلَا تُدْرِكُ  
الْكَثِيرَ مِنْهَا فَضْلًا عَنِ الْإِحَاطَةِ وَتَأَمَّلْ مِنْ ذَلِكَ حِكْمَةَ الشَّارِعِ فِي نَهْيِهِ عَنِ النَّظَرِ



إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْوُقُوفِ مَعَهَا فَإِنَّهُ وَادٍ يَهِيمُ فِيهِ الْفِكْرُ وَلَا يَحِلُّ مِنْهُ بَطَائِلٌ وَلَا يَظْفَرُ  
بِحَقِيقَةٍ قَالَ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ وَرُبَّمَا انْقَطَعَ فِي وَقُوفِهِ عَنِ الْأَرْتِقَاءِ إِلَى  
مَا فَوْقَهُ فَزَلَتْ قَدَمُهُ وَأَصْبَحَ مِنَ الضَّالِّينَ الْهَالِكِينَ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْحِرْمَانِ وَالْخُسْرَانِ  
الْمُبِينِ وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ هَذَا الْوُقُوفَ أَوْ الرُّجُوعَ عَنْهُ فِي قُدْرَتِكَ وَاخْتِيَارِكَ بَلْ هُوَ لَوْ  
يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ وَصِغَةً تَسْتَحْكِمُ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْأَسْبَابِ عَلَى نِسْبَةٍ لَا نَعْلَمُهَا إِذْ لَوْ  
عَلِمْنَاهَا لَتَحَرَّزْنَا مِنْهَا فَانْتَحَرَزَ مِنْ ذَلِكَ يَقْطَعُ النَّظَرَ عَنْهَا جُمْلَةً وَأَيْضًا فَوَجْهُ تَأْثِيرِ  
هَذِهِ الْأَسْبَابِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ مُسَبِّحَاتِهَا تَجَوُّلٌ لِأَنَّهَا إِنَّمَا يُوقَفُ عَلَيْهَا بِالْعَادَةِ لِاقْتِرَانِ  
الشَّاهِدِ بِالْإِسْتِنَادِ إِلَى الظَّاهِرِ وَحَقِيقَةِ التَّأْثِيرِ وَكَيْفِيَّتِهِ مَجْهُولَةٌ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ  
إِلَّا قَلِيلًا فَلِذَلِكَ أَمَرْنَا بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْهَا وَإِلْغَائِهَا جُمْلَةً وَالتَّوَجُّعِ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ  
كُلِّهَا وَفَاعِلِهَا وَمُوجِدِهَا لَتَرْسَخَ صِفَةُ التَّوْحِيدِ فِي النَّفْسِ عَلَى مَا عَلَّمْنَا الشَّارِعَ الَّذِي هُوَ  
أَعْرَفُ بِمَصَالِحِ دِينِنَا وَطُرُقِ سَعَادَتِنَا لِإِطْلَاعِهِ عَلَى مَا وَرَاءَ الْحِسِّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَإِنْ وَقَفَ عِنْدَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ  
فَقَدْ انْقَطَعَ وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْكُفْرِ وَأَنْ سَجَّ فِي بَحْرِ النَّظَرِ وَالتَّبَحُّثِ عَنْهَا وَعَنْ  
أَسْبَابِهَا وَتَأْثِيرَاتِهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فَأَنَا الضَّامِنُ لَهُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَّا بِالْخُبْيَةِ فَلِذَلِكَ  
نَهَانَا الشَّارِعُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْأَسْبَابِ وَأَمَرْنَا بِالتَّوْحِيدِ الْمَطْلُوقِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ  
الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ وَلَا يَثْقَنَ بِمَا يَزْعُمُ لَكَ الْفِكْرُ مِنْ  
أَنَّهُ مُقْتَدِرٌ عَلَى الْإِحَاطَةِ بِالْكَائِنَاتِ وَأَسْبَابِهَا وَالْوُقُوفِ عَلَى تَفْصِيلِ الْوُجُودِ كُلِّهِ وَسَفَهُ  
رَأْيِهِ فِي ذَلِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْوُجُودَ عِنْدَ كُلِّ مُدْرِكٍ فِي بَادِي رَأْيِهِ مُنْتَحَصِرٌ فِي مَدَارِكِهِ  
لَا يَبْغُوها وَالْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَالْحَقُّ مِنْ وَرَائِهِ أَلَّا تَرَى الْأَصَمَّ كَيْفَ  
يَنْتَحِصِرُ الْوُجُودَ عِنْدَهُ فِي الْخَمْسُوسَاتِ الْأَرْبَعِ وَالْمَعْقُولَاتِ وَيَسْقُطُ مِنَ الْوُجُودِ عِنْدَهُ  
صِنْفُ الْمَسْمُوعَاتِ وَكَذَلِكَ الْأَعْمَى أَيْضًا يَسْقُطُ عِنْدَهُ صِنْفُ الْمَرْتَبَاتِ وَلَوْلَا مَا يَرُدُّهُمْ  
إِلَى ذَلِكَ تَقْلِيدُ الْأَبَاءِ وَالْمَشِيخَةِ مِنْ أَهْلِ عَصَرِهِمُ وَالْكَافَّةِ لَمَا أَقْرَأُوا بِهِ لِكَيْتُمْ  
يَتَّبِعُونَ الْكَافَّةَ فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ لَا بِمُقْتَضَى فِطْرَتِهِمْ وَطَبِيعَةِ إِدْرَاكِهِمْ وَلَوْ  
سُئِلَ الْحَيَوَانُ الْأَعْجَمُ وَنَطَقَ لَوَجَدْنَاهُ مُنْكَرًا لِلْمَعْقُولَاتِ وَسَاقِطَةً لَدَيْهِ بِالْكُلِّيَّةِ  
فَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَلَعَلَّ هُنَاكَ ضَرْبًا مِنَ الْإِدْرَاكِ غَيْرَ مُدْرِكَاتِنَا لِأَنَّ إِدْرَاكَاتِنَا مَخْلُوقَةٌ

مُحَدَّثَةٌ وَخَلَقَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَالْحَصْرُ مَجْهُولٌ وَالْوُجُودُ أَوْسَعُ نِطَاقًا مِنْ  
ذَلِكَ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ فَاتَّهَمُوا إِدْرَاكَكَ وَمَذَرَكَاتِكَ فِي الْحَصْرِ وَاتَّبَعَ مَا أَمَرَكَ  
الشَّارِعُ بِهِ مِنْ اعْتِقَادِكَ وَعَمَلِكَ فَهُوَ أَحْرَصُ عَلَى سَعَادَتِكَ وَأَعْلَمُ بِمَا يَنْفَعُكَ لِأَنَّهُ مِنْ  
طَوْرِ فَوْقِ إِدْرَاكَكَ وَمِنْ نِطَاقٍ أَوْسَعُ مِنْ نِطَاقِ عَقْلِكَ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي الْعَقْلِ  
وَمَذَارِكِهِ بَلِ الْعَقْلُ مِيزَانٌ صَحِيحٌ فَأَحْكَمُهُ بِقَيْنَةٍ لَا كَذِبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَطْمَعُ  
أَنْ تَزِنَ بِهِ أُمُورَ التَّوْحِيدِ وَالْآخِرَةِ وَحَقِيقَةَ النُّبُوَّةِ وَحَقَائِقَ الصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ وَكُلَّ مَا  
وَرَاءَ طَوْرِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ طَمَعٌ فِي مُحَالٍ وَمِثَالُ ذَلِكَ مِثَالُ رَجُلٍ رَأَى الْمِيزَانَ الَّذِي يُوزَنُ  
بِهِ الذَّهَبُ فَطَمَعَ أَنْ يَزِنَ بِهِ الْجِبَالَ وَهَذَا لَا يَدْرِكُ عَلَى أَنَّ الْمِيزَانَ فِي أَحْكَمِهِ غَيْرُ  
صَادِقٍ لَكِنَّ الْعَقْلَ قَدْ يَقِفُ عِنْدَهُ وَلَا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَنْ يُحِيطَ بِاللَّهِ  
وَبِصِفَاتِهِ فَإِنَّهُ ذَرَّةٌ مِنْ ذَرَاتِ الْوُجُودِ الْحَاصِلِ مِنْهُ وَتَقَطُّنٌ فِي هَذَا الْغَلَطِ وَمَنْ يُقَدِّمُ  
الْعَقْلَ عَلَى السَّمْعِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْقَضَايَا وَفُصُورِ فَهْمِهِ وَأَضْمِحَالِ رَأْيِهِ فَقَدْ تَبَيَّنَ  
لَكَ الْحَقُّ مِنْ ذَلِكَ وَادْتَبَيَّنَ ذَلِكَ فَلَمَّ الْأَسْبَابَ إِذَا تَجَاوَزْتَ فِي الْأَرْثِقَاءِ نِطَاقَ إِدْرَاكِكَ  
وَوُجُودَنَا خَرَجْتَ عَنْ أَنْ تَكُونَ مُدْرِكَةً فَيُضِلُّ الْعَقْلُ فِي يَبْدَاءِ الْأَوْهَامِ وَيَحَارُ وَيَنْقَطِعُ  
فَإِذَا التَّوْحِيدُ أَوْ الْعَجْزُ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَسْبَابِ وَكَيْفِيَّاتِ تَأْثِيرِهَا وَتَقْوِيضِ ذَلِكَ إِلَى  
خَالِقِهَا الْمُحِيطِ بِهَا إِذْ لَا فَاعِلَ غَيْرَهُ وَكُلُّهَا تَرْتَقِي إِلَيْهِ وَتَرْجِعُ إِلَى قُدْرَتِهِ وَعِلْمُنَا بِهِ إِنَّمَا  
هُوَ مِنْ حَيْثُ صَدُورُنَا عَنْهُ وَهَذَا مَعْنَى مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الصِّدِّيقِينَ الْعَجْزُ عَنِ الْإِدْرَاكِ  
إِدْرَاكِكَ ثُمَّ إِنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي هَذَا التَّوْحِيدِ لَيْسَ هُوَ الْإِيمَانُ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ  
بِحُكْمِي فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَإِنَّمَا الْكَمَالُ فِيهِ حُصُولُ صِفَةٍ مِنْهُ تَنْكِيفُ  
بِهَا النَّفْسُ كَمَا أَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَاتِ أَيْضًا حُصُولُ مَلَكََةِ الطَّاعَةِ  
وَالِاتِّقَادِ وَتَفْرِيقِ الْقَلْبِ عَنْ شَوَاطِلِ مَا سِوَى الْمَعْبُودِ حَتَّى يَنْقَلِبَ الْمُرِيدُ السَّالِكَُ  
رَبَانِيًّا وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَالِ وَالْعِلْمِ فِي الْعَقَائِدِ فَرْقٌ مَا بَيْنَ الْقَوْلِ وَالِاتِّصَافِ وَشَرْحُهُ أَنَّ  
كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّ رَحْمَةَ الْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَذْذُوبٌ إِلَيْهَا  
وَيَقُولُ بِذَلِكَ وَيَعْتَرِفُ بِهِ وَيَذْكُرُ مَا أَخَذَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَهُوَ لَوْ رَأَى يَتِيمًا أَوْ  
مَسْكِينًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَضْعِفِينَ لَفَرَّ عَنْهُ وَأَسْتَنَكَفَ أَنْ يُبَاشِرَهُ فَضْلًا عَنْ التَّمَسُّجِ  
عَلَيْهِ لِلرَّحْمَةِ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ الْعُطْفِ وَالْحَنُونِ وَالصِّدْقَةِ فَهَذَا إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ



مِنْ رَحْمَةِ الْبَيْتِمْ مَقَامَ الْعِلْمِ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ مَقَامُ الْحَالِ وَالْإِتِّصَافِ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ  
 يَحْصُلُ لَهُ مَعَ مَقَامِ الْعِلْمِ وَالْإِعْتِرَافِ بِأَنَّ رَحْمَةَ الْمُسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
 مَقَامٌ آخَرُ أَعْلَى مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْإِتِّصَافُ بِالرَّحْمَةِ وَحُصُولُ مَلَكَتِهَا فَمَنْ رَأَى بَيْتِمْ  
 أَوْ مُسْكِينًا بَادَرَ إِلَيْهِ وَمَسَحَ عَلَيْهِ وَالتَّمَسَّ الثَّوَابَ فِي الشُّقَّةِ عَلَيْهِ لَا يَكَادُ يَصْبِرُ عَنْ  
 ذَلِكَ وَلَوْ دَفَعَ عَنْهُ ثُمَّ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ بِمَا حَضَرَهُ مِنْ ذَاتِ يَدِهِ وَكَذَا عِلْمُكَ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ  
 اتِّصَافِكَ بِهِ وَالْعِلْمُ حَاصِلٌ عَنِ الْإِتِّصَافِ خَرُورَةً وَهُوَ أَوْثَقُ مَبْنَى مِنَ الْعِلْمِ الْحَاصِلِ  
 قَبْلَ الْإِتِّصَافِ وَلَيْسَ الْإِتِّصَافُ بِحَاصِلٍ عَنِ مُجَرَّدِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقَعَ الْعَمَلُ وَيَتَكَرَّرَ  
 مَرَارًا غَيْرَ مُتَخَصِّرَةٍ فَتَرْسُخَ الْمَلَكَاتِ وَيَحْصُلَ الْإِتِّصَافُ وَالتَّحْقِيقُ وَيَجِيءُ الْعِلْمُ الثَّانِي  
 النَّافِعُ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ الْمَجْرَدَ عَنِ الْإِتِّصَافِ قَلِيلُ الْجَدْوَى وَالنَّفْعِ وَهَذَا  
 عِلْمٌ أَكْثَرُ النُّظَارِ وَالْمَطْلُوبُ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ الْحَالِي النَّاشِئُ عَنِ الْعَادَةِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ  
 الْكَمَالَ عِنْدَ الشَّارِعِ فِي كُلِّ مَا كَلَّفَ بِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذَا فَمَا طَلِبَ اعْتِقَادُهُ  
 فَالْكَمَالُ فِيهِ فِي الْعِلْمِ الثَّانِي الْحَاصِلِ عَنِ الْإِتِّصَافِ وَمَا طَلِبَ عَمَلُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ  
 فَالْكَمَالُ فِيهَا فِي حُصُولِ الْإِتِّصَافِ وَالتَّحْقِيقِ بِهَا ثُمَّ إِنَّ الْأَقْبَالَ دَلَى الْعِبَادَاتِ وَالْمُؤَاطَبَةِ  
 عَلَيْهَا هُوَ الْحَاصِلُ لِهَذِهِ الثَّمَرَةِ الشَّرِيفَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَأْسِ الْعِبَادَاتِ  
 جَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ الصَّلَاةَ صَارَتْ لَهُ صِفَةً وَحَالًا يُجَدُّ فِيهَا مُنْتَهَى لَدَاتِهِ  
 وَقُرَّةَ عَيْنِهِ وَأَيُّنَ هَذَا مِنْ صَلَاةِ النَّاسِ وَمَنْ لَهُمْ بِهَا فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ  
 سَاهُونَ اللَّهُمَّ وَفَقِنَا وَاهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ جَمِيعِ مَا قَرَّرْنَاهُ أَنَّ الْمَطْلُوبَ فِي التَّكْلِيفِ  
 كُلِّهَا حُصُولُ مَلَكَاتٍ رَاسِخَةٍ فِي النَّفْسِ يَحْصُلُ عَنْهَا عِلْمٌ اضْطِرَّارِي لِلنَّفْسِ هُوَ التَّوْحِيدُ  
 وَهُوَ الْعَقِيدَةُ الْإِيمَانِيَّةُ وَهُوَ الَّذِي يُحْصَلُ بِهِ السَّعَادَةُ وَأَنَّ ذَلِكَ سَوَاءٌ فِي التَّكْلِيفِ  
 الْقَلْبِيِّ وَالْبَدَنِيِّ وَيَتَفَهَّمُ مِنْهُ أَنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ التَّكْلِيفِ وَيَتَّبِعُهَا هُوَ بِهِذِهِ  
 الثَّمَانَةُ ذُو مَرَاتِبٍ أَوَّلُهَا التَّصَدِيقُ الْقَلْبِيُّ الْمُوَافِقُ لِللِّسَانِ وَأَعْلَاهَا حُصُولُ كَيْفِيَّةٍ مِنْ  
 ذَلِكَ الْإِعْتِقَادِ الْقَلْبِيِّ وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الْعَمَلِ مُسْتَوَالِيَةً عَلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَتَبِعُ الْجَوَارِحَ  
 وَتَتَدَرَّجُ فِي طَاعَتِهَا جَمِيعُ التَّصَرُّفَاتِ حَتَّى تَنْخَرِطَ الْأَفْعَالُ كُلُّهَا فِي طَاعَةِ ذَلِكَ التَّصَدِيقِ  
 الْإِيمَانِيِّ وَهَذَا أَرْفَعُ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الَّذِي لَا يَقَارِفُ الْمُؤْمِنُ

مَعَهُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِذْ حُصُولُ الْمَلَكََةِ وَرُسُوحُهَا مَانِعٌ مِنَ الْإِنْحِرَافِ عَنْ مَنَاجِيهِ  
 طَرَفَةِ عَيْنٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَفِي حَدِيثِ  
 هِرَقْلَ لَمَّا سَأَلَ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخُوَالِهِ فَقَالَ فِي  
 أَصْحَابِهِ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سُخْطَةً لِدِينِهِ قَالَ لَا قَالَ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَيْثُ تَخَالُطُ  
 بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَلَكََةَ الْإِيمَانِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ عَسَرَ عَلَى النَّفْسِ تَخَالَفَتَهَا شَأْنُ  
 الْمَلَكَاتِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فَإِنَّهَا تَحْصُلُ بِمِثَابَةِ الْجِبِلَّةِ وَالْفِطْرَةِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَرْتَبَةُ الْعَالِيَةُ  
 مِنَ الْإِيمَانِ وَهِيَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْعِصْمَةِ لِأَنَّ الْعِصْمَةَ وَاجِبَةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ وَجُوبًا  
 سَابِقًا وَهَذِهِ حَاصِلَةُ الْمُؤْمِنِيَّةِ حُصُولًا تَابِعًا لِأَعْمَالِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ وَبِهَذِهِ الْمَلَكََةُ  
 وَرُسُوحُهَا يَقَعُ التَّفَاوُتُ فِي الْإِيمَانِ كَالَّذِي يُتْلَى عَلَيْكَ مِنْ أَقَاوِيلِ السَّلَفِ وَفِي تَرَاجِمِ  
 الْأُبْحَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَابِ الْإِيمَانِ كَثِيرٌ مِنْهُ مِثْلُ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَيَزِيدُ  
 وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ تَطَوُّعَ رَمَضَانَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحَيَاءُ مِنَ  
 الْإِيمَانِ وَالْمُرَادُ بِهَذَا كُلِّهِ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ وَإِلَى مَلَكََتِهِ وَهُوَ  
 فِعْلِيٌّ وَأَمَّا التَّصْدِيقُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَرَاتِبِهِ فَلَا تَفَاوُتَ فِيهِ فَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَائِلَ الْأَسْمَاءِ  
 وَحَمَلَهُ عَلَى التَّصْدِيقِ مَنَعَ مِنَ التَّفَاوُتِ كَمَا قَالَ أَيْمَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَاخِرَ  
 الْأَسْمَاءِ وَحَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الْمَلَكََةِ الَّتِي هِيَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ ظَهَرَ لَهُ التَّفَاوُتُ وَلَيْسَ  
 ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي اتِّحَادِ حَقِيقَتِهِ الْأُولَى الَّتِي هِيَ التَّصْدِيقُ إِذِ التَّصْدِيقُ مَوْجُودٌ فِي جَمِيعِ  
 رُتَبِهِ لِأَنَّهُ أَقَلُّ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْخَاصُّ مِنْ عَهْدَةِ الْكُفْرِ وَالْفَيْضُ  
 بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُسْلِمِ فَلَا يَجْزِي أَقَلُّ مِنْهُ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَفَاوُتُ وَإِنَّمَا  
 التَّفَاوُتُ فِي الْحَالِ الْحَاصِلَةِ عَنِ الْأَعْمَالِ كَمَا قُلْنَا هُ فَاظْهَرُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّارِعَ وَصَفَ  
 لَنَا هَذَا الْإِيمَانَ الَّذِي فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ وَعَيْتُ أُمُورًا مَخْصُوصَةً  
 كَلَّفْنَا التَّصْدِيقَ بِهَا بِقُلُوبِنَا وَأَعْقَادَهَا فِي أَنْفُسِنَا مَعَ الْإِفْرَارِ بِالسِّنِّينَا وَهِيَ الْعَقَائِدُ الَّتِي  
 تَقَرَّرَتْ فِي الدِّينِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ  
 وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَهَذِهِ هِيَ الْعَقَائِدُ  
 الْإِيمَانِيَّةُ الْمُقَرَّرَةُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ : وَلَنُشِيرَ إِلَيْهَا مُجْمَلَةً لِتَبَيَّنَ لَكَ حَقِيقَةُ هَذَا الْفَنِّ  
 وَكَيْفِيَّةُ حَدُوثِهِ فَنَقُولُ : إَعْلَمُ أَنَّ الشَّارِعَ لَمَّا أَمَرَنَا بِالْإِيمَانِ بِهَذَا الْخَالِقِ الَّذِي رَدَّ



الْأَفْعَالُ كُلُّهَا إِلَيْهِ وَأَفْرَدَهُ بِهِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَعَرَفْنَا أَنَّ فِي هَذَا الْإِيمَانِ نَجَاتَنَا عِنْدَ الْمَوْتِ  
 إِذَا حُضِرْنَا لَمْ يُعَرَفْنَا بِكُنْهِ حَقِيقَةِ هَذَا الْخَالِقِ الْمَعْبُودِ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ مُتَعَذِّرٌ عَلَى إِدْرَاكِهَا  
 وَمِنْ فَوْقِ طَوْرِنَا فَكَلَّفْنَا أَوَّلًا اعْتِقَادَ تَنْزِيهِهِ فِي ذَاتِهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَإِلَّا  
 لِمَا صَحَّ أَنَّهُ خَالِقٌ لَهُمْ لِعَدَمِ الْفَارِقِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ثُمَّ تَنْزِيهِهِ عَنْ صِفَاتِ النَّفْسِ  
 وَإِلَّا لَشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ ثُمَّ تَوْحِيدِهِ بِالْإِتِّحَادِ وَإِلَّا لَمْ يَتِمَّ الْخَلْقُ لِلتَّمَانُعِ ثُمَّ اعْتِقَادَ أَنَّهُ  
 عَالِمٌ قَادِرٌ فَبِذَلِكَ لَتِمَّ الْأَفْعَالُ شَاهِدٌ قَضِيَّتِهِ لِكَمَالِ الْإِتِّحَادِ وَالْخَلْقِ وَمُرِيدٌ وَإِلَّا لَمْ  
 يَخْصُصْ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَمُقَدَّرٌ لِكُلِّ كَائِنٍ وَإِلَّا فَالْإِرَادَةُ حَادِثَةٌ وَأَنَّهُ يُعِيدُنَا  
 بَعْدَ الْمَوْتِ تَكْمِيلًا لِعِنَايَتِهِ بِالْإِتِّحَادِ وَلَوْ كَانَ لِأَمْرٍ فَإِنْ كَانَ عَبَثًا فَهُوَ لِلْبَقَاءِ السَّرْمَدِيِّ  
 بَعْدَ الْمَوْتِ ثُمَّ اعْتِقَادَ بَعَثَةِ الرُّسُلِ لِلنَّجَاةِ مِنْ شَقَاءِ هَذَا الْمَعَادِ لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ  
 بِالشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِنَا بِذَلِكَ وَتَمَامِ لُطْفِهِ بِنَا فِي الْإِتِّبَاءِ بِذَلِكَ وَيَبَارِ  
 الطَّرِيقَيْنِ وَأَنَّ الْجَنَّةَ لِلنَّعِيمِ وَجَهَنَّمَ لِلْعَذَابِ هَذِهِ أُمَمَاتُ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ مُعَلَّلَةٌ بِأَدِلَّتِهَا  
 الْعَقْلِيَّةِ وَأَدِلَّتِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرٌ وَعَنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ أَخَذَهَا السَّلَفُ وَارْتَدَّ  
 إِلَيْهَا الْعُلَمَاءُ وَحَقَّقَهَا الْأُئِمَّةُ إِلَّا أَنَّهُ عَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ خِلَافٌ فِي تَفَاصِيلِ هَذِهِ الْعَقَائِدِ  
 أَكْثَرُ مَشَارِهَا مِنَ الْآيِ الْمُتَشَابِهَةِ فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الْخِصَامِ وَالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ  
 بِالْعَقْلِ وَزِيَادَةٍ إِلَى النُّقْلِ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ عِلْمُ الْكَلَامِ وَلُبَّيْنُ لَكَ تَفْصِيلُ هَذَا الْمُجْمَلِ  
 وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَرَدَ فِيهِ وَصْفُ الْمَعْبُودِ بِالتَّزْيِيهِ الْمُنْطَلِقِ الظَّاهِرِ الدَّلَالَةِ مِنْ غَيْرِ  
 تَأْوِيلٍ فِي آيٍ كَثِيرَةٍ وَهِيَ سُلُوبٌ كُلُّهَا وَصَرِيحَةٌ فِي بَابِهَا فَوَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا وَوَقَعَ فِي  
 كَلَامِ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ تَفْسِيرُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا ثُمَّ  
 وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ آيٌ أُخْرَى قَلِيلَةٌ تُوهِمُ التَّشْبِيهَ وَقَضَوْا بِأَنَّ الْآيَاتِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ  
 فَأَمَّنُوا بِهَا وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِمَعْنَاهَا بِحُثٍّ وَلَا تَأْوِيلٍ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ إِفْرَاطُهَا  
 كَمَا جَاءَتْ آيٌ آمَنُوا بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَلَا تَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيلِهَا وَلَا تَفْسِيرِهَا لِجَوَازِ أَنْ  
 تَكُونَ أَبْتِلَاءً فَيَجِبُ الْوَقْفُ وَالْإِذْعَانُ لَهُ وَشَدَّ لِعَصْرِهِمْ مُبْتَدَعَةٌ اتَّبَعُوا مَا تَشَابَهَ مِنْ  
 الْآيَاتِ وَتَوَعَّلُوا فِي التَّشْبِيهِ فَفَرَّقُوا أَشْبَهُوا فِي الذَّاتِ بِاعْتِقَادِ الْيَدِ وَالْقَدَمِ وَالْوَجْهِ عَمَلًا  
 بِظَوَاهِرِ وَرَدَتْ بِذَلِكَ فَوَقَعُوا فِي التَّجْسِيمِ الصَّرِيحِ وَمُخَالَفَةِ آيِ التَّزْيِيهِ الْمُنْطَلِقِ الَّتِي  
 هِيَ أَكْثَرُ مَوَارِدَ وَأَوْضَحُ دَلَالَةٍ لِأَنَّ مَعْقُولِيَّةَ الْجِسْمِ تَقْضِي النَّفْصَ وَالْإِفْتِقَارَ وَتَغْلِبُ

آيَاتِ السُّلُوبِ فِي التَّنْزِيهِ الْمُطْلَقِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ مَوَارِدَ وَأَوْضَحُ دَلَالَةٍ أَوَّلَى مِنْ  
 التَّعَلُّقِ بِظَوَاهِرِ هَذِهِ الَّتِي لَنَا عَنْهَا غِنًى وَجَمَعَ بَيْنَ الدَّلِيلَيْنِ بِتَأْوِيلِهِمْ ثُمَّ يَفْرُغُونَ مِنْ شِنَاعَةِ  
 ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَافِعٍ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ قَوْلٌ مُتَنَاقِضٌ وَجَمَعَ  
 بَيْنَ تَقْيٍّ وَإِثْبَاتٍ إِنْ كَانَ بِالْمَعْقُولِيَّةِ وَاحِدَةً مِنَ الْجِسْمِ وَإِنْ خَالَفُوا بَيْنَهُمَا وَتَقَوُّوا  
 الْمَعْقُولِيَّةَ الْمُتَعَارِفَةَ فَقَدْ وَافَقُونَا فِي التَّنْزِيهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا جَعْلُهُمْ لِنَظَرِ الْجِسْمِ اسْمًا مِنْ  
 أَسْمَائِهِ وَيَتَوَقَّفُ مِثْلُهُ عَلَى الْأُذُنِ وَفَرِيقٌ مِنْهُمْ ذَهَبُوا إِلَى التَّشْبِيهِ فِي الصِّفَاتِ كَمَا ثَبَتَ  
 الْجِهَةِ وَالْإِسْتِوَاءَ وَالنُّزُولَ وَالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَآلَ قَوْلُهُمْ إِلَى التَّجْسِيمِ  
 فَتَزَعُّوا مِثْلَ الْأَوَّلِينَ إِلَى قَوْلِهِمْ صَوْتٌ لَا كَالصَّوْتِ جِهَةٌ لَا كَالجِهَاتِ نُزُولٌ لَا  
 كَالنُّزُولِ يَعْنُونَ مِنَ الْأَجْسَامِ وَانْدَفَعَ ذَلِكَ بِمَا انْدَفَعَ بِهِ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَبْقَ فِي هَذِهِ الظُّوَاهِرِ  
 إِلَّا أَعْتِقَادَاتُ السَّلَفِ وَمَذَاهِبُهُمْ وَالْإِيمَانُ بِهَا كَمَا هِيَ لِئَلَّا يَكُرَّ النَّفْيُ ذَلِكَ وَمَعَانِيهَا بِنَفْيِهَا  
 مَعَ أَنَّهَا صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَلِهَذَا تَنْظَرُ مَا تَرَاهُ فِي عَقِيدَةِ الرَّسَالَةِ لِأَبْنِ أَبِي زَيْدٍ  
 وَكِتَابِ الْمُخْتَصَرِ لَهُ وَفِي كِتَابِ الْحَافِظِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَحْمِلُونَ ذَلِكَ هَذَا  
 الْمَعْنَى وَلَا تَغْضُ عَيْنُكَ عَنْ الْقَرَأَتَيْنِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ فِي غُضُونِ كَلَامِهِمْ ثُمَّ لَمَّا  
 كَثُرَتِ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَوَلِيَ النَّاسُ بِالْأَنْدَوِينَ وَالتَّبَحُّثِ فِي سَائِرِ الْأَنْحَاءِ وَآلَفَ  
 الْمُتَكَلِّمُونَ فِي التَّنْزِيهِ حَدَّثَتْ بَدْعُ الْمُعْتَزَلَةِ فِي تَعْمِيمِ هَذَا التَّنْزِيهِ فِي آيِ السُّلُوبِ  
 فَقَضَوْا بِنَفْيِ صِفَاتِ الْمَعْنَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْحَيَاةِ زَائِدَةً عَلَى أَحْكَامِهَا  
 لَمَّا يُلْزَمُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَعَدُّ الْقَدِيمِ بِزَعْمِهِمْ وَهُوَ مُرَدُّودٌ بِأَنَّ الصِّفَاتِ لَيْسَتْ عَيْنَ الذَّاتِ  
 وَلَا غَيْرَهَا وَقَضَوْا بِنَفْيِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِكُونِهِمَا مِنْ عَوَارِضِ الْأَجْسَامِ وَهُوَ مُرَدُّودٌ  
 لِعَدَمِ اشْتِرَاطِ الْبُيُوتَةِ فِي مَذَلُولِ هَذَا اللَّفْظِ وَإِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكُ الْمَسْمُوعِ أَوِ الْمُبْصَرِ  
 وَقَضَوْا بِنَفْيِ الْكَلَامِ لِشَبْهِ مَا فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَلَمْ يَعْقِلُوا صِفَةَ الْكَلَامِ الَّتِي تَقُومُ  
 بِالنَّفْسِ فَقَضَوْا بِأَنَّ الْقُرْآنَ تَخْلُوقٌ بَدْعٌ صَرَّحَ السَّلَفُ بِخِلَافِهَا وَعَظُمَ خَبَرُ هَذِهِ الْبَدْعَةِ  
 وَلَقَدْ بَعَثَ الْخُلَفَاءُ عَنْ أَئِمَّتِهِمْ فَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَخَالَفَهُمْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ فَاسْتَحَالَ  
 لِخِلَافِهِمْ إِيْسَارُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِاتِّهَاضِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْأَدَلَّةِ  
 الْعَتَلِيَّةِ عَلَى هَذِهِ الْعَقَائِدِ دَفْعًا فِي صُدُورِ هَذِهِ الْبِدْعِ وَقَامَ بِذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ  
 الْأَشْعَرِيُّ إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَتَوَسَّطَ بَيْنَ الطَّرِيقِ وَتَقَيَّ التَّشْبِيهِ وَاثْبَتَ الصِّفَاتِ



الْمَعْنَوِيَّةُ وَقَصَرَ التَّنْزِيهَ عَلَى مَا قَصَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَشَهِدَتْ لَهُ الْأَدَلَةُ الْمُخَصَّصَةُ لِعُمُومِهِ  
 فَأُثِّبَتِ الصِّفَاتُ الْأَرْبَعُ الْمَعْنَوِيَّةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ الْقَائِمُ بِالنَّفْسِ بِطَرِيقِ  
 النُّقْلِ وَالْعَقْلِ وَرَدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ فِيمَا مَهْدُوهُ لِهَذِهِ الْبِدْعِ  
 مِنَ الْقَوْلِ بِالصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ وَالْتَحَسِينِ وَالتَّقْيِيحِ وَكَمَلِ الْعَقَائِدِ فِي الْبَعْثَةِ وَأَحْوَالِ  
 الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْحَقُّ بِذَلِكَ الْكَلَامِ فِي الْإِمَامَةِ لِمَا ظَهَرَ حِينَئِذٍ  
 مِنْ بِدْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّهَا مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ وَإِنَّهُ يُجِبُّ عَلَى النَّبِيِّ تَعْيِينَهَا  
 وَالْخُرُوجَ عَنِ الْعَهْدَةِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ هِيَ لَهُ وَكَذَلِكَ عَلَى الْأُمَّةِ وَفَضَارَى أَمْرِ الْإِمَامَةِ  
 أَنَّهَا قَضِيَّةٌ مَصْلَحِيَّةٌ إِجْمَاعِيَّةٌ وَلَا تُلْحَقُ بِالْعَقَائِدِ فَلِذَلِكَ الْحَقُّوْهَا بِمَسَائِلِ هَذَا الْفَنِّ وَسَمَّوْا  
 مَجْمُوعَهُ عِلْمَ الْكَلَامِ إِمَّا لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُنَازَعَةِ عَلَى الْبِدْعِ وَهِيَ كَلَامٌ صِرْفٌ وَلَيْسَتْ  
 بِرَاجِعَةٍ إِلَى عَمَلٍ وَإِمَّا لِأَنَّ سَبَبَ وَضْعِهِ وَالْخَوْضِ فِيهِ هُوَ تَنَازُعُهُمْ فِي اثْبَاتِ الْكَلَامِ  
 النَّفْسِيِّ وَكَثُرَ أَتْبَاعُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَاقْتَفَى طَرِيقَتَهُ مِنْ بَعْدِهِ تَلْمِيزُهُ  
 كَاتِبِينَ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ فَتَصَدَّرَ لِلْإِمَامَةِ فِي طَرِيقَتِهِمْ  
 وَهَذِهِهَا وَوَضَعَ الْمُقَدِّمَاتِ الْعَقْلِيَّةَ الَّتِي اتَّوَقَّفَ عَلَيْهَا الْأَدَلَةُ وَالْأَنْظَارُ وَذَلِكَ مِثْلُ اثْبَاتِ  
 الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ وَالْخُلَاءِ وَأَنَّ الْعَرَضَ لَا يَقُومُ بِالْعَرَضِ وَأَنَّهُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ مِمَّا اتَّوَقَّفَ عَلَيْهِ أَدَلَتُهُمْ وَجَعَلَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ تَبَعًا لِلْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي وُجُوبِ  
 اعْتِقَادِهَا لِتَوَقَّفِ تِلْكَ الْأَدَلَةِ عَلَيْهَا وَأَنَّ بُطْلَانَ الدَّلِيلِ يُؤْذِنُ بِبُطْلَانِ الْمَدْلُولِ  
 وَجُمِلَتِ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ وَجَاءَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْفُنُونِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ إِلَّا أَنَّ  
 صُورَ الْأَدَلَةِ تُعْتَبَرُ بِهَا الْأَقْبَسَةُ وَلَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ ظَاهِرَةً فِي أَلْمَلَةِ وَلَوْ ظَهَرَ مِنْهَا  
 بَعْضُ الشَّيْءِ فَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ الْمُتَكَلِّمُونَ لِمُلَابَسَتِهَا لِلْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْمُبَايَنَةِ لِلْعَقَائِدِ  
 الشَّرْعِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ فَكَانَتْ مَهْجُورَةً عِنْدَهُمْ لِذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ  
 الْبَاقِلَانِيُّ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْمَعَالِي فَأَمَلَى فِي الطَّرِيقَةِ كِتَابَ الشَّامِلِ وَأَوْسَعَ الْقَوْلَ  
 فِيهِ ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ الْإِرْشَادِ وَأَتَّخَذَهُ النَّاسُ إِمَامًا لِعَقَائِدِهِمْ ثُمَّ انْتَشَرَتْ مِنْ بَعْدِ  
 ذَلِكَ عُلُومُ الْمَنْطِقِ فِي أَلْمَلَةِ وَقَرَأَهُ النَّاسُ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ بِأَنَّهُ  
 قَانُونٌ وَمَعْيَارٌ لِلْأَدَلَةِ فَقَطُّ يُسْتَبْرَأُ بِهِ الْأَدَلَةُ مِنْهَا كَمَا يُسْتَبْرَأُ مِنْ سِوَاهَا ثُمَّ نَظَرُوا فِي تِلْكَ  
 الْقَوَاعِدِ الْمُقَدِّمَاتِ فِي فَنِّ الْكَلَامِ لِلْأَقْدَمِينَ فَخَالَفُوا الْكَثِيرَ مِنْهَا بِالْبَرَاهِينِ الَّتِي

أَدَلَّتْ إِلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْهَا مُقْتَبَسٌ مِنْ كَلَامِ الْفَلَسَفَةِ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالْإِلَهِيَّاتِ فَلَمَّا سَبَرُوها بِمَعْيَارِ الْمَنْطِقِ رَدُّهُمْ إِلَى ذَلِكَ فِيهَا وَلَمْ يَعْتَقِدُوا بُطْلَانَ  
الْمَدْلُولِ مِنْ بُطْلَانِ دَلِيلِهِ كَمَا صَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي فَصَارَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ مِنْ مُصْطَلَحِهِمْ  
مُبَایِنَةً لِلطَّرِيقَةِ الْأُولَى وَتُسَمَّى طَرِيقَةُ الْمُتَأَخِّرِينَ وَرُبَّمَا أَدْخَلُوا فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْفَلَسَفَةِ  
فِيمَا خَالَفُوا فِيهِ مِنَ الْعُقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ وَجَعَلُوهُمْ مِنْ خُصُومِ الْعُقَائِدِ لِتَنَاسُبِ الْكَثِيرِ  
مِنْ مَذَاهِبِ الْمُبْتَدِعَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِي طَرِيقَةِ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا النَّمطِ  
الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَبِعَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَطِيبِ وَجَمَاعَةٌ قَفَّوْا أَثَرَهُمْ وَأَعْتَمَدُوا تَقْلِيدَهُمْ  
ثُمَّ تَوَعَّلَّ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي تَخَالُطَةِ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ وَالتَّبَسُّعِ عَلَيْهِمْ شَأْنُ الْمَوْضُوعِ  
فِي الْعِلْمَيْنِ فَحَسِبُوهُ فِيهِمَا وَاحِدًا مِنْ أَشْتِبَاهِ الْمَسَائِلِ فِيهِمَا وَأَعْلَمَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ  
أَمَّا كَانُوا يَسْتَدِلُّونَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِمْ بِالْكَائِنَاتِ وَأَحْوَالِهَا عَلَى وُجُودِ الْبَارِي وَصِفَاتِهِ  
وَهُوَ نَوْعُ اسْتِدْلَالِهِمْ غَالِبًا وَالْجِسْمُ الطَّبِيعِيُّ يَنْظَرُ فِيهِ الْفَيْلَسُوفُ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَهُوَ  
بَعْضٌ مِنْ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ إِلَّا أَنَّ نَظَرَهُ فِيهَا مُخَالَفٌ لِنَظَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَهُوَ يَنْظَرُ فِي  
الْجِسْمِ مِنْ حَيْثُ يَتَحَرَّكُ وَيَسْكُنُ وَالْمُتَكَلِّمُ يَنْظَرُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى الْفَاعِلِ  
وَكَذَا نَظَرُ الْفَيْلَسُوفِ فِي الْإِلَهِيَّاتِ إِنَّمَا هُوَ نَظَرٌ فِي الْوُجُودِ الْمَطْلُوقِ وَمَا يَقْتَضِيهِ لِنَاتِهِ  
وَنَظَرُ الْمُتَكَلِّمِ فِي الْوُجُودِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْمَوْجِدِ وَبِالْجُمْلَةِ فَمَوْضُوعُ عِلْمِ  
الْكَلَامِ عِنْدَ أَهْلِهِ إِنَّمَا هُوَ الْعُقَائِدُ الْإِيمَانِيَّةُ بَعْدَ فَرَضِهَا صَحِيحَةً مِنَ الشَّرْعِ مِنْ  
حَيْثُ يُنْكَرُ أَنْ يُسْتَدَلَّ عَلَيْهَا بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ فَتَرْفَعُ الْبِدْعُ وَتَزُولُ الشُّكُوكُ وَلِشَبْهِهِ  
عَنْ تِلْكَ الْعُقَائِدِ وَإِذَا تَأَمَّلْتَ حَالَ الْفَنِّ فِي حَدُوثِهِ وَكَيْفَ تَدَرَّجَ كَلَامُ النَّاسِ فِيهِ  
صَدْرًا بَعْدَ صَدْرٍ وَكُلُّهُمْ يَفْرِضُ الْعُقَائِدَ صَحِيحَةً وَيَسْتَنْهِيضُ الْحُجَجَ وَالْأَدَلَّةَ عَلِمْتَ  
حِينَئِذٍ مَا قَرَّرْتَاهُ لَكَ فِي مَوْضُوعِ الْفَنِّ وَأَنَّهُ لَا يَعْدُوهُ وَلَقَدْ اخْتَلَطَتِ الطَّرِيقَتَانِ  
عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالتَّبَسُّعُ مَسَائِلُ الْكَلَامِ بِمَسَائِلِ الْفَلَسَفَةِ بِحَيْثُ لَا يَتَمَيَّزُ أَحَدُ  
الْفَنَيْنِ مِنَ الْآخَرِ وَلَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ طَالِبُهُ مِنْ كُتُبِهِمْ كَمَا فَعَلَهُ الْبَيْضَاوِيُّ فِي الطَّوَالِغِ  
وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ فِي جَمِيعِ تَأْلِيْفِهِمْ إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ قَدْ يُعْنَى بِهَا  
بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ لِلْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَذَاهِبِ وَالْإِغْرَاقِ فِي مَعْرِفَةِ الْحُجَاجِ لَوْفُورِ ذَلِكَ  
فِيهَا وَأَمَّا مُحَاذَاةُ طَرِيقَةِ السَّلَفِ بِعُقَائِدِ عِلْمِ الْكَلَامِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلطَّرِيقَةِ الْقَدِيمَةِ



لِلْمُتَكَلِّمِينَ وَأَصْلُهَا كِتَابُ الْإِزْشَادِ وَمَا حَدَا حَدْوَهُ وَمَنْ أَرَادَ إِدْخَالَ الرَّدِّ عَلَى  
الْفَلَّاسِفَةِ فِي عَقَائِدِهِ فَعَلَيْهِ بِكِتَابِ الْغَزَالِيِّ وَالْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ فَإِنَّهَا وَإِنْ وَقَعَ فِيهَا  
مُخَالَفَةٌ لِلْإِسْلَاحِ الْقَدِيمِ فَلَيْسَ فِيهَا مِنْ الْإِخْتِلَاطِ فِي الْمَسَائِلِ وَالْإِلْتِبَاسِ فِي  
الْمَوْضُوعِ مَا فِي طَرِيقَةِ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ  
هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ غَيْرُ ضَرُورِيٍّ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ إِذَا  
الْمُلْحِدَةُ وَالْمُبْتَدِعَةُ قَدْ اتَّقَرَضُوا وَالْأَيُّمَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ كُنُونًا شَأْنَهُمْ فِيمَا كَتَبُوا  
وَدَوَّنُوا وَالْأَدَلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ إِنَّمَا أَسْتَاجِرُوا إِلَيْهَا حِينَ دَافَعُوا وَنَصَرُوا وَأَمَّا الْآنَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا  
إِلَّا كَلَامٌ تَنْزَعُ الْبَارِي عَنْ كَثِيرٍ إِيَّاهُ أَمَانَةٌ وَإِطْلَافُهُ وَقَدْ سُئِلَ الْجَنِّيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ  
قَوْمٍ مَرَّ بِهِمْ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ يَفِيضُونَ فِيهِ فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ فَقِيلَ قَوْمٌ يُزَيَّرُونَ اللَّهَ  
بِالْأَدَلَّةِ عَنْ صِفَاتِ الْخُذُوثِ وَسِمَاتِ النُّقْصِ فَقَالَ تَفِي الْعَيْبِ حَيْثُ يَسْتَحِيلُ الْعَيْبُ عَيْبٌ  
لَكِنْ فَائِدَتُهُ فِي أَحَادِ النَّاسِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ فَائِدَةٌ مُعْتَبَرَةٌ إِذَا لَا يَحْسُنُ بِحَامِلِ السُّنَّةِ الْجَهْلُ  
بِالْحُجَجِ النَّظَرِيَّةِ عَلَى عَقَائِدِهَا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

### الفصل الحادي عشر

#### في علم التصوف

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الْحَادِثَةِ فِي الْعِلَّةِ وَأَصْلُهُ أَنَّ طَرِيقَةَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ  
لَمْ تَزَلْ عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَكِبَارِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ طَرِيقَةً الْحَقِّ  
وَالْهُدَايَةِ وَأَصْلُهَا الْعُكُوفُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِنْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِعْرَاضُ عَنْ  
زُخْرُفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَالزُّهْدُ فِيمَا يَقْبَلُ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ لَذَّةٍ وَمَالٍ وَجَاهٍ وَالْإِنْشِرَاقُ  
عَنِ الْخَلْقِ فِي الْخُلُوةِ لِلْعِبَادَةِ وَكَانَ ذَلِكَ عَامًّا فِي الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ فَلَمَّا فَشَا الْإِقْبَالُ  
عَلَى الدُّنْيَا فِي الْقَرْنِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ وَجَنَحَ النَّاسُ إِلَى مُخَالَطَةِ الدُّنْيَا اخْتَصَّ الْمُقْبِلُونَ  
عَلَى الْعِبَادَةِ بِأَسْمِ الصُّوفِيَّةِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ وَقَالَ الْقَشِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَا يَشْهَدُ لِهَذَا الْأَسْمِ  
أَشْتِقَاقٌ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا قِيَاسٌ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَقَبٌ وَمَنْ قَالَ أَشْتَقَاقُهُ مِنَ الصِّفَا  
أَوْ مِنَ الصِّفَةِ فَبَعِيدٌ مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ اللَّغْوِيِّ قَالَ وَكَذَلِكَ مِنَ الصُّوفِ لِأَنَّهُمْ لَمْ  
يُخْتَصُّوا بِلبسِهِ قُلْتُ وَالْأَظْهَرُ إِنْ قِيلَ بِالْأَشْتِقَاقِ أَنَّهُ مِنَ الصُّوفِ وَهُمْ فِي الْغَالِبِ  
مُخْتَصُّونَ بِلبسِهِ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ مُخَالَفَةِ النَّاسِ فِي لُبْسِ فَخْرِ الثِّيَابِ إِلَى لُبْسِ الصُّوفِ

فَلَمَّا اخْتَصَّ هَؤُلَاءُ بِمَذْهَبِ الزُّهْدِ وَالْإِتْقَانِ عَنِ الْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْعِبَادَةِ اخْتَصَّوْا  
 بِمَا خَذَ مَذْرَكَةً لَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَا هُوَ إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَ  
 بِالْإِدْرَاكِ وَالْإِدْرَاكُ نَوْعَانِ إِدْرَاكٌ لِلْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مِنَ الْيَقِينِ وَالظَّنِّ وَالشَّكِّ وَالْوَهْمِ  
 وَالْإِدْرَاكُ لِلْأَحْوَالِ الْقَائِمَةِ مِنَ الْفَرَحِ وَالْحُزْنِ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالرِّذَى وَالْغَضَبِ  
 وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ فَالرُّوحُ الْعَاقِلُ وَالْمُتَصَرِّفُ فِي الْبَدَنِ تَنْشَأُ مِنْ  
 إِدْرَاكَاتٍ وَإِرَادَاتٍ وَأَحْوَالٍ وَهِيَ الَّتِي يُمَيَّزُ بِهَا الْإِنْسَانُ وَبَعْضُهَا يَنْشَأُ مِنْ بَعْضِ  
 كَمَا يَنْشَأُ الْعِلْمُ مِنَ الْأَدَلَّةِ وَالْفَرَحُ وَالْحُزْنُ عَنْ إِدْرَاكِ الْمُؤَلِّمِ أَوْ الْمُتَلَدِّ بِهِ  
 وَالنَّشَاطُ عَنِ الْحَمَامِ وَالْكَسَلُ عَنِ الْإِعْيَاءِ وَكَذَلِكَ الْمُرِيدُ فِي مُجَاهَدَتِهِ وَعِبَادَتِهِ لَا  
 بُدَّ وَأَنْ يَنْشَأَ لَهُ عَنْ كُلِّ مُجَاهَدَةٍ حَالٌ نَتِيجَةٌ تِلْكَ الْمُجَاهَدَةِ وَتِلْكَ الْحَالُ إِمَّا أَنْ  
 تَكُونَ نَوْعَ عِبَادَةٍ فَتَرْسَخَ وَتَصِيرُ مَقَامًا لِلْمُرِيدِ وَإِمَّا أَنْ لَا تَكُونَ عِبَادَةً وَإِنَّمَا  
 تَكُونَ صِفَةً حَاصِلَةً لِلنَّفْسِ مِنْ حُزْنٍ أَوْ سُرُورٍ أَوْ نَشَاطٍ أَوْ كَسَلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
 الْمَقَامَاتِ وَلَا يَزَالُ الْمُرِيدُ يَتَرَقَّى مِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى التَّوْحِيدِ  
 وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي هِيَ الْغَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ لِلسَّعَادَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ بِشَهِدٍ  
 أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْمُرِيدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ التَّرَقِّي فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ وَأَصْلُهَا  
 كُلُّهَا الطَّاعَةُ وَالْإِخْلَاصُ وَتَقَدُّمُهَا الْإِيمَانُ وَيُصَاحِبُهَا وَتَنْشَأُ عَنْهَا الْأَحْوَالُ وَالصِّفَاتُ  
 النَّاتِجَةُ وَثَمَرَاتُ ثُمَّ تَنْشَأُ عَنْهَا أُخْرَى وَأُخْرَى إِلَى مَقَامِ التَّوْحِيدِ وَالْعِرْفَانِ وَإِذَا وَقَعَ  
 الْقَصِيرُ فِي النَّتِيجَةِ أَوْ خَلَّ فَنَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا آتَى مِنْ قَبْلِ الْقَصِيرِ فِي الَّذِي قَبْلَهُ وَكَذَلِكَ  
 فِي الْخَوَاطِرِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالْوَارِدَاتِ الْقَلْبِيَّةِ فَلِهَذَا يَحْتَاجُ الْمُرِيدُ إِلَى مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ فِي  
 سَائِرِ أَعْمَالِهِ وَيَنْظُرُ فِي حَقَائِقِهَا لِأَنَّ حُصُولَ النَّاتِجِ عَنِ الْأَعْمَالِ خَرُورِيٌّ وَقُصُورُهَا  
 مِنَ الْخَلَلِ فِيهَا كَذَلِكَ وَالْمُرِيدُ يَجِدُ ذَلِكَ بِذَوْقِهِ وَيَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى أَسْبَابِهِ وَلَا يُشَارِكُهُمْ  
 فِي ذَلِكَ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْغَفْلَةَ عَنْ هَذَا كَانَتْ شَامِلَةً وَغَايَةُ أَهْلِ الْعِبَادَاتِ  
 إِذَا لَمْ يَنْتَهُوا إِلَى هَذَا النَّوعِ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالطَّاعَاتِ مُخْلِصَةً مِنْ نَظَرِ الْفَقْهِ فِي الْأَجْزَاءِ  
 وَالْأَمْثَالِ وَهَؤُلَاءِ يَتَحَنُّونَ عَنْ نَتَائِجِهَا بِالْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ لِيَطَاعُوا عَلَى أَنَّهَا خَالِصَةٌ مِنْ  
 الْقَصِيرِ أَوْ لَا فَظَهَرَ أَنَّ أَصْلَ طَرِيقَتِهِمْ كُلُّهَا مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالْأَرْوَاقِ  
 وَالْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ الَّتِي تَحْصُلُ عَنْ الْمُجَاهَدَاتِ ثُمَّ تَسْتَقَرُّ لِلْمُرِيدِ



مَقَامًا يَتَرَقَّى مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا ثُمَّ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ آدَابٌ مَخْصُوصَةٌ بِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتٌ فِي  
الْأَقَاظِ تَدُورُ بَيْنَهُمْ إِذَا الْأَوْضَاعُ اللَّغَوِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ لِلْمَعَانِي الْمُتَعَارِفَةِ فَإِذَا عَرَضَ مِنَ  
الْمَعَانِي مَا هُوَ غَيْرُ مُتَعَارِفٍ أَصْطَلَحْنَا عَنْ التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِلَفْظٍ يَتَيَسَّرُ فَهْمُهُ مِنْهُ فَلِهَذَا  
أَخْتَصَّ هَؤُلَاءِ بِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَيْسَ لِوَاحِدٍ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الْكَلَامُ  
فِيهِ وَصَارَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ عَلَى صِنْفَيْنِ صِنْفٌ مَخْصُوصٌ بِالْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْفَتَا وَهِيَ الْأَحْكَامُ  
الْعَامَّةُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْعَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَصِنْفٌ مَخْصُوصٌ بِالْقَوْمِ فِي الْقِيَامِ بِهِ هَذِهِ  
الْمُجَاهِدَةُ وَمُخَاسَبَةُ النَّفْسِ عَلَيْهَا وَالْكَلَامُ فِي الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ الْعَارِضَةِ فِي طَرِيقِهَا  
وَكَيْفِيَّةِ التَّرَقِّي مِنْهَا مِنْ ذَوْقٍ إِلَى ذَوْقٍ وَشَرْحُ الْأَصْطِلَاحَاتِ الَّتِي تَدُورُ بَيْنَهُمْ فِي  
ذَلِكَ فَلَمَّا كُتِبَتِ الْعُلُومُ وَدُونَتْ وَأَلَّتِ الْفُقَهَاءُ فِي الْفِقْهِ وَأُصُولُهُ وَالْكَلَامُ وَالتَّفْسِيرُ  
وغير ذلك كَتَبَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي طَرِيقِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ كَتَبَ فِي  
الْوَرَعِ وَمُخَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ فِي الْأَخْذِ وَالْتِرْكِ كَمَا فَعَلَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي كِتَابِ  
الرِّسَالَةِ وَالسَّهَرُورِيُّ فِي كِتَابِ عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ وَأَمْثَالِهِمْ وَجَمَعَ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ  
بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فِي كِتَابِ الْأَخْيَاءِ فَدَوَّنَ فِيهِ أَحْكَامَ الْوَرَعِ وَالْإِقْتِدَاءِ ثُمَّ بَيَّنَّ آدَابَ  
الْقَوْمِ وَسَانَهُمْ وَشَرَحَ أَصْطِلَاحَاتِهِمْ فِي عِبَارَاتِهِمْ وَصَارَ عِلْمُ التَّصَوُّفِ فِي الْمِلَّةِ عِلْمًا  
مُدَوَّنًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ الطَّرِيقَةُ عِبَادَةً فَقَطْ وَكَانَتْ أَحْكَامُهَا إِنَّمَا تُتَلَقَّى مِنْ صُدُورِ  
الرِّجَالِ كَمَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ الَّتِي دُونَتْ بِالْكِتَابِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ  
وَالْأُصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْمُجَاهِدَةَ وَالْخُلُوعَ وَالذِّكْرَ يَتَّبِعُهَا غَالِبًا كَشْفُ  
حِجَابِ الْحِسِّ وَالْإِطْلَاقُ عَلَى عَوَالِمٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ لِصَاحِبِ الْحِسِّ إِدْرَاكُ شَيْءٍ مِنْهَا  
وَالرُّوحُ مِنْ تِلْكَ الْعَوَالِمِ وَسَبَبُ هَذَا الْكَشْفِ أَنَّ الرُّوحَ إِذَا رَجَعَ عَنْ الْحِسِّ  
الظَّاهِرِ إِلَى الْبَاطِنِ ضَعُفَتْ أَحْوَالُ الْحِسِّ وَقَوِيَتْ أَحْوَالُ الرُّوحِ وَغَلَبَتْ سُلْطَانُهُ  
وَتَجَدَّدَتْ نُشُوهُهُ وَأَعَانَ عَلَى ذَلِكَ الذِّكْرُ فَإِنَّهُ كَالْغِدَاءِ لِتَنْمِيَةِ الرُّوحِ وَلَا يَزَالُ فِي تَنْمُوٍ  
وَتَزْيِيدٍ إِلَى أَنْ يَصِيرَ شَهِودًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عِلْمًا وَيَكْشِفُ حِجَابَ الْحِسِّ وَيُتِمُّ وُجُودَ  
النَّفْسِ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَهُوَ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ فَيَتَعَرَّضُ حِينَئِذٍ لِلْمَوَاهِبِ الرَّبَّانِيَّةِ  
وَالْعُلُومِ اللَّدُنِّيَّةِ وَالْفَتْحِ الْإِلَهِيِّ وَتَقَرُّبُ ذَاتِهِ فِي تَحْقِيقِ حَقِيقَتِهَا مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى  
أَفْقِ الْمَلَائِكَةِ وَهَذَا الْكَشْفُ كَثِيرٌ مَا يَعْزُضُ لِأَهْلِ الْمُجَاهِدَةِ فَيَدْرِكُونَ مِنْ حَقَائِقِ

الْوُجُودِ مَا لَا يُدْرِكُ سِوَاهُمْ وَكَذَلِكَ يُدْرِكُونَ كَثِيرًا مِنَ الْوَاقِعَاتِ قَبْلَ وَقُوعِهَا وَيَتَصَرَّفُونَ  
 بِهِمْ قُوَى تَقْوِيهِمْ فِي الْمَوْجُودَاتِ السُّفْلِيَّةِ وَتَصِيرُ طَوَّعَ إِرَادَتِهِمْ فَأَلْعُظَمَاءُ مِنْهُمْ  
 لَا يَتَعَبَّرُونَ هَذَا الْكَشْفَ وَلَا يَتَصَرَّفُونَ وَلَا يُخْبِرُونَ عَنْ حَقِيقَةِ شَيْءٍ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالتَّكَلُّمِ  
 فِيهِ بَلْ يَعُدُّونَ مَا يَقَعُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ تَحَنُّنًا وَيَتَعَوَّدُونَ مِنْهُ إِذَا هَاجَمَهُمْ وَقَدْ كَانَتْ  
 الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْجَاهِدَةِ وَكَانَ حَظُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْكِرَامَاتِ  
 أَوْفَرَ الْخُطُوطِ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقَعْ لَهُمْ بِهَا عِنَايَةٌ وَفِي فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهَا وَتَبِعَهُمْ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ مِمَّنْ أَشْتَمَلَتْ رِسَالَةُ  
 الْقُسَيْرِيِّ عَلَى ذِكْرِهِمْ وَمَنْ تَبَعَ طَرِيقَتَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ . ثُمَّ إِنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ  
 أَنْصَرَفَتْ عِنَايَتُهُمْ إِلَى كَشْفِ الْحِجَابِ وَالْمَدَارِكِ الَّتِي وَرَاءَهُ وَاخْتَلَفَتْ طُرُقُ  
 الرِّيَاضَةِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ تَعْلِيمِهِمْ فِي إِمَانَةِ الْقُوَى الْحَسِيَّةِ وَتَغْذِيَةِ الرُّوحِ  
 الْعَاقِلِ بِالذِّكْرِ حَتَّى يَحْصُلَ لِلنَّفْسِ إِذْرَاكُهَا الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا بِتِمَامِ تَشَوُّبِهَا وَتَغْذِيَتِهَا  
 فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ زَعَمُوا أَنَّ الْوُجُودَ قَدْ انْتَحَصَرَ فِي مَدَارِكِهَا حِينَئِذٍ وَأَنَّهُمْ كَشَفُوا  
 ذَوَاتِ الْوُجُودِ وَتَصَوَّرُوا حَقَائِقَهَا كُلَّهَا مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الطُّشِّ هَكَذَا قَالَ الْغَزَالِيُّ  
 رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْإِحْيَاءِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ صُورَةَ الرِّيَاضَةِ . ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْكَشْفَ  
 لَا يَكُونُ صَحِيحًا كَامِلًا عِنْدَهُمْ إِلَّا إِذَا كَانَ نَاشِئًا عَنِ الْأَسْتِقَامَةِ لِأَنَّ الْكَشْفَ قَدْ  
 يَحْصُلُ لِصَاحِبِ الْجُوعِ وَالْخَلْوَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ اسْتِقَامَةٌ كَالسَّحَرَةِ وَغَيْرِهِمْ  
 مِنَ الْمُتَرَاضِينَ وَلَيْسَ مُرَادُنَا إِلَّا الْكَشْفَ النَّاشِئَ عَنِ الْأَسْتِقَامَةِ وَمِثَالُهُ أَنَّ الْمِرَاةَ  
 الصَّقِيلَةَ إِذَا كَانَتْ مُحْدَبَةً أَوْ مُقَعَّرَةً وَحُودِي بِهَا جِهَةَ الدَّرِّي فَإِنَّهُ يُشَكَّلُ فِيهِ مُعْوجًا  
 عَلَى غَيْرِ صُورَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ مُسَطَّحَةً تَشَكَّلُ فِيهَا الدَّرِّيُّ صَحِيحًا فَالْأَسْتِقَامَةُ لِلنَّفْسِ  
 كَالْإِنْسَاطِ لِلْمِرَاةِ فِيمَا يَنْطَبِعُ فِيهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَلَمَّا عُنِيَ الْمُتَأَخِّرُونَ بِهَذَا النَّوعِ  
 مِنَ الْكَشْفِ تَكَلَّمُوا فِي حَقَائِقِ الْمَوْجُودَاتِ الْعُلَوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ وَحَقَائِقِ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ  
 وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَصُرَتْ مَدَارِكُ مَنْ لَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ عَنْ  
 فَهْمِ أَذْوَاقِهِمْ وَمَوَاجِدِهِمْ فِي ذَلِكَ وَأَهْلُ الْفَتَا بَيْنَ مُنْكَرٍ عَلَيْهِمْ وَمُسْلِمٍ لَهُمْ وَلَيْسَ  
 الْبُرْهَانُ وَالْأَدْلِيلُ بِنَافِعٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ رَدًّا وَقُبُولًا إِذْ هِيَ مِنْ قَبِيلِ الْوَجْدَانِيَّاتِ وَرُبَّمَا  
 قَصَدَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ بَيَانَ مَذْهَبِهِمْ فِي كَشْفِ الْوُجُودِ وَتَرْتِيبِ حَقَائِقِهِ فَأَتَى بِالْأَغْمَاضِ



فَالْأَغْمَضُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ النَّظَرِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ وَالْعُلُومِ كَمَا فَعَلَ الْفَرَّغَانِيُّ شَارِحُ  
قَصِيدَةِ ابْنِ الْفَارِضِ فِي الدِّيْبَاجَةِ الَّتِي كَتَبَهَا فِي صَدْرِ ذَلِكَ الشَّرْحِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي  
صُدُورِ الْوُجُودِ عَنِ الْفَاعِلِ وَتَرْتِيبِهِ أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ صَادِرٌ عَنْ صِفَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ الَّتِي  
هِيَ مَظْهَرُ الْأَحَدِيَّةِ وَهُمَا مَعًا صَادِرَانِ عَنِ الذَّاتِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْوَحْدَةِ لَا  
غَيْرُ وَ يُسَمَّوْنَ هَذَا الصَّدُورَ بِالتَّجَلِّيِ وَأَوَّلُ مَرَاتِبِ التَّجَلِّيَّاتِ عِنْدَهُمْ تَجَلِّيُ الذَّاتِ عَلَى نَفْسِهِ  
وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الْكَمَالَ بِإِفَاضَةٍ إِلَى بَيَّادٍ وَالظُّهُورِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَتَنَاقَلُونَهُ  
كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُونِي وَهَذَا الْكَمَالُ فِي  
الْإِبْجَادِ الْمُتَنَزِّلِ فِي الْوُجُودِ وَتَفْصِيلِ الْحَقَائِقِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ عَالَمُ الْمَعَانِي وَالْحَضَرَةِ  
الْكَمَالِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَفِيهَا حَقَائِقُ الصِّفَاتِ وَاللُّوْحِ وَالْقَلَمُ وَحَقَائِقُ الْأَنْبِيَاءِ  
وَالرُّسُلِ أَجْمَعِينَ وَالْكَمَلُ مِنْ أَهْلِ الْمَلَكَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَهَذَا كُلُّهُ تَفْصِيلُ الْحَقِيقَةِ  
الْمُحَمَّدِيَّةِ وَيَصْدُرُ عَنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ حَقَائِقُ أُخْرَى فِي الْحَضَرَةِ الْهَبَائِيَّةِ وَهِيَ مَرْتَبَةُ  
الْمِثَالِ ثُمَّ عَنْهَا الْعَرْشُ ثُمَّ الْكَرْسِيُّ ثُمَّ الْأَفْلَاكُ ثُمَّ عَالَمُ الْعَنَاصِرِ ثُمَّ عَالَمُ التَّرَكِيبِ هَذَا  
فِي عَالَمِ الرُّتَقِ فَإِذَا تَجَلَّتْ فِيهِ فِي عَالَمِ الْفَتْقِ وَيُسَمَّى هَذَا الْمَذْهَبُ مَذْهَبَ أَهْلِ التَّجَلِّيِ  
وَالْمَظَاهِرِ وَالْحَضَرَاتِ وَهُوَ كَلَامٌ لَا يَقْتَدِرُ أَهْلُ النَّظَرِ إِلَى تَحْصِيلِ مُقْتَضَاهُ لِمُقَوِّضِهِ  
وَأَخْلَافِهِ وَبَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَلَامُ صَاحِبِ الْمَشَاهِدَةِ وَالْوُجْدَانِ وَصَاحِبِ الدَّلِيلِ وَرُبَّمَا  
أُنْكَرَ بَظَاهِرِ الشَّرْعِ هَذَا التَّرْتِيبُ وَكَذَلِكَ ذَهَبَ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِالْوَحْدَةِ  
الْمُطْلَقَةِ وَهُوَ رَأْيٌ أَغْرَبُ مِنَ الْأَوَّلِ فِي تَعْقُلِهِ وَتَفَارِيعِهِ يَزْعُمُونَ فِيهِ أَنَّ الْوُجُودَ لَهُ  
قُوَى فِي تَفَاصِيلِهِ بِهَا كَانَتْ حَقَائِقُ الْمَوْجُودَاتِ وَصُورُهَا وَمَوَادُّهَا وَالْعَنَاصِرُ إِنَّمَا كَانَتْ  
بِمَا فِيهَا مِنَ الْقُوَى وَكَذَلِكَ مَادَّتُهَا لَهَا فِي نَفْسِهَا قُوَّةٌ بِهَا كَانَ وَجُودُهَا ثُمَّ إِنَّ الْمَرْكَبَاتِ  
فِيهَا تِلْكَ الْقُوَى مُتَضَمِّنَةٌ فِي الْقُوَّةِ الَّتِي كَانَ بِهَا التَّرَكِيبُ كَالْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِيهَا قُوَى  
الْعَنَاصِرِ بِهَيُولَاهَا وَزِيَادَةِ الْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ ثُمَّ الْقُوَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ تَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ الْمَعْدِنِيَّةَ  
وَزِيَادَةَ قُوَّتِهَا فِي نَفْسِهَا وَكَذَا الْقُوَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ ثُمَّ الْفَلَكَ تَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ  
الْإِنْسَانِيَّةَ وَزِيَادَةَ وَكَذَا الذَّوَاتُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالْقُوَّةُ الْجَامِعَةُ لِلْكَلِّ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلِ  
هِيَ الْقُوَّةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي أَنْبَتَتْ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّيَّةً وَجُزْئِيَّةً وَجَمَعَتْهَا وَأَحَاطَتْ  
بِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَا مِنْ جِهَةِ الظُّهُورِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْخِفَاءِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ وَلَا مِنْ

جِهَةِ الْمَادَّةِ فَالْكُلُّ وَاحِدٌ وَهُوَ تَقْسُ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدَةٌ بَسِيطَةٌ  
 وَلَا اِعْتِبَارُ هُوَ الْمُفَصِّلُ لَهَا كَالْإِنْسَانِيَّةِ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ لَا تَرَى أَنَّهَا مُنْدرِجَةٌ فِيهَا وَكَأَنَّهُ  
 يَكُونُهَا فَتَارَةً يُمَثِّلُونَهَا بِالْجِنْسِ مَعَ النَّوعِ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَتَارَةً بِالْكُلِّ  
 مَعَ الْجُزْءِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمِثَالِ وَهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ يَفْرُقُونَ مِنَ التَّرْكِيبِ وَالْكَثْرَةِ بِوَجْهِ  
 مِنَ الْوُجُوهِ وَإِنَّمَا أُوجِبَهَا عِنْدَهُمُ الْوَهْمُ وَالْخَيَالُ وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ دَهْقَانَ  
 فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّ حَقِيقَةَ مَا يَقُولُونَهُ فِي الْوَحْدَةِ شَبِيهَةٌ بِمَا يَقُولُهُ الْحَكَمَاءُ فِي  
 الْأَلْوَانِ مِنْ أَنَّ وُجُودَهَا مُشْرُوطٌ بِالضَّوِّ فَإِذَا عَدِمَ الضَّوُّ لَمْ تَكُنِ الْأَلْوَانُ مَوْجُودَةً  
 بِوَجْهِ وَكَذَا عِنْدَهُمُ الْمَوْجُودَاتُ الْحَسُوسَةُ كُلُّهَا مُشْرُوطَةٌ بِوُجُودِ الْمَذْرُوكِ الْعَقْلِيِّ  
 فَإِذَا الْوُجُودُ الْمُفَصَّلُ كُلُّهُ مُشْرُوطٌ بِوُجُودِ الْمَذْرُوكِ الْبَشَرِيِّ فَلَوْ فَرَضْنَا عَدَمَ الْمَذْرُوكِ  
 الْبَشَرِيِّ جُمْلَةً لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَفْصِيلُ الْوُجُودِ بَلْ هُوَ بَسِيطٌ وَاحِدٌ فَالْحَرُّ وَالْبَرْدُ وَالصَّلَابَةُ  
 وَاللِّينُ بَلْ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالنَّارُ وَالسَّمَاءُ وَالْكَوَاكِبُ إِنَّمَا وَجِدَتْ لِوُجُودِ الْحَوَاسِ  
 الْمَذْرُوكَةِ لَهَا لِمَا جُعِلَ فِي الْمَذْرُوكِ مِنَ التَّفْصِيلِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَوْجُودِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي  
 الْمَذَارِكِ فَقَطْ فَإِذَا فُقِدَتِ الْمَذَارِكُ الْمُفَصَّلَةُ فَلَا تَفْصِيلَ إِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكٌ وَاحِدٌ وَهُوَ  
 أَنَا لَا غَيْرُهُ وَيَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ بِحَالِ النَّائِمِ فَإِنَّهُ إِذَا نَامَ وَفَقَدَ الْحِسَّ الظَّاهِرَ فَقَدْ كَلَّ  
 مُحْسُوسٌ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِلَّا مَا يُفَصِّلُهُ لَهُ الْخَيَالُ قَالُوا فَكَذَا الْيَقْظَانُ إِنَّمَا يَعْتَبَرُ تِلْكَ  
 الْمَذْرُوكَاتُ كُلُّهَا عَلَى التَّفْصِيلِ بِنَوْعِ مَذْرُوكِ الْبَشَرِيِّ وَلَوْ قُدِّرَ فَقْدُ مَذْرُوكِهِ فَقَدْ التَّفْصِيلُ  
 وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمُ الْمَوْهْمُ لَا الْوَهْمُ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَذَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ هَذَا  
 مُلَخَّصُ رَأْيِهِمْ عَلَى مَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ دَهْقَانَ وَهُوَ فِي غَايَةِ السَّقُوطِ لِأَنَّا نَقْطَعُ بِوُجُودِ  
 الْبَلَدِ الَّذِي نَحْنُ مُسَافِرُونَ عَنْهُ وَإِلَيْهِ يَقِينًا مَعَ غَيْبَتِهِ عَنْ أَعْيُنِنَا وَبِوُجُودِ السَّمَاءِ الْمُظْلَّةِ  
 وَالْكَوَاكِبِ وَمَنَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْغَائِبَةِ عَنَّا وَالْإِنْسَانِ قَاطِعٌ بِذَلِكَ وَلَا يُسْكَابِرُ أَحَدٌ  
 نَفْسَهُ فِي الْيَقِينِ مَعَ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْمُرِيدَ عِنْدَ  
 الْكَشْفِ رُبَّمَا يَعْزِضُ لَهُ تَوَهُمٌ هَذِهِ الْوَحْدَةُ وَيُسَعَى ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مَقَامَ الْجَمْعِ ثُمَّ  
 يَتَرَقَّى عَنْهُ إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ وَيُعْبَرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِمَقَامِ الْفَرْقِ وَهُوَ مَقَامُ  
 الْعَارِفِ الْمُحَقِّقِ وَلَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ عِنْدَهُمْ مِنْ عَقَبَةِ الْجَمْعِ وَهِيَ عَقَبَةٌ صَعْبَةٌ لِأَنَّهُ يُخْشَى  
 عَلَى الْمُرِيدِ مِنْ وَقُوفِهِ عِنْدَهَا فَتَخَسَّرُ صَفَقَتُهُ فَقَدْ تَبَيَّنَتْ مَرَاتِبُ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ثُمَّ



إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْكُشْبِ وَفِيمَا وَرَاءَ الْحَسَنِ  
 تَوَعَّلُوا فِي ذَلِكَ فَذَهَبَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ إِلَى الْحُلُولِ وَالْوَحْدَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ وَمَلَأُوا  
 الصُّحُفَ مِنْهُ مِثْلُ الْهَرَوِيِّ فِي كِتَابِ الْمَقَامَاتِ لَهُ وَغَيْرُهُ وَتَبِعَهُمُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَابْنُ  
 سَبْعِينَ وَتَلْمِيزُهُمَا ابْنُ الْعَفِيفِ وَابْنُ الْفَارِضِ وَالنَّجْمُ الْإِسْرَائِيلِيُّ فِي قَصَائِدِهِمْ وَكَانَ  
 سَلَفُهُمْ مُخَالِطِينَ لِلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الرَّافِضَةِ الدَّائِنِينَ أَيْضًا بِالْحُلُولِ وَالْإِلَهِيَّةِ  
 الْأَائِمَّةِ مَذْهَبًا لَمْ يَعْرِفْ لِأَوَّلِهِمْ فَأُشْرِبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مَذْهَبَ الْآخَرِ وَاخْتَلَطَ  
 كَلَامُهُمْ وَتَشَابَهَتْ عَقَائِدُهُمْ وَظَهَرَ فِي كَلَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَمَعْنَاهُ رَأْسُ  
 الْعَارِفِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُسَاوِيَهُ أَحَدٌ فِي مَقَامِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ حَتَّى يَقْبِضَهُ  
 اللَّهُ ثُمَّ يُورِثَ مَقَامَهُ لِآخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرْفَانِ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي كِتَابِ  
 الْأَشْرَافَاتِ فِي فُصُولِ التَّصَوُّفِ مِنْهَا فَقَالَ جُلُّ جَنَابِ الْحَقِّ أَنْ يَكُونَ شَرَعٌ لِكُلِّ وَارِدٍ  
 أَوْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ وَهَذَا كَلَامٌ لَا يَقُومُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ وَلَا دَلِيلٌ  
 شَرْعِيٌّ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخُطَابَةِ وَهُوَ بَعِيْنُهُ مَا تَقُولُهُ الرَّافِضَةُ وَدَانُوا بِهِ ثُمَّ قَالُوا  
 بِتَرْتِيبِ وَجُودِ الْأَيْدِي بَدَالِ بَعْدَ هَذَا الْقُطْبِ كَمَا قَالَ الشَّيْخَةُ فِي النُّقْبَاءِ حَتَّى إِذَا نَهَضُوا  
 اسْتَدُوا لِبَاسَ خِرْقَةِ التَّصَوُّفِ لِيَجْعَلُوهُ أَصْلًا لَطَرِيقَتِهِمْ وَتَخْلِيهِمْ رَفَعُوهُ إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا وَلَا فَعْلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُخْتَصَّ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ  
 بِتَخْلِيَةٍ وَلَا طَرِيقَةٍ فِي لِبَاسٍ وَلَا حَالٍ بَلْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَزْهَدَ  
 النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكْثَرُهُمْ عِبَادَةً وَلَمْ يُخْتَصَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
 فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ يُؤَثِّرُ عَنْهُ فِي الْخُصُوصِ بَلْ كَانَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ أَسْوَةً فِي الدِّينِ وَالزُّهْدِ  
 وَالْمُجَاهَدَةِ بِشَهَادَةِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ وَمَا شَحَنُوا  
 كُتُبَهُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لِسَلَفِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِيهِ كَلَامٌ بَنِيٌّ أَوْ إِثْبَاتٌ وَإِنَّمَا هُوَ  
 مَا خُذُ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخَةِ وَالرَّافِضَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ فِي كُتُبِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ثُمَّ إِنَّ  
 كَثِيرًا مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْفَنَاءِ اتَّيَبُوا لِلرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَاتِ  
 وَأَمْثَالِهَا وَشَمَلُوا بِالْكَبِيرِ سَائِرَ مَا وَقَعَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَةِ وَالْحَقُّ أَنَّ كَلَامَهُمْ مَعَهُمْ  
 فِيهِ تَفْصِيلٌ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ أَحَدُهَا الْكَلَامُ عَلَى الْمُجَاهَدَاتِ وَمَا  
 يَحْصُلُ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَى الْأَعْمَالِ لِتَحْصُلِ تِلْكَ الْأَذْوَاقِ الَّتِي

تَصِيرُ مَقَامًا وَيَتَرَقَّى مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ كَمَا قُلْنَا فِي الْكَلَامِ فِي الْكُشْفِ وَالْحَقِيقَةِ  
 الْمُدْرَكَةِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ مِثْلَ الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْمِيِّ وَالْمَلَائِكَةِ  
 وَالْوَحْيِ وَالنَّبُوءَةِ وَالرُّوحِ وَحَقَائِقِ كُلِّ مَوْجُودٍ غَائِبٍ أَوْ شَاهِدٍ وَتَرْكِيبِ الْأَكْوَانِ فِي  
 صُدُورِهَا عَنْ مَوْجُودِهَا وَتَكُونِهَا كَمَا مَرَّ وَثَالِثُهَا التَّصَرُّفَاتُ فِي الْعَوَالِمِ وَالْأَكْوَانِ بِأَنْوَاعِ  
 الْكَرَامَاتِ وَرَابِعُهَا الْفَافُ الْمُوهَمَةُ الظَّاهِرُ صَدَرَتْ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ أَيْمَةِ الْقَوْمِ يَعْبُرُونَ  
 عَنْهَا فِي أَصْطِلَاحِهِمْ بِالشُّطْحَاتِ تُسْتَشْكَلُ ظَوَاهِرُهَا فَمُنْكَرٌ وَمُحْسِنٌ وَمَتَأَوِّلٌ فَأَمَّا الْكَلَامُ  
 فِي الْجَاهِدَاتِ وَالْمَقَامَاتِ وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ فِي نَتَائِجِهَا وَخُصَايَةِ النَّفْسِ  
 عَلَى التَّقْصِيرِ فِي أَسْبَابِهَا فَأَمْرٌ لَا مَدْفَعَ فِيهِ لِأَحَدٍ وَأَذْوَاقُهُمْ فِيهِ صَحِيحَةٌ وَالتَّحْقُقُ بِهَا هُوَ  
 عَيْنُ السَّعَادَةِ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي كَرَامَاتِ الْقَوْمِ وَأَخْبَارِهِمْ بِالْمُغَيَّبَاتِ وَتَصَرُّفِهِمْ فِي  
 الْكَائِنَاتِ فَأَمْرٌ صَحِيحٌ غَيْرُ مُنْكَرٍ وَإِنْ مَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى انْكَارِهَا فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ  
 الْحَقِّ وَمَا أَحْتَجُّ بِهِ الْأُسْتَاذُ أَبُو اسْحَاقَ الْإِسْفَرَايْنِيُّ مِنْ أَيْمَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ عَلَى انْكَارِهَا  
 لِاتِّبَاسِهَا بِالْمُعْجَزَةِ فَقَدْ فَرَّقَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بَيْنَهُمَا بِالْتَّحْدِي وَهُوَ دَعْوَى  
 وَقُوعِ الْمُعْجَزَةِ عَلَى وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ قَالُوا ثُمَّ إِنَّ وَقُوعَهَا عَلَى وَفْقِ دَعْوَى الْكَاذِبِ غَيْرُ  
 مَقْدُورٍ لِأَنَّ دَلَالََةَ الْمُعْجَزَةِ عَلَى الصِّدْقِ عَقْلِيَّةٌ فَإِنْ صِفَةُ نَفْسِهَا التَّصْدِيقُ فَلَوْ وَقَعَتْ مَعَ  
 الْكَاذِبِ لَتَبَدَّلَتْ صِفَةُ نَفْسِهَا وَهُوَ مُحَالٌ هَذَا مَعَ أَنَّ الْوُجُودَ شَاهِدٌ بِوُقُوعِ الْكَثِيرِ  
 مِنْ هَذِهِ الْكَرَامَاتِ وَإِنْكَارُهَا نَوْعٌ مُكَابَرَةٌ وَقَدْ وَقَعَ لِلصَّحَابَةِ وَأَكْبَارِ السَّالِفِ كَثِيرٌ  
 مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي الْكُشْفِ وَإِعْطَاءِ حَقَائِقِ الْعُلُوبَاتِ  
 وَتَرْتِيبِ صُدُورِ الْكَائِنَاتِ فَأَكْثَرُ كَلَامِهِمْ فِيهِ نَوْعٌ مِنَ الْمُتَشَابِهِ لِمَا أَنَّهُ وَجَدَانِيٌّ  
 عِنْدَهُمْ وَفَاقِدُ الْوُجْدَانِ عِنْدَهُمْ بِمَعْزِلٍ عَنْ أَذْوَاقِهِمْ فِيهِ وَاللُّغَاتُ لَا تُعْطَى لَهُ دَلَالَةٌ عَلَى  
 مُرَادِهِمْ مِنْهُ لِأَنَّهَا لَمْ تَوْضَعْ لِلْمُتَعَارِفِ وَأَكْثَرُهُ مِنَ الْمُحْسُوسَاتِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا تَعْرِضَ  
 لِكَلَامِهِمْ فِي ذَلِكَ وَتَرْكُهُ فِيمَا تَرَكَاهُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ فَهْمَ شَيْءٍ مِنْ  
 هَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلَى الْوُجْهِ الْمُوَافِقِ لظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ فَأَكْرَمَ بِهَا سَعَادَةً وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ  
 الْمُوهَمَةُ الَّتِي يَعْبُرُونَ عَنْهَا بِالشُّطْحَاتِ وَيُوَاخِذُهُمْ بِهَا أَهْلُ الشَّرْعِ فَأَعْلَمُ أَنَّ  
 الْأَنْصَافَ فِي شَأْنِ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ أَهْلُ غَيْبَةٍ عَنِ الْحِسِّ وَالْوَارِدَاتِ تَمْلِكُهُمْ حَتَّى  
 يَنْطُقُوا عَنْهَا بِمَا لَا يَقْصِدُونَهُ وَصَاحِبُ الْغَيْبَةِ غَيْرُ مُخَاطَبٍ وَالْعَجُوبُ مَعْدُورٌ فَدَنْ



عِلْمَ مِنْهُمْ فَضْلُهُ وَاقْتِدَاؤُهُ حُمِلَ عَلَى الْقَصْدِ الْجَمِيلِ مِنْ ذَلِكَ وَأَنَّ الْعِبَارَةَ عَنِ  
 الْمَوَاجِدِ صَعِبَةٌ لِفَقْدَانِ الْوَضْعِ لَهَا كَمَا وَقَعَ لِأَبِي بَرِيدٍ وَأَمثَالِهِ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَضْلُهُ  
 وَلَا اشتهَرَ فَمَوَازِينُ بِمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتَبَيَّنْ لَنَا مَا يُحْمَلُ عَلَيَّ  
 تَأْوِيلِ كَلَامِهِ وَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِمِثْلِهَا وَهُوَ حَاضِرٌ فِي حِسِّهِ وَلَمْ يَمْلِكْهُ الْحَالُ فَمَوَازِينُ  
 أَيْضًا وَلِهَذَا أَفْتَى الْفُقَهَاءُ وَأَكْبَرُ الْمُتَصَوِّفَةِ بِقَتْلِ الْحُلَاجِ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي حُضُورِ وَهُوَ مَالِكٌ  
 لِحَالِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَسَلَفُ الْمُتَصَوِّفَةِ مِنْ أَهْلِ الرِّسَالَةِ أَعْلَامُ الْعَمَلَةِ الَّذِينَ أَشْرْنَا إِلَيْهِمْ  
 مِنْ قَبْلُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَرِصٌ عَلَى كَشْفِ الْحِجَابِ وَلَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْإِدْرَاكِ إِنَّمَا  
 هُمْ فِيهِ الْإِتِّبَاعُ وَالْإِقْتِدَاءُ مَا اسْتَطَاعُوا وَمَنْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ  
 يَحْفَظْ بِهِ بَلْ يَفْرُونَ مِنْهُ وَيَرَوْنَ أَنَّهُ مِنَ الْعَوَائِقِ وَالْحِجَابِ وَأَنَّهُ إِدْرَاكٌ مِنْ إِدْرَاكَاتِ  
 النَّفْسِ مَخْلُوقٌ حَادِثٌ وَأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ لَا تَنْحَصِرُ فِي مَدَارِكِ الْإِنْسَانِ وَعِلْمُ اللَّهِ أَوْسَعُ  
 وَخَلْقُهُ أَكْبَرُ وَشَرِيعَتُهُ بِالْهِدَايَةِ أَمَّا كُفْلًا يَنْطِقُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُدْرِكُونَ بَلْ حَظَرُوا  
 الْخُلُوصَ فِي ذَلِكَ وَمَنَعُوا مَنْ يَكْشِفُ لَهُ الْحِجَابَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْخُلُوصِ فِيهِ  
 وَالْوُقُوفِ عِنْدَهُ بَلْ يَلْتَزِمُونَ طَرِيقَتَهُمْ كَمَا كَانُوا فِي عَالَمِ الْحِسِّ قَبْلَ الْكَشْفِ مِنَ  
 الْإِتِّبَاعِ وَالْإِقْتِدَاءِ وَيَأْمُرُونَ أَصْحَابَهُمْ بِالْإِزْمَامِ وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُ  
 الْمُرِيدِ وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ لِلصَّوَابِ

### الفصل الثاني عشر

في علم تعبير الرؤيا

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَهُوَ حَادِثٌ فِي الْعَمَلَةِ عِنْدَمَا صَارَتِ الْعُلُومُ صَنَائِعَ  
 وَكَتَبَ النَّاسُ فِيهَا وَأَمَّا الرُّؤْيَا وَالتَّعْبِيرُ لَهَا فَقَدْ كَانَ مَوْجُودًا فِي السَّالِفِ كَمَا هُوَ فِي  
 الْخُلَافِ وَرُبَّمَا كَانَ فِي الْمُلُوكِ وَالْأَمَمِ مِنْ قَبْلُ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَصِلِ إِلَيْنَا لِيَلَا كُتُفَاءُ فِيهِ  
 بِكَلَامِ الْمُعْبَرِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَإِلَّا فَالرُّؤْيَا مَوْجُودَةٌ فِي صِنْفِ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ  
 وَلَا بُدَّ مِنْ تَعْبِيرِهَا فَلَقَدْ كَانَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يُعَبِّرُ الرُّؤْيَا كَمَا وَقَعَ  
 فِي الْقُرْآنِ وَكَذَلِكَ ثَبَتَ عَنِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالرُّؤْيَا مُدْرِكٌ مِنْ مَدَارِكِ الْغَيْبِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّؤْيَا  
 الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ وَقَالَ لَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ إِلَّا الرُّؤْيَا

الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ وَأَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَاتِي الصُّبْحِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَقَلَّ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ الْإِلَهَةَ  
 رُؤْيَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ لِيَسْتَبْشِرَ بِمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ ظُهُورُ الدِّينِ وَإِعْزَازُهُ وَآمَّا  
 السَّبَبُ فِي كَوْنِ الرُّؤْيَا مُدْرِكًا لِلْغَيْبِ فَهُوَ أَنَّ الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ وَهُوَ الْبَخَارُ اللَّطِيفُ الْمُنْبَعِثُ  
 مِنْ تَجْوِيفِ الْقَلْبِ اللَّحْمِيِّ يَنْتَشِرُ فِي الشَّرْيَاطَاتِ وَمَعَ الدَّمِ فِي سَائِرِ الْبَدَنِ وَبِهِ  
 تَكْمُلُ أَفْعَالُ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ وَإِحْسَاسُهَا فَإِذَا أَدْرَكَهُ الْمَلَالُ بِكَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فِي  
 الْأَحْسَاسِ بِالْحَوَاسِ الْخَمْسِ وَتَصْرِيفِ الْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَغَشْيِ سَطْحِ الْبَدَنِ مَا يَغْشَاهُ  
 مِنْ بَرْدِ اللَّيْلِ أُنْحَبَسَ الرُّوحُ مِنْ سَائِرِ أَقْطَارِ الْبَدَنِ إِلَى مَرْكَزِهِ الْقَلْبِيِّ فَيَسْتَحِمُّ بِذَلِكَ  
 لِمَعَاوَدَةِ فِعْلِهِ فَتَعَطَّلَتِ الْحَوَاسُ الظَّاهِرَةُ كُلُّهَا وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى النَّوْمِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي  
 أَوَّلِ الْكِتَابِ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ هُوَ مَطِيَّةٌ لِلرُّوحِ الْعَاقِلِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالرُّوحُ  
 الْعَاقِلُ مُدْرِكٌ لِجَمِيعِ مَا فِي عَالَمِ الْأَمْرِ بِذَاتِهِ إِذْ حَقِيقَتُهُ وَذَاتُهُ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ وَإِنَّمَا  
 يَمْنَعُ مِنْ تَعَلُّقِهِ لِلْمَدَارِكِ الْغَيْبِيَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ حِجَابِ الْأَشْيَاءِ بِالْبَدَنِ وَقُوَاهُ وَحَوَاسِيهِ  
 فَلَوْ قَدْ خَلَا مِنْ هَذَا الْحِجَابِ وَتَجَرَّدَ عَنْهُ لَرَجَعَ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَهُوَ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ فَيَعْقِلُ  
 كُلَّ مُدْرِكٍ فَإِذَا تَجَرَّدَ عَنْ بَعْضِهَا خَفَّتْ شَوَاعِلُهُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِدْرَاكِ لِنَعْمَةٍ مِنْ عَالَمِهِ  
 بِقَدَرِ مَا تَجَرَّدَ لَهُ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قَدْ خَفَّتْ شَوَاعِلُ الْحِسِّ الظَّاهِرِ كُلُّهَا وَهِيَ الشَّاعِلُ  
 الْأَعْظَمُ فَأَسْتَعَدَّ لِقَبُولِ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْمَدَارِكِ الْأَلْفِقَةِ مِنْ عَالَمِهِ وَإِذَا أَدْرَكَ مَا يُدْرِكُ  
 مِنْ عَوَالِمِهِ رَجَعَ إِلَى بَدَنِهِ إِذْ هُوَ مَا دَامَ فِي بَدَنِهِ جِسْمَانِي لَا يُمْكِنُهُ التَّصَرُّفُ إِلَّا  
 بِالْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ لِلْعِلْمِ إِنَّمَا هِيَ الدَّمَاعِيَّةُ وَالْمُتَصَرِّفُ مِنْهَا  
 هُوَ الْخَيَالُ فَإِنَّهُ يَنْتَزِعُ مِنَ الصُّورِ الْمُحْسُوسَةِ صُورًا خَيَالِيَّةً ثُمَّ يَدْفَعُهَا إِلَى الْحَافِظَةِ  
 تَحْفَظُهَا لَهُ إِلَى وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا عِنْدَ النَّظَرِ وَالْإِسْتِدْلَالِ وَكَذَلِكَ تَجَرَّدُ النَّفْسُ مِنْهَا  
 صُورًا أُخْرَى نَفْسَانِيَّةً عَقْلِيَّةً فَيَتَرَفَّى التَّجَرُّدُ مِنَ الْمُحْسُوسِ إِلَى الْمُعْقُولِ وَالْخَيَالِ  
 وَاسِطَةً بَيْنَهُمَا وَلِذَلِكَ إِذَا أَدْرَكَتِ النَّفْسُ مِنْ عَالَمِهَا مَا تُدْرِكُهُ الْقَنَةُ إِلَى الْخَيَالِ  
 فَيُصَوِّرُهُ بِالصُّورَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ وَيَدْفَعُهُ إِلَى الْحِسِّ الْمُشْتَرِكِ فَيَرَاهُ النَّائِمُ كَأَنَّهُ مُحْسُوسٌ  
 فَيَنْزِلُ الْمُدْرِكُ مِنَ الرُّوحِ الْعَقْلِيِّ إِلَى الْحِسِّيِّ وَالْخَيَالِ أَيْضًا وَاسِطَةً هَذِهِ حَقِيقَةُ



الرؤيا ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة والأحلام الكاذبة فإنها كلها صور في الخيال حالة النوم ولكن إن كانت تلك الصور منزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا وإن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياها منذ اليقظة فهي أضغاث أحلام وأما معنى التعبير فأعلم أن الروح العقلي إذا أدرك مدركه وألقاه إلى الخيال فصوره فإنما يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الأعظم فيصوره الخيال بصورة البحر أو يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية فإذا استيقظ وهو لم يعلم من أمره إلا أنه رأى البحر أو الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد أن يتيقن أن البحر صورة محسوسة وأن المدرك وراءها وهو يهتدي بقرائن أخرى تعين له المدرك فيقول مثلاً هو السلطان لأن البحر خلق عظيم يناسب أن يشبه بها السلطان وكذلك الحية يناسب أن تشبه بالعدو لعظم ضررها وكذا الأواني تشبه بالنساء لأنهن أوعية وأمثال ذلك ومن المرئي ما يكون صريحاً لا يفتقر إلى تعبير لجلائها ووضوحها أو لقرب الشبه فيها بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر إلى تأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تفتقر إلى التعبير والرؤيا التي من الشيطان هي الأضغاث وأعلم أن الخيال إذا ألقى إليه الروح مدركه فإنما يصوره في القوالب المعتادة للحس وما لم يكن الحس أدركه قط فلا يصور فيه فلا يمكن من ولد أعمى أن يصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالأواني لأنه لم يدرك شيئاً من هذه وإنما يصور له الخيال أمثال هذه في شبهها ومناسبتها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشمومات وليتخفظ المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه ثم إن علم التعبير علم بقوانين كلية يبنى عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الهم والأمر الفادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو وفي موضع آخر يقولون هي كاتم مير وفي موضع آخر يقولون تدل على

الْحَيَاةِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَيَحْفَظُ الْمَعْبَرُ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الْكُلِّيَّةَ وَيُعْبَرُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِمَا  
 نَقَضَ بِهِ الْقَرَائِنُ الَّتِي تُعَيِّنُ مِنْ هَذِهِ الْقَوَانِينِ مَا هُوَ أَلْيَقُ بِالرُّؤْيَا وَتِلْكَ الْقَرَائِنُ مِنْهَا فِي  
 الْيَقَظَةِ وَمِنْهَا فِي النَّوْمِ وَمِنْهَا مَا يَنْقَدِحُ فِي نَفْسِ الْمَعْبَرِ بِالْخَاصِّ الَّتِي خُلِقَتْ فِيهِ وَكُلُّ  
 مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا الْعِلْمُ مُتَنَاقِلًا بَيْنَ السَّالِفِ وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ سِيرِينَ فِيهِ  
 مِنْ أَشْهَرِ الْعُلَمَاءِ وَكُتِبَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْقَوَانِينِ وَتَنَاقَلَهَا النَّاسُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَلَّفَ  
 الْكَرْمَانِيُّ فِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ثَمَّ أَلَّفَ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُتَأَخِّرُونَ وَأَكْثَرُوا وَالْمُتَدَاوِلُ  
 بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ كُتِبَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقَيْرَوَانِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَيْرَوَانِ مِثْلَ  
 الْمُتَمَعِّ وَغَيْرِهِ وَكِتَابُ الْإِشَارَةِ لِلْسَّالِمِيِّ وَهُوَ عِلْمٌ مُضِيٌّ بِزُورِ النَّبُوءَةِ لِلْمُنَاسَبَةِ الَّتِي  
 يَنْهَمَا كَمَا وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ وَاللَّهُ عَلَامُ الْغُيُوبِ

### الفصل الثالث عشر

في العلوم العقلية واصنافها

وَأَمَّا الْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ الَّتِي هِيَ طَبِيعِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ ذُو فِكْرٍ فَهِيَ غَيْرُ  
 مُخْتَصَّةٍ بِمِلَّةٍ بَلْ يُوْجَدُ النَّظَرُ فِيهَا إِلَى أَهْلِ الْمِلَلِ كُلِّهِمْ وَيَسْتَوُونَ فِي مَدَارِكِهَا وَمَبَاحِثِهَا  
 وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْذُ كَانَ عَمْرَانُ الْخَلِيقَةَ وَتُسَمَّى هَذِهِ الْعُلُومُ عُلُومُ  
 الْفَلَسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ الْأَوَّلُ عِلْمُ الْمَنْطِقِ وَهُوَ عِلْمٌ يَعْصِمُ  
 الذِّهْنَ عَنِ الْخَطَا فِي اقْتِنَاصِ الْمَطَالِبِ الْمَجْهُولَةِ مِنَ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ الْمَعْلُومَةِ وَفَائِدَتُهُ  
 تَمْيِيزُ الْخَطَا مِنَ الصَّوَابِ فِيمَا يَلْتَمِسُهُ النَّاظِرُ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَعَوَارِضِهَا لِيَقِفَ عَلَى  
 تَحْقِيقِ الْحَقِّ فِي الْكَائِنَاتِ بِدُنْتِهِ فِكْرِهِ ثُمَّ النَّظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ إِمَّا فِي الْمَحْسُوسَاتِ  
 مِنَ الْأَجْسَامِ الْعُنْصُرِيَّةِ وَالْمُكَوَّنَةِ عَنْهَا مِنَ الْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَالْأَجْسَامِ  
 الْفَلَاسِكِيَّةِ وَالْحَرَكَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالنَّفْسِ الَّتِي تَنْبَعِثُ عَنْهَا الْحَرَكَاتُ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَيُسَمَّى  
 هَذَا الْفَنُّ بِالْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ وَهُوَ الثَّانِي مِنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي وَرَاءَ  
 الطَّبِيعَةِ مِنَ الرُّوحَانِيَّاتِ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ وَهُوَ الثَّلَاثُ مِنْهَا وَالْعِلْمُ الرَّابِعُ وَهُوَ  
 النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ وَيَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ وَتُسَمَّى الْعَالِمِ أَوَّلُهَا عِلْمُ الْهَنْدَسَةِ وَهُوَ  
 النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِمَّا الْمُنْفَصِلَةِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا مَعْدُودَةٌ أَوْ الْمُنْتَصِلَةِ  
 وَهِيَ إِمَّا ذُو بُعْدٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْخَطُّ أَوْ ذُو بُعْدَيْنِ وَهُوَ السَّطْحُ أَوْ ذُو أَرْبَعٍ ثَلَاثَةٌ وَهُوَ



الْجِسْمُ التَّعْلِيمِيُّ يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْمَقَادِيرِ وَمَا يَعْزُضُ لَهَا إِمَّا مِنْ حَيْثُ ذَاتُهَا أَوْ مِنْ  
 حَيْثُ نِسْبَةُ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَثَانِيهَا عِلْمُ الْأَرْتِمَاتِيْقِي وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَا يَعْزُضُ لِكُلِّ  
 الْمُنْفَصِلِ الَّذِي هُوَ الْعَدَدُ وَيُؤْخَذُ لَهُ مِنَ الْخَوَاصِ وَالْعَوَارِضِ الْأَلْحَقَةِ وَثَالِثُهَا عِلْمُ  
 الْمَوْسِيقِيِّ وَهُوَ مَعْرِفَةُ نِسْبِ الْأَصْوَاتِ وَالنَّغَمِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَتَقْدِيرُهَا بِالْعَدَدِ وَثَمَرَتُهُ  
 مَعْرِفَةُ تَالِاحِينَ الْغِنَاءِ وَرَابِعُهَا عِلْمُ الْهَيْئَةِ وَهُوَ تَعْيِينُ الْأَشْكَالِ لِلْأَفْلَاقِ وَحَضْرُ أَوْضَاعِهَا  
 وَتَعَدُّهَا لِكُلِّ كَوْكَبٍ مِنَ السِّيَّارَةِ وَالْقِيَامُ عَلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْحَرَكَاتِ السَّمَاوِيَّةِ  
 الْمَشَاهِدَةِ الْمَوْجُودَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَمِنْ رُجُوعِهَا وَاسْتِقَامَتِهَا وَإِقْبَالِهَا وَإِدْبَارِهَا فَهَذِهِ  
 أَصُولُ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَهِيَ سَبْعَةٌ الْمَنْطِقُ وَهُوَ الْمَقْدَمُ مِنْهَا وَبَعْدَهُ الْعَالِمُ فَالْأَرْتِمَاتِيْقِي  
 أَوَّلًا ثُمَّ الْهِنْدَسَةُ ثُمَّ الْهَيْئَةُ ثُمَّ الْمَوْسِيقِيُّ ثُمَّ الطَّبِيعِيَّاتُ ثُمَّ الْإِلَهِيَّاتُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
 فُرُوعٌ تَنْفَرِّعُ عَنْهُ فَمِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ الطَّبُّ وَمِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْعَدَدِ عِلْمُ الْحِسَابِ  
 وَالْفَرَائِضِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَمِنْ فُرُوعِ الْهَيْئَةِ الْأَزْيَاحُ وَهِيَ قَوَانِينُ لِحِسَابِ حَرَكَاتِ  
 الْكَوَاكِبِ وَتَعْدِيلِهَا لِلْوُقُوفِ عَلَى مَوَاضِعِهَا مَتَى قَصِدَ ذَلِكَ وَمِنْ فُرُوعِهَا النَّظَرُ فِي النُّجُومِ  
 عَلَى الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ وَتَحْنُ نَتَكَلِّمُ عَلَيْهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى آخِرِهَا وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ عُنِيَ بِهَا فِي الْأَجْيَالِ الَّذِينَ عَرَفْنَا أَخْبَارَهُمُ الْأَمْتَانِ الْعَظِيمَتَانِ فِي  
 الدَّوْلَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَهُمَا فَارِسُ وَالرُّومُ فَكَانَتْ أَسْوَاقُ الْعُلُومِ نَافِقَةً لَدَيْهِمْ عَلَى  
 مَا بَلَّغْنَا لِمَا كَانَ الْأَعْمَرَانُ مَوْفُورًا فِيهِمْ وَالْدَّوْلَةُ وَالسُّلْطَانُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَعَصَرِهِ لَهُمْ  
 فَكَانَ لَهُنَّ الْعُلُومُ يُحَوَّرُ زَاخِرَةً فِي آفَاقِهِمْ وَأَمْصَارِهِمْ وَكَانَ لِلْكِلْدَانِيَيْنِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ  
 مِنَ السَّرِّيَانِيَيْنِ وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنَ الْقُبْطِ عَنَابَةٌ بِالسَّحْرِ وَالنَّجْمَةِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الطَّلَاسِمِ  
 وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُمْ الْأُمَمُ مِنْ فَارِسَ وَيُونَانَ فَأَخْصَصَ بِهَا الْقُبْطُ وَطَمَى بِحَرْفِهَا فِيهِمْ  
 كَمَا وَقَعَ فِي الْمَثَلِ مِنْ خَبَرِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَشَأْنِ السَّحَرَةِ وَمَا نَقَلَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ  
 مِنْ شَأْنِ الْبَرَارِيِّ بِصَعِيدِ مِصْرَ ثُمَّ تَتَابَعَتِ الْمِلَلُ بِحَظَرِ ذَلِكَ وَتَحْرِيمِهِ فَدُرِسَتْ  
 عُلُومُهُ وَبَطُلَتْ كَانَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بَقَايَا يَتَنَاقَلُهَا مُنْتَحِلُو هَذِهِ الصَّنَائِعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 بِصَحَّتِهَا مَعَ أَنَّ سِيُوفَ الشَّرْعِ قَائِمَةٌ عَلَى ظُهُورِهَا مَانِعَةٌ مِنْ اخْتِبَارِهَا وَأَمَّا الْفَرَسُ  
 فَكَانَ شَأْنُ هَذِهِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ عِنْدَهُمْ عَظِيمًا وَتَطَافُهَا مُتَسِعًا لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ دَوْلَتُهُمْ  
 مِنَ الضَّخَامَةِ وَاتِّصَالِ الْمَلِكِ وَلَقَدْ يُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ إِنَّمَا وَصَلَتْ إِلَى يُونَانَ مِنْهُمْ

حين قتل الإسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستولى على كتبهم وعلومهم  
 مما لا يأخذه الحصر ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد  
 ابن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتنقيتها للمسلمين فكتب  
 إليه عمر أن أطرحوها في الماء فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه وإن  
 يكن ضللاً فقد كفانا الله فطرحوها في الماء أو في النار وذهبت علوم الفرس فيها  
 عن أن تصل إلينا وأما الروم فكانت الدولة منهم أيونان أولاً وكان لهذه العلوم  
 بينهم مجال رحب وحكاما مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم  
 واختص فيها المشاهون منهم أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التلاميذ كانوا يقرأون  
 في رواق يظلمهم من الشمس والبرد على ما زعموا واتصل فيها سند تعاليمهم على ما  
 يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الدن ثم إلى تلميذه أفلاطون ثم  
 إلى تلميذه أرسطو ثم إلى تلميذه الإسكندر الأفرودمي وتلاميذون وغيرهم  
 وكان أرسطو معلماً للإسكندر ملكهم الذي غاب الفرس على ملكهم وانتزع  
 الملك من أيديهم وكان أرسطو في هذه العلوم قدماً وأبعدهم فيه صيتاً وكان يسمى  
 المعلم الأول فطار له في العالم ذكره ولما انقرض أمر اليونان وصار الأمر للقيصرية  
 وأخذوا بدين النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الميل والشرايع فيها وبقيت  
 في صحتها ودواوينها مخلدة بأقية في خزائهم قد ملكوا الشام وكتب هذه العلوم  
 بأقية فيهم ثم جاء الله بالإسلام وكان لأهل الظهور الذي لا كفاء له وأبتزوا الروم  
 ملكهم فيما أبتزوه للأمم وأبدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى إذا  
 تبجح من السلطان والدولة وأخذ الحضارة بالخط الذي لم يكن لغيرهم من الأمم  
 وتفننوا في الصنائع والعلوم تشوقوا إلى الإطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما  
 سمعوا من الأساقفة والآقسة المعاهدين بعض ذكر منها وبما تسمو إليه أفكار الإنسان  
 فيها فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة  
 فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون وأطلعوا على  
 ما فيها وأزدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في  
 العلم رغبة بما كان ينتحله فأنبعث لهذه العلوم حرصاً وأوفد الرسل على ملوك الروم



فِي اسْتِخْرَاجِ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ وَانْتِسَاحِهَا بِالْخَطِّ الْعَرَبِيِّ وَبَعَثَ الْمُتَرْجِمِينَ لِذَلِكَ فَأَوْعَى  
 مِنْهُ وَأَسْتَوْعَبَ وَعَكَفَ عَلَيْهَا النُّظَّارُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَحَذَقُوا فِي فُنُونِهَا وَأَنْتَبَهَتْ إِلَى  
 الْغَايَةِ أَنْظَارُهُمْ فِيهَا وَخَالَفُوا كَثِيرًا مِنْ آرَاءِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَاخْتَصَّوهُ بِالرَّدِّ وَالْقَبُولِ  
 لَوْ قُوفِ الشُّهْرَةِ عِنْدَهُ وَدَوَّنُوا فِي ذَلِكَ الدَّوَابِينَ وَأَزْبَوُا عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُمْ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ  
 وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِهِمْ فِي الْمِلَّةِ أَبُو نَصْرِ الْفَارَابِيُّ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا بِالْمَشْرِقِ وَالْقَاضِي  
 أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ وَالْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الصَّائِغِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى آخِرِينَ بَلَّغُوا الْغَايَةَ  
 فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَاخْتَصَّ هَؤُلَاءُ بِالشُّهْرَةِ وَالذِّكْرِ وَاقْتَصَرَ كَثِيرُونَ عَلَى اتِّحَالِ الْعُلَامِ  
 وَمَا يَنْضَافُ إِلَيْهَا مِنْ عُلُومِ النِّجَامَةِ وَالسِّجَرِ وَالطَّلَسَمَاتِ وَوَقَفَتْ الشُّهْرَةُ فِي هَذَا الْمُنْتَحَلِ  
 عَلَى مَسْلَمَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْحَجَرِيطِيِّ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَتَلْمِيذِهِ وَدَخَلَ عَلَى الْمِلَّةِ مِنْ  
 هَذِهِ الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا دَاخِلَةٌ وَأَسْتَهْوَتْ أَكْثَرُ مِنَ النَّاسِ بِمَا جَنَحُوا إِلَيْهَا وَقَلَّدُوا آرَاءَهَا  
 وَالذَّنْبُ فِي ذَلِكَ لِمَنْ أَرْتَكَبَهُ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ثُمَّ إِنَّ الْمَغْرِبَ وَالْأَنْدَلُسَ لَمَّا  
 رَكَدَتْ رِيحُ الْعُمَرَانِ بِهِمَا وَتَنَاقَصَتِ الْعُلُومُ بِتَنَاقُصِهِ أَضْحَلَّ ذَلِكَ مِنْهُمَا إِلَّا قَلِيلًا مِنْ  
 رُسُومِهِ تَجَدُّهَا فِي تَفَارِيقِ مِنَ النَّاسِ وَتَمَتَّتْ رَقِيبَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ وَيَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ أَنَّ بَضَائِعَ هَذِهِ الْعُلُومِ لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُمْ مُتَوَفِّرَةً وَخُصُوصًا فِي عِرَاقِ الْعَجَمِ وَمَا  
 بَعْدَهُ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَأَنْتَبَهَ عَلَى بَحِّ مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ لِتَوَفُّرِ عُمَرَانِهِمْ وَأَسْتَنْجَكَا  
 الْحَضَارَةَ فِيهِمْ وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِمِصْرَ عَلَى تَأْلِيفِ مُتَعَدِّدَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ هَرَاةٍ مِنْ بِلَادِ  
 خِرَاسَانَ يُشَهَّرُ بِسَعْدِ الدِّينِ التَّقَازَانِيِّ مِنْهَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْبَيَانِ  
 تَشْهَدُ بَأَنَّ لَهُ مَلَكَةً رَاسِخَةً فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَفِي أَثْنَائِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ أَطْلَاعًا عَلَى  
 الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَقَدَّمَ عَالِيَةً فِي سَائِرِ الْفُنُونِ الْعَقْلِيَّةِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ  
 كَذَلِكَ بَلَّغْنَا إِلَيْهَا الْعَهْدَ أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الْفَلَسَفِيَّةَ بِبِلَادِ الْإِفْرَنْجَةِ مِنْ أَرْضِ رُومَةٍ وَمَا  
 إِلَيْهَا مِنَ الْعُدُودِ الشَّمَالِيَّةِ نَافِقَةٌ الْأَسْوَاقِ وَأَنَّ رُسُومَهَا هُنَاكَ مُتَعَدِّدَةٌ وَمَجَالِسَ  
 تَعْلِيمَهَا مُتَعَدِّدَةٌ وَدَوَابِئُهَا جَامِعَةٌ مُتَوَفِّرَةٌ وَطَلَبَتُهَا مُتَكَثِّرَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا هُنَاكَ  
 وَهُوَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ

## الفصل الرابع عشر

### في العلوم العددية

وَأَوَّلُهَا الْأَرْتَمَاطِيْقِي وَهُوَ مَعْرِفَةُ خَوَاصِّ الْأَعْدَادِ مِنْ حَيْثُ التَّأْلِيفُ إِمَّا عَلَى التَّوَالِي  
أَوْ بِالتَّضْعِيفِ مِثْلَ أَنَّ الْأَعْدَادَ إِذَا تَوَالَتْ مُتَفَاضِلَةً بَعْدَ وَاحِدٍ فَإِنْ جُمِعَ الطَّرَفَيْنِ مِنْهَا مُسَاوٍ  
لِجَمْعِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ وَمِثْلَ ضَعْفِ الْوَاسِطَةِ إِنْ كَانَتْ  
عِدَّةُ تِلْكَ الْأَعْدَادِ فَرْدًا مِثْلَ الْأَفْرَادِ عَلَى تَوَالِيهَا وَالْأَزْوَاجِ عَلَى تَوَالِيهَا وَمِثْلَ أَنَّ الْأَعْدَادَ  
إِذَا تَوَالَتْ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ يَكُونُ أَوَّلُهَا نِصْفَ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا نِصْفَ ثَالِثِهَا الخ أَوْ يَكُونُ  
أَوَّلُهَا ثُلْثَ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا ثُلْثَ ثَالِثِهَا الخ فَإِنْ ضَرَبَ الطَّرَفَيْنِ أَحَدَهُمَا فِي الْآخَرِ كَضَرْبِ  
كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ أَحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ وَمِثْلَ مُرَبِّعِ الْوَاسِطَةِ  
إِنْ كَانَتْ الْعِدَّةُ فَرْدًا وَذَلِكَ مِثْلَ أَعْدَادِ زَوْجِ الزَّوْجِ الْمُتَوَالِيَةِ مِنْ أَثْنَيْنِ فَأَرْبَعَةٍ  
فَثَمَانِيَةٍ فَسِتَّةَ عَشَرَ وَمِثْلَ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْخَوَاصِّ الْعَدَدِيَّةِ فِي وَضْعِ الْمُثَلَّثَاتِ الْعَدَدِيَّةِ  
وَالْمُرَبَّعَاتِ وَالْمُخَمَّسَاتِ وَالْمُسَدَّسَاتِ إِذَا وُضِعَتْ مُتَتَالِيَةً فِي سَطُورِهَا بِأَنْ يُجْمَعَ مِنَ  
الْوَحِيدِ إِلَى الْعَدَدِ الْآخِرِ فَتَكُونُ مُثَلَّثَةً وَتَتَوَالِي الْمُثَلَّثَاتُ هَكَذَا فِي سَطُرِ تَحْتَ  
الْأَضْلَاحِ ثُمَّ تَزِيدُ عَلَى كُلِّ مُثَلَّثٍ ثُلْثَ الضَّاعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ مُرَبَّعَةً وَتَزِيدُ عَلَى  
كُلِّ مُرَبَّعٍ مُثَلَّثَ الضَّاعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ مُخَمَّسَةً وَهَلُمَّ جَرًّا وَتَتَوَالِي الْأَشْكَالُ  
عَلَى تَوَالِي الْأَضْلَاحِ وَيَحْدُثُ جَدْوَلٌ ذُو طُولٍ وَعَرْضٍ فِيهِ عَرْضُ الْأَعْدَادِ عَلَى تَوَالِيهَا  
ثُمَّ الْمُثَلَّثَاتُ عَلَى تَوَالِيهَا ثُمَّ الْمُرَبَّعَاتُ ثُمَّ الْمُخَمَّسَاتُ الخ وَفِي طُولِهِ كُلُّ عَدَدٍ وَأَشْكَالُهُ  
بَالِغًا مَا بَلَغَ وَتَحْدُثُ فِي جَمْعِهَا وَقِسْمَةِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ طَوْلًا وَعَرْضًا خَوَاصُّ غَرِيبَةٌ  
أَسْتَفْرِيتُ مِنْهَا وَتَقَرَّرَتْ فِي دَوَائِبِهِمْ مَسَائِلُهَا كَذَلِكَ مَا يَحْدُثُ لِلزَّوْجِ وَالْفَرْدِ وَزَوْجِ  
الزَّوْجِ وَزَوْجِ الْفَرْدِ وَزَوْجِ الزَّوْجِ وَالْفَرْدِ فَإِنْ لِكُلِّ مِنْهَا خَوَاصٌّ مُخْتَصَّةٌ بِهِ تَضَمَّنَهَا  
هَذَا الْفَنُّ وَلَيْسَتْ فِي غَيْرِهِ وَهَذَا الْفَنُّ أَوَّلُ أَجْزَاءِ التَّعَالِيمِ وَأَثْبَتَهَا وَيَدْخُلُ فِي بَرَاهِينِ  
الْحِسَابِ وَلِلْحُكَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ فِيهِ تَأْلِيفٌ وَكَثْرُهُمْ يَذَرُجُونَهُ فِي  
التَّعَالِيمِ وَلَا يُفَرِّدُونَهُ بِالتَّأْلِيفِ فَعَلَّ ذَلِكَ أَبُو سَيْنَا فِي كِتَابِ الشِّفَاءِ وَالنَّجَا وَغَيْرِهِ  
مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَهْجُورٌ إِذْ هُوَ غَيْرُ مُتَدَاوِلٍ وَمَنْفَعَةٍ فِي  
الْبَرَاهِينِ لَا فِي الْحِسَابِ فَهَجَرُوهُ لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَصُوا زُبْدَتَهُ فِي الْبَرَاهِينِ الْحِسَابِيَّةِ



كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ الْبَنَاءِ فِي كِتَابِ رَفْعِ الْحِجَابِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ . ( ومن فروع  
 علم العدد صناعة الحساب ) . وَهِيَ صِنَاعَةٌ عِلْمِيَّةٌ فِي حِسَابِ الْأَعْدَادِ بِالْضَّمِّ وَالتَّفْرِيقِ  
 فَالضَّمُّ يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ بِالْأَفْرَادِ وَهُوَ الْجَمْعُ وَبِالتَّضْعِيفِ تُضَاعَفُ عَدَدًا بِأَحَادٍ عَدَدٍ  
 آخَرَ وَهَذَا هُوَ الضَّرْبُ وَالتَّفْرِيقُ أَيْضًا يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ إِمَّا بِالْأَفْرَادِ مِثْلَ إِزَالَةِ عَدَدٍ  
 مِنْ عَدَدٍ وَمَعْرِفَةِ الْبَاقِي وَهُوَ الطَّرْحُ أَوْ تَقْصِيلُ عَدَدٍ بِأَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ تَكُونُ عِدَّتُهَا  
 مُحْصَلَةً وَهُوَ الْقِسْمَةُ وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا الضَّمُّ وَالتَّفْرِيقُ فِي الصَّحِيحِ مِنَ الْعَدَدِ أَوْ الْكَسْرِ  
 وَمَعْنَى الْكَسْرِ نِسْبَةُ عَدَدٍ إِلَى عَدَدٍ وَتِلْكَ النِّسْبَةُ تُسَمَّى كَسْرًا وَكَذَلِكَ يَكُونُ بِالضَّمِّ  
 وَالتَّفْرِيقِ فِي الْجُذُورِ وَمَعْنَاهَا الْعَدَدُ الَّذِي يُضْرَبُ فِي مِثْلِهِ فَيَكُونُ مِنْهُ الْعَدَدُ الْمَرْبُوعُ  
 فَإِنَّ تِلْكَ الْجُذُورَ أَيْضًا يَدْخُلُهَا الضَّمُّ وَالتَّفْرِيقُ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ حَادِثَةٌ أَحْتِيجُ إِلَيْهَا  
 لِلْحِسَابِ فِي الْمُعَامَلَاتِ وَآلَتِ النَّاسِ فِيهَا كَثِيرًا وَتَدَاوُلُوهَا فِي الْأَمْصَارِ بِالتَّعْلِيمِ لِلْوِلْدَانِ  
 وَمِنْ أَحْسَنِ التَّعْلِيمِ عِنْدَهُمُ الْإِبْتِدَاءُ بِهَا لِأَنَّهَا مَعَارِفُ مُنْضَجَةٌ وَبَرَاهِينُ مُنْتَظِمَةٌ فَيَنْشَأُ  
 عَنْهَا فِي الْغَالِبِ عَقْلٌ مُضِيٌّ دَرَبٌ عَلَى الصَّوَابِ وَقَدْ يُقَالُ مَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِتَعْلِيمِ الْحِسَابِ  
 أَوَّلَ أَمْرِهِ إِنَّهُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الصِّدْقُ لِمَا فِي الْحِسَابِ مِنْ صِحَّةِ الْمَبَانِي وَمُنَاقَشَةِ النَّفْسِ  
 فَيَصِيرُ ذَلِكَ خُلُقًا وَيَتَعَوَّدُ الصِّدْقُ وَيَلْزِمُهُ مَذْهَبًا وَمِنْ أَحْسَنِ التَّأَلِيفِ الْمَبْسُوطَةُ فِيهَا  
 لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَغْرِبِ كِتَابُ الْخِصَارِ الصَّغِيرِ وَلِابْنِ الْبَنَاءِ الْمَرَاكِشِيُّ فِيهِ تَلْخِصٌ ضَاطِطٌ  
 لِقَوَانِينِ أَعْمَالِهِ مُفِيدٌ ثُمَّ شَرْحُهُ بِكِتَابِ سَمَاءِ رَفْعِ الْحِجَابِ وَهُوَ مُسْتَغْلَقٌ عَلَى الْمُبْتَدِئِ  
 بِمَا فِيهِ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْوَثِيقَةِ الْمَبَانِي وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ الْقَدْرُ أَدْرَكْنَا الْمَشِخَّةَ تُعْظِمُهُ  
 وَهُوَ كِتَابٌ جَدِيدٌ بِذَلِكَ وَإِنَّمَا جَاءَهُ الْأَسْتَغْلَاقُ مِنْ طَرِيقِ الْبُرْهَانِ بَيِّنَاتِ عُلُومِ  
 التَّعَالِيمِ لِأَنَّ مَسَائِلَهَا وَأَعْمَالَهَا وَاضِحَةٌ كُلُّهَا وَإِذَا قُصِدَ شَرْحُهَا فَإِنَّمَا هُوَ إِعْطَاءُ الْعِلَلِ  
 فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْعُسْرِ عَلَى الْفَهْمِ مَا لَا يُوْجَدُ فِي أَعْمَالِ الْمَسَائِلِ فَتَأَمَّلْهُ  
 وَاللَّهُ يَهْدِي بِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ . ( ومن فروعه الجبر والمقابلة ) . وَهِيَ  
 صِنَاعَةٌ يُسْتَخْرَجُ بِهَا الْعَدَدُ الْجَهْلُ مِنْ قَبْلِ الْعِلْمِ الْمَفْرُوضِ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نِسْبَةٌ  
 اقْتَضِي ذَلِكَ فَاصْطَلَحُوا فِيهَا عَلَى أَنْ جَعَلُوا لِلْجَهْلِ مَرَاتِبَ مِنْ طَرِيقِ التَّضْعِيفِ بِالضَّرْبِ  
 أَوَّلَهَا الْعَدَدُ لِأَنَّهُ بِهِ يَتَعَيَّنُ الْمَطْلُوبُ الْجَهْلُ بِاسْتِخْرَاجِهِ مِنْ نِسْبَةِ الْجَهْلِ إِلَيْهِ وَثَانِيهَا  
 الشَّيْءُ لِأَنَّ كُلَّ جَهْلٍ فَهُوَ مِنْ جِهَةٍ إِنْهَامِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَيْضًا جَذْرٌ لِمَا يَأْزِمُ مِنْ تَضْعِيفِهِ

فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ وَثَالِثًا الْمَالُ وَهُوَ أَمْرٌ مُبْتَهَمٌ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَى نِسْبَةِ الْأَسْرِ فِي  
 الْمَضْرُوبِينَ ثُمَّ يَقَعُ الْعَمَلُ الْمَفْرُوضُ فِي الْمَسْأَلَةِ فَتَخْرُجُ إِلَى مُعَادَلَةٍ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ أَوْ  
 أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ فَيُقَابِلُونَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَجْعَلُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْكُسْرِ حَتَّى  
 يَصِيرَ صَحِيحًا وَيَحْطُونَ الْمَرَاتِبَ إِلَى أَقْلِ الْأَسَاسِ إِنْ أُمِكنَ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى الثَّلَاثَةِ  
 الَّتِي عَالِمُهَا مَدَارُ الْجَبْرِ عِنْدَهُمْ وَهِيَ الْعَدَدُ وَالشَّيْءُ وَالْمَالُ فَإِنْ كَانَتِ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ  
 وَاحِدٍ تَعَيَّنَ فَالْمَالُ وَالْجَذْرُ يَزُولُ إِبْهَامُهُ بِمُعَادَلَةِ الْعَدَدِ وَيَتَعَيَّنُ وَالْمَالُ وَإِنْ عَادَلَ  
 الْجَذُورَ فَيَتَعَيَّنُ بِعِدَّتِهَا وَإِنْ كَانَتِ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ أَخْرَجَهُ الْعَمَلُ الْهِنْدِيُّ  
 مِنْ طَرِيقِ تَفْصِيلِ الضَّرْبِ فِي الْإِثْنَيْنِ وَهِيَ مُبْتَهَمَةٌ فَيُعَيِّنُ ذَلِكَ الضَّرْبَ الْمَفْصَلَ وَلَا  
 يُمَكِّنُ الْمُعَادَلَةَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَأَكْثَرَ مَا انْتَهَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى سِتِّ  
 مَسَائِلَ لِأَنَّ الْمُعَادَلَةَ بَيْنَ عَدَدٍ وَجَذْرٍ وَمَالٍ مُفْرَدَةٍ أَوْ مُرَكَّبَةٍ تَجِيءُ سِتَّةً وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ  
 فِي هَذَا الْفَنِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخُوارِزْمِيُّ وَبَعْدَهُ أَبُو كَامِلٍ شُجَاعُ بْنُ أَسْلَمَ وَجَاءَ النَّاسُ  
 عَلَى أَثَرِهِ فِيهِ وَكَتَابُهُ فِي مَسَائِلِهِ السِّتِّ مِنْ أَحْسَنِ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فِيهِ وَشَرَحَهُ  
 كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فَأَجَادُوا وَمِنْ أَحْسَنِ شُرُوحَاتِهِ كِتَابُ الْقُرْشِيِّ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ  
 بَعْضَ أَيْمَةِ الْعَالَمِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ أَنْهَى الْمَعَامَلَاتِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذِهِ السِّتَةِ  
 الْأَجْنَاسِ وَبَلَّغَهَا إِلَى فَوْقِ الْعِشْرِينَ وَاسْتَخْرَجَ لَهَا كُلِّهَا أَعْمَالًا وَاتَّبَعَهُ بِرَاهِيقِ هِنْدَسِيَّةٍ  
 وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْمَعَامَلَاتُ ) . وَهُوَ  
 تَصْرِيْفُ الْحِسَابِ فِي مُعَامَلَاتِ الْمَدِينِ فِي الْبَيَاعَاتِ وَالْمَسَاحَاتِ وَالزَّكَوَاتِ وَسَائِرِ مَا  
 يَعْزُضُ فِيهِ الْعَدَدُ مِنَ الْمَعَامَلَاتِ يُصْرَفُ فِي صِنَاعَتِنَا ذَلِكَ الْحِسَابُ فِي الْمَجْهُولِ وَالْمَعْلُومِ  
 وَالْكَسْرِ وَالصَّحِيحِ وَالْجَذُورِ وَغَيْرِهَا وَالْعَرْضُ مِنْ تَكْثِيرِ الْمَسَائِلِ الْمَفْرُوضَةِ فِيهَا  
 حُصُولُ الْمِرَانِ وَالذُّبِيَّةِ بِتَكَرُّرِ الْعَمَلِ حَتَّى تَرْتَجَّ الْمَلَكَةُ فِي صِنَاعَةِ الْحِسَابِ  
 وَلِأَهْلِ الصِّنَاعَةِ الْحِسَابِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ تَأَلَّفَ فِيهَا مُتَعَدِّدَةٌ مِنْ أَشْهُرِهَا مُعَامَلَاتُ  
 الزَّهْرَاوِيِّ وَابْنِ السَّمْعِ وَأَبِي مُسْلِمِ بْنِ خَالِدُونَ مِنْ تَلْمِيزِ مُسْلِمَةِ الْعَجْرِيَّيْنِ وَأَمْثَالِهِمْ  
 ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْفَرَائِضُ ) . وَهِيَ صِنَاعَةٌ حِسَابِيَّةٌ فِي تَصْحِيحِ السِّهَامِ لِذَوِي الْفُرُوضِ  
 فِي الْوَرَاثَاتِ إِذَا تَعَدَّتْ وَهَلَكَ بَعْضُ الْوَارِثِينَ وَأَنْكَسَرَتْ سِهَامُهُ عَلَى وَرَثَتِهِ أَوْ  
 زَادَتْ الْفُرُوضُ عِنْدَ اجْتِمَاعِهَا وَتَزَاحُمِهَا عَلَى أَعْمَالٍ كُلِّهَا أَوْ كَانَ فِي الْفَرِيضَةِ إِفْرَازٌ



وإنكار من بعض الورثة فتحتاج في ذلك كله إلى عمل يعين به سهام الفريضة من  
 كم تصح وسهام الورثة من كل بطن مصححا حتى تكون حظوظ الورثين من  
 المال على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة فيدخلها من صناعة الحساب جزء  
 كبير من صحيحه وكسره وجذره ومعلومه ومجهوله وترتب على ترتيب أبواب الفرائض  
 الفقهية ومسائلها فتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو أحكام الورثة  
 من الفروض والعول والإقرار والإنكار والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها  
 وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح الشهمان باعتبار الحكم الفقهي وهي من أجل  
 العلوم وقد يورد أهلها أحاديث نبوية تشهد بفضلها مثل الفرائض ثلث العلم وأنها أول  
 ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندي أن ظواهر تلك الأحاديث كلها إنما هي في  
 الفرائض العينية كما تقدم لا فرائض الوراثة فإنها أقل من أن تكون في كتبها  
 ثلث العلم وأما الفرائض العينية فكثيرة وقد ألف الناس في هذا الفن قديما وحديثا  
 وأوعبوا ومن أحسن التأليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر  
 القاضي أبي القاسم الحوفي وكتاب ابن المنمر والجعدي والسردي وغيرهم لكن  
 الفضل للحوفي فكتابه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا أبو عبد الله سليمان  
 الشطي كبير مشيخة فاس فأوضح وأوعب وإمام الحرمين فيها تأليف على مذهب  
 الشافعي تشهد باتساع بابه في العلوم ورُسوخ قدمه وكذا للحنابلة ومقامات  
 الناس في العلوم مختلفة والله يهدي من يشاء بمنه وكرمه لا رب سواه

### الفصل الخامس عشر

#### في العلوم الهندسية

هذا العلم هو النظر في المقادير إما المتصلة كالخط والسطح والجسم وإما  
 المنفصلة كالاعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزاياه  
 مثل قائمتين ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا إلى غير  
 نهاية ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان ومثل  
 أن الأربعة مقادير التناسيب ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع  
 وأمثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس ويسمى

كِتَابُ الْأُصُولِ وَكِتَابُ الْأَرْكَانِ وَهُوَ أَبْسَطُ مَا وُضِعَ فِيهَا لِلْمُتَعَلِّمِينَ وَأَوَّلُ مَا تُرْجِمُ  
 مِنْ كِتَابِ الْيُونَانِيِّينَ فِي الْمِلَّةِ أَيَّامَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَلَسَخَهُ مُخْتَلَفَةً بِاخْتِلَافِ  
 الْمُتَرْجِمِينَ فَمِنْهَا الْحَنِينُ بْنُ إِسْمَاقَ وَلِثَابِتُ بْنُ قِرَّةَ وَلِيُوسُفُ بْنُ الْحَجَّاجِ وَيَشْتَمِلُ عَلَى  
 خَمْسَ عَشْرَةَ مَقَالَةً أَرْبَعٌ فِي السُّطُوحِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْأَقْدَارِ الْمُتَنَاسِبَةِ وَآخَرَى فِي  
 نِسْبِ السُّطُوحِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَثَلَاثٌ فِي الْعَدَدِ وَالْعَاشِرَةُ فِي الْمَنْطِقَاتِ وَالْقَوَى عَلَى  
 الْمَنْطِقَاتِ وَمَعْنَاهُ الْجَذُورُ وَخَمْسٌ فِي الْجِسْمَاتِ وَقَدْ اخْتَصَرَهُ النَّاسُ اخْتِصَارَاتٍ كَثِيرَةً  
 كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ سِينَا فِي تَعَالِيمِ الشِّفَاءِ أَفْرَدَ لَهُ جُزْءًا مِنْهَا اخْتَصَصَهُ بِهِ وَكَذَلِكَ ابْنُ الصِّلَاتِ  
 فِي كِتَابِ الْأَقْتِصَارِ وَغَيْرِهِمْ وَشَرَحَهُ آخَرُونَ شُرُوحًا كَثِيرَةً وَهُوَ مَبْدَأُ الْعُلُومِ الْمُهَنْدِسِيَّةِ  
 بِإِطْلَاقٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُهَنْدِسَةَ تُفِيدُ صَاحِبَهَا إِضَاءَةً فِي عَقْلِهِ وَاسْتِقَامَةً فِي فِكْرِهِ لِأَنَّ  
 بَرَاهِينَهَا كُلَّهَا بَيِّنَةُ الْإِنْتِظَامِ جَلِيَّةُ التَّرْتِيبِ لَا يَكَادُ الْغَلَطُ يَدْخُلُ أَقْبَسَتَهَا لِتَرْتِيبِهَا  
 وَانْتِظَامِهَا فَيَبْعُدُ الْفِكْرُ بِمُمَارَسَتِهَا عَنِ الْخَطَا وَيَنْشَأُ لِصَاحِبِهَا عَقْلٌ عَلَى ذَلِكَ الْمُهَيِّجِ  
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ أَفْلَاطُونٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُهَنْدِسًا فَلَا يَدْخُلَنَّ مَنْزِلَنَا  
 وَكَانَ شَيْوُخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَقُولُونَ مُمَارَسَةُ عِلْمِ الْمُهَنْدِسَةِ لِلْفِكْرِ بِمِثَابَةِ الصَّابُونِ لِلثَّوْبِ  
 الَّذِي يَغْسِلُ مِنْهُ الْأَقْدَارُ وَيُنْقِيهِ مِنَ الْأَوْضَارِ وَالْأَذْرَانِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ  
 مِنْ تَرْتِيبِهِ وَانْتِظَامِهِ . ( وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا الْفَنِّ الْمُهَنْدِسَةِ الْمُنْصَرِفَةُ بِالْأَشْكَالِ الْكُرْوِيَّةِ  
 وَالْمَخْرُوطَاتِ ) . أَمَّا الْأَشْكَالُ الْكُرْوِيَّةُ فَفِيهَا كِتَابَانِ مِنْ كُتُبِ الْيُونَانِيِّينَ  
 إِثَاوْدُوسِيُوسَ وَمِيلَاوُشَ فِي سَطُوحِهَا وَقُطُوعِهَا وَكِتَابُ ثَاوْدُوسِيُوسَ مُقَدِّمٌ فِي التَّعْلِيمِ عَلَى  
 كِتَابِ مِيلَاوُشَ لِتَوْقُفِ كَثِيرٍ مِنْ بَرَاهِينِهِ عَلَيْهِ وَلَا بُدَّ مِنْهُمَا لِمَنْ يُرِيدُ الْخَوْضَ فِي عِلْمِ  
 الْهَيْئَةِ لِأَنَّ بَرَاهِينَهَا مُتَوَقِّفَةٌ عَلَيْهِ فَالْكَلَامُ فِي الْهَيْئَةِ كُلُّهُ كَلَامٌ فِي الْكُرَاتِ السَّمَاوِيَّةِ  
 وَمَا يَعْزُضُ فِيهَا مِنَ الْقُطُوعِ وَالِدَوَائِرِ بِأَسْبَابِ الْحَرَكَاتِ كَمَا نَذَرَهُ فَقَدْ يَتَوَقَّفُ عَلَى  
 أَحْكَامِ الْأَشْكَالِ الْكُرْوِيَّةِ سَطُوحِهَا وَقُطُوعِهَا وَأَمَّا الْمَخْرُوطَاتُ فَهُوَ مِنْ فُرُوعِ الْمُهَنْدِسَةِ  
 أَيْضًا وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِيمَا يَقَعُ فِي الْأَجْسَامِ الْمَخْرُوطَةِ مِنَ الْأَشْكَالِ وَالْقُطُوعِ وَيَبْرَهُنَ  
 عَلَى مَا يَعْزُضُ لِنَظَرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَوَارِضِ بِبَرَاهِينِ هَنْدَسِيَّةٍ مُتَوَقِّفَةٍ عَلَى التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ وَفَائِدَتِهَا  
 تَظْهَرُ فِي الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي مَوَادُّهَا الْأَجْسَامُ مِثْلَ النِّجَارَةِ وَالْبِنَاءِ وَكَيْفَ تُصْنَعُ  
 التَّمَائِيلُ الْغَرِيبَةُ وَالْهَيْكَلُ النَّادِرَةُ وَكَيْفَ يُتَحَيَّلُ عَلَى جَرِّ الْأَثْقَالِ وَتَقْلِ الْهَيْكَلِ



بِالْهِنْدَامِ وَالْمِخَالِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ أَفْرَدَ بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ فِي هَذَا الْفَنِّ كِتَابًا فِي الْحِيلِ  
 الْعِلْمِيَّةِ يَتَضَمَّنُ مِنَ الصِّنَاعَاتِ الْغَرِيبَةِ وَالْحِيلِ الْمُسْتَظَرَّةِ كُلَّ عَجَبِيَّةٍ وَرُبَّمَا اسْتَفْلَقَ  
 عَلَى النَّهْمِ الصَّعُوبَةِ بِرَاهِنِهِ الْهِنْدَسِيَّةِ وَهُوَ مُوجُودٌ بِأَيْدِي النَّاسِ بِنِسْبَتِهِ إِلَى بَنِي شَاكِرٍ  
 وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ (وَمِنْ فُرُوعِ الْهِنْدَسَةِ الْمَسَاحَةِ) وَهُوَ فَنُّ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَسْحِ الْأَرْضِ  
 وَمَعْنَاهُ اسْتِخْرَاجُ مِقْدَارِ الْأَرْضِ الْمَعْلُومَةِ بِنِسْبَةِ شِبْرِ أَوْ ذِرَاعٍ أَوْ غَيْرِهِمَا وَنِسْبَةِ أَرْضٍ  
 مِنْ أَرْضٍ إِذَا قُوِيَتْ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَيُحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ فِي تَوْظِيفِ الْخَرَاجِ عَلَى الْمَزَارِعِ  
 وَالْفُتُنِ وَبَسَاتِينِ الْغَرَاسَةِ وَفِي قِسْمَةِ الْحَوَائِطِ وَالْأَرَاضِي بَيْنَ الشَّرَكَاءِ أَوْ الْوَرَثَةِ وَأَمْثَالِ  
 ذَلِكَ وَلِلنَّاسِ فِيهَا مَوْضُوعَاتٌ حَسَنَةٌ وَكَثِيرَةٌ وَاللَّهُ الْمُوفِيُّ لِلصَّوَابِ بِمَنْهِ وَكَرَمِهِ  
 (الْمُنَاطَرَةُ مِنْ فُرُوعِ الْهِنْدَسَةِ) وَهُوَ عِلْمٌ يَتَبَيَّنُ بِهِ أَسْبَابُ الْغَلَطِ فِي الْإِدْرَاكِ الْبَصَرِيِّ  
 بِمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ وَقُوعِهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ إِدْرَاكَ الْبَصَرِ يَكُونُ بِمَخْرُوطٍ شُعَاعِي رَأْسُهُ  
 يَقْطَعُهُ الْبَاصِرُ وَقَاعِدَتُهُ الْعَرِثِيُّ ثُمَّ يَقَعُ الْغَلَطُ كَثِيرًا فِي رُؤْيَةِ الْقَرِيبِ كَبِيرًا وَالْبَعِيدِ  
 صَغِيرًا وَكَذَا رُؤْيَةُ الْأَشْبَاحِ الصَّغِيرَةِ تَحْتَ الْمَاءِ وَوَرَاءَ الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ كَبِيرَةً وَرُؤْيَةُ  
 النُّقْطَةِ النَّازِلَةِ مِنَ الْمَطَرِ خَطًّا مُسْتَقِيمًا وَالسَّلْقَةِ دَائِرَةً وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَيَتَبَيَّنُ فِي هَذَا  
 الْعِلْمِ أَسْبَابُ ذَلِكَ وَكَيْفِيَّاتُهُ بِالْبَرَاهِينِ الْهِنْدَسِيَّةِ وَيَتَبَيَّنُ بِهِ أَيْضًا اخْتِلَافُ الْمَنْظَرِ  
 فِي الْقَمَرِ بِاخْتِلَافِ الْعُرُوضِ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ رُؤْيَةِ الْأَهْلَةِ وَحُصُولِ الْكُسُوفَاتِ  
 وَكَثِيرٌ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا وَقَدْ أَلْفَ فِي هَذَا الْفَنِّ كَثِيرٌ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ وَأَشْهُرُ مِنْ أَلْفٍ  
 فِيهِ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ ابْنُ الْهَيْثَمِ وَغَيْرُهُ أَيْضًا تَأَلَّفَ وَهُوَ مِنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ وَتَفَارِيعِهَا

### الفصل السادس عشر

في علم الهيئة

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَالْمُتَحَرِّكَِةِ وَالْمُنْحَرِزَةِ وَيَسْتَدِلُّ  
 مِنْ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ عَلَى أَشْكَالٍ وَأَوْضَاعٍ لِلْأَفْلَاقِ لَزِمَتْ عَنْهَا لِهَذِهِ الْحَرَكَاتِ الْمَحْسُوسَةُ  
 بِطَرُقِ هِنْدَسِيَّةٍ كَمَا يُبْزَهَنُ عَلَى أَنَّ مَرَكِزَ الْأَرْضِ مُبَايِنٌ لِمَرَكِزِ فَلَكِ الشَّمْسِ بِوُجُودِ  
 حَرَكَةِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ وَكَمَا يُسْتَدَلُّ بِالرُّجُوعِ وَالِاسْتِقَامَةِ لِلْكَوَاكِبِ عَلَى وُجُودِ  
 أَفْلَاقٍ صَغِيرَةٍ حَامِلَةٍ لَهَا مُتَحَرِّكَِةٌ دَاخِلٌ فَلَكِهَا الْأَعْظَمُ وَكَمَا يُبْزَهَنُ عَلَى وُجُودِ  
 أَفْلَاقِ الثَّامِنِ بِحَرَكَةِ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَكَمَا يُبْزَهَنُ عَلَى تَعَدُّدِ الْأَفْلَاقِ لِلْكَوَاكِبِ

الواحد بتعداد الميول له وأمثال ذلك وإدراك الموجود من الحركات وسكيفياتها  
 وأجناسها إنما هو بالرصد فإننا إنما علمنا حركة الأقبال والأدبار به وكذا  
 تركيب الأفلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وأمثال ذلك وكان اليونانيون  
 يعتنون بالرصد كثيرا ويتخذون له الآلات التي توضع لرصد بها حركة الكواكب  
 المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عمليها والبراهين عليه في مطابقة  
 حركتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس وأما في الإسلام فلم تقع به عناية إلا  
 في القليل وكان في أيام المأمون شيء منه وصنع الآلة المعروفة للرصد المسماة  
 ذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولما مات ذهب رسمه وأغفل وأعتمد من بعده  
 على الأرصاد القديمة وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الأحقاب وأن  
 مطابقة حركة الآلة للرصد بحركة الأفلاك والكواكب إنما هو بالتقريب وهذه  
 الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور أنها تعطي صورة السماوات وترتيب  
 الأفلاك والكواكب بالحقيقة بل إنما تعطي أن هذه الصور والهيئات للأفلاك لزمت  
 عن هذه الحركات وأنت تعلم أنه لا يبعد أن يكون الشيء الواحد لازما لثلاثين  
 وإن قلنا إن الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود المأزوم ولا يعطي  
 الحقيقة بوجه على أنه علم جليل وهو أحد أركان التعاليم ومن أحسن التأليف فيه  
 كتاب المعسطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم بطليموس  
 على ما حققه شراح الكتاب وقد اختصره الأئمة من حكماء الإسلام كما فعله  
 ابن سينا وأدرجه في تعاليم الشفاء ولخصه ابن رشد أيضا من حكماء الأندلس  
 وابن السمع وابن الصلت في كتاب الإقتصار ولابن الفرغاني هيئة ملخصة قريبها  
 وحذف براهين الهندسية والله أعلم إلا إنسان ما لم يعلم سبحانه لا إله إلا هو رب  
 العالمين . (ومن فروع علم الأرباب) وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما  
 يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة  
 وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لأي  
 وقت فرض من قبل حساب حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب  
 الهيئة ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والأصول لها في معرفة الشهور والأيام



والتواريخ الماضية وأصول متفرقة من معرفة الأوج والحضيض والميل وأصناف  
الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلاً على المتعلمين  
وتسمى الأزياج وتسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة  
تعدداً وتقويماً للناس فيه تأليف كثيرة للمتقدمين والمتأخرين مثل البتاني<sup>(١)</sup>  
وآبن الكماد وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب لابن  
إسحاق من منجمي تونس في أول المائة السابعة ويزعمون أن ابن إسحاق عول فيه على  
الرصد وأن يهودياً كان بصيلة ماهر في الهيئة والتعالم وكان قد عني بالرصد وكان  
يبحث إليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها فكان أهل المغرب لذلك  
عندوا به لوثاقة مبناه على ما يزعمون ولخصه ابن البناء في آخر مائة المنهاج فوَلَعَ به  
الناس لما سهل من الأعمال فيه وإنما يحتاج إلى مواضع الكواكب من الفلك لتنبئ  
عليها الأحكام النجومية وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها بأوضاعها في عالم الإنسان  
من الملك والدول والموالي البشرية كما نبينه بعد ونوضح فيه أدلتهم إن شاء الله تعالى  
والله الموفق لما يحب ويرضاه لا معبود سواه

### الفصل السابع عشر

#### في علم المنطق

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات والخجج  
المفيدة للتصديقات وذلك أن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس  
الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الإدراك من الناطق وغيره وإنما يتميز  
الإنسان عنها بإدراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بأن يحصل في  
الخيال من الأشخاص المتفقة صورة منطقية على جميع تلك الأشخاص المحسوسة وهي  
الكليات ثم ينظر الذهن بين تلك الأشخاص المتفقة وأشخاص أخرى توافقها في  
بعض فيحصل له صورة تنطبق أيضاً عليهما باعتبار ما اتفقا فيه ولا يزال يرتقي في  
التجريد إلى الكل الذي لا يجد كلياً آخر معه يوافقه فيكون لأجل ذلك بسيطاً  
وهذا مثل ما مجرد من أشخاص الإنسان صورة النوع المنطقية عليها ثم ينظر بينه

١ قوله البتاني بفتح الموحدة وتشديد المنة كما ضبطه ابن خلكان في ترجمته قبيل آخر المحمدين

وَبَيْنَ الْحَيَوَانِ وَيُجَرِّدُ صُورَةَ الْجِنْسِ الْمُنْطَبِقَةَ عَلَيْهِمَا ثُمَّ يَنْهَيَا وَيَبْنِي النَّبَاتَ إِلَى أَنْ  
يَنْتَهِيَ إِلَى الْجِنْسِ الْعَالِيِّ وَهُوَ الْجَوْهَرُ فَلَا يَجِدُ كَلِمًا يُؤَافِقُهُ فِي شَيْءٍ فَيَقِفُ الْعَقْلُ هُنَاكَ  
عَنِ التَّجَرُّدِ ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَهُ الْفِكْرَ الَّذِي بِهِ يُدْرِكُ الْعُلُومَ وَالصَّنَائِعَ  
وَكَانَ الْعِلْمُ إِمَّا تَصَوُّرًا لِلْمَاهِيَّاتِ وَيُعْنَى بِهِ إِذْ رَأَى سَازِجًا مِنْ غَيْرِ حَكْمٍ مَعَهُ وَإِمَّا تَصَدِيقًا  
أَيَّ حُكْمًا بَشَوْتِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فَصَارَ سَعْيُ الْفِكْرِ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبَاتِ إِمَّا بِأَنْ يُجْمَعَ  
تِلْكَ الْكَلِمَاتُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ التَّأْلِيفِ فَتَحْصُلُ صُورَةٌ فِي الذِّهْنِ كَلِمَةً مُنْطَبِقَةً  
عَلَى أَفْرَادٍ فِي الْخَارِجِ فَتَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ الذِّهْنِيَّةُ مُفِيدَةً لِمَعْرِفَةِ مَاهِيَّةِ تِلْكَ الْأَشْخَاصِ  
وَإِمَّا بِأَنْ يُحْكَمَ بِأَمْرٍ عَلَى أَمْرٍ فَيُثَبَّتَ لَهُ وَيَكُونُ ذَلِكَ تَصَدِيقًا وَغَايَتُهُ فِي الْحَقِيقَةِ رَاجِعَةٌ  
إِلَى التَّصَوُّرِ لِأَنَّ فَائِدَةَ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى  
الْعِلْمِ وَهَذَا السَّعْيُ مِنَ الْفِكْرِ قَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ صَحِيحٍ وَقَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ فَاسِدٍ  
فَاقْتَضَى ذَلِكَ تَمْيِيزَ الطَّرِيقِ الَّذِي يُسَمَّى بِهِ الْفِكْرُ فِي تَحْصِيلِ الْمَطَالِبِ الْعِلْمِيَّةِ لِيَتَمَيَّزَ  
الصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ فَكَانَ ذَلِكَ قَانُونُ الْمَنْطِقِ وَتَكَلَّمَ فِيهِ الْمُتَقَدِّمُونَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمُوا  
بِهِ جَمَلًا جَمَلًا وَمُفْتَرِقًا وَلَمْ تَهْدُبْ طُرُقُهُ وَلَمْ تُجْمَعْ مَسَائِلُهُ حَتَّى ظَهَرَ فِي يُونَانَ أَرِسْطُو  
فَهْدَبَ مَبَاحِثَهُ وَرَتَّبَ مَسَائِلَهُ وَفُصِّلَ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَفَاتَحَتَهَا وَلِذَلِكَ  
يُسَمَّى بِالْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَكِتَابُهُ الْمَخْصُوصُ بِالْمَنْطِقِ يُسَمَّى النَّصُّ وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَمَانِيَةِ  
كُتُبٍ أَرْبَعَةٍ مِنْهَا فِي صُورَةِ الْقِيَاسِ وَأَرْبَعَةٌ فِي مَادَّتِهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَطَالِبَ التَّصَدِيقِيَّةَ  
عَلَى اتِّحَادٍ فَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الْيَقِينَ بِطَبْعِهِ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ  
الظَّنُّ وَهُوَ عَلَى مَرَاتِبٍ فَيَنْظَرُ فِي الْقِيَاسِ مِنْ حَيْثُ الْمَطْلُوبُ الَّذِي يُفِيدُهُ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ  
تَكُونَ مُقَدِّمَاتُهُ بِذَلِكَ الْأَعْتِبَارِ وَمِنْ أَيِّ جِنْسٍ يَكُونُ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ مِنَ الظَّنِّ وَقَدْ  
يَنْظَرُ فِي الْقِيَاسِ لَا بِأَعْتِبَارِ مَطْلُوبٍ مُخْصُوصٍ بَلْ مِنْ جِهَةِ إِنْتَاجِهِ خَاصَّةً وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ  
الْأَوَّلِ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الْمَادَّةُ وَتُعْنَى بِهِ الْمَادَّةُ الْمُنْتِجَةُ لِلْمَطْلُوبِ الْمَخْصُوصِ مِنَ يَقِينٍ  
أَوْ ظَنٍّْ وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ الثَّانِي إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ وَإِنْتَاجُ الْقِيَاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَكَانَتْ  
لِذَلِكَ كُتُبُ الْمَنْطِقِ ثَمَانِيَّةً . الْأَوَّلُ فِي الْأَجْنَاسِ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا تَجَرُّدُ  
الْمَحْسُوسَاتِ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا جِنْسٌ وَيُسَمَّى كِتَابُ الْمَقُولَاتِ . وَالثَّانِي فِي الْقَضَايَا  
التَّصَدِيقِيَّةِ وَأَصْنَافِهَا وَيُسَمَّى كِتَابُ الْعِبَارَةِ . وَالثَّلَاثُ فِي الْقِيَاسِ وَصُورَةِ إِنْتَاجِهِ عَلَى



إِلَّا طَلَّاقٌ وَيُسَمَّى كِتَابَ الْقِيَاسِ وَهَذَا آخِرُ النَّظَرِ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ ثُمَّ الرَّابِعُ كِتَابُ  
 الْبُرْهَانِ وَهُوَ النَّظَرُ فِي الْقِيَاسِ الْمُنْتَجِ لِلْيَقِينِ وَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُقَدِّمَاتُهُ يَقِينِيَّةً  
 وَيُخْتَصُّ بِشُرُوطٍ أُخْرَى لِإِفَادَةِ الْيَقِينِ مَذْكُورَةٍ فِيهِ مِثْلُ كَوْنِهَا ذَاتِيَّةً وَأَوَّلِيَّةً وَغَيْرَ  
 ذَلِكَ وَفِي هَذَا الْكِتَابِ الْكَلَامُ فِي الْمَعْرِفَاتِ وَالْحُدُودِ إِذَا الْمَطْلُوبُ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ  
 الْيَقِينُ لَوْجُوبِ الْمطَابَقَةِ بَيْنَ الْحَدِّ وَالْمَحْدُودِ لَا تَحْتَمِلُ غَيْرَهَا فَلِذَلِكَ اخْتَصَّتْ  
 عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِهَذَا الْكِتَابِ . وَالْخَامِسُ كِتَابُ الْجَدَلِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الْمُفِيدُ قَطْعَ  
 الْمَشَاغِبِ وَإِفْخَامَ الْخُصَمِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهِ مِنَ الْمَشْهُورَاتِ وَيُخْتَصُّ أَيْضًا  
 مِنْ جِهَةِ إِفَادَتِهِ لِإِذَا الْغَرَضِ بِشُرُوطٍ أُخْرَى مِنْ حَيْثُ إِفَادَتُهُ لِإِذَا الْغَرَضُ وَهِيَ  
 مَذْكُورَةٌ هُنَاكَ وَفِي هَذَا الْكِتَابِ يَذْكُرُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَسْتَنْبِطُ مِنْهَا صَاحِبُ الْقِيَاسِ  
 قِيَاسَهُ وَفِيهِ عَكُوسُ الْقَضَايَا . وَالسَّادِسُ كِتَابُ السَّفْسَطَةِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الَّذِي يُفِيدُ  
 خِلَافَ الْحَقِّ وَيُغَالِطُ بِهِ الْمُنَظِّرُ صَاحِبَهُ وَهُوَ فَاسِدٌ وَهَذَا إِنَّمَا كُتِبَ لِيُعْرِفَ بِهِ  
 الْقِيَاسُ الْمُغَالِطِي فَيَحْذَرُ مِنْهُ . وَالسَّابِعُ كِتَابُ الْخِطَابَةِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الْمُفِيدُ تَرْغِيبَ  
 الْجُمْهُورِ وَخَمَلِهِمْ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُمْ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَاتِ . وَالثَّامِنُ  
 كِتَابُ السَّعْرِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الَّذِي يُفِيدُ التَّمَثِيلَ وَالتَّشْبِيهَ خَاصَّةً لِلْإِقْبَالِ عَلَى الشَّيْءِ أَوْ  
 الْفَرَقَةِ عَنْهُ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهِ مِنَ الْقَضَايَا الْتَخِيلِيَّةِ هَذِهِ هِيَ كُتُبُ الْمَنْطِقِ  
 الثَّمَانِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ ثُمَّ إِنَّ حُكَمَاءَ الْيُونَانِيِّينَ بَعْدَ أَنْ تَهَدَّيَتْ الصِّنَاعَةُ وَرُبِّتَتْ  
 رَأَوْا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ الْمُفِيدَةِ لِلتَّصَوُّرِ فَاسْتَدْرَكُوا فِيهَا  
 مَقَالَةً تُخْتَصُّ بِهَا مُقَدِّمَةٌ بَيْنَ يَدَيِ الْفَنِّ فَصَارَتْ تِسْعًا وَتُرْجِمَتْ كُلُّهَا فِي الْعِلَّةِ إِلَى سَلَامِيَّةٍ  
 وَكُتِبَ بِهَا وَتَدَاوَلَتْهَا فَلَا سِفَةَ إِلَّا سَلَامٌ بِالْشَّرْحِ وَالتَّلْخِصِ كَمَا فَعَلَهُ الْفَارَابِيُّ وَأَبْنُ سِينَا  
 ثُمَّ ابْنُ رُشْدٍ مِنْ فَلَا سِفَةَ إِلَّا أَنْدَلُسُ وَلِأَبْنِ سِينَا كِتَابُ الشِّفَاءِ اسْتَوْعَبَ فِيهِ عُلُومَ الْفَلَسَفَةِ  
 السَّبْعَةِ كُلُّهَا ثُمَّ جَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ فَغَيَّرُوا أَصْطِلَاحَ الْمَنْطِقِ وَأَلْحَقُوا بِالنَّظَرِ فِي الْكَلِمَاتِ  
 الْخَمْسِ ثَمَرَتَهُ وَهِيَ الْكَلَامُ فِي الْحُدُودِ وَالرُّسُومِ نَقَلُوهَا مِنْ كِتَابِ الْبُرْهَانِ وَحَدَّثُوا  
 كِتَابَ الْمَقُولَاتِ لِأَنَّ نَظَرَ الْمَنْطِقِيِّ فِيهِ بِالْغَرَضِ لَا بِالذَّاتِ وَالْحَقُّوا فِي كِتَابِ الْعِبَارَةِ  
 الْكَلَامَ فِي الْعَكْسِ لِأَنَّهُ مِنْ تَوَابِعِ الْكَلَامِ فِي الْقَضَايَا بِبَعْضِ الْوُجُوهِ ثُمَّ تَكَلَّمُوا  
 فِي الْقِيَاسِ مِنْ حَيْثُ إِنْتَاجُهُ لِلْمَطَالِبِ عَلَى الْعُمُومِ لَا بِحَسَبِ مَادَّةٍ وَحَدَّثُوا النَّظَرَ فِيهِ

بِحَسَبِ الْمَادَّةِ وَهِيَ الْكِتَابُ الْخَمْسَةُ الْبُرْهَانُ وَالْجَدَلُ وَالْخِطَابَةُ وَالشَّعْرُ وَالسَّفْسَطَةُ  
وَرُبَّمَا يُلَمُّ بَعْضُهُمْ بِالْيَسِيرِ مِنْهَا إِمَامًا وَأَغْفَلُوهَا كَانَ لَمْ تَكُنْ هِيَ الْمُهْمُ الْمُعْتَمَدُ  
فِي الْفَنِّ ثُمَّ تَكَلَّمُوا فِيهَا وَضَعُوهُ مِنْ ذَلِكَ كَلَامًا مُسْتَبْجِرًا وَنَظَرُوا فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ  
فَنٌّ بِرَأْسِهِ لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ آلَةٌ لِلْعُلُومِ فَطَالَ الْكَلَامُ فِيهِ وَاتَّسَعَ وَأَوَّلُ مَنْ فَعَلَ  
ذَلِكَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ بْنُ الْخَطِيبِ وَمِنْ بَعْدِهِ أَفْضَلُ الدِّينِ الْخَوَنَجِيُّ وَعَلَى كُتُبِهِ  
مُعْتَمَدُ الْمَشَارِقَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَهُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ كِتَابٌ كَشَفَ الْأَسْرَارَ وَهُوَ طَوِيلٌ  
وَأَخْتَصَرَ فِيهَا مُخْتَصَرَ الْمَوْجَزِ وَهُوَ حَسَنٌ فِي التَّعْلِيمِ ثُمَّ مُخْتَصَرَ الْجُمْلِ فِي قَدَرِ أَرْبَعَةِ  
أَوْرَاقٍ أَخَذَ بِمَجَامِعِ الْفَنِّ وَأَصُولِهِ فَتَدَاوَلَهُ الْمُتَعَلِّمُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ فَيَنْتَفِعُونَ بِهِ وَهَجَرَتْ  
كُتُبُ الْمُتَقَدِّمِينَ وَطُرُقُهُمْ كَانَ لَمْ تَكُنْ وَهِيَ مُمْتَلِئَةٌ مِنْ ثَمَرَةِ الْمَنْطِقِ وَقَائِدَتِهِ  
كَمَا قُلْنَا وَاللَّهِ الْهَادِي لِلصَّوَابِ

### الفصل الثامن عشر

#### في الطبيعيات

وَهُوَ عِلْمٌ يَبْتَغِي عَنِ الْجِسْمِ مِنْ جِهَةٍ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ فَيَنْظُرُ فِي  
الْأَجْسَامِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْعُنْصُرِيَّةِ وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهَا مِنْ حَيَوَانَ وَإِنْسَانٍ وَنَبَاتٍ وَمَعْدِنٍ وَمَا  
يَتَكَوَّنُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْعَيُونِ وَالزَّلَازِلِ وَفِي الْجَوِّ مِنَ السَّحَابِ وَالْبَخَارِ وَالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ  
وَالصَّوَاعِقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِي مَبْدَأِ الْحَرَكَةِ لِلْأَجْسَامِ وَهُوَ عَلَى تَنَوُّعِهَا فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَ  
وَالنَّبَاتِ وَكُتُبُ أَرِسْطُو فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ تُرْجِمَتْ مَعَ مَا تُرْجِمُ مِنْ عُلُومِ  
الْفَلَسَفَةِ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ وَأَلَّفَ النَّاسُ عَلَى حَذْوِهَا وَأَوْعَبُ مَنْ أَلَّفَ فِي ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي  
كِتَابِ الشِّفَاءِ جَمَعَ فِيهِ الْعُلُومَ السَّبْعَةَ لِلْفَلَسَفَةِ كَمَا قَدَّمْنَا ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ النِّجَا وَفِي  
كِتَابِ الْإِشَارَاتِ وَكَانَتْهُ يُخَالِفُ أَرِسْطُو فِي الْكَثِيرِ مِنْ مَسَائِلِهَا وَيَقُولُ بِرَأْيِهِ فِيهَا  
وَأَمَّا ابْنُ رُشْدٍ فَلَخَّصَ كُتُبَ أَرِسْطُو وَشَرَحَهَا مُشَبَّحًا لَهُ غَيْرُ مُخَالِفٍ وَأَلَّفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ  
كَثِيرًا لَكِنْ هَذِهِ هِيَ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَالْمُعْتَبَرَةُ فِي الصَّنَاعَةِ وَلِأَهْلِ الْمَشْرِقِ عِنَايَةٌ  
بِكِتَابِ الْإِشَارَاتِ لِابْنِ سِينَا وَلِلْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ عَلَيْهِ شَرْحٌ حَسَنٌ وَكَذَا الْأَمِيدِيُّ  
وَشَرْحُهُ أَيْضًا نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ الْمَعْرُوفُ بِخَوَاجَهٍ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَبَحَثَ مَعَ  
الْإِمَامِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَسَائِلِهِ فَأَوْفَى عَلَى أَنْظَارِهِ وَبَحْثِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ



وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## الفصل التاسع عشر

في علم الطب

وَمِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ صِنَاعَةُ الطِّبِّ وَهِيَ صِنَاعَةٌ تَنْظُرُ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ مِنْ  
حَيْثُ يَمْرُضُ وَيَصِحُّ فَيَحَاوِلُ صَاحِبُهَا حِفْظَ الصِّحَّةِ وَبُرْءَ الْمَرَضِ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ  
بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْمَرَضُ الَّذِي يُخْصُّ كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ وَأَسْبَابَ تِلْكَ الْأَمْرَاضِ  
الَّتِي تَنْشَأُ عَنْهَا وَمَا لِكُلِّ مَرَضٍ مِنَ الْأَدْوِيَةِ مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَمْزِجَةِ الْأَدْوِيَةِ وَقُوَّاهَا  
وَعَلَى الْمَرَضِ بِالْعَلَامَاتِ الْمُؤَدِّةِ بِنُضْجِهِ وَقَبُولِهِ الدَّوَاءَ أَوَّلًا فِي السَّجِيَّةِ وَالْفَضَلَاتِ  
وَالنَّبْضِ مُحَازِينَ لِذَلِكَ قُوَّةَ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّهَا الْمُدَبِّرَةُ فِي حَالَتِي الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ وَإِنَّمَا  
الطَّبِيبُ يُحَازِيهَا وَيُعِينُهَا بِبَعْضِ الشَّيْءِ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْمَادَّةِ وَالْفَصْلِ وَالسِّنِّ  
وَيُسَمَّى الْعِلْمُ الْجَامِعُ لِهَذَا كُلِّهِ عِلْمُ الطَّبِّ وَرُبَّمَا أَفْرَدُوا بَعْضَ الْأَعْضَاءِ بِالْكَلامِ  
وَجَعَلُوهُ عِلْمًا خَاصًّا كَالْعَيْنِ وَعِلَلِهَا وَآخِلِهَا وَكَذَلِكَ الْحَقُّوَا بِالْفَنِّ مِنْ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ  
وَمَعْنَاهَا الْمَنْفَعَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا خُلِقَ كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ الْحَيَوَانِيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ  
ذَلِكَ مِنْ مَوْضُوعِ عِلْمِ الطَّبِّ إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مِنْ لَوَاحِقِهِ وَتَوَابِعِهِ وَإِمَامُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
الَّتِي تُرْجِمَتْ كُتُبُهُ فِيهَا مِنَ الْأَقْدَمِينَ جَالِينُوسُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مُعَاصِرًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَيُقَالُ إِنَّهُ مَاتَ بِصِقْلِيَّةٍ فِي سَبِيلِ تَغْلِبِ وَمُطَاوَعَةِ اغْتِرَابٍ وَتَأَلَّفَهُ فِيهَا هِيَ الْأُمِّيَّاتُ  
الَّتِي اقْتَدَى بِهَا جَمِيعُ الْأَطِبَّاءِ بَعْدَهُ وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَيْمَةٌ جَاءُوا  
مِنْ وَرَاءِ الْعَالِيَةِ مِثْلَ الرَّازِي وَالْحَجَوِي وَأَبْنِ سِينَا وَمِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ  
وَأَشْهُرُهُمْ أَبُو زُهْرٍ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْمَدِينِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانَتْهَا تَقَصَّتْ لَوْقُوفُ الْعُمَرَانِ  
وَتَنَافُسِهِ وَهِيَ مِنَ الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تَسْتَدْعِيهَا إِلَّا الْخِزَارَةُ وَالْتَرَفُ كَمَا نَبَّهَهُ بَعْدُ  
وَالْبَادِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَانِ طِبُّ يَنْبُوْنُهُ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ عَلَى تَجَرِبَةٍ قَاصِرَةٍ عَلَى بَعْضِ  
الْأَشْخَاصِ مُتَوَارَثًا عَنْ مَشَائِخِ الْحَيِّ وَعَجَائِزِهِ وَرُبَّمَا يَصِحُّ مِنْهُ الْبَعْضُ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ  
عَلَى قَانُونِ طَبِيعِيٍّ وَلَا عَلَى مُوَافَقَةِ الْمَزَاجِ وَكَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنْ هَذَا الطَّبِّ كَثِيرٌ  
وَكَانَ فِيهِمْ أَطِبَّاءُ مَعْرُوفُونَ كَالْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ وَغَيْرِهِ وَالطَّبُّ الْمَنْقُولُ فِي الشَّرْعِيَّاتِ  
مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَيْسَ مِنَ الْوَحْيِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ كَانَ عَادِيًّا لِلْعَرَبِ وَوَقَعَ فِي

ذَكَرَ أَحْوَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنْوَاعِ ذِكْرِ أَحْوَالِهِ الَّتِي هِيَ عَادَةٌ وَجِبَلَةٌ  
لَا مِنْ جِهَةٍ أَنْ ذَلِكَ مَشْرُوعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَوِ مِنْ الْعَمَلِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا  
بُعِثَ لِيُعَلِّمَنَا الشَّرَائِعَ وَلَمْ يُبْعَثْ لِتَعْرِيفِ الطَّبِّ وَلَا غَيْرِهِ مِنَ الْعَادِيَّاتِ وَقَدْ وَقَعَ لَهُ فِي  
شَأْنِ تَلْقِيحِ النَّخْلِ مَا وَقَعَ فَقَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ شَيْءٌ مِنْ  
الطَّبِّ الَّذِي وَقَعَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَنْقُولَةِ عَلَى أَنَّهُ مَشْرُوعٌ فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ  
اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا اسْتُعْمِلَ عَلَى جِهَةِ التَّبَرُّكِ وَصِدْقِ الْعَقْدِ الْإِيمَانِيِّ فَيَكُونُ لَهُ أَثَرٌ  
عَظِيمٌ فِي النَّفْعِ وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الطَّبِّ الْمَزَاجِيِّ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ آثَارِ الْكَلِمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ  
كَمَا وَقَعَ فِي مُدَاوَاةِ الْمَبْطُونِ بِالْعَسَلِ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل العشرون

### في الفلاحة

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ وَهِيَ النَّظَرُ فِي النَّبَاتِ مِنْ حَيْثُ تَنْمِيَّتُهُ وَنُشُوءُهُ  
بِالسَّقْيِ وَالْعِلَاجِ وَتَعَهُدُهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَكَانَ لِلْمُتَقَدِّمِينَ بِهَا عِنَايَةٌ كَثِيرَةٌ وَكَانَ النَّظَرُ  
فِيهَا عِنْدَهُمْ عَامًّا فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرْسِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ وَمِنْ جِهَةِ خَوَاصِّهِ وَرُوحَانِيَّتِهِ  
وَمُشَاكَلَتِهَا لِرُوحَانِيَّاتِ الْكَوَاكِبِ وَالْهَيَاكِلِ الْمُسْتَعْمَلِ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي بَابِ السِّحْرِ  
فَعَظُمَتْ عِنَايَتُهُمْ بِهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ وَتُرْجِمَ مِنْ كُتُبِ الْيُونَانِيِّينَ كِتَابُ الْفَلَاحَةِ النَّبَطِيَّةِ  
مَنْسُوبَةٌ لِإِعْلَمَاءِ النَّبَطِ مُشْتَمِلَةٌ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ كَبِيرٍ وَلَمَّا نَظَرَ أَهْلُ الْمِلَّةِ فِيهَا اشْتَمَلَ  
عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ وَكَانَ بَابُ السِّحْرِ مَسْدُودًا وَالنَّظَرُ فِيهِ مَحْظُورًا فَأَقْتَصَرُوا مِنْهُ عَلَى  
الْكَلَامِ فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرْسِهِ وَعِلَاجِهِ وَمَا يَعْزِضُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَحَذَفُوا الْكَلَامَ  
فِي الْفَنِّ الْآخَرِ مِنْهُ جُمْلَةً وَأَخْتَصَرُوا بَيْنَ الْعَوَامِ كِتَابَ الْفَلَاحَةِ النَّبَطِيَّةِ عَلَى هَذَا  
الْمَنْهَاجِ وَبَقِيَ الْفَنُّ الْآخَرُ مِنْهُ مُغْفَلًا نَقَلَ مِنْهُ مَسَامَةٌ فِي كُتُبِهِ السِّحْرِيَّةِ أُمَهَاتٍ مِنْ  
مَسَائِلِهِ كَمَا نَذَرَهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى السِّحْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكُتُبُ الْمُتَأَخِّرِينَ  
فِي الْفَلَاحَةِ كَثِيرَةٌ وَلَا يَعْدُونَ فِيهَا الْكَلَامَ فِي الْغِرَاسِ وَالْعِلَاجِ وَحِفْظِ النَّبَاتِ مِنْ  
حَوَائِجِهِ وَعَوَائِقِهِ وَمَا يَعْزِضُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَهِيَ مُوجُودَةٌ



## الفصل الحادي والعشرون

في علم الالهيات

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي الوجودِ الْمُطْلَقِ فَأَوَّلًا فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ لِلْجِسْمَانِيَّاتِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ  
 مِنَ الْمَاهِيَّاتِ وَالْوَحْدَةِ وَالْكَثَرَةِ وَالْجُوبِ وَالْإِمْكَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْظُرُ فِي  
 مَبَادِيءِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَنْهَا رُوحَانِيَّاتٌ ثُمَّ فِي كَيْفِيَّةِ صُدُورِ الْمَوْجُودَاتِ عَنْهَا وَمَرَاتِبِهَا  
 ثُمَّ فِي أَحْوَالِ النَّفْسِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَجْسَامِ وَعَوْدِهَا إِلَى الْمَبْدَأِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ شَرِيفٌ  
 يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُوقِفُهُمْ عَلَى مَعْرِفَةِ الوجودِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ السَّعَادَةِ فِي  
 زَعْمِهِمْ وَسَيَانِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَهُوَ تَالِ الطَّبِيعِيَّاتِ فِي تَرْتِيبِهِمْ وَلِذَلِكَ يُسَمُّونَهُ عِلْمَ مَا  
 وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ وَكُتِبَ الْمُعَلِّمُ الْأَوَّلُ فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ وَلِخَصَّةِ ابْنِ سِينَا  
 فِي كِتَابِ الشِّفَاءِ وَالنَّجَا وَكَذَلِكَ لَخَصَّةِ ابْنِ رُشْدٍ مِنْ حُكَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَلَمَّا وَضَعَ  
 الْمُتَأَخِّرُونَ فِي عُلُومِ الْقَوْمِ وَدَوَّنُوا فِيهَا وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْغَزَالِيُّ مَا رَدَّ مِنْهَا ثُمَّ خَلَطَ  
 الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ مَسَائِلَ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَوْضُوعِ الْإِلَهِيَّاتِ وَمَسَائِلَهُ  
 بِمَسَائِلِهَا فَصَارَتْ كَأَنَّهَا فَنٌّ وَاحِدٌ ثُمَّ غَيَّرُوا تَرْتِيبَ الْحُكَمَاءِ فِي مَسَائِلِ الطَّبِيعِيَّاتِ  
 وَالْإِلَهِيَّاتِ وَخَلَطُوهُمَا فَنَّا وَاحِدًا قَدَّمُوا الْكَلَامَ فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ ثُمَّ اتَّبَعُوهُ بِالْجِسْمَانِيَّاتِ  
 وَتَوَابِعِهَا ثُمَّ بِالرُّوحَانِيَّاتِ وَتَوَابِعِهَا إِلَى آخِرِ الْعِلْمِ كَمَا فَعَلَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي  
 الْمُبَاحِثِ الْمَشْرِقِيَّةِ وَجَمِيعُ مَنْ بَعْدَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَصَارَ عِلْمُ الْكَلَامِ مُخْتَلَطًا  
 بِمَسَائِلِ الْحِكْمَةِ وَكُتِبَتْ مُحْشَوَةٌ بِهَا كَأَنَّ الْغَرَضَ مِنْ مَوْضُوعَيْهَا وَمَسَائِلِهَا وَاحِدٌ  
 وَالتَّبَسُّسُ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ صَوَابٌ لِأَنَّ مَسَائِلَ عِلْمِ الْكَلَامِ إِنَّمَا هِيَ عَقَائِدُ مُتَلَقَّاةٌ  
 مِنَ الشَّرِيعَةِ كَمَا نَقَلَهَا السَّلَفُ مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ فِيهَا إِلَى الْعَقْلِ وَلَا تَعْوِيلٍ عَلَيْهِ بِمَعْنَى  
 أَنَّهَا لَا تُثَبَّتُ إِلَّا بِهِ فَإِنَّ الْعَقْلَ مَعزُولٌ عَنِ الشَّرْعِ وَأَنْظَارُهُ وَمَا تَحَدَّثَ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُونَ  
 مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَجِ فَلَيْسَ بِحُجَّتٍ عَنِ الْحَقِّ فِيهَا فَالْتَّعْلِيلُ بِالذَّلِيلِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا  
 هُوَ شَأْنُ الْفَلَسَفَةِ بَلْ إِنَّمَا هُوَ التِّمَاسُ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ تَعُضِدُ عَقَائِدَ الْإِيمَانِ وَمَذَاهِبَ السَّلَفِ  
 فِيهَا وَتَدْفَعُ شُبُهَةَ أَهْلِ الْبِدْعِ عَنْهَا الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ مَدَارَكَهُمْ فِيهَا عَقْلِيَّةٌ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ  
 تُفْرَضَ صَحِيحَةٌ بِالْأَدِلَّةِ النُّقْلِيَّةِ كَمَا تَلَقَّاهَا السَّلَفُ وَاعْتَقَدُوهَا وَكَثِيرٌ مَا بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ  
 وَذَلِكَ أَنَّ مَدَارِكَ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ أَوْسَعُ لِاتِّسَاعِ نِظَافِهَا عَنْ مَدَارِكِ الْأَنْظَارِ الْعَقْلِيَّةِ

فَهِىَ فَوْقَهَا وَمُحِيطَةٌ بِهَا لِاسْتِمْدَادِهَا مِنَ الْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ فَلَا تَدْخُلُ تَحْتَ قَانُونِ النَّظَرِ  
الضَّعِيفِ وَالْمَدَارِكِ الْمُحَاطِ بِهَا فَإِذَا هَدَانَا الشَّارِعُ إِلَى مَدْرِكٍ فَيَنْبَغِي أَنْ نُقَدِّمَهُ عَلَى  
مَدَارِكِنَا وَنَتَّقِي بِهِ دُونَهَا وَلَا نَنْظُرَ فِي تَصْحِيحِهِ بِمَدَارِكِ الْعَقْلِ وَلَوْ عَارِضُهُ بَلْ نَعْتَمِدُ مَا  
أَمَرْنَا بِهِ أَعْتِقَادًا وَعِلْمًا وَنَهَكُنَّ عَمَّا لَمْ نَقْرَأْ مِنْ ذَلِكَ وَنَقْوِضُهُ إِلَى الشَّارِعِ وَنَعَزِلُ  
الْعَقْلَ عَنْهُ وَالْمُتَكَلِّمُونَ إِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ كَلَامُ أَهْلِ الْإِلْحَادِ فِي مُعَارَضَاتِ  
الْعَقَائِدِ السَّلَفِيَّةِ بِالْبِدْعِ النَّظَرِيَّةِ فَاجْتَنَبُوا إِلَى الرَّدِّ عَلَيْهِمْ مِنْ جِنْسِ مُعَارَضَاتِهِمْ  
وَأَسْتَدْعَى ذَلِكَ الْحُجَجَ النَّظَرِيَّةَ وَتَحَاذَاةَ الْعَقَائِدِ السَّلَفِيَّةِ بِهَا وَأَمَّا النَّظَرُ فِي مَسَائِلِ  
الطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ بِالتَّصْحِيحِ وَالْبُطْلَانِ فَلَيْسَ مِنْ مَوْضُوعِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَلَا مِنْ جِنْسِ  
أَنْظَارِ الْمُتَكَلِّمِينَ فَاعْلَمْ ذَلِكَ لِمَيَّزَ بِهِ بَيْنَ الْفَنَيْنِ فَإِنَّهُمَا تُخْتَلِطَانِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ  
فِي الْوَضْعِ وَالتَّأْلِيفِ وَالْحَقِ مُغَايِرَةٌ كُلُّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ بِالْمَوْضُوعِ وَالْمَسَائِلِ وَإِنَّمَا  
جَاءَ الْإِلْتِمَاسُ مِنْ اتِّحَادِ الْمَطَالِبِ عِنْدَ الْإِسْتِدْلَالِ وَصَارَ أَحْتِجَاجُ أَهْلِ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ  
إِنْ شَاءَ اطْلُبِ الْأَعْتِدَادَ بِالْأَدِلِّ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ إِنَّمَا هُوَ رَدٌّ عَلَى الْمُتَحِدِينَ وَالْمَطْلُوبُ  
مَفْرُوضُ الصِّدْقِ مَعْلُومُهُ وَكَذَا جَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ غَلَاةِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ  
بِالْمَوْاجِدِ أَيْضًا فَخَلَطُوا مَسَائِلَ الْفَنَيْنِ بَيْنَهُمْ وَجَعَلُوا الْكَلَامَ وَاحِدًا فِيهَا كُلِّهَا مِثْلَ  
كَلَامِهِمْ فِي النُّبُوءَاتِ وَالْإِتِّحَادِ وَالْحُلُولِ وَالْوَحْدَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالْمَدَارِكُ فِي هَذِهِ  
الْفَنُونِ الثَّلَاثَةِ مُتَغَايِرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ وَأَبْعَدُهَا مِنْ جِنْسِ الْفَنُونِ وَالْعُلُومِ مَدَارِكُ الْمُتَصَوِّفَةِ  
لَأَنَّهُمْ يَدْعُونَ فِيهَا الْوُجْدَانَ وَيَفِرُّونَ عَنِ الدَّلِيلِ وَالْوُجْدَانُ بَعِيدٌ عَنِ الْمَدَارِكِ  
الْعِلْمِيَّةِ وَأَبْحَاثُهَا وَتَوَابِعُهَا كَمَا يَبْدَأُ وَيُنْبِئُهُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

## الفصل الثاني والعشرون

في علوم السحر والطلسمات

وَهِيَ عُلُومٌ بِكَيْفِيَّةِ اسْتِعْدَادَاتِ اقْتِدَارِ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ بِهَا عَلَى التَّأَثُّرَاتِ فِي عَالَمِ  
الْعَنَاصِرِ إِمَّا بِغَيْرِ مُعَيَّنٍ أَوْ مُعَيَّنٍ مِنَ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَوَّلُ هُوَ السَّحَرُ وَالثَّانِي هُوَ  
الطَّلَسْمَاتُ وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ مُتَجَوِّدَةً عِنْدَ الشَّرَائِعِ لِمَا فِيهَا مِنَ الضَّرَرِ وَإِلَّا يُشْتَرِطُ  
فِيهَا مِنَ الْوُجْهِةِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ مِنْ كُذُوبٍ أَوْ غَيْرِهِ كَانَتْ كُتُبًا كَالْمَفْقُودَةِ بَيْنَ النَّاسِ



إِلَّا مَا وَجَدَ فِي كُتُبِ الْأُمَمِ الْأَقْدَمِينَ فِيمَا قَبَلَ نُبُوَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَ النَّبِطِ  
 وَالْكَلْدَانِيِّينَ فَإِنَّ جَمِيعَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَشْرَعُوا الشَّرَائِعَ وَلَا جَاءُوا بِالْأَحْكَامِ  
 إِنَّمَا كَانَتْ كُتُبُهُمْ مَوَاعِظَ وَتَوْحِيدًا لِلَّهِ وَتَذْكِيرًا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ  
 فِي أَهْلِ بَابِلَ مِنَ السَّرْيَانِيِّينَ وَالْكَلْدَانِيِّينَ وَفِي أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْقِبْطِ وَغَيْرِهِمْ وَكَانَ  
 لَهُمْ فِيهَا التَّأَلُّفُ وَالْإِتِّفَاقُ وَلَمْ يُتَرْجَمْ لَنَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِيهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِثْلُ الْفَلَاحَةِ  
 النَّبْطِيَّةِ مِنْ أَوْضَاعِ أَهْلِ بَابِلَ فَأَخَذَ النَّاسُ مِنْهَا هَذَا الْعِلْمَ وَتَفَنَّنُوا فِيهِ وَوَضِعَتْ بَعْدَ  
 ذَلِكَ الْأَوْضَاعُ مِثْلُ مَصَاحِفِ الْكُوكَبِ السَّبْعَةِ وَكِتَابِ طِطْمِ الْهِنْدِيِّ فِي صُورِ  
 الدَّرَجِ وَالْكُوكَبِ وَغَيْرِهَا ثُمَّ ظَهَرَ بِالْمَشْرِقِ جَابِرُ بْنُ حَبَّانَ كَبِيرُ السَّحَرَةِ فِي هَذِهِ  
 الْأَمَلَةِ فَتَصَفَّحَ كُتُبَ الْقَوْمِ وَاسْتَخْرَجَ الصَّنَاعَةَ وَغَاصَ فِي زِينَتِهَا وَاسْتَخْرَجَهَا وَوَضَعَ فِيهَا  
 غَيْرَهَا مِنَ التَّأَلُّفِ وَأَكْثَرَ الْكَلَامِ فِيهَا وَفِي صِنَاعَةِ السِّمِّيَاءِ لِأَنَّهَا مِنْ تَوَابِعِهَا لِأَنَّ  
 أَحَالََةَ الْأَجْسَامِ النَّوَاعِيَّةِ مِنْ صُورَةٍ إِلَى أُخْرَى إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقُوَّةِ النَّفْسِيَّةِ لَا بِالصَّنَاعَةِ  
 الْعَمَلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ السَّحَرِ كَمَا نَذَرُ فِي مَوْضِعِهِ ثُمَّ جَاءَ مُسْلِمَةُ بْنُ أَحْمَدَ  
 السَّجَرِيُّ إِمَامُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي التَّعَالِيمِ وَالسَّحَرِيَّاتِ فَلَخَصَ جَمِيعَ تِلْكَ الْكُتُبِ  
 وَهَدَّيَهَا وَجَمَعَ طُرُقَهَا فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ غَايَةُ الْحَكِيمِ وَلَمْ يَكْتُبْ أَحَدٌ فِي هَذَا  
 الْعِلْمِ بَعْدَهُ وَلَقَدْ قَدَّمَ هُنَا مُقَدِّمَةً يَتَبَيَّنُ بِهَا حَقِيقَةُ السَّحَرِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ  
 وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً بِالنَّوْعِ فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ بِالْخَوَاصِ وَهِيَ أَصْنَافُ كُلِّ صِنْفٍ مُخْتَصٌّ  
 بِمَخَاصِيصِهِ وَاحِدَةً بِالنَّوْعِ لَا تَوْجَدُ فِي الصَّنَفِ الْآخَرِ وَصَارَتْ تِلْكَ الْخَوَاصُ فِطْرَةً وَجَبَلَةً  
 لَصِنْفِهَا فَنَفُوسُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهَا خَاصِيَّةٌ تَسْتَعِدُّ بِهَا لِلْمَعْرِفَةِ الرَّبَّانِيَّةِ  
 وَمُخَاطَبَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا مَرَّ وَمَا يَتَسَعُّ فِي ذَلِكَ  
 مِنَ التَّأثيرِ فِي الْأَكْوَانِ وَاسْتِجْلَابِ رُوحَانِيَّةِ الْكُوكَبِ لِلتَّصَرُّفِ فِيهَا وَالتَّأثيرِ  
 بِقُوَّةِ تَفْسَانِيَّةٍ أَوْ شَيْطَانِيَّةٍ فَأَمَّا تَأثيرُ الْأَنْبِيَاءِ فَمَدَدُ إِلَهِيٍّ وَخَاصِيَّةُ رَبَّانِيَّةٍ وَنَفُوسُ  
 الْكُهَنَةِ لَهَا خَاصِيَّةُ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَغْيِبَاتِ بِقُوَّةِ شَيْطَانِيَّةٍ وَهَكَذَا كُلُّ صِنْفٍ  
 مُخْتَصٌّ بِمَخَاصِيصِهِ لَا تَوْجَدُ فِي الْآخَرِ وَالنَّفُوسُ السَّاحِرَةُ عَلَى مَرَاتِبِ ثَلَاثٍ يَأْتِي شَرْحُهَا  
 فَأَوَّلُهَا الْمُؤَثَّرَةُ بِالْهَيْمَةِ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ وَلَا مُعِينٍ وَهَذَا هُوَ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْفَلَسَفَةُ  
 السِّحْرَ وَالثَّانِي بِمُعِينٍ مِنْ مِزَاجِ الْأَفْلَاقِ أَوِ الْعَنَاصِرِ أَوْ خَوَاصِ الْأَعْدَادِ وَيُسَمُّونَهُ

الطَّلَسَاتِ وَهُوَ أضعفُ رتبةً مِنَ الْأَوَّلِ وَالثَّالِثُ تَأْثِيرٌ فِي الْقُوَى الْمُتَخَيَّلَةِ يَعْمَدُ صَاحِبُ  
هَذَا التَّأْثِيرِ إِلَى الْقُوَى الْمُتَخَيَّلَةِ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِنَوْعٍ مِنَ التَّصَرُّفِ وَيُبْقِي فِيهَا أَنْوَاعًا  
مِنَ الْخَيَالَاتِ وَالْحِكَاكَةِ وَضُورًا مِمَّا يَقْصِدُهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يُنْزِلُهَا إِلَى الْحِسِّ مِنَ الرَّائِينَ  
بِقُوَّةِ نَفْسِهِ الْمُؤَثَّرَةِ فِيهِ فَيَنْظُرُ الرَّائِي كَأَنَّهَا فِي الْخَارِجِ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كَمَا  
يُحْكِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ يُرَى الْبَسَاتِينِ وَالْأَنْهَارَ وَالْقُصُورَ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَيُسَمَّى  
هَذَا عِنْدَ الْفَلَسِيفَةِ السَّعُودَةَ أَوْ السَّعْبَدَةَ . هَذَا تَفْصِيلُ مَرَاتِبِهِ ثُمَّ هَذِهِ الْخَاصِيَّةُ تَكُونُ  
فِي السَّاحِرِ بِالْقُوَّةِ شَأْنُ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا وَإِنَّمَا تَخْرُجُ إِلَى الْفِعْلِ بِالرِّيَاضَةِ وَرِيَاضَةِ  
السَّحْرِ كُلِّهَا إِنَّمَا تَكُونُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْعَوَالِمِ الْعُلُوبَةِ وَالشَّيَاطِينِ  
بِأَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ فِي ذَلِكَ وَجْهَةٌ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَسُجُودٌ  
لَهُ وَالتَّوَجُّهُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ كُفْرٌ فَلِهَذَا كَانَ السَّحَرُ كُفْرًا وَالكُفْرُ مِنْ مَوَادِهِ وَأَسْبَابِهِ  
كَمَا رَأَيْتَ وَلِهَذَا اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي قَتْلِ السَّاحِرِ هَلْ لِكُفْرِهِ السَّابِقِ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ لَتَصَرُّفِهِ  
بِالْإِفْسَادِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَكْوَانِ وَالْكُلِّ حَاصِلٌ مِنْهُ وَلَمَّا كَانَتْ  
الْمَرْتَبَتَانِ الْأُولَيَانِ مِنَ السَّحْرِ لَهَا حَقِيقَةٌ فِي الْخَارِجِ وَالْمَرْتَبَةُ الْآخِرَةُ الثَّالِثَةُ لَا حَقِيقَةَ  
لَهَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي السَّحْرِ هَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ أَوْ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ فَأَلْقَائِلُونَ بِأَنَّ لَهُ حَقِيقَةَ  
نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ لَا حَقِيقَةَ لَهُ نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ  
الْآخِرَةِ فَلَيْسَ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بَلْ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ اشْتِبَاهِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَاعْلَمْ أَنَّ وُجُودَ السَّحْرِ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ مِنْ أَجْلِ التَّأْثِيرِ  
الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ  
النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ  
حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ  
وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَسُحِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى  
كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَا يَفْعَلُهُ وَجَعَلَ سِحْرَهُ فِي مِشْطٍ وَمِشَاقَةٍ وَجُفٍ طَلْعَةٍ  
وَدُفْنٍ فِي بَشَرٍ ذِرْوَانٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ فِي الْمَعُودَتَيْنِ وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي  
الْعُقَدِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ لَا يَقْرَأُ عَلَى عُقْدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْعُقَدِ الَّتِي سِحَرُ فِيهَا  
إِلَّا أَنَحَلَّتْ وَأَمَّا وُجُودُ السَّحْرِ فِي أَهْلِ بَابِلَ وَهُمْ الْكَلْدَانِيُّونَ مِنَ النِّبْطِ وَالسَّرْيَانِيِّينَ



فَكَثِيرٌ وَنَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَجَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَكَانَ لِلسِّحْرِ فِي بَابِلَ وَمِصْرَ أَرْزَامَ بَعَثَ  
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْوَاقَ نَافِقَةٍ وَلِهَذَا كَانَتْ مُعْجَزَةُ مُوسَى مِنْ جِنْسِ مَا يَدْعُونَ وَيَتَنَاقُونَ  
فِيهِ وَبَقِيَ مِنْ آثَارِ ذَلِكَ فِي الْبَرَارِيِّ بِصَعِيدِ مِصْرَ شَوَاهِدُ دَالَّةٌ عَلَى ذَلِكَ وَرَأَيْنَا بِالْعِيَانِ  
مَنْ يُصَوِّرُ صُورَةَ الشَّخْصِ الْمَسْحُورِ بِخَوَاصِّ أَشْيَاءٍ مُقَابِلَةً لِمَا نَوَاهُ وَحَاوَلَهُ مَوْجُودَةً  
بِالْمَسْحُورِ وَأَمْثَالُ تِلْكَ الْمَعَانِي مِنْ أَسْمَاءٍ وَصِنَاتٍ فِي التَّأْلِيلِ وَالتَّفْرِيقِ ثُمَّ يَتَكَلَّمُ  
عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي أَقَامَهَا مَقَامَ الشَّخْصِ الْمَسْحُورِ عَيْنًا أَوْ مَعْنَى ثُمَّ يَنْفُثُ مِنْ رِيقِهِ  
بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ فِيهِ بِتَكْرِيرٍ مُخَارِجٍ تِلْكَ الْحُرُوفِ مِنَ الْكَلَامِ السُّوءِ وَيَعْقُدُ عَلَى  
ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي سَبَبٍ أَعَدَّهُ لِذَلِكَ تَقَاوُلًا بِالْعَقْدِ وَالْإِزَامِ وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى مَنْ أَشْرَكَ  
بِهِ مِنَ الْجِنِّ فِي نَفْسِهِ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ اسْتِشْعَارًا لِلْعَزِيمَةِ بِالْعَزْمِ وَلِتِلْكَ الْبَنِيَّةُ وَالْأَسْمَاءُ  
السَّيِّئَةُ رُوحٌ خَبِيثَةٌ تَخْرُجُ مِنْهُ مَعَ النَّفْثِ مُتَعَلِّقَةٌ بِرِيقِهِ الْخَارِجِ مِنْ فِيهِ بِالْثَنَفِ فَتَنْزِلُ  
عَنْهَا أَرْوَاحٌ خَبِيثَةٌ وَيَقَعُ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَسْحُورِ مَا يُحَاوِلُهُ السَّاحِرُ وَشَاهِدُنَا أَيْضًا مِنْ  
الْمُنْتَحِلِينَ لِلْسِّحْرِ وَعَمَلِهِ مَنْ يُشِيرُ إِلَى كِسَاءٍ أَوْ جِلْدٍ وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ فِي سِرِّهِ فَإِذَا  
هُوَ مَقْطُوعٌ مُتَخَرِّقٌ وَيُشِيرُ إِلَى بَطْنِ الْغَنَمِ كَذَلِكَ فِي مَرَاعِيهَا بِالْبَعْجِ فَإِذَا أَمْعَاوُهَا سَاقِطَةٌ  
مِنْ بَطْنِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَنَمَعْنَا أَنَّ بِأَرْضِ الْهِنْدِ لِهَذَا الْعَهْدِ مَنْ يُشِيرُ إِلَى إِنْسَانٍ فَيَتَحَتُّ  
قَلْبُهُ وَيَقَعُ مَيِّتًا وَيَنْقَلِبُ عَنْ قَلْبِهِ فَلَا يُوجَدُ فِي حَشَاهُ وَيُشِيرُ إِلَى الرُّمَانَةِ وَتَفْتَحُ فَلَا  
يُوجَدُ مِنْ حُبُوبِهَا شَيْءٌ وَكَذَلِكَ سَمِعْنَا أَنَّ بِأَرْضِ السُّودَانِ وَأَرْضِ الْأَرَبِ مَنْ يَسْحَرُ  
السَّحَابَ فَيُمْطِرُ الْأَرْضَ الْمَخْصُوصَةَ وَكَذَلِكَ رَأَيْنَا مِنْ عَمَلِ الطَّلَسَمَاتِ عَجَائِبَ فِي  
الْأَعْدَادِ الْمُتَحَابَّةِ وَهِيَ رَكْرَكٌ زَادَ أَحَدُ الْعَدَدَيْنِ مِائَتَانِ وَعِشْرُونَ وَالْآخَرُ مِائَتَانِ  
وَأَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ وَمَعْنَى الْمُتَحَابَّةِ أَنَّ أَجْزَاءَ كُلِّ وَاحِدٍ الَّتِي فِيهِ مِنْ نِصْفٍ وَثُلُثٍ  
وَرُبْعٍ وَسُدُسٍ وَخُمْسٍ وَأَمْثَالِهَا إِذَا جُمِعَ كَانَ مُتَسَاوِيًا لِلْعَدَدِ الْآخَرِ صَاحِبِهِ فَتَسْمَى  
لِأَجْلِ ذَلِكَ الْمُتَحَابَّةِ وَتَقَلَّ أَصْحَابُ الطَّلَسَمَاتِ أَنَّ لِيْلِكَ الْأَعْدَادِ أَثَرًا فِي الْإِلَافَةِ بَيْنَ  
الْمُتَحَابِّينَ وَاجْتِمَاعِهِمَا إِذَا وَضِعَ لِهَمَّا مِثَالَانِ أَحَدُهُمَا بِطَالِغِ الزُّهْرَةِ وَهِيَ فِي يَتْنِهَا أَوْ  
شَرْفِهَا نَازِطَةً إِلَى الْقَمَرِ نَظَرَ مَوَدَّةٍ وَقَبُولٍ وَيَجْعَلُ طَالِغَ الثَّانِي سَابِعَ الْأَوَّلِ وَيَضَعُ عَلَى  
أَحَدِ التَّمَثَالَيْنِ أَحَدَ الْعَدَدَيْنِ وَالْآخَرَ عَلَى الْآخَرِ وَيَقْصِدُ بِالْأَكْثَرِ الَّذِي يَرَادُ  
اِئْتِلَافُهُ أَعْنِي الْمَحْبُوبَ مَا أَدْرِي إِلَّا كَثْرَ كَمِيَّةٍ أَوْ إِلَّا كَثْرَ أَجْزَاءٍ فَيَكُونُ لِذَلِكَ

مِنَ التَّالِفِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ مَا لَا يَكَادُ يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ قَالَ صَاحِبُ  
 الْغَايَةِ وَغَيْرُهُ مِنْ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ وَشَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ وَكَذَا طَابِعُ الْأَسَدِ وَيُسَمَّى  
 أَيْضًا طَابِعُ الْحَصَى وَهُوَ أَنْ يُرْسَمَ فِي قَالِبِ هِنْدٍ اصْبَعُ صُورَةُ أَسَدٍ شَائِلًا ذَنْبُهُ عَاضًا عَلَى  
 حَصَاةٍ فَدَقَسَمَهَا بِنِصْفَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ صُورَةُ حَيَّةٍ مُنْسَابَةٍ مِنْ رِجَائِيهِ إِلَى قُبَالَةِ وَجْهِهِ  
 فَاغْرَرَتْ فَاهَا فِيهِ وَعَلَى ظَهْرِهِ صُورَةُ عَقْرَبٍ تَدْبُ وَيَتَحَيَّنُ بِرِسْمِهِ حُلُولُ الشَّمْسِ بِالْوَجْهِ  
 الْأَوَّلِ أَوْ الثَّلَاثِ مِنَ الْأَسَدِ بِشَرْطِ صَلَاحِ النَّيِّرَيْنِ وَسَلَامَتَيْهِمَا مِنَ النَّحُوسِ فَإِذَا  
 وَجَدَ ذَلِكَ وَعَثَرَ عَلَيْهِ طُبِعَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي مِقْدَارِ الْمِثْقَالِ فَمَا دُونَهُ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَغُمِسَ بَعْدُ فِي الزَّعْفَرَانِ مَحْلُولًا بِمَاءِ الْوَرْدِ وَرُفِعَ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ  
 أَنَّ لِمُسْكِهِ مِنَ الْعِزِّ عَلَى السَّلَاطِينِ فِي مُبَاشَرَتِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ وَتَسْخِيرِهِمْ لَهُ مَا لَا  
 يُعْبَرُ وَكَذَلِكَ لِلْسَّلَاطِينِ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعِزِّ عَلَى مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ذَكَرَ ذَلِكَ  
 أَيْضًا أَهْلُ هَذَا الشَّانِ فِي الْغَايَةِ وَغَيْرِهَا وَشَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ وَكَذَلِكَ وَفَقِيَ الْمُسَدِّسُ  
 الْمُخْتَصَّ بِالشَّمْسِ ذَكَرُوا أَنَّهُ يُوضَعُ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ فِي شَرْفِهَا وَسَلَامَتِهَا  
 مِنَ النَّحُوسِ وَسَلَامَةِ الْقَمَرِ بِطَالِعِ مُلُوكِي يُعْتَبَرُ فِيهِ نَظَرُ صَاحِبِ الْعَاشِرِ لِصَاحِبِ  
 الطَّالِعِ نَظَرُ مَوَدَّةٍ وَقَبُولٍ وَبِصْلُحٍ فِيهِ مَا يَكُونُ مِنْ مَوَالِيدِ الْمُلُوكِ مِنَ الْأَدَلَّةِ  
 الشَّرِيفَةِ وَيُرْفَعُ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ بَعْدَ أَنْ يُغْمَسَ فِي الطَّيِّبِ فَرَعَمُوا أَنَّ لَهُ أَثَرًا فِي  
 صَحَابَةِ الْمُلُوكِ وَخِدْمَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَكِتَابُ الْغَايَةِ لِمُسْلِمَةَ بِنِ  
 أَحْمَدَ الْمَجْرِي طَبِيٍّ هُوَ مَدُونَةٌ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَفِيهِ اسْتِيفَاؤُهَا وَكَمَالُ مَسَائِلِهَا وَذَكَرَ لَنَا  
 أَنَّ الْأِمَامَ الْفَخْرَ بْنَ الْخَطِيبِ وَضَعَ كِتَابًا فِي ذَلِكَ وَسَمَّاهُ 'بِالسِّرِّ الْمَكْتُومِ' وَأَنَّهُ  
 بِالْمَشْرِقِ يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُهُ وَنَحْنُ لَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ وَالْإِمَامُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ  
 فِيمَا نَظُنُّ وَأَعْلَى الْأَمْرِ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَبِالْمَغْرِبِ صَنَفٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَابِّينَ لِهَذِهِ  
 الْأَعْمَالِ السَّحَرِيَّةِ يُعْرِفُونَ بِالْبَعَاجِينِ وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَوَّلًا أَنَّهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى  
 الْكِسَاءِ أَوْ الْجِلْدِ فَيَتَخَرَّقُ وَيُشِيرُونَ إِلَى بَطُونِ الْغَنَمِ بِالْبَعْجِ فَتَبْعُجُ وَيُسَمَّى أَحَدُهُمْ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ بِاسْمِ الْبَعَاجِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مَا يَنْتَحِلُ مِنَ الشَّحْرِ بَعْجُ الْأَنْعَامِ يُرْهَبُ بِذَلِكَ  
 أَهْلُهَا لِيُعْطَوْهُ مِنْ فُضَائِلِهَا وَهُمْ مُسْتَبْرُونَ بِذَلِكَ فِي الْغَايَةِ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْحُكْمِ  
 لَقِيتُ مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَشَهِدْتُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ هَذِهِ بِذَلِكَ وَأَخْبَرُونِي أَنَّ لَهُمْ وَجْهَةً وَرِيَاضَةً



خَاصَّةً بِدَعَوَاتِ كُفْرِيَّةٍ وَإِشْرَاكِ الرُّوحَانِيَّاتِ الْجِنِّ وَالْكُوَاكِبِ سَطَرَتْ فِيهَا صَحِيفَةٌ  
 عِنْدَهُمْ تَسْمَى الْخَزِيرِيَّةَ يَتَدَارَسُونَهَا وَأَنْتَهُمْ بِهِذِهِ الرِّيَاضَةِ وَالْوِجْهَةِ يَصِلُونَ إِلَى حُصُولِ هَذِهِ  
 الْأَفْعَالِ لَهُمْ وَأَنَّ التَّأثيرَ الَّذِي لَهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا سِوَى الْإِنْسَانِ الْخَرُّ مِنَ الْمَتَاعِ  
 وَالْحَيَوَانَ وَالرَّقِيقِ وَيَعْبَرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ إِنَّمَا تَفْعَلُ فِيمَا تَمَشِي فِيهِ الدَّرَاهِمُ أَيَّ مَا  
 يُمْلِكُ وَيَبَاعُ وَيُشْتَرَى مِنْ سَائِرِ الْمَتَلَكَّاتِ هَذَا مَا زَعَمُوهُ وَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ فَأَخْبَرَنِي  
 بِهِ وَأَمَّا أَفْعَالُهُمْ فَظَاهِرَةٌ مُوجُودَةٌ وَقَفْنَا عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهَا وَعَايَنَتُهَا مِنْ غَيْرِ رَبِيَّةٍ فِي  
 ذَلِكَ هَذَا شَأْنُ السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ وَأَثَارُهُمَا فِي الْعَالَمِ فَأَمَّا الْفَلَاسِفَةُ فَفَرَّقُوا بَيْنَ  
 السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ بَعْدَ أَنْ اثْبَتُوا أَنَّهِمَا جَمِيعًا أَثَرٌ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَسْتَدَلُّوا عَلَى  
 وَجُودِ الْأَثَرِ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِأَنَّ لَهَا أَثَارًا فِي بَدَنِهَا عَلَى غَيْرِ الْحَجَرِ الطَّبِيعِيِّ وَأَسْبَابِهِ  
 الْجِسْمَانِيَّةِ بَلْ أَثَارُ عَارِضَةٍ مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْأَرْوَاحِ تَارَةً كَالسُّخُونَةِ الْحَادِثَةِ عَنْ الْفَرَحِ  
 وَالسُّرُورِ وَمِنْ جِهَةِ النُّصُورَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ أُخْرَى كَالَّذِي يَقَعُ مِنْ قِبَلِ التَّوَهُّمِ فَإِنْ  
 الْمَاشِي عَلَى حَرْفٍ حَائِطٍ أَوْ عَلَى حَبْلٍ مُنْتَصِبٍ إِذَا قَوِيَ عِنْدَهُ تَوَهُّمُ السَّقُوطِ سَقَطَ بِلاَ  
 شَكٍّ وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعُودُونَ أَنْفُسَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُمْ هَذَا التَّوَهُّمُ  
 فَتَجِدُهُمْ يَمْشُونَ عَلَى حَرْفٍ الْحَائِطِ وَالْحَبْلِ الْمُنْتَصِبِ وَلَا يَخَافُونَ السَّقُوطَ فَثَبَّتَ أَنَّ  
 ذَلِكَ مِنْ أَثَرِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَصَوَّرَهَا لِلسَّقُوطِ مِنْ أَجْلِ التَّوَهُّمِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ  
 أَثَرًا لِلنَّفْسِ فِي بَدَنِهَا مِنْ غَيْرِ الْأَسْبَابِ الْجِسْمَانِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا  
 مِثْلُ هَذَا الْأَثَرِ فِي غَيْرِ بَدَنِهَا إِذْ نَسَبَتْهَا إِلَى الْأَبْدَانِ فِي ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ التَّأثيرِ  
 وَاحِدَةٍ لِأَنَّهَا غَيْرُ حَالَةٍ فِي الْبَدَنِ وَلَا مُنْطَبِعَةٍ فِيهِ فَثَبَّتَ أَنَّهَا مُؤَثِّرَةٌ فِي سَائِرِ الْأَجْسَامِ  
 وَأَمَّا التَّفَرِيقَةُ عِنْدَهُمْ بَيْنَ السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ فَهُوَ أَنَّ السِّحْرَ لَا يَحْتَاجُ السَّاحِرَ فِيهِ إِلَى  
 مُعِينٍ وَصَاحِبِ الطَّلَسْمَاتِ يَسْتَعِينُ بِرُوحَانِيَّاتِ الْكُوَاكِبِ وَأَشْرَارِ الْأَعْدَادِ وَخَوَاصِ  
 الْمَوْجُودَاتِ وَأَوْضَاعِ الْفَلَكَ الْمُؤَثِّرَةِ فِي عَالَمِ الْعُنَاصِرِ كَمَا يَقُولُهُ الْمُتَحِجُّونَ وَيَقُولُونَ  
 السِّحْرُ اتِّحَادُ رُوحِ بَرُوحٍ وَالطَّلَسْمُ اتِّحَادُ رُوحٍ بِجِسْمٍ وَمَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ رَبْطُ الطَّبَائِعِ  
 الْعُلُويَّةِ السَّمَاوِيَّةِ بِالطَّبَائِعِ السُّفْلِيَّةِ وَالطَّبَائِعِ الْعُلُويَّةِ هِيَ رُوحَانِيَّاتُ الْكُوَاكِبِ  
 وَلِلَّذَلِكَ يَسْتَعِينُ صَاحِبُهُ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ بِالنَّجْمَةِ وَالسَّاحِرُ عِنْدَهُمْ غَيْرُ مَكْتَسِبٍ لِلسِّحْرِ  
 بَلْ هُوَ مَقْطُورٌ عِنْدَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْجِبَالَةِ الْمُخْتَصَةِ بِذَلِكَ النَّوعِ مِنَ التَّأثيرِ وَالْفَرْقُ عِنْدَهُمْ

بَيْنَ الْمُعْجَزَةِ وَالسِّحْرِ أَنَّ الْمُعْجَزَةَ قُوَّةُ إِلَهِيَّةٍ تَبْعَتْ عَلَى النَّفْسِ ذَلِكَ التَّأثيرَ فَهُوَ مُؤَيَّدٌ  
 بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى نَعَالِهِ ذَلِكَ وَالسَّاحِرُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ لَدُنْ نَفْسِهِ وَبِقُوَّتِهِ النَّفْسَانِيَّةِ  
 وَبِإِمْدَادِ الشَّيَاطِينِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ فَبَيْنَهُمَا الْفَرْقُ فِي الْعَقُولِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ وَالذَّاتِ  
 فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَإِنَّمَا نَسْتَدِلُّ نَحْنُ عَلَى التَّفَرُّقِ بِالْأَعْلَامَاتِ الظَّاهِرَةِ وَهِيَ وُجُودُ الْمُعْجَزَةِ  
 لِصَاحِبِ الْخَيْرِ وَفِي مَقَاصِدِ الْخَيْرِ وَالنَّفُوسِ الْمُتَمَحِّصَةِ لِلْخَيْرِ وَالتَّخَدِّي بِهَا عَلَى دَعْوَى  
 النَّبُوَّةِ وَالسِّحْرِ إِنَّمَا يُوجَدُ لِصَاحِبِ الشَّرِّ وَفِي أَعْمَالِ الشَّرِّ فِي الْغَالِبِ مِنَ التَّفَرُّيقِ بَيْنَ  
 الزُّوجَيْنِ وَضَرَرِ الْأَعْدَاءِ وَآمِثَالِ ذَلِكَ وَالنَّفُوسِ الْمُتَمَحِّصَةِ لِلشَّرِّ . هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا  
 عِنْدَ الْحُكَمَاءِ الْأَلَهِيِّينَ وَقَدْ يُوجَدُ لِبَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَأَصْحَابِ الْكِرَامَاتِ تَأثيرٌ أَيْضًا  
 فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ وَلَيْسَ مَعْدُودًا مِنْ جِنْسِ السِّحْرِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالْإِمْدَادِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّهُ طَرِيقُهُمْ  
 وَمَخْلَعُهُمْ مِنْ آثَارِ النَّبُوَّةِ وَتَوَابِعِهَا وَأَهْمُ فِي الْمَدَدِ الْإِلَهِيِّ حِفْظُ عَلَى قَدَرِ حَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ  
 وَتَمَسُّكِهِمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَإِذَا اقْتَدَرَ أَحَدُ مِنْهُمْ عَلَى أَعْمَالِ الشَّرِّ لَا يَأْتِيهَا لِأَنَّهُ مُتَقَيِّدٌ فِيمَا  
 يَأْتِيهِ بِذَرَّةٍ لِلْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ فَمَا لَا يَقَعُ لَهُمْ فِيهِ إِلَّا ذُرٌّ لَا يَأْتُونَهُ بِوَجْهِهِ وَمَنْ أَتَاهُ مِنْهُمْ فَقَدْ  
 عَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَرُبَّمَا سَلَبَ حَالَهُ وَلَمَّا كَانَتْ الْمُعْجَزَةُ بِإِمْدَادِ رُوحِ اللَّهِ وَالْقُوَى  
 الْإِلَهِيَّةِ فَلِذَلِكَ لَا بُعَازُهَا شَيْءٌ مِنَ السِّحْرِ وَانْظُرْ شَأْنَ سِحْرَةِ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى فِي  
 مُعْجَزَةِ الْعَصَا كَيْفَ تَلَقَّيْتَ مَا كَانُوا بِهِ يَأْتُونَ وَذَهَبَ سِحْرُهُمْ وَانْتَحَلَّ كَانُ لَمْ يَكُنْ  
 وَكَذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَعْوِذَتَيْنِ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي  
 الْعُقَدِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَكَانَ لَا يَقْرَأُهَا عَلَى عُقْدَةٍ مِنَ الْعُقَدِ الَّتِي سِحْرُ فِيهَا  
 إِلَّا انْتَحَلَتْ فَالسِّحْرُ لَا يَثْبُتُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ وَقَدْ ثَقُلَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ زَرْكَشَ  
 كَاوِيَانَ وَهِيَ رَايَةُ كِسْرَى كَانَ فِيهَا الْوَفْقُ الْمَشِينُ الْعَدَدِيُّ مَنْسُوجًا بِالذَّهَبِ فِي أَوْضَاعٍ  
 فَلَكِيَّةٍ رُصِدَتْ لِذَلِكَ الْوَفْقِ وَوُجِدَتْ الرَّايَةُ يَوْمَ قُتِلَ رُسْتَمُ بِالْقَادِسِيَّةِ وَاقِعَةً عَلَى  
 الْأَرْضِ بَعْدَ انْهِزَامِ أَهْلِ فَارِسَ وَشَتَاتِهِمْ وَهُوَ فِيمَا تَزَعُمُ أَهْلُ الطَّلِسْمَاتِ وَالْأَوْفَاقِ  
 مَخْصُوصٌ بِالْغَلَبِ فِي الْحُرُوبِ وَأَنَّ الرَّايَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا أَوْ مَعَهَا لَا تَنْهَزِمُ أَصْلًا إِلَّا  
 أَنَّ هُدَاهِ عَزَّزَهَا الْمَدَدُ الْإِلَهِيُّ مِنْ إِيْمَانِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَتَمَسُّكِهِمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ فَأَنْحَلَّ مَعَهَا كُلُّ عُقْدٍ سِحْرِيٍّ وَلَمْ يَثْبُتْ وَبَطَلَ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الشَّرِيعَةُ فَلَمْ تَفَرِّقْ بَيْنَ السِّحْرِ وَالطَّلِسْمَاتِ وَجَعَلَتْهُ كُلُّهُ بَابًا وَاحِدًا مَحْظُورًا



لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهمننا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا  
أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا وما لا يهمننا في شيء منهما فإن كان فيه ضرر  
أو نوع ضرر كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع ويحقق به الطلسمات لأن أثرهما واحد  
والتجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور  
إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نسبه في الضرر وإن لم يكن مهيما  
علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من تركه قربا إلى الله فإن من حسن إسلام المرء تركه  
ما لا يعنيه فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والسعوذة بابا واحدا لما فيها من  
الضرر وخصته بالخطر والتحريم وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي  
ذكره المتكلمون أنه راجع إلى التحدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه  
قائلها والساحر مصروف عن مثل هذا التحدي فلا يقع منه ووقوع المعجزة على وفق  
دعوى الكاذب غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها  
التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا وهو محال فإذا لا تقع  
المعجزة مع الكاذب بإطلاق وأما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه  
فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل  
في أسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر  
وكانهما على طرفي النقيض في أصل فطرتيهما والله يهدي من يشاء وهو القوي  
العزيز لا رب سواه ومن قيل هذه التأثيرات النفسية الإصابة بالعين وهو تأثير  
من نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مذكر كامن الدوات أو الأحوال ويفرط في  
استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عن  
اتصف به فيؤثر فسادا وهو جيلة فطرية أعني هذه الإصابة بالعين والفرق بينهما  
وبين التأثيرات وإن كان منها ما لا يكتسب فصدورها راجع إلى اختيار فاعلها  
والفطري منها قوة صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل والقاتل  
بالعين لا يقتل وما ذلك إلا أنه ليس مما يريد ويقصده أو يتركه وإنما هو مجبور  
في صدوره عنه والله أعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر

## الفصل الثالث والعشرون

في علم الكيمياء

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك فيتصفحون المكونات كلها بعد معرفة أمر جتها وقواها تعلمهم يعثرون على المادة المستعدة لذلك حتى من العضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات فضلا عن المعادن ثم يشرح الأعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة إلى الفعل مثل حل الأجسام إلى أجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجمد الذائب منها بالتكليس وإمهاء الصلب بالقهر والصلابة وأمثال ذلك وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الأكسير وأنه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد أن يحمي بالنار فيعود ذهباً إبريزاً ويكون عن ذلك الأكسير إذا الغزوا في اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذي يلقي عليه بالجسد فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقرب هذه الأجساد المستعدة إلى صورة الذهب والفضة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤلفون فيها قديماً وحديثاً وربما يعزى الكلام فيها إلى من ليس من أهلها وإمام المدونين فيها جابر بن حيان حتى إنهم يخصونها به فيسمنونها علم جابر وله فيها سبعون رسالة كلها شبيهة بالأنغاز وزعموا أنه لا يفتح مقفلها إلا من أحاط علماً بجميع ما فيها والطغرائي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء وكتب فيها مسلمة المجر بطي من حكماء الأندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكيم وجعله قريباً لكتابيه الآخر في السحر والطلسمات الذي سماه غاية الحكيم وزعم أن هاتين الصناعتين هما نتيجتان للحكمة وثمرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة أجمع وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم أجمع في تأليفهم هي الغاز يتعدّر فهمها على من لم يعاب اصطلاحاتهم في ذلك. ونحن نذكر سبب عدولهم إلى هذه الرموز والأنغاز ولأبن المغيرة من أئمة هذا الشأن كلمات شعرية على حروف الهجاء من أبدع ما يجي



فِي الشَّعْرِ مَلْعُوزَةً كُلُّهَا لَفَزَ الْأَحَاجِي وَالْمُعَايَاةَ فَلَا تَكَادُ تَفْهَمُ وَقَدْ يَنْسَبُونَ لِلْغَزَالِي  
 رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْضَ التَّأَلُّفِ فِيهَا وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ تَكُنْ مَدَارِكُهُ الْعَالِيَةَ  
 لَتَقِفَ عَنْ خَطَا مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْتَحِلَهُ وَرُبَّمَا نَسَبُوا بَعْضَ الْمَذَاهِبِ وَالْأَقْوَالِ  
 فِيهَا لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَيْبَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ الْبَيِّنِ أَنَّ خَالِدًا  
 مِنَ الْجِيلِ الْعَرَبِيِّ وَالْبِدَاوَةِ إِلَيْهِ أَقْرَبُ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِالْجَمَلَةِ فَكَيْفَ  
 لَهُ بِصِنَاعَةِ غَرِيبَةِ الْمَنْحَى مَبْنِيَّةٍ عَلَى مَعْرِفَةِ طَبَائِعِ الْمَرْكَبَاتِ وَأَمْرِجَتِهَا وَكُتِبَ النَّظَرِينَ  
 فِي ذَلِكَ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ وَالطِّبِّ لَمْ تَظْهَرْ بَعْدُ وَلَمْ يُتَرْجَمِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَالِدُ بْنُ  
 يَزِيدَ آخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدَارِكِ الصَّنَاعِيَّةِ تَشَبُّهُ بِاسْمِهِ فَمُمْكِنٌ . وَأَنَا أَنْقُلُ لَكَ هُنَا  
 رِسَالَةَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ بَشْرُونَ لِأَبِي السَّمْحِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكِلَاهُمَا مِنْ تَلَامِيذِ مَسْلَمَةَ  
 فَيَسْتَدِلُّ مِنْ كَلَامِهِ فِيهَا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي شَأْنِهَا إِذَا أُعْطِيَتْ حَقُّهُ مِنَ التَّأَمُّلِ قَالَ  
 ابْنُ بَشْرُونَ بَعْدَ صَدْرٍ مِنَ الرِّسَالَةِ خَارِجٍ عَنِ الْغَرَضِ وَالْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي إِلهِيهِ الصَّنَاعَةِ  
 الْكَرِيمَةِ قَدْ ذَكَرَهَا الْأَوَّلُونَ وَاقْتَصَّ جَمِيعَهَا أَهْلُ الْفَلَسَفَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ تَكْوِينِ  
 الْمَعَادِنِ وَتَخْلُقِ الْأَجْجَارِ وَالْجَوَاهِرِ وَطَبَائِعِ الْبَقَاعِ وَالْأَمَاكِنِ فَمَنْعَنَا اشْتِهَارَهَا مِنْ  
 ذِكْرِهَا وَلَكِنْ أَبَيَّنْ لَكَ مِنْ هَذِهِ الصَّنْعَةِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ قَبْدًا بِمَعْرِفَتِهِ فَقَدْ قَالُوا يَنْبَغِي  
 لِطُلَّابِ هَذَا الْعِلْمِ أَنْ يَعْلَمُوا أَوَّلًا ثَلَاثَ خِصَالٍ أَوَّلَاهَا هَلْ تَكُونُ وَالثَّانِيَةُ مِنْ أَيِّ  
 تَكُونُ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ أَيِّ كَيْفَ تَكُونُ فَإِذَا عَرَفَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ وَأَخْصَمَهَا فَقَدْ ظَفَرَ  
 بِمَطْلُوبِهِ وَبَلَغَ نِهَائَتَهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ وَأَمَّا الْبَحْثُ عَنْ وُجُودِهَا وَالْإِسْتِدْلَالُ عَنْ تَكْوِينِهَا  
 فَقَدْ كَفَيْتَاكَ بِمَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْكَ مِنَ الْإِكْبِيرِ وَأَمَّا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَكُونُ فَإِنَّمَا يُرِيدُونَ  
 بِذَلِكَ الْبَحْثَ عَنِ الْحَجَرِ الَّذِي يُمَكِّنُهُ الْعَمَلُ وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُوْجُودًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
 بِالْقُوَّةِ لِأَنَّهَا مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَزْبَعِ مِنْهَا تَرَكَّبَتْ أَبْتِدَاءً وَإِلَيْهَا تَرْجِعُ أَنْتِهَاءً وَلَكِنْ مِنْ  
 الْأَشْيَاءِ مَا يَكُونُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَلَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ وَذَلِكَ أَنَّ مِنْهَا مَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلًا تُعَالَجُ  
 وَتُدَبَّرُ وَهِيَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَالَّتِي لَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلًا لَا تُعَالَجُ وَلَا  
 تُدَبَّرُ لِأَنَّهَا فِيهَا بِالْقُوَّةِ فَقَطْ وَإِنَّمَا لَمْ يُمَكِّنْ تَفْصِيلًا لِاسْتِغْرَاقِ بَعْضِ طَبَائِعِهَا فِي بَعْضٍ  
 وَفَضْلُ قُوَّةِ الْكَبِيرِ مِنْهَا عَلَى الصَّغِيرِ فَيَنْبَغِي لَكَ وَفَقَّكَ اللَّهُ أَنْ تَعْرِفَ أَوْفَقَ الْأَجْجَارِ  
 الْمُنْفَصِلَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ فِيهَا الْعَمَلُ وَجِنْسُهُ وَقُوَّتُهُ وَعَمَلُهُ وَمَا يُدَبَّرُ مِنَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ

وَالْتَقْيَةِ وَالتَّكْلِيسِ وَالتَّنْشِيفِ وَالتَّقْلِيلِ فَإِنْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذِهِ الْأُصُولَ الَّتِي هِيَ  
عِمَادُ هَذِهِ الصَّنْعَةِ لَمْ يَنْجَحْ وَلَمْ يَظْفَرْ بِخَيْرٍ أَبَدًا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ  
يُسْتَعَانَ عَلَيْهِ بغيره أَوْ يُكْتَفَى بِهِ وَحْدَهُ وَهَلْ هُوَ وَاحِدٌ فِي الْإِبْدَاءِ أَوْ شَارَكَهُ غَيْرُهُ  
فَصَارَ فِي التَّدْبِيرِ وَاحِدًا قُسْمِي حَجَرًا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ عَمَلِهِ وَكَمِّيَّةَ أَوْزَانِهِ  
وَأَزْمَانِهِ وَكَيْفَ تَرْكِبُ الرُّوحِ فِيهِ وَإِدْخَالَ النَّفْسِ عَلَيْهِ وَهَلْ يَقْدِرُ النَّارُ عَلَى تَفْصِيلِهَا  
مِنْهُ بَعْدَ تَرْكِيبِهَا فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلَايَ عِلَّةٌ وَمَا السَّبَبُ الْمَوْجِبُ لِذَلِكَ فَإِنْ هَذَا هُوَ  
الْمَطْلُوبُ فَأَفْهَمْ وَأَعْلَمْ أَنَّ الْفَلَاسِفَةَ كُلَّهَا مَدَحَتِ النَّفْسَ وَزَعَمَتِ أَنَّهَا الْمُدَبِّرَةُ لِلْجَسَدِ  
وَالْحَامِلَةُ لَهُ وَالِدَافِعَةُ عَنْهُ وَالْفَاعِلَةُ فِيهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَسَدَ إِذَا خَرَجَتِ النَّفْسُ مِنْهُ مَاتَ  
وَبَرَدَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالِامْتِنَاعِ مِنْ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا نُورَ وَإِنَّمَا  
ذَكَرَتْ الْجَسَدَ وَالنَّفْسَ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ شَبِيهَةٌ بِجَسَدِ الْإِنْسَانِ الَّذِي تَرْكِيبُهُ عَلَى  
الْغِذَاءِ وَالْعِشَاءِ وَفَوَامِهِ وَتَمَامِهِ بِالنَّفْسِ الْحَيَّةِ النُّورَانِيَّةِ الَّتِي بِهَا يَفْعَلُ الْعِظَائِمُ وَالْأَشْيَاءُ  
الْمُتَقَابِلَةُ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهَا بِالْقُوَّةِ الْحَيَّةِ الَّتِي فِيهَا وَإِنَّمَا أَفْعَلُ الْإِنْسَانُ لِاخْتِلَافِ  
تَرْكِيبِ طَبَائِعِهِ وَلَوْ اتَّفَقَتْ طَبَائِعُهُ لَسَلِمَتْ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالتَّضَادِّ وَلَمْ يَقْدِرِ النَّفْسُ عَلَى  
الْخُرُوجِ مِنْ بَدَنِهِ وَلَكِنْ خَالِدًا بَاقِيًا فَسُبْحَانَ مُدَبِّرِ الْأَشْيَاءِ تَعَالَى . وَأَعْلَمْ أَنَّ الطَّبَائِعَ  
الَّتِي يَخْدُثُ عَنْهَا هَذَا الْعَمَلُ كَيْفِيَّةٌ دَافِعَةٌ فِي الْإِبْدَاءِ فَيُضَيِّعُ مُحْتَاجَةً إِلَى الْإِنْتِهَاءِ وَلَيْسَ  
لَهَا إِذَا صَارَتْ فِي هَذَا الْحَدِّ أَنْ تَسْتَحِيلَ إِلَى مَا مِنْهُ تَرَكَّبَتْ كَمَا قُلْنَا هُنَا فِي الْإِنْسَانِ  
لِأَنَّ طَبَائِعَ هَذَا الْجَوْهَرِ قَدْ لَزِمَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَصَارَتْ شَيْئًا وَاحِدًا شَبِيهًا بِالنَّفْسِ فِي قُوَّتِهَا  
وَفِعْلِهَا وَبِالْجَسَدِ فِي تَرْكِيبِهِ وَمَجَسَّتِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ طَبَائِعَ مُفْرَدَةً بِأَعْيَانِهَا فَيَا عَجَبًا مِنْ  
أَفَاعِيلِ الطَّبَائِعِ إِنَّ الْقُوَّةَ لِلضَّعِيفِ الَّذِي يَقْوَى عَلَى تَفْصِيلِ الْأَشْيَاءِ وَتَرْكِيبِهَا وَتَمَامِهَا  
فَلِذَلِكَ قُلْتُ قَوِيٌّ وَضَعِيفٌ وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّغْيِيرُ وَالْفَنَاءُ فِي التَّرْكِيبِ الْأَوَّلِ لِلِاخْتِلَافِ  
وَعَدَمِ ذَلِكَ فِي الثَّانِي لِلِاتِّفَاقِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأَوَّلِينَ التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا  
الْعَمَلِ حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ وَالتَّرْكِيبُ مَوْتُ وَفَنَاءٌ وَهَذَا الْكَلَامُ دَقِيقُ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْحَكِيمَ  
أَرَادَ بِقَوْلِهِ حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ خُرُوجَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ لِأَنَّهُ مَا دَامَ عَلَى تَرْكِيبِهِ الْأَوَّلِ  
فَهُوَ فَإِنْ لَا مُحَالَةَ فَإِذَا رُكِبَ التَّرْكِيبُ الثَّانِي عَدِمَ الْفَنَاءُ وَالتَّرْكِيبُ الثَّانِي لَا يَكُونُ إِلَّا  
بَعْدَ التَّفْصِيلِ وَالتَّقْطِيعِ فَإِذَا التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا الْعَمَلِ خَاصَّةٌ فَإِذَا بَقِيَ الْجَسَدُ



الْمَحْلُولُ أَنْبَسَ فِيهِ لِعَدَمِ الصُّورَةِ لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي الْجَسَدِ بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ الَّتِي لَا صُورَةَ  
 لَهَا وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَزْنَ لَهُ فِيهِ وَسَتَرَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ  
 أَنَّ اخْتِلَاطَ اللَّطِيفِ بِاللَّطِيفِ أَهْوَنُ مِنْ اخْتِلَاطِ الْغَلِيظِ بِالْغَلِيظِ وَإِنَّمَا أُريدَ بِذَلِكَ  
 التَّشَاكُلُ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ تَتَّصِلُ بِأَشْكَالِهَا وَذَكَرْتُ لَكَ ذَلِكَ  
 لِتَعْلَمَ أَنَّ الْعَمَلَ أَوْفَقَ وَأَيَسَرُّ مِنَ الطَّبَائِعِ اللَّطَائِفِ الرُّوحَانِيَّةِ مِنْهَا مِنَ الْغَلِيظَةِ الْجِسْمَانِيَّةِ  
 وَقَدْ يُتَوَوَّرُ فِي الْعَقْلِ أَنَّ الْأَحْجَارَ أَقْوَى وَأَصْبَرَ عَلَى النَّارِ مِنَ الْأَرْوَاحِ كَمَا تَرَى  
 الذَّهَبَ وَالْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ أَصْبَرَ عَلَى النَّارِ مِنَ الْكِبْرِيتِ وَالزُّبُقِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَرْوَاحِ  
 فَأَقُولُ إِنَّ الْأَجْسَادَ قَدْ كَانَتْ أَرْوَاحًا فِي بَدَنِهَا فَلَمَّا أَصَابَهَا حَرُّ الْكَيَانِ قَلَبَهَا أَجْسَادًا  
 لَزِجَةً غَلِيظَةً فَلَمْ تَقْدِرِ النَّارُ عَلَى أَكْلِهَا لِإِفْرَاطِ غَلِيظَتِهَا وَتَلَزُّجِهَا فَإِذَا أَفْرِطَتِ النَّارُ  
 عَلَيْهَا صَيَّرَتْهَا أَرْوَاحًا كَمَا كَانَتْ أَوَّلَ خَلْقِهَا وَإِنَّ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ اللَّطِيفَةَ إِذَا أَصَابَتْهَا  
 النَّارُ أَبْقَتْ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الْبَقَاءِ عَلَيْهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا صَيَّرَ الْأَجْسَادَ فِي هَذِهِ  
 الْحَالَةِ وَصَيَّرَ الْأَرْوَاحَ فِي هَذَا الْحَالِ فَهُوَ أَجَلٌ مَا تَعْرِفُهُ أَقُولُ إِنَّمَا أَبْقَتْ تِلْكَ الْأَرْوَاحُ  
 لِأَشْتِعَالِهَا وَلَطَافَتِهَا وَإِنَّمَا أَشْتَعَلَتْ لِكثَرَةِ رُدُوبَتِهَا وَلِأَنَّ النَّارَ إِذَا أَحْسَتْ بِالرُّطُوبَةِ  
 تَعَلَّقَتْ بِهَا لِأَنَّهَا هَوَائِيَّةٌ تُشَاكِلُ النَّارَ وَلَا تَزَالُ تَعْتَدِي بِهَا إِلَى أَنْ تَقْنَى وَكَذَلِكَ  
 الْأَجْسَادُ إِذَا أَحْسَتْ بِوُصُولِ النَّارِ إِلَيْهَا لِقِلَّةِ تَلَزُّجِهَا وَغَلِيظَتِهَا وَإِنَّمَا صَارَتْ تِلْكَ الْأَجْسَادُ  
 لَا تَشْتَعِلُ لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ أَرْضٍ وَمَاءٍ صَابِرٍ عَلَى النَّارِ فَلَطِيفُهُ مُتَّحِدٌ بِكَشِفِهِ لَطُولِ  
 الطَّبَخِ اللَّيْنِ الْمَارِجِ لِلْأَشْيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مُتَلَاشٍ إِنَّمَا يَتَلَاشَى بِالنَّارِ لِمُفَارَقَةِ  
 لَطِيفِهِ مِنْ كَشِفِهِ وَدُخُولِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ عَلَى غَيْرِ التَّحْلِيلِ وَالْمُوَافَقَةِ فَصَارَ ذَلِكَ  
 الْأَنْضِمَامُ وَالْتِدَاخُلُ مُجَاوِرَةً لَا مُعَارَاجَةً فَسَهِّلَ بِذَلِكَ أَفْتِرَاقَهُمَا كَالْمَاءِ وَالزَّيْتِ وَمَا  
 أَشَبَّهُهُمَا وَإِنَّمَا وَصَفْتُ ذَلِكَ لِتَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى تَرْكِيبِ الطَّبَائِعِ وَتَقَابُلِهَا فَإِذَا عَلِمْتَ  
 ذَلِكَ عَلِمْتَ شَافِيًا فَقَدْ أَخَذْتَ حَظَّكَ مِنْهَا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَخْلَاطَ الَّتِي هِيَ  
 طَبَائِعُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُوَافِقَةٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ مُفَصَّلَةٌ مِنْ جَوْهَرٍ وَاحِدٍ يُجَمَّعُهَا نِظَامٌ وَاحِدٌ  
 يَتَدَبَّرُ وَاحِدٌ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ غَرِيبٌ فِي الْجُزْءِ مِنْهُ وَلَا فِي الْكُلِّ كَمَا قَالَ الْفِيلَسُوفُ  
 إِنَّكَ إِذَا أَحْكَمْتَ تَدَبِيرَ الطَّبَائِعِ وَتَأَلَّفَهَا وَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا غَرِيبًا فَقَدْ أَحْكَمْتَ مَا  
 أَرَدْتَ إِحْكَامَهُ وَقَوَّامَهُ إِذِ الطَّبِيعَةُ وَاحِدَةٌ لَا غَرِيبَ فِيهَا فَمَنْ أَدْخَلَ عَلَيْهَا غَرِيبًا

فَقَدْ زَاغَ عَنْهَا وَوَقَعَ فِي الْخَطَا . وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ إِذَا حَلَّ لَهَا جَسَدٌ مِنْ قَرَائِنِهَا  
عَلَى مَا يَنْبَغِي فِي الْحَلِّ حَتَّى يُشَاكِلَهَا فِي الرِّقَّةِ وَاللَّطَافَةِ انْتَبَسَطَتْ فِيهِ وَجَرَتْ مَعَهُ حَيْثُمَا  
جَرَى لِأَنَّ الْأَجْسَادَ مَا دَامَتْ غَلِيظَةً جَافِيَةً لَا تَنْبَسِطُ وَلَا تَتَزَاوَجُ وَحَلُّ الْأَجْسَادِ لَا يَكُونُ  
بِغَيْرِ الْأَرْوَاحِ فَأَفْهَمَ هَذَاكَ اللَّهُ هَذَا الْقَوْلَ وَأَعْلَمَ هَذَاكَ اللَّهُ أَنَّ هَذَا الْحَلَّ فِي جَسَدِ الْحَيَوَانِ  
هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَضْمَحِلُّ وَلَا يَنْقُصُ وَهُوَ الَّذِي يَقْلِبُ الطَّبَائِعَ وَيُمْسِكُهَا وَيُظْهِرُ لَهَا  
الْوَانَا وَأَزْهَارًا عَجِيبَةً وَلَيْسَ كُلُّ جَسَدٍ يَحِلُّ خِلَافَ هَذَا هُوَ الْحَلُّ التَّامُّ لِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِلْحَيَاةِ  
وَإِنَّمَا حَالُهُ بِمَا يُوَافِقُهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ حَرَقُ النَّارِ حَتَّى يَزُولَ عَنِ الْغَلِظِ وَتَنْقَلِبَ الطَّبَائِعُ  
عَنْ حَالَتِهَا إِلَى مَا لَهَا أَنْ تَنْقَلِبَ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالْغَلِظِ فَإِذَا بَلَغَتْ الْأَجْسَادُ نِهَائَتَهَا مِنْ  
التَّحْلِيلِ وَالتَّلْطِيفِ ظَهَرَتْ لَهَا هُنَاكَ قُوَّةُ تُمْسِكُ وَتَغُوصُ وَتَقْلِبُ وَتَنْفِذُ وَكُلُّ  
عَمَلٍ لَا يُرَى لَهُ مُصَدِّقٌ فِي أَوَّلِهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبَارِدَ مِنَ الطَّبَائِعِ  
هُوَ يَبْسُ الْأَشْيَاءَ وَيَعْقِدُ رُطُوبَتَهَا وَالْحَارُّ مِنْهَا يُظْهِرُ رُطُوبَتَهَا وَيَعْقِدُ يَبْسَهَا وَإِنَّمَا أَفْرَدْتُ  
الْحَرَّ وَالْبَرْدَ لِأَنَّهُمَا فَاعِلَانِ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيَبْسُ مُنْفَعِلَانِ وَعَلَى أَنْفَعَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
لصَاحِبِهِ تَحْدُثُ الْأَجْسَامُ وَتَكُونُ وَإِنْ كَانَ الْحَرُّ أَكْثَرَ فَعِلًا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَرْدِ لِأَنَّ  
الْبَرْدَ لَيْسَ لَهُ نَقْلُ الْأَشْيَاءِ وَلَا تَحْوُكُهَا وَالْحَرُّ هُوَ عِلَّةُ الْحَرَكَةِ وَمَتَى ضَعُفَتْ عِلَّةُ الْكَوْنِ  
وَهُوَ الْحَرَارَةُ لَمْ يَتِمَّ مِنْهَا شَيْءٌ أَبَدًا كَمَا أَنَّ إِذَا أَفْرِطْتَ الْحَرَارَةَ عَلَى شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ  
ثَمَّ بَرْدٌ أَحْرَقَتْهُ وَأَهْلَكَتْهُ فَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْعِلَّةِ أَحْتِجُ إِلَى الْبَارِدِ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ  
لِيَقْوَى بِهِ كُلُّ ضِدٍّ عَلَى ضِدِّهِ وَيُدْفَعُ عَنْهُ حَرُّ النَّارِ وَلَمْ يَحْذَرِ الْفَلَاسِفَةُ أَكْبَرَ شَيْءٍ إِلَّا  
مِنَ النَّيِّرَانِ الْمُحْرِقَةِ وَأَمَرَتْ بِتَطْهِيرِ الطَّبَائِعِ وَالْإِنْفَاسِ وَإِخْرَاجِ دَنَسِهَا وَرُطُوبَتِهَا  
وَنَفْيِ آفَاتِهَا وَأَوْسَاطِهَا عَنْهَا عَلَى ذَلِكَ اسْتِقَامَ رَأْيُهُمْ وَتَنْدَبِيرُهُمْ فَإِنَّمَا عَمَلُهُمْ إِنَّمَا هُوَ  
مَعَ النَّارِ أَوَّلًا وَإِلَيْهَا يَصِيرُ آخِرًا فَلِذَلِكَ قَالُوا يَا كُمْ وَالنَّيِّرَانِ الْمُحْرِقَاتِ وَإِنَّمَا أَرَادُوا  
بِذَلِكَ نَفْيَ الْآفَاتِ الَّتِي مَعَهَا فَتَجْمَعُ عَلَى الْجَسَدِ أَفْتِنٌ فَتَكُونُ أَمْرَعُ لِهَلَاكِهِ وَكَذَلِكَ  
كُلُّ شَيْءٍ إِنَّمَا بِتَلَاشِيهِ وَيَفْسُدُ مِنْ ذَاتِهِ لِضَادِّ طَبَائِعِهِ وَاخْتِلَافِهِ فَيَتَوَسَّطُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ  
فَلَمْ يَجِدْ مَا يَقْوِيهِ وَيُعِينُهُ إِلَّا قَهْرَتُهُ الْآلِفَةُ وَأَهْلَكَتْهُ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْحُكْمَاءَ كُلَّهُمْ ذَكَرَتْ  
تَرْدَادَ الْأَرْوَاحِ عَلَى الْأَجْسَادِ مَرَارًا لِيَكُونَ الزَّمُّ إِلَيْهَا وَأَقْوَى عَلَى قِتَالِ النَّارِ إِذَا هِيَ  
بَاشَرَتْهَا عِنْدَ الْإِلَافَةِ أَعْنِي بِذَلِكَ النَّارَ الْعُنْصُرِيَّةَ فَأَعْلَمَهُ . وَلِنَقْلِ الْآنَ عَلَى الْحَجَرِ الَّذِي



يُمْكِنُ مِنْهُ الْعَمَلُ عَلَى مَا ذَكَرْتَهُ الْفَلَّاحَةُ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي  
الْحَيَوَانَ وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي النَّبَاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي الدَّعَادِنِ وَمِنْهُمْ مَنْ  
زَعَمَ أَنَّهُ فِي الْجَمِيعِ وَهَذِهِ الدَّعَاوِي لَيْسَتْ بِأَحَاجَةٍ إِلَى اسْتِقْصَائِهَا وَمُنَاطَرَةِ أَهْلِهَا عَلَيْهَا  
لَأَنَّ الْكَلَامَ يَطُولُ جِدًّا وَقَدْ قُلْتُ فِيمَا تَقَدَّمَ أَنَّ الْعَمَلَ يَكُونُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالْقُوَّةِ  
لَأَنَّ الطَّبَائِعَ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ كَذَلِكَ فَتُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ  
الْعَمَلُ بِالْقُوَّةِ وَالْفِعْلِ فَتَقْصِدُ إِلَى مَا قَالَهُ الْحَرَّانِيُّ إِنَّ الصَّبْغَ كَلَّةٌ أَحَدُ صَبْغَيْنِ إِمَّا  
صَبْغُ جَسَدٍ كَالزَّعْفَرَانِ فِي الثُّوبِ الْآيِضُ حَتَّى يَحُولَ فِيهِ وَهُوَ مُضْجَعٌ مُنْقَضُ التَّرَكِيبِ  
وَالصَّبْغُ الثَّانِي تَقْلِيبُ الْجَوْهَرِ مِنْ جَوْهَرٍ نَفْسِهِ إِلَى جَوْهَرٍ غَيْرِهِ وَلَوْنُهُ كَتَقْلِيبِ  
الشَّجَرِ بِلِ التُّرَابِ إِلَى نَفْسِهِ وَقَلْبِ الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ إِلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَصِيرَ التُّرَابُ نَبَاتًا  
وَالنَّبَاتُ حَيَوَانًا وَلَا يَكُونُ إِلَّا بِالرُّوحِ الْحَيِّ وَالْكَيَانَ الْفَاعِلِ الَّذِي لَهُ تَوَلِيدُ  
الْأَجْرَامِ وَقَلْبُ الْأَعْيَانِ فَإِذَا كَانَ هَذَا دِكْكَذَا فنَقُولُ إِنَّ الْعَمَلَ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ إِمَّا  
فِي الْحَيَوَانَ وَإِمَّا فِي النَّبَاتِ وَبُرْهَانُ ذَلِكَ أَنَّهُمَا مَطْبُوعَانِ عَلَى الْغِذَاءِ وَبِهِ قَوَامُهُمَا  
وَتَمَامُهُمَا فَأَمَّا النَّبَاتُ فَلَيْسَ فِيهِ مَا فِي الْحَيَوَانَ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالْقُوَّةِ وَلِذَلِكَ قَلَّ خَوْضُ  
الْحُكَمَاءِ فِيهِ وَأَمَّا الْحَيَوَانَ فَهُوَ آخَرُ الْأَسْتَحَالَاتِ الثَّلَاثِ وَنَهَائَتُهَا ذَلِكَ أَنَّ الْمَعْدِنَ  
يَسْتَحِيلُ نَبَاتًا وَالنَّبَاتُ يَسْتَحِيلُ حَيَوَانًا وَالْحَيَوَانَ لَا يَسْتَحِيلُ إِلَى شَيْءٍ هُوَ أَلْطَفُ مِنْهُ  
إِلَّا أَنْ يَتَعَكَّسَ رَاجِعًا إِلَى الْغَلْظِ وَأَنَّهُ أَيْضًا لَا يُوجَدُ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ تَتَعَلَّقُ فِيهِ الرُّوحُ  
الْحَيَّةُ غَيْرُهُ وَالرُّوحُ أَلْطَفُ مَا فِي الْعَالَمِ وَلَمْ تَتَعَلَّقِ الرُّوحُ بِالْحَيَوَانَ إِلَّا بِمُهَاكَلَتِهِ  
إِيَّاهَا فَأَمَّا الرُّوحُ الَّتِي فِي النَّبَاتِ فَإِنَّهَا بِسِيرَةٍ فِيهَا غَلْظٌ وَكَثَافَةٌ وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَغْرِقَةٌ  
كَامَنَةٌ فِيهِ لَغَاطِهَا وَغَلْظُ جَسَدِ النَّبَاتِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَرَكَةِ لَغَاطِهَا وَغَلْظُ رُوحِهِ وَالرُّوحُ  
الْمُتَحَرِّكَةُ أَلْطَفُ مِنَ الرُّوحِ الْكَامِنَةِ كَثِيرًا وَذَلِكَ أَنَّ الْمُتَحَرِّكَةَ لَهَا قَبُولُ الْغِذَاءِ  
وَالنَّاقِلِ وَالنَّفْسِ وَلَيْسَ لِلْكَامِنَةِ غَيْرُ قَبُولِ الْغِذَاءِ وَحَدَّةٍ وَلَا تَجَرِّي إِذَا قِيسَتْ بِالرُّوحِ  
الْحَيَّةِ إِلَّا كَالْأَرْضِ عِنْدَ الْمَاءِ كَذَلِكَ النَّبَاتُ عِنْدَ الْحَيَوَانَ فَالْعَمَلُ فِي الْحَيَوَانَ أَعْلَى  
وَأَرْفَعُ وَأَهْوَنُ وَأَيْسَرُ فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِذَا عَرَفَ ذَلِكَ أَنْ يُجَرِّبَ مَا كَانَ سَهْلًا وَيَتْرَكَ مَا  
يَخْشَى فِيهِ عَسِيرًا. وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَيَوَانَ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ يَنْقَسِمُ أَفْسَاسًا مِنَ الْأُمُيَّاتِ الَّتِي  
هِيَ الطَّبَائِعُ وَالْحَدِيثَةُ الَّتِي هِيَ الْمَوَالِيدُ وَهَذَا مَعْرُوفٌ مُتَبَسِّرُ الْفَهْمِ فَلِذَلِكَ قَسَمَتْ

الْحُكْمَاءُ الْعَنَاصِرَ وَالْمَوَالِيدَ أَقْسَامًا حَيَّةً وَأَقْسَامًا مَيِّتَةً فَجَعَلُوا كُلَّ مُنْخَرَكٍ فَارِدًا  
 حَيًّا وَكُلَّ سَاكِنٍ مَفْعُولًا مَيِّتًا وَقَسَمُوا ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَفِي الْأَجْسَادِ الدَّائِمَةِ  
 وَفِي الْعَقَاقِيرِ الْمَعْدِنِيَّةِ فَسَمَوْا كُلَّ شَيْءٍ يَذُوبُ فِي النَّارِ وَيَطِيرُ وَيَشْتَعِلُ حَيًّا وَمَا كَانَ  
 عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ سَمَوْهُ مَيِّتًا فَأَمَّا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ فَسَمَوْا كُلَّ مَا انفصلَ مِنْهَا طَبَائِعُ أَرْبَعًا  
 حَيًّا وَمَا لَمْ يَنْفَصِلْ سَمَوْهُ مَيِّتًا ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوا جَمِيعَ الْأَقْسَامِ الْحَيَّةِ فَلَمْ يَجِدُوا لَوْفَقِ هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ مِمَّا يَنْفَصِلُ فُضُولًا أَرْبَعَةً ظَاهِرَةً لِلْعَيَانِ وَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ الْحَجَرِ الَّذِي فِي  
 الْحَيَوَانِ فَبَحَثُوا عَنْ جَنْسِهِ حَتَّى عَرَفُوهُ وَأَخَذُوهُ وَدَبَّرُوهُ فَتَكَيَّفَ لَهُمْ مِنْهُ الَّذِي أَرَادُوا  
 وَقَدْ يَتَكَيَّفُ مِثْلُ هَذَا فِي الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ بَعْدَ جَمْعِ الْعَقَاقِيرِ وَخَلْطِهَا ثُمَّ تَفَصَّلَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ فَأَمَّا النَّبَاتُ فَمِنْهُ مَا يَنْفَصِلُ بَعْضُ هَذِهِ الْفُضُولِ مِثْلُ الْأَشْنَانِ وَأَمَّا الْمَعَادِنُ فَفِيهَا  
 أَجْسَادٌ وَأَرْوَاحٌ وَأَنْفَاسٌ إِذَا مَرَجَتْ وَدَبَّرَتْ كَانَ مِنْهَا مَا لَهُ تَأْثِيرٌ وَقَدْ دَبَّرْنَا كُلَّ  
 ذَلِكَ فَكَانَ الْحَيَوَانُ مِنْهَا أَعْلَى وَأَرْفَعَ وَتَدْبِيرُهُ أَسْهَلُ وَأَيْسَرُ فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا هُوَ  
 الْحَجَرُ الْمَوْجُودُ فِي الْحَيَوَانِ وَطَرِيقَ وَجُرْدِهِ إِنَّا بَيْنَا أَنْ الْحَيَوَانُ أَرْفَعَ الْمَوَالِيدِ وَكَذَا  
 مَا تَرَكَّبَ مِنْهُ فَهُوَ أَلْطَفُ مِنْهُ كَالنَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ وَإِنَّمَا كَانَ النَّبَاتُ أَلْطَفَ مِنَ الْأَرْضِ  
 لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جَوْهَرِهِ الصَّافِي وَجَسَدِهِ اللَّطِيفِ فَوَجَبَ لَهُ بِذَلِكَ اللَّطَافَةُ وَالرِّقَّةُ وَكَذَا  
 هَذَا الْحَجَرُ الْحَيَوَانِيُّ بِمَنْزِلَةِ النَّبَاتِ فِي التُّرَابِ وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَيَوَانِ شَيْءٌ  
 يَنْفَصِلُ طَبَائِعُ أَرْبَعًا غَيْرُهُ فَأَفْهَمَ هَذَا الْقَوْلُ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُخْفَى إِلَّا عَلَى جَاهِلٍ بَيْنَ الْجَاهِلَةِ  
 وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَقَدْ أَخْبَرْتُكَ مَا هِيَ هَذَا الْحَجَرُ وَأَعْلَمْتُكَ جَنْسَهُ وَأَنَا أَبِينُ لَكَ  
 وَجُوهَ تَدْبِيرِهِ حَتَّى يَكْمُلَ الَّذِي شَرَطْنَاهُ عَلَى أَنْفُسِنَا مِنَ الْإِنْصَافِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ  
 (التدبير على بركة الله) خُذِ الْحَجَرَ الْكَرِيمَ فَأَوْدِعْهُ الْقُرْعَةَ وَالْإِنْبِيقَ وَفَصِّلْ  
 طَبَائِعَهُ الْأَرْبَعَ الَّتِي هِيَ النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَهِيَ الْجَسَدُ وَالصَّبْغُ فَإِذَا عَزَلْتَ  
 الْمَاءَ عَنِ التُّرَابِ وَالْهَوَاءَ عَنِ النَّارِ فَارْفَعْ كُلَّ وَاحِدٍ فِي إِنَائِهِ عَلَى حِدَةٍ وَخُذِ الْهَابِطَ  
 أَسْفَلَ الْإِنَاءِ وَهُوَ الثَّقُلُ فَأَغْسِلْهُ بِالنَّارِ الْحَارَّةِ حَتَّى تَذْهَبَ النَّارُ عَنْهُ سَوَادُهُ وَيَزُولَ  
 غَلْظُهُ وَجَنَائِدُهُ وَيَبْيَضُّ مَحْضًا مَحْكَمًا وَطَيَّرَ عَنْهُ فَضُولَ الرُّطُوبَاتِ الْمُسْتَحْجَةِ فِيهِ فَإِنَّهُ  
 يَصِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ مَاءً أَيْضًا لَا ظُلْمَةَ فِيهِ وَلَا وَسَخَ وَلَا تَضَادَّ ثُمَّ اعْمُدْ إِلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ  
 الْأُولَى الصَّنَاعَةِ مِنْهُ فَطَيِّرْهَا أَيْضًا مِنَ السَّوَادِ وَالتَّضَادِّ وَكَرِّرْ عَلَيْهَا الْغَسْلَ وَالتَّصْفِيدَ



حَتَّى تَلْتَبِتَ وَتَرَقَّ وَتَصْفُو فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَأَبْدَأَ بِالْتَّرَكِيبِ الَّذِي  
 عَلَيْهِ مَدَارُ الْعَمَلِ وَذَلِكَ أَنَّ التَّرَكِيبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّزْوِيجِ وَالتَّعْنِينِ فَأَمَّا التَّزْوِيجُ  
 فَهُوَ اخْتِلَاطُ اللَّطِيفِ بِالْعَلِيظِ وَأَمَّا التَّعْنِينُ فَهُوَ التَّمَشُّيَةُ وَالسَّخْقُ حَتَّى يَخْتَلِطَ بَعْضُهُ  
 بِبَعْضٍ وَيَصِيرَ شَيْئًا وَاحِدًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا تَقْصَانَ بِمَنْزِلَةِ الْأَمْتِزَاجِ بِالْمَاءِ فَعِنْدَ  
 ذَلِكَ يَقْوَى الْعَلِيظُ عَلَى إِمْسَاكِ اللَّطِيفِ وَتَقْوَى النَّفْسُ عَلَى الْغَوْصِ فِي الْأَجْسَادِ وَالذَّيْبِ  
 فِيهَا وَإِنَّمَا وَجِدَ ذَلِكَ بَعْدَ التَّرَكِيبِ لِأَنَّ الْجَسَدَ الْمُحْلُولَ لَمَّا أَرَادَ وَجَّ بِالرُّوحِ مَازِجَهُ  
 بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ وَدَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ لِنَشَاكِلِهَا فَصَارَ شَيْئًا وَاحِدًا وَوَجَبَ مِنْ ذَلِكَ  
 أَنْ يَغْرُضَ لِلرُّوحِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ وَالْبَقَاءِ وَالثَّبُوتِ وَمَا يَغْرُضُ لِلْجَسَدِ لِمَوْضِعِ  
 الْأَمْتِزَاجِ وَكَذَلِكَ النَّفْسُ إِذَا أَمْتَزَجَتْ بِهِمَا وَدَخَلَتْ فِيهِمَا بِخِدْمَةِ التَّدْبِيرِ اخْتَلَطَتْ  
 أَجْزَاؤُهَا بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ الْآخَرِينَ أَعْنَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَصَارَتْ هِيَ وَهُمَا شَيْئًا وَاحِدًا  
 لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ الْجُزْءِ الْكُلِّيِّ الَّذِي سَلِمَتْ طَبَائِعُهُ وَاتَّفَقَتْ أَجْزَاؤُهُ فَإِذَا  
 أُلْقِيَ هَذَا الْمَرْكَبُ الْجَسَدُ الْمُحْلُولُ وَالْحَمْلُ عَلَيْهِ النَّارَ وَأَظْهَرَ مَا فِيهِ مِنَ الرُّطُوبَةِ عَلَى وَجْهِهِ  
 ذَابَ فِي الْجَسَدِ الْمُحْلُولِ وَمِنْ شَأْنِ الرُّطُوبَةِ الْإِشْتِعَالُ وَتَعَلَّقَ النَّارُ بِهَا فَإِذَا أَرَادَتْ  
 النَّارُ التَّعَلُّقَ بِهَا مَنَعَهَا مِنَ الْإِتِّحَادِ بِالنَّفْسِ مُمَازِجَةُ الْمَاءِ لَهَا فَإِنَّ النَّارَ لَا تَتَّحِدُ بِالذَّهْنِ  
 حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَكَذَلِكَ الْمَاءُ مِنْ شَأْنِهِ النُّفُورُ مِنَ النَّارِ فَإِذَا لَحَّتْ عَلَيْهِ النَّارُ وَأَرَادَتْ  
 تَطْيِيرَهُ حَبَسَهُ الْجَسَدُ الْيَاسُ الْمُمَازِجُ لَهُ فِي جَوْفِهِ فَمَنَعَهُ مِنَ الطَّيَرَانِ فَكَانَ الْجَسَدُ  
 عِلَّةً لِإِمْسَاكِ الْمَاءِ وَالْمَاءُ عِلَّةً لِبَقَاءِ الذَّهْنِ وَالذَّهْنُ عِلَّةٌ لِثَبَاتِ الصَّبْغِ وَالصَّبْغُ عِلَّةٌ  
 لظُهُورِ الذَّهْنِ وَإِظْهَارِ الدِّهْنِيَّةِ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُظْلِمَةِ الَّتِي لَا نُورَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ فِيهَا فَهَذَا  
 هُوَ الْجَسَدُ الْمُسْتَقِيمُ وَهَكَذَا يَكُونُ الْعَمَلُ وَهَذِهِ التَّصْفِيَةُ الَّتِي سَأَلْتُ عَنْهَا وَهِيَ الَّتِي  
 سَمَّيْتُهَا الْحُكْمَاءَ بَيَاضَةً وَإِيَّاهَا يَعْنُونَ لَا بَيَاضَةَ الدَّجَاجِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَاءَ لَمْ تُسَمَّ بِهَا  
 بِهَذَا الْأَسْمِ لِغَيْرِ مَعْنَى بَلْ أَشَبَّهْتُهَا وَلَقَدْ سَأَلْتُ مُسْلِمَةً عَنْ ذَلِكَ يَوْمًا وَلَيْسَ عِنْدَهُ غَيْرِي  
 فَقُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ أَخْبِرْنِي لِأَيِّ شَيْءٍ سَمَّيْتَ الْحُكْمَاءَ مُرَكَّبَ الْحَيَوَانَ  
 بَيَاضَةً اخْتِيَارًا مِنْهُمْ لِذَلِكَ أَمْ لِمَعْنَى دَعَاؤِهِ إِلَيْهِ فَقَالَ بَلْ لِمَعْنَى غَامِضٍ فَقُلْتُ أَيُّهَا  
 الْحَكِيمُ وَمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْمَنْفَعَةِ وَالْإِسْتِدْلَالِ عَلَى الصَّنَاعَةِ حَتَّى شَبَّهُوا  
 وَمَمَّوْهَا بَيَاضَةً فَقَالَ لِشَبَّهَهَا وَقَرَابَتِهَا مِنَ الْمَرْكَبِ فَفَكَرَ فِيهِ فَإِنَّهُ سَيُظْهِرُ لَكَ مَعْنَاهُ

فَبَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُذَكَّرًا لَا أَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَعْنَاهُ فَلَمَّا رَأَى مَا بِي مِنَ الْفِكْرِ  
وَأَنَّ نَفْسِي قَدْ مَضَتْ فِيهَا أَخَذَ بَعْضِي وَهَزَنِي هَزَةً خَفِيفَةً وَقَالَ لِي يَا أَبَا بَكْرٍ ذَلِكَ  
لِلنِّسْبَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا فِي كَمِّيَةِ الْأَلْوَانِ عِنْدَ امْتِزَاجِ الطَّبَائِعِ وَتَأْلِيفِهَا فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ انْجَلَّتْ  
عَنِّي الظُّلْمَةُ وَأَضَاءَ لِي نُورٌ قَلْبِي وَقَوِيَ عَقْلِي عَلَى فَهْمِهِ فَتَهَضُّتُ شَاكِرًا اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى  
مَنْزِلِي وَأَقَمْتُ عَلَى ذَلِكَ شَكْلًا هِنْدَسِيًّا يُبْرَهَنُ بِهِ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ مَسَامَةً وَأَنَا وَاضِعُهُ  
لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَرْكَبَ إِذَا تَمَّ وَكَمُلَ كَانَ نِسْبَةً مَا فِيهِ مِنْ  
طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ كَنِسْبَةِ مَا فِي الْمَرْكَبِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ إِلَى مَا فِي الْبَيْضَةِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ  
وَكَذَلِكَ الطَّبِيعَتَانِ الْأَخْرَيَانِ الْأَرْضُ وَالْمَاءُ فَأَقُولُ إِنَّ كُلَّ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ عَلَى هَذِهِ  
الْصِّفَةِ هُمَا مُتَشَابِهَانِ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنْ تَجْعَلَ لِسَطْحِ الْبَيْضَةِ هُزُوحٌ فَإِذَا أَرَدْنَا ذَلِكَ فَإِنَّا  
نَأْخُذُ أَقَلَّ طَبَائِعِ الْمَرْكَبِ وَهِيَ طَبِيعَةُ الْيُبُوسَةِ وَنُضِيفُ إِلَيْهَا مِثْلَهَا مِنْ طَبِيعَةِ الرُّطُوبَةِ  
وَنُدَبِّرُهُمَا حَتَّى تُنَشَفَ طَبِيعَةُ الْيُبُوسَةِ طَبِيعَةُ الرُّطُوبَةِ وَتُقْبَلَ قُوَّتُهَا وَكَأَنَّ فِي هَذَا  
الْكَلَامِ رَمْزًا وَلَكِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ثُمَّ تَحْمِلُ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا مِثْلَيْهِمَا مِنَ الرُّوحِ  
وَهُوَ الْمَاءُ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ سِتَّةَ أَمْثَالٍ ثُمَّ تَحْمِلُ عَلَى الْجَمِيعِ بَعْدَ التَّدْبِيرِ مِثْلًا مِنْ  
طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ الَّتِي هِيَ النَّفْسُ وَذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ تِسْعَةَ أَمْثَالِ الْيُبُوسَةِ  
بِالْقُوَّةِ وَتَجْعَلُ تَحْتَ كُلِّ ضَاعِعٍ مِنَ الْمَرْكَبِ الَّذِي طَبِيعَتُهُ تُحِيطُ بِسَطْحِ الْمَرْكَبِ  
طَبِيعَتَيْنِ فَتَجْعَلُ أَوَّلَ الضَّاعِعَيْنِ الْحَيِطَيْنِ بِسَطْحِهِ طَبِيعَةُ الْمَاءِ وَطَبِيعَةُ الْهَوَاءِ وَهُمَا ضَاعِعَا  
أَحَدٍ وَسَطْحُ الْبُحْرِ وَكَذَلِكَ الضَّاعِعَانِ الْحَيِطَانِ بِسَطْحِ الْبَيْضَةِ اللَّذَانِ هُمَا الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ  
ضِلْعَا هُزُوحٍ فَأَقُولُ إِنَّ سَطْحَ الْبُحْرِ يُشَبِّهُ سَطْحَ هُزُوحِ طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ الَّتِي تُسَمَّى نَفْسًا وَكَذَلِكَ  
يَجُوزُ مِنْ سَطْحِ الْمَرْكَبِ وَالْحُكْمَاءُ لَمْ تُسَمَّ شَيْئًا بِأَمِّ شَيْءٍ إِلَّا الشَّبَّاهُ بِهِ وَالْكَلِمَاتُ  
الَّتِي سَأَلْتُ عَنْ شَرْحِهَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ وَهِيَ الْمُنْعَقِدَةُ مِنَ الطَّبَائِعِ الْعُلَوِيَّةِ وَالسُّنَلِيَّةِ  
وَالنُّحَاسُ هُوَ الَّذِي أُخْرِجَ سَوَادُهُ وَقُطِعَ حَتَّى صَارَ هَبَاءً ثُمَّ حُمِرَ بِالزَّاجِ حَتَّى صَارَ  
نُحَاسِيًّا وَالْمَغْنِيسِيَّا حَجَرُهُمُ الَّذِي تَجَمُّدُ فِيهِ الْأَرْوَاحُ وَتُخْرِجُهُ الطَّبِيعَةُ الْعُلَوِيَّةُ الَّتِي  
تَسْتَجِنُ فِيهَا الْأَرْوَاحُ لِتُقَابَلَ عَلَيْهَا النَّارُ وَالْفَرْفَرَةُ لَوْنٌ أَحْمَرُ قَانَ يُحْدِثُهُ الْكَيَانُ  
وَالرَّصَاصُ حَجَرٌ لَهُ ثَلَاثُ قُوَى مُخْتَلِفَةٍ الشَّخُوصِ وَلَكِنَّهَا مُتَشَاكِلَةٌ وَمُتَجَانِسَةٌ  
فَالْوَحْدَةُ رُوحَانِيَّةٌ نَبْرَةٌ صَافِيَةٌ وَهِيَ الْفَاعِلَةُ وَالثَّانِيَةُ نَفْسَانِيَّةٌ وَهِيَ مُتَخَرِّكَةٌ حَسَابِيَّةٌ



غَيْرَ أَنَّهَا أَغْلَظُ مِنَ الْأُولَى وَمَرْكَزُهَا دُونَ مَرْكَزِ الْأُولَى وَالثَّالِثَةُ قُوَّةُ أَرْضِيَّةٍ  
 حَاسَّةٍ قَابِضَةٍ مُعَكِّسَةٍ إِلَى مَرْكَزِ الْأَرْضِ لِنَقْلِهَا وَهِيَ الْمَاسِكَةُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالنَّفْسَانِيَّةُ  
 جَمِيعًا وَالْمُحِيطَةُ بِهِمَا وَأَمَّا سَائِرُ الْبَاقِيَةِ فَمُبْتَدَعَةٌ وَخُفْرَةٌ إِبْسَاسًا عَلَى الْجَاهِلِ وَمَنْ  
 عَرَفَ الْمَقْدَمَاتِ اسْتَغْنَى عَنْ غَيْرِهَا . فَهَذَا جَمِيعُ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ  
 مُفَسِّرًا وَنَزَّاجُوتَ فَيَقِي اللَّهُ أَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَالسَّلَامُ أَنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ بَشْرُونَ وَهُوَ مِنْ  
 كِبَارِ تَلَامِيذِ مَسْلَمَةَ الْمَجْرِبُطِيِّ شَيْخِ الْأَنْدَلُسِ فِي عُلُومِ الْكِيمِيَاءِ وَالسِّيْمِيَاءِ  
 وَالتَّحَرَّى فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ وَمَا بَعْدَهُ وَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ صَرَفَ الْفَاضِلُ كُلَّهَا فِي الصَّنَاعَةِ  
 إِلَى الرَّمْزِ وَاللَّغْزِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَبِينُ وَلَا تُعْرَفُ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِصَّنَاعَةٍ  
 طَبِيعِيَّةٍ . وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ فِي أَمْرِ الْكِيمِيَاءِ وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَعْضُدُهُ الْوَارِقُ أَنَّهَا  
 مِنْ جِنْسِ آثَارِ النُّفُوسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَتَصَرُّفِهَا فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ إِمَّا مِنْ نَوْعِ الْكِرَامَةِ  
 إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ خَيْرَةً أَوْ مِنْ نَوْعِ السِّحْرِ إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ شَرِّيرَةً فَاجِرَةٌ فَأَمَّا  
 الْكِرَامَةُ فَظَاهِرَةٌ وَأَمَّا السِّحْرُ فَلَا السَّاحِرَ كَمَا ثَبَتَ فِي مَكَانٍ تَحْقِيقِهِ بِقَلْبِ الْأَعْيَانِ  
 الْمَادِيَّةِ بِقُوَّتِهِ السَّحَرِيَّةِ وَلَا يَدُلُّهُ مَعَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَادَّةٍ يَقَعُ فِعْلُهُ السِّحْرِيُّ فِيهَا  
 كَتَخْلِيْقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ مَادَّةِ التُّرَابِ أَوِ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ وَبِالْجُمْلَةِ مِنْ غَيْرِ  
 مَادِيَّتِهَا الْمَخْصُوصَةِ بِهَا كَمَا وَقَعَ لِسَحَرَةِ فِرْعَوْنَ فِي الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ وَكَمَا يُنْقَلُ عَنْ  
 سَحَرَةِ السُّودَانِ وَالْهُنُودِ فِي قَاصِيَةِ الْجَنُوبِ وَالتُّرْكِ فِي قَاصِيَةِ الشَّمَالِ أَنَّهُمْ يَسْحَرُونَ  
 الْجَوَّ الْأَمْطَارَ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ تَخْلِيْقًا لِلذَّهَبِ فِي غَيْرِ مَادِيَّتِهِ الْخَاصَّةِ بِهِ  
 كَانَ مِنْ قَبِيلِ السِّحْرِ وَالْمُتَكَلِّمُونَ فِيهِ مِنْ أَعْلَامِ الْحُكَمَاءِ مِثْلَ جَابِرٍ وَمَسْلَمَةَ  
 وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ حُكَمَاءِ الْأُمَمِ إِنَّمَا نَحْوَاهُ هَذَا الْمَنْحَى وَلِهَذَا كَانَ كَلَامُهُمْ فِيهِ  
 اللَّغْزًا حَذَرًا عَلَيْهَا مِنْ إِنْكَارِ الشَّرَائِعِ عَلَى السِّحْرِ وَأَنْوَاءِهِ لَا أَنَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى  
 الضَّنَانَةِ بِهَا كَمَا هُوَ رَأْيُ مَنْ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ وَانْظُرْ كَيْفَ سَمَّى مَسْلَمَةَ  
 كِتَابَهُ فِيهَا رُتْبَةَ الْحَكِيمِ وَسَمَّى كِتَابَهُ فِي السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ غَايَةَ الْحَكِيمِ إِشَارَةً  
 إِلَى عُمُومِ مَوْضُوعِ الْغَايَةِ وَخُصُوصِ مَوْضُوعِ هَذِهِ لِأَنَّ الْغَايَةَ أَعْلَى مِنَ الرُّتْبَةِ فَكَانَ  
 مَسَائِلَ الرُّتْبَةِ بَعْضُ مِنْ مَسَائِلِ الْغَايَةِ وَتُشَارِكُهَا فِي الْمَوْضُوعَاتِ وَمِنْ كَلَامِهِ فِي الْفَنَيْنِ  
 يَتَبَيَّنُ مَا قُلْنَاهُ وَنَحْنُ نَبِينُ فِيمَا بَعْدُ غَلَطَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ مَدَارِكَ هَذَا الْأَمْرِ بِالصَّنَاعَةِ

## الفصل الرابع والعشرون

في ابطال الفلسفة وفساد منتحتها

هَذَا الْفَصْلُ وَمَا بَعْدَهُ مِنْهُمْ لِأَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ عَارِضَةٌ فِي الْعُمُرَانِ كَثِيرَةٌ فِي الْمَدُنِ وَضَرَرُهَا فِي الدِّينِ كَثِيرٌ فَوَجِبَ أَنْ يُصَدَّعَ بِشَأْنِهَا وَيُكْشَفَ عَنِ الْمُعْتَقَدِ الْحَقِّ فِيهَا وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنْ عُقَلَاءِ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ زَعَمُوا أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ الْحَسِّيَّ مِنْهُ وَمَا وَرَاءَ الْحَسِّيِّ تَذَرِكُ أَذْوَانُهُمْ وَأَحْوَالُهُ بِأَسْبَابِهَا وَعِلَلِهَا بِالْأَنْظَارِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْأَقْيَسَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَأَنَّ تَصَحُّحَ الْعُقَائِدِ إِلَّا بِإِيمَانِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ الْأَنْظَارِ لِأَنَّ جِهَةَ السَّمْعِ فَإِنَّهَا بَعْضٌ مِنْ مَدَارِكِ الْعَقْلِ وَهَؤُلَاءِ يُسَمُّونَ فَلَاسِفَةً جَمَعَ فِيلَسُوفٍ وَهُوَ بِاللِّسَانِ الْيُونَانِيِّ نَحْبُ الْحِكْمَةِ فَيَحْتَشِرُونَ عَنْ ذَلِكَ وَشَمَرُوا لَهُ وَحَوَّموهُ عَلَى إِصَابَةِ الْغَرَضِ مِنْهُ وَوَضَعُوا قَانُونًا يَهْتَدِي بِهِ الْعَقْلُ فِي نَظَرِهِ إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَسَمَّوْهُ بِالْمَنْطِقِ وَحَصَلَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَنْظَرَ الَّذِي يَفِيدُ تَمْيِيزَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ إِنَّمَا هُوَ لِلذَّهْنِ فِي الْمَعَانِي الْمُنْتَزَعَةِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الشَّخْصِيَّةِ فَيَجْرَدُ مِنْهَا أَوَّلًا صُورٌ مُنْطَبِقَةٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ كَمَا يَنْطَبِقُ الطَّابِعُ عَلَى جَمِيعِ النُّقُوشِ الَّتِي تَرَسُّمُهَا فِي طِينٍ أَوْ شَمْعٍ وَهَذِهِ مُجَرَّدَةٌ مِنَ الْحَسُوسَاتِ تُسَمَّى الْمَعْقُولَاتِ الْأَوَائِلَ ثُمَّ تَجْرَدُ مِنْ تِلْكَ الْمَعَانِي الْكُلِّيَّةِ إِذَا كَانَتْ مُشْتَرَكَةً مَعَ مَعَانٍ أُخْرَى وَقَدْ تَمَيَّزَتْ عَنْهَا فِي الذَّهْنِ فَتَجْرَدُ مِنْهَا مَعَانٍ أُخْرَى وَهِيَ الَّتِي أَشْتَرَكْتَ بِهَا ثُمَّ تَجْرَدُ ثَانِيًا إِنْ شَارَكَهَا غَيْرُهَا وَثَالِثًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ التَّجْرِيدُ إِلَى الْمَعَانِي الْبَسِيطَةِ الْكُلِّيَّةِ الْمُنْطَبِقَةِ عَلَى جَمِيعِ الْمَعَانِي وَالْأَشْخَاصِ وَلَا يَكُونُ مِنْهَا تَجْرِيدٌ بَعْدَ هَذَا وَهِيَ الْأَجْنَاسُ الْعَالِيَةُ وَهَذِهِ الْمَجْرَدَاتُ كُلُّهَا مِنْ غَيْرِ الْحَسُوسَاتِ هِيَ مِنْ حَيْثُ تَأْلِفُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ لِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ مِنْهَا تُسَمَّى الْمَعْقُولَاتِ الثَّوَانِي فَإِذَا نَظَرَ الْفِكْرُ فِي هَذِهِ الْمَعْقُولَاتِ الْمَجْرَدَةِ وَطَلَبَ تَصَوُّرَ الْوُجُودِ كَمَا هُوَ فَلَا بُدَّ لِلذَّهْنِ مِنْ إِضَافَةِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَفَنِّيَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ بِالْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ الْيَقِينِيِّ لِيَحْصَلَ تَصَوُّرُ الْوُجُودِ تَصَوُّرًا صَحِيحًا مُطَابِقًا إِذَا كَانَ ذَلِكَ بِقَانُونٍ صَحِيحٍ كَمَا مَرَّ وَصِنْتُ التَّصْدِيقَ الَّذِي هُوَ تِلْكَ الْإِضَافَةُ وَالْحُكْمُ مُتَقَدِّمٌ عِنْدَهُمْ عَلَى صِنْفِ التَّصَوُّرِ فِي النِّهَايَةِ وَالتَّصَوُّرُ مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِ فِي الْبِدْءَةِ وَالتَّعْلِيمِ لِأَنَّ التَّصَوُّرَ النَّامَ عِنْدَهُمْ هُوَ غَايَةُ الطَّلَبِ الْإِذْرَاصِيِّ وَإِنَّمَا



التَّصْدِيقُ وَسِيْلَةٌ لَهُ وَمَا تَسْمَعُهُ فِي كُتُبِ الْمُنْطَقِيِّينَ مِنْ تَقْدِمْ التَّصَوُّرِ وَتَوْقُفِ  
 التَّصْدِيقِ عَلَيْهِ فَبِمَعْنَى الشُّعُورِ لَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ التَّامِّ وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ كَبِيرِهِمْ أَرِسْطُو  
 ثُمَّ يَزْعُمُونَ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا مَا فِي الْحِسِّ وَمَا وَرَاءَ الْحِسِّ  
 بِهَذَا النَّظَرِ وَتِلْكَ الْبَرَاهِينُ وَحَاصِلُ مَذَاهِبِهِمْ فِي الْوُجُودِ عَلَى الْجُمْلَةِ وَمَا آتَى إِلَيْهِ وَهُوَ الَّذِي  
 فَرَّغُوا عَلَيْهِ قَضَايَا أَنْظَارِهِمْ أَنَّهُمْ عَثَرُوا أَوَّلًا عَلَى الْجِسْمِ السُّفْلِيِّ بِحُكْمِ الشُّهُودِ وَالْحِسِّ ثُمَّ تَرَقَّى  
 إِدْرَاكُهُمْ قَلِيلًا فَاشْعَرُوا بِوُجُودِ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ الْحَرَكَةِ وَالْحِسِّ فِي الْحَيَوَانَاتِ ثُمَّ أَحْسَوْا مِنْ  
 قُوَى النَّفْسِ بِسُلْطَانِ الْعَقْلِ وَوَقَفَتْ إِدْرَاكُهُمْ فَقَضَوْا عَلَى الْجِسْمِ الْعَالِيِّ السَّمَاوِيِّ يَنْحَوْنَ مِنَ الْقَضَاءِ  
 عَلَى أَمْرِ الذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَوَجَبَ عِنْدَهُمْ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ تَشَنُّعٌ وَعَقْلٌ كَمَا لِلْإِنْسَانِ ثُمَّ  
 أَنَّهُوَ ذَلِكَ نِهَآيَةَ عَدَدِ الْأَحَادِ وَهِيَ الْعَشْرُ تَبَعُ مُفَصَّلَةٌ ذَوَاتُهَا جُمْلٌ وَوَاحِدٌ أَوَّلٌ مُفْرَدٌ  
 وَهُوَ الْعَاشِرُ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ الْوُجُودِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ مِنَ الْقَضَاءِ مَعَ  
 تَهْدِيبِ النَّفْسِ وَتَخَلُّقِهَا بِالْفَضَائِلِ وَأَنَّ ذَلِكَ مُمَكِّنٌ لِلْإِنْسَانِ وَلَوْ لَمْ يَرِدْ شَرْعٌ لِمُتَمَيِّزِهِ  
 بَيْنَ الْفَضِيلَةِ وَالرَّذِيلَةِ مِنَ الْأَفْعَالِ بِمُقْتَضَى عَقْلِهِ وَنَظَرِهِ وَمَيْلِهِ إِلَى التَّحْمُودِ مِنْهَا  
 وَاجْتِنَابِهِ لِلْمَذْمُومِ بِفِطْرَتِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ لِلنَّفْسِ حَصَلَتْ لَهَا الْبَهْجَةُ وَاللَّذَّةُ وَأَنَّ  
 الْجَهْلَ بِذَلِكَ هُوَ الشَّقَاءُ السَّرْمَدِيُّ وَهَذَا عِنْدَهُمْ هُوَ مَعْنَى النِّعَمِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ إِلَى  
 خَبْطِ لَهُمْ فِي تَنَاصُلِ ذَلِكَ مَعْرُوفٍ فِي كَلِمَاتِهِمْ وَإِمَامُ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الَّذِي حَصَلَ  
 مَسَائِلُهَا وَدَوَّنَ عِلْمَهَا وَسَطَّرَ حُجَجَهَا فِيمَا بَلَّغْنَا فِي هَذِهِ الْأَحْقَابِ هُوَ أَرِسْطُو الْمَقْدُونِيُّ مِنْ  
 أَهْلِ مَقْدُونِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ مِنْ تَلَامِيذِ أَفْلَاطُونٍ وَهُوَ مُعَلِّمُ الْأَيْسَكَنْدَرِ وَيُسَمُّونَهُ  
 الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ عَلَى الْإِطْلَاقِ يَعْنُونَ مُعَلِّمَ صِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ إِذْ لَمْ تَكُنْ قَبْلَهُ مَهْدَبَةٌ  
 وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَتَّبَ قَانُونَهَا وَأَسْتَوْفَى مَسَائِلَهَا وَأَحْسَنَ بَسْطَهَا وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِي ذَلِكَ الْقَانُونِ  
 مَا شَاءَ لَوْ تَكَفَّلَ لَهُ بِقَصْدِهِمْ فِي الْإِلَهِيَّاتِ ثُمَّ كَانَ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ أَخَذَ  
 بِتِلْكَ الْمَذَاهِبِ وَاتَّبَعَ فِيهَا رَأْيَهُ حَذَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ وَذَلِكَ أَنَّ كُتُبَ  
 أَوَّلِكَ الْمُتَقَدِّمِينَ لَمَّا تَرَجَمَهَا الْخُلَفَاءُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنَ اللِّسَانِ الْيُونَانِيِّ إِلَى اللِّسَانِ  
 الْعَرَبِيِّ تَصَفَّحَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَأَخَذَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ مِنْ مُتَحَلِّي  
 الْعُلُومِ وَجَادَلُوا عَنْهَا وَاخْتَلَفُوا فِي مَسَائِلَ مِنْ تَقَارِبِهَا وَكَانَ مِنْ أَشْهَرِهِمْ أَبُو نَصْرِ الْفَارَابِيُّ  
 فِي الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ لِعَهْدِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا فِي الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ لِعَهْدِ نِظَامِ

الْمَلِكِ مِنْ بَنِي بُوَيْهٍ بِأَصْبَهَانَ وَغَيْرُهُمَا. وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ بَاطِلٌ  
 بِمَجْمُوعِ وَجُوهِهِ فَأَمَّا إِسْنَادُهُمُ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا إِلَى الْعَقْلِ الْأَوَّلِ وَكَتِفَاؤُهُمْ بِهِ فِي  
 التَّرْتِيقِ إِلَى الْوَاجِبِ فَهُوَ قُصُورٌ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ رُتَبِ خَلْقِ اللَّهِ فَالْوُجُودُ أَوْسَعُ نِطَاقًا  
 مِنْ ذَلِكَ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَكَانَهُمْ فِي اقْتِصَارِهِمْ عَلَى إِبْثَاتِ الْعَقْلِ فَقَطْ وَالْغَفْلَةِ عَمَّا  
 وَرَاءَهُ بِمِثَابَةِ الطَّبِيعِيِّينَ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى إِبْثَاتِ الْأَجْسَامِ خَاصَّةً الْمَعْرِضِينَ عَنِ الثَّقَلِ  
 وَالْعَقْلِ الْمُعْتَقِدِينَ أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ الْجِسْمِ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ شَيْءٌ وَأَمَّا الْبَرَاهِينُ الَّتِي يَزْعُمُونَهَا  
 عَلَى مُدْعِيَانِهِمْ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَيَعْرِضُونَهَا عَلَى مَعْيَارِ الْمَنْطِقِ وَقَانُونِهِ فَهِيَ قَاصِرَةٌ وَغَيْرُ  
 وَافِيَةٍ بِالْغَرَضِ أَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا فِي الْمَوْجُودَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ الطَّبِيعِيَّ فَوَجْهٌ  
 قُصُورِهِ أَنَّ الْمُطَابَقَةَ بَيْنَ تِلْكَ النَّتَائِجِ الذَّهْنِيَّةِ الَّتِي تُسْتَخْرَجُ بِالْحُدُودِ وَالْأَقْبَسَةِ كَمَا  
 فِي زَعْمِهِمْ وَبَيْنَ مَا فِي الْخَارِجِ غَيْرُ يَقِينٍ لِأَنَّ تِلْكَ أَحْكَامَ ذَهْنِيَّةٍ كَلَامِيَّةٍ عَامَّةٍ  
 وَالْمَوْجُودَاتُ الْخَارِجِيَّةُ مُتَشَخَّصَةٌ بِمَوَادِّهَا وَلَعَلَّ فِي الْمَوَادِّ مَا يَمْنَعُ مُطَابَقَةَ الذَّهْنِيِّ  
 الْكُلِّيِّ لِلْخَارِجِيِّ الشَّخْصِيِّ اللَّهُمَّ إِلَّا مَا لَا يَشْهَدُ لَهُ الْحِسُّ مِنْ ذَلِكَ فَدَلِيلُهُ شُهُودُهُ  
 لَا تِلْكَ الْبَرَاهِينُ فَأَيْنَ الْيَقِينُ الَّذِي يُجِدُونَهُ فِيهَا وَرُبَّمَا يَكُونُ تَصَرُّفُ الذَّهْنِ أَيْضًا  
 فِي الْمَعْقُولَاتِ الْأَوَّلِ الْمُطَابَقَةَ لِلشَّخْصِيَّاتِ بِالصُّورِ الْخَيَالِيَّةِ لَا فِي الْمَعْقُولَاتِ الثَّوَانِي  
 الَّتِي تَجَرِّدُهَا فِي الرُّتَبَةِ الثَّانِيَةِ فَيَكُونُ الْحُكْمُ حِينَئِذٍ يَقِينًا بِمِثَابَةِ الْحَسُوسَاتِ إِذْ  
 الْمَعْقُولَاتُ الْأَوَّلُ أَقْرَبُ إِلَى مُطَابَقَةِ الْخَارِجِ لِكَمَالِ الْإِنْطِبَاقِ فِيهَا فَتُسَلِّمُ لَهُمْ حِينَئِذٍ  
 دَعَاؤُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ يُنْبَغِي لَنَا الْإِعْرَاضُ عَنِ النَّظَرِ فِيهَا إِذْ هُوَ مِنْ تَرْكِ الْمُسْلِمِ  
 لِمَا لَا يَعْنِيهِ فَإِنَّ مَسَائِلَ الطَّبِيعِيَّاتِ لَا تُهِمُّنَا فِي دِينِنَا وَلَا مَعَاشِنَا فَوَجَبَ عَلَيْنَا تَرْكُهَا  
 وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا فِي الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي وَرَاءَ الْحِسِّ وَهِيَ الرُّوحَانِيَّاتُ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ  
 الْإِلَهِيَّ وَعِلْمَ مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّ ذَوَاتَهَا مُجْهُولَةٌ رَأْسًا وَلَا يُمَكِّنُ التَّوَصُّلُ إِلَيْهَا وَلَا  
 الْبُرْهَانُ عَلَيْهَا لِأَنَّ تَجَرِّدَ الْمَعْقُولَاتِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ  
 مُمْكِنٌ فِيهَا هُوَ مُدْرِكٌ لَنَا وَنَحْنُ لَا نُدْرِكُ الذَّوَاتِ الرُّوحَانِيَّةَ حَتَّى نَجْرِدَ مِنْهَا مَا هِيَ  
 أُخْرَى بِحِجَابِ الْحِسِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا فَلَا يَتَأْتِي لَنَا بُرْهَانٌ عَلَيْهَا وَلَا مُدْرِكٌ لَنَا فِي إِبْثَاتِ  
 وَجُودِهَا عَلَى الْجُمْلَةِ إِلَّا مَا نَجِدُهُ بَيْنَ جَنْبَيْنَا مِنْ أَمْرِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَحْوَالِ مَدَارِكِهَا  
 وَخُصُوصًا فِي الرُّؤْيَا الَّتِي هِيَ وَجْدَانِيَّةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ حَقِيقَتِهَا وَصِفَاتِهَا



فَأَمْرٌ غَامِضٌ لَا سَبِيلَ إِلَى التَّوَقُّفِ عَلَيْهِ وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ مُحَقِّقُهُمْ حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ  
مَا لَا مَادَّةَ لَهُ لَا يُمَكِّنُ الْبُرْهَانَ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُقَدِّمَاتِ الْبُرْهَانِ مِنْ شَرْطِهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتِيَّةً  
وَقَالَ كَبِيرُهُمْ أَفَلَا طُونَ إِنَّ الْأَلْهِيَّاتِ لَا يُوصَلُ فِيهَا إِلَى اثْنَيْنِ وَإِنَّمَا يُقَالُ فِيهَا بِالْأَخْلُقِ  
وَالْأَوَّلَى يَعْنِي الظَّنَّ وَإِذَا كُنَّا إِنَّمَا نَحْصُلُ بَعْدَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ عَلَى الظَّنِّ فَقَطُّ فَيَكْفِينَا  
الظَّنُّ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا فَإِنَّمَا فَائِدَةُ لِهَذِهِ الْعُلُومِ وَالْإشْتَغَالِ بِهَا وَنَحْنُ إِنَّمَا عِنَابَتُنَا بِتَحْصِيلِ  
الْيَقِينِ فِيمَا وَرَاءَ الْحِسِّ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَهَذِهِ هِيَ غَايَةُ الْإِنْكَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ عِنْدَهُمْ  
وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي إدْرَاكِ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِتِلْكَ الْبَرَاهِينِ فَقَوْلُ  
مُزَيْفٍ مُرْدُودٌ وَتَفْسِيرُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُرَكَّبٌ مِنْ جُزْئَيْنِ أَحَدُهُمَا جِسْمَانِيٌّ وَالْآخَرُ  
رُوحَانِيٌّ مُمْتَازٌ بِهِ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجُزْئَيْنِ مَدَارِكٌ مُخْتَصَّةٌ بِهِ وَالْمَدْرِكُ فِيهِمَا وَاحِدٌ  
وَهُوَ الْجُزْءُ الرُّوحَانِيُّ يَدْرِكُ تَارَةً مَدَارِكَ رُوحَانِيَّةً وَتَارَةً مَدَارِكَ جِسْمَانِيَّةً إِلَّا أَنَّ  
الْمَدَارِكَ الرُّوحَانِيَّةَ يَدْرِكُهَا بِذَاتِهِ بَغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَالْمَدَارِكَ الْجِسْمَانِيَّةَ بِوَاسِطَةِ آلَاتِ  
الْجِسْمِ مِنَ الدِّمَاغِ وَالْحَوَاسِّ وَكُلُّ مَدْرِكٍ فَلَهُ ابْتِهَاجٌ بِمَا يَدْرِكُهُ وَاعْتِبَرُهُ بِحَالِ الصَّبِيِّ  
فِي أَوَّلِ مَدَارِكِهِ الْجِسْمَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِوَاسِطَةِ كَيْفٍ يَتَّبِعُ بِمَا يُبْصِرُهُ مِنَ الضَّوِّ وَبِمَا  
يَسْمَعُهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِبْتِهَاجَ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي لِلنَّفْسِ مِنْ ذَاتِهَا بِغَيْرِ  
وَاسِطَةٍ يَكُونُ أَشَدَّ وَالَّذِي فَالْنَفْسُ الرُّوحَانِيَّةُ إِذَا شَعُرَتْ بِإِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ  
ذَاتِهَا بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ حَصَلَ لَهَا ابْتِهَاجٌ وَلَذَّةٌ لَا يُعْبَرُ عَنْهَا وَهَذَا الْإِدْرَاكُ لَا يَحْصُلُ بِنَظَرٍ وَلَا  
عِلْمٍ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ بِكَشْفِ حِجَابِ الْحِسِّ وَنَسْيَانِ الْمَدَارِكَ الْجِسْمَانِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ وَالْمُتَّصِفَةِ  
كَثِيرًا مَا يُعْنُونَ بِحُصُولِ هَذَا الْإِدْرَاكِ لِلنَّفْسِ بِحُصُولِ هَذِهِ الْبَهْجَةِ فَيُحَاوِلُونَ بِالرِّيَاضَةِ  
إِمَانَةَ الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةِ وَمَدَارِكِهَا حَتَّى الْفِكْرِ مِنَ الدِّمَاغِ وَلِيَحْصَلَ لِلنَّفْسِ إِدْرَاكِهَا الَّذِي  
لَهَا مِنْ ذَاتِهَا عِنْدَ زَوَالِ الشَّوَاغِبِ وَالْمَوَانِعِ الْجِسْمَانِيَّةِ يَحْصُلُ لَهُمْ بَهْجَةٌ وَلَذَّةٌ لَا يُعْبَرُ  
عَنْهَا وَهَذَا الَّذِي زَعَمُوهُ بِتَقْدِيرِ صِحَّتِهِ مُسَلِّمٌ لَهُمْ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ وَافٍ بِمَقْصُودِهِمْ فَأَمَّا  
قَوْلُهُمْ إِنَّ الْبَرَاهِينَ وَالْأَدَلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ مُحْصَلَةٌ لِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَالْإِبْتِهَاجِ عَنْهُ فَبَاطِلٌ  
كَمَا رَأَيْتَهُ إِذِ الْبَرَاهِينَ وَالْأَدَلَّةُ مِنْ جُمْلَةِ الْمَدَارِكَ الْجِسْمَانِيَّةِ لِأَنَّهَا بِالْقُوَى الدِّمَاغِيَّةِ  
مِنَ الْخَيَالِ وَالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ وَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نُعْنِي بِهِ فِي تَحْصِيلِ هَذَا الْإِدْرَاكِ  
إِمَانَةُ هَذِهِ الْقُوَى الدِّمَاغِيَّةِ كُلِّهَا لِأَنَّهَا مُنَازَعَةٌ لَهُ قَادِحَةٌ فِيهِ وَتَجِدُ الْمَاهِرَ مِنْهُمْ عَاكِفًا

عَلَى كِتَابِ الشِّفَاءِ وَالْإِشَارَاتِ وَالنِّجَاءِ وَتَلَاخِيصِ ابْنِ رُشْدٍ لِلْقَصْرِ مِنْ تَأْلِيفِ أَرِسْطُو  
 وَغَيْرِهِ يُبَعِّثُ أَوْرَاقَهَا وَيَتَوَقَّعُ مِنْ بَرَاهِينِهَا وَيَلْتَمِسُ هَذَا الْقِسْطَ مِنَ السَّعَادَةِ فِيهَا وَلَا  
 يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَكْثِرُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَوَارِعِ عَنْهَا وَمُسْتَنْدُهُمْ فِي ذَلِكَ مَا يَنْقُلُونَهُ عَنْ  
 أَرِسْطُو وَالْفَارَابِيِّ وَأَبْنِ سِينَا أَنَّ مَنْ حَصَلَ لَهُ إِدْرَاكُ الْعَقْلِ الْفَعَالِ وَاتَّصَلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ  
 فَقَدْ حَصَلَ حَظُّهُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ وَالْعَقْلُ الْفَعَالُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ أَوَّلِ رُتْبَةٍ يَنْكَشِفُ  
 عَنْهَا الْحِسُّ مِنْ رُتَبِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَيَحْمِلُونَ الْإِتِّصَالَ بِالْعَقْلِ الْفَعَالِ عَلَى الْإِدْرَاكِ الْعِلْمِيِّ  
 وَقَدْ رَأَيْتَ فَسَادَهُ وَإِنَّمَا يَعْنِي أَرِسْطُو وَأَصْحَابُهُ بِذَلِكَ الْإِتِّصَالَ وَالْإِدْرَاكِ إِدْرَاكِ النَّفْسِ  
 الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَبِغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَهُوَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِكَشْفِ حِجَابِ الْحِسِّ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ  
 إِنَّ الْبَهْجَةَ النَّاشِئَةَ عَنْ هَذَا الْإِدْرَاكِ هِيَ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا فَبَاطِلٌ أَيْضًا لِأَنَّا  
 إِنَّمَا تَبَيَّنَ لَنَا بِمَا قَرَّرُوهُ أَنَّ وَرَاءَ الْحِسِّ مُدْرَكًا آخَرَ لِلنَّفْسِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَأَنَّهَا يَتَّبِعُ  
 بِإِدْرَاكِهَا ذَلِكَ ابْتِهَاجًا شَدِيدًا وَذَلِكَ لَا يَعِينُ لَنَا أَنَّهُ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْآخِرَوِيَّةِ وَلَا بُدَّ  
 بَلْ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَلَاذِ الَّتِي لِمَتِلْكَ السَّعَادَةِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ هَذِهِ  
 الْمَوْجُودَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فَقَوْلٌ بَاطِلٌ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا كُنَّا قَدَّمْنَاهُ فِي أَصْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ  
 الْأَوْهَامِ وَالْأَغْلَاطِ فِي أَنَّ الوجودَ عِنْدَ كُلِّ مُدْرِكٍ مُنْخَصَرٌّ فِي مَدَارِكِهِ وَبَيْنَا فَسَادَ  
 ذَلِكَ وَإِنَّ الوجودَ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ أَوْ يُسْتَوْفَى إِدْرَاكُهُ بِجُمْلَتِهِ رُوحَانِيًّا أَوْ جِسْمَانِيًّا  
 وَالَّذِي يَحْصُلُ مِنْ جَمِيعِ مَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ الْجُزْءَ الرُّوحَانِيَّ إِذَا فَارَقَ الْقُوَى  
 الْجِسْمَانِيَّةَ أَدْرَكَ إِدْرَاكًَا ذَاتِيًّا لَهُ مُخْتَصًّا بِصِنْفٍ مِنَ الْمَدَارِكِ وَهِيَ الْمَوْجُودَاتُ الَّتِي  
 احْتَاطَ بِهَا عَلَمُنَا وَلَيْسَ بِعَامٍّ إِلَّا إِدْرَاكِ فِي الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا إِذْ لَمْ تُنْخَصَرْ وَأَنَّهُ يَتَّبِعُ  
 بِذَلِكَ النَّحْوِ مِنَ الْإِدْرَاكِ ابْتِهَاجًا شَدِيدًا كَمَا يَتَّبِعُ الصَّيِّ بِمَدَارِكِهِ الْحَسِّيَّةِ فِي أَوَّلِ  
 نَشْؤِهِ وَمَنْ لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ بِإِدْرَاكِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ أَوْ بِحُصُولِ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدْنَا  
 بِهَا الشَّارِعُ إِنْ لَمْ نَعْمَلْ لَهَا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعِدُونَ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ مُسْتَقِلٌّ  
 بِتَهْدِيْبِ نَفْسِهِ وَإِصْلَاحِهَا بِمِلَابَسَةِ التَّحَمُّودِ مِنَ الْخَلْقِ وَمُجَانِبَةِ الْمَذْمُومِ فَأَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى  
 أَنَّ ابْتِهَاجَ النَّفْسِ بِإِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا هُوَ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا لِأَنَّ  
 الرِّذَائِلَ عَائِقَةٌ لِلنَّفْسِ عَنْ تَمَامِ إِدْرَاكِهَا ذَلِكَ بِمَا يَحْصُلُ لَهَا مِنَ الْمَلَكَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ  
 وَالْوَانِيَّاتِ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ أَثَرَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ مِنْ وَرَاءِ الْإِدْرَاكِ كَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ



فَهَذَا التَّهْدِيْبُ الَّذِي تَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِنَّمَا نَفَعُهُ فِي التَّبَهُّجَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْإِدْرَاكِ  
الرُّوحَانِيِّ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ عَلَى مَقَائِيسَ وَقَوَانِينٍ وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدَنَا  
بِهَا الشَّارِعُ عَلَى أُمْتِثَالٍ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ فَأَمْرٌ لَا يُحِيطُ بِهِ مَدَارِكُ  
الْمُدْرِكِينَ وَقَدْ تَنَبَّهَ لِذَلِكَ زَعِيمُهُمْ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ سِينَا فَقَالَ فِي كِتَابِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ  
مَا مَعْنَاهُ إِنَّ الْمَعَادَ الرُّوحَانِيَّ وَأَحْوَالَهُ هُوَ مَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْمَقَائِيسِ  
لِأَنَّهُ عَلَى نِسْبَةِ طَبِيعِيَّةٍ مَخْنُوظَةٍ وَوَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فَلَمَّا فِي الْبَرَاهِينِ عَلَيْهِ سَعَةٌ وَأَمَّا الْمَعَادُ  
الْجَسْمَانِيُّ وَأَحْوَالُهُ فَلَا يُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ بِالْبَرَهَانِ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ وَقَدْ  
بَسَطْتُهُ لَنَا الدَّرَجَةَ الْحَقَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ فَلْيَنْظُرْ فِيهَا وَلْيَرْجِعْ فِي أَحْوَالِهِ إِلَيْهَا فَهَذَا الْعِلْمُ  
كَمَا رَأَيْتَهُ غَيْرُ وَافٍ بِمَقَاصِدِهِمُ الَّتِي حَرَمُوا عَلَيْهَا مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرَائِعِ وَظَوَاهِرِهَا  
وَلَيْسَ لَهُ فِيمَا عَلِمْنَا إِلَّا ثَمَرَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ شَحْذُ الذَّهْنِ فِي تَرْتِيبِ الْأَدِلَّةِ وَالْحُجَجِ  
لِتَحْصِيلِ مَا يَكُونُ الْجُودَةُ وَالصَّوَابُ فِي الْبَرَاهِينِ وَذَلِكَ أَنَّ نَظْمَ الْمَقَائِيسِ وَتَرْكِيبَهَا  
عَلَى وَجْهِ الْأَحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ هُوَ كَمَا شَرَطُوهُ فِي صِنَاعَتِهِمُ الْمُنَظَّفِيَّةِ وَقَوْلُهُمْ بِذَلِكَ  
فِي عُلُومِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ وَهُمْ كَثِيرًا مَا يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي عُلُومِهِمُ الْحِكْمِيَّةِ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالنَّعَالِمِ وَمَا بَعْدَهَا فَيَسْتَوِلِي النَّظَرُ فِيهَا بِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ الْبَرَاهِينِ بِشُرُوطِهَا عَلَى  
مَا يَكُونُ الْإِتْقَانُ وَالصَّوَابُ فِي الْحُجَجِ وَالْإِسْتِدْلَالَاتِ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ وَاقِعَةٍ  
بِمَقْصُودِهِمْ فَهِيَ أَصَحُّ مَا عَلِمْنَاهُ مِنْ قَوَانِينِ الْأَنْظَارِ هَذِهِ ثَمَرَةٌ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ مَعَ  
الْإِطْلَاعِ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَآرَائِهِمْ وَمَضَارِيهَا مَا عَلِمْتَ فَلْيَكُنِ النَّظَرُ فِيهَا مُتَحَرِّزًا  
جَهْدَهُ مِنْ مَعَاطِيهَا وَلْيَكُنْ نَظَرٌ مِنْ يَنْظُرُ فِيهَا بَعْدَ الْإِمْتِلَافِ مِنَ الشَّرْعِيَّاتِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى  
التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَلَا يُكَيِّنُ أَحَدٌ عَلَيْهَا وَهُوَ خُلُوٌّ مِنْ عُلُومِ الْعَمَلَةِ فَقُلْ أَنْ يَسْلَمَ لِذَلِكَ مِنْ  
مَعَاطِيهَا وَاللَّهُ الْمُؤْتَقِ لِلصَّوَابِ وَلِلْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَيْهِ وَمَا كُنَّا نَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

### الفصل الخامس والعشرون

في إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ يَزْعُمُ أَصْحَابُهَا أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِهَا الْكَائِنَاتِ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ قَبْلَ حُدُوثِهَا  
مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَةِ قُوَى الْكَوَاكِبِ وَتَأْثِيرِهَا فِي الْمَوْلِدَاتِ الْعَنْصَرِيَّةِ مُفْرَدَةً وَجُمُعَةً  
فَتَكُونُ لِذَلِكَ أَوْضَاعُ الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ دَالَّةً عَلَى مَا سَيَحْدُثُ مِنْ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ

الكائنات الكليّة والشخصيّة فالمتقدّمون منهم يرون أنّ معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة وهو أمر تقصّر الأعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله إذ التجربة إنّما تحصل في المرات المتعدّدة بالتكرار ليحصل عنها العلم أو الظنّ وأدوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرّره إلى آماذ وأحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من أعمار العالم وزبما ذهب ضعفاء منهم إلى أنّ معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي وهو رأي فائل وقد كفونا مؤنة إبطاله ومن أوضح الأدلة فيه أنّ تعلم أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبعد الناس عن الصنائع وأنهم لا يتعرّضون للإخبار عن الغيب إلا أنّ يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه بالصناعة ويشيرون بذلك لتابعيهم من الخلق وأما بطليمس ومن تبعه من المتأخّرين فيرون أنّ دلالّة الكواكب على ذلك دلالّة طبيعيّة من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصريّة قال لأنّ فعل النيران وأثرهما في العنصريّات ظاهر لا يسع أحدا جحده مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وأمزجتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبات والماء وإنضاج المواد المتعفّنة وفواكه القنّاء وسائر أفعاله ثمّ قال ولنا فيما بعدها من الكواكب طريقان الأولى التقليد لمن نقل ذلك عنه من أئمة الصناعة إلا أنّه غير مقنع للنفس الثانية الخدس والتجربة بقياس كلّ واحد منها إلى النير الأعظم الذي عرفنا طبيعته وأثره معرفة ظاهرة فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند القران في قوته ومزاجه فتعرف موافقته له في الطبيعة أو ينقص عنها فتعرف مضادته ثمّ إذا عرفنا قواها مفردة عرفناها مركبة وذلك عند تناظرها بأشكال الثلث والتربيع وغيرهما ومعرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس أيضا إلى النير الأعظم وإذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي مؤثرة في الهواء وذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل منها للهواء يحصل لما تحته من المولّدات وتتخلق به النطف والبزور فتصير حالا للبدن المتكوّن عنها وللنفس المتعلّقة به الفائضة عليه المكتسبة لما لها منه ولما يتبع النفس والبدن من الأحوال لأنّ كميّات البزرة والنطفة كميّات لما يتولّد عنهما وينشأ منهما قال وهو مع ذلك ظنيّ وآيس هو أيضا من القضاء الإلهي يعني القدر إنّما هو من جملة الأسباب



الطَّبِيعِيَّةُ لِلْكَائِنِ وَالْقَضَاءُ إِلَّا إِلَهِي سَابِقٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هَذَا مُحْصَلُ كَلَامِ بَطْلِيمُسَ  
وَأَصْحَابِهِ وَهُوَ مَنْصُوصٌ فِي كِتَابِهِ الْأَرْبَعِ وَغَيْرِهِ وَمِنْهُ يَتَبَيَّنُ ضَعْفُ مَذْرُوكِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
وَذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَ الْكَائِنَ أَوْ الظَّنَّ بِهِ إِنَّمَا يَحْصُلُ عَنِ الْعِلْمِ بِجُمْلَةِ أَسْبَابِهِ مِنَ الْفَاعِلِ  
وَالْقَابِلِ وَالصُّورَةِ وَالْغَايَةِ عَلَى مَا يَتَبَيَّنُ فِي مَوْضِعِهِ وَالْقُوَى النُّجُومِيَّةُ عَلَى مَا قَرَّرُوهُ  
إِنَّمَا هِيَ فَاعِلَةٌ فَقَطْ وَالْجُزْءُ الْعَنْصَرِيُّ هُوَ الْقَابِلُ ثُمَّ إِنَّ الْقُوَى النُّجُومِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الْفَاعِلُ  
بِجُمْلَتِهَا بَلْ هُنَاكَ قُوَى أُخْرَى فَاعِلَةٌ مَعَهَا فِي الْجُزْءِ الْمَادِّيِّ مِثْلُ قُوَةِ التَّوَلِيدِ لِلْأَبِ  
وَالنُّوعِ الَّتِي فِي النُّطْفَةِ وَقُوَى الْخَاصَّةِ الَّتِي تَمَيِّزُ بِهَا صِنْفٌ مِنَ النُّوعِ وَغَيْرُ ذَلِكَ فَالْقُوَى  
النُّجُومِيَّةُ إِذَا حَصَلَ كَمَالُهَا وَحَصَلَ الْعِلْمُ فِيهَا إِنَّمَا هِيَ فَاعِلٌ وَاحِدٌ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ  
الْفَاعِلَةِ لِلْكَائِنِ ثُمَّ إِنَّهُ يُشْتَرَطُ مَعَ الْعِلْمِ بِقُوَى النُّجُومِ وَتَأْثِيرَاتِهَا مَزِيدٌ حُدْسٍ وَتَخْمِينٍ  
وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ عِنْدَهُ الظَّنُّ بِوُقُوعِ الْكَائِنِ وَالْحُدْسُ وَالتَّخْمِينُ قُوَى لِلنَّاظِرِ فِي فِكْرِهِ  
وَلَيْسَ مِنْ عِلَلِ الْكَائِنِ وَلَا مِنْ أَصُولِ الصَّنَاعَةِ فَإِذَا فَقِدَ هَذَا الْحُدْسُ وَالتَّخْمِينُ رَجَعَتْ  
أَدْرَاجُهَا عَنِ الظَّنِّ إِلَى الشَّكِّ هَذَا إِذَا حَصَلَ الْعِلْمُ بِالْقُوَى النُّجُومِيَّةِ عَلَى سَدَادِهِ وَلَمْ  
تَعْتَرِضْهُ آفَةٌ وَهَذَا مُعَوِّزٌ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ حِسَابَاتِ الْكَوَاكِبِ فِي سَيْرِهَا لِتَعَرُّفِ  
بِهِ أَوْضَاعُهَا وَلِإِذَا أَنْ اخْتِصَاصَ كُلِّ كَوْكَبٍ بِقُوَّةٍ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ وَمَذْرُوكِ بَطْلِيمُسَ فِي  
إثْبَاتِ الْقُوَى لِلْكَوَاكِبِ الْخَمْسَةِ بِقِيَاسِهَا إِلَى الشَّمْسِ مَذْرُوكِ ضَعِيفٌ لِأَنَّ قُوَّةَ الشَّمْسِ  
غَالِبَةٌ لِجَمِيعِ الْقُوَى مِنَ الْكَوَاكِبِ وَمُسْتَوَالِيَةٌ عَلَيْهَا فَقُلْ أَنْ يُشْعَرَ بِالزِّيَادَةِ فِيهَا أَوْ  
الْانْقِصَانِ مِنْهَا عِنْدَ الْمُقَارَنَةِ كَمَا قَالَ وَهَذِهِ كُلُّهَا فَادِرَّةٌ فِي تَعْرِيفِ الْكَائِنَاتِ الْوَاقِعَةِ  
فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ ثُمَّ إِنَّ تَأْثِيرَ الْكَوَاكِبِ فِيهَا تَحْتَمُّ بِأَبْطَلٍ إِذْ قَدْ تَبَيَّنَ  
فِي بَابِ التَّوْحِيدِ أَنَّ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ بِطَرِيقِ اسْتِدْلَالِيٍّ كَمَا رَأَيْتُهُ وَاحْتَجَّ لَهُ أَهْلُ  
عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَا هُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْبَيَانِ مِنْ أَنَّ إِسْنَادَ الْأَسْبَابِ إِلَى الْمُسَبِّبَاتِ مَجْهُولُ  
الْكَيْفِيَّةِ وَالْعَقْلُ مِنْهُمْ عَلَى مَا يُقْضَى بِهِ فِيمَا يَظْهَرُ بَادِي الرُّأْيِ مِنَ التَّأْثِيرِ فَلَعَلَّ  
اسْتِنَادَهَا عَلَى غَيْرِ صُورَةِ التَّأْثِيرِ الْمُتَعَارِفِ وَالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ رَابِطَةٌ بَيْنَهُمَا كَمَا  
رَبَطَتْ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ عَلَوًا وَسُفْلًا سِيَمًا وَالشَّرْعُ يَرُدُّ الْحَوَادِثَ كُلُّهَا إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ  
تَعَالَى وَيَبْرَأُ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ وَالنُّبُوءَاتُ أَيْضًا مَذْكُورَةٌ لِشَأْنِ النُّجُومِ وَتَأْثِيرَاتِهَا وَاسْتِقْرَاءُ  
الشَّرْعِيَّاتِ شَاهِدٌ بِذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا

لِحَيَاتِهِ وَفِي قَوْلِهِ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ  
وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنُورٍ كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ  
بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فَقَدْ بَانَ لَكَ بَطْلَانُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِنْ طَرِيقِ  
الشَّرْعِ وَضَعْتُ مَدَارِكَهَا مَعَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ مَعَ مَا لَهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي الْعُمُرَانِ  
الْإِنْسَانِيِّ تَبَا تَبَعْتُ مِنْ عَقَائِدِ الْعَوَامِّ مِنَ الْفَسَادِ إِذَا اتَّفَقَ الصِّدْقُ مِنْ أَحْكَامِهَا فِي  
بَعْضِ الْأَحْيَانِ اتِّفَاقًا لَا يَرْجِعُ إِلَى تَعْلِيلٍ وَلَا تَحْقِيقٍ فَيَنْهَجُ بِذَلِكَ مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ وَيُظَنُّ  
أَطْرَادَ الصِّدْقِ فِي سَائِرِ أَحْكَامِهَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَيَقَعُ فِي رَدِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى غَيْرِ خَالِقِهَا ثُمَّ  
مَا يَنْشَأُ عَنْهَا كَثِيرًا فِي الدُّوَلِ مِنْ تَوَقُّعِ الْقَوَاطِعِ وَمَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ ذَلِكَ التَّوَقُّعُ مِنْ  
تَطَاوُلِ الْأَعْدَاءِ وَالْمُتَرَبِّصِينَ بِالْدَوْلَةِ إِلَى الْفَتَكِ وَالثَّوَرَةِ وَقَدْ شَاهَدْنَا مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا  
فَيَنْبَغِي أَنْ تُحْظَرَ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْعُمُرَانِ لِمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي  
الدِّينِ وَالدُّوَلِ وَلَا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ كَوْنُ وَجُودِهَا طَبِيعِيًّا لِلْبَشَرِ بِمُقْتَضَى مَدَارِكِهِمْ  
وَعُلُومِهِمْ فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ طَبِيعَتَانِ مَوْجُودَتَانِ فِي الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ نَزْعُهُمَا وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ  
التَّكْلِيفُ بِأَسْبَابِ حُصُولِهِمَا فَيَتَعَيَّنُ السَّعْيُ فِي اكْتِسَابِ الْخَيْرِ بِأَسْبَابِهِ وَدَفْعِ  
أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْمَضَارِّ هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ عَرَفَ مَفَاسِدَ هَذَا الْعِلْمِ وَمَضَارَّهُ وَلَيَعْلَمُ  
مَنْ ذَلِكَ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً فِي نَفْسِهَا فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ تَحْصِيلَ  
عِلْمِهَا وَلَا مَلَكَتِهَا بَلْ إِنْ نَظَرَ فِيهَا نَظِيرٌ وَظَنَّ الْإِحَاطَةَ بِهَا فَهُوَ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ فِي  
نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ لَمَّا حَظَرَتْ النَّظَرَ فِيهَا فَقَدْ الْأَجْتِمَاعُ مِنْ أَهْلِ الْعُمُرَانِ إِقْرَاءَتَهَا  
وَالْتَحْقِيقَ لِتَعْلِيمِهَا وَصَارَ الْمُوَلَعُ بِهَا مِنَ النَّاسِ وَهُمْ الْأَقْلُ وَأَقْلُ مِنَ الْأَقْلِ إِنَّمَا يُطَالَعُ  
كِتَابُهَا وَمَقَالَاتُهَا فِي كِسْرِ بَيْتِهِ مُتَسَتِّرًا عَنِ النَّاسِ وَتَحْتَ رِبْقَةِ الْجُمْهُورِ مَعَ تَشَعُّبِ  
الصَّنَاعَةِ وَكَثْرَةِ فُرُوعِهَا وَاعْتِيَاصِهَا عَلَى الْفَهْمِ فَكَيْفَ يَحْصُلُ مِنْهَا عَلَى طَائِلٍ وَنَحْنُ  
نَجِدُ الْفَقْهَ الَّذِي عَمَّ نَفَقَهُ دِينًا وَدُنْيَا وَسَهَّلَتْ مَا خِذَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَعَكَفَتْ  
الْجُمْهُورُ عَلَى قِرَاءَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ ثُمَّ بَعْدَ التَّحْقِيقِ وَالتَّجَمُّعِ وَطُولِ الْمُدَاسَةِ وَكَثْرَةِ التَّجَالِسِ  
وَتَعَدُّدِهَا إِنَّمَا يَحْدَقُ فِيهِ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ فِي الْأَعْصَارِ وَالْأَجْيَالِ فَكَيْفَ يُعْلَمُ  
مَهْجُورٌ لِلشَّرِيعَةِ مَضْرُوبٌ دُونَهُ سَدُّ الْخَطَرِ وَالتَّحْرِيمُ مَكْتُومٌ عَنِ الْجُمْهُورِ صَعْبُ  
الْمَاخِذِ مُحْتَاجٌ بَعْدَ الْمُمَارَسَةِ وَالتَّحْصِيلِ لِأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ إِلَى مَزِيدٍ حَدَسٍ وَتَحْمِينٍ



يَكْتَفِيَانِ بِهِ مِنَ النَّظَرِ فَأَيْنَ الْتَحْصِيلُ وَالْحَذَقُ فِيهِ مَعَ هَذِهِ كُلِّهَا وَمَدْعَى ذَلِكَ مِنَ  
النَّاسِ مَرْدُودٌ عَلَى عَقِبِهِ وَلَا شَاهِدَ لَهُ يَقُومُ بِذَلِكَ لِعَرَابَةِ النَّاسِ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَقِلَّةِ  
حَمَلَتِهِ فَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ لَكَ صِحَّةُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ فَلَا يُظَاهِرُ عَلَى غَيْبِهِ  
أَحَدًا . وَمِمَّا وَقَعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ عِنْدَمَا غَلَبَ الْعَرَبُ  
عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَحَاصِرُوهُ بِالْقَيْرَوَانِ وَكَثُرَ إِزْجَافُ الْفَرِيقَيْنِ الْأَوْلِيَاءِ  
وَالْأَعْدَاءِ وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ الرُّوحِيُّ مِنْ شُعَرَاءِ أَهْلِ تُونِسَ

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ      قَدْ ذَهَبَ الْعَيْشُ وَالْهَنَاءُ  
أَصْبَحْتُ فِي تُونِسَ وَأُمْسِي      وَالصُّبْحُ لِلَّهِ وَالْمَسَاءُ  
الْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَالْمَنَابَا      يُحَدِّثُنَا الْمَرْجُ وَالْوَبَا  
وَالنَّاسُ فِي مَرِيَةٍ وَحَرْبٍ      وَمَا عَسَى يَنْفَعُ الْعَمْرَاءُ  
فَأَحْمَدِي يَرْسِي عَلَيَّا      حَلَّ بِهِ الْهَلَاكُ وَالْتَوَاءُ  
وَأَخَّرَ قَالَ سَوْفَ يَأْتِي      بِهِ إِلَيْكُمْ صَبَا وَخَاءُ  
وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ ذَا وَهَذَا      يَقْضِي لِعَبْدَيْهِ مَا يَشَاءُ  
يَا رَاصِدَ الْخَنَسِ الْجَوَارِي      مَا فَعَلْتَ هَذِهِ السَّمَاءُ  
مَطْلَعْتُمُونَا وَقَدْ زَعَمْتُمْ      أَنْكُمْ الْيَوْمَ أَمَانِيَاءُ  
مَرَّ خَمِيسٌ عَلَى خَمِيسٍ      وَجَاءَ سَبْتُ وَأَزْبَعَاءُ  
وَنِصْفُ شَهْرٍ وَعِشْرُ ثَانٍ      وَثَالِثُ ضَمَّةٍ الْقَضَاءُ  
وَلَا نَرَى غَيْرَ زُورٍ قَوْلٍ      أَذَاكَ جَهْلٌ أَمْ أَزْدِرَاءُ  
إِنَّا إِلَى اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا      أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ الْقَضَاءُ  
رَضِيتُ بِاللَّهِ لِي إِلَهًا      حَسْبُكُمْ الْبَدْرُ أَوْ ذُكَاةُ  
مَا هَذِهِ الْأَنْجُمُ السَّوَارِي      إِلَّا عِبَادِيدُ أَوْ إِمَاءُ  
يُقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ يَقْضِي      وَمَا لَهَا فِي الْوَرَى اقْتِضَاءُ  
ضَلَّتْ عَقُولُ تَرَى قَدِيمًا      مَا شَأْنُهُ الْجُرْمُ وَالْفَنَاءُ  
وَحَكَمَتْ فِي الْوُجُودِ طَبْعًا      يُحَدِّثُهُ الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ  
لَمْ تَرَ حُلُومًا إِذَا مَرَّ      تَغْدُوهُمْ تَرْبَةُ وَمَاءُ

اللَّهُ رَبِّي وَلَسْتُ أَدْرِي      مَا الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ وَالْخَلَاءُ  
 وَلَا أَلْهِيُولِي الَّذِي تُنَادِي      مَا لِي عَنْ صُورَةٍ عَرَاءُ  
 وَلَا وَجُودٌ وَلَا أَنْعِدَامٌ      وَلَا ثُبُوتٌ وَلَا انْتِفَاءُ  
 وَالْكَسْبُ لَمْ أَذْرِ فِيهِ إِلَّا      مَا جَلَبَ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ  
 وَإِنَّمَا مَذْهَبِي وَدِينِي      مَا كَانَتْ لِلنَّاسِ أَوْلِيَاءُ  
 إِذْ لَا فُضُولٌ وَلَا أُصُولٌ      وَلَا جَدَالٌ وَلَا رِيَاءُ  
 مَا تَبِعَ الصَّدْرَ وَاقْتَفَيْنَا      يَا حَبْدًا كَانَتْ الْإِقْتِفَاءُ  
 كَانُوا كَمَا يَعْلَمُونَ مِنْهُمْ      وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْهَذَا  
 يَا أَشْعَرِي الزَّمانِ إِنِّي      أَشْعَرَنِي الصَّيْفُ وَالسَّيْفُ  
 لَمْ أَجْزْ بِالْشَّرِّ غَيْرَ شَرٍّ      وَالْخَيْرِ عَنْ مِثْلِهِ جَزَاءُ  
 وَإِنِّي إِنْ أَكُنْ مُطِيعًا      فَلَسْتُ أَغْصَى وَلِي رَجَاءُ  
 وَإِنِّي تَحْتَ حُكْمِ بَارٍ      أَطَاعَهُ الْعَرْشُ وَالْثَرَاءُ  
 لَيْسَ أَنْتَصَارٌ بِكُمْ وَلَكِنْ      أَتَاكَ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ  
 لَوْ حَدَّثَ الْأَشْعَرِي عَمَّنْ      لَهُ إِلَى رَأْيِهِ انْتِمَاءُ  
 أَقَالَ أَخْبِرْهُمْ بِأَنِّي      مِمَّا يَقُولُونَهُ بَرَاءُ

### الفصل السادس والعشرون

في انكار ثمة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاصد عن انتحالها

إَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَاجِزِينَ عَنْ مَعَاشِهِمْ تَحْمِلُهُمُ الْمَطَامِعُ عَلَى اتِّحَالِ هَذِهِ  
 الصَّنَائِعِ وَيَرَوْنَ أَنَّهَا أَحَدُ مَذَاهِبِ الْمَعَاشِ وَوُجُوهِهِ وَأَنَّ اقْتِنَاءَ الْمَالِ مِنْهَا أَيْسَرُ  
 وَأَسْهَلُ عَلَى مُبْتَغِيهِ فَيَرْتَكِبُونَ فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِبِ وَالْمَشَاقِ وَمُعَانَاةِ الصَّعَابِ وَعَسْفِ  
 الْحُكَامِ وَخِسَارَةِ الْأَمْوَالِ فِي النِّفَقَاتِ زِيَادَةً عَلَى النَّيْلِ مِنْ غَرَضِهِ وَالْعَطَبِ آخِرًا  
 إِذَا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَةٍ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا وَإِنَّمَا أَطْمَعَهُمْ فِي ذَلِكَ رُؤْيَا أَنَّ  
 الْمَعَادِنَ تَسْتَحِيلُ وَيَنْقَلِبُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ لِلْمَادَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ فَيَحَاوِلُونَ بِالْعِلَاجِ  
 صَبْرُوزَةَ الْفِضَّةِ ذَهَبًا وَالنَّحَاسِ وَالْقَصْدِيرِ فِضَّةً وَيَحْسِبُونَ أَنَّهَا مِنْ مُمْكِنَاتِ عَالَمِ  
 الطَّبِيعَةِ وَلَهُمْ فِي عِلَاجِ ذَلِكَ طُرُقٌ مُخْتَلِفَةٌ لِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ فِي التَّدْبِيرِ وَصُورَتِهِ



وَفِي الْمَادَّةِ الْمَوْضُوعَةِ عِنْدَهُمُ لِلْعِلَاجِ الْمُسَمَّاةِ عِنْدَهُمُ بِالْحَجَرِ الْمَكْرَمِ هَلْ هِيَ  
 الْعَذْرَةُ أَوِ الدَّمُ أَوِ الشَّعْرُ أَوِ الْبَيْضُ أَوْ كَذَا أَوْ كَذَا مَا سِوَى ذَلِكَ وَجُمْلَةُ التَّدْبِيرِ  
 عِنْدَهُمْ بَعْدَ تَعْيِينِ الْمَادَّةِ أَنْ تُمْنَى بِالْفَهْرِ عَلَى حَجَرٍ صَلْدٍ أَمْلَسَ وَتُسْقَى أَثْنَاءَ إِهْنَائِهَا  
 بِالْمَاءِ وَبَعْدَ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهَا مِنَ الْعَقَاقِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ مَا يَنْسَبُ الْقَصْدَ مِنْهَا وَيُؤَثِّرُ فِي  
 أَنْقِلَابِهَا إِلَى الْمَعْدِنِ الْمَطْلُوبِ ثُمَّ يُجَفَّفُ بِالشَّمْسِ مِنْ بَعْدِ السَّقْيِ أَوْ تُطْبَخُ بِالنَّارِ أَوْ  
 تُصَعَّدُ أَوْ تُكَلَّسُ لِاسْتِخْرَاجِ مَائِهَا أَوْ تَرَابِهَا فَإِذَا رَفَعِيَ بِذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ عِلَاجِهَا وَتَمَّ  
 تَدْبِيرُهُ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ أَصُولُ صَنَعَتِهِ حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ تَرَابٌ أَوْ مَائِعٌ يَسَدُونَهُ  
 إِلَّا كَسِيرٌ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِذَا أُلْقِيَ عَلَى الْفِضَّةِ الْحَمَامَةُ بِالنَّارِ عَادَتْ ذَهَبًا أَوِ الْخَاسِ  
 الْمَحْمِي بِالنَّارِ عَادَ فِضَّةً عَلَى مَا قُصِدَ بِهِ فِي عَمَلِهِ وَيَزْعُمُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ  
 إِلَّا كَسِيرٌ مَادَّةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ حَصَلَ فِيهَا بِذَلِكَ الْعِلَاجِ الْخَاسِ وَالتَّدْبِيرِ  
 مِزَاجٌ ذُو قُوَى طَبِيعِيَّةٍ تَصْرِفُ مَا حَصَلَتْ فِيهِ إِلَيْهَا وَيَقْلِبُهُ إِلَى صَوَرَتِهَا وَمِزَاجِيَّةٍ وَتَبَيَّنَ  
 فِيهِ مَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ وَالْقُوَى كَالْحَمِيرَةِ لِلْخَبْرِ ثَقُلُ الْعَجِينَ إِلَى ذَاتِهَا وَتَعْمَلُ  
 فِيهِ مَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الْإِنْفِشَاشِ وَالْمَشَاشَةِ لِيَحْسُنَ هَضْمُهُ فِي الْمَعْدَةِ وَيَسْتَحِيلَ سَرِيعًا  
 إِلَى الْغِذَاءِ وَكَذَا إِكْسَادُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِيمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنَ الْمَعَادِنِ بِصَرْفِهِ إِلَيْهِمَا  
 وَيَقْلِبُهُ إِلَى صَوَرَتِهِمَا هَذَا مُحْصَلُ زَعْمِهِمْ عَلَى الْجُمْلَةِ فَتَجِدُهُمْ عَاكِفِينَ عَلَى هَذَا الْعِلَاجِ  
 يَتَغَوَّنَ الرِّزْقَ وَالْمَعَاشَ فِيهِ وَيَتَنَاقِلُونَ أَحْكَامَهُ وَقَوَاعِدَهُ مِنْ كُتُبٍ لِأَيِّمَةِ الصَّنَاعَةِ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ يَتَدَاوُلُونَهَا بَيْنَهُمْ وَيَتَنَظَّرُونَ فِي فُهُمِ لُغُوزِهَا وَكَشَفِ أَسْرَارِهَا إِذْ هِيَ فِي  
 الْأَكْثَرِ تُشَبِّهُ الْمَعْمَى كَتَايِفِ جَابِرِ بْنِ حَيَّانَ فِي رِسَالَتِهِ السَّبْعِينَ وَمَسَامَةِ الْحَجَرِ طَبِيعِي  
 فِي كِتَابَةِ رُتْبَةِ الْحَكِيمِ وَالطُّغْرَانِيِّ وَالْمَغِيرِيِّ فِي قِصَائِدِهِ الْعَرَبِيَّةِ فِي إِجَادَةِ النَّظْمِ  
 وَأَمْثَالِهَا وَلَا يَحْلُونَ مِنْ بَعْدِ هَذَا كُلِّهِ بِطَائِلٍ مِنْهَا . فَفَاوَضْتُ يَوْمًا شَيْخَنَا أَبَا الْبَرَكَاتِ  
 التَّنْفِيضِيَّ كَبِيرَ مَشِيخَةِ الْأَنْدَلُسِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَوَفَّقْتُهُ عَلَى بَعْضِ التَّأْلِيفِ فِيهَا فَتَصَفَّحَهُ  
 طَوِيلًا ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي وَأَنَا الضَّامِنُ لَهُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيَّ يَتِيهِ إِلَّا بِالْخَبِيرَةِ ثُمَّ مِنْهُمْ  
 مَنْ يَقْتَصِرُ فِي ذَلِكَ عَلَى الدُّلْسَةِ فَقَطْ إِمَّا الظَّاهِرَةَ كَتَمْوِيهِ الْفِضَّةِ بِالذَّهَبِ أَوِ الْخَاسِ  
 بِالْفِضَّةِ أَوْ خَلَطَهَا عَلَى نِسْبَةٍ جُزْءٍ أَوْ جُزْءَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ خَفِيَّةٍ كَالْقَاءِ الشَّيْبَةِ بَيْنَ  
 الْمَعَادِنِ بِالصَّنَاعَةِ مِثْلَ تَبْيِضِ الْخَاسِ وَتَلْبِيسِهِ بِالزُّوقِ الْمُصَعَّدِ فَيَجِيءُ جِسْمًا مَعْدِنِيًّا

شَيْبًا بِالْفِضَّةِ وَيَخْفَى إِلَّا عَلَى النَّقَادِ الْمَهْرَةِ فَيَقْدَرُ أَصْحَابُ هَذِهِ الدَّاسِ مَعَ دُلْسَتِهِمْ  
هَذِهِ سَكَّةٌ يَسْتَرْبُونَهَا فِي النَّاسِ وَيَطْبَعُونَهَا بِطَابَعِ السُّلْطَانِ تَمْوِيهَا عَلَى الْجُمْهُورِ بِالْخِلَاصِ  
وَهَوْلَاءُ أَخْسُ النَّاسِ حِرْفَةً وَأَسْوَأُهُمْ عَاقِبَةً لِيَتَلَبَّسَهُمْ بِسَرِقَةِ أَمْوَالِ النَّاسِ فَإِنَّ صَاحِبَ  
هَذِهِ الدُّلْسَةِ إِنَّمَا هُوَ يَدْفَعُ مُحَاسَاً فِي الْفِضَّةِ وَفِضَّةً فِي الذَّهَبِ لِيَسْتَخْلِصَهَا لِنَفْسِهِ فَهُوَ  
سَارِقٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ السَّارِقِ وَمُعْظَمُ هَذَا الصِّنْفِ لَدَيْنَا بِالْمَغْرِبِ مِنْ طَلَبَةِ الْبَرِّيرِ الْمُتَبَذِّينِ  
بِأَطْرَافِ الْبَقَاعِ وَمَسَاكِنِ الْأَعْمَارِ يَأْوُونَ إِلَى مَسَاجِدِ الْبَادِيَةِ وَيُمَوِّهُونَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ  
مِنْهُمْ بِأَنْ يَأْتِيَهُمْ صِنَاعَةُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّفُوسُ مُوَلَّعةٌ بِحُبِّهِمَا وَالْإِسْتِهْلَاكُ فِيهِ  
طَلَبُهُمَا فَيَجْصَلُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَعَاشٍ ثُمَّ يَبْقَى ذَلِكَ عِنْدَهُمْ تَحْتَ الْخَوْفِ وَالرَّقَبَةِ إِلَى  
أَنْ يَظْهَرَ الْعَجْزُ وَتَقَعِ الْفَضِيحَةُ فَيَفِرُّونَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ وَيَسْتَجِدُّونَ حَالاً أُخْرَى فِي  
أَسْتِهْوَاءِ بَعْضِ أَهْلِ الدُّنْيَا بِأَطْمَاعِهِمْ فِيمَا لَدَيْهِمْ وَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ فِي ابْتِغَاءِ مَعَاشِهِمْ  
وَهَذَا الصِّنْفُ لَا كَلَامَ مَعَهُمْ لِأَنَّهُمْ بَلَغُوا الْغَايَةَ فِي الْجَهْلِ وَالرَّدَاءَةِ وَالْإِحْتِرَافِ بِالسَّرِقَةِ  
وَلَا حَاسِمٍ لِعَمَلِهِمْ إِلَّا أَشْتِدَادُ الْحُكَامِ عَلَيْهِمْ وَتَنَاوُلُهُمْ مِنْ حَيْثُ كَانُوا وَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ  
مَتَى ظَهَرُوا عَلَى شَأْنِهِمْ لِأَنَّ فِيهِ إِفْسَادًا لِلْسَكَّةِ الَّتِي تَعْمُ بِهَا الْبُلُوى وَهِيَ مُتَمَوِّلُ النَّاسِ  
كَكَافَّةِ السُّلْطَانِ مُكَلَّفٌ بِإِصْلَاحِهَا وَالْإِحْتِيَاطِ عَلَيْهَا وَالْإِشْدَادِ عَلَى مُفْسِدِهَا وَأَمَّا  
مَنْ اتَّخَلَ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَلَمْ يَرْضَ بِحَالِ الدُّلْسَةِ بَلِ اسْتَنَكَفَ عَنْهَا وَتَزَدَ نَفْسُهُ عَنْ إِفْسَادِ  
سَكَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَقْوَدِهِمْ وَإِنَّمَا يَطْلُبُ إِحَالََةَ الْفِضَّةِ لِلذَّهَبِ وَالرَّصَاصِ وَالنَّحَاسِ  
وَالْقَصْدِيرِ إِلَى الْفِضَّةِ بِذَلِكَ اتَّخُو مِنَ الْعِلَاجِ وَبِالْإِكْسِيرِ الْخَاصِلِ عِنْدَهُ فَلَنَا مَعَ هَوْلَاءِ  
مُتَكَلِّمٌ وَبَحْثٌ فِي مَدَارِكِهِمْ لِذَلِكَ مَعَ أَنَّا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ تَمَّ لَهُ هَذَا  
الْغَرَضُ أَوْ حَصَلَ مِنْهُ عَلَى بُغْيَةٍ إِنَّمَا تَذَهَبُ أَعْمَارُهُمْ فِي التَّدْبِيرِ وَالْفَهْرِ وَالصَّلَابَةِ  
وَالْتَضَعِيدِ وَالشَّكَايِسِ وَاعْتِيَامِ الْأَخْطَارِ بِجَمْعِ الْعَقَاقِيرِ وَالتَّجَنُّبِ عَنْهَا وَيَتَنَاقَلُونَ فِي ذَلِكَ  
حِكَايَاتٍ وَقَعَتْ لِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ تَمَّ لَهُ الْغَرَضُ مِنْهَا أَوْ وَقَفَتْ عَلَى الْوُصُولِ يَقْنَعُونَ بِاسْتِجَاعِهَا  
وَالْمُفَاوَضَاتِ فِيهَا وَلَا يَسْتَرْبِيُونَ فِي تَصَدِيقِهَا شَأْنُ الْكَافِينَ السَّعْرَمِينَ بُوَسَاوِسِ  
الْأَخْبَارِ فِيمَا يُكَافُونَ بِهِ فَإِذَا سُئِلُوا عَنْ تَحْقِيقِ ذَلِكَ بِالْمُعَايَنَةِ أَنْكَرُوهُ وَقَالُوا إِنَّمَا  
تَمَعْنَا وَلَمْ نَرَهُ كَذَا شَأْنِهِمْ فِي كُلِّ عَصْرِ وَجِيلٍ وَاعْلَمْ أَنَّ اتَّخَالَ هَذِهِ الصَّنْعَةِ قَدِيمٌ  
فِي الْعَالَمِ وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهَا مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ فَلَنَنْقُلَ مَذَاهِبَهُمْ فِي ذَلِكَ



ثُمَّ تَلَوْهُ بِمَا يَظْهَرُ فِيهَا مِنَ التَّحْقِيقِ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي تَفْسِيرِهِ فَقَوْلُ إِنْ مَبْنَى الْكَلَامِ  
 فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ عَلَى حَالِ الْمَعَادِنِ السَّبْعَةِ الْمَطْرُوقَةِ وَهِيَ الذَّهَبُ  
 وَالْفِضَّةُ وَالرَّصَاصُ وَالْقَصْدِيُّ وَالنُّجَاسُ وَالْحَدِيدُ وَالنَّارُصِينُ هَلْ هِيَ مُخْتَلِفَاتٌ بِالْفُضُولِ  
 وَكُلُّهَا أَنْوَاعٌ قَائِمَةٌ بِأَنْفُسِهَا أَوْ إِنَّمَا مُخْتَلِفَةٌ بِخَوَاصِّ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ وَهِيَ كُلُّهَا أَصْنَافٌ  
 لِنَوْعٍ وَاحِدٍ فَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو النَّصْرِ الْفَارَابِيُّ وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهَا  
 نَوْعٌ وَاحِدٌ وَأَنَّ اخْتِلَافَهَا إِنَّمَا هُوَ بِالْكَيفِيَّاتِ مِنَ الرُّطُوبَةِ وَالْيُوسَةِ وَاللَّيْنِ وَالصَّلَابَةِ  
 وَالْأَلْوَانِ مِنَ الصُّفْرِ وَالْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَهِيَ كُلُّهَا أَصْنَافٌ لِذَلِكَ النَّوعِ الْوَاحِدِ وَالَّذِي  
 ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ سِينَا وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْمَشْرِقِ أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ بِالْفُضُولِ وَأَنَّهَا أَنْوَاعٌ  
 مُتَبَايِنَةٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ مُتَحَقِّقٌ بِحَقِيقَتِهِ لَهُ فَضْلٌ وَجِنْسٌ شَانِ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ  
 وَبَنَى أَبُو النَّصْرِ الْفَارَابِيُّ عَلَى مَذْهَبِهِ فِي اتِّقَافِهَا بِالنَّوعِ إِمَّا كَانَ انْقِلَابٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ  
 لَا إِمَّا كَانَ تَبَدُّلُ الْأَعْرَاضِ حِينَئِذٍ وَعِلَاجُهَا بِالصَّنْعَةِ فَمِنْ هَذَا التَّوَجُّهِ كَانَتْ صِنَاعَةُ  
 الْكِيمِيَاءِ عِنْدَهُ مُمَكِّنَةً سَهْلَةً الْمَأْخُذِ وَبَنَى أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ سِينَا عَلَى مَذْهَبِهِ فِي اخْتِلَافِهَا  
 بِالنَّوعِ إِنْكَارَ هَذِهِ الصَّنْعَةِ وَاسْتَحَالَةَ وجودِهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْفَضْلَ لَا سَبِيلَ بِالصَّنَاعَةِ  
 إِلَيْهِ وَإِنَّمَا يَخْلُقُهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَمَقْدِرُهَا وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفُضُولُ مُجَهَّوْلَةٌ الْحَقَائِقُ  
 رَأْسًا بِالتَّصَوُّرِ فَكَيْفَ يُحَاوَلُ اتِّقَافُهَا بِالصَّنْعَةِ وَغَلَطَةُ الطُّغْرَائِيِّ مِنْ أَكْبَرِ أَهْلِ هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ فِي هَذَا الْقَوْلِ وَرَدَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ التَّدْبِيرَ وَالْعِلَاجَ لَيْسَ فِي تَخْلِيقِ الْفَضْلِ وَإِبْدَاعِهِ  
 وَإِنَّمَا هُوَ فِي إِعْدَادِ الْمَادَّةِ لِقَبُولِهِ خَاصَّةً وَالْفَضْلَ بِأَنَّهُ مِنْ بَعْدِ الْإِعْدَادِ مِنْ لَدُنْ خَالِقِهِ  
 وَبَارِئِهِ كَمَا يُفِيضُ النُّورَ عَلَى الْأَجْسَامِ بِالصَّغْلِ وَالْإِمْهَاءِ وَلَا حَاجَةَ بِنَا فِي ذَلِكَ إِلَى  
 تَصَوُّرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ قَالَ وَإِذَا كُنَّا قَدْ عَرَفْنَا عَلَى تَخْلِيقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مَعَ الْجَهْلِ بِفُضُولِهَا  
 مِثْلَ الْعَقْرَبِ مِنَ التُّرَابِ وَالنَّعْنَ وَنِثْلَ الْحَيَاتِ الْمُتَكَوِّنَةِ مِنَ الشَّعْرِ وَمِثْلَ مَا ذَكَرَهُ  
 أَصْحَابُ الْفِلَاحَةِ مِنْ تَكْوِينِ الدَّجَلِ إِذَا فُقِدَتْ مِنْ عَجَاجِيلِ الْبَقَرِ وَتَكْوِينِ الْقَصَبِ  
 مِنْ قُرُونِ ذَوَاتِ الظِّلْفِ وَتَصْيِيرِهِ سَكْرًا بِمَجْشُو الْقُرُونِ بِالْعَسَلِ بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ الْقَلْعِ  
 لِلْقُرُونِ فَمَا أَلْمَانِعُ إِذَا مِنَ الْعُثُورِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَتَتَّخِذُ مَادَّةً تُضِيفُهَا  
 لِلتَّدْبِيرِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا اسْتِعْدَادٌ أَوَّلُ لِقَبُولِ صُورَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ثُمَّ تُحَاوَلُهَا  
 بِالْعِلَاجِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ فِيهَا الْإِسْتِعْدَادُ لِقَبُولِ فَضْلِهَا أَنْتَهَى كَلَامُ الطُّغْرَائِيِّ بِمَعْنَاهُ وَهُوَ

الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ سِينَا صَحِيحٌ لَكِنَّا فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
مَأْخُذًا آخَرَ يَتَبَيَّنُ مِنْهُ اسْتِحْصَالُهُ وَجُودُهَا وَبُطْلَانُ زَعْمِهِمْ أَجْمَعِينَ لَا الطُّغْرَائِيُّ وَلَا ابْنُ  
سِينَا وَذَلِكَ أَنَّ حَاصِلَ عِلَاجِهِمْ أَنَّهُمْ بَعْدَ التَّوَقُّفِ عَلَى الْمَادَّةِ الْمُسْتَعِدَّةِ بِالْإِسْتِعْدَادِ  
الْأَوَّلِ يَجْعَلُونَهَا مَوْضُوعًا وَيَحَازُونَ فِي تَدْيِيرِهَا وَعِلَاجِهَا تَدْيِيرَ الطَّبِيعَةِ فِي الْجِسْمِ الْمَعْدِنِيِّ  
حَتَّى أَحَالَتُهُ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً وَيَضَاعِفُونَ الْقُوَى الْفَاعِلَةَ وَالْمُنْعِلَةَ لِيَتِمَّ فِي زَمَانٍ أَقْصَرَ  
لِأَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي مَوْضُوعِهِ أَنَّ مُضَاعَفَةَ قُوَّةِ الْفَاعِلِ تَنْقُصُ مِنْ زَمَنِ فِعْلِهِ وَتَبَيَّنَ أَنَّ الذَّهَبَ  
إِنَّمَا يَتِمُّ كَوْنُهُ فِي مَعْدِنِهِ بَعْدَ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ مِنَ السِّنِينَ دَوْرَةَ الشَّمْسِ الْكُبْرَى فَإِذَا  
تَضَاعَفَتِ الْقُوَى وَالْكَفَيَّاتُ فِي الْعِلَاجِ كَانَ زَمَنُ كَوْنِهِ أَقْصَرَ مِنْ ذَلِكَ ضَرُورَةً عَلَى  
مَا قُلْنَا أَوْ يَتَحَرَّوْنَ بِعِلَاجِهِمْ ذَلِكَ حُصُولَ صُورَةٍ زَوَاجِيَةٍ لِتِلْكَ الْمَادَّةِ تُصَوِّرُهَا  
كَالْخَمِيرَةِ فَتَفْعَلُ فِي الْجِسْمِ الْمَعَالِجِ الْأَفَاعِيلَ الْمَطْلُوبَةَ فِي إِحَالَتِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْإِسْبَرُ  
عَلَى مَا تَقَدَّمَ. وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مُتَكَوِّنٍ مِنَ الْمَوْلِدَاتِ الْعَنْصَرِيَّةِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَجْتِمَاعِ  
الْعُنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى نِسْبَةٍ مُتَفَاوِتَةٍ إِذْ لَوْ كَانَتْ مُتَكَافِئَةً فِي النِّسْبَةِ لَمَا تَمَّ امْتِزَاجُهَا  
فَلَا بُدَّ مِنَ الْجُزْءِ الْغَالِبِ عَلَى الْكُلِّ وَلَا بُدَّ فِي كُلِّ مُمْتَزَجٍ مِنَ الْمَوْلِدَاتِ مِنْ  
حَرَارَةٍ غَرِيزِيَّةٍ هِيَ الْفَاعِلَةُ لِكَوْنِهِ الْحَافِظَةُ لِصُورَتِهِ ثُمَّ كُلُّ مُتَكَوِّنٍ فِي زَمَانٍ فَلَا بُدَّ  
مِنْ اخْتِلَافِ أَطْوَارِهِ وَانْتِقَالِهِ فِي زَمَنِ الذُّكُورِينَ مِنْ طَوْرِ إِلَى طَوْرِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى  
غَايَتِهِ وَانْظُرْ شَانَ الْإِنْسَانِ فِي طَوْرِ النُّطْفَةِ ثُمَّ الْعَلَقَةِ ثُمَّ الْمَضْغَةِ ثُمَّ التَّصْوِيرِ ثُمَّ الْجَنِينِ  
ثُمَّ الْمَوْلُودِ ثُمَّ الرُّضِيعِ ثُمَّ إِلَى نِهَائِهِ وَنِسْبُ الْأَجْزَاءِ فِي كُلِّ طَوْرِ تَخْتَلِفُ فِي مَقَادِيرِهَا  
وَكَيْفِيَّاتِهَا وَإِلَّا لَكَانَ الطَّوْرُ الْأَوَّلُ بَعِيْنَهُ هُوَ الْآخِرُ وَكَذَا الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ فِي كُلِّ  
طَوْرِ مُخَالَفَةٌ لَهَا فِي الطَّوْرِ الْآخِرِ فَانْظُرْ إِلَى الذَّهَبِ مَا يَكُونُ لَهُ فِي مَعْدِنِهِ مِنْ  
الْأَطْوَارِ مِنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ وَثَمَانِينَ وَمَا يَنْتَقِلُ فِيهِ مِنَ الْأَحْوَالِ فَيَحْتَاجُ صَاحِبُ الْكِيمْيَاءِ  
إِلَى أَنْ يُسَاقَ فِعْلَ الطَّبِيعَةِ فِي الْمَعْدِنِ وَيَحَازِيَهُ بِتَدْيِيرِهِ وَعِلَاجِهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَمِنْ  
شَرْطِ الصَّنَاعَةِ أَبَدًا تَصَوُّرُ مَا يُقْصَدُ إِلَيْهِ بِالصَّنْعَةِ فَمِنْ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ لِلْحُكَمَاءِ أَوَّلُ  
الْعَمَلِ آخِرُ الْفِكْرَةِ وَآخِرُ الْفِكْرَةِ أَوَّلُ الْعَمَلِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَصَوُّرِ هَذِهِ الْحَالَاتِ لِلذَّهَبِ  
فِي أَحْوَالِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَنِسْبِهَا الْمَتَفَاوِتَةِ فِي كُلِّ طَوْرِ وَاخْتِلَافِ الْحَارِ الْغَرِيزِيِّ عِنْدَ  
اخْتِلَافِهَا وَمِقْدَارِ الزَّمَانِ فِي كُلِّ طَوْرِ وَمَا يَنْبُؤُ عَنْهُ مِنْ مِقْدَارِ الْقُوَى الْمُضَاعَفَةِ وَيَقُومُ



مَقَامُهُ حَتَّى يُحَاذِيَ بِذَلِكَ كُلَّهُ فِعْلَ الطَّبِيعَةِ فِي الْمَعْدِنِ أَوْ تُعَدُّ لِبَعْضِ الْمَوَادِّ صُورَةً  
 مِزَاجِيَّةً كَصُورَةِ الْخَمِيرَةِ لِلْخَبْزِ وَتَفْعُلُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ بِالْمُنَاسِبَةِ إِقْوَاهَا وَمَقَادِيرَهَا  
 وَهَذِهِ كُلُّهَا إِنَّمَا يَحْصُرُهَا الْعِلْمُ الْمُحِيطُ وَالْعُلُومُ الْبَشَرِيَّةُ قَاصِرَةٌ عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا حَالُ  
 مَنْ يَدْعِي حُسْرَاهُ عَلَى الذَّهَبِ بِهَذِهِ الصَّنْعَةِ بِمِثَابَةِ مَنْ يَدْعِي بِالصَّنْعَةِ تَخْلِيقَ إِنْسَانٍ مِنَ  
 الْعَمِيِّ وَتَمَنُّ إِذَا سَلِمْنَا لَهُ الْإِحَاطَةَ بِأَجْزَائِهِ وَنِسْبَتِهِ وَأَطْوَارِهِ وَكَيْفِيَّةِ تَخْلِيقِهِ فِي رَحِمِهِ  
 وَعَلِمَ ذَلِكَ عَالِمًا مُعَيَّنًا لَا يَتَفَاصِلُ بِهِ حَتَّى لَا يَشُدَّ مِنْهُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ سَلِمْنَا لَهُ تَخْلِيقَ هَذَا  
 الْإِنْسَانِ وَأَنَّى لَهُ ذَلِكَ وَلِنَقْرَبَ هَذَا الْبُرْهَانَ بِالِاخْتِصَارِ لَيْسَمُنْ فِهْمُهُ فَنَقُولُ: حَاصِلُ  
 صِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ وَمَا يَدْعُونَهُ بِهَذَا التَّدْبِيرِ أَنَّهُ مُسَاوِقَةُ الطَّبِيعَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ بِالْفِعْلِ الصَّنَاعِيِّ  
 وَمَحَاذَاتِهَا بِهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ كَوْنُ الْجِسْمِ الْمَعْدِنِيِّ أَوْ تَخْلِيقُ مَادَّةٍ بِقُوَى وَأَفْعَالٍ وَصُورَةٍ  
 مِزَاجِيَّةٍ تَتَفَعَّلُ فِي الْجِسْمِ فِعْلًا طَبِيعِيًّا فَتَصِيرُهُ وَتَقْبَلُهُ إِلَى صَوَرَتِهَا وَتَفْعُلُ الصَّنَاعِيَّ مُسَبِّقًا  
 بِتَصَوُّرَاتِ أَحْوَالِ الطَّبِيعَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ الَّتِي يَقْصِدُ مُسَاوِقَتَهَا أَوْ مُحَاذَاتِهَا أَوْ فِعْلَ الْمَادَّةِ  
 ذَاتِ الْقُوَى فِيهَا تَصَوُّرًا مُفَصَّلًا وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَتِلْكَ الْأَحْوَالُ لَا نِهَايَةَ لَهَا وَالْعِلْمُ  
 الْبَشَرِيُّ عَاجِزٌ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِمَا دُونَهَا وَهُوَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَقْصِدُ تَخْلِيقَ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانَ  
 أَوْ نَبَاتٍ هَذَا مُحْصَلُ هَذَا الْبُرْهَانِ وَهُوَ أَوْثَقُ مَا عَلِمْتُهُ وَلَيْسَتْ الْأَسْتِحَالَةُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ  
 الْفُتُولِ كَمَا رَأَيْتُهُ وَلَا مِنَ الطَّبِيعَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَعَذُّرِ الْإِحَاطَةِ وَقُصُورِ الْبَشَرِ عَنْهَا  
 وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ سِينَا بِمَعْزِلٍ عَنْ ذَلِكَ وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ فِي الْأَسْتِحَالَةِ مِنْ جِهَةِ غَابِئِهِ وَذَلِكَ  
 أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي الْحَجَرَيْنِ وَتَدْوَرُّهُمَا أَنَّهُمَا قِيمٌ لِمَكَاسِبِ النَّاسِ وَمُتَمَوِّلَانِهِمْ  
 فَلَوْ حَصَلَ عَلَيْهِمَا بِالصَّنْعَةِ لَبَطَلَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَكَثُرَ وُجُودُهُمَا حَتَّى لَا يَحْصُلَ  
 أَحَدٌ مِنْ أَقْتِنَائِهِمَا عَلَى شَيْءٍ وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ مِنَ الْأَسْتِحَالَةِ أَيْضًا وَهُوَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَتْرُكُ  
 أَقْرَبَ الطَّرِيقِ فِي أَفْعَالِهَا وَتَتْرُكُ الْأَعْوَصَ وَالْأَبْعَدَ فَلَوْ كَانَ هَذَا الطَّرِيقُ الصَّنَاعِيُّ  
 الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَحِيحٌ وَأَنَّهُ أَقْرَبُ مِنْ طَرِيقِ الطَّبِيعَةِ فِي مَعْدِنِهَا أَوْ أَقْلُ زَمَانًا لَمَا تَرَكَتْهُ  
 الطَّبِيعَةُ إِلَى طَرِيقِهَا الَّذِي سَلَكَتْهُ فِي كَوْنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَتَخْلُقُهُمَا وَأَمَّا تَشْبِيهُ  
 الطُّغْرَاءِ هَذَا التَّدْبِيرَ بِمَا عَثَرَ عَلَيْهِ مِنْ مُفْرَدَاتِ لَامِثَالِهِ فِي الطَّبِيعَةِ كَالْعَقْرَبِ وَالنَّحْلِ  
 وَالْحَيَّةِ وَتَخْلِيقِهَا فَأَمْرٌ صَحِيحٌ فِي هَذِهِ أَدَّى إِلَيْهِ الْعَثُورُ كَمَا زَعَمَ. وَأَمَّا الْكِيمِيَاءُ فَلَمْ  
 يَنْقُلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْعَالَمِ أَنَّهُ عَثَرَ عَلَيْهَا وَلَا عَلَى طَرِيقِهَا وَمَا زَالَ مُتَحَلِّوْهَا يَخْبِطُونَ

فِيهَا عَشَوَاءٌ إِلَى هَلُمَّ جَرًّا وَلَا يَظْفَرُونَ إِلَّا بِالْحِكَايَاتِ الْكَاذِبَةِ وَلَوْ صَحَّ ذَلِكَ لِأَحَدٍ  
 مِنْهُمْ لَحَفَظَهُ عَنْهُ أَوْلَادُهُ أَوْ تَلْمِيزُهُ وَأَصْحَابُهُ وَتَوَقَّلَ فِي الْأَصْدِقَاءِ وَضَمَّنَ تَصَدِيقَهُ صِحَّةَ  
 الْعَمَلِ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ يَنْتَشِرَ وَيَبْلُغَ إِلَيْنَا وَإِلَى غَيْرِنَا. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْإِكْسِيرَ بِمَثَابَةِ  
 الْخَمِيرَةِ وَإِنَّهُ مُرَكَّبٌ يُحْيِلُ مَا يَحْصُلُ فِيهِ وَيَقْلِبُهُ إِلَى ذَلِكَ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَمِيرَةَ إِنَّمَا  
 أَقْلَبُ الْعَجِينَ وَتُعَدُّ لِلْهَضْمِ وَهُوَ فَسَادٌ وَالْفَسَادُ فِي الْمَوَادِّ سَهْلٌ يَقَعُ بِأَيِّسَرِ شَيْءٍ مِنْ  
 الْأَفْعَالِ وَالطَّبَائِعِ وَالْمَطْلُوبُ بِالْإِكْسِيرِ قَلْبُ الْمَعْدِنِ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَعْلَى  
 فَهُوَ تَكْوِينٌ وَصَلَاحٌ وَالتَّكْوِينُ أَضْعَبُ مِنَ الْفَسَادِ فَلَا يُقَاسُ إِلَّا كَسِيرُ بِالْخَمِيرَةِ  
 وَتَحْقِيقُ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْكِيمِيَاءَ إِنْ صَحَّ وُجُودُهَا كَمَا تَزْعُمُ الْحِكْمَاءُ الْمُتَكَلِّمُونَ  
 فِيهَا مِثْلُ جَابِرِ بْنِ حَيَّانَ وَمُسْلِمَةَ بْنِ أَحْمَدَ النُّجَاطِيِّ وَأَمثالِهِمْ فَلَيْسَتْ مِنْ بَابِ  
 الصَّنَائِعِ الطَّبِيعِيَّةِ وَلَا نَتِمُّ بِأَمْرِ صِنَاعِيٍّ وَلَيْسَ كَلَامُهُمْ فِيهَا مِنْ مَنَعَى الطَّبِيعِيَّاتِ إِنَّمَا  
 هُوَ مِنْ مَنَعَى كَلَامِهِمْ فِي الْأُمُورِ السَّخَرِيَّةِ وَسَائِرِ الْخَوَارِقِ وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لِلْحَلَّاجِ  
 وَغَيْرِهِ وَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمَةُ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ مَا يُشَبِّهُ ذَلِكَ وَكَلَامُهُ فِيهَا فِي كِتَابِ رُتَبَةِ  
 الْحَكِيمِ مِنْ هَذَا الْمَنَعَى وَهَذَا كَلَامُ جَابِرٍ فِي رَسَائِلِهِ وَنَحْوُ كَلَامِهِمْ فِيهِ مَعْرُوفٌ وَلَا  
 حَاجَةَ بِنَا إِلَى شَرْحِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَأَمْرُهُمَا عِنْدَهُمْ مِنْ كَلِمَاتِ الْمَوَادِّ الْخَارِجَةِ عَنْ حُكْمِ  
 الصَّنَائِعِ فَكَمَا لَا يَتَدَبَّرُ مَا مِنْهُ الْخَشَبُ وَالْحَيَوَانُ فِي يَوْمٍ أَوْ شَهْرٍ خَشَبًا أَوْ حَيَوَانًا  
 فِيمَا عَدَا مَجْرَى تَخْلِيقِهِ كَذَلِكَ لَا يَتَدَبَّرُ ذَهَبٌ مِنْ مَادَّةِ الذَّهَبِ فِي يَوْمٍ وَلَا شَهْرٍ وَلَا  
 يَتَغَيَّرُ طَرِيقُ عَادَتِهِ إِلَّا بِإِزْفَادِ مَا وَرَاءَ عَالَمِ الطَّبَائِعِ وَعَمَلِ الصَّنَائِعِ فَكَذَلِكَ مَنْ  
 طَلَبَ الْكِيمِيَاءَ طَلَبًا صِنَاعِيًّا ضَيَّعَ مَالَهُ وَعَمَلَهُ وَيُقَالُ لِهَذَا التَّدْبِيرِ الصِّنَاعِيِّ التَّدْبِيرُ  
 الْعَقِيمُ لِأَنَّهُ نَيْلُهُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا فَهُوَ وَافِعٌ مِمَّا وَرَاءَ الطَّبَائِعِ وَالصَّنَائِعِ كَالْمَشْيِ عَلَى  
 الْمَاءِ وَامْتِطَاءِ الْهَوَاءِ وَالنَّفُوزِ فِي كَثَائِفِ الْأَجْسَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ  
 الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ أَوْ مِثْلِ تَخْلِيقِ الطَّيْرِ وَنَحْوِهَا مِنْ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ تَعَالَى وَإِذْ تَخْلُقُ  
 مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهِ فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَعَلَى ذَلِكَ فَسَبِيلُ تَبْسِيرِهَا  
 مُخْتَلَفٌ بِحَسَبِ حَالِ مَنْ يُؤْتَاهَا فَرُبَّمَا أُوتِيَهَا الصَّالِحُ وَيُؤْتِيهَا غَيْرُهُ فَتَكُونُ عِنْدَهُ مَعَارَةً  
 وَرُبَّمَا أُوتِيَهَا الصَّالِحُ وَلَا يَمْلِكُ إِثْبَاتَهَا فَلَا نَتِمُّ فِي يَدِ غَيْرِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ يَكُونُ  
 عَمَلُهَا سَعْرًا فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهَا إِنَّمَا تَقَعُ بِتَأْثِيرَاتِ النُّفُوسِ وَخَوَارِقِ الْعَادَةِ إِمَّا مُعْجَزَةً أَوْ



سِحْرًا وَلِهَذَا كَانَ كَلَامُ الْحُكَمَاءِ كُلِّهِمْ فِيهَا إِنْغَارًا لَا يَطْفُرُ بِحَقِيقَتِهِ إِلَّا مَنْ خَاضَ لُجَّةَ  
 مِنْ عِلْمِ السِّحْرِ وَأَطْلَعَ عَلَى تَصَرُّفَاتِ النَّفْسِ فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ وَأُمُورِ خَرْقِ الْعَادَةِ غَيْرُ  
 مُنْخَصِرَةٍ وَلَا يَقْصِدُ أَحَدٌ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَأَكْثَرُ مَا يَحْمِلُ عَلَى  
 التَّمَسُّكِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَاتِّحَالُهَا هُوَ كَمَا قُلْنَا هُوَ الْعَجْزُ عَنِ الطَّرِيقِ الطَّبِيعِيِّ لِلْمَعَاشِ  
 وَابْتِغَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ وَجُوهِهِ الطَّبِيعِيِّ كَالْفَلَاخَةِ وَالتِّجَارَةِ وَالصَّنَاعَةِ فَيَسْتَضَعِبُ الْعَاجِزُ  
 ابْتِغَاءَهُ مِنْ هَذِهِ وَيَرْوِمُ الْحَصُولَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ دَفْعَةً بِوُجُوهِ غَيْرِ طَبِيعِيَّةٍ  
 مِنَ الْكِيمِيَاءِ وَغَيْرِهَا وَأَكْثَرُ مَنْ يُعْنَى بِذَلِكَ الْفُقَرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَانِ حَتَّى فِي الْحُكَمَاءِ  
 الْمُتَكَلِّمِينَ فِي انْكَارِهَا وَاسْتِحْالَتِهَا فَإِنْ أَبْنَى سِينَا الْقَائِلَ بِاسْتِحْالَتِهَا كَانَ عَلَيْهِ الْوَزَرَاءُ  
 فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى وَالثَّرْوَةِ وَالْفَرَاقِي الْقَائِلَ بِإِمْكَانِهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَقْرِ الَّذِينَ يُعَوِّزُهُمْ  
 أَدْنَى بُلْغَةٍ مِنَ الْمَعَاشِ وَأَسْبَابِهِ وَهَذِهِ تَهْمَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنْظَارِ النَّفُوسِ الْمُؤَلَّغَةِ بِطَرَفِهَا  
 وَاتِّحَالِهَا وَاللَّهُ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل السابع والعشرون

في ان كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل

اعْلَمْ أَنَّهُ مِمَّا أَخَّرَ بِالنَّاسِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْوُقُوفِ عَلَى غَايَاتِهِ كَثْرَةُ التَّأْلِيفِ  
 وَاخْتِلَافُ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِي التَّعَالِيمِ وَتَعَدُّ طُرُقِهَا ثُمَّ مَطَالَبَةُ الْمُتَعَلِّمِ وَالتَّلْمِيزُ بِاسْتِخْضَارِ  
 ذَلِكَ وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ لَهُ مَنْصِبُ التَّحْصِيلِ فَيُجْتَاجُ الْمُتَعَلِّمُ إِلَى حِظِّهَا كُلِّهَا أَوْ أَكْثَرِهَا  
 وَمُرَاعَاةِ طُرُقِهَا وَلَا يَفِي عُمْرُهُ بِمَا كُتِبَ فِي صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا تَجَرَّدَ لَهَا فَيَقَعُ الْقُصُورُ وَلَا  
 يَدُّ دُونَ رُتْبَةِ التَّحْصِيلِ وَيُمَثِّلُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ الْفِقْهِ فِي الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ بِالْكِتَابِ  
 الْمَدُونَةِ مَثَلًا وَمَا كُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الشُّرُوحَاتِ الْفِقْهِيَّةِ مِثْلَ كِتَابِ ابْنِ يُونُسَ وَاللُّغِيِّ  
 وَابْنِ بَشِيرٍ وَالتَّنْبِيهَاتِ وَالْمُقَدِّمَاتِ وَالْيَاكُنِ وَالتَّحْصِيلِ عَلَى الْعَبْدِيَّةِ وَكَذَلِكَ كِتَابُ ابْنِ  
 الْحَاجِبِ وَمَا كُتِبَ عَلَيْهِ ثُمَّ إِنَّهُ يُجْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزِ الطَّرِيقَةِ الْفَقِيرَوَانِيَّةِ مِنَ الْقُرْطُوبِيَّةِ  
 وَالبَغْدَادِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ وَطُرُقِ الْمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُمْ وَالْإِحَاطَةُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ  
 لَهُ مَنْصِبُ الْفَتْوَا وَهِيَ كُلُّهَا مُتَكَرِّرَةٌ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ وَالْمُتَعَلِّمُ مُطَالِبٌ بِاسْتِخْضَارِ جَمِيعِهَا  
 وَتَمْيِيزِ مَا بَيْنَهَا وَالْعُمُرُ يَنْقُضِي فِي وَاحِدٍ مِنْهَا وَلَوْ اقْتَصَرَ الْمُعَلِّمُونَ بِالْمُعَلِّمِينَ عَلَى  
 الْمَسَائِلِ الْمَذْهَبِيَّةِ فَقَطْ لَكَانَ الْأَمْرُ دُونَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ وَكَانَ الْبَعْلُ سَهْلًا وَمَا خَذَهُ

قَرِيبًا وَلَكِنَّهُ دَائِلٌ لَا يَرْتَفِعُ لِاسْتِقْرَارِ الْعَوَائِدِ عَلَيْهِ فَصَارَتْ كَالطَّبِيعَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ  
تَقْلَمَهَا وَلَا تَحْوِيلَهَا وَيُمَثِّلُ أَيْضًا عِلْمُ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ كِتَابِ سَبْيَوِيهِ وَجَمِيعِ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ  
وَطُرُقِ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ وَالْبَغْدَادِيِّينَ وَالْأَنْدَلُسِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَطُرُقِ الْمُتَقَدِّمِينَ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِثْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ وَابْنِ مَالِكٍ وَجَمِيعِ مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ كَيْفَ يُطَالَبُ  
بِهِ الْمُتَعَلِّمُ وَيَنْقُضِي عُمُرَهُ دُونَهُ وَلَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي الْغَايَةِ مِنْهُ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ مِثْلُ  
مَا وَصَلَ إِلَيْنَا بِالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ تَأْلِيفِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ  
مِصْرَ يُعْرِفُ بِابْنِ هَاشِمٍ ظَهَرَ مِنْ كَلَامِهِ فِيهَا أَنَّهُ اسْتَوَلَى عَلَى غَايَةِ مِنْ مَلَكَتْ تِلْكَ  
الصَّنَاعَةَ لَمْ تَحْصُلْ إِلَّا لِسَبْيَوِيهِ وَابْنِ جَنِّي وَأَهْلِ طَبَقَتَيْهِمَا لِعِظَمِ مَلَكَتِهِ وَمَا أَحَاطَ  
بِهِ مِنْ أُصُولِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَفَارِيعِهِ وَحُسْنِ تَصَرُّفِهِ فِيهِ وَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْفَضْلَ لَيْسَ مُنْخَصِرًا  
فِي الْمُتَقَدِّمِينَ سَيِّمًا مَعَ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ كَثَرَةِ الشَّوَاغِبِ بِتَعَدُّدِ الْمَذَاهِبِ وَالطَّرِيقِ  
وَالتَّأْلِيفِ وَلَكِنْ فَضَّلَ اللَّهُ بُؤْيُيَهُ مِنْ يَشَاءُ وَهَذَا نَادِرٌ مِنْ نَوَادِرِ الْوُجُودِ وَإِلَّا فَالظَّاهِرُ  
أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ وَلَوْ قَطَعَ عُمُرُهُ فِي هَذَا كَلِّهِ فَلَا يَبْقَى لَهُ بِتَحْصِيلِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ مِثْلًا الَّذِي  
هُوَ آلَةٌ مِنَ الْآلَاتِ وَوَسِيلَةٌ فَكَيْفَ يَكُونُ فِي الْمَقْصُودِ الَّذِي هُوَ الثَّمَرَةُ وَلَكِنْ  
اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

### الفصل الثامن والعشرون

فِي أَنَّ كَثَرَةَ الْاِخْتِصَارَاتِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي الْعُلُومِ مُخْلَةٌ بِالتَّعْلِيمِ  
ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ إِلَى اخْتِصَارِ الطَّرِيقِ وَالْإِنْجَاءِ فِي الْعُلُومِ يُوَلِّعُونَ بِهَا  
وَيَدَوِّنُونَ مِنْهَا بِرِثَائِجًا مُخْتَصَرًا فِي كُلِّ عِلْمٍ يَشْتَمِلُ عَلَى حَضَرِ مَسَائِلِهِ وَأَدِلَّتِهَا بِاخْتِصَارِ  
فِي الْأَلْفَافِ وَحَشَوِ الْقَلِيلِ مِنْهَا بِالْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ مِنْ ذَلِكَ الْفَنِّ وَصَارَ ذَلِكَ مُخْلًا  
بِالْبَلَاغَةِ وَعَسِرًا عَلَى الْفَهْمِ وَرُبَّمَا عَمِدُوا إِلَى الْكُتُبِ الْأُمَمَاتِ الْمَطْوُولَةِ فِي الْفُنُونِ  
لِلتَّفْسِيرِ وَالْبَيَانِ فَأَخْصَرُوهَا أَقْرَبًا لِلْخِطِّ كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي الْفِقْهِ وَابْنُ مَالِكٍ  
فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالْخَوَنِجِيُّ فِي الْمَنْطِقِ وَأَمْثَالُهُمْ وَهُوَ فُسَادٌ فِي التَّعْلِيمِ وَفِيهِ إِخْلَالٌ بِالتَّحْصِيلِ  
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِيهِ تَخْلِيطٌ عَلَى الْمُبْتَدِئِ بِإِلْقَاءِ الْغَايَاتِ مِنْ الْعِلْمِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَمْ يَسْتَعِدْ  
لِقَبُولِهَا بَعْدَ وَهُوَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ كَمَا سَيَأْتِي ثُمَّ فِيهِ مَعَ ذَلِكَ شُغْلٌ كَبِيرٌ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ  
بِتَتَبُعِ الْأَفَافِ الْاِخْتِصَارِ الْعَوِيصَةِ لِقَهْمِ بِنَازِحِ الْمَعَانِي عَلَيْهَا وَصُعُوبَةِ اسْتِخْرَاجِ الْمَسَائِلِ



مِنْ يَنْبَغُ لَأَنَّ الْفَاطَ الْمُخْتَصَرَاتِ مَجْدُهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ صَعْبَةٌ عَوِيسَةٌ فَيَنْقَطِعُ فِي فَرْهَمِهَا حَظُّ  
صَالِحٍ عَنِ الْوَقْتِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَالْمَلَكَةُ الْخَاصَّةُ مِنَ التَّعْلِيمِ فِي تِلْكَ الْمُخْتَصَرَاتِ إِذَا  
تَمَّ عَلَى سَدَادِهِ وَلَمْ تَعْقِبْهُ آفَةٌ فَهِيَ مَلَكَةٌ قَاصِرَةٌ عَنِ الْمَلَكَاتِ الَّتِي تَحْصُلُ مِنَ  
الْمَوْضُوعَاتِ الْبَسِيطَةِ الْمُطَوَّلَةِ بِكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فِي تِلْكَ مِنَ التَّكْرَارِ وَالْإِحَالَةِ الْمُفِيدَتَيْنِ  
لِحُصُولِ الْمَلَكَةِ التَّامَّةِ وَإِذَا اقْتَصَرَ عَلَى التَّكْرَارِ قَصُرَتْ الْمَلَكَةُ لِقِلَّتِهِ كَشَاءُ  
هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُخْتَصَرَةِ فَقَصَدُوا إِلَى تَسْهِيلِ الْخِطِّ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ فَأَزَكَّوهُمْ صَعْبًا  
يَقْطَعُهُمْ عَنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَاتِ النَّافِعَةِ وَتَمَكَّنِيهَا وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ  
يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل التاسع والعشرون

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

إِعْلَمُ أَنَّ تَلْقِينَ الْعُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا كَانَ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا  
فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يُلْقَى عَلَيْهِ أَوَّلًا مَسَائِلُ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أَصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ  
وَيُقَرَّبُ لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَبُرَاعَى فِي ذَلِكَ قُوَّةُ عَقْلِهِ وَاسْتِعْدَادُهُ لِقَبُولِ  
مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ  
إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ وَغَايَتُهَا أَنَّهَا هَيَأَتُهَا لِفَهْمِ الْفَنِّ وَتَحْصِيلِ مَسَائِلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ  
إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينِ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَةِ إِلَى أَعْلَى مِنْهَا وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ  
وَالْبَيَانَ وَيَخْرُجُ عَنِ الْإِجْمَالِ وَيَذْكُرُ لَهُ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أُنْتِ  
يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَّ فَلَا يَتْرُكُ عَوِيسًا وَلَا مِهْمًا  
وَلَا مُغْلَقًا إِلَّا وَضَحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَى مَلَكَتِهِ هَذَا  
وَجْهُ التَّعْلِيمِ الْمُفِيدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكَرُّرَاتٍ وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ  
فِي أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يُخْلَقُ لَهُ وَيَتَسَرَّرُ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ  
لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَدْرَكْنَا يَجْهَلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ وَإِفَادَاتِهِ وَيَحْضُرُونَ لِلتَّعْلِيمِ فِي أَوَّلِ  
تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقْفَلَةَ مِنَ الْعِلْمِ وَيُطَالِبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذَهْنِهِ فِي حَلِّهَا وَيَحْسِبُونَ ذَلِكَ  
مِرَانًا عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيُكَلِّفُونَهُ رَغِي ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ وَيَخْلُطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يَلْقَوْنَ  
لَهُ مِنْ غَايَاتِ الْفَنُونِ فِي مَبَادِيهَا وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِفَهْمِهَا فَإِنْ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالِاسْتِعْدَادَاتِ

لَفَهْمِهِ تَنْشَأُ تَدْرِيجًا وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْفَهْمِ بِالْجُمْلَةِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
وَعَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ وَالْإِجْمَالِ وَالْأَمْثَالِ الْحَسِيَّةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْإِسْتِعْدَادُ فِيهِ  
يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا قَلِيلًا بِمُخَالَفَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالْإِسْتِعْدَادُ ثُمَّ فِي  
الْتَحْصِيلِ وَيُحِيطُ هُوَ بِمَسَائِلِ الْفَنِّ وَإِذَا أُقْبِتَ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَائِاتِ وَهُوَ حِينَئِذٍ  
عَاجِزٌ عَنِ الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدٌ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لَهُ كُلُّ ذِهْنُهُ عَنْهَا وَحَسِبَ ذَلِكَ مِنْ  
صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ قَبُولِهِ وَتَمَادَى فِي هُجْرَانِهِ وَإِنَّمَا أَتَى  
ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ  
عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا كَانَ أَوْ مُنْتَهِيًا وَلَا يَخْلُطُ  
مَسَائِلَ الْكِتَابِ بغيرِهَا حَتَّى يَبْعَثَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَيُحْصِلَ أَغْرَاضَهُ وَيَسْتَوِلِي مِنْهُ  
عَلَى مَلَكَتِهَا يَنْفُذُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَتُ مَا فِي عِلْمِهِ مِنَ الْعُلُومِ  
اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ الزَّيْدِ وَالنَّهْضِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى  
يَسْتَوِلِي عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ وَإِذَا خَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ عَجِزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَذْرَكَ الْكَلَالَ  
وَأَنْطَمَسَ فِكْرُهُ وَبَيَسَ مِنَ الْتَحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ  
يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تُطَوِّلَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ فِي الْفَنِّ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْمَجَالِسِ وَتَقْطِيعِ مَا  
بَيْنَهَا لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى النِّسْيَانِ وَانْقِطَاعِ مَسَائِلِ الْفَنِّ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ  
الْمَلَكَتِ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ الْعِلْمِ وَأَوَاخِرُهُ حَاضِرَةً عِنْدَ الْفِكْرِ بُجَانَةً  
لِلنِّسْيَانِ كَانَتْ الْمَلَكَتُ أَيْسَرَ حُصُولًا وَأَحْكَمَ أَرْتِبَاطًا وَأَقْرَبَ صِبْغَةً لِأَنَّ الْمَلَكَاتِ  
إِنَّمَا تُحْصَلُ بِتَتَابُعِ الْفِعْلِ وَتَكَرُّرِهِ وَإِذَا تُنَوِّسِيَ الْفِعْلُ تُنَوِّسِيَتِ الْمَلَكَتُ النَّاشِئَةُ عَنْهُ  
وَاللَّهُ عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَمِنْ الْمَذَاهِبِ الْجَمِيلَةِ وَالطَّرِيقِ الْوَاجِبَةِ فِي  
التَّعْلِيمِ أَنْ لَا يَخْلُطَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَظْفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا  
فِيهِ مِنْ انْقِسَامِ الْبَالِ وَأَنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَفْهَمِ الْآخَرِ فَيَسْتَغْنِقَانِ مَعًا  
وَيَسْتَضَعِبَانِ وَيَعُودُ مِنْهُمَا بِالْخَبِيَةِ وَإِذَا تَفَرَّغَ الْفِكْرُ لِلتَّعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ  
فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ لِحُصُولِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤْتَقُ لِلصَّوَابِ وَأَعْلَمُ أَهْلِهَا الْمُتَعَلِّمُ  
أَنِّي أَتَخَفُكَ بِفَائِدَةٍ فِي تَعْلَمِكَ فَإِنْ تَلَقَّيْتَهَا بِالْقَبُولِ وَأَمْسَكْتَهَا بِيَدِ الصَّنَاعَةِ ظَفَرْتَ  
بِكَنْزٍ عَظِيمٍ وَذَخِيرَةٍ شَرِيفَةٍ وَأَقْدَمُ لَكَ مُقَدِّمَةٌ تُعِينُكَ فِي فَهْمِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْفِكْرَ



الْإِنْسَانِيَّ طَبِيعَةً مَخْصُوصَةً فَطَرَهَا اللَّهُ كَمَا فَطَرَ سَائِرَ مُبْتَدَعَاتِهِ وَهُوَ وَجَدَانُ حَرَكَةٍ لِلنَّفْسِ  
 فِي الْبَطْنِ الْاَوْسَطِ مِنَ الدِّمَاغِ تَارَةً يَكُونُ مَبْدَأُ الْأَفْعَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ  
 وَتَارَةً يَكُونُ مَبْدَأُ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَكُنْ حَاصِلًا بِأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَقَدْ يَصُورُ طَرَفِيهِ  
 يَرُومُ نَفْيَهُ أَوْ إِثْبَاتَهُ فَيُلَوِّحُ لَهُ الْاَوْسَطُ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا أَسْرَعَ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ إِنْ  
 كَانَ وَاحِدًا أَوْ يَنْتَقِلُ إِلَى تَحْصِيلِ آخَرَ إِنْ كَانَ مُتَعَدِّدًا وَيَصِيرُ إِلَى الظَّهْرِ بِمَطْلُوبِهِ  
 هَذَا شَأْنُ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَمَيَّزُ بِهَا الْبَشَرُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ثُمَّ الصِّنَاعَةُ  
 الْمُنَظَّقِيَّةُ هِيَ كَيْفِيَّةُ فِعْلِ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ تَصِفُهُ لَتَعْلَمَ سَدَادَهُ مِنْ خَطَائِهِ  
 وَأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ الصَّوَابُ لَهَا ذَاتِيًّا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَعْزِضُ لَهَا الْخَطَأُ فِي الْأَقْلِ مِنْ تَصَوُّرِ  
 الطَّرَفَيْنِ عَلَى غَيْرِ صُورَتِهِمَا مِنْ أَشْتِبَاهِ الْهَيْئَاتِ فِي نَظْمِ الْقَضَايَا وَتَرْتِيبِهَا لِلنِّتَاجِ فَتُعِينُ  
 الْمُنَظَّقَ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ وَرْطَةِ هَذَا الْفَسَادِ إِذَا عَرَّضَ فَالْمُنَظَّقُ إِذَا أَمَرَ صِنَاعِيٍّ مُسَاقٍ  
 لِلطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَمُنَظَّقٌ عَلَى صُورَةٍ فِعْلِيًّا وَلِكُونِهِ أَمْرًا صِنَاعِيًّا اسْتَغْنَى عَنْهُ فِي الْأَكْثَرِ  
 وَلِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ فُحُولِ النَّظَارِ فِي الْخَلِيقَةِ يَحْصُلُونَ عَلَى الْمَطَالِبِ فِي الْعُلُومِ دُونَ  
 صِنَاعَةِ الْمُنَظَّقِ وَلَا سِيَّمَا مَعَ صِدْقِ النِّيَّةِ وَالتَّعَرُّضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَكْثَرُ مَعْنَى  
 وَيَسْلُكُونَ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ عَلَى سَدَادِهَا فَيُفْضِي بِالطَّبَعِ إِلَى حُصُولِ الْاَوْسَطِ وَالْعِلْمِ  
 بِالْمَطْلُوبِ كَمَا فَطَرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ مِنْ دُونِ هَذَا الْأَمْرِ الصِّنَاعِيَّ الَّذِي هُوَ الْمُنَظَّقُ  
 مُقَدِّمَةٌ أُخْرَى مِنَ التَّعْلِيمِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْأَلْفَاظِ وَدَلَالَتُهَا عَلَى الْمَعَانِي الدِّهْنِيَّةِ تَرُدُّهَا مِنْ  
 مُشَافَهَةِ الرُّسُومِ بِالْكِتَابِ وَمُشَافَهَةِ اللِّسَانِ بِالْخِطَابِ فَلَا بُدَّ أَيْهَا الْمُتَعَلِّمُ مِنْ مُجَاوَزَتِكَ  
 هَذِهِ الْحُجُبَ كُلَّهَا إِلَى الْفِكْرِ فِي مَطْلُوبِكَ فَأَوْلَا دَلَالَةَ الْكِتَابَةِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْأَلْفَاظِ  
 الْمَقُولَةِ وَهِيَ أَخْفَاهَا ثُمَّ دَلَالَةَ الْأَلْفَاظِ الْمَقُولَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْمَطْلُوبَةِ ثُمَّ الْقَوَانِينُ فِي تَرْتِيبِ  
 الْمَعَانِي لِلِاسْتِدْلَالِ فِي قَوَالِبِهَا الْمَعْرُوفَةِ فِي صِنَاعَةِ الْمُنَظَّقِ ثُمَّ تِلْكَ الْمَعَانِي مُجَرَّدَةٌ فِي  
 الْفِكْرِ اشْتِرَاطًا يُقْتَضَى بِهَا الْمَطْلُوبُ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ بِالتَّعَرُّضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَمَوَاهِبِهِ  
 وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَتَجَاوَزُ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ بِسُرْعَةٍ وَلَا يَقْطَعُ هَذِهِ الْحُجُبَ فِي التَّعْلِيمِ بِسُهُولَةٍ  
 بَلْ رُبَّمَا وَقَفَ الدِّهْنُ فِي حُجُبِ الْأَلْفَاظِ بِالْمُنَاقَشَاتِ أَوْ عَثَرَ فِي أَشْتِرَاكِ الْأَدَلَّةِ بِشَغْبِ  
 الْجِدَالِ وَالْأَشْبَهَاتِ وَقَعَدَ عَنْ تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ وَلَمْ يَكُذْ يَتَخَلَّصْ مِنْ تِلْكَ الْعَمْرَةِ إِلَّا  
 قَلِيلٌ مِمَّنْ هَدَاهُ اللَّهُ فَإِذَا ابْتَلَيْتَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَعَرَّضَ لَكَ أَرْتِبَاكَ فِي فَهْمِكَ أَوْ

تَشْغِيبُ بِالشُّبُهَاتِ فِي ذَهْنِكَ فَأُطْرَحَ ذَلِكَ وَانْتَبَذَ حُجُبَ الْأَلْفَاظِ وَعَوَائِقَ الشُّبُهَاتِ  
وَأَتْرَكَ الْأَمْرَ الصَّنَاعِيَّ جُمْلَةً وَأَخْلَصَ إِلَى فِضَاءِ الْفِكْرِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي فُطِرَتْ عَلَيْهِ  
وَسَرَحَ نَظْرَكَ فِيهِ وَفَرَّغَ ذَهْنَكَ فِيهِ لِلْغَوْصِ عَلَى مَرَامِكَ مِنْهُ وَاضِعًا لَهَا حَيْثُ وَضَعَهَا  
أَكْبَرُ النُّظَارِ قَبْلَكَ مُسْتَعْرِضًا لِلْفَتْحِ مِنَ اللَّهِ كَمَا فَتَحَ عَلَيْهِمْ مِنْ ذُهُنِهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
وَعَالَمَهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَشْرَقَتْ عَلَيْكَ أَنْوَارُ الْفَتْحِ مِنَ اللَّهِ  
بِالْظَّفَرِ بِمَطْلُوبِكَ وَحَصَلَ الْإِمَامُ الْوَسْطُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ مُقَضِّيَاتِ هَذَا الْفِكْرِ  
وَنَظَرِهِ عَلَيْهِ كَمَا قُلْنَا وَحِينَئِذٍ فَارْجِعْ بِهِ إِلَى قَوَالِبِ الْأَدِلَّةِ وَصُورِهَا فَأَفْرِغْ فِيهَا  
وَوَفِّهِ حَقَّهُ مِنَ الْقَانُونِ الصَّنَاعِيِّ ثُمَّ أَكْسِهِ صُورَ الْأَلْفَاظِ وَأَبْرِزْهُ إِلَى عَالَمِ الْخُطَابِ  
وَالْمُشَافَهَةِ وَثَبِّتْ الْعُرَى صَحِيحَ الْبَيَانِ وَأَمَّا إِنْ وَقَفْتَ عِنْدَ الْمُنَاقَشَةِ وَالشُّبُهَةِ فِي الْأَدِلَّةِ  
الصَّنَاعِيَّةِ وَتَخَيَّصَ صَوَابُهَا مِنْ خَطَائِهَا وَهَذِهِ أُمُورٌ صِنَاعِيَّةٌ وَضَعِيَّةٌ تَسْتَوِي جِهَاتُهَا  
الْمُتَعَدِّدَةُ وَتَشَابَهُ لِأَجْلِ الْوَضْعِ وَالِاصْطِلَاحِ فَلَا تُمَيِّزُ جِهَةً الْحَقِّ مِنْهَا إِذْ جِهَةٌ  
الْحَقِّ إِنَّمَا تَسْتَبِينُ إِذَا كَانَتْ بِالطَّبْعِ فَيَسْتَمِرُّ مَا حَصَلَ مِنَ الشَّكِّ وَالِازْتِيَابِ وَتُسَدِّلُ  
الْحُجُبَ عَلَى الْمَطْلُوبِ وَتَقْعُدُ بِالنَّظَرِ عَنْ تَحْصِيلِهِ وَهَذَا شَأْنُ الْأَكْثَرِينَ مِنَ النُّظَارِ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ سِيمَا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ عَجْمَةٌ فِي لِسَانِهِ فَرَبَطَتْ عَنْ ذَهْنِهِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُ شُغْبٌ  
بِالْقَانُونِ الْمَنْطِقِيِّ تَعَصَّبَ لَهُ فَأَعْتَقَدَ أَنَّهُ الذَّرِيعَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ بِالطَّبْعِ فَيَقَعُ فِي  
الْحَيْرَةِ بَيْنَ شُبُهَةِ الْأَدِلَّةِ وَشُكُوكِهَا وَلَا يَكَادُ يَخْلُصُ مِنْهَا وَالذَّرِيعَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ  
بِالطَّبْعِ إِنَّمَا هُوَ الْفِكْرُ الطَّبِيعِيُّ كَمَا قُلْنَا إِذَا جُرِدَ عَنْ جَمِيعِ الْأَوْهَامِ وَتَعَرَّضَ النَّظَرُ  
فِيهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا الْمَنْطِقُ فَإِنَّمَا هُوَ وَاصِفٌ لِفِعْلِ هَذَا الْفِكْرِ فَيُسَاوِفُهُ  
فِي الْأَكْثَرِ فَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ وَاسْتَمِطِرْ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى مَتَى أَعُوزَكَ فَهَمْ الْمَسَائِلِ  
تُشْرِقُ عَلَيْكَ أَنْوَارُهُ بِإِلْهَامٍ إِلَى الصَّوَابِ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى رَحْمَتِهِ وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

### الفصل الثلاثون

في ان العلوم الالهية لا توسع فيها الانظار ولا تفرع المسائل  
اعلم ان العلوم المتعارفة بين اهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات  
كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والاطبيعات والالهييات



مِنَ الْفَلَسَفَةِ وَعُلُومٍ هِيَ وَسِيلَةٌ إِلَى هَذِهِ الْعُلُومِ كَالْعَرَبِيَّةِ وَالْحِسَابِ وَغَيْرِهِمَا لِلشَّرْعِيَّاتِ  
 كَالْمَنْطِقِ لِلْفَلَسَفَةِ وَرُبَّمَا كَانَ آتَى لِعِلْمِ الْكَلَامِ وَلِأَصُولِ الْفِقْهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ  
 فَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ مَقَاصِدُ فَلَا حَرَجَ فِي تَوْسِيعَةِ الْكَلَامِ فِيهَا وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ  
 وَاسْتِكْشَافِ الْأَدَلَّةِ وَالْأَنْظَارِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ طَالِبَهَا تَمَكُّنًا فِي مَا كَتَبَهُ وَإِبْضَاحًا  
 لِمَعَانِيهَا الْمَقْصُودَةِ وَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ آتَى لَهَا مِنْ مِثْلِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ وَأَمْثَالِهَا فَلَا  
 يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فِيهَا إِلَّا مِنْ حَيْثُ هِيَ آتَى لِذَلِكَ الْغَيْرِ فَقَطْ وَلَا يُوَسَّعُ فِيهَا الْكَلَامُ وَلَا  
 تُفْرَعُ الْمَسَائِلُ لِأَنَّ ذَلِكَ مُخْرِجٌ لَهَا عَنِ الْمَقْصُودِ إِذَا الْمَقْصُودُ مِنْهَا مَا هِيَ آتَى لَهُ لَا غَيْرُ  
 فَبِكُلِّ مَا خَرَجَتْ عَنْ ذَلِكَ خَرَجَتْ عَنِ الْمَقْصُودِ وَصَارَ الْإِشْتَغَالُ بِهَا لَفْوَاعًا مَعَ مَا فِيهِ  
 مِنْ صُعُوبَةٍ الْخُصُولِ عَلَى مَلَكَتِهَا بِطُولِهَا وَكَثْرَةِ فُرُوعِهَا وَرُبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عَائِقًا عَنْ  
 تَحْصِيلِ الْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ بِالذَّاتِ لَطُولِ وَسَائِلِهَا مَعَ أَنَّ شَأْنَهَا أَهَمُّ وَالْعُمُرُ يَقْصُرُ عَنْ  
 تَحْصِيلِ الْجَمِيعِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ فَيَكُونُ الْإِشْتَغَالُ بِهَذِهِ الْعُلُومِ الْآلِيَّةِ تَضْيِيعًا لِلْعُمُرِ  
 وَشُغْلًا بِمَا لَا يَنْبَغِي وَهَذَا كَمَا فَعَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِي صِنَاعَةِ النُّحُوصِ صِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ وَأَصُولِ  
 الْفِقْهِ لِأَنَّهُمْ أَوْسَعُوا دَائِرَةَ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَكْثَرُوا مِنَ التَّفَارِيعِ وَالِاسْتِدْلالاتِ بِمَا  
 أَخْرَجَهَا عَنْ كَوْنِهَا آتَى وَصَبَّرَهَا مِنَ الْمَقَاصِدِ وَرُبَّمَا يَقَعُ فِيهَا أَنْظَارٌ لَا حَاجَةَ بِهَا فِي  
 الْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ فَهِيَ مِنْ نَوْعِ الْإِلْغَاءِ وَهِيَ أَيْضًا مُضِرَّةٌ بِالْمُتَعَلِّمِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِأَنَّ  
 الْمُتَعَلِّمِينَ أَهْتَمُّهُمْ بِالْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَهْتِمَامِهِمْ بِوَسَائِلِهَا فَإِذَا قَطَعُوا  
 الْعُمُرَ فِي تَحْصِيلِ الْوَسَائِلِ قَمَتِ بَظْفَرُونَ بِالْمَقَاصِدِ فَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى الْمُعَلِّمِينَ لِهَذِهِ  
 الْعُلُومِ الْآلِيَّةِ أَنْ لَا يَسْتَجِرُّوا فِي شَأْنِهَا وَيَنْبَغِي لِلْمُتَعَلِّمِ عَلَى الْغَرَضِ مِنْهَا وَيَقْفُوا بِهِ عِنْدَهُ  
 قَمْنَ تَزَعَتْ بِهِ هِمَّتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوَعُّلِ فَلْيُرَقَّ لَهُ مَا شَاءَ مِنَ الْمُرَاقِي صَعْبًا  
 أَوْ سَهْلًا وَكُلَّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ

### الفصل الواحد والثلاثون

فِي تَعْلِيمِ الْوُلَدَانِ وَاخْتِلَافِ مَذَاهِبِ الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي طَرِيقِ  
 إِعْلَامِ أَنَّ تَعْلِيمَ الْوُلَدَانِ لِلْقُرْآنِ شِعَارُ الدِّينِ أَخَذَ بِهِ أَهْلُ الْمِلَّةِ وَدَرَجُوا عَلَيْهِ  
 فِي جَمِيعِ أَمْصَارِهِمْ لِمَا يَسْبِقُ فِيهِ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ رُسُوخِ الْإِيمَانِ وَعَقَائِدِهِ مِنْ  
 آيَاتِ الْقُرْآنِ وَبَعْضِ مَثُونِ الْأَحَادِيثِ وَصَارَ الْقُرْآنُ أَصْلَ التَّعْلِيمِ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْهِ

مَا يَحْصُلُ بَعْدُ مِنَ الْمَلَكَاتِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ التَّعْلِيمَ فِي الصَّغَرِ أَشَدُّ رُسُوخًا وَهُوَ  
 أَصْلُ لِمَا بَعْدَهُ لِأَنَّ السَّابِقَ الْأَوَّلَ لِلْقُلُوبِ كَالْأَسَاسِ لِلْمَلَكَاتِ وَعَلَى حَسَبِ الْأَسَاسِ  
 وَأَسَالِيهِ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَنْبَنِي عَلَيْهِ وَاخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لِلْوِلْدَانِ  
 بِاخْتِلَافِهِمْ بِاعْتِبَارِ مَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ التَّعْلِيمِ مِنَ الْمَلَكَاتِ فَأَمَّا أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
 فَمَذْهَبُهُمْ فِي الْوِلْدَانِ الْإِقْتِصَارُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ فَقَطْ وَأَخَذَهُمْ أَثْنَاءَ الْمُدَارَسَةِ  
 بِالرَّسْمِ وَمَسَائِلِهِ وَاخْتِلَافِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ لَا يَخْلُطُونَ ذَلِكَ بِسِوَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ  
 مَجَالِسِ تَعْلِيمِهِمْ لَا مِنْ حَدِيثٍ وَلَا مِنْ فِقْهِ وَلَا مِنْ شِعْرِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَى أَنْ  
 يَحْذِقَ فِيهِ أَوْ يَنْقَطِعَ دُونَهُ فَيَكُونُ انْقِطَاعُهُ فِي الْغَالِبِ انْقِطَاعًا عَنِ الْعِلْمِ بِالْجُمْلَةِ وَهَذَا  
 مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِالْمَغْرِبِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ قُرَى الْبَرْبَرِ أَمَّ الْمَغْرِبِ فِي وَلَدَانِهِمْ  
 إِلَى أَنْ يُجَاوِزُوا وَاحِدَ الْبُلُوغِ إِلَى الشَّيْبَةِ وَكَذَا فِي الْكَبِيرِ إِذَا رَجَعَ مُدَارَسَةَ الْقُرْآنِ  
 بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنْ عُمُرِهِ فَهُمْ لِذَلِكَ أَقْوَمُ عَلَى رَسْمِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّا أَهْلُ  
 الْأَنْدَلُسِ فَمَذْهَبُهُمْ تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَهَذَا دَوُّ الَّذِي يُرَاعُونَهُ فِي  
 التَّعْلِيمِ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ أَصْلَ ذَلِكَ وَأُسَّةً وَمَنْبَعَ الدِّينِ وَالْعُلُومِ جَعَلُوهُ أَصْلًا  
 فِي التَّعْلِيمِ فَلَا يَقْتَصِرُونَ لِذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَطْ بَلْ يَخْلُطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ لِلْوِلْدَانِ رِوَايَةَ الشَّعْرِ  
 فِي الْغَالِبِ وَالتَّرْسُلَ وَأَخَذَهُمْ بِقَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ وَحِفْظِهَا وَتَجْوِيدِ الْخَطِّ وَالْكِتَابِ وَلَا  
 تَخْصُصُ عِنَايَتَهُمْ فِيهِ بِالْخَطِّ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْوَلَدُ مِنْ عُمُرِ الْبُلُوغِ إِلَى  
 الشَّيْبَةِ وَقَدْ شَدَّ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّعْرِ وَالْبَصْرِ بِهِمَا وَبَرَزَ فِي الْخَطِّ وَالْكِتَابِ  
 وَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِ الْعِلْمِ عَلَى الْجُمْلَةِ لَوْ كَانَ فِيهَا سَنَدٌ لِتَعْلِيمِ الْعُلُومِ لَكِنَّهُمْ يَنْقَطِعُونَ عَنْ  
 ذَلِكَ لِانْقِطَاعِ سَنَدِ التَّعْلِيمِ فِي آفَاقِهِمْ وَلَا يَحْصُلُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَّا مَا حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ  
 التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ وَفِيهِ كِفَايَةٌ لِمَنْ أَرَشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاسْتَعْدَادٌ إِذَا وَجِدَ الْمُعَلِّمُ وَأَمَّا  
 أَهْلُ أَفْرِيْقِيَّةٍ فَيَخْلُطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ لِلْوِلْدَانِ الْقُرْآنَ بِالْحَدِيثِ فِي الْغَالِبِ وَمُدَارَسَةَ قَوَانِينِ  
 الْعُلُومِ وَتَلْقِينَ بَعْضَ مَسَائِلِهَا إِلَّا أَنَّ عِنَايَتَهُمْ بِالْقُرْآنِ وَاسْتِنْظَارَ الْوِلْدَانِ إِيَّاهُ وَوُقُوفَهُمْ  
 عَلَى اخْتِلَافِ رِوَايَاتِهِ وَقِرَاءَاتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا سِوَاهُ وَعِنَايَتَهُمْ بِالْخَطِّ تَبِعَ لِذَلِكَ وَبِالْجُمْلَةِ  
 فَطَرِيقُهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ أَقْرَبُ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَاسْتَقَرُّوا بِتُونِسَ وَعَنْهُمْ  
 أَخَذَ وَلَدَانَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ فَيَخْلُطُونَ فِي التَّعْلِيمِ كَذَلِكَ عَلَى مَا يَبْلُغُنَا



وَلَا أَذْرِي بِمَعْنَايَتِهِمْ مِنْهَا وَالَّذِي يُثْقِلُ لَنَا أَنْ عَنَّا يَتَّبِعُوا بِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ وَصُحُفِ الْعِلْمِ  
وَقَوَائِينِهِ فِي زَمَنِ السَّيِّئَةِ وَلَا يَخْلُطُونَ بِتَعْلِيمِ الْخَطِّ بَلْ لَتَعْلِيمِ الْخَطِّ عِنْدَهُمْ قَانُونٌ  
وَمُعَلِّمُونَ لَهُ عَلَى انْفِرَادِهِ كَمَا تُتَعَلَّمُ سَائِرُ الصَّنَائِعِ وَلَا يَتَدَاوَلُونَهَا فِي مَكَاتِبِ الصِّبْيَانِ وَإِذَا  
كَتَبُوا لَهُمُ الْأَلْوَاحَ فَبِخَطِّ قَاصِرٍ عَنِ الْإِجَادَةِ وَمَنْ أَرَادَ تَعَلَّمَ الْخَطَّ فَعَلَى قَدَرِ مَا يَسْتَحِ  
لُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْهَيْمَةِ فِي طَلَبِهِ وَيَتَّبِعِيهِ مِنْ أَهْلِ صَنْعَتِهِ فَأَمَّا أَهْلُ الْفَرِيقَةِ وَالْمَغْرِبِ  
فَأَفَادَهُمُ الْإِقْتِصَارُ عَلَى الْقُرْآنِ الْقُصُورُ عَنْ مَلَكََةِ اللِّسَانِ جُمْلَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا  
يَنْشَأُ عَنْهُ فِي الْغَالِبِ مَلَكََةٌ لِمَا أَنَّ الْبَشَرَ مَضْرُوفُونَ عَنِ الْإِثْنَانِ بِمِثْلِهِ فَهُمْ مَضْرُوفُونَ  
لِذَلِكَ عَنِ الْأَسْتِعْمَالِ عَلَى أَسَالِيهِهِ وَالْإِخْتِدَاءِ بِهَا وَلَيْسَ لَهُمْ مَلَكََةٌ فِي غَيْرِ أَسَالِيهِهِ  
فَلَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مَلَكََةٌ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَحِظُهُ الْجُمُودُ فِي الْعِبَارَاتِ وَقِلَّةُ التَّصَرُّفِ  
فِي الْكَلَامِ وَرُبَّمَا كَانَ أَهْلُ الْفَرِيقَةِ فِي ذَلِكَ أَخَفَّ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ لِمَا يَخْلُطُونَ  
فِي تَعْلِيمِهِمُ الْقُرْآنَ بِعِبَارَاتِ الْعُلُومِ فِي قَوَائِينِهَا كَمَا قُلْنَا فَيَقْتَدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ  
التَّصَرُّفِ وَمُحَاذَاةِ الْمَثَلِ بِالْمَثَلِ إِلَّا أَنَّ مَا كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ قَاصِرَةٌ عَنِ الْبَلَاغَةِ كَمَا  
سَيَأْتِي فِي فَصْلِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَأَفَادَهُمُ التَّفَنُّنُ فِي التَّعْلِيمِ وَكَثْرَةُ رَوَايَةِ الشِّعْرِ  
وَالْتَّرَسُّلُ وَمُدَارَسَةُ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَوَّلِ التَّمَرُّ حُصُولَ مَلَكََةِ صَارُوا بِهَا أَعْرَفَ فِي  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَقَصَّروا فِي سَائِرِ الْعُلُومِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ  
أَصْلُ الْعُلُومِ وَأَسَاسُهَا فَكَانُوا لِذَلِكَ أَهْلَ حِظٍّ وَأَدَبٍ بَارِعٍ أَوْ مُقْصِرٍ عَلَى حَسَبِ مَا  
يَكُونُ التَّعْلِيمُ الثَّانِي مِنْ بَعْدِ تَعْلِيمِ الصِّبْيِ وَلَقَدْ ذَهَبَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي  
كِتَابِ رَحْلَتِهِ إِلَى طَرِيقَةِ غَرَبِيَّةٍ فِي وَجْهِ التَّعْلِيمِ وَأَعَادَ فِي ذَلِكَ وَابْدَأَ وَقَدَّمَ تَعْلِيمَ  
الْعَرَبِيَّةِ وَالشِّعْرِ عَلَى سَائِرِ الْعُلُومِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ قَالَ لِأَنَّ الشِّعْرَ دِيْوَانُ  
الْعَرَبِ وَيَدْعُو عَلَى تَقْدِيمِهِ وَتَعْلِيمِ الْعَرَبِيَّةِ فِي التَّعْلِيمِ ضَرُورَةٌ فَسَادَ اللُّغَةُ ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ  
إِلَى الْحِسَابِ فَيَتِمَّرُنْ فِيهِ حَتَّى يَرَى الْقَوَائِينَ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَتَّبِعُ  
عَلَيْكَ بِهِذِهِ الْمَقْدَمَةَ ثُمَّ قَالَ وَبَاغْفَلَةَ أَهْلِ بِلَادِنَا فِي أَنْ يُؤْخَذَ الصِّبْيُ بِكِتَابِ اللَّهِ فِي  
أَوَامِرِهِ يَقْرَأُ مَا لَا يَفْهَمُ وَيَنْصَبُ فِي أَمْرِ غَيْرِهِ أَهْمٌ مَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَنْظُرُ فِي أَصُولِ  
الدِّينِ ثُمَّ أَصُولِ الْفَقْهِ ثُمَّ الْجَدَلِ ثُمَّ الْحَدِيثِ وَعُلُومِهِ وَنَهَى مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَخْطُ فِي التَّعْلِيمِ  
عِلْمَانِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتَعَلِّمُ قَابِلًا لِذَلِكَ بِجُودَةِ الْفَهْمِ وَالنَّشَاطِ هَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي

أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ لَعَمْرِي مَذْهَبٌ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّ الْعَوَائِدَ لَا تُسَاعِدُ عَلَيْهِ وَهِيَ أَمَلَكُ  
بِالْأَحْوَالِ وَوَجْهٌ مَا اخْتَصَّتْ بِهِ الْعَوَائِدُ مِنْ تَقْدِمِ دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ إِشَارًا لِلتَّبَرُّكِ وَالْثَوَابِ  
وَخَشْيَةِ مَا يَعْزُضُ لِلْوَلَدِ فِي جُنُونِ الصَّبِيِّ مِنَ الْآفَاتِ وَالْقَوَاطِعِ عَنِ الْعِلْمِ فَيَفُوتُهُ الْقُرْآنُ  
لَأَنَّهُ مَا دَامَ فِي الْحَجَرِ مُنْقَادٌ لِلْحُكْمِ فَإِذَا تَجَاوَزَ الْبُلُوغَ وَانْحَلَّ مِنْ رِبْقَةِ الْقَهْرِ فَرُبَّمَا  
عَصَفَتْ بِهِ رِيَا حُ الشَّيْبَةِ فَأَلْقَتْهُ بِسَاحِلِ الْبَطَالَةِ فَيَغْتَنِمُونَ فِي زَمَانِ الْحَجَرِ وَرِبْقَةَ  
الْحُكْمِ تَحْصِيلَ الْقُرْآنِ لِئَلَّا يَذْهَبَ خُلُوعًا مِنْهُ وَلَوْ حَصَلَ الْيَقِينُ بِاسْتِمْرَارِهِ فِي طَلَبِ  
الْعِلْمِ وَقَبُولِهِ التَّعْلِيمِ لَكَانَ هَذَا الْمَذْهَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَوَّلَى مَا أَخَذَ بِهِ أَهْلُ  
الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُشَاءُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الثاني والثلاثون

في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم

وَذَلِكَ أَنَّ إِزْهَافَ الْحَدِّ بِالتَّعْلِيمِ مُضِرٌّ بِالتَّعْلِيمِ سَيِّمًا فِي أَصَاغِرِ الْوَلَدِ لِأَنَّهُ مِنْ سُوءِ  
الْمَلَكَةِ وَمَنْ كَانَ مَرْبَاهُ بِالْعُسْفِ وَالْقَهْرِ مِنَ الْمُتَعْلِمِينَ أَوْ الْمَمَالِكِ أَوْ الْخُدَمِ  
سَطَا بِهِ الْقَهْرُ وَضَيَّقَ عَنِ النَّفْسِ فِي أَنْبَسَاطِهَا وَذَهَبَ بِنَشَاطِهَا وَدَعَاهُ إِلَى الْكَسَلِ وَحَمَلَ  
عَلَى الْكَذِبِ وَالْخُبْثِ وَهُوَ التَّظَاهُرُ بِغَيْرِ مَا فِي ضَمِيرِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْبَسَاطِ الْأَيْدِي بِالْقَهْرِ  
عَلَيْهِ وَعَلِمَهُ الْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ لِذَلِكَ وَصَارَتْ لَهُ هَذِهِ عَادَةٌ وَخُلُقًا وَفَسَدَتْ مَعَانِي  
الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ الْاجْتِمَاعُ وَالتَّمَرُّنُ وَهِيَ الْحِمِيَّةُ وَالْمُدَافَعَةُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْزِلِهِ  
وَصَارَ عِيَالًا عَلَى غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ بَلْ وَكَسَلَتِ النَّفْسُ عَنْ أَكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ وَالْخُلُقِ  
الْجَمِيلِ فَأَنْقَبَضَتْ عَنْ غَايَتِهَا وَمَدَى إِنْسَانِيَّتِهَا فَأَزْكَسَ وَعَادَ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ وَهَكَذَا  
وَقَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ حَصَلَتْ فِي قَبْضَةِ الْقَهْرِ وَنَالَ مِنْهَا الْعُسْفُ وَأَعْتَبَرَهُ فِي كُلِّ مَنْ يَمْلِكُ  
أَمْرَهُ عَلَيْهِ وَلَا تَكُونُ الْمَلَكَةُ الْكَافِلَةُ لَهُ رَفِيقَةً بِهِ وَتَجِدُ ذَلِكَ فِيهِمْ أَسْتَفْرَاءً  
وَأَنْظُرُهُ فِي الْيَهُودِ وَمَا حَصَلَ بِذَلِكَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِ السُّوءِ حَتَّى إِنَّهُمْ يُوصَفُونَ فِي كُلِّ  
أَفْقٍ وَعَصْرٍ بِالْحَرَجِ وَمَعْنَاهُ فِي الْأَصْطِلَاحِ الْمَشْهُورِ التَّخَابُثُ وَالْكَيدُ وَسَبِيهِ مَا قُلْنَاهُ  
فَيَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ فِي مُتَعَلِّمِهِ وَالْوَالِدِ فِي وَلَدِهِ أَنْ لَا يَسْتَبِدَّ عَلَيْهِمَا فِي التَّأْدِيبِ وَقَدْ قَالَ  
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلْفَهُ فِي حُكْمِ الْمُتَعْلِمِينَ وَالْمُتَعَلِّمِينَ لَا يَنْبَغِي  
لِمُؤَدِّبِ الصِّبْيَانِ أَنْ يَزِيدَ فِي ضَرْبِهِمْ إِذَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ شَيْئًا وَمِنْ



كَلَامِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ بِهِ الشَّرْعُ لَا أَدَبَهُ اللَّهُ حِرْصًا عَلَى صَوْنِ النُّفُوسِ  
عَنْ مَذَلَّةِ التَّأْدِيبِ وَعِلْمًا بِأَنَّ الْمَقْدَارَ الَّذِي عَيْنُهُ الشَّرْعُ لَذَلِكَ أَمْلَكَ لَهُ فَإِنَّهُ أَدَامَ  
بِمَصْلَحَتِهِ وَمِنْ أَحْسَنِ مَذَاهِبِ التَّعْلِيمِ مَا تَقَدَّمَ بِهِ الرَّشِيدُ لِمُعَلِّمٍ وَابْنِهِ نَحْمَدُ الْأَمِينَ  
فَقَالَ يَا أَحْمَرُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مَهْجَةً نَفْسِهِ وَثَمَرَةً قَلْبِهِ فَصَبِّرْ بِذَلِكَ عَلَيْهِ  
مَبْسُوطَةً وَطَاعَتَهُ لَكَ وَاجِبَةً وَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَّكَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْرَنَهُ الْقُرْآنَ  
وَعَرَّفَهُ الْأَخْبَارَ وَرَوَاهُ الْأَشْعَارَ وَعَلَّمَهُ السُّنَنَ وَبَصِّرَهُ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَبَدَائِهِ وَأَمْنَعَهُ  
مِنَ الضَّحْكَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَشَائِخِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَرَفَعَ  
مَجَالِسِ الْقَوَادِرِ إِذَا حَضَرُوا وَاجْلِسْهُ وَلَا تَمُرَنَّ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُعْتَنٍ بِفَائِدَةٍ تُفِيدُهُ  
إِيَّاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْزَنَهُ فَتُمِيتَ ذَهَنَهُ وَلَا تُنَمِّنَ فِي مَسَانِعِهِ فَيَسْتَجْلِي الْقَرَاغَ وَيَأْلَفَهُ  
وَقَوْمُهُ مَا اسْتَطَاعَتْ بِالْقُرْبِ وَالْمُلَابَنَةِ فَإِنْ أَبَاهَا فَعَلَيْكَ بِالشَّدَةِ وَالْغَلْظَةِ انْتَهَى

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة. يزيد كمال في التعلم  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْبَشَرَ يَأْخُذُونَ مَعَارِفَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَمَا يَنْتَحِلُونَ بِهِ مِنَ  
الْمَذَاهِبِ وَالْفَضَائِلِ تَارَةً عِلْمًا وَتَعْلِيمًا وَإِلْقَاءً وَتَارَةً تَحَاكَاةً وَتَلْقِينًا بِالْمُبَاشَرَةِ إِلَّا أَنَّ  
حُصُولَ الْمَلَكَاتِ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ وَالتَّلْقِينِ أَشَدَّ اسْتِحْكَامًا وَأَقْوَى رُسُوخًا فَعَلَى قَدَرِ  
كَثَرَةِ الشُّبُوحِ يَكُونُ حُصُولُ الْمَلَكَاتِ وَرُسُوخُهَا وَالْإِصْطِلَاحَاتِ أَيْضًا فِي تَعَالِيمِ  
الْعُلُومِ مُخَاطَبَةً عَلَى الْمُتَعَلِّمِ حَتَّى لَقَدْ يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ  
ذَلِكَ إِلَّا مَبَاشَرَتَهُ لِاخْتِلَافِ الطَّرِيقِ فِيهَا مِنَ الْمُعَلِّمِينَ فَلِقَاءُ أَهْلِ الْعُلُومِ وَتَعَدُّدُ الْمَشَائِخِ  
يُفِيدُهُ تَمْيِيزَ الْإِصْطِلَاحَاتِ بِمَا يَرَاهُ مِنْ اخْتِلَافِ طُرُقِهِمْ فِيهَا فَيَجَرِّدُ الْعِلْمَ عَنْهَا وَيَعْلَمُ  
أَنَّهَا أُنْجَاءُ تَعْلِيمٍ وَطُرُقٌ تُوصِلُ وَتُنْهَضُ قُوَاهُ إِلَى الرُّسُوخِ وَالْإِسْتِحْكَامِ فِي الْمَكَانِ  
وَتُصَحِّحُ مَعَارِفَهُ وَتُمَيِّزُهَا عَنْ سِوَاهَا مَعَ ثَقْوِيَّةٍ مَلَكَتْهُ بِالْمُبَاشَرَةِ وَالتَّلْقِينِ وَكَثَرَتِهَا  
مِنَ الْمَشِيخَةِ عِنْدَ تَعَدُّدِهِمْ وَتَنَوُّعِهِمْ وَهَذَا لِمَنْ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ طُرُقَ الْعِلْمِ وَالْهُدَايَةَ  
فَالرَّحْلَةُ لَا بَدَّ مِنْهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لَا كُنْثَابِ الْفَوَائِدِ وَالْكَمَالِ بِلِقَاءِ الْمَشَائِخِ وَمُبَاشَرَةِ  
الرِّجَالِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## الفصل الرابع والثلاثون

في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُعْتَادُونَ النَّظَرَ الْفِكْرِيَّ وَالْعَوَظَ عَلَى الْمَعَانِي وَانْتِزَاعَهَا مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ وَتَجَرِيدَهَا فِي الذِّهْنِ أُمُورًا كَلِمَةً عَامَةً يُحْكَمُ عَلَيْهَا بِأَمْرِ الْعُمُومِ لَا بِخُصُوصِ مَادَّةٍ وَلَا شَخْصٍ وَلَا جِيلٍ وَلَا أُمَّةٍ وَلَا صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ وَيُطَبِّقُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْكَلَامَ عَلَى الْخَارِجِيَّاتِ وَأَيْضًا يَقِيسُونَ الْأُمُورَ عَلَى أَشْبَاهِهَا وَأَمْثَالِهَا بِمَا أَعْتَادُوهُ مِنَ الْقِيَاسِ الْفَقْهِيِّ فَلَا تَزَالُ أَحْكَامُهُمْ وَأَنْظَارُهُمْ كُتُلًا فِي الذِّهْنِ وَلَا تَصِيرُ إِلَى الْمُطَابَقَةِ إِلَّا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ التَّبَحُّثِ وَالنَّظَرِ وَلَا تَصِيرُ بِالْجُمْلَةِ إِلَى الْمُطَابَقَةِ وَإِنَّمَا يَتَفَرَّغُ مَا فِي الْخَارِجِ عَمَّا فِي الذِّهْنِ مِنْ ذَلِكَ كَلَّا أَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّهَا فُرُوعٌ عَمَّا فِي الْمَحْفُوظِ مِنْ أَدَلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَتَطْلُبُ مُطَابَقَةُ مَا فِي الْخَارِجِ لَهَا عَكْسَ الْأَنْظَارِ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تَطْلُبُ فِي صَحَّتِهَا مُطَابَقَتَهَا لِمَا فِي الْخَارِجِ فَهُمْ مُتَعَوِّدُونَ فِي سَائِرِ أَنْظَارِهِمُ الْأُمُورَ لِلذِّهْنِيَّةِ وَالْأَنْظَارَ الْفِكْرِيَّةَ لَا يَتَعَرَّفُونَ سِوَاهَا وَالسِّيَاسَةُ يَحْتَاجُ صَاحِبُهَا إِلَى مُرَاعَاةِ مَا فِي الْخَارِجِ وَمَا يَلْحَقُهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَيَتَّبِعُهَا فَإِنَّهَا خَفِيَّةٌ وَلَعَلَّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَا يَمْنَعُ مِنَ إلْحَاقِهَا بِشَيْءٍ أَوْ مِثَالِ وَبِنَا فِي الْكَلَامِ الَّذِي يُحَاوِلُ تَطْيِيقَهُ عَلَيْهَا وَلَا يَقَاسُ شَيْءٌ مِنَ أَحْوَالِ الْعُمَرَانِ عَلَى الْآخِرِ كَمَا أَشْتَبَهَا فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ فَاعْلَمُهَا مَا اخْتَلَفَا فِي أُمُورٍ فَتَكُونُ الْعُلَمَاءُ لِأَجْلِ مَا تَعَوَّدُوهُ مِنْ تَعْمِيمِ الْأَحْكَامِ وَقِيَاسِ الْأُمُورِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ إِذَا نَظَرُوا فِي السِّيَاسَةِ افْرَغُوا ذَلِكَ فِي قَالِبِ أَنْظَارِهِمْ وَنَوَعَ اسْتِدْلَالَاتِهِمْ فَيَقَعُونَ فِي الْغَلَطِ كَثِيرًا وَلَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ وَيَلْحَقُ بِهِمْ أَهْلُ الدِّكَاةِ وَالْكَيْسِ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَانِ لِأَنَّهُمْ يَنْزِعُونَ بِشُغُوبٍ أَذْهَانَهُمْ إِلَى مِثْلِ شَأْنِ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْعَوَظِ عَلَى الْمَعَانِي وَالْقِيَاسِ وَالْمَحَاكَاةِ فَيَقَعُونَ فِي الْغَلَطِ وَالْعَامِي السَّلِيمُ الطَّبِيعِ الْمَتَوَسِّطُ الْكَيْسِ لِقُصُورِ فِكْرِهِ عَنْ ذَلِكَ وَعَدَمِ اعْتِيَادِهِ إِيَّاهُ يَقْتَصِرُ لِكُلِّ مَادَّةٍ عَلَى حُكْمِهَا وَفِي كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ عَلَى مَا اخْتَصَّ بِهِ وَلَا يُعَدِّي الْحُكْمَ بِقِيَاسٍ وَلَا تَعْمِيمٍ وَلَا يُفَارِقُ فِي أَكْثَرِ نَظَرِهِ الْمَوَادَّ الْمَحْسُوسَةَ وَلَا يُجَاوِزُهَا فِي ذِهْنِهِ كَالسَّابِحِ لَا يُفَارِقُ الْبَرَّ عِنْدَ الْمَوْجِ قَالَ الشَّاعِرُ

فَلَا تُؤْغِلُنَّ إِذَا مَا سَبَحْتَ م فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي السَّاحِلِ



فَيَكُونُ مَأْمُونًا مِنَ النَّظَرِ فِي سِيَاسَتِهِ مُسْتَقِيمَ النَّظَرِ فِي مُعَامَلَةِ أَبْنَاءِ جَنَسِهِ فَيَحْسُنُ  
مَعَاشُهُ وَتَنْدَفِعُ آفَاتُهُ وَمَضَارُهُ بِاسْتِقَامَةِ نَظَرِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ  
أَنَّ صِنَاعَةَ الْمَنْطِقِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ الْغَلْطُ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْإِتِّزَاعِ وَبُعْدِهَا عَنِ الْمَحْسُوسِ  
فَإِنَّهَا تَنْظُرُ فِي الْمَعْقُولَاتِ الشَّوَانِي وَلَعَلَّ الْمَوَادَّ فِيهَا مَا يُمَانِعُ تِلْكَ الْأَحْكَامَ وَيُنَافِيهَا  
عِنْدَ مُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ الْيَقِينِي وَأَمَّا النَّظَرُ فِي الْمَقُولَاتِ الْأَوَّلِ وَهِيَ الَّتِي تَجَرِّدُهَا قَرِيبٌ  
فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا خَيَالِيَّةٌ وَصُورُ الْمَحْسُوسَاتِ حَافِظَةٌ مُؤَدَّةٌ بِتَصْدِيقِ انْطِبَاقِهِ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخامس والثلاثون

في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم  
مِنَ الْغَرِيبِ الْوَاقِعِ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ فِي الْعِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَكْثَرُهُمُ الْعَجَمُ لَا مِنْ  
الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَا مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ الْعَرَبِيُّ فِي  
نِسْبَتِهِ فَهُوَ عَجَمِيٌّ فِي لُغَتِهِ وَمَرْبَاهُ وَمَشِيجَتِهِ مَعَ أَنَّ الْعِلَّةَ عَرَبِيَّةً وَصَاحِبَ شَرِيعَتِهَا عَرَبِيٌّ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعِلَّةَ فِي أَوَّلِهَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا عِلْمٌ وَلَا صِنَاعَةٌ لِمُقْتَضَى أَحْوَالِ  
السَّذَاجَةِ وَالْبِدَاوَةِ وَإِنَّمَا أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي هِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ كَانَتْ الرِّجَالُ  
يَنْقُلُونَهَا فِي ضُدُورِهِمْ وَقَدْ عَرَفُوا مَا خَذَهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِمَا تَلَقَّوْهُ مِنْ صَاحِبِ  
الشَّرْعِ وَأَصْحَابِهِ وَالْقَوْمُ يَوْمئِذٍ عَرَبٌ لَمْ يَعْرِفُوا أَمْرَ التَّعْلِيمِ وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّدْوِينِ وَلَا  
دَفَعُوا إِلَيْهِ وَلَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَجَرَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ زَمَنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَكَانُوا  
يُسَمُّونَ الْمُخْتَصِّصِينَ بِحَمْلِ ذَلِكَ وَنَقْلِهِ إِلَى الْقُرَّاءِ أَيِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ وَلَيْسُوا أُمَمِينَ  
لِأَنَّ الْأُمِّيَّةَ يَوْمئِذٍ صِفَةٌ عَامَّةٌ فِي الصَّحَابَةِ بِمَا كَانُوا عَرَبًا فَقِيلَ لِحِمَاةِ الْقُرْآنِ يَوْمئِذٍ قُرَّاءُ  
إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا فَهُمْ قُرَّاءُ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا  
الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ إِلَّا مِنْهُ وَمِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ فِي غَالِبِ مَوَارِدِهِ تَفْسِيرُهُ لَهُ وَشَرَحَ  
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ  
وَسُنَّتِي فَلَمَّا بَعْدَ النُّقْلِ مِنْ لَدُنْ دَوْلَةِ الرَّشِيدِ فَمَا بَعْدَ اخْتِيجِ إِلَى وَضْعِ التَّفَاسِيرِ الْقُرْآنِيَّةِ  
وَتَقْيِيدِ الْحَدِيثِ مَخَافَةَ ضَيَاعِهِ ثُمَّ اخْتِيجَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَسَانِيدِ وَتَعْدِيلِ النَّاqِلِينَ لِلتَّمْيِيزِ  
بَيْنَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَسَانِيدِ وَمَا دُونَهُ ثُمَّ كَثُرَ اسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِ الْوَاقِعَاتِ مِنْ

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَسَدَ مَعَ ذَلِكَ اللِّسَانُ فَأَحْتِيجَ إِلَى وَضْعِ الْقَوَانِينِ النَّحْوِيَّةِ وَصَارَتْ  
 الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ كُلُّهَا مَلَكَاتٍ فِي الْأَسْتِنْبَاطَاتِ وَالْإِسْتِخْرَاجِ وَالْتَنْظِيرِ وَالْقِيَاسِ  
 وَاحْتَاجَتْ إِلَى عُلُومٍ أُخْرَى وَهِيَ الْوَسَائِلُ لَهَا مِنْ مَعْرِفَةِ قَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ وَقَوَانِينِ ذَلِكَ  
 الْأَسْتِنْبَاطِ وَالْقِيَاسِ وَالذَّبِّ عَنِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدِلَّةِ لِكَثْرَةِ الْبِدْعِ وَالْإِلْحَادِ  
 فَصَارَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ كُلُّهَا عُلُومًا ذَاتَ مَلَكَاتٍ مُحْتَاجَةً إِلَى التَّعْلِيمِ فَأَنْدَرَجَتْ فِي جُمْلَةِ  
 الصَّنَائِعِ وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ مِنْ مُنْتَحَلِ الْحَضَرِ وَأَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهَا  
 فَصَارَتْ الْعُلُومُ لِذَلِكَ حَضَرِيَّةً وَبَعْدَ عَنْهَا الْعَرَبُ وَعَنْ سُوقِهَا وَالْحَضَرُ لِذَلِكَ الْعَرَبُ هُمُ  
 الْعَجَمُ أَوْ مَنْ هُمْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْمَوَالِي وَأَهْلُ الْحَوَاضِرِ الَّذِينَ هُمْ يَوْمُئِذٍ تَبَعٌ لِلْعَجَمِ فِي  
 الْحِضَارَةِ وَأَحْوَالِهَا مِنَ الصَّنَائِعِ وَالْخَرْفِ لِأَنَّهُمْ أَقَوْمٌ عَلَى ذَلِكَ لِلْحِضَارَةِ الرَّاسِخَةِ فِيهِمْ  
 مِنْدُ دَوْلَةِ الْفُرسِ فَكَانَ صَاحِبُ صِنَاعَةِ النَّحْوِ سَيَّوِيَّةً وَالْفَارِسِيُّ مِنْ بَعْدِهِ وَالزَّجَّاجُ مِنْ  
 بَعْدِهِمَا وَكُلُّهُمْ عَجَمٌ فِي أَنْسَابِهِمْ وَإِنَّمَا رُبُّوا فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَأَكْتَسَبُوهُ بِالْمَرْبِيِّ  
 وَمُخَالَطَةِ الْعَرَبِ وَصَبَرُوهُ قَوَانِينِ وَقَنَّا لِمَنْ بَعْدَهُمْ وَكَذَا حَمَلَةُ الْحَدِيثِ الَّذِينَ حَفِظُوهُ عَنْ  
 أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَكْثَرُهُمْ عَجَمٌ أَوْ مُسْتَعْجِمُونَ بِاللُّغَةِ وَالْمَرْبِيِّ وَكَانَ عُلَمَاءُ أَصُولِ الْفِقْهِ  
 كُلُّهُمْ عَجَمًا كَمَا يُعْرَفُ وَكَذَا حَمَلَةُ عِلْمِ الْكَلَامِ وَكَذَا أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ وَلَمْ يَقُمْ  
 بِحِفْظِ الْعِلْمِ وَتَدْوِينِهِ إِلَّا الْأَعَاجِمُ وَظَهَرَ مُصَدِّقُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَعَلَّقَ الْعِلْمُ  
 بِأَكْثَافِ السَّمَاءِ لَنَالَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ أَدْرَكُوا هَذِهِ الْحِضَارَةَ  
 وَسُوقَهَا وَخَرَجُوا إِلَيْهَا عَنِ الْبِدَاوَةِ فَشَغَلَتْهُمْ الرِّئَاسَةُ فِي الدَّوَلَةِ وَحَامِيَّتُهَا وَأَوَّلِي سِيَاسَتِهَا  
 مَعَ مَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْإِنْفَةِ عَنِ اتِّحَالِ الْعِلْمِ حِينَئِذٍ بِمَا صَارَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَالرُّؤَسَاءِ  
 أَبَدًا يَسْتَنْصِفُونَ عَنِ الصَّنَائِعِ وَالْمِهِنِ وَمَا يُجْرُ إِلَيْهَا وَدَفَعُوا ذَلِكَ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ مِنَ  
 الْعَجَمِ وَالْمَوْلِدِينَ وَمَا زَالُوا يَرَوْنَ لَهُمْ حَقَّ الْقِيَامِ بِهِ فَإِنَّهُ دِينُهُمْ وَعُلُومُهُمْ وَلَا يَحْتَقِرُونَ  
 حَمَلَتَهَا كُلَّ الْإِحْتِقَارِ حَتَّى إِذَا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنَ الْعَرَبِ جُمْلَةً وَصَارَ لِلْعَجَمِ صَارَتْ الْعُلُومُ  
 الشَّرْعِيَّةُ غَرِيبَةً النَّسَبَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْمُلْكِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبُعْدِ عَنْ نَسَبَتِهَا وَأَمْتِنَ حَمَلَتَهَا  
 بِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ بَعْدَهُمْ مُشْتَغِلِينَ بِمَا لَا يُغْنِي وَلَا يُجِدِّي عَنْهُمْ فِي الْمُلْكِ وَالسِّيَاسَةِ  
 كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي نَقْلِ الْمَرَاتِبِ الدِّينِيَّةِ فَهَذَا الَّذِي قَرَرْنَاهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّ حَمَلَةَ  
 الشَّرِيعَةِ أَوْ عَامَّتَهُمْ مِنَ الْعَجَمِ وَأَمَّا الْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ أَيْضًا فَلَمْ تَطْهَرْ فِي الْمِلَّةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ



تَمَيَّزَ حَمَلَةُ الْعِلْمِ وَمَوْلَاهُ وَاسْتَقَرَّ الْعِلْمُ كُلُّهُ صِنَاعَةً فَاخْتَصَّتْ بِالْعَجْمِ وَتَرَكَتْهَا الْعَرَبُ  
وَانْصَرَفُوا عَنْ اُنْتِحَالِهَا فَلَمْ يَحْمِلْهَا إِلَّا الْمَعْرَبُونَ مِنَ الْعَجْمِ شَأْنُ الصَّنَائِعِ كَمَا قُلْنَا أَوَّلًا  
فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ مَا دَامَتِ الْحِضَارَةُ فِي الْعَجْمِ وَبِلَادِهِمْ مِنَ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ  
وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فَلَمَّا خَرِبَتْ تِلْكَ الْأَمْصَارُ وَذَهَبَتْ مِنْهَا الْحِضَارَةُ الَّتِي هِيَ سِرُّ اللَّهِ فِي  
حُصُولِ الْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ ذَهَبَ الْعِلْمُ مِنَ الْعَجْمِ جُمْلَةً لِمَا شَمَلَهُمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَاخْتَصَّ  
الْعِلْمُ بِالْأَمْصَارِ الْمَوْفُورَةِ الْحِضَارَةِ وَلَا أَوْفَرَ الْيَوْمَ فِي الْحِضَارَةِ مِنْ مِصْرَ فَهِيَ أُمُّ الْعَالَمِ  
وَإِيَّوَانُ الْأَسْلَامِ وَيَنْبُوعُ الْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ وَيَبْقَى بَعْضُ الْحِضَارَةِ فِي مَا وَرَاءَ النَّهْرِ لِمَا  
هُنَاكَ مِنَ الْحِضَارَةِ بِالدَّوْلَةِ الَّتِي فِيهَا فَلَهُمْ بِذَلِكَ حِصَّةٌ مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ لَا تُنْكَرُ  
وَقَدْ دَلَّنَا عَلَى ذَلِكَ كَلَامُ بَعْضِ عُلَمَائِهِمْ مِنْ تَأْلِيفِ وَصَلَتِ الْبِنَاءُ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ وَهُوَ  
سَعْدُ الدِّينِ التَّفَنَّاظَانِيُّ وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْعَجْمِ فَلَمْ تَرَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ الْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ  
وَتَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ كَلَامًا يُعَوَّلُ عَلَى نِهَائِيَّتِهِ فِي الْإِصَابَةِ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَتَأَمَّلْهُ تَرَّ عَجَبًا  
فِي أَحْوَالِ الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

### الفصل السادس والثلاثون

في علوم اللسان العربي

أَرْكَانُهُ أَرْبَعَةٌ وَهِيَ اللَّغَةُ وَالنَّحْوُ وَالْبَيَانُ وَالْأَدَبُ وَمَعْرِفَتُهَا ضَرُورِيَّةٌ عَلَى أَهْلِ  
الشَّرِيعَةِ إِذَا مَأْخُذُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ كُلِّهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهِيَ بِلَاغَةُ الْعَرَبِ  
وَنَقْلَتُهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَرَبٌ وَشَرَحَ مُشْكِلَاتِهَا مِنْ لُغَانِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ  
الْعُلُومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا اللِّسَانِ لِمَنْ أَرَادَ عِلْمَ الشَّرِيعَةِ وَتَفَاوُتُ فِي التَّائِيدِ بِتَفَاوُتِ  
مَرَاتِبِهَا فِي التَّوْفِيَةِ بِمَقْصُودِ الْكَلَامِ حَسَبًا يَتَبَيَّنُ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَنَأْتِي وَالَّذِي  
يَتَحَصَّلُ أَنَّ الْأَهَمَّ الْمَقْدَمَ مِنْهَا هُوَ النَّحْوُ إِذْ بِهِ تُبَيَّنُ أَصُولُ الْمَقَاصِدِ بِاللِّدَالَةِ فَيُعْرَفُ  
الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْتَدَأُ مِنَ الْخَبَرِ وَلَوْلَا هَذَا لَجَهْلُ أَصْلُ الْإِفَادَةِ وَكَانَ مِنْ حَقِّ عِلْمِ  
اللُّغَةِ التَّقَدُّمُ لَوْلَا أَنَّ أَكْثَرَ الْأَوْضَاعِ بَاقِيَةٌ فِي مَوْضُوعَاتِهَا لَمْ تَتَغَيَّرْ بِخِلَافِ الْإِغْرَابِ  
الَّذِي عَلَى الْإِسْنَادِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ تَغَيَّرَ بِالْجُمْلَةِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ فَلِذَلِكَ  
كَانَ عِلْمُ النَّحْوِ أَهَمَّ مِنَ اللَّغَةِ إِذْ فِي جَهْلِهِ الْإِخْلَالُ بِالتَّفَاهُمِ جُمْلَةً وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ

اللُّغَةُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

علم النحو .

اعْلَمْ أَنَّ اللُّغَةَ فِي الْمُتَعَارِفِ هِيَ عِبَارَةُ الْمُتَكَلِّمِ عَنْ مَقْصُودِهِ وَتِلْكَ الْعِبَارَةُ  
فِعْلٌ لِسَانِي فَلَا بُدَّ أَنْ تَصِيرَ مَلَكَةً مُتَقَرَّرَةً فِي الْعُضْوِ الْفَاعِلِ لَهَا وَهُوَ اللِّسَانُ وَهُوَ فِي  
كُلِّ أُمَّةٍ بِحَسَبِ اصْطِلَاحَاتِهِمْ وَكَانَتِ الْمَلَكَةُ الْخَاصَّةُ لِلْعَرَبِ مِنْ ذَلِكَ أَحْسَنَ  
الْمَلَكَاتِ وَأَوْضَحَهَا إِبَانَةً عَنِ الْمَقَاصِدِ لِلدَّلَالَةِ غَيْرَ الْكَلِمَاتِ فِيهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ  
الْمَعَانِي مِنَ التَّجَرُّورِ أَغْنَى الْمُضَافَ وَمِثْلَ الْحُرُوفِ الَّتِي تُفْضِي بِالْأَفْعَالِ إِلَى الدَّوَاتِ  
مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ الْفَاطِ أُخْرَى وَلَيْسَ يُوجَدُ ذَلِكَ إِلَّا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنْ  
اللُّغَاتِ فَكُلُّ مَعْنَى أَوْ حَالٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْفَاطِ تَخْصُّهُ بِالْدَّلَالَةِ وَلِذَلِكَ نَجِدُ كَلَامَ  
الْعَجَمِ مِنْ مُخَاطَبَاتِهِمْ أَطْوَلَ مِمَّا تُقَدِّرُهُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْنَيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَأَخْتَصِرَ لِي الْكَلَامُ اخْتِصَارًا فَصَارَ لِلْحُرُوفِ فِي  
لُغَتِهِمْ وَالْحَرَكَاتِ وَالْهَيْئَاتِ أَيْ الْأَوْضَاعِ اعْتِبَارٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ غَيْرَ مُتَكَلِّفِينَ  
فِيهِ لَصِنَاعَةٍ يَسْتَفِيدُونَ ذَلِكَ مِنْهَا إِنَّمَا هِيَ مَلَكَةٌ فِي أَلْسِنَتِهِمْ بِأَخْذِهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ  
كَمَا تَأْخُذُ صِبْيَانُنَا إِذَا الْعَهْدُ لُغَاتِنَا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَفَارَقُوا الْحِجَازَ اطَّلَبَ الْمَلِكُ  
الَّذِي كَانَ فِي أَيْدِي الْأُمَمِ وَالْأَدْوَلِ وَخَالَطُوا الْعَجَمَ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْمَلَكَةُ بِمَا أَلْقَى  
إِلَيْهَا السَّمْعُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الَّتِي لِلْمُسْتَعَرِبِينَ وَالسَّمْعُ أَبُو الْمَلَكَاتِ اللَّسَانِيَّةِ فَفَسَدَتْ بِمَا  
أَلْقَى إِلَيْهَا مِمَّا يُغَايِرُهَا لُجُوجِهَا إِلَيْهِ بِاعْتِيَادِ السَّمْعِ وَخَشْيَةِ أَهْلِ الْعُلُومِ مِنْهُمْ أَنَّ تَفْسِدَ  
تِلْكَ الْمَلَكَةِ رَأْسًا وَيَطُولُ الْعَهْدُ بِهَا فَيَنْغَلِقَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ عَلَى الْمَفْهُومِ فَاسْتَغْنَوْا  
مِنْ مَجَارِي كَلَامِهِمْ قَوَانِينَ لِتِلْكَ الْمَلَكَةِ مُطَرِّدَةً شَبَهَ الْكَلِمَاتِ وَالْقَوَاعِدِ يَقِيسُونَ  
عَلَيْهَا سَائِرَ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ وَيُلْحِقُونَ الْأَشْبَاهَ بِالْأَشْبَاهِ مِثْلَ أَنَّ الْفَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَالْمَفْعُولُ  
مَنْصُوبٌ وَالْمُبْتَدَأُ مَرْفُوعٌ ثُمَّ رَأَوْا تَغْيِيرَ الدَّلَالَةِ بِتَغْيِيرِ حَرَكَاتِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَاصْطَلَحُوا  
عَلَى تَسْمِيَّتِهِ إِعْرَابًا وَتَسْمِيَةِ الْمُوجِبِ لِذَلِكَ التَّغْيِيرِ عَامِلًا وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَصَارَتْ كُلُّهَا  
اصْطِلَاحَاتٍ خَاصَّةً بِهِمْ فَقَيَّدُوهَا بِالْكِتَابِ وَجَعَلُوهَا صِنَاعَةً لَهُمْ مَخْصُوصَةً وَاصْطَلَحُوا  
عَلَى تَسْمِيَّتِهَا بِعِلْمِ النُّحْوِ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِيهَا أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَيُقَالُ  
بِإِشَارَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ رَأَى تَغْيِيرَ الْمَلَكَةِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِحِفْظِهَا فَقَرَعَ إِلَى



ضَبَطَهَا بِالْقَوَانِينِ الْخَاصَّةِ الْمُسْتَقْرَافَةِ ثُمَّ كَتَبَ فِيهَا النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَنْ انْتَهَتْ إِلَى  
الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ أَيَّامَ الرَّشِيدِ وَكَانَ النَّاسُ أُخْرِجَ إِلَيْهَا الذَّهَابُ تِلْكَ الْمَلَكَةُ  
مِنْ الْعَرَبِ فَهَذَّبَ الصَّنَاعَةَ وَكَمَّلَ أَبْوَابَهَا وَخَذَهَا عَنْهُ سَيِّبُونُهُ فَكَمَّلَ تَفَارِيعَهَا وَاسْتَكْمَلَ  
مِنْ أَدَلَّتِهَا وَشَوَاهِدِهَا وَوَضَعَ فِيهَا كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ الَّذِي صَارَ إِمَامًا لِكُلِّ مَا كُتِبَ فِيهَا  
مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ وَضَعَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ وَأَبُو الْقَاسِمِ الرَّجَّاجُ كُتُبًا مُخْتَصَرَةً لِلْمُتَعَلِّمِينَ يَتَّخِذُونَ  
فِيهَا حَذْوًا لِإِمَامٍ فِي كِتَابِهِ ثُمَّ طَالَ الْكَلَامُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَحَدَّثَ اخْتِلَافُ بَيْنَ أَهْلِهَا  
فِي الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ الْمِصْرَيْنِ الْقَدِيمَيْنِ لِلْعَرَبِ وَكَثُرَتِ الْأَدَلَّةُ وَالْحِجَاجُ بَيْنَهُمْ وَتَبَايَنَتِ  
الطَّرِيقُ فِي التَّعْلِيمِ وَكَثُرَ الْإِخْتِلَافُ فِي إِعْرَابِ كَثِيرٍ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ بِإِخْتِلَافِهِمْ فِي  
تِلْكَ الْقَوَاعِدِ وَطَالَ ذَلِكَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ وَجَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ بِمَذَاهِبِهِمْ فِي الْإِخْتِصَارِ  
فَاخْتَصَرُوا كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ الطُّولِ مَعَ اسْتِيعَابِهِمْ لِجَمِيعِ مَا نُقِلَ كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ مَالِكٍ فِي  
كِتَابِ التَّسْهِيلِ وَأَمثالِهِ أَوْ اقْتَصَرَهُمْ عَلَى الْمَبَادِي لِلْمُتَعَلِّمِينَ كَمَا فَعَلَهُ الرَّمُوحِيُّ  
فِي الْمِفْصَلِ وَابْنُ الْحَاجِبِ فِي الْمُقَدِّمَةِ لَهُ وَرُبَّمَا نَظَّمُوا ذَلِكَ نَظْمًا مِثْلَ ابْنِ مَالِكٍ فِي  
الْأَزْجُورَتَيْنِ الْكُبْرَى وَالصُّغْرَى وَابْنُ مَعْطِي فِي الْأَزْجُورَةِ الْأَلْفِيَّةِ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْتَّالِيفُ  
فِي هَذَا الْفَنِّ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى أَوْ يُحَاطَ بِهَا وَطُرُقُ التَّعْلِيمِ فِيهَا مُخْتَلِفَةٌ فَطَرِيقَةُ  
الْمُتَقَدِّمِينَ مُغَايِرَةٌ لَطَرِيقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالْكُوفِيُّونَ وَالْبَصْرِيُّونَ وَالْبَغْدَادِيُّونَ  
وَالْأَنْدَلُسِيُّونَ مُخْتَلِفَةٌ طَرَفُهُمْ كَذَلِكَ وَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ تُؤْذِنُ بِالذَّهَابِ لِمَا  
رَأَيْنَا مِنَ النِّقْصِ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِتَنَاقُصِ الْعُمَرَانِ وَوَصَلَ إِلَيْنَا بِالْمَغْرِبِ  
لِهَذِهِ الْعُصُورِ دِيْوَانٌ مِنْ مِصْرَ مَنْسُوبٌ إِلَى جَمَالِ الدِّينِ بْنِ هِشَامٍ مِنْ عُلَمَائِهَا اسْتَوْفَى  
فِيهِ أَحْكَامَ الْإِعْرَابِ مُجْمَلَةً وَمُفَصَّلَةً وَتَكَلَّمَ عَلَى الْحُرُوفِ وَالْمُفْرَدَاتِ وَالْجُمَلِ  
وَحَدَفَ مَا فِي الصَّنَاعَةِ مِنَ التَّكْرَرِ فِي أَكْثَرِ أَبْوَابِهَا وَسَمَّاهُ بِالْمَغْنِيِّ فِي الْإِعْرَابِ  
وَأَشَارَ إِلَى نُكْتِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا وَضَبَطَهَا بِأَبْوَابِ وَفُصُولِ وَقَوَاعِدِ أَنْتَظَمَ  
سَائِرُهَا فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ جَمٍّ بِشَهْدِ بَعْلُو قَدْرِهِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَوُفُورِ بِضَاعَتِهِ  
مِنْهَا وَكَأَنَّهُ يَنْحُو فِي طَرِيقَتِهِ مَنَاحَاةَ أَهْلِ الْمَوْصِلِ الَّذِينَ اقْتَفَوْا أَثَرَ ابْنِ جَنِّي وَاتَّبَعُوا  
مُصْطَلَحَ تَعْلِيمِهِ فَأَتَى مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ عَجِيبٌ دَالٌّ عَلَى قُوَّةِ مَلَكَتِهِ وَأُطْلَاعِهِ وَاللَّهُ  
يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ

## علم اللغة

هَذَا الْعِلْمُ هُوَ بَيَانُ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَسَدَتْ مَأْكَةُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فِي الْحَرَكَاتِ الْمُسَمَّاةِ عِنْدَ أَهْلِ النَّحْوِ بِالْإِعْرَابِ وَاسْتَنْبَطَتِ الْقَوَانِينُ لِحِفْظِهَا كَمَا قُلْنَا ثُمَّ اسْتَمَرَّ ذَلِكَ الْفَسَادُ بِمَلَابَسَةِ الْعَجَمِ وَتَخَالُطِهِمْ حَتَّى تَأْدَى الْفَسَادُ إِلَى مَوْضُوعَاتِ الْأَلْفَاظِ فَاسْتَعْمَلَ كَثِيرٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي غَيْرِ مَوْضُوعِهِ عِنْدَهُمْ مِثْلًا مَعَ هِجْنَةِ الْمُسْتَعْرِبِينَ فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ الْمُخَالَفَةِ لِصَرِيحِ الْعَرَبِيَّةِ فَاجْتَبِجَ إِلَى حِفْظِ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ بِالْكِتَابِ وَالتَّدْوِينِ خَشْيَةَ الدُّرُوسِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْجَهْلِ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ فَشَمَرَ كَثِيرٌ مِنْ أُمَّةِ اللِّسَانِ لِذَلِكَ وَأَمَلُوا فِيهِ الدَّوَاوِينَ وَكَانَ سَابِقُ الْحَاجَةِ فِي ذَلِكَ الْخَالِلِ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ أَلَفَ فِيهَا كِتَابَ الْعَيْنِ فَحَصَرَ فِيهِ مَرْكَبَاتِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ كُلِّهَا مِنَ الثَّنَائِيِّ وَالثَّلَاثِيِّ وَالرُّبَاعِيِّ وَالْخُمَاسِيِّ وَهُوَ غَايَةُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ التَّرَكِيبُ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَتَأْتِي لَهُ حَصْرُ ذَلِكَ بِوُجُوهِ عَدِيدَةٍ حَاضِرَةٍ وَذَلِكَ أَنَّ جُمْلَةَ الْكَلِمَاتِ الثَّنَائِيَّةِ تَخْرُجُ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْدَادِ عَلَى التَّوَالِي مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ وَهُوَ دُونَ نِهَآيَةِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ بِوَاحِدٍ لِأَنَّ الْحَرْفَ الْوَاحِدَ مِنْهَا يُؤْخَذُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ فَتَكُونُ سَبْعَةٌ وَعِشْرِينَ كَلِمَةً ثَنَائِيَّةً ثُمَّ يُؤْخَذُ الثَّنَائِيَّ مَعَ السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ كَذَلِكَ ثُمَّ الثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ ثُمَّ يُؤْخَذُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ مَعَ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ فَيَكُونُ وَاحِدًا فَتَكُونُ كُلُّهَا أَعْدَادًا عَلَى تَوَالِي أَعْدَادٍ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ فَتُجْمَعُ كَمَا هِيَ بِالْعَمَلِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ أَهْلِ الْحِسَابِ ثُمَّ تَضَاعَفُ لِأَجْلِ قَلْبِ الثَّنَائِيِّ لِأَنَّ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ بَيْنَ الْحُرُوفِ مُعْتَبَرٌ فِي التَّرَكِيبِ فَيَكُونُ الْخَارِجُ جُمْلَةَ الثَّنَائِيَّاتِ فِيمَا يَجْمَعُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ لِأَنَّ كُلَّ ثَنَائِيَّةٍ يَزِيدُ عَلَيْهَا حَرْفًا فَتَكُونُ ثَلَاثِيَّةً فَتَكُونُ الثَّنَائِيَّةُ بِمَنْزِلَةِ الْحَرْفِ الْوَاحِدِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحُرُوفِ الْبَاقِيَةِ وَهِيَ سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَ الثَّنَائِيَّةِ فَتُجْمَعُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ عَلَى تَوَالِي الْأَعْدَادِ وَيُضْرَبُ فِيهِ جُمْلَةُ الثَّنَائِيَّاتِ ثُمَّ تُضْرَبُ الْخَارِجُ فِي سِتَّةٍ جُمْلَةً مَقْلُوبَاتِ الْكَلِمَةِ الثَّلَاثِيَّةِ فَيَخْرُجُ مَجْمُوعٌ تَرَكَيبِيًّا مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَكَذَلِكَ فِي الرُّبَاعِيِّ وَالْخُمَاسِيِّ فَانْتَحَصَرَتْ لَهُ التَّرَاكِيبُ بِهَذَا الْوَجْهِ وَرَتَّبَ أَبْوَابَهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ بِالتَّرْتِيبِ الْمَعْتَرَفِ وَاعْتَمَدَ فِيهِ تَرْتِيبَ الْخَارِجِ فَبَدَأَ بِحُرُوفِ الْخَلْقِ ثُمَّ بَعْدَهُ مِنْ حُرُوفِ الْخَلْقِ ثُمَّ الْأَضْرَاسِ ثُمَّ



الشَّعْثَ وَجَعَلَ حُرُوفَ الْعِلَّةِ آخِرًا وَهِيَ الْحُرُوفُ الْهَوَائِيَّةُ وَبَدَأَ مِنْ حُرُوفِ الْخَلْقِ بِالْعَيْنِ  
 لِأَنَّهُ الْأَقْصَرُ مِنْهَا فَلِذَلِكَ سُمِّيَ كِتَابُهُ بِالْعَيْنِ لِأَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ كَانُوا يَذْهَبُونَ فِي تَسْمِيَةِ  
 دَوَائِرِهِمْ إِلَى مِثْلِ هَذَا وَهُوَ تَسْمِيَّتُهُ بِأَوَّلِ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالْأَلْفَاظِ ثُمَّ  
 بَيْنَ الْمُهْمَلِ مِنْهَا مِنَ الْمُسْتَعْمَلِ وَكَانَ الْمُهْمَلُ فِي الرَّبَاعِيِّ وَالْخُمَاسِيِّ أَكْثَرَ لِقَاءً  
 اسْتِعْمَالَ الْعَرَبِ لَهُ لِثِقَلِهِ وَلِحَقِّ بِهِ الثَّنَائِيِّ لِقَاءَهُ دَوْرَانِهِ وَكَانَ الاسْتِعْمَالُ فِي الثَّلَاثِيِّ  
 أَغْلَبَ فَكَانَتْ أَوْضَاعُهُ أَكْثَرَ لِدَوْرَانِهِ وَضَمَّنَ الْخَلِيلُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي كِتَابِ الْعَيْنِ  
 وَأَسْتَوْعَبَهُ أَحْسَنَ اسْتِيعَابٍ وَأَوْعَاهُ وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ الزَّيْدِيُّ وَكَتَبَ لِهَشَامِ الْمُؤَيَّدِ  
 بِالْأَنْدَلُسِ فِي الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ فَأَخْتَصَرَهُ مَعَ الْحِفَظَةِ عَلَى الْاسْتِيعَابِ وَحَذَفَ مِنْهُ الْمُهْمَلُ  
 كُلَّهُ وَكَثِيرًا مِنْ شَوَاهِدِ الْمُسْتَعْمَلِ وَلِخَصَّةِ الْحِفْظِ أَحْسَنَ تَلْخِيصٍ وَأَلَّفَ الْجَوْهَرِيُّ  
 مِنَ الْمَشَارِقَةِ كِتَابَ الصِّحَاحِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْمُتَعَارِفِ لِحُرُوفِ الْمُعْجَمِ فَجَعَلَ الْبِدَاءَةَ مِنْهَا  
 بِالْهَمْزَةِ وَجَعَلَ التَّرْجَمَةَ بِالْحُرُوفِ عَلَى الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنَ الْكَلِمَةِ لِإِضْطِرَارِ النَّاسِ فِي  
 الْإِكْتِرَاءِ إِلَى آخِرِ الْكَلِمِ وَحَضَرَ اللُّغَةَ أَقْنِدَاءُ بِحَضَرِ الْخَلِيلِ ثُمَّ أَتَتْ فِيهَا مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ ابْنُ  
 سَيِّدَةٍ مِنْ أَهْلِ دَانِيَّةٍ فِي دَوْلَةِ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ كِتَابَ الْحَكْمِ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنَ الْاسْتِيعَابِ  
 وَعَلَى نَحْوِ تَرْتِيبِ كِتَابِ الْعَيْنِ وَزَادَ فِيهِ التَّعْرُضَ لِاشْتِقَاقَاتِ الْكَلِمِ وَتَصَارِيْفَهَا فَجَاءَ مِنْ  
 أَحْسَنِ الدَّوَائِرِ وَلِخَصَّةِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْحُسَيْنِ صَاحِبِ الْمُسْتَنْصِرِ مِنْ مُلُوكِ الدَّوَلَةِ الْحَفْصِيَّةِ  
 بَنُو نَسٍ وَقَلَّبَ تَرْتِيبَهُ إِلَى تَرْتِيبِ كِتَابِ الصِّحَاحِ فِي اعْتِبَارِ آخِرِ الْكَلِمِ وَبَنَاءِ التَّرَاجِمِ  
 عَلَيْهَا فَكَانَا تَوَافِي رَحِمَ وَسَلَّيْ أَبُوهُ هَذِهِ أَصُولُ كُتُبِ اللُّغَةِ فِيهَا عِلْمَانَهُ وَهَنَاكَ  
 مُخْتَصَرَاتُ أُخْرَى مُخْتَصَّةٌ بِصِنْفٍ مِنَ الْكَلِمِ وَمُسْتَوْعِبَةٌ لِبَعْضِ الْأَبْوَابِ أَوْ لِكُلِّهَا إِلَّا  
 أَنَّ وَجْهَ الْخَصْرِ فِيهَا خَفِيَ وَوَجْهَ الْخَصْرِ فِي ذَلِكَ جَلِيٌّ مِنْ قِبَلِ التَّرَاكِبِ كَمَا رَأَيْتَ وَمِنْ  
 الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ أَيْضًا فِي اللُّغَةِ كِتَابُ الزَّمْخَشَرِيِّ فِي الْعِجَازِ بَيْنَ فِيهِ كُلِّ مَا تَجَوَّزَتْ  
 بِهِ الْعَرَبُ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَفِيهَا تَجَوَّزَتْ بِهِ مِنَ الْمَدْلُولَاتِ وَهُوَ كِتَابُ شَرِيفِ الْإِفَادَةِ  
 ثُمَّ لَمَّا كَانَتْ الْعَرَبُ تَضَعُ الشَّيْءَ عَلَى الْعُمُومِ ثُمَّ تَسْتَعْمِلُ فِي الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ الْأَلْفَاظَ  
 أُخْرَى خَاصَّةً بِهَا فَوْقَ ذَلِكَ عِنْدَنَا بَيْنَ الْوَضْعِ وَالْاسْتِعْمَالِ وَاحْتِجَاجِ إِلَى فَقْهِ فِي اللُّغَةِ  
 عَزِيزِ الْمَأْخَذِ كَمَا وَضِعَ الْأَيْضُ بِالْوَضْعِ الْعَامِ لِكُلِّ مَا فِيهِ يَبَاضُ ثُمَّ اخْتَصَّ مَا فِيهِ  
 يَبَاضُ مِنَ الْخَيْلِ بِالْأَشْهَبِ وَمِنْ الْإِنْسَانِ بِالْأَزْهَرِ وَمِنْ الْغَنَمِ بِالْأَمْلَحِ حَتَّى صَارَ اسْتِعْمَالُ

الأيض في هذه كلها حنًا وخروجًا عن لسان العرب واختصاصًا بالتأليف في هذا المنحى  
 العالي وأفرده في كتاب له سماه فقه اللغة وهو من أكد ما يأخذ به اللغوي نفسه  
 أن يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الأول بكاف في الترتيب  
 حتى يشهد له استعمال العرب لذلك وأكثر ما يحتاج إلى ذلك الأديب في فني  
 نظم ونثر وحذرًا من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها  
 وهو أشد من اللحن في الأعراب وأفحش وكذلك ألف بعض المتأخرين في الألفاظ  
 المشتركة وتكفل بحصرها وإن لم تبلغ إلى النهاية في ذلك فهو مستوعب لئلا يكثر  
 وأما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمتداول من اللغة الكبيرة  
 الاستعمال تسهيلًا لحفظها على الطالب فكثيرة مثل الألفاظ لابن السكيت والفصح  
 لتعلب وغيرهما وبعضها أقل لغة من بعض لاختلاف نظريهم في الأهم على الطالب  
 للحفظ والله الخلاق العليم لا رب سواه

### علم البيان

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم اللسانية لأنه  
 متعلق بالألفاظ وما تفيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك أن الأمور التي  
 يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه هي إما تصور مفردات تسند ويسند  
 إليها وبفصي بعضها إلى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الأسماء والأفعال  
 والحروف وإما تمييز المسندات من المسند إليها واللازمة ويدل عليها بتغير الحركات  
 من الأعراب وأبنية الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحو ويبقى من الأمور  
 المستكشفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه  
 حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة عليه لأنه من تمام إفادة وإذا حصلت للمتكلم  
 فقد بلغ غاية إفادة في كلامه وإذا لم يشمل على شيء منها فليس من جنس كلام  
 العرب فإن كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الأعراب  
 ولا بانه لا تزي أن قولهم زيد جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد من قبل أن  
 المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم فمن قال جاءني زيد أفاد أن اهتمامه  
 بالمجيء قبل الشخص المسند إليه ومن قال زيد جاءني أفاد أن اهتمامه بالشخص



قَبْلَ الْعَجَبِيِّ الْمُسْتَدِّ وَكَذَا التَّعْبِيرُ عَنْ أَجْزَاءِ الْجُمْلَةِ بِمَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ مِنْ مَوْصُولٍ أَوْ  
مُبْتَدَأٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ وَكَذَا تَأْكِيدُ الْإِسْنَادِ عَلَى الْجُمْلَةِ كَقَوْلِهِمْ زَيْدٌ قَائِمٌ وَإِنْ زَيْدًا قَائِمٌ  
وَإِنْ زَيْدًا لَقَائِمٌ مُتَغَايِرَةٌ كُلُّهَا فِي الدَّلَالَةِ وَإِنْ اسْتَوَتْ مِنْ طَرِيقِ الْإِعْرَابِ فَإِنَّ  
الْأَوَّلَ الْعَارِيَّ عَنِ التَّأْكِيدِ إِنَّمَا يُفِيدُ الْخَلَالِي الذِّهْنِ وَالثَّانِي الْمَوْكَّدَ بَابٍ يُفِيدُ  
الْمُتَرَدِّدَ وَالثَّلَاثُ يُفِيدُ الْمُنْكَرَ فِيهِ مُخْتَلِفَةٌ وَكَذَلِكَ نَقُولُ جَاءَنِي الرَّجُلُ ثُمَّ نَقُولُ مَكَانَهُ  
بَعَيْنُهُ جَاءَنِي رَجُلٌ إِذَا قَصَدْتَ بِذَلِكَ التَّنْكِيرَ تَعْظِيمَهُ وَأَنَّهُ رَجُلٌ لَا يُعَادِلُهُ أَحَدٌ مِنَ  
الرِّجَالِ ثُمَّ الْجُمْلَةُ الْإِسْنَادِيَّةُ تَكُونُ خَبَرِيَّةً وَهِيَ الَّتِي لَهَا خَارِجٌ تُطَابِقُهُ أَوَّلًا وَإِنْشَائِيَّةً  
وَهِيَ الَّتِي لَا خَارِجَ لَهَا كَالطَّلَبِ وَأَنْوَاعُهُ ثَمَ قَدْ بَتَّعَيْنُ تَرَكَ الْعَاطِفَ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ إِذَا  
كَانَ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ فَيُشْرِكُ بِذَلِكَ مَنْزِلَةَ التَّابِعِ الْمَفْرَدِ نَعْتًا وَتَوْكِيدًا وَبَدَلًا  
بَلَا عَطْفٍ أَوْ يَتَعَيَّنُ الْعَطْفُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ ثُمَّ يَقْتَضِي الْمَحَلُّ  
الْإِطْنَابَ وَالْإِيجَازَ فَيُورَدُ الْكَلَامُ عَلَيْهِمَا ثُمَّ قَدْ يُدَلُّ بِاللَّفْظِ وَلَا يُرَادُ مَنْطُوقُهُ  
وَيُرَادُ لَازِمُهُ إِنْ كَانَ مُفْرَدًا كَمَا نَقُولُ زَيْدٌ أَسَدٌ فَلَا تُرِيدُ حَقِيقَةَ الْأَسَدِ الْمَنْطُوقَةَ  
وَإِنَّمَا تُرِيدُ شَجَاعَتَهُ الْأَلَزِمَةَ وَتُسْنِدُهَا إِلَى زَيْدٍ وَتُسَمَّى هَذِهِ اسْتِعَارَةً وَقَدْ تُرِيدُ بِاللَّفْظِ  
الْمُرْكَبِ الدَّلَالَةَ عَلَى مَلْزُومِهِ كَمَا نَقُولُ زَيْدٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ وَتُرِيدُ مَا لَزِمَ ذَلِكَ عَنْهُ  
مِنَ الْجُودِ وَفَرَى الضَّيْفِ لِأَنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ نَاشِئَةٌ عَنْهُمَا فَهِيَ دَالَّةٌ عَلَيْهِمَا وَهَذِهِ كُلُّهَا  
دَلَالَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى دَلَالَةِ الْأَلْفَافِ مِنَ الْمَفْرَدِ وَالْمُرْكَبِ وَإِنَّمَا هِيَ هَيْئَاتٌ وَأَحْوَالُ التَّوَافِعَاتِ  
جُعِلَتْ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهَا أَحْوَالٌ وَهَيْئَاتٌ فِي الْأَلْفَافِ كُلٌّ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ مَقَامُهُ فَاشْتَمَلَ  
هَذَا الْعِلْمُ الْمُسَمَّى بِالْبَيَانِ عَلَى التَّبَحُّثِ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَةِ الَّتِي لِلْهَيْئَاتِ وَالْأَحْوَالِ  
وَالْمَقَامَاتِ وَجُعِلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ الصَّنِيفُ الْأَوَّلُ يُبَحِّثُ فِيهِ عَنْ هَذِهِ الْهَيْئَاتِ  
وَالْأَحْوَالِ الَّتِي تُطَابِقُ بِاللَّفْظِ جَمِيعَ مُقْتَضِيَاتِ الْحَالِ وَيُسَمَّى عِلْمُ الْبَلَاغَةِ وَالصَّنِيفُ  
الثَّانِي يُبَحِّثُ فِيهِ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْأَلَزِمِ اللَّفْظِيِّ وَمَلْزُومِهِ وَهِيَ الْاسْتِعَارَةُ وَالْكِتَابَةُ كَمَا  
قُلْنَا وَيُسَمَّى عِلْمُ الْبَيَانِ وَالْحَقُّوَابِهِمَا صِنْفًا آخَرَ وَهُوَ النَّظَرُ فِي تَزْيِينِ الْكَلَامِ وَتَحْسِينِهِ  
بِنَوْعٍ مِنَ التَّنْمِيقِ إِمَّا بِسَجْعٍ بِفَصْلِهِ أَوْ بِتَجْنِيسٍ بِشَابِهِ بَيْنَ الْأَفْظِ أَوْ تَرْصِيعٍ بِقَطْعٍ  
أَوْ تَوْرِيَةٍ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِإِيْهَامٍ مَعْنَى أَخْتِي مِنْهُ لِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِ بَيْنَهُمَا وَأَمْثَالُ  
ذَلِكَ وَيُسَمَّى عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْبَدِيعِ وَأُطْلِقَ عَلَى الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ عِنْدَ الْمُعْدِّثِينَ اسْمُ

الْبَيَانُ وَهُوَ اسْمُ الصَّنَفِ الثَّانِي لِأَنَّ الْأَقْدَمِينَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمُوا فِيهِ ثُمَّ تَلَا حَقَّتْ مَسَائِلُ  
 الْفَنِّ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَكُتِبَ فِيهَا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَالْجَاهِظُ وَقُدَامَةُ وَأَمْثَالُهُمْ إِمْلَاءَاتٍ  
 غَيْرَ وَافِيَةٍ فِيهَا ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَسَائِلُ الْفَنِّ تَكْمُلُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ مَحَصَ السَّكَّاكِيُّ زُبْدَتَهُ  
 وَهَدَّبَ مَسَائِلَهُ وَرَتَّبَ أَبْوَابَهُ عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنْفَاءً مِنَ التَّرْتِيبِ وَأَلْفَ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى  
 بِالْمِفْتَاحِ فِي النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْبَيَانِ فَيَجْعَلُ هَذَا الْفَنَّ مِنْ بَعْضِ أَجْزَائِهِ وَأَخَذَهُ  
 الْمُنْتَخِرُونَ مِنْ كِتَابِهِ وَلَخَّصُوا مِنْهُ أُمَمَاتٍ هِيَ الْمُدَاوَلَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ كَمَا فَعَلَهُ السَّكَّاكِيُّ  
 فِي كِتَابِ التَّبَيَّنِ وَأَبْنُ مَالِكٍ فِي كِتَابِ الْمَصْبَاحِ وَجَلَّالُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ فِي كِتَابِ  
 الْإِيضَاحِ وَالتَّلْخِصِ وَهُوَ أَصْغَرُ حِجْمًا مِنَ الْإِيضَاحِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ فِي الشَّرْحِ وَالتَّعْلِيمِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْمُشَارِقَةُ عَلَى هَذَا  
 الْفَنِّ أَقْوَمُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ وَسَبِيحُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا لِيَ فِي الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ وَالصَّنَائِعِ  
 الْكِمَالِيَّةِ تُوجَدُ فِي الْعُمَرَانِ وَالْمَشْرِقِ أَوْفَرُ عُمرَانًا مِنَ الْمَغْرِبِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوْ  
 تَقُولُ لِعِنَايَةِ الْعَجَمِ وَهُمْ مُعْظَمُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ كَتَفْسِيرِ الزَّمَخْشَرِيِّ وَهُوَ كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى  
 هَذَا الْفَنِّ وَهُوَ أَصْلُهُ وَإِنَّمَا اخْتَصَّ بِأَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنْ أَصْنَافِهِ عِلْمُ الْبَدِيعِ خَاصَّةً  
 وَجَعَلُوهُ مِنْ جُمْلَةِ عُلُومِ الْأَدَبِ الشَّعْرِيَّةِ وَفَرَّغُوا لَهُ الْقَابَا وَعَدَّدُوا أَبْوَابًا وَنَوَعُوا أَنْوَاعًا  
 وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَحْصَوْهَا مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْوُلُوعُ بِتَرْزِينِ الْأَلْفَاظِ  
 وَأَنَّ عِلْمَ الْبَدِيعِ سَهْلٌ الْمَأْخُذِ وَصَعِبَتْ عَلَيْهِمْ مَأْخُذُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ لِيَقَّةِ أَنْظَارِهِمَا  
 وَغَمُوضِ مَعَانِيهِمَا فَتَجَافَوْا عَنْهُمَا وَمِمَّنْ أَلْفَ فِي الْبَدِيعِ مِنْ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ ابْنُ رَشِيقٍ  
 وَكِتَابُ الْعُمْدَةِ لَهُ مَشْهُورٌ وَجَرَى كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ عَلَى مَنَاحِهِ وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ ثَمَرَةَ هَذَا الْفَنِّ إِنَّمَا هِيَ فِي فَهْمِ الْإِعْجَازِ مِنَ الْقُرْآنِ لِأَنَّ إِعْجَازَهُ فِي وَفَاءِ الدَّلَالَةِ  
 مِنْهُ بِجَمِيعِ مُقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ مَنْطُوقَةٍ وَمَفْهُومَةٌ وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَلَامِ مَعَ  
 الْكَمَالِ فِيمَا يُخْتَصُّ بِالْأَلْفَاظِ فِي انْتِقَائِهَا وَجُودَةِ رَصْفِهَا وَتَرْكِيبِهَا وَهَذَا هُوَ الْإِعْجَازُ  
 الَّذِي تُقْصَرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ وَإِنَّمَا يُدْرِكُ بَعْضُ الشَّيْءِ مِنْهُ مَنْ كَانَ لَهُ ذَوْقٌ  
 بِمُخَالَطَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ فَيُدْرِكُ مِنْ إِعْجَازِهِ عَلَى قَدَرِ ذَوْقِهِ فَلِهَذَا كَانَتْ  
 مَدَارِكُ الْعَرَبِ الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ مَبْلَغِهِ أَعْلَى مَقَامًا فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ فُرْسَانُ الْكَلَامِ  
 وَجَاهِزِيَّتُهُ وَالذَّوْقُ عِنْدَهُمْ مُوجُودٌ بِأَوْفَرِ مَا يَكُونُ وَأَصَحُّ وَأَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى هَذَا



الْفَنِّ الْمُفَسِّرُونَ وَأَكْثَرُ تَفَاسِيرِ الْمُتَقَدِّمِينَ غُفِّلَ عَنْهُ ظَهَرَ جَارُ اللَّهِ الرَّمَحْشَرِيُّ وَوَضَعَ  
كِتَابَهُ فِي التَّفْسِيرِ وَتَتَبَعَ آيَ الْقُرْآنِ بِأَحْكَامِ هَذَا الْفَنِّ بِمَا يُنْدِي الْبَعْضُ مِنْ  
إِعْجَازِهِ فَأَنفَرَدَ بِهَذَا الْفَضْلِ عَلَى جَمِيعِ التَّفَاسِيرِ لَوْلَا أَنَّهُ يُؤَيِّدُ عَقَائِدَ أَهْلِ الْبِدْعِ عِنْدَ  
أَقْبَاسِهَا مِنَ الْقُرْآنِ بِوُجُوهِ الْبَلَاغَةِ وَلِأَجْلِ هَذَا يَتَحَمَّاهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَعَ وَفُورِ  
بِضَاعَتِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ فَمَنْ أَحْكَمَ عَقَائِدَ السُّنَّةِ وَشَارَكَ فِي هَذَا الْفَنِّ بَعْضَ الْمُشَارَكَةِ  
حَتَّى يَقْتَدِرَ عَلَى الرَّدِّ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ كَلَامِهِ أَوْ يَعْلَمَ أَنَّهُ بِدْعَةٌ فَيُعْرِضَ عَنْهَا وَلَا تُضُرُّ  
فِي مُعْتَقَدِهِ فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ النَّظَرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ لِلظَّهْرِ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِعْجَازِ مَعَ السَّلَامَةِ  
مِنَ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَاللَّهُ الْهَادِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ

### علم الادب

هَذَا الْعِلْمُ لَا مَوْضُوعَ لَهُ يُنْظَرُ فِي إِثْبَاتِ عَوَارِضِهِ أَوْ نَقِيضِهَا وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْهُ عِنْدَ  
أَهْلِ اللِّسَانِ ثَمَرَتُهُ وَهِيَ الْإِجَادَةُ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ  
وَمَنَاجِيهِمْ فَيَجْمَعُونَ لِذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا عَسَاهُ تَحْصُلُ بِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ شِعْرِ  
عَالِي الطَّبَقَةِ وَسَجْعٍ مُتَسَاوٍ فِي الْإِجَادَةِ وَمَسَائِلَ مِنَ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ مَبْنُوتَةٌ أَثَاءَ ذَلِكَ  
مُتَفَرِّقَةٌ يَسْتَقْرِي مِنْهَا النَّظَرُ فِي الْغَالِبِ مُعْظَمَ قَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضٍ مِنْ أَيَّامِ  
الْعَرَبِ يَفْهَمُ بِهِ مَا يَقَعُ فِي أَشْعَارِهِمْ مِنْهَا وَكَذَلِكَ ذِكْرُ الْمُهْمِ مِنَ الْأَنْسَابِ الشَّهِيرَةِ  
وَالْأَخْبَارِ الْعَامَةِ وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ لَا يَخْفَى عَلَى النَّظِيرِ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ  
وَأَسَالِيبِهِمْ وَمَنَاجِيهِمْ إِذَا تَصَفَّحَهُ لِأَنَّهُ لَا تَحْصُلُ الْمَلَكَةُ مِنْ حِفْظِهِ إِلَّا بَعْدَ  
فَهْمِهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيمِ جَمِيعِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا حَدَّ هَذَا الْفَنِّ  
قَالُوا الْأَدَبُ هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِطَرَفٍ يَرِيدُونَ  
مِنْ عُلُومِ اللِّسَانِ أَوْ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مُثُونُهَا فَقَطْ وَهِيَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ إِذَا لَا  
مَدْخَلَ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُونَ عِنْدَ كَلْفِهِمْ  
بِصِنَاعَةِ الْبَدِيعِ مِنَ التَّوْزِيَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَتَرْسُلِهِمْ بِالْأَصْطِلَاحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فَاحْتَاجَ  
صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ حِينَئِذٍ إِلَى مَعْرِفَةِ أَصْطِلَاحَاتِ الْعُلُومِ لِيَكُونَ قَائِمًا عَلَى فَهْمِهَا وَسَمْعِهَا  
مِنْ شَيْءٍ خَفِيَ فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ أَنَّ أَصُولَ هَذَا الْفَنِّ وَأَرْكَانَهُ أَرْبَعَةٌ دَوَائِينَ وَهِيَ أَدَبُ  
الْكِتَابِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ وَكِتَابُ الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّيْسِيَةِ لِلْجَاحِظِ

وَكِتَابُ النَّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي الْبَغْدَادِيِّ وَمَا سِوَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ فَتَبَعَ لَهَا وَفُرُوعُ  
عَنْهَا وَكُتِبَ الْمُحَدِّثِينَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا  
الْفَنِّ لِمَا هُوَ تَابِعٌ لِلشَّعْرِ إِذَا الْغِنَاءُ إِنَّمَا هُوَ تَلْحِينُهُ وَكَانَ الْكِتَابُ وَالْفَضْلَانِ مِنْ  
الْخَوَاصِّ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ أَسَالِيبِ الشَّعْرِ  
وَفُنُونِهِ فَلَمْ يَكُنْ انْتِحَالُهُ قَادِحًا فِي الْعَدَالَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَقَدْ أَلَّفَ الْقَاضِي أَبُو الْقَرَجِ  
الْأَصْبَهَانِيُّ كِتَابَهُ فِي الْأَغَانِي جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ وَأَنَسَابَهُمْ وَأَيَّامَهُمْ  
وَدَوْلَهُمْ وَجَعَلَ مَبْنَاهُ عَلَى الْغِنَاءِ فِي الْمِائَةِ صَوْتًا الَّتِي اخْتَارَهَا الْمُغَنُّونَ لِلرَّشِيدِ فَأَسْتَوْعَبَ  
فِيهِ ذَلِكَ أَتَمَّ اسْتِيعَابٍ وَأَوْفَاهُ وَلَعَمْرِي إِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْحَسَنِ  
الَّتِي سَلَفَتْ لَهُمْ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الشَّعْرِ وَالتَّأْرِيفِ وَالْغِنَاءِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَلَا  
يُعَدُّ بِهِ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ فِيمَا تَعَلَّمَهُ وَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي يَسْمُو إِلَيْهَا الْأَدِيبُ وَيَقِفُ عِنْدَهَا  
وَأَنَّى لَهُ بِهَا وَفَحْنُ الْآنَ نَرْجِعُ بِالْحَقِيقِ عَلَى الْإِجْمَالِ فِيمَا تَكَلَّمْنَا دَلِيلَهُ مِنْ عُلُومِ  
اللسانِ وَاللَّهِ الْهَادِي لِلصَّوَابِ

### الفصل السابع والثلاثون

في ان اللغة ملكة صناعية

إِعْلَمَ أَنَّ اللُّغَاتِ كُلَّهَا مَلَكَاتٌ شَبِيهَةٌ بِالصَّنَاعَةِ إِذْ هِيَ مَلَكَاتٌ فِي اللِّسَانِ  
لِلْعِبَارَةِ عَنِ الْمَعْنَى وَجُودَتِهَا وَقُصُورُهَا بِحَسَبِ تِمَامِ الْمَلَكَاتِ أَوْ تَقْصَانِهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ  
بِالنَّظَرِ إِلَى الْمُفْرَدَاتِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَى التَّرَاكِبِ فَإِذَا حَصَلَتِ الْمَلَكَاتُ التَّامَّةُ  
فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَافِ الْمُفْرَدَةِ لِلتَّعْبِيرِ بِهَا عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَةِ وَمُرَاعَاةِ التَّأْلِيفِ الَّذِي  
يُطَبِّقُ الْكَلَامَ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ بَلَّغَ الْمُتَكَلِّمُ حِينَئِذٍ الْغَايَةَ مِنْ إِفَادَةِ مَقْصُودِهِ  
لِلسَّامِعِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْبَلَاغَةِ وَالْمَلَكَاتُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِتَكَرُّرِ الْأَفْعَالِ لِأَنَّ الْفِعْلَ  
يَقَعُ أَوَّلًا وَتَعُودُ مِنْهُ لِلذَّاتِ صِفَةٌ ثُمَّ تَتَكَرَّرُ فَتَكُونُ حَالًا وَمَعْنَى الْحَالِ أَنَّهَا صِفَةٌ  
غَيْرُ رَاسِخَةٍ ثُمَّ يَزِيدُ التَّكَرُّارُ فَتَكُونُ مَلَكَاتٌ أَيْ صِفَةٌ رَاسِخَةٌ فَالْمُتَكَلِّمُ مِنْ  
الْعَرَبِ حِينَ كَانَتْ مَلَكَاتُهُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مُوجُودَةً فِيهِمْ يَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِ جِيلِهِ  
وَأَسَالِيهِمْ فِي مُحَاطَبَاتِهِمْ وَكَيْفِيَّةِ تَعْبِيرِهِمْ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ كَمَا يَسْمَعُ الصَّبِيُّ اسْتِعْمَالَ  
الْمُفْرَدَاتِ فِي مَعَانِيهَا فَيُلْقِنُهَا أَوَّلًا ثُمَّ يَسْمَعُ التَّرَاكِبَ بَعْدَهَا فَيُلْقِنُهَا كَذَلِكَ ثُمَّ لَا يَزَالُ



سَمِعَهُمْ لِذَلِكَ يَتَجَدَّدُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَمِنْ كُلِّ مُتَكَلِّمٍ وَأَسْعَمَالُهُ يَتَكَرَّرُ إِلَى أَنْ  
يَصِيرَ ذَلِكَ مَلَكَ وَصِفَةً رَاسِخَةً وَيَكُونُ كَأَحَدِهِمْ هَكَذَا تَصِيرَتِ الْأَلْسُنُ وَاللُّغَاتُ  
مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ وَتَعَلَّمَهَا الْعَجَمُ وَالْأَطْفَالُ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى مَا أَقُولُهُ الْعَامَّةُ مِنْ أَنَّ  
اللُّغَةَ لِلْعَرَبِ بِالطَّبَعِ أَيُّ بِالْمَلَكَةِ الْأُولَى الَّتِي أَخَذَتْ عَنْهُمْ وَلَمْ يَأْخُذُوا عَنْ غَيْرِهِمْ  
ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا فَسَدَتْ هَذِهِ الْمَلَكَةُ لِمُضَرٍّ بِمُخَالَطَتِهِمْ الْأَعَاجِمَ وَمَبَبٍ فَسَادَهَا أَنَّ النَّاشِئَ  
مِنْ الْجِيلِ صَارَ يَسْمَعُ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ الْمَقَاصِدِ كَيْفِيَّاتٍ أُخْرَى غَيْرَ الْكَيْفِيَّاتِ الَّتِي  
كَانَتْ لِلْعَرَبِ فَيُعَبِّرُ بِهَا عَنْ مَقْصُودِهِ لِكَثْرَةِ الْمُخَالَطِينَ لِلْعَرَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَسْمَعُ  
كَيْفِيَّاتِ الْعَرَبِ أَيْضًا فَاخْتَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَأَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ فَاسْتَحْدَثَ مَلَكَ  
وَكَانَتْ نَاقِصَةً عَنِ الْأُولَى وَهَذَا مَعْنَى فَسَادِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلِهَذَا كَانَتْ لُغَةُ قُرَيْشٍ  
أَفْصَحَ اللُّغَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَصْرَحَهَا لِبُعْدِهِمْ عَنِ بِلَادِ الْعَجَمِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ثُمَّ مَنْ  
اِسْتَفْتَهُمْ مِنْ ثَقِيفٍ وَهَذِيلٍ وَخُزَاعَةٍ وَبَنِي كِنَانَةَ وَغَطَفَانَ وَبَنِي أَسَدٍ وَبَنِي تَعِيمٍ وَأَمَّا  
مَنْ بَعْدَ عَنْهُمْ مِنْ رَيْبَةَ وَلَحْمٍ وَجُدَامٍ وَغَسَّانٍ وَإِيَادٍ وَفُضَاعَةٍ وَعَرَبِ الْيَمَنِ الْمُجَاوِرِينَ  
لِلْأَمْرِ الْفُرسِ وَالرُّومِ وَالْحَبَشَةِ فَلَمْ تَكُنْ لُغَتُهُمْ تَامَةً الْمَلَكَةُ بِمُخَالَطَةِ الْأَعَاجِمِ  
وَعَلَى نِسْبَةِ بُعْدِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ الْإِحْتِجَاجُ بِلُغَاتِهِمْ فِي الصِّحَّةِ وَالْفَسَادِ عِنْدَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ  
الْعَرَبِيَّةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن والثلاثون

في أن لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير  
وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُهَا فِي بَيَانِ الْمَقَاصِدِ وَالْوَفَاءِ بِالِدَّلَالَةِ عَلَى سُنَنِ اللِّسَانِ الْمُضَرِّي  
وَلَمْ يُفْقَدْ مِنْهَا إِلَّا دَلَالَةُ الْحَرَكَاتِ عَلَى تَعْيِينِ الْفَاعِلِ مِنَ الْمَفْعُولِ فَأَعْتَاضُوا مِنْهَا بِالتَّقْدِيرِ  
وَالتَّأْخِيرِ وَبِقَرَأَتَيْنِ تَدُلُّ عَلَى خُصُوصِيَّاتِ الْمَقَاصِدِ إِلَّا أَنَّ الْبَيَانَ وَالْبَلَاغَةَ فِي اللِّسَانِ  
الْمُضَرِّي أَكْثَرُ وَأَعْرَفُ لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ بِأَعْيَانِهَا دَالَّةٌ عَلَى الْمَعَانِي بِأَعْيَانِهَا وَبَقِيَ مَا  
تَقْتَضِيهِ الْأَحْوَالُ وَبُسْمَى بِسَاطِ الْحَالِ مُنْتَجَا إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَكُلُّ مَعْنَى لَا بُدَّ وَأَنَّ  
تَكْثُفَهُ أَحْوَالُ تَخْصُّهُ فَيَجِبُ أَنْ تُعْتَبَرَ تِلْكَ الْأَحْوَالُ فِي تَأْدِيَةِ الْمَقْصُودِ لِأَنَّهَا صِفَاتُهُ  
وَتِلْكَ الْأَحْوَالُ فِي جَمِيعِ الْأَلْسُنِ أَكْثَرُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهَا بِالْفَظِ تَخْصُّهَا بِالْوَضْعِ وَأَمَّا فِي  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا بِأَحْوَالٍ وَكَيْفِيَّاتٍ فِي تَرَكَيبِ الْأَلْفَاظِ وَتَأْلِيفِهَا مِنْ

تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة أعراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة  
ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك  
الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارة  
من جميع اللسان وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصر  
لي الكلام اختصاراً واعتبر ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض  
النحاة إني أجد في كلام العرب تكراراً في قولهم زيد قائم وإن زيدا قائم وإن  
زيداً قائم والمعنى واحد فقال له إن معانيها مختلفة فالأول لإفادة الخالي الذهن من  
قيام زيد والثاني لمن سمعه فتردد فيه والثالث لمن عرف بالاضرار على إنكاره  
فاختلفت الدلالة باختلاف الأحوال وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب  
ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفتن في ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب  
القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن  
اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع في أواخر الكلم من فساد الإعراب الذي يتدارسون  
قوانينه وهي مقالة دسها التشيع في طبائعهم وألقاها القصور في أفئدتهم وإلا فنحن  
نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تنزل في موضوعاتها الأولى والتعبير عن المقاصد  
والتعاون فيه بتفاوت الأمانة موجود في كلامهم لهذا العهد وأساليب اللسان  
وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم وفهم الخطيب المصقع في محافلهم  
ومجامعهم والشاعر المفلح على أساليب لغتهم والدوق الصحيح والطبع السليم  
شاهدان بذلك ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب في أواخر  
الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهيأ معروفاً وهو الإعراب  
وهو بعض من أحكام اللسان وإدما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بمخالطتهم  
الأعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته  
على غير الصورة التي كانت أولاً فانقلب لغة أخرى وكان القرآن منزلاً به والحديث  
النبوي منقولاً بلغته وهما أصلاً الدين والملة فخشي تناسيها وانغلاق الأفهام عنهما  
يفقدان اللسان الذي نزل به فاحتيج إلى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط  
قوانينه وصار علماً ذا فصول وأبواب ومقدمات ومسائل سماه أهل العلم النحو وصناعة



العَرَبِيَّةُ فَأَصْبَحَ فَنَّا نَحْفُوظًا وَعِزًّا مَكْتُوبًا وَسَلَامًا إِلَى فَنَاهُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ  
وَافِيًا وَلَعَلَّنَا لَوْ أَغْنَيْنَا بِهَذَا اللِّسَانِ الْعَرَبِيَّ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاسْتَقْرَيْنَا أَحْكَامَهُ نَعْتَاضُ  
عَنِ الْحَرَكَاتِ إِلَّا عَرَابِيَّةً فِي دَلَالَتِهَا بِأُمُورٍ أُخْرَى مَوْجُودَةٍ فِيهِ تَكُونُ بِهَا قَوَانِينُ  
تَخْصُهَا وَلَعَلَّهَا تَكُونُ فِي أَوَاخِرِهِ عَلَى غَيْرِ الْمُنْهَاجِ الْأَوَّلِ فِي لُغَةٍ مُضَرٍّ فَلَيْسَتْ اللُّغَاتُ  
وَمَلَكَاكَانَهَا مَجَانًا وَلَقَدْ كَانَ اللِّسَانُ الْمُضَرِّيُّ مَعَ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ بِهِذِهِ الدِّثَابَةُ وَتَغْيِيرُ  
عِنْدَ مُضَرٍّ كَثِيرٌ مِنْ مَوْضُوعَاتِ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ وَتَصَارِيفِ كَلِمَاتِهِ تَشِيدُ بِذَلِكَ  
الْإِنْقَالُ الْمَوْجُودَةُ لَدَيْنَا خِلَافًا لِمَنْ يَحْمِلُهُ الْقُصُورُ عَلَى أَنَّهَا لُغَةٌ وَاحِدَةٌ وَيَلْتَمِسُ إِجْرَاءُ  
اللُّغَةِ الْحِمَيْرِيَّةِ عَلَى مَقَائِيسِ اللُّغَةِ الْمُضَرِّيَّةِ وَقَوَانِينِهَا كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُهُمْ فِي اشْتِقَاقِ  
الْقِيلِ فِي اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ أَنَّهُ مِنَ الْقَوْلِ وَكَثِيرٌ مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ  
وَلُغَةُ حِمَيْرٍ لُغَةٌ أُخْرَى مُغَايِرَةٌ لِلُّغَةِ مُضَرٍّ فِي الْكَثِيرِ مِنْ أَوْضَاعِهَا وَتَصَارِيفِهَا وَحَرَكَاتِ  
إِعْرَابِهَا كَمَا هِيَ لُغَةُ الْعَرَبِ لِعَهْدِنَا مَعَ لُغَةِ مُضَرٍّ إِلَّا أَنَّ الْعِنَايَةَ بِلِسَانِ مُضَرٍّ مِنْ أَجْلِ  
الشَّرِيعَةِ كَمَا قُلْنَا هُ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى الْإِسْتِنْبَاطِ وَالِاسْتِفْرَافِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا لِهَذَا الْعَهْدِ مَا  
يَحْمِلُنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَبَدَعُونَا إِلَيْهِ وَمِمَّا وَقَعَ فِي لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ الْعَرَبِيِّ لِهَذَا الْعَهْدِ حَيْثُ  
كَانُوا مِنَ الْأَقْطَارِ شَأْنُهُمْ فِي النُّطْقِ بِالْقَافِ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ بِهَا مِنْ مَخْرَجِ الْقَافِ  
عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْصَارِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ مِنْ أَفْصَى اللِّسَانِ وَمَا فَوْقَهُ  
مِنْ الْحَنَكِ الْأَعْلَى وَمَا يَنْطِقُونَ بِهَا بَضًا مِنْ مَخْرَجِ الْكَافِ وَإِنْ كَانَ أَسْفَلَ مِنْ مَوْضِعِ  
الْقَافِ وَمَا يَكِيهِ مِنَ الْحَنَكِ الْأَعْلَى كَمَا هِيَ بَلْ يَجِثُونَ بِهَا مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْكَافِ وَالْقَافِ  
وَهُوَ مَوْجُودٌ لِلْجِيلِ أَجْمَعَ حَيْثُ كَانُوا مِنْ غَرْبٍ أَوْ شَرْقٍ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَيْهِمْ  
مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ مُخْتَصًّا بِهِمْ لَا يُشَارِكُهُمْ بِهَا غَيْرُهُمْ حَتَّى إِنْ مَنْ يُرِيدُ التَّقَرُّبَ  
وَالِإِنْتِسَابَ إِلَى الْجِيلِ وَالْدُخُولَ فِيهِ يُحَاكِهُمْ فِي النُّطْقِ بِهَا وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ  
الْعَرَبِيُّ الصَّرِيحُ مِنَ الدَّخِيلِ فِي الْعَرُوبِيَّةِ وَالْمُضَرِّيِّ بِالنُّطْقِ بِهِذِهِ الْقَافِ وَيُظْهِرُ بِذَلِكَ  
أَنَّهَا لُغَةُ مُضَرٍّ بَعِيْنَهَا فَإِنَّ هَذَا الْجِيلَ الْبَاقِينَ مُعْظَمُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي وَلَدِ  
مَنْصُورِ بْنِ عَكْرَمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ مِنْ سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ وَمِنْ بَنِي عَامِرِ  
ابْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورٍ وَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَكْثَرُ الْأُمَمِ  
فِي الْمَعْمُورِ وَأَغْلَبُهُمْ وَهُمْ مِنْ أَعْقَابِ مُضَرٍّ وَسَائِرُ الْجِيلِ مِنْهُمْ فِي النُّطْقِ بِهِذِهِ الْقَافِ

أُسْوَةٌ وَهَذِهِ اللُّغَةُ لَمْ يَتَدَعِهَا هَذَا الْجِيلُ بَلْ هِيَ مُتَوَارِثَةٌ فِيهِمْ مُتَعاقِبَةٌ وَيَبْظُهُرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا لُغَةٌ مُضَرٌّ الْأَوَّلِينَ وَأَعْلَمُهَا لُغَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهَا قَدْ أَدْعَى ذَلِكَ فُقَهَاءَ أَهْلِ الْبَيْتِ وَزَعَمُوا أَنَّ مَنْ قَرَأَ فِي أُمِّ الْقُرْآنِ إِهْدِنَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِغَيْرِ الْقَافِ الَّتِي لِهَذَا الْجِيلِ فَقَدْ لَحَنَ وَأَفْسَدَ صَلَاتَهُ وَلَمْ أَذِرْ مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا فَإِنَّ لُغَةَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا وَإِنَّمَا تَنَاقَلُوهَا مِنْ لَدُنْ سَلَفِهِمْ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ لَمَّا نَزَلُوا الْأَمْصَارَ مِنْ لَدُنْ الْفَتْحِ وَأَهْلُ الْجِيلِ أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا إِلَّا أَنَّهُمْ أَبْعَدُ مِنْ مُخَالَطَةِ الْأَعَاجِمِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَهَذَا يُرْجَحُ فِيمَا يُوجَدُ مِنَ اللُّغَةِ لَدَيْهِمْ أَنَّهُ مِنْ لُغَةِ سَلَفِهِمْ هَذَا مَعَ اتِّفَاقِ أَهْلِ الْجِيلِ كُلِّهِمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي النُّطْقِ بِهَا وَأَنَّهَا الْخَاصِيَّةُ الَّتِي يَشْمِزُ بِهَا الْعَرَبِيُّ مِنَ الْهَجِينِ وَالْحَضَرِيِّ فَتَفْهَمُ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَلْهَادِي الْمُبِينِ

### الفصل التاسع والثلاثون

في ان لغة اهل الحضر والامصار لغة قائمة بنفسها للغة مضر  
إِعْلَمَ أَنَّ عُرْفَ التَّخَاطُبِ فِي الْأَمْصَارِ وَبَيْنَ الْحَضَرِ لَيْسَ بِلُغَةِ مُضَرٍّ الْقَدِيمَةِ وَلَا بِلُغَةِ أَهْلِ الْجِيلِ بَلْ هِيَ لُغَةٌ أُخْرَى قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا بَعِيدَةٌ عَنْ لُغَةِ مُضَرٍّ وَعَنْ لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي لِعَهْدِنَا وَهِيَ عَنْ لُغَةٍ مَشْرِأُ بَعْدُ فَأَمَّا إِنَّمَا لُغَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا فَهُوَ ظَاهِرٌ يَشْهَدُ لَهُ مَا فِيهَا مِنَ الْغَايِرِ الَّذِي يُعَدُّ عِنْدَ صِنَاعَةِ أَهْلِ النَّحْوِ لَحْنًا وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَمْصَارِ فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ قَائِمَةٌ أَهْلُ الْمَشْرِقِ مُبَايِنَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ لِلُّغَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعَهُمَا وَكُلُّ مِنْهُمْ مُتَوَصِّلٌ بِلُغَتِهِ إِلَى تَأْدِيَةِ مَقْصُودِهِ وَالْإِبَانَةُ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَهَذَا مَعْنَى اللِّسَانِ وَاللُّغَةِ وَفَقْدَانُ الْإِعْرَابِ لَيْسَ بِضَائِرٍ لَهُمْ كَمَا قُلْنَا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا إِنَّمَا أَبْعَدُ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ مِنْ لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ فَلِأَنَّ الْبُعْدَ عَنِ اللِّسَانِ إِنَّمَا هُوَ بِمُخَالَطَةِ النُّجْمَةِ فَمَنْ خَالَطَ الْعَجَمَ أَكْثَرَ كَانَتْ لُغَتُهُ عَنْ ذَلِكَ اللِّسَانِ الْأَصْلِيِّ أَبْعَدَ لِأَنَّ الْمَلِكَةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالتَّعْلِيمِ كَمَا قُلْنَا وَهَذِهِ مَلِكَةٌ مُمْتَزِجَةٌ مِنَ الْمَلِكَةِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ لِلْعَرَبِ وَمِنَ الْمَلِكَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي لِلْعَجَمِ فَعَلَى مَقْدَارِ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ الْعَجَمِ وَيَرَبُّونَ عَلَيْهِ يَبْعُدُونَ عَنِ الْمَلِكَةِ الْأُولَى وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أَمْصَارِ أَفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِ أَمَّا أَفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ فَخَالَطَتِ الْعَرَبُ فِيهَا الْبَرَابِرَةَ مِنَ الْعَجَمِ يُوَفُّونَ عُمَرَانَهَا بِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُو عَنْهُمْ مُضَرٌّ



وَلَا جِيلٌ فَغَلَبَتِ النُّجْمَةُ فِيهَا عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي كَانَ لَهُمْ وَصَارَتْ لُغَةً أُخْرَى  
مُمْتَزِجَةً وَالنُّجْمَةُ فِيهَا أَغْلَبَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فِيهِ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ أَبَعْدُ وَكَذَا الْمَشْرِقُ  
لَمَّا غَلَبَ الْعَرَبُ عَلَى أُمَمِهِ مِنْ فَارِسَ وَالتُّرْكِ وَفَخَالَطُوهُمْ وَتَدَاوَلَتْ بَيْنَهُمْ لُغَاتُهُمْ فِي  
الْأَكْرَةِ وَالْفَلَاحِينَ وَالسُّبِي الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ خَوْلًا وَدَائِبَاتٍ وَأَخَانًا رَأَى وَمَرَاضِعَ فَفَسَدَتْ  
لُغَتُهُمْ بِفَسَادِ الْمَلَكَةِ حَتَّى انْقَلَبَتْ لُغَةً أُخْرَى وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعَ عَجْمِ الْجَلَالِقَةِ  
وَالْأَفَرَنْجَةِ وَصَارَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ كُلِّهِمْ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِمِ أَهْلُ لُغَةٍ أُخْرَى تَخْصُوصَةً بِهِمْ  
تُخَالَفُ لُغَةَ مُصَرٍّ وَيُخَالِفُ أَيْضًا بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا نَذَرْنَا لُغَةَ أُخْرَى لِاسْتِحْكَامِ  
مَلَكَتِهَا فِي أَجْيَالِهِمْ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُقَدِّرُ

### الفصل الرابعون

في تعليم اللسان المضي

إِغْلَمْ أَنَّ مَلَكَةَ اللِّسَانِ الْمُصَرِّيَ لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ ذَهَبَتْ وَفَسَدَتْ وَلُغَةُ أَهْلِ الْجِيلِ  
كُلِّهِمْ مُغَايِرَةٌ لِلُّغَةِ مُصَرٍّ الَّتِي نُزِّلَ بِهَا الْقُرْآنُ وَإِنَّمَا هِيَ لُغَةٌ أُخْرَى مِنْ أَمْتِزَاجِ النُّجْمَةِ  
بِهَا كَمَا قَدْ مَنَاهُ إِلَّا أَنَّ الْأَلْفَانَ لَمَّا كَانَتْ مَلَكَاتٍ كَمَا مَرَّ كَرْنُ نَعْلُمَهَا مُمَكِّنًا  
شَأْنَ سَائِرِ الْمَلَكَاتِ وَوَجْهَ التَّعْلِيمِ لِمَنْ يَتَّبِعِي هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَيَرْوُمُ تَخْصِيلَهَا أَنْ  
يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِحِفْظِ كَلَامِهِمُ الْقَدِيمِ الْجَارِي عَلَى أَسَالِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ  
السَّلَفِ وَمُخَاطَبَاتِ فُحُولِ الْعَرَبِ فِي اسْتِجَاعِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَكَلِمَاتِ الْمُؤَلِّدِينَ أَيْضًا فِي  
سَائِرِ فُنُونِهِمْ حَتَّى يَتَنَزَّلَ لِكثَرَةِ حِفْظِهِ لِكَلَامِهِمْ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ مَنَازِلَةً مِنْ نَشَأِ  
بَيْنَهُمْ وَلَقِنَ الْعِبَارَةَ عَنِ الْمَقَاصِدِ مِنْهُمْ ثُمَّ يَتَصَرَّفُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّعْبِيرِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ  
عَلَى حَسَبِ عِبَارَاتِهِمْ وَتَأْلِيفِ كَلِمَاتِهِمْ وَمَا وَعَاهُ وَحَفِظَهُ مِنْ أَسَالِيهِمْ وَتَرْتِيبِ الْفَاضِلِ  
فَتَحْصُلُ لَهُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِهَذَا الْحِفْظِ وَالِاسْتِعْمَالِ وَيَزْدَادُ بِكَثَرَتِهِمَا رُسُوخًا وَقُوَّةً  
وَيَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى سَلَامَةِ الطَّبَعِ وَالتَّفَهُمِ الْحَسَنِ لِمَنَازِعِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيهِمْ فِي  
الْتِرَاقِيبِ وَمُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ وَالذُّوقِ بِشَهْدِ ذَلِكَ وَهُوَ  
يَنْشَأُ مَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَالطَّبَعِ السَّلِيمِ فِيهِمَا كَمَا نَذَرْنَا وَعَلَى قَدَرِ الْمَحْفُوظِ  
وَكَثَرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ تَكُونُ جُودَةُ الْمُقُولِ الْمَصْنُوعِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَمَنْ حَصَلَ عَلَى هَذِهِ  
الْمَلَكَاتِ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى لُغَةٍ مُصَرٍّ وَهُوَ النَّاقِدُ الْبَصِيرُ بِالْبَلَاغَةِ فِيهَا وَمُكْنَدَا يَنْبَغِي

أَنْ يَكُونَ تَعْلَمُهَا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ

## الفصل الحادي والاربعون

في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ قَوَانِينِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَمَقَائِلِهَا  
خَاصَّةً فَهُوَ عِلْمٌ بِكَيْفِيَّةِ لَا تَفْسُ كَيْفِيَّةٍ فَلَيْسَتْ تَفْسُ الْمَلَكَةِ وَإِنَّمَا هِيَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَعْرِفُ  
صِنَاعَةَ مِنَ الصَّنَائِعِ عِلْمًا وَلَا يُحْكِمُهَا عَمَلًا مِثْلَ أَنْ يَقُولَ بَصِيرٌ بِالْخِيَاطَةِ غَيْرُ تَحْكِيمِ  
لِمَلَكَتِهَا فِي التَّعْبِيرِ عَنْ بَعْضِ أَنْوَاعِهَا الْخِيَاطَةُ هِيَ أَنْ يُدْخَلَ الْخَيْطُ فِي خَرْتِ الْأَبْرَةِ  
ثُمَّ يَغْرِزُهَا فِي لَفْقِي الثَّوْبِ مُجْتَمِعَيْنِ وَيُخْرِجُهَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ بِمِقْدَارٍ كَذَا ثُمَّ  
يَرُدُّهَا إِلَى حَيْثُ أَبْتَدَأَتْ وَيُخْرِجُهَا قُدَامَ مَنَفِذِهَا الْأَوَّلِ بِمَطَرَحٍ مَا بَيْنَ الثَّقْبَيْنِ  
الْأَوَّلَيْنِ ثُمَّ يَتِمَادِي عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْعَمَلِ وَيُعْطِي صُورَةَ الْحَبْكِ وَالتَّثْبِيتِ وَالتَّفْطِيحِ  
وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْخِيَاطَةِ وَأَعْمَالِهَا وَهُوَ إِذَا طُولَبَ أَنْ يَعْمَلَ ذَلِكَ بِيَدِهِ لَا يُحْكِمُ مِنْهُ  
شَيْئًا وَكَذَا لَوْ سُئِلَ عَالِمٌ بِالنَّجَارَةِ عَنْ تَفْصِيلِ الْخَشَبِ يَقُولُ هُوَ أَنْ تَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى  
رَأْسِ الْخَشَبَةِ وَتُمْسِكَ بِطَرَفِهِ وَآخِرُ قِبَالَتِكَ مُمَسِكَ بِطَرَفِهِ الْآخَرَ وَتَتَعَقَّبَانِهِ بَيْنَكُمَا  
وَأَطْرَافُهُ الْمُضْرَسَةُ الْمُحْدَدَةُ تَقْطَعُ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ذَاهِبَةً وَجَائِيَةً إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى  
آخِرِ الْخَشَبَةِ وَهُوَ لَوْ طُولِبَ بِهَذَا الْعَمَلِ أَوْ شَيْءٌ مِنْهُ لَمْ يُحْكِمَهُ وَكَذَا الْعِلْمُ بِقَوَانِينِ  
الْإِعْرَابِ مَعَ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي تَفْسِيرِهَا فَإِنَّ الْعِلْمَ بِقَوَانِينِ الْإِعْرَابِ إِنَّمَا هُوَ عِلْمٌ  
بِكَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ وَلِذَلِكَ نَجِدُ كَثِيرًا مِنْ جِهَابِدَةِ النُّحَاةِ وَالْمَهَرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُحِيطِينَ  
عِلْمًا بِتِلْكَ الْقَوَانِينِ إِذَا سُئِلَ فِي كِتَابَةِ سَطَرَيْنِ إِلَى أَخِيهِ أَوْ ذِي مَوَدَّتِهِ أَوْ شَكَاوَى  
ظُلَامَةٍ أَوْ قَصْدٍ مِنْ قُصُودِهِ أَخْطَأَ فِيهَا عَنِ الصَّوَابِ وَأَكْثَرَ مِنَ اللَّحْنِ وَلَمْ يَجِدْ تَأْلِيفَ  
الْكَلَامِ لِذَلِكَ وَالْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقْصُودِ عَلَى أَسَالِيبِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَكَذَا نَجِدُ كَثِيرًا  
مِمَّنْ يُحْسِنُ هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَيُجِيدُ الْفَنَيْنِ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ وَهُوَ لَا يُحْسِنُ إِعْرَابَ  
الْفَاعِلِ مِنَ الْمَفْعُولِ وَلَا الْمَفْعُولِ مِنَ الْحَرُورِ وَلَا شَيْئًا مِنْ قَوَانِينِ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَمَنْ  
هَذَا تَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الْمَلَكَةَ هِيَ غَيْرُ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَنَّهَا مُسْتَغْنِيَةٌ عَنْهَا بِالْجُمْلَةِ وَقَدْ  
نَجِدُ بَعْضَ الْمَهَرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ بَصِيرًا بِحَالِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَهُوَ قَلِيلٌ وَاتِّفَاقِي  
وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ لِلْمُخَالِطِينَ لِكِتَابِ سَيَبَوِيهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى قَوَانِينِ الْإِعْرَابِ فَقَطْ



بَلْ مَلَأَ كِتَابَهُ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ وَشَوَاهِدِ أَشْعَارِهِمْ وَعِبَارَاتِهِمْ فَكَانَ فِيهِ جُزْءٌ صَالِحٌ  
 مِنْ تَعْلِيمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَتَجِدُ الْعَاكِفَ عَلَيْهِ وَالْمُحْصِلَ لَهُ قَدْ حَصَلَ عَلَى حَظٍّ مِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ وَأَنْدَرَجَ فِي مَحْفُوظِهِ فِي أَمَاكِيهِ وَمَفَاصِلِ حَاجَاتِهِ وَتَبَّهَ بِهِ لِسَانُ الْمَلَكَةِ فَأَسْتَوْفَى  
 تَعْلِيمَهَا فَكَانَ أَبْلَغَ فِي الْإِفَادَةِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُخَالِطِينَ لِكِتَابِ سَيَّوِيهِ مَنْ يَقْلُ عَنْ  
 التَّفْطُنِ لِهَذَا فَيَحْصِلُ عَلَى عِلْمِ اللِّسَانِ صِنَاعَةً وَلَا يَحْصِلُ عَلَيْهِ مَلَكَةٌ وَأَمَّا الْمُخَالِطُونَ  
 لِكِتَابِ الْمُتَأَخِّرِينَ الْعَارِيَةِ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مِنَ الْقَوَائِنِ النُّحُويَّةِ مُجَرَّدَةً عَنْ أَشْعَارِ  
 الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ فَقُلَّ مَا يَشْعُرُونَ لِذَلِكَ بِأَمْرِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ أَوْ يَنْتَبِهُونَ لِشَأْنِهَا فَتَجِدُهُمْ  
 يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ قَدْ حَصَلُوا عَلَى رُتْبَةٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهُ وَأَهْلُ صِنَاعَةِ  
 الْعَرَبِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمُعَلِّمُوهَا أَقْرَبُ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَتَعْلِيمِهَا مِنْ سِوَاهُمْ  
 لِقِيَامِهِمْ فِيهَا عَلَى شَوَاهِدِ الْعَرَبِ وَأَمْثَالِهِمْ وَالتَّفَقُّهِ فِي الْكَثِيرِ مِنَ التَّرَاكِبِ فِي مَجَالِسِ  
 تَعْلِيمِهِمْ فَيَسْبِقُ إِلَى الْمُبْتَدِئِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَلَكَةِ أَثْنَاءَ التَّعْلِيمِ فَتَنْقَطِعُ النَّفْسُ لَهَا  
 وَتَسْتَعِدُّ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَقَبُولِهَا وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةٍ وَغَيْرِهِمْ فَأَجْرُوا  
 صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ مُجَرَّدِي الْعُلُومِ بَحْثًا وَقَطَعُوا النَّظَرَ عَنِ التَّفَقُّهِ فِي تَرَاكِبِ كَلَامِ الْعَرَبِ  
 إِلَّا إِنْ أَعْرَبُوا شَاهِدًا أَوْ رَجَّحُوا مَذْهَبًا مِنْ جِهَةِ الْإِقْتِضَاءِ الذِّهْنِيِّ لَا مِنْ جِهَةِ تَحَامُلِ  
 اللِّسَانِ وَتَرَاكِبِهِ فَأَصْبَحَتْ صِنَاعَةُ الْعَرَبِيَّةِ كَأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ قَوَائِنِ الْمَنْطِقِ الْعَقْلِيَّةِ أَوْ  
 الْجَدَلِ وَبَعُدَتْ عَنْ مَنَاحِي اللِّسَانِ وَمَلَكَتِهِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِعُدُولِهِمْ عَنِ الْبَحْثِ فِي  
 شَوَاهِدِ اللِّسَانِ وَتَرَاكِبِهِ وَتَمْيِيزِ أَسَالِيْبِهِ وَغَفْلَتِهِمْ عَنِ الْمِرَانِ فِي ذَلِكَ لِلْمُتَعَلِّمِ فَهُوَ  
 أَحْسَنُ مَا تُفِيدُهُ الْمَلَكَةُ فِي اللِّسَانِ وَتِلْكَ الْقَوَائِنُ إِنَّمَا هِيَ وَسَائِلُ التَّعْلِيمِ لِكِنَّهُمْ  
 أَجْرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا قُصِدَ بِهَا وَأَصَارُوهَا عِلْمًا بَحْثًا وَبَعُدُوا عَنْ ثَمَرِهَا وَتَعَلَّمُوا مِمَّا قَرَنَاهُ  
 فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ حُصِّلَ مَلَكَةُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ إِنَّمَا هُوَ بِكَثْرَةِ الْخِطِّ مِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ حَتَّى يَرْتَسِمَ فِي خَيَالِهِ الْمِنْوَالُ الَّذِي تَسْجُوا عَلَيْهِ تَرَاكِبِهِمْ فَيَنْسَجُ هُوَ عَلَيْهِ  
 وَيَتَنَزَّلُ بِذَلِكَ مَنَازِلَةً مِنْ نَشَأَ مَعَهُمْ وَخَالَطَ عِبَارَاتِهِمْ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى حَبَلَتْ لَهُ  
 الْمَلَكَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ عَلَى نَحْوِ كَلَامِهِمْ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ الْأُمُورِ كُلِّهَا  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ

## الفصل الثاني والاربعون

في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان انه لا يحصل

للمستعربين من العجم

إِعلمَ أَنَّ لَفْظَةَ الذَّوْقِ يَتَدَاوَلُهَا الْمُعْتَنُونَ بِفُنُونِ الْبَيَانِ وَمَعْنَاهَا حُصُولُ مَلَكَهَ  
الْبَلَاغَةِ لِللِّسَانِ وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ الْبَلَاغَةِ وَأَنَّهَا مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِلْمَعْنَى مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِ  
مُخَوَّصٍ نَقَعَ لِلتَّرَاكِبِ فِي إِفَادَةِ ذَلِكَ فَأَلْمَتَكَلِّمُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَالْبَلِغُ فِيهِ يَتَحَرَّى  
الْهَيْئَةَ الْمُفِيدَةَ لِذَلِكَ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ وَأَنْمَاءِ مُخَاطَبَاتِهِمْ وَيَنْظِمُ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ  
الْوَجْهِ جَهْدُهُ فَإِذَا اتَّصَلَتْ مَقَامَاتُهُ بِمُخَالَطَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَهَ فِي نَظْمِ  
الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ وَمَهْلُ عَلَيْهِ أَمْرُ التَّرَكِيبِ حَتَّى لَا يَكَادُ يَنْحَوِيهِ غَيْرُ مَنْحَى  
الْبَلَاغَةِ الَّتِي لِلْعَرَبِ وَإِنْ سَمِعَ تَرْكِيبًا غَيْرَ جَارٍ عَلَى ذَلِكَ الْمَنْحَى بَجَهٍّ وَبَنَاءٍ عَنْهُ سَمِعَهُ  
بِأَدْنَى فِكْرٍ بَلْ وَيَغْيِرُ فِكْرًا إِلَّا بِمَا اسْتَفَادَ مِنْ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَهَ فَإِنَّ الْمَلَكَاتِ  
إِذَا اسْتَقَرَّتْ وَرَسَخَتْ فِي مَحَالِّهَا ظَهَرَتْ كَأَنَّهَا طَبِيعَةٌ وَجِبَالَةٌ لِذَلِكَ الْحَقْلِ وَلِذَلِكَ يَظُنُّ  
كَثِيرٌ مِنَ الْمُغْفَلِينَ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ شَأْنَ الْمَلَكَاتِ أَنَّ الصَّوَابَ لِلْعَرَبِ فِي لُغَتِهِمْ  
إِعْرَابًا وَبَلَاغَةً أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ وَيَقُولُ كَأَنَّ الْعَرَبَ تَنْطِقُ بِالطَّبِيعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ  
مَلَكَهَ لِسَانِيَّةٌ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ تَمَكَّنَتْ وَرَسَخَتْ فَظَهَرَتْ فِي بَادِي الرَّأْيِ أَنَّهَا  
جِبَالَةٌ وَطَبِيعٌ وَهَذِهِ الْمَلَكَهَ كَمَا تَقْدَمُ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِمُمَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَتَكَرُّرِهِ  
عَلَى السَّمْعِ وَالتَّفَطُّنِ لِمُخَوَّصِ تَرَكَيبِهِ وَلَيْسَتْ تَحْصُلُ بِمَعْرِفَةِ الْقَوَانِينِ الْعِلْمِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
الَّتِي اسْتَنْبَطَهَا أَهْلُ صِنَاعَةِ اللِّسَانِ فَإِنَّ هَذِهِ الْقَوَانِينِ إِنَّمَا تُفِيدُ عِلْمًا بِذَلِكَ اللِّسَانِ وَلَا  
تُفِيدُ حُصُولَ الْمَلَكَهَ بِالْفِعْلِ فِي مَحَلِّهَا وَقَدْ مَرَّ ذَلِكَ وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَمَلَكَهَ الْبَلَاغَةِ  
فِي اللِّسَانِ تَهْدِي الْبَلِغَ إِلَى وُجُودِ النَّظْمِ وَحُسْنِ التَّرَكِيبِ الْمُوَافِقِ لِتَرَكَيبِ الْعَرَبِ  
فِي لُغَتِهِمْ وَنَظْمِ كَلَامِهِمْ وَلَوْ رَامَ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَلَكَهَ حَيْدًا عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ الْمَعِينَةِ  
وَالتَّرَاكِبِ الْمَخْصُوصَةِ لَمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ وَلَا وَافَقَهُ عَلَيْهِ لِسَانُهُ لِأَنَّهُ لَا يَعْتَادُهُ وَلَا تَهْدِيهِ  
إِلَيْهِ مَلَكَتُهُ الرَّاسِخَةُ عِنْدَهُ وَإِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ حَائِدًا عَنْ أُسْلُوبِ الْعَرَبِ  
وَبَلَاغَتِهِمْ فِي نَظْمِ كَلَامِهِمْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَجَّهٌ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
مَارَسَ كَلَامَهُمْ وَرُبَّمَا يَعْجِزُ عَنِ الْإِحْتِجَاجِ لِذَلِكَ كَمَا تَصْنَعُ أَهْلُ الْقَوَانِينِ النَّحْوِيَّةِ



وَالْبَيَانِيَّةُ فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتِدْلَالٌ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْقَوَانِينِ الْمَفَادَةِ بِالْإِمْتِقَاءِ وَهَذَا أَمْرٌ  
وَجَدَانِي حَاصِلٌ بِمُمَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى يَصِيرَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ وَمِثَالُهُ لَوْ فَرَضْنَا  
صَبِيًّا مِنْ صِبْيَانِهِمْ نَشَأَ وَرَبِّي فِي جِيلِهِمْ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ لُغَتَهُمْ وَيُحْكِمُ شَأْنَ الْأَعْرَابِ  
وَالْبَلَاغَةِ فِيهَا حَتَّى يَسْتَوِيَ عَلَى غَايَتِهَا وَلَيْسَ مِنَ الْعِلْمِ الْقَانُونِي فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ  
بِحُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي لِسَانِهِ وَنُطْقِهِ وَكَذَلِكَ تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ لِمَنْ بَعْدَ ذَلِكَ  
الْجِيلِ بِحِفْظِ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَخُطْبَتِهِمْ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى ذَلِكَ بِحَيْثُ يَحْصُلُ الْمَلَكَةُ  
وَيَصِيرُ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ نَشَأَ فِي جِيلِهِمْ وَرَبِّي بَيْنَ أَجْيَالِهِمْ وَالْقَوَانِينِ بِمَعْرِفٍ عَنْ هَذَا  
وَأَسْتَعِيرَ لِهَذِهِ الْمَلَكَةِ عِنْدَمَا تَرْتَجُّ وَتَسْتَقِرُّ أَمُّ الدَّوْقِ الَّذِي اصْطَلَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ  
صِنَاعَةِ الْبَيَانِ وَإِنَّمَا هُوَ مَوْضِعٌ لِإِدْرَاكِ الطُّعُومِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ تَحَلُّ هَذِهِ الْمَلَكَةِ  
فِي اللِّسَانِ مِنْ حَيْثُ النُّطْقُ بِالْكَلَامِ كَمَا هُوَ تَحَلُّ لِإِدْرَاكِ الطُّعُومِ اسْتَعِيرَ لَهَا اسْمُهُ  
وَأَيْضًا فَهُوَ وَجَدَانِي اللِّسَانِ كَمَا أَنَّ الطُّعُومَ مُحْسُوسَةٌ لَهُ فَقِيلَ لَهُ ذَوْقٌ وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ  
ذَلِكَ عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّ الْأَعَاجِمَ الدَّاخِلِينَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِئِينَ عَلَيْهِ الْمُضْطَرِّينَ  
إِلَى النُّطْقِ بِهِ لِمُخَالَطَةِ أَهْلِهِ كَالْفَرَسِ وَالرُّومِ وَالذُّرُكِ بِالْمَشْرِقِ وَكَالْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ  
فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ هَذَا الدَّوْقُ لِقُصُورِ حَظِّهِمْ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي فَرَرْنَا أَمْرَهَا لِأَنَّ  
قُصَارَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُمُرِ وَسَبَقَ مَلَكَةٌ أُخْرَى إِلَى اللِّسَانِ وَهِيَ لُغَاتُهُمْ أَنْ يَعْتَنُوا  
بِمَا يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُ مِصْرَ بَيْنَهُمْ فِي الْمُحَاوَرَةِ مِنْ مُفْرَدٍ وَمُرَكَّبٍ لِمَا يُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ  
وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ قَدْ ذَهَبَتْ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَبَعُدُوا عَنْهَا كَمَا نَقَدَّمْ وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي  
ذَلِكَ مَلَكَةٌ أُخْرَى وَلَيْسَتْ هِيَ مَلَكَةُ اللِّسَانِ الْمَطْلُوبَةِ وَمَنْ عَرَفَ تِلْكَ الْمَلَكَةَ  
مِنَ الْقَوَانِينِ الْمُسْطَرَّةِ فِي الْكِتَابِ فَلَيْسَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَةِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا حَصَلَ  
أَحْكَامُهَا كَمَا عَرَفْتَ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِالْمُمَارَسَةِ وَالْإِعْتْيَادِ وَالتَّكْرُّرِ  
لِكَلَامِ الْعَرَبِ فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَنَّ سَبْيُوِيَّةَ وَالْفَارِسِيَّ وَالزُّنْخَشَرِيَّ وَمِثَالَهُمْ  
مِنْ فُرْسَانَ الْكَلَامِ كَانُوا أَعْجَامًا مَعَ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ لَهُمْ فَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلِيكَ  
الْقَوْمَ الَّذِينَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ إِنَّمَا كَانُوا عَجَمًا فِي نَسَبِهِمْ فَقَطْ وَأَمَّا الْمَرْبِيُّ وَالنَّشَاءُ فَكَانَتْ  
بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْ تَعَلَّمَهَا مِنْهُمْ فَاسْتَوُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ  
عَلَى غَايَةِ لَا شَيْءَ وَرَاءَهَا وَكَانَهُمْ فِي أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَجْيَالِهِمْ

حَتَّى أَدْرَكُوا كُنْهَ اللُّغَةِ وَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا فَهَمُّ وَإِنْ كَانُوا عَجَمًا فِي النَّسَبِ فَلَيْسُوا بِأَعْجَامٍ  
 فِي اللُّغَةِ وَالْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَلِمَّةَ فِي عُنُقَوَانِهَا وَاللُّغَةَ فِي شَبَابِهَا وَلَمْ تَذْهَبِ  
 أَثَارُ الْمَلَكَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ثُمَّ عَكَفُوا عَلَى الْمُمَارَسَةِ وَالْمُدَارَسَةِ لِكَلَامِ  
 الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى غَايَتِهِ وَالْيَوْمَ الْوَاحِدُ مِنَ الْعَجَمِ إِذَا خَالَطَ أَهْلَ اللِّسَانِ  
 الْعَرَبِيِّ بِالْأَمْصَارِ فَأَوَّلَ مَا يَجِدُ تِلْكَ الْمَلَكَةَ الْمَقْصُودَةَ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مُنْتَحِبَةً  
 الْآثَارَ وَيَجِدُ مَلَكَتَهُمْ الْخَاصَّةَ بِهِمْ مَلَكَةً أُخْرَى مُخَالَفَةً لِمَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ  
 ثُمَّ إِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْمُمَارَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمْ بِالْمُدَارَسَةِ وَالْحِفْظِ  
 يَسْتَفِيدُ تَحْصِيلَهَا فَقُلْ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَلَكَةَ إِذَا سَبَقَتْهَا مَلَكَةٌ  
 أُخْرَى فِي الْفَعْلِ فَلَا تَحْصُلُ إِلَّا نَاقِصَةً تَخْذُوشَةً وَإِنْ فَرَضْنَا أُعْجَبِيًا فِي النَّسَبِ سَلِمَ  
 مِنْ مُخَالَطَةِ اللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ بِالْكَلِمَةِ وَذَهَبَ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْمُدَارَسَةِ  
 فَرُبَّمَا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ لَكِنَّهُ مِنَ الدُّورِ بَحِثُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ بِمَا تَقَرَّرَ وَرُبَّمَا يَدَّعِي كَثِيرٌ  
 مَعْنَى يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْقَوَانِينِ الْبَيَانِيَّةِ حُصُولَ هَذَا الذَّوْقِ لَهُ بِهَا وَهُوَ غَلَطٌ أَوْ مُغَالَطَةٌ وَإِنَّمَا  
 حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ إِنْ حَصَلَتْ فِي تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْبَيَانِيَّةِ وَلَيْسَتْ مِنْ مَلَكَةِ الْعِبَارَةِ فِي  
 شَيْءٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

### الفصل الثالث والاربعون

في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة

اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن

اللسان العربي كان حصولها له ااصعب واعسر

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا يَسْبِقُ إِلَى الْمُتَعَلِّمِ مِنْ حُصُولِ مَلَكَةِ مُنَافِيَةٍ لِلْمَلَكَةِ الْمَطْلُوبَةِ  
 بِمَا سَبَقَ إِلَيْهِ مِنَ اللِّسَانِ الْخَضِرِيِّ الَّذِي أَفَادَتُهُ الْعُجْمَةُ حَتَّى نَزَلَ بِهَا اللِّسَانُ عَنْ  
 مَلَكَتِهِ الْأُولَى إِلَى مَلَكَةِ أُخْرَى هِيَ لُغَةُ الْخَضِرِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلِهَذَا نَجِدُ الْمُعَلِّمِينَ  
 يَذْهَبُونَ إِلَى الْمُسَابَقَةِ بِتَعْلِيمِ اللِّسَانِ لِلْوِلْدَانِ وَتَعْتَقِدُ النِّجَاحُ أَنَّ هَذِهِ الْمُسَابَقَةَ  
 بِصِنَاعَتِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ بِتَعْلِيمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِمُخَالَطَةِ اللِّسَانِ وَكَلَامِ  
 الْعَرَبِ نَعَمْ صِنَاعَةُ النُّحْوِ أَقْرَبُ إِلَى مُخَالَطَةِ ذَلِكَ وَمَا كَانَ مِنْ لُغَاتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَعْرَقَ  
 فِي الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنْ لِسَانِ مُضَرَ قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنْ تَعَلُّمِ اللُّغَةِ الْمُضَرِّيَّةِ وَحُصُولِ



مَلَكَتْهَا تَمَكُّنَ الْمَنَافَةِ حِينَئِذٍ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَأَهْلُ أَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ  
 لَمَّا كَانُوا أَغْرَقَ فِي الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ كَانَ لَهُمْ قُصُورٌ تَامٌ فِي تَحْصِيلِ  
 مَلَكَتِهِ بِالْعَلَامِ وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ الرِّقِيقِ أَنَّ بَعْضَ كُتَّابِ الْفَيَرَوَانِ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِ  
 لَهُ يَا أَخِي وَمَنْ لَا عَدِمْتُ فَقَدْهُ أَعْلَمَنِي أَبُو سَعِيدٍ كَلَامًا أَنَّكَ كُنْتَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ  
 تَكُونُ مَعَ الَّذِينَ تَأْتِي وَعَاقِبْنَا الْيَوْمَ فَلَمْ يَتَّهِمْنَا الْخُرُوجَ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَنْزِلِ الْكَلَابُ مِنْ  
 أَمْرِ السِّنِّ فَقَدْ كَذَّبُوا هَذَا بِاطِلَالٍ لَيْسَ مِنْ هَذَا حَرْفًا وَاحِدًا وَكِتَابِي إِلَيْكَ وَأَنَا مُشْتَاقٌ  
 إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهَكَذَا كَانَتْ مَلَكَتُهُمْ فِي اللِّسَانِ الْمُضَرِّي شَبِيهٌ بِمَا ذَكَرْنَا  
 وَكَذَلِكَ أَشْعَارُهُمْ كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْمَلَكَةِ نَازِلَةً عَنِ الطَّبَقَةِ وَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَلِهَذَا مَا كَانَ بِأَفْرِيقِيَّةٍ مِنْ مَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ إِلَّا ابْنُ رَشِيقٍ وَابْنُ شَرَفٍ وَكَثَرُ  
 مَا يَكُونُ فِيهَا الشُّعْرَاءُ طَارِئِينَ عَلَيْهَا وَلَمْ تَزَلْ طَبَقَتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ حَتَّى الْآنَ مَائِلَةً إِلَى  
 الْقُصُورِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِكَثْرَةِ مُعَانَتِهِمْ  
 وَامْتِلَائِهِمْ مِنَ الْمُحْفُوظَاتِ اللَّغَوِيَّةِ نَظْمًا وَثَرًا وَكَانَ فِيهِمْ ابْنُ حَيَّانَ الْمُؤَرِّخُ إِمَامُ  
 أَهْلِ الصَّنَاعَةِ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَرَافِعُ الرَّايَةِ لَهُمْ فِيهَا وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَالْقَسْطَلِيُّ  
 وَأَمْثَلُهُمْ مِنْ شُعْرَاءِ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ لَمَّا زَخَرَتْ فِيهَا بِحَارُ اللِّسَانِ وَالْأَدَبِ وَتَدَاوَلَ  
 ذَلِكَ فِيهِمْ مِثْنَيْنِ مِنَ السِّنِّ حَتَّى كَانَ الْإِنْقِضَاؤُ وَالْجَلَاءُ أَيَّامَ تَغْلِبِ النُّصْرَانِيَّةِ وَشُغِلُوا  
 عَنْ تَعَلُّمِ ذَلِكَ وَتَنَاقَصَ الْعُمَرَانُ فَتَنَاقَصَ لِذَلِكَ شَأْنُ الصَّنَائِعِ كَلَامًا فَقَصُرَتْ الْمَلَكَةُ  
 فِيهِمْ عَنْ شَأْنِهَا حَتَّى بَلَغَتْ الْحَضِيضَ وَكَانَ مِنْ آخِرِهِمْ صَالِحُ بْنُ شَرِيفٍ وَمَالِكُ بْنُ  
 مُرْسَلٍ مِنْ تَلَامِيذِ الطَّبَقَةِ الْأَشْبِلِيَّةِ بِسَبْتَةِ وَكُتَابِ دَوْلَةِ ابْنِ الْأَحْمَرِ فِي أَوَّلِهَا  
 وَأَلْقَى الْأَنْدَلُسُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَلَكَةِ بِالْجَلَاءِ إِلَى الْعُدُوَّةِ الْعُدُوَّةِ  
 الْأَشْبِلِيَّةِ إِلَى سَبْتَةِ وَمِنْ شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةٍ وَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا أَنْ أَنْقَرَضُوا وَانْقَطَعَ  
 سَنَدُ تَعْلِيمِهِمْ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِعَسْرِ قُبُولِ الْعُدُوَّةِ لَهَا وَصُعُوبَتِهَا عَلَيْهِمْ بِعَوَجِ السِّنِّهِمْ  
 وَرُسُوخِهِمْ فِي الْعُجْمَةِ الْبَرْبَرِيَّةِ وَهِيَ مُنَافِيَةٌ لِمَا قُلْنَاهُ ثُمَّ عَادَتِ الْمَلَكَةُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
 إِلَى الْأَنْدَلُسِ كَمَا كَانَتْ وَنَجَّمَ بِهَا ابْنُ بَشْرِينَ وَابْنُ جَابِرٍ وَابْنُ الْجِيَابِ وَطَبَقَتُهُمْ ثُمَّ  
 إِبْرَاهِيمُ السَّاحِلِيُّ الطَّرِينِيُّ وَطَبَقَتُهُ وَقَفَّاهُ ابْنُ الْخَطِيبِ مِنْ بَعْدِهِمُ الْهَالِكُ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 شَهِيدًا بِسَعَايَةِ أَعْدَائِهِ وَكَانَ لَهُ فِي اللِّسَانِ مَلَكَةٌ لَا تُدْرِكُ وَاتَّبَعَ أَثَرَهُ تَلْمِيذُهُ وَبِالْجُمْلَةِ

فَشَأْنُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ وَتَعْلِيمُهَا أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ مِنْ مُعَانَةِ عُلُومِ اللِّسَانِ وَتَحَافُظَتِهِمْ عَلَيْهَا وَعَلَى عُلُومِ الْأَدَبِ وَسَنَدِ  
 تَعْلِيمِهَا وَلِأَنَّ أَهْلَ اللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ الَّذِينَ تَفْسَدُ مَلَكَتُهُمْ إِنَّمَا هُمْ طَارِئُونَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ  
 عَجَمَتُهُمْ أَصْلًا لِلُّغَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالْبَرْبَرِ فِي هَذِهِ الْعُدُودِ وَهُمْ أَهْلُهَا وَلِسَانُهُمْ لِسَانُهَا  
 إِلَّا فِي الْأَمْصَارِ فَقَطْ وَهُمْ فِيهَا مُتَغَمِّسُونَ فِي بَحْرِ عَجَمَتِهِمْ وَرِطَائِنِهِمْ الْبَرْبَرِيَّةِ فَيَضَعُ  
 عَلَيْهِمْ تَحْصِيلُ الْمَلَكَةِ اللَّسَانِيَّةِ بِالتَّعْلِيمِ بِخِلَافِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَاعْتَبَرَ ذَلِكَ بِحَالِ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ لِعَهْدِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ فَكَانَ شَأْنُهُمْ شَأْنَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي تِمَامِ  
 هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَإِجَادَتِهَا لِبُعْدِهِمْ لِذَلِكَ الْعَهْدِ عَنِ الْأَعَاجِمِ وَمُخَالَطَتِهِمْ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ  
 فَكَانَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ أَقْوَمَ وَكَانَ فُحُولُ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ أَوْفَرَ  
 لِتَوْفُرِ الْعَرَبِ وَأَبْنَائِهِمْ بِالْمَشْرِقِ وَانْظُرْ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ الْأَغَانِي مِنْ نَظْمِهِمْ  
 وَنَثَرِهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ هُوَ كِتَابُ الْعَرَبِ وَدِيُونُهُمْ وَفِيهِ لُغَتُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَأَيَامُهُمْ  
 وَمِلَّتُهُمْ الْعَرَبِيَّةُ وَسِيرَتُهُمْ وَأَثَارُ خُلَفَائِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ وَأَشْعَارُهُمْ وَغِنَاؤُهُمْ وَسَائِرُ مَعَانِيهِمْ  
 لَهُ قَلِيلٌ كِتَابٌ أَوْعَبُ مِنْهُ لِأَحْوَالِ الْعَرَبِ وَبَقِيَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ مُسْتَحْكِمًا فِي الْمَشْرِقِ  
 فِي الدَّوْلَتَيْنِ وَرُبَّمَا كَانَتْ فِيهِمْ أَتْلَعُ مِنْ سِوَاهُمْ مِمَّنْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَمَا نَذَرُ  
 بَعْدُ حَتَّى تَلَا شَيْ أَمْرُ الْعَرَبِ وَدُرِسَتْ لُغَتُهُمْ وَفَسَدَ كَلَامُهُمْ وَانْقَضَى أَمْرُهُمْ وَدَوَّلَتُهُمْ  
 وَصَارَ الْأَمْرُ لِلْأَعَاجِمِ وَالْمَلِكُ فِي أَيْدِيهِمْ وَالتَّغَلُّبُ لَهُمْ وَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الدَّيْلَمِ وَالسَّجُوقِيَّةِ  
 وَخَالَطُوا أَهْلَ الْأَمْصَارِ وَالْحَوَاضِرِ حَتَّى بَعُدُوا عَنِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَمَلَكَتِهِ وَصَارَ  
 مُتَعْلِمُهَا مِنْهُمْ مُقْصِرًا عَنْ تَحْصِيلِهَا وَعَلَى ذَلِكَ نَجِدُ لِسَانَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ  
 وَالْمَنْثُورِ وَإِنْ كَانُوا مُكْثَرِينَ مِنْهُ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
 عِلْمُهُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الرابع والاربعون

في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر

اعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ فِي الشِّعْرِ الْمَنْظُومِ وَهُوَ الْكَلَامُ  
 الْمَوْزُونُ الْمُقَفَّى لِقِيَمَتَاهُ الَّذِي تَكُونُ أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ وَفِي  
 النَّثْرِ وَهُوَ الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى فُنُونٍ وَمَذَاهِبٍ



فِي الْكَلَامِ فَأَمَّا الشَّعْرُ فَهُوَ الْمَدْحُ وَالنَّجَاءُ وَالرِّثَاءُ وَأَمَّا النَّثْرُ فَهُوَ السَّجْعُ الَّذِي  
 يُؤْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَزَمُ فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ يُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ  
 وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءً بَلْ يُرْسَلُ إِزْسَالًا مِنْ غَيْرِ  
 تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ وَأَمَّا  
 الْقُرْآنُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَنْشُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا  
 وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلُ آيَاتِ بَنِيهِ إِلَى مَقَاطِعِ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا  
 ثُمَّ يَعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى بَعْدَهَا وَيَشْتَرِي مِنْ غَيْرِ التَّزَامِ حَرْفٌ يَكُونُ سَجْعًا  
 وَلَا قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ  
 جَاوِدُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَقَالَ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ وَيُسَمَّى آخِرُ الْآيَاتِ مِنْهَا فَوَاصِلُ  
 إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا وَلَا التَّزَامُ فِيهَا مَا يُلْتَزَمُ فِي السَّجْعِ وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ وَأُطْلِقَ اسْمُ  
 الْمَثَانِي عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْتَصَّتْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ لِلْغَلْبَةِ  
 فِيهَا كَأَنَّهُمْ لِلثَّرِيَا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَأَنْظُرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمَفْسِرُونَ فِي تَعْلِيلِ  
 تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثَانِي يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرِجْحَانِ مَا قُلْنَاهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ  
 الْفَنُونِ أَسَالِيبَ مُخْتَصَّةٌ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ الْآخَرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ النَّسِيبِ  
 الْمُخْتَصِّ بِالشَّعْرِ وَالْحَمْدِ وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْمُخَاطَبَاتِ  
 وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَ فِي الْمَنْشُورِ مِنْ كَثَرَةِ  
 الْأَسْجَاعِ وَالتَّزَامِ التَّقْفِيَةِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ هَذَا الْمَنْشُورُ إِذَا  
 تَأَمَّلْتَهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَفِيهِ وَلَمْ يَفْتَرِقْ إِلَّا فِي الْوِزْنِ وَاسْتَمَرَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْكُتَّابِ  
 عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا الْأَسْتِعْمَالَ فِي الْمَنْشُورِ  
 كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ الَّذِي ارْتَضَوْهُ وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ  
 وَخُصُوصًا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْمُخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ الْكُتَّابِ  
 الْغَفْلَ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا  
 يُلَاحَظُ فِي تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالْمُخَاطَبِ وَهَذَا  
 الْفَنُّ الْمَنْشُورُ الْمَقْفِيُّ أَدْخَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تُنْزَهَ الْمُخَاطَبَاتُ  
 السُّلْطَانِيَّةُ عَنْهُ إِذَا أَسَالِيبُ الشَّعْرِ تُكَافِيهَا اللَّوْذَعِيَّةُ وَخَلَطُوا الْجِدَّ بِالْهَزْلِ وَالْإِطْنَابَ فِي

الْأَوْصَافِ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِيهَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةً  
إِلَى ذَلِكَ فِي الْخِطَابِ وَالْتِزَامُ التَّقْيِيهِ أَيْضًا مِنَ الْاَوْذَعَةِ وَالتَّزْيِينِ وَجَلَالُ الْمَلِكِ  
وَالسُّلْطَانِ وَخِطَابُ الْجُمْهُورِ عَنِ الْمُلُوكِ بِالترغيبِ وَالتَّرهيبِ يُنَافِي ذَلِكَ وَيُبَايِنُهُ وَالْحَمْدُ  
فِي الْخُطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ الرَّسُلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ وَإِرسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ  
إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ الْمَلَكَةُ إِرسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ثُمَّ إِعْطَاءُ  
الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ مُخْتَلِفَةٌ وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ  
يَخْصُهُ مِنْ إِنْطَابٍ أَوْ إِيجَازٍ أَوْ حَذْفٍ أَوْ اثْبَاتٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ أَوْ كِنَايَةٍ  
وَاسْتِعَارَةٍ وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْخُطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النِّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَى أَسَالِبِ  
الشَّعْرِ فَمَذْمُومٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَّا اسْتِيْلَاءُ النُّجْمَةِ عَلَى السِّنَنِهِمْ وَقُصُورُهُمْ  
لِذَلِكَ عَنْ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَعَجَزُوا عَنِ الْكَلَامِ  
الْمُرْسَلِ لِبُعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَانْفِسَاحِ خُطُوبِهِ وَوَلِعُوا بِهَذَا الْمُسْجِعِ يَلْفِقُونَ بِهِ مَا  
نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ وَيَجْهَرُونَ بِذَلِكَ الْقَدَرِ  
مِنَ التَّزْيِينِ بِالِاسْتِعْجَالِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَغْفُلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ  
بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كِتَابُ الْمَشْرِقِ وَشُعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَرْدِ حَتَّى  
إِنَّهُمْ لَيُخْلُونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي تَجَنُّيسٍ أَوْ  
مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيُرْجَحُونَ ذَلِكَ الصَّنْفَ مِنَ التَّجَنُّيسِ وَيَدْعُونَ الْإِعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ  
بُنْيَةَ الْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادِفُ التَّجَنُّيسَ فَتَأْمَلْ ذَلِكَ بِمَا قَدْ مَنَاهُ لَكَ نَقِفْ عَلَى صِحَّةِ مَا  
ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ لِلصَّوَابِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

### الفصل الخامس والاربعون

في انه لا تتفق الاجادة في في المنظوم والمنثور معاً الا للاقل  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا يَبْنَاهُ مَلَكَةٌ فِي اللِّسَانِ فَإِذَا تَسَبَّحَتْ إِلَى مَحَلِّهِ مَلَكَةٌ  
أُخْرَى فَصُرَتْ بِالْمَحَلِّ عَنْ تَمَامِ الْمَلَكَةِ الْأَحِقَّةِ لِأَنَّ تَمَامَ الْمَلَكَاتِ وَحُصُولَهَا  
لِلطَّبَائِعِ الَّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى أَمْسَلُ وَأَيْسَرُ وَإِذَا تَقَدَّمَتْهَا مَلَكَةٌ أُخْرَى كَانَتْ  
مُنَازَعَةً لَهَا فِي الْمَادَّةِ الْقَابِلَةِ وَعَائِقَةً عَنْ سُرْعَةِ الْقَبُولِ فَوَقَعَتِ الْمُنَافَاةُ وَتَعَذَّرَ التَّمَامُ  
فِي الْمَلَكَاتِ الصَّنَاعِيَّةِ كُلِّهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ وَقَدْ بَرَهْنَا عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ بِنَحْوِ مِنْ هَذَا



البرهان فاعتبر مثله في اللغات فإنها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وانظر من تقدم له شيء من العجمة كيف يكون قاصراً في اللسان العربي أبداً فالأعجمي الذي سبق له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة اللسان العربي ولا يزال قاصراً فيه ولو تعلمه وعلمه وكذا البربري والرومي ولا فرنجي قل أن تجد أحداً منهم محكماً لملكة اللسان العربي وما ذلك إلا لما سبق إلى ألسنتهم من ملكة اللسان الآخر حتى إن طالب العلم من أهل هذه الألسن إذا طلبه بين أهل اللسان العربي جاء مقصراً في معارفه عن الغاية والتحصيل وما أوتي إلا من قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل أن الألسن واللغات شبيهة بالصنائع وقد تقدم لك أن الصنائع وملكاتها لا تزدهم وأن من سبق له إجادة في صناعة فقل أن يجيد في أخرى أو يستولي فيها على الغاية والله خلقكم وما تعملون

### الفصل السادس والاربعون

في صناعة الشعر ووجه تعلمه

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات إلا أننا الآن إنما نتكلم في الشعر الذي للعرب فإن أمكن أن نجد فيه أهل الألسن الأخرى مقصودهم من كلامهم وإلا فلكل لسان أحكام في البلاغة يخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المعنى إذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه رويًا وقافية ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة ويتفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده وإذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء فيجرح من الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقل في إفادته ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ويستطرد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود بأن يوطئ المقصود الأول ومعانيه إلى أن تناسب المقصود الثاني ويبعد الكلام عن التناثر كما يستطرد من التشبيب إلى المدح ومن وصف البهاء والطلول إلى وصف الركب أو الخيل أو الطيف ومن وصف الممدوح إلى وصف

قَوْمِهِ وَعَسَا كَرِهَ وَمِنْ التَّفَجُّعِ وَالْعَزَاءِ فِي الرِّثَاءِ إِلَى التَّأَثُّرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَيُرَاعَى فِيهِ  
 اتِّفَاقُ الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا فِي الْوِزْنِ الْوَاحِدِ حَدَرًا مِنْ أَنْ يَتَسَاهَلَ الطَّبَعُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ  
 وَزْنٍ إِلَى وَزْنٍ يُقَارِبُهُ فَقَدْ يَخْفَى ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْمُقَارَبَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَلِهَذَا  
 الْمَوَازِينُ شُرُوطٌ وَأَحْكَامٌ تَضَمَّنَهَا عِلْمُ الْعَرُوضِ وَلَيْسَ كُلُّ وَزْنٍ يَتَّفِقُ فِي الطَّبَعِ  
 اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِي هَذَا الْفَنِّ وَإِنَّمَا هِيَ أَوْزَانٌ مُخْصُوصَةٌ تَسَمِّيَهَا أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ  
 الْجُودَ وَقَدْ حَصَرُوهَا فِي خَمْسَةِ عَشَرَ بَحْرًا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا لِلْعَرَبِ فِي غَيْرِهَا مِنْ  
 الْمَوَازِينِ الطَّبِيعِيَّةِ نَظْمًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ فَنَّ الشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ كَانَ شَرِيفًا عِنْدَ  
 الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ جَعَلُوهُ دِيْوَانَ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَشَاهِدَ صَوَابِهِمْ وَخَطَائِهِمْ وَأَصْلًا  
 يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ عُلُومِهِمْ وَحِكْمِهِمْ وَكَانَتْ مَلَكَتُهُ مُسْتَحْكِمَةً فِيهِمْ شَأْنُ  
 الْمَلَكَاتِ كُلِّهَا وَالْمَلَكَاتُ اللَّسَانِيَّةُ كُلُّهَا إِنَّمَا تُكْتَسَبُ بِالصَّنَاعَةِ وَالْإِزْتِيَاضِ  
 فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى يَحْضُلَ شِبْهُ فِي تِلْكَ الْمَلَكَاتِ وَالشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ صَعْبُ الْمَأْخُذِ  
 عَلَى مَنْ يُرِيدُ اكْتِسَابَ مَلَكَتِهِ بِالصَّنَاعَةِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لِاسْتِقْلَالِ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ  
 بِأَنَّهُ كَلَامٌ تَامٌ فِي مَقْصُودِهِ وَيَصْلُحُ أَنْ يَنْفَرِدَ دُونَ مَا سِوَاهُ فَيَحْتَاجُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى  
 نَوْعٍ تَلَطُّفٍ فِي تِلْكَ الْمَلَكَاتِ حَتَّى يَفْرَغَ الْكَلَامُ الشَّعْرِيَّ فِي قَوَالِبِهِ الَّتِي عُرِفَتْ  
 لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنْ شِعْرِ الْعَرَبِ وَيُبْرِزُهُ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ ثُمَّ يَأْتِي بِبَيْتٍ آخَرَ  
 كَذَلِكَ ثُمَّ يَبْتَغِي وَيَسْتَكْمِلُ الْفُنُونِ الْوَافِيَةَ بِمَقْصُودِهِ ثُمَّ يَنْسَبُ بَيْنَ الْبُيُوتِ فِي  
 مُوَالَاةِ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْفُنُونِ الَّتِي فِي الْقَصِيدَةِ وَلِصُعُوبَةِ مَنَاحِهَا  
 وَغَرَابَةِ فَنِّهِ كَانَ مُحْكَمًا لِلْقَرَائِحِ فِي اسْتِجَادَةِ أَسَالِيْبِهِ وَشَحَذِ الْأَفْكَارِ فِي  
 تَنْزِيلِ الْكَلَامِ فِي قَوَالِبِهِ وَلَا يَكْفِي فِيهِ مَلَكََةُ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْإِطْلَاقِ بَلْ  
 يَحْتَاجُ بِمُخْصُوصِهِ إِلَى تَلَطُّفٍ وَمُحَاوَلَةٍ فِي رِعَايَةِ الْأَسَالِيْبِ الَّتِي اخْتَصَصَتْهُ الْعَرَبُ بِهَا وَاسْتَعْمَلَهَا  
 وَلَنَذْكُرْ هُنَا سُلُوكَ الْأَسْلُوبِ عِنْدَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَمَا يُرِيدُونَ بِهَا فِي إِطْلَاقِهِمْ  
 فَأَعْلَمُ أَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ الْمِنْوَالِ الَّذِي يُنْسَجُ فِيهِ التَّرَاكِيِبُ أَوِ الْقَالِبِ الَّذِي يَفْرَغُ  
 فِيهِ وَلَا يُرْجَعُ إِلَى الْكَلَامِ بِاعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ أَصْلَ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ وَظِيفَةُ الْإِعْرَابِ  
 وَلَا بِاعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ كَمَا لَ الْمَعْنَى مِنْ خَوَاصِ التَّرَاكِيِبِ الَّذِي هُوَ وَظِيفَةُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ  
 وَلَا بِاعْتِبَارِ الْوِزْنِ كَمَا اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِيهِ الَّذِي هُوَ وَظِيفَةُ الْعَرُوضِ فَهَذِهِ الْعُلُومُ



الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كناية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالثقالب أو الدنوال ثم يشقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيردمها فيه رصا كما يفعل البنا في الثقالب أو النساج في الدنوال حتى يتسع الثقالب بمحصول التراكيب الوافية بمقصد الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول كقوله يا دار مية بالعلياء فالسند ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال كقوله قفا نسأل الدار التي خفت أهلها أو باستبكاء الصحب على الطلل كقوله قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل أو بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقوله ألم تسأل فخيرك الرؤوم ومثل تحية الطلول بالامر لمخاطب غير معين بتحياتها كقوله حي الديار بجانب الغزل أو بالدعاء لها بالسقيا كقوله

أَسْقَى طُلُوعَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمٍ      وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نُصْرَةٌ وَنَعِيمٌ  
أَوْ سُؤَالُهُ السَّقِيَا لَهَا مِنَ الْبَرْقِ كَقَوْلِهِ  
يَا بَرْقُ طَالِعِ مَنَزَلًا بِالْأَبْرِقِ      وَاحْدِ السَّحَابَ لَهَا حِدَاءً الْآبِقِ  
أَوْ مِثْلُ التَّفَجُّعِ فِي الْجَزَعِ بِاسْتِدْعَاءِ الْبُكَاءِ كَقَوْلِهِ  
كَذَا فَلْيَجَلِ الْخُطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ      وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عَذْرُ  
أَوْ بِاسْتِعْظَامِ الْحَادِثِ كَقَوْلِهِ أَرَأَيْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ      أَوْ بِالسَّجِيلِ عَلَى  
الْأَكْوَانِ بِالْمُصِيبَةِ لِفَقْدِهِ كَقَوْلِهِ  
مَنَابِتُ الْعُشْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعٍ      مَضَى الرَّدَى بِطَوِيلِ الرُّنْحِ وَالْبَاعِ  
أَوْ بِالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَفَجَّعْ لَهُ مِنَ الْجَمَادَاتِ كَقَوْلِ الْخَارِجِيَّةِ  
أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكٌ مُورِقًا      كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ  
أَوْ بِتَهْنِئَةٍ فَرِيْقَهُ بِالرَّاحَةِ مِنْ ثِقَلِ وَطَائِهِ كَقَوْلِهِ  
أَلْقَى الرِّمَاحَ رَيْبَعَةُ بْنُ نِزَارٍ      أَوْدَى الرَّدَى بِفَرِيقِكَ الْمَغْوَارِ

وَأَمثال ذلك كثير من سائر فنون الكلام ومذاهبه وانتظم التراكيب فيه  
 بالجميل وغير الجمل إنشائية وخبرية اسمية وفعلية متفقة وغير متفقة مفصلة وموصولة  
 على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الأخرى يعرفك  
 فيه ما تستفيدة بالارتياض في أشعار العرب من القالب الكلي المجرد في الذهن  
 من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فإن مؤلف الكلام هو  
 كاتبه أو النساخ والصورة الذهنية المنطقية كالقالب الذي يبنى فيه أو المنوال  
 الذي ينسج عليه فإن خرج عن القالب في بنائه أو عن المنوال في نسجه كان فاسداً  
 ولا تقوان إن معرفة قوانین البلاغة كافية لذلك لأننا نقول قوانین البلاغة إنما هي قواعد  
 علمية قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على ميئتها الخاصة بالقياس وهو قياس  
 علمي صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الإعرابية وهذه الأساليب التي نحن  
 نقررها ليست من القياس في شيء إنما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب  
 في شعر العرب لجرانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثاليها  
 والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك في الكلام بإطلاق وإن  
 القوانين العلمية من العربية والبيان لا يفيد تعليمه بوجه وليس كل ما يصح في قياس  
 كلام العرب وقوانينه العلمية استعملوه وإنما المستعمل عندهم من ذلك انتخاب  
 معروفة يطالع عليها الحافظون لكلامهم تدرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية  
 فإذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وبهذه الأساليب الذهنية التي تصير كالقوالب  
 كان نظراً في المستعمل من تراكيبيهم لا فيما يقتضيه القياس ولهذا قلنا إن المحصل  
 لهذه القوالب في الذهن إنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما  
 تكون في المنظوم تكون في المثنوي فإن العرب استعملوا كلامهم في كلا الفنين  
 وجاءوا به مفصلاً في النوعين ففي الشعر بالقطع الموزونة والقوافي المقيدة  
 واستقلال الكلام في كل قطعة وفي المثنوي يعتبرون الموازنة والتشابه  
 بين القطع غالباً وقد يقيدونه بالأسجاع وقد يرسلونه وكل واحد من هذه معروفة  
 في لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو الذي يبنى مؤلف الكلام عليه تأليفه  
 ولا يعرفه إلا من حفظ كلامهم حتى يشجرد في ذهنه من القوالب المعينة الشخصية



قَالَبُ كُلِّي مُطْلَقٌ يَتَّخِذُ حَدْوَهُ فِي التَّأْلِيفِ كَمَا يَتَّخِذُ الْبِنَاءُ عَلَى الْقَالَبِ وَالْأَسَاجُ  
 عَلَى الْمِنْوَالِ فَإِذَا كَانَ مِنْ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مُتَّفَرِّدًا عَنْ نَظَرِ النَّحْوِيِّ وَالْيَاقِينِيِّ وَالْعَرُوضِيِّ  
 نَعَمْ إِنْ مُرَاعَاةَ قَوَائِنِ هَذِهِ الْعُلُومِ شَرْطٌ فِيهِ لَا يَتِمُّ بِدُونِهَا فَإِذَا تَخَصَّصَتْ هَذِهِ الصِّنَاتُ  
 كُلُّهَا فِي الْكَلَامِ اخْتَصَّ بِنَوْعٍ مِنَ النَّظَرِ لَطِيفٍ فِي هَذِهِ الْقَوَالِبِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا أَسَالِيبَ  
 وَلَا يُفِيدُهُ إِلَّا حِفْظُ كَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَإِذَا تَقَرَّرَ مَعْنَى الْأَسْلُوبِ مَا هُوَ فَلَنَذْكُرْ  
 بَعْدَهُ حَدًّا أَوْ رَسْمًا لِلشَّعْرِ بِهِ تَقْتَضِيهِمْ حَقِيقَتَهُ عَلَى صُعُوبَةٍ هَذَا الْغَرَضُ فَإِنَّا لَمْ تَقِفْ عَلَيْهِ  
 لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِيمَا رَأَيْنَاهُ وَقَوْلُ الْعَرُوضِيِّينَ فِي حَدِّهِ إِنَّهُ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ  
 الْمُتَقَفِّي لَيْسَ بِحَدِّ لِهَذَا الشَّعْرِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدِّهِ وَلَا رَسْمٍ لَهُ وَصِنَاعَتُهُمْ إِنَّمَا تَنْظُرُ فِي  
 الشَّعْرِ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْوِزْنِ وَالْقَوَالِبِ الْخَاصَّةِ فَلَا جَرَمَ إِنْ  
 حَدَّثَهُمْ ذَلِكَ لَا يَصْلَحُ لَهُ عِنْدَنَا فَلَا بُدَّ مِنْ تَعْرِيفٍ يُعْطِينَا حَقِيقَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ فَنَقُولُ  
 الشَّعْرُ هُوَ الْكَلَامُ الْبَلِغُ الْمَبْنِي عَلَى الْأَسْتِعَارَةِ وَالْأَوْصَافِ الْمُفَصَّلِ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ  
 فِي الْوِزْنِ وَالرُّوْيِ مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ الْجَارِي  
 عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمُخْصُوصَةِ بِهِ فَقَوْلُنَا الْكَلَامُ الْبَلِغُ جِنْسٌ وَقَوْلُنَا الْمَبْنِي عَلَى  
 الْأَسْتِعَارَةِ وَالْأَوْصَافِ فَصْلٌ عَمَّا يَخْلُو مِنْ هَذِهِ فَإِنَّهُ فِي الْغَالِبِ لَيْسَ بِشَعْرِ وَقَوْلُنَا  
 الْمُفَصَّلُ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ الْوِزْنِ وَالرُّوْيِ فَصْلٌ لَهُ عَنِ الْكَلَامِ الْمَشْتَرِكِ الَّذِي لَيْسَ  
 بِشَعْرِ عِنْدَ أَكْثَرِ قَوْلُنَا مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ  
 بَيَانٌ لِلْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَا تَكُونُ آيَاتُهُ إِلَّا كَذَلِكَ وَلَمْ يُفَصَّلْ بِهِ شَيْءٌ وَقَوْلُنَا الْجَارِي  
 عَلَى الْأَسَالِيبِ الْمُخْصُوصَةِ بِهِ فَصْلٌ لَهُ عَمَّا لَمْ يُجَرِّ مِنْهُ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمَعْرُوفَةِ  
 فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ شِعْرًا إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ مَنْظُومٌ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَهُ أَسَالِيبُ مُخْصَصَةٌ لَا  
 تَكُونُ لِلْمَشْتَرِكِ وَكَذَا أَسَالِيبُ الْمَشْتَرِكِ لَا تَكُونُ لِلشَّعْرِ فَمَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ مَنْظُومًا  
 وَلَيْسَ عَلَى تِلْكَ الْأَسَالِيبِ فَلَا يَكُونُ شِعْرًا وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ كَانَ الْكَثِيرُ مِمَّنْ لَقِينَاهُ  
 مِنْ شُبُوحِنَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ يَرَوْنَ أَنَّ نَظْمَ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعْرِي لَيْسَ هُوَ مِنَ  
 الشَّعْرِ فِي شَيْءٍ لِأَنَّهُمَا لَمْ يُجَرِّا عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَمْرِ عِنْدَمَا يَرَى أَنَّ الشَّعْرَ  
 يُوجَدُ لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَمَنْ يَرَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ لِغَيْرِهِمْ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ مَكَانَهُ  
 الْجَارِي عَلَى الْأَسَالِيبِ الْمُخْصُوصَةِ وَإِذْ قَدْ فَرَعْنَا مِنَ الْكَلَامِ عَلَى حَقِيقَةِ الشَّعْرِ فَلَنَرْجِعْ

إلى الكلام في كيفية عمله فنقول . إعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً  
أولها الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج  
على منوالها ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب وهذا المحفوظ المختار  
أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من النحول إلا سلاميين مثل ابن أبي ربيعة وكثير  
وذو الرمة وجريز وأبي نواس وحبيب وأبو جريز والرضي وأبي فراس وأكثره  
شعر كتاب الأغاني لأنه جمع شعر أهل الطبقة إلا سلامية كله والمختار من شعر  
الجاهلية ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصير ردي ولا يعطيه الرؤنى والحلاوة  
إلا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه أو عديم لم يكن له شعر وإنما هو نظم ساقط  
وأجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحن القرينة  
لتنسج على المنوال يقبل على النظم وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ  
وربما يقال إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتخفى رؤسومه الحرفية الظاهرة إذ  
هي صادرة عن استعمالها بعينها فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب  
فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه بأمثاله من كلمات أخرى ضرورة ثم لا بد له  
من الخلوة واستجداء المكان المنظور فيه من المياه والأزهار وكذا السمع  
لاستنارة القرينة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور ثم مع هذا كله فشرطه أن  
يكون على تمام ونشاط فذلك أجمع له وأنشط للقرينة أن تأتي بمثل ذلك المنوال  
الذي في حفظه قالوا وخير الأوقات لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النوم  
وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجمام وربما قالوا إن من بواعثه العشق  
والإنتشاء ذكر ذلك ابن رشيقي في كتاب العمدة وهو الكتاب الذي انفرد بهذه  
الصناعة وإعطاء حقه ولم يكشف فيها أحد قبله ولا بعده مثله قالوا فإن استصعب  
عليه بعد هذا كله فليتركه إلى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بناء البيت  
على القافية من أول صوغه وتسجيه بعضها وبني الكلام عليها إلى آخره لأنه إن غفل  
عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها وربما تجي نافرة فلفة وإذا سمح  
الخطأ بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه إلى موضعه الأليق به فإن كل  
بيت مستقل بنفسه ولم يبق إلا المناسبة فليتخير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد



الْخُلَاصِ مِنْهُ بِالتَّنْقِيحِ وَالنَّقْدِ وَلَا يَضُنُّ بِهِ عَلَى التَّرْكِ إِذَا لَمْ يَلْبُغِ الْإِجَادَةَ فَإِنَّ  
 الْإِنْسَانَ مَفْتُونٌ بِشِعْرِهِ إِذَا هُوَ نَبَاتٌ فِكْرُهُ وَاخْتِرَاعٌ قَرِيحَتُهُ وَلَا يَسْتَعْمِلُ فِيهِ مِنَ  
 الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ وَالْخُلَاصِ مِنَ الْضَرُورَاتِ الْإِسَانِيَّةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا  
 تَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ وَقَدْ حَظَرَ أَيْمَةُ اللِّسَانِ الْمُؤَلَّدُ مِنَ ارْتِكَابِ  
 الْضَرُورَةِ إِذَا هُوَ فِي سَعَةٍ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكََةِ وَيَجْتَنِبُ  
 أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ جُهْدُهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى  
 الْفَهْمِ وَكَذَلِكَ كَثَرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنْ فِيهِ تَوَعُّعٌ تَعْقِيدٌ عَلَى الْفَهْمِ وَإِنَّمَا  
 الْمُخْتَارُ مِنْهُ مَا كَانَتْ الْفَاطَةُ طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى فَإِنْ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً  
 كَانَ حَشْوًا وَاسْتَعْمِلَ الذِّهْنُ بِالْفَوْصِ عَلَيْهَا فَمَنْعَ الذَّوْقَ عَنْ اسْتِيفَاءِ مَذْرَكِهِ مِنَ  
 الْبَلَاغَةِ وَلَا يَكُونُ الشَّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى الذِّهْنِ وَلِهَذَا  
 كَانَ شَيْوُخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَعْيِبُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ <sup>(١)</sup> بِنِ خَفَاجَةٍ شَاعِرِ الْأَنْدَلُسِ لِكَثَرَةِ  
 مَعَانِيهِ وَأَزْدِ حَامِيهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يَعْيِبُونَ شِعْرَ الْمُتَنَبِّئِ وَالْمَعْرِيِّ بِعَدَمِ  
 النَّسْجِ عَلَى الْأَسَالِيِبِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَازِلًا عَنْ طَبَقَةِ  
 الشَّعْرِ وَالْحَاكِمُ بِذَلِكَ هُوَ الذَّوْقُ وَلِيَجْتَنِبِ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْحَوْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَافِ وَالْمُقْصِرَ  
 وَكَذَلِكَ السُّوْقِيَّ الْمُبْتَدِلَ بِالتَّدَاوُلِ بِالِاسْتِعْمَالِ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ  
 الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَدَلًا وَيَقْرُبُ مِنْ عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَّةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا  
 وَبِمِقْدَارِ مَا يَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنْ رُتْبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذَا هُمَا طَرَفَانِ وَلِهَذَا  
 كَانَ الشَّعْرُ فِي الرِّبَائِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ قَلِيلَ الْإِجَادَةِ فِي الْغَالِبِ وَلَا يَحْدُقُ فِيهِ إِلَّا  
 الْفُحُولُ وَفِي الْقَلِيلِ عَلَى الْعَشْرِ لِأَنَّ مَعَانِيَهَا مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَدَلَةً لِذَلِكَ وَإِذَا  
 تَعَدَّرَ الشَّعْرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاضْهُ وَيُعَاوِدْهُ فَإِنَّ الْقَرِيحَةَ مِثْلُ الذَّرْعِ يَدْرُ بِالْأَمْتِرَاءِ  
 وَيَجِفُّ بِالتَّرْكِ وَالْإِهْمَالِ وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَتَعَلَّمْهَا مُسْتَوْفَى فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ  
 لِأَبْنِ رَشِيْقٍ وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرَنَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ  
 بِذَلِكَ الْكِتَابِ فَفِيهِ الْبُعْيَةُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ نُبْدَةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ الْمَعِينُ وَقَدْ نَظَّمَ النَّاسُ  
 فِي أَمْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّعْرِيَّةِ مَا يَجِبُ فِيهَا وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ وَأَظَنُّهُ لِأَبْنِ رَشِيْقٍ

لَعَنَ اللَّهُ صَنَعَةَ الشَّعْرِ مَاذَا      مِنْ صُنُوفِ الْجُهَالِ مِنْهُ لَقِينَا  
يُؤْثِرُونَ الْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا      كَانَ سَهْلًا لِلْسَّامِعِينَ مِثْلَنَا  
وَيَرْوُونَ الْحُمَالَ مَعْنَى صَحِيحًا      وَخَسِيسَ الْكَلَامِ شَيْئًا ثَمِينًا  
يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَدْرُونَ      رُونَ لِلْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ  
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ سِوَانَا بِلَا مَوْ      نَ وَفِي الْحَقِّ عِنْدَنَا يُعْذَرُونَا  
إِنَّمَا الشَّعْرُ مَا يَنْسَبُ فِي النَّظْمِ      وَإِنْ كَانَ فِي الصِّفَاتِ فَنُونَا  
فَمَا بَعْضُهُ يُشَاكِلُ بَعْضًا      وَأَقَامَتْ لَهُ الصُّدُورُ الْهَتُونَا  
كُلُّ مَعْنَى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا      تَمَنَّى وَلَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونَا  
فَتَنَاهَى مِنَ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ      كَادَ حُسْنًا يَبِينُ لِلنَّاطِرِينَا  
فَكَانَ الْأَلْفَاظُ مِنْهُ وَجُوهٌ      وَالْمَعَانِي رُكُوبٌ فِيهَا عِيُونَا  
إِنَّمَا فِي الْمَرَامِ حَسَبُ الْأَمَانِي      يَتَحَلَّى بِحُسْنِهِ الْمُنْشِدُونَا  
فَإِذَا مَا مَدَحْتَ بِالشَّعْرِ حُرًّا      رُمْتَ فِيهِ مَذَاهِبَ الْمُشْتَهِينَا  
فَجَعَلْتَ النَّسِيبَ سَهْلًا قَرِيبًا      وَجَعَلْتَ الْمَدِيحَ صِدْقًا مِثْلَنَا  
وَتَنَكَّبْتَ مَا يُهْجَنُ فِي السَّمْعِ      وَإِنْ كَانَتْ لَفْظُهُ مَوْزُونَا  
وَإِذَا مَا عَرَضَتْهُ بِهَجَاءٍ      عِبْتَ فِيهِ مَذَاهِبَ الْمُرْقِبِينَا  
فَجَعَلْتَ التَّضَرُّيخَ مِنْهُ دَوَاءً      وَجَعَلْتَ التَّعْرِیضَ دَاءً دَفِينَا  
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى الْعَالَمِ      دِينَ يَوْمًا لِلْبَيْتِ وَالظَّاعِنِينَا  
حَلَّتْ دُونَ الْأَمَى وَذَلَّتْ مَا كَامَ      نَ مِنْ الدَّمْعِ فِي الْعَيُونِ مَصُونَا  
ثُمَّ إِنْ كُنْتَ عَابًا جِثْتَ بِالْوَعْدِ وَعَيْدًا      وَبِالصَّعُوبَةِ بَيْنَا  
فَتَرَكْتَ الَّذِي عَتَبْتَ عَلَيْهِ      حَدِيرًا آمِنًا عَزِيزًا مَهِينَا  
وَأَصَحَّ الْقَرِیضَ مَا قَارَبَ النَّظْمِ      وَإِنْ كَانَ وَاضِحًا مُسْتَبِينَا  
فَإِذَا قِيلَ أَطْمَعَ النَّاسَ طَرًّا      وَإِذَا رِيمَ الْعُجْزِ الدُّعْجِرِينَا

ومن ذلك ايضاً قول بعضهم

الشَّعْرُ مَا قَوَّمتَ رَبْعَ صُدُورِهِ      وَشَدَدْتَ بِالتَّهْدِيبِ أَسْمَ مَتُونِهِ  
وَرَأَيْتَ بِالْإِطْنَابِ شِعْبَ صُدُوعِهِ      وَفَتَحْتَ بِالْإِيحَارِ عَوْرَ عِيُونِهِ



وَجَمَعَتْ بَيْنَ قَرِيبِهِ وَبَعِيدِهِ      وَجَمَعَتْ بَيْنَ مُحِبِّهِ وَمَعِينِهِ  
وَإِذَا مَدَحَتْ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا      وَقَضَيْتَهُ بِالشُّكْرِ حَقَّ دِينِهِ  
أَصْفَيْتَهُ بِتَفَافُشٍ وَرَضَيْتَهُ      وَخَصَصْتَهُ بِمُخْطَرِهِ وَثَمِينِهِ  
فَيَكُونُ جَزَلًا فِي مَسَاقِ صُنُوفِهِ      وَيَكُونُ سَهْلًا فِي اتِّفَاقِ فَنُونِهِ  
وَإِذَا بَكَيْتَ بِهِ الدِّيَارَ وَاهْلَهَا      أَجَرَيْتَ لِلْحَزُونِ مَاءَ شَوْوُونِهِ  
وَإِذَا أَرَدْتَ كِنَايَةً عَنْ رِيَّةٍ      بَايَنْتَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَبَطُونِهِ  
فَجَعَلْتَ سَامِعَهُ يَشُوبُ شُكُوكَهُ      يَشُوبُهُ وَظُنُونُهُ بِبَقِينِهِ

### الفصل السابع والاربعون

في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني

اعلم ان صناعة الكلام نظماً ونثراً انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما  
المعاني تبع لها وهي اصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر  
انما يحاولها في الالفاظ يحفظ امثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريته  
على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخلص من العجمة التي ربي عليها  
في جيله ويفرض نفسه مثل وايد نشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها  
الصبي حتى يصير كانه واحد منهم في لسانهم وذلك انا قدما ان لسان ملكة  
من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي  
في اللسان والنطق انما هو الالفاظ واما المعاني فهي في الضمائر وايضا فالمعاني  
موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج  
الى صناعة وتاليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة  
القوالب للمعاني فكما ان الاواني التي يعترف بها الماء من البحر منها انية الذهب  
والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني  
المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في  
الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تاليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد  
والمعاني واحدة في نفسها وانما الجاهل بتاليف الكلام واساليبه على مقتضى ملكة  
اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض

وَلَا يَسْتَطِيعُهُ لِفَقْدَانِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

### الفصل الثامن والاربعون

في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ

قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ كَثْرَةِ الْحِفْظِ لِمَنْ يَرُومُ تَعْلَمَ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ وَعَلَى قَدَرِ  
جُودَةِ الْحَفْظِ وَطَبَقَتِهِ فِي جِنْسِهِ وَكَثْرَتِهِ مِنْ قَلَّتِهِ تَكُونُ جُودَةُ الْمَلَائِكَةِ الْحَاصِلَةُ  
عِنْدَهُ لِلْحَافِظِ فَمَنْ كَانَ مُحَفَّظُهُ شِعْرَ حَبِيبٍ أَوْ الْعَتَابِيِّ أَوْ ابْنِ الدُّعْتَرِ أَوْ ابْنِ هَانِيٍّ أَوْ  
الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ أَوْ رَسَائِلِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ أَوْ سَهْلِ ابْنِ هَارُونَ أَوْ ابْنِ الزِّيَّاتِ أَوْ الْبَدِيعِ  
أَوْ الصَّابِيِّ تَكُونُ مَلَائِكَتُهُ أَجُودَ وَأَعْلَى مَقَامًا وَرَتَبَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِمَّنْ يُحَفِّظُ شِعْرَ ابْنِ  
سَهْلٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَوْ ابْنِ النَّبِيِّ أَوْ تَرْشَلِ الْيَسَانِيِّ أَوْ الْعِمَادِ الْأَصْبَهَانِيِّ لِنُزُولِ  
طَبَقَةِ هَؤُلَاءِ عَنْ أَوْلَيْكَ بِظَهَرِ ذَلِكَ لِلْبَصِيرِ النَّاقِدِ صَاحِبِ الذَّوْقِ وَعَلَى مِقْدَارِ جُودَةِ  
الْحَفْظِ أَوِ الْمَسْمُوعِ تَكُونُ جُودَةُ الْأَسْتِعْمَالِ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ إِجَادَةُ الْمَلَائِكَةِ مِنْ  
بَعْدِهِمَا فَيَا زِنَقَاءَ الْحَفْظِ فِي طَبَقَتِهِ مِنَ الْكَلَامِ تَرْتَقِي الْمَلَائِكَةُ الْحَاصِلَةُ لِأَنَّ الطَّبَعَ  
إِنَّمَا يَنْسُجُ عَلَى مَنَوَالِهَا وَتَنْمُو قُوَى الْمَلَائِكَةِ بِتَغْدِيَّتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ وَإِنْ كَانَتْ فِي  
جَبَلَتِهَا وَاحِدَةً بِالنَّوْعِ فَهِيَ تَخْتَلِفُ فِي الْبَشَرِ بِالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ فِي الْأِدْرَاكَاتِ وَاخْتِلَافُهَا  
إِنَّمَا هُوَ بِاخْتِلَافِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ الْأِدْرَاكَاتِ وَالْمَلَائِكَاتِ وَالْأَلْوَانِ الَّتِي تُكَيِّفُهَا  
مِنْ خَارِجٍ فَبِهَذِهِ يَتِمُّ وَجُودُهَا وَتَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ صُورَتِهَا وَالْمَلَائِكَاتُ الَّتِي  
تَحْصُلُ لَهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ عَلَى التَّدْرِيجِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فَالْمَلَائِكَةُ الشَّعْرِيَّةُ تَنْشَأُ بِحِفْظِ الشَّعْرِ  
وَمَلَائِكَةُ الْكِتَابَةِ بِحِفْظِ الْأَسْتِجَاعِ وَالْتَرْسِيلِ وَالْعِلْمِيَّةُ بِمُخَالَطَةِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ  
وَالْأَنْبَاطِ وَالْأَنْظَارِ وَالْفَقْهِيَّةُ بِمُخَالَطَةِ الْفَقْهِ وَتَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ وَتَقْرِيعِهَا وَتَخْرِيجِ الْفُرُوعِ  
عَلَى الْأَصُولِ وَالتَّصَوُّفِيَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ بِالْعِبَادَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَتَعْطِيلِ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ  
بِالْخُلُوةِ وَالْإِنْفِرَادِ عَنِ الْخَلْقِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى تَحْصُلَ لَهُ مَلَائِكَةُ الرُّجُوعِ إِلَى حِسِّهِ الْبَاطِنِ  
وَرُوحِهِ وَيَنْقَلِبُ رَبَّانِيًّا وَكَذَا سَائِرُهَا وَلِلنَّفْسِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا لَوْنٌ تَكَيِّفُ بِهِ وَعَلَى  
حَسَبِ مَا نَشَأَتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِ مِنْ جُودَةٍ أَوْ رَدَاءَةٍ تَكُونُ تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ فِي نَفْسِهَا  
فَمَلَائِكَةُ الْبَلَاغَةِ الْعَالِيَةِ الطَّبَقَةِ فِي جِنْسِهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ بِحِفْظِ الْعَالِيِ فِي طَبَقَتِهِ مِنْ  
الْكَلَامِ وَلِهَذَا كَانَ الْفُقَهَاءُ وَأَهْلُ الْعُلُومِ كُلُّهُمْ قَاصِرِينَ فِي الْبَلَاغَةِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ



يَسْبِقُ إِلَى مَحْفُوظِهِمْ وَيَمْتَلِكُ بِهِ مِنَ الْقَوَانِينِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعِبَارَاتِ الْفَقْهِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ  
 اسْلُوبِ الْبَلَاغَةِ وَالنَّازِلَةِ عَنِ الطَّبَقَةِ لِأَنَّ الْعِبَارَاتِ عَنِ الْقَوَانِينِ وَالْعُلُومِ لَا حَظَّ لَهَا فِي  
 الْبَلَاغَةِ فَإِذَا سَبَقَ ذَلِكَ الْمَحْفُوظُ إِلَى الْفِكْرِ وَكَثُرَ وَتَلَوَّنَتْ بِهِ النَّفْسُ جَاءَتْ الْمَلَكَةُ  
 النَّاشِئَةُ عَنْهُ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ وَانْحَرَفَتْ عِبَارَاتُهُ عَنْ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهِمْ وَهَكَذَا  
 نَجَدُ شِعْرَ الْفُقَهَاءِ وَالنُّحَاةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالنُّظَّارِ وَغَيْرِهِمْ مَنْ لَمْ يَمْتَلِكْ مِنْ حِظِّ النَّقْيِ  
 الْحَرِّ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ . أَخْبَرَنِي صَاحِبُنَا الْفَاضِلُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ رِضْوَانَ كَاتِبُ الْعَلَامَةِ  
 بِالْمَدِينَةِ الْمُرِينِيَّةِ قَالَ ذَكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أبا الْعَبَّاسِ بْنَ شُعَيْبٍ كَاتِبَ السُّلْطَانِ  
 أَبِي الْحَسَنِ وَكَانَ الْمُقَدِّمَ فِي الْبَصَرِ بِاللِّسَانِ لِعَهْدِهِ فَأَشَدَّنْهُ مَطْلَعُ قَصِيدَةِ ابْنِ النَّحْوِيِّ  
 وَلَمْ أَنْسِبْهَا لَهُ وَهُوَ هَذَا

لَمْ أَذْرِ حِينَ وَقَفْتُ بِالْأُطْلَالِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ جَدِيدِهَا وَالْبَالِي  
 فَقَالَ لِي عَلَى الْبَدِيهِةِ هَذَا شِعْرُ فَقِيهِ فَقُلْتُ لَهُ وَمِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكَ فَقَالَ مِنْ قَوْلِهِ مَا  
 الْفَرْقُ إِذْ هِيَ مِنْ عِبَارَاتِ الْفُقَهَاءِ وَلَيْسَتْ مِنْ أَسَالِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ فَقُلْتُ لَهُ اللَّهُ أَبُوكَ  
 إِنَّهُ ابْنُ النَّحْوِيِّ . وَأَمَّا الْكِتَابُ وَالشُّعْرَاءُ فَلْيَسُوا كَذَلِكَ لِتَخْيِرِهِمْ فِي مَحْفُوظِهِمْ  
 وَمُخَالَطَتِهِمْ كَلَامَ الْعَرَبِ وَأَسَالِيبِهِمْ فِي التَّرْسُلِ وَانْتِقَائِهِمْ لَهُمْ الْجَيِّدَ مِنَ الْكَلَامِ .  
 ذَكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أبا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ الْخَطِيبِ وَزَيْرَ الْمُلُوكِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ بَنِي  
 الْأَحْمَرِ وَكَانَ الصَّدْرَ الْمُقَدِّمَ فِي الشُّعْرِ وَالْكِتَابَةِ فَقُلْتُ لَهُ أَجِدُ اسْتِصْعَابًا عَلَيَّ فِي  
 نَظْمِ الشُّعْرِ مَتَى رُمْتُهُ مَعَ بَصَرِي بِهِ وَحِظِّي لِلْجَيِّدِ مِنَ الْكَلَامِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَفُنُونِ  
 مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَإِنْ كَانَ مَحْفُوظِي قَلِيلًا وَإِنَّمَا أَتَيْتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ قَبْلِ مَا حَصَلَ فِي  
 حِظِّي مِنَ الْأَشْعَارِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْقَوَانِينِ التَّأْلِيفِيَّةِ فَإِنِّي حَفِظْتُ قَصِيدَتِي الشَّاطِئِي الْكُبْرَى  
 وَالصُّغْرَى فِي الْقِرَاءَاتِ وَتَدَارَسْتُ كِتَابِي ابْنَ الْحَاجِبِ فِي الْفَقْهِ وَالْأُصُولِ وَجُمَلَ  
 الْخَوَاصِّ فِي الْمَنْطِقِ وَبَعْضَ كِتَابِ التَّسْمِيلِ وَكَثِيرًا مِنْ قَوَانِينِ التَّعْلِيمِ فِي الْعَجَالِيسِ  
 فَأَمَّا مَحْفُوظِي مِنْ ذَلِكَ وَخُدِشَ وَجْهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي اسْتَعَدَّتْ لَهَا بِالْمَحْفُوظِ الْجَيِّدِ مِنَ  
 الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ نَعَاقُ الْقَرِيبَةِ عَنْ بُلُوغِهَا فَنَظَرَ إِلَيَّ سَاعَةً مُعْجِبًا ثُمَّ قَالَ  
 لِلَّهِ أَنْتَ وَهَلْ يَقُولُ هَذَا إِلَّا مِثْلُكَ . وَيَظْهَرُ لَكَ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ وَمَا تَقَرَّرَ فِيهِ سِرٌّ آخَرُ  
 وَهُوَ إِعْطَاءُ السَّبَبِ فِي أَنَّ كَلَامَ الْأَسْلَامِيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ أَعْلَى طَبَقَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَذْوَاقِهَا

مِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَثُورِهِمْ وَمَنْظُومِهِمْ فَإِنَّا نَجِدُ شِعْرَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ وَعُمَرَ بْنِ  
 أَبِي رَيْعَةَ وَالْحُطَيْئَةَ وَجَرِيرَ وَالْفَرَزْدَقَ وَنُصَيْبَ وَغِيلَانَ ذِي الرُّمَّةَ وَالْأَحْوَصَ وَبِشَارَ  
 ثُمَّ كَلَامَ السَّلَفِ مِنَ الْعَرَبِ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَصَدْرًا مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي  
 خُطْبِهِمْ وَتَرْسِيلِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ لِلْمُلُوكِ أَرْفَعَ طَبَقَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِنْ شِعْرِ النَّابِغَةِ وَعَنْتَرَةَ  
 وَأَبْنِ كُلْثُومٍ وَزُهَيْرٍ وَعَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ وَطْرِفَةَ بْنِ الْعَبْدِ وَمِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَثُورِهِمْ  
 وَمُحَاوَرَاتِهِمْ وَالطَّبْعُ السَّلِيمُ وَالذَّوْقُ الصَّحِيحُ شَاهِدَانِ بِذَلِكَ لِلنَّاقِدِ الْبَصِيرِ بِالْبَلَاغَةِ وَالسَّبَبِ  
 فِي ذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَذْرَكُوا الْإِسْلَامَ سَمِعُوا الطَّبَقَةَ الْعَالِيَةَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْقُرْآنِ  
 وَالْحَدِيثِ الَّذِينَ عَجَزَ الْبَشَرُ عَنِ الْإِثْنَانِ بِمِثْلَيْهِمَا لِكُونِهَا وَلَجَتْ فِي قُلُوبِهِمْ وَنَشَأَتْ  
 عَلَى أَسَالِيِبِهَا نَفُوسُهُمْ فَهَضَمَتْ طِبَاعَهُمْ وَأَرْثَقَتْ مَلَكَتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى  
 مَلَكَاتٍ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعْ هَذِهِ الطَّبَقَةَ وَلَا نَشَأَ عَلَيْهَا  
 فَكَانَ كَلَامُهُمْ فِي نَظْمِهِمْ وَنَثَرِهِمْ أَحْسَنَ دِيبَاجَةٍ وَأَصْفَى رَوْنَقًا مِنْ أَوْلِيكَ وَأَرْصَفَ  
 مَبْنًى وَأَعْدَلَ تَثْقِيفًا بِمَا اسْتَفَادُوهُ مِنَ الْكَلَامِ الْعَالِي الطَّبَقَةَ وَتَأَمَّلْ ذَلِكَ يَشْهَدُ لَكَ  
 بِهِ ذَوْقُكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الذَّوْقِ وَالْبَصَرِ بِالْبَلَاغَةِ . وَلَقَدْ سَأَلْتُ يَوْمًا شَيْخَنَا الشَّرِيفَ  
 أَبَا الْقَاسِمِ قَاضِي غَرْنَاطَةَ لِعَهْدِنَا وَكَانَ شَيْخَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَخَذَ بِسَبْتَةٍ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ  
 مَشِيخَتِهِمَا مِنْ تَلَامِيذِ الشُّلُوبِيِّينَ وَاسْتَجَرَّ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ وَجَاءَ مِنْ وَرَاءِ الْغَايَةِ فِيهِ فَسَأَلْتُهُ  
 يَوْمًا مَا بَالُ الْعَرَبِ الْإِسْلَامِيِّينَ أَعْلَى طَبَقَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِنَ الْجَاهِلِيِّينَ وَلَمْ يَكُنْ  
 لِيَسْتَنْدَكِرَ ذَلِكَ بِذَوْقِهِ فَسَكَتَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي وَاللَّهِ مَا أَذْرِي فَقُلْتُ أَعْرِضْ عَلَيْكَ  
 شَيْئًا ظَهَرَ لِي فِي ذَلِكَ وَلَعَلَّهُ السَّبَبُ فِيهِ وَذَكَرْتُ لَهُ هَذَا الَّذِي كَتَبْتُ فَسَكَتَ مُعْجِبًا  
 ثُمَّ قَالَ لِي يَا فقيهُ هَذَا كَلَامٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُكْتَبَ بِالذَّهَبِ وَكَانَ مِنْ بَعْدِهَا يُؤَثَّرُ  
 مُحَلِّي وَيُصَيِّغُ فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ إِلَى قَوْلِي وَيَشْهَدُ لِي بِالنِّبَاهَةِ فِي الْعُلُومِ وَاللَّهُ خَلَقَ  
 الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ

### الفصل التاسع والاربعون

في ترفع اهل المراتب عن التحال الشعر

اعْلَمْ أَنَّ الشِّعْرَ كَانَ دِيْوَانًا لِلْعَرَبِ فِيهِ عُلُومُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَحِكْمُهُمْ وَكَانَ رُؤْسَاءُ  
 الْعَرَبِ مُنَافِسِينَ فِيهِ وَكَانُوا يَقِفُونَ بِسُوقِ عُسْكَاطٍ لِإِنْشَادِهِ وَعَرَضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ



دِيَابَجَتَهُ عَلَى فُحُولِ الشَّانِ وَأَهْلِ الْبَصْرِ لِتَمْيِيزِ حَوْلِهِ حَتَّى أَنْتَهَوْا إِلَى الْمُنَاقَاةِ فِي تَعْلِيْقِ  
 أَشْعَارِهِمْ بِأَرْكَانِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مَوْضِعِ حُجَّتِهِمْ وَبَيْتِ إِبْرَاهِيمَ كَمَا فَعَلَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ  
 ابْنُ حَجْرٍ وَالنَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَعَنْدَرَةُ بْنُ شَدَّادٍ وَطَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ  
 وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالْأَعَشَى وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَتَوَصَّلُ  
 إِلَى تَعْلِيْقِ الشَّعْرِ بِهَا مَنْ كَانَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْمِهِ وَعَصِيَّتِهِ وَمَكَانِهِ فِي مَضَرٍّ عَلَى  
 مَا قِيلَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمُعَلَّقَاتِ ثُمَّ انْصَرَفَ الْعَرَبُ عَنْ ذَلِكَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ بِمَا  
 شَغَلَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَمَا أَدْهَشَهُمْ مِنْ أُسْلُوبِ الْقُرْآنِ وَنَظْمِهِ  
 فَأَخْرَسُوا عَنْ ذَلِكَ وَسَكَتُوا عَنِ الْخَوْصِ فِي الْأَنْظُمِ وَالنَّثْرِ زَمَانًا ثُمَّ اسْتَقَرَّ ذَلِكَ وَأَوْنِسَ  
 الرُّشْدُ مِنَ الْمِلَّةِ وَلَمْ يَنْزِلِ الْوَحْيُ فِي تَحْرِيمِ الشَّعْرِ وَحُظْرِهِ وَسَمِعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ وَأَثَابَ عَلَيْهِ فَرَجَعُوا حِينَئِذٍ إِلَى دِيْنِهِمْ مِنْهُ وَكَانَ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ كَبِيرُ  
 فُرَيْشٍ لِذَلِكَ الْعَهْدِ مَقَامَاتٌ فِيهِ عَالِيَةً وَطَبَقَةٌ مُرْتَفَعَةٌ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَعْزُضُ شَعْرَهُ عَلَى  
 ابْنِ عَبَّاسٍ فَيَقِفُ لِاسْتِمَاعِهِ مُعْجِبًا بِهِ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْمَلِكُ وَالِدُ الْغَزِيَّةِ  
 وَاقْتَرَبَ إِلَيْهِمُ الْعَرَبُ بِأَشْعَارِهِمْ بِمَتَدَحُونِهِمْ بِهَا وَيُجِيزُهُمُ الْخُلَفَاءُ بِأَعْظَمِ الْجَوَائِزِ عَلَى  
 نِسْبَةِ الْجُودَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَمَكَانِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَيَحْرُصُونَ عَلَى اسْتِهْدَاءِ أَشْعَارِهِمْ يَطْلَعُونَ  
 مِنْهَا عَلَى الْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَاللُّغَةِ وَشَرَفِ اللِّسَانِ وَالْعَرَبُ يَطَالِبُونَ وَلَدَهُمْ بِحِفْظِهَا وَلَمْ  
 يَزَلْ هَذَا الشَّانُ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةٍ وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَانْظُرْ مَا نَقَلَهُ صَاحِبُ الْعَقْدِ  
 فِي مُسَامَرَةِ الرَّشِيدِ لِلْأَصْحَمِيِّ فِي بَابِ الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ تَجِدُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ مِنَ  
 الْمَعْرِفَةِ بِذَلِكَ وَالرُّسُوحِ فِيهِ وَالْعِنَايَةِ بِاتِّحَالِهِ وَالتَّبَصُّرِ بِحَيْثُ الْكَلَامِ وَرَدِّئِهِ وَكَثْرَةِ  
 مُحْفُوظِهِ مِنْهُ ثُمَّ جَاءَ خَلْقٌ مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ يَكُنِ اللِّسَانُ لِسَانَهُمْ مِنْ أَجْلِ الْعَجْمَةِ وَانْقِصَادِهَا  
 بِاللِّسَانِ وَإِنَّمَا تَعَلَّمُوهُ صِنَاعَةً ثُمَّ مَدَحُوا بِأَشْعَارِهِمْ أَمْرَاءَ الْعَجَمِ الَّذِينَ لَيْسَ اللِّسَانُ لَهُمْ  
 طَالِبِينَ مَعْرِفَتِهِمْ فَقَطَّ لَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ كَمَا فَعَلَهُ حَبِيبٌ وَابْنُ حَزْرِيٍّ وَالْمُتَنَبِّئِيُّ  
 وَابْنُ هَانِيٍّ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَهَلُمَّ جَرًّا فَصَارَ غَرَضُ الشَّعْرِ فِي الْغَالِبِ إِنَّمَا هُوَ الْكَذِبُ  
 وَالْاسْتِهْدَاءُ لِدَهَابِ الْمَنَافِعِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ لِلأَوَّلِينَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَتَقَا وَأَنْفَتْ مِنْهُ لِدَافِ  
 أَهْلِ الْهَمِّ وَالْمَرَاتِبِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَتَغَيَّرَ الْحَالُ وَأَصْبَحَ تَعَاطِيهِ هُجْنَةً فِي الرِّئَاسَةِ  
 وَمَذْمَةً لِأَهْلِ الْمَنَاصِبِ الْكَبِيرَةِ وَاللَّهُ مُقَابِلُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

## الفصل الخمسون

في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

اعلم ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية  
أو عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم أرسطو في كتاب  
المنطق أوميروس الشاعر وأثنى عليه وكان في حمير أيضاً شعراء متقدمون ولما فسد  
لسان مضر ولغتهم التي دوت مقاييسها وقوانين إعرابها وفسدت اللغات من بعد بحسب  
ما خالطها ومازجها من العجمة فكانت تحيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم  
من مضر في الإعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات  
وكذلك الحضر أهل الأمصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر في الإعراب  
وأكثر الأوضاع والتعاريف وخالفت أيضاً لغة الجبل من العرب لهذا العهد  
واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الآفاق فلاهل الشرق وأمصاره لغة  
غير لغة أهل المغرب وأمصاره وتخالفاً أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره ثم لما  
كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان لأن الموازين على نسبة واحدة في  
أعداد المتحرّكات والسواكن وتقابلها موجود في طباع البشر فلم يهجر الشعر  
بفقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا فحولاً وفرسان ميدانه حسبما اشتهر  
بين أهل الخليقة بل كل جيل وأهل كل لغة من العرب المستعجمين والحضر  
أهل الأمصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله ورصف بنائه على مبيع كلامهم  
فأما العرب أهل هذا الجبل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر  
لهذا العهد في سائر الأعارض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه  
بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والثناء  
والهجاء ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام وربما هجموا على  
المقصود لأول كلامهم وأكثر ابتدائهم في قصائدهم بأمم الشاعر ثم بعد ذلك  
ينسبون فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالامتعميات نسبة إلى  
الامتعي راوية العرب في أشعارهم وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من  
الشعر بالبدوي وربما يلقنون فيه الحاناً بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثم



يُغْنُونَ بِهِ وَيُسَمُّونَ الْغِنَاءَ بِهِ بِأَسْمِ الْخُورَانِي نِسْبَةً إِلَى خُورَانَ مِنْ أَطْرَافِ الْعِرَاقِ  
وَالشَّامِ وَهِيَ مِنْ مَنَازِلِ الْعَرَبِ الْبَادِيَةِ وَمَسَاكِينِهِمْ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَلَهُمْ فَنٌّ آخَرٌ كَثِيرٌ  
التَّدَاوُلُ فِي نَظْمِهِمْ يَحْيِيُونَ بِهِ مَعْصَبًا عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ يُخَالِفُ آخِرُهَا الثَّلَاثَةَ فِي رَوِيهِ  
وَيَلْتَزِمُونَ الْقَافِيَةَ الرَّابِعَةَ فِي كُلِّ يَتٍّ إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ شَبِيهَا بِالْمُرَبَّعِ وَالْخُمْسِ  
الَّذِي أَحَدُهُ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْمُؤَلِّدِينَ وَاهْؤُلَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا الشِّعْرِ بِلَاغَةٌ فَائِقَةٌ  
وَفِيهِمْ الْقُحُولُ وَالْمُتَأَخِّرُونَ وَالْكَثِيرُ مِنَ الْمُتَحَلِّلِينَ لِلْعُلُومِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَخُصُوصًا عِلْمُ  
اللسانِ يَسْتَنْصِرُ صَاحِبَهَا هَذِهِ الْفُنُونِ الَّتِي لَهُمْ إِذَا سَمِعَهَا وَبِمَجْزُ نَظْمِهِمْ إِذَا أُشِيدَ وَيَعْتَقِدُ  
أَنْ ذَوْقَهُ إِنَّمَا نَبَأَ عَنْهَا لِاسْتِجَابَتِهَا وَفَقْدَانِ الْإِعْرَابِ مِنْهَا وَهَذَا إِنَّمَا أَتَى مِنْ فَقْدَانِ  
الْمَلَكَةِ فِي لُغَتِهِمْ فَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ مَلَكَةٌ مِنْ مَلَكَاتِهِمْ لَشَهِدَ لَهُ طَبْعُهُ وَذَوْقُهُ بِبِلَاغَتِهَا  
إِنْ كَانَ سَلِيمًا مِنْ الْأَفَاتِ فِي فِطْرَتِهِ وَنَظَرِهِ وَإِلَّا فَالْإِعْرَابُ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْبِلَاغَةِ  
إِنَّمَا الْبِلَاغَةُ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِلْمَقْصُودِ وَلِمُقْتَضَى الْحَالِ مِنَ الْوُجُودِ فِيهِ سَوَاءٌ كَانَ  
الرَّفْعُ دَالًّا عَلَى الْفَاعِلِ وَالنَّصْبُ دَالًّا عَلَى الْمَفْعُولِ أَوْ بِالْعَكْسِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ  
قِرَائِنُ الْكَلَامِ كَمَا هُوَ فِي لُغَتِهِمْ هَذِهِ فَالدَّلَالَةُ بِحَسَبِ مَا يَصْطَلِحُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَلَكَةِ  
فَإِذَا عُرِفَ أَصْطِلَاحٌ فِي مَلَكَةٍ وَاشْتَهَرَ صِحَّةُ الدَّلَالَةِ وَإِذَا طَابَقَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ  
الْمَقْصُودَ وَمُقْتَضَى الْحَالِ صَحَّتِ الْبِلَاغَةُ وَلَا عِبْرَةَ بِقَوَائِنِ النُّحَاةِ فِي ذَلِكَ وَأَسَالِبُ الشِّعْرِ  
وَفُنُونُهُ مَوْجُودَةٌ فِي أَشْعَارِهِمْ هَذِهِ مَا عَدَا حَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ فِي أَوَاخِرِ الْكَلِمِ فَإِنْ  
غَالِبَ كَلِمَاتِهِمْ مَوْقُوفَةٌ الْآخِرِ وَيَتَمَيَّزُ عِنْدَهُمُ الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْتَدَأُ مِنَ الْخَبَرِ  
بِقِرَائِنِ الْكَلَامِ لَا بِحَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ

(الموشحات والازجال للاندلس)

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا كَثُرَ الشِّعْرُ فِي قُطْرِهِمْ وَتَهَذَّبَتْ مَنَاحِيهِ وَفُنُونُهُ وَبَلَغَ  
التَّعَمُّيقُ فِيهِ الْغَايَةَ اسْتَحْدَثَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ فَنًّا مِنْهُ سَمَّوْهُ بِالْمَوْشَحِ يَنْظِمُونَهُ أَسْمَاطًا  
أَسْمَاطًا وَأَغْصَانًا أَغْصَانًا يُكْثِرُونَ مِنْ أَعَارِيفِهَا الْمُخْتَلَفَةِ وَيُسَمُّونَ الْمُتَعَدِّدَ مِنْهَا يَتًّا  
وَاحِدًا وَيَلْتَزِمُونَ عِنْدَ قَوَائِنِ تِلْكَ الْأَغْصَانِ وَأَوْزَانِهَا مُتَّكِلًا فِيمَا بَعْدَ إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ  
وَأَكْثَرُ مَا تَنْتَهِي عِنْدَهُمْ إِلَى سَبْعَةِ أَيْكَاتٍ وَيَشْتَمِلُ كُلُّ يَتٍّ عَلَى أَغْصَانٍ عَدَدِهَا  
بِحَسَبِ الْأَغْرَاسِ وَالْمَذَاهِبِ وَيَنْسَبُونَ فِيهَا وَيَمْدَحُونَ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْفَصَائِدِ وَتَجَارِوا

فِي ذَلِكَ إِلَى الْغَايَةِ وَاسْتَظَرَفَهُ النَّاسُ جُمْلَةً أَلْخَاصَّةً وَالْكَافَّةً لِسُهُولَةٍ تَنَاوُلِهِ وَقُرْبِ  
طَرِيقِهِ وَكَانَ الْمُخْتَارُ لَهَا يَجْزِي بَرَةً الْأَنْدَلُسِ مُقَدِّمَ بْنِ مُعَاوِرَ الْفَرِيزِيِّ مِنْ شُعَرَاءِ الْأَمِيرِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَانِيِّ وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ  
كِتَابِ الْعَقْدِ وَلَمْ يَظْهَرْ لِهَمَّا مَعَ الْمَتَأَخِّرِينَ ذِكْرٌ وَكَسَدَتْ مُوشِحَاتُهُمَا فَكَانَ أَوَّلُ  
مَنْ بَرَعَ فِي هَذَا الشَّأْنِ عِبَادَةُ الْقَزَازِ شَاعِرُ الْمُعْتَصِمِ ابْنِ مُجَادِحٍ صَاحِبِ الْمِرْيَةِ

بَدْرُ تَمَّ . شَمْسُ ضُحَا . غَضُّ نَقَا . مَسْكُ شَم

مَا اَتَمَّ . مَا اَوْضَحَا . مَا اَوْرَقَا . مَا اَنَم

لَا جَرَمَ . مِنْ لِحَا . قَدْ عَشِقَا . قَدْ حُرِمَ

وَرَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقَهُ وَشَاحُّ مِنْ مُعَاوِرِيهِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ الطَّوَائِفِ  
وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَشَائِخِ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الشَّأْنِ بِالْأَنْدَلُسِ يَذْكُرُونَ أَنَّ جَمَاعَةً  
مِنَ الْوُشَّاحِينَ اجْتَمَعُوا فِي تَجَالِسٍ بِأَسْبِيلِيَّةٍ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَصْطَنَعَ مُوشِحَةً  
وَتَأَنَّى فِيهَا فَتَقَدَّمَ الْأَعْمَى الطَّائِلِيُّ لِلْإِنْشَادِ فَلَمَّا افْتَتَحَ مُوشِحَتَهُ الْمَشْهُورَةَ يَقُولُ  
صَاحِبُكَ عَنْ جَمَانٍ . سَافِرٌ عَنْ دُرٍّ ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ . وَحَوَاهُ صَدْرِي  
صَرَفَ ابْنُ بَقِيٍّ مُوشِحَتَهُ وَتَبِعَهُ الْبَاقُونَ وَذَكَرَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلِيُّوسِي أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ زُهَيْرٍ يَقُولُ  
مَا حَسَدْتُ قَطُّ وَشَاحًا عَلَى قَوْلِ إِلَّا ابْنُ بَقِيٍّ حِينَ وَقَعَ لَهُ

أَمَا تَرَى أَحْمَدَ . فِي تَجْدِيهِ الْعَالِي لَا يُلْحَقُ . أَطْلَعَهُ الْغَرْبُ . فَأَرِنَا مِثْلَهُ يَا مَشْرِقَ  
وَكَانَ فِي عَصْرِهِمَا مِنَ الْمُوشِحِينَ الْمَطْبُوعِينَ أَبُو بَكْرٍ الْأَيْضُ وَكَانَ فِي عَصْرِهِمَا أَيْضًا  
الْحَكِيمُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ بَاجَةَ صَاحِبُ التَّلَاحِينَ الْمَعْرُوفَةِ وَمِنَ الْحِكَايَاتِ الْمَشْهُورَةِ  
أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَ مَخْدُومِهِ ابْنِ تَيْفَلَوَيْتٍ صَاحِبِ مِرْقَسُطَةِ فَأُلْقِيَ عَلَى بَعْضِ قِسَائِهِ مُوشِحَتَهُ  
جَرَّرَ الدَّلِيلَ أَيْمًا جَرَّ . وَصَلَ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ

فَطَرِبَ الْمَمْدُوحُ لِذَلِكَ لَمَّا خَتَمَهَا يَقُولُ  
عَقَدَ اللَّهُ . رَايَةَ . النَّصِيرِ . لِأَمِيرِ الْعَلَا أَبِي بَكْرٍ

فَلَمَّا طَرَقَ ذَلِكَ التَّلَحُّينُ سَمِعَ ابْنَ تَيْفَلَوَيْتٍ صَاحِبَ وَاطَرَبَاهُ وَشَقَّ ثِيَابَهُ وَقَالَ مَا  
أَحْسَنَ مَا بَدَأْتَ وَخَتَمْتَ وَحَلَفْتَ بِالْأَيْمَانِ الْمُعْظَمَةِ لَا يَمْشِي ابْنُ بَاجَةَ إِلَى دَارِهِ إِلَّا  
عَلَى الذَّهَبِ فَخَافَ الْحَكِيمُ سُوءَ الْعَاقِبَةِ فَاحْتَالَ بِأَنْ جَعَلَ ذَهَبًا فِي نَعْلِهِ وَمَشَى عَلَيْهِ



وَذَكَرَ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ زُهْرٍ أَنَّهُ جَرَى فِي مَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ زُهَيْرٍ ذِكْرُ أَبِي بَكْرٍ الْأَيْضِ  
 الْوُشَّاحِ الْمُتَقَدِّمِ الَّذِي كَرِهَ نَقْصَ مِنْهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ فَقَالَ كَيْفَ نَقَصَ مِنْ يَقُولُ  
 مَا لَدِّي شَرَابٌ رَاحَ عَلَى رِيَاضِ الْأَفَاحِ لَوْلَا هَضِيمُ الْوُشَّاحِ إِذَا أَسَا فِي الصَّبَاحِ  
 أَوْ فِي الْأَصِيلِ أَضْعَى يَقُولُ مَا لِلشَّمُولِ لَطَمَتِ خَدَيْهِ  
 وَلِلشَّعَالِ هَبَّتْ فَمَا لِي غَمُّنُ أَعْتَدَالِ ضَمَّةُ بَرْدِي  
 مِمَّا أَبَادَ الْقُلُوبَا يَمْشِي لَنَا مُسْتَرِيَا يَا لِحِظَةِ رُدِّ نُوبَا وَيَا لِمَاةِ الشَّيْبَا  
 بَرْدٌ غَالِيلٌ صَبَّ غَالِيلٌ لَا يَسْتَحِيلُ فِيهِ عَنْ عَيْدِي  
 وَلَا يَزَالُ فِي كُلِّ حَالٍ يَرْجُو الْوَصَالَ وَهُوَ فِي الصَّدِّ  
 وَاشْتَهَرَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ فِي صَدْرِ دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ شَرَفٍ قَالَ  
 الْحَسَنُ بْنُ دُوَيْدَةَ رَأَيْتُ حَاتِمَ بْنَ سَعِيدٍ عَلَى هَذَا الْإِفْتِتَاحِ

شمس قاربت بدراً راح ونديم

وابن بهرودس الذي له باليلة الوصل والسعود بالله عودي

وَأَبْنُ مُوَهَّلٍ الَّذِي لَهُ مَا أَلْعِيدُ فِي حَالَةٍ وَطَاقٍ وَشَمَّ وَطِيبٌ وَإِنَّمَا الْعِيدُ فِي التَّلَاقِ مَعَ الْحَبِيبِ  
 قَالُوا سَمِعْتُ أبا الحسن سهل بن مالك يقول إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى  
 ابْنِ زُهَيْرٍ وَقَدْ أَسَنَّ وَعَلَيْهِ زِيُّ الْبَادِيَةِ إِذْ كَانَ يَسْكُنُ بِمُحَضَّنِ سَبْتَةٍ فَلَمْ يَعْرِفْهُ  
 فَجَلَسَ حَيْثُ أَتَى بِهِ الْمَجْلِسُ وَجَرَّتِ الْمُحَاضِرَةُ فَأَنشَدَ لِنَفْسِهِ مَوْشِحَةً وَقَعَ فِيهَا  
 كُحْلُ الدُّجَى بِجَرِي مِنْ مُقَلَّةِ الْفَجْرِ عَلَى الصَّبَاحِ

ومعصم النهر في حُلِّ خُضِرٍ مِنَ الْبَطَاحِ

فَتَحَرَّكَ ابْنُ زُهَيْرٍ وَقَالَ أَنْتَ تَقُولُ هَذَا قَالَ اخْتَبِرْ قَالَ وَمَنْ تَكُونُ فَعَرَفَهُ فَقَالَ أَرْتَفَعُ  
 فَوَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَسَابِقُ الْحَلْبَةِ الَّذِي أَدْرَكَ هَؤُلَاءِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ زُهَيْرٍ  
 وَقَدْ شَرَّقَتْ مَوْشِحَاتُهُ وَغَرَبَتْ قَالَ وَسَمِعْتُ أبا الحسن سهل بن مالك يقول قِيلَ لِابْنِ  
 زُهَيْرٍ لَوْ قِيلَ لَكَ مَا أَبْدَعَ وَأَرْفَعَ مَا وَقَعَ لَكَ فِي التَّوَشُّيحِ قَالَ كُنْتُ أَقُولُ

مَا لِلْمُؤَلِّهِ مِنْ سَكْرِهِ لَا يُفِيقُ يَا لَهُ سَكَرَانِ مِنْ غَيْرِ خَمَرٍ مَا لِلْكُتَيْبِ الْمَشُوقِ يَنْدُبُ الْوَطَانَ

هل تستعاد يا مينا بالخليج وليالينا

او نستفاد من النسيم الاريح منسك دارينا

وَادٍ يَكَادُ . حُسْنُ الْمَكَانِ الْبَهِيحِ . انْ يُحْيِينَا  
 نَهْرٌ أَظْلَهُ . دَوْحٌ عَلَيْهِ أُنَيْقٌ . مُورِقٌ قَيْنَانٌ . وَالْمَاءُ يَجْرِي . وَعَائِمٌ وَغَرِيقٌ . مِنْ جَنَى الرِّيحَانِ  
 وَمِنْ مَحَاسِنِ الْمُوشَّحَاتِ لِلْمَتَأَخِرِينَ . مُوشَّحَةٌ ابْنُ مَهْلٍ شَاعِرٌ أَشْبِيلِيَّةٌ وَسَبْتَةٌ مِنْ  
 بَعْدِهَا فَمِنْهَا قَوْلُهُ

هَلْ دَرَى ظِيُّ الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى      قَلْبَ صَبٍّ حَلَهُ عَنْ مَكْنَسِ  
 فَهُوَ فِي نَارٍ وَخَفَقَ مِثْلَ مَا      لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ  
 وَقَدْ تَسَجَّ عَلَى مِنْوَالِهِ فِيهَا صَاحِبُنَا الْوَزِيرُ      أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْخَطِيبِ شَاعِرُ الْأَنْدَلُسِ  
 وَالْمَغْرِبِ لِعَصْرِهِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فَقَالَ

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى      يَأْزِمَانِ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ  
 لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا حُلُمًا      فِي الْكَرَى أَوْ خِلْسَةِ الْخُلْسِ  
 إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمُنَى      يَنْقُلُ الْخَطُوءَ عَلَى مَا يَرْمِي  
 زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَثَنَا      مِثْلَ مَا يَدْعُو الْوُفُودَ الْمَوْسِمِ  
 وَالْحَيَا قَدْ جَلَّ الرُّوضِ سَنَى      فَتَغُورُ الزَّهْرُ فِيهِ تَبْسِمِ  
 وَرَوَى النِّعْمَانُ عَنْ مَاءِ السَّمَاءِ      كَيْفَ يَرَوِي مَالِكٌ عَنْ أَنَسِ  
 فَكَسَاهُ الْحُسْنُ ثَوْبًا مُعْلَمًا      يَزِدُّهُ مِنْهُ بِأَنْهَى مَلْبَسِ  
 فِي لَيْالٍ كَتَمَتْ سِرَّ الْهَوَى      بِالْأُجَى لَوْلَا شُمُوسُ الْغُرَى  
 مَا لَ نَجْمُ الْكَأَسِ فِيهَا وَهَوَى      مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ  
 وَطَرًا مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى      أَنَّهُ مَرَّ كَلَمَجِ الْبَصْرِ  
 حِينَ لَدَّ النَّوْمُ مِينًا أَوْ كَمَا      هَجَمَ الصَّبْحُ هَجُومَ الْحَرَسِ  
 غَارَتِ الشُّهُبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا      أَثَرَتْ فِينَا عِيُونَ النَّزْجِسِ  
 أَيُّ شَيْءٍ لَأَمْرِي قَدْ خَلَصَا      فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مَكَّنَ فِيهِ  
 تَنْهَبُ الْأَزْهَارُ فِيهِ الْفُرْصَا      أَمَنْتَ مِنْ مَكْرِهِ مَا أَنْقِيهِ  
 فَإِذَا الْمَاءُ يُنَاجِي وَالْحَصَا      وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ  
 يُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيُورًا بِرِمَا      يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِي  
 وَتَرَى الْأَسَّ لَيْبًا فَهَمَا      يَسْرِقُ الدَّمْعَ بِأُذُنِي فَرَسِ



يَا أَهْلَ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْقَضَا  
ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْقَضَا  
فَأَعِيدُوا عَهْدَ أَنَسٍ قَدْ مَضَى  
وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمًا  
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا  
وَبِقَلْبِي مِنْكُمْ مُقَرَّبًا  
قَمَرًا أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ  
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبٌ  
سَاحِرٌ الْمُقَلَّةِ مَعْسُولُ اللَّحْمِ  
سَدَّ السُّهُمَ فَأَصْحَى إِذْ رَمَى  
إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابَ الْأَمَلُ  
فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ  
أَمْرُهُ مُعْتَمَلٌ مُمْتَلِكٌ  
حَكَمَ اللَّحْظُ بِهَا فَأَحْتَكَمَا  
بُنِصْفُ الْمَظْلُومِ مِنْ ظَلَمَا  
مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا  
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا  
جَلَبَ الْهَمَّ لَهُ وَالْوَصْبَا  
لَا عِجْ فِي أَضْأَعِي قَدْ أَضْرَمَا  
لَمْ يَدْعُ مِنْ مَهْجَتِي إِلَّا الدِّمَا  
سَلِمِي يَا نَفْسٍ فِي حُكْمِ الْقَضَا  
وَأَتْرُكِي ذِكْرِي زَمَانَ قَدْ مَضَى  
وَأَصْرِ فِي الْقَوْلِ إِلَى الْمَوْلَى الرَّضَى  
الْكَرِيمِ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَمَى  
يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا

وَبِقَلْبِي مَسْكِينٌ أَنْتُمْ بِهِ  
لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ  
تُقَدُّوا عَائِيكُمْ مِنْ كَرْبِهِ  
يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسِ  
أَقْرَضُونَ خَرَابَ الْحَبْسِ  
بِأَحَادِيثِ الْمَنَى وَهُوَ بَعِيدُ  
شَقْوَةِ الْمُغْرَى بِهِ وَهُوَ سَعِيدُ  
فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدُ  
جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالَ النَّفْسِ  
بِفُؤَادِي نَبْلَةُ الْمُفْتَرَسِ  
وَفُؤَادُ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُوبُ  
لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِحْيُوبٍ ذُنُوبُ  
فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَاهَا وَقُلُوبُ  
لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضِمَامِ الْأَنْفُسِ  
وَيَجَازِي الْبَرَّ مِنْهَا وَالْمُسِي  
عَادَهُ عِيدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ  
قَوْلُهُ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدُ  
فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جَهْدٍ جَهِيدُ  
فَهِيَ نَارٌ فِي هَشِيمِ الْيَبْسِ  
كَبَقَاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الْغُلَسِ  
وَأَعْبُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعِي وَمَتَابُ  
بَيْنَ عَتِي قَدْ نَقَضَتْ وَعَتَابُ  
مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ  
أَسَدِ السَّرْجِ وَبَذْرِ الْمَجْلِسِ  
يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدُسِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَذْوَاقَ كُلَّهَا فِي مَعْرِفَةِ الْبَلَاغَةِ إِنَّمَا تَحْصُلُ لِمَنْ خَالَطَ تِلْكَ الْلُغَةَ وَكَثُرَ  
 اسْتِعْمَالُهُ لَهَا وَمُخَاطَبَتُهُ بَيْنَ أَجْيَالِهَا حَتَّى يُحْصِلَ مَا كَثُرَ كَمَا قُلْنَا فِي الْلُغَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
 فَلَا الْأَنْدَلُسِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَلَا الْمَغْرِبِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ  
 أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِ وَلَا الْمَشْرِقِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّ  
 اللِّسَانَ الْخَصْرِيَّ وَتَرَكَيبَهُ مُخْتَلِفَةٌ فِيهِمْ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُدْرِكٌ لِلْبَلَاغَةِ لُغَتِهِ وَذَائِقٌ  
 لِحَسَنِ الشِّعْرِ مِنْ أَهْلِ جِلْدَتِهِ وَفِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ السِّنِّيَّاتِ  
 وَأَلْوَانِكُمْ آيَاتٌ وَقَدْ كِدْنَا نَخْرِجُ عَنْ الْغَرَضِ وَإِذَلِكَ عَزَمْنَا أَنْ نَقْبِضَ الْعِنَانَ عَنِ الْقَوْلِ فِي  
 هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ طَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ وَمَا يَغْرُضُ فِيهِ وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا مِنْ مَسَائِلِهِ  
 مَا حَسِبْنَاهُ كِفَايَةً وَلَعَلَّ مَنْ بَايَ بَعْدًا مِمَّنْ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِفِكْرٍ صَحِيحٍ وَعِلْمٍ مَبِينٍ يَغُوصُ  
 مِنْ مَسَائِلِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا كَتَبْنَا فَلَيْسَ عَلَى مُسْتَنْبِطِ الْفَنِّ إِحْصَاءُ مَسَائِلِهِ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ  
 تَعْيِينُ مَوْضِعِ الْعِلْمِ وَتَنْوِيعُ فُصُولِهِ وَمَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَالْمَتَأَخِّرُونَ يُلْحِقُونَ الْمَسَائِلَ مِنْ  
 بَعْدِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَكْمُلَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

قال مؤلف الكتاب عفى الله عنه اتمت هذا الجزء الاول بالوضع والتاليف قبل الشقيح  
 والتهذيب في مدة خمسة اشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعماية ثم انقضى بعد  
 ذلك وهذبتة والحقت به توارينخ الامم كما ذكرت في اوله وشرطته وما العلم الا من عند  
 الله العزيز الحكيم

لقد تم بحوله تعالى طبع هذا الكتاب طبعة ثالثة في المطبعة الادبية وعلى نفقتها نزفه  
 الى طلبة اللغة العربية الشريفة تحفة كريمة من تحف المتقدمين نهديه للتأخرين مثالا يقتدى  
 به وهنوالا ينسجون عليه وقد عني بشكله جناب الكاتب البليغ رشيد افندي عطيه احد  
 محرري جريدة لسان الحال ثم نظرفيه وصحح ما احالته عن اصله ايدي النساخ والطباع  
 جناب العالم المدقق واللغوي المحقق الكاتب البليغ المعلم عبدالله افندي البستاني متوخيا  
 بذلك خدمة خالصة للعلم والادب نسأله تعالى ان يثيبه على هذه الخدمة النافعة وينفعنا  
 بمعارفه وقد جعلنا ثمن النسخة من هذا الكتاب خمسة وعشرين غرشا تسميالا لاقتنائه ولا  
 سيما لتلامذة المدارس ومن طلب منه كمية تفوق الخمسين نسخة جعلنا له اسقاطا لقاء اهتمامه  
 نسأله تعالى ان يوفقنا الى ما فيه خدمة الدولة العلية والوطن













Bibliotheca Alexandrina



0408648